

(١٣٤٢)

الفرح

المحمود والمذموم

من مصنفات التفاسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"٢٥٩ - لا تسألي القوم عن مالي وكثرته ... وسائلي القوم عن ديني وعن خلقي

٢٦٠ - فقد أجود وما مالي بذي ... فنع وأكتم السر فيه ضربة العنق

وإنما قال:

(إن كنتم مؤمنين)

وهم مؤمنون ليعلم أن من صدق الإيمان ألا يهن المؤمن ولا يحزن لثقته بالله.

(فرح)

بالفتح: جراح، وبالضم: ألم الجراح.." [1]

"٣٦٦ - لقد أردى الفوارس يوم حسي ... غلاما غير مناع المتاع

٣٩٧ - **ولا فرح بخير** إن أتاه ... ولا جزع من الحدثان لا ع

٣٩٨ - ولا وقافة والخيل تردي ... ولا خال كأنبوب اليراع

(كأنما يصعد في السماء)

أي: من ضيق صدره ونفوره عن الإسلام كمن يراد على ما لا يقدر عليه. كما قال الهذلي:." [2]

"(إن الله لا يحب الفرحين)

أي: البطرين، قال الغنوي:

٩٢٠ - لقد أردى الفوارس يوم حسي ... غلاما غير مناع المتاع

٩٢١ - **ولا فرح بخير** إن أتاه ... ولا جزع من الحدثان لا ع. مثله لهدبة بن خشرم:

٩٢٢ - فلست بمفراح إذا الدهر سرني ... ولا جازع من ريبه المتقلب

٩٢٣ - ولا أتمنى الشر والشر تاركي ... ولكن متى أحمل على الشر أركب.

(في زينته)." [3]

"[الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي].

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر **بن فرح الأنصاري** الخزرجي شمس الدين القرطبي

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٣٢٢/١

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٤٩٣/١

(٣) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ١٠٨٦/٢

(المتوفى: ٦٧١هـ)

تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش

الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة

الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات)

[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو مذيل بالحواشي، وضمن خدمة مقارنة تفاسير]

تنبيهات:

١ - الكتاب مرتبط بنسختين مصورتين، إحداهما موافقة في ترقيم الصفحات (ط عالم الكتب)، والأخرى هي ط الرسالة بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

٢ - ط دار الكتب المصرية (=الهيئة المصرية العامة للكتاب)، التي أخذت عنها هذه النسخة الإلكترونية: مقابلة على ٢٤ نسخة مخطوطة ومراجعة على كتب التفسير والقراءات، وكتب الحديث والإعراب التي رجع إليها المؤلف، وخاصة قراءة نافع التي جعلها المؤلف أصلا لتفسيره.

ثم طبعتها كثير من دور النشر بعد ذلك بنفس أرقام أجزائها وصفحاتها وحواشيها، منها: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ومنها دار عالم الكتب ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م." (١)

"الجزء الأول

[المدخل]

[خطبة الكتاب وفيها الكلام على علو شأن المفسرين]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى **بكر فرح الأنصاري** الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي، رضي الله عنه: الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد الواحد، الحي القيوم الذي لا يموت، ذو الجلال والإكرام، والمواهب العظام، والمتكلم بالقرآن، والخالق للإنسان، والمنعم عليه بالإيمان، والمرسل رسوله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي /

بالبيان، محمدا صلى الله عليه وسلم ما اختلف الملوان «١»، وتعاقب الجديدان، أرسله بكتابه المبين، الفارق بين الشك واليقين، الذي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. جعل أمثاله عبرا لمن تدبرها، أوامره هدى لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، وكرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، وضرب فيه الأمثال، وقص فيه غيب الأخبار، فقال تعالى" ما فرطنا في الكتاب من شيء «٢» ". وخاطب به أولياءه ففهموا، وبين لهم فيه مراده فعلموا. فقرأة القرآن حملة سر الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، وخلفاء أنبيائه وأمناؤه، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه، قال رسول الله صلى اله عليه وسلم:" إن لله أهلين منا «٣» " قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال:" هم أهل القرآن أهل الله وخاصته" أخرجه ابن ماجه في سننه، وأبو بكر البزار في مسنده. فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويتذكر

(١). الملوان: الليل والنهار.

(٢). آيه ٣٨ سورة الأنعام.

(٣). في سنن ابن ماجة:" من الناس".." (١)

"قوله تعالى: (وبشر الذين آمنوا) فيه ثلاث مسائل: الأولى- لما ذكر الله عز وجل جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين أيضا. والتبشير الإخبار بما يظهر أثره على البشرة- وهي ظاهر الجلد- لتغيرها بأول خبر يرد عليك، ثم الغالب أن يستعمل في السرور مقيدا بالخير المبشر به، وغير مقيد أيضا. ولا يستعمل في الغم والشر إلا مقيدا منصوصا على الشر المبشر به، قال الله تعالى" فبشرهم بعذاب أليم" [الانشقاق: ٢٤]. ويقال: بشرته وبشرته- مخفف ومشدد- بشارة (بكسر الباء) فأبشر واستبشر. وبشر يبشر إذا فرح. ووجه بشير إذا كان حسنا بين البشارة (بفتح الباء). والبشرى: ما يعطاه المبشر. وتباشير الشيء: أوله. الثانية- أجمع العلماء على أن المكلف إذا قال: من بشرني من عبيدي بكذا فهو حر، فبشره واحد من عبيده فأكثر فإن أولهم يكون حرا دون الثاني. واختلفوا إذا قال: من أخبرني من عبيدي بكذا فهو حر فهل يكون الثاني مثل الأول، فقال أصحاب الشافعي: نعم، لأن كل واحد منهم مخبر. وقال علماؤنا: لا، لأن المكلف إنما قصد خبرا يكون بشارة، وذلك يختص بالأول، وهذا معلوم عرفا فوجب صرف القول إليه. وفرق محمد ابن الحسن بين قوله: أخبرني، أو حدثني، فقال: إذا قال الرجل أي غلام لي أخبرني بكذا، أو أعلمني بكذا

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/١

وكذا فهو حر- ولا نية له- فأخبره غلام له بذلك بكتاب أو كلام أو رسول فإن الغلام يعتق، لأن هذا خبر. وإن أخبره بعد ذلك غلام له عتق، لأنه قال: أي غلام أخبرني فهو حر. ولو أخبروه كلهم عتقوا، وإن كان عنى- حين حلف- بالخبر كلام مشافهة لم يعتق واحد منهم إلا أن يخبره بكلام مشافهة بذلك الخبر. قال: وإذا قال أي غلام لي حدثني، فهذا على المشافهة، لا يعتق واحد منهم. الثالثة- قوله تعالى: (وعملوا الصالحات) رد على من يقول: إن الإيمان بمجرده يقتضي الطاعات، لأنه لو كان ذلك ما أعادها، فالجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح. وقيل: الجنة تنال بالإيمان، والدرجات تستحق بالأعمال الصالحات. والله أعلم.." (١)

"فالإنسان راع على جوارحه، فكأنه قال كل هذه كان الإنسان عنه مسئولا، فهو على حذف مضاف. والمعنى الأول أبلغ في الحجة، فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي، كما قال:" اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون «١» "، وقوله" شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون «٢» ". وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسئولة، فهي حالة من يعقل، فلذلك عبر عنها بأولئك. وقال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى:" رأيتهم لي ساجدين": إنما قال:" رأيتهم" في نجوم، لأنه لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل، وقد تقدم «٣». وحكى الزجاج أن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل بأولئك، وأنشد هو والطبري:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

وهذا أمر يوقف عنده. وأما البيت فالرواية فيه" الأقوام" والله اعلم.

[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٣٧ الى ٣٨]

ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨)

فيه خمس مسائل: الأولى- قوله تعالى: (ولا تمش في الأرض مرحا) هذا نهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع. والمرح: شدة الفرح. وقيل: التكبر في المشي. وقيل: تجاوز الإنسان قدره. وقال قتادة: هو الخيلاء في المشي. وقيل: هو البطر والأشر. وقيل: هو النشاط وهذه الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين: أحدهما

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣٨/١

مذموم والآخر محمود، فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الإنسان قدره مذموم والفرح والنشاط محمود. وقد وصف الله تعالى نفسه بأحدهما، ففي الحديث الصحيح" لله أفرج بتوبة العبد من رجل ... " الحديث. والكسل

(١). راجع ج ١٥ ص ٤٨، وص ٣٤٩.
(٢). راجع ج ١٥ ص ٤٨، وص ٣٤٩.
(٣). راجع ج ٩ ص ١٢٢.." [١]

"من أرض العرب لم يمهلوا، وهو معنى قوله: (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا)، وقرا عطاء ابن أبي رباح" لا يلبثون" الباء مشددة،" خلفك" نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو، ومعناه بعدك، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي" خلافك" واختاره أبو حاتم، اعتبارا بقوله:" **فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف «١» رسول الله" ومعناه أيضا بعدك، قال الشاعر:

عفت الديار خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا

بسط البواسط، في الماوردي، يقال: شطبت المرأة الجريد إذا شفقة لتعمل منه الحصر- قال أبو عبيد: ثم تلقيه الشاطبة إلى المنقية. وقيل:" خلفك" بمعنى بعدك و" خلافك" بمعنى مخالفتك، ذكره ابن الأنباري،" إلا قليلا" فيه وجهان: أحدهما- أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر، وهذا قول من ذكر أنهم قريش الثاني- ما بين ذلك وقتل بني قريظة وجلاء بني النضير، وهذا قول من ذكر أنهم اليهود

[سورة الإسراء (١٧): آية ٧٧]

سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧)

قوله تعالى: (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) أي يعذبون كسنة من قد أرسلنا، فهو نصب بإضمار يعذبون، فلما سقط الخافض عمل الفعل، قاله الفراء، وقيل: انتصب على معنى سننا سنة من قد أرسلنا، وقيل: هو منصوب على تقدير حذف الكاف، التقدير لا يلبثون خلفك إلا قليلا كسنة من قد أرسلنا، فلا يوقف على هذا التقدير على قوله:" إلا قليلا" ويقف على الأول والثاني." قبلك من رسلنا" وقف حسن،

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠/٢٦٠

(ولا تجد لسنتنا تحويلا) أي لا خلف في وعدها.

[سورة الإسراء (١٧): آية ٧٨]
أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا (٧٨)

---

(١). راجع ج ٨ ص ٢١٦." (١)

"للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء. قال قتادة: **لقد فرح به** أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما. فالواجب على كل امرئ الرضا بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه له فيما يحب. قوله تعالى: (وأما الجدار فكان لغلامين) هذان الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليتم، واسمهما أصرم وصريم «١». وقد قال عليه الصلاة والسلام: (لا يتم بعد بلوغ) هذا هو الظاهر. وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ إن كانا يتيمين، على معنى الشفقة عليهما. وقد تقدم «٢» أن اليتم في الناس من قبل فقد الأب، وفي غيرهم من الحيوان من قبل فقد الأم. ودل قوله:" في المدينة" على أن القرية تسمى مدينة، ومنه الحديث (أمرت بقرية «٣» تأكل القرى) وفي حديث الهجرة (لمن أنت) فقال الرجل: من أهل المدينة، يعني مكة. قوله تعالى: (وكان تحته كنز لهما) اختلف الناس في الكنز، فقال عكرمة وقتادة: كان مالا جسيما وهو الظاهر من اسم الكنز إذ هو في اللغة المال المجموع، وقد مضى القول «٤» فيه. وقال ابن عباس: كان علما في صحف مدفونة. وعنه أيضا قال: كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجبت لمن يؤمن بالدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن لها، لا إله إلا الله محمد رسول الله. وروي نحوه عن عكرمة وعمر مولى غفرة، ورواه عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى: (وكان أبوهما صالحا) ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما دنية «٥». وقيل: هو الأب السابع، قاله جعفر بن محمد. وقيل: العاشر فحفظا فيه وإن لم يذكر بصلاح، وكان يسمى كاشحا، قاله مقاتل اسم أمهما دنيا «٦»، ذكره النقاش «٧». ففيه ما يدل على أن الله تعالى

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٠٢/١٠

(١). في ج وك وى: أصيرم.

(٢). راجع ج ٢ ص ١٤. [.....]

(٣). القرية هي مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومعنى أكلها القرى ما يفتح على أيدي أهلها من المدن ويصيبون من غنائمها.

(٤). راجع ج ٨ ص ١٢٣.

(٥). دنية: لحا وهو الأب الأقرب.

(٦). في روح المعاني: دهنا.

(٧). في ى: النحاس.." (١)

"محذوف تقديره: وقصر مشيد مثلها معطل. ويقال: إن هذه البئر والقصر بحضرموت معروفان، فالقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى إليه بحال، والبئر في سفحه لا تقر الريح شيئا سقط فيه إلا أخرجته. وأصحاب القصور ملوك الحضر، وأصحاب الآبار ملوك البوادي، أي فأهلكنا هؤلاء وهؤلاء. وذكر الضحاك وغيره فيما ذكر الثعلبي وأبو بكر محمد بن الحسن المقرئ وغيرهما: أن البئر الرس، وكانت بعدن باليمن بحضرموت، في بلد يقال له حضوراء نزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح، ونجوا من العذاب ومعهم صالح، فمات صالح فسمي المكان حضرموت، لأن صالحا لما حضره مات فبنوا حضوراء وقعدوا على هذه البئر، وأمروا عليهم رجلا يقال له العلس بن جلاس بن سويد، فيما ذكر الغزنوي. الثعلبي: جلهس بن جلاس. وكان حسن السيرة فيهم عادلا عليهم، وجعلوا وزيره سنحاريب بن سوادة، فأقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا، وكانت البئر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك، لأنها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها، ورجال كثيرون موكلون بها، وأبازن (بالنون) من رخام وهي شبه الحياض كثيرة تملأ للناس، وآخر للدواب، وآخر للبقر، وآخر للغنم. والقوام يسقون عليها بالليل والنهار يتداولون، ولم يكن لهم ماء غيرها. وطال عمر الملك الذي أمروه، فلما جاءه الموت طلي بدهن لتبقى صورته لا تتغير، وكذلك كانوا يفعلون إذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم. فلما مات شق ذلك عليهم ورأوا أن أمرهم فسد، وضجوا جميعا بالبكاء، واغتنمها الشيطان منهم فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة، فكلمهم وقال: إني لم أمت ولكن تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم، ففرحوا **أشد الفرح وأمر** خاصته أن يضربوا له حجابا بينه وبينهم ويكلمهم من ورائه لئلا يعرف الموت في صورته. فنصبوا صنما من

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٨/١١

وراء الحجاب لا يأكل ولا يشرب. وأخبرهم أنه لا يموت أبدا و أنه إلههم «١»، فذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه، فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم، وكان المؤمن المكذب منهم أقل من المصدق له، وكلما تكلم ناصح لهم زجر وقهر. فأصفقوا «٢» على عبادته، فبعث الله إليهم نبيا كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة، كان اسمه

---

(١). في ب وك: وأنه إله لهم.

(٢). أصفقوا على الامر: اجتمعوا عليه.." (١)

"أي الكافرين الذين ضلوا عن الهدى. أي تظهر جهنم لأهلها قبل أن يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن، كما يستشعر أهل **الجنة الفرح لعلمهم** أنهم يدخلون الجنة. (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من- دون الله) من الأصنام والأنداد (هل ينصرونكم) من عذاب الله (أو ينتصرون) لأنفسهم. وهذا كله توبيخ. (فكبكبوا فيها) أي قلبوا على رؤوسهم. وقيل: دهوروا وألقي بعضهم على بعض. وقيل: جمعوا. مأخوذ من الكبكبة وهي الجماعة، قاله الهروي. وقال النحاس هو مشتق من كوكب الشيء أي معظمه. والجماعة من الخيل كوكب وكبكبة. وقال ابن عباس: جمعوا فطرحوا في النار. وقال مجاهد: دهوروا. وقال مقاتل: قذفوا. والمعنى واحد. تقول: دهورت الشيء إذا جمعته ثم قذفته في مهواة. يقال: هو يدهور اللقم إذا كبرها. ويقال: في الدعاء كب الله عدو المسلمين ولا يقال أكبه. وكبكبه، أي كبه وقلبه. ومنه قوله تعالى:" فكبكبوا فيها" والأصل كببوا فأبدل من الباء الوسطى كاف استثقالا لاجتماع الباءات. قال السدي: الضمير في" فكبكبوا" لمشركي العرب (والغاوون) الآلهة. (وجنود إبليس) من كان من ذريته. وقيل: كل من دعاه إلى عبادة الأصنام فاتبعه. وقال قتادة والكلبي ومقاتل:" الغاوون" هم الشياطين. وقيل: إنما تلقى الأصنام في النار وهي حديد ونحاس ليعذب بها غيرهم. (قالوا وهم فيها يختصمون) يعني الإنس والشياطين والغاوين والمعبودين اختصموا حينئذ. (تالله) حلفوا بالله (إن كنا لفي ضلال مبين) أي في خسار وتبار وحيرة عن الحق بينة إذا اتخذنا مع الله آلهة فعبدناها كما يعبد، وهذا معنى قوله: (إذ نسويكم برب العالمين) أي في العبادة وأنتم لا تستطيعون الآن نصرنا ولا نصر أنفسكم. (وما أضلنا إلا المجرمون) يعني الشياطين الذين زينوا لنا عبادة الأصنام. وقيل: أسلافنا الذين قلدناهم. قال أبو العالية وعكرمة:" المجرمون" إبليس وابن آدم القاتل هما أول من سن الكفر والقتل وأنواع المعاصي. (فما لنا من شافعين) أي شفعاء يشفعون لنا من

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٧٥/١٢

الملائكة والنبيين والمؤمنين. (ولا صديق حميم) أي صديق مشفق، وكان علي رضي الله عنه يقول: عليكم بالإخوان فإنهم عدة الدنيا وعدة الآخرة." [1]

"قوله تعالى:" وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين" النحت النجر والبري، نحته ينحته (بالكسر) نحتا إذا براه والنحاتة البراية. المنحت ما ينحت به. وفي" والصافات" قال:" أتعبدون ما تنحتون". وكانوا ينحتونها من الجبال لما طالت أعمارهم وتهدم بناؤهم من المدر. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع:" فرهين" بغير ألف. الباقون:" فارهين" بألف وهما بمعنى واحد في قول أبي عبيدة وغيره، مثل:" عظاما نخرة" و" ناخرة". وحكاه قطرب. وحكى فره يفره فهو فاره وفره يفره فهو فره وفاره إذا كان نشيطا. وهو نصب على الحال. وفرق بينهما قوم فقالوا:" فارهين" حاذقين بنحتها، قاله أبو عبيدة، وروي عن ابن عباس وأبي صالح وغيرهما. وقال عبد الله بن شداد:" فارهين" متجبرين. وروي عن ابن عباس أيضا أن معنى" فرهين" بغير ألف أشرين بطرين، وقاله مجاهد. وروي عنه شرهين. الضحاك: كيسين. قتادة: معجبين، قاله الكلبي، وعنه: ناعمين. وعنه أيضا آمنين، وهو قول الحسن. وقيل: متخيرين، قاله الكلبي والسدي. ومنه قول الشاعر:

إلى فره يماجد كل أمر ... قصدت له لأختبر الطباعا

وقيل: متعجبين، قاله خصيف. وقال ابن زيد: أقوياء. وقيل: فرهين فرحين، قاله الأخفش. والعرب تعاقب بين الهاء والحاء، تقول: مدهته ومدحته، فالفره **الأشر الفرح ثم** الفرح بمعنى المرح مذموم، قال الله تعالى:" ولا تمش في الأرض مرحا" وقال:" إن الله لا يحب الفرحين"." فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين" قيل: المراد الذين عقروا الناقة. وقيل: التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. قال السدي وغيره: أوحى الله تعالى إلى صالح: إن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل. فقال لهم صالح: إنه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه. فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم، ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك. وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا، وكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا. وغضب." [2]

"وقال مجاهد: العصبة هنا ما بين العشرين إلى خمسة عشر. وعنه أيضا: ما بين العشرة إلى الخمسة عشر. وعنه أيضا: من عشرة إلى خمسة. ذكر الأول الثعلبي، والثاني القشيري والماوردي، والثالث المهدوي.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١١٦

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٢٩

وقال أبو صالح والحكم بن عتيبة وقتادة والضحاك: أربعون رجلا. السدي ما بين العشرة إلى الأربعين. وقاله قتادة أيضا. وقال عكرمة: منهم من يقول أربعون، ومنهم من يقول سبعون. وهو قول أبي صالح إن العصبة سبعون رجلا، ذكره الماوردي. والأول ذكره عنه الثعلبي. وقيل: ستون رجلا. وقال سعيد بن جبير: ست أو سبع. وقال عبد الرحمن بن زيد: ما بين الثلاثة والتسعة وهو النفر. وقال الكلبي: عشرة لقول إخوة يوسف" ونحن عصبة" وقاله مقاتل. وقال خيثمة: وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غراء محجلة، وأنها لتنوء بها من ثقلها، وما يزيد مفتح منها على إصبع، لكل مفتح منها كنز مال، لو قسم ذلك الكنز على أهل البصرة لكفاهم. قال مجاهد: كانت المفاتيح من جلود الإبل. وقيل: من جلود البقر لتخف عليه، وكانت تحمل معه إذا ركب على سبعين بغلا فيما ذكره القشيري. وقيل: على أربعين بغلا. وهو قول الضحاك. وعنه أيضا: إن مفاتحه أوعيته. وكذا قال أبو صالح: إن المراد بالمفاتح الخزائن، فالله أعلم. (إذ قال له قومه) أي المؤمنون من بني إسرائيل، قاله السدي. وقال يحيى بن سلام: القوم هنا موسى. وقاله الفراء. وهو جمع أريد به واحد كقوله:" الذين قال لهم الناس" وإنما هو نعيم بن مسعود على ما تقدم. (لا تفرح) أي لا تأشر ولا تبطر. (إن الله لا يحب الفرحين) أي البطرين، قاله مجاهد والسدي. قال الشاعر: ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا ضارع في صرفه «١» المتقلب وقال الزجاج: المعنى لا تفرح بالمال فإن الفرح بالمال لا يؤدي حقه. وقال مبشر «٢» بن عبد الله: لا تفرح لا تفسد. قال الشاعر «٣»:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة ... وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

---

(١). ويروى: ولا جازع من صرفها المتحول.

(٢). التصحيح من النسخة الخيرية.

(٣). أنشده أبو عبيدة لبيعس العذري.." [1]

"أي أفسدتك. وقال أبو عمرو: أفرحه الدين أثقله. وأنشده: إذا أنت ... البيت. وأفرحه سره فهو مشترك. قال الزجاج: والفرحين والفارحين سواء. وفرق بينهما الفراء فقال: معنى الفرحين الذين هم في حال فرح، والفارحين الذين يفرحون في المستقبل. وزعم أن مثله طمع وطامع وميت ومائت. ويدل على خلاف ما قال قول الله عز وجل:" إنك ميت وإنهم ميتون" ولم يقل مائت. وقال مجاهد أيضا: معنى" لا تفرح" لا تبغ" إن الله لا يحب الفرحين" أي الباغين. وقال ابن بحر: لا تبخل إن الله لا يحب الباخلين. قوله تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١٣/١٣

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة، فإن من حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في التجبر والبغي. قوله تعالى: (ولا تنس نصيبك من الدنيا) اختلف فيه، فقال ابن عباس والجمهور: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملا صالحا في دنياك، إذ الآخرة إنما يعمل لها، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها. فالكلام على هذا التأويل شدة في الموعظة. وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه، ونظرك لعاقبة دنياك. فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه. وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة، قاله ابن عطية. قلت: وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله: احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعن الحسن: قدم الفضل، وأمسك ما يبلغ. وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف. وقيل: أراد بنصيبه الكفن. فهذا وعظ متصل، كأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك هذا الذي هو الكفن. ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداء ان تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر:

وهي القناعة لا تبغي بها بدلا ... فيها النعيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

قال ابن العربي: وأبدع ما فيه عندي قول قتادة: ولا تنس نصيبك الحلال، فهو نصيبك من الدنيا ويا ما أحسن هذا. (وأحسن كما أحسن الله إليك) أي أطع الله واعبده كما أنعم عليك.." (١)

"تنطق بشرككم، قاله ابن عباس والضحاك أيضا. وقال علي بن سليمان عن أبي العباس محمد ابن يزيد قال: سلطان جمع سليط، مثل رغيف ورغفان، فتذكيره على معنى الجمع وتأنيثه على معنى الجماعة. وقد مضى في (آل عمران) الكلام في السلطان أيضا مستوفى «١». والسلطان: ما يدفع به الإنسان عن نفسه أمرا يستوجب به عقوبة، كما قال تعالى:" أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين" «٢» [النمل: ٢١].

[سورة الروم (٣٠): آية ٣٦]

وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون (٣٦)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١٤/١٣

قوله تعالى: (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها) يعني الخصب والسعة والعافية، قاله يحيى بن سلام. النقاش: النعمة والمطر. وقيل: الأمن والدعة، والمعنى متقارب." فرحوا بها" أي بالرحمة. (وإن تصبهم سيئة) أي بلاء وعقوبة، قاله مجاهد. السدي: قحط المطر. (بما قدمت أيديهم) أي بما عملوا من المعاصي. (إذا هم يقنطون) أي ييأسون من الرحمة والفرج «٣»، قاله الجمهور. وقال الحسن: إن القنوط ترك فرائض الله سبحانه وتعالى في السر. قنط يقنط، وهي قراءة العامة. وقنط يقنط، وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ويعقوب. وقرأ الأعمش:" قنط «٤» يقنط" [الحجر: ٥٦] بالكسر فيهما، مثل حسب يحسب. والآية صفة للكافر، يقنط عند الشدة، ويبطر عند النعمة، كما قيل:

كحمار السوء إن أعلفته ... رمح الناس وإن جاع نهق

وكثير ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه بهذه المثابة، وقد مضى في غير موضع. فأما المؤمن فيشكر ربه عند النعمة، ويرجوه عند الشدة.

[سورة الروم (٣٠): آية ٣٧]

أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٣٧)

---

(١). راجع ج ٤ ص ٢٣٣. [.....]

(٢). راجع ج ١٣ ص ١٧٦ فما بعد.

(٣). في ك، ش: (الفرح) بالحاء.

(٤). راجع ج ١٠ ص ٣٥.." [1]

"(من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين). فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال: (قراء أهل الجنة) خرجه الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول، وقد ذكرنا في كتاب التذكرة مع نظائره: (فمن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة). إلى غير ذلك. وكل ذلك صحيح المعنى على ما بيناه هناك. ومن رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه). ولهذه الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء. وهي المسألة:- الثانية- وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به، الذي يحرك

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٤/١٤

النفوس ويبعثها على الهوى والغزل، والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه، لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق. فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح، كالعرس والعيد وعند التنشيط على الأعمال الشاقة، كما كان في حفر الخندق وحدو أنجشة «١» وسلمة بن الأكوع. فأما ما ابتدعته الصوفية اليوم من الإدمان على سماع المغاني بالآلات المطربة من الشبابات «٢» والطار والمعازف والأوتار فحرام. ابن العربي: فأما طبل الحرب فلا حرج فيه، لأنه يقيم النفوس ويرهب العدو. وفي اليراعة «٣» تردد. والدف مباح. [الجوهري «٤»: وربما سموا قصبة الراعي التي يزمر بها هيرعة ويراعة «٥»]. قال القشيري: ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل المدينة، فهم أبو بكر بالزجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح) فكن يضربن ويقلن: نحن بنات النجار، حبذا محمد من جار. وقد قيل: إن الطبل في النكاح كالدف، وكذلك الآلات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رفث.

---

(١). هو عبد أسود كان يسوق أو يقود بنساء النبي صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع، وكان حسن الحداء، وكانت الإبل تزيد في الحركة بحدائه.

(٢). الشبابة (بالتشديد): قصبة الزمر وهي مولدة.

(٣). اليراعة: مزمار الراعي.

(٤). ما بين المربعين ساقط من ج، ش. [.....]

(٥). ما بين المربعين ساقط من ج، ش.." (١)

"السادسة- قال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي رضي الله عنه: كان يقال زيد بن محمد حتى نزل" ادعوهم لآبائهم" [الأحزاب: ٥] فقال: أنا زيد بن حارثة. وحرم عليه أن يقول: أنا زيد بن محمد. فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر «١»، وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يخص بها أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهي أنه سماه في القرآن، فقال تعالى:" فلما قضى زيد منها وطرا" يعني من زينب. ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه «٢» قرآنا يتلى في المحاريب، نوه به غاية التنويه، فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٥٤

له ألا ترى إلى قول أبي ابن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا) فبكى وقال: أو ذكرت هنالك؟ وكان بكاؤه من الفرح حين أخبر أن الله تعالى ذكره، فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلدا لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرءوا القرآن، وأهل الجنة كذلك أبدا، لا يزال على ألسنة المؤمنين، كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين، إذ القرآن كلام الله القديم، وهو باق لا يبيد، فاسم زيد هذا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة، تذكره في التلاوة السفرة الكرام البررة. وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين إلا لنبي من الأنبياء، ولزيد بن حارثة تعويضا من الله تعالى له مما نزع عنه. وزاد في الآية أن قال:" وإذ تقول للذي أنعم الله عليه" أي بالإيمان، فدل على أنه من أهل الجنة، علم ذلك قبل أن يموت، وهذه فضيلة أخرى. السابعة- قوله تعالى:" وطرا" الوطر كل حاجة للمرء له فيها همة، والجمع الأوطار. قال ابن عباس: أي بلغ ما أراد من حاجته، يعني الجماع. وفيه إضمار، أي لما قضى وطره منها وطلقها" زوجناكها". وقراءة أهل البيت" زوجتكها". وقيل: الوطر عبارة عن الطلاق، قاله قتادة. الثامنة- ذهب بعض الناس من هذه الآية، ومن قول شعيب:" إني أريد أن أنكحك" «٣» [القصص: ٢٧] إلى أن ترتيب هذا المعنى في المهور ينبغي أن يكون:" أنكحه إياها" فتقدم

---

(١). في الأصول: (... وهذا الفخر منه) بزيادة لفظة (منه).

(٢). لفظة (اسمه) ساقطة من الأصل المطبوع.

(٣). راجع ج ١٣ ص ٢٧١.." [(١)]

"عنه كل داء وغل". ذكره الثعلبي من حديث عائشة، والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه مسندا. وفي مسند الدارمي عن شهر بن حوشب قال قال ابن عباس: من قرأ" يس" حين يصبح أعطي يسر يومه حتى يمسي ومن قرأها في صدر ليلته أعطي يسر ليلته حتى يصبح. وذكر النحاس عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لكل شي قلب وقلب القرآن يس من قرأها نهارا كفي همه ومن قرأها ليلا غفر ذنبه. وقال شهر ابن حوشب: يقرأ أهل الجنة" طه" و" يس" فقط. رفع هذه الأخبار الثلاثة الماوردي فقال: روى الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أن لكل شي قلبا وإن قلب القرآن يس ومن قرأها في ليلة أعطي يسر تلك الليلة ومن قرأها في يوم أعطي يسر ذلك اليوم وإن أهل الجنة يرفع عنهم القرآن فلا يقرءون شيئا إلا طه ويس". وقال يحيى بن أبي كثير: بلغني أن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/١٩٤

من قرأ سورة" يس" ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي، وقد حدثني من جربها، ذكره الثعلبي وابن عطية، قال ابن عطية: ويصدق ذلك التجربة. وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الأصول عن عبد الأعلى قال: حدثنا محمد بن الصلت عن عمر بن ثابت عن محمد بن مروان عن أبي جعفر قال: من وجد في قلبه قساوة فليكتب" يس" في جام بزعفران ثم يشربه، حدثني أبي رحمه الله قال: حدثنا أصرم بن حوشب، عن بقية بن الوليد، عن المعتمر بن أشرف، عن محمد بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" القرآن أفضل من كل شي دون الله وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن لم يوقر القرآن لم يوقر الله وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده. القرآن شافع مشفع وما حل «١» مصدق فمن شفع له القرآن شفع ومن محل به القرآن ص، دق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى الن١ر. وحملة القرآن هم المحفوفون بحرمة الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله، يقول الله تعالى: يا حملة القرآن

(١). قال ابن الأثير: ما حل أي خصم مجادل مصدق.." (١)

"عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتزاعمان فكل يحلف بالله، أو على النفر يتزاعمون فأنقلب إلى أهلي، فأكفر عن أيمانهم إرادة ألا يأثم أحد يذكره ولا يذكره إلا بحق «١» فنادى ربه" أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين" [الأنبياء: ٨٣] وذكر الحديث. فقد أفادك هذا الحديث أن الكفارة كانت من شرع أيوب، وأن من كفر عن غيره بغير إذنه فقد قام بالواجب عنه وسقطت عنه الكفارة. السادسة- استدل بعض جهال المتزهدة، وطغام المتصوفة بقوله تعالى لأيوب:" اركض برجلك" على جواز الرقص. قال أبو الفرج الجوزي: وهذا احتجاج بارد، لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحا كان لهم فيه شبهة، وإنما أمر بضرب الرحل لينبع الماء. قال ابن عقيل: أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازا من الرقص، ولين جاز أن يكون تحريك رجل قد انحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام، جاز أن يجعل قوله سبحانه لموسى:" اضرب بعصاك الحجر" دلالة على ضرب المحاد «٢» بالقضبان! نعوذ بالله من التلاعب بالشرع. وقد احتج بعض قاصريهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى:" أنت منى وأنا منك" فجعل. وقال الجعفر: أشبهت خلقي وخلقي" فجعل. وقال لزيد:"

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/١٥

أنت أخونا ومولانا" فجعل. ومنهم من احتج بأن الحبشة زفنت والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم. والجواب- أما العجل فهو نوع من الشيء يفعل **عند الفرح فأين** هو والرقص، وكذلك زفن الحبشة نوع من الشيء يفعل عند اللقاء للحرب. السابعة- قوله تعالى:" إنا وجدناه صابرا" أي على البلاء." نعم العبد إنه أواب" أي تواب رجاع مطيع. وسيل سفيان عن عبدين ابتلي أحدهما فصبر، وأنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء، لأن الله تعالى أثنى على عبدين، أحدهما صابر والآخر شاكر ثناء واحدا، فقال في وصف أيوب:" نعم العبد إنه أواب" وقال في وصف سليمان:" نعم العبد إنه أواب".

---

(١). في نسخة الا نحن.

(٢). كذا في الأصل وفى بعض النسخ" بالمخاد" بالخاء المعجمة. [.....]." [١]

"ثم في النار يسجرون" أي يطرحون فيها فيكونون وقودا لها، قال مجاهد. يقال: سجرت التنور أي أوقدته، وسجرته ملأته، ومنه" والبحر المسجور" [الطور: ٦] أي المملوء. فالمعنى على هذا تملأ بهم النار وقال الشاعر يصف وعلا:

إذا شاء طالع مسجورة ... وترى حولها النبع والسمسما

أي عينا مملوءة." ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله" وهذا تقريع وتوبيخ." قالوا ضلوا عنا" أي هلكوا وذهبوا عنا وتركونا في العذاب، من ضل الماء في اللبن أي خفي. وقيل: أي صاروا بحيث لا نجدهم." بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا" أي شيئا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع. وليس هذا إنكارا لعبادة الأصنام، بل هو اعتراف بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة، قال الله تعلى:" كذلك يضل الله الكافرين" أي كما فعل بهؤلاء من الإضلال يفعل بكل كافر. قوله تعالى:" ذلكم" أي ذلكم العذاب" بما كنتم تفرحون" بالمعاصي يقال لهم ذلك توبيخا. أي إنما نالكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال والأتباع والصحة. وقيل إن فرحهم بها عندهم أنهم قالوا للرسل: نحن نعلم أنا لا نبعث ولا نعذب. وكذا قال مجاهد في قوله جل وعز:" فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم" [غافر: ٨٣]." وبما كنتم تمرحون" قال مجاهد وغيره: أي تبطرون وتأشرون. وقد مضى في" سبحان" «١» بيانه. وقال **الضحاك: الفرح السرور**، والمرح العدوان. وروى خالد عن ثور عن معاذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين ويبغض أهل بيت لحمين

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٢١٥

ويبغض كل حبر سمين" «٢» فأما أهل بيت لحمين: فالذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة. وأما الحبر السمين: فالمتحبر بعلمه ولا يخبر بعلمه الناس، يعني المستكثر من علمه ولا ينتفع به الناس. ذكره الماوردي. وقد قيل في

(١). راجع ج ١٠ ص ٢٦٠ طبعه أولى أو ثانيه.
(٢). الحديث في النهاية" إن الله ليبغض أهل البيت اللحمين".." [١]

"به إليك. وعلى هذا" ما" للجحد أي فلم يغن عنهم ذلك شيئا. وقيل:" ما" للاستفهام أي أي شي أغنى عنهم كسبهم حين هلكوا ولم ينصرف" وزن أفعل. وزعم الكوفيون أن كل ما لا ينصرف فإنه يجوز أن ينصرف إلا أفعل من كذا فإنه لا يجوز صرفه بوجه في شعر ولا غيره إذا كانت معه من. قال أبو العباس: ولو كانت من المانعة من صرفه لوجب ألا يقال: مررت بخير منك وشر منك «١» ومن عمرو. قوله تعالى:" فلما جاءتهم رسلهم بالبينات" أي بالآيات الواضحات." فرحوا بما عندهم من العلم" في معناه ثلاثة أقوال. قال مجاهد: إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا: نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث. وقيل: فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو" يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا" [الروم: ٧]. وقيل: الذين فرحوا الرسل لما كذبهم قومهم أعلمهم الله عز وجل أنه مهلك الكافرين ومنجيهم والمؤمنين ف" فرحوا بما عندهم من العلم" بنجاة المؤمنين" وحاق بهم" أي بالكفار" ما كانوا به يستهزؤن" أي عقاب استهزائهم بما جاء به الرسل صلوات الله عليهم. قوله تعالى:" فلما رأوا بأسنا" أي عاينوا العذاب." قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين" أي بالأوثان التي أشركناهم في العبادة" فلم يك ينفعهم إيمانهم" بالله عند معاينة العذاب وحين رأوا البأس." سنت الله" مصدر، لأن العرب تقول: سن يسن سنا وسنة، أي سن الله عز وجل في الكفار أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب. وقد مضى هذا مبينا في" النساء" «٢» و" يونس" «٣» وأن التوبة لا تقبل بعد رؤية العذاب وحصول العلم الضروري. وقيل: أي احذروا يا أهل مكة سنة الله في إهلاك الكفرة ف" سنت الله" منصوب على التحذير والإغراء." وخسر هنالك الكافرون" قال الزجاج: وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك إلا أنه بين لنا الخسران لما رأوا العذاب. وقيل: فيه تقديم وتأخير، أي" فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وخسر هنالك الكافرون" كسنتنا في جميع الكافرين ف" سنة" نصب بنزع الخافض أي كسنة الله في الأمم كلها. والله أعلم. ثم تفسير سورة" غافر" والحمد لله.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٥/٣٣٣

(١). الزيادة من اعراب القرآن للنحاس.

(٢). راجع ج ٥ ص ٩٢ وما بعدها طبعه أولى أو ثانيه.

(٣). راجع ج ٨ ص ٣٨٤ طبعه أولى أو ثانيه.." (١)

"[سورة الشورى (٤٢): آية ٤٧]

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧)

قوله تعالى:" استجيبوا لربكم" أي أجيبوه إلى ما دعاكم إليه من الإيمان به والطاعة. استجاب وأجاب بمعنى، وقد تقدم." من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله" يريد يوم القيامة، أي لا يرده أحد بعد ما حكم الله به وجعله أجلا ووقتا." ما لكم من ملجإ" أي من ملجأ ينجيكم من العذاب." وما لكم من نكير" أي من ناصر ينصركم، قاله مجاهد. وقيل: النكير بمعنى المنكر، كالأليم بمعنى المؤلم، أي لا تجدون يومئذ منكرا لما ينزل بكم من العذاب، حكاه ابن أبي حاتم، وقاله الكلبي. الزجاج: معناه أنهم لا يقدرون أن ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها. وقيل:" من نكير" أي إنكار ما ينزل بكم من العذاب، والنكير والإنكار تغيير المنكر.

[سورة الشورى (٤٢): آية ٤٨]

فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

قوله تعالى:" فإن أعرضوا" أي عن الإيمان" فما أرسلناك عليهم حفيظا" أي حافظا لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها. وقيل: موكلا بهم لا تفارقهم دون أن يؤمنوا، أي ليس لك إكراههم على الإيمان." إن عليك إلا البلاغ" وقيل: نسخ هذا بآية القتال." وإنا إذا أذقنا الإنسان" الكافر." منا رحمة" رخاء وصحة." **فرح بها**" بطر بها." وإن تصبهم سيئة" بلاء وشدة." بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور" أي لما تقدم من النعمة فيعدد المصائب وينسى النعم.." (٢)

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣٦/١٥

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤٧/١٦

"كرسل الملوك في الشاهد، ولم يعلم أن رسل الله إنما أيدوا بالجنود السماوية، وكل عاقل يعلم أن حفظ الله موسى مع تفرده ووحدته من فرعون مع كثرة أتباعه، وإمداد موسى بالعصا واليد البيضاء كان أبلغ من أن يكون له أسورة أو ملائكة يكونون معه أعوانا- في قول مقاتل- أو دليلا على صدقه- في قول الكلبي- وليس يلزم هذا لان الاعجاز كاف، وقد كان في الجائز أن يكذب مع مجيء الملائكة كما كذب مع ظهور الآيات. وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ موسى، لأنه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم.

[سورة الزخرف (٤٣): آية ٥٤]

فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين (٥٤)

قوله تعالى:" فاستخف قومه" قال ابن الأعرابي: المعنى فاستجهل قومه" فأطاعوه" لخفة أحلامهم وقلة عقولهم، يقال: **استخفه الفرح أي** أزعجه، واستخفه أي حمله على الجهل، ومنه" ولا يستخفنك الذين لا يوقنون" «١» [الروم: ٦٠]. وقيل: استفزهم بالقول فأطاعوه على، التكذيب. وقيل: استخف قومه «٢» أي وجدهم خفاف العقول. وهذا لا يدل على أنه يجب أن يطيعوه، فلا بد من إضمار بعيد تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم إلى الغواية فأطاعوه. وقيل: استخف قومه وقهرهم حتى اتبعوه، يقال استخفه خلاف استثقله، واستخف به أهانه." إنهم كانوا قوما فاسقين" أي خارجين عن طاعة الله.

[سورة الزخرف (٤٣): آية ٥٥]

فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين (٥٥)

قوله تعالى:" فلما آسفونا انتقمنا منهم" روى الضحاك عن ابن عباس: أي غاظونا وأغضبونا. وروى عنه علي بن أبي طلحة: أي أسخطونا. قال الماوردي: ومعناهما مختلف، والفرق بينهما أن السخط إظهار الكراهة، والغضب إرادة الانتقام. القشيري: والأسف ها هنا بمعنى الغضب، والغضب من الله إما إرادة العقوبة فيكون من صفات الذات، وإما عين العقوبة فيكون من صفات الفعل، وهو معنى قول الماوردي.

---

(١). آية ٦٠ سورة الروم.

(٢). في أز ل ... استخف بقومه ...." [١]

"وأفاض الناس من عرفات إلى منى أي دفعوا، وكل دفعة إفاضة."كفى به شهيدا" نصب على التمييز." بيني وبينكم" أي هو يعلم صدقي وأنكم مبطلون." وهو الغفور" لمن تاب" الرحيم" بعباده المؤمنين.

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٩]

قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين (٩)

قوله تعالى:" قل ما كنت بدعا من الرسل" أي أول من أرسل، قد كان قبلي رسل، عن ابن عباس وغيره. والبدع: الأول. وقرأ عكرمة وغيره" بدعا" بفتح الدال، على تقدير حذف المضاف، والمعنى: ما كنت صاحب بدع. وقيل: بدع وبديع بمعنى، مثل نصف ونصيف. وأبدع الشاعر: جاء بالبديع. وشئ بدع (بالكسر) أي مبتدع. وفلان بدع في هذا الأمر أي بديع. وقوم أبداع، عن الأخفش. وأنشد قطرب قول عدي بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري ... رجالا غدت من بعد بؤسى بأسعد «١»

" وما أدري ما يفعل بي ولا بكم" يريد يوم القيامة. ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا، وأنه لا فضل له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فنزلت" ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" «٢» [الفتح: ٢] فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف الكفار. وقالت الصحابة: هنيئا لك يا رسول الله، لقد بين الله لك ما يفعل بك يا رسول الله، فليت شعرنا ما هو فاعل بنا؟ فنزلت" ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار" «٣» [الفتح: ٥] الآية. ونزلت" وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا" «٤» [الأحزاب: ٤٧]. قاله أنس وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك. وقالت أم العلاء امرأة من الأنصار: اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان

---

(١). هذا رواية البيت كما في نسخ الأصل. والذي في شعراء النصرانية: فلست

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠١/١٦

بمن يخشى حوادث تعتري ... رجالا فبادروا بعد بؤس وأسعد

(٢). آية ٢ سورة الفتح.

(٣). آية ٥ سورة الفتح.

(٤). آية ٤٧ سورة الأحزاب.." (١)

"قوله تعالى:" ها أنتم هؤلاء تدعون" أي هأنتم هؤلاء أيها المؤمنون تدعون" لتنفقوا في سبيل الله" أي في الجهاد وطريق الخير." فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه" أي على نفسه، أي يمنعها الأجر والثواب." والله الغني" أي إنه ليس بمحتاج إلى أموالكم." وأنتم الفقراء" إليها «١»." وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم" أي أطوع لله منكم. روى الترمذي عن أبى هريرة قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية" وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال:] هذا وقومه. هذا وقومه [قال: حديث غريب في إسناده مقال. وقد روى عبد الله بن جعفر بن نجيح والد علي بن المديني أيضا هذا الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله، من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ قال: وكان سلمان جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان، قال:] هذا وأصحابه. والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس [. وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: هم فارس والروم. قال المحاسبي: فلا أحد بعد العرب من جميع أجناس الأعاجم أحسن دينا، ولا كانت العلماء منهم إلا الفرس. وقيل: إنهم اليمن، وهم الأنصار، قاله شريح بن عبيد. وكذا قال ابن عباس: هم الأنصار. وعنه أنهم الملائكة. وعنه هم التابعون. وقال مجاهد: إنهم من شاء من سائر الناس." ثم لا يكونوا أمثالكم" قال الطبري: أي في البخل بالإنفاق في سبيل الله. وحكي عن أبي موسى الأشعري أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:] هي أحب إلي من الدنيا [. والله أعلم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٥/١٦

(١) .لفظة: إليه١ ساقطة من ل.

.." (١)

"ابن سليمان: لما نزل قوله تعالى:" وما أدري ما يفعل بي ولا بكم" «١» [الأحقاف: ٩] فرح المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به ولا بأصحابه، فنزلت بعد ما رجع من الحديبية:" إنا فتحنا لك فتحا مبينا" أي قضينا لك قضاء. فنسخت هذه الآية تلك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:] لقد أنزلت علي سورة ما يسرني بها حمر النعم [. وقال المسعودي: بلغني أنه من قرأ سورة الفتح في أول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله ذلك العام.

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الفتح (٤٨): آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا فتحنا لك فتحا مبينا (١)

اختلف في هذا الفتح ما هو؟ ففي البخاري حدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن أنس" إنا فتحنا لك فتحا مبينا" قال: الحديبية. وقال جابر: ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية. وقال الفراء «٢»: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا نعد مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة «٣»، والحديبية بئر. وقال الضحاك:" إنا فتحنا لك فتحا مبينا" بغير قتال. وكان الصلح من الفتح. وقال مجاهد: هو منحره بالحديبية وحلقه رأسه. وقال: كان فتح الحديبية آية عظيمة، نزح ماؤها فمج فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه. وقال موسى بن عقبة: قال رجل عند منصرفهم من الحديبية: ما هذا بفتح، لقد صدونا عن البيت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:] بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا [. وقال الشعبي في قوله تعالى" إنا فتحنا لك فتحا مبينا" قال: هو فتح الحديبية، لقد أصاب بها ما لم يصب في غزوة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبويع بيعة الرضوان،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٥٨/١٦

(١). آية ٩ سورة الأحقاف.

(٢). في تفسير الطبري:" البراء". [.....]

(٣). في تفسير الطبري:" خمس مائة".." [1]

"قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له من خلق ربك فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) وقد تقدم في آخر (الأعراف) «١». ولقد أحسن من قال:

ولا تفكرن «٢» في ذي العلا عز وجهه ... فإنك تردى إن فعلت وتخذل

ودونك مصنوعاته فاعتبر بها ... وقل مثل ما قال الخليل المبجل

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٤٣ الى ٤٦]

وأنه هو أضحك وأبكى (٤٣) وأنه هو أمات وأحيا (٤٤) وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى (٤٥) من نطفة إذا تمنى (٤٦)

قوله تعالى: (وأنه هو أضحك وأبكى) ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعال فلا فاعل إلا هو، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا والله ما قال رسول الله قط إن الميت يعذب ببكاء أحد، ولكنه قال: (إن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذابا وإن الله لهو أضحك وأبكى وما تزر وازرة وزر أخرى). وعنها قالت: مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم من أصحابه وهم يضحكون، فقال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد! إن الله يقول لك: (وأنه هو أضحك وأبكى). فرجع إليهم فقال: (ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال ايت هؤلاء فقل لهم إن الله تعالى يقول:) هو أضحك وأبكى) أي قضى أسباب الضحك والبكاء. وقال عطاء ابن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن، **لأن الفرح يجلب** الضحك والحزن يجلب البكاء. وقيل لعمر: هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي. وقد تقدم هذا المعنى في (النمل) «٣» و (براءة) «٤». قال الحسن:

---

(١). راجع ج ٧ ص ٣٤٨.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٠/١٦

(٢). من أفكر لغة في فكر بالتضعيف.

(٣). راجع ج ١٣ ص ١٧٥.

(٤). راجع ج ٨ ص ٢١٧. [.....]." [١]

"وقد اختلف في تعيينهم، فقال الضحاك: هم ثمانية نفر، أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة. وتابعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، ألحقه الله بهم لما صدق نبيه صلى الله عليه وسلم. وقال مقاتل بن حيان: الصديقون هم الذين آمنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين، مثل مؤمن آل فرعون، وصاحب آل ياسين، وأبي بكر الصديق، وأصحاب الأخدود. قوله تعالى: (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي بالرسل والمعجزات (أولئك أصحاب الجحيم) فلا أجر لهم ولا نور.

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢٠ الى ٢١]

اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٢٠) سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١)

قوله تعالى: (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو) وجه الاتصال أن الإنسان قد يترك الجهاد خوفا على نفسه من القتل، وخوفا من لزوم الموت، فبين أن الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى. و (ما) صلة تقديره: اعلموا أن الحياة الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي. وقال قتادة: لعب ولهو: أكل وشرب. وقيل: إنه على المعهود من اسمه، قال مجاهد: كل لعب لهو. وقد مضى هذا المعنى." [٢]

"(هل تعرف الكتاب؟) قال نعم. وذكر الحديث بنحو ما تقدم. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم. الثانية- السورة أصل في النهي عن مولاة الكفار. وقد مضى ذلك في غير موضع «١». من ذلك قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين [آل عمران ٢٨]. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم [آل عمران: ١١٨]. يا أيها الذين آمنوا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٦/١٧

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٥٤/١٧

لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء [المائدة: ٥١]. ومثله كثير. وذكر أن حاطبا لما سمع يا أيها الذين آمنوا غشي عليه **من الفرح بخطاب** الإيمان. الثالثة- قوله تعالى: (تلقون إليهم بالمودة) يعني بالظاهر، لأن قلب حاطب كان سليما، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: (أما صاحبكم فقد صدق) وهذا نص في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده. والباء في بالمودة زائدة، كما تقول: قرأت السورة وقرأت بالسورة، ورميت إليه ما في نفسي وبما في نفسي. ويجوز أن تكون ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف، معناه تلقون إليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم. وكذلك تسرون إليهم بالمودة أي بسبب المودة. وقال الفراء: تلقون إليهم بالمودة من صلة أولياء ودخول الباء في المودة وخروجها سواء. ويجوز أن تتعلق ب لا تتخذوا حالا من ضميره. وب أولياء صفة له، ويجوز أن تكون استئنافا. ومعنى تلقون إليهم بالمودة تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم، وقاله الزجاج. الرابعة: من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافرا إذا كان فعله لغرض دنيوي واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين.

(١). راجع ج ٤ ص ٥٧ و١٧٨ وج ٦ ص ٢١٦.." (١)

"قوله تعالى: (فأما من أوتي كتابه بيمينه) إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة. وقال ابن عباس: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس. قيل له: فأين أبو بكر؟ فقال هيهات هيهات! زفته الملائكة إلى الجنة. ذكره الثعلبي. وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب" التذكرة". والحمد لله. فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه أي يقول ذلك ثقة بالإسلام وسرورا بنجاته، لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح، والشمال من دلائل الغم. قال الشاعر: «١»

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني ... فأفرح أم صيرتني في شمالك

ومعنى: هاؤم تعالوا، قاله ابن زيد. وقال مقاتل: هلم. وقيل: أي خذوا، ومنه الخبر في الربا (إلا هاء وهاء) أي يقول كل واحد لصاحبه: خذ. قال ابن السكيت والكسائي: العرب تقول هاء يا رجل اقرأ، وللاثنين هاؤما يا رجلان، وهاؤم يا رجال، وللمرأة هاء (بكسر الهمزة) وهاؤما وهاؤمن. والأصل هاكم فأبدلت الهمزة من الكاف، قاله القتيبي «٢». وقيل: إن هاؤم كلمة وضعت لإجابة الداعي عند النشاط والفرح. روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداه أعرابي بصوت عال فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاؤم

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥٢/١٨

يطول صوته. وكتابيه منصوب ب هاؤم عند الكوفيين. وعند البصريين ب اقرؤا لأنه أقرب العاملين. والأصل" كتابي" فأدخلت الهاء لتبين فتحة الياء، وكان الهاء للوقف، وكذلك في أخواته: حسابيه، وماليه، وسلطانيه وفي القارعة ما هيه. وقراءة العامة بالهاء فيهن في الوقف والوصل معا، لأنهن وقعن في المصحف بالهاء فلا تترك. واختار أبو عبيد أن يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة في إلحاق الهاء في السكت ويوافق الخط. وقرأ ابن محيصن ومجاهد وحميد ويعقوب بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف فيهن جمع. ووافقهم حمزة في ماليه وسلطانيه، وما هيه في القارعة. وجملة هذه الحروف سبعة. واختار أبو حاتم قراءة يعقوب ومن معه اتباعا للغة. ومن قرأهن في الوصل بالهاء

---

(١). هو ابن الدمينة.

(٢). وفيها لغات أخرى فارجع إليها في كتب اللغة.." (١)

"قال: فهذا يدل على أنه يوم القيامة. وقال إبراهيم التيمي: ما قدر ذلك اليوم على المؤمن إلا قدر ما بين الظهر والعصر. وروى هذا المعنى مرفوعا من حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب وأسرع الحاسبين). ذكره الماوردي. وقيل: بل يكون الفراغ لنصف يوم، كقوله تعالى: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا «١» [الفرقان: ٢٤]. وهذا على قدر فهم الخلائق، وإلا فلا يشغله شأن عن شأن. وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة، قال الله تعالى: ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة «٢» [لقمان: ٢٨]. وعن ابن عباس أيضا أنه سئل عن هذه الآية وعن قوله تعالى: في يوم كان مقداره ألف سنة [السجدة: ٥] فقال: أيام سماها الله عز وجل هو أعلم بها كيف تكون، وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم. وقيل: معنى ذكر خمسين ألف سنة تمثيل، وهو تعريف طول مدة القيامة في الموقف، وما يلقى الناس فيه من الشدائد. والعرب تصف أيام الشدة بالطول، **وأيام الفرح بالقصر**، قال الشاعر:

ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دم الزق عنا واصطفاق المزاهر «٣»

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له من الله دافع، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه. وهذا القول هو معنى ما اخترناه، والموفق الإله.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨/٢٦٩

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٥ الى ٧]

فاصبر صبرا جميلا (٥) إنهم يرونه بعيدا (٦) ونراه قريبا (٧)

---

(١). راجع ج ١٣ ص ٢٢.

(٢). راجع ج ١٤ ص ٧٨.

(٣). قال ابن برى: نسب الجوهري هذا البيت ليزيد بن الطثرية، وصوابه لشبرمة بن الطفيل. (انظر لسان العرب مادة صفق). والزق: وعاء من جلد. ويريد بدم الزق الخمر. والمزاهر: العيدان. واصطفقت المزاهر: جاوب بعضها بعضا.." [١]

"يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء. وأخرجه الدارقطني وقال فيه: إسناد صحيح. وروى الدارقطني عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: (لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم). وعن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أفطر: (ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله). خرجه أبو داود أيضا. وقال الدارقطني: تفرد به الحسين بن واقد إسناده حسن. وروى ابن ماجه عن عبد الله بن الزبير قال: أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سعد بن معاذ فقال: (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة). وروي أيضا عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من فطر صائما كان له مثل أجرهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا). وروي أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد). قال ابن أبي مليكة: سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أفطر: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شي أن تغفر لي. وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم:" للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه". الخامسة والعشرون- ويستحب له أن يصوم من شوال ستة أيام، لما رواه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان له كصيام الدهر" هذا حديث صحيح من حديث سعد بن سعيد الأنصاري المدني، وهو ممن لم يخرج له البخاري شيئا، وقد جاء بإسناد جيد مفسرا من حديث أبي أسماء الرحبي عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨/٢٨٣

وسلم يقول:" جعل الله الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان بعشرة أشهر وستة أيام بعد الفطر تمام السنة". رواه النسائي. واختلف في صيام هذه الأيام، فكرهها مالك في موطئه خوفا أن يلحق أهل الجهالة برمضان." (١)

"الثانية- قوله تعالى: (ثم رددناه أسفل سافلين) أي إلى أرذل العمر، وهو الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، حتى يصير كالصبي في الحال الأول، قاله الضحاك والكلبي وغيرهما. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: ثم رددناه أسفل سافلين إلى النار، يعني الكافر، وقال أبو العالية. وقيل: لما وصفه الله بتلك الصفات الجليلة التي ركب الإنسان عليها، طغى وعلا، حتى قال: أنا ربكم الأعلى «١» [النازعات: ٢٤] وحين علم الله هذا من عبده، وقضاؤه صادر من عنده، رده أسفل سافلين، بأن جعله مملوءا قذرا، مشحونا نجاسة، وأخرجها على ظاهره إخراجا منكرا، على وجه الاختيار تارة، وعلى وجه الغلبة أخرى، حتى، إذا شاهد ذلك من أمره، رجع إلى قدره. وقرأ عبد الله أسفل السافلين. وقال، أسفل سافلين على الجمع، لأن الإنسان في معنى جمع، ولو قال: أسفل سافل جاز، لأن لفظ الإنسان واحد. وتقول: هذا أفضل قائم. ولا تقول أفضل قائمين، لأنك تضمر لواحد، فإن كان الواحد غير مضمر له، رجع اسمه بالتوحيد والجمع، كقوله تعالى: والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون «٢» [الزمر: ٣٣]. وقوله تعالى: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة «٣» [الشورى: ٤٨]. وقد قيل: إن معنى رددناه أسفل سافلين أي رددناه إلى الضلال، كما قال تعالى: إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي إلا هؤلاء، فلا يردون إلى ذلك. والاستثناء على قول من قال أسفل سافلين النار، متصل. ومن قال: إنه الهرم فهو منقطع.

[سورة التين (٩٥): آية ٦]

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون (٦)

قوله تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فإنه تكتب لهم حسناتهم، وتمحى عنهم سيئاتهم، قاله ابن عباس. قال: وهم الذين أدركهم الكبر لا يؤاخذون بما عملوه في كبرهم.

---

(١). آية ٢٤ سورة النازعات.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣١/٢

(٢). آية ٣٣ سورة الزمر.

(٣). آية ٤٨ سورة الشورى.." [(١)]

"إليه- قال- فإني أمرت بها- ثم قرأ- إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخرها [. وقال أبو هريرة: اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها، حتى تورمت قدماه. ونحل جسمه، وقل تبسمه، وكثر بكاؤه. وقال عكرمة: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد اجتهادا في أمور الآخرة ما كان منه عند نزولها. وقال مقاتل: لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه، ومنهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص، ففرحوا واستبشروا، وبكى العباس، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: [ما يبكيك يا عم؟ [قال: نعيت إليك نفسك. قال: [إنه لكما تقول [، فعاش بعدها ستين «١» يوما، ما رئي فيها ضاحكا مستبشرا. وقيل: نزلت في منى بعد أيام التشريق، حجة الوداع، فبكى عمر والعباس، فقيل لهما: إن هذا يوم فرح، فقالا: بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [صدقتما، نعيت إلي نفسي [. وفي البخاري وغيره عن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لي معهم. قال: فوجد «٢» بعضهم من ذلك، فقالوا: يأذن لهذا الفتى معنا ومن أبنائنا من هو مثله! فقال لهم عمر: إنه من قد علمتم «٣». قال: فأذن لهم ذات يوم، وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة إذا جاء نصر الله والفتح فقالوا: أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم إذا فتح عليه أن يستغفره، وأن يتوب إليه. فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قلت: ليس كذلك، ولكن أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم حضور أجله، فقال: إذا جاء نصر الله والفتح، فذلك علامة موتك. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. فقال عمر رضي الله عنه: تلومونني عليه؟ وفي البخاري فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول. ورواه الترمذي، قال: كان عمر يسألني مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له عبد الرحمن ابن عوف: أتسأله ولنا بنون مثله؟ فقال له عمر: إنه من حيث نعلم. فسأله عن هذه الآية: إذا جاء نصر الله والفتح. فقلت: إنما هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعلمه إياه، وقرأ السورة إلى آخرها. فقال له عمر: والله ما أعلم منها إلا ما تعلم. قال: هذا

---

(١). الذي في الطبري والكشاف: (سنتين).

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١٥/٢٠

(٢). أي غضب.

(٣). أي من جهة ذكائه وزيادة معرفته. أو من جهة قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.." [١]

"كما حذفت من يسن «١». والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن في حق البشر. والواو للعطف و" لا" توكيد. قلت: والناس يذكرون في هذا الباب عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال:" وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فأرسل الله إليه ملكا فأرقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فينحي إحداهما عن الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان- قال- ضرب الله له مثلا أن لو كان ينام لم تمتسك «٢» السماء والأرض" ولا يصح هذا الحديث، ضعفه غير واحد منهم البيهقي قوله تعالى: (له ما في السماوات وما في الأرض) أي بالملك فهو مالك الجميع وربه. وجاءت العبارة ب" ما" وإن كان في الجملة من يعقل من حيث المراد الجملة والموجود. قال الطبري: نزلت هذه الآية لما قال الكفار: ما نءبد أوثانا إلا ليقربونا إلى الله زلفى. قوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) " من" رفع بالابتداء و" ذا" خبره، و" الذي" نعت ل" ذا"، وإن شئت بدل، ولا يجوز أن تكون" ذا" زائدة كما زيدت مع" ما" لأن" ما" مبهمة فزيدت" ذا" معها لشبهها بها. وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة، وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم وشرفهم الله، ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، كما قال:" ولا يشفعون إلا لمن ارتضى «٣» " قال ابن عطية: والذي يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين، أو وصل ولكن له أعمال صالحة. وفي البخاري في" باب بقية من أبو أب الرؤية": إن المؤمنين يقولون: ربنا إن إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا. وهذه شفاعة فيمن يقرب أمره، وكما يشفع الطفل المحبنطئ «٤» على باب الجنة. وهذا إنما هو في قراباتهم ومعارفهم. وإن الأنبياء يشفعون فيمن

---

(١). الذي في كتب اللغة أن الفعل من باب" فرح". [.....]

(٢). في ابن عطية: تستمسك. وفى هـ، ج، ز: تمسك.

(٣). راجع ج ١١ ص ٣٨١.

(٤). المحبنطئ: اللازق بالأرض، وفى الحديث" إن السقط يظلل محبنطئا على باب الجنة" قال ابن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣٢/٢٠

الأثير: المحبنطئ. (بالهمز وتركه): المتغضب المستبطئ للشيء. وقيل: هو الممتنع امتناع يظل محبنطئا على باب الجنة" قال ابن الأثير: المحبنطئ (بالهمز وتركه): المتغضب المستبطئ للشيء، وقيل: هو الممتنع امتناع طلبة لا امتناع إباء.." [1]

"يأمر الناس بالميرة «١»، فكلما جاء قوم يقول: من ربكم وإلهكم؟ فيقولون أنت، فيقول: ميروهم. وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار فقال له: من ربك وإلهك؟ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، فلما سمعها نمروذ قال: أنا أحيي وأميت، فعارضه إبراهيم بأمر الشمس فبهت الذي كفر، وقال لا تميروه، فرجع إبراهيم إلى أهله دون شي فمر على كثيب رمل كالدقيق فقال في نفسه: لو ملأت غرارتي من هذا فإذا دخلت **به فرح الصبيان** حتى أنظر لهم، فذهب بذلك فلما بلغ **منزله فرح الصبيان** وجعلوا يلعبون فوق الغرارتين ونام هو من الإعياء، فقالت امرأته: لو صنعت له طعاما يجده حاضرا إذا انتبه، ففتحت إحدى الغرارتين فوجدت أحسن ما يكون من الحوارى «٢» فخبزته، فلما قام وضعته بين يديه فقال: من أين هذا؟ فقالت: من الدقيق الذي سقت. فعلم إبراهيم أن الله تعالى يسر لهم ذلك. قلت: وذكر أبو بكر ابن أبي شيبة عن أبي صالح قال: انطلق إبراهيم النبي عليه السلام يمتار فلم يقدر على الطعام، فمر بسهلة «٣» حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله فقالوا: ما هذا؟ فقال: حنطة حمراء، ففتحوها فوجدوها حنطة حمراء، قال: وكان إذا زرع منها شيئا جاء سنبله من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا. وقال الربيع وغيره في هذا القصص: إن النمروذ لما قال أنا أحيي وأميت أحضر رجلين فقتل أحدهما وأرسل الآخر فقال: قد أحييت هذا وأمت هذا، فلما رد عليه بأمر الشمس بهت. وروي في الخبر: أن الله تعالى قال وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة حتى آتي بالشمس من المغرب ليعلم أني أنا القادر على ذلك. ثم أمر نمروذ بإبراهيم فألقي في النار، وهكذا عادة الجبابرة فإنهم إذا عورضوا بشيء وعجزوا عن الحجة اشتغلوا بالعقوبة، فأنجاه الله من النار، على ما يأتي «٤». وقال السدي: إنه لما خرج إبراهيم من النار أدخلوه على الملك- ولم يكن قبل ذلك دخل عليه- فكلمه وقال له: من ربك؟ فقال:

---

(١). الميرة: جلب الطعام، قاله ابن سيده. [.....]

(٢). الحوارى (بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء): الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه.

(٣). السهلة (بكسر السين): رمل خشن ليس بالدقاق الناعم. والسهلة (بفتح السين) نقيض الحزنة، وهو

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٢٧٣

ما غلظ من الأرض.

(٤). راجع ج ١١ ص ٣٠٣." [١]

"القاف والراء على المصدر. (وتلك الأيام نداولها بين الناس) قيل: هذا في الحرب، تكون مرة للمؤمنين لينصر الله عز وجل دينه، ومرة للكافرين إذا عصى المؤمنون ليبتليهم ويمحص ذنوبهم، فأما إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون. وقيل:" نداولها بين الناس" من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر. والدولة الكرة، قال الشاعر:

فيوم لنا ويوم علينا ... ويوم نساء ويوم نسر

قوله تعالى: (وليعلم الله الذين آمنوا) معناه، وإنما كانت هذه المداولة ليرى المؤمن من المنافق فيميز بعضهم من بعض، كما قال:" وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين. وليعلم الذين نافقوا" [آل عمران: ١٦٧ - ١٦٦] «١». وقيل: ليعلم صبر المؤمنين، العلم الذي يقع عليه الجزاء كما علمه غيبا قبل أن كلفهم. وقد تقدم في" البقرة" «٢» هذا المعنى. قوله تعالى: (ويتخذ منكم شهداء) فيه ثلاث مسائل: الأولى- قوله تعالى:" ويتخذ منكم شهداء" أي يكرمكم بالشهادة، أي ليقتل قوم فيكونوا شهدا على الناس بأعمالهم. وقيل: لهذا قيل شهيد: وقيل: سمي شهيدا لأنه مشهود له بالجنة وقيل: سمي شهيدا لأن أرواحهم احتضرت «٣» دار السلام، لأنهم أحياء عند ربهم، وأرواح غيرهم لا تصل إلى الجنة، فالشهيد بمعنى الشاهد أي الحاضر للجنة، وهذا هو الصحيح على ما يأتي والشهادة فضلها عظيم، ويكفيك في فضلها قول تعالى:" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم" [التوبة: ١١١] «٤» الآية." يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم" إلى قوله:" ذلك الفوز العظيم" [الصف: ١١٢ ١٠١] «٥». وفي صحيح البستي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من القرحة). وروى النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة). وفي البخاري:" من قتل من المسلمين

---

(١). راجع ص ٢٦٥ من هذا الجزء. [.....]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٢٨٥

(٢). راجع ج ٢ ص ١٥٦.
(٣). في ب، د، آه: أحضرت.
(٤). راجع ج ٨ ص ٢٦٦.
(٥). راجع ج ١٨ ص ٨٦.." [(١)]

"من المضمر في" يرزقون". ويجوز في الكلام" فرحون" على النعت لأحياء. وهو من الفرح بمعنى السرور. والفضل في هذه الآية هو النعيم المذكور. وقرأ ابن السميقع" فارحين" بالألف وهما لغتان، كالفره والفاره، والحذر والحاذر، والطمع والطامع، والبخل والباخل. قال النحاس: ويجوز في غير القرآن رفعه، يكون نعتا لأحياء. قوله تعالى: (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) المعنى لم يلحقوا بهم في الفضل، وإن كان لهم فضل. وأصله من البشرة «١»، لأن الإنسان إذا فرح ظهر أثر السرور في وجهه. وقال السدي.: يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه، فيستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا. وقال قتادة وابن جريج والربيع وغيرهم: استبشارهم بأنهم يقولون: إخواننا الذين تركنا خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم، فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل ما نحن فيه، فيسرون ويفرحون لهم بذلك. وقيل: إن الإشارة بالاستبشار للذين لم يلحقوا بهم إلى جميع المؤمنين وإن لم يقتلوا، ولكنهم لما عاينوا ثواب الله وقع اليقين بأن دين الإسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه، فهم فرحون لأنفسهم بما آتاهم الله من فضله، مستبشرون للمؤمنين بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ذهب إلى هذا المعنى الزجاج وابن فورك.

[سورة آل عمران (٣): آية ١٧١]

يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين (١٧١)

أي بجنة من الله. ويقال: بمغفرة من الله. (وفضل) هذا لزيادة البيان. والفضل داخل في النعمة، وفيه دليل على اتساعها، وأنها ليست كنعم الدنيا. وقيل: جاء الفضل بعد النعمة على وجه التأكيد، روى الترمذي عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (للشهيد عند الله ست خصال- كذا في الترمذي وابن ماجة" ست"،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٢١٨

---

(١). كذا في ب وز وهـ وج. وفي ط: البشارة.." (١)

"أي بما فعلوا من القعود في التخلف عن الغزو وجاءوا به من العذر. ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) الآية. وفي الصحيحين أيضا أن مروان «١» قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ **منا فرح بما** أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس: مالكم ولهذه الآية! إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب. ثم تلا ابن عباس" وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه" و" لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا". وقال ابن عباس: سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شي فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه، وما سألهم عنه. وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في علماء بني إسرائيل الذين كتموا الحق، وأتوا ملوكهم من العلم ما يوافقهم في باطلهم،" واشتروا به ثمنا قليلا" أي بما أعطاهم الملوك من الدنيا، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم). فأخبر أن لهم عذابا أليما بما أفسدوا من الدين على عباد الله. وقال الضحاك: إن اليهود كانوا يقولون للملوك إنا نجد في كتابنا أن الله يبعث نبيا في آخر الزمان يختم به النبوة، فلما بعثه الله سألهم الملوك أهو هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقال اليهود طمعا في أموال الملوك: هو غير ذلك، فأعطاهم الملوك الخزائن، فقال الله تعالى:" لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا" الملوك من الكذب حتى يأخذوا عرض الدنيا. والحديث الأول خلاف مقتضى الحديث الثاني. ويحتمل أن يكون نزولها على السببين

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٢٧٥

(١). هو مروان بن الحكم بن العاصي، وكان يومئذ أميرا على المدينة من قبل معاوية. (عن شرح القسطلاني).." [(١)]

"الله عليه وسلم في دية الخطأ مائة من الإبل، منها عشرون حقة، وعشرون جذعة، وعشرون بنات لبون، وعشرون بنات مخاض، وعشرون بنو مخاض. قال الدارقطني: (هذا حديث ضعيف غير ثابت عند أهل المعرفة بالحديث من وجوه عدة، أحدها أنه مخالف لما رواه أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه بالسند الصحيح عنه «١»، الذي لا مطعن فيه ولا تأويل عليه، وأبو عبيدة أعلم بحديث أبيه وبمذهبه [وفتياه «٢»] من خشف بن مالك ونظرائه، وعبد الله بن مسعود أتقى لربه وأشح على دينه من أن يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقضي بقضاء ويفتي هو بخلافه، هذا لا يتوهم مثله على عبد الله بن مسعود وهو القائل في مسألة وردت عليه لم يسمع فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ولم يبلغه عنه فيها قول: أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله ورسوله، وإن يكن خطأ فمني، ثم بلغه بعد [ذلك «٣»] أن فتياه فيها وافق قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثلها، فرآه أصحابه عند **ذلك فرح فرحا** [شديدا «٤»] لم **يروه فرح مثله**، لموافقة فتياه قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن كانت هذه صفته وهذا حال فكيف يصح عنه أن يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [شيئا «٥»] ويخالفه. ووجه آخر- وهو أن الخبر المرفوع الذي فيه ذكر بني المخاض لا نعلمه رواه إلا خشف بن مالك عن ابن مسعود وهو رجل مجهول لم يروه عنه إلا زيد بن جبير بن حرمل الجشمي، وأهل العلم بالحديث لا يحتجون بخبر ينفرد بروايته رجل غير معروف، وإنما يثبت العلم عندهم بالخبر إذا كان راويه عدلا مشهورا، أو رجلا قد ارتفع عنه اسم الجهالة، وارتفاع اسم الجهالة عنه أن يروي عنه رجلان فصاعدا، فإذا كانت هذه صفته ارتفع عنه حينئذ اسم الجهالة، وصار حينئذ معروفا. فأما من لم يرو عنه إلا رجل واحد وانفرد بخبر وجب التوقف عن خبره ذلك حتى يوافقه عليه غيره. والله أعلم. ووجه آخر- وهو أن [حديث] خشف بن مالك لا نعلم أحدا رواه عن زيد بن جبير عنه إلا الحجاج بن أرطأة، والحجاج رجل مشهور بالتدليس وبأنه يحدث عمن لم يلقه ولم يسمع منه، وترك الرواية عنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد

---

(١). في ج: عن الذي إلخ.

(٢). الزيادة عن الدارقطني. [.....]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٣٠٦

(٣). الزيادة عن الدارقطني.

(٤). من ط وى.

(٥). الزيادة عن الدارقطني.." (١)

"وتلهم بمعنى واحد. قال أبو حاتم: وبلغني في بعض القراءات" تلقم" بالميم والتشديد. قال الشاعر:

أنت عصا موسى التي لم تزل ... تلقم ما يأفكه الساحر

ويروى: تلقف. (ما يأفكون) أي ما يكذبون، لأنهم جاءوا بحبال وجعلوا فيها زئبقا حتى، تحركت.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١١٨ الى ١٢٢]

فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (١١٩) وألقي السحرة ساجدين (١٢٠) قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهارون (١٢٢)

قوله تعالى: (فوقع الحق) قال مجاهد: فظهر الحق. (وانقلبوا صاغرين) نصب على الحال. والفعل منه صغر يصغر صغرا وصغرا وصغارا «١». أي انقلب قوم فرعون وفرعون معهم أذلاء مقهورين مغلوبين. فأما السحرة فقد آمنوا.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٢٣ الى ١٢٦]

قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (١٢٣) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (١٢٤) قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (١٢٥) وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (١٢٦)

قوله تعالى: (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) إنكار منه عليهم. (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) أي جرت بينكم وبينه مواطأة في هذا لتستولوا على مصر، أي كان هذا منكم في مدينة مصر قبل أن تبرزوا إلى هذه الصحراء

---

(١). هو من **باب فرح وكرم**.." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١٨/٥

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٠/٧

"[سورة التوبة (٩): الآيات ٥٥ الى ٥٦]

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٥٥) ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون (٥٦)

أي لا تستحسن ما أعطيناهم ولا تمل إليه فإنه استدراج" إنما يريد الله ليعذبهم بها" قال الحسن: المعنى بإخراج الزكاة والإنفاق في سبيل الله. وهذا اختيار الطبري. وقال ابن عباس وقتادة: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وهذا قول أكثر أهل العربية، ذكره النحاس. وقيل: يعذبهم بالتعب في الجمع. وعلى هذا التأويل وقول الحسن لا تقديم فيه ولا تأخير، وهو حسن. وقيل: المعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا لأنهم منافقون، فهم ينفقون كارهين فيعذبون بما ينفقون. (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) نص في أن الله يريد أن يموتوا كافرين، سبق بذلك القضاء. (ويحلفون بالله إنهم لمنكم) بين أن من أخلاق المنافقين الحلف بأنهم مؤمنون. نظيره" إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله" «١» [المنافقون: ١] الآية. والفرق الخوف، أي يخافون أن يظهروا ما هم عليه فيقتلوا.

[سورة التوبة (٩): آية ٥٧]

لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون (٥٧)

قوله تعالى: (لو يجدون ملجأ) كذا الوقف عليه. وفي الخط بألفين: الأولى همزة، والثانية عوض من التنوين، وكذا [رأيت] جزءا. والملجأ الحصن، عن قتادة وغيره. ابن عباس: الحرز، وهما سواء. يقال: لجأت إليه لجأ (بالتحريك) «٢» وملجأ والتجأت إليه

---

(١). راجع ج ١٨ ص ١٢٠.

(٢). هذه عبارة الجوهري في صحاحه. والذي في اللسان والقاموس أنه يقال لجأ لجأ مثل منع منعا. ولجئ لجأ مثل فرح فرحا.." [1]

"قوله تعالى:" استغفر لهم" يأتي بيانه عند قوله تعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا).

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٨/١٦٤

[سورة التوبة (٩): آية ٨١]

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١)

قوله تعالى: (فرح المخلفون بمقعدهم) أي بقعودهم. قعد قعودا ومقعدا، أي جلس. وأقعده غيره، عن الجوهري. والمخلف المتروك، أي خلفهم الله وثبطهم، أو خلفهم رسول الله والمؤمنون لما علموا تثاقلهم عن الجهاد، قولان، وكان هذا في غزوة تبوك. (خلاف رسول الله) مفعول من أجله، وإن شئت كان مصدرا. والخلاف المخالفة. ومن قرأ" خلف رسول الله" أراد التأخر عن الجهاد. (وقالوا لا تنفروا في الحر) أي قال بعضهم لبعض ذلك. (قل نار جهنم) أي قل لهم يا محمد نار جهنم. (أشد حرا لو كانوا يفقهون) ابتداء وخبر." حرا" نصب على البيان، أي من ترك أمر الله تعرض لتلك النار.

[سورة التوبة (٩): آية ٨٢]

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢)

فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى:" فليضحكوا قليلا" أمر، معناه معنى التهديد وليس أمرا بالضحك. والأصل أن تكون اللام مكسورة فحذفت الكسرة لثقلها. قال الحسن:" فليضحكوا قليلا" في الدنيا" وليبكوا كثيرا" في جهنم. وقيل: هو أمر بمعنى الخبر. أي إنهم سيضحكون قليلا ويبكون كثيرا." جزاء" مفعول من أجله، أي للجزاء.." (١)

"قوله تعالى: (أشد) أصله أشدد وقد تقدم. (كفرا) نصب على البيان. (ونفاقا) عطف عليه. (وأجدر) عطف على أشد ومعناه أخلق يقال: فلان جدير بكذا أي خليق به وأنت جدير أن تفعل كذا والجمع جدراء وجديرون وأصله من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء. فقوله: هو أجدر بكذا أي أقرب إليه وأحق به. (ألا يعلموا) أي بألا يعلموا. والعرب: جيل من الناس والنسبة إليهم عربي بين العروبة وهم أهل الأمصار. والأعراب منهم سكان البادية خاصة. وجاء في الشعر الفصيح أعاريب. والنسبة إلى الأعراب أعرابي لأنه لا واحد له وليس الأعراب جمعا للعرب كما كان الأنباط جمعا لنبط وإنما العرب اسم جنس. والعرب العاربة هم الخلص منهم وأخذ من لفظه وأكد به كقولك: ليل لائل. وربما قالوا: العرب العرباء. وتعرب أي تشبه بالعرب. وتعرب بعد هجرته أي صار أعرابيا. والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص وكذلك المتعربة والعربية هي هذه

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٦/٨

اللغة. ويعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية وهو أبو اليمن كلهم. والعرب والعرب واحد مثل العجم والعجم. والعريب تصغير العرب قال الشاعر:

ومكن الضباب طعام العريب ... ولا تشتهيه نفوس العجم «١»

إنما صغرهم تعظيما كما قال: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب «٢» كله عن الجوهري. وحكى القشيري وجمع العربي العرب وجمع الأعرابي أعراب وأعاريب. والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب. والمهاجرون والأنصار عرب لا أعراب. وسميت العرب عربا لأن ولد إسماعيل نشئوا من عربة وهي من تهامة فنسبوا إليها. وأقامت قريش بعربة وهي مكة وانتشر سائر العرب في جزيرتها

---

(١). البيت لعبد المؤمن بن عبد القدوس. والمكن: بيض الضبة والجرادة ونحوها.

(٢). الجذيل تصغير الجذل وهو أصل الشجرة. والمحكك: الذي تتحكك به الإبل الجربي وهو عود يتصب في مبارك الإبل لذلك. والعذيق: تصغير العذق وهو النخلة. والمرجب: الذي جعل له رجبة وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة. وهو من قول الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر رضى الله عنه يريد أنه قد جربته الأمور وله رأى وعلم يشتفى بهما كما تشفى الإبل الجربي باحتكاكها بالجذل.." (١)

"الله عليه وسلم أنه قرأ" فبذلك فلتفرحوا" بالتاء، وهي قراءة يزيد بن القعقاع ويعقوب وغيرهما، وفي الحديث (لتأخذوا مصافكم). والفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب. وقد ذم الفرح في مواضع، كقوله:" لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين" «١» [القصص: ٧٦] وقوله:" إنه لفرح فخور" «٢» [هود: ١٠] ولكنه مطلق. فإذا قيد الفرح لم يكن ذما، لقوله:" فرحين بما آتاهم الله من فضله" «٣» [آل عمران: ١٧٠] وها هنا قال تبارك وتعالى:" فبذلك فليفرحوا" أي بالقرآن والإسلام فليفرحوا، فقيد. قال هارون: وفي حرف أبي" فبذلك فافرحوا". قال النحاس: سبيل الأمر أن يكون باللام ليكون معه حرف جازم كما أن مع النهي حرفا، إلا أنهم يحذفون، من الأمر للمخاطب استغناء بمخاطبته، وربما جاءوا به على الأصل، منه" فبذلك فلتفرحوا". (هو خير مما يجمعون) يعني في الدنيا. وقراءة العامة بالياء في الفعلين، وروي عن ابن عامر أنه قرأ" فليفرحوا" بالياء" تجمعون" بالتاء خطابا للكافرين. وروي عن الحسن أنه قرأ بالتاء في الأول، و" يجمعون" بالياء على العكس. وروى أبان عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من هداه الله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٨/٢٣٣

للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه- ثم تلا-" قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون".

[سورة يونس (١٠): آية ٥٩]

قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون (٥٩)

قوله تعالى: (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا). فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى: (قل أرأيتم) يخاطب كفار مكة. (ما أنزل الله لكم من رزق) " ما" في موضع نصب" ب أرأيتم". وقال الزجاج: في موضع نصب ب" أنزل"." وأنزل" بمعنى خلق، كما قال:" وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج" «٤» [الزمر: ٦]." وأنزلنا الحديد فيه

______

(١). راجع ج ١٣ ص ٣١٣.

(٢). راجع ج ٩ ص ١٠.

(٣). راجع ج ١٥ ص ٢٣٤. [.....]

(٤). راجع ج ١٥ ص ٢٣٤.." [١]

"فجاء بمزج لم يرى الناس مثله ... هو الضحك «١» إلا أنه عمل النحل

وقال مقاتل: ضحكت من خوف إبراهيم، ورعدته من ثلاثة نفر، وإبراهيم في حشمه وخدمه، وكان إبراهيم يقوم وحده بمائة رجل. قال وليس الضحك الحيض في اللغة بمستقيم. وأنكر أبو عبيد والفراء ذلك، قال الفراء: لم أسمعه من ثقة، وإنما هو كناية. وروي أن الملائكة مسحت العجل، فقام من موضعه فلحق بأمه، فضحكت سارة عند ذلك فبشروها بإسحاق. ويقال: كان إبراهيم عليه السلام إذا أراد أن يكرم أضيافه أقام سارة تخدمهم، فذلك قوله:" وامرأته قائمة" أي قائمة في خدمتهم. ويقال:" قائمة" لروع إبراهيم" فضحكت" لقولهم:" لا تخف" سرورا بالأمن. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، المعنى: فبشرناها بإسحاق فضحكت، أي ضحكت سرورا بالولد، وقد هرمت، والله أعلم أي ذلك كان. قال النحاس فيه أقوال: أحسنها- أنهم لما لم يأكلوا أنكرهم وخافهم، فلما قالوا لا تخف، وأخبروه أنهم رسل [الله «٢»]، **فرح بذلك**، فضحكت امرأته سرورا بفرحه. وقيل: إنها كانت قالت له: أحسب أن هؤلاء القوم سينزل بهم عذاب فضم لوطا إليك،

______

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٥٤/٨

فلما جاءت الرسل بما قالته سرت به فضحكت، قال النحاس: وهذا إن صح إسناده فهو حسن. والضحك انكشاف الأسنان. ويجوز أن يكون الضحك إشراق الوجه، تقول رأيت فلانا ضاحكا، أي مشرقا. وأتيت على روضة تضحك، أي مشرقة، وفي الحديث" إن الله سبحانه «٣» يبعث السحاب فيضحك أحسن الضحك". جعل انجلاءه عن البرق ضحكا، وهذا كلام مستعار. وروي عن رجل من قراء مكة يقال له محمد بن زياد الأعرابي." ضحكت" بفتح الحاء، قال المهدوي: وفتح" الحاء" من" فضحكت" غير معروف. وضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا [وضحكا] «٤» أربع لغات. والضحكة المرة الواحدة، ومنه قول كثير:

غلقت لضحكته رقاب المال «٥»

قاله الجوهري:

---

(١). وفسر الضحك هنا بالعسل أو الشهد. راجع اللسان مادة (ضحك).

(٢). من ع. [.....]

(٣). من ع.

(٤). من ع.

(٥). صدر البيت:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا." (١)

"جواز **إظهار الفرح بعد** زوال الغم والترح. ومن هذا الباب جواز حذاقة «١» الصبيان، وإطعام الطعام فيها، وقد نحر عمر بعد [حفظه] «٢» سورة" البقرة" جزورا. والله أعلم. قوله تعالى: (قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون) ذكرهم قوله:"نما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون " [يوسف: ٨٦]. قوله تعالى: (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) في الكلام حذف، التقدير: فلما رجعوا من مصر قالوا يا أبانا، وهذا يدل على أن الذي قال له:" تالله إنك لفي ضلالك القديم" بنو بنيه أو غيرهم من قرابته وأهله لا ولده، فإنهم كانوا غيبا، وكان يكون ذلك زيادة في العقوق. والله أعلم. وإنما سألوه المغفرة، لأنهم أدخلوا عليه من ألم الحزن ما لم يسقط المأثم عنه إلا بإحلاله. قلت: وهذا الحكم

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٧/٩

ثابت فيمن آذى مسلما في نفسه أو ماله أو غير ذلك ظالما له، فإنه يجب عليه أن يتحلل له «٣» ويخبره بالمظلمة «٤» وقدرها، وهل ينفعه التحليل المطلق أم لا؟ فيه خلاف، والصحيح أنه لا ينفع، فإنه لو أخبره بمظلمة لها قدر وبال ربما لم تطب نفس المظلوم في التحلل منها. والله أعلم. وفي صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة قال قال رسول صلى الله عليه وسلم:" من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شي فليحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه" قال المهلب فقوله صلى الله عليه وسلم:" أخذ منه بقدر مظلمته" يجب أن تكون المظلمة معلومة القدر مشارا إليها مبينة، والله أعلم. قوله تعالى: (قال سوف أستغفر لكم ربي) قال ابن عباس: أخر دعاءه إلى السحر. وقال المثنى بن الصباح عن طاوس قال: سحر ليلة الجمعة، ووافق ذلك ليلة عاشوراء. وفي دعاء الحفظ- من كتاب الترمذي- عن ابن عباس أنه قال: بينما نحن عند رسول ا الله

---

(١). حذق الغلام القرآن: مهر فيه. في ع: **جواز الفرح بحذاق** الصبيان.

(٢). من ا، ع، ك، و، ى.

(٣). في ع وك: منه. [.....]

(٤). مظلمة (بكسر اللام) وحكى فتحها.." [1]

"قدومه فأذن له، وأمر الملأ من أصحابه بالركوب معه، فخرج يوسف والملك معه في أربعة آلاف من الأمراء مع كل أمير خلق الله أعلم بهم، وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب، فكان يعقوب يمشي متكئا على يد يهوذا، فنظر يعقوب إلى الخيل والناس والعساكر فقال: يا يهوذا! هذا فرعون مصر؟ قال: لا، بل هذا ابنك يوسف، فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف ليبدأه بالسلام فمنع «١» من ذلك، وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل، فابتدأ يعقوب بالسلام فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان، وبكى وبكى معه يوسف، فبكى يعقوب فرحا، وبكى يوسف لما رأى بأبيه من الحزن، قال ابن عباس: فالبكاء أربعة، بكاء من الخوف، وبكاء من الجزع، وبكاء من الفرح، وبكاء رياء. ثم قال يعقوب: الحمد لله الذي أقر عيني بعد الهموم والأحزان، ودخل مصر في اثنين وثمانين من أهل بيته، فلم يخرجوا من مصر حتى بلغوا ستمائة ألف ونيف ألف، وقطعوا البحر مع موسى عليه السلام، رواه عكرمة عن ابن عباس. وحكى ابن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٢/٩

مسعود أنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وتسعون إنسانا ما بين رجل وامرأة، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة [ألف] «٢» وسبعون ألفا. وقال الربيع بن خيثم: دخلوها وهم اثنان وسبعون ألفا، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف. وقال وهب: [بن منبه] «٣» دخل يعقوب وولده مصر وهم تسعون إنسانا ما بين رجل وامرأة وصغير، وخرجوا منها مع موسى فرارا من فرعون، وهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجل مقاتلين، سوى الذرية والهرمى والزمنى، وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف سوى المقاتلة، وقال أهل التواريخ: أقام يعقوب بمصر أربعا وعشرين سنة في أغبط حال ونعمة، ومات بمصر، وأوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه إسحاق بالشام ففعل، ثم انصرف إلى مصر. قال سعيد بن جبير: نقل يعقوب صلى الله عليه وسلم في تابوت من ساج إلى بيت المقدس، ووافق ذلك يوم مات عيصو، فدفنا في قبر واحد، فمن ثم تنقل اليهود موتاهم إلى بيت المقدس، من فعل ذلك منهم، وولد يعقوب وعيصو في بطن واحد، ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا «٤» وأربعين سنة.

---

(١). أي منعه يعقوب عليه السلام لأن القادم يسلم، قاله العيني في" عقد الجمان". وقال الألوسي: ليعلم أن يعقوب أكرم على الله منه.

(٢). من ع.

(٣). من ع.

(٤). في ع وك ى: تسعا. والمشهور ما ذكر.." (١)

"لهم طوبى، ويعطف عليه" وحسن مآب" على الوجهين المذكورين، فترفع أو تنصب. وذكر عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عمرو بن أبي يزيد البكالي عن عتبة ابن عبد السلمي قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الجنة وذكر الحوض فقال: فيها فاكهة؟ قال:" نعم شجرة تدعى طوبى" قال: يا رسول الله! أي شجر أرضنا تشبه؟ قال" لا تشبه شيئا من شجر أرضك أأتيت الشام هناك شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق ويفترش أعلاها". قال يا رسول الله! فما عظم أصلها! قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما". وذكر الحديث، وقد كتبناه بكمال في أبواب الجنة من كتاب" التذكرة"، والحمد لله. وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا معمر عن الأشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يقول الله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٦٨/٩

تعالى لها: تفتقي لعبدي عما شاء، فتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء، وتفتق عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء، وعن النجائب والثياب. وذكر ابن وهب من حديث شهر بن حوشب عن أبي أمامة الباهلي قال:" طوبى" شجرة في الجنة ليس منها دار إلا وفيها غصن منها، ولا طير حسن إلا هو فيها، ولا ثمرة إلا هي منها، وقد قيل: إن أصلها في قصر النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، ثم تنقسم فروعها على منازل أهل الجنة، كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا. وقال ابن عباس:" طوبى لهم" فرح لهم وقرة عين، وعنه أيضا أن" طوبى " اسم الجنة بالحبشية، وقال سعيد بن جبير. الربيع بن أنس: هو البستان بلغة الهند، قال القشيري: إن صح هذا فهو وفاق بين اللغتين. وقال قتادة:" طوبى لهم" حسنى لهم. عكرمة: نعمى لهم. إبراهيم النخعي: خير لهم، وعنه أيضا كرامة من الله لهم. الضحاك: غبطة لهم. النحاس: وهذه الأقوال متقاربة، لأن طوبى فعلى من الطيب، أي العيش الطيب لهم، وهذه الأشياء ترجع إلى الشيء الطيب. وقال الزجاج: طوبى فعلى من الطيب، وهي الحالة المستطابة لهم، والأصل طيبى، فصارت الياء واوا لسكونها وضم ما قبلها، كما قالوا: موسر وموقن.." (١)

"- ل -

ترجمة أبي عبد الله القرطبي مؤلف هذا التفسير «١»

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (بإسكان الراء وبالحاء المهملة)، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة. أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف.

مؤلفاته- جمع في تفسير القرآن كتابا كبيرا في اثني عشر مجلدا، سماه كتاب" الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والاعراب والناسخ والمنسوخ (وهو هذا التفسير). وله كتاب" الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى". وكتاب" التذكار، في أفضل الاذكار". وضعه على طريقة التبيان للنووي، لكن هذا أتم منه وأكثر علما. وكتاب" التذكرة، بأمور الآخرة". وكتاب" شرح التقصي". وكتاب" قمع الحرص بالزهد والقناعة، ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة". قال ابن فرحون: لم أقف على تأليف أحسن منه في بابه. وله" أرجوزة جمع فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم". وله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١٦/٩

تآليف وتعاليق مفيدة غير هذا. وكان مطرحا للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. قال صاحب نفح الطيب: إنه من الراحلين من الأندلس.

---

(١). عن الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (مذهب مالك) لابن فرحون، ونفح الطيب للمقرى.." (١)

"- الأول: من (ألطاف) الله (أنه) إذا ذكر نعمة أسندها (إليه) فقال: ﴿وإنآ إذآ أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة﴾ ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ -

الثاني: إنما قال: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ (ليدخل غضبه) وغضب الملائكة والأنبياء والمؤمنين فهو أعم/ فائدة.

- الثالث: إنما لم يقل صراط المنعم عليهم لأن إبراز (ضمير) فاعل النعمة ذكر وشكر له باللسان وبالقلب، فيكون (دعاء) مقرونا بالشكر والذكر.

- الرابع: فيه فائدة بيانية، وهو أنه من (التفنن) في الكلام لأنه (لو أجري) على أسلوب واحد لم يكن فيه تلك (اللذاذة) وإذا اختلف أسلوبه ألقى السامع إليه سمعه (وهو تنبيه) وطلب احضار ذهنه من قريب ومن بعيد.

(قلت): وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿مآ أصابك من حسنة فمن الله ومآ أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ فالنعمة تفضل ورحمة، والانتقام عدل وقصاص.

قلت: ونقل بعضهم أن القاضي (محمد) بن عبد السلام الهواري سئل ما السر في أن قيل: ﴿اهدنا الصراط﴾ بنون العظمة والداعي واحد وهو محل تضرع وخضوع، وهلا قال: اهدني؟

فأجاب بأن المصلي إن كان واحدا فهو طالب لنفسه ولجميع المسلمين.

قال: أو تقول إن المصلي لما حصل (مناجاة) الله وهي من أعظم الأشياء عظم لذلك وهو الجواب في «نعبد - ونستعين» والله أعلم بالصواب.." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي المقدمة/٦

(٢) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٩/١

"تنبيه على شدة غيظهم، لأن العدو يتألم بحصول، أو في شيء ملائم لعدوه، ولا ينتفي من عدوه إلا بنزول عظيم البلاء به وأشده.

قال ابن عرفة: وفي الآية حذف التقابل، قال: وذلك الأمر الملائم المعبر عنه بالحسنة سبب في الفرح، والأمر المؤلم المعبر عنه بالسيئة سبب في الحزن، فإذا مست المؤمنين حسنة جعل للمنافقين أمران ضرر في أبدانهم، وهو مشقة مشاهدتهم ذلك وسماعه وحزن في قلوبهم وإذا مست المؤمنين سيئة جعل للمنافقين بذلك تنعما في أبدانهم بشهادتهم لذلك، وسماعهم إياه، وفرح قلوبهم وابتهاج في نفوسهم، فكأنه يقول: (إن تمسسكم حسنة تسؤهم) ويحزنون بها، وإن تصبكم سيئة تنفعهم ويفرحون بها؛ لأن السوء يهدي للتنعيم، والحزن ضد الفرح، أي إذا تنعمتم تضرروا هم وحزنوا فإذا أصابكم سوء في ضرر تنعموا وفرحوا.

قوله تعالى: (وإن تصبروا وتتقوا).

قال ابن عرفة: هذا من اللف والنشر للمخالفة، أي وإن تصبروا على مس السيئة وتتقوا ربكم إذا مستكم الحسنة.

قيل لابن عرفة: كل إنسان لابد له من نيل الخير والشر، فهلا عبر بـ إذا الدالة على تحقيق الوقوع، فقال: إن أعم تدل على المحقق والممكن على فرض وقوع ذلك.

قوله تعالى: (إن الله بما يعملون محيط).

ذكر الزمخشري: قراءة الباء فقط وأنها راجعة للمنافقين ابن عرفة والقراءة بتاء الخطاب، فإما أن يراد بها: قل لهم يا محمد أن الله بما يعملون محيط، وهو إخبار عن إحاطة علم الله تعالى المؤمنين في سرهم وتقواهم.

قوله تعالى: ﴿وإذ غدوت من أهلك ... (١٢١)﴾

قال ابن عطية: ذهب الطبري إلى أنها متصلة بما قبلها والظاهر عدمه؛ لأن تلك من منافي اليهود، وهذه ابتداء قصة المؤمنين في أمر آخر.

ابن عرفة: والظاهر الاتصال، ويكون دليلا على أن عاقبة الصبر والتقوى حميدة؛ لأن هؤلاء لو ثبتوا كما أمرهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما جمع المؤمنين واستشارهم، فقال عبد الله بن أبي وأكثر الناس: يا رسول الله، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم.." (١)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٠٥/١

"أي وما أنكروا وما عابوا (إلا أن أغناهم الله) والضمير عائد على المنافقين.

ابن عرفة: وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم، كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

ويحتمل أن من تأكيد الذم بما يشبه المدح، كقوله:

هو الكلب إلا أن فيه ملالة ... وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب

لكن هذا يحتاج إلى إضمار وعامة.

قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ... (٧٨)﴾

ابن عرفة: السر والنجوى فيهما عموم وخصوص من وجه، فالسر مختص بحديث النفس، والنجوى مختص بحديث الجهر ويشتركان فيما يحدث به الإنسان بينه وبين آخر بحيث لا يسمعهما غيرهما.

قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ... (٨٠)﴾

وقره المفسرون بمساواة الاستغفار وعدمه، وعادتهم يقررونه بأنه جعل الاستغفار حالة كونه مأمورا مساويا للاستغفار لهم حالة كونه منهيا عنه؛ أي الأمر به مساو [للنهي*] في عدم الفائدة وهو أقوى، ومساواة الاستغفار [للعدم*]؛ لأن الأمر والنهي ضدان، والأمر بالاستغفار لمن لا يقع فيه الاستغفار مساو للنهي عن الاستغفار.

قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون ... (٨١)﴾

ابن عرفة: عادتهم يفرقون بين الفرح والسرور بأن غالب عرف القرآن، الفرح يطلق على الأمر الملائم الذي ما له [إلا*] السوء، قال تعالى (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين)، (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة)، (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)، فرد عليه بقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضل) قال: وما قال المخلفون باسم المفعول مع أن التخلف ما وقع منهم فهم الفاعلون له إشارة إلى أن صيغة الأفعال أبلغ من صيغة الفاعلية، وأيضا ففيه." (١)

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٢٠/٢

"تنبيه على استغناء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنين عنهم [...]. وعدم احتياجهم إليهم حتى كأنهم يخلفونهم بأنفسهم.

قوله تعالى: (وكرهوا).

إن جاء هذا ليس بتكرار **لأن الفرح بالشيء** لا يستلزم كراهة ضده؛ بل قد يكرهه وقد لا يكرهه، هذا إن قلنا: إن نقيض المستحيل ليس بمكروه.

قوله تعالى: (في سبيل الله).

إشارة إلى أنهم كفروا بالله ورسوله، فالكفر بالرسول في قوله (بمقعدهم خلاف رسول الله)، والكفر بالله في قوله (رسول الله) ولم يقل: مع رسوله فهم كرهوا الجهاد للإيمان بالرسول وبالإيمان بالله.

قوله تعالى: ﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم ... (٨٣)﴾

ابن عرفة: رجوعه من غزوة تبوك تحقيق الوقوع، فهلا عبر عنه بـ إذا، وأجيب بوجهين: أحدهما: أن الشرط مركب من جملتين؛ أحدهما: قوله (فاستأذنوك للخروج) استئذانهم له غير محقق.

الثاني: أن المحقق إنما هو الرجوع إلى بلده، وأما رجوعه إلى طائفة منهم فمعنى محقق؛ لأن المرجوع إليهم هم المنافقون الذين [يخلفون*] لغير عذر إشارة إلى أن الرجوع إليهم يوهم أن الحاجة إليهم داعية، وأنه مضطر إلى الاستعانة بهم؛ فعبر بإن إشارة إلى أن لم يرجع إليهم وإنه إنما رجع إلى بلده فالرجوع إليهم غير واقع.

قوله تعالى: (فاستأذنوك للخروج).

ولم يقل: فاستأذنوك في الخروج؛ لأن الكلام يحتمل [...] بها أن يكون مرغوبا فيه، أو مرغوبا عنه، فيحتمل أن يكون مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه، فيحتمل أن يكون قصدهم الإقامة.

ابن عرفة: وعادتهم يقولون لأي شيء أتى بالفعلين الأولين بصيغة الخبر وهما لم يخرجوا ولم يقاتلوا، وأتى في الثالث بصيغة الأمر، فهلا قيل: لن يخرجوا [ولن*] يقاتلوا معي عدوا فقعدوا مع الخالفين، أو يقال: لا تخرجوا معي أبدا، ولا تقاتلوا معي عدوا فقعدوا مع الخالفين.." (١)

"قال ابن عرفة: وكان يمشي لنا أنه على ظاهره وليس على القلب، والمراد أن الأغلال في السلاسل، والسلاسل في أعناقهم، فالأغلال في أعناقهم، وقد أراني الفقيه أبو سعيد الغبريني أثر القيد في عبد تهادت

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٢١/٢

ساقه [**طرفا] لهم، وهم يجرونها.

قوله تعالى: ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ... (٧٤)﴾
قال ابن عطية: فدعوا إلى الكذب وهذا من أشد الاختلاط وأبين الفساد.
وقال الزمخشري: أي شيئا، أي نبين لهم أنهم لم يكونوا شيئا، كما تقول: حسبت أن فلانا شيئا، فإذا هو ليس بشيء.
قوله تعالى: (كذلك يضل الله الكافرين).
ابن عرفة: مثل ضلال الأصنام وغيبتهم عنهم في الآخرة، يضل الله الكافرين في الدنيا [حين*] طلبوا الآلهة وطلبتهم الآلهة [لم يتعارفوا*].
قلت: والمعنى على ما قال ابن عطية، أي مثل ضلالهم في الآخرة بكذبهم في إنكارهم عبادتهم الأصنام فضلهم الله في الدنيا لعبادتهم لها.

قوله تعالى: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق ... (٧٥)﴾
ابن عرفة: [يوجب*] أن الفرح بغير الحق كبيرة لترتب العقاب الأبدي عليه.
فإن قلت: العقاب عليه وعلى المدح بعاقله هل هو على كل واحد منهما بانفراد؟ قال: وانظر هل الفرح بغير المباح داخل في ذلك أم لا؟ قلنا: تجري على الخلاف في المباح هل هو حكم شرعي أو لا؟ وتقدم [نظيره*] في قوله تعالى: (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا).

قوله تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق ... (٧٧)﴾
قال ابن سلامة في شرح أسماء الله الحسنى: صرح مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا قام من الليل يصلي، يقول: "اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض" الحديث، وفيه: "أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق والساعة حق"، فلما ذكر ذات الله وصفاته عرف الحق بالألف." (١)

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣/٤٠٢

"النصف أنهم مساوون لهم في نوع من الأجر، لا في قدره، ويلزمه هذا في الشهداء، فإنا أجمعنا على تماثلهم في الأجر، وأن منازلتهم متفاوتة.

قوله تعالى: (أولئك أصحاب الجحيم).

ولم يقل: أولئك هم أصحاب، فيدخل في ذلك المبتدعة المختلف في تكفيرهم، ومن كفر بالتأويل، [والصحبة هنا دوام الإقامة وليست من الصحبة في*] اصطلاح المحدثين، لأنهم يشترطون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، ولو مرة واحدة على الخلاف عندهم في ذلك.

قوله تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ... (٢٠)﴾

يحتمل أن يراد الأمر بلازم ذلك، وهو الاتعاظ، والإنابة، والتذكر، واللعب يشغل النفس بما يلهي على سبيل الفرح، [والفرح*] واللهو شغل النفس بما يلهي عن أمر يؤلم، الفخر: اللعب من فعل الصبيان، وهو الشغل المتعب لغير فائدة، واللهو من فعل الشباب، وهو لفائدة دنيوية فقط، انتهى، وحاصله أن اللعب هو إتعاب النفس لا لقصد تحصيل أمر ملائم، حاصل الآية أن الأمور المباحة إذا كانت لا تحصل فائدة أخروية، فهي لعب ولهو؛ فينبغي للإنسان أن ينوي التقوي على الطاعة، وحكي عن سيدي الحسن بن علي المنتصر رحمه الله ونفع به، أنه كان يوما في الثانية عند سيدي حسن المريدي نفع الله به، فجلس يشرح التين، فمر به سيدي حسن فسأله عن سبب ذلك، فقال له: قعدت بطالا فأخذت [أشغل*] نفسي بهذا، فقال له: اقصد بفعلك ذلك أنك تشرحه ليأكل منه متعلم، أو مضطر لأكله، فيستعين به على عبادة الله تعالى، فكذلك ينبغي لكل أحد أن لا يخلي فعله من نية الطاعة، ليخرج فعله المباح عن اللعب واللهو، قال كاتبه [عفا*] الله عنه، وهذه سيرة مولانا السلطان سلطان السلاطين، وسلطان الصالحين أبي فارس عبد العزيز ابن مولانا أمير المؤمنين أبي العباس أحمد في أفعاله كلها سفرا وحضرا، وقد ضمنت هذا المعنى في قصيدة نظمتها له، قلت فيها:

وأفعاله ينوي بها البر كلها ... في قصده صار المباح تعبدا

فإما رباطا إن أقام بساحل ... وإما جهادا إن توجه للعدا

وعادته أمتع الله المسلمين ببقائه إذا قدم من سفره قاصدا به جهاد المفسدين في الأرض الإقامة بساحل

لقصد الرباط، إن قلت: هذا يوهم تحصيل الحاصل [كقولهم*]: قام القائم، فالجواب: أن ابن التلمساني قال: تعليق الحكم على موصوف." (١)

"(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) أي اذكر يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوه المؤمنين مبيضة، ووجوه الكافرين مسودة، يقال إن ذلك عند قراءة الكتاب إذا قرأ المؤمن كتابه رأى حسناته فاستبشر وابيض وجهه.

وإذا قرأ الكافر كتابه رأى سيآته فحزن واسود وجهه، والتنكير في وجوه للتكثير أي وجوه كثيرة.

عن ابن عباس قال تبيض وجوه أهل السنة والجماعة. وتسود وجوه أهل البدعة والضلالة، وروي نحوه عن ابن عمر وأبي سعيد، قيل إن البياض كناية **عن الفرح والسرور**، والسواد كناية عن الغم والحزن، وقيل هما حقيقة تحصلان في الوجه.

(فأما الذين اسودت وجوههم) تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليها إجمالا وتقديم بيان حال الكفار لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الإجمال والتفصيل، والإفضاء إلى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدأ بذلك عند الإجمال، ففي الآية حسن ابتداء وحسن اختتام، قيل هم أهل الكتاب، وقيل المرتدون، وقيل المبتدعون، وقيل الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم:

(أكفرتم) الهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم (بعد إيمانكم) قال أبو السعود والظاهر أن المخاطبين بهذا القول أهل الكتابين، وكفرهم بعد إيمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إيمان أسلافهم، أو إيمان أنفسهم." (٢)

"(الذين ينفقون في السراء والضراء) السراء اليسر والضراء العسر، وقد تقدم تفسيرهما، وقيل السراء الرخاء والضراء الشدة وهو مثل الأول، وقيل السراء في الحياة والضراء بعد الموت، والمعنى لا يتركون الإنفاق في كلتي الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في **حال فرح وسرور**، ولا في حال محنة." (٣)

"(لا تحسبن الذين يفرحون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له قرىء بالتاء والياء وهما سبعيتان (بما أتوا) أي بما فعلوا من إضلال الناس، وقد اختلف في سبب نزولها كما سيأتي (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) من التمسك بالحق وهم على ضلال، والظاهر شمولها لكل من

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١٦٥/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٧/٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٣٢/٢

حصل منه ما تضمنته هذه الآية عملا بعموم اللفظ وهو المعتبر لا بخصوص السبب، **فمن فرح بما** فعل، وأحب أن يحمده الناس بما لم يفعل.

(فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) وقرىء بالتحتية أى لا يحسبن الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب، والمفازة المنجاة مفعلة من فاز يفوز إذا نجا أي ليسوا بفائزين، سمي موضع الخوف مفازة على جهة التفاؤل، قاله الأصمعي، وقيل لأنها موضع تفويز ومظنة هلاك، تقول العرب فوز الرجل إذا هلك.

وقال ثعلب. حكيت لابن الأعرابي قول الأصمعي فقال أخطأ، قال لي أبو المكارم: إنما سميت مفازة لأن من قطعها فاز وقال ابن الأعرابي: بل لأنه مستسلم لما أصابه، وقيل المعنى لا تحسبنهم بمكان بعيد عن العذاب، لأن الفوز التباعد عن المكروه بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم.

(ولهم عذاب أليم) يعني مؤلم في الآخرة.

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما قال ابن عباس سألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد." [١]

"والمعيشة والصحة وأعجبوا بذلك وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقا وصوابا. **وهذا فرح بطر** وأشر **كما فرح قارون** لما أوتي من الدنيا (أخذناهم بغتة) وهم غير مترقبين لذلك والبغتة الأخذ على غرة من غير تقدمة أمارة وهي مصدر في موضع الحال لا يقاس عليه غيره عند سيبويه.

قال محمد بن النصر الحارثي: أمهلوا عشرين سنة ولا يخفى أن هذا مخالف لمعنى البغتة لغة ومحتاج إلى نقل عن الشارع، وإلا فهو كلام لا طائل تحته، قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة، وقال أهل المعاني: إنما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال العافية والتصرف في ضروب اللذة فأخذناهم في آمن ما كانوا، وأعجب ما كانت الدنيا إليهم.

(فإذا) هي الفجائية قال سيبويه إنها ظرف مكان، وقال جماعة منهم الراسي إنها ظرف زمان ومذهب الكوفيين أنها حرف (هم مبلسون) أي مهلكون في مكان إقامتهم أو في زمانه١ قاله السدي، والمبلس الحزين الآيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال ومن ذلك اشتق اسم إبليس يقال أبلس الرجل إذا سكت وأبلست الناقة إذا لم ترع.

والمعنى فإذا هم محزونون متحيرون آيسون من الفرح، قال ابن زيد: المبلس المجهود الكروب الذي قد نزل به الشر الذي لا يدفعه، والمبلس أشد من المستكين وقال الفراء: هو اليائس المنقطع رجاؤه، وقال أبو

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٩٨/٢

عبيدة: هو النادم الحزين، والإبلاس هو الإطراق من الحزن والندم.

وعن عقب: بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك استدراج " (١) ثم تلا يعني هذه الآية ذكره البغوي بلا سند، وأسنده الطبري وغيره.

---

(١) أحمد بن حنبل ٤/ ١٤٥.." [١]

"(إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) أي إني لم أطق تغيير ما فعلوه لهذين الأمرين استضعافهم لي ومقاربتهم لقتلي، مع إني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار.

(فلا تشمت بي الأعداء) الشماتة: أصلها الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال: شمت فلان بفلان إذا سر بمكروه نزل به، والمعنى لا تسر الأعداء بما تفعل بي من المكروه، وفي المصباح شمت به يشمت من باب سلم إذا فرح بمصيبة نزلت به، والاسم الشماتة وأشمت الله العدو به ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " اللهم إني أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وجهد البلاء وشماتة الأعداء "، وهو في الصحيح (١).

قيل: والمعنى لا تفعل بي ما يكون سببا للشماتة منهم، وقال مجاهد ومالك ابن دينار: لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله بي، وقال ابن جني: والمعنى فلا تشمت بي أنت يارب، وما أبعد هذا المعنى عن الصواب، وأبعد تأويلها عن وجوه الإعراب.

(ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي لا تجعلني بغضبك في عداد القوم الذين عبدوا العجل أو لا تعتقد أني منهم مع براءتي منهم ومن ظلمهم.

---

(١) مسلم ٢٧٠٧ - البخاري ٢٤٠١.." [٢]

"المذكور قبله شيئين هما الذهب والفضة فقال ابن الأنباري: أنه قصد إلى الأعم الأغلب وهو الفضة، قال ومثله قوله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة) رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم، ومثله قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) أعاد الضمير إلى التجارة لأنها الأعم، وقيل أن الضمير راجع إلى الذهب، والفضة معطوفة عليه والعرب تؤنث الذهب وتذكره.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤٢/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٥/٥

وقيل الضمير راجع إلى الكنوز المدلول عليها بقوله: (يكنزون) لأنه أعم من النقدين وغيرهما، وقيل إلى الأموال، وقيل إلى الزكاة: وقيل إنه اكتفى بضمير أحدهما عن ضمير الآخر مع فهم المعنى وهو كثير في كلام العرب.

وقيل أن إفراد الضمير من باب الذهاب إلى المعنى دون اللفظ، لأن كل واحد من الذهب والفضة جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم، فهو كقوله: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وإنما خص الذهب والفضة بالذكر دون سائر ال أموال لكونهما أثمن الأشياء وغالب ما يكنز وإن كان غيرهما له حكمهما في تحريم الكنز.

(فبشرهم بعذاب أليم) هذا من باب التهكم بهم كما في قوله:

تحية نبيهم ضرب وجيع

وقيل أن البشارة هي الخبر الذي يتغير له لون البشرة لتأثيره في القلب سواء كان **من الفرح أو** من الغم، وعن أبي ذر قال: انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: " هم الأخسرون ورب الكعبة " قال: فقلت: يا رسول الله فداك أبي وأمي من هم قال: " هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم " الحديث مختصرا أخرجه مسلم وفرقه البخاري في موضعين (١).

---

(١) مسلم ٩٩٠ – البخاري ٧٧٥.." (١)

"(إن تصبك حسنة تسؤهم) أي حسنة كانت بأي سبب اتفق كما يفيده وقوعها في حيز الشرط وكذلك القول في المصيبة وتدخل الحسنة والمصيبة الكائنة في القتال كما يفيده السياق دخولا أوليا.

فمن جملة ما يصدق عليه الحسنة الغنيمة والظفر، ومن جملة ما يصدق عليه المصيبة الخيبة والانهزام، وهذا ذكر نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم والإخبار بعظم عدواتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين، فإن المساءة بالحسنة، والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على أنهم قد بلغوا في العداوة إلى الغاية.

(وإن تصبك مصيبة) أي هزيمة أو شدة كما تقدم، وقابل الله هنا الحسنة بالمصيبة ولم يقابلها بالسيئة كما قال في سورة آل عمران (وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) لأن الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم وهي

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٩٤/٥

في حقه مصيبة يثاب عليها لا سيئة يعاتب عليها، والتي هناك خطاب للمؤمنين. قاله الشهاب.

(يقولوا) أي المنافقون حامدين لرأيهم (قد أخذنا أمرنا من قبل) أي احتطنا لأنفسنا وأخذنا بالحزم واعتزلنا عنهم، وقعدنا عن الحرب، فلم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون حتى نالهم ما نالهم من المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) أي رجعوا إلى أهلهم عن مقامات الاجتماع ومواطن التحدث حال كونهم فرحين بالصيبة التي أصابت المؤمنين وبما صنعوا من أخذ الأمر، وبما أصابه صلى الله عليه وآله وسلم، والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا من الأخير فقط **لمقارنة الفرح ما** معا.." [١]

"أعجب بماله أو ولده **أي فرح به** واغتر به، وما هنا في إعجاب المرء بمال غيره، والمعنى عليه لا تستحسن ما معهم من الأموال والأولاد ولا تحمدها ولا تخبر برضاك بها فهي استدراج، وقيل يقال في الاستحسان أعجبني بالألف، وفي الذم والإنكار عجبت، وزان تعبت، وهذا الخطاب وإن كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكن يعم جميع المؤمنين.

(إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) بما يحصل معهم من الغم والحزن عند أن يغنمها المسلمون ويأخذوها قسرا من أيديهم مع كونها زينة حياتهم وقرة أعينهم أو بما يلقون في جمعها من المشقة والمتاعب، وفيها من المصائب، ومنه قول العرب بلوغ الآمال في ركوب الأهوال.

والمؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة، وأنه يثاب بالمصائب الحاصلة في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا في الدنيا، وأما المنافق فإنه لا يعتقد كون الآخرة له ولا أن له فيها ثوابا فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا، فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافق في الدنيا دون المؤمن، وكذا في الآخرة يعذبهم بعذاب النار بسبب عدم الشكر لربهم الذي أعطاهم ذلك وترك ما يجب عليهم من الزكاة فيها والتصدق بما يحق التصدق به.

وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة لأنهم المنافقون فهم ينفقون كارهين فيعذبون بما ينفقون.

(وتزهق أنفسهم وهم كافرون) الزهوق الخروج بصعوبة والمعنى أن الله يريد أن يزهق أنفسهم ويخرج أرواحهم حال كفرهم لعدم قبولهم لما جاءت به الأنبياء وأرسلت به الرسل، وتصميمهم على الكفر وتماديهم في

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/٣١٨

الضلالة، قال الزمخشري: والمراد الاستدراج بالنعم كقوله: (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمه إلى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة.." (١)

"(فرح المخلفون) وهم المتروكون وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم الله وثبطهم أو الشيطان أو نفاقهم أو كسلهم أو المؤمنون (بمقعدهم) أي بقعودهم، يقال قعد قعودا ومقعدا أي جلس وأقعده غيره، ذكر معناه الجوهري (خلاف رسول الله) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه منصوب على المصدر أي تخلفوا خلاف رسول الله والثاني: أنه مفعول من أجله أي فرحوا لأجل مخالفتهم رسول الله أو بقعودهم لمخالفتهم له، وإليه ذهب الطبري والزجاج، ويؤيده قراءة خلف بضم الخاء وسكون اللام والثالث أن ينتصب على الظرف أي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال أقام زيد خلاف القوم أي تخلف بعد ذهابهم، وخلاف أن يكون ظرفا، وإليه ذهب أبو عبيدة وعيسى بن عمر. قال الأخفش ويونس: الخلاف بمعنى الخلف، وذلك أن جهة الأمام التي يقصدها الإنسان تخالفها جهة الخلف، وقال قطرب: معنى خلاف رسول الله مخالفة الرسول. حين سار إلى تبوك وأقاموا أي قعدوا لأجل المخالفة أو مخالفين له (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) لكمال شحهم بالأموال والأنفس، وعد وجود باعث الإيمان وداعي الإخلاص، ووجود الصارف عن ذلك وهو ما هم فيه من النفاق، وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين لأموالهم." (٢)

"لأنهم أقسى قلوبا وأغلظ طباعا وأجفى قولا وأبعد عن سماع كتب الله وما جاءت به رسله وأوحش فعلا، ولأن نشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم.

وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى: (وكان الإنسان كفورا) إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا.

والأعراب هم من سكن البوادي بخلاف العرب فإنه عام لهذا النوع من بني آدم سواء سكنوا البوادي أو القرى، هكذا قال أهل اللغة، ولهذا قال سيبويه: إن الأعراب صيغة جمع وليست بصيغة جمع العرب، لئلا يلزم كون الجمع أخص من مفرده.

قال النيسابوري: قال أهل اللغة رجل عربي إذا كان نسبه إلى العرب ثابتا وجمعه عرب كالمجوسي والمجوس،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/٣٢٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/٣٥٩

واليهودي واليهود، فالأعرابي إذا قيل له يا **عربي فرح وإذا** قيل للعربي يا أعرابي غضب، وذلك أن من استوطن القرى العربية فهو عربي، ومن نزل البادية فهو أعرابي، ولهذا لا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب، وإنما هم عرب.

فإن قيل إنما سمي العرب عربا لأن أولاد إسماعيل عليه السلام نشؤوا بالعرب وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم.

وقيل. لأن ألسنتهم معربة عما في ضمائرهم ولما في لسانهم من الفصاحة والبلاغة انتهى.

وفي المصباح وأما الأعراب بالفتح فأهل البدو من العرب، الواحد أعرابي بالفتح أيضا وهو الذي يكون صاحب نجعة وارتياد للكلأ وزاد الأزهري: سواء كان من العرب أو من مواليهم، فمن نزل البادية وجاور البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء.." (١)

"المنزلة ثم أخبر ثالثا بانه بعد هذا الوعد الصادق لا بد من حصول الموعود به فإنه لا أحد أوفى بعهده من الله سبحانه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد، فإن إخلاف الوعد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان صدوره منهم، فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله، فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه أوفى بالعهد من كل واف.

ثم زادهم سرورا وحبورا فقال: (فاستبشروا ببيعكم) البشارة هي إظهار السرور وظهوره يكون في بشرة الوجه، ولذا يقال أسارير الوجه أي التي يظهر فيها السرور، والسين ليست للطلب كاستوقد وأوقد بل للمطاوعة وقد تقدم إيضاح هذا والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله، والمعنى أظهروا السرور وافرحوا **غاية الفرح بهذا** البيع.

(الذي بايعتم به) الله عز وجل فقد ربحتم فيه ربحا لم يربحه أحد من الناس إلا من فعل مثل فعلكم، وفيه التفات عن الغيبة تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور، وفيه زيادة تقرير بيعهم وإشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات، فإنه بيع للفاني بالباقي وكلا البدلين له سبحانه وتعالى.

والإشارة بقوله: (وذلك) إلى الجنة أو إلى نفمس المبيع الذي ربحوا فيه الجنة (هو الفوز العظيم) وصف الفوز وهو الظفر بالمطلوب بالعظيم يدل على أنه فوز لا فوز مثله، قال عمر بن الخطاب: إن الله بايعك وجعل الصفقتين لك، وقال الحسن: اسمعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن، وعنه أن الله أعطاك

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٧٧/٥

الدنيا فاشتر الجنة ببعضها، وقال قتادة: ثامنهم فأغلى لهم، وقال الصادق: ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها.." (١)

"سبب مستقل في الفرح، وأصل الكلام قل بفضل الله وبرحمته فيفرحوا ثم حذف هذا الفعل لدلالة الثاني عليه في قوله (فبذلك فليفرحوا) وقيل أن فرحوا بشيء فليخصوا فضل الله ورحمته بالفرح وهو اللذة في القلب بسبب إدراك المطلوب وتقديم الظرف على الفعل لإفادة الحصر والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا وفي هاتين الفائين أوجه ذكرها في الجمل.

وقد ذم الله **سبحانه الفرح في** مواطن كقوله (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) وجوزه في قوله (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وكما في هذه الآية وقيل التقدير جاءتكم موعظة بفضل الله ورحمته فبذلك أي فبمجيئهما فليفرحوا (هو خير) أي إن هذا خير لهم (مما يجمعون) من حطام الدنيا ولذاتها الفانية قرئ بالياء والتاء وهما سبعيتان.

ثم أشار سبحانه بقوله." (٢)

"(ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) والنعماء إنعام يظهر أثره على صاحبه؛ والضراء ظهور أثر الإضرار على من أصيب به، والمعنى أنه إن أذاق الله سبحانه العبد نعماءه من الصحة والسلامة والغنى بعد أن كان في ضر من فقر أو مرض أو خوف، لم يقابل ذلك بما يليق به من الشكر لله سبحانه، وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى.

(ليقولن) أي بل يقول (ذهب السيئات عني) أي المصائب التي ساءته من الضر والفقر والخوف والمرض عنه وزال أثرها غير شاكر لله ولا مثن عليه بنعمه (إنه لفرح فخور) أي **كثير الفرح بطرا** أو أشرا كثير الفخر على الناس بتعديد المناقب والتطاول عليهم بما يتفضل الله به عليه من النعم، والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى.

وفي التعبير عن ملابسة الضر له بالمس مناسبة للتعبير في جانب النعماء بالإذاقة فإن كليهما لأدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة كما تقدم.." (٣)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/٤٠٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦/٨٤

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦/١٤٨

"يقطعن ما يحتاج إلى التقطيع من الأطعمة قيل وكان من عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين وكانت تلك السكاكين خناجر وممكن أنها أرادت بذلك ما سيقع منهن من تقطيع أيديهن.

(وقالت) ليوسف (أخرج عليهن) أي في تلك الحالة التي هن عليها من الاتكاء والأكل وتقطيع ما يحتاج إلى التقطيع من الطعام (فلما رأينه أكبرنه) أي أعظمنه قال مجاهد: واحترمنه وهبنه ودهشن عند رؤيته من شدة جماله، وقيل أمنين وقيل أمذين ومنه قول الشاعر:

إذا ما رأين الفحل من فوق قلة ... صهلن وأكبرن المني المقطرا وقال الأزهري: أكبرن بمعنى حضن، والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة أي دخلت في الكبر بالحيض وقال ابن عباس: حضن من الفرح ووقع منهن ذلك دهشا وفزعا لما شاهدنه من جماله الفائق وحسنه الرائق، وأنكر ذلك أبو عبيدة وغيره، وقالوا ليس ذلك في كلام العرب، قال الزجاج: يقال أكبرنه ولا يقال حضنه فليس الإكبار بمعنى الحيض وأجاب الأزهري فقال: يجوز أن يكون هاء الوقف لا هاء الكناية.

وقد زيف هذا بأن هاء الوقف تسقط في الوصل، قاله ابن الأنباري: أن الهاء كناية عن مصدر الفعل أي أكبرن إكبارا بمعنى حضن حيضا وسمي الحيض إكبارا لكون البلوغ يعرف به كأنه يدخلهم سن الكبر فيكون في الأصل كناية أو مجازا، وهذا منقول عن قتادة والسدي.

قال الرازي: وعندي أنه يحتمل وجها آخر هو أنهن إنما أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وشاهدن فيه مهابة ملكية، وهي عدم الالتفات إلى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وأعظمنه، وحمل الآية على هذا أولى اهـ.

(وقطعن أيديهن) أي جرحنها حتى سال الدم وليس المراد به القطع الذي تبين من اليد بل المراد به الخدش والحز وذلك معروف في اللغة كما قال النحاس:." (١)

"البكاء قيل أنه زال إدراكه بحاسة البصر بالمرة، قال مقاتل: لم يبصر شيئا ست سنين، والتزمه بعضهم بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ.

وقيل كان يدرك إدراكا ضعيفا، قال بعض أهل اللغة الحزن بالضم والسكون البكاء وبفتحتين ضد الفرح، وقال أكثر أهل اللغة هما لغتان بمعنى، والبكاء بالمد رفع الصوت وبالقصر نزول الدمع من غير صوت وهو المناسب هنا وهو أحد قولين والذي جرى عليه المصباح والقاموس أنه لا فرق بينهما في أن كلا يستعمل في كليهما.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦/٣٢٥

وقد قيل في توجيه ما وقع من يعقوب عليه السلام من هذا الحزن العظيم المفضي إلى ذهاب بصره كلا أو بعضا أنه إنما وقع منه ذلك لأنه علم أن يوسف عليه السلام حي فخاف على دينه مع كونه بأرض مصر وأهلها حيئنذ كفار، وقيل أن مجرد الحزن ليس بمحرم وإنما المحرم ما يفضي منه إلى الوله وشق الثياب والتكلم بما لا ينبغي.

قال أبو السعود: وفيه دليل على جواز الـتأسف والبكاء عند النوائب فإن الكف من ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم وقال: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون انتهى.

ويؤيد هذا قوله (فهو كظيم) أي مكظوم فإن معناه أنه مملوء من الحزن ممسك له لا يبثه ومنه كظم الغيظ وهو إخفاؤه فالمكظوم المسدود عليه طريق حزنه من كظم السقاء إذا سده على ما فيه والكظم بالفتح مخرج النفس، يقال أخذ بأكظامه، وقيل الكظيم بمعنى الكاظم أي المشتمل على حزنه الممسك له ومنه والكاظمين الغيظ.." (١)

"(الله يبسط الرزق) أي يوسعه (لمن يشاء) أي لمن كان كافرا استدراجا (ويقدر) أي ويقتره على من كان مؤمنا إبتلاء وامتحانا وتكفيرا لذنوبه ولا يدل البسط على الكرامة، ولا القبض على الإهانة، ومعنى يقدر يضيق، ومنه ومن قدر عليه رزقه، أي ضيق، وقيل معنى يقدر يعطي بقدر الكفاية، وقرأ السبعة يقدر بكسر الدال وهو أفصح، واستعمل بالضم أيضا على ما في المصباح، ومعنى الآية إنه الفاعل لذلك وحده القادر عليه دون غيره.

(وفرحوا) أي مشركو مكة (بالحياة **الدنيا) فرح بطر** **لا فرح سرور** والفرح لذة تحصل في القلب عند حصول المشتهى وجهلوا ما عند الله، والجملة مستأنفة لبيان قبح أفعالهم مع ما وسعه عليهم، وفيه دليل على **أن الفرح بالدنيا** والركون إليها حرام.

قيل وفي هذه الآية تقديم وتأخير، والتقدير ويفسدون في الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا، والأولى أولى لأنه ماض وما قبله مستقبل، وقيل العطف على ينقضون ولا يصح لأنه يستلزم تخلل الفاصل بين أبعاض الصلة.

(وما الحياة الدنيا في الآخرة) أي بالنسبة إليها وفي جنبها ففي هنا." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٨٧/٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥١/٧

"(الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره جملة (طوبى لهم) وجاز الابتداء بطوبى إما لأنها علم لشيء بعينه وإما لأنها نكرة في معنى الدعاء كسلام عليك وويل له، قال أبو عبيدة والزجاج: وأهل اللغة طوبى فعلى من الطيب فهو يائي وأصله طيبي، قال ابن الأنباري: وتأويلها الحال المستطابة، وقيل طوبى شجرة في الجنة. وقيل هي الجنة وقيل هي البستان بلغة الهند وقيل هي اسم الجنة بالحبشية وقيل معناه حسنى لهم وقيل خير لهم وقيل كرامة لهم وقيل غبطة لهم قال النحاس: وهذه الأقوال متقاربة، واللام في لهم للبيان مثل سقيا لك ورعيا لك.

قال الأزهري: تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقيل هو مصدر من طاب كبشرى ورجعى وزلفى فالمصدر قد يجيء على وزن فعلى ومعناه أصبت خيرا وطيبا، وقيل هي شجرة في جنة عدن تظلل الجنان كلها، وقال ابن عباس: طوبى **لهم فرح لهم** وقرة أعين، وقال عكرمة: نعمى لهم، وقد روي عن جماعة من السلف نحو ما قدمنا ذكره من الأقوال.

والأرجح تفسير الآية بما روي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرجه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن عتبة بن عبد قال: جاء إعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله في الجنة فاكهة قال: " نعم فيها شجرة تدعى طوبى " الحديث.." [١]

"(والذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والإنجيل (يفرحون بما أنزل إليك) يا محمد وهم أهل الكتابين مطلقا أو من أسلم منهم لكون ذلك موافقا لما في كتبهم مصدقا له.

وعلى الأخير يكون المراد بقوله (ومن الأحزاب من ينكر بعضه) من لم يسلم من اليهود والنصارى، وعلى الأول يكون المراد به المشركين من أهل مكة ومن يماثلهم أو يكون المراد به بعض أهل الكتابين أي من أحزابهما، فإنهم أنكروه لما اشتمل عليه من كونه ناسخا لشرائعهم **فيتوجه فرح من** فرح به منهم إلى ما هو موافق لما في الكتابين، وإنكار من أنكر منهم إلى ما خالفهما.

وقيل المراد بالكتاب القرآن والمراد بمن يفرح به المسلمون والمراد." [٢]

"بالأحزاب المتحزبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين واليهود والنصارى، والمراد بالبعض الذي أنكروه ما خالف ما يعتقدونه على اختلاف اعتقادهم.

واعترض على هذا **بأن فرح المسلمين** بنزول القرآن معلوم فلا فائدة في ذكره واجيب عنه بأن المراد **زيادة**

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧/٥٥

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧/٦٥

الفرح والاستبشار بما يتجدد من الأحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت، وقال كثير من المفسرين إن عبد الله بن سلام والذين آمنوا معه من أهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فأنزل الله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) ففرحوا بذلك.

قال قتادة: الذين يفرحون أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فرحوا بكتاب الله وصدقوا به وبرسله، والأحزاب اليهود والنصارى والمجوس، وقال ابن زيد: هؤلاء من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب يفرحون بذلك ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به.

ثم لما بين ما يحصل بنزول القرآن **من الفرح للبعض** والإنكار للبعض صرح بما عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمره أن يقول لهم ذلك فقال (قل إنما أمرت أن أعبد الله) وحده (ولا أشرك به) بوجه من الوجوه أي قل لهم يا محمد ذلك إلزاما للحجة وردا للإنكار إنما أمرت فيما أنزل إلي بعبادة الله وتوحيده وهذا أمر اتفقت عليه الشرائع وتطابقت على عدم إنكاره جميع الملل المقتدية بالرسل.

(إليه) أي إلى الله لا إلى غيره (أدعو) أو إلى ما أجمرت به وهو عبادة الله وحده والأول أولى لقوله (وإليه مآب) فإن الضمير لله سبحانه أي إليه وحده لا إلى غيره مرجعي يوم القيامة للجزاء، قال قتادة: إليه مصير كل عبد.." (١)

"(وجاء أهل المدينة) أي أهل مدينة قوم لوط وهي سذوم بسين مهملة فذال معجمة على وزن فعول، وأخطأ من قال بمهملة مدينة من مدائن قوم لوط كما سبق وتقدم أن هذا المجيء قبل قول الملائكة (فأسر بأهلك) فما في سورة هود على الترتيب الواقعي، وما هنا على خلافه، والواو لا تفيد ترتيبا.

قال الكرخي: ذكر القصة في هود بترتيب الوقوع، وهنا أخر ذكر مجيئهم عن قول الرسل، بل جئناك مع تقدمه ليستقل الأول ببيان كيفية نصرة الصابرين، والثاني بتساوي الأمم (يستبشرون) أي مستبشرين بأضياف لوط طمعا في ارتكاب الفاحشة منهم، والاستبشار **إظهار الفرح والسرور**.." (٢)

"(ولا تمش في الأرض مرحا) قيل وهو شدة الفرح، وقيل التكبر في المشي وقيل تجاوز الإنسان قدره وقيل الخيلاء في المشي، وقيل البطر والأشر؛ وقيل النشاط والظاهر أن المراد به الخيلاء والفخر، قال الزجاج في تفسير الآية: لا تمش في الأرض مختالا فخورا، وذكر الأرض مع أن المشي لا يكون إلا عليها أو على ما هو معتمد عليها تأكيدا وتقريرا ولقد أحسن من قال:

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦٦/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٣/٧

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا ... فكم تحتها قوم هم منك أرفع

وإن كنت في عز وحرز ومنعة ... فكم مات من قوم هم منك أمنع

والمرح مصدر وقع حالا أي ذا مرح أي مارحا متلبسا بالكبر والخيلاء وفي وضع المصدر موضع الصفة نوع تأكيد وقرئ مرحا بفتح الراء ومرحا بكسرها على أنه اسم فاعل.

ثم علل سبحانه هذا النهي فقال (إنك لن تخرق الأرض) يقال خرق الثوب أي شقه وخرق الأرض قطعها، والخرق الواسع من الأرض، والمعنى إنك لن تخرق الأرض بمشيك عليها تكبرا حتى تبلغ آخرها، وفيه تهكم بالمختال المتكبر، وقيل المراد بخرق الأرض نقبها لا قطعها بالمسافة، وقال الأزهري: خرقها قطعها قال النحاس: وهذا بين كأنه مأخوذ من الخرق وهو الفتحة الواسعة، ويقال فلان أخرق من فلان أي أكثر سفرا.." (١)

"(فكلي) من ذلك الرطب (واشربي) من ذلك الماء أو من عصير الرطب وقدم الأكل مع أن ذكر النهر مقدم على الرطب لأن احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء.

ثم قال: (وقري عينا) قرأ الجمهور، بفتح القاف، وقرئ بكسرها، قال ابن جرير: هي لغة نجد، والمعنى طيبي نفسا وارفضي عنك الحزن وهو مأخوذ من القر والقرة وهما البرد، والمسرور بارد القلب ساكن الجوارح، وذلك أن العين **إذا فرح صاحبها** كان دمعها قارا أي باردا وإذا حزن كان دمعها حارا، ولذلك قالوا في الدعاء عليه: أسخن الله عينه.

وقيل: المعنى وقري عينا برؤية الولد الموهوب لك، وقال الشيباني: معناه نامي، قال أبو عمرو: أقر الله عينه أي أنام عينه، وأذهب سهره، وقيل مأخوذ من الاستقرار أي أعطاها الله ما يسكن عينها، فلا تطمح إلى غيره.

(فإما ترين) أصله ترأيين مثل تسمعين (من البشر أحدا فقولي) أي إن طلب منك الكلام أحد من الناس فقولي، وبهذا المقدر يتخلص من إشكال وهو أن قولها فلن أكلم اليوم إنسيا، كلام فيكون ذلك تناقضا لأنها قد." (٢)

"(وتنحتون في الجبال بيوتا فارهين) النحت النجر والبري؛ نحته ينحته بالكسر، براه والنحاته البراية، والمنحت ما ينحت به؛ وكانوا ينحتون بيوتهم من الجبال، لما طالت أعمارهم وتهدم بناؤهم من المدر، فإن

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٩٢/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٥٣/٨

السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم، وفي الخطيب، وكان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة إلى ألف سنة، وكذا كان قوم هود.

وقرئ (فرهين) قال أبو عبيد وغيره وهما بمعنى واحد، والفره النشاط وشدة الفرح، وفرق بينهما أبو عبيد وغيره فقالوا فارهين حاذقين بنحتها، قاله ابن عباس، وقيل: متجبرين، وفرهين بطرين أشرين؛ وبه قال مجاهد وابن عباس وغيره، وقيل: شرهين. وقال الضحاك: كيسين. وقال قتادة: معجبين ناعمين آمنين، وبه قال الحسن. وقيل: فرحين، قاله الأخفش. وقال ابن زيد: أقوياء." (١)

"بالذكر ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ، والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغير، ولأن القلب هو المخاطب في الحقيقة، لأنه موضع التمييز والعقل والاختبار، وسائر الأعضاء مسخرة له.

ويدل عليه القرآن والحديث والمعقول أما القرآن فقوله تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) والحديث قوله – صلى الله عليه وسلم – ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب أخرجاه في الصحيحين. وأما المعقول فإن القلب إذا غشى عليه، وقطع سائر الأعضاء لم يحصل له شعور، وأذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات، وعبارة الخازن، ومن المعقول أن **موضع الفرح والسرور**، والغم والحزن، هو القلب، **فإذا فرح القلب** أو حزن يتغير حال سائر الأعضاء، فكان القلب كالرئيس لها، ومنه: إن موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين، فإذا ثبت ذلك كان القلب هو الأمير المطلق، وهو المكلف لأن التكليف مشروط بالعقل والفهم انتهى.

(لتكون من المنذرين) علة للإنزال أي: أنزله عليك لتنذرهم بما تضمنه من التحذيرات والإنذارات والعقوبات." (٢)

"(فلما جاء) رسولها المرسل بالهدية وهو منذر بن عمرو، والمراد بهذا المضمر الجنس فلا ينافي كونهم جماعة كما يدل عليه قولها: بم يرجع المرسلون. وقرئ فلما جاءوا أي: الرسل (سليمان قال أتمدونن بمال)؟ مستأنفة والاستفهام للإنكار أي: قال منكرا لإمدادهم له بالمال، مع علو سلطانه، وكثرة ماله.

(فما آتاني الله) من النبوة والعلم والملك العظيم والأموال الكثيرة (خير مما آتاكم) من المال الذي هذه الهدية من جملته، وهذا تعليل للنفي، ثم إنه أضرب عن الإنكار المتقدم، فقال توبيخا لهم بفرحهم بهذه

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٠٧/٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤١٨/٩

الهدية فرح فخر وخيلاء:

(بل أنتم بهديتكم تفرحون) وأما أنا فلا أفرح بها وليست في الدنيا من حاجتي لأن الله سبحانه قد أعطاني منها ما لم يعطه أحدا من العالمين، ومع ذلك أكرمني بالنبوة والمراد بهذا الإضراب من سليمان بيان السبب الحامل لهم على الهدية مع الإزراء بهم، والحط عليهم، ثم قال سليمان للرسول:." (١)

"البؤس، وذهبت به، وأذهبته، وجئت به، وأجأته ونؤت به، وأنأوته، اختار هذا النحاس، وبه قال كثير من السلف.

وقيل: هو مأخوذ من النأي، وهو البعد وهو بعيد. وقرئ لينوء بالتحتية أي لينوء الواحد منها، أو المذكور فحمل على المعنى أو التقدير حملها، أو ثقلها، وقيل الضمير في مفاتحه لقارون، فاكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير، كقولهم: ذهبت أهل اليمامة قاله الزمخشري، والمراد بالعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض، قيل: هي من الثلاثة إلى العشرة، وقيل من العشرة إلى الخمسة عشر، وقيل: ما بين العشرة إلى العشرين وقيل: من الخمسة إلى العشرة. وقيل: أربعون، وقيل: سبعون وقيل: غير ذلك. قال ابن عباس لا ترفعها العصبة من الرجال أولي القوة، والعصبة أربعون رجلا.

(إذ قال له قومه لا تفرح) أي اذكر، والمراد بقومه هنا: هم المؤمنون من بني إسرائيل. وقال الفراء: هو موسى، وهو جمع أريد به الواحد، والمعنى لا تبطر، ولا تأشر، ولا تمرح بكثرة المال.

(إن الله لا يحب الفرحين) البطرين الأشرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، قال الزجاج: المعنى لا تفرح بالمال **فإن الفرح بالمال** لا يؤدي حقه. وقيل: المعنى لا تفسد، قال الزجاج: الفرحين والفارحين سواء، وقال الفراء: معنى الفرحين الذين هم في حال الفرح، والفارحين الذين يفرحون في المستقبل، وقال مجاهد: معنى لا تفرح لا تبغ، والفرحين الباغين. وقيل: معناه لا تبخل إن الله لا يحب الباخلين، وقال ابن عباس الفرحين المرحين، قيل: إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن، وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه يتركها عن قريب فلا يفرح بها.." (٢)

"(وإذا أذقنا الناس) أي كفار مكة وغيرهم (رحمة) أي خصبا ومطرا؛ ونعمة وسعة وصحة وعافية (فرحوا **بها) فرح بطر** وأشر، **لا فرح شكر** بها وابتهاج بوصولها إليهم، كما دل عليه قوله: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) ثم قال سبحانه:

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠/٤٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠/١٤٩

(وإن تصيبهم سيئة) أي بلاء من جدب، أو ضيق، أو مرض أو شدة على أي صفة (بما قدمت أيديهم) أي بسبب شؤم ذنوبهم (إذا هم يقنطون) القنوط الإياس من الرحمة، كذا قال الجمهور؛ وقال الحسن: القنوط ترك فرائض الله سبحانه؛ وقرئ يقنطون بفتح النون وبكسرها؛ وهما سبعيتان، وبابه ضرب وتعب؛ والمعنى إذا هم ييأسون، وهذا خلاف وصف المؤمنين؛ فإن من شأنهم أن يشكروا عند النعمة؛ ويرجوا ربهم عند الشدة أو يقال: الدعاء اللساني بناء على مجرد العادة لا ينافي القنوط القلبي، وقد يشاهد مثل ذلك في كثير من الناس، فلا يخالف هذا قوله: (دعوا ربهم منيبين إليه) أو المراد يفعلون فعل القانطين، كالاهتمام بجمع الذخائر أيام الغلاء، قاله الكرخي.." (١)

"وأرضهم (إذا هم يستبشرون) إذا هي الفجائية أي: فاجأوا الاستبشار بمجيء المطر والخصب، والاستبشار: الفرح.." (٢)

"طلقها زيد. قال الخازن: وهذا قول حسن مرضي، وكم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع، وحلال مطلق، لا مقال فيه ولا عيب عند الله، وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين، وهو إنما جعل طلاق زيد لها وتزويج النبي - صلى الله عليه وسلم - إياها؛ لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال تعالى: (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم).

(فلما قضى زيد منها وطرا) قضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء يقال قضى وطرا منه إذا بلغ ما أراد من حاجته فيه، والمراد هنا أنه قضى وطره منها بنكاحها والدخول بها بحيث لم يبق له فيها حاجة، وتقاصرت عنه همته وطابت عنها نفسه. وقيل المراد به الطلاق لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة. وقال المبرد: الوطر الشهوة والمحبة.

وقال أبو عبيدة الوطر الأرب والحاجة. قال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي: كان يقال زيد بن محمد: حتى نزل " أدعوهم لآبائهم " فقال: أنا زيد بن حارثة وحرم عليه أنا زيد بن محمد: فلما نزع هذا الشرف وهذا الفخر منه، وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يختص بها أحد من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أنه سماه في القرآن أي في هذه الآية، فذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم، حتى صار اسمه قرآنا يتلى في المحاريب، ونوه به غاية التنويه، فكان في هذا تأنيس له

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٥١/١٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٦٣/١٠

وعوض من الفخر بأبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –، ألا ترى إلى قول أبي بن كعب؟ حين قال له النبي (– صلى الله عليه وسلم –) " إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا فبكى " وقال: أذكرت هنالك، وكان بكاؤه **من الفرح –** حيث إن الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلدا لا يبلى؟ يتلوه أهل الدنيا إذا قرأوا القرآن، وأهل الجنة كذلك أبدا لا يزال على ألسنة المؤمنين، كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين، إذ القرآن كلام الله القديم، وهو باق لا يبيد. فاسم زيد في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة يذكره في تلاوتهم السفرة الكرام البررة، وليس ذلك لاسم من اسماء المؤمنين إلا لنبي من." (١)

"(ذلكم) أي ذلك الإضلال المدلول عليه بالفعل أو العذاب (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) أي تظهرون في الدنيا. **من الفرح بمعاصي** الله، والسرور بمخالفة رسله وكتبه، وقيل: بما كنتم تفرحون به من المال والأتباع والصحة، وقيل: من إنكار البعث والعذاب، وقيل: المراد بالفرح هنا البطر والتكبر (وبما كنتم تمرحون) المراد بالمرح الزيادة في البطر، وقال مجاهد وغيره: تبطرون وتأشرون، وقال **الضحاك: الفرح السرور**. والمرح العدوان وقال مقاتل: المرح البطر والخيلاء وقيل المرح أشد من الفرح.." (٢)

"(فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج الواضحات، والمعجزات الظاهرات (فرحوا بما عندهم من العلم) أي أظهر **الكفار الفرح بما** عندهم مما يدعون أنه من العلم، من الشبه الداحضة، والدعاوى الزائغة، والفنون الفاسدة، والعلوم الكاسدة، وسماه علما تهكما بهم، أو." (٣)

"على ما يعتقدونه، وقال مجاهد: قالوا نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث، وقيل المراد من العلم علم أحوال الدنيا لا الدين كما في قوله:
(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) قال النسفي: أو علم الفلاسفة والدهريين، فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم، وعن سقراط أنه سمع بموسى وقيل له لو هاجرت إليه؟ فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا، أو المراد فرحوا بما عند الرسل من **العلم فرح ضحك** واستهزاء به، كأنه قال: استهزأوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي، فرحين مرحين، انتهى: وقيل: الذين فرحوا بما عندهم من العلم هم الرسل، وذلك أنهم لما كذبهم قومهم وأعلمهم الله بأنه مهلك الكافرين ومنجى المؤمنين،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩٦/١١
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٤/١٢
(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٨/١٢

ففرحوا بذلك.

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي أحاط بهم جزاء استهزائهم." (١)

"ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل (٤٤) وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)." (٢)

"(فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) أي حافظا تحفظ أعمالهم الصادرة عنهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكلا بهم رقيبا عليهم، لتقهرهم على امتثال ما أرسلناك به.

(إن) أي ما (عليك إلا البلاغ) لما أمرت بإبلاغه وليس عليك غير ذلك، وهذا منسوخ بآية السيف، لأنه قبل الأمر بالجهاد (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة) أي إذا أعطيناه رخاء وصحة وغنى (فرح بها) بطرا ونعم الدنيا وإن كانت عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى سعادة الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلهذا سمى الإنعام إذاقة، والمراد بالإنسان الجنس ولهذا قال:

(وإن تصبهم سيئة) أي بلاء وشدة ومرض وفقر (بما قدمت أيديهم) من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها (فإن الإنسان كفور) أي كثير الكفر بما أنعم به عليه من نعمه غير شكور له عليها، وهذا باعتبار غالب جنس الإنسان، ولم يقل: فإنه كفور، بل وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم، كما قال (إن." (٣)

"(فاستخف قومه) أي حملهم على خفة الجهل والسفه، بقوله وكيده، واستفزهم بالقول، واستزلهم وعمل فيهم كلامه، وقيل: طلب منهم الخفة في الطاعة وهي الإسراع، قال ابن الأعرابي المعنى فاستجهل قومه فأطاعوه لخفة أحلامهم، وقلة عقولهم، فقال استخفه الفرح، أي أزعجه، استخفه أي حمله، ومنه (ولا

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٩/١٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١٦/١٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١٨/١٢

يستخفنك الذين لا يوقنون)، وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه وعزروه وقيل استخف قومه أي وجدهم خفاف العقول، فصيغة الاستفعال للوجدان، وفي نسبته إلى القوم تجوز.

(فأطاعوه) فيما أمرهم به وقبلوا قوله وكذبوا موسى (إنهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله.." (١)

"" وحكي عن أبي موسى الأشعري: أنه لما نزلت هذه **الآية فرح بها** رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب إلي من الدنيا " والله أعلم ولينظر في سنده.

(ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن الإيمان والتقوى، بل مطيعين له عز وجل، قال ابن جرير في البخل بالإنفاق في سبيل الله، وكلمة ثم للدلالة على أن مدخولها مما يستبعده المخاطبون لتقارب الناس في الأحوال واشتراكهم في الميل إلى المال.." (٢)

"(وأنه هو أضحك وأبكى) أي هو الخالق لذلك، والقاضي بسببه: قال الحسن والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار، وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر، وقيل أضحك من شاء في الدنيا بأن سره، وأبكى من شاء بأن غمه.

وهذا على أن كلا من الفعلين حذف مفعوله، وقال سهل بن عبد الله: أضحك المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط، وقيل: أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب، وأبكاهم في الدنيا بالنوائب، وقيل: **خلق الفرح والحزن**، وقيل: إن الفعلين من الأفعال اللازمة كقوله: الله يحيي ويميت، وهذا يدل على أن ما يعمل الإنسان فبقضائه وخلقه، حتى الضحك والبكاء.." (٣)

"(فروح وريحان) قرأ الجمهور (روح) بفتح الراء ومعناه الراحة من الدنيا والإستراحة من أحوالها، وقال مجاهد: الروح الفرح، وقرىء بضم الراء ومعناه الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم وبه قال الحسن، وفي القاموس: الروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح، والريحان الرزق في الجنة، قاله مجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل، وقال: هو الرزق بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه، وقال قتادة: إنه الجنة.

وقال الضحاك: هو الرحمة، وقال الحسن: هو الريحان المعروف الذي يشم قال قتادة والربيع ابن خيثم: هذا عند الموت، والجنة مخبوءة له إلى أن يبعث، وكذا قال أبو الجوزاء وأبو العالية.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٦٣/١٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨٢/١٣

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٧٤/١٣

(وجنت نعيم) يعني: أنها ذات تنعم، قال ابن عباس: أي مغفرة ورحمة وترسم جنة هنا مجرورة التاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير والكسائي وغيرهما، والباقون بالتاء على الرسم وهل الجواب لـ (أما) أو لـ (إن) أو لهما أقوال ومعنى (أما) عند أبي إسحق الخروج من شيء إلى شيء، أي: دع ما كنا فيه وخذ في غيره، وعلى هذا الجواب لإن فقط، لأن أما ليست شرطا، ورجح بعضهم أن جواب لأما، لأن (إن) كثر حذف جوابها منفردة، فادعاء." (١)

"فليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن ينبغي أن **يكون الفرح شكرا**، والحزن صبرا، وإنما يلزم من الحزن الجزع المنافي للصبر، **ومن الفرح الأشر** المطغي الملهي عن الشكر، كما قال ابن عباس: ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة جعلها صبرا، ومن أصابه خير جعله شكرا، وعنه قال: يريد مصائب المعاش، ولا يريد مصائب الدين، أمرهم أن يأسوا على السيئة ويفرحوا بالحسنة، قال جعفر بن الصادق رضي الله تعالى عنه: يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرد إليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت.

(والله لا يحب كل مختال فخور) أي لا يحب من اتصف بهاتين الصفتين وهما الاختيال والافتخار، قيل: هو ذم للفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر، وقيل: إن **من فرح بالحظوظ** الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها، وقيل: المختال الذي ينظر إلى نفسه، والفخور الذي ينظر إلى الناس بعين الإستحقار، والأولى تفسير هاتين الصفتين بمعناهما الشرعي ثم اللغوي فمن حصلتا فيه فهو الذي لا يحبه الله.." (٢)

"وبعد مداها أو لطول يوم القيامة باعتبار ما فيه من الشدائد والمكاره كما تصف العرب أيام الشدة بالطول، **وأيام الفرح بالقصر**. ويشبهون اليوم القصير بإبهام القطاة، والطويل بظل الرمح، وحينئذ لا تنافي بين هذه الآية وبين آية السجدة (في يوم كان مقداره ألف سنة) لأنه أيضا مسوق على سبيل التشديد على الكافرين.

وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه، وقال ابن عباس: في الآية منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سموات مقدار خمسين ألف سنة.

وقوله (في يوم كان مقداره ألف سنة) قال يعني ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣/٣٨٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣/٤٢٠

في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وعنه قال غلظ كل أرض خمسمائة عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام، فذلك أربعة عشر ألف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله: (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة).

وعنه في قوله: (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قال هذا في الدنيا تعرج الملائكة في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون، وفي قوله: (مقداره خمسين ألف سنة) فهذا يوم القيامة جعله الله سبحانه على الكافرين خمسين ألف سنة، وعنه قال لو قدرتموه لكان خمسين ألف سنة من أيامكم يعني يوم القيامة.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال: " والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن." (١)

"(قل إن) أي ما (أدري أقريب) حصول (ما توعدون) من العذاب أو يوم القيامة أي فيكون واقعا الآن أو قريبا من هذا الأوان بحيث يتوقع عن قريب (أم يجعل له ربي أمدا) أي غاية ومدة فلا يتوقع دون ذلك الأمد، أمره الله سبحانه أن يقول لهم هذا القول لما قالوا له متى يكون هذا الذي توعدنا به، ولا يقال إنه صلى الله عليه وسلم قال " بعثت أنا والساعة كهاتين " (١) فكان عالما بقرب وقوع القيامة، فكيف قال ههنا لا أدري أقريب الخ لأن المراد بقرب وقوعه الذي علمه هو أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى، فهذا القدر من القرب معلوم، وأما معرفة مقدار القرب فغير معلوم لا يعلمه إلا الله، وهو على كل حال متوقع لا كلام فيه، وإنما الكلام في تعيين وقته وليس إليه صلى الله عليه وآله وسلم، قال عطاء: يريد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله سبحانه وحده، والمعنى أن علم وقت العذاب علم غيب لا يعلمه إلا الله (٢).

ـــــــــــــ

(١) قال ابن كثير: وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب، وقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل عن وقت الساعة، فلا يجيب عنها، ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي، كان فيما سأله أن قال: يا محمد: فأخبرني عن الساعة؟ قال: " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد متى الساعة؟ قال: " ويحك إنها كائنة فما أعددت لها؟ " قال: أما إني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام. ولكني أحب الله ورسوله، قال: " فأنت مع من أحببت "

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١٠/١٤

قال أنس: **فما فرح المسلمون** بشيء فرحهم بهذا الحديث.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٨٥.." [١]

"" صفحة رقم ٤٤٣ "

حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل كما حكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم **حال فرح وسرور** ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فإنه لا يدع الإحسان وافتتح بذكر الانفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الاخلاص ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين

كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا وعن النبي (صلى الله عليه وسلم)

٢٠٧ (من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا)

وعن عائشة رضي الرله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء

) والعافين عن الناس (

اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي

٢٠٨ (ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا)

وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي (صلى الله عليه وسلم)

٢٠٩ (إن هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التى مضت)." [٢]

"" صفحة رقم ٤٨٠ "

فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب

ومعنى

) فرحين (

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤/٣٦٨

(٢) تفسير الكشاف . ، ١/٤٤٣

بما أوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من إظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون اليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر

ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي بحسنه فيفرح **بها فرح إعجاب**

ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه

آل عمران ١8٩ - ١٩١

آل عمران : (١٨٩ - ١٩١) ولله ملك السماوات . . . . .

) ولله ملك السماوات والأرض (

فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم

) لآيات (لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته

) لأولي الألباب (

للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار

ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر

وعن ابن عمر رضي الله عنهما

٢٣٦ قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني بأعجب ما رأيت من." (١)

"" صفحة رقم ٢٤ "

يزيدوا **على الفرح والبطر** ، من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار) أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (واجمون ، متحسرون آيسون) فقطع دابر القوم (آخرهم لم يترك منهم أحد ، قد استؤصلت شأفتهم) والحمد لله رب العالمين (إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة ، وأنه من أجل النعم وأجزل القسم .

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤٨٠/١

وقرىء :) فتحنا (بالتشديد .

) قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إلاه غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الا يات ثم هم يصدفون (٧)

الأنعام : (٤٦) قل أرأيتم إن . . . . .

) إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم (بأن يصمكم ويعميكم) وختم على قلوبكم (بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم) يأتيكم به (أي يأتيكم بذلك ، إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه) يصدفون (يعرضون عن الآيات بعد ظهورها .

) قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون (

الأنعام : (٤٧) قل أرأيتكم إن . . . . .

لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته ، قيل :) بغتة أو جهرة (وعن الحسن : ليلا أو نهارا . وقرىء : (بغتة أو جهرة)) هل يهلك (أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون . وقرىء : هل يهلك) بفتح الياء .

) وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن ءامن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٧)

الأنعام : (٤٨) وما نرسل المرسلين . . . . .

) مبشرين ومنذرين (من آمن بهم وبما جاؤا به وأطاعهم ، ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة) وأصلح (ما يجب عليه إصلاحه مما كلف .

) والذين كذبوا بأاياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون (٧)

الأنعام : (٤٩) والذين كذبوا بآياتنا . . . . .

جعل العذاب ماسا ، كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام . ومنه قولهم : لقيت منه." (١)

"" صفحة رقم ٢٨١ "

يستغفر لأبيه في مرضه ففعل ، فنزلت ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين) فنزلت :) سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ((المنافقون : ٦) وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر ، كأنه قيل : لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، وإن فيه معنى الشرط ، وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر ، والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٢٤/٢

للتكثير ، قال علي بن أبي طالب عليه السلام : لاصبحن العاص وابن العاصي

سبعين ألفا عاقدي النواصي

فإن قلت : كيف خفي على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته ، والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار ، كيف وقد تلاه بقوله :) ذالك بأنهم كفروا (. . . الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال : (قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين) قلت : لم يخف عليه ذلك ، ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه ، كقول إبراهيم عليه السلام) ومن عصانى فإنك غفور رحيم ((إبراهيم : ٣٦) وفي إظهار النبي (صلى الله عليه وسلم) الرأفة والرحمة : لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض .

) **فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (

التوبة : (٨١) **فرح المخلفون** بمقعدهم . . . . .

) المخلفون (الذين استأذنوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من المنافقين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك ، أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان) بمقعدهم (بقعودهم." [١]

"" صفحة رقم ٣٦٢ "

) العذاب (عذاب الآخرة . وقيل عذاب يوم بدر . وعن ابن عباس : قتل جبريل المستهزئين) إلى أمة (إلى جماعة من الأوقات) ما يحبسه (ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء . و) يوم يأتيهم (منصوب بخبر ليس ، ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس ، وذلك أنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها ، كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها ؛ إذ المعمول تابع للعامل ، فلا يقع إلا حيث يقع العامل) وحاق بهم (وأحاط بهم) ما كانوا به يستهزءون (العذاب الذي كانوا به يستعجلون . وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون ؛ لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء . والمعنى : ويحيق بهم إلا أنه جاء على عادة الله في أخباره .

) ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعمآء بعد ضرآء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولائك لهم مغفرة وأجر كبير (

هود : (٩ - ١١) ولئن أذقنا الإنسان . . . . .

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٢٨١/٢

) الإنسان (للجنس) رحمة (نعمة من صحة وأمن وجدة) ثم نزعناها منه (ثم سلبنا تلك النعمة) أنه (شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة . قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع) ليئوس كفور (عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له) ذهب السيئات عني (أي المصائب التي ساءتني) إنه لفرح (أشر بطر) فخور (على الناس بما أذاقه الله من نعمائه ، قد **شغله الفرح والفخر** عن الشكر) إلا الذين (آمنوا ، فإن عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا ، وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا .

) فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضآئق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جآء معه ملك إنمآ أنت نذير والله على كل شيء وكيل (

هود : (١٢) فلعلك تارك بعض . . . . .

كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا ، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم . ومن اقتراحاتهم) لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك (وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات ، فكان يضيق صدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يلقى إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه ، فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله :) فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك (أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به) وضائق به صدرك (بأن تتلوه عليهم) أن يقولوا (مخافة أن يقولوا :) لولا أنزل عليه كنز (أي هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ، ثم قال :) إنما أنت نذير (أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم." (١)

"" صفحة رقم ٤٦٩ "

وجد سبعين ثكلى . قال : (فما كان له من الأجر) ؟ قال : أجر مائة شهيد ، وما ساء ظنه بالله ساعة قط .

فإن قلت : كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ ؟ قلت : الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ، ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن ، ولقد (٥٥٦) بكى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ولده إبراهيم وقال : (القلب يجزع ، والعين تدمع ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون) وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٣٦٢/٢

الصياح والنياحة ، ولطم الصدور والوجوه ، وتمزيق الثياب . وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) .
(٥٥٧) أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه ، فقيل : يا رسول الله ، تبكي وقد نهيتنا عن البكاء ؟ فقال : ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين : صوت عند الفرح ، وصوت عند الترح : وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره ، فقيل له." (١)

"" صفحة رقم ٤٩٧ "

رزق أهل مكة ووسعه عليهم) وفرحوا (بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لافرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة ، وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب ، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك .

) ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه ءاية من ربه قل إن الله يضل من يشآء ويهدى إليه من أناب الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مأاب (

الرعد : (٢٧) ويقول الذين كفروا . . . . .

فإن قلت : كيف طابق قولهم) لولا أنزل عليه ءاية من ربه (قوله :) قل إن الله يضل من يشاء (؟ قلت : هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم ، وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يؤتها نبي قبله ، وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية ، فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط ، كان موضعا للتعجب والاستنكار ، فكأنه قيل لهم : ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم : إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر ، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية) ويهدى إليه من (كان على خلاف صفتكم) أناب (أقبل إلى الحق ، وحقيقته دخل في نوبة الخير ، و) الذين كفروا (بدل من) من أناب ( ) وتطمئن قلوبهم بذكر الله (بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته ، كقوله :) ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ((الزمر : ٢٣) أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته ، أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها) الذين كفروا (مبتدأ ، و) طوبى لهم (خبره . ويجوز أن يكون بدلا من القلوب ، على تقدير حذف المضاف ، أي : تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا ، وطوبى

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤٦٩/٢

مصدر من طاب ، كبشرى وزلفى ، ومعنى (طوبى لك) أصبت خيرا وطيبا ، ومحلها النصب أو الرفع ، كقولك : طيبا لك ، وطيب لك ، وسلاما لك ، وسلام لك ، والقراءة في قوله (وحسن مآب) بالرفع والنصب ، تدلك على محليها . واللام في) لهم (للبيان مثلها في سقيا لك ، والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها ، كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي : (طيبى لهم) ، فكسر الطاء لتسلم الياء ، كما قيل : بيض ومعيشة .

)كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلهآ أمم لتتلو عليهم الذى أوحينآ إليك وهم يكفرون بالرحمان قل هو ربى لا إلاه إلا هو عليه توكلت وإليه متاب (

الرعد : (٣٠)كذلك أرسلناك في . . . . . .

)كذلك أرسلناك (مثل ذلك الإرسال أرسلناك ، يعني : أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ، ثم فسر كيف أرسله فقال :) فى أمة قد خلت من قبلها أمم (أي." [1]

"" صفحة رقم ١٩٣ "

الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة ، فذكر على سبيل الحكاية ، أي : أويناهما وقلنا لهما هذا ، أي : أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا ، فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل .

) وإن هاذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (

المؤمنون : (٥٢) وإن هذه أمتكم . . . . . .

قرىء : (وإن) بالكسر على الاستئناف . وأن بمعنى ولأن . وأن مخففة من الثقيلة ، و) أمتكم (مرفوعة معها .

) فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون (

المؤمنون : (٥٣) فتقطعوا أمرهم بينهم . . . . . .

وقرىء :) زبرا (جمع زبور ، أي : كتبا مختلفة ، يعني : جعلوا دينهم أديانا ، وزبرا قطعا : استعيرت من زبر الفضة والحديد ، وزبرا : مخففة الباء ، كرسل في رسل ، أي : كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم ، **فرح بباطله** ، مطمئن النفس ، معتقد أنه على الحق .

) فذرهم فى غمرتهم حتى حين (

المؤمنون : (٥٤) فذرهم في غمرتهم . . . . . .

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤٩٧/٢

الغمرة . الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم . أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل . قال : كأنني ضارب في غمرة لعب ؛

وعن علي رضي الله عنه : في غمراتهم) حتى حين (إلى أن يقتلوا أو يموتوا .

) أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون (

المؤمنون : (٥٥) أيحسبون أنما نمدهم . . . . .

سلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسلم بذلك ، ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره . وقرىء : (يمدهم) ويسارع ، ويسرع ، بالياء ، والفاعل الله سبحانه وتعالى . ويجوز في : يسارع ، ويسرع : أن يتضمن ضمير الممد به . ويسارع ، مبنيا للمفعول . والمعنى : أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي ، واستجرارا إلى زيادة الإثم ، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات ، وفيما لهم فيه نفع وإكرام ، ومعاجلة بالثواب قبل." (١)

"" صفحة رقم ٣٧١ "

بما تزادون ويهدي إليكم ، لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم ؛ وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية . فإن قلت : ما الفرق بين قولك : أتمدني بمال وأنا أغنى منك ، وبين أن تقوله بالفاء ؟ قلت : إذا قلته بالواو ، فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار ، وهو مع ذلك يمدني بالمال . وإذا قلته بالفاء ، فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي ، فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده ، كأني أقول له : أنكر عليك ما فعلت ، فإني غني عنه . وعليه ورد قوله :) فما ءاتانى الله (. فإن قلت : فما وجه الإضراب ؟ قلت : لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره ، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه : وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا **ولا فرح** ؛ إلا أن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها . ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ، ويكون المعنى : بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها **تفرحون فرح افتخار** على الملوك ، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها . ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد ، كأنه قال : بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها .

) ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منهآ أذلة وهم صاغرون (

النمل : (٣٧) ارجع إليهم فلنأتينهم . . . . .

) ارجع (خطاب للرسول . وقيل : للهدهد محملا كتابا آخر) لا قبل (لا طاقة . وحقيقة القبل : المقاومة

---

(١) تفسير الكشاف . ، ١٩٣/٣

والمقابلة ، أي : لا يقدرون أن يقابلوهم . وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه : لا قبل لهم بهم . الضمير في منها لسبأ . والذل : أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك . والصغار : أن يقعوا في أسر واستعباد ، ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا .

) قال يأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين (

النمل : (٣٨) قال يا أيها . . . . .

يروي : أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان عليه السلام ، فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها . وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ، ولعله أوحى إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها ، فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده ، مع إطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سلمان عليه السلام ويصدقها . وعن قتادة : أراد أن يأخذه قبل أن تسلم ، لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها . وقيل : أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ، ثم ينظر أتثبته أم تنكره ؟ اختبارا لعقلها .

) قال عفريت من الجن أنا ءاتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين (٧)

النمل : (٣٩) قال عفريت من . . . . . ." [١]

"" صفحة رقم ٤٠٠ "

المرتاض بعلم محاسن النظم .

) وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (

القصص : (١٠) وأصبح فؤاد أم . . . . .

) فارغا (صفرا من العقل . والمعنى : أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش . ونحو قوله تعالى :) وأفئدتهم هواء ((إبراهيم : ٤٣) أي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان : ألا أبلغ أبا سفيان عني

فأنت مجوف نخب هواء

وذلك أن القلوب مراكز العقول . ألا ترى إلى قوله :) فتكون لهم قلوب يعقلون بها (ويدل عليه قراءة من قرأ : فرغا . وقرىء : (قرعا) أي خاليا من قولهم : أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء . وفرغا ، من

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٣٧١/٣

قولهم : دماؤهم بينهم فرغ ، أي هدر ، يعني : بطل قلبها وذهب ، وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها) لتبدى به (لتصحر به . والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته ، وأنه ولدها) لولا أن ربطنا على قلبها (بإلهام الصبر ، كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن) لتكون من المؤمنين (من المصدقين بوعد الله ، وهو قوله :) إنا رادوه إليك (إليك ويجوز : وأصبح فؤادها فارغا من الهم ، حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأن ولدها ؛ لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت ، لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من **شدة الفرح والابتهاج** ، لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه . وقرىء : (مؤسى) ، بالهمزة : جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها ، فهمزت كما تهمز واو وجوه) اتبعي أثره وتتبعي خبره . وقرىء : (فبصرت) بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة ، بمعنى : عن بعد . وقرىء : (عن جانب) ، (وعن جنب) . والجنب : الجانب . يقال : قعد إلى جنبه وإلى جانبه ، أي : نظرت إليه مزورة متجانفة مخاتلة . وهم لا يحسون بأنها أخته ، وكان اسمها مريم .

) وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم." [(١)]

"" صفحة رقم ٤٨٥ "

للعقل ، مساوقا للنظر الصحيح ، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن . ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم) :

(٨٤٣) (كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري) وقوله عليه السلام :

(٨٤٤) (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) ،) لا تبديل لخلق الله (أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير . فإن قلت : لم وحد الخطاب أولا ، ثم جمع ؟ قلت : خوطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أولا ، وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام ، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص) من الذين (بدل من المشركين (فارقوا دينهم) تركوا دين الإسلام . وقرىء : (فرقوا دينهم) بالتشديد ، أي : حعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم) وكانوا شيعا (فرقا ، كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها) كل حزب (**منهم فرح بمذهبه** مسرور ، يحسب باطله حقا ويجوز أن يكون) من الذين (منقطعا مما قبله ، ومعناه : من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤٠٠/٣

لديهم ، ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل ، كقوله : وكل خليل غير هاضم نفسه ؛

) وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذآ أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بمآ ءاتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (

الروم : (٣٣) وإذا مس الناس . . . . .

الضر : الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك . والرحمة : الخلاص من الشدة . واللام في) ليكفروا (مجاز مثلها في) ليكون لهم عدوا ((القصص : ٨) .) فتمتعوا (نظير) اعملوا ما شئتم ((فصلت : ٤٠)) فسوف تعلمون (وبال تمتعكم . وقرأ ابن مسعود : وليتمتعوا .." [1]

"" صفحة رقم ٤٩٢ "

أي : الرحمة) إن ذالك (يعني إن ذلك القادر الذي يحي الأرض بعد موتها ، هو الذي يحي الناس بعد موتهم) وهو على كل شيء (من المقدورات قادر ، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء .

) ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعآء إذا ولوا مدبرين ومآ أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بأاياتنا فهم مسلمون (

الروم : (٥١) ولئن أرسلنا ريحا . . . . .

) فرأوه (فرأوا أثر رحمة الله . لأن رحمة الله هي الغيث ، وأثرها : النبات . ومن قرأ بالجمع : رجع الضمير إلى معناه ؛ لأن معنى آثار الرحمة النبات ، واسم النبات يقع على القليل والكثير ، لأنه مصدر سمي به ما ينبت . ولئن : هي اللام الموطئة للقسم ، دخلت على حرف الشرط ، و) لظلوا (جواب القسم سد مسد الجوابين ، أعني : جواب القسم وجواب الشرط ، ومعناه : ليظلن ذمهم الله تعالى بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين ، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر : استبشروا وابتهجوا ، فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ، ضجوا وكفروا بنعمة الله . فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة ، كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله ، فقنطوا . وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ، فلم يزيدوا **على الفرح والاستبشار** . وأن يصبروا على بلائه ، فكفروا . والريح التي اصفر لها النبات : يجوز أن تكون حرورا وحرجفا ، فكلتاهما مما يصوح له النبات ويصبح هشيما . وقال : مصفرا : لأن تلك صفرة حادثة . وقيل : فرأوا السحاب مصفرا ، لأنه إذا كان كذلك لم يمطر .

) الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤٨٥/٣

يشآء وهو العليم القدير (

الروم : (٥٤) الله الذي خلقكم . . . . .

قرىء : بفتح الضاد وضمها ، وهما لغتان . والضم أقوى في القراءة ، لما روى ابن عمر رضي الله عنهما : قال :

(٨٤٨) قرأتها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من ضعف ، فأقرأني من ضعف . وقوله :." [1]

"" صفحة رقم ٥٤٢ "

ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير . وقرىء : (الرعب) ، بسكون العين وضمها . وتأسرون ، بضم السين . وروي

(٨٨١) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار ، فقالت الأنصار في ذلك ، فقال : (إنكم في منازلكم) ، وقال عمر رضي الله عنه : أما تخمس كما خمست يوم بدر ؟ قال : (لا ، إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس) . قال : رضينا بما صنع الله ورسوله) وأرضا لم (عن الحسن رضي الله عنه : فارس والروم . وعن قتادة رضي الله عنه : كنا نحدث أنها مكة . وعن مقاتل رضي الله عنه : هي خيبر . وعن عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة . ومن بدع التفاسير : أنه أراد نساءهم .

) يأيها النبى قل لا زواجك إن كنتن تردن الحيواة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الا خرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (

) ٢٨

الأحزاب : (٢٨) يا أيها النبي . . . . .

أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير ، فغم ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزلت . فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن ، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، فرؤي الفرح في وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم اختارت جميعهن اختيارها ، فشكر لهن الله ذلك ، فأنزل) حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ((الأحزاب : ٥٢) . روي أنه قال لعائشة :

(٨٨٣) (إني ذاكر لك أمرا ، ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤٩٢/٣

: أفي هذا أستأمر أبوي ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة .
(٨٨٤) وروي أنها قالت : لا تخبر أزواجك أني اخترتك ، فقال : (إنما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا) . فإن قلت : ما حكم التخيير في الطلاق ؟ قلت : إذا قال لها." [١]
"" صفحة رقم ٧٤ "
يقال : ناصه ينوصه إذا فاته . واستناص : طلب المناص . قال حارثة بن بدر : غمر الجراء إذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري المسحل
) وعجبوا أن جآءهم م نذر منهم وقال الكافرون هاذا ساحر كذاب أجعل الا لهة إلاها واحدا إن هاذا لشىء عجاب (
ص : (٤) وعجبوا أن جاءهم . . . . .
) منذر منهم (رسول من أنفسهم) وقال الكافرون (ولم يقل : وقالوا : إظهارا للغضب عليهم ، ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم :) أولئك هم الكافرون حقا ((النساء : ١٥١) وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ، ويتعجبوا من التوحيد ، وهو الحق الذي لا يصح غيره ، ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته . روي :
(٩٥٤) أن إسلام عمر رضي الله تعالى **عنه فرح به** المؤمنون فرحا شديدا ، وشق على قريش وبلغ منهم ، فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا ، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، يريدون : الذين دخلوا في الإسلام ، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك ، فاستحضر أبو طالب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال : يا ابن أخي ، هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (ماذا يسألونني ؟) قالوا : ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلاهك ، فقال عليه السلام : (أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة." [٢]
"" صفحة رقم ١٨٤ "
ويشفعوا لكم ، وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات ، وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم ؛ إلا أنهم لما لم

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٥٤٢/٣
(٢) تفسير الكشاف . ، ٧٤/٤

ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم) بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا (أي : تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا ، وما كان نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول : حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا)كذلك يضل الله الكافرين (مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم . ، حتى لو طلبوا الآلهة وأو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا) من (الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح) بغير الحق (وهو الشرك وعبادة الأوثان) ادخلوا أبواب جهنم (السبعة المقسومة لكم . قال الله تعالى :) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ((الحجر : ٤٤) .) خالدين (مقدرين لخلود) فبئس مثوى المتكبرين (عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم . فإن قلت : أليس قياس النظم أن يقال : فبئس مدخل المتكبرين ، كما تقول : زر بيت الله فنعم المزار ، وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى ؟ قلت : الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء .

) فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (

غافر : (٧٧) فاصبر إن وعد . . . . . .

) فإما نرينك (أصله : فإن نرك . و (ما) مزيدة لتأكيد معنى الشرط ، ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول : إن تكرمني أكرمك ، ولكن : إما تكرمني أكرمك . فإن قلت : لا يخلو إما أن تعطف) أو نتوفينك (على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى :) فإلينا يرجعون (فقولك : فإمانرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون : غير صحيح ، وإن جعلت) فإلينا يرجعون (مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك ، في المعطوف عليه بغير جزاء . قلت :) فإلينا يرجعون (متعلق بنتوفينك ،." [١]

"" صفحة رقم ١٨٧ "

نبعث ولا نعذب ،) وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى ((فصلت : ٥٠) ،) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا ((الكهف : ٣٦) وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء ، كما قال عز وجل :)كل حزب بما لديهم فرحون ((الروم : ٣٢) ومنها : أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان ، وكانوا إذ سمعوا بوحي الله : دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم . وعن سقراط : أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه ، وقيل له : لو هاجرت إليه فقال : نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا . ومنها : أن يوضع قوله) فرحوا بما عندهم من العلم ((غافر : ٨٣) ولا علم عندهم البتة ، موضع قوله : يفرحوا بما جاءهم من العلم ، مبالغة

---

(١) تفسير الكشاف . ، ١٨٤/٤

في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة ، مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء .
ومنها أن يراد : فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به ، كأنه قال : استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين مرحين . ويدل عليه قوله تعالى :) وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون (ومنها : أن يجعل الفرح للرسل . ومعناه : أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزائهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم : فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه . وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم . ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم : علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها ، كما قال تعالى :) يعلمون ظاهرا من الحيواة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ((الروم : ٧) ،) ذلك مبلغهم من العلم ((النجم : ٣٠) فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزؤا بها ، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ، ففرحوا به .
) فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون (
غافر : (٨٤) فلما رأوا بأسنا . . . . .
البأس : شدة العذاب . ومنه قوله تعالى :) بعذاب بئيس ((الأعراف : ١٦٥) . فإن قلت : أي فرق بين قوله تعالى :) فلم يك ينفعهم إيمانهم (وبينه لو قيل : فلم ينفعهم." (١)
"" صفحة رقم ٢٣٦ "
الدنيا ، وإما أن يتعلق بقال ، أي : يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة .
) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير (
الشورى : (٤٧) استجيبوا لربكم من . . . . .
) من الله (من صلة لا مرد ، أي : لا يرده الله بعدما حكم به . أو من صلة يأتي ، أي : من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده . والنكير : الإنكار ، أي : ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم .
) فإن أعرضوا فمآ أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنآ إذآ أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤/١٨٧

الشورى : (٤٨) فإن أعرضوا فما . . . . .
أراد بالإنسان الجمع لا الواحد . لقوله : (وإن تصبهم سيئة) ولم يرد إلا المجرمين ؛ لأن إصابة السيئة بما قدمت أيديهم إنما تستقيم فيهم . والرحمة : النعمة من الصحة والغني والأمن . والسيئة : البلاء من المرض والفقر والمخاوف . والكفور : البليغ الكفران ، ولم يقل : فإن كفور ؛ ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم ، كما قال :) إن الإنسان لظلوم كفار ((إبراهيم : ٣٤) ،) إن الإنسان لربه لكنود ((العاديات : ٦) والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها .
) لله ملك السماوات والا رض يخلق ما يشآء يهب لمن يشآء إناثا ويهب لمن يشآء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشآء عقيما إنه عليم قدير (
الشورى : (٤٩) لله ملك السماوات . . . . .
لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها : أتبع ذلك أن له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته ، فيخص بعضا بالإناث وبعضا بالذكور ، وبعضا بالصنفين جميعا ، ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط . فإن قلت : لم قدم الإناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ، ثم رجع فقدمهم ،." (١)
"" صفحة رقم ٤٧٧ "
) سابقوا (سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار ، إلى جنة) عرضها كعرض السماء والارض (قال السدي : كعرض سبع السموات وسبع الأرضين ، وذكر العرض دون الطول ؛ لأن كل ماله عرض وطول فإن عرضه أقل من طوله ، فإذا وصف عرضه بالبسطة : عرف أن طوله أبسط وأمد . ويجوز أن يراد بالعرض : البسطة ، كقوله تعالى :) فذو دعاء عريض ((فصلت : ٥١) لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة : بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك : وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة) ذلك (الموعود من المغفرة والجنة) فضل الله (عطاؤه) يؤتيه من يشاء (وهم المؤمنون .
) مآ أصاب من مصيبة فى الا رض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأهآ إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بمآ ءاتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد (

---

(١) تفسير الكشاف ، ٢٣٦/٤

الحديد : (٢٢) ما أصاب من . . . . .

المصيبة في الأرض : نحو الجدب وآفات الزروع والثمار . وفي الأنفس : نحو الأدواء والموت) في كتاب (في اللوح) من قبل أن نبرأها (يعني الأنفس أو المصائب) إن ذلك (إن تقدير ذلك وإثباته في كتاب) على الله يسير (وإن كان عسيرا على العباد ، ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال :) لكيلا تأسوا ولا تفرحوا (يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي ؛ لأن من علم أن ما عنده معقود لا محالة : لم يتفاقم جزعه عند فقده ، لأنه وطن نفسه على ذلك ، وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه ، وأن وصوله لا يفوته بحال : لم يعظم فرحه عند نيله) والله لا يحب كل مختال فخور (لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه : اختال وافتخر به وتكبر على الناس . قرىء : (بما آتاكم) وأتاكم ، من الإيتاء والإتيان . وفي قراءة ابن مسعود (بما أوتيتم) فإن قلت : فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ، ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح . قلت : المراد : الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين ، والفرح المطغى الملهى عن الشكر ؛ فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام ، والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر : فلا بأس بهما) الذين يبخلون (بدل من قوله :) كل مختال فخور (كأنه قال : لا يحب الذين يبخلون ، يريد : الذين يفرحون الفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٦٣٠

١١ إلا من ظلم : استثناء منقطع ، أي : لكن من ظلم من غيرهم لأن الأنبياء لا يظلمون.

١٢ وأدخل يدك في جيبك تخرج : كان عليه مدرعة «١» صوف بغير كمين «٢».

١٣ مبصرة : مبصرة من البصيرة ، أبصرته وبصرته ، مثل : أكذبته وكذبته أو ذوات بصر نحو أمر مبين ، أي : ذو بيان.

١٦ وورث سليمان داود : أي : ملكه ونبوته «٣» ، وكانت له تسعة عشر ولدا «٤».

علمنا منطق الطير : كان يفهمهم «٥» كما يتفاهم بعضها عن بعض وكما يفهم بكاء الفرح من بكاء الحزن.

وأوتينا من كل شيء : يؤتاه الأنبياء والناس «٦».

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٤/٤٧٧

١٧ وحشر لسليمان جنوده : كان معسكره مائة فرسخ

---

(١) أي : القميص.

النهاية : ٢/ ١١٤ ، واللسان : ٨/ ٨٢ (درع).

(٢) أخرج الطبري هذا القول في تفسيره : ١٩/ ١٣٨ عن مجاهد ، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره : ٨٦ (سورة النمل).

(٣) ذكره الفراء في معانيه : ٢/ ٢٨٨ ، وأخرجه الطبري في تفسيره : ١٩/ ١٤١ عن قتادة ، وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره : ١١١ (سورة النمل).

وأورده السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٣٤٤ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر.

وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٦/ ١٩٢ ، ثم قال : «و ليس المراد وراثة المال إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود ، فإنه كان لداود مائة امرأة ، ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة فإن الأنبياء لا تورث أموالهم ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه».

(٤) ذكره الفراء في معانيه : ٢/ ٢٨٨ ، والبغوي في تفسيره : ٣/ ٤٠٨ ، ونقله الماوردي في تفسيره : ٣/ ١٩١ عن الكلبي.

(٥) في «ج» : كان يفهم عنهم.

(٦) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج : ٤/ ١١١ ، وانظر تفسير البغوي : ٣/ ٤١٠.." [١]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٨٠٢

و الربيع «١» بن خثيم ، وأبي عمران «٢» الجوني وأبي جعفر محمد بن علي ، والفياض «٣» فروح بضم الراء «٤» ، أي : حياة لا موت بعدها «٥».

وريحان : استراحة «٦». أو رحمة. وقيل «٧» : رزق.

وفي الحديث «٨» : «إن المؤمن إذا نزل به الموت يلقى

---

(١) هو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله الثوري الكوفي ، أبو يزيد. الإمام التابعي الثقة.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٦٣٠

ترجمته في غاية النهاية : ١/ ٢٨٣ ، وتقريب التهذيب : ٢٠٦.

(٢) هو عبد الملك بن حبيب البصري ، أبو عمران الجوني.

قال الحافظ في التقريب : ٣٦٢ : «مشهور بكنيته ، ثقة ، من كبار الرابعة ، مات سنة ثمان وعشرين ، وقيل بعدها».

وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٥/ ٢٥٥ ، وشذرات الذهب : ٢/ ١٢٣.

(٣) هو فياض بن غزوان الضبي الكوفي.

قال ابن الجزري في غاية النهاية : ٢/ ١٣ : «مقرئ موثق ، أخذ القراءة عرضا عن طلحة بن مصرف ...».

(٤) ينظر هذه القراءة المنسوبة إلى هؤلاء في تفسير الطبري : ٢٧/ ٢١١ ، وإعراب القرآن للنحاس : ٤/ ٣٤٦ ، والكشاف : ٤/ ٦٠ ، والبحر المحيط : ٨/ ٢١٥ ، والنشر : (٣/ ٣٢٥ ، ٣٢٦) ، وإتحاف فضلاء البشر : ٢/ ٥١٧.

(٥) نص هذا القول في معاني القرآن للزجاج : ٥/ ١١٧ ، وانظر هذا المعنى في معاني الفراء : ٣/ ١٣١ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٥٢ ، وزاد المسير : ٨/ ١٥٧.

(٦) ورد هذا القول في أثر أخرجه الطبري في تفسيره : ٢٧/ ٢١٢ عن الضحاك ، وذكره الماوردي في تفسيره : ٤/ ١٨١ ، والبغوي في تفسيره : ٤/ ٢٩١.

(٧) ذكره الفراء في معانيه : ٣/ ١٣١ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن : ٤٥٢ ، وأخرجه الطبري في تفسيره : (٢٧/ ٢١١ ، ٢١٢) عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وذكره الراغب في المفردات : ٢٠٦.

وعقب الطبري - رحمه الله - على الأقوال التي قيلت في «الروح» ، و«الريحان» بقوله :

«و أولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال : عني بالروح **: الفرح والرحمة** والمغفرة ، وأصله من قولهم : وجدت روحا : إذا وجد نسيما يستروح إليه من كرب الحر وأما «الريحان» ، فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت ... لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه» اه - .

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور : ٨/ ٣٨ ، وعزا إخراجه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجوني.." (١)

"ذلك ضر على عمومها إذ قد أراحنا أئمة الأصول حين قالوا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولكن أسبابا كثيرة رام رواتها تعيين مراد من تخصيص عام أو تقييد مطلق أو إلجاء إلى محمل، فتلك هي

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٨٠٢

التي قد تقف عرضة أمام معاني التفسير قبل التنبيه على ضعفها أو تأويلها. وقد قال الواحدي في أول كتابه في أسباب النزول: "أما اليوم فكل أحد يخترع للآية سببا، ويختلق إفكا وكذبا، ملقيا زمامه إلى الجهالة، غير مفكر في الوعيد" وقال : "لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل" اه.

إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه لأن فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيرا. ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك. ففي صحيح البخاري أن مروان بن الحكم أرسل إلى ابن عباس يقول لئن كان كل امرئ فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون يشير إلى قوله تعالى ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ [آل عمران:١٨٨] فأجاب ابن عباس قائلا: "إنما دعا النبي اليهود فسألهم على شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أنهم قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم"، ثم قرأ ابن عباس ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون﴾ [آل عمران: ١٨٧,١٨٨] الآيات. وفي الموطأ عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال قلت لعائشة أم المؤمنين وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تعالى ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ [البقرة: من الآية١٥٨] فما على الرجل شيء ألا يطوف بهما، قالت عائشة: كلا، لو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله عن ذلك فأنزل الله تعالى ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ اه.

ومنها ما ينبه المفسر إلى إدراك خصوصيات بلاغية تتبع مقتضى المقامات فإن من أسباب النزول ما يعين على تصوير مقام الكلام كما سننبهك إليه في أثناء المقدمة العاشرة.." (١)

"المجاهدين، وليس الموصول بمعنى لام الاستغراق. وفي البخاري : أن مروان بن الحكم قال لبوابة اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنغذبن أجمعون قال أبن عباس وما لكم ولهذه إنما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود، فسألهم عن

(١) التحرير والتنوير، ٤٥/١

شيء فاخبروه بغيره فأروه أنهم قد استحمدوا إليه بما أخبروه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ [آل عمران: ١٨٧] حتى قوله: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ [آل عمران: ١٨٨] الآية.

والمفازة: مكان الفوز. وهو المكان الذي من يحله يفوز بالسلامة من العدو سميت البيداء الواسعة مفازة لأن المنقطع فيها يفوز بنفسه م أعدائه وطلبة الوتر عنده وكانوا يتطلبون الإقامة فيها. قال النابغة:

أو أضع البيت في صماء مظلمة ... تفيد العير لا يسرى بها الساري

تدافع الناس عنا حين نركبها ... من المظالم تدعى أم صبار

ولما كانت المفازة مجملة بالنسبة للفوز الحاصل فيها بين ذلك بقوله: ﴿من العذاب﴾ . وحرف من معناه البدلية، مثل قوله تعالى: ﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ [الغاشية: ٧]، أو بمعنى عن بتضمين مفازة معنى منجاة.

وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر: لا يحسبن الذين يفرحون بالباء التحتية على الغيبة، وقرأه الباقون بتاء الخطاب.

أما سين تحسبن فقرأها بالكسر نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وابوجعفر، ويعقوب. وقرأها بالفتح الباقون.

وقد جاء تركيب الآية على نظم بديع إذ حذف المفعول الثاني لفعل الحسبان الأول لدلالة ما يدل عليه وهو مفعول ﴿فلا تحسبنهم﴾ ، والتقدير: لا يحسبن الذين يفرحون الخ أنفسهم. وأعيد فعل الحسبان في قوله: ﴿فلا تحسبنهم﴾ [آل عمران: ١٨٨] مسندا إلى المخاطب على طريقة الاعتراض بالفاء وأتى بعده بالمفعول الثاني: وهو ﴿بمفازة من العذاب﴾ [آل عمران: ١٨٨] فتنازعه كلا الفعلين. وعلى قراءة الجمهور ﴿لا تحسبن الذين يفرحون﴾ [آل عمران: ١٨٨] بتاء الخطاب يكون خطابا لغير معين ليعم كل مخاطب، ويكون قوله: ﴿فلا تحسبنهم﴾ اعتراضا بالفاء أيضا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مع ما في حذف." (١)

"مهينا وأعتدنا ذلك للكافرين أمثالهم، وتكون جملة ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ معطوفة أيضا على جملة ﴿الذين يبخلون﴾ محذوفة الخبر أيضا، يدل عليه قوله ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا﴾ الخ. والتقدير: والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس قرينهم الشيطان. ونكتة العدول إلى العطف مثل

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٠٦/٣

نكتة ما قبلها.

ويجوز أن يكون ﴿الذين يبخلون﴾ بدلا من من في قوله ﴿من كان مختالا فخورا﴾ فيكون قوله ﴿والذين ينفقون أموالهم﴾ معطوفا على ﴿الذين يبخلون﴾ ، وجملة ﴿وأعتدنا﴾ معترضة. وهؤلاء هم المشركون المتظاهرون بالكفر، وكذلك المنافقون.

والبخل بضم الباء وسكون الخاء اسم مصدر بخل من باب فرح، ويقال البخل بفتح الباء والخاء وهو مصدره القياسي، قرأه الجمهور بضم الباء وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف بفتح الباء والخاء.

والبخل: ضد الجود وقد مضى عند قوله تعالى ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ في سورة آل عمران [١٨٠]. ومعنى ﴿يأمرون الناس بالبخل﴾ يحضون الناس عليه، وهذا أشد البخل، قال أبو تمام:

وإن امرأ ضنت يداه على امرئ

...

بنيل يد من غيره لبخيل

والكتمان: الإخفاء. و ﴿ما آتاهم الله من فضله﴾ يحتمل أن المراد به المال، كقوله تعالى ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران:، فيكون المعنى: أنهم يبخلون ويعتذرون بأنهم لا يجدون ما ينفقون منه، ويحتمل أنه أريد به كتمان التوراة بما فيها من صفة النبي صلى الله عليه وسلم، فعلى الاحتمال الأول يكون المراد بالذين يبخلون: المنافقين، وعلى الثاني يكون المراد بهم: اليهود؛ وهذا المأثور عن ابن عباس، ويجوز أن تكون في المنافقين، فقد كانوا يأمرون الناس بالبخل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا. وقوله ﴿وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ ، عقبه، يؤذن بأن المراد أحد هذين الفريقين، وجملة ﴿وأعتدن ا للكافرين عذابا مهينا﴾ معترضة.

وأصل ﴿أعتدنا﴾ أعددنا، أبدلت الدال الأولى تاء، لثقل الدالين عند فك الإدغام باتصال ضمير الرفع، وهكذا مادة أعد في كلام العرب إذا أدغموها لم يبدلوا الدال بالتاء." (١)

"إعلام ولا ظهور شبح أو نحوه.ففي البغت معنى المجيء عن غير إشعار.وهو منتصب على الحال،فإن المصدر يجيء حالا إذا كان ظاهرا تأويله باسم الفاعل،وهو يرجع إلى الإخبار بالمصدر لقصد المبالغة.

---

(١) التحرير والتنوير، ٤/١٢٦

وقوله: ﴿قالوا﴾ جواب"إذا".و ﴿يا حسرتنا﴾ نداء مقصود به التعجب والتندم،وهو في أصل الوضع نداء للحسرة بتنزيلها منزلة شخص يسمع وينادي ليحضر كأنه يقول:يا حسرة احضري فهذا أوان حضورك.ومنه قولهم:يا ليتني فعلت كذا،ويا أسفي أو يا أسفا،كما تقدم آنفا.

وأضافوا الحسرة إلى أنفسهم ليكون تحسرهم لأجل أنفسهم، فهم المتحسرون والمتحسر عليهم، بخلاف قول القائل:يا حسرة،فإنه في الغالب تحسر لأجل غيره فهو يتحسر لحال غيره.ولذلك تجيء معه"على"التي تدخل على الشيء المتحسر من أجله داخلة على ما يدل على غير التحسر،كقوله تعالى: ﴿يا حسرة على العباد﴾ ،فأما مع"يا حسرتي، أو يا حسرتا"فإنما تجيء"على"داخلة على الأمر الذي كان سببا في التحسر كما هنا ﴿على ما فرطنا فيها﴾ . ومثل ذلك قولهم:يا ويلي ويا ويلتي،قال تعالى: ﴿ويقولون يا ويلتنا﴾ [الكهف:٤٩]،فإذا أراد المتكلم أن الويل لغيره قال:ويلك،قال تعالى: ﴿ويلك آمن﴾ [الأحقاف:١٧]ويقولون:ويل لك.

والحسرة:الندم الشديد،وهو التلهف،وهي فعلة من حسر يحسر حسرا، من باب فرح،ويقال:تحسر تحسرا.والعرب يعاملون اسم المرة معاملة مطلق المصدر غير ملاحظين فيه معنى المرة،ولكنهم يلاحظون المصدر في ضمن فرد،كمدلول لام الحقيقة،ولذلك يحسن هذا الاعتبار في مقام النداء لأن المصدر اسم للحاصل بالفعل بخلاف اسم المرة فهو اسم لفرد من أفراد المصدر فيقوم مقام الماهية.

و ﴿فرطنا﴾ أضعنا.يقال:فرط في الأمر إذا تهاون بشيء ولم يحفظه، أو في اكتسابه حتى فاته وأفلت منه.وهو يتعدى إلى المفعول بنفسه،كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام:٣٨].والأكثر أن يتعدى بحرف"في"فيقال فرط في ماله،إذا أضاعه.

و ﴿ما﴾ موصولة ما صدقها الأعمال الصالحة.ومفعول﴿فرطنا﴾محذوف يعود إلى ﴿ما﴾ .تقديره:ما فرطناه وهم عام مثل معاده،أي ندمنا على إضاعة كل ما من شأنه أن ينفعنا ففرطناه،وضمير ﴿فيها﴾ عائد إلى الساعة.و"في"تعليلية، أي ما فوتناه من." (١)

"ورويس عن يعقوب بتشديدها للمبالغة في الفتح بكثرته كما أفاده قوله: ﴿أبواب كل شيء﴾

ولفظ "كل"هنا مستعمل في معنى الكثرة، كما في قول النابغة:

بها كل ذيال وخنساء ترعوي ... الى كل رجاف من الرمل فارد

أواستعمل في معناه الحقيقي؛ على أنه عام مخصوص، أي أبواب كل شيء يبتغونه، وقد علم أن المراد بكل

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٦/٦

شيء جميع الأشياء من الخير خاصة بقرينة قوله: ﴿حتى إذا فرحوا﴾ وبقرينة مقابلة هذا بقوله: ﴿أخذنا أهلها بالبأساء والضراء﴾ [لأعراف: ٩٤] ، فهنالك وصف مقدر، أي كل شيء صالح، كقوله تعالى: ﴿يأخذ كل سفينة غصبا﴾ [الكهف: ٧٩] أي صالحة.

و ﴿حتى﴾ في قوله: ﴿حتى إذا فرحوا﴾ **ابتدائية.ومعنى الفرح هنا** هو الازدهاء والبطر بالنعمة ونسيان المنعم، كما في قوله تعالى: ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] .قال الراغب: "ولم يرخص **في الفرح إلا** في قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ "[يونس: ٥٨] .و"إذا"ظرف زمان للماضي.

ومراد الله تعالى من هذا هو الإمهال لهم لعلهم يتذكرون الله ويوحدونه فتطهر نفوسهم، فابتلاهم الله بالضر والخير ليستقصي لهم سببي التذكر والخوف، لأن من النفوس نفوسا تقودها الشدة ونفوسا يقودها اللين.

ومعنى الأخذ هنا الإهلاك.ولذلك لم يذكر له متعلق كما ذكر في قوله آنفا: ﴿فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ للدلالة على أنه أخذ لا هوادة فيه.

والبغتة فعلة من البغت وهو الفجأة، أي حصول الشيء على غير ترقب عند من حصل له وهي تستلزم الخفاء.فلذلك قوبلت بالجهرة في الآية الآتية.وهنا يصح أن يكون مؤولا باسم الفاعل منصوبا على الحال من الضمير المرفوع، أي مباغتين لهم، أو مؤولا باسم المفعول على أنه حال من الضمير المنصوب، أي مبغوتين، ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾ [هود: ١٠٢] .

وقوله: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ "إذا"فجائية.وهي ظرف مكان عند سيبويه، وحرف عند نحاة الكوفة. والمبلسون اليائسون من الخير المتحيرون، وهو من الإبلاس، وهو الوجوم." (١)

"الجمهور: بتشديد الياء. وابن كثير: بتخفيفها. وقد استعير الضيق لضد ما استعير له الشرح فأريد به الذي لا يستعد لقبول الإيمان ولا تسكن نفسه إليه، بحيث يكون مضطرب البال إذا عرض عليه الإسلام، وهذا كقوله تعالى: ﴿حصرت صدورهم﴾ وتقدم في سورة النساء [٩٠].

والحرج بكسر الراء صفة مشبهة من قولهم: حرج الشيء حرجا، من باب فرح، بمعنى ضاق ضيقا شديدا، فهو كقولهم: دنف، وقمن، وفرق، وحذر، وكذلك قرأه نافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو جعفر، وأما الباقون فقرأوه بفتح الراء على صيغة المصدر، فهو من الوصف بالمصدر للمبالغة، فهو كقولهم: رجل دنف بفتح النون وفرد بفتح الراء.

---

(١) التحرير والتنوير، ٦/١٠١

وإتباع الضيق بالحرج: لتأكيد معنى الضيق، لأن في الحرج من معنى شدة الضيق ما ليس في ضيق. والمعنى يجعل صدره غير متسع لقبول الإسلام، بقرينة مقابلته بقوله: ﴿يشرح صدره للإسلام﴾. وزاد حالة المضلل عن الإسلام تبيينا بالتمثيل، فقال: ﴿كأنما يصعد في السماء﴾.

قرأه الجمهور: ﴿يصعد﴾ بتشديد الصاد وتشديد العين على أنه يتفعل من الصعود، أي بتكلف الصعود، فقلبت تاء التفعل صادا لأن التاء شبيهة بحروف الإطباق، فلذلك تقلب طاء بعد حروف الإطباق في الافتعال قلبا مطردا ثم تدغم تارة في مماثلها أو مقاربها، وقد تقلب فيما يشابه الافتعال إذا أريد التخفيف بالإدغام، فتدغم في أحد أحرف الإطباق، كما هنا، فإنه أريد تخفيف أحد الحروف الثلاثة المتحركة المتوالية من ﴿يصعد﴾، فسكنت التاء ثم أدغمت في الصاد إدغام المقارب للتخفيف. وقرأه ابن كثير: ﴿يصعد﴾ بسكون الصاد وفتح العين، مخففا. وقرأه أبو بكر، عن عاصم: ﴿يصاعد﴾ بتشديد الصاد بعدها ألف وأصله يتصاعد.

وجملة: ﴿كأنما يصعد﴾ في موضع الحال من ضمير: ﴿صدره﴾ أو من صدره، مثل حال المشرك حين يدعى إلى الإسلام أو حين يخلو بنفسه، فيتأمل في دعوة الإسلام، بحال الصاعد، فإن الصاعد يضيق تنفسه في الصعود، وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة متخيلة، لأن الصعود في السماء غير واقع.

والسماء يجوز أن يكون بمعناه المتعارف، ويجوز أن يكون السماء أطلق على الجو الذي يعلو الأرض. قال أبو علي الفارسي: لا يكون السماء المظلة للأرض، ولكن كما." (١)

"وهو قصر مجازي لابتنائه على التشبيه، فهو استعارة مكنية: شبه الجانب المنفي في صيغة القصر بمن ليس بمؤمن، وطوي ذكر المشبه به ورمز إليه بذكر لازمه وهو حصر الإيمان فيمن اتصف بالصفات التي لم يتصف بها المشبه به، ويئول هذا إلى معنى: إنما المؤمنون الكاملون الإيمان، فالتعريف في ﴿إنما المؤمنون﴾ تعريف الجنس المفيد قصرا ادعائيا على أصحاب هذه الصفات مبالغة، وحرف "أل" فيه هو ما يسمى بالدالة على معنى الكمال.

وقد تكون جملة: ﴿إنما المؤمنون﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا لجواب سؤال سائل يثيره الشرط وجزاؤه المقدر في قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ [الأنفال: ١] بأن يتساءلوا عن هذا الاشتراط بعد ما تحقق أنهم مؤمنون من قبل، وهل يمترى في أنهم مؤمنون، فيجابوا بأن المؤمنين هم الذين صفتهم كيت وكيت، فيعلموا أن الإيمان المجعول شرطا هو الإيمان الكامل فتنبعث نفوسهم إلى الاتسام به والتباعد عن موانع زيادته.

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٥/٧

وإذ قد كان الاحتمالان غير متنافين صح تحميل الآية إياهما توفيرا لمعاني الكلام المعجز فإن علة الشيء مما يسال عنه، وإن بيان العلة مما يصح كونه استئنافا بيانيا.

وعلى كلا الاحتمالين وقعت الجملة مفصولة عن التي قبلها لاستغنائها عن الربط وان اختلف موجب الاستغناء باختلاف الاحتمالين، والاعتبارات البلاغية يصح تعدد أسبابها في الموقع الواحد لأنها اعتبارات معنوية وليست كيفيات لفظية فتحققه حق تحققه.

والمعنى ليس المؤمنون الكامل إيمانهم إلا أصحاب هذه الصلة التي يعرف المتصف بها تحققها فيه أو عدمه من عرض نفسه على حقيقتها، فانه لما كان الكلام واردا مورد الأمر بالتخلق بما يقتضيه الإيمان أحيلوا في معرفة أمارات هذا التخلق على صفات يأنسونها من أنفسهم إذا علموها.

والذكر حقيقته التلفظ باللسان، وإذا علق بما يدل على ذات فالمقصود من الذات أسماؤها، فالمراد من قوله: ﴿إذا ذكر الله﴾ إذا نطق ناطق باسم من أسماء الله أو بشأن من شؤونه، مثل أمره ونهيه، لأن ذلك لابد معه من جريان اسمه أو ضميره أو موصوله أو إشارته أو نحو ذلك من دلائل ذاته.

والوجل خوف مع فزع فيكون لاستعظام الموجول منه.

وقد جاء فعل وجل في الفصيح بكسر العين في الماضي على طريقة الأفعال الدالة على الانفعال الباطني مثل فرح، وصدي، وهوي، وروي.." (١)

"ومن أجل هذا الجري على ظاهر الحال اختلف أسلوب التأييس من المغفرة بين ما في هذه الآية وبين ما في آية ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة:١١٣] لأن المشركين كفرهم ظاهر فجاء النهي عن الاستغفار لهم صريحا، وكفر المنافقين خفي فجاء التأييس من المغفرة لهم منوطا بوصف يعلمونه في أنفسهم ويعلمه الرسول - عليه الصلاة والسلام - ولأجل هذا كان يستغفر لمن يسأله الاستغفار من المنافقين لئلا يكون امتناعه من الاستغفار له إعلاما بباطن حاله الذي اقتضت حكمة الشريعة عدم كشفه. وقال في أبي طالب: "لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" . فلما نهاه الله عن ذلك أمسك عن الاستغفار له.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الجنازة على من مات من المنافقين لأن صلاة الجنازة من الاستغفار ولما مات عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد نزول هذه الآية وسأل ابنه عبد الله بن عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه، فصلى عليه كرامة لابنه وقال عمر للنبي صلى الله عليه

---

(١) التحرير والتنوير، ١٥/٩

وسلم قد نهاك ربك أن تصلي عليه، قال له على سبيل الرد "إنما خيرني الله" ، أي ليس في هذه الآية نهي عن الاستغفار، فكان لصلاته عليهم واستغفاره لهم حكمة غير حصول المغفرة بل لمصالح أخرى، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بأضعف الاحتمالين في صيغة ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر﴾ وكذلك في لفظ عدد ﴿سبعين مرة﴾ استقصاء لمظنة الرحمة على نحو ما أصلناه في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا التفسير.

والإشارة في قوله: ﴿ذلك بأنهم كفروا﴾ لانتفاء الغفران المستفاد من قوله: ﴿فلن يغفر الله لهم﴾ .

والباء للسببية، وكفرهم بالله هو الشرك. وكفرهم برسوله جحدهم رسالته صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل على أن جاحد نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم يطلق عليه كافر.

ومعنى ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أن الله لا يقدر لهم الهدي إلى الإيمان لأجل فسقهم، أي بعدهم عن التأمل في أدلة النبوءة، وعن الإنصاف في الاعتراف بالحق فمن كان ذلك ديدنه طبع على قلبه فلا يقبل الهدى فمعنى ﴿لا يهدي﴾ لا يخلق الهدى في قلوبهم.

[٨١] ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾ .." (١)

"فتعين أن الخبر مستعمل في التذكير بما هو معلوم تعريضا بتجهيلهم لأنهم حذروا من حر قليل وأقحموا أنفسهم فيما يصير بهم إلى حر أشد. فيكون هذا التذكير كناية عن كونهم واقعين في نار جهنم لأجل قعودهم عن الغزو في الحر، وفيه كناية عرضية عن كونهم صائرين إلى نار جهنم.

وجملة: ﴿لو كانوا يفقهون﴾ تتميم، للتجهيل والتذكير، أي يقال لهم ذلك لو كانوا يفقهون الذكرى، ولكنهم لا يفقهون، فلا تجدي فيهم الذكرى والموعظة، إذ ليس المراد لو كانوا يفقهون أن نار جهنم أشد حرا لأنه لا يخفي عليهم ولو كانوا يفقهون أنهم صائرون إلى النار ولكنهم لا يفقهون ذلك.

[٨٢] ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون﴾ .

تفريع كلام على الكلام السابق من ذكر فرحهم، ومن إفادة قوله: ﴿قل نار جهنم أشد حرا﴾ [التوبة:٨١] من التعريض بأنهم أهلها وصائرون إليها.

والضحك هنا كناية **عن الفرح أو** أريد ضحكهم فرحا لاعتقادهم ترويج حيلتهم على النبي صلى الله عليه وسلم إذ أذن لهم بالتخلف.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٦/١٠

والبكاء كناية عن حزنهم في الآخرة فالأمر بالضحك وبالبكاء مستعمل في الإخبار بحصولهما قطعا إذ جعلا من أمر الله أو هو أمر تكوين مثل قوله: ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ [البقرة:٢٤٣] والمعنى أن فرحهم زائل وأن بكاءهم دائم.

والضحك: كيفية في الفم تتمدد منها الشفتان وربما أسفرتا عن الأسنان وهي كيفية تعرض عند السرور والتعجب من الحسن.

والبكاء: كيفية في الوجه والعينين تنقبض بها الوجنتان والأسارير والأنف. ويسيل الدمع من العينين، وذلك يعرض عند الحزن والعجز عن مقاومة الغلب.

وقوله: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ حال من ضميرهم، أي جزاء لهم، والمجعول جزاء هو البكاء المعاقب للضحك القليل لأنه سلب نعمة بنقمة عظيمة.

وما كانوا يكسبون هو أعمال نفاقهم، واختير الموصول في التعبير عنه لأنه أشمل مع الإيجاز.

وفي ذكر فعل الكون وصيغة المضارع في ﴿يكسبون﴾ ما تقدم في قوله: ﴿ولكن." (١)

"حتى أطلق على ارتكابه فعل رضي المشعر بالمحاولة والمراوضة. جعلوا كالذي يحاول نفسه على عمل وتأبى حتى يرضيها كقوله تعالى: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ [التوبة:٣٨] وقد تقدم ذلك.

وانتصب ﴿أول مرة﴾ هنا على الظرفية لأن المرة هنا لما كانت في زمن معروف لهم وهو زمن الخروج إلى تبوك ضمنت معنى الزمان. وانتصاب المصدر بالنيابة عن اسم الزمان شائع في كلامهم، بخلاف انتصابها في قوله: ﴿وهم بدءوكم أول مرة﴾ [التوبة:١٣] وفي قوله: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ [التوبة:٨٠] كما تقدم. و ﴿أول مرة﴾ هي غزوة تبوك التي تخلفوا عنها.

وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى نكرة اقتصر على الإفراد والتذكير ولو كان المضاف إليه غير مفرد ولا مذكر لأن في المضاف إليه دلالة على المقصود كافية.

والفاء في ﴿فاقعدوا﴾ تفريع على ﴿إنكم رضيتم بالقعود﴾ ، أي لما اخترتم القعود لأنفسكم فاقعدوا الآن لأنكم تحبون التخلف.

و ﴿الخالفين﴾ جمع خالف وهو الذي يخلف الغازي في أهله وكانوا يتركون لذلك من لا غناء له في الحرب. فكونهم مع الخالفين تعيير لهم.

[٨٤] ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٨/١٠

.
لما انقضى الكلام على الاستغفار للمنافقين الناشيء، عن الاعتذار والحلف الكاذبين وكان الإعلام بأن الله لا يغفر لهم مشوبا بصورة التخيير في الاستغفار لهم، وكان ذلك يبقي شيئا من طمعهم في الانتفاع بالاستغفار لأنهم يحسبون المعاملة الربانية تجري على ظواهر الأعمال والألفاظ كما قدمناه في قوله: ﴿فرح المخلفون﴾ [التوبة:٨١]، تهيأ الحال للتصريح بالنهي عن الاستغفار لهم والصلاة على موتاهم، فإن الصلاة على الميت استغفار.

فجملة ﴿ولا تصل﴾ عطف على جملة ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ [التوبة:٨٠] عطف كلام مراد إلحاقه بكلام آخر لأن القرآن ينزل مراعى فيه مواقع وضع الآي.

وضمير ﴿منهم﴾ عائد إلى المنافقين الذين عرفوا بسيماهم وأعمالهم الماضية الذكر.." (١)

"الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ [التوبة:٣٨] فالذين انتدبوا وتأهبوا وخرجوا هم الذين اتبعوه، فأما ما بعد الخروج إلى الغزو فذلك ليس هو الاتباع ولكنه الجهاد. ويدل لذلك قوله: ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ اي من المهاجرين والأنصار، فإنه متعلق بـ ﴿اتبعوه﴾ أي اتبعوا أمره بعد أن خامر فريقا منهم خاطر التثاقل والقعود والمعصية بحيث يشبهون المنافقين، فان ذلك لا يتصور وقوعه بعد الخروج، وهذا الزيغ لم يقع ولكنه قارب الوقوع.

و ﴿كاد﴾ من أفعال المقاربة تعمل في اسمين عمل كان، واسمها هنا ضمير شأن مقدر، وخبرها هو جملة الخبر عن ضمير الشأن، وإنما جعل اسمها هنا ضمير شأن لتهويل شأنهم حين أشرفوا على الزيغ.

وقرأ الجمهور ﴿تزيغ﴾ بالمثناة الفوقية. وقرأه حمزة، وحفص عن عاصم، وخلف بالمثناة التحتية. وهما وجهان في الفعل المسند لجمع تكسير ظاهر. و الزيغ: الميل عن الطريق المقصود. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ في سورة آل عمران[٨].

وجملة؛ ﴿ثم تاب عليهم﴾ عطف على جملة ﴿لقد تاب الله﴾ أي تاب على غير هذا الفريق مطلقا، وتاب على هذا الفريق بعد ما كادت قلوبهم تزيغ، فتكون ﴿ثم﴾ على أصلها من المهلة. وذلك كقوله في نظير هذه الآية ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة:١١٨]. والمعنى تاب عليهم فأهموا به وخرجوا فلقوا المشقة والعسر، فالضمير في قوله: ﴿عليهم﴾ لل ﴿فريق﴾ . وجوز كثير من المفسرين أن تكون ﴿ثم﴾ للترتيب في الذكر، والجملة بعدها توكيدا لجملة ﴿لقد تاب الله﴾ ، فالضمير للمهاجرين والأنصار كلهم.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٠/١٠

وجملة: ﴿إنه بهم رءوف رحيم﴾ تعليل لما قبلها على التفسيرين.

[١١٩] ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ .

﴿وعلى الثلاثة﴾ معطوف ﴿على النبي﴾ [التوبة:١١٧] بإعادة حرف الجر لبعد المعطوف عليه، أي وتاب على الثلاثة الذين خلفوا. وهؤلاء فريق له حالة خاصة من بين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك غير الذين ذكروا في قوله: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم﴾ [التوبة:٨١] الآية، والذين ذكروا في قوله: ﴿وجاء المعذرون﴾ [التوبة:٩٠] الآية.." (١)

"وصيغة ﴿ما كان لأهل المدينة﴾ خبر مستعمل في إنشاء الأمر على طريق المبالغة، إذ جعل التخلف ليس مما ثبت لهم، فهم براء منه فيثبت لهم ضده وهو الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا.

فيه ثناء على أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب لما قاموا به من غزو تبوك، فهو يقتضي تحريضهم على ذلك كما دل عليه قوله: ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ﴾ الخ.

وفيه تعريض بالذين تخلفوا من أهل المدينة ومن الأعراب.وذلك يدل على إيجاب النفير عليهم إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم للغزو. وقال قتادة وجماعة: هذا الحكم خاص بخروج النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من الخلفاء والأمراء فهو محكم غير منسوخ. وبذلك جزم ابن بطال من المالكية. قال زيد بن أسلم وجابر ابن زيد: كان هذا حكما عاما في قلة الإسلام واحتياجه إلى كثرة الغزاة ثم نسخ لما قوي الإسلام بقوله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ [التوبة:١٢٢] فصار وجوب الجهاد على الكفاية. وقال ابن عطية: هذا حكم من استنفرهم الإمام بالتعيين لأنه لو جاز لهؤلاء التخلف لتعطل الخروج. واختاره فخر الدين.

والتخلف: البقاء في المكان بعد الغير ممن كان معه فيه، وقد تقدم عند قوله: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ [التوبة:٨١].

والرغبة تعدى بحرف (في) فتفيد معنى مودة تحصيل الشيء والحرص فيه، وتعدى بحرف (عن) فتفيد معنى المجافاة للشيء، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ [البقرة:١٣٠] وهي هنا معداة ب(عن). أريد برغبتهم عن نفسه محبتهم أنفسهم وحرصهم على سلامتها دون الحرص على سلامة نفس الرسول، فكأنهم رغبوا عن نفسه إذ لم يخرجوا معه ملابسين لأنفسهم، أي محتفظين بها لأنهم بمقدار من

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢٠/١٠

يتخلف منهم يزداد تعرض نفس الرسول من التلف قربا، فتخلف واحد منهم عن الخروج معه عون على تقريب نفس الرسول عليه الصلاة والسلام من التلف فلذلك استعير لهذا التخلف لفظ الرغبة عنه.

والباء في قوله: ﴿بأنفسهم﴾ للملابسة وهي في موضع الحال. نزل الضن بالأنفس والحذر من هلاكها بالتلبس بها في شدة التمكن فاستعمل له حرف باء للملابسة. وهذه ملابسة خاصة وإن كانت النفوس في كل حال متلبسا بها. وهذا تركيب بديع الإيجاز بالغ الإعجاز.." (١)

"الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال: ﴿وجرين بهم﴾ على طريقة الالتفات، أي وجرين بكم. وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال: ﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾ فإن هذا ليس من شيم المؤمنين فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر من عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق تعويلا على القرينة لأن الذين يبغون في الأرض بغير الحق لا يشمل المسلمين.

وهذا ضرب من الالتفات لم ينبه عليه أهل المعاني وهو كالتخصيص بطريق الرمز.

وقد عدت هذه الآية من أمثلة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في ضمائر الغيبة كلها تبعا "للكشاف" بناء على جعل ضمائر الخطاب للمشركين وجعل ضمائر الغيبة لهم أيضا، وما نحوته أنا أليق.

وابتدئ الإتيان بضمير الغيبة من آخر ذكر النعمة عند قوله: ﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾ للتصريح بأن النعمة شملتهم، وللإشارة إلى أن مجيء العاصفة فجأة في **حال الفرح مراد** منه ابتلاؤهم وتخويفهم. فهو تمهيد لقوله: ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ .

والسير في البر معروف للعرب. وكذلك السير في البحر. كانوا يركبون البحر إلى اليمن وإلى بلاد الحبشة. وكانت لقريش رحلة الشتاء إلى اليمن وقد يركبون البحر لذلك. وقد وصف طرفة بن العبد السفن وسيرها، وذكرها عمرو بن كلثوم في معلقته، والنابغة في داليته.

وقرأ الجمهور ﴿يسيركم﴾ بتحتية في أوله مضمومة فسين مهملة بعدها تحتية بعدها راء من السير، أي يجعلكم تسيرون. وقرأه ابن عامر وأبو جعفر ﴿ينشركم﴾ بتحتية مفتوحة في أوله بعدها نون ثم شين معجمة ثم راء من النشر، وهو التفريق على نحو قوله تعالى: ﴿إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ [الروم: ٢] وقوله: ﴿فانتشروا في الأرض﴾ [الجمعة: ١٠]. قال ابن عطية عن عوف بن أبي جميلة وأبي الزغل: كانوا أي أهل الكوفة

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢٤/١٠

يقرأون ﴿ينشركم﴾ فنظروا في مصحف عثمان بن عفان فوجدوها: ﴿يسيركم﴾ "أي بتحتية فسين مهملة فتحتية" فأول من كتبها كذلك الحجاج بن يوسف، أي أمر بكتبها في مصاحف أهل الكوفة.." (١)

"السلام. ويشرح هذه الآية قوله تعالى في سورة الأنعام[١٢٥-١٢٧]: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ .

والحسنى: في الأصل صفة أنثى الاحسن، ثم عوملت معاملة الجنس فأدخلت عليها لام تعريف الجنس فبعدت عن الوصفية ولم تتبع موصوفها.

وتعريفها يفيد الاستغراق، مثل البشرى، ومثل الصالحة التي جمعها الصالحات. والمعنى: للذين أحسنوا جنس الأحوال الحسنى عندهم، أي لهم ذلك في الآخرة. وبذلك تعين أن ما صدقها الذي أريد بها هو الجنة لأنها أحسن مثوبة يصير إليها الذين أحسنوا وبذلك صيرها القرآن علما بالغلبة على الجنة ونعيمها من حصول الملاذ العظيمة.

والزيادة يتعين أنها زيادة لهم ليست داخلة في نوع الحسنى بالمعنى الذي صار علما بالغلبة، فلا ينبغي أن تفسر بنوع مما في الجنة لأنها تكون حينئذ مما يستغرقه لفظ الحسنى فتعين أنها أمر يرجع إلى رفعة الأقدار، فقيل: هي رضي الله تعالى كما قال: ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢]، وقيل: هي رؤيتهم الله تعالى. وقد ورد ذلك عن النبيء صلى الله عليه وسلم في "صحيح مسلم" و"جامع الترمذي" عن صهيب عن النبيء صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم تبيض وجوهنا وتنجنا من النار وتدخلنا الجنة، قال: فيكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه" . وهو أصرح ما ورد في تفسيرها.

والرهق: الغشيان. وفعله من باب فرح.

والقتر: لون هو غبرة إلى السواد. ويقال له قترة والذي تخلص دي من كلام الأئمة والاستعمال أن القترة لون يغشى جلدة الوجه من شدة البؤس والشقاء والخوف. وهو من آثار تهيج الكبد من ارتجاف الفؤاد خوفا وتوقعا.

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٥/١١

والذلة: الهوان. والمراد أثر الذلة الذي يبدو على وجه الذليل. والكلام مستعمل في صريحه وكنايته، أي لا تتشوه وجوههم بالقتر وأثر الذلة ولا يحصل لهم ما يؤثر القتر وهيئة الذلة.." (١)

"الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾

بيان لجملة ﴿ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض﴾ [يونس: ٦٦] إلى آخرها، وفي هذا البيان إدماج بحكاية فن من فنون كفرهم مغاير لادعاء شركاء لله، لأن هذا كفر خفي من دينهم، ولأن الاستدلال على إبطاله مغاير للاستدلال على إبطال الشركاء.

فضمير ﴿قالوا﴾ عائد إلى: ﴿الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ [يونس: ٦٦] أي قال المشركون: ﴿اتخذ الله ولدا﴾ . وليس المراد من الضمير غيرهم من النصارى لأن السورة مكية والقرآن المكي لم يتصد لإبطال زيغ عقائد أهل الكتاب، ذلك أن كثيرا منهم كانوا يزعمون أن لله بنات هم الملائكة، وهم بناته من سرورات نساء الجن، ولذلك عبدت فرق من العرب الجن قال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ [سبأ: ٤١].

والاتخاذ: جعل شيء لفائدة الجاعل، وهو مشتق من الأخذ لأن المتخذ يأخذ الشيء الذي يصطفيه. وقد تقدم في قوله تعالى: ﴿أتتخذ أصناما آلهة﴾ في سورة الأنعام[٧٤]، وقوله: ﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا﴾ في الأعراف[١٤٦]، فالاتخاذ يصدق على أخذ شيء موجود للاستئثار به، ويصدق على تكوين شيء للانتفاع به. وهو هنا صالح للمعنيين لأن منهم من يعتقد تولد الولد عن الله تعالى، ومنهم من يعتقد أن الله تبنى بعض مخلوقاته.

والولد: اسم مصوغ على وزن فعل مثل عمد وعرب. وهو مأخوذ من الولادة، أي النتاج. يقال: ولدت المرأة والناقة، ولعل أصل الولد مصدر ممات على وزن فعل مثل الفرح. ومن أجل ذلك أطلق على الواحد والجمع كما يوصف بالمصدر. يقال: هؤلاء ولد فلان. وفي الحديث "أنا سيد ولد آدم" والمراد هنا الجمع لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله استولدها من سروات الجن قال تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه﴾ [النحل: ٥٧].

وجملة: ﴿سبحانه﴾ إنشاء تنزيه للرد عليهم، فالجملة جواب لذلك المقال ولذلك فصلت عن التي قبلها. وهو اسم مصدر ل"سبح" إذا نزه، نائب عن الفعل، أي نسبحه. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿قالوا سبحانك

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٤/١١

لا علم لنا﴾ في سورة البقرة، أي تنزيها لله عن هذا لأن ما قالوه يستلزم تنقيص الله تعالى، ولذلك بينت جملة التنزيه بجملة ﴿هو." (١)

"هذه الجملة تتميم للتي قبلها لأنها حكت حالة ضد الحالة في التي قبلها، وهي جملة قسم وشرط وجواب قسم كما تقدم في نظائرها.

وضمير ﴿أذقناه﴾ المنصوب عائد إلى الإنسان فتعريفه كتعريف معاده للاستغراق بالمعنى المتقدم.

والنعماء – بفتح النون – وبالمد النعمة واختير هذا اللفظ هنا وإن كان لفظ النعمة أشهر لمحسن رعي النظير في زنة اللفظين النعماء والضراء. والمراد هنا النعمة الحاصلة بعد الضراء.

والمس مستعمل في مطلق الإصابة على وجه المجاز. واختيار فعل الإذاقة لما تقدم، واختيار فعل المس بالنسبة إلى إدراك الضراء إيماء إلى أن إصابة الضراء أخف من إصابة النعماء، وأن لطف الله شامل لعباده في كل حال.

وأكدت الجملة باللام الموطئة للقسم وبنون التوكيد في جملة جواب القسم لمثل الغرض الذي بيناه في الجملة السابقة.

وجعل جواب القسم القول للإشارة إلى أنه تبجح وتفاخر، فالخبر في قوله: ﴿ذهب السيئات عنِي﴾ مستعمل في لا ازدهاء والإعجاب، وذلك هو مقتضى زيادة ﴿عني﴾ متعلقا ب ﴿ذهب﴾ للإشارة إلى اعتقاد كل واحد أنه حقيق بأن تذهب عنه السيئات غرورا منه بنفسه، كما في قوله: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت: ٥٠].

وجملة: ﴿إنه لفرح فخور﴾ استئناف ابتدائي للتعجيب من حاله، و ﴿فرح فخور﴾ مثالا مبالغة، أي **لشديد الفرح شديد** الفخر. وشدة الفرح: تجاوزه الحد وهو البطر والأشر، كما في قوله: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦].

والفخر: تباهي المرء على غيره بما له من الأشياء المحبوبة للناس.

والمعنى أنه لا يشكر الله على النعمة بعد البأساء وما كان فيه من الضراء فلا يتفكر في وجود خالق الأسباب

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٣/١١

وناقل الأحوال، والمخالف بين أسبابها. وفي معنى الآيتين قوله في سورة الشورى[٤٨]: ﴿وإنا إذا أذقنا الأنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الأنسان كفور﴾ .." (١)

"[١١] ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾

احتراس باستثناء من "الإنسان". والمراد بالذين صبروا المؤمنون بالله لأن الصبر من مقارنات الإيمان فكني بالذين صبروا عن المؤمنين فإن الإيمان يروض صاحبه على مفارقة الهوى ونبذ معتاد الضلالة. قال تعالى: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [الع: ٣].

ومن معاني الصبر انتظار الفرج ولذلك أوثر هنا وصف "صبروا" دون "آمنوا" لأن المراد مقابلة حالهم بحال الكفار في قوله: ﴿إنه ليؤوس كفور﴾ [هود: ٩]. ودل الاستثناء على أنهم متصفون بضد صفات المستثنى منهم. وفي هذا تحذير من الوقوع فيما يماثل صفات الكافرين على اختلاف مقادير. وقد نسجت الآية على هذا المنوال من الإجمال لتذهب نفوس السامعين من المؤمنين في طرق الحذر من صفتي اليأس وكفران النعمة، ومن صفتي الفرح والفخر كل مذهب ممكن.

وجملة ﴿أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ مستأنفة ابتدائية. والإتيان باسم الإشارة عقب وصفهم بما دل عليه الاستثناء وبالصبر وعمل الصالحات تنبيه على أنهم استحقوا ما يذكر بعد اسم الإشارة لأجل ما ذكر قبله من الأوصاف كقوله: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة: ٥].

[١٢] ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾

تفريع على قوله: ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت﴾ إلى قوله: ﴿يستهزئون﴾ [هود: ٧، ٨] من ذكر تكذيبهم وعنادهم. يشير هذا التفريع إلى أن مضمون الكلام المفرع عليه سبب لتوجيه هذا التوقع لأن من شأن المفرع عليه اليأس من ارعوائهم لتكرر التكذيب والاستهزاء يأسا قد يبعث على ترك دعائهم، فذلك كله أفيد بفاء التفريع.

والتوقع المستفاد من "لعل" مستعمل في تحذير من شأنه التبليغ. ويجوز أن يقدر استفهام حذفت أداته. والتقدير: ألعلك تارك. ويكون الاستفهام مستعملا في النفي للتحذير، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿لعلك

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٤/١١

باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ [الشعراء: ٣].
والاستفهام كناية عن بلوغ الحالة حدا يوجب توقع الأمر المستفهم عنه حتى أن." (١)
"المتكلم يستفهم عن حصوله. وهذا أسلوب يقصد به التحريك من همة المخاطب وإلهاب همته لدفع الفتور عنه، فليس في هذا تجويز ترك النبيء صلى الله عليه وسلم تبليغ بعض ما يوحى إليه، وذلك البعض هو ما فيه دعوتهم إلى الإيمان وإنذارهم بالعذاب وإعلامهم بالبعث كما يدل عليه قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾ [الأعراف: ٢٣]. والمعنى تحذيره من التأثر بعنادهم وتكذيبهم واستهزائهم، ويستتبع ذلك تأييس المشركين من تركه ذكر البعث والإنذار بالعذاب، فالخطاب مستعمل في حقيقته ومراد منه مع ذلك علم السامعين بمضمونه.
﴿وضائق﴾ : اسم فاعل من ضاق. وإنما عدل عن أن يقال "ضيق" هنا إلى ﴿ضائق﴾ لمراعاة النظير مع قوله: "تارك" لأن ذلك أحسن فصاحة. ولأن ﴿ضائق﴾ لا دلالة فيه على تمكن وصف الضيق من صدره بخلاف ضيق، إذ هو صفة مشبهة وهي دالة على تمكن الوصف من الموصوف، وإيماء إلى أن أقصى ما يتوهم توقعه في جانبه صلى الله عليه وسلم هو ضيق قليل يعرض له.
والضيق مستعمل مجازا في الغم والأسف، كما استعمل ضده وهو الانشراح في الفرح والمسرة.
و ﴿ضائق﴾ عطف على ﴿تارك﴾ فهو وفاعله جملة خبر عن "لعلك" فيتسلط عليه التفريع.
والباء في ﴿به﴾ للسببية، والضمير المجرور بالباء عائد على ما بعده وهو ﴿أن يقولوا﴾ . و ﴿أن يقولوا﴾ بدل من الضمير. ومثل ذلك مستعمل في الكلام كقوله تعالى: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣]، فيكون تحذيرا من أن يضيق صدره لاقتراحهم الآيات بأن يقولوا: ﴿لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ ، ويحصل مع ذلك التحذير من أن يضيق صدره من قولهم: ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ [هود: ٧]، ومن قولهم: ما يحبس العذاب عنا، بواسطة كون ﴿ضائق﴾ داخلا في تفريع التحذير على قوليهم السابقين.
وإنما جيء بالضمير ثم أبدل منه لقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل ليكون أشد تمكنا في الذهن، ولقصد تقديم المجرور المتعلق باسم الفاعل على فاعله تنبيها على الاهتمام بالمتعلق لأنه سبب صدور الفعل عن فاعله فجيء بالضمير المفسر فيما بعد لما في لفظ التفسير من الطول، فيحصل بذكره بعد بين

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٥/١١

اسم الفاعل ومرفوعه، فلذلك اختصر في ضمير يعود عليه، فحصل الاهتمام وقوي الاهتمام بما يدل على تمكنه في الذهن.." (١)

"ونداء البشرى مجاز، لأن البشرى لا تنادى، ولكنها شبهت بالعاقل الغائب الذي احتيج إليه فينادى كأنه يقال له: هذا آن حضورك. ومنه: يا حسرتا، وياعجبا، فهي مكنية وحرف النداء تخييل أو تبعية.

والمعنى: **أنه فرح وابتهج** بالعثور على غلام.

وقرأ الجمهور ﴿يا بشرى﴾ بإضافة البشرى إلى ياء المتكلم. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف بدون إضافة.

واسم الإشارة عائد إلى ذات يوسف – عليه السلام –؛ خاطب الوارد بقية السيارة، ولم يكونوا يرون ذات يوسف – عليه السلام – حين أصعده الوارد من الجب، إذ لو كانوا يرونه لما كانت فائدة لتعريفهم بأنه غلام إذ المشاهدة كافية عن الإعلام، فتعين أيضا أنهم لم يكونوا مشاهدين شيح يوسف – عليه السلام – حين ظهر من الجب، فالظاهر أن اسم الإشارة في مثل هذا المقام لا يقصد به الدلالة على ذات معينة مرئية بل يقصد به إشعار السامع بأنه قد حصل **شيء فرح به** غير مترقب، كما يقول الصائد لرفاقه: هذا غزال وكما يقول الغائص: هذه صدفة أو لؤلؤة ويقول الحافر للبئر: هذا الماء قال النابغة يصف الصائد وكلابه وفرسه:

يقول راكبه الجني مرتفقا ... هذا لكن ولحم الشاة محجور

وكان الغائصون إذا وجدوا لؤلؤة يصيحون. قال النابغة:

أو درة صدفاته غواصها ... بهج متى يرها يهل ويسجد

والمعنى: وجدت في البئر غلاما، فهو لقطة، فيكون عبدا لمن التقطه. وذلك سبب ابتهاجه بقوله: ﴿يا بشرى هذا غلام﴾.

والغلام: من سنه بين العشر والعشرين. وكان سن يوسف – عليه السلام – يومئذ سبع عشرة سنة.

وكان هؤلاء السيارة من الإسماعيلين كما في التوراة، أي أبناء إسماعيل ابن إبراهيم. وقيل: كانوا من أهل مدين وكان مجيئهم الجب للاستقاء منها، ولم يشعر بهم إخوة يوسف إذ كانوا قد ابتعدوا عن الجب.

ومعنى ﴿أسروه﴾. والضمير للسيارة لا محالة، أي أخفوا يوسف – عليه." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٦/١١

(٢) التحرير والتنوير، ٣٩/١٢

"والبعد عن الرحمة والخزي وإضافة سوء الدار كإضافة عقبى الدار. والسوء ضد العقبى كما تقدم.

[٢٦] ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾.

هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا جوابا عما يهجس في نفوس السامعين من المؤمنين والكافرين من سماع قوله: ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ المفيد أنهم مغضوب عليهم، فأما المؤمنون فيقولون: كيف بسط الله الرزق لهم في الدنيا فازدادوا به طغيانا وكفرا وهلا عذبهم في الدنيا بالخصاصة كما قدر تعذيبهم في الآخرة، وذلك مثل قول موسى – عليه السلام – ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ [سورة يونس: ٨٨]، وأما الكافرون فيسخرون من الوعيد مزدهين بما لهم من نعمة. فأجيب الفريقان بأن الله يشاء بسط الرزق لبعض عباده ونقصه لبعض آخر لحكمة متصلة بأسباب العيش في الدنيا، ولذلك اتصال بحال الكرامة عنده في الآخرة. ولذلك جاء التعميم في قوله: ﴿لمن يشاء﴾ ، ومشيئته تعالى وأسبابها لا يطلع عليها أحد.

وأفاد تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: ﴿الله يبسط﴾ تقوية للحكم وتأكيدا، لأن المقصود أن يعلمه الناس ولفت العقول إليه على رأي السكاكي في أمثاله. وليس المقام مقام إفادة الحصر كما درج عليه "الكشاف" إذ ليس ثمة من يزعم الشركة لله في ذلك، أو من يزعم أن الله لا يفعل ذلك فيقصد الرد عليه بطريق القصر.

والبسط: مستعار للكثرة وللدوام. والقدر: كناية عن القلة.

ولما كان المقصود الأول من هذا الكلام تعليم المسلمين كان الكلام موجها إليهم.

وجيء في جانب الكافرين بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم أقل من أن يفهموا هذه الدقائق لعنجهية نفوسهم فهم فرحوا بما لهم في الحياة الدنيا وغفلوا عن الآخرة، فالفرح **المذكور فرح بطر** وطغيان كما في قوله تعالى في شأن قارون ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [سورة القصص: ٧٦]، فالمعنى فرحوا بالحياة الدنيا دون اهتمام بالآخرة. وهذا المعنى أفاده الاقتصار على ذكر الدنيا في حين ذكر الآخرة أيضا بقوله: ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾.." (١)

"وهذا فريق آخر أيضا أهل الكتاب وهو منقسم أيضا في تلقي القرآن فرقتين: فالفريق الأول صدقوا بالقرآن وفرحوا به وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ في سورة العقود [٨٣]، وكلهم من النصارى مثل ورقة بن نوفل وكذلك غيره

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٩/١٢

ممن بلغهم القرآن أيام مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن تبلغهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فإن اليهود كانوا قد سروا بنزول القرآن مصدقا للتوراة، وكانوا يحسبون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مقصورة على العرب فكان اليهود يستظهرون بالقرآن على المشركين، قال تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ [سورة البقرة: ٨٩]. وكان النصارى يستظهرون به على اليهود؛ وفريق لم يثبت **لهم الفرح بالقرآن** وهم معظم اليهود والنصارى البعداء عن مكة. وما كفر الفريقان به إلا حين علموا أن دعوة الإسلام عامة.

وبهذا التفسير تظهر بلاغة التعبير عنهم بـ ﴿يفرحون﴾ دون يؤمنون. وإنما سكنا هذا الوجه بناء على أن هذه السورة مكية كان نزولها قبل أن يسلم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وبعض نصارى نجران وبعض نصارى اليمن. فإن كانت السورة مدنية أو كان هذا من المدني فلا إشكال. فالمراد بالذين آتيناهم الكتاب الذين أوتوه إيتاء كاملا، وهو المجرد عن العصبية لما كانوا عليه وعن الحسد، فهو كقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ [سورة البقرة: ١٢١].

فالأظهر أن المراد بالأحزاب أحزاب الذين أوتوا الكتاب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ في سورة مريم [٣٧]، أي ومن أحزابهم من ينكر بعض القرآن. فاللام عوض عن المضاف إليه. ولعل هؤلاء هم خبثاؤهم ودهاتهم الذين توسموا أن القرآن يبطل شرائعهم فأنكروا بعضه. وهو ما فيه من الإيماء إلى ذلك من إبطال أصول عقائدهم مثل عبودية عيسى – عليه السلام – بالنسبة للنصارى. ونبوءته بالنسبة لليهود.

وفي التعبير عنهم بالأحزاب إيماء إلى أن هؤلاء هم المتحزبون المتصلبون لقومهم ولما كانوا عليه. هكذا كانت حالة اضطراب أهل الكتاب عندما دمغتهم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ أمر الإسلام يفشو.

[٣٦] ﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب﴾.." (١)

"أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلن للفريقين بأنه ما أمر إلا بتوحيد الله كما في الآية الأخرى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، **فمن فرح بالقرآن** فليزدد فرحا ومن أنكر بعضه فليأخذ بما لا ينكره وهو عدم الإشراك. وقد كان النصارى يتبرؤون من الشرك ويعدون اعتقاد بنوة عيسى – عليه السلام – غير شرك.

وهذه الآية من مجاراة الخصم واستنزال طائر نفسه كيلا ينفر من النظر. وبهذا التفسير يظهر موقع جملة

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩٧/١٢

﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله﴾ بعد جملة ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون﴾ وأنها جواب للفريقين.
وأفادت ﴿إنما﴾ أنه لم يؤمر إلا بأن يعبد الله ولا يشرك به، أي لا بغير ذلك مما عليه المشركون، فهو قصر إضافي دلت عليه القرينة.
ولما كان المأمور به مجموع شيئين: عبادة الله، وعدم الإشراك به في ذلك آل المعنى: أني ما أمرت إلا بتوحيد الله.
ومن بلاغة الجدل القرآني أنه لم يأت بذلك من أول الكلام بل أتى به متدرجا فيه فقال ﴿أن أعبد الله﴾ لأنه لا ينازع في ذلك أحد من أهل الكتاب ولا المشركين، ثم جاء بعده ﴿ولا أشرك به﴾ به لإبطال إشراك المشركين وللتعريض بإبطال إلهية عيسى – عليه السلام – لأن ادعاء بنوته من الله تعالى يؤول إلى الإشراك.
وجملة ﴿إليه أدعو وإليه مآب﴾ بيان لجملة ﴿إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به﴾، أي أن أعبده وأن أدعو الناس إلى ذلك، لأنه لما أمر بذلك من قبل الله استفيد أنه مرسل من الله فهو مأمور بالدعوة إليه.
وتقديم المجرور في الموضعين للاختصاص، أي إليه لا إلى غيره أدعو، أي بهذا القرآن، وإليه لا إلى غيره مئابي، فإن المشركين يرجعون في مهمهم إلى الأصنام يستنصرونها ويستغيثونها، وليس في قوله هذا ما ينكره أهل الكتاب إذ هو مما كانوا فيه سواء مع الإسلام. على أن قوله: ﴿وإليه مآب﴾ يعم الرجوع في الآخرة وهو البعث. وهذا من وجوه الوفاق في أصل الدين بين الإسلام واليهودية والنصرانية.
وحذف ياء المتكلم من ﴿مئابي﴾ كحذفها في قوله: ﴿عليه توكلت وإليه متاب﴾ [سورة الرعد: ٣٠]، وقد مضى قريبا.." (١)

"عطف جزء من قصة قوم لوط وهو الجزء الأهم فيها.
ومجيء أهل المدينة إليه ومحاورته معهم كان قبل أن يعلم أنهم ملائكة ولو علم ذلك لما أشفق مما عزم عليه أهل المدينة لما علم بما عزموا عليه بعد مجادلتهم معه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ في سورة هود [٨١]. والواو لا تفيد ترتب معطوفها.
ويجوز جعل الجملة في موضع الحال من ضمير لوط المستتر في فعل ﴿قال إنكم قوم منكرون﴾ [سورة الحجر:]، أو من الهاء في ﴿إليه﴾ولا إشكال حينئذ.والمدينة هي سدوم.
و ﴿يستبشرون﴾ يفرحون ويسرون. وهو مطاوع بشره فاستبشر، قال تعالى: ﴿فاستبشروا ببيعكم﴾ في سورة براءة [١١١]. وصيغ بصيغة المضارع لإفادة التجدد مبالغة في الفرح. وذلك أنهم علموا أن رجالا غرباء

(١) التحرير والتنوير، ١٩٨/١٢

حلوا ببيت لوط – عليه السلام – ففرحوا بذلك ليغتصبوهم كعادتهم السيئة. وقد تقدمت القصة في سورة هود.

والفضح والفضيحة: شهرة حال شنيعة. وكانوا يتعيرون بإهانة الضيف ويعد ذلك مذلة لمضيفه. وقد ذكرهم بالوازع الديني وإن كانوا كفارا استقصاء للدعوة التي جاء بها، وبالوازع العرفي فقال: ﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ كما في قول عبد بني الحسحاس:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

والخزي: الذل والإهانة. وتقدم في قوله تعالى: ﴿إلا خزي في الحياة الدنيا﴾ في أوائل سورة البقرة [٨٥]. وتقدم في مثل هذه القصة في سورة هود.

[٧٠-٧٧] ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾

الواو في ﴿أولم ننهك﴾ عطف على كلام لوط – عليه السلام – جار على طريقة العطف على كلام الغير كقوله تعالى: ﴿قال ومن ذريتي﴾ بعد قوله تعالى: ﴿قال إني جاعلك للناس إماما﴾ في سورة البقرة [١٢٤].." (١)

"وسوء الوجوه: جعل المساءة عليها، أي تسليط أسباب المساءة والكآبة عليكم حتى تبدو على وجوهكم لأن ما يخالج الإنسان من غم وحزن، أو فرح ومسرة يظهر أثره على الوجه دون غيره من الجسد، كقول الأعشى:

وأقدم إذا ما أعين الناس تفرق أراد إذا ما تفرق

الناس وتظهر علامات الفرق في أعينهم.

ودخول المسجد دخول غزو بقرينة التشبيه في قوله: ﴿كما دخلوه أول مرة ﴾ المراد منه قوله: ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ [الإسراء:٥].

والتتبير: الإهلاك والإفساد.

و ﴿ما علوا﴾ موصول هو مفعول(يتبروا)، وعائد الصلة محذوف لأنه متصل منصوب، والتقدير: ما علوه، والعلو علو مجازي وهو الاستيلاء والغلب.

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٣/١٣

ولم يعدهم الله في هذه المرة إلا بتوقع الرحمة دون رد الكرة، فكان إيماء إلى أنهم لا ملك لهم بعد هذه المرة. وبهذا تبين أن المشار إليه بهذه المرة الآخرة هو ما اقترفه اليهود من المفاسد والتمرد وقتل الأنبياء والصالحين والاعتداء على عيسى وأتباعه، وقد أنذرهم النبي ملاخي في الإصحاحين الثالث والرابع من كتابه وأنذرهم زكرياء ويحيى وعيسى١ فلم يرعوا فضربهم الله الضربة القاضية بيد الرومان.

وبيان ذلك: أن اليهود بعد أن عادوا إلى أورشليم وجددوا ملكهم ومسجدهم في زمن(داريوس) وأطلق لهم التصرف في بلادهم التي غلبهم عليها البابليون وكانوا تحت نفوذ مملكة فارس، فمكثوا على ذلك مائتي سنة من سنة ٥٣٠ إلى سنة ٣٣٠ قبل المسيح، ثم أخذ ملكهم في الانحلال بهجوم البطالسة ملوك مصر على أورشليم فصاروا تحت سلطانهم إلى سنة ١٦٦ قبل المسيح إذ قام قائد من إسرائيل اسمه (ميثيا)وكان من اللاويين فانتصر لليهود وتولى الأمر عليهم وتسلسل الملك بعده في أبنائه في زمن مليء بالفتن إلى سنة أربعين قبل المسيح. دخلت المملكة تحت نفوذ الرومانيين وأقاموا عليها أمراء من اليهود كان أشهرهم(هيرودس) ثم تمردوا للخروج على الرومانيين، فأرسل قيصر رومية القائد(سيسيانوس) مع ابنه القائد(طيطوس) بالجيوش في حدود سنة أربعين بعد المسيح

–

انظر الإصحاح الثالث من انجيل مرقس الحواري.." (١)

"تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا والموت أكرم نزال على الحوم

أخشى فظاظة عم أو جفاء أخ وكنت أخشى عليها من أذى الكلم فلتحذير المسلمين من آثار هذه الخواطر ذكروا بتحريم الوأد وما في معناه. وقد كان ذلك في جملة ما تؤخذ عليه بيعة النساء المؤمنات كما في آية سورة الممتحنة. ومن فقرات أهل الجاهلية: دفن البنات. من المكرمات. وكلتا الحالتين من أسباب قتل الأولاد تستلزم الأخرى وإنما التوجيه للمنظور إليه بادئ ذي بدء.

الوجه الثاني : فمن أجل هذا الاعتبار في الفرق للوجه الأول قيل هنالك ﴿نحن نرزقكم وإياهم ﴾ بتقديم ضمير الآباء على ضمير الأولاد، لأن الإملاق الدافع للوأد المحكي به في آية الأنعام هو إملاق الآباء فقدم الإخبار بان الله هو رازقهم وكمل بأنه رازق بناتهم.

وأما الإملاق المحكي في هذه الآية فهو الإملاق المخشي وقوعه. والأكثر أنه توقع إملاق البنات كما رأيت في الأبيات، فلذلك قدم ال إعلام بان الله رازق الأبناء وكمل بأنه رازق آبائهم. وهذا من نكت القرآن.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣١/١٤

والإملاق: الافتقار. وتقدم الكلام على الوأد عند قوله تعالى: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ (الأنعام: من الآية١٣٧)))(الإسراء: من الآية٣١)

وجملة ﴿نحن نرزقهم﴾ (معترضة بين المتعاطفات. وجملة ﴿إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ تأكيد للنهي وتحذير من الوقوع في المنهي، وفعل كان تتأكيد للجملة.

والمراد بالأولاد خصوص البنات لأنهن اللاتي كانوا يقتلونهن وأدا، ولكن عبر عنهن بلفظ الأولاد في هذه الآية ونظائرها لأن البنت يقال لها: ولد. وجرى الضمير على اعتبار اللفظ في قوله: ﴿نرزقهم﴾

والخطء بكسر الخاء وسكون الطاء مصدر خطئ بوزن فرح، إذا أصاب إثما، ولا يكون الإثم إلا عن عمد، قال تعالى: ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ (القصص: من الآية٨) وقال (العلق:١٦)

وأما الخطأ بفتح الخاء والطاء فهو ضد العمد. وفعله: أخطأ واسم ال ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ فاعل مخطئ، قال تعالى ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ (الأحزاب: من الآية٥) وهذه التفرقة هي سر العربية وعليها المحققون من أيمتها.." (١)

"فالخرور المحكي بالجملة الثانية هو الخرور الأول، وأنما خروا خرورا واجدا ساجدين باكين، فذكر مرتين اهتماما بما صحبه من علامات الخشوع.

وذكر ﴿يبكون﴾ بصيغة المضارع لاستحضار الحالة.

والبكاء **بكاء فرح وبهجة**. والبكاء: يحصل من انفعال باطني ناشئ عن حزن أو عن خوف أو عن شوق.

ويزيدهم القرآن خشوعا على خشوعهم الذي كان لهم من سماع كتابهم.

ومن السنة سجود القارئ والمستمع له بقصد هذه الآية اقتداء بأولئك الساجدين بحيث لا يذكر المسلم سجود أهل الكتاب عند سماع القرآن إلا وهو يرى أجدر بالسجود عند تلاوة القرآن.

[١١٠] ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾

لا شك أن لنزول هذه الآية سببا خاصا إذ لا موجب لذكر هذا التخيير بين دعاء الله تعالى باسمه العلم وبين دعائه بصفة الرحمان خاصة دون ذكر غير تلك الصفة من صفات الله مثل: الرحيم أو العزيز وغيرهما من الصفات الحسنى.

---

(١) التحرير والتنوير، ٧١/١٤

ثم لا بد بعد ذلك من طلب المناسبة لوقوعها في هذا الموضع من السورة.

فأما سبب نزولها فروى الطبري والواحدي عن ابن عباس قال:"كان النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو يا رحمان يا رحيم، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدا وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ .وعليه فالاقتصار على التخيير في الدعاء بين اسم الله وبين صفة الرحمان اكتفاء، أي أو الرحيم.

وفي"الكشاف": عن ابن عباس سمع أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا الله يا رحمان. فقال أبو جهل: إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر. وأخرجه ابن مردويه. وهذا أنسب بالآية لاقتصارها على اسم الله وصفة الرحمان.." (١)

"[٣٩] ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾

عقب تحذيرهم من عذاب الآخرة والنداء على سوء ضلالهم في الدنيا بالأمر بإنذارهم استقصاء في الإعذار لهم.

والضمير عائد إلى الظالمين، وهم المشركون من أهل مكة وغيرهم من عبدة الأصنام لقوله ﴿وهم لا يؤمنون﴾ وقوله: ﴿وإلينا يرجعون﴾

وانتصب ﴿يوم الحسرة﴾ على أنه مفعول خلف عن المفعول الثاني ل ﴿وأنذرهم﴾ لأنه بمعنى أنذرهم عذاب يوم الحسرة.

والحسرة: الندامة الشديدة الداعية إلى التلهف. والمراد بيوم الحسرة يوم الحساب، أضيف اليوم إلى الحسرة لكثرة ما يحدث فيه من تحسر المجرمين على ما فرطوا فيه من أسباب النجاة، فكان ذلك اليوم كأنه مما اختصت به الحسرة، فهو يوم حسرة بالنسبة إليهم وإن كان **يوم فرح بالنسبة** إلى الصالحين.

واللام في ﴿الحسرة﴾ على هذا الوجه لام العهد الذهني، ويجوز أن يكون اللام عوضا عن المضاف إليه، أي يوم حسرة الظالمين.

ومعنى ﴿قضي الأمر﴾ تمم أم الله بزجهم في العذاب فلا معقب له.

ويجوز أن يكون المراد ب ﴿الأمر﴾ أمر الله بمجيء يوم القيامة، أي إذا حشروا. و ﴿إذ﴾ اسم زمان، بدل من ﴿يوم الحسرة﴾

وجملة ﴿وهم في غفلة﴾ حال من ﴿الأمر﴾ وهي حال سببية، إذ التقدير:إذ قضي أمرهم.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٥/١٤

والغفلة: الذهول عن شيء شأنه أن يعلم.

ومعنى جملة الحال على الاحتمال الأول في معنى الأمر الكناية عن سرعة صدور الأمر بتعذيبهم، أي قضي أمرهم على حين أنهم في غفلة، أي بهت. وعلى الاحتمال الثاني تحذير من حلول يوم القيامة بهم قبل أن يؤمنوا كقوله: ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ [لأعراف: من الآية١٨٧]، وهذا أليق بقوله: ﴿وهم لا يؤمنون﴾." (١)

"وقد بسطنا القول في معنى ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ في سورة الأنبياء.

والأمر هنا بمعنى الشأن والحال وما صدقه أمور دينهم.

والزبر بضم الزاي وضم الموحدة كما قرأ به الجمهور جمع زبور وهو الكتاب. استعير اسم الكتاب للدين لأن شأن الدين أن يكون لأهله كتاب، فيظهر أنها استعارة تهكمية إذ لم يكن لكل فريق كتاب ولكنهم اتخذوا لأنفسهم أديانا وعقائد لو سجلت لكانت زبرا.

وقرأه أبو عمرو بخلاف عنه ﴿زبرا﴾ بضم الزاء وفتح الموحدة وهو جمع زبرة بمعنى قطعة.

وجملة ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ تذييل لما قبله لأن التقطع يقتضي التحزب فذيل بأن كل فريق **منهم فرح بدينه**، ففي الكلام صفة محذوفة ل ﴿حزب﴾ أي كل حزب منهم، بدلالة المقام.

والفرح: شدة المسرة، أي راضون جذلون بأنهم اتخذوا طريقتهم في الدين. والمعنى: أنهم فرحون بدينهم عن غير دليل ولا تبصر بل لمجرد العكوف على المعتاد، وذلك يومئ إليه ﴿لديهم﴾ المقتضي أنه متقرر بينهم من قبل، أي بالدين الذي هو لديهم فهم لا يرضون على من خالفهم ويعادونه، وذلك يفضي إلى التفريق والتخاذل بين الأمة الواحدة وهو خلاف مراد الله ولذلك ذيل به قوله: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ . وقديما كان التحزب مسببا لسقوط الأديان والأمم وهو من دعوة الشيطان التي يلبس فيها الباطل في صورة الحق.

والحزب: الجماعة المجتمعون على أمر من اعتقاد أو عمل، أو المتفقون عليه.

[٥٤] ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾

انتقال بالكلام إلى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم. وضمير الجمع عائد إلى معروف من السياق وهم مشركو قريش فإنهم من جملة الأحزاب الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا، أو هم عينهم: فمنهم اتخذ إلهه العزى.

---

(١) التحرير والتنوير، ٤١/١٦

ومنهم من اتخذ مناة، ومنهم من اتخذ ذا الخلصة إلى غير ذلك.
والكلام ظاهره المتاركة، والمقصود منه الإملاء لهم وإنذارهم بما يستقبلهم من سوء." (١)

"لهم إكراما فكأنه رزق خاص من مكان شديد الاختصاص بالله تعالى.

وقد حصل في خلال الرد لقولهم إدماج للامتنان عليهم بهذه النعمة ليحصل لهم وازعان عن الكفر بالنعم: وازع إبطال معذرتهم عن الكفر، ووازع التذكير بنعمة المكفور به.

وموقع الاستدراك في قوله ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أنه متعلق بالكلام المسوق مساق الرد على قولهم ﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ إذ التقدير: أن تلك نعمة ربانية ولكن أكثرهم لا علم لهم فلذلك لم يتفطنوا إلى كنه هذه النعمة فحسبوا أن الإسلام مفض إلى اعتداء العرب عليهم ظنا بأن حرمتهم بين العرب مزية ونعمة أسداها إليهم قبائل العرب.

وفعل ﴿لا يعلمون﴾ منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول، أي ليسوا ذوي علم ونظر بل هم جهلة لا يتدبرون الأحوال. ونفي العلم عن أكثرهم لأن بعضهم أصحاب رأي فلو نظروا وتدبروا لما قالوا مقالتهم تلك.

ولو قدر لفعل ﴿يعلمون﴾ مفعول دل عليه الكلام، أي لا يعلمون تمكين الحرم لهم وأن جلب الثمرات إليهم من فضلنا لما استقام إسناد نفي العلم إلى أكثرهم بل كان يسند إلى جميعهم لإطباق كلمتهم على مقالة ﴿إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ .

وقرأ نافع وأبو جعفر ورويس عن يعقوب ﴿تجبى﴾ بالمثناة الفوقية. وقرأ الباقون بالياء التحتية مراعاة للمضاف إليه وهو ﴿كل شيء﴾ فأكسب المضاف تأنيثا.

[٥٨] ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين﴾ .

عطف على جملة ﴿أولم نمكن لهم حرما آمنا﴾ [القصص: ٥٧] باعتبار ما تضمنته من الإنكار والتوبيخ، فإن ذلك يقتضي التعرض للانتقام شأن الأمم التي كفرت بنعم الله فهو تخويف لقريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والرزق فغمطوا النعمة وقابلوها بالبطر.

والبطر: التكبر. وفعله قاصر من باب فرح، فانتصاب ﴿معيشتها﴾ بعد ﴿بطرت﴾ على تضمين ﴿بطرت﴾ معنى (كفرت) لأن البطر وهو التكبر يستلزم عدم الاعتراف بما." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، 81/٦٠

(٢) التحرير والتنوير، ٨٢/٢٠

"وما قول أبي عبيدة بأن تركيب الآية فيه قلب، فلا يقبله من كان له قلب.

والعصبة: الجماعة، وتقدم في سورة يوسف. وأقرب الأقوال في مقدارها قول مجاهد أنه من عشرة إلى خمسة عشر. وكان اكتسب الأموال في مصر وخرج بها.

﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾

﴿إذ﴾ ظرف منصوب بفعل ﴿بغى عليهم﴾ والمقصود من هذا الظرف القصة وليس القصد به توقيت البغي ولذلك قدره بعض المفسرين متعلقا بـ(اذكر) محذوفا وهو المعني في نظائره من القصص.

والمراد بالقوم بعضهم إما جماعة منهم وهم أهل الموعظة وإما موسى عليه السلام أطلق عليه اسم القوم لأن أقواله قدوة للقوم فكأنهم قالوا قوله.

والفرح يطلق على السرور كما في قوله تعالى ﴿وفرحوا بها﴾ في [يونس: ٢٢]. ويطلق على البطر والإزدهاء، وهو الفرح المفرط المذموم، وتقدم في قوله تعالى ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ في [سورة الرعد: ٢٦] وهو التمحض للفرح. والفرح المنهي عنه هو المفرط منه، أي الذي تمحض للتعلق بمتاع ولذات النفس به لأن الانكباب على ذلك يميت من النفس الاهتمام بالأعمال الصالحة والمنافسة لاكتسابها فينحدر به التوغل في الإقبال على اللذات إلى حضيض الإعراض عن الكمال النفساني والاهتمام بالآداب الدينية، فحذف المتعلق بالفعل لدلالة المقام على أن المعنى لا تفرح بلذات الدنيا معرضا عن الدين والعمل للآخرة كما أفصح عنه قوله ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ . وأحسب أن الفرح إذا لم يعلق به شيء دل على أنه صار سجية الموصوف فصار مرادا به العجب والبطر. وقد أشير إلى بيان المقصود تعضيدا لدلالة المقام بقوله ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ ، أي المفرطين في الفرح فإن صيغة (فعل) صيغة مبالغة مع الإشارة إلى تعليل النهي، فالجملة علة للتي قبلها، والمبالغة في الفرح تقتضي شدة الإقبال على ما يفرح به وهي تستلزم الإعراض عن غيره فصار النهي عن شدة الفرح رمزا إلى الإعراض عن الجد والواجب في ذلك.

وابتغاء الدار الآخرة طلبها، أي طلب نعيمها وثوابها. وعلق بفعل الابتغاء قوله ﴿فيما آتاك الله﴾ بحرف الظرفية، أي اطلب بمعظمه وأكثره. والظرفية مجازية للدلالة على التغلغل ابتغاء الدار الآخرة في ما آتاه الله وما آتاه هو كنوز المال، فالظرفية هنا كالتي في." (١)

"والسلطان: الحجة. ولما جعل السلطان مفعولا للإنزال من عند الله تعين أن المراد به كتاب كما قالوا ﴿حتى تنزل علينا كتابا نقرأه﴾ [الإسراء: ٩٣]. ويتعين أن المراد بالتكلم الدلالة بالكتابة كقوله تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٧/٢٠

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ [الجاثية: ٢٩]، أي تدل كتابته، أي كتب فيه بالقلم القدرة أن الشرك حق كقوله تعالى: ﴿أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون﴾ [الزخرف: ٢١]. وقدم ﴿به﴾ على ﴿يشركون﴾ للاهتمام بالتنبيه على سبب إشراكهم الداخل في حيز الإنكار للرعاية على الفاصلة.

[٣٦، ٣٧] ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون [٣٦] أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون [٣٧]﴾ .

أعيد الكلام على أحوال المشركين زيادة في بسط الحالة التي يتلقون بها الرحمة وضدها تلقيا يستوون فيه بعد أن ميز فيما تقدم حال تلقي المشركين للرحمة بالكفران المقتضي أن المؤمنين لا يتلقونها بالكفران. فأريد تنبيههم هنا إلى حالة تلقيهم ضد الرحمة بالقنوط ليحذروا ذلك ويرتاضوا برجاء الفرج والابتهال إلى الله في ذلك والأخذ في أسباب انكشافها. والرحمة أطلقت على أثر الرحمة وهو المنافع والأحوال الحسنة الملائمة كما ينبغي عنه مقابلتها بالسيئة وهي ما يسوء صاحبه ويحزنه فالمقصد من هذه الآية تخلق المسلمين بالخلق الكامل، ف ﴿الناس﴾ مراد به خصوص المشركين بقرينة أن الآية ختمت بقوله: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ .

وقدمت في هذه الآية إصابة الرحمة على إصابة السيئة عكس التي قبلها للاهتمام بالحالة التي جعلت مبدأ العبرة وأصل الاستدلال، فقوله: ﴿فرحوا بها﴾ وصف لحال الناس عندما تصيبهم الرحمة ليبنى عليه ضده في قوله: ﴿إذا هم يقنطون﴾ لما يقتضيه القنوط من التذمر والغضب، فليس في الكلام تعريض **بإنكار الفرح حتى** نضطر إلى **تفسير الفرح بالبطر** ونحوه لأنه عدول عن الظاهر بلا داع. والمعنى: أنهم كما يفرحون عند الرحمة ولا يخطر ببالهم زوالها ولا يحزنون من خشيته، فكذلك ينبغي أن يصبروا عند ما يمسهم الضر ولا يقنطوا من زواله لأن قنوطهم من زواله غير جار على قياس حالهم عندما تصيبهم رحمة حين لا يتوقعون زوالها، فالقنوط هو محل الإنكار عليهم وهذا كقوله تعالى: ﴿لا يسأم الأنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط﴾ [فصلت: ٤٩] في أن محل التعجيب هو اليأس والقنوط، وتقدم ذكر الإذاقة آنفا. والقنوط: اليأس، وتقدم في سورة الحجر [٥٥]." (١)

"قبلها على لحاق آثار رحمة الله بالناس، وإصابة السوء إياهم، وعلى أن ما يصيبهم من السوء بما قدمت أيدي الناس، وذكر بسط الرزق وتقديره. وتضمن ذلك **أن الفرح يلهيهم** عن الشكر، وأن القنوط يلهيهم عن المحاسبة في الأسباب، فكان الأمر بإيتاء الضعفاء والمنكوبين إرشادا إلى وسائل شكر النعمة

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٦/٢١

عند حصولها شكرا من نوعها واستكشاف الضر عند نزوله، وإلى أن من الحق التوسعة على المضيق عليهم الرزق، كما يحب أن يوسع عليه رزقه؛ فالخطاب بالأمر للنبيء صلى الله عليه وسلم باعتبار من معه من المؤمنين ممن يحق عليه الإيتاء وهو الذي بسط له في الرزق، أي فآتوا ذا القربى حقه بقرينة قوله: ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ [الروم: ٣٨] الآية. ويجوز أن يكون خطابا لغير معين من المؤمنين.

والإيتاء: الإعطاء. وهو مشعر بأن المعطى مال، ويقوي ذلك وقوع الآية عقب قوله: ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ [الروم: ٣٧]. وصيغة الأمر من قوله: ﴿فآت﴾ مجمل. والأصل في محملها لاوجوب مع أن المأمور بإيتائه عبر عنه بأنه حق والأصل في الحق الوجوب. وظاهر الآية يقتضي أن المراد حق في مال المؤتي.

وعن مجاهد وقتادة: صلة الرحم – أي بالمال – فرض من الله عز وجل لا تقبل صدقة أحد ورحمه محتاجة. وقال الحسن: حق ذي القربى المواساة في اليسر، وقول ميسور في العسر. وقال ابن عطية: معظم ما قصد أمر المعونة بالمال ومنه قول النبيء صلى الله عليه وسلم: "في المال حق سوى الزكاة" ، وللمساكين وابن السبيل حق، وبين أن حق هذين في المال اهـ. أقول ولذلك قال جمع كثير: إن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وقال فريق: لم تنسخ بل للقريب حق في البر على كل حال، أي لا نسخ في جميع ما تضمنته بل نسخ بعضه بآية المواريث وبقي ما عداه. قلت: وما بقي غير منسوخ مختلفة أحكامه، وهو مجمل تبينه أدلة أخرى متفرقة من الشريعة.

و ﴿القربى﴾ : قرب النسب والرحم. وتقدم عند قوله: ﴿والجار ذي القربى﴾ في سورة النساء [٣٦].

و ﴿المسكين﴾ تقدم في قوله: ﴿للفقراء والمساكين﴾ في سورة التوبة [٦٠]. و ﴿ابن السبيل﴾ : المسافر المجتاز بالقرية أو بالحي.

ووقع الحق مجملا والحوالة في بيانه على ما هو متعارف بين الناس وعلى ما يبينه النبيء صلى الله عليه وسلم. وكانت الصدقة قبل الهجرة واجبة على الجملة موكولة إلى حرص المؤمن. وقد أطلق عليها اسم الزكاة في آيات مكية كثيرة، وقرنت بالصلاة؛ فالمراد بها في تلك الآيات الصدقة الواجبة وكانت غير مضبوطة بنصب ثم ضبطت بأصناف ونصب ومقادير." (١)

"فخور﴾.

انتقل لقمان بابنه إلى الآداب في معاملة الناس فنهاه عن احتقار الناس وعن التفخر عليهم، وهذا يقتضي

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٨/٢١

أمره بإظهار مساواته مع الناس وعد نفسه كواحد منهم.

وقرأ الجمهور ﴿ولا تصاعر﴾ . وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ﴿ولا تصعر﴾ . يقال: صاعر وصعر، إذا أمال عنقه إلى جانب ليعرض عن جانب آخر، وهو مشتق من الصعر بالتحريك لداء يصيب البعير فيلوي منه عنقه فكأنه صيغ له صيغة تكلف بمعنى تكلف إظهار الصعر وهو تمثيل للاحتقار لأن مصاعرة الخد هيئة المحتقر المستخف في غالب الأحوال. قال عمرو بن حني التغلبي يخاطب بعض ملوكهم:

وكنا إذا الجبار صعر خده ... أقمنا له من ميله فتقوم

والمعنى: لا تحتقر الناس فالنهي عن الإعراض عنهم احتقارا لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد فيشمل الاحتقار بالقول والشتم وغير ذلك فهو قريب من قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ [الإسراء: ٢٣] إلا أن هذا تمثيل كنائي والآخر كناية لا تمثيل فيها.

وكذلك قوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ تمثيل كنائي عن النهي عن التكبر والتفاخر لا عن خصوص المشي في حال المرح فيشمل الفخر عليهم بالكلام وغيره.

والمرح: فرط النشاط **من فرح وازدهاء**، ويظهر ذلك في المشي تبخترا واختيالا فلذلك يسمى ذلك المشي مرحا كما في الآية، فانتصابه على الصفة لمفعول مطلق، أي مشيا مرحا، وتقدم في سورة الإسراء [٣٧].

وموقع قوله: ﴿في الأرض﴾ بعد ﴿لا تمش﴾ مع أن المشي لا يكون إلا في الأرض هو الإيماء إلى أن المشي في مكان يمشي فيه الناس كلهم قويهم وضعيفهم، ففي ذلك موعظة للماشي مرحا أنه مساو لسائر الناس.

وموقع ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ موقع ﴿إن الله لطيف خبير﴾ [لقمان: ١٦] كما تقدم.

والمختال: اسم فاعل من اختال بوزن الافتعال من فعل خال إذا كان ذا خيلاء فهو خائل. والخيلاء: الكبر والازدهار، فصيغة الافتعال فيه للمبالغة في الوصف فوزن المختال مختيل فلما تحرك حرف العلة وانفتح ما قبله قلب ألفا، فقوله: ﴿إن الله لا يحب كل مختال﴾ مقابل قوله: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ ، وقوله: ﴿فخور﴾ مقابل قوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ .

والفخور: شديد الفخر. وتقدم في قوله: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ .." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/١١٠

"في إيمانهم، وأما المشركون فحظهم من المثل ما تقدم وما يأتي من قوله: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾ [يس: ٢٩].

وفي قوله: ﴿قيل ادخل الجنة﴾ كناية عن قتله شهيدا في إعلاء كلمة الله لأن تعقيب موعظته بأمره بدخول الجنة دفعة بلا انتقال يفيد بدلالة الاقتضاء أنه مات وأنهم قتلوه لمخالفته دينهم، قال بعض المفسرين: قتلوه رجما بالحجارة، وقال بعضهم: أحرقوه، وقال بعضهم: حفروا له حفرة وردموه فيها حيا.

وإن هذا الرجل المؤمن قد أدخل الجنة عقب موته لأنه كان من الشهداء والشهداء لهم مزية التعجيل بدخول الجنة دخولا غير موسع. ففي الحديث: "إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تأكل من ثمار الجنة".

والقائل: ﴿ادخل الجنة﴾ هو الله تعالى.

والمقول له هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة وإنما لم يذكر ضمير المقول له مجرورا باللام لأن القول المذكور هنا قول تكويني لا يقصد منه المخاطب به بل يقصد حكاية حصوله لأنه إذا حصل حصل أثره كقوله تعالى: ﴿أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠].

وإذ لم يقص في المثل أنه غادر مقامه الذي قام فيه بالموعظة كان ذلك إشارة إلى أنه مات في مقامه ذلك، ويفهم منه أنه مات قتيلا في ذلك الوقت أو بأثره.

وإنما سلك في هذا المعنى طريق الكناية ولم يصح بأنهم قتلوه إغماضا لهذا المعنى عن المشركين كيلا يسرهم أن قومه قتلوه فيجعلوه من جملة ما ضرب به المثل لهم وللرسول صلى الله عليه وسلم فيطمعوا فيه أنهم يقتلون الرسول صلى الله عليه وسلم فهذه الكناية لا يفهمها إلا أهل الإسلام الذين تقرر عندهم التلازم بين الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة، أما المشركون فيحسبون أن ذلك في الآخرة. وقد تكون في الكلام البليغ خصائص يختص بنفعها بعض السامعين.

وجملة: ﴿قال يا ليت قومي يعلمون﴾ مستأنفة أيضا استئنافا بيانيا لأن السامع يترقب ماذا قال حين غمره الفرح بدخول الجنة. والمعنى: أنه لم يلهه دخول الجنة عن حال قومه، فتمنى أن يعلموا ماذا لقي من ربه ليعلموا فضيلة الإيمان فيؤمنوا وما تمنى هلاكهم ولا الشماتة بهم فكان متسما بكظم الغيظ وبالحلم على أهل الجهل، وذلك لأن عالم الحقائق لا تتوجه فيه النفس إلا إلى الصلاح المحض ولا قيمة للحظوظ الدنية وسفساف الأمور.." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٧/٢٢

"يقال:ماء معن،فيكون ﴿معين﴾ بوزن فعيل مثال مبالغة من المعن وهو الإبعاد في الفعل شبه جريه بالإبعاد في المشي، وهذا أظهر في الاشتقاق.وقيل:ميمه زائدة وهو مشتق من عانه،إذا أبصره لأنه يظهر على وجه الأرض في سيلانه فوزنه مفعول،وأصله معيون فهو مشتق من اسم جامد وهو اسم العين،وليس فعل عان مستعملا استغنوا عنه بفعل عاين.

و ﴿بيضاء﴾ صفة لـ"كأس".وإذ قد أريد بالكأس الخمر الذي فيها كان وصف ﴿بيضاء﴾ للخمر.وإنما جرى تأنيث الوصف تبعا للتعبير عن الخمر بكلمة كأس،على أن اسم الخمر يذكر ويؤنث وتأنيثها أكثر.روى مالك عن زيد بن أسلم:لونها مشرق حسن فهي لا كخمر الدنيا في منظرها الرديء من حمرة أو سواد.

واللذة:اسم معناه إدراك ملائم نفس المدرك،يقال:لذه ولذ به،والمصدر:اللذة واللذاذة.وفعله من باب فرح،تقول:لذذت بالشيء ويقال:شيء لذ،أي لذيذ فهو وصف بالمصدر فإذا جاء بهاء التأنيث كما في الآية فهو الاسم لا محالة لأن المصدر الوصف لا يؤنث بتأنيث موصوفه،يقال:امرأة عدل ولا يقال:امرأة عدلة.ووصف الكأس بها كالوصف بالمصدر يفيد المبالغة في تمكن الوصف،فقوله تعالى : ﴿لذة﴾ هو أقصى مما يؤدي شدة الالتذاذ بكلمة واحدة،لأنه عدل به عن الوصف الأصلي لقصد المبالغة،وعدل عن المصدر إلى الاسم لما في المصدر من معنى الاشتقاق.

وجملة ﴿لا فيها غول﴾ صفة رابعة لكأس باعتبار إطلاقه على الخمر.

والغول،بفتح الغين:ما يعتري شارب الخمر من الصداع والألم،اشتق من الغول مصدر غاله،إذا أهلكه.وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿لا يصدعون عنها﴾ [الواقعة:١٩].

وتقديم الظرف المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص،أي هو منتف عن خمر الجنة فقط دون ما يعرف من خمر الدنيا،فهو قصر قلب.ووقوع ﴿غول﴾ وهو نكرة بعد ﴿لا﴾ النافية أفاد انتفاء هذا الجنس من أصله،ووجب رفعه لوقوع الفصل بينه وبين حرف النفي بالخبر.

وجملة ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ معطوفة على جملة ﴿لا فيها غول﴾ .

وقدم المسند عليه على المسند،والمسند فعل ليفيد التقديم تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي،أي بخلاف شاربي الخمر من أهل الدنيا.

و ﴿ينزفون﴾ مبني للمجهول في الجمهور يقال:نزف الشارب،بالبناء." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢/٢٣

"لا مرحبا بغد ولا أهلا به ... إن كان تفريق الأحبة في غد

وذلك كما يقولون في المدح:حبذا،فإذا أرادوا ذما قالوا:لا حبذا.وقد جمعهما قول كنزة أم شملة المنقري تهجو فيه صاحبة ذي الرمة:

ألا حبذا أهل الملأ غير أنه ... إذا ذكرت مي فلا حبذا هيا

ومعنى الرحب في هذا كله:السعة المجازية،وهي الفرح ولقاء المرغوب في ذلك المكان بقرينة أن نفس السعة لا تفيد الزائر،وإنما قالوا ذلك لأنهم كرهوا أن يكونوا هم وأتباعهم في مكان واحد جريا على خلق جاهليتهم من الكبرياء واحتقار الضعفاء.

وجملة ﴿إنهم صالو النار﴾ خبر ثان عن اسم الإشارة،والخبر مستعمل في التضجر منهم،أي أنهم مضايقوننا في مضيق النار كما أومأ إليه قولهم: ﴿مقتحم معكم لا مرحبا بهم﴾ .

[٦٠] ﴿قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾

فسمعهم الأتباع،فيقولون ﴿بل أنتم لا مرحبا بكم﴾ إضرابا عن كلامهم.وجيء بحكاية قولهم على طريقة المحاورات فلذلك جرد من حرف العطف،أي أنتم أولى بالشتم والكراهية بأن يقال:لا مرحبا بكم، لأنكم الذين تسببتم لأنفسكم ولنا في هذا العذاب بإغرائكم إيانا على التكذيب والدوام على الكفر.و ﴿بل﴾للإضراب الإبطالي لرد الشتم عليهم وانهم أولى به منهم.

وذكر ضمير المخاطبين في قوله: ﴿أنتم لا مرحبا بكم﴾ للتنصل من شتمهم،أي أنتم المشتومون،أي أولى بالشتم منا،وقد استفيد هذا المعنى من حرف الإبطال لا من الضمير لأن الضمير لا مفهوم له ولأن موقعه هنا لا يقتضي حصرا ولا تقويا لأنه مخبر عنه بجملة إنشائية،أي أنتم يقال لكم:لا مرحبا بكم.

وإذا قد كان قول:مرحبا،إنشاء دعاء بالخبر،وكان نفيه إنشاء دعاء بضده،كان قوله:"بهم" بيانا لمن وجه الدعاء لهم،أي إيضاحا للسامع أن الدعاء على أصحاب الضمير المجرور بالباء فكانت الباء فيه للتبيين.قال في "الكشاف":و"بهم" بيان لمدعو عليهم.وقال الهمذاني في شرحه "للكشاف":"يعني:البيان المصطلح،كأن قائلا يقول:بمن يحصل هذا الرحب؟فيقول:بهم.وهذا كما في "هيت لك".يعني أن الباء فيه بمعنى لام التبيين.وهذا المعنى أغلفه ابن هشام في معاني الباء."وأشار الهمذاني إلى." (١)

"ومعنى ﴿إذا ذكر الذين من دونه﴾ إذا ذكرت أصنامهم بوصف الإلهية وذلك حين يسمعون أقوال جماعة المشركين في أحاديثهم وأيمانهم باللات والعزى،أي ولم يذكر اسم الله معها فاستبشارهم بالاقتصار

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٣/١٨٠

على ذكر أصنامهم مؤذن بأنهم يرجحون جانب الأصنام على جانب الأصنام على جانب الله تعالى.والذكر:هو النطق بالاسم.والمراد إذا ذكر المسلمون اسم الله اشمأز المشركون لأنهم لم يسمعوا ذكر آلهتهم وإذا ذكر المشركون أسماء أصنامهم استبشر الذين يسمعونهم من قومهم.والتعبير عن آلهتهم بـ ﴿الذين من دونه﴾ دون لفظ:شركائهم أو شفعائهم،للإيماء إلى أن علة استبشارهم بذلك الذكر هو أنه ذكر من وهم دون الله،أي ذكر مناسب لهذه الصلة،أي هو خال عن اسم الله،فالمعنى: وإذا ذكر شركاؤهم دون ذكر الله إذا هم يستبشرون.

والاقتصار على التعرض لهذين الذكرين لأنهما أظهر في سوء نوايا المشركين نحو الله تعالى،وفي بطلان اعتذراهم بأنهم ما يعبدون الأصنام إلا ليقربوهم إلى الله ويشفعوا لهم عنده،فأما الذكر الذي يذكر فيه اسم الله وأسماء آلهتهم كقولهم في التلبية:لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، فذلك ذكر لا مناسبة له بالمقام.

وذكر جمع من المفسرين لقوله: ﴿إذا ذكر الذين من دونه﴾ أنه إشارة إلى ما يرى من قصة الغرانيق، ونسب تفسير ذلك بذلك إلى مجاهد،وهو بعيد عن سياق الآية.ومن البناء على الأخبار الموضوعة فلله در من أعرضوا عن ذكر ذلك.

الاشمئزاز:شدة الكراهية والنفور،أي كرهت ذلك قلوبهم ومداركهم.

والاستبشار:شدة الفرح حتى يظهر أثر ذلك على بشرة الوجه،وتقدم في قوله: ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ في سورة الحجر[٦٧].

ومقابلة الاشمئزاز بالاستبشار مطابقة كاملة لأن الاشمئزاز غاية الكراهية والاستبشار غاية الفرح.

والتعبير عن المشركين بـ ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ لأنهم عرفوا بهذه الصلة بين الناس مع قصد إعادة تذكيرهم بوقوع القيامة.

و ﴿إذا﴾ الأولى و ﴿إذا﴾ الثانية ظرفان مضمنان معنى الشرط كما هو الغالب.و ﴿إذا﴾ الثالثة للمفاجأة للدلالة على أنهم يعالجهم الاستبشار حينئذ من فرط حبهم آلهتهم.ولذلك جيء بالمضارع في ﴿يستبشرون﴾ دون أن يقال: مستبشرون، لإفادة تجدد استبشارهم.." (١)

"آل فرعون﴾ [غافر: ٢٨]، وختم ذلك بوعد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالنصر كما نصر النبيون من قبله والذين آمنوا بهم، وأمر بالصبر على عناد قومه والتوجه إلى عبادة ربه، فكان ذكر الذين

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٤/٢٤

يجادلون في آيات الله بغير سلطان عقب ذلك من باب المثل المشهور الشيء بالشيء يذكر.
وبهذه المناسبة انتقل هنا إلى كشف ما تكنه صدور المجادلين من أسباب جدالهم بغير حق، ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم دخيلتهم فلا يحسب أنهم يكذبونه تنقصا له ولا تجويزا للكذب عليه، ولكن الذي يدفعهم إلى التكذيب هو التكبر عن أن يكونوا تبعا للرسول صلى الله عليه وسلم ووراء الذين سبقوهم بالإيمان ممن كانوا لا يعبأون بهم. وهذا نحو قوله تعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام: ٣٣].
فقوله: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ الآية استئناف ابتدائي وهو كالتكرير لجملة ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله﴾ [غافر: ٣٥]تكرير تعداد للتوبيخ عند تنهية غرض الاستدلال كما يوقف الموبخ المرة بعد المرة.
و ﴿الذين يجادلون﴾ هم مشركو أهل مكة وهم المخبر عنهم في قوله أول السورة: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ [غافر: ٤]. ومعنى المجادلة في آيات تقدم هناك.
ويتعلق قوله: ﴿بغير سلطان﴾ بـ ﴿يجادلون﴾ . والباء للمصاحبة، أي مصاحب لهم غير سلطان، أي غير حجة، أي أنهم يجادلون مجادلة عناد وغصب.
وفائدة هذا القيد تشنيع مجادلتهم وإلا فإن المجادلة في آيات الله لا تكون إلا بغير سلطان لأن آيات الله لا تكون مخالفة للواقع فهذا القيد نظير القيد في قوله: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص: ٥٠]، وكذلك وصف ﴿سلطان﴾ بجملة ﴿أتاهم﴾ لزيادة تفظيع مجادلتهم بأنها عرية عن حجة لديهم فهم يجادلون بما ليس لهم به علم، وتقدم نظير أول هذه الآية في أثناء قصة موسى وفرعون في هذه السورة.
و ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إن في صدورهم إلا كبر﴾ نافية والجار والمجرور خبر مقدم، والاستثناء مفرغ، و ﴿كبر﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة كلها خبر عن ﴿الذين يجادلون﴾ . وأطلق الصدور على القلوب مجازا بعلاقة الحلول، والمراد ضمائر أنفسهم، والعرب يطلقون القلب على العقل لأن القلب هو الذي يحس الإنسان بحركته عند الانفعالات النفسية **من الفرح وضده** والاهتمام بالشيء. والكبر من الانفعالات النفسية، وهو: إدراك الإنسان." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٤/٢٢٠

"﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ [البقرة: ١٤٣]ولا هو نظير قوله المتقدم: ﴿كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ [غافر: ٦٣]

وقوله: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون﴾ تكملة القيل الذي يقال لهم حين إذ الأغلال في أعناقهم. والإشارة إلى ما هم فيه من العذاب. و"ما" في الموضعين مصدرية، أي ذلكم مسبب على فرحكم ومرحكم اللذين كانا لكم في الدنيا، والأرض: مطلقة على الدنيا.

والفرح: المسرة ورضي الإنسان على أحواله، فهو انفعال نفساني. والمرح ما يظهر على الفارح من الحركات في مشيه ونظره ومعاملته مع الناس وكلامه وتكبره فهو هيئة ظاهرية.

و ﴿بغير الحق﴾ يتنازعه كل من ﴿تفرحون﴾ و ﴿تمرحون﴾ أي تفرحون بما يسركم من الباطل وتزدهون بالباطل فمن آثار فرحهم بالباطل تطاولهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن المرح بالباطل استهزاؤهم بالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ [المطففين: ٣١,٣٠]. فالفرح كلما جاء منهيا عنه في القرآن فالمراد به هذا الصنف منه، كقوله تعالى: ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦]لا **كل فرح فإن** الله امتن على المؤمنين بالفرح في قوله: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ [الروم: ٥,٤].

وبين ﴿تفرحون﴾ و ﴿تمرحون﴾ الجناس المحرف.

وجملة ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ يجوز أن تكون استئنافا بيانيا لأنهم لما سمعوا التقريع والتوبيخ وأيقنوا بانتفاء الشفيع ترقبوا ماذا سيؤمر به في حقهم فقيل لهم: ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ ، ويجوز أن تكون بدل اشتمال من جملة ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون﴾ الخ، فإن مدلول اسم الإشارة العذاب المشاهد لهم وهو يشتمل على إدخالهم أبواب جهنم والخلود فيها.

ودخول الأبواب كناية عن الكون في جهنم لأن الأبواب إنما جعلت ليسلك منها إلى البيت ونحوه.

و ﴿خالدين﴾ حال مقدرة، أي مقدارا خلودكم.

وفرع عليه ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ ، والمخصوص بالذم محذوف لأنه يدل عليه ذكر جهنم أي فبئس مثوى المتكبرين جهنم، ولم يتصل فعل "بئس" بتاء التأنيث لأن فاعله في الظاهر هو ﴿مثوى﴾ لأن العبرة بإسناد فعل الذم والمدح إلى الاسم المذكور بعدهما." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٤٧/٢٤

"والانحياز إلى الشيء، فالملجأ: المكان الذي يصير إليه المرء للتوقي فيه، ويطلق مجازا على الناصر، وهو المراد هنا، أي ما لكم من شيء يقيكم من العذاب.

والنكير: اسم مصدر أنكر، أي ما لكم إنكار لما جوزيتم به، أي لا يسعكم إلا الاعتراف دون تنصل.

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الأنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الأنسان كفور﴾

الفاء للتفريع على قوله ﴿استجيبوا لربكم﴾ [الشورى: ٤٧] الآية، وهو جامع لما تقدم كما علمت إذ أمر الله نبيه بدعوتهم للإيمان من قوله في أول السورة ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ [الشورى: ٧] ثم قوله ﴿فلذلك فادع واستقم﴾ [الشورى: ١٥] وما تخلل ذلك واعترضه من تضاعيف الأمر الصريح والضمني إلى قوله ﴿استجيبوا لربكم﴾ [الشورى: ٤٧] الآية. ثم فرع على ذلك كله إعلام الرسول صلى الله عليه وسلم بمقامه وعمله إن أعرض معرضون من الذين يدعوهم وبمعذرته فيما قام به وأنه غير مقصر، وهو تعريض بتسليته على ما لاقاه منهم، والمعنى: فإن أعرضوا بعد هذا كله فما أرسلناك حفيظا عليهم ومتكفلا بهم إذ ما عليك إلا البلاغ.

وإذ قد كان ما سبق من الأمر بالتبليغ والدعوة مصدرا بقوله أوائل السورة ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾ [الشورى:٦]

لا جرم ناسب أن يفرع على تلك الأوامر بعد تمامها مثل ما قدم لها فقال ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ﴾

وهذا الارتباط هو نكتة الالتفات من الخطاب الذي في قوله ﴿استجيبوا لربكم﴾ [الشورى: ٤٧] الآية، إلى الغيبة في قوله هنا ﴿فإن أعرضوا﴾ وإلا لقيل: فإن أعرضتم.

والحفيظ تقدم في صدر السورة وقوله ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ ليس هو جواب الشرط في المعنى ولكنه دليل عليه، وقائم مقامه، إذ المعنى: فإن أعرضوا فلست مقصرا في دعوتهم، ولا عليك تبعة صدهم إذ ما أرسلناك حفيظا عليهم، بقرينة قوله ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾

وجملة ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ بيان لجملة ﴿فما أرسلناك عليهم." [(١)]

"حفيظا﴾ باعتبار أنها دالة على جواب الشرط المقدر.

و ﴿إن﴾ الثانية نافية. والجمع بينها وبين ﴿إن﴾ الشرطية في هذه الجملة جناس تام.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٨/٢٥

و ﴿البلاغ﴾ : التبليغ، وهو اسم مصدر، وقد فهم من الكلام أنه قد أدى ما عليه من البلاغ لأن قوله ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ دل على نفي التبعة عن النبي صلى الله عليه وسلم من إعراضهم، وأن الإعراض هو الإعراض عن دعوته، فاستفيد أنه قد بلغ الدعوة ولولا ذلك ما أثبت لهم الإعراض.

﴿وإنا إذا أذقنا الأنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الأنسان كفور﴾ تتصل هذه الجملة بقوله ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ﴾ لما تضمنته هذه من التعريض بتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على ما لاقاه من قومه كما علمت، ويؤذن بهذا الاتصال أن هاتين الجملتين جعلتا آية واحدة هي ثامنة وأربعون في هذه السورة، فالمعنى: لا يحزنك إعراضهم عن دعوتك فقد أعرضوا عن نعمتي وعن إنذاري بزيادة الكفر، فالجملة معطوفة على جملة ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ وابتداء الكلام بضمير الجلالة المنفصل مسندا إليه فعل دون أن يقال: وإذا أذقنا الإنسان إلخ، مع أن المقصود وصف هذا الإنسان بالبطر بالنعمة وبالكفر عند الشدة، لأن المقصود من موقع هذه الجملة هنا تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن جفاء قومه وإعراضهم، فالمعنى: أن معاملتهم ربهم هذه المعاملة تسليك عن معاملتهم إياك على نحو قوله تعالى ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ [النساء: ١٥٣] ولهذا لا تجد نظائر هذه الجملة في معناها مفتتحا بمثل هذا الضمير لأن موقع تلك النظائر لا تماثل موقع هذه وإن كان معناهما متماثلا، فهذه الخصوصية خاصة بهذه الجملة.

ولكن نظم هذه الآية جاء صالحا لإفادة هذا المعنى ولإفادة معنى آخر مقارب له وهو أن يكون هذا حكاية خلق للناس كلهم مرتكز في الجبلة لكن مظاهره متفاوتة بتفاوت أفراده في التخلق بالآداب الدينية، فيحمل ﴿الإنسان﴾ في الموضعين على جنس بني آدم ويحمل الفرح على مطلقه المقول عليه بالتشكيك حتى يبلغ مبلغ البطر، وتحمل السيئة التي قدمتها أيديهم على مراتب السيئات إلى أن تبلغ مبلغ الإشراك، ويحمل وصف ﴿كفور﴾ على ما يشمل اشتقاقه من الكفر بتوحيد الله، والكفر بنعمة الله.

ولهذا اختلفت محامل المفسرين للآية. فمنهم من حملها على خصوص الإنسان." (١)

"الكافر بالله مثل الزمخشري والقرطبي والطيبي، ومنهم من حملها على ما يعم أصناف الناس مثل الطبري والبغوي والنسفي وابن كثير. ومنهم من حملها على إرادة المعنيين على أن أولهما هو المقصود والثاني مندرج بالتبع وهذه طريقة البيضاوي وصاحب الكشف ومنهم من عكس وهي طريقة الكواشي في

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٩/٢٥

تلخيصه. وعلى الوجهين فالمراد ب ﴿الإنسان﴾ في الموضع الأول والموضع الثاني معنى واحد وهو تعريف الجنس المراد به الاستغراق، أي إذا أذقنا الناس، وأن الناس كفورون، ويكون استغراقا عرفيا أريد به أكثر جنس الإنسان في ذلك الزمان والمكان لأن أكثر نوع الإنسان يومئذ مشركون، وهذ هو المناسب لقوله ﴿فإن الأنسان كفور﴾ أي شديد الكفر قويه، ولقوله ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي من الكفر. وإنما عدل عن التعبير بالناس إلى التعبير بالإنسان للإيماء إلى أن هذا الخلق المخبر به عنهم هو من أخلاق النوع لا يزيله إلا التخلق بأخلاق الإسلام فالذين لم يسلموا باقون عليه، وذلك أدخل في التسلية لأن اسم الإنسان اسم جنس يتضمن أوصاف الجنس المسمى به على تفاوت في ذلك وذلك لغلبة الهوى. وقد تكرر ذلك في القرآن مرارا كقوله ﴿إن الأنسان خلق هلوعا﴾ [المعارج:١٩]

وقوله ﴿إن الأنسان لربه لكنود﴾ [العاديات:٦] وقوله ﴿وكان الأنسان أكثر شيء جدلا﴾ [الكهف: ٥٤] وتأكيد الخبر بحرف التأكيد لمناسبة التسلية بأن نزل السامع الذي لا يشك في وقوع هذا الخبر منزلة المتردد في ذلك لاستعظامه إعراضهم عن دعوة الخير فشبه بالمتردد على طريقة المكنية، وحرف التأكيد من روادف المشبه به المحذوف.

والإذاقة: مجاز في الإصابة.

والمراد بالرحمة: أثر الرحمة، وهو النعمة، فالتقدير: وإنا إذا رحمنا الإنسان فأصبناه بنعمة، بقرينة مقابلة الرحمة بالسيئة كما قوبلت بالضراء في قوله ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ في سورة فصلت [٥٠]

والمراد بالفرح: ما يشمل الفرح المجاوز حد المسرة إلى حد البطر والتجبر، على نحو ما استعمل في آيات كثيرة مثل قوله تعالى ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] لا الفرح الذي في مثل قوله تعالى ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٧٠]

وتوحيد الضمير في ﴿فرح﴾ لمراعاة لفظ الإنسان وإن كان معناه جمعا، كقوله ﴿فقاتلوا التي تبغي﴾ [الحجرات: ٩] أي الطائفة التي تبغي، فاعتد بلفظ طائفة دون معناه مع." (١)

"أنه قال قبله ﴿اقتتلوا﴾ . ولذلك جاء بعده ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم﴾ بضميري الجماعة ثم عاد فقال ﴿فإن الأنسان كفور﴾

واجتلاب ﴿إذا﴾ في هذا الشرط لأن شأن ﴿إذا﴾ أن تدل على تحقق كثرة وقوع شرطها، وشأن ﴿إن﴾ أن

(١) التحرير والتنوير، ١٩٠/٢٥

تدل على ندرة وقوعه، ولذلك اجتلب ﴿إن﴾ في قوله ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ لأن إصابتهم بالسيئة نادرة بالنسبة لإصابتهم بالنعمة على حد قوله تعالى ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه﴾ [الأعراف: ١٣]

ومعنى قوله ﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم﴾ تقدم بسطه عند قوله آنفا ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠].

والحكم الذي تضمنته جملة ﴿فإن الأنسان كفور﴾ هو المقصود من جملة الشرط كلها، ولذلك أعيد حرف التأكيد فيها بعد أن صدرت به الجملة المشتملة على الشرط ليحيط التأكيد بكلتا الجملتين، وقد أفاد ذلك أن من عوارض صفة الإنسانية عروض الكفر بالله لها، لأن في طبع الإنسان تطلب مسالك النفع وسد منافذ الضر مما ينجر إليه من أحوال لا تدخل بعض أسبابها في مقدوره، ومن طبعه النظر في الوسائل الواقية له بدلائل العقل الصحيح، ولكن من طبعه تحريك خياله في تصوير قوي تخوله تلك الأسباب فإذا أملي عليه خياله وجود قوى متصرفة في النواميس الخارجة عن مقدوره خالها ضالته المنشودة، فركن إليها وآمن بها وغاب عنه دليل الحق، إما لقصور تفكيره عن دركه وانعدام المرشد إليه، أو لغلبة هواه الذي يملي عليه عصيان المرشدين من الأنبياء والرسل والحكماء الصالحين إذ لا يتبعهم إلا القليل من الناس ولا يهتدي بالعقل من تلقاء نفسه إلا الأقل مثل الحكماء، فغلب على نوع الإنسان الكفر بالله على الإيمان به كما بيناه آنفا في قوله ﴿وإنا إذا أذقنا الأنسان منا رحمة فرح بها﴾

ولذلك عقب هذا الحكم على النوع بقوله ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء﴾ [الشورى: ٤٩].

ولم يخرج عن هذا العموم إلا الصالحون من نوع الإنسان على تفاوت بينهم في كمال الخلق وقد استفيد خروجهم من آيات كثيرة كقوله ﴿لقد خلقنا الأنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [التين: ٤- ٦].

وقد شمل وصف ﴿كفور﴾ ما يشمل كفران النعمة وهما متلازمان في الأكثر.." [١]

"والحاصل أن هذا الاستدلال مركب من قضية شرطية أول جزأيها وهو المقدم باطل، وثانيهما وهو التالي باطل أيضا، لأن بطلان التالي لازم لبطلان المقدم، كقولك: إن كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين، والاستدلال هنا ببطلان التالي على بطلان المقدم لأن كون النبي صلى الله عليه وسلم عابدا لمزعوم بنوته لله أمر منتف بالمشاهدة فإنه لم يزل ناهيا إياهم عن ذلك. وهذا على وزان الاستدلال في قوله

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/١٩١

تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الانبياء: ٢٢]، إلا أن تلك جعل شرطها بأداة صريحة في الامتناع، وهذه جعل شرطها بأداة غير صريحة في الامتناع.

والنكتة في العدول عن الأداة الصريحة في الامتناع هنا، إيهامهم في بادئ الأمر أن فرض الولد لله محل نظر، وليتأتى أن يكون نظم الكلام موجها حتى إذا تأملوه وجدوه ينفي أن يكون لله ولد بطريق المذهب الكلامي. ويدل لهذا ما رواه في الكشاف أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال: إن الملائكة بنات الله فنزل قوله تعالى ﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ فقال النضر: ألا ترون أنه قد صدقني، فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال: ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة. وروي مجمل هذا المعنى عن السدي فكان في نظم الآية على هذا النظم إيجاز بديع، وإطماع للخصوم بما إن تأملوه استبان وجه الحق فإن أعرضوا بعد ذلك عد إعراضهم نكوصا.

وتحتمل الآية وجوها أخر من المعاني. منها: أن يكون المعنى إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله، أي فأنا أول المؤمنين بتكذيبهم، قاله مجاهد، أي بقرينة تذييله بجملة ﴿سبحان رب السماوات والأرض﴾ الآية.

ومنها، أن يكون حرف ﴿إن﴾ للنفي دون الشرط، والمعنى: ما كان للرحمن ولد فتفرع عليه: أنا أول العابدين لله، أي أتنزه عن إثبات الشريك له، وهذا عن ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه.

ومنها: تأويل ﴿العابدين﴾ أنه اسم فاعل من عبد يعبد من باب فرح، أي أنف وغضب، قاله الكسائي، وطعن فيه نفطويه بأنه إنما يقال في اسم فاعل عبد يعبد عبد وقلما يقولون: عابد والقرآن لا يأتي بالقليل من اللغة.

وقرأ الجمهور ﴿ولد﴾ بفتح الواو وفتح اللام. وقرأه حمزة والكسائي ﴿ولد﴾ بضم الواو وسكون اللام جمع ولد.

وجملة ﴿سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ يجوز أن تكون تكملة لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقوله، أي قل: إن كان للرحمن ولد على الفرض،." (١)

"وذكر ﴿الذين قتلوا في سبيل الله﴾ إظهار في مقام الإضمار إذ كان مقتضى الظاهر أن يقال: فلن يضل الله أعمالكم، وهكذا بأسلوب الخطاب، فعدل عن مقتضى الظاهر من الإضمار إلى الإظهار ليكون في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي إفادة تقوي الخبر، وليكون ذريعة إلى الإتيان بالموصول للتنويه

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩٧/٢٥

بصلته، وللإيماء إلى وجه بناء الخبر على الصلة بأن تلك الصلة هي علة ما ورد بعدها من الخبر.

فجملة ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ خبر عن الموصول، وقرنت بالفاء لإفادة السببية في ترتب ما بعد الفاء على صلة الموصول لأن الموصول كثيرا ما يشرب معنى الشرط فيقرن خبره بالفاء، وبذلك تكون صيغة الماضي في فعل ﴿قاتلوا﴾ منصرفة إلى الاستقبال لأن ذلك مقتضى الشرط.

وجملة ﴿سيهديهم﴾ وما عطف عليها بيان لجملة ﴿فلن يضل أعمالهم﴾ وتقدم الكلام آنفا على معنى إضلال الأعمال وإصلاح البال.

ومعنى ﴿عرفها لهم﴾ أنه وصفها لهم في الدنيا فهم يعرفونها بصفاتها، فالجملة حال من الجنة، أو المعنى هداهم إلى طريقها في الآخرة فلا يترددون في أنهم داخلونها، وذلك من **تعجيل الفرح بها**. وقيل ﴿عرفها﴾ جعل فيها عرفا، أي ريحا طيبا، والتطييب من تمام حسن الضيافة.

وقرأ الجمهور ﴿قاتلوا﴾ بصيغة المفاعلة، فهو وعد للمجاهدين أحيائهم وأمواتهم. وقرأه أبو عمرو وحفص عن عاصم ﴿قتلوا﴾ بالبناء للنائب، فعلى هذه القراءة يكون مضمون الآية جزاء الشهداء فهدايتهم وإصلاح بالهم كائنان في الآخرة.

[٧] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ لما ذكر أنه لو شاء الله لانتصر منهم علم منه أن ما أمر به المسلمين من قتال الكفار إنما أراد منه نصر الدين بخضد شوكة أعدائه الذين يصدون الناس عنه، أتبعه بالترغيب في نصر الله والوعد بتكفل الله لهم بالنصر إن نصروه، وبأنه خاذل الذين كفروا بسبب كراهيتهم ما شرعه من الدين.

فالجملة استئناف ابتدائي لهاته المناسبة. وافتتح الترغيب بندائهم بصلة الإيمان اهتماما بالكلام وإيماء إلى أن الإيماء يقتضي منهم ذلك، والمقصود تحريضهم على الجهاد في المستقبل بعد أن اجتنوا فائدته مشاهدة يوم بدر.

ومعنى نصرهم الله: نصر دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم لأن الله غني عن النصر في تنفيذ إرادته." (١)

"كما في قصة إبراهيم ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي﴾ [الأنعام: ٧٦] الآيات لم يجد العقل بدا من الانتهاء إلى وجوب وجود صانع لممكنات كلها، وجوده غير ممكن بل واجب، وأن يكون متصفا بصفات الكمال وهو الإله الحق، فالله هو المنتهى الذي ينتهي إليه استدلال العقل، ثم إذا لا ح له دليل وجود الخالق وأفضى به إلى إثبات أنه واحد لأنه لو كان متعددا لكان كل من المتعدد غير كامل

---

(١) التحرير والتنوير، ٧١/٢٦

الإلهية إذ لا يتصرف أحد المتعدد فيما قد تصرف فيه الآخر، فكان كل واحد محتاجا إلى الآخر ليرضى بإقراره على إيجاد ما أوجده، وإلا لقدر على نقض ما فعله، فيلزم أن يكون كل واحد من المتعدد محتاجا إلى من يسمح له بالتصرف، قال تعالى ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ [المؤمنون: ٩١] وقال ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ [الإسراء:٢٤] وقال ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فانتهى العقل لا محالة إلى منتهى.

[٤٣] ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ .

انتقال من الاعتبار بأحوال الآخرة إلى الاعتبار بأحوال الدنيا وضمير ﴿هو﴾ عائد إلى ﴿ربك﴾ من قوله: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ [النجم:٤٢].

والضحك: أثر سرور النفس، والبكاء: أثر الحزن، وكل من اضحك والبكاء من خواص الإنسان وكلاهما خلق عجيب دال على انفعال عظيم في النفس.

وليس لبقية الحيوان ضحك ولا بكاء وما ورد من إطلاق ذلك على الحيوان فهو كالتخيل أو التشبيه كقول النابغة:

بكاء حماقة تدعو هديلا ... مطوقة على فنن تغني

ولا يخلو الإنسان من حالي حزن وسرور لأنه إذا لم يكن حزينا مغموما كان مسرورا لأن الله خلق السرور والانشراح ملازما للإنسان بسبب سلامة مزاجه وإدراكه لأنه إذا كان سالما كان نشيط الأعصاب وذلك النشاط تنشأ عنه المسرة في الجملة وإن كانت متفاوتة في الضعف والقوة، فذكر الضحك والبكاء يفيد الإحاطة بأحوال الإنسان بإيجاز ويرمز إلى **أسباب الفرح والحزن** ويذكر بالصانع الحكيم، ويبشر إلى أن الله هو المتصرف في الإنسان لأنه خلق أسباب فرحه ونكده وألهمه إلى اجتلاب ذلك بما في مقدوره وجعل حدا عظيما من ذلك خارجا على مقدور الإنسان وذلك لا يمتري فيه أحد إذا تأمل وفيه ما يرشد إلى." (١)

"الإقبال على طاعة الله والتضرع إليه ليقدر للناس أسباب الفرح، ويدفع عنهم أسباب الحزن وإنما جرى ذكر هذا في هذا المقام لمناسبة أن الجزاء الأوفى لسعي الناس: بعضه سار لفريق وبعضه محزن لفريق آخر.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٢/٢٧

وأفاد ضمير الفصل قصرا لصفة خلق أسباب الضحك والبكاء على الله تعالى لإبطال الشريك في التصرف فتبطل الشركة في الإلهية، وهو قصر إفراد لأن المقصود نفي تصرف غير الله تعالى وإن كان هذا القصر بالنظر إلى نفس الأمر قصرا حقيقيا لإبطال اعتقاد أن الدهر متصرف.

وإسناد الإضحاك والإبكاء إلى الله تعالى لأنه خالق قوتي الضحك والبكاء في الإنسان، وذلك خلق عجيب ولأنه خالق طبائع الموجودات التي تجلب أسباب الضحك والبكاء من سرور وحزن.

ولم يذكر مفعول ﴿ضحك وأبكى﴾ لأن القصد إلى الفعلين لا إلى مفعوليهما فالفعلان منزلان منزلة اللازم، أي أوجد الضحك والبكاء.

ولما كان هذا الغرض من إثبات انفراد الله تعالى ب التصرف في الإنسان بما يجده الناس في أحوال أنفسهم من خروج أسباب الضحك والبكاء على قدرتهم تعين أن المراد: أضحك وأبكى في الدنيا، ولا علاقة لهذا بالمسرة والحزن الحاصلين في الآخرة.

وفي الاعتبار بخلق الشيء وضده إشارة دقائق حكمة الله تعالى.

وفي هذه الآية محسن الطباق بين الضحك والبكاء وهما ضدان.

وتقديم الضحك على البكاء لأن فيه امتنانا بزيادة التنبيه على القدرة وحصل بذلك مراعاة الفاصلة.

وموقع هذه الجملة في عطفها مثل موقع جملة ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ [النجم: ٤٠] في الاحتمالين، فإن كانت مما شملته صحف إبراهيم كانت حكاية لقوله ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠].

[٤٤] ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ .

انتقل من الاعتبار بانفراد الله بالقدرة على إيجاد أسباب المسرة والحزن وهما حالتان لا تخلو عن إحداهما نفس الإنسان إلى العبرة بانفراده تعالى بالقدرة على الإحياء والإماتة." (١)

"وأنت بشر واحد منا.

و"إذن" حرف جواب هي رابطة الجملة بالتي قبلها. والضلال: عدم الاهتداء إلى الطريق، أرادوا: إنا إذن مخطئون في أمرنا.

و ﴿السعر﴾ : الجنون، يقال بضم العين وسكونها.

وفسر أبن عباس السعر بالعذاب على أنه جمع سعير. وجملة ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا﴾ تعليل للاستفهام الإنكاري.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٣/٢٧

و ﴿ألقي﴾ حقيقته: رمي من اليد إلى الأرض وهو هنا مستعار لإنزال الذكر من السماء قال تعالى ﴿إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾ [المزمل:٥].

و"في" للظرفية المجازية، جعلوا تلبسهم بالضلال والجنون كتلبس المظروف بالظرف.

و ﴿من بيننا﴾ حال من ضمير ﴿عليه﴾ ، أي كيف يلقي عليه الذكر دونا، يريدون أن فيهم من هو أحق منه بأن يوحي إليه حسب مدارك عقول الجهلة الذين يقيسون الأمر بمقاييس قصور أفهامهم ويحسبون أن أسباب الأثرة في العادات هي أسبابها في الحقائق.

وحرف ﴿من﴾ في قوله: ﴿من بيننا﴾ بمعنى الفصل كما سماه ابن مارك وإن أباه ابن هشام أي مفصولا من بيننا كقوله تعالى ﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾ [البقرة: ٢٢٠].

و ﴿بل هو كذاب أشر﴾ إضراب عن ما أنكروه بقولهم ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا﴾ أي لم ينزل الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب فيما ادعاه، بطر متكبر.

و ﴿الأشر﴾ بكسر الشين وتخفيف الراء: أسم فاعل أشر، **إذ فرح وبطر**، والمعنى: هو معجب بنفسه مدع ما ليس فيه.

[٢٦] ﴿سيعلمون غدا من الكذاب الأشر﴾ .

مقول قول محذوف دل عليه السياق تقديره: قلنا لنذيرهم الذي دل عليه قوله ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ [القمر:٢٣] فإن النذر تقتضي نذيرا بها وهو المناسب لقوله بعده ﴿فارتقبهم واصطبر﴾ [القمر:٢٧] وذلك مبني على أن قوله آنفا ﴿فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه﴾ [القمر: ٢٥] كلام أجابوا به نذارة صالح إياهم المقدرة من قوله تعالى ﴿كذبت ثمود." (١)

"تعالى: ﴿وم يدع الداع إلى شيء نكر﴾ إلى قوله: ﴿مهطعين إلى الداع﴾ [القمر:٦-٨]، أو يدعو بعضهم بعضا بإلهام من الله تعالى، وهو نضير الدعوة إلى الشفاعة في الأثر المروي "فيقول بعضهم لبعض لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من موقفنا هذا".

وخشوع الأبصار: هيئة النظر بالعين بذلة وخوف، استعير له وصف ﴿خاشعة﴾ لأن الخاشع يكون مطأطئا مختفيا.

و ﴿ترهقهم﴾ : تحل بهم وتقترب منهم بحرص على التمكن منهم، رهق من **باب فرح قال** تعالى: ﴿ترهقها قترة﴾ [عبس:٤١].

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٩/٢٧

وجملة ﴿ترهقهم ذلة﴾ حال ثانية من ضمير ﴿يستطيعون﴾ .

وجملة ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنها، أي كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود لله وحده وهم سالمون من مثل الحالة التي هم عليها في يوم الحشر. والواو للحال وللاعتراض.

وجملة ﴿وهم سالمون﴾ حال من ضمير ﴿يدعون﴾ ، أي وهم قادرون لا علة تعوقهم في أجسادهم. والسلامة: انتفاء العلل والأمراض بخلاف حالهم يوم القيامة فإنهم ملجأون لعدم السجود.

[٤٤-٤٥] ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأملي لهم إن كيدي متين﴾ .

الفاء لتفريع الكلام الذي عطفته على الكلام الذي قبله لكون الكلام الأول سببا في ذكر ما بعده، فيعد أن استوفي الغرض من موعظتهم ووعيدهم وتزييف أوهامهم أعقب بهذا الاعتراض تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله تكفل بالانتصاف من المكذبين ونصره عليهم.

وقوله: ﴿فذرني ومن يكذب﴾ ونحوه يفيد تمثيلا لحال مفعول "ذر" في تعهده بأن يكفي مؤونة شيء دون استعانة بصاحب المؤونة بحال من يرى المخاطب قد شرع في الانتصار لنفسه ورأى أنه لا يبلغ بذلك مبلغ مفعول "ذر" لأنه أقدر من المعتدى عليه في الانتصاف من المعتدي فيتفرغ له ولا يطلب من صاحب الحق إعانة له على أخذ حقه، ولذلك يؤتى بفعل يدل على طلب الترك ويؤتى بعده بمفعول معه ومنه قوله تعالى: ﴿وذرني والمكذبين﴾ [المزمل: ١١] ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ [المدثر:١١] وقال السهيلي في." (١)

"والعيشة: حالة العيش وهيئته.

ووصف ﴿عيشة﴾ ب ﴿راضية﴾ مجاز عقلي لملابسة العيشة حالة صاحبها وهو العائش ملابسة الصفة لموصوفها.

والراضي: هو صاحب العيشة لا العيشة، لأن ﴿راضية﴾ اسم فاعل رضيت إذا حصل لها الرضى **وهو الفرح والغبطة**.

والعيشة ليست راضية ولكنها لحسنها رضي صاحبها، فوصفها ب ﴿راضية﴾ من إسناد الوصف إلى غير ما هو له، وهو من المبالغة لأنه يدل على شدة الرضى بسببها حتى سرى إليها، ولذلك الاعتبار أرجع السكاكي ما يسمى بالمجاز العقلي إلى الاستعارة المكنية كما ذكر في علم البيان.

---

(١) التحرير والتنوير، ٩٣/٢٩

و ﴿في﴾ للظرفية المجازية وهي الملابسة.
وجملة ﴿في جنة عالية﴾ بدل اشتمال من جملة ﴿فهو في عيشة راضية﴾ .
والعلو: الارتفاع وهو من محاسن الجنات لأن صاحبها يشرف على جهات من متسع النظر ولأنه يبدو له كثير من محاسن جنته حين ينظر إليها من أعلاها أو وسطها مما لا يلوح لنظره لو كانت جنته في أرض منبسطة، وذلك من زيادة البهجة والمسرة، لأن جمال المناظر من مسرات النفس ومن النعم. ووقع في شعر زهير:
كأن عيني في غربي مقتلة ... من النواضح تسقي جنة سحقا
فقد قال أهل اللغة: يجوز أن يكون سحقا، نعتا للجنة بدون تقدير كما قالوا: ناقة علط وامرأة عطل. ولم يعرجوا على معنى السحق فيها وهو الارتفاع لأن المرتفع بعيد، وقالوا: سحقت النخلة ككرم إذا طالت. وفي القرآن ﴿كمثل جنة بربوة﴾ [البقرة: ٢٦٥].
وجوزوا أن يراد أيضا بالعلو علو القدر مثل فلان ذو درجة رفيعة، وبذلك كان للفظ ﴿عالية﴾ هنا ما ليس لقوله: ﴿كمثل جنة بربوة﴾ لأن المراد هنالك جنة من الدنيا.
والقطوف: جمع قطف بكسر القاف وسكون الطاء، وهو الثمر، سمي بذلك لأنه يقطف وأصله فعل بمعنى مفعول مثل ذبح.
ومعنى دنوها: قربها من أيدي المتناولين لأن ذلك أهنأ إذ لا كلفة فيه، قال تعالى: ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ [الانسان: ١٤].." (١)

"جادين في سؤالهم فكان من مقتضى حالهم أن ينذروا بما يقع من الأهوال عند حلول هذا اليوم مع تضمين تحقيق وقوعه فإن كلام القرآن إرشاد وهدى ما يترك فرصة للهدي والإرشاد إلا انتهزها، وهذا تهديد في ابتدائه جاء في صورة التعيين لوقت يوم القيامة إيهاما بالجواب عن سؤالهم كأنه حمل لكلامهم على خلاف الاستهزاء على طريقة الأسلوب الحكيم. وفيه تعريض بالتوبيخ على أن فرطوا في التوقي من ذلك اليوم واشتغلوا بالسؤال عن وقته. وقريب منه ما روي أن رجلا من المسلمين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال له: "ماذا أعددت لها" .
فإن هذه الأحوال المذكورة في الآية مما يقع عند حلول الساعة وقيام القيامة فكان ذلك شيئا من تعيين وقته بتعيين أشراطه.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢٣/٢٩

والفاء لتفريع الجواب عن السؤال.

و ﴿برق﴾ قرأه الجمهور بكسر الراء، ومعناه: دهش وبهت، يقال: برق يبرق فهو برق من باب فرح فهو من أحوال الإنسان.

وإنما أسند في الآية إلى البصر على سبيل المجاز العقلي تنزيلا له منزلة مكان البرق لأنه إذا بهت شخص بصره. كما أسند الأعشى البرق إلى الأعين في قوله:

كذلك فاعل ما حييت إذا شتوا ... وأقدم إذا ما أعين الناس تفرق

وقرأه نافع وأبو جعفر بفتح الراء من البريق بمعنى اللمعان، أي لمع البصر من شدة شخوصه، ومضارعه يبرق بضم الراء. وإسناده إلى البصر حقيقة.

ومآل معنى القرائتين واحد وهو الكناية عن الفزع والرعب كقوله تعالى: ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ [الانبياء: ٩٧]، فلا وجه لترجيح الطبري قراءة الجمهور على قراءة نافع وأبي جعفر، لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ولا من مقتضى التفسير.

والتعريف في ﴿البصر﴾ للجنس المراد به الاستغراق، أي أبصار الناس كلهم من الشدة الحاصلة في ذلك الوقت، على أنهم متفاوتون في الرعب الحاصل لهم على تفاوتهم فيما يعرضون عليه من طرائق منازلهم.

وخسوف القمر أريد به انطماس نوره انطماسا مستمرا بسبب تزلزله من مداره حول الأرض الدائرة حول الشمس بحيث لا ينعكس عليه نورها ولا يلوح للناس نيرا، وهو ما." (١)

"الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن أصل أسباب الشقاء الإشراك بالله وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ونبذ ما جاء به.

وقد تضمن صدر هذه السورة ما ينبئ بذلك كقوله: ﴿أيحسب الأنسان ألن نجمع عظامه﴾ [القيامة:٣] وقوله: ﴿بل يريد الأنسان ليفجر أمامه﴾ [القيامة:٥].

وتنكير ﴿وجوه﴾ للتنويع والتقسيم كقوله تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى: ٧] وقول الشاعر وهو من أبيات كتاب الآداب ولم يعزه ولا عزاه صاحب "العباب" في شرحه:

فيوم علينا ويوم لنا ... ويوم نساء ويوم نسر

وقول أبي الطيب:

فيوما بخيل تطرد الروم عنهم ... ويوم بجود تطرد الفقر والجدبا

---

(١) التحرير والتنوير، ٣١٩/٢٩

فالوجوه الناضرة الموصوفة بالنضرة بفتح النون وسكون الضاد هي حسن الوجه من أثر النعمة والفرح، وفعله كنصر وكرم وفرح، ولذلك يقال: ناضر ونضير ونضر، وكني بنضرة الوجوه عن فرح أصحابها ونعيمهم قال تعالى في أهل السعادة ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ [المطففين:٢٤] لأن ما يحصل في النفس من الانفعالات يظهر أثره.

وأخبر عنها خبرا ثانيا بقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ وظاهر لفظ ﴿ناظرة﴾ أنه من نظر بمعنى: عاين ببصره إعلانا بتشريف تلك الوجوه انها تنظر إلى جانب الله تعالى نظرا خاصا لا يشاركها فيه من يكون دون رتبتهم، فهذا معنى الآية بإجماله ثابت بظاهر القرآن وقد أيدتها الأخبار الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم. فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة إن أناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تضارن في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟" قلنا: لا. قال: "فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارن في رؤيتهما" .

وفي رواية "فإنكم ترونه كذلك" وساق الحديث في الشفاعة.

وروى البخاري بن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته وربما قال سترون ربكم عيانا" .." (١)

"على ما فعلوا من خير.

وأدمج في ذلك قوله: ﴿بما صبروا﴾ الجامع لأحوال التقوى والعمل الصالح كله لأن جميعه لا يخلوا عن تحمل النفس لترك محبوب أو فعل ما فيه كلفة، ومن ذلك إطعام الطعام على حبه.

و ﴿لقاهم﴾ معناه: جعلهم يلقون نضرة وسرورا، أي جعل لهم نظرة وهي حسن البشرة، وذلك يحصل من فرح النفس ورفاهية العيش قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ [القيامة:٢٢] فمثل إلقاء النضرة على وجوههم بزج أحد إلى لقاء أحد على طريقة التمثيل.

وضمير الغائبة و ﴿نضرة﴾ مفعولا "لقى" من باب كسا.

وبين "وقاهم" و ﴿لقاهم﴾ الجناس المحرف.

وجملة ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾ ، عطف على جملة ﴿فوقاهم﴾ وجملة ﴿ولقاهم﴾ لتماثل الجمل الثلاث في الفعلية والمضي وهما محسنان من محسنات الوصل.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٢٧/٢٩

والحرير: اسم لخيوط من مفرزات دودة مخصوصة، وتقدم الكلام عليه في سورة فاطر.
وكان الجزاء برفاهية العيش إذ جعلهم في أحسن المساكن وهو الجنة، وكساهم أحسن الملابس وهو الحرير الذي لا يلبسه إلا أهل فرط اليسار، فجمع لهم حسن الظرف الخارج وحسن الظرف المباشر وهو اللباس.
والمراد بالحرير هنا: ما ينسج منه.
و ﴿متكئين﴾ : حال من ضمير الجمع في ﴿جزاهم﴾ ، أي هم في الجنة متكئون على الأرائك.
والاتكاء: جلسة بين الجلوس والاضطجاع يستند فيها الجالس على مرفقه وجنبه ويمد رجليه وهي جلسة ارتياح، وكانت من شعار الملوك وأهل البذخ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما أنا فلا آكل متكئا" وتقدم ذلك في سورة يوسف [٣١] عند قوله تعالى: ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾ .
و ﴿الأرائك﴾ : جمع أريكة بوزن سفينة. والأريكة: سرير عليه وسادة معها ستر وهو حجلته، والحجلة بفتحتين وبتقديم الحاء المهملة على الجيم: كلة تنصب فوق السرير لتقي." (١)
"كاتبين﴾ [الإنفطار:١١].
ووصف البررة ورد صفة للملائكة في الحديث الصحيح قوله: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة" .
والبررة : جمع بر، وهو الموصوف بكثرة البرور. وأصل بر مصدر بر يبر من باب فرح، ومصدره كالفرح، فهذا من باب الوصف بالمصدر مثل عدل وقد اختص البررة بجمع بر ولا يكون جمع بار.
والغالب في اصطلاح القرآن أن البررة الملائكة والأبرار الآدميون. قال الراغب لأن بررت أبلغ من إبرار إذ هو جمع بر، وأبرار جمع بار، وبر أبلغ من بار كما أن عدلا أبلغ من عادل.
وهذا تنويه بشأن القرآن لأن التنويه بالآيات الواردة في أول هذه السورة من حيث إنها بعض القرآن فأثني على القرآن بفضيلة أثره في التذكير والإرشاد، وبرفعة مكانته، وقدس مصدره، وكرم قراره، وطهارته، وفضائل حملته ومبلغيه، فإن تلك المدائح عائدة إلى القرآن بطريق الكناية.
[١٧-٢٢] ﴿قتل الإنسان ما أكفره، من أي شيء خلقه، من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره، ثم أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره﴾ .
استئناف ابتدائي نشأ عن ذكر من استغنى فإنه أريد به معين واحد أو أكثر، وذلك يبينه ما وقع من الكلام الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين صناديد المشركين في المجلس الذي دخل فيه ابن أم مكتوم.

---
(١) التحرير والتنوير، ٣٦٠/٢٩

والمناسبة وصف القرآن بأنه تذكرة لمن شاء أن يتذكر، وإذ قد كان أكبر دواعيهم على التكذيب بالقرآن إنه أخبر عن البعث وطالبهم بالإيمان به كان الاستدلال على وقوع البعث أهم ما يعتنى به في هذا التذكير وذلك من أفنان قوله: ﴿فمن شاء ذكره﴾ [عبس:١٢].

والذي عرف بقوله: ﴿من استغنى﴾ [عبس:٥] يشمله العموم الذي أفاده تعريف ﴿الإنسان﴾ من قوله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ .

وفعل قتل فلانا أصله دعاء عليه بالقتل. والمفسرون الأولون جعلوا ﴿قتل." (١)

"**أي فرح وسر**، قال تعالى: ﴿قال يا بشرى هذا غلام﴾ [يوسف:١٩] أي يا فرحتي.

وإسناد الضحك والاستبشار إلى الوجوه مجاز عقلي لأن الوجوه محل ظهور الضحك والاستبشار، فهو من إسناد الفعل إلى مكانه، ولك أن تجعل الوجوه كناية عن الذوات كقوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن:٢٧].

وهذه وجوه أهل الجنة المطمئنين بالا المكرمين عرضا وحضورا.

والغبرة بفتحتين الغبار كله، والمراد هنا إنها معفرة بالغبار إهانة من أثر الكبوات.

و ﴿ترهقها﴾ تغلب عليها وتعلوها.

والقترة: بفتحتين شبه دخان يغشى الوجه من الكرب والغم، كذا قال الراغب، وهو غير الغبرة كما تقتضيه الآية لئلا يكون من الإعادة، وهي خلاف الأصل ولا داعي إليها. وسوى بينهما الجوهري وتبعه ابن منظور وصاحب القاموس.

وهذه وجوه أهل الكفر، يعلم ذلك من سياق هذا التنويع، وقد صرح بذلك بقوله: ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ زيادة في تشهير حالهم الفظيع للسامعين.

وجيء باسم الإشارة لزيادة الإيضاح تشهيرا بالحالة التي سببت لهم ذلك.

وضمير الفصل هنا لإفادة التقوى.

وأتبع وصف ﴿الكفرة﴾ بوصف ﴿الفجرة﴾ مع أن وصف الكفر أعظم من وصف الفجور لما في معنى الفجور من خساسة العمل فذكر وصفاهم الدالان عن مجموع فساد الاعتقاد وفساد العمل.

وذكر وصف ﴿الفجرة﴾ بدون عاطف يفيد أنهم جمعوا بين الكفر والفجور.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٥/٣٠

(٢) التحرير والتنوير، ١٢٢/٣٠

"ب ﴿أغويناهم﴾ الثانية قوله: ﴿كما غوينا﴾ أفاد الكلام كالذي ضربته ضربته لأنه جاهل. وقد كان أبو علي امتنع في هذه الآية مما أخذناه غير أن الأمر فيها عندي على ما عرفتك أه.

وقد مضى ذلك في سورة القصص وفي سورة الفرقان.

و ﴿فكهين﴾ اسم فاعل فاكه وهو من فكه من **باب فرح إذا** مزح وتحدث فأضحك، والمعنى: فاكهين في التحدث عن المؤمنين فحذف متعلق ﴿فكهين﴾ للعلم بأنه من قبيل متعلقات الأفعال المذكورة معه.

وقرأ الجمهور ﴿فاكهين﴾ بصيغة الفاعل. وقرأ حفص عن عاصم وأبو جعفر ﴿فكهين﴾ بدون ألف بعد الفاء على أنه جمع فكه. وهو صفة مشبهة وهما بمعنى واحد مثل فارح فرح. وقال الفراء: هما لغتان.

وجملة ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ حكت ما يقوله الذين أجرموا في المؤمنين إذا شاهدوهم أي يجمعون بين الأذى بالإشارات وبالهيئة وبسوء القول في غيبتهم وسوء القول إعلانا به على مسامع المؤمنين لعلهم يرجعون عن الإسلام إلى الكفر، أم كان قولا يقوله بعضهم لبعض إذا رأوا المؤمنين كما يفكهون بالحديث عن المؤمنين في خلواتهم، وبذلك أيضا فارق مضمون الجمل التي قبلها مع ما في هذه الجملة من عموم أحوال رؤيتهم سواء كانت في حال المرور بهم أو مشاهدة في مقرهم.

ومرادهم بالضلال: فساد الرأي. لأن المشركين لا يعرفون الضلال الشرعي، أي هؤلاء سيئوا الرأي إذ اتبعوا الإسلام وانسلخوا عن قومهم، وفرطوا في نعيم الحياة طمعا في نعيم بعد الموت وأقبلوا على الصلاة والتخلق بالأخلاق التي يراها المشركون أوهاما وعنتا لأنهم بمعزل عن مقدرة قدر الكمال النفساني وما همهم إلا التلذذ الجثماني.

وكلمة ﴿إذا﴾ في جملة من الجمل الثلاث ظرف متعلق بالفعل الموالي له في كل جملة.

ولم يعرج أحد من المفسرين على بيان مفاد جملة ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ مع ما قبلها. وقال المهايمي في تبصرة الرحمان وإذا رأوهم يؤثرون الكمالات الحقيقية على الحسية فقدر مفعولا محذوفا لفعل ﴿رأوهم﴾ لإبداء المغايرة بين مضمون هذه الجملة ومضمون الجمل التي قبلها وقد علمت عدم الاحتياج إليه ولقد أحسن." (١)

"عباس ﴿ما كسب﴾ هو ولده فإن الولد من كسب أخيه.

[٣] ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ .

بيان لجملة ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ أي لا يغني عنه شيء من عذاب جهنم. ونزل هذا القرآن في

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٩/٣٠

حياة أبي لهب وقد مات بعد ذلك كافرا، فكانت هذه الآية إعلاما بأنه لا يسلم وكانت من دلائل النبوة.
والسين للتحقيق مثل قوله تعالى: ﴿قال سوف أستغفر لكم ربي﴾ [يوسف:٩٨].
و"يصلى نارا" يشوى بها ويحس بإحراقها. وأصل الفعل: صلاه بالنار، إذا شواه ثم جاء منه صلي كأفعال الإحساس مثل فرِح ومرِض. ونصب "نارا" على نزع الخافض.
ووصف النار بـ ﴿ذات لهب﴾ لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وبين كفره إذ هو أبو لهب والنار ذات لهب. وهو ما تقدم الإيماء إليه بذكر كنيته كما قدمناه آنفا، وفي وصف النار بذلك زيادة كشف بحقيقة النار وهو مثل التأكيد.
وبين لفظي ﴿لهب﴾ الأول و ﴿لهب﴾ الثاني الجناس التام.
[٤-٥] ﴿وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل مِن مسد﴾ .
أعقب ذم أبي لهب ووعيده بمثل ذلك لامرأته لأنها كانت تشاركه في أذى النبي صلى الله عليه وسلم وتعينه عليه.
وامرأته: أي زوجه قال تعالى في قصة إبراهيم ﴿وامرأته قائمة﴾ [هود:٧١] وفي قصة لوط ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ [الأعراف:٨٣]، وفي قصة يوسف ﴿امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه﴾ [يوسف:٣٠].
وامرأة أبي لهب هي أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان بن حرب، وقيل: اسمها العوراء، فقيل هو وصف وإنها كانت عوراء وقيل اسمها، وذكر بعضهم: إن اسمها العواء بهمزة بعد الواو.
وكانت أم جميل هذه تحمل حطب العضاه والشوك فتضعه في الليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم الذي يسلك منه إلى بيته ليعقر قدميه.." (١)
"حقهم فافتقروا معها إلى مميز فقيل لأجلهم ﴿هو الله﴾ .
والمقام الثالث مقام أصحاب الشمال وهم الذين يجوزون تعدد الآلهة فقرن لفظ ﴿أحد﴾ بقوله: ﴿هو الله﴾ إبطالا لمقالتهم اهـ.
فاسمه تعالى العلم ابتدئ به قبل إجراء الأخبار عليه ليكون ذلك طريق استحضار صفاته كلها عند التخاطب بين المسلمين وعد المحاجة بينهم وبين المشركين، فإن هذا الاسم معروف عند جميع العرب فمسماه لا نزاع في وجوده ولكنهم كانوا يصفونه بصفات تنزه عنها.

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٣٠/٣٠

أما ﴿أحد﴾ فاسم بمعنى واحد. وأصل همزته الواو، فيقال: وحد كما يقال أحد، قلبت الواو همزة على غير قياس لأنها مفتوحة بخلاف قلب واو وجوه ومعناه منفرد قال النابغة:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجليل على مستأنس وحد

أي كأني وضعت الرجل على ثور وحش أحس بأنسي وهو منفرد عن قطيعه.

وهو صفة مشبهة مثل حسن، يقال: وحد مثل كرم، ووحد مثل فرح. وصيغة الصفة المشبهة تفيد تمكن الوصف في موصوفها بأنه ذاتي له، فلذلك أوثر ﴿أحد﴾ هنا على واحد لأن واحد اسم فاعل لا يفيد التمكن. ف واحد و ﴿أحد﴾ وصفان مصوغان بالتصريف لمادة متحدة وهي مادة الوحدة يعني التفرد.

هذا هو أصل إطلاقه وتفرعت عنه إطلاقات صارت حقائق للفظ أحد، أشهرها أنه يستعمل اسما بمعنى إنسان في خصوص النفي نحو قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ في [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾ [الكهف:٣٨] في الكهف وكذلك إطلاقه على العدد في الحساب نحو: أحد عشر، وأحد وعشرين، ومؤنثه إحدى، ومن العلماء من خلط بين واحد وبين أحد فوقع في ارتباك.

فوصف الله بأنه ﴿أحد﴾ معناه: أنه منفرد بالحقيقة التي لوحظت في اسمه العلم وهي الإلهية المعروفة، فإذا قيل ﴿ الله أحد﴾ فالمراد أنه منفرد بالإلهية. وإذا قيل الله واحد، فالمراد أنه واحد لا متعدد فمن دونه ليس بإله. ومآل الوصفين إلى معنى نفي الشريك له تعالى في إلهيته.

فلما أريد في صدر البعثة إثبات الوحدة الكاملة لله تعليما للناس كلهم، وإبطالا." (١)

" ١٧ معها ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف ومنه المبشر والبشير واستبشر بالشيء فرح به بعد له معنيان ضد القرب والفعل منه بعد بضم العين والهلاك والفعل منه بكسرها ومنه كما بعدت ثمود بلاء له معنيان العذاب والاختبار ومنه أيضا ونبلوكم بر له معنيان الكرامة ومنه بر الوالدين و أن تبروهم والتقوى والجمع لخصال الخير ومنه البر من اتقى ورجل بار وبر والجمع أبرار والبر من أسماء الله تعالى بات معروف ومصدره بيات وبيت الأمر دبره بالليل بغتة فجأة بروج جمع برج وهو الحصن وبروج السماء منازل الشمس والقمر بين ظرف وبين يدي الشيء ما تقدم قبله والبين الفراق والاجتماع لأنه من الأضداد بينات براهين من المعجزة وغيرها ومبينة من البيان يبين من البيان وله معنيان بين غير متعد ومبين لغيره بدا يبدو بغير همز ظهر وأبديته أظهرته والبادي أيضا من البداية ومنه بادون في الأعراب بدأ بالهمزة من الابتداء ويقال بدأ الخلق وأبدأه وقد جاء القرآن بالوجهين بغى له معنيان العدوان على الناس والحسد

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٣٧/٣٠

والبغا بكسر الباء الزنا ومنه امرأة بغي أي زانية وابتغاء الشيء وبغاه أي طلبه بث الحديث وغيره نشره والمبثوث المنتشر ومبثوثه متفرقة والبث الحزن الشديد ومنه أشكو بثي بوأ أنزل الرجل ومنه بوأكم في الأرض ولنبوأنهم ومبوأ بوار هلك ومنه قوما بورا أي هلكى باء بالشيء رجع به وقد يقال بمعنى اعترف بأساء الفقر والبؤس والشدة والمحنة والبائس الفقير من البؤس والبأس القتال والشجاعة والمكروه وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذم برزخ شيء بين شيئين والبرزخ ما بين الموت والقيامة بديع له معنيان جميل ومبدع أي خالق الشيء ابتداء بسر عبس ومنه باسرة بصير من أبصر يقال أبصرته وبصرته والبصائر البراهين جمع بصيرة برز ظهر ومنه بارزة وبارزون بطش أخذ بشدة بخس نقص بعل له معنيان زوج." (١)

"٢٥ فتنة لها ثلاثة معان الكفر والاختبار والتعذيب فاء يفيء أي رجع فلك بضم الفاء سفينة ويستوي فيه المفرد والجمع فلك بفتحتين القطب الذي تدور به الكواكب فزع له معنيان الخوف والإسراع ومنه إذا فزعوا فلا **فوت فرح له** معنيان السرور والبطر فاحشة وفحشاء هي كل ما يقبح ذكره من المعاصي فرض له معنيان الوجوب والتقدير فتح له معنيان فتح الأبواب ومنه فتح البلاد وشبهها والحكم ومنه افتح بيننا وبين قومنا ويقال للقاضي فاتح واسم الله الفتاح قيل الحاكم وقيل خالق الفتح والنصر انفضوا تفرقوا فطره خلقه ابتداء ومنه فاطر السموات والأرض وفطرة الله التي خلق الخلق عليها وأفطر بالألف من الطعام فطور شقوق ومنه انفطرت أي انشقت ويتفطرن فج طريق واسع وجمعه فجاج فار التنور يقال لكل شيء هاج وعلا حتى فاض ومنه وهي تفور وقولهم فارت القدر فوج جماعة من الناس وجمعه أفواج فاكهين من التلذذ بالفاكهة أو من الفكهة وهي السرور واللهو فؤاد هو القلب وجمعه أفئدة استفز يستفز أي استخف فقه فهم ومنه لا يفقهون وما نفقه كثيرا في حرف جر بمعنى الظرفية وقد تكون للتعليل وقد تكون بمعنى مع وقيل بمعنى على الفاء لها ثلاثة أنواع عاطفة ورابطة وناصبة للفعل بإضمار أن ومعناها الترتيب والتعقيب والسبب

حرف القاف قرآن القرآن العزيز ومصدره قرأ أي تلا ومنه إن علينا جمعه وقرانه قنوت له خمسة معان العبادة والطاعة والقيام في الصلاة والدعاء والسكوت قضاء له سبعة معان الحكم والأمر والقدر السابق وفعل الشيء والفراغ منه والموت والإعلام بالشيء ومنه قضينا إليه ذلك الأمر قدر له خمسة معان من القدرة ومن التقدير ومن المقدار ومن القدر والقضاء وبمعنى التضييق نحو فقدر عليه رزقه وقد يشد الفعل ويخفف والقدر بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقدار وبالفتح لا غير من القضاء قام." (٢)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣١/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٤٧/١

"الله بن أبي فإن يتوبوا فتح الله لهم باب التوبة فتاب ... ٢٧٦

٨١ الجلاس وحسن حاله ومنهم من عاهد الله الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب وذلك أنه قال يا رسول الله ادع الله أن يكثر مالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد عليه حتى دعا له فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة فنزلت فيه الآية فجاء بزكاته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ولم يأخذها منه وقال إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان بخلوا به إشارة إلى منعه الزكاة فأعقبهم نفاقا عقوبة على العصيان بما هو أشد منه إلى يوم يلقونه حكم بوفاته على النفاق الذين يلمزون المطوعين نزلت في المنافقين حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا ما هذا إلا رياء وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا من تصدق بكثير والذين لا يجدون إلا جهدهم هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به نزلت في أبي عقيل تصدق بصاع من تمر فقال المنافقون إن الله غني عن صدقة هذا فيسخرون منهم أي يستخفون بهم سخر الله منهم تسمية للعقوبة بإسم الذنب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يحتمل معنيين أحدهما أن يكون لفظه أمر ومعناه الشرط ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) كما جاء في سورة المنافقين والآخر أن يكون تخيير كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم وإن شئت فلا تستغفر لهم ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم وهذا أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خيرني فاخترت وذلك حين قال عمر أتصلي على عبد الله بن أبي وقد نهاك الله عن الصلاة عليه سبعين مرة ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير **فرح المخلفون** أي الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه وفي هذا تحقير وذم لهم ولذلك لم يقل المتخلفون بمقعدهم أي بقعودهم خلاف." (١)

" ١٣٤ استئناف كلام والحسنى الجنة وإعرابها مبتدأ وخبرها للذين استجابوا وللذين استجابوا مبتدأ وخبره لو أن لهم ما في الأرض الآية فيوقف على الأمثال وعلى الحسنى وقيل للذين استجابوا يتعلق بيضرب والحسنى مصدرمن معنى استجابوا أي استجابوا الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا معطوف على الذين استجابوا والمعنى يضرب الله الأمثال للطائفتين وعلى هذا إنما يوقف على والذين لم يستجيبوا له سوء الحساب أي المناقشة والاستقصاء أفمن يعلم تقرير والمعنى أسواء من آمن ومن لم يؤمن والأعمى هنا من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأبي جهل لعنه الله يصلون ما أمر الله به أن يوصل القرابات وغيرها ويدرءون بالحسنة السيئة قيل يدفعون الشرك

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٤٦٨/١

بقول لا إله إلا الله وقيل يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن والأظهر يفعلون الحسنات فيدرؤن بها السيئات كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات وقيل إن هذه الآية نزلت في الأنصار ثم هي عامة في كل مؤمن اتصف بهذه الصفات عقبى الدار يعني الجنة ويحتمل أن يريد بالدار الآخرة وأضاف العقبى إليها لأنها فيها ويحتمل أن يريد بالدار الدنيا وأضاف العقبى إليها لأنها عاقبتها جنات عدن بدل من عقبى الدار أو خبر ابتداء مضمر تفسير العقبى الدار ومن صلح أي من كان صالحا سلام عليكم أي يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم ويجوز أن يتعلق بسلام أي ليسلم عليكم بما صبرتم والذين ينقضون عهد الله إلى آخر الآية أوصاف مضافة كما تقدم وقيل إنها في الخوارج والأظهر أنها في الكفار سوء الدار يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع وفرحوا بالحياة الدنيا إخبار في ضمنه ذم وتسفيه **لمن فرح بالدنيا** لذلك حقرها بقوله وما الحياة." (١)

" ١١١ وهو نبيهم لأن كل نبي يشهد على أمته هاتوا برهانكم أي هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه من الكفر وذلك إعذار لهم وتوبيخ وتعجيز إن قارون كان من قوم موسى أي من بني إسرائيل وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته وقيل ابن خالته فبغى عليهم أي تكبر وطغى ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة المفاتح هي التي يفتح بها وقيل هي الخزائن والأول أظهر والعصبة جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين وتنوء معناه تثقل يقال ناء به الحمل إذا أثقله وقيل معنى تنوء تنهض بتحامل وتكلف والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول لا تفرح **الفرح هنا** هو الذي يقود إلى الإعجاب والطغيان ولذلك قال إن الله لا يحب الفرحين وقيل السرور بالدنيا لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ويدل على هذا قوله ولا تفرحوا بما آتاكم وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة أي اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال وذلك بفعل الحسنات والصدقات ولا تنس نصيبك من الدنيا أي لا تضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة وقيل معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير فالكلام على هذا وعظ وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة وأحسن كما أحسن الله إليك أي أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى قال إنما أوتيته على علم عندي لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٤٤/٢

عما ألزموه من الموعظة والمعنى أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له بسبب علم عندي استوجبته به واختلف في هذا العلم فقيل إنه علم الكيمياء وقيل التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب وقيل حفظه التوراة وهذا بعيد لأنه كان كافرا قيل المعنى إنما أوتيته على علم." (١)

"عن الأوطان وغير ذلك وقيل يعني القتال وذلك ضعيف لأن القتال لم يكن مأمورا به حين نزول الآية لنهدينهم سبلنا أي لنوفقنهم لسبيل الخير وإن الله لمع المحسنين المعنى أنه معهم بإعانته ونصره ... ٥١٣ ١٢٠

سورة الروم

غلبت الروم أي هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم وسميت الروم باسم جدهم وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم في أدنى الأرض قيل هي الجزيرة وهي بين الشام والعراق وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وقيل في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام وهم من بعد غلبهم سيغلبون إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع ويومئذ يفرح المؤمنون روي أن غلب الروم فارس وقع يوم بدر وقيل يوم الحديبية ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش **وقيل فرح المؤمنون** بنصر الروم على الفرس لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام **كذلك فرح الكفار** من قريش بنصر الفرس على الروم لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش وروي أنه **لما فرح الكفار** بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل فجعل القلاص مائة والأجل تسعة أعوام وجعل معه أبي ابن خلف مثل ذلك فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف إذ كان قد مات وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق بها وعد الله مصدر مؤكد كقوله له على ألف درهم عرفا لأن معناه اعترفت له بها اعترافا يعلمون ظاهرا قيل معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم في ذلك مثل البهائم وقيل الظاهر ما يعلم بأوائل العقول والباطن ما يعلم بالنظر والدليل وقيل هو من الظهور بمعنى العلو في." (٢)

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣٢٩/٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣٤١/٢

"٣١ وقيل يعني العى في الكلام وقوله ولا يكاد يبين يقتضي أنه كان يبين لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإثبات
فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته والأسورة جمع سوار وأسوار وهو ما يجعل في الذراع من الحلى وكان الرجال حينئذ يجعلونه مقترنين أي مقترنين به لا يفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له ويقيموا الحجة فاستخف قومه أي طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم آسفونا أى أغضبونا فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين السلف بفتح السين واللام جمع سالف وقرىء بضمها جمع سليف ومعناه متقدم أي تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ومثلا يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون روى عن ابن عباس وغيره في تفسيره هذه الآية أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه قالت قريش ما يريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا حكى ذلك ابن عطية والذي ضرب المثل على هذا هو الله في القرآن ويصدون بمعنى يعرضون وقال الزمخشري لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك وقال عبد الله بن الزبعري أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثنى عليه خيرا وقد علمت أن النصارى عبدوه فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه ففرحت قريش بذلك وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية فالمعنى على هذا لما ضرب ابن الزبعري عيسى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه أذا قريش من هذا المثل يصدون أي يضحكون ويصيحون **من الفرح وهذا** المعنى إنما." (١)

"النار وهذا تخصيص لا دليل عليه وقيل أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات وهذا مجاز وقيل خلق في بني آدم الضحك والبكاء والصحيح أنه عبارة **عن الفرح والحزن** لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن فالمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده وأسر من شاء وأمات وأحيا يعني الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل أحيا بالإيمان وأمات بالكفر والأول أرجح لأنه حقيقة من نطفة يعني المني إذا تمنى من قولك أمنى الرجل إذا خرج منه المني النشأة الأخرى يعني الإعادة للحشر وتمنى يعني أكسب عباده المال وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره وقيل معنى أقنى

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢٤/٣

أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة وقيل معناه أرضى وقيل قنع عبده الشعرى نجم في السماء وتسمى كلب الجبار وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور وخصها بالذكر دون سائر النجوم لأن ... ٦٧٢." (١)

"٩٩ في أول صف من القتال وقيل احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام وقيل كونوا أول داخل إلى المسجد وأول خارج منه وهذه أمثله والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات وقد استدل بها قوم على الصلاة أن في أول الوقت أفضل وجنة عرضها كعرض السماء والأرض السماء هنا يراد به جنس السموات بدليل قوله في آل عمران وقد ذكرنا هناك معنى عرضها

ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر وقيل أراد به المصيبة في العرف وهو ما يصيب من الشر وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفي الأرض يعني القحوط والزلازل وغير ذلك وفي أنفسكم يعني الموت والمرض والفقر وغير ذلك ونبرأها معناه نخلقها والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض وقيل يعود على جميعها لأن المعنى صحيح في كلها لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم المعنى فعل الله ذلك وأخبركم به لكيلا تسلموا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا ومعنى لا تأسوا لا تحزنوا أي فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فيها وقرأ الجمهور بما آتاكم بالمد أي بما أعطاكم الله من الدنيا وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر أي بما جاءكم من االدنيا فإن قيل إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما اتى بمال كثير اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا فالجواب أن النهي **عن الفرح إنما** هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم كل مختال فخور المختال صاحب الخيلاء والفخور شديد الفخر على الناس الذين يبخلون بدل من كل مخال." (٢)

"فصل

وأما نصوص الإمام أحمد على [خلق كلام الآدميين] و [خلق أفعال العباد] فموجودة في مواضع كثيرة، كما نص على ذلك سائر الأئمة . وليس بين أهل السنة في ذلك اختلاف؛ ولهذا قال يحيى بن سعيد

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٠١/٣

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٣٩/٣

القطان- شيخ الإمام أحمد . : ما زلت أسمع أصحابنا يقولون : أفعال العباد مخلوقة، وقد سئل الإمام أحمد عن أفاعيل العباد : مخلوقة هي ؟ فقال : نعم . و نص على كلام الآدميين في رواية أحمد بن الحسن الترمذي . كما سيأتي . وفيما خرجه على الزنادقة والجهمية، وهو / مروي من طريق ابنه عبد الله وحاده . وقد ذكره الخلال – أيضا . في كتاب [السنة] ونقل منه القاضي أبو يعلي وغيره، وقد حكى إجماع الخلق على ذلك غير واحد منهم أبو نصر السجزي في [الإبانة] ، وهو من أشد الناس إنكارا على من يقول : إن ألفاظ العباد بالقرآن مخلوقة، أو يقول : إن المسموع من القارئ ليس هو القرآن .

قال أبو نصر : وأما نسبة الأصوات إلى القراء . فيما ذكرنا في هذا الباب وفي غيره من كتابنا هذا . ونسبة القراءة إليهم، **وإن فرح بها** الزائغون، فلا حجة لهم فيها؛ وذلك أنا لم نختلف في إضافة الصوت إلى الإنسان، وأنه إذا صاح، أو تكلم بكلام الناس، أو نادى إنسانا فصوته مخلوق . قال : وهذا لا يشتبه، وإنما وقع الاختلاف في أن المستمع من قارئ القرآن ماذا يستمع ؟ وساق الكلام إلى آخره . وذكر في موضع آخر الإجماع . أيضا . على ذلك .." (١)

"ولفظ (الحسنات) و (السيئات) فى كتاب الله يتناول هذا وهذا، قال الله تعالى عن المنافقين : ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ﴾ [التوبة : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ [الأعراف : ١٦٨] وقال تعالى : ﴿ إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴾ [الشورى : ٤٨] ، وقال تعالى فى حق الكفار المتطيرين بموسى ومن معه : ﴿ إذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾ ذكر هذا بعد قوله : ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴾ [الأعراف : ١٣٠، ١٣١] .

وأما الأعمال المأمور بها والمنهى عنها ففى مثل قوله تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ [القصص : ٨٤] ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ، وقوله تعالى : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ [هود : ١١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فأولئك يبدل الله

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٦٨/١

سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ [الفرقان : ٧٠] .
(١) ".

"وذلك يتعلق بتحقيق الألوهية لله وتوحيده، وامتناع الشرك، وفساد السموات والأرض بتقدير إله غيره، والفرق بين الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية، وبيان أن العباد فطروا على الإقرار به ومحبته وتعظيمه، وأن القلوب لا تصلح إلا بأن تعبد الله وحده، ولا/ كمال لها ولا صلاح ولا لذة ولا سرور **ولا فرح ولا** سعادة بدون ذلك، وتحقيق الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وغير ذلك مما يتعلق بهذا الموضع الذي في تحقيقه تحقيق مقصود الدعوة النبوية، والرسالة الإلهية، وهو لب القرآن وزبدته، وبيان التوحيد العلمي القولي، المذكور في قوله : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ [الإخلاص : ١، ٢] ، والتوحيد القصدي العملي المذكور في قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ [الكافرون : ١] ، وما يتصل بذلك ، فإن هذا بيان لأصل الدعوة إلى الله وحقيقتها ومقصودها .

لكن المقصود في الجواب ذكر ذلك على طريق الإجمال؛ إذ لا يتسع الجواب لتفضيل ذلك، وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب، من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله الأمر به،وكل ما أبغضه الله ورسوله من باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله النهي عنه لا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله، سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة أو الظاهرة، كالتصديق بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته، والمعاد وتفصيل ذلك، وما أخبر به عن سائر المخلوقات : كالعرش، والكرسي، والملائكة، والأنبياء، وأممهم، وأعدائهم؛ وكإخلاص الدين لله، وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما، وكالتوكل عليه، والرجاء لرحمته، / وخشية عذابه، والصبر لحكمه، وأمثال ذلك، وكصدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وكالجهاد في سبيله بالقلب واليد واللسان .
(٢) ".

"وأيضا، فـ (اليأس) : يكون في الشيء الذي لا يكون، ولم يجئ ما يقتضي ذلك، فإنهم قالوا : ﴿ يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣/٣٦

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣/٣٥١

وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ﴾ [يوسف : ٧٨، ٧٩] فامتنع من تسليمه إليهم . ومن المعلوم أن هذا لا يوجب القطع بأنه لا يسلم إليهم، فإنه يتغير عزمه ونيته، وما أكثر تقليب القلوب، وقد يتبدل الأمر بغيره حتى يصير الحكم إلى غيره، وقد يتخلص بغير اختياره، والعادات قد جرت بهذا على مثل من عنده من قال لا يعطيه، فقد /يعطيه، وقد يخرج من يده بغير اختياره، وقد يموت عنه فيخرج، والعالم مملوء من هذا .

الوجه الثاني : قال لهم يعقوب : ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ [يوسف : ٨٧] فنهاهم عن اليأس من روح الله ، ولم ينههم عن الاستيئاس، وهو الذي كان منهم . وأخبر أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

ومن المعلوم أنهم لم يكونوا كافرين فهذا هو الوجه الثالث . أيضا : وهو أنه أخبر أنه : ﴿ لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ فيمتنع أن يكون للأنبياء يأس من روح الله، وأن يقعوا في الاستيئاس بل المؤمنون ما داموا مؤمنين لا ييأسون من روح الله،وهذه السورة تضمنت ذكر **المستيئسين،وأن الفرج جاءهم** بعد ذلك؛ لئلا ييأس المؤمن؛ولهذا فيها : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ [يوسف : ١١١] فذكر استيئاس الإخوة من أخي يوسف،وذكر استيئاس الرسل،يصلح أن يدخل فيه ما ذكره ابن عباس، وما ذكرته عائشة جميعا .

". (١)

"وكذلك ترى كثيرا ممن لبس الصوف، ويهجر الشهوات، ويتقشف، وغيره ممن لا يدانيه في ذلك من أهل العلم والإيمان أعظم في القلوب، وأحلي عند النفوس، وما ذاك إلا لقوة المعاملة الباطنة وصفائها، وخلوصها من شهوات النفوس، وأكدار البشرية، وطهارتها من القلوب التي تكدر معاملة أولئك، وإنما نالوا ذلك بقوة يقينهم بما جاء به الرسول،وكمال تصديقه في قلوبهم، ووده ومحبته، وأن يكون الدين كله لله، فإن أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وابتهاجها وسرورها، كما قال تعالى : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ﴾ [الرعد : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ الآية [يونس : ٥٨] . ففضل الله ورحمته : القرآن والإيمان، **من فرح به فقد فرح بأعظم** مفروح به، **ومن فرح بغيره** فقد ظلم نفسه **ووضع الفرح في** غير موضعه .

فإذا استقر في القلب، وتمكن فيه العلم بكفايته لعبده، ورحمته له، وحلمه عنده، وبره به، وإحسانه إليه

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣٦٦/٣

على الدوام، أوجب له الفرح والسرور أعظم من فرح كل محب بكل محبوب سواه، فلا يزال مترقيا / في درجات العلو والارتفاع بحسب رقيه في هذه المعارف .

هذا في باب معرفة الأسماء والصفات . وأما في باب فهم القرآن فهو دائم التفكر في معانيه، والتدبر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحكمه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئا من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن، فإن شهد له بالتزكية قبله، وإلا رده، وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه، وهمته عاكفة على مراد ربه من كلامه .

". (١)

"وقد استشهد الله بأهل الكتاب في غير موضع، حتى قال : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ [الأحقاف : ١٠] .

فإذا أشهد أهل الكتاب على مثل قول المسلمين كان هذا حجة ودليلا،وهو من حكمة إقرارهم بالجزية . فيفرح بموافقة المقالة المأخوذة من الكتاب والسنة لما يأثره أهل الكتاب عن المرسلين قبلهم . ويكون هذا من أعلام النبوة، ومن حجج الرسالة، ومن الدليل على اتفاق الرسل .

الثاني : أن المشابهة التي يدعونها ليست صحيحة . فإن أهل السنة / لا يوافقون اليهود والنصارى فيما ابتدعوه من الدين والاعتقاد؛ ولهذا قلت في بيان فساد قول ابن الخطيب : إنه لم يفهم مقالة أهل الحديث والسنة من الحنبلية وغيرهم، ولم يفهم مقالة النصارى، وأوضحت ذلك في موضعه، كما بين الإمام أحمد الفرق بين مقالة أهل السنة وبين مقالة النصارى المبتدعة، وكما يبين الفرق بين مقالة أهل السنة ومقالة اليهود المبتدعة .

الثالث : أنه إذا فرض مشابهة أهل الإثبات لليهود أو النصارى، فأهل النفي والتعطيل مشابهون للكفار والمشركين من النصارى وغيرهم . ومعلوم قطعا أن مشابهة أهل الكتابين خير من مشابهة من ليس من أهل الكتاب، من الكفار بالربوبية والنبوات ونحوهم؛ ولهذا قيل : المشبه أعشى، والمعطل أعمى .

ولهذا فرح المؤمنون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بانتصار النصارى على المجوس، كما فرح المشركون بانتصار المجوس على النصارى . فتدبر هذا، فإنه نافع في مواضع، والله أعلم .

ولهذا كان المعتزلة ونحوهم من القدرية مجوس هذه الأمة .

وهم يجعلون الصفاتية نصارى الأمة ويميلون إلى اليهود لموافقتهم / لهم في أمور كثيرة أكثر من النصارى،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٤/١٣٣

كما يميل طائفة من المتصوفة والمتفقرة إلى النصارى أكثر من اليهود .

فإذا كان الصفاتية إلى النصارى أقرب وضدهم إلى المجوس والمشركين أقرب تبين أن الصفاتية أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين فرحوا بانتصار الروم النصارى على فارس المجوس، وأن المعطلة هم إلى المشركين أقرب، الذين فرحوا بانتصار المجوس على النصارى .." (١)

"٤٦٩٤- حدثنا أحمد بن يونس بن المسيب، ومحمد بن عمار، قالا: ثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: وأخبرني ابن أبي مليكة، أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أخبره أن مروان، قال: اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ **منا فرح بما** أوتي أحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا ، لنعذبن أجمعين، فقال ابن عباس: "ما لكم وهذه ؟ أما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه " ، وتلا ابن عباس: " لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا " ، فقال ابن عباس: سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكتموه وأخبروه بغيره، فخرجوا، وقد أروه أن قد أخبروه ما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه".

الوجه الثالث:

٤٦٩٥- أخبرنا محمد بن سعد العوفي فيما كتب إلي، حدثني أبي، حدثني عمي الحسين، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس، قوله: " " ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا " من الصوم والصلاة".

الوجه الرابع:." (٢)

"٨٥٠٢- حدثنا أبي، ثنا محمد بن عبد الرحمن العزرمي، ثنا بزيع يعني اللحام، ثنا أبو حازم، عن يحيى بن عبد الرحمن يعني أبا بسطام، عن الضحاك، قال : "الحمد لله رداء الرحمن".

قوله تعالى : " وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "

٨٥٠٣- حدثنا أبي، ثنا مالك بن إسماعيل، أنبأ إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب، قال : "وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة : " سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " ، ويلقى كل غلمان صاحبهم، يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة : أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، فينطلق من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين، فيقول : هذا فلان، باسمه في الدنيا،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٢٥٠/٤

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٠٦/٣

فيقلن : أنت رأيته ؟ فيقول : نعم، فيستخفهن الفرح حتى يخرجن إلى أسكفة الباب، فيجيء، فإذا هو بنمارق مصفوفة، وأكواب موضوعة، وزرابي مبثوثة، ثم نظر إلى تأسيس بنائه، فإذا هو قد أسس عىى جندل اللؤلؤ بين أخضر وأحمر وأصفر وأبيض ومن كل لون، ثم يرفع طرفه إلى سقفه، فلولا أن الله قدر له، لألم أن يذهب ببصره، ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين، ثم يتكئ على أريكة من أرائكه، ثم يقول : " الحمد لله الذي هدانا لهذا وما." (١)

"١٠٦٦٢- حدثنا هارون بن إسحاق، ثنا عبدة يعني ابن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: " أنزل الله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لأزيدن على السبعين، فأنزل الله تعالى " سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم " فأبى الله أن يغفر لهم".

قال تعالى:

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون * فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين * ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾

قوله تعالى: " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله "

١٠٦٦٣- حدثنا علي بن الحسن، ثنا أبو الجماهر، ثنا سعيد بن بشير، ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله " "أظنها في غزوة تبوك".." (٢)

"١٢٤٠٣- حدثنا محمد بن يحيى الواسطي، قال: حدثني محمد بن حسين البرجلاني، ثنا عبيد الله بن محمد التيمي، ثنا دريد بن مجاشع، عن بعض أشياخه، قال: " " وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا " ، قال: قالت للقيم: أدخله عليهن وألبسه ثيابا بيضاء، فإن الجميل أحسن ما يكون في البياض، قال: فأدخله عليهن، وهن يحززن ما في أيديهن، فلما رأينه حززن أيديهن، وهن لا يشعرن من

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٨/٦

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٦١/٧

النظر إليه فنظرن إليه مقبلا، ثم أومأت إليه أن ارجع فنظرن إليه مدبرا، وهن يحززن أيديهن بالسكاكين، لا يشعرن بالوجع من نظرهن إليه فلما خرج نظرن إلى أيديهن، وجاء الوجع فجعلن يولولن، وقالت لهن: أنتن من ساعة واحدة هكذا صنعتن فكيف أصنع أنا ؟ " قلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم " ".

قوله تعالى: " فلما رأينه أكبرنه "

١٢٤٠٤- حدثنا أبي، ثنا مسلم بن يحيى بن عبد الحميد الدمشقي، ثنا سويد بن عبد العزيز، حدثني عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده ابن عباس،" " فلما رأينه أكبرنه " ، قال: لما خرج عليهن يوسف حضن من الفرح، وقال الشاعر: نأتي النساء لدى إطهارهن ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا".." (١)

"علينا سبيل، ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه عز وجل، فقال: كلكم أثنى على ربه واني مثن على ربي، قال: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل على الفرقان فيه تبيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون والآخرون، وشرح لي صدري ووضع عني وزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحا وخاتما، فقال إبراهيم عليه السلام: بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم أتى بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتى بإناء منها فيه ماء، فقيل: اشرب فشرب منه يسيرا ثم رفع اليه اناء آخر فيه لبن، فقيل: اشرب، فشرب منه حتى روى، ثم رفع إليه إناء آخر فيه الخمر، فقيل له: اشرب، فقال: لا أريده قد رويت، فقال له جبريل عليه السلام: أما إنها ستحرم علي أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من امتك إلا قليل ثم صعد بي إلى السماء، فاستفتح، فقيل: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا محمد، قالوا: وقد أرسل إليه؟، قال: نعم، قالوا: حياه الله من اخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجييء جاء، فدخل فإذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس، على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة إذا نظر إلى الباب الذي عن **يمينه فرح وضحك** وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى وحزن، فقلت: يا جبريل، من هذا؟، قال: هذا ابوك آدم، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة إذا نظرالى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخله بكى وحزن، ثم صعد بي جبريل عليه السلام إلى السماء الثانية، فاستفتح قيل من هذا معك؟ قال: محمد صلى الله." (٢)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٤٤/٨

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٣٤/٩

"١٧٨٥٢- حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: " أولي القوة " ، قال:"خمسة عشر".

قوله تعالى: " إذ قال له قومه "

١٧٨٥٣- حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، ثنا الحسين بن علي بن مهران، ثنا عامر بن الفرات، ثنا أسباط، عن السدي: " إذ قال له قومه لا تفرح " ، قال:"هؤلاء المؤمنون منهم".

قوله تعالى: " لا تفرح "

١٧٨٥٤- به عن السدي: " إذ قال له قومه لا تفرح " ، قال:"هؤلاء المؤمنون منهم، قالوا: يا قارون، بما أوتيت فتبطر".

١٧٨٥٥- حدثنا محمد بن يحيى، أنبأ العباس بن الوليد، ثا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، قوله: " إذ قال له قومه لا تفرح " أي:"لا تمدح".

قوله تعالى: " إن الله لا يحب الفرحين "

١٧٨٥٦- حدثنا حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله:" " إن الله لا يحب الفرحين " المتمدحين الأشرين البطريين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم".

١٧٨٥٧- حدثنا أبي، ثنا النفيلي، ثنا العوام، عن مجاهد، في قوله: " لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين " ، قال:"الفرح هاهنا البغي".

والوجه الثالث." (١)

"١٧٨٥٨- حدثنا أبي، ثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: " إن الله لا يحب الفرحين " ، يقول:"المرحين"، وروي عن قتادة مثل ذلك

١٧٨٥٩- حدثنا عبد الله بن سليمان، ثنا الحسين بن علي، ثنا عامر بن الفرات، ثنا أسباط، عن السدي، قوله: " إن الله لا يحب الفرحين " ، قال:"إن الله لا **يحب الفرح بطرا**".

قوله تعالى: " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة "

١٧٨٦٠- وبه، عن السدي: " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة " ، قال:"تصدق، وقرب إلى الله تبارك وتعالى، وصل الرحم".

قوله تعالى: " ولا تنس نصيبك من الدنيا "

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٥١/١١

١٧٨٦١- حدثنا أحمد بن سنان، ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن ابن عباس: " ولا تنس نصيبك من الدنيا " ، قال:"أن تعمل فيها لآخرتك".

١٧٨٦٢- حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، ثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: " ولا تنس نصيبك من الدنيا " ، يقول:"لا تترك أن تعمل لله في الدنيا".

١٧٨٦٣- حدثنا أبو عبيد الله حماد بن الحسن بن عنبسة، ثنا أبو داود، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: " ولا تنس نصيبك من الدنيا " ، قال:"أن تعمل فيها بطاعتي".." [١]

"الله من ريح المسك.

وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم والنسائي والبيهقي عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : الصوم لي وأنا أجزي به للصائم فرحتان.

إذا **أفطر فرح وإذا** لقي ربه **فجازاه فرح ولخلوف** فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك.

وأخرج أحمد والبيهقي ، عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال ربنا : الصيام جنة يستجن بها العبد من النار وهو لي وأنا أجزي به ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الصيام جنة حصينة من النار.

وأخرج البيهقي عن أيوب بن حسان الواسطي قال سمعت رجلا سأل سفيان بن عيينة فقال : يا أبا محمد فيما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، فقال ابن عيينة : هذا من أجود الأحاديث وأحكمها إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لايبقى إلا الصوم فيتحمل الله ما بقي." [٢]

"عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة.

وأخرج مالك ، وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أو شاتمه أحد فليقل إني إمرؤ صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عن الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرح بهما : إذا **أفطر فرح وإذا** لقي **ربه فرح بصومه**.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٥٢/١١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٩٠/٢

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي ، وابن خزيمة والبيهقي عن سهل بن سعد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال : أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد ، زاد ابن خزيمة ومن دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا." (١)

"غيرك فقال : سأقول فيها بجهد رأيي فإن كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وإن كان خطأ فمني والله ورسوله منه بريء : أرى أن أجعل لها صداقا كصداق نسائها لا وكس ولا شطط ولها الميراث وعليها العدة أربعة أشهر وعشر ، قال : وذلك بسمع ناس من أشجع فقاموا ومنهم معقل بن سنان فقالوا : نشهد أنك قضيت بمثل الذي قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأة منا يقال لها بروع بنت واشق ، قال : فما رؤي عبد **الله فرح بشيء** **ما فرح يؤمئذ** إلا بإسلامه ثم قال : اللهم إن كان صوابا فمنك وحدك لا شريك لك.

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة والبيهقي عن علي بن أبي طالب ، أنه قال في المتوفى عنها ولم يفرض لها صداق : لها الميراث وعليها العدة ولا صداق لها وقال : لا نقبل قول الأعرابي من أشجع على كتاب الله.

وأخرج الشافعي والبيهقي عن ابن عباس ، أنه سئل عن المرأة يموت عنها زوجها وقد فرض لها صداقا قال : لها الصداق والميراث.

وأخرج مالك والشافعي ، وابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن المسيب." (٢)

"أخرج البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي في الشعب من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له : لئن كان كل امرىء **منا فرح بما** أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين ، فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية إنما أنزلت هذه في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس﴾ آل عمران الآية ١٨٧ الآية وتلا ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ الآية فقال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمان

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٩١/٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٥/٣

ما سألهم عنه.

وأخرج البخاري ومسلم ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت ﴿لا." (١)

"هذا الذي جئت به أخذتني **بأمر الفرح وأخذتني** بأمر الحزن ، قال : ذكرت منزلتكما من الجنة وكرامة الله إياكما ففرحت لكما بمكانكما وذكرت أنكما تخرجان منها فبكيت لكما وحزنت عليكما ألم يقل لكما ربكما متى تأكلان من هذه الشجرة تموتان وتخرجان منها انظري إلي يا حواء فإذا أنا أكلتها فإن أنا مت أو تغير من خلقي شيء فلا تأكلا منها أقسم لكما بالله إني لكما لمن الناصحين ، فانطلق إبليس حتى تناول من تلك الشجرة فأكل منها وجعل يقول : يا حواء انظري هل تغير من خلقي شيء هل مت قد أخبرتك ما أخبرتك ، ثم أدبر منطلقا ، وأقبل آدم من مكانه الذي كان يطوف به من الجنة فوجدها منكبة على وجهها حزينة فقال لها آدم : ما شأنك ، قالت : أتاني الناصح المشفق قال :

ويحك ، لعله إبليس الذي حذرناه الله قالت : يا آدم والله لقد مضى إلى الشجرة فأكل منها وأنا أنظر فما مات ولا تغير من جسده شيء فلم تزل به تدليه ب ا لغرور حتى مضى آدم وحواء إلى الشجرة فأهوى آدم بيده إلى الثمرة ليأخذها فناداه جميع شجرالجنة : يا آدم لا تأكلها فإنك إن أكلتها تخرج منها فعزم آدم على المعصية فأخذ ليتناول الشجرة فجعلت الشجرة تتطاول ثم جعل يمد يده ليأخذها فلما وضع يده على الثمرة اشتدت فلما رأى الله منه العزم على المعصية أخذها وأكل منها وناول حواء فأكلت فسقط منها لباس." (٢)

"أنتن من ساعة واحدة هكذا صنعتن فكيف أصنع أنا ، ﴿وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾.

وأخرج أبو الشيخ من طريق عبد العزيز بن الوزير بن الكميت بن زيد بن الكميت الشاعرقال : حدثني أبي عن جدي قال : سمعت جدي الكميت يقول في قوله ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ قال : أمنين ، وأنشد في ذلك :

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٧٢/٤

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٤٣/٦

لما رأته الخيل من رأس شاهق * صهلن وأكبرن المني المدفقا.

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم من طريق عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ قال : لما خرج عليهن يوسف حضن من الفرح وقال الشاعر : نأتي النساء لدى إطهارهن ولا * نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾ قال : أعظمنه ﴿وقطعن أيديهن﴾ قال : حزا بالسكين حتى ألقينها ﴿وقلن حاش لله﴾ قال :." (١)

"وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله ﴿طوبى لهم﴾ قال : فرح وقرة عين.

وأخرج ابن أبي شيبة وهناد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة – رضي الله عنه – في قوله ﴿طوبى لهم﴾ قال : نعم ما لهم.

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن الضحاك – رضي الله عنه – في قوله ﴿طوبى لهم﴾ قال : غبطة لهم.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة – رضي اللله عنه – في قوله ﴿طوبى لهم﴾ قال : حسنى لهم ، وهي كلمة من كلام العرب.

وأخرج ابن جرير عن قتادة – رضي الله عنه – في قوله ﴿طوبى لهم﴾ قال : هذه كلمة عربية يقول الرجل طوبى لك أي أحببت خيرا.

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن إبراهيم – رضي الله عنه – في قوله ﴿طوبى لهم﴾ قال : الخير والكرامة الذي أعطاهم الله سبحانه وتعالى." (٢)

"وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه فرح وضحك وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى وحزن فقلت يا جبريل من هذا قال : هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي يمينه باب الجنة إذا نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر من يدخله بكى وحزن ، ثم صعد بي جبريل عليه السلام إلى السماء الثانية فاستفتح قيل : من هذا معك قال : محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : وقد أرسل إليه قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ وخليفة فنعم

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٤١/٨

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٤٣٦/٨

الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء فإذا هو بشابين قال : يا جبريل من هذان قال : عيسى ابن مريم ويحيى بن

زكريا ، فصعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا : من هذا قال : جبريل." (١)

"الواحد لا يزيد في بني إسرائيل وإني آتي فرعون فأستوهبه منه فإن وهبه لي فقد أحسنتم وأجملتم وإن أمر بذبحه لم ألمكم فلما أتت به فرعون قالت : (قرة عين لي ولك لا تقتلوه) (القصص آية ٩) قال فرعون : يكون لك وأما لي فلا حاجة لي فيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون قرة عين له كما قالت امرأته لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله عز وجل - حرمه ذلك فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرا فكلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرا يأخذ منها فلم يفعل وأصبحت أم موسى والها فقالت لأخته : قصي أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي أم قد أكلته الدواب ونسيت الذي كان وعد الله ، (فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون) والجنب أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهو لا يشعر به (فقالت) - **من الفرح حين**." (٢)

"يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾ ثم نزلت ﴿إلا من تاب وآمن﴾ فما رأيت النبي صلى الله عليه **وسلم فرح بشيء** قط فرحه بها وفرحه ب ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ الفتح الآية ١.

وأخرج أبو داود في تاريخه عن ابن عباس ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾ ثم استثنى ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي هريرة قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة ثم انصرفت فاذا امراة عند بابي فقالت : جئتك أسألك عن عمل عملته هل ترى لي منه توبة قلت : وما هو قالت : زنيت وولد لي وقتلته قلت : لا ، ولا كرامة ، فقامت وهي تقول : واحسرتاه ، أيخلق هذا الجسد للنار فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٧٧/٩

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٧٨/١٠

قصصت عليه أمر المرأة قال : ما قلت لها قلت لا ، ولا كرامة قال : بئس ما قلت ، أما كنت تقرأ هذه الآية ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ إلى قوله ﴿إلا من تاب﴾ الآية ، قال." (١)

"أعطاهم.

وأخرج الحاكم وصححه والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب والخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب كل قلب حزين.

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان وقال : هذا متن منكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله يوم القيامة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ قال : **الفرح هنا** البغي.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه في قوله ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ قال : ان الله لا يحب بطرا ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ قال : تصدق وتقرب إلى الله تعالى وصل الرحم.

وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ قال : المرحين.

". (٢)

"وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة والحسن رضي الله عنهما

قالا : أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار قال الحسن رضي الله عنه : في شيء كن أردنه من الدنيا ، وقال قتادة رضي الله عنه : في غيرة كانت غارتها عائشة رضي الله عنها وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش ، عائشة ، وحفصة ، وأمر حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أبي أمية ، وكانت تحته صفية بنت حي الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق ، وبدأ بعائشة رضي الله عنها فلما أختارت الله ورسوله والدار الآخرة **رؤي الفرح في** وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن كلهن على ذلك فلما خيرهن واخترن الله ورسوله والدار الآخرة شكرهن الله تعالى على ذلك ان قال ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢١٩/١١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٠٨/١١

تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾ فقصره الله تعالى عليهن وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله.
وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ ، قال أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخبر نساءه في هذه الآية فلم تختر واحدة منهن نفسا غير الحميرية.
وأخرج البيهقي في السنن عن مقاتل بن سليمان رضي الله عنه في قوله ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ يعني العصيان للنبي صلى الله عليه وسلم !." (١)

"وأخرج ابن الضريس عن يحيي بن أبي كثير قال : من قرأ " يس " إذا أصبح لم يزل في فرح حتى يمشي ، ومن قرأها إذا أمسى لم يزل في فرح حتى يصبح ، أخبرنا من جرب ذلك قال : هي قلب القرآن.
وأخرج ابن الضريس عن جعفر قال : قرأ سعيد بن جبير على رجل مجنون سورة "يس" فبرأ.
وأخرج أبو الشيخ في " العظمة" عن محمد بن سهل المقرىء عن أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمرو الدباغ عن أبيه قال : سلكت طريقا فيه غول فإذا امرأة عليها ثياب معصفرة على سرير وقناديل وهي تدعوني ، فلما رأيت ذلك أخذت في قرأءة "يس" فطفئت قناديلها ، وهي تقول : يا عبدالله ما صنعت بي ، ياعبدالله ما صنعت بي . منها . قال المقرىء : فلا يصيبكم شيء من خوف أو مطالبة من سلطان أو عدو إلا قرأتم "يس" فإنه يدفع عنكم بها ..
وأخرج محمد بن عثمان ، وابن أبي شيبة في تاريخه والطبراني ، وابن عساكر عن خريم بن فاتك قال : خرجت في طلب ابل لي وكنا إذا نزلنا بواد نقول : نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقة وقلت : أعوذ بعزيز هذا الوادي فإذا هاتف يهتف بي ويقول :." (٢)

"أنشدها أولياء الله بينهم.
وأما ما لا يرى أثره في الماء فالفلك تمر فلا يرى أثرها.
وأما ما لا يرى أثره في الصفاء فالنملة تمر على الحجر فلا يرى أثرها.
وأما ما لا يرى أثره في السماء فالطير يطير ولا يرى أثره في السماء وأما من يسمن في الجدب والخصب فهو المؤمن إذا أعطاه الله شكر وإذا ابتلاه صبر فقلبه أجرد أزهر ، قال : أنظر إلى ابنك فاسأله عن أربع عشرة كلمة فإن أخبرك فورثه العلم والنبوة فسأله فقال : ما لي من ذي علم فقال داود لسليمان عليه السلام : أخبرني يا بني أين موضع العقل منك قال : الدماغ قال : أين موضع الحياء منك قال : العينان قال : أين

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٢/٢٥
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٢/٣١٧

موضع الباطل منك قال : الأذنان قال : أين باب الخطايا منك قال : اللسان قال : أين الطريق منك قال : المنخران قال : أين موضع الأدب والبيان منك قال : الكلوتان قال : أين باب الفظاظة والغلظة منك قال : الكبد قال : أين بيت الريح منك قال : الرئة قال : أين **باب الفرح منك** قال : الطحال قال : أين باب الكسب منك قال : اليدان قال : أين باب النصب منك قال : الرجلان قال : أين باب الشهوة منك قال : الفرج." (١)

"إلى خزنة الجنة فقالوا ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ ثم تلقاهم الولدان يطوفون بهم كما يطيف أهل الدنيا بالحميم فيقولون : ابشر بما أعد الله لك من الكرامة ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا فتقول : أنت رأيته فيقول : أنا رأيته **فيستخفها الفرح حتى** تقوم على أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر شيئا من أساس بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى

سقفه فإذا مثل البرق ، ولولا أن الله تعالى قدر أنه لا ألم لذهب ببصره ، ثم طأطأ برأسه فنظر إلى أزواجه (وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة) (الغاشية ١٤ – ١٦) فنظر إلى تلك النعمة ثم اتكأ على أريكة من أريكته ثم قال (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن." (٢)

"لك واستجاب لمن استغفر لك.

وأخرج هناد بن السرى ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر عن مجاهد في قوله : ﴿فروح وريحان﴾ قال : **الروح الفرح والريحان** الرزق.

وأخرج ابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي في قوله : ﴿فروح وريحان﴾ قال : فرج من الغم الذي كانوا فيه واستراحة من العمل لا يصلون ولا يصومون.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير الضحاك قال : الروح الاستراحة والريحان الرزق.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير وأبو القاسم بن منده في كتاب السؤال عن الحسن في قوله : ﴿فروح وريحان﴾ قال : ذاك في الآخرة فاستفهمه بعض القوم فقال : أما والله إنهم ليسرون بذلك عند الموت.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٢/٥٦٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٢/٧٢٧

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله : ﴿فروح وريحان﴾ قال : الريحان الرزق.
". (١)

"العالمين﴾ ﴿أفبهذا الحديث أنتم مدهنون﴾ يقول : تولون أهل الشرك وتجعلون رزقكم قال ابن عباس رضي الله عنهما : سافر النبي صلى الله عليه وسلم في حر فعطش الناس عطشا شديدا حتى كادت أعناقهم أن تنقطع من العطش فذكر ذلك له قالوا : يا رسول الله لو دعوت الله فسقانا قال لعلي إن دعوت الله فسقاكم لقلتم هذا بنوء كذا وكذا قالوا : يا رسول الله ما هذا بحين أنواء ذهبت حين الأنواء فدعا بماء في مطهرة فتوضأ ثم ركع ركعتين ثم دعا الله فهبت رياح وهاج سحاب ثم أرسلت فمطروا حتى سال الوادي فشربوا وسقوا

دوابهم ثم مر النبي صلى الله عليه وسلم برجل وهو يغترف بقعب معه من الوادي وهو يقول : نوء كذا وكذا سقطت الغداة قال : نزلت هذه الآية ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ يقول : النفس ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ يقول : الملائكة ﴿ولكن لا تبصرون﴾ يقول : لا تبصرون الملائكة ﴿فلولا﴾ يقول : هلا ﴿إن كنتم غير مدينين﴾ غير محاسبين ﴿ترجعونها﴾ يقول : ترجعوا النفس ﴿إن كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين﴾ مثل النبيين والصديقين والشهداء بالأعمال ﴿فروح﴾ الفرح مثل قوله : (ولا تيأسوامن روح الله) (سورة يوسف الآية ٨٧) ﴿وريحان﴾ الرزق قال ابن عباس : لا تخرج روح المؤمن من بدنه حتى يأكل من ثمار الجنة قبل موته ﴿وجنة نعيم﴾ يقول : حققت له الجنة والآخرة !." (٢)

"المغرب فقرأ ﴿والتين والزيتون﴾.

وأخرج ابن قانع ، وابن السكن والشيرازي في الألقاب عن زرعة بن خليفة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم من اليمامة فعرض علينا الإسلام فأسلمنا فلما صلينا الغداة قرأ ب ﴿والتين والزيتون﴾ و﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾.

أخرج الخطيب ، وابن عساكربسند فيه مجهول عن الزهري عن أنس قال : لما نزلت سورة ﴿والتين﴾ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بها فرحا شديدا حتى تبين لنا شدة فرحه فسألنا ابن عباس عن تفسيرها فقال : التين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين ﴿وطور سينين﴾ الذي كلم الله موسى عليه ﴿وهذا البلد

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٤١/١٤
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٥٣/١٤

الأمين﴾ مكة ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ عبدة اللات والعزى ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ إذا بـعثك فيهم نبيا وجمعك على التقوى يا محمد.

وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : !." (١)

" صفحة رقم ٢٢٣

يرضي الرب ، فصار يعبد الله كأنه يراه ، فطابق سره علنه .

ولما نفوا الأجر عن غيرهم وأثبته سبحانه للمتصف بالإسلام منهم وممن سواهم وكان ربما قيل إنه أعطى غيرهم لكونه الملك المطلق بغير سبب ربط الأجر بالفاء دليلا على أن إسلامهم هو السبب فقال : (فله (خاصة) أجره عند ربه (إحسانا إليه بإثبات نفعه على حسب ما ربه به في كل شريعة .

ولما كان ربما ادعى أنه ما أفرد الضمير إلا لأن المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك في دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود أو النصارى جمع فقال : (ولا خوف عليهم (من آت) ولا هم يحزنون (على شيء فات دفعا لضرهم ، وهذا كما أثبت سبحانه خلاف دعواهم في مس النار بقوله :

٧٧ ( ) بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ( ) ٧

[البقرة : ٨١] الآية ، فالتحم الكلام بذلك أشد التحام وانتظم أي انتظام .

ولما أبطل دعوى اختصاصهم بالرحمة قدحا منهم في غيرهم و أثبتها للمحسنين أتبع ذلك قدح كل فريق منهم في الآخر وبيان انتفائها عنهم بإساءتهم بإبطال كل فرقة منهم دعوى الأخرى مع ما يشهد به كتاب كل من بطلان قوله فقال : (وقالت اليهود ليست (أنث فعلهم لضعف قولهم وجمع أمرهم) النصارى على شيء) أي يعتد به لكونه صحيحا ، وليس مخففة من وزن فرح ، ومعناها مطلق النفي لمتقدم إثبات أو مقدره - قاله الحرالي .

) وقالت النصارى (كذلك) ليست اليهود على شيء (فعجب منهم في هذه الدعوى العامة لما قبل التبديل والنسخ وما بعده بقوله : (وهم) أي والحال أنهم) يتلون الكتاب) أي مع أن في كتاب كل منهم حقية أصل دين الآخر .

ثم شبه بهم في نحو هذا القول الجهلة الذين ليس لهم كتاب الذين هم عندهم ضلال ، وفي ذلك غاية

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٥/٥٠٧

العيب لهم لتسوية حالهم مع علمهم بحال الجهلة في القطع في الدين بالباطل كما سوى حالهم بهم في الحرص على الحياة في الدنيا ومنهم عبدة الأصنام الذين منهم العرب الذين أخرجوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من بلده ومنعوه من مسجد أبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام الذي هو الحقيق به دونهم ، وساق ذلك جواب سائل كأنه قال : هذا قول العلماء بالكتاب فما حال من لا علم له ؟ فقال : (كذلك) أي مثل هذا القول البعيد عن القصد) قال الذين لا يعلمون (ولما كان صدور هذا من أهل العلم في غاية الغرابة وصدوره من الجهلة أغرب نبه تعالى على أن سامعه جدير بأن يقول لعده له عداد ما لا يصدق : كيف قال الجهلة ؟ فقال أو يقال : ولما كان قولهم هذا لا يكاد يصدق من شدة غرابته كان كأنه قيل : أحق كان هذا منهم حقيقة أم كنى به عن شيء آخر ؟ فأجيب بقوله : (كذلك) أي الأمر كما ذكرنا عنهم حقيقة لا كناية عن شيء غيره ، ." (١)

" صفحة رقم ٣٤٥

ولما كانت علة التيسير المؤكد بنفي التعسير الإطاقة فكان التقدير : لتطيقوا ما أمركم به ويخف عليكم أمره ، عطف عليه قوله : (ولتكملوا (من الإكمال وهو بلوغ الشيء إلى غاية حدوده في قدر أو عد حسا و معنى) العدة) أي عدة أيام رمضان إلى رؤية الهلال إن رأيتموه وإلى انتهاء ثلاثين التي لا يمكن زيادة الشهر عليها إن غم عليكم بوجود الغمام فلم تشهدوه ، فإنه لو كلفكم أكثر منه أو كان إيجابه على كل حال كان جديرا بأن تنقصوا من أيامه إما بالذات بأن تنقصوا من عدتها أو بالوصف بأن تأكلوا في أثنائها كما تفعل النصارى ، فيؤدي ذلك إلى إعدامها أصلا ورأسا .

وقال الحرالي : التقدير : لتوفوا الصوم بالرؤية ولتكملوا إن أغمي عليكم ، ففي هذا الخطاب تعادل ذكر الصحو في الابتداء بقوله : (شهد (وذكر الغيم في الانتهاء بالإكمال - انتهى .

وفيه إشارة إلى احتباك ، فإن ذكر الشهود أولا يدل على عدمه ثانيا وذكر الإكمال لأجل الغمام ثانيا يدل على الصحو أولا .

ولما كان العظيم إذا يسر أمره كان ذلك أجدر بتعظيمه قال : (ولتكبروا (والتكبير إشراف القدر أو المقدار حسا أو معنى - قاله الحرالي .

وقرن به الاسم الأكبر لاقتضاء المقام له فقال : (الله) أي الذي تقف الأفهام خاسئة دون جلاله وتخضع الأعناق لسبوغ جماله لتعتقدوا عظمته بقلوبكم وتذكروها بألسنتكم في العيد وغيره ليكون ذلك أحرى بدوام

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٢٣/١

الخضوع من القلوب .

قال الحرالي : وفيه إشارة إلى ما يحصل للصائم بصفاء باطنه من شهود ما يليح له أثر صومه من هلال نوره العلي ، فكما كبر في ابتداء الشهر لرؤية الهلال يكبر في انتهائه لرؤية باطنه مرأى من هلال نور ربه ، فكان عمل ذلك هو صلاة ضحوة يوم العيد ، وأعلن فيها بالتكبير وكرر لذلك ، وجعل في براح من متسع الأرض لمقصد التكبير لأن تكبير الله سبحانه وتعالى إنما هو بما جل من مخلوقاته ، فكان في لفظه إشعار لما أظهرته السنة من صلاة العيد على اختصاصها بتكبير الركعتين والجهر لمقصد موافقة معنى التكبير الذي إنما يكون علنا – انتهى .

ومن أعظم أسراره أنه لما كان العيد **محل فرح وسرور** وكان من طبع النفس تجاوز الحدود لما جبلت عليه من الشره تارة غفلة وتارة بغيا أمر فيه به ليذهب من غفلتها ويكسر من سورتها ، ولما كان للوترية أثر عظيم في التذكير بالوتر الصمد الواحد الأحد وكان للسبعة منها مدخل عظيم في الشرع جعل تكبير صلاته وترا وجعل سبعا في الأولى لذلك وتذكيرا بأعمال الحج السبعة من الطواف والسعي والجمار تشويقا إليها لأن النظر إلى العيد الأكبر أكثر وتذكيرا بخالق هذا الوجود بالتفكر في أفعاله المعروفة من خلق المساوات السبع والأرضين السبع وما فيهما في الأيام السبع لأنه خلقهما في ستة وخلق آدم في اليوم السابع يوم." (١)

" صفحة رقم ٨٣

تقيين قدام الله سائرين ي جميع وصاياه وحقوق الرب بغير عيب ، ولم يكن لهما ولد لأن اليصابات كانت عاقرا ، وكانا كلاهما قد طعنا في أيامهما ، فبينما هو يكهن في أيام ترتيب خدمته أما الله كعادة الكهنوت إذ بلغته نوبة وضع البخور فجاء ليبخر ، فدخل إلأى هيكل الله وجميع الشعب يصلون خارجا في وقت البخور ، فتراءى له ملاك الرب قائما عن يمين مذبح البخور ، فلام رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا قد مسعت طلبتك ، وأمرأتك اليصابات تلد ابنا ، ويدعي اسمه يوحنا ، ويكون **لك فرح وتهلل** ، وكثير يفرحون بمولده ، يوكون عظيما قدام الرب ، لا يشرب خمرا ولا سكرا ، ويمتلىء من روح القدس وهو في بطن أمه ، ويعيد كثيرا من بني إسرائيل إلى إلههم ، وهو يتقدم أمامه بالروح وبقوة الياء ، ويقبل بقلوب الآباء على الأبناء والعصاة إلى علم الأبرار ، ويعد للرب شعبا مستقيما ، فقال زكريا للملاك : كيف أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتي قد طعنت في أيامها ؟ فأجاب الملاك وقال : أنا جبريل الواقف قدام الله ، أرسلت أكلمك بهذا وأبشرك ، ومن الآن تكون صامتا ، لا تستطيع أن تتكلم إلى اليوم

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٣٤٥

الذي يكون هذا .
وكان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من إبطائه في الهيكل ، فلما خرج لم يقدر يكلمهم ، فعلموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل ، فكان يشير إليهم ، وأقام صامتا ، فلما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته ، ومن بعد تلك الأيام حملت الياصابات امرأته ، وكتمت حملها خمسة أشهر قائلة : هذا ما صنع بي الرب في الأيام التي نظر إلي فياه لينزع عني العار بين الناس ، ولما كانت في الشهر السادس أرسل جبريل عليه الصلاة والسلام الملاك من عند الله سبحانه وتعالى إلى مدينة في الجليل تسمى ناصرة إلى عذراء خطيبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود ، واسم العذراء مريم ، فلما دخل إليها الملاك قال لها : ا فرحي يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت قائلة ما هذا السلام ؟ فقال لها الملاك : لا تخافي يا مريم فقد ظفرت بنعمة من عند الله سبحانه وتعالى وأنت تقبلين حبلا وتلدين ابنا ، ويدعى اسمه يسوع ، هذا يكون عظيما ، وابن العذراء يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلأى الأبد ، وللا يكون لملكه انقضاء ، فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا ولا أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها : روح القدس يحل عليك وقوة العلي تقبلك ، فإنه ليس عند الله سبحانه وتعالى أمر عسير ، فقالت مريم : هانذا عبدة الرب فيكون في كقولك ، وانصرف عنها الملاك ، فقامت مريم في تلك الأيام ومضت مسرعة إلى عين كرم إلى مدينة يهودا ، ودخلت إلى بيت زكريا فسلمت على اليصابات ، فلما سمعت." (١)

" صفحة رقم ٢٥٦

ولما ذكر الإحسان الذي عماده التواضع والكرم ، ختم الآية ترغيبا فيه وتحذيرا من منعه معللا للأمر به بقوله : (إن الله) أي بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى) لا يحب) أي لا يفعل فعل المحب مع) من كان مختالا) أي متكبرا معجبا بنفسه متزينا بحليته مرائيا بام آتاه الله تعالى من فضله على وجه العظم واحتقار الغير ، يأنف من أن ينسب إليه أقاربه الفقراء ، ويقذر جيرانه إذا كانوا ضعفاء ، فلا يحسن إليهم لئلا يلموا به فيعير بهم .
ولما كان المختال ربما أحسن رياء ، قال معلما أنه لا يقبل إلا الخالص : (فخورا (مبالغا في التمدح بالخصال ، يأنف من عشرة الفقراءن وفي ذلك أتم ترهيب من الخلق المانع من الإحسان ، وهو الاختيال على عباد الله والافتخار عليهم ازدراء بهم ، فإنه لا مقتضى لذلك لأن الكل من نفس واحدة ، والفضل

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٨٣/٢

نعمة منه سبحانه ، يجب شكرها بالتواضع لتدوم ، ويحذر كفرها بالفخار خوفا من أن تزول .

ولما كان الاختيال والفخر على الفرح بالأعراض الفانية والركون إليها والاعتماد عليها ، فكانا حاملين على البخل خوفا من زوالها ؛ قال واصفا لهم بجملة من الأخلاق الرديئة الجبلة ، ذلك منشأها : (الذين يبخلون (ي يوقعون البخل بما حملهم من المتاع الفاني على الفخار ، وقصره ليعم كتم العلم ونحوه ؛ ثم تلا ذلك بأسوأ منه فقال) ويأمرون الناس بالبخل (مقتا للسخاء ، وفي التعبير بما هو من النوس إشارة إلى أنهم لا يعقلون أطماعهم بذلك إلا بذوي الهمم السافلة والرتب القاصرة ، ويحتمل أن يكون الأمر كناية عن حملهم غيرهم على البخل بما يرى من اختيالهم وافتخارهم عليهم ؛ ثم أتبع ذلك أخبث منه ، وهو الشح بالكلام الذي لا يخشى نقصه وجحد النعمة وإظهار الافتقار فقال : (ويكتمون ما اتاهم الله) أي الذي له الجلال والإكرام) من فضله) أي من العلم جاحدين أن يكون لهم شيء يجودون به .

قال الأصبهاني : ثم إن هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر ، مثل أن يظهر الشكاية لله سبحانه وتعالى ولا يرضى بالقضاء .

ثم عطف على) إن الله لا يحب (ملتفتا إلى مقام التكلم ، دلالة على تناهي الغضب وتعيينا للمتوعد ، مصرحا بمظهر العظمة الذي دل عليه هناك بالاسم الأعظم قوله : (وأعتدنا) أي أحضرنا وهيأنا ، وكان الأصل : لهم ، ولكنه قال – تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ، وإعلاما بأن ذلك حامل على الكفر – : (للكافرين) أي بفعل هذه." (١)

" صفحة رقم ٣٥٤

ساعة لا تظنونها ، من ترى هو العبد الأمين الحليم الذي يقيمه سيده على بيته ليعطيهم الطعام في حينه طوبى لذلك العبد ، يأتي سيده فيجده يعمل هكذا ، الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع ماله ، فإن قال ذلك العبد الرديء في قلبه : إن سيدي يبطيء ، فيبدأ يأكل ويشرب مع المسكرين فيأتي سيده في يوم لا يظنه وساعة لا يعرفها ، فيجعل نصيبه مع المرائين ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان .

يشبه ملكوت السماوات عشرة عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس ، خمس منهن جاهلات ، وخمس حليمات ، فأما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن زيتا ، وأما الحليمات فأخذن زيتا في إناء مع مصابيحهن ، فلما أبطأ العريس نعسن كلهن ونمن ، وانتصف الليل فصرخ : هذا العريس قد أقبل ، اخرجن للقائه حينئذ قام جميع العذارى وزين مصابيحهن ، فقال الجاهلات للحليمات : أعطيننا من زيتكن

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٥٦/٢

، فإن مصابيحنا قد طفئت فقلن : ليس معنا ما يكفينا وإياكن ، فاذهبن إلى الباعة وابتعن لكن ، فلما ذهبن ليبتعن جاء العريس ، فالمستعدات ذهبن معه وأغلق ، فجاء بقية العذارا قائلات : يا رب افتح لنا ، فأجاب وقال : الحق أقول لكن إني لا أعرفكن ؛ اسهروا الآن فإنكم لا تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة ، كمثل إنسان أراد السفر ، فدعا عبيدا له فأعطاهم ماله ، فأعطى خمس وزنات لواحد ، ووزنتين للآخر ، وواحدا وزنة ، كل منهم على قدر قوته ، وسافر للوقت ، فمضى الذي أخذ الخمس فاتجر فيها ، فربح خمس وزنات أخرى وهكذا الذي أخذ الوزنتين ربح فيهما وزنتين أخريين ، وأما الذي أخذ الوزنة فمضى وحفر في الأرض ودفن حصة سيده ، وبعد زمان كثير جاء سيد هؤلاء فحاسبهم ، فجاء الذي أخذ الخمس وزنات فأعطى خمس وزنات أخرى قائلا : يا رب خمس وزنات أعطيتني ، وهذه خمس وزنات أخرى ربحتها ، قال له سيده – قال لوقا – : حبذا أيها العبد الصالح ألفيت أمينا على القليل ، وقال متى : نعم يا عبد صالح أمين وجدت في القليل أمينا ، أنا أقيمك على الكثير أمينا ، ادخل **إلى فرح سيدك** ، وجاء الذي أخذ الوزنتين فقال : يا صالح أمين وجدت في القليل أمينا ، أنا أقيمك على الكثير ، ادخل **إلى فرح سيدك** ، فجاء الغير مصيب الذي أخذ الوزنة فقال : يا سيد عرفت أنك إنسان شديد ، تحصد ما لم تزرع ، وتجمع من حيث لا تبذر ، فخفت ومضيت فدفنت مالك في الأرض ، هذا مالك ، فأجاب سيده وقال : أيها العبد الشرير الكسلان علمت أنني أحصد من حيث لا أزرع ، وأجمع من حيث لا أبذر ، كان ينبغي لك أن تجعل حصتي على مائدة ، فأنا آتي وآخذه إلي مع أرباحه ، خذوا منه الوزنة ، وأعطوها للذي له عشر وزنات ، لأن من له." (١)

" صفحة رقم ٣٥٨

معي صفوة ، كلمتكم بهذا لكيلا تشكون ، فإنهم سوف يخرجونكم من مجامعهم ، ولم أخبركم بهذا من قبل لأني كنت معكم ، والآن فإني منطلق إلى من أرسلني ، أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق ، لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا جاء ذاك فهو موبخ العالم على الخطيئة ، وإن لي كلاما كثيرا أريد أن أقول لكم ، ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ، وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس تطيقون حمله الآن ، وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يرشدكم يأتي ، وهو مجدني لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم ، قليلا ولا ترونني ، وقليلا وترونني ، قالوا : ما هذا القليل الذي يقول ؟ فقال لهم : أفي هذا يراطن بعضكم بعضا ، الحق أقول لكم إنكم تبكون وتنوحون

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٥٤/٢

والعالم يفرح ، وأنتم تحزنون لكن حزنكم يؤول **إلى فرح** ، كالمرأة إذا حضر ولادها تحزن لأن قد جاءت س اعتها ، فإذا ولدت ابنا لم تذكر الشدة من **أجل الفرح** ، لأنها ولدت إنسانا في العلم ؛ تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه إلى السماء وقال : يا رب قد حضرت الساعة فمجد عبدك ليمجدك عبدك ، كما أعطيته السلطان على كل ذي جسد ، ليعطي كل من أعطيته حياة الأبد ، وهذه هي حياة الأبد أن يعرفوك أنك أنت إله الحق وحدك ، والذي أرسلته يسوع المسيح ، أنا قد مجدتك على الأرض ، ذلك العمل الذي أعطيتني لأصنعه قد أكمت ، والآن مجدني أنت يا رباه بالمجد الذي عندك ، قد أظهرت اسمك للناس ، الآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك ، وعلموا حقا أني من عندك أتيت ، وآمنوا أنك أرسلتني ، وأنا أجيء إليك أيها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني كي يكونوا واحدا كما نحن ، إذ كنت معهم في العالم أنا كنت أحفظم باسمك ، ليس أسأل أن تنزعهم من العالم ، بل أن نحفظهم من الشرير ، لأنهم ليسوا من العالم ، كما أني لست من العالم ، قدسهم بحقك فإذا كلمتك خاصة هي الحق ، كام أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا أيضا إلى العالم ، ولست أسأل في هؤلاء فقط ، بل وفي الذين يؤمنون بي بقولهم ليكونوا بأجمعهم واحدا ، كما أنك يا رباه في وأنا فيك ليكونوا أيضا فينا واحدا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتني ؛ قال يسوع هذا وخرج معه تلاميذه إلى عين عمرة وادي الأرز ، وكان هناك بستان ، دخله هو وتلاميذه ، وكان يهودا الذي أسلمه يعرف ذلك المكان ، لأن يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا ، وقبل عيد الفسح كان يسوع يعلم أن قد حضرت الساعة التي ينتقل فيها من هذا العالم ، فلما حضر العشاء خامر الشيطان قلب يهودا شمعون الإسخريطي لكي يسلمه ، فقام يسوع عن العشاء وترك ثيابه وائتزر وسطه بمنديل ، وبدأ يغسل أقدام التلامذة وينشفها بمنديل كان مؤتزرا به ، فلما انتهى إلى شمعون الصفا قال له : أنت يا سيدي تغسل لي قدمي ؟ فقال." (١)

" صفحة رقم ٣٦٢

الديك ، فذكر بطرس كلمة يسوع : قبل أن يصيح الديك ، تجحدني ثلاثا ، فخرج إلى خارج وكبى بكاء مرا .

ولما كان الصبح عملوا كلهم مؤامرة على يسوع حتى يميتوه فربطوه وساقوه إلى بيلاطيس النبطي ، ولما أبصر يودس – يعني يهودا الإسخربوطي – أنه قد حكم عليه تندم ورد الثلاثين الفضة على رؤساء الكهنة قائلا : قد أخطأت إذ أسلمت دما زكيا ، فقالوا : ما علينا فطرح الفضة في الهيكل ومضى فخنق نفسه ، فأخذ

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٣٥٨

رؤساء الكهنة الفضة وقالوا : لن يجوز لنا أن نلقيها في داخل الزكاة ، لأنها ثمن دم ، فتشاوروا وابتاعوا حقل الفاخوري لدفن الغرباء ، لذلك دعي ذلك الحقل حقل الدم إلى اليوم ، حينئذ تم قول إرميا النبي القائل : وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن الدم الذي ثمنه بنوا غسرائيل ، وجعلوها في حقل الفاخوري على ما رسمل لي ؛ وأما يسوع فوقف أمام الوالي ، ثم ذكر أن الوالي كان كارها لقتله ، وأن امرأته أرسلت إلأيه تقول : إياك ودم ذاك الصديق ، فإني توجعت في هذا اليوم كثيرا من أجله في الحلم ، وأنه اجتهد بهم ليطلقوه فأبوا إلا صلبه ، وصاحوا عليه ، وأنه قال لهم : أي شر عمل ؟ فازدادوا صياحا وقالوا : يصلب ؛ فلام رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع وقال : إنني بريء من دم هذا الصديق ، فقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا ، وقال لوقا : وإن بيلاطس قال لرؤساء الكهنة : أنا لم أجد على هذا الإنسان علة – حتى قال : فلما علم أنه من سلطان هيرودس – يعني من الجليل – أرسله إلى هيرودس ، لأنه كان في تلك الأيام بيروشليم ، وأن هيرودس لما رأى **يسوع فرح جدا** ، لأنه كان يشتهي أن يراه من زمان طويل لما كان يسمع عنه من الأمور الكثيرة ، وكان يرجو أن يعاين آية يعملها ، وسأله عن كلام كثير ذكره ، وذكر أنه لم يجبه ، فاحتقره هيرودس وجنده واستهزؤوا به وألبسه ثيابا حمراء ، وأرسله إلى بيلاطس وصار بيلاطس وهيرودس صديقين في ذلك اليوم ، لأنه كان بينهما عداوة ، ثم ذكر أن بيلاطس قال لهم : لم أجد عليه علة آخذة بها ، ولا هيرودس أيضا ، وأنهم لم يقبلوا منه ذلك وصاروا يصيحون : اصلبه اصلبه ، وقال يوحنا : ثم جلس – يعني بيلاطس – على كرسي في موضع يعرف برصيف الحجارة ، وبالعبرانية يسمى جاحلة ؛ ثم ذكر جميع نقلة أناجيلهم أنهم صلبوه بين لصين ، وأنهم كانوا يستهزئون به حتى اللصان المصلوبان ؛ قال مرقس : فلما كانت الساعة السادسة تفشت الأرض كلها ظلمة إلى الساعة التاسعة ، وأنه صاح بصوت عظيم منه : إلهي إلهي لم تركتني فانشق ستر حجاب الهيكل باثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، وتشققت الصخور ، وتفتحت القبور ، وكثير من أجساد القدسين النيام قاموا من قبورهم ، ودخلوا المدينة فظهروا لكثير ، وكان هناك نسوة كثير." (١)

" صفحة رقم ٣٦٣

ينظرن من بعيد ، ومن اللاتي تبعن عيسى من الجليل منهم مريم المجدلانية ، ومريم أم يعقوب الصغير ، وأم يوسا ، وأم ابن يزبدي ، وقال يوحنا : وكان واقفا عند صلبه أمه وأخت أمه مريم ابنة إكلاوبا ومريم المدجدلية ، ثم ذكروا أنه دفن ؛ وذكر مرقس أنه كان يوم جمعة ؛ وقال يوحنا : وأما اليهود – فلأنه يوم الجمعة – قالوا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٦٢/٢

: هذه الأجساد لا تثبت على صلبها ، لأن السبت كان عظيما ، ثم ذكر أنهم أنزلوهم ، وأن عيسى دفن ؛ وقال متى : إن الملك جاء بعد ثلاث وأقامه ، وقال للنسوة : إنه قد قام فأسرعن فقلن لتلاميذه : هوذا سبقكم إلى الجليل ، وإن رؤساء اليهود رشوا الجند الذين كانوا يحرسون قبره ليقولوا : إن تلاميذه سرقوه من القبر ، فقالوا وشاع ذلك عند اليهود إلى اليوم ، فأما الأحد عشر تلميذا فمضوا إلى الجليل الذي أمروا به ، فلما رأوه سجدوا له ، وبعضهم شك ؛ وقال لوقا : وفيما هم يتكلمون وقف عيسى إلى وسطهم ، وقال لهم : السلام عليكم يا هؤلاء لا تخافوا فاضطربوا وخافوا وظنوا أنهم ينظرون روحا ، فقال لهم : ما بالكم تضطربون ؟ ولم يأتي الإنكار في قلوبكم ؟ انظروا يدي ورجلي فإني أنا هو ، جسوني وانظروا إلي الروح ليس له لحم ولا عظم ، كما ترون أنه لي ، ولما قال هذا أراهم يديه ورجليه ، وإذا هم غير مصدقين من الفرح والتعجب ، وقال لهم : أعندكم ها هنا ما يؤكل ؟ فأعطوه جزءا من حوت مشوي ومن شهد عسل ، فأخذ قدامهم وأكل ، وأخذ الباقي وأعطاهم ، ثم قال : ثم أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا فرفع يديه وباركهم ، وكان فيما فهو يباركهم انفرد عنهم ، وصعد إلى السماء ؛ وقال يوحنا : إنه قال لمريم : امضي إلى إخوتي وقولي لهم : إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي والاهكم ؛ وقال متى : فجاء يسوع فكلمتهم فقال : أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الأض فاذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم .

انتهى ما أردته هنا من الأناجيل من هذه القصة ، فقد بان لك أن أناجيلهم كلها اتفقت على أن علمهم في أمره انتهى إلى واحد ، وهو الإسخريوطي ، وأما غيره من الأعداء فلم يكن يعرفه ، وأنه إنما وضع يده عليه ، ولم يقل بلسانه : إنه هو ، وأن الوقت كان ليلا ، وأن عيسى نفسه قال لأصحابه : كلكم تشكون في هذه الليلة ، وأن تلاميذه كلهم هربوا ، فلم يكن لهم علم بعد ذلك بما اتفق في أمره ، وأن بطرس إنما تبعه من بعيد ، وأن الذي دل عليه خنق نفسه ، وأن الناقل لأن الملك قال : إنه قام من الأموات ، إنما هو نسوة كن عند القبر في مدى بعيد ، وما يدري النسوة الملك من غيره – ونحوه ذلك من الأمور التي لا تفيد غير الظن بالجهد ، وأما الآيات التي وقعت فعلى تقدير تسليمها لا يضرنا التصديق بها ، وتكون لجرأتهم على الله بصلب من يظنونه المسيح." (١)

" صفحة رقم ٤٣٨

صوت الله يكلمه من النار كما سمعتم أنتم ، وجربوا الله الذي اتخذهم شعبا من الشعوب بالبلايا والآيات والأعاجيب والحروب واليد المنيعة والذراع العظيمة وبالمناظر العظيمة ، كما صنع الله بأهل مصر تجاهكم

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٣٦/٢

أنتم وعاينتم وعلمتم أن الله هو رب كل شيء وليس إله غيره ، أسمعكم صوته من السماء ليعلمكم وأراكم ناره العظيمة ، وسمعتم أقاويله من النار ، ولحبه لآبائكم اختار نسلهم من بعدهم ، وأخرجكم بوجهه من مصر بقوته العظيمة ، ليهلك من ين أيديكم شعوبا أعظم وأعز منكم ليدخلكم ويعطيكم أرضهم ميراثا ، لتعلموا يومكم هذا وتقبلوا بقلوبكم لأن الرب هو إله في السماء فوق وفي الأرض أسفل ، وليس إله سواه ، احفظوا سننه ووصاياه التي أمركم بها يؤمكم هذا لينعم عليكم وعلى أبنائكم من بعدكم ويطول مكثكم في الأرض التي عيطيكم الله ربكم طول الأيام .

هذه الشهادات والأحكام التي قص موسى على بني إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر ، فانتهوا إلى مجاز الأردن في الوادي في مشارق الشمس ، وإلى بحر العربة إلى سدود الفسجة ، ثم قال بعد ذلك في أواخر هذا السفر بعد أن قص عليهم أحكاما كثيرة وحكما عزيزة : الرب يقبل بكم إلى الخير ويفرحكم **كما فرح آباؤكم** ، وذلك إن أنتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم سننه ووصاياه المكتوبة في هذا الكتاب من كل قلوبكم وأنفسكم ، من أجل أن هذه الوصية لم تخف عليكم ولم تغب ، وليس هو بمستور في السماء فتقولوا : من يصعد لنا إلأى السماء ويأتينا به فنسمعه وتعمل به وليس بغائب عنكم في أقصى البحر فتقولوا : من ينزل لنا إلى البحر ويأتينا به فنسمعه ونعمل به ولكن القول قريب من فمك وقلبك فاعمل به ، وانظر أني قد صيرت بين يديك اليوم الحياة والخير ، فأخبرتك بالموت والشر ، وأنا آمرك اليوم أن تحب الله ربك وتسلك في طرقه وتحفظ سننه ووصاياه وأ ؛ كامه ، لتحيى وتكثر جدا ، ويبارك الله ربك عليك ، وينميك في الأرض التي تدخلها لترثها ، وإن مال قلبك وزاغ ولم تسمع وضللت وتبعت الآلهة الأخرى وسجدت لها فقد بينت لكم اليوم أنكم تهلكون هلاكا ، ولا يطول مكثكم في الأرض التي تجوزون الأردن لترثوها ، وأوعزت إليكم وناشدتكم السماء والأرض والحياة والموت – وفي نسخة : وأشهدت عليكم السماء والأرض وجعلت بين يديكم الحياة والموت – وتلوت عليكم اللعن والدعاء ، فاختر الحياة لتحيى أنت ونسلك إذا أحببت الله ربك وسمعت قوله ولحقت بعبادته ، لأنه حياتك وطول عمرك ، وتسكن في الأرض التي أقسم الرب لآبائك ووعد إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك ؛ ثم انطلق موسى وكلم بني إسرائيل وقص عليهم هذه الأقوال كلها وقال لهم : اليوم مائة وعشرون سنة ، ولست أقدر على الدخول والخروج أيضا ، والرب قال : إنك لا تجوز هذا." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٣٨/٢

" صفحة رقم ٥٦٩

المعمد ، من أعمده - إذا غسله في ماء المعمودية ، قوله : تبررت ، أي صارت برية بالنسبة إليهم ، قوله : يعير المدن ، أي يذكر ما أوجب لها العار ، قوله : القوات جمع قوة وهي المعجزات هنا ، قول : الذي هويت ، يعني أحببت حبا شديدا ، ولفظ الهوى الظاهر أنه يفهم نقصا فلا يحل في شرعنا إطلاقه على الله تعالى ، قوله : مطفطف ، أي مملوء إلى رأسه ، لا يزال كذلك ، قوله : شرق - وزن : فرح ، أي ضعف ، من : شرق بريقه ، وشرقت الشمس - إذا ضعف ضوءها ، قوله : أتون وهو وزن تنور وقد يخفف : أخدود الجيار والجصاص ، قوله : بسيطة ، أي على الفطرة الأولى ، قوله : يروشليم - بتحتانية ومهملة وشين معجمة : بيت المقدس ، قوله : ملكوت أبيهم ، تقدم ما فيه غير مرة .

المائدة : (١١٢ - ١١٤) إذ قال الحواريون. .. . . .

) إذ قال الحواريون يعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مآئدة من السمآء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنآ أنزل علينا مآئدة من السمآء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (( )

ولما كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافر ليؤمن ، والمؤمن ليزداد إيمانا ، وتسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) وتوبيخ اليهود المدعين أنهم أبناء وأحباء - إلى غير ذلك مما أراد الله ، قرعت به الأسماع ، ولم يتعلق بما يجيب به يوم القيامة عند أمره بذلك غرض فطوي ؛ ولما كان أجل المقاصد تأديب هذه الأمة لنبيها عليه السلام لتجله عن أن تبدأه بسؤال أو تقترح عليه شيئا في حال من الأحوال ، ذكر لهم شأن الحواريين في اقتراحهم بعدما تقدم من امتداحهم بعدهم في عداد أولي الوحي ومبادرتهم إلى الإيمان امتثالا للأمر ثم إلى الإشهاد على سبيل التأكيد بتمام الانقياد وسلب الاختيار ، فقال معلقا ب (قالوا آمنا) مقربا لزمن تعنتهم من زمن إيمانهم ، مذكرا لهذه الأمة بحفظها على الطاعة ، ومبكتا لبني إسرائيل بكثرة تقلبهم وعدم تماسكهم إبعادا لهم عن درجة المحبة فضلا عن البنوة ، وهذه القصة قبل قصة الإيحاء إليهم فتكون (إذ) هذه ظرفا لتلك ، فيكون الإيحاء إليهم بالأمر بالإيمان في وقت سؤالهم هذه بعد ابتدائه ، ويكون فائدته حفظهم من أن يسألوا آية أخرى كما سألوا هذه بعدما رأوا منه (صلى الله عليه وسلم) من الآيات : (إذ قال (وأعاد وصفهم ولم يضمره تنصيصا عليهم لبعد ما

يذكر من حالهم هذا من حالهم الأول فقال : (الحواريون (وذكر أنهم نادوه باسمه واسم أمه فقالوا : (يا عيسى ابن مريم (ولم يقولوا : يا رسول الله ولا يا روح الله ، ونحو هذا من التبجيل أو التعظيم." [1]

" صفحة رقم ٦٠٦

جحدني فقد شتم الذي أرسلني ؛ فرجع السبعون بفرح قائلين : يا رب الشياطين باسمك تخضع لنا يا رب فقال لهم : قد رأيت الشيطان سقط من السماء مثل البرق ، وهو ذا قد أعطيتكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ، ولا يضركم شيء ، ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، افرحوا لأن أسماءكم مكتوبة في السماوات ، وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح ، والتفت إلى تلاميذه خاصة وقال : طوبى للأعين التي ترى ما رأيتم أقول لكم : إن أنبياء كثيرين وملوكا اشتهوا أن ينظروا ما نظرتم فلم ينظروا ، ويسمعوا ما سمعتم فلم يسمعوا ؛ وفي إنجيل متى - بعد ما ادعى اليهود صلبه - أنه ظهر لتلاميذه الأحد عشر - وهم من تقدم غير يهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه - في الجليل في الجبل الذي أمرهم به يسوع ، وكلمهم قائلا : أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا الآن وتلمذوا كل الأمم ؛ وفي آخر إنجيل مرقس أنه ظهر لهم وهم مجتمعون ، وكانوا في تلك الأيام يبكون وينوحون فبكتهم لقلة إيمانهم وقسوة قلوبهم وقال لهم : امضوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل في الخليقة كلها ، فمن آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدان ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين ، يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة ، ويحملون بأيديهم الحيات ولا تؤذيهم .

ويشربون السم القاتل فلا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون ، ومن بعد ما كلمهم يسوع ارتفع إلى السماء ، فخرج أولئك يكرزون في كل مكان ؛ وفي إنجيل لوقا : فلما خرجوا كانوا يطوفون في القرى ويبشرون ويشفون في كل موضع وفي آخره بعد أن ذكر تلامذته الأحد عشر وكلاما كانوا يخوضون فيه بعد ادعاء اليهود لصلبه : وفيما هم يتكلمون وقف يسوع في وسطهم وقال لهم : السلام لكم ، أنا هو لا تخافوا ، فاضطربوا وظنوا أنهم ينظرون روحا فقال : ما بالكم تضطربون ؟ ولم تأتي الأفكار في قلوبكم ؟ انظروا يدي ورجلي فإني أنا هو جسوني وانظروا ، إن الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون أنه لي ؛ ولما قال هذا أراهم يديه ورجليه ، وإذا هم غير مصدقين من الفرح ، قال لهم : أعندكم ههنا ما يؤكل ؟ فأعطوه جزءا من حوت مشوي ومن شهد عسل ، فأخذ قدامهم وأكل ، وأخذ الباقي وأعطاهم ، وقال لهم : هذا الكلام الذي كلمتكم به إذ كنت معكم ، وأنه سوف يكمل كل شيء هو مكتوب في ناموس موسى والأنبياء

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٦٩/٢

والمزامير لأجلي ، وحينئذ فتح أذهانهم ليفهموا ، وقال لهم : اجلسوا أنتم في المدينة يروشليم حتى تتذرعوا لقوة من العلى ، ثم أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا ، فرفع يديه وباركهم ، وكان فيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد إلى السماء أمامهم ، فرجعوا إلى يروشليم بفرح." (١)

" صفحة رقم ٦٢١

أي لم يكن شيء فتنتهم إلا هذا القول ، فهذا القول وحده فتنتهم ، فنفى عن فتنتهم وسلب عنها كل شيء غير قولهم هذا ، فالفتنة مقصورة على قولهم الكذب ، والكذب قد يكون ثابتا لغيرها ، أي إنهم يكذبون من غير فتنة ، بل في حال الرخاء ، وهذا بعينه معنى قراءة ابن كثير وابن عامر وحفص برفع فتنة ، أي لم تكن فتنتهم شيئا غي ركذبهم ، فقد نفيت فتنتهم عن كل شيء غير الكذب ، فانحصرت فيه ، ويجوز أن يكون ثابتا في حال غيرها - على ما مر ، وهذا التقدير نفيس عزيز الوجود دقيق المسلك - يأتي إن شاء الله تعالى عند

٧٧ ( ) وما كان صلاتهم عند البيت ( ) ٧

[الأنفال : ٣٥] في الأنفال ما ينفع هنا فراجعه .

ولما كان هذا من أعجب العجب ، أشار إليه بقوله : (انظر (وبالاستفهام في قوله : (كيف كذبوا (وبالإشارة إلى أنهم فعلوه مع علمهم بما انكشف لهم من الغطاء أنه لا يجديهم بقوله : (على أنفسهم (وهو نحو قوله

٧٧ ( ) فيحلفون له كما يحلفون لكم ( ) ٧

[المجادلة : ١٨] - الآية .

ولما كان قولهم هذا مرشدا إلى أن شركاءهم غابوا عنهم ، فلم ينفعوهم بنافعة ، وكان الإعلام بفوات ما أنهم مقبل عليه فرح به ، سارا لخصمه جالبا لغمه ، صرح به في قوله : (وضل) أي غاب) عنهم (إما حقيقة أو مجازا ، أو هما بالنظر إلى وقتين ، ليكون إنكارا) ما كانوا يفترون) أي يتعمدون الكذب في ادعاء شركته عنادا لما على ضده من الدلائل الواضحة .

ولما علم أن هذه الآيات قد ترابطت حتى كانت آية واحدة ، وختم بأن مضمون قوله

٧٧ ( ) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ( ) ٧

[الأنعام : ٥] - الآية ، قد صار وصفا لهم ثابتا حتى ظهر في يوم الجمع ، قسم الموسومين بما كانت

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٠٦/٢

تلك الآية سببا له ، وهو الإعراض عن الآيات المذكور في قوله
٧٧ ( ) إلا كانوا عنها معرضين ( ) ٧
[الأنعام : ٤] ، فكان كأنه قيل : فمنهم من أعرض بمليته ، فعطف عليه قوله : (ومنهم من يستمع إليك) أي يصغي بجهده كما في السيرة عن أبي جهل بن هشام وأبي سفيان بن حرب والأخنس بن شريق أن كلا منهم جلس عند بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في الليل يستمع القرآن .
لا يعلم أحد منهم بمجلس صاحبه ، فلما طلع الفجر انصرفوا فضمهم الطريق فتلاوموا وقالوا : لو رآكم ضعفاؤكم لسارعوا إليه ، وتعاهدوا على أن لا يعودوا ، ثم عادوا تمام ثلاث ليال ، ثم سأل الأخنس أبا سفيان عما سمع فقال : سمعت أشياء عرفتها وعرفت المراد منها ، وأشياء لم أعرفها ولم أعرف المراد منها ، فقال : وأنا كذلك ، ثم سأل أبا جهل فأجاب." (١)
" صفحة رقم ٦٣٦
الأنعام : (٤٢ - ٤٥) ولقد أرسلنا إلى. .. . .
) ولقد أرسلنآ إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأسآء والضرآء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جآءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بمآ أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ( )
ولما أقام لهم بهذه الآية على توحيده الدليل حتى استنارت السبل في تذكيرهم أن التضرع قد يكشف ب البلاء ، أخبرهم أن تركه يوجب الشقاء ، ترغيبا في إدامته وترهيبا من مجانبته فقال : (ولقد أرسلنا) أي بما لنا من العظمة) إلى أمم) أي أناس يؤم بعضهم بعضا ، وهم أهل لأن يقصدهم الناس ، لما لهم من الكثرة والعظمة .
ولما كان المراد بعض الأمم ، وهم الذين اراد الله إشهادهم وقص أخبارهم ، أدخل الجار فقال : (من قبلك) أي رسلا فخالفوهم ، وحسن هذا الحذف كونه مفهوما) فأخذناهم) أي فكان إرسالنا إليهم سببا لأن أخذناهم بعظمتنا ، ليرجعوا عما زين لهم الشيطان إلى ما تدعوهم إليه الرسل) بالبأساء (من تسليط القتل عليهم) والضراء (بتسليط الفقر والأوجاع) لعلهم يتضرعون) أي ليكون حالهم حال من يرجى خضوعه وتذلله على وجه بليغ ، بما يرشد إليه - مع صيغة التفعيل - الإظهار ، ولأن مقصودها الاستدلال على

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٢١/٢

التوحيد ، وعند الكشف للأصول ينبغي الإبلاغ في العبادة ، بخلاف ما يأتي في الأعراف .
ولما لم يقع منهم ما أوجبت الحال رجاءه ، تسبب عنه الإنكار عليهم ، فقال معبرا بأداة التخصيص ليفيد مع النفي أنهم ما كان لهم عذر في ترك التضرع : (فلولا) أي فهلا) إذ جاءهم بأسنا تضرعوا (ولما كان معنى الإنكار أنهم ما تضرعوا قال : (ولكن قست قلوبهم) أي فلم يذكروا ربهم أصلا) وزين لهم الشيطان) أي بما دخل عليهم به مِن باب الشهوات) ما كانوا يعملون (من العظائم والمناكر التي أوجبها النكس بالرد أسفل سافلين) فلما نسوا ما ذكروا به) أي فتسبب – عن تركهم التذكير والأخذ بفائدته التي هي التخشع والتسكن ، كما هو اللائق بهم لا سيما في تلك الحالة – أنا) فتحنا) أي بما يليق بعظمتنا) عليهم أبواب كل شيء) أي من الخيرات والأرزاق والملاد التي كانت مغلقة عنهم ونقلناهم من الشدة إلى الرخاء ، وذلك استدراجا لهم ، ومددنا زمانه وطولنا أيامه) حتى إذا فرحوا) أي تناهى بهم الفرح) بما أوتوا) أي معرضين عمن آتاهم هذا الرخاء بعد أن كان ابتلاهم بذلك ، فعلم أنهم في غاية من الغباوة ، لا يرتدعون بالتأديب بسياط البلاء ، ولا ينتفعون ببساط المنة والرخاء ، بل ظنوا أن البلاء عادة الزمان ، والرخاء باستحقاقهم الامتنان ، فعلم أن قلوبهم لا يرجى لها انتباه بحار ولا." (١)

" صفحة رقم ٦٣٧

بارد ولا رطب ولا يابس) أخذناهم (بعظمتنا ، وإنما أخذناهم في حال الرخاء ليكون أشد لتحسرهم) بغتة (فلم نمكنهم من التضرع عند خفوق الأمر ، ولا أمهلناهم أصلا بل نزل عليهم من أثقال العذاب ، وأباح بهم من أحمال الشدائد وصروف البلايا ما أذهلهم وشغلهم عن كل شيء حتى بهتوا) فإذا هم مبلسون) أي تسبب عن ذلك البغت أن فاجؤوا السكوت على ما في أنفسهم واليأس تحسرا وتحيرا ، و استمروا بعد أن سكتوا إلى أن همدوا وخفتوا ، ففي نفي التضرع عن المتقدمين بعد أن أثبته لمشركي هذه الأمة استعطاف لطيف ، وفي ذكر استدراج أولئك بالنعم عند نسيان ما ذكروا به إلى ما أخذهم بغتة من قواصم النقم غاية التحذير .
ولما كان من عادة الغالب من أهل الدنيا أن يفوته آخر الجيوش وشذابهم لملل أصحابه من الطلب وضجرهم من النصب والتعب وقصورهم عن الإحاطة بجميع الأرب ، أخبر تعالى أن أخذه على غير ذلك ، وأن نيله للآخر كنيله للأول على حد سواء ، فقال مسببا عن الأخذ الموصوف مشيرا بالبناء للمفعول إلى تمام القدرة ، وبالدابر إلى الاستئصال : (فقطع دابر) أي آخر) القوم الذين ظلموا) أي بوضع الشيء في غير موضعه

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرز ا ق غالب)، ٢/٦٣٦

دأب الماشي في الظلام ، وضعوا لقسوة موضع الرقة التي تدعو إليها الشدة ، **ووضعوا الفرح بالنعمة** موضع الخشية من الرد إلى الشدة ، كما ظلمتم أنتم بدعاء الأصنام وقت الرخاء وكان ذلك موضع دعاء من أفاض تلك النعم ، ودعوتم الله وقت الشدة وكان ذلك موضع دعاء من عبدتموه وقت الرخاء ، لئلا تقعوا فيما جرت عادتكم بالذم به .

وإن تكون كريهة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

ولما كان استئصالهم من أجل النعم على من عادوهم فيه من الرسل عليهم السلام وأتباعهم رضي الله عنهم ، نبه على ذلك بالجملة مع ما يشير إليه من ظهور الاستغناء المطلق فقال : (والحمد) أي قطع أمرهم كله والحال أن الإحاطة بأوصاف الكمال) لله (المتفرد بنعوت الجلال والجمال) رب العالمين (الموجد لهم أجمعين ، أي له ذلك كله بعد فناء الخلق على أي صفة كانوا من إيمان أو كفر ، كما كان له ذلك قبل وجودهم وعند خلقهم على كل من حالتيهم – كما أشير إليه بأول السورة ، فكأنه قيل : الكمال لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فقطع دابرهم ، والكمال له لم يتغير ، لأنه لا يزيده وجود موجود ، ولا ينقصه فقد مفقود ، فهو محمود حال الإعدام والمحق كما كان محمودا حال الإيجاد والخلق ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فإنه لا يخرج شيء عن إيمانهم ولا كفرانهم عن إرادته سبحانه ، فلا عليك منهم اقترحوا الآيات أولا ، فإنه ليس عليك إلا البلاغ .." (١)

" صفحة رقم ٢٩١

العفو الذي هو أدنى المنازل أسعدت بأعلاها فقال : (ورضوان) أي بأن يكون راضيا عن الله للرضى بقضاء الله وذلك يكون إذا قصر نظره على الله فإنه لا يتغير أبدا بقضاء من أقضيته كما أن الله – الذي هو راحمه – لا يتغير ، ومن كان نظره لطلب حظ له كان أبدا في تغير **من الفرح غلى** الحزن ومن السرور إلى الغم ومن الراحة إلى الجراحة ومن اللذة إلى الألم ، فثبت أن الرحمة التانة لا تحصل إلا للراضي بقضاء الله ويكون الله راضيا عنه فتكون نفسه راضية مرضية ، ولهذا لم يقيده ب (منه) وهذان في الدنيا والآخرة ولما ذكر هذه الجنة الروحانية المنعم بها في الدنيا ، أتبعه بيان الجنة الروحانية البدنية الخاصة بالدار التي فيها القرار فقال : (وجنات) أي بساتين كثيرة الأشجار والثمار) لهم فيها نعيم (أي عظيم جدا خالص عن كدر ما ، ودل على الخلود بقوله : (مقيم (ثم صرح بخلودهم فيها بلفظ الخلود ليكون أقر للنفس فقال

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٦٣٧

: (خالدين فيها (وحقق أمره بقوله : (أبدا (ثم استأنف المدح لذلك مؤذنا بالمزيد بقوله : (إن الله) أي الذي له الغنى المطلق والقدرة الكاملة) عنده أجر عظيم (وناهيك بما يصفيه العظيم دالا بالعظم ، وخص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر عن دوامه بهذه العبارات الثلاث المقرونه بالتعظيم والاسم الأعظم ، فكان أعظم الثواب ، لأن إيمانهم أعظم الإيمان .

ولما فرغ من العاطفة بمحاسن الأعمال ، شرع في العاطفة بالأنساب والأموال ، وقدم الأول إشارة إلى أن المجانسة في الأفعال مقدمة على جميع الأحوال ، ولما كان محط الموالاة المناصرة ، وكانت النصرة بالآباء والإخوان اعظم من النصرة بغيرهم ، لأن مرجعها إلى كثرة الأعوان والأخدان ، اقتصر عليها فقال : (يأيها الذين آمنوا) أي أقروا بألسنتهم بالإيمان بربهم معرضين عما سواه من الأنداد الظاهرة صدقوا ادعاءكم ذلك بأن) لا تتخذوا) أي تتعمدوا وتتكلفوا أن تأخذوا) آباءكم وإخوانكم أولياء) أي على ما يدعو إليه الطباع وتقوية الأطماع فتلقوا إليهم أسراركم وتؤثروا رضاهم والمقام عندهم) استحبوا (اي طلبوا وأوجدوا ان أحبوا) الكفر (وهو تغطية الحق والتكذيب) على الإيمان (نبه بصيغة الاستفعال على أن الإيمان لكثرة محاسنه وظهور دلائله معشوق بالطبع ، فلا يتركه أحد إلا بنوع معالجة ومكابرة لعقله ومجاهدة .

ولما كان أعز الأشياء الدين ، وكان لا ينال إلا بالهداية ، وكان قد تقدم سلبها عن الظالم ، ورهبهم من انتزاعه بقوله : (ومن يتوالهم) أي يتكلف أن يفعل في أمرهم ما يفعل القريب مع قريبه) منكم) أي بعد ما أعلمكم الله في أمرهم مما أعلم) فأولئك) أي المعبدون عن الحضرات الربانية) هم الظالمون) أي لوضعهم الموالاة في غير موضعها بعد تقدم إليهم سبحانه بمثل هذه الزواجر ، وهذا رجوع بالاحتراس إلى." (١)

" صفحة رقم ٣٦٧

الذي ألبسه ، قال ابن عيينة : كانت له عند النبي (صلى الله عليه وسلم) يد فأحب أن يكافئه ، وفي رواية عنه في اللباس أنه قال : أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) ابن أبي بعد ما أدخل قبره فأمر به رضي الله عنه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه - انتهى .

فكأن ابنه رضى الله عنه استحى من أن يؤذن النبي صلى اله عليه وسلم به لما كان يعلم من نفاقه ، أو آذنه (صلى الله عليه وسلم) به فصادف منه شغلا فدفنه فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد إدخاله القبر وقبل تمام الدفن فأخرجه تطييبا لخاطر ابنه الرجل الصالح ودفعا لما قد يتوهمه من إحنة عليه وتأليفا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٩١/٣

لغيره ، قد روي أنه قال (صلى الله عليه وسلم) : إني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب ، فأسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب النبي (صلى الله عليه وسلم) ففي بعض الروايات انه ه و الذي طلب من النبي صلى الله لعيه وسلم أن يكفنه في قميصه ، وتعطفه عليه ، أدعى إلى تراحم المسلمين وتعاطف بعضهم على بعض ، وقوله : وألبسه قميصه – بالواو لا ينافي الرواية الأولى ، وتحمل الرواية الأولى على أنه وعده إعطاء القميص لمانع كان من التنجيز وقت السؤال ، فحمل الجزم بالإعطاء على الوعد الصادق ثم أنجزه بعد إخراجه من القبر – والله أعلم ؛ ووردت هذه الآية أو لحق الرسول صلى اله عليه وسلم ، ولم يرد فيه أنه يهينهم بالإماتة على النفاق ، فكان يكفي فيه استغفار لهم ؟ فكأنه قيل : استوى الاستغفار وعدمه في أنه لا ينفعهم ، وختمها بعلة عدم النغفرة في قوله : (ذلك) أي الأمر الذي يبعد فعله من الحكيم الكريم) بأنهم كفروا بالله) أي وهو الملك الأعظم) ورسوله) أي فهم لا يستأهلون الغفران لأنهم لم يهتدوا لإصرارهم على الفسق وهو معنى قائم بهم في الزيادة على السبعين كما هو قائم بهم في لاقتصار على السبعين) والله) أي المحيط علما وقدرة) لا يهدي القوم الفاسقين) أي أنه لا يهديهم لأنه جبلهم على الفسق ، وكل من لا يهديه لأنه جبله على الفسق لا يغفر له ، فهو لا يغفر لهم لما علم منهم مما لا يعلمه غيره ، فهو تمهيد لعذر النبي (صلى الله عليه وسلم) في استغفاره قبل العلم بالطبع الذي لا يمكن معه رجوع .

التوبة : (٨١ – ٨٥) فرح المخلفون بمقعدهم. .. . .

) فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون." (١)

" صفحة رقم ٣٦٨

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزآء بما كانوا يكسبون فإن رجعك الله إلى طآئفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) ٧٣

( ) ٧١

لما علل سبحانه عدم المغفرة بفسقهم ، وأتى بالظاهر موضع المضمر إشارة إلى اتصافهم به وتعليقا للحكم

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٦٧/٣

بالوصف ، علل رسوخهم في الفسق بعد أن قدم أن المنافقين بعضهم من بعض فهم كالجسد الواحد بقوله : (فرح المخلفون) أي الذين وقع تخليفهم بإذنك لهم وكراهة الله لانبعاثهم) بمقعدهم) أي قعودهم عن غزوة تبوك ، ولعله عبر بهذا المصدر لصلاحيته لموضع القعود ليكون بدلالته على الفرح اعظم دلالة على الفرح بالموضوع ، وهو مروي عن ابن عباس رضى اله عنهما ، (صلى الله عليه وسلم)

١٥٤٨ ؛ وأظهر الوصف بالتخلف موضع الضمير زيادة في تهجين ما رضوا به لأنفسهم ، وزاده تهجينا أيضا بقوله : (خلف) أي بعد وخلف أو لأجل خلاف) رسول الله) أي الملك الأعظم الذي من تخلف عن حزبه هلك) زكرهوا أن يجاهدوا (ولما كان هذا في سياق الأموال تارة بالرضى بنيلها والسخط بحرمانها ، وتارةبقبض اليد عن بذلها ، وتارة بالخلاف الذي هو النصب أعم من أن يكون بالمال أو النفس ، وتارة بعيب الباذلين وغير ذلك من شأنها قدم قوله : (بأموالهم و أنفسهم (على قوله : (في سبيل الله (اي طريق الملك الذيله صفات الكمال ، لأنه ليس فيهم باعث الإيمان وداعي الإيقان الذي بعث المؤمنين ، ودل ذلك على عراقتهم في الفسق بأن الإنسان قد يفعل المعصية ويحزن على فعلها وهؤلاء سروا بها مع ما فيها من الدناءة ، وقد يسر الإنسان بالمعصية ولا يكره أن يكون بدلها أو معها طاعة وهؤلاء ضموا إلى سرورهم بها كراهية الطاعة ، وقد يكره ولا ينهى غيره وهؤلاء جمعوا إلى ذلك كله نهي غيرهم ، ففعلوا ذلك كله) وقالوا) أي لغيرهم) لا تنفروا في الحر (بعدا من الإسلام وعمى عن سيد الأحكام ، لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر ولما كان هذا قول من لم تخطر الآخرة على باله ، أمره تعالى ان يحذر من يصغي إليهم أو يقبل عليعم بقوله : (قل) أي يا أعلم بخلقنا استجهالا لهم) نار جهنم (اي التي أعدها الله لمن خالف أمره) أشد حرا (ولفت الكلام إلى الغيبة يدل على أن أعظم المراد بهذا الوعظ ضعفاء المؤمنين لئلا يشتبهوا بهم طمعا في الحلم فقال تعالى : (ولو." (١)

" صفحة رقم ٣٦٩

كانوا) أي المنافقون) يفقهون) أي لو كان لهم فهم يعلمون به صدق الرسول وقدرة مرسله على ما توعد به لعلموا ذلك فما كانوا يفرون من الحر إلى أشد حرا منه ، لأن من فر منحر ساعة إلى حر الأبد كان أجهل الجهال ، وقال أبو حيان : لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه ، بعني في قوله) فرح المخلفون (- انتهى. فتكون الآية حيئنذ جوابا لمن كأنه قال : هذه أحوال من خرج فما حال من قعد ؟ وقد خرج بما في هذه

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٦٨/٣

الآية من الأوصاف كعب بن مالك ورفيقاه رضي الله عنهم ونحوهم ممن لم يفرح بالقعود ولا اتصف بما ذكر معه من أوصافهم .

ولما كان غاية السرور الضحك ، وكان اللازم لهم في الآخرة البكاء في دار الشقاء الذي هو غاية الحزن لهم ، فيها زفير وشهيق وهم يصطرخون فيها ، قال تعالى مهددا لهم مسببا عن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرا في صورة الأمر إيذانا بأنه أمر لا بد من وقوعه : (فليضحكوا قليلا (اي فليتمتعوا في هذه الدار بفرحتهم بمقعدهم التمتع الذي غاية السرور به الضحك – يسرا ، فإنها دار قلعة وزوال وانزعاج وارتحال) وليبكوا كثيرا) أي في نار جهنم التي أغفلوا ذكر حرورها وأهملوا الاتقاء من شديد سعيرها بدل ذلك الضحك القليل كما استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقير) جزاء بما كانوا يكسبون) أي **من الفرح بالمعاصي** والسرور بالشهوات والانهماك في اللذات ولما كان المسرور بشيء الكاره لضده الناهي عنه لا يفعل الضد إلا تكلفا ولا قلب له ، إليه وكان هذا الدين مبنيا على العزة والغنى ، أتبع ذلك بقوله مسببا عن فرحهم بالتخلف : (فإن رجعك الله) أي الملك الذي له العظمة كلها فله الغنى المطلق عن سفرك هذا) إلى طائفة منهم) أي وهم الذين يمد الله في اعمارهم إلى أن ترجع إليهم ، وهذا يدل على أنه أهلك سبحانه في غيبته بعضهم ، فأردت الخروج إلى سفر آخر) فاستأذنوك (اي طلبوا ان تأذن لهم) للخروج) أي معك في سفرك ذلك) فقل (عقوبة لهم وغنى عنهم وعزة عليهم ناهيا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك في علما من اعلام النبوة وبرهانا من براهين الرسالة) لن تخرج معي أبدا) أي في سفر من الأسفار لأن الله قد أغناني عنكم وأحوجكم إلي) ولن تقابلوا معي عدوا (لأنكم جعلتم أنفسكم في عداد ربات الحجال ولا تصلحوا لقتال ؛ والتقييد بالنعية كما يؤذن باستثقالهم يخرج ماكان بعده صلى اله عليه وسلم مع أصحابه رضي اله عهنم من سفرهم وقتالهم ولما أخزاهم سبحانه بما أخزوا به أنفسهم ؟ ، علله بقوله : (إنكم رضيتم بالقعود) أي عن التشرف بمصاحبتي ، ولما كانت الأوليات أدل على تمكن الغرائز من الإيمان." (١)

" صفحة رقم ٤٥٧

يونس : (٥٨ – ٦٠) قل بفضل الله. ... .

) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم مآ أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون (( )

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٦٩/٣

ولما ثبت ذلك ، حثهم عليه لبعده عن السحر بثباته وعدم القدرة على زلزلته فضلا عن إزالته وبأن شفاء وموعظة وهدى ورحمة فهو جامع لمراتب القرب الإلهي كلها ، وزهدهم فيما هم عليه مقبلون من الحطام : لمشاركته للسحر في سرعة التحول والتبدل بالفناء والاضمحلال فهو أهل للزهد فيه والإعراض عنه فقال تعالى : (قل بفضل الله (الآية ، وحسن كل الحسن تعقيب ذلك لقوله : (هو يحيي ويميت (لما ذكر من سرعة الرحيل عنه ، ولأن القرآن محيي لميت الجهل ، من أقبل عليه أفاده العلم والحكمة ، فكان للقلب كالحياة للجسد ، ومن أعرض عنه صار في ضلال وخبط فوصل غلى الهلاك الدائم ، فكان إعراضه عنه مميتا له ، وجعل أبو حيان متعلق الباء في بفضل محذوفا تقديره : (قل (ليفرحوا) بفضل الله (اي الملك الأعلى) وبرحمته (ثم عطف قصر الفرح على ذلك) فبذلك) أي الأمر العظيم جدا وحده إن فرحوا يوما ما بشيء) فليفرحوا (فهما جملتان وقال : (هو) أي المحدث عنه من الفضل والرحمة) خير مما يجمعون (اي من حطام الدنيا وإن كان أشرف ما فيها من المتاع دائبين فيه على تعاقب الأوقات ، والعاقل يختار لتعبه الأفضل ؛ والفضل : الزيادة في النعمة ؛ والفرح : لذة في القلب بنيل المشتهى .

ولما وصف القرآن العظيم بالشفاء وما معه المقتضي لاستقامة المناهج وسداد الشرائع ووضوح المذاهب ، وأشار إلى أن العاقل ينبغي له أن يخصه بالفرح لبقاء آثاره وما يدعو إليه وزهده فيما يجمعون لفنائه ولأنه يدعو غلى رذائل الأخلاق فيحيط من أوج المعالي ، أشار إلى أنهم كما خبطوا في الفرح فخصوه بما ينفي معرضين عما يبقى فكذلك خبطوا في طريق الجمع فوعدوها على أنفسهم بأن حرموا بعض ما أحله ، فمنعوا انفسهم ما هم به فرحون دون أمر من الله تعالى فنقصوا بذلك حظهم في الدنيا بهذا المنع وفي الآخرة بكذبهم على ربهم في تحريمه حيث جعلوه شرعا مرضيا وهو في غاية الفساد والبعد عن الصواب والقصور عن مراقي السداد فقال تعالى : (قل) أي لهؤلاء الذين يستهزرون بك استهزاء قاضيا عليهم بأنهم لا عقول لهم مستهزئا بهم وموبخا لهم." (١)

" صفحة رقم ٤٧٦

بالمنهاج : وإذا تمنى مسلم كفر مسلم فهذت على وجهين : احدهما أن يتمناه له كما يتمنى الصديق لصديقه الشيء يستحسنه فيحب أن يكون له فيه نصيب ، فهذا كفر لأن استحسان الكف كفر ، والآخر أن يتمناه له كما يتمنى لعدوه الشيء يستفظعه – فيحب أن يقع فيه ، فهذا ليس بكفر ، تمنى موسى صلوات الله عليه وسلامه بعد أن أجهده فرعون ألا يؤمن فرعون وملأه ليحق عليهم العذاب ، وزاد على ذلك

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٥٧/٣

أن دعا الله تبارك وتعالى فلم ينكر تعالى ذلك عليه لعلمه أن شدته على فرعون وغلظته عليه لما رآه من عتوه وتجبره هي التي حملته على ذلك ، فمن كان في معناه فله حكمه ؛ وقد نقل ذلك عنه الزركشي في حرف الثاء من قواعده مرتضياص له ، ونقل عنه أيضا أنه قال : ولو ان في قلب مسلم على كافر فاسلم فحزن المسلم لذلك وتمنى لو عاد إلى الكفر لا يكفر ، لأن استقباحه الكفر هو الذي حمله على تمنيه واستحسانه الإسلام هو الحالم لله على كراهته ؛ ونقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه لو قتل عدو للإنسان ظلما ففرح هل ياثم **إن فرح بكونه** عصى الله فيه فنعم ، **وإن فرح بكونه** خلص من شره فلا بأس لاختلاف سببي الفرح – انتهتى .

ويؤيده ما روى البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن مقسم مرسلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) دعا عل عتبة بن أبي وقاص البيهقي يوم أحد حين كسر رباعيته ودمي وجهه فقال : (اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا) فما حال عليه الحول حتى مات كافرا غلى النار ، ومسألة أن الرضى بالكفر كفر نقلها الشيخان عن المتولي وسكتا عليها ، ولكن قال الشيخ محيي الدين في شرح المهذب : إن ذلم إفراط ، فما تقدم من التفصيل عن الحليمي وابن عبد السلام هوالمعتمدن والمسألة في أصل الروضة .

فإنه قال : لو قال لمسلم : سلبه الله الإيمان ، أو لكافر : رزقه الله الإيمان ، فليس بكفر لأنه ليس رضى بالكفر لكنه دعاء عليه بتشديد الأمر والعقوبة ؛ قلت : ذكر القاضي حسين في الفتاوى وجها ضعيفا أنه لو قال مسلم : سلبه الله الإيمان ، كفر – والله أعلم ، وحكى الوجهين عن القاضي في الأذكار وقال : إن الدعاء بذلك معصية .

يونس : (٩٠ – ٩٢) وجاوزنا ببني إسرائيل. .. . . .

) وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذآ أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون (۞)." (١)

" صفحة رقم ٥٣٠

بغيا بقوله : (وكلما) أي والحال أنه كلما) مر عليه ملأ) أي اشراف) من قومه (وأجاب (كلما) بقوله : (سخروا منه) أي ولم يمنعهم شرفهم من ذلك ، وذلك أنهم رأوا يعاني ما لم يروا قبله مثله ليجري على الماء وهو في البر وهو على صفة من الهول عظيمة فعن الحسن أن طوالها ألف ذراع ومائتا ذراع وعرضها

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٧٦/٣

ستمائة ، فقالوا : يانوح ما تصنع .

قال : أبني بيتا على الماء ، ويجوز أن يكون) سخروا (: صفة لملإ ، وجواب)كلما ( ) قال (، ولما أيأسه الله من خيرهم ، ترك ماكان من لينه لهم واستعطافهم فعلم أن ذلك ماكان إلا له سبحانه ، فقال حاكيا عنه استئنافا : (قال إن تسخروا منا (ولما كانوا يظنون أنه غائب في عمله كان عندهم موضعا لخزي والسخرية ، وكان هو (صلى الله عليه وسلم) عالما بأن عملهم سبب لخزيهم بالعذاب المستأصل ، فكان المعنى : إن تسخروا منا – أي مني وممن يساعدني - لظن أن عملنا غير مثمر) فإنا نسخر (ي نوجد السخرية) منكم (جزاء لكم)كما تسخرون (منا الآن لأن عملنا منج وعملكم ليس مقتصرا على الضياع بل هوموجب لما توعدون من العذاب فأنتم المخزيون دوني .

ولماكان قوله) نسخر منكم (واقعا موقع الإخبار ، حسن الإتيان بالفاء المؤذنة بتسبب العلم المذكور عنه في قوله : (فسوف تعلمون) أي بوعد لا خلف فيه) من يأتيه عذاب يخزيه) أي يفضحه فيذله ، وكأن المراد به عذاب الدنيا) ويحل عليه) أي حلول الدين الذي لا محيد عنه) عذاب مقيم (وهو عذاب الآخرة ، وقد مضى نحوه في الأنعام عند قوله) فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار (؛ والسخرية : إظهار ما يخالف الإبطان على جهة تفهم استضعاف العقل ، من التسخير وهو التذليل استضعافا بالقهر ، وهي تفارق اللعب بأن فيها خدعة استنفاض ، فلا تكون إلا بحيوان ، واللعب قد يكون بجماد لأنه مطلق طلب الفرح ؛ والخزي : العيب الذي تظهر فضيحته والعار به ، ونظيره الذل والهوان ؛ واستمر ذلك دابه ودابهم) حتى إذا جاء أمرنا) أي وقت إرادتنا لإهلاكم) وفار) أي غلا وطفح) التنور (وعن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد أنه الحقيقي الذي يخبز فيه ، وهذا هو الظاهر فلا يعدل عنه إلا بدليل ، لأن صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث كما قاله أهل الأصول) قلنا (بعظمتنا) احمل (ولما كان الله تعالى قد أمره أن يجعل لها غطاء – كما قاله أهل التفسير – لئلا تمتلىء من شدة الأمطار ، كانت الظرفية فيها بخلاف غيرها من السفن واضحة فلذلك قال : (فيها) أي السفينة) من كل زوجين (من الحيوانات ، والزوج فرد يكون معه آخر لا يكمل نفعه إلا به) اثنين (ذكرا وأنثى) وأهلك) أي احملهم ، والأهل : العيال) إلا من سبق (غالبا) عليه القول (بأني أغرقه وهو امرأته وابنه كنعان) ومن) أي واحمل فيها من) آمن (."[1]

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٣٠/٣

" صفحة رقم ١٤٨
طوبى لهم وحسن مآب) ٧٣
( ) ٧١
ولما ذكر ما للناجحين ، ذكر مآل الهالكين فقال : (والذين ينقضون عهد الله) أي الملك الأعلى فيعلمون بخلاف موجبه ؛ والنقض : التفريق الذي ينفي تأليف البناء .
ولما كان النقض ضارا ولو كان في أيسر جزء ، أدخل الجار فقال : (من بعد ميثاقه) أي الذي أوثقه عليهم بما أعطاهم من العقول وأودعها من القوة على ترتيب المقدمات المنتجة للمقاصد الصالحة الدالة على صحة جميع ما أخبرت به رسله عليهم الصلاة والسلام والتحية والإكرام ؛ والميثاق : إحكام العقد بأبلغ ما يكون في مثله) ويقطعون ما) أي الشيء الذي) أمر الله) أي غير ناظرين إلى ما له من العظمة والجلال ، وعدل عن أن يوصله لما تقدم قريبا فقال : (به أن يوصل) أي لما له من المحاسن الجلية والخفية التي هي عين الصلاح) ويفسدون) أي يوقعون الإفساد) في الأرض) أي في أي جزء كان منهم بوصل م١ أمر الله به أن يقطع اتباعا لأهوائهم ، معرضين عن أدلة عقولهم ، مستهينين بانتقام الكبي المتعال .
ولما كانوا كذلك ، استحقوا ضد ما تقدم للمتقين ، وذلك هو الطرد والعقاب والغضب والنكال وشؤم اللقاء ، فقال سبحانه وتعالى : (أولئك) أي البعداء البغضاء) لهم اللعنة) أي الطرد والبعد) ولهم سوء الدار) أي أن يكون دارهم الآخرة سيئة بلحاق ما يسوء فيها دون ما يسر .
ولما تقدم الحث العظيم علىالإنفاق ، وأشير إلى أنه من أوثقى الأسباب في الوصلة لجميع أوامر الله ، وختم بأن للكافر البعد والطرد عن كل المؤمن مع وصله واتصاله ، وما له لا يبسط له رزقه ليتمكن من إنفاذ ما أمر به إن كان ذلك حقا ؟ فقيل : (الله) أي الذي له الكمال كله) يبسط الرزق (ودل على تمام قدرته سبحانه وتعالى بقوله - جلت قدرته - : (لمن يشاء (فيطيع في رزقه أو يعصي) ويقدر (على من يشاء فيجعل رزقه بقدر ضرورته فيصبر أو يجزع لحكم دقت عن الأفكار ، ثم جعل ما للكافر سببا في خذلانه ، وفقر المؤمن موجبا لعلو شأنه ، فليس الغنى مما يمدح به ، ولا الفقر مما يذم به ، وإنما يمدح ويذم بالآثار .
ولما كانت السعة **مظنة الفرح إلا** عند من أخلصه الله وهم أقل من القليل ، قال عائبا لمن اطمأن إليها : (وفرحوا) أي فبسط لهؤلاء الرزق فبطروا وكفروا وفرحوا) بالحياة الدنيا) أي بكمالها ؛ والفرح : لذة في

القلب بنيل المشتهى .

ولما كانت الدنيا متلاشية في جنب الدار التي ختم بها للمتقينن قال زيادة في الترغيب والترهيب : (وما." (١)

" صفحة رقم ٢١٠

المجرمين) أي العريقين في الإجرام في كل زمن كما يسلك الخيط والرمح ونحوه فيما ينظر فيه من مخيط وغيره بغاية العسر ، فلا يتسع له المحل فلا ينفع ، حال كونهم) لا يؤمنون به (لشيء من الأشياء ، لأن صدورهم لا تنشرح له كما رأيت سنتنا بذلك في قومك) وقد خلت) أي مضت من قبل هذا) سنة) أي طريقة) الأولين (بذلك ، ونحن قادرون على فعل ما نريد من تلك السنة بهذه الأمة من إهلاك وتيسير إيمان وغير ذلك ، فهو ناظر إلى قوله) وقرآن مبين (والغرض بيان أنه تعالى يعمي بغض الأبصار على الجلي ، ويبصر بعضها بالخفي ، إظهارا للقدرة والاختيار بإنفاذ الأمر على خلاف القياس .

ولما أخبره بهذه الأسرار منبئة عن أحوالهم ، وكانت النفس أشد شيء طلبا لقطع حجة المتعنت بإجابة سؤله ، قال تعالى مخبرا بتحقيق ما ختم به من أنهم لا يؤمنون للخوارق ولو رأوا أعجب من الإيتان بالملائكة : (ولو فتحنا) أي بما لنا من العظمة) عليهم) أي على من قال : لو ما تأتينا بالملائكة) بابا (يناسب عظمتنا) من السماء (وأشار إلى أن ذلك حالهم - ولو كانوا في أجلى الأوقات وهو النهار - بقوله : (فظلوا) أي الكفار) فيه) أي ذلك الباب العالي) يعرجون) أي يصعدون ماشين في الصعود **مشية الفرح**) لقالوا (عنادا وإبعادا عن الإيمان : (إنما سكرت) أي سدت وغشيت) أبصارنا) أي حتى ظننا ما ليس بواقع واقعا) بل نحن قوم) أي وإن كا لنا غاية القوة على ما نريد محاولته) مسحورين) أي ثابت وقوع السحر علينا حتى صرنا نرى الأشياء على خلاف ما هي عليه ونثبت ما لا حقيقة له ؛ والسكر : السد بإدخال اللطيف في المسام فيمنع الشيء كمال ما كان عليه ، ومنه السكر بالشراب ، والسحر : حيلة خفية توهم معنى المعجزة من غير حقيقة .

الحجر : (١٦ - ٢٢) ولقد جعلنا في. . . . .

) ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/١٤٨

فأنزلنا من السمآء ماء فأسقيناكموه ومآ أنتم له بخازنين (( )

ولما كان ذكر هذه الآية السماوية على سبيل الفرض في الجواب عن إنكارهم النبوة ، دليلا على مرودهم على الكفر ، وكان من المعلوم أن ثبوت النبوة مترتب على ثبوت الوحدانية ، توقع السامع الفهم الإخبار عما له تعالى من الآيات المحققة الوجود." (١)

" صفحة رقم ٣٨١

وعلى آله وسلم : (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسهم ما لم تعمل به أو تكلم) .

)

الإسراء : (٣٧ - ٤٠) ولا تمش في. . . . .

) ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك ممآ أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما (( )

ولما كان الكبر والأنفة أعظم موقف عن العلم الداعي إلى كل خير ، ومرض بمرض الجهل الحامل على كل شر ، قال تعالى : (ولا تمش) أي مشيا ما ، وحقق المعنى بقوله تعالى : (في الأرض) أي جنسها) مرحا (وهو شدة الفرح التي يلزمها الخيلاء ، لأن ذلك من رعونات النفس بطيش الهوى وداعي الشهوة وما طبعت عليه من النقائص ، فإنه لا يحسن إلا بعد بلوغ جميع الآمال التي تؤخذ بالجد ولن يكون ذلك لمخلوق ، ولذلك علله بقوله تعالى : (إنك لن تخرق) أي ولو بأدنى الوجوه) الأرض) أي تقطعها سيرا من مكانك إلى طرفها) ولن تبلغ) أي بوجه من الوجوه) الجبال طولا) أي طول الجبال كلها بالسير فيها ، فإذا كنت تعجز في قدرتك أوتادها فبماذا تفخر ؟ وبأي شيء تتكبر حتى تتبخر ؟ وذلك من فعل من بلغ جميع ما أمل ؛ ثم عظم جميع ما مضى من المنهيات وأضداد المأمورات بقوله تعالى : (كل ذلك) أي الأمر البعيد من المكارم) كان) أي كونا غير مزايل .

ولما كانت السيئة قد صارت في حكم الأسماء كالإثم والذنب وزال عنها حكم الصفات ، حملها على المذكر ووصفها به فقال تعالى : (سيئة (وزاد بشاعته بقوله تعالى : (عند ربك) أي المحسن إليك إحسانا لا ينبغي أن يقابل عليه إلا بالشكر) مكروها) أي يعامله معاملة المكروه من النهي عنه والذم لفاعله والعقاب ، والعاقل لا يفعل ما يكرهه المحسن إليه حياء منه ، فإن لم يكن فخوفا من قطع إحسانه ،

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/ ٢١٠

وخضوعا لعز سلطانه ، ويجوز أن يكون المراد بهذا الإفراد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إشارة إلى أنه لا يقدر أحد غيره على امتثال هذا المعنى على ما ينبغي ، لأنه لا." (١)

" صفحة رقم ٤٦٩

عاقل إذ جعلت غاية هذا الخلق البديع في هذا التطوير العظيم الموت الذي لو كان غاية كما زعمت – لفوت على المطيع الثواب ، وعلى العاصي العقاب .

الكهف : (٣٨ – ٤١) لكن هو الله. .. . .

) لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شآء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السمآء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح مآؤها غورا فلن تستطيع له طلبا (( )

ولما أنكر على صاحبه ، أخبر عن اعتقاده بما يضاد اعتقاد صاحبه ، فقال مؤكدا لأجل إنكار صاحبه مستدركا لأجل كفرانه : (لكنا (لكن أنا .

ولما كان سبحانه لا شيء أظهر منه ولا شيء أبطن منه ، أشار إلى ذلك جميعا بإضماره قبل الذكر فقال تعالى : (هو) أي الظاهر أتم ظهور فلا يخفية أصلا ، ويجوز أن يكون الضمير للذي خلقك) الله) أي المحيط بصفات الكمال) ربي (وحده ، لم يحسن إلي في عبادتي) أحدا (كما لم يشاركه في إحسانه إلي أحد ، فإن الكل خلقه وعبيده ، وأنى يكون العبد شريكا للرب فإني لا أرى الغنى والفقر إلا منه ، وأنت – لما اعتمدت على مالك – كنت مشركا به .

ولما كان المؤمنون على طريق الأنبياء في إرادة الخير والإرشاد إلى سبيل النجاة وعدم الحقد على أحد بشر أسلفه وجهل قدمه ، قال له مصرحا بالتعليم بعد أن لوح له به فيما ذكره عن نفسه مما يجب عليه : (ولولا إذ) أي وهلا حين) دخلت جنتك قلت (ما يدل على تفويضك الأمر فيها وفي غيرها إلى الله تعالى كما تقدم الإرشاد إليه في آية)) ولا تقولن لشي ( ) [الكهف : ٢٣] تاركا للافتخار بها ، ومستحضرا لأن الذي وهبكها قادر على سلبك إياها ليقودك ذلك إلى التوحيد وعدم الشرك ، فلا تفرح بها ولا بغيرها مما يفنى لأنه لا **ينبغي الفرح إلا** بما يؤمن عليه بالزوال) ما شاء الله) أي الذي له الأمر كله ، كان ، سواء كان حاضرا أو مستقبلا ، ولذلك أعراها عن الجواب ، لا ما يشاؤه غيره ولا يشاؤه هو سبحانه ؛ ثم علل ذلك بقوله تعالى : (لا قوة) أي لأحد على بستان وغيره) إلا بالله) أي التوحيد بالكمال ، فلا شريك

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨١/٤

له ، وأفادت هذه الكلمة إثبات القوة لله وبراءة العبد منها ، والتنبيه على أنه لا قدرة لأحد من الخلق إلا بتقديره ، فلا يخاف من غيره ، والتنبيه على فساد قول الفلاسفة في الطبائع من أنها مؤثرة بنفسها .." [١]

" صفحة رقم ٥٣٠

مريم : (٢٦ - ٣٣) فكلي واشربي وقري. .. . .

) فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يمريم لقد جئت شيئا فريا يأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (( )

ولما كان من المعلوم أنها هزت فتساقط الرطب ، سبب عنه قوله : (فكلي) أي فتسبب عن الإنعام عليك بالماء والرطب أن يقال لك تمكينا من كل منهما كلي من الرطب) واشربي (من ماء السرى) وقري) أي استقري) عينا (بالنوم ، فإن المهموم لاينام ، والعين لا تستقر ما دامت يقظي ، وعن الأصمعي أن المعنى : ولتبرد دمعتك ، لأن **دمعة الفرح باردة** ودمعة الحزن حارة ، واشتقاق (قري) من القرور ، وهو الماء البارد - انتهى .

وقال الإمام أبو عبد الله القزاز في ديوانه : وحكى الفراء أن قريشا ومن حولهم يقولون : قررت به عينا - أي بكسر العين - أقر ، وأن أسدا وقيسا وتميما يقولون : قررت به عينا - أي بالفتح - أقر ، قال - يعني الفراء : فمن قال : قررت - أي بالكسر - قرأ ، وقرى عينا - أي بالفتح ، وهي القراءة المعروفة ، ومن قال : قررت ، - أي بالفتح قرا وقري عينا - بكسر القاف أي وهي الشاذة ، قال - أي القزاز : هي لغة كل من لقيت من أهل نجد ، والمصدر قرة وقرور .

وسيأتي في القصص ما ينفع هنا ، وهو على كل حال كناية عن طيب النفس وتأهلها لأن تنام بالكفاية في الدنيا بطعام البدن وغذاء الروح بكونه آية باهرة ، والآخرة بالكرامة وذلك على أنفع الوجوه ، قيل : ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ؛ ثم سبب عن ذلك قوله مؤكدا إيذانا بأن أكثر رؤيتها في تلك الأوقات الملائكة عليهم السلام) فإما ترين) أي يا مريم) من البشر أحدا (لا تشكين أنه من البشر ينكر عليك) فقولي (لذلك المنكر جوابا له مع التأكيد تنبيها على لابراءة لأن البريء يكون ساكنا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٤٦٩

لاطمئنانه والمرتاب يكثر كلامه وحلفه : (إني نذرت للرحمن) أي الذي عمت رحمته فأدخلني فيها على ضعفي وخصني بما رأيت من الخوارق) صوما) أي صمتا ينجي من كل وصمة وإمساكا عن الكلام) فلن) أي فتسبب عن النذر أني لن) أكلم اليوم إنسيا (فإن كلامه يقبل الرد والمجادلة ولكن يتكلم عني المولود الذي." (١)

" صفحة رقم ٤٧٠

ثبت واستكن ، وأصل قرة العين من القر وهوالبرد ، أي بردت فصحت ونامت خلاف سخنة عينه ، وقيل : من القرار ، اي استقرت عيني ، وقالوا : **دمعة الفرح باردة** ، ودمعة الحزن حارة ، فمعنى أقر الله عينك **من الفرح وأسخنها** من الحزن ، وهذا قول الأصمعي ، وقال أبو عباس : ليس كما ذكر الأصمعي بل كل دمع حار ، فمعنى أقر الله عينك : صادفت سرورا فنامت وذهب سهرها ، وصادفت ما يرضيك ، أي بلغك الله أقصى أملك حتى تقر عينك من النظر إلى غيره استغناء ورضا بما يديك ، قالوا : ومعنى قولهم : هو قرة عيني : هو رضى نفسي ، فهي تقر وتسكن بقربة فلا تستشرف غلى غيره) ولا) أي وكيلا) تحزن) أي بفراقة) ولتعلم (اي علما هو عين اليقين ، كما كانت عالمة به علم اليقين ، وعلم شهادة كما كانت عالمة علم الغيب) أن وعد الله) أي الأمر الذي وعدها به الملك الأعظم الذي له الكمال كله في حفظه ورساله) حق) أي هو في إاية الثبات في مطابقة الواقع إياه .

ولما كان العلم هو النور الذي من فقده لم يصح منه عمل ، ولم ينتظم له قصد ، قال عاطفا على ما تقديره : فعلمت ذلك برده عين اليقين بعد علم اليقين : (ولكن أكثرهم) أي أكثر آل فرعون وغيرهم) لا يعلمون) أي لا علم لهم أصلا ، فكيف يدعون ما يدعون من الإلهية والكبرياء على من يكون الله معه .

ولما استقر الحال ، على هذا المنوال ، علم أنه ليس بعده إلا الخير والإقبال ، والعز بتبني فرعون له والجلال ، فترك ما بينه وبين السن الصالح للإرسال ، وقالف مخبرا عما بعد ذلك من الأحوال : (ولما بلغ أشده) أي مجامع قواه وكمالاته) واستوى) أي اعتدل في السن وتم استحكامه بانتهاء الشباب ، وهو من العمر ما بين إحدى وعشرين سنة إلى اثنين وأربعين ، فتم بسبب ذلك في الخلال الصالحة التي طبعناه عليها ؛ وقال الرازي : قال الجنيد : لما تكامل عقله ، وصحت بصيرته ، وصلحت نحيرته ، وآن أوان خطابه أنتهى .

أي وصار إلى الحد الذي لا يزاد الإنسان بعده غريزة منالعرائز لم تكن فيه أيام الشباب ، بل لا يبقى بعد

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٣٠/٤

ذلك إلا الوقوف ثم النقصان) آتيناه (اي خرقا للعادة أسوة إخوانه من الأنبياء ابتداء غرائز منحناه إياها من غير اكتساب أصلا) حكما) أي عملا محكما بالعلم) وعلما (اي مؤيدا بالحكمة ، تهيئة لنبوته ، وإرهاصا لرسالته ، جزيناه بذلك على ما طبعناه عليه من الإحسان ، فضلا منا ومنه ، واختار الله سبحانه هذا السن للإرسال ليكون – كما أشير إليه – من جملة الخوارق لأنه يكون به ابتداء الانتكاس الذي قال تعالى فيه) ومن نعمره – أي إلى اكتمال سن الشباب – ننكسه في الخلق) أي نوقفه ، فلا يزاد بعد ذلك في قواه الظاهرة ولا الباطنة شيء ، ولا توجد فيه غريزة لم." (١)

" صفحة رقم ٥١٨

كذا ، وفيه التعرض للسبب فقال : (إذ قال له (وقال : (قومه (إشارة إلى تناهي بغية بافتخاره وكبره على أقاربه الذين جرت العادة أن لا يغضب كلامهم ولا يؤرث التعزر عليهم ولا يحمل إلا على النصح والشفقة ، وساغت نسبة القول للكل وإن كان القائل البعض ، بدليل ما يأتي ، إما عدا للساكت قائلا لرضاه به لأنه مما لا ياباه أحد ، وإما لأن أهل الخير هم الناس ، ومن عداهم عدم : (لا تفرح) أي لا تسر سرورا يحفر في قلبك فيتغلغل فيه فيحرقك إلى الأشر والمرح ، **فإن الفرح بالعرض** الزائل يدل على الركون إليه ، وذلك يدل على نسيان الآخرة ، وذلك على غاية الجهل والطيش وقلة التأمل للعواقب ، فيجر إلى المرح فيجر إلى الهلاك ، قال الرزاي : **ومن فرح بغير** مفروح به استجلب حزنا لا انقضاء له ، وعللوا نهيهم له بما يفهم أشد الشفقة والمحبة فقالوا مؤكدين لاستبعاد من يرى تواصل النعم السارة على أحد أن يكون غير محبوب : (إن الله) أي الذي له صفات الكمال فلا شيء أجل منه ، فبه ينبغي أن يفرح) لا يحب) أي لا يعامل معاملة المحبوب) الفرحين) أي الراسخين **في الفرح بما** يفنى ، فإن فرحهم يدل على سفول الهمم .

ولما كان **ترك الفرح سببا** للزهد ، وهو سبب القرب إلى الله ، كان كأن قيل : وازهد فيه إن الله يحب الزاهدين) وابتغ) أي اطلب طلبا تجهد نفسك فيه) فيما آتاك الله) أي الملك الأعظم الذي له الأمر كله من هذه الأموال حال تمكنك) الدار الآخرة (بإنفاقه فيما يحبه الله بحيث يكون ابتغاؤك ذلك مظروفا له فيكون كالروح والمؤتى كالجسد ليكون حيا بذلك الابتغاء ، فلا يكون منه شيء بغير حياة ، فإن فعلك لذلك يذكرك أن هذه الدار دار قلعة وارتحال ، وكل ما فيها إلى زوال ، وذلك يوجب الزهد في جميع ما فيها من الأموال .

ولما كان ذلك شديد المشقة على النفوس مع ما فيه من شائبة الاتهام قالوا : (ولا تنس) أي تترك ترك

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٤٧٠

الناسي) نصيبك من الدنيا (ترك المنسي ، بل استعمل المباحات من المآكل والملابس والمناكح والمساكن وما يلائمها ، وليكن استعمالك لذلك كما دل عليه السياق من غير إسراف ولا مخيلة توجب ترك الاتصاف بالإنصاف ؛ وعن علي رضي الله عنه : ولا تنس صحتك وقوتك ونشاطك وغناك أن تطلب به الآخرة .
ولما أطلق له الاقتصاد في التمتع بالزاد ، وكانت النفس مجبولة على الشره ، فإذا أذن لها من الدنيا في نقير جعلته أكبر كبير ، أتبعوا ذلك ما لعله يكف من شرهها فقالوا : (وأحسن) أي أوقع الإحسان بدفع المال إلى المحاويج ، والإنفاق في جميع الطاعات) كما أحسن الله) أي الجامع لصفات الكمال ، المتردي برداء العظمة والجلال) إليك (بأن تعطي عطاء من لا يخاف الفقر كما أوسع عليك .." (١)

" صفحة رقم ٥٧٧

مع الإشارة إلى أن الاعتراف بهذا الاسم كاف في الإلزام بالاعتراف بالأخرى .
ولما كان مقصود السورة الحث على الجهاد والنهي عن المنكر ، وكان في معرض سلب العقل عنهم ، قدم اللهو لأن الإعراض عنه يحسم مادة الشر فإنه الباعث عليه فقال : (إلا لهو) أي شيء يلهي عما ينفع) ولعب (يشتغل به صبيان العقول ، وكل غافل وجهول ، فإن اللهو كل شيء من شأنه أن يعجب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء وغيره ، فيحصل **به فرح وزيادة** سرور ، فيكون سببا للغفلة والذهول والنسيان والشغل عن استعمال العقل في اتباع ما ينجي في الآخرة فينشأ عنه ضلال – على ما أشارت غليه آية لقمان

٧٧ ( ) ليشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ( ) ٧

[آية : ٦] ومنه اللعب ، وهو فعل ما يزيد النفس في دنياها سرورا كالرقص بعد السماع وينقض بسرعة لأنه ضد الجد ومثل الهزل ، وهو كل شيء سافل ، وكل باطل يقصد به زيادة البسط والترويح والتمادي في قطع الزمان فيما يشتهي من غير تعب ، واللعبة – بالضم : التمثال ، وما يلعب به كالشطرنج ، والأحمق يسخر به ، ولعب لعبا : مرح ، وفي الأمر والدين : استخف به .
ولما كانوا ينكرون الحياة بعد الموت ، اخبر على سبيل التأكيد أنه لا حياة غيرها فقال : (وإن الدار الآخرة لهي) أي خاصة) الحيوان) أي الحياة التامة الباقية العامة الوافية نفسها من حيث أنه لا موت فيها ولا فناء لشيء من الأشياء ، ولذلك اختير هذا البناء الدال على المبالغة ، وحركته مشعرة بما في الحياة من مطلق الخحركة والاضطراب ، فلا انقضاء لشيء من لعبها زلا لهواها الذي لا يوافق ما في الدنيا إلا في

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥١٨

الصورة فقط لا في المعنى ، لأنه ليس فيها شيء سافل لا في الباعث ولا في المبعوث إليه ، بل كان ذلك بالتسبيح والتقديس وما يترتب عليه من المعارف والبسط والترويح ، والانشراح والأنس والتفريح .
ولما كانوا قد غلطوا في الدارين كلتيهما فأنزلوا كل واحدة منهما غير منزلتها ، فعدوا الدنيا وجودجا دائما على هذا الحالة والآخرة عدما ، لا وجود لها بوجه ، قال : (لو كانوا) أي كونا هو كالجبلة) يعلمون) أي لهم علم ما لم يغلطوا في واحدة منهما فلم يركبوا مع إيثارهم للحياة وشدة نفرتهم من الموت ، لا عتقادهم أن لا قيام بعده إلى الدنيا ، مع أن أصلها عدم الحياة الذي هو الموتان .
ولما ختم هذه الآية بما أفهم أنهم لا يعلمون ، والتي قبلا بأن أكثرهم لا يعقلون ، سبب عن ذلك قوله : (فإذا) أي فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم أنهم إذا) ركبوا) أي البحر) في الفلك (اي السفن) دعوا الله) أي الملك الأعلى المحيط بكل." (١)
" صفحة رقم ٥٨٣
أهل فارس وإخبار الله تعالى بإدالة الروم فتنة يعرف بها الثابت من المزلزل ، وكان من له كتاب أحسن حالا في الجملة ممن لا كتاب له ، افتتحت هذه بتفصيل ذلك تصريحا بعد أن اشار إليه بالأحرف المقطعة تلويحا غيبا وشهادة ، دلالة على وحدانيته وإبطال الشرك ، فأثبت سبحانه أن له جميع الأمر وأنه يسر المؤمنين بنصرة من له دين صحيح الأصل ، وخذلان أهل العراقة في الباطل والجهل ، وجعل ذلك على وجه يفيد نصر المؤمنين على المشركين ، فقال مبتدئا بما أفهمه كونه مع المحسنين مع أنه ليس مع المسيئين : (غلبت الروم) أي لتبديلهم دينهم غلبهم - الفرس في زمن أنوشروان أو بعده) في أدنى الأرض) أي أقرب ارضهم غلى ارضكم ايها العرب ، وهي في أطراف الشام ، وفي تعيين مكان الغلب على هذا الوجه - بشارة للعرب بأنهم يغلبونهم إذا وافقوهم ، فإن موافقتهم لهم تكون في مثل ذلك المكان .
وقد كان كذلك بما كشف عنه الزمان ، فكأنه تعالى يقول لمن فرح من العرب بنصر أهل فارس على الروم لنكاية المسلمين : اتركوا هذا السرور الذي لا يصوب نحوه من له همة الرجال ، وأجمعوا أمركم وأجمعوا شملكم ، لتواقعوهم في مثل هذا الوضع فتنصروا عليهم ، ثم لا يقاومونكم بعدها أبدا ، فتغلبوا على بلادهم ومدنهم وحصونهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم .
وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما أعتب سبحانه أهل مكة ، ونفى عليهم قبح صنيعهم في التغافل عن الاعتبار بحالهم ، وكونهم - مع قلة عددهم - قد منع الله بلدهم عن قاصد نبهه ، وكف ايدي العتاه

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٧٧

والمتمردين عنهم مع (تعاور) أيدى المنتهين على من حولهم ، وتكرر ذلك واطراده صونا منه تعالى لحرمه وبيته ، فقال تعالى :

٧٧ ( ) أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويخطف الناس من حولهم ( ) ٧

[العنكبوت : ٦٧] أي ولم يكفهم هذا في الاعتبار ، وتبينوا أن ذلك ليس عن قوة منهم ولا حسن دفاع ، وإنما هو بصون الله إياهم بمجاورة بيته وملازمة أمنه مع أنهم أقل العرب ، أفلا يرون هذه النعمة ويقابلونها بالشكر والاستجابة قبل أن يحل بهمنقمة ، ويسلبهم نعمه ، فلما قدم تذكارهم بهذا ، أعقب بذكر طائفة هم أكثر منهم وأشد قوة وأوسع بلادا ، وقد ايد عليهم غيرهم ، ولم يغن عنهم انتشارهم وكثرتهم ، فقالت : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض (الآيات ، فكر تعالى غلبة غيرهم لهم ، وأنهم ستكون لهم كرة ، ثم يغلبون ، وما ذلك إلا بنصر الله من شاء من عبيده) ينصر من يشاء (فلو كشف عن إبصار من كان بمكة من الكفار لرأوا أن اعتصام بلادهم وسلامة ذرياتهم وأولادهم مما سلط على من حولهم." [١]

" صفحة رقم ٥٩٦

راد لأمره ، لأهل الكتاب عامة ، نصرهم على المشركين في غزوة بدر وهو المقصود بالذات ، ونصر الروم على فارس لتصديق موعود الله ونصر من سيصير من أهل الكتاب الخاتم من مشركي العرب على الفرس في وقعة ذي قار ، فقد وقع الفرح بالنصر الذي ينبغي إضافته إلى الله تعالى وهونصر أهل الدين الصحيح اصلا وحالا ومالا ، وسوق الكلام على هذا الوجه الذي يحتمل الثلاثة من بدائع الإعجاز ، وسبب وقعة ذي قار أنه كان أبرويز هذا – الذي غلب الروم ثم غلبته الروم – قد غضب على النعمان بن المنذر ملك العرب ، فأتى النعمان هذا هانيء بن مسعود بن عامر الشيباني ، فاستودعه ماله وأهله وولده وألف شكة ، أو أربعة آلاف شكة – والشكة بكسر المعجمة وتشديد الكاف : السلاح كله – ووضع وضائع عند أحياء العرب ثم هرب فأتى طيئا لصهره فيهم ، وكانت عنده فرعة بنت سعيد بن حارثة بن لأم وزينب بنت أوس بن حارثة بن ل أم ، فأبوا أن يدخلوه حبلهم وأتته بنو رواحة بن ربيعة بن عبس فقالوا له : أبيت اللعن اقم عندنا فإنا مانعوك مما نمنع منه أنفسنا ، فقال : ما أحب أن تهلكوا بسبب فجزيتم خيرا ، ثم خرج حتى وضع يده في يد كسرى فحبسه بساباط ، وقال ابن مسكويه : بخانقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه ، قال : والناس يظنون أنه مات بساباط ، والصحيح ما حكيناه .

فلما مات النعمان جعلت بكر بن وائل تغير في السواد ، فغضب من ذلك كسرى ، ثم بعث غلى هانيء

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٨٣/٥

بن مسعود يقول له : إن النعمان إنما كان عاملي ، وقد استودعك ماله وأهله وحلقته فابعث إلي بها ولا تكلفني ن أبعث إليك وإلى قومك بالجنود فتقتل المقاتلة وتسبي الذراري ، فبعث إليه هانيء أن الذي بلغك باطل ، وما عندي شيء ، وإن يكن الأمر كما قيل فإنما أنا أحد الرجلين : إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها على من استودعها ولن يسلم الحر أمانته ، أو رجل مكذوب عليه وليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول عدو أو حاسد .

وكانت الأعاجم لهم قوة وحلم ، وكانوا قد سمعوا ببعض حلم العرب ، وأن الملك كائن فيهم ، فلما ورد عليه كتاب هانيء بهذا حملته الشفقة أن يكون ذلك قد اقترب على ان خرج بنفسه ، فأقبل حتى قكع الفرات فنزل غمر بني مقاتل ، وقد أحنقه ما صنعت بكر بن وائل في السواد ومنع هانيء إياه ما منعه ، ودعا كسرى إياس بن قبيصة الطائي وكان عامله على عين التمر وما والاها ، فاستشاره في الغرة على بكر بم وائل فقال له إياس : إن الملك لا يصلح أن يعصيه أحد من رعيته ، وإن تطعني لم يعلم أحد لأي شيء عبرت وقطعت الفرات ، فيرون أن أمر العرب قد كربك ، ولكن ترجع وتضرب عنهم وتبعث عليهم العيون حتى ترى منهم غرة ثم ترسل حينئذ كتيبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ، ." (١)

" صفحة رقم ٦٢٧

بل هم أسرى الهوى المبني على محض الجهل ، وكان قد صرح بذلك عقب العديل الأول ، لمح هنا ، وترك التصريح به لإغناء الأول عنه ، واستدل عليه بدليل خالفوا فيه العادة المستمرة ، والدلالة الشهودية المستقرة ، فقال عاطفا على) وإذا مس (دالا عل خفة أحلامهم من وجه آخر غير الأول : (وإذا (معبرا بأداة التحقيق إشارة إلى أن الرحمة أكثر من النقمة ، وأسند الفعل إليه في مقام العظمة إشارة إلى سعة جوده فقال : (أذقنا (وجرى الكلام على النمط الماضي في العموم لمناسبة مقصود السورة في أن الأمر كله له في كل شيء فقال : (الناس رحمة (اي نعمة من غنى ونحوه لا سب لها إلا رحمتنا) فرحوا بها (اي فرح مطمئن بطر آمن من زوالها ، ناسين شكر من أنعم بها ، وقال : (وإن (بأداة الشك دلالة على أن المصائب اقل وجودا / وقال : (تصبهم (غير مسند لها إليه تأديبا لعباده وإعلاما بغزير كرمه) سيئة) أي شدة تسوءهم من قحط ونحوه .

ولما كانت المصائب مسببة عن الذنوب ، قال منبها لهم على ذلك منكرا قنوطهم وهم لا يرجعون عن المعاصي التي عوقبوا بسببها : (بما قدمت أيديهم) أي من المخالفات ، مسندا له إلى اليد لأن أكثر

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٩٦

العمل بها) إذا هم) أي بعد ما ساءهم وجودها مساءة نسوا بها ما خولوا فيه من النعم وجملوا له من ملابس الكرم) يقنطون) أي فاجاؤوا البأس ، مجددين له في كل حين من أحيان نزولها وإن كانوا يدعون ربهم في كشفها ويستعينونه لصفها مع مشاهدتهم لضد ذلك في كلا الشقين في أنفسهم وغيرهم متكررا ، ولذلك أنكر عليه عدم الرؤية دالا بواو العطف أن التقدير : إلم يروا في أنفسهم تبدل الأحوال ، قائلا : (أولم يروا (اي بالمشاهدة والإخبار رؤية متكررةن فيعلموا علما هو في ثباته كالمشاهد المحسوس ، وعبر بالرؤية الصالحة للبصر والبصيرة لأن مقصود السورة إثبات الأمر كله لله ، ول‍ا يكفي فيه إلا بذل الجهد وإمعان النظر ، والسياق لذم القنوط الذي يكفي في بقية المشاهدة لاختلاف الأحوال ، بخلاف الزمر التي مقصودها الدلالة على صدق الوعد الكافي فيه مطلق العلم .

ولما كان في البسط والقبض جمع بين جلال وجمالن لفت الكلام بذكر الاسم الجامع فقال : (أن الله (بجلاله وعظمته) يبسط الرزق) أي يكثره) لمن يشاء (اي من عباده منهم ومن غيرهم) ويقدر (اي يضيق ، وإن هذا شأنه دائما مع الشخص الواحد في أوقات متعاقبة متباعدة ومتقاربة ، ومع الأشخاص ولو في الوقت الواحد ، فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه لم يبطروا ، ولو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا ، بل كان حالهم الصبر في البلاء ، والشكر في الرخاء ، والإقلاع عن الشيئة التي نزل بسببها القضاء ، فقد عرف."
(١)

" صفحة رقم ٥٣٩

) بغير الحق (فأشعر أن السرور لا ينبغي إلا إذا كان مع كمال هذه الحقيقة ، وهي الثبات دائما للمفروح به ، وذلك لا يكون إلا في الجنة) وبما) أي وبسبب ما)كنتم تمرحون) أي تبالغون في الفرح ما الأشر والبطر والنشاط الموجب الاختيال والتبختر والخفة بعدم احتمال الفرح .

ولما كان السياق لذم الجدال ، وكان الجدال إنما يكون عن الكبر ، وكان الفرح غير ملازم للكبر ، لم يسبب دخول النار عنه ، بل جعله كالنتيجة لجميع ما مضى فقال : (ادخلوا) أي أيها المكذبون .

ولما كان في النار أنواع من العذاب ، دل على تعذيبهم بكل نوع بذكر الأبواب جزاء على ما كانوا يخوضون بجدالهم في كل نوع من أنواع الأباطيل فقال : (أبواب جهنم) أي الدركة التي تلقي صاحبها بتكبر وعبرسة وتجبهم) خالدين فيها) أي لازمين لما شرعتم فيه بالدخول من الإقامة لزوما لا براح منها أصلا .

ولما كانت نهاية في ا‍لبشاعة والخزي والسوء ، وكان دخولهم فيها مقرونا بخلودهم سببا لنحو أن يقال :

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٦٢٧

فهي مثواكم ، تسبب عنه قوله : (فبئس مثوى (دون أن يقال : مدخل) المتكبرين) أي موضع إقامتهم المحكوم بلزومهم إياه لكونهم تعاطوا ما ليس لهم ، ولا ينبغي أن يكون إلا الله يقول الله تعالى : (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعنيهما قصمته) ولم يؤكد جملة) بئس (هنا لأن مقاولتهم هذه بنيت على تجدد علمهم في الآخرة بأحوال النار ، وأحوال ما سببها ، والتأكيد يكون للمنكر ومن في عداده ، وحال كل منهما مناف للعلم ، وزاد ذلك حسنا أن أصل الكرم من الأعلم للسر الذي تقدم - ثلى الله عليه وسلم فبعد جدا من التأكيد .

ولما كان هذا في الجزاء أعظم الشماتة بهم ، فكان فيهم أعظم التسلية لما جادلوه وتكبروا عليه ، سبب عنه قوله : (فاصبر) أي ارتقابا فيهم أعظم التسلية لمن جادلوه وتكبروا عليه ، سبب عنه قوله : (فاصبر) أي ارتقابا لهذه النصرة ، ثم علل بقوله مؤكدا لأجل تكذيبهم بالوعد : (إن وعد الله) أي الجامع لصفات الكمال) حق) أي في نصرتك في الدارين فلا بد من وقوعه ، وفيه أعظم تأسية لك ولذلك سبب عنه مع صرف القول إلى ما يأتي الاعتراض إشارة إلى أنه لا يسأل عما يفعل ، قوله تعالى : (فإما نرينك (وأكده ب (ما) والنون ومظهر العظمة لأنكارهم لنصرته عليهم ولبعثهم) بعض الذي نعدهم) أي بما لنا من العظمة مما يسرك فيهم من عذاب أو متاب قبل وفاتك ، فذاك إلينا وهو علينا هين .." [1]

" صفحة رقم ٥٤٤

الحياة الدنيا وقناعة بالفاني كما قال التي قبلها

٧٧ ( ) ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم ( ) ٧

[الزمر : ٤٩] وكما قال قارون لما قيل له) وأحسن كما أحسن الله إليك (: (قال) : (إنما أوتيته على علم عندي (وفرحهم به لأداهم إلى التوسع في الدنيا والتلذذ بما واستهزوا بما اتتهم به الرسل من علم الباطن الداعي إلى الإعراض عن الفاني والإقبال على الباقي والخوف مما بعد الموت من الأمور الغائبة والأهوال الآتية والكوائن العظيمة المستورة بحجاب هذه الحياة الدنيا الواهي ، على ما فيها من الذوات والمعاني والأحوال والأوجال والدواهي ، والذي حركهم إلى الفرح بما عندهم هو ما هم فيه من الزهرة مع ما يرون من تقلل الرسل وأتباعهم من الدنيا ، وإسراع المصائب إليهم ، وكثرة ما يعانون من الهموم والأنكاد ، ويكابدونه من الأنداد والأضداد ، فاشتد استهزاؤهم بهم وبما أتوا به من بعدهم ذلك محالا وباطلا وضلالا ، وكانوا لا ينفكون من فعل الفرح الأشر البطر بالتضاحك والتمايل كما قال الله تعالى) فلما جاءهم إذا هم منها

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٣٩/٦

يضحكون (ونصبوا للرسل واتباعهم المكايد ، وأحاطوا بهم المكر والغوايل ، وهموا بأخذهم فأنجينا رسلنا ومن آمن بهم منهم وأتيناهم بما أزال فرحهم ، وأطال غمهم وترحهم) وحاق) أي أحاط على وجه الشدة) بهم بما كانوا) أي عادة مستمرة .

ولما كان استهزائهم بالحق عظيما جدا ، عد استهزائهم بغيرة عدما ، وأشار إلى ذلك بتقديم الجال فقال : (به يستهزؤون (من الوعيد الذي كانوا قاطعين ببطلانه فعلم قطعا أنه إنما يفرح من العلم بما تضمن النجاة والسعادة الأبدية على أن سوق الكلام هكذا مليء بالاستهزاء بهم والتهكم عليهم لأنهم نصبوا العالم المطيق المنطيق الذي إذا غلب خصمه فأسكته وألقمه الحجر فأخرسه وأفحمه بواضح الحجة وقويم المحجة ظهر عليه السرور **وغلبه الفرح فإن** عاند خصمه ووقف مع وهمه استهزأ به وتضاحك منه – هذا مع ما عنده من عمايات الجهل التي لا يكفرون على إنكارها بدليل اعتراف هؤلاء الذين أرسل إليهم هذا النبي الكريم أن أهل الكتاب أعلم منهم ، فكانوا يوجهون ركابهم إلى اليهود يسألونهم عن أمرهم وأمره على أنه قد أتاهم بما يعلي به قدرهم على أهل الكتاب ، ويجعلهم المخصوصين بالسيادة على مر الأحقاب ، وهم يأبون بمجادلتهم بالباطل إلا سفولا وإعراضا عن الصواب ، وعدولا ونكوصا ونكولا ، والآية مرشدة إلى أنه لا يتعلم إلا من ظن من نفسه القصور ، ولهذا كل أقبل شيء للعلم الصغار ، والآية من الاحتباك : **إثبات الفرح أولا** دليل عل حذف ضده ثانيا ، وإثبات الاستهزاء ثانيا دليل على حذف مثله أولا .

ولما كانت هذه السورة في بيان العزة التي هي نتيجة كمال العلم وشمول القدرة ، ." [(١)]

" صفحة رقم ٥٦٢

الثامنة يكون الفتح الحقيقي بعشرة آلاف مقاتل أكثرهم دارع لا يرى منهم إلا الحدق ، حتى خالوا بياض لأمهم السراب ، فظنوا بهم غاية العذاب ، فكانوا رحمة ، وعاد رأوا السحاب فظنوه رحمة فكان عذابا ونقمة ، ووصفها بالنحس مبالغة مثل رجل عدل ليدل على أنها كانت قابلة لانفعال الجسد وما كان فيه من القوى بهذه الريح ، وهو مصدر جمع لاختلاف أنواع النحس فيها – هذا على قراءة الجماعة بسكون الحاء ، وأما قراءة ابن عامر والكوفيين بكسر الحاء فهي صفة من فعل بالكسر مثل **: فرح فهو** فرح ، وأول هذه الأيام الأربعاء في قول يحيى بن سلام ، وقال غيره : وما عذب قوم إلا يوم الأربعاء) لنذيقهم (وأضاف الموصوف إلى صفته على المبالغة من وادي رجل عدل فقال : (عذاب الخزي) أي الذي يهيئهم ويفضحهم ويذلهم بما تعظموا وافتخروا على كلمة الله التي أتتهم بما رسله ، وصف العذاب بالخزي الذي هو للمعذب

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٤٤/٦

به مبالغة في إخزائه له) في الحياة الدنيا (ليذلوا عند من تقيد بالوهم) ولعذاب الآخرة (الذي أعد للمتكبرين) أخزى) أي أشد إخزاء كما قالوا : هو أعطاهم للدراهم وأولادهم للمعروف ، وأكد لإنكارهم له .

ولما انتفت مدافعتهم عن أنفسهم ، نفى دفع غيرهم فقال : (وهم) أي أصابهم هذا العذاب وسيصيبهم عذاب الآخرة والحال أنهم) لا ينصرون) أي لا يوجد ولا يتجدد لهم نصر أبدا بوجه من الوجوه .

فصلت : (١٧ - ٢١) وأما ثمود فهديناهم. .. . .

) وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعدآء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جآءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (( )

ولما أنهى أمر صاعقتهم ، شرع في بيان صاعقة ثمود فقال : (وأما ثمود (وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام) فهديناهم) أي بينا لهم طريق الهدى من أنا قادرون على البعث وعلى كل شيء فلا شريك لنا ، وكان بيان ذلك بالناقة غاية البيان فأبصروا ذلك بأبصارهم التي هي سبب أبصار بصائرهم غايه الإبصار ، فكرهوا ذلك لما يلزمه من الناشئ عن عمى اليصر أو البصيرة أو هما معا) على الهدى) أي أوجدوا من الأفعال والأقوال ما يدل على حب ذلك وعلى طلب حبه فعموا فضلوا ، وقال القشيري : قيل :." [1]

" صفحة رقم ٦٤٤

أي مكررين مما اعتراهم من الدهش وغلب على قلوبهم من الوجل : (هل إلى مرد) أي رد إلى دار العمل وزمانه مخلص من هذا العذاب) من سبيل (.

الشورى : (٤٥ - ٤٨) وتراهم يعرضون عليها. .. . .

) وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أوليآء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فإن أعرضوا فمآ أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنآ إذآ أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (( )

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٦٢/٦

ولما أثبت رؤيتهم العذاب ، أثبت دنوهم من محله وبين حالهم في ذلك الدنو فقال : (وتراهم) أي يا أكمل الخلق ويا أيها المتشوف إلى العلم بحالهم بعينك حال كونهم) يعرضون) أي يجدد عرضهم ويكرر ، وهو إلجاؤهم إلى أن يقارنوها بعرضهم الذي يلزم محاذاتهم لها ايضا بطولهم ليعلموا أنها مصيرهم فلا مانع لها منهم) عليها) أي النار التي هي دار العذاب مكررا عرضهم في طول الموقف مع ما هم فيه من تلك الأهوال بمقاساة ما عليهم من الأحمال الثقال حال كونهم) خاشعين) أي في غاية الضعة والإلقاء باليد خشوعا هو ثابت لهم .

ولما كان الخشوع قد يكون محمودا قال : (من الذل (لأنهم عرفوا إذ ذاك ذنوبهم وانكشفت لهم عظمة من عصوه .

ولما كان الذل ألوانا ، صوره بأقبح صورة فقال معبرا بلفظ النظر الذي هو مماسة البصر لظاهر المبصر : (ينظرون) أي يبتدئ نظرهم المتكرر) من طرف) أي تحريك للأجفان) خفي (يعرف فيه الذل لأنه لا يكاد من عدم التحديق يظن أنه يطوف لأنهم يسارقون النظر مسارقة كما ترى الإنسان ينظر إلى المكاره ، والصبور ينظر إلى السيف الذي جرد له فهو بحيث لا يحقق منظورا إليه ، بل ربما تخليه بأعظم مما هو عليه .

ولما صور حالهم وكان من أفظع الأشياء وأقطعها للقلوب شماتة العدو ، قال مبشرا لجميع أصناف أهل الإيمان ورادعا لأهل الكفران : (وقال) أي في ذلك الموقف الأعظم على سبيل التعبير لهم والتبكيت والتوبيخ والتقريع) الذين آمنوا) أي أوقعوا هذه الحقيقة سواء كان إيقاعهم لها في أدنى الراب أو أعلاها عند رؤيتهم إياهم على هذا الحال ، مؤكدين لتحقيق مقالهم عند من قضى بضلالهم والإعلام بما لهم من السرور بصلاح." (١)

" صفحة رقم ٦٤٧

حكم له على الطباع وأن الذي عليه إنما هو الإسماع لا السماع ، فقال عاطفا على ما قبل آية الشرع من قوله) يبسط الرزق لمن يشاء (حاكيا له في أسلوب العظمة تنبيها على أنه الذي حكم عليهم بالإعراض عما هو جدير بأن لا يعرض عنه عاقل ، وإيماء إلى أن الإنسان لغلبه جهله وقلة عقله يجترئ بأدنى تأنيس على من تجسد الجبال لعظمته وتندك الشوامخ من هيبته : (وإنا إذا أذقنا (بعظمتنا التي لا يمكن مخالفتها .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٤٤/٦

ولما كان من يفرح بالنعمة عند انفراده بها مذموما ، عبر بالجنس الصالح للواحد فما فوقه تنبيها على أن طبع الإنسان عدم الاهتمام بشدائد الإخوان إلا من أقامه الله في مقام الإحسان فقال : (الإنسان) أي بما جبلناه عليه من النقص بالعجلة وعدم التمالك) منا رحمة) أي نوعا من أنواع الإكرام من صحة أو غنى ونحو ذلك ، وأفرد الضمير إشارة إلى أنه مطبوع على أنه ليس عليه إلا من نفسه ولو كان أهل الأرض كلهم على غير ذلك ، وكذا عبر بالإنسان فقال : (فرح بها) أي ولو أن أهل الأرض كلهم على غير ذلك ، وكذا عبر بالإنسان فقال : (فرح بها) أي ولو أن أهل الأرض كلهم في نقمة وبؤس وعمى فأخرجه الفرح عن تأمل ما ينفعه ليشكر ، فكان ذلك لذلك كافرا للنعمة لأنه أبدل الشكر بالفرح والكفر فتوصل بالعافية إلى المخالفة ، فأوقع نفسه في أعظم البلاء .

ولما دل باداة التحقق على أن النعمة هي الاصل لعموم رحمته ، وأنها سبقت غضبه ، دل على أن السيئة قليلة بالنسبة إليها باداة الشك والمضارع فقال : (وإن (ولما كانت المشاركة في الشدائد تهون المصائب ، فكان من يزيد غمه بخصوص مصيبته عند العموم مذموما ، نبه على نقص الإنسان بذلك بالجمع فقال : (تصبهم سيئة) أي نقمة وبلاء وشدة .

ولما كانت الرحمة فضلا منه ، أعلمهم أن السيئة مسببة عنهم فقال : (بما قدمت أيديهم (وعبر باليد عن الجملة رأن اكثر العمل بها .

ولما كان الجواب على نهج الأول : حزنوا فكفروا ، وعدل عنه إلى ما يدل على أن جنس الإنسان موضع الكفران ، ولما كانوا يدعون الشكر وينكرون الكفر ، أكد قوله وسبب عن تلك الإصابة والإذاقة معا إشارة إلى أنه لا اصل لغيرهما ، فقال مظهرا موضع الضمير لينص على الحكم على الجنس من حيث هو : (فإن الإنسان) أي الآنس بنفسه المعرض من غيره بما هو طبع له بسبب مسه بضر) كفور) أي يبلغ الستر للنعم نساء له ، ينسى بأول صدمة من النقمة جميع ما تقدم له من النعم ، ولا يعرف إلا الحالة الراهنة ، فإن كان في نعمه أشر وبطر ، وإن كان في نقمه أيس وقنط ، وهذا حال الجنس من حيث هو ، ومن وفقه الله جنبه ذلك كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) .

وليس ذلك إلا المؤمن ، والآية من الاحتباك : فكر الفرح أولا دالا على الحزن ثانيا ، وذكر الكفران ثانيا دال على حذفه أولا .." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٦٤٧

" صفحة رقم ٤٧

قال مرقس : ومن قبلني فليس يقبلني فقط بل والذي أرسلني ، وقال لوقا : ومن قبلني فقد قبل الذي أرسلني ، والذي هو الصغير فيكم هو الأكبر ، قال متى : ومن شك أحد هؤلاء الصغاؤ الؤمننين فخير أن يعلق حجر الرحى في رقبته ، ويغرق في البحر ، الويل للعالم من الشكوك لكمن الويل للأإنسان الذي يأتي منه الشكوك ، إن شكتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة وأنت أعرج أو أعشم من أن يكون لك يدان أو رجلان وتلقى في نار الأبد ، وقال مرقس : وتذهب إلى جهنم حتى لا تطفأ نارها ولا يموت دورها – انتهى .

وإن شكتك عينك فاقلعها وألقها عنك فخير لك أن تدخل الحياة بعين واحدة من أن يكون لك عينان وتلقى في جهنم ، وقال مرقس : وكل شيء بالنار يملح وكل ذبيحة تملح بالملح جيد هو الملح ، فإن فسد الملح فبما ذا يملح فليكن فيكم الملح ، ويكون سلام بعضكم بعضا ، وقال لوقا : ثم قال : من أجل أقوام يقولون : إنهم صديقون ويحقرون البقية ، هذا المثل رجلان صعدا إلى الهيكل ليصليا ، أحدهما فريسي والآخر عشار ، فأما الفريسي فإنه كان يصلي بهذا في نفسه : اللهم إني أشكرك لأني لست مثل سائر الناس العاصين الظلمة الفجار ، ولا مثل هذا العشار ، فكان قائما من بعيد ولا يرى أن يرفع عينيه إلى السماء ، وكان يضرب على صدره ويقول : اللهم اغفر لي فإني خاطئ ، أقول لكم : إن هذا نزل إلى بيته أمر من ذلك لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ولك من يضع نفسه يرتفع ، ثم قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم ، فلما نظرهم التلاميذ نهروهم فقال : دعوا الصبيان يأتوا إلي ولا تمنعوهم لأن ملكوت الله لمثل هؤلاء ، الحق أقول لكم ، إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها ، وقال متى : انظروا لا تحقروا أحد هؤلاء الصغار ، لم يأت ابن الإنسان إلا ليطلب ويخلص من كان ضالا ، ماذا تظنون إذا كان الإنسان مائة خروف فضل منها واحد ليس يترك التسعة والتسعين في الجبل ، ويمضي يطلب الضال ؟ وقال لوقا : حتى يجده ، الحق أقول لكم ، إنه يفرح به أكثر من التسعة والتسعين التي لم تضل ، هكذا ليس مشيئة ربي الذي في السموات أن يهلك أحد من هؤلاء الصغار ، وقال لوقا : ودنا منه العشارون والخطأة ليسمعوا منه فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين : هذا يقبل الخطأة ويأكل معهم ، فقال لهم : أي رجل منكم له مائة خروف فيتلف واحد منها ليس يترك التسعة والتسعين في البرية ويمضي إلى الضال حتى يجده ، فإذا وجده حمله على منكبيه فرحا ، ويأتي به إلى بيته ويدعو أصدقاءه وجيرانه ويقول لهم : افرحوا معي لوجودي خروفي

الضال ، أقول لكم : إنه **يكون فرح في** السماء بخاطيء واحد يتوب أكثر من التسعة والتسعين الصديق الذين لا يحتاجون إلى توبة ، وأي امرأة لها عشر دراهم يتلف واحد." (١)

" صفحة رقم ٤٨

منها أليس توقد سراجا وتكنس بيتها وتطلبه مجتهدة حتى تجده ، فإذا وجدته دعت أحبابها وجاراتها قائلة : افرحوا لي لوجودي درهمي الضال ، هكذا أقول لكم : **يكون فرح قدام** ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب ، وقال : إنسان له ابنان فقال الأصغر يا أبتاه أعطني نصيبي من مالك فقسم بينهما ماله ، وبعد أيام قليلة جمع الأصغر كل شيء له وسافر إلى كورة بعيده ، وبذر ماله هناك بعيش بذخ ، فملا نفد كل شيء له حدث جوع شديد في تلك الكورة فافتقر وانقطع إلى رجل منها فأرسله إلى حقله يرعى خنازير ، وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله ، فلا يعطى ذلك ، ففكر في نفسه وقال : كم من أجراء أبي يفضل عنهم الخبز وأنا ههنا أهلك جوعا ، أقوم أمضي إلى أبي وأقول : يا أبتاه أخطأت في السماء وبين يديك ، ولست بمستحق أن أدعى لك ابنا لكن اجعلني كأحد أجرائك فجاء إليه فنظره أبوه فتحنن وأسرع واعتنقه وقبله فقال : يا أبتاه أخطأت في السماء وقدامك ، ولست بمستحق أن ادعى لك ابنا ، فقال أبوه لعبيده : قدموا الحلة الأولى وألبسوه وأعطوه خاتما في يده ، وحذاء في رجليه ، وائتوا بالعجل المعلوف واذبحوه ونأكل ونفرح لأن ابني هذا كان ميتا فعاش ، سمع المزاهر واتفاق الأصوات والرقص ، فدعا واحدا من الغلمة وسأله فقال له : إن أخاك قدم ، وذبح أبوك العجل المعلوف ، فغضب ولم يرد أن يدخل ، فخرج أبوه وطلب إليه فقال : كم لي من سنة أخدمك ولم أخالف لك وصية قط ولم تعطني جديا واحد أتنعم به مع أصدقائي ، فلما جاء ابنك هذا الذي أكل مالك مع الزناة ذبحت له العجل المعلوف ، فقال له : يا بني أنت معي في كل حين وفي كل شيء هو لي ، وينبغي لك أن تسر وتفرح لأن أخاك هذا كان متيا فعاش ، وضالا فوجد .

وقال : رجل كان غنيا يلبس الأرجوان وكان يتنعم كل يوم ويلذ ، ومسكين كان اسمه العازر مطروحا عند بابه مضروبا بقروح ، وكان يشتهي أن يشبع من الفتات الذي يسقط من مائدة ذلك الغني ، وكانت الكلام تأتي وتلطع قروحه ، فلما مات ذكل المسكين أخذته الملائكة إلى حصن إبراهيم ، ومات ذلك الغني وقبو فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ، فنظر إبراهيم من بعيد والعازر في حصنه ، فنادى : يا أبتاه إبراهيم ارحمني وأرسل العازر ليبل طرف إصبعه بما يبرد لساني لأني معذب في اللهب ، فقال له إبراهيم : يا ابني

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٧/٧

اذكر أنك قد قتلت جيرانك في حياتك والعازر في بلائه والآن فهو يستريح ههنا وأنت تعذب ، ومع ذلك فبيننا وبينكم أهوية عظيمة نائية لا يقدر أحد على العبور من ههنا إليكم ، ولا من هنا إلينا ، قال له : أسألك يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبي ، فإن خمسة أخوة لكي يناشدهم." (١)

" صفحة رقم ٣٠٣

ولم يعرج على محاجتهم في قولهم هذا تنبيها على أنه من السقوط بمنزلة لا يحتاج معها إلى رد مجادلة ، ثم سبب عن أمره لهم بالتربص قوله : (فإني معكم (وأكده تنبيها على أنه **يرجو الفرح بمصيبتهم** كما **يرجون الفرح بمصيبته** وإن كانت كثرتهم وقوتهم عندهم مانعة من مثل هذا التربص) من المتربصين) أي العريقين في التربص وإن ظننتم خلاف ذلك ، وأشار بالمعية إلى أنه مساو لهم في ذلك وإن ظنوا لكثرتهم وقوتهم ووحدته وضعفه أن الأمر خلاف ذلك ، قال القشيري : جاء في التفسير أن جميعهم – أي الذي تربصوا به – ماتوا ، قال : ولا ينبغي لأحد أن يؤمل نفاق سوقه بموت أحد لتنتهي النوبة إليه فقل من تكون هذه صفته إلا سبقته المنية ، ولا يدرك ما تمناه من الأمنية .

ولما كان قولهم هذا مما لا يقال أصلا وإن قيل على بعده كان قوله كأنه على جهة سبق اللسان أو نحو ذلك ، نبه عليه بمعادلة ما تقديره : أقالوا ذلك ذهولا : (أم تأمرهم) أي نزين لهم تزيينا يصير مآلهم إليه من الانبعاث كالأمر) أحلامهم) أي عقولهم التي يزعمون أنهم اختصوا بجودتها دون الناس بحيث إنه كان يقال فيهم : أولوا الأحلام .

والنهي) بهذا) أي وهم يعتقدون صحته وأنه العدل السواء لأنه متقيدون بالأحلام والنهي على ما فيه من الفساد بالتناقض بعد اختلال كل قول منه على حدته كما تقدم بيانه ، وهو توبيخ عظيم بالإشارة إلى أنه ليست لهم عقول أصلا لقولهم هذا ، فإن الكاهن شرطه أن يكون في غاية المعرفة عندهم حتى أنهم يجعلونه حكما وربما عبدوه ، والمجنون لا يصلح لصالحة لأنه لا يعقل ، والشاعر بعيد الأمر بوزن الكلام وكثرته من سجع الكاهن وغيه وكلام المجنون : (أم هم (بظواهرهم وبواطنهم) قوم) أي ذوو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك) طاغون) أي مجازون للحدود ، وذلك عادة لهم بما أفهمه الوصف ، فهم لذلك لا يبالون بالعناد الظاهر في مخالفته لما تأمر به الأحلام والنهى ، ولا يقوله إلا الطغاة السفهاء مع ظهور الحق لهم ، فهم يقولون الكلام المتناقض غير مبالين بأحد ولا مستحيين من أن ينسبوا إلى العدوان والمبالغة في العصيان ، والآية من الاحتباك : ذكر الأحلام أولا دليلا على ضدها ثانيا ، والطغيان ثانيا على ضده (العدل

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٨/٧

السواء) أولا ، وسره أن ما ذكر أشد تنفيرا من السوء وأعظم تقبيحا له وتحذيرا منه) أم يقولون (ما هو أفحش عارا من التناقض : (تقوله) أي تكلف قوله من عند نفسه كذبا وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون ، وهم على كثرتهم وإلمام بعضهم بالعلم وعرافة آخرين في الشعر والخطب والترسل والسجع يعجزونه عن مثله بل عن مثل شيء منه .

ولما كان الكلام حقيقة في النفس ، وكانوا يعلمون بطلان جميع ما يقولونه من ذلك ، كان التقدير : لم يقولوا شيئا من ذلك حقيقة واعتقادا) بل لا يؤمنون) أي لا يقرون بالحق مع علمه مببطلان قولهم وتناقضه عنادا منهم لا تكذيبا في الباطن .." (١)

" صفحة رقم ٤٥٦

بقوله : (في الأرض) أي من منابتها ومياهها ونحو ذلك) ولا في أنفسكم) أي بموت ومرض وعين وعرض) إلا (هي كائنة) في كتاب) أي مكتوب لأنه مقدر مفروغ من القدم ، وبين أن الكتابة حدثت بعد أن كان هو سبحانه ولا شيء معه بإدخال الجار فقال : (من قبل أن نبرأها) أي نخلق ونوجد ونقدر المصيبة والأرض والأنفس ، وهذا دليل على أن اكتساب العباد يجعله سبحانه وتقديره .

ولما كان ذلك متعذرا على الملخوق فهو أشد شيء تكرها له وقوفا مع الوهم قال مؤكدا : (إن ذلك) أي الأمر الجليل وهو علمه بالشيء وكتبه له على تفاصيله قبل كونه ، ثم سوقه النفوس والأسباب إلى إخراجه بعد التكوين على مقدار ما سبق علمه به وكتبه له) على الله) أي على ما له من الإحاطة بالكمال) يسير (لأن عمله محيط بكل شيء وقدرته شاملة لا يعجزها شيء .

ولما بين هذا الأمر العظيم الدال على ما له سبحانه من الكبرياء والعظمة ، بين ثمرة أعماله بقوله : (لكيلا) أي أعملناكم بأن على ما لنا من العظمة قد فرغنا من التقدير ، فلا يتصور فيه تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير ، لأن الحزن لا يدفعه ، ولا السرور يجلبه ويجمعه ، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن) أجل أن لا) تأسوا) أي تحزنوا حزنا كبيرا زائدا) على (ما في أصل الجبلة ، يوصل إلى المبلغ بتعاطي أسبابه والتمادي فيها ليتأثر عنها السخط وعدم الرضا بالقضاء ، فربما جر ذلك إلى أمر عظيم) ما فاتكم (من المحبوبات الدنيوية) ولا تفرحوا) أي تسروا سرورا يوصل إلى البطر بالتمادي مع ما في أصل الجبلة) بما آتاكم) أي جاءكم منها على قراءة أبي عمرو بالقصر ، وأعطاكم الله على قراءة الباقين بالمد ، وهي تدل على أن النعم لا بد في إيجادها وإبقائها من حافظ ، ثم

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٠٣/٧

إنها لو خليت ونفسها فاتت لأنه ليس من فقد ما لديه من أعيان ومعان قبل أن تأمره بالعدم والوجدان ، فلم يغيره ذلك عن المسابقة المذكورة ، فالمنهي عنه التمادي مع الحزن حتى يخرج عن الصبر **ومع الفرح الصادق** : ما لك تأسف على مفقود ولا يرده إليك الوفت ، وما لك تفرح بوجود ولا يتركه في يدك الموت – انتهى ، ولقد عزى الله المؤمنين رحمة لهم في مصائبهم وزهدهم في رغائبهم بأن أسفهم على فوت المطلوب لا يعيده ، وفرحهم بحصول المحبوب لا." (١)

" صفحة رقم ٤٥٧

يفيدهم ، ولأن ذلك لا مطمع في بقائه إلا بادخاره عند الله ، وذلك بأن يقول في المصيبة : قدر الله وما شاء الله فعل ويصير في النعمة هكذا قضى ، وما أدري ما مثله)) هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ( ) [النمل : ٤٠] فلا يزال خائفا عند النقمة راجيا أثر النعمة ، قائلا في الحالين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأكمل من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه له في كلتا الحالتين كما قال القائل :

سقيا لمعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة بمعهدا

وهذه صفة المتحررين من رق النفئ ، وقيمة الرجال إنما تعرف بالوارادات المغيرة ، فمن لم تغيره المضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته ، أشار إليه القشيري .

ولما كان الإمعان في استجلاب الأسى إنما هو من اليأس ونسيان النعم **وزيادة الفرح الموصل** إلى المرح إنما يجره الكبر والمرح ، وكان في أوصاف أهل الدنيا عاطفا على ما تقديره : (فإن الله لا يحب كل يؤوس كفور ( ) والله لا يحب) أي لا يفعل فعل المحب بأن يكرم) كل مختال) أي متكبر نظر إلى ما في يده في الدنيا) فخور (قال القشيري : الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها ، والفخر من رؤية خطر ما به يفتخر .

الحديد : (٢٤ – ٢٥) الذين يبخلون ويأمرون. .. . . .

) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (( )

من جملة صفات المختال المكاثر بالمال البخل ، وكان قد تقدم الحث على الإنفاق ، وكان ما يوجبه لذة الفخار والاختيال التي أوصل إليها المال حاملة على البخل خوفا من الإقتار الموجب عند أهل الدنيا للصغار

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٥٦/٧

، قال تعالى واصفا للمختال أو) لكل (: (الذين يبخلون) أي يوجدون هذه الحقيقة مع الاستمرار) ويأمرون الناس) أي كل من يعرفونه) بالبخل (إرادة أن يكون لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة فيحامون عنهم أو أنهم يوجبون بأعمالهم من التكبر والبطر في الأموال بأعمالهم الخبيثة البخل استدراجا من الله لهم بخل غيرهم لأنه إذا رأهم عظموا بالمال بخل ليكثر ماله ويعظم ، وذلك كله نتيجة فرحهم بالموجود وبطرهم عند إصابته ، فكانوا آمرين بالبخل لكونهم أسبابا له والسبب كالآمر في إيجاد شيء .." (١)

" صفحة رقم ١٣٦

حب الدنيا لأنه لا يمنعه من حث غيره على الخير إلا ادخاره لنفسه : (ولا يحض) أي يحمل ويحث) على (بذل) طعام (أو إطعام) المسكين) أي تسهيله بإعانته عليه إن كان موجودا ، والسؤال في بذله وما يقوم مقامه إن كان مفقودا ، فكيف بالبذل من عنده ، فإن ذلك لا يحمل عليه إلا الإيمان لخلوه عن حظ ، والتقييد يفهم أنه يحث على خدمة الأكابر الجبابرة ويحب العكوف على أبوابهم والإضافة مع التعبير بالطعام دون الإطعام تشعر بأن الفقراء يملكون كفايتهم من أموال الأغنياء ، فدل ذلك على أنه مع كفره هو أشنع صفات الباطن في غاية الشح والقساوة وعدم المروءة للإعراض عن أسباب التمدح وعن التنزه عن سوء القالة وقدم المروءة للإعراض عن أسباب التمدح وعن التنزه عن سوء القالة وقبيح الذكر ، وذلك أشنع الرذائل ، فلذلك خصص هذين الأمرين ، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحض على طعامهم ويقول : خلعنا نصف السلسة بالإيمان أفلا نخلع الآخر - يعني بالحث على الإطعام ، وذمه على الاستهان بالمساكين يفهم الذم على الاستهانة بمن هم دونهم ممن هو أسوأ حالا منهم بطريق الأولى .

ولما وصف سبحانه وتعالى بأقبح العقائد وأشنع الرذائل ، سبب عنهما في مقابلة إفساد القوتين العلمية قوله : (فليس له اليوم (ولما ذكر الزمان المتعقب للبعث ، ذكر المكان الكائن فيه وهو الدار الآخرة فقال : (ههنا) أي في مجمع القيامة كله) حميم) أي صديق خالص يحترق له ويحميه من العذاب لأنهم كلهم له أعداء كما أنه هو كان لا يرق على الضعفاء فيما هم فيه من الإقلال من حطام الأموال .

ولما نفى عنه الجاه لانسلاخه من حزب الملك الولي الودود ، وتحيزه إلى حزب الشيطان العدو والجحود ، أتبعه المقصود بالمال الذي تنشأ عنه جميع الاستمتاعات لأجل ضعفهم الذي وهبه المال وأمره بمواساتهم فيه فقال : (ولا طعام (ولما كان ،الاستثناء معيارا للعموم قال : (إلا من غسلين) أي غسالة أهل النار من فيحهم وصديدهم ، فعلين من الغسل ، ويلزم من هذا الطعام أن يكون تحت غيره ليسيل ماء غسالته

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٥٧/٧

إليه .

ولما حصر طعامهم فيما لا يقربه أحد باختياره ، حصر من يتناوله معبرا عنهم بالوصف الذي أوجب لهم أكله فقال : (لا يأكله (وفرغ الاستثناء تنبيها على أن المستثنى هو المقصود حتى كأنه لا مستثنى منه فقال : (إلا الخاطئون) أي يأكله المتعمدون للخطايا لا غيرهم ، وهو من خطأ الرجل بوزن فرح مهموزا – إذا تعمد الذنب ، وأما المخطئ فهو من قصد الخير فلم يصبه بغير تعمد) فليس عليكم جناح." [١]

" صفحة رقم ٢٢٨

المطاعن ، فحاد عن وجوه الأفكار إلى أقفائها) واستكبر) أي وأوجد الكبر عن الاعتراف بالحق إيجاد من هو في غاية الرغبة فيه ، وكان هذا غاية العناد ، فكان معنى العنيد) فقال) أي عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من إيقاع الكبر على هذا الوجه لكونه رآه نافعا لهم في الدنيا ولم يفكر في عاقبة ذلك من جهة الله ، وأنه سبحانه لا يهدي كيد الخائنين ولا ينجح مراد الكاذبين ، ونحو هذا مما جربوه في دنياهم فكيف رقى نظره إلى أمر الآخرة ، وأكد الكلام لما يعلم من إنكار من يسمعه فقال : (إن) أي ما) هذا) أي الذي أتى به محمد (صلى الله عليه وسلم)) إلا سحر) أي أمور تخييلية لا حقائق لها ، وهي لدقتها بحيث تخفى أسبابها .

ولما كان من المعلوم لهم أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) ما سحر قط ولا تعلم سحرا ، فكان من ادعى ذلك علم كذبه بأدنى نظر بعد الأمر بقدر استطاعته فقال : (يؤثر) أي من شأنه أن ينقله السامع له من غيره ، فهو لقوة سحريته وإفراطها في بابها يفرق بمجرد الرواية بين المرء وزوجه وبين المرء وأبيه وابنه إلى غير ذلك من العجائب التي تنشأ عنه .

ولما كان السامع يجوز أن يكون مأثورا عن لاله فيوجب له ذلك الرغبة فيه ، قال من غير عاطف كالمبين للأول والمؤكد له ، وساقه على وجه التأكيد بالحصر لعلمه أن كل ذي بصيرة ينكر كلامه : (إن) أي ما) هذا) أي القرآن) إلا قول البشر) أي ليس فيه شيء عن الله فلا يغتر أحد به ولا يعرج عليه ، وقد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفكير كله من حيث إنه أثبت أنه معجوز عنه لأغلب الناس كما يعجزون عن السحر فسكت ألفا ونطق خلفا ، فكان شبيها من بعض الوجوه بما قاله بعضهم :

لو قيل (كم خمس وخمس) لاغتدى يوما وليلته يعد ويحسب ويقول معضلة عجيب أمرها ولئن عجبت لها الأمري أعجب حتى إذا خدرت يداه وعورت عيناه مما قد يخط ويكتب أوفى على شرف وقال ألا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٨/١٣٦

انظروا ويكاد من فرح يجن ويسلب خمس وخمس ستة أو سبعة قولان قالهما الخليل وثعلب
وهكذا كل حق يجد المبالغ في ذمه لا ينفك ذمه عن إفهام مدح له ينقض كلامه ، ولكن أين النقاد المعدود من الأفراد بين العباد ، وهذا الكلام صالح لعموم كل من خلقه سبحانه هكذا في الروغان من الحق لما تفضل الله به عليه من الرئاسة لأن أهل العظمة في الدنيا هم في الغالب القائمون في رد الحق واتعاظم على أهله كما ذكر هنا ولا ينافي ذلك ما قالوه : إنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ، بل ذلك من إعجاز كلام الله تعالى أن تنزل الآية في شخص فتبين حاله غاية البيان ويعم غيره ذلك البيان ، قالوا : كان." (١)

" صفحة رقم ٣٣٤

السرور وموجدة لذلك ، وهي بيضاء نيره بما يرى من تبشير الملائكة ، وذلك بما كانت فيه في الدنيا من عبوس الوجوه وتغيرها وشحوبها من خشية الله تعالى وما يظهر من جلاله في الساعة كابن أم مكتوم رضي الله عنه الذي كان يحمله خوف الساعة على حمل الراية في أشد الحروب كيوم القادسية والثبات بها حتى يكون كالعمود ، لا يزول عن مركزه أصلا ليرضي المعبود .

ولما ذكر أهل السعادة الذين هم القبلون على الخير المصابون في أنفسهم بما يكفر سيئاتهم ويعلي درجاتهم ، ذكر أضدادهم فقال تعالى : (ووجوه (وأكد بإعادة الظرف لإزالة الشبهة فقال : (يومئذ) أي إذ وجد ما ذكر) عليها) أي ملاصقة لها مع الغلبة والعلو) غبرة) أي اربداد وكأنه بحيث يصير كأنه قد علاها غبار وهي عابسة حذرة وجلة منذعرة ، وذلك مما يلحقها من المشقات وكثرة الزحام مع رعب الفؤاد ، وتذكر ما هي صائرة إليه من الأنكاد الشداد) ترهقها) أي تغشاها وتقهرها وتعلوها) قترة) أي كدورة وسواد وظلمة ضد الإسفار فهي باكية عابسة مما كانت فيه في الدنيا من الفرح واللعب والضحك والأمن من العذاب ، فالآية من الاحتباك : ذكر الإسفار والبشر أولا يدل على الخوف والذعر ثانيا ، وذكر الغبرة ثانيا يدل عل البياص والنور أولا ، وسر ذلك أنه ذكر دليل الراحة ودليل التعب لظهورهما ترغيبا وترهيبا .

ولما كان هذا الأمر هائلا ، وكان الفاجر ، لما علا قلبه من الرين وله من القساوة ، قليل الخوف من الأجل عديم الفكر فيما يأتي به غد لما غلب عليه من الشهوتين : السبيعة والبهيمية بخلاف المتقي في كل ذلك ، استأنف الإخبار زيادة في التهويل فقال : (أولئك) أي البعداء البغضاء) هم) أي خاصة لا غيرهم) الكفرة) أي الذين ستروا دلائل الإيمان) الفجرة) أي الذين خرجوا عن دائرة الشرع خروجا فاحشا حتى كانوا عريقين في ذلك الكفر والفجور ، وهم في الأغلب عن دائرة الشرع خروجا فاحشا حتى كانوا التكبر

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٢٨/٨

والأشر والبطر ، فلجمعهم بين الكفر والفجور جمع لهم بين الغبرة والقترة ، كما يكون للزنوج من البقاعة إذا علا وجوههم غبار ووسخ ، فقد عاد آخرها على أولها فيمن يستحق الإعراض عنه ومن يستحق الإقبال عليه والله الهادي .

.. .." (١)

"وقيل إن " الذي حاج إبراهيم " نمرود بن فالخ بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وفي قصص هذه المحاجة روايتان إحداهما ذكر زيد بن أسلم أن النمرود هذا قعد يأمر الناس بالميرة فكلما جاء قوم قال من ربكم وإلهكم فيقولون أنت فيقول ميروهم

وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار فقال له من ربك وإلهك قال " قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت " فلما سمعها نمرود قال " أنا أحيي وأميت " فعارضه إبراهيم بأمر الشمس " فبهت الذي كفر " وقال لا تميروه فرجع إبراهيم إلى أهله دون شيء فمر على كثيب من رمل كالدقيق فقال لو ملأت غرارتي من هذا فإذا دخلت **به فرح الصبيان** حتى أنظر لهما فذهب بذلك فلما بلغ **منزله فرح الصبيان** وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ونام هو من الإعياء فقالت امرأته لو صنعت له طعاما يجده حاضرا إذا انتبه ففتحت إحدى الغرارتين فوجدت أحسن ما يكون من الحواري فخبزته فلما

٣٤٦

قام وضعته بين يديه فقال من أين هذا فقالت من الدقيق الذي سقت فعلم إبراهيم أن الله تعالى يسر لهم ذلك وقال الربيع وغيره في هذه القصص ان النمرود لما قال " أنا أحيي وأميت " أحضر رجلين فقتل أحدهما وأرسل الآخر وقال قد أحييت هذا وأمت هذا فلما رد عليه بأمر الشمس بهت والرواية الأخرى ذكر السدي أنه لما خرج إبراهيم من النار أدخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه وقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود " أنا أحيي وأميت " أنا آخذ أربعة نفر فأدخلهم بيتا ولا يطعمون شيئا ولا يسقون حتى إذا جاعوا أخرجتهم فأطعمت اثنين فحييا وتركت اثنين فماتا فعارضه إبراهيم بالشمس فبهت وذكر الأصوليون في هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام وصف ربه تعالى بما هو صفة له من الإحياء والإماتة لكنه أمر له حقيقة ومجاز قصد إبراهيم عليه السلام الحقيقة ففزع نمرود إلى المجاز وموه به على قومه فسلم له إبراهيم تسليم الجدل وانتقل معه من المثال وجاءه بأمر لا مجاز فيه " فبهت الذي كفر " ولم

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٣٤/٨

يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق لأن ذوي الأسنان يكذبونه

". (١)

"قال القاضي فوجه قراءة ابن أبي عبلة أن تضمر فعلا غير المحسبة اعتقدهم أو اجعلهم وذلك ضعيف إذ لا دلالة في الكلام على ما يضمر وقوله " عند ربهم " فيه حذف مضاف تقديره عند كرامة ربهم لأن " عند " تقتضي غاية القرب ولذلك لم تصغر قاله سيبويه وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أرواح الشهداء على نهر بباب الجنة يقال له بارق يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا) وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها)

قال القاضي رحمه الله وهؤلاء طبقات وأحوال مختلفة يجمعها أنهم يرزقون وقال عليه السلام (إنما نسمة المؤمن طير تعلق في ثمار الجنة) ويروى يعلق بفتح اللام وبالياء والحديث معناه في الشهداء خاصة لأن أرواح المؤمنين غير الشهداء إنما ترى مقاعدها من الجنة دون أن تدخلها وأيضا فإنها لا ترزق وتعلق معناه تصيب العلقة من الطعام وفتح اللام هو من التعلق وقد رواه القراء في إصابة

٥٤١

العلقة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الله تعالى يطلع إلى الشهداء فيقول يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون يا ربنا لا فوق ما أعطيتنا هذه الجنة نأكل منها حيث نشاء لكنا نريد أن تردنا إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك فنقتل مرة أخرى فيقول تعالى قد سبق أنكم لا تردون) وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله (ألا أبشرك يا جابر) قال جابر قلت بلى يا رسول الله قال (إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله) ثم قال (ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك) قال يا رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى وقال قتادة رحمه الله ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين أصيبوا بأحد فنزلت هذه الآية وقال محمد بن قيس بن مخرمة في حديث إن الشهداء قالوا يا ربنا ألا رسول يخبر نبينا عنا بما أعطيتنا فقال الله تعالى أنا رسولكم فنزل جبريل بهذه الآية وكثرت هذه الأحاديث في هذا المعنى واختلفت الروايات وجميع ذلك جائز على ما اقتضبته من هذه المعاني وقوله تعالى " فرحين " نصب في موضع الحال وهو **من الفرح بمعنى** السرور والفضل في هذه الآية التنعيم المذكور

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٤٠/١

." (١)

"ثم استثنى منهم من كان استضعافه على حقيقة من زمنة الرجال وضعفة النساء والولدان كعياش بن أبي ربيعة والوليد بن هشام وغيرهما قال ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين هي من النساء وأنا من الولدان والحيلة لفظ عام لأسباب أنواع التخلص والسبيل سبيل المدينة فيما ذكر مجاهد والسدي وغيرهما والصواب أنه عام في جميع السبل

ثم رجى الله تعالى هؤلاء بالعفو عنهم و " عسى " من الله واجبة

أما أنها دالة على ثقل الأمر المعفو عنه قال الحسن " عسى " من الله واجبة قال غيره هي بمنزلة الوعد إذ ليس يخبر ب " عسى " عن شك ولا توقع وهذا يرجع إلى الوجوب قال آخرون هي على معتقد البشر أي ظنكم بمن هذه حالة ترجي عفو الله عنه

والمراغم المتحول والمذهب كذا قال ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم ومنه قول النابغة الجعدي

١٠١

(كطود يلاذ بأركانه

عزيز المراغم والمذهب) " المتقارب " وقول الآخر

(إلى بلد غير داني المحل

بعيد المراغم والمضطرب) " المتقارب "

وقال مجاهد المراغم المتزحزح عما يكره

وقال ابن زيد المراغم المهاجر وقال السدي المراغم المبتغي للمعيشة

قال القاضي أبو محمد عبد الحق وهذا كله تفسير بالمعنى فأما الخاص باللفظة فإن المراغم موضع المراغمة وهو أن يرغم كل واحد من المتنازعين أنف صاحبه بأن يغلبه على مراده فكفار قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة فلو هاجر منهم مهاجر في أرض الله لأرغم أنوف قريش بحصوله في منعة منهم فتلك المنعة هي موضع المراغمة

وكذلك الطود الذي ذكر النابغة من صعد فيه أمام طالب له وتوقل فقد أرغم أنف ذلك الطالب

وقرأ نبيح والجراح والحسن بن عمران مرغما بفتح الميم وسكون الراء دون ألف

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٧٤/١

قال أبو الفتح هذا إنما هو على حذف الزوائد من راغم والجماعة على مراغم وقال ابن عباس والربيع والضحاك وغيرهم " السعة " هنا هي السعة في الرزق وقال قتادة المعنى سعة من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى وقال مالك السعة سعة البلاد

قال القاضي رحمه الله والمشبه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعاقل وبذلك تكون السعة في الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من **وجوه الفرح ونحو** هذا المعنى قول الشاعر حطان بن المعلى

(لكان لي مضطرب واسع

في الأرض ذات الطول والعرض ومنه قول الآخر

(وكنت إذا خليل رام قطعي

وجدت وراي منفسحا عريضا) " الوافر "

". (١)

"قال القاضي أبو محمد فعلى هذا هو مفعول له والمعنى " **فرح المخلفون** بمقعدهم " لخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مصدر ونصبه في القول الأول كأنه على الظرف وكراهيتهم لما ذكر هي شح إذ لا يؤمنون بالثواب في سبيل الله فهم يظنون بالدنيا وقوله " لا تنفروا في الحر "كان لأن غزوة تبوك كانت في وقت شدة الحر وطيب الثمار والظلال قاله ابن عباس وكعب بن مالك والناس فأقيمت عليهم الحدة بأن قبل لهم فإذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار جهنم التي هي أشد أحرى أن تجزعوا منها

٦٦

لو فهمتم وقرا ابن عباس وأبو حيوة خلف وذكرها يعقوب ولم ينسبها وقرئ خلف بضم الخاء ويقوي قول الطبري أن لفظة الخلاف هي مصدر من خالف ما تظاهرت به الروايات من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر فعصوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين

وقال محمد بن كعب قال " لا تنفروا في الحر " رجل من بني سلمة

وقال ابن عباس قال رجل يا رسول الله الحر شديد فلا تنفر في الحر قال النقاش وفي قراءة عبد الله يعلمون بدل " يفقهون " وقال ابن عباس وأبو رزين والربيع بن خثيم وقتادة وابن زيد قوله " فليضحكوا قليلا " إشارة إلى مدة العمر في الدنيا وقوله " وليبكوا كثيرا " إشارة إلى تأبيد الخلود في النار فجاء بلفظ الأمر ومعناه

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١١٩/٢

الخبر عن حالهم ويحتمل أن يكون صفة حالهم أي هم لما هم عليه من الخطر مع الله وسوء الحال بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم من اجل ذلك كثيرا وهذا يقتضي أن يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا على نحو قوله صلى الله عليه وسلم لأمته لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا .
وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال هذا الكلام أوحى الله إليه يا محمد لا تقنط عبادي و " جزاء " متعلق بالمعنى الذي تقديره " وليبكوا كثيرا " إذ هم معذبون " جزاء " وقوله " يكسبون " نص في أن التكسب هو الذي يتعلق به العقاب والثواب وقوله " فإن رجعك الله إلى طائفة منهم " الآية " رجع " يستوي مجاوزه وغير مجاوزه وقوله تعالى " إن " مبينة أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم بمستقبلات أمره من أجل وسواه وأيضا فيحتمل أن يموتوا هم قبل رجوعه وأمر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم " لن تخرجوا معي " هو عقوبة لهم وإظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم وهذا هو المقصود في قصة ثعلبة بن حاطب التي تقدمت في الامتناع من اخذ صدقته ولا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع ورده كالجمل الأجرب وقوله " إلى طائفة " يقتضي
." (١)

"هذه آية خوطب بها جميع العالم والموعظة القرآن لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف ويزجر ويرقق ويوعد ويعد وهذه صفة الكتاب العزيز وقوله " من ربكم " يريد لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم بل هي من عند الله و " ما في الصدور " يريد به الجهل والعتو عن النظر في آيات الله ونحو هذا مما يدفع الإيمان وجعله موعظة بحسب الناس أجمع وجعله " هدى ورحمة " بحسب المؤمنين فقط وهذا تفسير صحيح المعنى إذا تؤمل بأن وجهه وقوله سبحانه " قل بفضل الله وبرحمته " الباء متعلقة بمحذوف استغني عن ذكره يدل عليه قوله " وهدى ورحمة " قال بعض المتأولين وهو هلال بن يساف وقتادة والحسن وابن عباس الفضل الإسلام والرحمة القرآن وقال أبو سعيد الخدري الفضل القرآن والرحمة أن جعلهم من أهله وقال زيد بن أسلم والضحاك الفضل القرآن والرحمة الإسلام وقالت فرقة الفضل محمد صلى الله عليه وسلم والرحمة القرآن .
قال القاضي أبو محمد ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند منه شيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أن الفضل هو هداية الله تعالى إلى دينه والتوفيق إلى اتباع الشرع والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرع بالإسلام والإيمان به ومعنى الآية

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٧٤/٣

قل يا محمد لجميع الناس " بفضل الله وبرحمته " فليقع الفرح منكم لا بأمور الدنيا وما جمع من حطامها فالمؤمنون يقال لهم فلتفرحوا وهم متلبسون بعلة الفرح وسببه ومحصلون لفضل الله منتظرون الرحمة والكافرون يقال لهم " بفضل الله وبرحمته " فلتفرحوا على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك وقرأ أبي بن كعب وابن القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما على المخاطبة وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة وعن أكثرهم خلاف وقرأ ا لسبعة سوى ابن عامر وأهل المدينة والأعرج ومجاهد وابن
". (١)

"أبي إسحاق وقتادة وطلحة والأعمش بالياء فيهما على ذكر الغائب ورويت عن الحسن بالتاء من فوق فيهما وقرأ أبو التياح وأبو جعفر وقتادة بخلاف عنهم وابن عامر بالياء في الأولى وبالتاء في الآخرة وقرأ الحسن بن أبي الحسن وجماعة من السلف ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالياء في الأولى وفي الآخرة ورويت عن أبي التياح وإذا تأملت وجوه ذلك بانت على مهيع الفصيح من كلام العرب ولذلك كثر الخلاف من كل قارئ وفي مصحف أبي بن كعب فبذلك فافرحوا وأما من قرأ فلتفرحوا فأدخل اللام في أمر المخاطب فذلك على لغة قليلة حكى ذلك أبو علي في الحجة وقال أبو حاتم وغيره الأصل في كل أمر إدخال اللام إذا كان النهي بحرف فكذلك الأمر وإذا كان أمرا لغائب بلام قال أبو الفتح إلا أن العرب رفضت إدخال اللام في أمر المخاطب لكثرة ترداده وقرأ أبو الفتوح والحسن بكسر اللام من فلتفرحوا فإن قيل كيف أمر الله بالفرح في هذه الآية وقد ورد ذمه في قوله " لفرح فخور " وفي قوله " لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين " قيل إن الفرح إذا ورد مقيدا في خير فليس بمذموم وكذلك هو في هذه الآية وإذا ورد مقيدا

١٢٧

في شر أو مطلقا لحقه ذم إذ ليس من أفعال الآخرة بل ينبغي أن يغلب على الإنسان حزنه على ذنبه وخوفه لربه وقوله " مما يجمعون " يريد من مال الدنيا وحطامها الفاني المؤذي في الآخرة .

قوله عز وجل

يونس ٥٩ - ٦٠

هذه المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا البحائر والسوائب والنصيب من الحرث والأنعام وغير ذلك مما

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٤٢/٣

لم يأذن الله به وإنما اختلقوه بأمرهم وقوله تعالى " أنزل " لفظة فيها تجوز وإنزال الرزق إما أن يكون في ضمن إنزال المطر بالمآل أو نزول الأمر به الذي هو ظهور الأثر في المخلوق منه المخترع ثم أمر الله نبيه بتوقيفهم على أحد القسمين وهم لا يمكنهم ادعاء إذن الله تعالى في ذلك فلم يبق إلا أنهم افتروه وهذه الآية نحو قوله تعالى " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده " ذكر ذلك الطبري عن ابن عباس وقوله " وما ظن الذين يفترون على الله " الآية وعيد لما تحقق عليهم بتقسيم الآية التي قبلها أنهم مفترون على الله عظم في هذه الآية جرم الإفتراء أي ظنهم في غاية الرداءة بحسب سوء أفعالهم ثم ثنى بإيجاب الفضل على الناس في الإمهال لهم مع الإفتراء والعصيان والإمهال داعية إلى التوبة والإنابة ثم استدرك ذكر من لا يرى حق الإمهال ولا يشكره ولا يبادر به فيه على جهة الذم لهم والآية بعد هذا تعم جميع فضل الله وجميع تقصير الخلق في شكره لا رب غيره .

قوله عز وجل

يونس ٦١ - ٦٣

". (١)

"وقد يكثر استعمال الضراء فيما يخص البدن .

ولفظة " ذهب السيئات عني " تقتضي

بطرا وجهلا أن ذلك بإنعام من الله واعتقاد أن ذلك اتفاق أو بسعد من الإعتقادات الفاسدة وإلا فلو قالها من يعتقد أن ذهابها بإنعام من الله وفضل لم يقع ذلك .

و " السيئات " ها هنا كل ما يسوء في الدنيا .

١٥٤

وقرأت فرقة لفرح بكسر الراء وقرأت فرقة لفرح بضمها **وهذا الفرح مطلق** ولذلك ذم **إذ الفرح انهمال** النفس ولا **يأتي الفرح في** القرآن ممدوحا إلا إذا قيد بأنه في خير .

وقوله تعالى " إلا الذين صبروا " الآية هذا الإستثناء متصل على ما قدمناه من أن الإنسان عام يراد به الجنس ومن قال إنه مخصوص بالكافر قال ها هنا إن الاستثناء منقطع وهو قول ضعيف من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فجيد وكذلك قاله من النحاة قوم .

واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية الإنسان هؤلاء الذين حملتهم الأديان على الصبر على المكاره

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٤٣/٣

ومثابرة عبادة الله وليس شيء من ذلك في سجية البشر وإنما حمل على ذلك حب الله وخوف الدار الآخرة .

والصبر والعمل الصالح لا ينفع إلا مع هداية وإيمان ثم وعد تعالى أهل هذه الصفة تحريضا عليها وحضا بالمغفرة للذنوب والتفضل بالأجر والنعيم .

قوله عز وجل

هود ١٢ - ١٣

سبب هذه الآيات أن كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك .

وقالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ونحو هذا من الأقوال .

فخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة ووقفه بها توقيفا رادا على أقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى أنه صلى الله عليه وسلم هم بشيء من ذلك فزجر عنه فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه ولا ضاق صدره وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان .

و " لعلك " ها هنا بمعنى التوقيف والتقرير و " ما يوحى إليك " هو القرآن والشريعة والدعاء إلى الله تعالى كأن في ذلك سب آلهتهم وتسفيه آبائهم أو غيره ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد عظم عليه ما يلقى من الشدة فمال إلى أن يكون من الله تعالى إذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا من الإعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلم كما جاءت آيات الموادعة وعبر ب (ضائق) دون ضيق للمناسبة في اللفظ

" (١).

"وراجعه عند الفراء قوله " تجري " أي صفة الجنة أنها " تجري من تحتها الأنهار " ونحو هذا موجود في كلام العرب وتأول عليه قوم أن " مثل " مقحم وأن التقدير " الجنة التي وعد المتقون تجري " .

قال القاضي أبو محمد وفي هذا قلق .

وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود أمثال الجنة .

وقد تقدم غير مرة معنى قوله " تجري من تحتها الأنهار " وقوله " أكلها " معناه ما يؤكل فيها .

والعقبى والعاقبة والعاقب حال تتلو أخرى قبلها .

وباقي الآية بين .

---

(١) المحرر الوجيز ـ ، ٣/١٧٠

وقيل التقدير في صدر الآية مثل الجنة جنة تجري قاله الزجاج فتكون الآية على هذا ضرب مثل لجنة النعيم في الآخرة .

قوله عز وجل

سورة الرعد ٣٦ - ٣٩

اختلف المتأولون فيمن عنى بقوله " الذين آتيناهم الكتاب " فقال ابن زيد عنى به من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وشبهه .

قال القاضي أبو محمد والمعنى مدحهم بأنهم لشدة إيمانهم يسرون بجميع ما يرد على النبي صلى الله عليه وسلم من زيادات الشرع .

٣١٦

وقال قتادة عنى به جميع المؤمنين و " الكتاب " هو القرآن و " بما أنزل إليك " يراد به جميع الشرع .

وقالت فرقة المراد ب " الذين آتيناهم الكتاب " اليهود والنصارى وذلك أنهم لهم فرح بما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم من تصديق شرائعهم وذكر أوائلهم .

قال القاضي أبو محمد ويضعف هذا التأويل بأن همهم به أكثر من فرحهم ويضعف أيضا بأن اليهود والنصارى ينكرون بعضه .

وقد فرق الله في هذه الآية بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب .

و " الأحزاب " قال مجاهد هم اليهود والنصارى والمجوس وقالت فرقة هم أحزاب الجاهلية من العرب .

وأمره الله تعالى أن يطرح اختلافهم ويصدع بأنه إنما أمر بعبادة الله وترك الإشراك والدعاء إليه واعتقاد المآب إليه وهو الرجوع عند البعث يوم القيامة .

وقوله " وكذلك " المعنى كما يسرنا هؤلاء للفرح وهؤلاء لإنكار البعض كذلك " أنزلناه حكما عربيا " ويحتمل المعنى والمؤمنون آتيناهموه يفرحون به لفهمهم به وسرعة تلقيهم .

ثم عدد النعمة بقوله كذلك جعلناه أي سهلنا عليهم في ذلك وتفضلنا .

و " حكما " نصب على الحال والحكم هو ما تضمنه القرآن من المعاني وجعله " عربيا " لما كانت العبارة عنه بالعربية .

ثم خاطب النبي صلى الله عليه وسلم محذرا من اتباع أهواء هذه الفرق الضالة والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو بالمعنى يتناول المؤمنين إلى يوم القيامة .

ووقف ابن كثير وحده على واقي وهادي ووالي بالياء .

قال أبو علي والجمهور يقفون بغير ياء وهو الوجه .

وباقي الآية بين .

وقوله " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك " الآية .

". (١)

"ومنه قوله تعالى " **فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله " على بعض تأويلاته أي بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه اللفظة قد لزم حذف المضاف لأن التقدير في آياتنا خلاف خروجك وفي بيت الشاعر خلاف انبساط الشمس أو نحوه قال أبو علي أصابوا هذه الظروف تضاف إلى الأسماء الأعيان التي ليست أحداثا فلم يستحبوا إضافتها إلى غير ما جرى عليه كلامهم كما أنها لما جرت منصوبة في كلامهم تركوها على حالها إذا وقعت في غير موضع النصب كقوله تعالى " وإنا منا

٤٧٧

الصالحون ومنا دون ذلك) وقوله " يوم القيامة يفصل بينكم " وقوله " سنة " نصب على المصدر وقال الفراء نصبه على حذف الخافض لأن المعنى كسنة فحذفت الكاف ونصب ويلزمه على هذا أن لا يقف على قوله " قليلا " ومعنى الآية الإخبار أن سنة الله تعالى في الأمم الخالية وعادته أنها إذا أخرجت نبيها من بين أظهرها نالها العذاب واستأصلها الهلاك فلم تلبث بعده إلا قليلا وقوله " أقم الصلاة " الآية هذه بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة فقال ابن عمر وابن عباس وأبو بردة والحسن والجمهور دلوك الشمس زوالها والإشارة إلى الظهر والعصر و " غسق الليل " أشير به إلى المغرب والعشاء " وقرآن الفجر " أريد به صلاة الصبح فالآية على هذا تعم جميع الصلوات وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل " لدلوك الشمس " حين زالت فصلى بي الظهر وروى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس فقال اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن أسلم دلوك الشمس غروبها والإشارة بذلك إلى المغرب و " غسق الليل " اجتماع ظلمته فالإشارة إلى العتمة " وقرآن الفجر " صلاة الصبح ولم تقع إشارة على هذا إلى الظهر والعصر والقول الأول أصوب لعمومه الصلوات وهما من جهة اللغة حسنان وذلك أن الدلوك هو الميل في اللغة فأول الدلوك هو الزوال وآخره هو الغروب ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكا لأنها في حالة ميل فذكر الله

---

(١) المحرر الوجيز ـ ، ٣١٩/٣

" الصلوات " التي في حالة الدلوك وعنده فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح أن تكون المغرب داخلة في " غسق الليل " ومن الدلوك الذي هو الميل قول الأعرابي للحسن بن أبي الحسن أيدالك الرجل امرأته يريد أيميل بها إلى المطل في دينها فقال له الحسن نعم إذا كان ملفجا أي عديما ومنه قول ذي الرمة

(مصابيح ليست باللواتي تقودها

نجوم ولا بالآفلات الدوالك) " الطويل "

ومن ذلك

قول الشاعر

(هذا مكان قدمي رباح

غدوة حتى دلكت براح) " الرجز "

". (١)

"فكلي واشربي وقري " الآية قرأ الجمهور وقري بفتح القاف وحكى الطبري قراءة وقري بكسر القاف وقرة العين مأخوذة من القر وذلك أنه يحكى أن **دمع الفرح بارد** المس ودمع الحزن سخن المس وضعفت فرقة هذا وقالت الدمع كله سخن وإنما معنى قرة العين أن البكاء الذي يسخن العين ارتفع إذ لا حزن بهذا الأمر الذي قرت به العين وقال الشيباني " قري عينا " معناه نامي حضها على الأكل والشرب والنوم وقوله " عينا " نصب على التمييز والفعل في الحقيقة إنما هو للعين فينقل ذلك إلى ذي العين وينصب الذي كان فاعلا في الحقيقة على التفسير ومثله طبت نفسا وتفقأت شحما وتصببت عرقا وهذا كثير وقرأ الجمهور ترين وأصله ترءيين حذفت النون للجزم ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء ثم قلبت الياء الأولى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان الألف والياء فحذفت الألف فجاء ترى وعلى هذا النحو هو قول الأفوه " السريع " .

(أم ، ترى رأسي أزرى به

)

ثم دخلت النون الثقيلة فكسرت الياء لاجتماع ساكنين منها ومن النون وإنما دخلت النون هنا

١٣

بتوطئة ما كما توطىء لدخولها ايضا لام القسم وقرأ أبو عمرو فيما روي عنه ترءين بالهمزة وقرأ طلحة وأبو

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٩٥/٣

جعفر وشيبة ترين بسكون الياء وفتح النون خفيفة قال أبو الفتح وهي شاذة ومعنى هذه الآية أن الله تعالى أمرها على لسان جبريل أو ابنها على الخلاف المتقدم بأن تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها وتبين الآية فيقوم عذرها وظاهر الآية أنها أبيح لها أن تقول هذه الألفاظ التي في الآية وهو قول الجمهور وقالت فرقة معنى " فقولي " بالإشارة لا بالكلام وإلا فكأن التناقض بين في أمرها وقرأ ابن عباس وأنس بن مالك إني نذرت للرحمن وصمت وقال قوم معناه " صوما " عن الكلام إذ أصل الصوم الإمساك ومنه قول الشاعر : " البسيط "

(خيل صيام وأخرى غير صائمة

)

وقال ابن زيد والسدي كانت سنة الصيام عندهم الإمساك عن الأكل والكلام وقرأت فرقة إني نذرت للرحمن صمتا ولا يجوز في شرعنا أن ينذر أحد صمتا وقد أمر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق والكلام قال المفسرون أمرت مريم بهذا ليكفيها عيسى الاحتجاج

قوله عز وجل

سورة مريم الآية ٢٧٢٨

". (١)

"أنه خبر من الله أن جبريل لا يتنزل قال هذا التأويل بعض المفسرين ويرده قوله " ما بين أيدينا " لأنه لا يطرد معه وإنما يتجه أن يكون خبرا من جبريل أن القرآن لا يتنزل إلا بأمر الله في الأوقات التي يقدرها ورويت قراءة الأعرج بضم الياء وقرأ ابن مسعود إلا بقول ربك وقال ابن عباس وغيره سبب هذه الآية أن النبي عليه السلام أبطأ عنه جبريل مرة فلما جاءه قال يا جبريل قد اشتقت إليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وقال مجاهد والضحاك سببها أن جبريل تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم عند قوله في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف غدا أخبركم **حتى فرح بذلك** المشركون واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء جبريل ونزلت هذه في ذلك المعنى فهي كالتي في الضحى وهذه الواو التي في قوله " وما نتنزل " هي عاطفة جملة كلام على أخرى وواصلة بين القولين وإن لم يكن معناهما واحدا وحكى النقاش عن قوم أن قوله " وما نتنزل " متصل بقوله " إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا " وهذا قول ضعيف وقوله " ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك " لفظ يحتاج إلى ثلاث مراتب واختلف المفسرون

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٥/٤

فيها فقال أبو العالية ما بين الأيدي في الدنيا بأسرها إلى النفخة الأولى وما خلف الآخرة من وقت البعث " وما بين ذلك " ما بين النفختين وقال ابن جريج ما بين الأيدي هو ما مر من الزمن قبل إيجاد من في الضمير وما خلف هو ما بعد موتهم إلى استمرار الآخرة " وما بين ذلك " هو مدة الحياة .

قال القاضي أبو محمد والآية إنما المقصد بها الإشعار بملك الله تعالى لملائكة وأن قليل تصرفهم وكثيره إنما هو بأمره وانتقالهم من مكان إلى مكان إنما هو بحكمته إذ الأمكنة له وهم له فلو ذهب بالآية إلى أن المراد ب ما بين الأيدي وما خلف الأمكنة التي فيها تصرفهم والمراد ب " ما بين ذلك " هم أنفسهم ومقاماتهم لكن وجهها كأنه قال نحن مقيدون بالقدرة لا ننتقل ولا نتنزل إلا بأمر

". (١)

"وقوله " إلا من تاب " الآية لا خلاف بين العلماء أن الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين فقال جمهور العلماء له التوبة وجعلت هذه الفرقة قاعدتها قوله تعالى " ويغفر ما دون ذلك " فجعل القاتل في المشيئة كسائر التائبين من الذنوب ويتأولون الخلود الذي في آية القتل في سورة النساء بمعنى الدوام إلى مدة كخلد الدول ونحوه وروى أبو هريرة في ان التوبة لمن قتل حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل إن هذه الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة وقاله سعيد بن جبير وقال ابن عباس وغيره لا توبة للقاتل قال ابن عباس وهذه الآية إنما اريد بالتوبة فيها المشركون وذلك أنها لما نزلت " إلا من تاب " الآية ونزلت " قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله " فما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح فرحه بها وبسورة الفتح وقال غير ابن عباس ممن قال بأن لا توبة للقاتل إن هذه الآية منسوخة بآية سورة النساء قاله زيد بن ثابت ورواه أيضا سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال أبو الجوزاء صحبت ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن إلا سألته عنه فما سمعته يقول إن الله تعالى يقول لذنب لا أغفره وقوله تعالى " يبدل الله سيئاتهم حسنات " معناه يجعل أعمالهم بدل معاصيهم الأول طاعة فيكون ذلك سببا لرحمة الله إياهم قاله ابن عباس وابن جبير وابن زيد والحسن ورد على من قال هو في يوم القيامة وقد ورد حديث في

كتاب مسلم من طريق أبي يقتضي أن الله تعالى يبدل يوم القيامة لمن يريد المغفرة من الموحدين بدل سيئات حسنات وذكره الترمذي والطبري وهذا تأويل ابن المسيب في هذه الآية .

قال القاضي أبو محمد وهو معنى كرم العفو وقرأ ابن أبي عبلة يبدل بسكون الباء وتخفيف الدال .

---

(١) المحرر الوجيز ، ٤/٢٩

قوله عز وجل

سورة الفرقان ٧١ - ٧٤

أكد بهذه الألفاظ أمر التوبة والمعنى " ومن تاب " فإنه قد تمسك بأمر وثيق وهكذا كما تقول لمن

٢٢٢

تستحسن قوله في أمره لقد قلت يا فلان قولا فكذلك الآية معناها مدح المتاب كأنه قال فإنه يجد بابا للفرج والمغفرة عظيما ثم استمرت الآيات في وصف عباد الله المؤمنين بأن نفى عنهم شهادة الزور و " يشهدون " في هذا الموضع ظاهر معناها يشاهدون ويحضرون و " الزور "كل باطل زور وزخرف فأعظمه الشرك وبه فسر الضحاك وابن زيد ومنه الغناء وبه فسر مجاهد ومنه الكذب وبه فسر ابن جريج وقال علي بن أبي طالب ومحمد بن علي المعنى لا يشهدون بالزور فهو من الشهادة لا من المشاهدة والزور الكذب

.

." (١)

"٢٩٩

قلب كما تفعل العرب كثيرا فمن ذلك قول الشاعر

(فديت بنفسه نفسي ومالي

وما آلوك إلا ما أطيق) " الوافر "

ومن ذلك قول الآخر خداش بن زهير

(وتركب خيل لا هوادة بينها

وتشفي الرماح بالضياطرة الحمر) " الطويل "

وهذا البيت لا حجة فيه إذ يتجه على وجهه فتأمله ومن ذلك قول الآخر

(فما كنت في الحرب العوان مغمزا

إذا شب حر وقودها أجدالها)

وقال سيبويه والخليل التقدير لتنيء العصبة فجعل بدل ذلك تعدية الفعل بحرف الجر كما تقول ناء الحمل وأنأته ونؤت به بمعنى جعلته ينوء والعرب تقول ناء الحمل بالبعير إذا أثقله .

قال الفقيه الإمام القاضي ويحتمل أن يسند " تنوء " إلى المفاتح مجازا لأنها تنهض بتحامل إذا فعل ذلك

---

(١) المحرر الوجيز ، ٤/٢٦٨

الذي ينهض بها وهذا مطرد في قولهم ناء الحمل بالعير ونحوه فتأمله واختلف الناس في " العصبة "كم هي فقال ابن عباس ثلاثة وقال قتادة من العشرة إلى الأربعين وقال مجاهد خمسة عشر حمـلا وقيل أحد عشر حملا على إخوة يوسف وقيل أربعون وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهها أبو الفتح على أنه يقرأ مفاتحه جمعا وذكر أبو عمرو الداني أن بديل بن ميسرة قرأ ما إن مفتاحه على الإفراد فيستغنى على هذا عن توجيه أبي الفتح وقوله تعالى " إذ قال له قومه " متعلق بقوله " فبغى " ونهوه **عن الفرح المطغي** الذي هو انهماك وانحلال نفس وأشر وإعجاب والفرح هو الذي تخلق دائما بالفرح ولا يجب في هذا الموضع صفة فعل لأنه امر قد وقع فمحال أن يرجع إلى الإرادة وإنما هو لا يظهر عليهم بركته ولا يبهم رحمته ثم وصوه أن يطلب بماله رضى الله تعالى ويقدم لآخرته وقوله تعالى " ولا تنس نصيبك من الدنيا " اختلف المتأولون فيه فقال ابن عباس والجمهور معناه لا تضيع عمرك في أن لا تعمل عملا صالحا في دنياك إذ الآخرة إنما يعمل له في الدنيا فنصيب الإنسان وعمله الصالح فيها فينبغي أن لا يهمله

قال الفقيه الإمام القاضي فالكلام كله على هذا

التأويل شدة في الموعظة .

وقال الحسن وقتادة معناه ولا تضيع أيضا حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه ونظرك لعاقبة دنياك

قال الفقيه الإمام القاضي فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة وقال الحسن معناه قدم الفضل وأمسك ما يبلغ وقال مالك هو الأكل والشرب بلا سرف وحكى الثعلبي أنه قيل أرادوا بنصيبه الكفن

قال الفقيه الإمام القاضي وهذا وعظ متصل كأنهم قالوا لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر

(نصيبك مما تجمع الدهر كله

رداءان تلوى فيهما وحنوط) " الطويل "

٣٠٠

". (١)

---

(١) المحرر الوجيز ، ٤/٣٥١

"قال الفراء ويجوز ترك التنوين فيبقى كما هو في الإضافة وإن حذف المضاف وقوله تعالى " ويومئذ " يحتمل أن يكون عطفا على القبل والبعد كأنه حصر الأزمنة الثلاثة الماضي والمستقبل والحال ثم ابتدأ الإخبار بفرح المؤمنين بالنصر ويحتمل أن يكون الكلام تم في قوله " بعد " ثم استأنف عطف جملة أخبر فيها أن يوم غلبت الروم الفرس " يفرح المؤمنون بنصر الله " وعلى هذا الاحتمال مشى المفسرون والنصر الذي " يفرح " به " المؤمنون " يحتمل أن يشار فيه إلى نصر الروم على فارس وهي نصرة الإسلام بحكم السببين اللذين قد ذكرتهما ويحتمل أن يشار فيه إلى نصر يخص المؤمنين على عدوهم وهذا أيضا غيب أخبر به وأخرجه الوجود إما يوم بدر وإما يوم بيعة الرضوان ويحتمل

٣٢٩

أن يشار به إلى فرح المسلمين بنصر الله إياهم في أن صدق ما قال نبيهم من أن الروم ستغلب فارس فإن هذا ضرب من النصر عظيم وقوله تعالى " وعد الله " نصب على المصدر المؤكد وقوله " ولكن أكثر الناس لا يعلمون " يريد الكفار من قريش والعرب أي لا يعلمون أن الأمور من عند الله وأن وعده لا يخلف وأن ما يورده نبيه حق

قال القاضي أبو محمد هذا الذي ذكرناه هو عمدة ما قيل وقد حكى الطبري وغيره روايات يردها النظر أو قول الجمهور من ذلك أن بعضهم قال إنما نزلت " وعد الله لا يخلف الله وعده " بعد غلبة الروم لفارس ووصول الخبر بذلك وهذا يقتضي أن الآية مدنية والسورة مكية بإجماع ونحو هذا من الأقوال

قوله عز وجل في سورة الروم آية ٧ - ٨

وصف تعالى الكفرة الذين لا يعلمون أمر الله وصدق وعده بأنهم إنما " يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا " واختلف الناس في معنى " ظاهرا " فقالت فرقة معناه بينا أي ما أدته إليهم حواسهم فكأن علومهم إنما هي علوم البهائم وقال ابن عباس والحسن والجمهور معناه ما فيه الظهور والعلو في الدنيا من إتقان الصناعات والمباني ومظان كسب الأموال والفلاحات ونحو هذا وقالت فرقة معناه ذاهبا زائلا أي يعلمون أمور الدنيا التي لا بقاء لها ولا عاقبة ومثل هذه اللفظة قول الهذلي

(وعيرها الواشون أني أحبها

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها)

وقال سعيد بن جبير إن قوله " ظاهرا من الحياة الدنيا " إشارة إلى ما يعلم من قبل الكهنة مما يسترقه الشياطين وقال الروماني كل ما يعلم بأوائل العقول فهو الظاهر وما يعلم بدليل العقل فهو باطن

قال القاضي أبو محمد وفيه تقع الغفلة وتقصير الجهال ثم وصفهم ب الغفلة والإعراض عن أمر الآخرة وكرر الضمير تأكيدا وغفلة الكافر هي على الكمال والمؤمن المنهمك في أمور الدنيا التي هي أكبر همه يأخذ من هذه الآية بحظ نور الله قلوبنا بهداه ثم وقفهم على جهة التوبيخ على أنهم قد فكروا فلم تنفعهم ". (١)

"قال الفقيه الإمام القاضي وهذا قول حسن وكذلك في الصفح عن المخطي في سب ونحوه والجنوب جمع جنب و " المضجع " موضع الاضطجاع للنوم وقال أنس بن مالك أراد بهذه الآية الصلاة بين المغرب والعشاء وقال عطاء وأبو سلمة أراد صلاة العشاء الآخرة وقال أبو محمد وكانت الجاهلية ينامون من أول المغرب ومن أي وقت شاء الإنسان فجاء انتظار وقت العشاء الآخرة غريبا شاقا وقال أنس بن مالك أيضا أراد انتظار العشاء الآخرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤخرها إلى نحو ثلث الليل وفي ذلك أحاديث كثيرة وقال الضحاك تجافي الجنب هو أن يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة وهذا قول حسن يساعده لفظ الآية وقال الجمهور من المفسرين أراد بهذا التجافي صلاة النوافل بالليل

قال الفقيه الإمام القاضي وعلى هذا التأويل أكثر الناس وهو الذي فيه المدح وفيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر قيام الليل ثم يستشهد بالآية ذكره الطبري عن معاذ بن جبل ورجح الزجاج هذا القول بأنهم جزوا بإخفاء فدل ذلك على أن العمل إخفاء أيضا وهو قيام الليل وقوله " يدعون " يحتمل أن يكون في موضع الحال من الموصوفين أي في وقت التجافي ويحتمل أن يكون صفة مستأنفة أي " تتجافى جنوبهم " وهم أيضا في كل أحوالهم " يدعون " ليلهم ونهارهم والخوف من عذاب الله والطمع في ثواب الله و " ينفقون " قيل معناه الزكاة المفروضة وقيل النوافل والصدقات غير المفروضة وهذا القول أمدح ثم ذكر تعالى وعدهم من النعيم بما لم تعلمه نفس ولا

بشر ولا ملك وقرأ حمزة وحده أخفي بسكون الياء كأنه قال أخفي أنا وهي قراءة الأعمش وروي عنه ما أخفيت لهم من قرة أعين وقرأ عبد الله ما نخفي لهم بالنون مضمومة وروى المفضل عن الأعمش ما يخفى لهم بالياء المضمومة وفتح الفاء وقرأ محمد بن كعب ما أخفى بفتح الهمزة أي ما أخفى الله وقرأ جمهور الناس أخفي بفتح الياء على بناء الفعل للمفعول و " ما " يحتمل أن تكون بمعنى الذي فعلى القراءة الأولى فثم ضمير محذوف تقديره أخفيه وعلى قراءة الجمهور فالضمير الذي لم يسم فاعله يجري في العودة على الذي ويحتمل أن تكون استفهاما فعلى القراءة الأولى فهي في موضع نصب ب أخفي وعلى القراءة

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٨٢/٤

الثانية هي في موضع رفع بالابتداء و " قرة أعين " ما تلذه وتشتهيه وهي مأخوذة من القر كما
٣٦٣
أن سخنة العين مأخوذة من السخانة وأصل هذا فيما يزعمون أن دمع الفرح بارد ودمع الحزن سخن وفي معنى هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين "

". (١)

"٤٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس

هذه السورة مكية بإجماع إلا أن فرقة قالت إن قوله " ونكتب ما قدموا وآثارهم " [يس : ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم دياركم تكتب آثاركم وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعروا المدينة وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتج بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي صلى الله عليه وسلم في المعنى فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة وروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس وروت عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام قال إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها وهي يس وقال يحيى بن أبي كثير من قرأ سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ويصدق ذلك التجربة .

قوله عز وجل في سورة يس من ١ – ٥

أمال حمزة والكسائي الياء في " يس " غير مفرطين والجمهور يفتحونها ونافع وسط في ذلك وقوله تعالى " يس " يدخل فيه من الأقوال ما تقدم في الحروف المقطعة في أوائل السور ويختص هذا بأقوال منها أن سعيد بن جبير قال إنه اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم دليله " إنك لمن المرسلين " وقال السيد الحميري

(يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة

---

(١) المحرر الوجيز ، ٤١٧/٤

على المودة إلا آل ياسينا)
وقال ابن عباس معناه يا إنسان بلسان الحبشة وقال أيضا ابن عباس في كتاب الثعلبي هو بلغة طيىء وذلك أنهم يقولون يا إيسان بمعنى إنسان ويجمعونه على أياسين فهذا منه وقالت فرقة يا حرف نداء والسين مقامة مقام الإنسان انتزع منه حرف فأقيم مقامه ومن قال إنه اسم من أسماء السورة أو من أسماء القرآن فذلك من الأقوال المشتركة في أوائل جميع السور وقرا جمهور القراء " يس " و " نون " [القلم : ١] بسكون النون وإظهاره، وإن كانت النون ساكنة تخفى مع الحروف
فإنما هذا مع الانفصال وإن حق هذه الحروف المقطعة في الأوائل أن تظهر وقرا عاصم وابن عامر بخلاف عنهما " يس والقرآن "
٤٤٦." (١)

"وقال عكرمة وغيره " متاع الغرور " القوارير لأن الفساد والآفات تسرع اليها فالدنيا كذلك او هي أشد
قوله عز وجل
سورة الحديد ٢١ - ٢٣
لما ذكر تعالى المغفرة التي في الآخرة ندب في هذه الآية الى المسارعة اليها والمسابقة وهذه الآية حجة عند جميع العلماء في الندب الى الطاعات وقد استدل لها بعضهم على ان اول أوقات الصلوات أفضل لأنه يقتضي المسارعة والمسابقة وقد ذكر بعضهم في تفسير هذه الاية أشياء هي على جهة المثال فقال قوم من العلماء منهم ابن مسعود " سابقوا الى مغفرة من ربكم " معناه كونوا في اول صف في القتال
وقال آخرون منهم انس بن مالك معناه اشهدوا تكبيرة الاحرام مع الامام وقال آخرون منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه كن اول داخل
في المسجد وآخر خارج منه وهذا كله على جهة المثال
وذكر العرض من الجنة إذ المعهود انه أقل من الطول وقال قوم من اهل المعاني عبر عن الساحة بالعرض ولم يقصد ان طولها أقل ولا اكثر
وقد ورد في الحديث (إن سقف الجنة العرش)
وورد في الحديث (إن السماوات السبع في الكرسي كالدرهم في الفلاة وإن الكرسي في العرش كالدرهم في الفلاة)

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥١١/٤

وقوله تعالى " أعدت " ظاهرة انها مخلوقة الآن معدة ونص عليه الحسن في كتاب النقاش

وقوله تعالى " ما أصاب من مصيبة " قال ابن زيد وغيره المعنى ما حدث من حادث خير وشر فهذا على معنى لفظ " أصاب " لا على عرف المصيبة فإن عرفها في الشر

وقال ابن عباس ما معناه انه اراد عرف المصيبة وخصها بالذكر لأنها اهم على البشر وهي بعض من الحوادث تدل على أن جميع الحوادث خيرها وشرها كذلك

وقوله تعالى " في الارض " يعني بالقحوط والزلازل وغير ذلك

وقوله " في انفسكم " يريد بالموت والأمراض وغير ذلك

وقوله تعالى " الا في كتاب " معناه الا والمصيبة في كتاب

و " نبرأها " معناه نخلقها يقال برأ الله الخلق أي خلقهم والضمير عائد على الmصيبة وقيل على " الأرض " وقيل على الأنفس قاله ابن عباس وقتادة وجماعة وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر وهي كلها معان صحاح لأن الكتاب السابق أزلي قبل هذه كلها

وقوله تعالى " إن ذلك على الله يسير " يريد تحصيل الاشياء كلها في الكتاب وقوله تعالى " لكي لا تأسوا " معناه فعل الله ذلك كله وأعلمكم به ليكون سبب تسليمكم وقلة اكتراثكم بامر الدنيا فلا تحزنوا على ما فات ولا **تفرحوا الفرح المبطر** بما آتاكم منها

قال ابن عباس ليس أحد الا يفرح ويحزن ولكن من أصابته مصيبة يجعلها صبرا من أصاب خيرا يجعله شكرا

وقرأ أبو عمرو وحده (أتاكم) على وزن مضى وهذا ملائم لقوله " فاتكم " ". (١)

"وقرا الباقون من السبعة (اتاكم) على وزن اعطاكم بمعنى آتاكم الله تعالى وهي قراءة الحسن والأعرج واهل مكة

وقرا ابن مسعود (اوتيتم) وهي تؤيد قراءة الجمهور

وقوله تعالى " والله لا يحب كل مختال فخور " يدل على **ان الفرح المنهي** عنه إنما هو ما ادى إلى الاختيال والفخر بنعم الله المقترن بالشكر والتواضع فامر لا يستطيع احد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه قوله عز وجل

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥/٢٤٢

سورة الحديد ٢٤ - ٢٦

اختلف النحاة في إعراب "

الذين " فقال بعضهم هم في موضع رفع على الابتداء والخبر عنهم

٢٦٩

محذوف معناه الوعيد والذم وحذفه على جهة الابهام كنحو حذف الجواب في قوله تعالى " ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض " الرعد ٣٢ الآية وقال بعضهم هم رفع على خبر الابتداء تقديره هم الذين " يبخلون "

وقال بعضهم في موضع نصب صفة " كل " الحديد ٢٣ لأن كلا وإن كان نكرة فهو يخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة وهذا مذهب الأخفش

و " يبخلون " معناه باموالهم وأفعالهم الحسنة من إيمانهم وغير ذلك

وقوله تعالى " ويأمرون الناس " يحتمل ان يصفهم بحقيقة الامر بألسنتهم ويحتمل ان يريد انهم يقتدى بهم في البخل فهم لذلك كانهم يأمرون

وقرا الحسن (بالبخل) بفتح الباء والخاء

وقرا جمهور القراء واهل العراق فإن الله هو الغني الحميد بإثبات هو وكذلك في إمامهم

وقرا نافع وابن عامر (فإن الله الغني الحميد) بترك (هو) وهي قراءة اهل المدينة وكذلك في (إمامهم) وهذا لم يثبت قراءة الا وقد قرئ على النبي صلى الله عليه وسلم بالوجهين

قال ابو علي ف (هو) في القراءة التي ثبت فيها يحسن ان يكون ابتداء لأن حذف الابتداء غير سائغ

و " الكتاب " اسم جنس لجميع الكتب المنزلة

و " الميزان " العدل في تأويل أكثر المتأولين

وقال ابن زيد وغيره من المتأولين أراد الموازين المصرفة بين الناس وهذا جزء من القول الأول

وقوله " ليقوم الناس بالقسط " يقوي القول الأول

وقوله تعالى " وانزلنا الحديد " عبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال كما قال في الثمانية الأزواج من الأنعام وأيضا فإن الأمر بكون الأشياء لما تلقى من السماء جعل الكل نزولا منها

وقال جمهور كثير من المفسرين " الحديد " هنا أراد به جنسه من المعادن وغيرها

وقال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه السندان والكلبتان والميقعة قال حذاق من المفسرين أراد به السلاح

ويترتب معنى الآية بأن الله اخبر أنه أرسل رسله وانزل كتبا وعدلا مشروعا وسلاحا يحارب به من عند ولم يهتد

بهدي الله فلم يبق عذر وفي الآية على هذا التاويل حض على القتال وترغيب فيه

." (١)

"ولهذا يحض على صدقة السجن فهذا تشبيه ومن قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يؤسر احد في الاسلام بغير العدول

وروى الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الأسير هنا بالمملوك والمسجون

وقال أراد أسرى المسلمين الذين تركوا في بلاد الحرب رهائن وخرجوا في طلب الفداء

٤١١

وقال أبو حمزة الثمالي الأسير هنا المراة ودليله قوله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم) وقوله تعالى " إنما نطعمكم لوجه الله " المعنى يقولون لهم عند الإطعام وهذا إما ان يكون المطعم يقول ذلك نصا فحكى ذلك

وإما ان يكون ذلك مما يقال في الأنفس وبالنية فمدح بذلك هذا هو تاويل ابن مجاهد وابن جبير وقرا أبو عمرو في رواية عباس بجزم الميم من (نطعمكم) قال أبو على أسكن تخفيفا و (الشكور) مصدر الشكر ووصف اليوم بعبوس هو على التجوز كما تقول ليل نائم أي فيه نوم و (القمطرير) والقماطر هو في معنى العبوس والارتداد تقول اقمطر الرجل إذا جمع ما بين عينيه غضبا ومنه قول الشاعر القرطبي

(بني عمنا هل تذكرون بلاءنا

عليكم إذا ما كان يوم قماطر) " الطويل "

وقال آخرون

(ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها

ولج بها اليوم العبوس القماطر)

وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران

وعبر ابن عباس عن (القمطرير) بالطويل

وعبر عنه ابن الكلبي بالشديد وذلك كله قريب في المعنى

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢٤٣/٥

وقرا الجمهور (فوقاهم) بتخفيف القاف

وقرا أبو جعفر بن القعقاع (فوقاهم) بشد القاف

و (النضرة) جمال البشرة وذلك لا يكون الا **مع فرح النفس** وقرة العين

وقرا علي بن أبي طالب (وجازاهم) بالف وقوله " بما صبروا " عام عن الشهوات وعلى الطاعات والشدائد ففي هذا يدخل كل ما خصص الناس من صوم وفقر ونحوه

و " متكئين " حال من الضمير المنصوب في " جزاهم " وهو الهاء والميم وقرأ أبو جعفر وشيبة (متكيين) بغير همز و " الأرائك " السر المستورة بالحجال وهذا شرط لبعض اللغويين وقال بعض اللغويين كل ما يتوسد ويفترش مما له حشو فهو أريكة وإن لم يكن في حجلة وقوله تعالى " لا يرون فيها " الآية عبارة عن اعتدال مس هوائها وذهاب ضرري الحر والقر عنها وكون هوائها سجسجا كما في الحديث المأثور ومس الشمس

وهو أشد الحر و (الزمهرير) هو أشد البرد وقال ثعلب (الزمهرير) بلغة طيء القمر

قوله عز وجل

سورة الإنسان ١٤ - ٢٠

اختلف النحويون في إعراب قوله تعالى " ودانية " فقال الزجاج وغيره هو حال عطفا على " متكئين " الإنسان ١٣ وقال أيضا ويجوز ان يكون صفة للجنة فالمعنى وجزاهم جنة دانية

وقرأ جمهور الناس (دانية)

وقرا الأعمش (ودانيا عليهم)

وقرا أبو جعفر (ودانية) بالرفع

وقرا ابي بن كعب

". (١)

"" جنات عدن " او دخول " جنات عدن " والعدن الإقامة والدوام عدن بالموضع أقام فيه ومنه المعدن لأنه رأس ثابت وقال ابن مسعود " جنات عدن " بطنان الجنة أي سوطها وقوله " رضي الله عنهم ورضوا عنه " قيل ذلك في الدنيا فرضاه عنهم هو ما اظهره عليهم من امارات رحمته وغفرانه ورضاهم عنه هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الأرزاق والأقدار

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٨٣/٥

قال بعض الصالحين رضي العباد عن الله رضاهم بما يرد من احكامه ورضاه عنهم ان يوفقهم للرضى عنه وقال أبو بكر بن طاهر الرضي عن الله خروج الكراهية عن القلب حتى لا يكون **الا فرح وسرور** وقال السري السقطي إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه الرضا عنك وقيل ذلك في الآخرة فرضاهم عنه رضاهم بما من به عليهم من النعم ورضاهم عنه هو ما روي أن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم بما أعطيتكم فيقولون نعم ربنا وكيف لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول انا اعطيكم أفضل من كل ما أعطيتكم رضواني فلا أسخط عليكم ابدا وخص الله بالذكر اهل الخشية لأنها رأس كل بركة الناهية عن المعاصي الامرة بالمعروف

٥١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزلزلة

وهي مكية قاله ابن عباس وغيره

وقال قتادة ومقاتل هي مدنية لأن آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة

قوله عز وجل

سورة الزلزلة ١ - ٨

العامل في " إذا " على قول جمهور النحاة وهو الذي يقتضيه القياس فعل مضمر يقتضيه المعنى وتقديره تحشرون او تجازون ونحو هذا ويمتنع ان يعمل فيه " زلزلت " لأن " إذا " مضافة الى " زلزلت " ومعنى الشرط فيها ضعيف وقال بعض النحويين يجوز ان يعمل فيها " زلزلت " لأن معنى الشرط لا يفارقها وقد تقدمت نظائرها في غير سورة و " زلزلت " معناه حركت بعنف ومنه الزلزال وقوله تعالى " زلزالها " أبلغ من قوله زلزال دون إضافة اليها وذلك أن المصدر غير مضاف يقع على كل قدر من الزلزال وإن قل وإذا أضيفت اليها وجب ان يكون على قدر ما يستحقه ويستوجبه جرمها وعظمها وهكذا كما تقول اكرمت زيدا كرامة فذلك يقع على كل كرامة وإن قلت بحسب زيد فإذا قلت كرامته اوجبت أنك قد وفيت حقه وقرا الجمهور (زلزالها) بكسر الزاي الأولى وقرا بفتحها عاصم الجحدري وهو ايضا مصدر كالوسواس وغيره

و (الاثقال) الموتى الذين في بطنها قاله ابن عباس وهذه إشارة الى البعث وقال قوم من المفسرين منهم

منذر بن سعيد الزجاج والنقاش اخرجت موتاها وكنوزها

قال القاضي أبو محمد وليست القيامة موطنا لإخراج الكنوز وإنما تخرج كنوزها وقت الدجال." (١)

" صفحة رقم ٣٨٦

يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين " (قوله عز وجل) استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (وهذا على وجه المبالغة في اليأس من المغفرة وإن كان على صيغة الأمر ، ومعناه أنك لو طلبتها لهم طلب المأمور بها أو تركتها ترك المنهي عنها لكان سواء في أن الله تعالى لا يغفر لهم .

قوله) إن تستغفر لهم سبعين مرة (ليس بحد لوقوع المغفرة بعدها ، وإنما هو على وجه المبالغة بذكر هذا العدد لأن العرب تبالغ بالسبع والسبعين لأن التعديل في نصف العقد وهو خمسة إذا زيد عليه واحد كان لأدنى المبالغة ، وإذا زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة ، ولذلك قالوا للأسد سبع أي قد ضوعفت قوته سبع مرات ، وهذا ذكره علي بن عيسى .

وحكى مجاهد وقتادة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين مرة) فأنزل الله تعالى) سوآء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (فكف .

(التوبة : (٨١ - ٨٢) **فرح المخلفون** بمقعدهم . . . . .

" **فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون

" (قوله عز وجل) **فرح المخلفون** (أي المتروكون .

) بمقعدهم خلاف رسول الله (فيه وجهان :

أحدهما : يعني مخالفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهذا قول الأكثرين .

والثاني : معناه بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قاله أبو عبيدة وأنشد .." (٢)

"صفحة رقم ١١١

الثالث : معنى طوبى لهم حسنى لهم ، قاله قتادة .

الرابع : معناه نعم مالهم ، قاله عكرمة .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤٨١/٥

(٢) النكت والعيون . ، ٣٨٦/٢

الخامس : معناه خير لهم ، قاله إبراهيم .

السادس : معناه غبطة لهم ، قاله الضحاك .

السابع : **معناه فرح لهم** وقرة عين ، قاله ابن عباس .

الثامن : العيش الطيب لهم ، قاله الزجاج .

التاسع : أن طوبى فعلى من الطيب كما قيل أفضل وفضلى ، ذكره ابن عيسى .

وهذه معان أكثرها متقاربة .

وفيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها كلمة حبشية ، قاله ابن عباس .

الثاني : كلمة هندية ، قاله عبدالله بن مسعود .

الثالث : عربية ، قاله الجمهور .

(الرعد : (٣٠) كذلك أرسلناك في . . . . .

" كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب " (قوله تعالى :) . . . وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي (قال قتادة وابن جريج نزلت في قريش يوم الحديبية حين أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكتب القضية بينه وبينهم ، فقال للكاتب : (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم

) فقالوا ما ندري ما الرحمن وما نكتب إلا : باسمك اللهم . وحكي عن ابن إسحاق أنهم قالوا : قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الذي تأتي به رجل من أهل اليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لن نؤمن به أبدا ، فأنزل الله تعالى) وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو (يعني أنه إله واحد وإن اختلفت أسماؤه .

) عليه توكلت وإليه متاب (قال مجاهد يعني بالمتاب التوبة .

ويحتمل ثانيا : وإليه المرجع .." (١)

" صفحة رقم ٢٤٤

ذم المنازل بعد منزلة اللوى

والعيش بعد أولئك الأيام

(الإسراء : (٣٧ - ٣٨) ولا تمش في . . . . .

---

(١) النكت والعيون ، ٣/١١١

" ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها " (قوله عز وجل :) ولا تمش في الأرض مرحا (فيه خمسة أوجه :

أحدها : أن المرح شدة الفرح بالباطل .

الثاني : أنه الخيلاء في المشي ، قاله قتادة .

الثالث : أنه البطر والأشر .

الرابع : أنه تجاوز الإنسان قدره .

الخامس : التكبر في المشي .

) إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (فيه وجهان :

أحدهما : إنك لن تخرق الأرض من تحت قدمك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك زجرا له عن تجاوزه الذي لا يدرك به غرضا .

الثاني : أنه مثل ضربه الله تعالى له ، ومعناه كما أنك لن تخرق الأرض في مشيك ، ولن تبلغ الجبال طولا فإنك لا تبلغ ما أردت بكبرك وعجبك ، إياسا له من بلوغ إرادته .

(الإسراء : (٣٩ - ٤١) ذلك مما أوحى . . . . .

" ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا " (قوله عز وجل :) ولقد صرفنا في هذا القرآن (فيه وجهان :

أحدهما : كررنا في هذا القرآن من المواعظ والأمثال .

الثاني : غايرنا بين المواعظ باختلاف أنواعها .

) ليذكروا (فيه وجهان :

أحدهما : ليذكروا الأدلة .." (١)

" صفحة رقم ٣٣٣

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي

وقومي تميم والفلاة ورائيا

يعني أمامي .

---

(١) النكت والعيون . ، ٣/٢٤٤

الثاني : أن وراء يجوز أن يستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان لأن الإنسان قد يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها .

الثالث : أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر ، ولا يجوز في غيره قاله ابن عيسى .

) يأخذ كل سفينة غصبا (قرأ ابن مسعود : يأخذ كل سفينة صالحة غصبا . وهكذا كان الملك يأخذ كل سفينة جيدة غصبا ، فلذلك عباها الخضر لتسلم من الملك . وقيل إن اسم الملك هدد بن بدد ، وقال مقاتل : كان اسمه مندلة بن جلندى بن سعد الأزدي .

(الكهف : (٨٠ - ٨١) وأما الغلام فكان . . . . .

" وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما " (قوله عز وجل :) وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشيۤنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا (قال سعيد بن جبير : وجد الخضر غلمانا يلعبون فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه وذبحه ، وقيل كان الغلام سداسيا وقيل أنه أراد بالسداسي ابن ست عشرة سنة ، وقيل بل أراد أن طوله ستة أشبار ، قاله الكلبي : وكان الغلام لصا يقطع الطريق بين قرية أبيه وقرية أمه فينصره أهل القريتين ويمنعون منه .

قال قتادة : فرح به أبواه حين ولد ، وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقي كان فيه هلاكهما . قيل كان اسم الغلام جيسور . قال مقاتل وكان اسم أبيه كازير ، واسم أمه سهوى .

) فخشينآ أن يرهقهما طغيانا وكفرا (فيه ثلاة أوجه :

أحدهما : علم الخضر أن الغلام يرهق أبويه طغيانا وكفرا لأن الغلام كان كافرا." (١)

" صفحة رقم ١٦٥

قوله عز وجل :) ذلكم بما كنتم تفرحون . . (الآية . في الفرح والمرح وجهان :

أحدهما : أن الفرح : السرور والمرح : البطر ، فسروا بالإمهال وبطروا بالنعم

الثاني : الفرح والسرور ، قاله الضحاك ، والمرح العدوان .

روى خالد عن ثور عن معاذ قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله تعالى يبغض البذخين الفرحين المرحين ، ويحب كل قلب حزين ويبغض أهل بيت لحمين ، ويبغض كل حبر سمين) فأما أهل بيت لحمين فهم الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة ، وأما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر به الناس

---

(١) النكت والعيون . ، ٣٣٣/٣

، يعني المستكثر من علمه ولا ينفع به الناس .

(غافر : (٨٢ - ٨٥) أفلم يسيروا في . . . . .

" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون " (قوله عز وجل :) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم (فيه أربعة أوجه :

أحدها : بقولهم نحن أعلم منهم لن نبعث لن نعذب ، قاله مجاهد .

الثاني : بما كان عندهم أنه علم وهو جهل ، قاله السدي .

الثالث : فرحت الرسل بما عندهم من العلم بنجاتهم وهلاك أعدائهم ، حكاه ابن عيسى .." [١]

" صفحة رقم ٢١٠

) خاشعين من الذل (قال السدي : خاضعين من الذل

.) ينظرون من طرف خفي (فيه ثلاثة تأويلات

: أحدها : ينظرون بأبصار قلوبهم دون عيونهم لأنهم يحشرون عميا ، قاله أبو سليمان .

الثاني : يسارقون النظر إلى النار حذرا ، قاله محمد بن كعب .

الثالث : بطرف ذليل ، قاله ابن عباس .

(الشورى : (٤٧ - ٤٨) استجيبوا لربكم من . . . . .

" استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور " (قوله عز وجل :) ما لكم من ملجإ يومئذ (فيه وجهان

: أحدهما : من منج .

الثاني : من حرز ، قاله مجاهد .

) وما لكم من نكير (فيه وجهان :

أحدهما : من ناصر ينصركم ، قاله مجاهد .

---

(١) النكت والعيون . ، ٥/١٦٥

الثاني : من منكر يغير ما حل بكم ، حكاه ابن أبي حاتم وقاله الكلبي .

قوله عز وجل :) وإنآ إذآ أذقنا الإنسان منا رحمة فرحخ بها (فيها وجهان :

أحدهما : أن الرحمة المطر ، قاله مقاتل .

الثاني : العافية ، قاله الكلبي .

) وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم (فيها وجهان :

أحدهما : أنه السنة القحط ، قاله مقاتل .

الثاني : المرض ، قاله الكلبي .

) فإن الإنسان كفور (يحتمل وجهين :

أحدهما : بالنعمة .." [1]

" صفحة رقم ٣٠٨

أمثالكم (كان سلمان إلى جنب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا يستبدلوا بنا ؟ فضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على منكب سلمان وقال : (هذا وقومه ، والذي نفسي بيده لو أن الدين معلق بالثريا لناله رجال من أبناء فارس) .

الثالث : أنهم من شاء من سائر الناس ، قاله مجاهد .

) ثم لا يكونوا أمثالكم (فيه وجهان :

أحدهما : يعني في البخل بالإنفاق في سبيل الله ، قاله الطبري .

الثاني : في المعصية وترك الطاعة .

وحكي عن أبي موسى الأشعري أنه لما نزلت هذه **الآية فرح بها** رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال : (هي أحب إلي من الدنيا) .." [2]

" صفحة رقم ٤٦٦

الخامس : غير موقنين ، قاله مجاهد .

السادس : غير مجزيين بأعمالكم ، حكاه الطبري .

السابع : غير مملوكين ، قاله الفراء .

---

(١) النكت والعيون . ، ٥/٢١٠

(٢) النكت والعيون . ، ٥/٣٠٨

) ترجعونهآ (أي ترجع النفس بعد الموت إلى الجسد إن كنتم صادقين أنكم غير مذنبين .

(الواقعة : (٨٨ - ٩٦) فأما إن كان . . . . .

" فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم " ( ) فأمآ إن كان من المقربين (فيهم وجهان

: أحدهما : أنهم أهل الجنة ، قاله يعقوب بن مجاهد .

الثاني : أنهم السابقون ، قاله أبو العالية .

) فروح وريحان وجنت نعيم (في الروح ثمانية تأويلات

: أحدها : الراحة ، قاله ابن عباس .

الثاني : **أنه الفرح** ، قاله ابن جبير .

الثالث : أنه الرحمة ، قاله قتادة .

الرابع : أنه الرخاء ، قاله مجاهد .

الخامس : أنه الروح من الغم والراحة من العمل ، لأنه ليس في الجنة غم ولا عمل ، قاله محمد بن كعب .

السادس : أنه المغفرة ، قاله الضحاك .

السابع : التسليم ، حكاه ابن كامل .

الثامن : ما روى عبد الله بن شقيق عن عائشة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقرأ) فروح (بضم الراء ، وفي تأويله وجهان :." (١)

" صفحة رقم ١١٦

فشمرت من ذيلي الإزار ووسطت

بي الذمل الوجناء بين السباسب

فأشهد أن الله لا شيء غيره

وأنك مأمول على كل غالب .

وأنك أدني المرسلين وسيلة

---

(١) النكت والعيون . ، ٥/٤٦٦

إلى الله يا بن الأكرمين الأطايب .

فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى

وإن كان فيما جاء شيب الذوائب .

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة

سواك بمغن عن سواد بن قارب .

ففرح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه فرحا شديدا ، حتى رئي الفرح في وجوههم ، قال : فوثب عمر فالتزمه وقال : قد كنت أشتهي أن أسمع منك هذا الحديث ، فهل يأتيك رئيك من الجن اليوم ؟ قال : [أما] وقد قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله عن الجن .

) وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون (وهذا إخبار عن قول الجن بحال من فيهم من مؤمن وكافر ، والقاسط : الجائر ، لأنه عادل عن الحق ، ونظيره الترب والمترب ، فالترب الفقير ، لأن ذهاب ماله أقعده على التراب ، والمترب الغني لأن كثرة ماله قد صار كالتراب .

وفي المراد بالقاسطين ثلاثة أوجه :

أحدها : الخاسرون ، قاله قتادة .

الثاني : الفاجرون ، قاله ابن زيد .

الثالث : الناكثون ، قاله الضحاك .

) وأن لو استقاموا على الطريقة (ذكر ابن بحر أن كل ما في هذه السورة من (إن) المكسورة المثقلة فهو حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن فرجعوا إلى قومهم منذرين ، وكل ما فيها من (أن) المفتوحة المخففة أو المثقلة فهو من وحي الرسول .

وفي هذه الاستقامة قولان :

أحدهما : أنها الإقامة على طريق الكفر والضلالة ، قاله محمد بن كعب وأبو مجلز وغيرهما .

الثاني : الاستقامة على الهدى والطاعة ، قاله ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد فمن ذهب إلى أن المراد الإقامة على الكفر والضلال فلهم في قوله) لأسقيناهم ماء غدقا (وجهان :." (١)

"فصل

ويستفاد كون الأمر المطلق للوجوب، من ذمه لمن خالفه، وتسميته إياه عاصيا، وترتيبه عليه العقاب بالعاجل

(١) النكت والعيون . ، ٦/١١٦

أو الآجل.

ويستفاد كون النهي للتحريم، من ذمه لمن ارتكبه، وتسميته عاصيا، وترتيبه العقاب على فعله.

ويستفاد الوجوب بالأمر تارة، وبالتصريح بالإيجاب والفرض والكتب، ولفظة "على"، ولفظة: حق على العباد وعلى المؤمنين.

ويستفاد التحريم من النهي، والتصريح بالتحريم والحظر، والوعيد على الفعل، وذم الفاعل، وإيجاب الكفارة بالفعل.

وقوله: "لا ينبغي " فإنها في لغة القرآن والرسول للممتنع عقلا وشرعا.

ولفظة "ما كان لهم كذا وكذا" و "لم يكن لهم"، وترتيب الحد على الفعل، ولفظة "لا يحل" و "لا يصلح"، ووصف الفعل بأنه فساد، وأنه من تزيين الشيطان وعمله، وأن الله تعالى لا يحبه ولا يرضاه لعباده، ولا يزكي فاعله ولا يكلمه ولا ينظر إليه ونحو ذلك.

وتستفاد الإباحة من الإذن والتخيير، والأمر بعد الحظر، ونفي الجناح والحرج والإثم والمؤاخذة، والإخبار بأنه يعفو عنه، والإقرار على فعله في زمن الوحي، وبالإنكار على من حرم الشيء، والإخبار بأنه خلق لنا كذا وجعله لنا، وامتنانه علينا به، وإخباره عن فعل من قبلنا، غير ذام لهم عليه.

فإن اقترن بإخباره مدح، دل على رجحانه استحبابا أو وجوبا. فصل

وكل فعل عظمه الله ورسوله، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله، أو فرح به، أو أحبه، أو أحب فاعله، أو رضي به، أو رضي عن فاعله، أو وصفه بالطيب، أو البركة، أو الحسن، أو نصبه سببا لمحبته أو لثواب عاجل أو آجل (١) أو نصبه سببا لذكره لعبده، أو لشكره له، أو لهدايته إياه، أو لإرضاء فاعله، أو وصف فاعله (٢) بالطيب، أو وصف الفعل بأنه معروف، أو نفى الحزن والخوف عن فاعله، أو وعده بالأمن، أو نصبه سببا لولايته، أو أخبر عن دعاء الرسل بحصوله، أو وصفه بكونه قربة، أو أقسم به أو بفاعله، كالقسم بخيل المجاهدين وإغارتها (٣) أو ضحك الرب جل جلاله من فاعله، أو عجبه به، فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب. فصل

وكل فعل طلب الشارع تركه، أو ذم فاعله، أو عيب عليه، أو مقت فاعله، أو لعنه، أو نفى محبته إياه، أو محبة فاعله، أو نفى الرضا به، أو الرضا عن فاعله، أو شبه فاعله بالبهائم أو الشياطين، أو جعله مانعا من الهدى، أو وصفه بسوء أو كراهة، أو استعاذ الأنبياء منه أو أبغضوه، أو جعل سببا لنفي الفلاح، أو لعذاب عاجل أو آجل، أو لذم أو لوم، أو ضلالة أو معصية، أو وصفه بخبث (٤) أو رجس، أو نجس، أو بكونه

فسقا أو إثما، أو سببا لإثم أو رجس، أو لعن أو غضب، أو زوال نعمة، أو حلول نقمة، أو حد من الحدود، أو قسوة، أو خزي، أو ارتهان نفس، أو لعداوة الله أو محاربته، أو الاستهزاء به وسخريته، أو جعله سببا لنسيانه لفاعله، أو وصف نفسه بالصبر عليه، أو الصفح أو الحلم عنه، أو دعا إلى التوبة منه، أو وصف فاعله بخبث أو احتقار، أو نسبه إلى الشيطان وتزيينه، أو تولي الشيطان لفاعله، أو وصفه بصفة ذم، مثل كونه ظلما أو بغيا، أو عدوانا أو إثما، أو تبرأ الأنبياء منه أو من فاعله، أو شكوا

---

(١) في ب: أو لثوابه عاجلا أو آجلا.

(٢) في ب: فاعليه.

(٣) في ب: وإثارتها.

(٤) في ب: بالخبث.." (١)

"﴿ ١٥٤ ﴾ ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ .

لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور (١) ذكر نموذجا مما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقته في نفسه، ولكونه مؤديا للقتل، وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به، فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها.

ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون.

فالشهداء ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ .

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح، والاستبشار (٢) وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في أجواف طيور (٣) خضر ترد

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٢

أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات الأجور العظيمة والغنائم، لم لا يكون كذلك والله تعالى قد: ﴿ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ .

فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفسا فنفسا في سبيل الله، لم يكن عظيما في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة.

---

(١) في ب: الأحوال.

(٢) في ب: وهو الاستبشار.

(٣) في ب: طير.." (١)

"﴿ ١٢٢ ﴾ ولما بين مآل الأشقياء أولياء الشيطان ذكر مآل السعداء أوليائه فقال: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾ . (١) . [ص ٢٠٥]

أي: ﴿ آمنوا ﴾ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره على الوجه الذي أمروا به علما وتصديقا وإقرارا. ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ الناشئة عن الإيمان؟

وهذا يشمل سائر المأمورات من واجب ومستحب، الذي على القلب، والذي على اللسان، والذي على بقية الجوارح. كل له من الثواب المرتب على ذلك بحسب حاله ومقامه، وتكميله للإيمان والعمل الصالح. ويفوته ما رتب على ذلك بحسب ما أخل به من الإيمان والعمل، وذلك بحسب ما علم من حكمة الله ورحمته، وكذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله وسنة رسوله.

ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله: ﴿ سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من أنواع المآكل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلية، والفواكه المستغربة، والأصوات

---

(١) تفسير السعدي، ص/٧٥

الشجية، والنعم السابغة، وتزاور الإخوان، وتذكرهم ما كان منهم في رياض الجنان، وأعلى من ذلك كله وأجل رضوان الله عليهم وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، والأسماع بخطابه الذي ينسيهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لهم لطاروا وماتوا **من الفرح والحبور**، فلله ما أحلى ذلك النعيم وما أعلى ما أنالهم الرب الكريم، وماذا حصل لهم من كل خير وبهجة لا يصفه الواصفون، وتمام ذلك وكماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات، ولهذا قال: ﴿ خالدين فيها أبدا ۚ وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾ .

فصدق الله العظيم الذي بلغ قوله وحديثه في الصدق أعلى ما يكون، ولهذا لما كان كلامه صدقا وخبره حقا، كان ما يدل عليه مطابقة وتضمنا وملازمة كل ذلك مراد من كلامه، وكذلك كلام رسوله صلى الله عليه وسلم لكونه لا يخبر إلا بأمره ولا ينطق إلا عن وحيه.

---

(١) في ب: الآية كاملة، بينما في أ، اقتصر على أولها.." (١)

"﴿ ٩٤ ، ٩٥ ﴾ ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي ﴾ يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن ما هم فيه من الشر، فلم ينقادوا له: إلا ابتلاهم الله ﴿ بالبأساء والضراء ﴾ أي: بالفقر والمرض وأنواع البلايا ﴿ لعلهم ﴾ إذا أصابتهم، أخضعت نفوسهم فتضرعوا إلى الله واستكانوا للحق.

﴿ ثم ﴾ إذا لم يفد فيهم، واستمر استكبارهم، وازداد طغيانهم.

﴿ بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ فأدر عليهم الأرزاق، وعافى أبدانهم، ورفع عنهم البلاء ؛ ﴿ حتى عفوا ﴾ أي: كثروا، وكثرت أرزاقهم وانبسطوا في نعمة الله وفضله، ونسوا ما مر عليهم من البلاء. ﴿ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ أي: هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين، تارة [ص ٢٩٨] يكونون في سراء وتارة في ضراء، وتارة في فرح، ومرة في ترح، على حسب تقلبات الزمان وتداول الأيام، وحسبوا أنها ليست للموعظة والتذكير، ولا للاستدراج والنكير حتى إذا اغتبطوا، وفرحوا بما أوتوا، وكانت

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٠٤

الدنيا، أسر ما كانت إليهم، أخذناهم بالعذاب ﴿ بغتة وهم لا يشعرون ﴾ أي: لا يخطر لهم الهلاك على بال، وظنوا أنهم قادرون على ما آتاهم الله، وأنهم غير زائلين ولا منتقلين عنه.." (١)

"﴿ ٨١ - ٨٣ ﴾ ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون * فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ .

يقول تعالى مبينا تبجح المنافقين بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان.

﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾ وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا -ولو لعذر- حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه.

﴿ وقالوا ﴾ أي: المنافقون ﴿ لا تنفروا في الحر ﴾ أي: قالوا إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة.

وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهبه البكر (١) والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية.

ولهذا قال: ﴿ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ﴾ لما آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة.

قال الله تعالى: ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ﴾ أي: فليتمتعوا في هذه الدار المنقضية، ويفرحوا بلذاتها، ويلهوا بلعبها، فسيبكون كثيرا في عذاب أليم ﴿ جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ من الكفر والنفاق، وعدم الانقياد لأوامر ربهم.

﴿ فإن رجعك الله إلى طائفة منهم ﴾ وهم الذين تخلفوا من غير عذر، ولم يحزنوا على تخلفهم ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ لغير هذه الغزوة، إذا رأوا السهولة. ﴿ فقل ﴾ لهم عقوبة ﴿ لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٩٧

معي عدوا ﴾ فسيغني الله عنكم.

﴿ إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ وهذا كما قال تعالى ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ فإن المتثاقل المتخلف عن المأمور به عند انتهاز الفرصة، لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه.

وفيه أيضا تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان [ص ٣٤٧] ذلك توبيخا لهم، وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم.

---

(١) في ب، عدلت الكلمة إلى البكور." (١)

"﴿ ١٠٤ ﴾ ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ .

أي: أما علموا سعة رحمة الله وعموم كرمه وأنه ﴿ يقبل التوبة عن عباده ﴾ التائبين من أي ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده، إذا تاب أعظم فرح يقدر.

﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ منهم أي: يقبلها، ويأخذها بيمينه، فيربيها لأحدهم كما يربي الرجل فلوه، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك.

﴿ وأن الله هو التواب ﴾ أي: كثير التوبة على التائبين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو تكررت منه [المعصية (١)] مرارا. ولا يمل الله من التوبة على عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفار والشرود عن بابه، وموالاتهم عدوهم.

﴿ الرحيم ﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته، ويتبعون رسوله.

---

(١) زيادة من الهامش ب.." (٢)

"﴿ ٥٧ - ٥٨ ﴾ ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ .

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٤٦

(٢) تفسير السعدي، ص/٣٥١

يقول تعالى – مرغبا للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال: ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ﴾ أي: تعظكم، وتنذركم عن الأعمال الموجبة [ص ٣٦٧] لسخط الله، المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها.

﴿ وشفاء لما في الصدور ﴾ وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة.

وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، ونمتا على تكرر ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه.

وكذلك ما فيه من البراهين والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القادحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين.

وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده.

﴿ وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ فالهدى هو العلم بالحق والعمل به.

والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين.

وإذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والفلاح، والربح والنجاح، والفرح والسرور.

ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال: ﴿ قل بفضل الله ﴾ الذي هو القرآن، الذي هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده ﴿ وبرحمته ﴾ الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته. ﴿ فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ من متاع الدنيا ولذاتها.

فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب.

وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما، **وهذا فرح محمود**، **بخلاف الفرح بشهوات** الدنيا ولذاتها، **أو الفرح بالباطل**، فإن هذا مذموم كما قال [تعالى عن] قوم قارون له: ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ .

وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل: ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾.." (١)

"﴿ ٩ - ١٠ ﴾ ﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ .

يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، أنه جاهل ظالم بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرا منها عليه.

وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير، ويقول: ﴿ ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور ﴾ أي: فرح (١) بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم، وأي عيب أشد من هذا؟!!

وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم ييأسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات. ﴿ أولئك لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. ﴿ وأجر كبير ﴾ وهو: الفوز بجنات النعيم، التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين.

---

(١) في ب: يفرح.." (٢)

"﴿ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين * وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ .

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٦٦

(٢) تفسير السعدي، ص/٣٧٨

و ﴿ قالوا أضغاث أحلام ﴾ أي أحلام لا حاصل لها، ولا لها تأويل.
وهذا جزم منهم بما لا يعلمون، وتعذر منهم، [بما ليس بعذر] (١) ثم قالوا: ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ أي: لا نعبر إلا الرؤيا، وأما الأحلام التي هي من الشيطان، أو من حديث النفس، فإنا لا نعبرها. فجمعوا بين الجهل والجزم، بأنها أضغاث أحلام، والإعجاب بالنفس، بحيث إنهم لم يقولوا: لا نعلم تأويلها، وهذا من الأمور التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا، وهذا أيضا من لطف الله بيوسف عليه السلام. فإنه لو عبرها ابتداء - قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم، فيعجزوا عنها -لم يكن لها ذلك الموقع، ولكن لما عرضها عليهم فعجزوا عن الجواب، وكان الملك مهتما لها غاية، فعبرها يوسف- وقعت عندهم موقعا عظيما، وهذا نظير إظهار الله فضل آدم على الملائكة بالعلم، بعد أن سألهم فلم يعلموا. ثم سأل آدم، فعلمهم أسماء كل شيء، فحصل بذلك زيادة فضله، وكما يظهر فضل أفضل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في القيامة، أن يلهم الله الخلق أن يتشفعوا بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام، فيعتذرون عنها، ثم يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول: "أنا لها أنا لها" فيشفع في جميع الخلق، وينال ذلك المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون.
فسبحان من خفيت ألطافه، ودقت في إيصاله البر والإحسان، إلى خواص أصفيائه وأوليائه.
﴿ وقال الذي نجا منهما ﴾ أي: من الفتيين، وهو: الذي رأى أنه يعصر خمرا، وهو الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ أي: وتذكر يوسف، وما جرى له في تعبيره لرؤياهما، وما وصاه به، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة من السنين فقال: ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴾ إلى يوسف لأسأله عنها.
فأرسلوه، فجاء إليه، ولم يعنفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك فقال: ﴿ يوسف أيها الصديق ﴾ أي: كثير الصدق في أقواله وأفعاله. ﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾ فإنهم متشوقون لتعبيرها، وقد أهمتهم.
[ص ٤٠٠]
فعبر يوسف، السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف، والسبع السنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدبات، ولعل وجه ذلك - والله أعلم - أن الخصب والجدب لما كان الحرث مبنيا عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع والحروث، وحسن منظرها،

وكثرت غلالها، والجدب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقى عليها الحروث في الغالب، والسنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك، لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويله ا بين التعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدون به من التدبير في سني الخصب، إلى سني الجدب فقال: ﴿ تزرعون سبع سنين دأبا ﴾ أي: متتابعات.

﴿ فما حصدتم ﴾ من تلك الزروع ﴿ فذروه ﴾ أي: اتركوه ﴿ في سنبله ﴾ لأنه أبقى له وأبعد من الالتفات إليه ﴿ إلا قليلا مما تأكلون ﴾ أي: دبروا أيضا أكلكم في هذه السنين الخصبة، وليكن قليلا ليكثر ما تدخرون ويعظم نفعه ووقعه.

﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ أي: بعد تلك السنين السبع المخصبات. ﴿ سبع شداد ﴾ أي: مجدبات جدا ﴿ يأكلن ما قدمتم لهن ﴾ أي: يأكلن جميع ما ادخرتموه ولو كان كثيرا. ﴿ إلا قليلا مما تحصنون ﴾ أي: تمنعونه من التقديم لهن.

﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ أي: بعد السبع الشداد ﴿ عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾ أي: فيه تكثر الأمطار والسيول، وتكثر الغلات، وتزيد على أقواتهم، حتى إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة على أكلهم، ولعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب، مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك، لأنه فهم من التقدير (٢) بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها،.ومن المعلوم أنه لا يزول الجدب المستمر سبع سنين متواليات، إلا بعام مخصب جدا، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح.

---

(١) زيادة من هامش: ب.

(٢) في ب: التعبير.." [1]

"﴿ ٨٧ - ٩٣ ﴾ ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إني أنا النذير المبين *كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ .

يقول تعالى ممتنا على رسوله ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني ﴾ وهن -على الصحيح- السور السبع الطوال: " البقرة " و " آل عمران " و " النساء " و " المائدة " و " الأنعام " و " الأعراف " و " الأنفال "

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٩٩

مع " التوبة " أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات، فيكون عطف " القرآن العظيم " على ذلك من باب عطف العام على الخاص، لكثرة ما في المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب، والأحكام الجليلة، وتثنيتها فيها.

وعلى القول بأن " الفاتحة " هي السبع المثاني معناها: أنها سبع آيات، تثنى في كل ركعة، وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وأعظم ما فرح به المؤمنون، ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ ولذلك قال بعده: ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ أي: لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك بشهوات الدنيا التي تمتع بها المترفون، واغتر بها الجاهلون، واستغن بما آتاك الله من المثاني والقرآن العظيم، ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ فإنهم لا خير فيهم يرجى، ولا نفع يرتقب، فلك في المؤمنين عنهم أحسن [ص ٤٣٥] البدل وأفضل العوض، ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ أي: ألن لهم جانبك، وحسن لهم خلقك، محبة وإكراما وتوددا، ﴿ وقل إني أنا النذير المبين ﴾ أي: قم بما عليك من النذارة وأداء الرسالة والتبليغ للقريب والبعيد والعدو والصديق، فإنك إذا فعلت ذلك فليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء.

وقوله: ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين ﴾ أي: كما أنزلنا العقوبة على المقتسمين على بطلان ما جئت به، الساعين لصد الناس عن سبيل الله.." (١)

"وأن أهل الخير، يعطون كتبهم بأيمانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وأن أهل الشر بعكس ذلك، لأنهم لا يقدرون على قراءة كتبهم، من شدة غمهم وحزنهم وثبورهم.

[ص ٤٦٤]

﴿ ٧٣-٧٧ ﴾ ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ .

يذكر تعالى منته على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا ﴾ أي: قد كادوا لك أمرا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤٣٤

﴿ وإذا ﴾ لو فعلت ما يهوون ﴿ لاتخذوك خليلا ﴾ أي حبيبا صفيا، أعز عليهم من أحبابهم، لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، المحببة للقريب والبعيد، والصديق والعدو.

ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذوك العداوة، إلا للحق الذي جئت به لا لذاتك، كما قال الله تعالى ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾

﴿ و ﴾ مع هذا ف ﴿ لولا أن ثبتناك ﴾ على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، ﴿ لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ﴾ من كثرة المعالجة، ومحبتك لهدايتهم.

﴿ إذا ﴾ لو ركنت إليهم بما يهوون ﴿ لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أي لأصبناك بعذاب مضاعف ، في الحياة الدنيا وال آخرة ، وذلك لكمال نعمة الله عليك ، وكمال معرفتك.

﴿ ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة.." (١)

"﴿ ٨ - ٩ ﴾ ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير * ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ .

المجادلة المتقدمة للمقلد، وهذه المجادلة للشيطان المريد، الداعي إلى البدع، فأخبر أنه ﴿ يجادل في الله ﴾ أي: يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق، ﴿ بغير علم ﴾ صحيح ﴿ ولا هدى ﴾ أي: غير متبع في جداله هذا من يهديه، لا عقل مرشد، ولا متبوع مهتد، ﴿ ولا كتاب منير ﴾ أي: واضح بين، أي: فلا له حجة عقلية ولا نقلية ، إن هي إلا شبهات، يوحيها إليه الشيطان ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ ومع هذا ﴿ ثاني عطفه ﴾ أي: لاوي جانبه وعنقه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، و ا حتقاره للخلق، **فقد فرح بما** معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق وما معهم من الحق، ﴿ ليضل ﴾ الناس، أي: ليكون من دعاة الضلال، ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال، ثم ذكر عقوبتهم الدنيوية والأخروية فقال: ﴿ له في الدنيا خزي ﴾ أي: يفتضح هذا في الدنيا قبل الآخرة، وهذا من آيات الله العجيبة، فإنك لا تجد داعيا من دعاة الكفر والضلال، إلا وله من المقت بين العالمين، واللعنة، والبغض، والذم، ما هو حقيق به، وكل بحسب حاله.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤٦٣

﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ أي: نذيقه حرها الشديد، وسعيرها البليغ، وذلك بما قدمت يداه، ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾." (١)

"﴿ ٦٣ - ٧٧ ﴾ ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما ﴾ إلى آخر السورة الكريمة.

العبودية لله نوعان: عبودية لربوبيته فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون ﴿ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ وعبودية لألوهيته وعبادته ورحمته وهي عبودية أنبيائه وأوليائه وهي المراد هنا ولهذا أضافها إلى اسمه " الرحمن " إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم ﴿ يمشون على الأرض هونا ﴾ أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده. ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾ أي: خطاب جهل بدليل إضافة الفعل وإسناده لهذا الوصف، ﴿ قالوا سلاما ﴾ أي: خاطبوهم خطابا يسلمون فيه من الإثم ويسلمون من مقابلة الجاهل بجهله. وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال.

﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ أي: يكثرون من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم متذللين له كما قال تعالى: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾.

﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ﴾ أي: ادفعه عنا بالعصمة من أسبابه ومغفرة ما وقع منا مما هو مقتض للعذاب. ﴿ إن عذابها كان غراما ﴾ أي: ملازما لأهلها بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه.

﴿ إنها ساءت مستقرا ومقاما ﴾ وهذا منهم على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وليتذكروا منة الله عليهم، فإن صرف الشدة بحسب شدتها وفظاعتها يعظم وقعها ويشتد الفرح بصرفها.

﴿ والذين إذا أنفقوا ﴾ النفقات الواجبة والمستحبة ﴿ لم يسرفوا ﴾ بأن يزيدوا على الحد فيدخلوا في قسم التبذير وإهمال الحقوق الواجبة، ﴿ ولم يقتروا ﴾ فيدخلوا في باب البخل والشح ﴿ وكان ﴾ إنفاقهم ﴿

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٣٤

بين ذلك ﴾ بين الإسراف والتقتير ﴿ قواما ﴾ يبذلون في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهذا من عدلهم واقتصادهم.." [١]

"﴿ ٣٦ - ٣٧ ﴾ ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون * أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ .

يخبر تعالى عن طبيعة أكثر الناس في حالي الرخاء والشدة أنهم إذا أذاقهم الله منه رحمة من صحة وغنى ونصر ونحو ذلك فرحوا **بذلك فرح بطر**، **لا فرح شكر** وتبجح بنعمة الله.

﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي:: حال تسوؤهم وذلك ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ من المعاصي. ﴿ إذا هم يقنطون ﴾ ييأسون من زوال ذلك الفقر والمرض ونحوه. وهذا جهل منهم وعدم معرفة.

﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ فالقنوط بعد ما علم أن الخير والشر من الله والرزق سعته وضيقه من تقديره ضائع ليس له محل. فلا تنظر أيها العاقل لمجرد الأسباب بل اجعل نظرك لمسببها ولهذا قال: ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ فهم الذين يعتبرون بسط الله لمن يشاء وقبضه، ويعرفون بذلك حكمة الله ورحمته وجوده وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق.." [٢]

"﴿ ٥٥ - ٥٨ ﴾ ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون * سلام قولا من رب رحيم ﴾ .

[لما ذكر تعالى] أن كل أحد لا يجازى إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ بجزاء أهل الجنة، وأخبر أنهم في ذلك اليوم ﴿ في شغل فاكهون ﴾ أي: في شغل مفكه للنفس، ملذ لها، من كل ما تهواه النفوس، وتلذه العيون، ويتمناه المتمنون.

ومن ذلك افتضاض العذارى الجميلات، كما قال: ﴿ هم وأزواجهم ﴾ من الحور العين، اللاتي قد [ص ٦٩٨] جمعن حسن الوجوه والأبدان وحسن الأخلاق. ﴿ في ظلال على الأرائك ﴾ أي: على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن. ﴿ متكئون ﴾ عليها، اتكاء على كمال الراحة والطمأنينة واللذة.

﴿ لهم فيها فاكهة { كثيرة، من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها، ﴿ ولهم ما يدعون ﴾ أي: يطلبون، فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه.

ولهم أيضا ﴿ سلام ﴾ حاصل لهم ﴿ من رب رحيم ﴾ ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٨٦

(٢) تفسير السعدي، ص/٦٤٢

عليهم، وأكده بقوله: ﴿ قولا ﴾ وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرءوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها **من الفرح والبهجة** والسرور، لحصل ذلك.

فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.." (١)

"﴿ ٦٩ - ٧٦ ﴾ ﴿ ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون * الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون * إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون * ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين * ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون * ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴾ .

﴿ ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله ﴾ الواضحة البينة متعجبا من حالهم الشنيعة. ﴿ أنى يصرفون ﴾ أي: كيف ينعدلون عنها؟ وإلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟ هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟ لا والله. أم يجدون شبها توافق أهواءهم، ويصولون بها لأجل باطلهم؟ فبئس ما استبدلوا واختاروا لأنفسهم، بتكذيبهم بالكتاب، الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله به رسله، الذين هم خير الخلق وأصدقهم، وأعظمهم عقولا فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية، ولهذا توعدهم الله بعذابها فقال: ﴿ فسوف يعلمون ﴾

﴿ إذ الأغلال في أعناقهم ﴾ التي لا يستطيعون معها حركة. ﴿ والسلاسل ﴾ التي يقرنون بها، هم وشياطينهم ﴿ يسحبون في الحميم ﴾

أي: الماء الذي اشتد غليانه وحره. ﴿ ثم في النار يسجرون ﴾ يوقد عليهم اللهب العظيم، فيصلون بها، ثم يوبخون على شركهم وكذبهم.

ويقال ﴿ لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله ﴾ هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟. ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ أي: غابوا ولم يحضروا، ولو حضروا، لم ينفعوا، ثم إنهم أنكروا فقالوا: ﴿ بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ﴾ يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل -وهو الأظهر- أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما هم ضالون

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٩٧

مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كذلك يضل الله الكافرين ﴾ [ص ٧٤٣] أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون ببطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: ﴿ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن ﴾ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ﴾ الآيات.

ويقال لأهل النار ﴿ ذلكم ﴾ العذاب، الذي نوع عليكم ﴿ بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ أي: تفرحون بالباطل الذي أنتم عليه، وبالعلوم التي خالفتم بها علوم الرسل وتمرحون على عباد الله، بغيا وعدوانا، وظلما، وعصيانا، كما قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾

وكما قال قوم قارون له: ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾

وهذا **هو الفرح المذموم** الموجب للعقاب، **بخلاف الفرح الممدوح** الذي قال الله فيه: ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ **وهو الفرح بالعلم** النافع، والعمل الصالح.

﴿ ادخلوا أبواب جهنم ﴾ كل بطبقة من طبقاتها، على قدر عمله. ﴿ خالدين فيها ﴾ لا يخرجون منها أبدا ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ مثوى يخزون فيه، ويهانون، ويحبسون، ويعذبون، ويترددون بين حرها وزمهريرها.." (١)

"﴿ ٤٧-٤٨ ﴾ ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير * فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴾ .

يأمر تعالى عباده بالاستجابة له، بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا يمكن رده واستدراك الفائت، وليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه، فيفوت ربه، ويهرب منه.

بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم، ونودوا ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ وليس للعبد في ذلك اليوم نكير لما اقترفه وأجرمه، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٧٤٢

وهذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات.

﴿ فإن أعرضوا ﴾ عما جئتهم به بعد البيان التام ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ تحفظ أعمالهم وتسأل عنها، ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ فإذا أديت ما عليك، فقد وجب أجرك على الله، سواء استجابوا أم أعرضوا، وحسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها، وظاهرها وباطنها.

ثم ذكر تعالى حالة الإنسان، وأنه إذا أذاقه الله رحمة، من صحة بدن، ورزق رغد، وجاه ونحوه ﴿ فرح بها ﴾ أي: فرح فرحا مقصورا عليها، لا يتعداها، ويلزم من ذلك طمأنينته بها، وإعراضه عن المنعم.

[ص ٧٦٢]

﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ أي: مرض أو فقر، أو نحوهما ﴿ بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴾ أي: طبيعته كفران النعمة السابقة، والتسخط لما أصابه من السيئة.." (١)

"﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة عند ربك للمسرفين * فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ .

قال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿ فما خطبكم أيها المرسلون ﴾ الآيات، أي: ما شأنكم وما تريدون؟ لأنه استشعر (١) أنهم رسل، أرسلهم الله لبعض الشئون المهمة.

﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾ وهم قوم لوط، قد أجرموا ، أشركوا بالله، وكذبوا رسولهم، وأتوا الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين.

﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين ﴾ أي: معلمة، على كل حجر منها سمة صاحبه (٢) لأنهم أسرفوا، وتجاوزوا الحد، فجعل إبراهيم يجادلهم في قوم لوط، لعل الله يدفع عنهم العذاب، فقال الله: ﴿ يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾

﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ وهم بيت لوط عليه السلام، إلا امرأته، فإنها من المهلكين.

﴿ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ يعتبرون بها ويعلمون، أن الله شديد العقاب، وأن رسله صادقون، مصدقون.

فصل في ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام

---

(١) تفسير السعدي، ص/٧٦١

منها: أن من الحكمة، قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بحالهم (٣) وأين وصلت بهم الأحوال.

ومنها: فضل إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، حيث ابتدأ الله قصته، بما يدل على الاهتمام بشأنها، والاعتناء بها.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله هذا النبي (٤) وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء.

ومنها: أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم، ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، قولا وفعلا ومكرمون أيضا عند الله تعالى.

ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته، مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب، في الابتداء السلام (٥) فرد عليهم إبراهيم سلاما، أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية، دالة على الثبوت والاستمرار.

ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿ قوم منكرون ﴾ ولم يقل: " أنكرتكم " [وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفى].

ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله [ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قرى أضيافه].

ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي [ص ٨١١] قد أعدت لغير الضيف الحاضر (٦) إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

ومنها: ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرا عنده (٧) وفي بيته معدا، لا يحتاج إلى أن يأتي به (٨) من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وكبير (٩) من ضيف الضيفان.

ومنها: أنه قربه إليهم في المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: " تفضلوا، أو ائتوا إليه " لأن هذا أيسر عليهم وأحسن.

ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصا، عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضا لطيفا، وقال: ﴿ ألا تأكلون ﴾ ولم يقل: "كلوا " ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض، فقال: ﴿ ألا تأكلون ﴾ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب

واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: " ألا تأكلون " أو: "ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا " ونحوه.

ومنها: أن من خاف من الإنسان (١٠) لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمن روعه، ويسكن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم [لما خافهم]: ﴿ لا تخف ﴾ وأخبروه بتلك البشارة السارة، بعد الخوف منهم.

ومنها: شدة فرح سارة، امرأة إبراهيم، حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها، وصرتها غير المعهودة.

ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة، بغلام عليم.

---

(١) كذا في ب،وفي أ: علم.

(٢) في ب على كل حجر اسم صاحبه.

(٣) في ب ليعتبروا بهم.

(٤) أمر الله محمدا وأمته

(٥) في ب: في ابتداء السلام.

(٦) كذا في ب، وفي أ: الخاص.

(٧) في ب: لديه.

(٨) كذا في ب، وفي أ: أن يستلحقه.

(٩) في ب: وسيد.

(١٠) في ب: من أحد.." (١)

"﴿ ١٧-٢٠ ﴾ ﴿ إن المتقين في جنات ونعيم * فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم *كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون * متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ﴾ .

لما ذكر تعالى عقوبة المكذبين، ذكر نعيم المتقين، ليجمع بين الترغيب والترهيب، فتكون القلوب بين الخوف والرجاء، فقال: ﴿ إن المتقين ﴾ لربهم، الذين اتقوا سخطه وعذابه، بفعل أسبابه من امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

﴿ في جنات ﴾ أي: بساتين، قد اكتست رياضها من الأشجار الملتفة، والأنهار المتدفقة، والقصور المحدقة، والمنازل المزخرفة، ﴿ ونعيم ﴾ [وهذا] شامل لنعيم القلب والروح والبدن،

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨١٠

﴿ فاكهين بما آتاهم ربهم ﴾ أي: معجبين به، متمتعين على وجه الفرح والسرور بما أعطاهم الله من النعيم الذي لا يمكن وصفه، ولا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، ووقاهم عذاب الجحيم، فرزقهم المحبوب، [ص ٨١٥] ونجاهم من المرهوب، لما فعلوا ما أحبه الله، وجانبوا ما يسخطه ويأباه.

﴿كلوا واشربوا ﴾ أي: مما تشتهيه أنفسكم، من [أصناف] المآكل والمشارب اللذيذة، ﴿ هنيئا ﴾ أي: متهنئين بتلك المآكل والمشارب (١) على وجه الفرح والسرور والبهجة والحبور. ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ أي: نلتم ما نلتم بسبب أعمالكم الحسنة، وأقوالكم المستحسنة.

﴿ متكئين على سرر مصفوفة ﴾ الاتكاء: هو الجلوس على وجه التمكن والراحة والاستقرار، والسرر: هي الأرائك المزينة بأنواع الزينة من اللباس الفاخر والفرش الزاهية.

ووصف الله السرر بأنها مصفوفة، ليدل ذلك على كثرتها، وحسن تنظيمها، واجتماع أهلها وسرورهم، بحسن معاشرتهم، ولطف كلام بعضهم لبعض (٢) فلما اجتمع لهم من نعيم القلب والروح والبدن ما لا يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، من المآكل والمشارب [اللذيذة]، والمجالس الحسنة الأنيقة، لم يبق إلا التمتع بالنساء اللاتي لا يتم سرور بدونهن (٣) فذكر الله أن لهم من الأزواج أكمل النساء أوصافا وخلقا وأخلاقا، ولهذا قال: ﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ وهن النساء اللواتي قد جمعن من جمال الصورة الظاهرة وبهاءها، ومن الأخلاق الفاضلة، ما يوجب أن يحرن بحسنهن الناظرين، ويسلبن عقول العالمين، وتكاد الأفئدة أن تطيش (٤) شوقا إليهن، ورغبة في وصالهن، والعين: حسان الأعين مليحاتها، التي صفا بياضها وسوادها.

---

(١) في ب: متهنئين بذلك على وجه.

(٢) في ب: وملاطفة بعضهم بعضا.

(٣) في ب: إلا بهن.

(٤) في ب: تطير.." (١)

"﴿ ٨٨-٩٦ ﴾ ﴿ فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم * إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ .

ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين، في أول السورة

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨١٤

في دار القرار.
ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار والموت، فقال: ﴿ فأما إن كان ﴾ الميت ﴿ من المقربين ﴾ وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا [ص ٨٣٧] المحرمات والمكروهات (١) وفضول المباحات.
﴿ ف ﴾ لهم ﴿ روح ﴾ أي: راحة وطمأنينة، وسرور وبهجة، ونعيم القلب والروح، ﴿ وريحان ﴾ وهو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المآكل والمشارب وغيرهما، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون تعبيرا بنوع الشيء عن جنسه العام (٢) .
﴿ وجنة نعيم ﴾ جامعة للأمرين كليهما، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيبشر المقربون عند الاحتضار بهذه البشارة، التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح والسرور.
كما قال تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ﴾
وقد أول قوله (٣) تبارك تعالى: ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أن هذه البشارة المذكورة، هي البشرى في الحياة الدنيا.
[وقوله:] ﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾ وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، و [إن] حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم وإيمانهم، ﴿ ف ﴾ يقال لأحدهم: ﴿ سلام لك من أصحاب اليمين ﴾ أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين أي: يسلمون عليه ويحيونه عند وصوله إليهم ولقائهم له، أو يقال له: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، لأنك من أصحاب اليمين، الذين سلموا من الذنوب الموبقات.
﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين ﴾ أي: الذين كذبوا بالحق وضلوا عن الهدى.
﴿ فنزل من حميم وتصلية جحيم ﴾ أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية الجحيم التي تحيط بهم، وتصل إلى أفئدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ ﴿ يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾
﴿ إن هذا ﴾ الذي ذكره الله تعالى، من جزاء العباد بأعمالهم، خيرها وشرها، وتفاصيل ذلك ﴿ لهو حق اليقين ﴾ أي: الذي لا شك فيه ولا مرية، بل هو الحق الثابت الذي لا بد من وقوعه، وقد أشهد الله عباده

الأدلة القواطع على ذلك، حتى صار عند أولي الألباب كأنهم ذائقون له مشاهدون له (٤) فحمدوا الله تعالى على ما خصهم به من هذه النعمة العظيمة، والمنحة الجسيمة.

ولهذا قال تعالى: ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ فسبحان ربنا العظيم، وتعالى وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

[تم تفسير سورة الواقعة].

تفسير سورة الحديد

[وهي] مدنية

---

(١) في ب: "فأما إن كان من المقربين" أي: إن كان الميت من المقربين إلى الله المتقربين إليه بأداء الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات.

(٢) في ب: فيكون من باب التعبير بنوع الشيء عن جنسه.

(٣) في ب: فسر.

(٤) في ب: مشاهدون لحقيقته.." [١]

"﴿ ٢٢-٢٤ ﴾ ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن عموم قضائه وقدره: ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ﴾ وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم **الله فرح بطر** وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم،

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٣٦

ولهذا قال: ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ﴾

﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ أي: يجمعون بين الأمرين الذميمين، اللذين كل منهما كاف في الشر البخل: وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثوهم على هذا الخلق الذميم، بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم وتوليهم عنها، ﴿ ومن يتول ﴾ عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئا، ﴿ فإن الله هو الغني الحميد ﴾ الذي غناه من لوازم ذاته، الذي له ملك السماوات والأرض، وهو الذي أغنى عباده وأقناهم، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يحمد عليه ويثنى ويعظم.." (١)

"﴿ ١٠-١٤ ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ .

هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم.

وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال ﴿ تؤمنون بالله ورسوله ﴾ .

ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله (١) فلهذا قال: ﴿ وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك، ولو (٢) كان كريها للنفوس شاقا عليها، فإنه ﴿ خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع،

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٤٢

وسعة الصدر وانشراحه.
وفي الآخرة الفوز (٣) بثواب الله والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة، فقال: ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ وهذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، ولو كانت كبائر.
﴿ ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي: من تحت مساكنها [وقصورها] وغرفها وأشجارها، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، ﴿ ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾ أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع، وحسن بناء وزخرفة، حتى إن أهل الغرف من أهل [ص ٨٦١] عليين، يتراءاهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي، وحتى إن بناء الجنة بعضه من لبن ذهب [وبعضه من] لبن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد والجواهر الملونة بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقر أعينهم به، ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده (٤) وتبارك الجليل الجميل، الذي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق ويأخذ بأفئدتهم.
وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها، أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها (٥) ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بألمها، وسرورها (٦) بترحها.
وسميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبدا، ولا يبغون عنها حولا ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي.
وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله: ﴿ وأخرى تحبونها ﴾ أي: ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها وهي: ﴿ نصر من الله ﴾ [لكم] على الأعداء، يحصل به العز والفرح، ﴿ وفتح قريب ﴾ تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين، وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد، [إذا قام غيرهم بالجهاد] (٧) فلم يؤيسهم الله تعالى من فضله وإحسانه، بل قال: ﴿ وبشر المؤمنين

﴾ أي: بالثواب العاجل والآجل، كل على حسب إيمانه. وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله " (٨)
ثم قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ﴾ [أي:] بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على إقامته (٩) على الغير، وجهاد من عانده ونابذه، بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه من العلم ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه.
ومن نصر دين الله، تعلم كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، [والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر].
ثم هيج الله المؤمنين بالاقتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله: ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ﴾ أي: قال لهم عارضا ومنهضا (١٠) من يعاونني ويقوم معي في نصرتي لدين الله، ويدخل مدخلي، ويخرج مخرجي؟
فابتدر الحواريون، فقالوا: ﴿ نحن أنصار الله ﴾ فمضى عيسى عليه السلام على أمر الله ونصر دينه، هو ومن معه من الحواريين، ﴿ فآمنت طائفة من بني إسرائيل ﴾ بسبب دعوة عيسى والحواريين، ﴿ وكفرت طائفة ﴾ منهم، فلم ينقادوا لدعوتهم، فجاهد المؤمنون الكافرين، ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ﴾ أي: قويناهم ونصرناهم عليهم.
﴿ فأصبحوا ظاهرين ﴾ عليهم وقاهرين [لهم]، فأنتم يا أمة محمد، [ص ٨٦٢] كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر من قبلكم، ويظهركم على عدوكم.
تمت ولله الحمد (١١)

---

(١) في ب: التي من أجلها الجهاد في سبيله.

(٢) في ب: وإن كان.

(٣) في ب: والخير الأخروي بالفوز.

(٤) في ب: أحد من خلقه.

(٥) في ب: أنه لو رأى العباد الجنة.

(٦) في ب: وفرحها.

(٧) زيادة من هامش ب.

(٨) في ب جاء بدلا من هذا الحديث ما يلي: [كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، وجبت له الجنة) فعجب لها أبو سعيد الخدري- راوي الحديث - فقال: أعدها علي يا رسول الله، فأعادها عليه ثم قال: (وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) فقال: وما هي يا رسول الله؟ قال: "الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله) رواه مسلم.

(٩) في ب: تنفيذه.

(١٠) في ب: قال لهم منبها.

(١١) في ب: تم تفسيرها والحمد لله رب العالمين.." [١]

"﴿ ١٩ - ٢٤ ﴾ ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية *كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ .

وهؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزا لهم وتنويها بشأنهم ورفعا لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما من الله عليه به من الكرامة: ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾ أي: دونكم كتابي فاقرأوه فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب.

والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما من الله به علي من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: ﴿ إني ظننت أني مُلاق حسابيه ﴾ أي: أيقنت فالظن -هنا- [بمعنى] اليقين.

﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ أي: جامعة لما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها.

﴿ في جنة عالية ﴾ المنازل والقصور عالية المحل.

﴿ قطوفها دانية ﴾ أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياما وقعودا ومتكئين.

ويقال لهم إكراما: ﴿كلوا واشربوا ﴾ أي: من كل طعام لذيذ، وشراب شهي، ﴿ هنيئا ﴾ أي: تاما كاملا من غير مكدر ولا منغص.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٦٠

وذلك الجزاء حصل لكم ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ من الأعمال الصالحة -وترك الأعمال السيئة- (١) من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر لله وإنابة إليه.

---

(١) هكذا في المخطوطتين وقد جاءت جملة: (وترك الأعمال الشيئة) بين جملة (الأعمال الصالحة) وتفصيل تلك الأعمال فصار في الكلام نوع إيهام مما دفع إلى تأخير جملة: وترك. في الطبعات السابقة، وقد جعلت الكلام كما هو مع الإشارة إلى أنها جملة معترضة.." (١)

"﴿ ٣٦ - ٣٩ ﴾ ﴿ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال عزين * أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم *كلا إنا خلقناهم مما يعلمون ﴾ .

يقول تعالى، مبينا اغترار الكافرين: ﴿ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ﴾ أي: مسرعين.

﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ أي: قطعا متفرقة وجماعات متوزعة (١) ، كل منهم بما لديه فرح.

﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم ﴾ بأي: سبب أطمعهم، وهم لم يقدموا سوى الكفر، والجحود برب العالمين، ولهذا قال: ﴿كلا ﴾ [أي:] ليس الأمر بأمانيهم ولا إدراك ما يشتهون بقوتهم.

﴿ إنا خلقناهم مما يعلمون ﴾ أي: من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، فهم ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

---

(١) في ب: متنوعة.." (٢)

"﴿ ١ - ٢٢ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد * إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير * إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد * هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود * بل الذين كفروا في تكذيب * والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد * في لوح

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٨٣

(٢) تفسير السعدي، ص/٨٨٨

محفوظ ﴾ .
﴿ والسماء ذات البروج ﴾ أي: [ذات] المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته، وسعة علمه وحكمته.
﴿ واليوم الموعود ﴾ وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد.
﴿ وشاهد ومشهود ﴾ وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي.
والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آي ات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة.
وقيل: إن المقسم عليه قوله ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ وهذا دعاء عليهم بالهلاك.
و ﴿ الأخدود ﴾ الحفر التي تحفر في الأرض.
وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قوما كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول (١) في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشق الكافرون أخدودا [في الأرض]، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمر على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ ثم فسر الأخدود بقوله: ﴿ النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة (٢) يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله.
﴿ الذي له ملك السماوات والأرض ﴾ خلقا وعبيدا، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه (٣) ، ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ علما وسمعا وبصرا، أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر، أو ما علموا أنهم جميعهم مماليك لله (٤) ، ليس لأحد على أحد سلطة، من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم (٥) ؟ كلا إن الكافر في غرور، والظالم في جهل وعمى (٦) عن سواء السبيل.
ثم وعدهم، وأوعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: { إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم

عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ أي: العذاب الشديد المحرق.

قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه [ص ٩١٩] وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة.

ولما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين، فقال: ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ بقلوبهم ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ بجوارحهم ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ﴾ الذي حصل به الفوز (٧) برضا الله ودار كرامته.

﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ أي: إن عقوبته لأهل الجرائم والذنوب العظام [لقوية] شديدة، وهو بالمرصاد للظالمين كما قال الله تعالى: ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾

﴿ إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك (٨) ، ﴿ وهو الغفور ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

﴿ الودود ﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعا لها، كانت عذابا على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿ الودود ﴾ بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم فرحا بتوبة العبد من هذا براحلته، وهذا **أعظم فرح يقدر**.

فلله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه"

﴿ ذو العرش المجيد ﴾ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون ﴿ المجيد ﴾ نعتا للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإن المجيد نعت لله (٩) ، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها.

﴿ فعال لما يريد ﴾ أي: مهما أراد شيئا فعله، إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، وليس أحد فعالا لما يريد إلا الله.

فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئا، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد.

ثم ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: ﴿ هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود ﴾ وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين.

﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾ أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات.

﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ أي: قد أحاط بهم علما وقدرة، كقوله: ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره.

﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم.

﴿ في لوح محفوظ ﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء.

وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم.

تم تفسير السورة.

---

(١) في ب: على الدخول.

(٢) في ب: حالة.

(٣) في ب: يتصرف فيهم بما يشاء.

(٤) في ب: أفلا خاف هؤلاء المتمردون عليه أن يأخذهم العزيز المقتدر، أو ما علموا كلهم أنهم مماليك لله.

(٥) في ب: مجازيهم عليها.

(٦) في ب: والجاهل في عمى وضلال.

(٧) في ب: حصل لهم الفوز.

(٨) في ب: فلا يشاركه في ذلك مشارك.

(٩) في ب: فإنه يكون نعتا لله.." (١)

"﴿ ١ - ٢٠ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد * ووالد وما ولد * لقد خلقنا الإنسان في كبد * أيحسب أن لن يقدر عليه أحد * يقول أهلكت مالا لبدا * أيحسب أن لم يره أحد * ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة * والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة * عليهم نار مؤصدة ﴾ .

يقسم تعالى ﴿ بهذا البلد ﴾ [ص ٩٢٥] الأمين، الذي هو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصا وقت حلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها، ﴿ ووالد وما ولد ﴾ أي: آدم وذريته.

والمقسم عليه قوله: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب **له الفرح والسرور** الدائم.

وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد.

ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر (١) على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، [فإنه] لم يشكر الله على هذه النعمة [العظيمة]، بل بطر بالعافية وتجبر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل، ولهذا قال تعالى: ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ ويطغى ويفتخر بما أنفق من الأموال على شهوات نفسه. ف ﴿ يقول أهلكت مالا لبدا ﴾ أي: كثيرا، بعضه فوق بعض.

وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكا، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق.

قال الله متوعدا هذا الذي يفتخر بما أنفق في الشهوات: ﴿ أيحسب أن لم يره أحد ﴾ أي: أيحسب (٢) في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصغير والكبير؟

---

(١) تفسير السعدي، ص/٩١٨

بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر.

ثم قرره بنعمه، فقال: ﴿ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين ﴾ للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا، ثم قال في نعم الدين: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ أي: طريقي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي.

فهذه المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه (٣) ، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك.

﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته (٤) .

وهذه العقبة شديدة عليه، ثم فسر [هذه] العقبة ﴿ فك رقبة ﴾ أي: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار.

﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴾ أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة.

﴿ يتيما ذا مقربة ﴾ أي: جامعا بين كونه يتيما، فقيرا ذا قرابة.

﴿ أو مسكينا ذا متربة ﴾ أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة.

﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ (٥) أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم. من كل قول (٦) وفعل واجب أو مستحب. ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقدار الله المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضا على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملا منشرحا به الصدر، مطمئنة به النفس.

﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، أولئك الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفقهم الله لاقتحام هذه العقبة ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها.

﴿ والذين كفروا بآياتنا ﴾ بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، [ولا آمنوا به]، ولا عملوا صالحا، ولا رحموا عباد الله، ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة عليهم نار مؤصدة ﴾ أي: مغلقة، في عمد ممددة، [ص ٩٢٦] قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة [والحمد لله].

---

(١) في ب: يقدر.

(٢) في ب: أيظن.

(٣) في ب: على معاصي الله.

(٤) في ب: لهواه.

(٥) سبق قلم الشيخ فزاد في الآية "وعملوا الصالحات" فحذفت الزيادة في الآية وأبقيت التفسير.

(٦) في ب: فدخل في هذا كل قول.." [١]

"من أجل مننه وأفضل مواقع جوده وكرمه.

﴿ والله سميع عليم ﴾ يعلم من يستحق الفضل والتفضيل، فيضع فضله حيث اقتضت حكمته.

﴿٣٤- ٣٦﴾ فلما قرر عظمة هذه البيوت، ذكر قصة مريم وابنها عيسى -صلى الله عليه وسلم-، وكيف تسلسلا من هذه البيوت الفاضلة، وكيف تنقلت بهما الأحوال، من ابتداء أمرهما إلى آخره، وأن امرأة عمران، قالت- متضرعة إلى ربها، متقربة إليه بهذه القربة التي يحبها، التي فيها تعظيم بيته وملازمة طاعته -: ﴿ إني نذرت لك ما في بطني محررا ﴾ أي: خادما لبيت العبادة، المشحون بالمتعبدين.

﴿ فتقبل مني ﴾ هذا العمل، أي: اجعله مؤسسا على الإيمان والإخلاص، مثمرا للخير والثواب، ﴿ إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ﴾

كان في هذا الكلام نوع تضرع منها، وانكسار نفس حيث كان نذرها بناء على أنه يكون ذكرا، يحصل منه من القوة والخدمة والقيام بذلك، ما يحصل من أهل القوة، والأنثى بخلاف ذلك، فجبر الله قلبها، وتقبل الله نذرها، وصارت هذه الأنثى، أكمل وأتم من كثير من الذكور، بل من أكثرهم، وحصل بها من المقاصد، أعظم مما يحصل بالذكر، ولهذا قال: ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ﴾ أي: ربيت تربية عجيبة، دينية، أخلاقية، أدبية، كملت بها أحوالها، وصلحت بها أقوالها وأفعالها، ونما فيها كمالها، ويسر الله لها زكريا كافلا.

وهذا من منة الله على العبد، أن يجعل من يتولى تربيته من الكاملين المصلحين.

﴿٣٧- ٣٩﴾ ثم إن الله تعالى أكرم مريم وزكريا، حيث يسر لمريم من الرزق الحاصل بلا كد ولا تعب، وإنما هو كرامة أكرمها الله به.

---

(١) تفسير السعدي، ص/٩٢٤

إذ ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ وهو محل العبادة، وفيه إشارة إلى كثرة صلاتها وملازمتها لمحرابها، ﴿ وجد عندها رزقا ﴾ هنيئا معدا.

﴿ قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾

فلما رأى زكريا هذه الحال، والبر واللطف من الله بها، ذكره أن يسأل الله تعالى حصول الولد، على حين اليأس منه، فقال: ﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله ﴾ اسمه أي: الكلمة التي من الله "عيسى ابن مريم".

فكانت بشارته بهذا النبي الكريم، تتضمن البشارة بـ "عيسى" ابن مريم، والتصديق له، والشهادة له بالرسالة. فهذه الكلمة من الله، كلمة شريفة، اختص الله بها عيسى ابن مريم، وإلا فهي من جملة كلماته التي أوجد بها المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾

وقوله: ﴿ وسيدا وحصورا ﴾ أي: هذا المبشر به وهو يحيى، سيد من فضلاء الرسل وكرامهم: "والحصور"، قيل: هو الذي لا يولد له، ولا شهوة له في النساء، وقيل: هو الذي عصم وحفظ من الذنوب والشهوات الضارة، وهذا أليق المعنيين.

﴿ ونبيا من الصالحين ﴾ الذين بلغوا في الصلاح ذروته العالية.

﴿٤٠﴾ ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ﴾ فهذان مانعان، فمن أي طريق- يا رب- يحصل لي ذلك، مع ما ينافي ذلك؟!

﴿ قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾ فإنه كما اقتضت حكمته جريان الأمور بأسبابها المعروفة، فإنه قد يخرق ذلك، لأنه الفعال لما يريد، الذي قد انقادت الأسباب لقدرته، ونفذت فيها مشيئته وإرادته، فلا يتعاصى على قدرته شيء من الأسباب، ولو بلغت في القوة، ما بلغت.

﴿٤١﴾ ﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ ليحصل السرور والاستبشار، وإن كنت- يا رب- متيقنا ما أخبرتني به، ولكن النفس تفرح، ويطمئن القلب إلى مقدمات الرحمة واللطف.

﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾ (و) في هذه المدة ﴿ اذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار ﴾ أول النهار وآخره، فمنع من الكلام في هذه المدة، فكان في هذا، مناسبة لحصول الولد من بين الشيخ الكبير، والمرأة العاقر.

وكونه لا يقدر على مخاطبة الآدميين، ولسانه منطلق بذكر الله، وتسبيحه، آية أخرى.

فحينئذ حصل **له الفرح والاستبشار**، وشكر الله، وأكثر من الذكر والتسبيح بالعشايا والأبكار.

و، كان هذا المولود من بركات مريم بنت عمـران، على زكريا، فإن ما من الله به عليها، من ذلك الرزق الهني، الذي يحصل بغير حساب، ذكره وهيجه على التضرع والسؤال، والله تعالى هو المتفضل بالسبب والمسبب، ولكنه يقدر أمورا محبوبة على يد من يحبه، ليرفع الله قدره، ويعظم أجره.

﴿٤٢﴾ ثم عاد تعالى إلى ذكر مريم، وأنها بلغت في العبادة والكمال، مبلغا عظيما، فقال تعالى: ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ﴾ أي: اختارك، ووهب لك من الصفات الجليلة، والأخلاق الجميلة.

﴿ وطهرك ﴾ من الأخلاق الرذيلة، ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم- : (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام) .

﴿٤٣﴾ فنادتها الملائكة عن أمر الله لها بذلك، لتغتبط بنعم الله، وتشكر الله، وتقوم بحقوقه، وتشتغل بخدمته، ولهذا قالت الملائكة: ﴿ يا مريم اقنتي لربك ﴾ أي: أكثري من الطاعة، والخضوع والخشوع لربك، وأديمي ذلك ﴿ واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ أي: صلي مع المصلين، فقامت بكل ما أمرت به وبرزت، وفاقت في كمالها.

ولما كانت هذه القصة وغيرها من أكبر الأدلة على رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-، حيث أخبر بها مفصلة محققة، لا زيادة فيها ولا نقص، وما ذاك إلا لأنه وحي من الله العزيز الحكيم، لا بتعلم من الناس- قال تعالى -: ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ﴾ حيث جاءت بها أمها،." (١)

"ولما بين تعالى كفر عاد وثمود على الإجمال ، فصل بعد ذلك ، فذكر خاصية كل واحدة من الطائفتين. فقال : ﴿فأما عاد فاستكبروا ﴾ : أي تعاظموا عن امتثال أمر الله وعن ما جاءتهم به الرسل ، ﴿بغير الحق﴾ : أي بغير ما يستحقون. ولما ذكر لهم هذا الذنب العظيم ، وهو الاستكبار ، وكان فعلا قلبيا ، ذكر ما ظهر عليهم من الفعل اللساني المعبر عن ما في القلب ، ﴿وقالوا من أشد منا قوة﴾ : أي لا أحد أشد منا ، وذلك لما أعطاهم الله من عظم الخلق وشدة البطش. فرد الله تعالى عليهم بأن الذي

---

(١) تفسير السعدي، ص/٩٦٦

أعطاهم ذلك هو أشد منهم قوة ، ومع علمهم بآيات الله ، كانوا يجحدونها ولا يعترفون بها ، كما يجحد المودع الوديعة من طالبها مع معرفته بها. ولفظه كان في كثير من الاستعمال تشعر بالمداومة ، وعبر بالقوة عن القدرة ، فكما يقال : الله أقدر منهم ، يقال : الله أقوى منهم. فالقدرتان بينهما قدر مشترك ، وإن تباينت القدرتان بما لكل منهما من الخاصة. كما يوصف الله تعالى بالعلم ، ويوصف الإنسان بالعلم.

ثم ذكر تعالى ما أصاب به عادا فقال : ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ في الحديث : "أنه تعالى أمر خزنة الريح ففتحوا عليهم قدر حلقة الخاتم ، ولو فتحوا قدر منخر الثور لهلكت الدنيا". وروي أنها كانت تحمل العير بأوقادها ، فترميهم في البحر. والصرصر ، قال مجاهد : شديدة السموم. وقال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي : من الصر ، أي باردة. وقال السدي أيضا ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والطبري ، وجماعة : من صرصر إذا صوت. وقال ابن الكسيت : صرصر ، يجوز أن يكون من الصرة ، وهي الصيحة ، ومنه : ﴿فأقبلت امرأته فى صرة﴾ . وصرصر : نهر بالعراق. وقرأ الحرميان ، وأبو عمرو ، والنخعي ، وعيسى ، والأعرج نحسات ، بسكون الحاء ، فاحتمل أن يكون مصدرا وصف به وتارة يضاف إليه ، واحتمل أن يكون مخففا من فعل. وقال الطبري : نحس ونحس : مقت. وقال الزمخشري : مخفف نحس ، أو صفة على فعل ، أو وصف بمصدر. انتهى. وتتبعت ما ذكره التصريفيون مما جاء صفة من فعل اللازم فلم يذكروا فيه فعلا بسكون العين ، قالوا : يأتي على فعل كفرح وهو فرح ، وعلى أفعل حور فهو أحور ، وعلى فعلان شبع فهو شبعان ، وقد يجيء على فاعل سلم فهو سالم ، وبلى فهو بال. وقرأ قتادة ، وأبو رجاء ، والجحدري ،

٤٩٠

وشيبة ، وأبو جعفر ، والأعمش ، وباقي السبعة : بكسر الحاء وهو القياس ، وفعله نحس على فعل بكسر العين ، ونحسات صفة لأيام جمع بألف وتاء ، لأنه جمع صفة لما لا يعقل. قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي : مشائيم من النحس المعروف. وقال الضحاك : شديدة البرد ، وحتى كان البرد عذابا لهم. وأنشد الأصمعي في النحس بمعنى البرد :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٩

كأن سلافة عرضت بنحسيخيل شقيقها الماء الزلالا

وقيل : سميت بذلك لأنها ذات غبار ، ومنه قول الراجز :

قد اغتدي قبل طلوع الشمسللصيد في يوم قليل النحس

يريد : قليل الغبار. وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : متتابعات كانت آخر شوال من أربعاء إلى أربعاء. وقال السدي : أولها غداة يوم الأحد. وقال الربيع بن أنس : يوم الجمعة. وقال يحيى بن سلام : يوم الأحد. ﴿لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيواة الدنيا ﴾ : وهو الهلاك. وقرىء : لتذيقهم بالتاء. وقال الزمخشري : على الإذاقة للريح ، أو للأيام النحسات. وأضاف العذاب إلى الخزي إضافة الموصوف إلى صفته لم يأت بلفظة أخرى التي تقتضي المشاركة والتفصيل خبرا عن قوله : ﴿ولعذاب الاخرة﴾ ، وهو إسناد مجازي ، أو وصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به. ألا ترى تفاوت ما بين قولك : هو شاعر ، وقوله : له شعر شاعر ؟ وقابل استكبارهم بعذاب الخزي ، وهو الذل والهوان. وبدأ بقصة عاد ، لأنها أقدم زمانا ، ثم ذكر ثمود فقال : ﴿وأما ثمود﴾ . وقرأ الجمهور : بالرفع ممنوع من الصرف ؛ وابن وثاب ، والأعمش ، وبكر بن حبيب : مصروفا ، وهي قراءة ابن وثاب ، والأعمش في ثمود بالتنوين في جميع القرآن إلا قوله : ﴿وما منعنآ أن﴾ ، لأنه في المصحف بغير ألف. وقرىء : ثمود بالنصب ممنوعا من الصرف ، والحسن ، وابن أبي إسحاق ، والأعمش : ثمودا منونة منصوبة. وروى المفضل عن عاصم الوجهين. انتهى. ﴿فهديناهم﴾ ، قال ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : بينا لهم. قال ابن عطية : وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد. وقال الفراء ، وتبعه الزمخشري : فهديناهم : فدللناهم على طريق الضلالة والرشد ، كقوله تعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ .

﴿فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ :

." (١)

"ولما ذكر تعالى ما امتن به من منة الركوب للإبل في البر ، ذكر ما امتن به من نعمة الركوب في البحر فقال : ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ . ولما كان الفلك يصح أن يقال فيه : حمل في الفلك ، كقوله : ﴿احمل فيها﴾ ، ويصح أن يقال فيه حمل على الفلك ، اعتبر لفظ على لمناسبة قوله : ﴿وعليها﴾ ، وإن كان معنى في صحيحا ﴿ويريكم ءاياته﴾ : أي حججه وأدلته على وحدانيته. ﴿ويريكم ءاياتها فأى ءايات﴾ : أي إنها كثيرة ، فأيها ينكر ؟ أي لا يمكن إنكار شيء منها في العقول ، ﴿ويريكم ءاياتها فأى﴾ منصوب بتنكرون. قال الزمخشري : ﴿ويريكم ءاياته﴾ جاءت على اللغة المستفيضة ، وقولك : فأية آيات الله قليل ، لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو : حمار وحمارة غريب ، وهي في أي أغرب لإبهامه. انتهى ، ومن قلة تأنيث : أي قوله :

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤

بأي كتاب أم بأية سنةترى حبهم عارا علي وتحسب

وقوله : وهي في أي أغرب ، إن عنى أيا على الإطلاق فليس بصحيح ، لأن المستفيض في النداء أن يؤنث نداء المؤنث لقوله تعالى : ﴿أحد * يا أيتها النفس المطمانة﴾ ، ولا يعلم من يذكرها فيه فيقول : يا أيها المرأة ، إلا صاحب كتاب البديع في النحو. وإن عنى غير المناداة ، فكلامه صحيح ، فقل تأنيثها في الاستفهام وموصولة ، وما في قوله : ﴿فمآ أغنى ﴾ نافية شرطية واستفهامية في معنى النفي ، وما فيما كانوا مصدرية ، أو بمعنى الذي ، وهي في موضع رفع ، والضمير في ﴿جآءتهم﴾ عائد على ﴿الذين من قبلهم﴾ . وجاء قوله : ﴿من العلم﴾ على جهة التهكم بهم ، أي في الحقيقة لا علم لهم ، وإنما لهم خيالات واستبعادات لما جاءت به الرسل ، وكانوا يدفعون ما جاءت به الرسل بنحو قولهم : ﴿ولان رددت إلى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا﴾ ، أو اعتقدوا أن عندهم

٤٧٨

علما يستغنون به عن علم الأنبياء ، كما تزعم الفلاسفة. والدهريىن كانوا إذا سمعوا بوحي الله ، دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم. ولما سمع سقراط ، لعنه الله ، بموسى ، صلوات الله على نبينا وعليه ، قيل له : لو هاجرت إليه ، فقال : نحن قوم مهذبون ، فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا. وعلى هذين القولين تكون الضمائر متناسقة عائدة على مدلول واحد. وقيل : الضمير في ﴿فرحوا ﴾ ، وفي ﴿بما عندهم﴾ عائد على الرسل ، أي فرحت الرسل بما أوتوا من العلم ، وشكروا الله عليه ، لما رأوا جهل من أرسلوا إليهم واستهزاءهم بالحق ، وعلموا سوء عاقبتهم. وقيل : الضمير في ﴿فرحوا ﴾ عائد على الأمم ، وفي ﴿بما عندهم﴾ عائد على الرسل ، **أي فرح الكفار** بما عند الرسل من **العلم فرح ضحك** واستهزاء. وقال الزمخشري : ومنها ، أي من الوجوه التي في الآية في قوله : ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ ، مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب **لأقصى الفرح والسرور** في تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم. انتهى. ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية إلا في قليل من الكلام ، نحو قولهم : شر أهر ذا ناب ، على خلاف فيه ، ولما آل أمره إلى الإيتاء المحصور جاز. وأما في الآية فينبغي أن لا يحمل على القليل ، لأن في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة ، فلا يوثق بشيء منها.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤

وقال الزمخشري : ويجوز أن يراد ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ : علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها ،

كما قال تعالى : ﴿يعلمون ظاهرا من الحيواة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون﴾ ذلك مبلغهم من العلم ، فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات ، وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات ، لم يلتفتوا إليها ، وصغروها واستهزؤوا بها ، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ، ففرحوا به. انتهى ، وهو توجيه حسن ، لكن فيه إكثار وشقشقة. ﴿بأسنا ﴾ : أي عذابنا الشديد ، حكى حال من آمن بعد تلبيس العذاب به ، وأن ذلك لم يك نافعا ، وفي ذلك حض على المبادرة إلى الإيمان ، وتخويف من التأني. فأما قوم يونس ، فإنهم رأوا العذاب لم يلتبس بهم ، وتقدمت قصتهم. وإيمانهم مرفوع بيك اسما لها ، أو فاعل ينفعهم. وفي يك ضمير الشأن على الخلاف الذي في : كان يقوم زيد ، ودخل حرف النفي على الكون ، لا على النفي ، لأنه يؤدي إلى نفي الصحة ، إي لم يصح ولم يستقم لقوله : ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ . وترادف هذه الفاءات ، أما في ﴿فمآ أغنى ﴾ ، فلأنه كان نتيجة قوله : ﴿كانوا أكثر منهم وأشد قوة وءاثارا فى الارض فمآ أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ، جار مجرى البيان والتفسير لقوله : ﴿فمآ أغنى عنهم﴾ . و﴿فلما رأوا بأسنا﴾ تابع لقوله : ﴿فلما جآءهم﴾ ، كأنه قال : فكفروا به فلما رأوا بأسنا آمنوا ولم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأس الله ، وانتصب سنة على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة ، أي أن ما فعل بهم هي سنة الله التي قد مضت وسبقت في عباده من إرسال الرسل والإعزاز بهم ، وتعذيب من كذبهم واستهانتهم واستئصالهم بالهلاك ، وعدم الانتفاع بالإيمان حالة تلبس العذاب بهم. وهنالك ظرف مكان استعير للزمان ، أي وخسر في ذلك الوقت الكافرون. وقيل : سنة منصوب على التحذير ، أي احذروا سنة الله يا أهل مكة في إعداد الرسل.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤." (١)

"ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته ، وذكر قسمة الأولاد ، فقدم الإناث ، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه ، لا ما يشاء الإنسان ، فكان ذكر الإناث اللائي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم ، والأهم أوجب التقديم. والبلاء : الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ، ذكر البلاء وآخر الذكور. فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيره ، وهم أحق بالتقديم بتعريفهم ، لأن التعريف تنويه وتشهير ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفريقين ، الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم. ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير ، وعرفان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ، ولكن لمقتضى آخر فقال : ﴿ذكرانا وإناثا ﴾ ، كما قال : ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ ، ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴾ . انتهى. وقيل : بدأ بالأنثى ثم ثنى

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

بالذكر ، لتنقله من الغم إلى الفرح. وقيل : ليعلم أنه لا اعتراض على الله فيرضى.
٥٢٥
فإذا وهب له الذكر ، علم أنه زيادة وفضل من الله وإحسان إليه. وقيل : قدمها تنبيها على أنه إذا كان العجز والحاجة لهم ، كانت عناية الله أكثر. وقال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلاما ، ثم تلد جارية. وقال محمد بن الحنيفة : أن تلد توأما ، غلاما وجارية. وقال أبو بكر بن العربي : أو يزوجهم ذكرانا وإناثا. قال علماؤنا : يعني آدم ، كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين ، ذكرا وأنثى ؛ تزوج ذكر هذا البطن أنثى البطن الآخر. انتهى.
ولما ذكر الهبة في الإناث ، والهبة في الذكور ، اكتفى عن ذكرها في قوله : ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ﴾ . ولما كان العقم ليس بمحمود قال : ﴿ويجعل من يشآء عقيما ﴾ ، وهو قسيم لمن يولد له. ولما كانت الخنثى مما يحزن بوجوده ، لم يذكره تعالى. قالوا : وكانت الخلقة مستمرة ، ذكرا وأنثى ، إلى أن وقع في الجاهلية الأولى الخنثى ، فسئل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه ، فلم يدر ما يقوله وأرجأهم. فلما جن عليه الليل ، جعل يتقلب وتذهب به الأفكار ، وأنكرت خادمه حاله فسألته ، فقال : بهرت لأمر لا أدري ما أقول فيه ، فقالت له : ما هو ؟ فقال : شخص له ذكر وفرج ، كيف يكون حاله في الميراث ؟ قالت له الأمة : ورثه من حيث يبول ، فعقلها وأصبح فعرضها عليهم ، فرضوا بها. وجاء الإسلام على ذلك ، وقضى بذلك علي ، كرم الله وجهه ، إنه عليم بمصالح العباد ، قدير على تكوين ما يشاء.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠٦
كان من الكفار خوض في معنى تكليم الله موسى ، فذهبت قريش واليهود في ذلك إلى التجسيم ، فنزلت. وقيل : كانت قريش تقول : ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا صادقا ، كما كلمه موسى ونظر إليه ؟ فقال لهم الرسول عليه السلام : "لم ينظر موسى إلى الله" ، فنزلت : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله﴾ ، بيانا لصورة تكليم الله عباده أي ما ينبغي ولا يمكن لبشر إلا يوحى إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام. قال مجاهد : أو النفث في القلب. وقال النقاش : أو وحي في المنام. وقال النخعي : كان في الأنبياء من يخط له في الأرض ، أو بأن يسمعه كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا ، كموسى عليه السلام ، وهذا معنى ﴿من ورآى حجاب﴾ : أي من خفاء عن المتكلم ، لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه ، وليس كالحجاب في المشاهد ، أو بأن يرسل إليه ملكا يشافهه بوحى الله تعالى ، قاله ابن عطية. وقال الزمخشري : وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه :

إما على طريق الوحي ، وهو الإلهام والقذف في القلب والمنام ، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده. وعن مجاهد : أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره ، قال عبيد بن الأبرص :

وأوحى إلى الله أن قد تأمروابابن أبي أوفى فقمت على رجل

أي : ألهمني وقذف في قلبي.

وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه ، لأنه في ذاته غير مرئي. وقوله : ﴿من ورآى حجاب﴾ مثل ، أي : كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه ، وهو من وراء حجاب ، فيسمع صوته ولا يرى شخصه ، وذلك كما كلم الله موسى ويكلم الملائكة.

وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه ، كما كلم الأنبياء غير موسى. انتهى ، وهو على طريق المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى ونفي الكلام الحقيقي عن الله.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠٦

وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها أنها وحي ، وخص الأول باسم الوحي هنا ، لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام يقع دفعة واحدة ، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى. وقيل : ﴿وحيا﴾ كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة ، أو ﴿يرسل رسولا﴾ : أي نبيا ، كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم ، حكاه الزمخشري ، وترك تفسير ﴿وما كان لبشر أن﴾ ، ومعناه في هذا القول : كما كلم محمدا ومو‌سى صلى الله عليه وسلم.

٥٢٦

." (١)

"التقدير : لست براء ولا متدارك. وهذا الذي قاله ابن عطية والزمخشري سبقهما إليه الفراء ، قال : من جر السلاسل حمله على المعنى ، لأن المعنى : أعناقهم في الأغلال والسلاسل. وقال الزجاج : من قرأ بحفص والسلاسل ، فالمعنى عنده : وفي السلاسل يسحبون. وقال ابن الأنباري : والخفض على هذا المعنى غير جائز ، لو قلت : زيد في الدار ، لم يحسن أن تضمر في فتقول : زيد الدار ، ثم ذكر تأويل الفراء ، وخرج القراءة ثم قال : كما تقول : خاصم عبد الله زيدا العاقلين ، بنصب العاقلين ورفعه ، لأن أحدهما إذا خاصمه صاحبه فقد خاصمه الآخر. انتهى ، وهذه المسألة لا تجوز عند البصريين ، وهي

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

منقول جوازها عن محمد بن سعفان الكوفي ، قال : لأن كل واحد منهما فاعل مفعول ، وقرىء : وبالسلاسل يسحبون ، ولعل هذه القراءة حملت الزجاج على أن تأول الخفض على إضمار حرف الجر ، وهو تأويل شذوذ. وقال ابن عباس : في قراءة من نصب والسلاسل ، وفتح ياء يسحبون إذا كانوا يجرونها ، فهو أشد عليهم ، يكلفون ذلك وهم لا يطيقون. وقال مجاهد : ﴿يسجرون﴾ : يطرحون فيها ، فيكونون وقودا لها. وقال السدي : يسجرون : يحرقون.

ثم أخبر تعالى أنهم يوقفون يوم القيامة من جهة التوبيخ والتقريع ، فيقال لهم : أين الأصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا ؟ فيقولون : ﴿ضلوا عنا﴾ : أي تلفوا منا وغابوا واضمحلوا ، ثم تضطرب أقوالهم ويفزعون إلى الكذب فيقولون : ﴿بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ﴾ ، وهذا من أشد الاختلاط في الذهن والنظر.

ولما تبين لهم أنهم لم يكونوا شيئا ، وما كانوا يعبدون بعبادتهم شيئا ، كما تقول : حسبت أن فلانا شيء ، فإذا هو ليس بشيء إذا اختبرته ، فلم تر عنده جزاء ، وقولهم : ﴿ضلوا عنا﴾ ، مع قوله : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ ، يحتمل أن يكون ذلك عند تقريعهم ، فلم يكونوا معهم إذ ذاك ، أو لما لم ينفعوهم قالوا : ﴿ضلوا عنا﴾ ، وإن كانوا معهم. ﴿كذالك﴾ : أي مثل هذه الصفة وبهذا الترتيب ، ﴿يضل الله الكافرين﴾ ، وقال الزمخشري : أي مثل ضلال آلهتهم عنهم ، يضلهم عن آلهتهم ، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا. ذلكم الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح ، : وهو الشرك عبادة الأوثان. وقال ابن عطية : ذلك العذاب الذي أنتم فيه مما كنتم تفرحون في الأرض بالمعاصي والكفر. انتهى. و﴿كنتم تمرحون﴾ ، قال ابن عباس : الفخر والخيلاء ؛ وقال مجاهد : الاشر والبطر. انتهى ، فقال لهم ذلك توبيخا أي إيمانا لكم

٤٧٥

هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعاصي وكثرة المال والاتباع والصحة. وقال الضحاك : الفرح والسرور ، والمرح : العدوان ، وفي الحديث : "إن الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين". وتفرحون وتمرحون من باب تجنيس التحريف المذكور في علم البديع ، وهو أن يكون الحرف فرقا بين الكلمتين.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٤٤

﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ﴾ : الظاهر أنه قيل لهم : ادخلوا بعد المحاورة السابقة ، وهم قد كانوا في النار ، ولكن هذا أمر يقيد بالخلود ، وهو الثواء الذي لا ينقطع ، فليس أمرا بمطلق الدخول ، أو بعد

الدخول فيها أمروا أن يدخلوا سبعة أبواب التي لكل باب منها جزء مقسوم من الكفار ، فكان ذلك أمرا بالدخول يفيد التجزئة لكل باب. وقال ابن عطية : وقوله تعالى : ﴿أدخلوا ﴾ معناه : يقال لهم قبل هذه المحاورة في أول الأمر ادخلوا ، لأن هذه المخاطبة إنما هي بعد دخولهم ، وفي الوقت الذي فيه الأغلال في أعناقهم. وأبواب جهنم : هي السبعة المؤدية إلى طبقاتها وأدراكها السبعة. انتهى. وخالدين : حال مقدرة ، ودلت على الثواء الدائم ، فجاء التركيب : ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ : فبئس مدخل المتكبرين ، لأن نفس الدخول لا يدوم ، فلم يبالغ في ذمه ، بخلاف الثواء الدائم.

﴿فاصبر إن وعد الله حقا فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون * ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليكا وما كان لرسول أن يأتى﴾ .

٤٧٦

." (١)

"تقلب قلوب البشر من الإبلاس إلى الاستبشار ، وذلك أن قوله : ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ يحتمل الفسحة في الزمان ، أي من قبل أن ينزل بكثير ، كالأيام ونحوه ، فجاء قوله : ﴿من قبل﴾ بمعنى : أن ذلك متصل بالمطر ، فهو تأكيد مقيد. وقال الزمخشري : وبمعنى التوكيد ، فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد ، فاستحكم يأسهم وتمادى إبلاسهم ، فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك. انتهى. وما ذكره ابن عطية والزمخشري من فائدة التأكيد في قوله : ﴿من قبله﴾ غير ظاهر ، وإنما هو عند ذكره لمجرد التوكيد ، ويفيد رفع المجاز فقط. وقال قطرب : التقدير : وإن كانوا من قبل التنزيل ، من قبل المطر. انتهى. وصار من قبل إنزال المطر : من قبل المطر ، وهذا تركيب لا يسوغ في كلام فصيح ، فضلا عن القرآن. وقيل : التقدير : من قبل تنزيل الغيث : من قبل أن يزرعوا ، ودل المطر على الزرع ، لأنه يخرج بسبب المطر ؛ ودل على ذلك قوله : ﴿فرأوه مصفرا﴾ ، يعني الزرع. انتهى. وهذا لا يستقيم ، لأن ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ متعلق بقوله : ﴿لمبلسين﴾ . ولا يمكن من قبل الزرع أن يتعلق بمبلسين ، لأن حرفي جر لا يتعلقان بعامل واحد إلا إن كان بواسطة حرف العطف ، أو على جهة البدل. وليس التركيب هنا ومن قبله بحرف العطف ، ولا يصح فيه البدل ، إذا إنزال الغيث ليس هو الزرع ، ولا الزرع بعضه. وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف. أما لاشتمال الإنزال على الزرع ، بمعنى أن الزرع يكون ناشئا عن الإنزال ، فكأن الإنزال مشتمل عليه ، وهذا على مذهب من يقول : الأول يشتمل على الثاني. وقال المبرد : الثاني السحاب

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، /

، ويحتاج أيضا إلى حرف عطف حتى يمكن تعلق الحرفين بمبلسين. وقال علي بن عيسى : من قبل الإرسال. وقال الكرماني : ومن قبل الاستبشار ، لأنه قرنه بالإبلاس ، ولأنه من عليهم بالاستبشار. انتهى. ويحتاج قوله وقول ابن عيسى إلى حرف العطف ، فإن ادعى في قوله من جعل الضمير في من قبله عائد إلى غير إنزال الغيث أن حرف العطف محذوف ، أمكن ، لكن في حذف حرف العطف خلاف ، أينقاس أم لا ينقاس ؟ أما حذفه مع الجمل فجائز ، وأما وحده فهو الذي فيه الخلاف.

وقرأ الحرميان ، وأبو عمرو ، وأبو بكر : إلى أثر ، بالإفراد ؛ وباقي السبعة : بالجمع ؛ وسلام : بكسر الهمزة وإسكان الثاء. وقرأ الجحدري ، وابن السميفع ، وأبو حيوة : تحيي ، بالتاء للتأنيث ، والضمير عائد على الرحمة. وقال صاحب اللوامح : وإنما أنث الأثر لاتصاله بالرحمة إضافة إليها ، فاكتسب التأنيث منها ، ومثل ذلك لا يجوز إلا إذا كان المضاف بمعنى المضاف إليه ، أو من سببه. وأما إذا كان أجنبيا ، فلا يجوز بحال. انتهى. وقرأ زيد بن علي : نحيي ، بنون العظمة ؛ والجمهور : ﴿يحى﴾ ، بياء الغيبة ، والضمير لله ، ويدل عليه قراءة ﴿ءاثار﴾ بالجمع ، وقيل : يعود على أثر في قراءة من أفرد. وقال ابن جني : ﴿كيف يحى﴾ جملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى ، كأنه قال : محييا ، وهذا فيه نظر. ﴿إن ذالك﴾ : أي القادر على إحياء الأرض بعد موتها ، هو الذي يحيي الناس بعد موتهم. وهذا الإخبار على جهة القياس في البعث ، والبعث من الأشياء التي هو قادر عليها تعالى.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٦٠

﴿ولان أرسلنا ريحا﴾ : أخبر تعالى عن حال تقلب ابن آدم ، أنه بعد الاستبشار بالمطر ، بعث الله ريحا ، فاصفر بها النبات. لظلوا يكفرون قلقا منهم ، والريح التي تصفر النبات صر حرور ، وهما مما يصبح به النبات هشيما ، والحرور جنب الشمال إذا عصفت. والضمير في ﴿فرأوه﴾ عائد على ما يفهم من سياق الكلام ، وهو النبات. وقيل : إلى الأثر ، لأن الرحمة هي الغيث ، وأثرها هو النبات. ومن قرأ : آثار ، بالجمع ، رجع الضمير إلى آثار الرحمة ، وهو النبات ، واسم النبات يقع على القليل والكثير ، لأنه مصدر سمى به ما ينبت. وقال ابن عيسى : الضمير في ﴿فرأوه﴾ عائد على السحاب ، لأن السحاب إذا اصفر لم يمطر ؛ وقيل : على الريح ، وهذان قولان ضعيفان. وقرأ صباح بن حبيش : مصفارا ، بألف بعد الفاء. واللام في ﴿ولان﴾ مؤذنة بقسم

١٧٩

محذوف وجوابه لظلوا ، وهو مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل اتساعا تقديره : ليظلن ، ونظيره قوله

تعالى : ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل ءاية ما تبعوا قبلتك﴾ : أي ما يتبعون ذمهم تعالى في جميع أحوالهم ، كان عليهم أن يتوكلوا على فضل الله فقنطوا ، وإن شكروا نعمته فلم يزيدوا **على الفرح والاستبشار** ، وإن تصبروا على بلائه كفروا. والضمير في ﴿منا بعده﴾ عائد على الاصفرار ، أي من بعد اصفرار النبات تجحدون نعمته. وتقدم الكلام على قوله : ﴿فإنك لا تسمع الموتى ﴾ إلى قوله : ﴿فهم مسلمون﴾ في أواخر النمل ، إلا أن هنا الربط بالفاء في قوله : ﴿فإنك﴾ .

(١) ".

"﴿لا تبديل لخلق الله﴾ : أي لا تبديل لهذه القابلية من جهة الخالق. وقال مجاهد ، وابن جبير ، والضحاك ، والنخعي ، وابن زيد : لا تبديل لدين الله ، والمعنى : لمعتقدات الأديان ، إذ هي متفقة في ذلك. وقال الزمخشري : أي ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير. وقال ابن عباس : لا تبديل لقضاء الله بسعادتهم وشقاوتهم ، وقيل : هو نفي معناه : النهي ، أي لا تبدلوا ذلك الدين. وقيل : ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ بمعنى : الواحدانية مترشحة فيه ، لا تغير لها ، حتى لو سألته : من خلق السموات والأرض ؟ تقول : الله. ويستغرب ما روي عن ابن عباس أن معنى ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ : النهي عن خصاء الفحول من الحيوان. وقول من ذهب إلى أن المعنى في هذه الجملة ألجأ على الكفرة ، اعترض به أثناء الكلام ، كأنه يقول : أقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا ، فإن هؤلاء الكفرة ومن خلق الله لهم الكفر ، و﴿لا تبديل لخلق الله﴾ : أي أنهم لا يفلحون ذلك الذي أمرت بإقامة وجهك له ، هو الدين المبالغ في الاستقامة. والقيم : بياء مبالغة ، من القيام ، بمعنى الاستقامة ، ووزنه فعيل ، أصله قيوم كيد ، اجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء فيها ، وهو بناء مختص بالمعتل العين ، لم يجىء منه في الصحيح إلا بيئس وصيقل علم لامرأة.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٦٠

﴿منيبين﴾ : حال من ﴿الناس﴾ ، ولا سيما إذا أريد بالناس : المؤمنون ، أو من الضمير في : الزموا فطرة الله ، وهو تقدير الزمخشري ، أو من الضمير في : ﴿فأقم﴾ ، إذ المقصود : الرسول وأمته ، وكأنه حذف معطوف ، أي فأقم وجهك وأمتك. وكذا زعم الزجاج في : ﴿الحكيم * يا أيها النبى إذا طلقتم﴾ : أي يا أيها النبي والناس ، ودل على ذلك مجيء الحال في ﴿منيبين﴾ جمعا ، وفي ﴿إذا طلقتم﴾ جاء الخطاب فيه وفي ما بعده. جمعا ، أو على خبر كان مضمرة ، أي كونوا منيبين ، ويدل عليه قوله بعد ﴿ولا تكونوا

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

﴾ ، وهذه احتمالات منقولة كلها. ﴿من المشركين﴾ : من اليهود والنصارى ، قاله قتادة. وقال ابن زيد : هم اليهود ؛ وعن أبي هريرة وعائشة : أنهم أهل القبلة ، ولفظة الإشراك على هذا تجوز بأنهم صاروا في دينهم فرقا. والظاهر أن المشركين : كل من أشرك ، فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم. و﴿من الذين﴾ : بدل من المشركين ، ﴿فرقوا دينهم﴾ : أي دين الإسلام وجعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم. ﴿وكانوا شيعا ﴾ : كل فرقة تشايع إمامها الذي كان سبب ضلالها. ﴿كل حزب﴾ : أي **منهم فرح بمذهبه** مفتون به. والظاهر أن ﴿كل حزب﴾ مبتدأ و﴿فرحون﴾ الخبر. وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون ﴿من الذين﴾ منقطعا مما قبله ومعناه : من المفارقين دينهم. كل حزب فرحين بما لديهم ، ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل ، كقوله :

وكل خليل غيرها ضم نفسه

انتهى. قدر أولا فرحين مجرورة صفة لحزب ، ثم قال : ولكنه رفع على الوصف لكل ، لأنك إذا قلت : من قومك كل رجل صالح ، جاز في صالح الخفض نعتا لرجل ، وهو الأكثر ، كقوله :

جادت عليه كل عين ترقفتركن كل حديقة كالدرهم

وجاز الرفع نعتا لكل ، كقوله :

وعليه هبت كل معصفةهو جاء ليس للبها دبر

يرفع هو جاء صفة لكل.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٦٠

﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذآ أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون * ليكفروا ﴾ .

١٧٢

الضر : الشدة ، من فقر ، أو مرض ، أو قحط ، أو غير ذلك ؛ والرحمة : الخلاص من ذلك الضر. ﴿دعوا ربهم﴾ : أفردوه بالتضرع والدعاء لينجوا من ذلك الضر ، وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا هو تعالى ، فلهم في ذلك الوقت إنابة وخضوع ، وإذا خلصهم من ذلك الضر ، أشرك فريق ممن اخلص ، وهذا الفريق هم عبدة الأصنام. قال ابن عطية : ويلحق من هذه الألفاظ شيء للمؤمنين ، إذ جاءهم فرج بعد شدة ، علقوا ذلك بمخلوقين ، أو بحذق آرائهم ، أو بغير ذلك ، ففيه قلة شكر الله ، ويسمى مجازا. وقال أبو عبد الله الرازي : يقول : تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلاني وسبب الصنم الفلاني ، بل ينبغي أن

لا يعتقد أنه يخلص بسبب فلان إذا كان ظاهرا ، فإنه شرك خفي. انتهى. و﴿إذا فريق﴾ : جواب ﴿إذآ أذاقهم﴾ ، الأولى شرطية ، والثانية للمفاجأة ، وتقدم نظيره ، وجاء هنا فريق ، لأن قوله : ﴿وإذا مس الناس﴾ عام للمؤمن والكافر ، فلا يشرك إلا الكافر. وضر هنا مطلق ، وفي آخر العنكبوت ﴿إذا هم يشركون﴾ لأنه في مخصوصين من المشركين عباد الأصنام ، والضر هناك معين ، وهو ما يتخوف من ركوب البحر. ﴿إذا هم﴾ : أي ركاب البحر عبدة الأصنام ، ويدل على ذلك ما قبله وما بعده. واللام في ﴿ليكفروا ﴾ لام كي ، أو لام الأمر للتهديد ، وتقدم نظيره في آخر العنكبوت.
". (١)

"أي : بقتل حبال فزغا ، أي هدرا لا يطلب له بثأر ولا يؤخذ. وقرأ الخليل بن أحمد : فرغا ، بضم الفاء والراء. ﴿إن كادت لتبدى به﴾ : هي إن المخففة من الثقيلة ، واللام هي الفارقة. وقيل : إن نافية ، واللام بمعنى إلا ، وهذا قول كوفي ، والإبداء : إظهار الشيء. والظاهر أن الضمير في به عائد على موسى عليه السلام ، فقيل : الباء زائدة ، أي : لتظهره. وقيل : مفعول تبدي محذوف ، أي لتبدي القول به ، أي بسببه وأنه ولدها. وقيل : الضمير في به للوحي ، أي لتبدي بالوحي. وقال ابن عباس : كادت تصيح عند إلقائه في البحر وا ابناه. وقيل : عند رؤيتها تلاطم الأمواج به ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ . قال قتادة : بالإيمان. وقال السدي : بالعصمة. وقال الصادق : باليقين. وقال ابن عطاء : بالوحي ، و﴿لتكون من المؤمنين﴾ . فعلنا ذلك ، أي المصدقين بوعد الله ، وأنه كائن لا محالة. والربط على القلب كناية عن قراره وإطمئنانه ، شبه بما يربط مخافة الانقلاب.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

وقال الزمخشري : ويجوز : وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه. ﴿إن كادت لتبدى﴾ بأنه ولدها ، لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت ، لولا أنا طمأنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من **شدة الفرح والابتهاج**. ﴿لتكون من المؤمنين﴾ الواثقين بوعد الله ، لا بتبني فرعون وتعطفه. انتهى. وما ذهب إليه الزمخشري من تجويز كونه فارغا من الهم إلى آخره ، خلاف ما فهمه المفسرون من الآية ، وجواب لولا محذوف تقديره : لكادت تبدي به ، ودل عليه قوله : ﴿إن كادت لتبدى به﴾ ، وهذا تشبيه بقوله : ﴿وهم بها لولا أن رءا برهان ربها﴾ .

﴿وقالت لاخته﴾ ، طمعا منها في التعرف بحاله. ﴿قصيه﴾ : أي اتبعي أثره وتتبعي خبره. فروي أنها خرجت

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

في سكك المدينة مختفية ، فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يتطلبون له امرأة ترضعه ، حين لم يقبل المراضع ، واسم أخته مريم ، وقيل : كلثمة ، وقيل : كلثوم ، وفي الكلام حذف ، أي فقصت أثره. ﴿فبصرت به﴾ : أي أبصرته ؛ ﴿عن جنب﴾ ، أي عن بعد ؛ ﴿وهم لا يشعرون﴾ بتطلبها له ولا بإبصارها. وقيل : معنى ﴿عن جنب﴾ : عن شوق إليه ، حكاه أبو عمرو بن العلاء وقال : هي لغة جذام ، يقولون : جنبت إليك : اشتقت. وقال الكرماني : جنب صفة لموصوف محذوف ، أي عن مكان جنب ، يريد بعيد. وقيل : عن جانب ، لأنها كانت تمشي على الشط ، وهم لا يشعرون أنها تقص. وقيل : لا يشعرون أنها أخته. وقيل : لا يشعرون أنه عدو لهم ، قاله مجاهد. وقرأ الجمهور : عن جنب ، بضمتين. وقرأ قتادة : فبصرت ، بفتح الصاد ؛ وعيسى : بكسرها. وقرأ قتادة ، والحسن ، والأعرج ، وزيد بن علي : جنب ، بفتح الجيم وسكون النون. وعن قتادة : بفتحهما أيضا. وعن الحسن : بضم الجيم وإسكان النون. وقرأ النعمان بن سالم : عن جانب ، والجنب و الجانب والجنابة والجناب بمعنى واحد. وقال قتادة : معنى عن جنب : أنها تنظر إليه كأنها لا تريده. والتحريم هنا بمعنى المنع ، أي منعناه أن يرضع ثدي امرأة ؛ والمراضع جمع

١٠٨

مرضع ، وهي المرأة التي ترضع ؛ أو جمع مرضع ، وهو موضع الرضاع ، وهو الثدي ، أو الإرضاع. ﴿من قبل﴾ : أي من أول أمره. وقيل : من قبل قصها أثره وإتيانه على من هو عنده.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

﴿فقالت هل أدلكم﴾ : أي أرشدكم إلى ﴿أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ ، لكونهم فيهم شفقة ورحمة لمن يكفلونه وحسن تربية. ودل قوله : ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ ، أنه عرض عليه جملة من المرضعات ، والظاهر أن الضمير في له عائد على موسى. قيل : ويحتمل أن يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر أمره من جملته. وقال ابن جريج : تأول القوم أن الضمير للطفل فقالوا لها : إنك قد عرفتيه ، فأخبرينا من هو ؟ فقالت : ما أردت ، إلا أنهم ناصحون للملك ، فتخلصت منهم بهذا التأويل. وفي الكلام حذف تقديره : فمرت بهم إلى أمه ، فكلموها في إضاعه ؛ أو فجاءت بأمه إليهم ، فكلموها في شأنه ، فأرضعته ، فالتقم ثديها. ويروى أن فرعون قال لها : ما سبب قبول هذا الطفل ثديك ، وقد أبى كل ثدي ؟ فقالت : إني امرأة طيبة الريح ، طيبة اللبن ، لا أوتي بصبي إلا قبلني ، فدفعه إليها ، وذهبت به إلى بيتها ، وأجرى لها كل يوم دينارا. وجاز لها أخذه لأنه مال حربي ، فهو مباح ، وليس ذلك أجرة رضاع. ﴿فرددناه إلى أمه﴾ ، كما قال تعالى : ﴿إنا رآدوه إليك﴾ ، **ودمع الفرح بارد** ، وعين المهموم حرى سخنة ، وقال أبو

تمام :

فأما عيون العاشقين فأسخنتوأما عيون الشامتين فقرت

." (١)

"وقرأ الجمهور : ﴿ولا يسال﴾ ، مبنيا للمفعول و﴿المجرمون﴾ : رفع به ، وهو متصل بما قبله ، قاله محمد بن كعب. والضمير في ﴿ذنوبهم﴾ عائد على من أهلك من القرون ، أي لا يسأل غيرهم ممن أجرم ، ولا ممن لم يجرم ، عمن أهلكه الله ، بل : ﴿كل نفسا بما كسبت رهينة﴾ . وقيل : أهلك من أهلك من القرون ، عن علم منه بذنوبهم ، فلم يحتج إلى مسألتهم عنها. وقيل : هو مستأنف عن حال يوم القيامة. قال قتادة : لا يسألون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها ، لأنهم يدخلون النار بغير حساب. وقال قتادة أيضا ، ومجاهد : لا تسألهم الملائكة عن ذنوبهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم من السواد والتشويه ، كقوله : ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ . وقيل : لا يسألون سؤال توبيخ وتفريع. وقرأ أبو جعفر في روايته : ولا تسأل ، بالتاء والجزم ، المجرمين : نصب. وقرأ ابن سيرين ، وأبو العالية : كذلك في ولا تسأل على النهي للمخاطب ، وكان ابن أبي إسحاق لا يجوز ذلك إلا أن يكون المجرمين بالياء في محل النصب ، بوقوع الفعل عليه. قال صاحب اللوامح : فالظاهر ما قاله ، ولم يبلغني في نصب المجرمين شيء ، فإن تركاه على رفعه ، فله وجهان : أحدهما : أن تكون الهاء والميم في ﴿عن ذنوبهم﴾ راجعة إلى ما تقدم من القرون ، وارتفاع المجرمين بإضمار المبتدأ ، وتقديره : هم المجرمون ، أو أولئك المجرمون ، ومثله ﴿التا ئبون العابدون﴾ في التوبة. والثاني : أن يكون بدلا من أصل الهاء والميم في ذنوبهم ، لأنها ، وإن كانت في محل الجر بالإضافة إليها ، فإن أصلها الرفع ، لأن الإضافة إليها بمنزلة إضافة المصدر إلى اسم الفاعل ؛ فعلى ذلك المجرمون محمول على الأصل ، على ما تقدم لنا من أن بعضهم قرأ : ﴿أن يضرب مثلا ما بعوضة﴾ بالجر ، على أنها بدل من أصل ا لمثل ، وما زائدة فيه ، وتقديره : لا يستحي بضرب مثل بعوضة ، أي بضرب بعوضة. في ذلك فسر أن مع انفصل بالمصدر ناصب إلى المفعول به ، ثم أبدل منه البعوضة من غير أن أعرف فيها أثرا لحال. فأما قوله : من ذنوبهم ، فذنوب جمع ، فإن كان جمع مصدر ، ففي إعماله خلاف. وأما قوله على ما تقدم لنا من أن بعضهم قرأ ، فقد ذكر في البقرة أنه سمع ذلك ، ولا تعرف فيها أثرا ، فينبغي أن لا يجعلها قراءة.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

ولما ذكر تعالى قارون ونعته ، وما آتاه من الكنوز ، وفرحه **بذلك فرح البطرين** ، وادعاءه أن ما أوتي من ذلك إنما أوتيه على علم ، ذكر ما هو ناشيء عن التكبر والسرور بما أوتي فقال : ﴿فخرج على قومها فى زينتها﴾ ، وكان يوم السبت : أي أظهر ما يقدر عليه من الملابس والمراكب وزينة الدنيا. قال جابر ، ومجاهد : في ثياب حمر. وقال ابن زيد : هو وحشمه في ثياب معصفرة. وقيل : في ثياب الأرجوان. وقيل : على بغلة شهباء عليها الأرجوان ، وعليها سرج من ذهب ، ومعه أربعة آلاف على زيه. وقيل : عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر ، وعلى يمينه ثلاثمائة غلام ، وعلى يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهم الحلى والديباج. وقيل : في تسعين ألفا عليهم المعصفرات ، وهو أول يوم رؤي فيه المعصفر. وقيل غير ذلك من الكيفيات.

﴿قال الذين يريدون الحيواة الدنيا﴾ قيل : كانوا مؤمنين. وقال قتادة : تمنوه ليتقربوا به إلى الله. وقيل : رغبة في اليسارة والثروة. وقيل : كانوا كفارة ، وتمنوا ﴿مثل مآ أوتى قارون﴾ ، ولم يذكروا زوال نعمته ، وهذا من الغبطة. ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ : أي درجة عظيمة ، قاله الضحاك. وقيل : نصيب كثير من الدنيا والحظ البخت والسعد ، يقال : فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ. ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ ، منهم : يوشع ، والعلم : معرفة الثواب والعقاب ، أو التوكل ، أو الإخبار ، أقوال. ﴿ويلكم﴾ : دعاء بالشر. ﴿ثواب الله﴾ : وهو ما أعده في الآخرة للمؤمن ﴿خير﴾ مما أوتي قارون. ﴿ولا يلقاهآ﴾ : أي هاذه الحكمة ، وهي معرفة ثواب الله ، وقيل : الجنة ونعيمها. وقيل : هذه المقالة ، وهي قولهم : ﴿ثواب الله خير لمن ءامن وعمل صالحا﴾ ، وبخهم بها. ﴿إلا الصابرون﴾ على الطاعات وعلى قمع أنفسهم عن الشهوات.

١٣٤

تقدم طرف من خبر قارون وحسده لموسى. ومن حسده أنه جعل لبغي جعلا ، على أن ترمي موسى بطلبها وبزنائها ، وأنها تابت إلى الله ، وأقرت أن قارون هو الذي جعل لها جعلا على رمي موسى بذلك ، فأمر الله الأرض أن يطيعه ، فقال : يا أرض خذيه وأتباعه ، فخسف بهم في حكاية طويلة ، الله أعلم بها. ولما خسف بقارون ومن معه ، فقال بنو إسرائيل : إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه ، فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله. ومن زائدة ، أي من جماعة تفيد استغراق الفئات. وإذا انتفت الجملة ، ولم يقدر على نصره ، فانتفاء الواحد عن نصرته أبلغ. ﴿وما كان من المنتصرين﴾ : أي لم يكن في نفسه ممن

يمتنع من ءذاب الله.

". (١)

"إن تلاق منفسا لا تلقنافرح الخير ولا نكبوا الضر

وقرىء : الفارحين ، حكاه عيسى بن سليمان الحجازى. و﴿لا يحب﴾ : صفة فعل ، لا صفة ذات ، بمعنى الإرادة ، **لأن الفرح أمر** قد وقع ، فالمعنى : لا يظهر عليهم بركته ، ولا يعمهم رحمته. ولما نهوه **عن الفرح المطغى** ، أمروه بأن يطلب ، فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق ، ثواب الدار الآخرة ، بأن يفعل فيه أفعال البر ، وتجعله زادك إلى الآخرة. ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ ، قال ابن عباس ، والجمهور : معناه : ولا تضيع عمرك في أن لا تعمل صالحا في دنياك ، إذ الآخرة إنما يعمل لها في الدنيا ، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها ، وهذا التأويل فيه عظة. وقال الحسن ، وقتادة : معناه : لا تضيع حظك من الدنيا في تمتعك بالحلال وطلبك إياه ونظرك لعاقبة دنياك ، وفي هذا التأويل بعض رفق. وقال الحسن : معناه : قدم الفضل وأمسك ما تبلغ به. وقال مالك : هو ا لأكل والشرب بلا سرف. وقيل : أرادوا بنصيبه الكفن ، وهذا وعظ متصل ، كأنهم قالوا : تترك جميع مالك ، لا يكون نصيبك منه إلا الكفن ؛ كما قال الشاعر :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

نصيبك مما تجمع الدهر كلهرداءان تأوي فيهما وحنوط

وقال الزمخشري : أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك ، وهذا قريب من قول الحسن : ﴿وأحسن﴾ إلى عباد الله ، أو يكرك وطاعتك لله. ﴿كمآ أحسن الله إليك﴾ بتلك النعم التي خولكها ، والكاف للتشبيه ، وهو يكون في بعض الأوصاف ، لأن مماثلة إحسان العبد لإحسان الله من جميع الصفات يمتنع أن تكون ، فالتشبيه وقع في مطلق الإحسان ، أو تكون الكاف للتعليل ، أي أحسن لأجل إحسان الله إليك. ﴿ولا تبغ الفساد﴾ : أي ما أنت عليه من البغي والظلم. ﴿على علمآ﴾ ، علم : مصدر ، يحتمل أن يكون مضافا إليه ومضافا إلى الله. فقال الجمهور : ادعى أن عنده علما استوجب به أن يكون صاحب تلك الكنوز. فقيل : ءلم التوراة وحفظها ، وكان أحد السبعين الذين اختارهم موسى للميقات ، وكانت هذه مغالطة. وقال أبو سليمان الداني : أي علم التجارة ووجوه المكاسب ، أي أوتيته بإدراكي وسعيي. وقال ابن المسيب : علم الكيمياء ، قال ابن المسيب : وكان موسى عليه السلام يعلم الكيمياء ، وهي جعل الرصاص والنحاس

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

ذهبا. وعن ابن عباس : على علم الصنعة الذهب ، ولعل ذلك لا يصح عنه ولا عن ابن المسيب. وأنكر الزجاج علم الكيمياء وقال : باطل لا حقيقة له. انتهى.
وكثيرا ما تولع أهل مصر بطلب أشياء من المستحيلات والخرافات ؛ من ذلك : تغوير الماء ، وخدمة الصور الممثلة في الجدر خطوطا ، وادعائهم أن تلك الخطوط تتحرك إذا خدمت بأنواع من الخدم لهم ، والكيمياء ؛ حتى أن مشايخ العلم عندهم ، الذين هم عندهم بصورة الولاية ، يتطلب ذلك من أجهل وارد من المغاربة. وقال ابن زيد وغيره : أراد : ﴿أوتيته على علما﴾ من الله وتخصيص من ىدنه قصدني به ، أي فلا يلزمني فيه شيء مما قلتم ، ثم جعل قوله : ﴿عندى ﴾ ، كما يقول : في معتقدي وعلى ما أراه. وقال مقاتل : ﴿على علما﴾ ، أي على خير علمه الله عندي. والظاهر أن قوله : ﴿أولم يعلم أن﴾ ، تقرير لعلمه ذلك ، وتنبيه على خطئه في اغتراره ؛ أي قد علم أن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى ، لأنه قد قرأه في التوراة ، وأخبر به موسى ، وسمعه في التواريخ ، كأنه قيل : أو لم يعلم في جملة ما عنده من العلم ؟ هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته. قال الزمخشري : ويجوز أن يكون نعتا لعلمه بذلك ، لأنه لما قال : ﴿أوتيته على علم عندى ﴾ ، فتنفح بالعلم وتعظم به ، قيل : أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ؟ وأرى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ، ولم يعلم هذا العلم النافح حتى يقي نفسه مصارع الهالكين. انتهى. ﴿وأكثر جمعا ﴾ ، إما للمال ، أو جماعة يحوطونه ويخدمونه. قال ابن عطية : ﴿أولم يعلم أن﴾ ، يرجح أن

١٣٣

قارون تشبع بعلم نفسه على زعمه.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

(١) ".

"وقارون أعجمي : منع الصرف للعجمة والعلمية. وقيل : ومعنى كان من قومه : أي ممن آمن به. قال ابن عطية : وهو إسرائيلي بإجماع. انتهى. واختلف في قرابته من موسى عليه السلام ، إختلافا مضطربا متكاذبا ، وأولاها : ما قاله ابن عباس أنه ابن عمه ، وهو قارون ابن يصهر بن قاهث ، جد موسى ، لأن النسابين ذكروا نسبة كذلك ، وكان يسمى المنور لحسن صورته ، وكان أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم ، فنافق كما نافق السامري. ﴿فبغى عليهم﴾ : ذكروا من أنواع بغيه الكفر والكبر ، وحسده لموسى على النبوة

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، /

، ولهارون على الذبح والقربان ، وظلمه لبني إسرائيل حين ملكه فرعون عليهم ، ودسه بغيا تكذب على موسى أنه تعرض لها ، وتفضحه بذلك في ملأ من بني إسرائيل ، ومن تكبره أن زاد في ثيابه شبرا. ﴿إن قارون كان﴾ ، قيل : أظفره الله بكنز من كنوز يوسف عليه السلام. وقيل : سميت أمواله كنوزا ، إذ كان ممتنعا من أداء الزكاة ، وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أول عداوته. وما موصوله ، صلتها إن ومعمولاها. وقال النحاس : سمعت علي بن سليمان ، يعني الأخفش الصغير ، يقول : ما أقبح ما يقوله الكوفيون في الصلات ، أنه لا يجوز أن تكون صلة الذي إن وما عملت

١٣١

فيه ، وفي القرآن : ﴿مآ إن مفاتحه﴾ . انتهى. وتقدم الكلام في مفاتح في سورة الأنعام ، وقالوا هنا : مقاليد خزائنه. وقال السدي : هي الخزائن نفسها. وقال الضحاك : ظروفه وأوعيته. وقرأ الأعمش : مفاتيحه ، بياء ، جمع مفتاح ، وذكروا من كثرة مفاتحه ما هو كذب ، أو يقارب الكذب ، فلم أكتبه. قال أبو زيد : نؤت بالعمل إذا نهضت به. قال الشاعر :

إذا وجدنا خلفا بئس الخلفعبدا إذا ما ناء بالحمل وقف

ويقول : ناء ينوء ، إذا نهض بثقل. قال الشاعر :

تنوء بأحراها فلأيا قيامهاوتمشي الهوينا عن قريب فتبهر

وقال أبو عبيدة : هو مقلوب وأصله : لتنوء بها العصبة ، أي تنهض ، والقلب عند أصحابنا بابه الشعر. والصحيح أن الباء للتعدية ، أي لتنيء العصبة ، كما تقول : ذهبت به وأذهبته ، وجئت به وأجأته. ونقل هذا عن الخليل وسيبويه والفراء ، واختاره النحاس ، وروي معناه عن ابن عباس وأبي صالح والسدي ، وتقول العرب : ناء الحمل بالبعير إذا أثقله. قال ابن عطية : ويمكن أن يسند تنوء إلى المفاتح ، لأنها تنهض بتحامل إذا فعل ذلك الذي ينهض بها ، وذا مطرد في ناء الحمل بالبعير ونحوه ، فتأمله. وقرأ بديل بن ميسرة : لينوء ، بالياء ، وتذكيره راعى المضاف المحذوف ، التقدير : ما إن حمل مفاتحه ، أو مقدارها ، أو نحو ذلك. وقال الزمخشري : ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ، ويعطيها حكم ما أضيف إليه للملابسة والإيصال ، كقوله : ذهبت أهل اليمامة. انتهى. يعني : أنه اكتسب المفاتح التذكير من الضمير الذي لقارون ، كما اكتسب أهل التأنيث من إضافته إلى اليمامة ، فقيل فيه ، ذهبت. وذكر أبو عمرو الداني أن بديل بن ميسرة قرأ : ما إن مفتاحه ، على الإفراد ، فلا تحتاج قراءته لينوء بالياء إلى تأويل. وتقدم تفسير العصبة في سورة يوسف عليه السلام. وتقدم قبل تفسير المفاتح ، أهي المقاليد ، أو الخزائن نفسها ، أو

الظروف والأوعية ؟ وعن ابن عباس والحسن : أن المفاتح هي الأموال.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

قال ابن عباس : كانت خزائنه تحملها أربعون أقوياء ، وكانت أربعمائة ألف ، يحمل كل رجل عشرة آلاف.

وقال أبو مسلم : المراد من المفاتح : العلم والإحاطة ، كقوله تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ ، والراد : وآتيناه من الكنوز ، ما إن حفظها والإطلاع عليها ليثقل على العصبة ، أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها ، يتعب حفظها القائمين على حفظها. ﴿إذ قال له قومه لا تفرح﴾ : نهوه **عن الفرح المطغى** الذي هو إنهماك وإنحلال نفس وأشر وإعجاب ، وإنما يفرح بإقبال الدنيا عليه من اطمأن إليها وغفل عن أمر الآخرة ، ومن جعل أنه مفارق زهرة الدنيا عن قريب ، فلا يفرح بها. وقال أبو الطيب :

أشد الغم عندي في سرورتيقن عنه صاحبه انتقالا

قال الزمخشري : ومحل إذ منصوب بتنوء. انتهى ، وهذا ضعيف جدا ، لأن إثقال المفاتح العصبة ليس مقيدا بوقت قول قومه له : ﴿لا تفرح﴾ . وقال ابن عطية : متعلق بقوله : ﴿فبغى عليهم﴾ ، وهو ضعيف أيضا ، لأن بغيه عليهم لم يكن مقيدا بذلك الوقت. وقال الحوفي : الناصب له محذوف تقديره أذكر. وقال أبو البقاء : ﴿إذ قال له﴾ ظرف لآتيناه ، وهو ضعيف أيضا ، لأن الإيتاء لم يكن وقت ذلك القول. وقال أيضا : ويجوز أن يكون ظرفا لفعل محذوف دل عليه الكلام ، أي بغى عليهم ، ﴿إذ قال له قومه﴾ . انتهى. ويظهر أن يكون تقديره : فأظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز ، ﴿إذ قال له قومه لا تفرح﴾ . وقال تعالى : ﴿ولا تفرحوا بمآ ءاتاكم﴾ ، والعرب تمدح **بترك الفرح عند** إقبال الخير. وقال الشاعر :

ولست بمفراح إذا الدهر سرنيولا جازع من صرفه المتحول

١٣٢

وقال الآخر :

". (١)

"ولم يذكره ابن مالك في التسهيل ولا فيما وقفنا عليه من كتبه ، وذكر ذلك غيره وقدم معمول الخبر عليه هنا وهو قوله : ﴿أنفسهم﴾ ، ليحصل بذلك توافق رؤوس الآي والفواصل ، وليدل على الاعتناء بالإخبار عمن حل به الفعل ، ولأنه من حيث المعنى صار العامل في المفعول توكيدا لما يدل عليه ما قبله. فليس ذكره ضروريا ، وبأن التوكيد أن يتأخر عن المؤكد ، وذلك أنك تقول : ما ضربت زيدا ولكن ضربت

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

عمرا ، فذكر ضربت الثانية أفادت التأكيد ، لأن لكن موضوعها أن يكون ما بعدها منافيا لما قبلها ، ولذلك يجوز أن تقول : ما ضربت زيدا ولكن عمرا ، فلست مضطرا لذكر العامل. فلما كان معنى قوله : ﴿ولـاكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ في معنى : ﴿ولـاكن ظلموا أنفسهم﴾ ، كان ذكر العامل في المفعول ليس مضطرا إليه ، إذ لو قيل : وما ظلمونا ولكن أنفسهم ، لكان كلاما عربيا ، ويكتفي بدلالة لكن أن ما بعدها مناف لما قبلها ، فلما اجتمعت هذه المحسنات لتقديم المفعول كان تقديمه هنا الأفصح.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٠٣

وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة من ذكر قصص بني إسرائيل فصولا منها : أمر موسى ، على نبينا وعليه السلام ، إياهم بالتوبة إلى الله من مقارفة هذا الذنب العظيم الذي هو عبادة العجل من دون الله ، وأن مثل هذا الذنب العظيم تقبل التوبة منه ، والتلطف بهم في ندائهم بيا قوم ، وتنبيههم على علة الظلم الذي كان وباله راجعا عليهم ، والإعلام بأن توبتهم بقتل أنفسهم ، ثم الإخبار بحصول توبة الله عليهم وأن ذلك كان بسابق رحمته ، ثم التوبيخ لهم بسؤالهم ما كان لا ينبغي لهم أن يسألوه ، وهو رؤية الله عيانا ، لأنه كان سؤال تعنت. ثم ذكر ما ترتب على هذا السؤال من أخذ الصاعقة إياهم. ثم الإنعام عليهم بالبعث ، وهو من الخوارق العظيمة أن يحيى الإنسان في الدنيا بعد أن مات. ثم إسعافهم بما سألوه ، إذ وقعوا في التيه ، واحتاجوا إلى ما يزيل ضررهم وحاجتهم من لفح الشمس ، وتغذية أجسادهم بما يصلح لها ، فظلل عليهم الغمام ، وهذا من أعظم الأشياء وأكبر المعجزات حيث يسخر العالم العلوي للعالم السفلي على حسب اقتراحه ، فكان على ما قيل : تظلهم بالنهار وتذهب بالليل حتى ينور عليهم القمر. وأنزل عليهم المن والسلوى ، وهذا من أشرف المأكول ، إذ جمع بين الغذاء والدواء ، بما في ذلك من الحلاوة التي في المن والدسم الذي في السلوى ، وهما مقمعا الحرارة ومثيرا القوة للبدن. ثم الأمر لهم بتناول ذلك غير مقيد بزمان ولا مكان ، بل ذلك أمر مطلق. ثم التنصيص أن ذلك من الطيبات وبحق ما يكون ذلك من الطيبات. ثم ذكر أنه رزق منه لهم لم يتعبوا في تحصيله ولا استخراجه ولا تنميته ، بل جاء رزقا مهنأ لا تعب فيه. ثم أرداف هذه الجمل بالجملة الأخيرة ، إذ هي مؤكدة لافتتاح هذه الجمل السابقة ، لأنه افتتحها بالإخبار بأنهم ظلموا أنفسهم ، وختمها بذلك وهو قوله : ﴿ولـاكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ . فجاءت هذه الجمل في غاية الفصاحة لفظا والبلاغة معنى ، إذ جمعت الألفاظ المختارة والمعاني الكثيرة متعلقا أوائل أواخرها بأواخر أوائلها ، مع لطف الإخبار عن نفسه. فحيث ذكر النعم صرح بأن ذلك من عنده ، فقال : ثم بعثناكم ، وقال : وظللنا وأنزلنا ، وحيث ذكر النقم لم ينسبها إليه تعالى فقال : فأخذتكم الصاعقة. وسر ذلك أنه

موضع تعداد للنعم ، فناسب نسبة ذلك إليه ليذكرهم آلاءه ، ولم ينسب النقم إليه ، وإن كانت منه حقيقة ، لأن في نسبتها إليه تخويفا عظيما ربما عادل **ذلك الفرح بالنعم**. والمقصود : انبساط نفوسهم بذكر ما أنعم الله به عليهم ، وإن كان الكلام قد انطوى على ترهيب وترغيب ، فالترغيب أغلب عليه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٠٣

٢١٦

﴿وإذ قلنا ادخلوا هاذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين * فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السمآء بما كانوا يفسقون﴾ .

(١) ".

"وقد انتفى وصف البقرة بذلول وما بعدها ، إما بكون الجملة صفة والرابط الخبر المحذوف ، وإما بكون الجملة اعتراضية بين الصفة والموصوف ، إذ لم تشتمل على رابط يربطها بما قبلها ، إذا جعلت تثير خبر ألا يقال أن الرابط هنا هو العموم ، إذ البقرة فرد من أفراد اسم الجنس ، لأن الرابط بالعموم إنما قيل به في نحو : زيد نعم الرجل ، على خلاف في ذلك ، ولعل الأصح خلافه. وباب نعم باب شاذ لا يقاس عليه ، لو قلت زيد لا رجل في الدار ، ومررت برجل لا عاقل في الدار ، وأنت تعني الخبر والصفة وتجعل الرابط العموم ، لأنك إذا نفيت لا رجل في الدار ، انتفى زيد فيها ، وإذا قلت : لا عاقل في الدار ، انتفى العقل عن المرور به ، لم يجز ذلك ، فلذلك اخترنا في هذه القراءة على تقدير كون تثير وتسقي خبرا للا ذلول ، أن تكون الجملة اعتراضية بين الصفة والموصوف ، وتدل على نفي الإثارة ونفي السقي ، من حيث المعنى ، لا من حيث كون الجملتين صفة للبقرة. وأما تمثيل الزمخشري بذلك ، بمررت بقوم لا بخيل ولا جبان فيهم ، أو حيث هم ، فتمثيل صحيح ، لأن الجملة الواقعة صفة لقوم ليس الرابط فيها العموم ، إنما الرابط هذا الضمير ، وكذلك ما قرره هو الرابط فيه الضمير ، إذ قدره لا ذلول هناك ، أي حيث هي ، فهذا الضمير عائد على البقرة ، وحصل به الربط كما حصل في تمثيله بقوله : فيهم ، أو : حيث هم ، فتحصل من هذا الذي قررناه أن قوله تعالى : ﴿لا ذلول﴾ في قراءة السلمي يتخرج على وجهين : أحدهما : أن تكون معترضة ، وذلك على تقدير حذف خبر ، والثاني : أن تكونمعترضة ، وذلك على تقدير أن تكون خبر لا تثير الأرض

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١/١٨٢

ولا تسقي الحرث. وكانت قراءة الجمهور أولى ، لأن الوصف بالمفرد أولى من الوصف بالجملة ، ولأن في قراءة أبي عبد الرحمن ، على أحد تخريجيها ، تكون قد بدأت بالوصف بالجملة وقدمته على الوصف بالمفرد ، وذلك مخصوص بالضرورة عند بعض أصحابنا ، لأن لا ذلول المنفي معها جملة ومسلمة مفرد ، فقد قدمت الوصف بالجملة على الوصف بالمفرد ، والمفعول الثاني لتسقي محذوف ، لأن سقي يتعدى إلى اثنين. وقرأ بعضهم : تسقى بضم التاء من أسقى ، وهما بمعنى واحد. وقد قرىء : نسقيكم بفتح النون وضمها. مسلمة من العيوب ، قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية ومقاتل ، أو من الشيات والألوان ، قاله مجاهد وابن زيد ، أو من العمل في الحرث والسقي وسائر أنواع الاستعمال ، قاله الحسن وابن قتيبة. والمعنى : أن أهلها أعفوها من ذلك ، كما قال الآخر :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

أومعبر الظهر ينبي عن وليتهما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا

أو من الحرام ، لا غصب فيها ولا سرقة ولا غيرهما ، بل هي مطهرة من ذلك ، أو مسلمة القوائم والخلق ، قاله عطاء الخراساني ، أو مسلمة من جميع ما تقدم ذكره ، لتكون خالية من العيوب ، بريئة من الغصوب ، مكملة الخلق ، شديدة الأسر ، كاملة المعاني ، صالحة لأن تظهر فيها آية الله تعالى ومعجزة رسوله ، قال أبو محمد بن عطية : ومسلمة ، بناء مبالغة من السلامة ، وقاله غيره ، فقال : هي من صيغ المبالغة ، لأن وزنها مفعلة من السلامة ، وليس كما ذكر ، لأن التضعيف الذي في مسلمة ليس لأجل المبالغة ، بل هو تضعيف النقل والتعدية ، يقال : سلم كذا ، ثم إذا عديته بالتضعيف ، فالتضعيف هنا كهو في قوله : فرحت زيدا ، إذ أصله : **فرح زيد** ، وكذلك هذا أصله : سلم زيد ، ثم يضعف فيصير يتعدى. فليس إذن هنا مبالغة بل هو المرادف للبناء المتعدي بالهمزة. لاشية فيها : أي لا بياض ، قاله السدي ، أو : لا وضح ، وهو الجمع بين لونين من سواد وبياض ، أو لا عيب فيها ، أو : لا لون يخالف لونها من سواد أو بياض ، أو : لا سواد في الوجه والقوائم ، وهو الشية في البقر ، يقال ثور موشى ، إذا كان في وجهه وقوائمه سواد. وقيل : لاشية فيها ، تفسير لقوله : مسلمة ، أي خلصت صفرتها عن أخلاط سائر الألوان ، قاله ابن زيد. قال ابن عطية : والثور الأشيه الذي ظهر بلقه ، يقال : فرس أبلق ، وكبش أخرج ، وتيس أبرق ،

وكلب أبقع ، وثور أشيه. كل ذلك بمعنى البلقة. انتهى. وليس الأشيه مأخوذا من الشية لاختلاف المادتين. ." (١)

"﴿فما جزآء من يفعل ذالك منكم إلا خزى في الحيواة الدنيا ﴾ : الجزاء يطلق في الخير والشر. قال : ﴿وجزاهم بما صبروا ﴾ ، وقال : ﴿فجزآؤه جهنم﴾ . والخزي هنا : الفضيحة ، والعقوبة ، والقصاص فيمن قتل أو ضرب الجزية غابر الدهر ، أو قتل قريظة وإجلاء النضير من منازلهم إلى أريحا ، وأذرعات ، أو غلبة العدو ، أقوال خمسة. ولا يتأتى القول بالجزية ولا الجلاء إلا إن حملنا الآية على الذين كانوا معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأولى أن يكون المراد هو الذم العظيم والتحقير البالغ من غير تخصيص. وإلا خزي : استثناء مفرغ ، وهو خبر المبتدأ. ونقض النفي هنا نقض لعمل ما على خلاف في المسألة ، وتفصيل وذلك : أن الخبر إذا تأخر وأدخلت عليه إلا ، فإما أن يكون هو الأول ، أو منزلا منزلته ، أو وصفا ، إن كان الأول في المعنى ، أو منزلا منزلته ، لم يجز فيه إلا الرفع عند الجمهور. وأجاز الكوفيون ال نصب فيما كان الثاني فيه منزلا منزلة الأول ، وإن كان وصفا أجاز الفراء فيه النصب ، ومنعه البصريون. ونقل عن يونس : إجازة النصب في الخبر بعد إلا كائنا ما كان ، وهذا مخالف لما نقله أبو جعفر النحاس ، قال : لا خلاف بين النحويين في قولك : ما زيد إلا أخوك ، إنه لا يجوز إلا بالرفع. قال : فإن قلت ما أنت إلا لحيتك ، فالبصريون يرفعون ، والمعنى عندهم : ما فيك إلا لحيتك ،

٢٩٣

وكذا : ما أنت إلا عيناك. وأجاز في هذا الكوفيون النصب ، ولا يجوز النصب عند البصريين في غير المصادر ، إلا أن يعرف المعنى ، فتضمر ناصبا نحو : ما أنت إلا لحيتك مرة وعينك أخرى ، وما أنت إلا عمامتك تحسينا ورداءك تزيينا.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٨٠

﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ : يوم القيامة عبارة عن زمان ممتد إلى أن يفصل بين العباد ، ويدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار. ومعنى يردون : يصيرون ، فلا يلزم كينونتهم قبل ذلك في أشد العذاب ، أو يراد بالرد : الرجوع إلى شيء كانوا فيه ، كما قال تعالى : ﴿فرددناه إلى أمه﴾ ، وكأنهم كانوا في الدنيا في أشد العذاب أيضا ، لأنهم عذبوا في الدنيا بالقتل والسبي والجلاء وأنواع من العذاب. وقرأ الجمهور : يردون بالياء ، وهو مناسب لما قبله من قوله : ﴿من يفعل﴾ . ويحتمل أن يكون التفاتا ، فيكون

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢١٨/١

راجعا إلى قوله : ﴿أفتؤمنون﴾ ، فيكون قد خرج من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة. وقرأ الحسن وابن هرمز باختلاف عنهما : تردون بالتاء ، وهو مناسب لقوله : ﴿أفتؤمنون﴾ . ويحتمل أن يكون التفاتا بالنسبة إلى قوله ﴿من يفعل ذالك﴾ ، فيكون قد خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب. وأشد العذاب : الخلود في النار ، وأشديته من حيث أنه لا انقضاء له ، أو أنواع عذاب جهنم ، لأنها دركات مختلفة ، وفيها أودية وحيات ، أو العذاب الذي لا فرح فيه ولا روح مع اليأس من التخلص ، أو الأشدية هي بالنسبة إلى عذاب الدنيا ، أو الأشدية بالنسبة إلى عذاب عامتهم ، لأنهم الذين أضلوهم ودلسوا عليهم ، أقوال خمسة. ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ : تقدم الكلام على تفسير هذا الكلام ، إذ وقع قبل ﴿أفتطمعون﴾ . وقرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بالياء ، والباقون بالتاء من فوق. فبالياء ناسب يردون قراءة الجمهور ، وبالتاء تناسب قراءة تردون بالتاء ، فيكون المخاطب بذلك من كان مخاطبا في الآية. قيل : ويحتمل أن يكون الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. فقد روي عن عمر بن الخطاب قال : إن بني إسرائيل قد مضوا ، وأنتم الذين تعنون بهذا يأمة محمد ، وبما يجري مجراه ، وهذه الآية من أوعظ الآيات ، إذ المعنى أن الله بالمرصاد لكل كافر وعاص.

﴿أوالا ئك الذين اشتروا الحيواة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ : قال ابن عباس : نزلت في اليهود ، الذين تقدم ذكرهم أنهم آمنوا ببعض

٢٩٤

الكتاب وكفروا ببعض ، وفي اسم الإشارة دليل على أنه أشير به إلى الذين جمعوا الأوصاف السابقة الذميمة. وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على قوله : ﴿أوالئاك على هدى من ربهم﴾ ، وأنه إذا عددت أوصاف لموصوف ، أشير إلى ذلك الموصوف تنبيها على أنه هو جامع تلك الأوصاف. والذين : خبر عن أولئك ، وتقدم الكلام في قوله : ﴿اشتروا ﴾ ، وتقدم أن الشراء والبيع يقتضيان عوضا ومعوضا أعيانا. فتوسعت العرب في ذلك إلى المعاني ، وجعل إيثارهم بهجة الدنيا وزينتها على النعيم السرمدي اشتراء ، إيثارا للعاجل الفاني على الآجل الباقي ، إذ المشتري ليس هو المؤثر لتحصيله ، والثمن المبذول فيه مرغوب عنه عنده ، ولا يفعل ذلك إلا مغبون الرأي فاسد العقل.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٨٠

". (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٥٢/١

"ومن قال : لا تدل على التحريم ، استدل بقوله : ومنافع للناس ، والمحرم لا يكون فيه منفعة ، ولأنها لو دلت على التحريم لقن الصحابة بها ، وهم لم يقنعوا حتى نزلت آية المائدة ، وآية التحريم في الصلاة ، وأجيب بأن المحرم قد يكون فيه منفعة عاجلة في الدنيا ، وبأن بعض الحصابة سأل أن ينزل التحريم بالأمر الواضح الذي لا يلتبس على أحد ، فيكون آكد في التحريم.

وظاهر الآية الإخبار بأن فيهما إثما كبيرا. ومنافع حالة الجواب وزمانه ، وقال ابن عباس ، والربيع : الإثم فيهما بعد التحريم ، والمنفعة فيهما قبل التحريم ، فعلى هذا يكون الإثم في وقت ، والمنفعة في وقت ، والظاهر أنه إخبار عن الحال ، والإثم الذي فيهما هو الذنب الذي يترتب عليه العقاب ، وقالت طائفة : الإثم الذي في الخمر : ذهاب العقل ، والسباب ، والافتراء ، والتعدي الذي يكون من شاربها ، والمنفعة التي في الخمر ، قال الأكثرون : ما يحصل منها من الأرباح والأكساب ، وهو معنى قول مجاهد : وقيل ما ذكر الأطباء في منافعها من ذهاب الهم ، وحصول الفرح ، وهضم الطعام ، وتقوية الضعيف ، والإعانة على الباءة ، وتسخية البخيل ، وتصفية اللون ، وتشجيع الجبان ، وغير ذلك من منافعها. وقد صنفوا في ذلك مقالات وكتبا ، ويسمونها : الشراب الريحاني ، وقد ذكروا أيضا لها مضار كثيرة من جهة الطب.

والمنفعة التي في الميسر إيسار القامر بغير كد ولا تعب ، وقيل : التوسعة على المحاويج ، فإن من قمر منهم كان لا يأكل من الجزور ، ويفرقه على الفقراء. وذكر المفسرون هنا حكم ما أسكر كثيره من غير الخمر العنبية ، وحد الشارب ، وكيفية الضرب ، وما يتوقى من المضروب فلا يضرب عليه ، ولم تتعرض الآية لشيء من ذلك ، وهو مذكور في علم الفقه.

وقرأ حمزة ، والكسائي : إثم كثير ، بالثاء ، ووصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين ، فكأنه قيل : فيه للناس آثام ، أي

١٥٧

لكل واحد من متعاطيها إثم ، أو باعتبار ما يترتب على شربها من توالي العقاب وتضعيفه ، فناسب أن ينعت بالكثرة ، أو باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرمة ، أو باعتبار من زوالها من لدن كانت إلى أن بيعت وشربت ، فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر ، ولعن معها عشرة : بائعها ، ومبتاعها ، والمشتراة له ، وعاصرها ، ومعتصرها ، والمعصورة له وساقيها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة له ، وآكل ثمنها. فناسب وصف الإثم بالكثرة بهذا الاعتبار.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٥٤

وقرأ الباقون : كبير ، بالباء ، وذلك ظاهر ، لأن شرب الخمر والقمار ذنبهما من الكبائر ، وقد ذكر بعض الناس ترجيحا لكل قراءة من هاتين القراءتين على الأخرى ، وهذا خطأ ، لأن كلا من القراءتين كلام الله تعالى ، فلا يجوز تفضيل شيء منه على شيء من قبل أنفسنا ، إذ كله كلام الله تعالى.
﴿وإثمهمآ أكبر من نفعهما ﴾ في مصحف عبد الله وقراءته : أكثر ، بالثاء كما في مصحفه : كثير ، بالثاء المثلثة فيهما.

قال الزمخشري : وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما ، وهو الالتذاذ بشرب الخمر ، والقمار ، والطرب فيهما ، والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم ، والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم ، وسلب الأموال بالقمار ، والافتخار على الأبرام ؛ وفي قراءة أبي : وإثمهما أقرب ، ومعنى الكثرة أن : أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة. انتهى كلام الزمخشري.
وقال ابن عباس ، وسعد بن جبير ، والضحاك ، ومقاتل : إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم ، وقيل : أكبر ، لأن عقابه باق مستمر والمنافع زائلة ، والباقي أكبر من الفاني.
﴿يسالونك عن الخمر والميسرا قل﴾ تقدم هذا السؤال وأجيبوا هنا بذكر الكمية والمقدار ، والسائل في هذه الآية ، قيل : هو عمرو بن الجموح ، وقيل : المؤمنون وهو الظاهر من واو الجمع.
والنفقة هنا قيل : في الجهاد ، وقيل : في الصدقات ، والقائلون في الصدقات ، قيل : في التطوع وهو قول الجمهور ، وقيل : في الواجب ، والقائلون في الواجب ، قيل : هي الزكاة المفروضة ، وجاء ذكرها هنا مجملا ، وفصلتها السنة. وقيل كان واجبا عليهم قبل فرض الزكاة أن ينفقوا ما فضل من مكاسبهم عن ما يكفيهم في عامهم ، ثم نسخ ذلك بآية الزكاة.
والعفو : ما فضل الذي لا سرف فيه ولا تقصير ، قاله الحسن ، أو : الطيب الأفضل ، قاله الربيع ، أو : الكثير ، من قوله ﴿حتى عفوا ﴾ أي : كثروا ، قال الشاعر :
ولكنا يعض السيف منهابأسوق عافيات اللحم كوم
أو : الصفو ، يقال ؛ أتاك عفوا ، أي : صفوا بلا كدر ، قال الشاعر :
خذي العفو مني تستديمي مودتيولا تنطقي في سورتي حين أغضب
." (١)

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢/١٠٩

"وجاء في الحديث عن ابن العاصي ، ما معناه : أن يحيى لم يكن له ما للرجل إلا مثل هذا العود ، يشير إلى عويد صغير. وفي رواية أبي هريرة : كان ذكره مثل هذه القذاة ، يشير إلى قذاة من الأرض أخذها. وقد استدل بقوله ﴿وحصورا﴾ من ذهب إلى أن التبتل لنوافل العبادات أفضل من الاشتغال بالنكاح ، وهو مذهب الجمهور خلافا لمذهب أبي حنيفة ، فإنه بالعكس.

﴿ونبيا﴾ هذا الوصف الأشرف ، وهو أعلى الأوصاف ، فذكر أولا الوصف الذي تبنى عليه الأوصاف بعده ، وهو : التصديق الذي هو الإيمان ، ثم ذكر السيادة وهي الوصف يفوق به قومه ، ثم ذكر الزهادة وخصوصا فيما لا يكاد يزهد فيه وذلك النساء ، ثم ذكر الرتبة العليا وهي : رتبة النبوة. وفي هذه الأوصاف تشابه من أوصاف. مريم عليها السلام ، وذلك أن زكريا لما رأى ما اشتملت عليه مريم من الأوصاف الجميلة ، وما خصها الله تعالى به من الخوارق للعادة ، دعا ربه أن يهب له ذرية طيبة ، فأجابة إلى ذلك ، ووهب له يحيى على وفق. ما طلب ، فالتصديق مشترك بين مريم ويحيى ، وكانت مريم سيدة بني إسرائيل بنص الرسول في حديث فاطمة ، وكان يحيى سيدا ، فاشتركا في هذا الوصف. وكانت مريم عذراء بتولا لم يمسسها بشر وكان يحيى لا يقرب النساء. وكانت مريم أتاها الملك رسولا من عند الله وحاوراها عن الله بمحاورات حتى زعم قوم أنها كانت نبية ، وكان يحيى نبيا ، وحقيقة النبوة هو أن يوحي الله إليه ، فقد اشتركا في هذا الوصف.

﴿من الصالحين﴾ يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون المعنى من أصلاب الأنبياء ، كما قال : ﴿ذرية بعضها منا بعض﴾ ويحتمل أن يكون المعنى : وصالحا من جملة الصالحين. كما قال تعالى في وصف إبراهيم ﴿وإنه فى الاخرة لمن الصالحين﴾ قال ابن الأنباري : معناه من صالحي الحال عند الله قال الكرماني : خص الأنبياء بذكر الصلاح لأنه لا يتخلل صلاحهم خلاف ذلك وقال الزجاج : الصالح هو الذي يؤدي ما افترض عليه وإلى الناس حقوقهم. انتهى.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣٢

وقد قال سليمان بعد حصول النبوة له ﴿وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾ قيل : وتحقيق ذلك أن للأنبياء قدرا من الصلاح لو انتقص لانتفت النبوة ، ثم بعد اشتراكهم في ذلك القدر تتفاوت درجاتهم في الزيادة على ذلك القدر ، فمن كان أكثر نصيبا من الصلاح كان أعلى قدرا.

وقال الماتريدي : الصلاح يتحقق في كل نبي من جميع الوجوه ، وفي غيرهم لا يتحقق إلا بعضها ، وإن كان الاسم ينطلق على الكل لكن سبب استحقاق الاسم في الأنبياء هو تحقيق الصلاح من جميع الوجوه

، وفي غيرهم من بعضها ، فخصه بالذكر حتى ينقطع احتمال جواز النبوة في مطلق المؤمنين ، فكان تقييده باسم الصلاح مفيدا.

وقيل : من الصالحين في الدنيا والآخرة ، فيكون إشارة إلى الدوام على الإيمان ، والأمن من خوف الخاتمة.

﴿قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر﴾ كان قد تقدم سؤاله به : ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة﴾ فلا شك في إمكانية ذلك ، وجوازه : وإذا كان ذلك ممكنا وبشرته به الملائكة ، فما وجه هذا الاستفهام ؟.

وأجيب بوجوه : .

أحدهما : أنه سؤال عن الكيفية ، والمعنى : أيولد لي على سن الشيخوخة وكون امرأتي عاقرا ؟ أي بلغت سن من لا تلد ، وكان قد بلغ تسعا وتسعين سنة ، وامرأته بلغت ثمانيا وتسعين سنة وقال ابن عباس : كان يوم بشر ابن عشرين ومائة سنة وقال الكلبي : ابن اثنتين وتسعين سنة.

أم أعاد أنا وامرأتي إلى سن الشبيبة وهيئة من يولد له ؟ فأجيب : بأنه يولد له على هذه الحال. قال معناه : الحسن ، والأصم.

الثاني : أنه لما بشر بالولد استعلم : أيكون ذلك الولد من

٤٤٩

صلبه نفسه أم من بنيه ؟.

الثالث : أنه كان نسي السؤال ، وكان بين السؤال والتبشير أربعون سنة ونقل عن سفيان أنه كان بينهما ستون سنة.

الرابع : أن هذا الاستعلام هو على سبيل الاستعظام لقدرة الله تعالى ، يحدث ذلك عند معاينة الآيات وهو يرجع معناه إلى ما قاله بعضهم : إن ذلك من **شدة الفرح** ، لكونه كالمدهوش عند حصول ما كان مستعبدا له عادة.

الخامس : إنما سأل لأنه كان عاجزا عن الجماع لكبر سنه ، فسأل ربه : هل يقويه على الجماع وامرأته على القبول على حال الكبر ؟

السادس : سأل هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم من غيرها.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣٢

السابع : أنه لما بشر بالولد أتاه الشيطان ليكدر عليه نعمة ربه ، فقال له : هل تدري من ناداك ؟ قال :

ملائكة ربي قال له : بل ذلك الشيطان ، ولو كان هذا من عند ربك لأخفاه لك كما أخفيت نداءك ، فخالطت قلبه وسوسة ، فقال : ﴿أنى يكون لي غلام﴾ ليبين الله له من الوحي ، قاله عكرمة ، والسدي. قال القاضي : لو اشتبه على الرسل كلام الملك بكلام الشيطان لم يبق الوثوق بجميع الشرائع.
." (١)

"ونظره ابن عطية بقوله تعالى : ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا﴾ قال : لأن بادىء الرأي يعطي أن له أن يقتل خطأ. وأن الحبل من الله ومن الناس يزيل ضرب الذلة ، وليس الأمر كذلك. وإنما في الكلام محذوف يدركه فهم السامع الناظر في الأمر وتقديره : في أمتنا ، فلا نجاة من الموت إلا بحبل. نتهى كلامه. وعلى ما قدره لا يكون استثناء منقطعا ، لأنه مستثنى من جملة مقدرة وهي قوله : فلا نجاة من الموت ، وهو متصل على هذا التقدير فلا يكون استثناء منقطعا من الأول ضرورة أن الاستثناء الواحد لا يكون منقطعا متصلا. والاستثناء المنقطع كما قرر في علم النحو على قسمين منه : ما يمكن أن يتسلط عليه العامل ، ومنه ما لا يمكن فيه ذلك ، ومنه هذه الآية. على تقدير الانقطاع ، إذ التقدير : لكن اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس ينجيهم من القتل والأسر وسبي الذراري واستئصال أموالهم. ويدل على أنه منقطع ال أخبار بذلك في قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبآءو بغضب من الله﴾ فلم يستثن هناك. وذهب الزمخشري وغيره إلى أنه استثناء متصل قال : وهو استثناء من أعم عام الأحوال ، والمعنى : ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس ، يعني : ذمة الله وذمة المسلمين. أي لا عزلهم قط إلا هذه الواحدة ، وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية انتهى كلامه. وهو متجه وشبه العهد بالحبل لأنه يصل قوما بقوم ، كما يفعل الحبل في الإجرام. والظاهر في تكرار الحبل أنه أريد حبلان ، وفسر حبل الله بالإسلام ، وحبل الناس بالعهد والذمة. وقيل : حبل الله هو الذي نص الله عليه من أخذ الجزية. والثاني : هو الذي فوض إلى رأي الإمام فيزيد فيه وينقص بحسب الاجتهاد. وقيل : المراد حبل واحد ، إذ حبل المؤمنين هو حبل الله وهو العهد.
﴿وبآءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنةا ذالك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانابيآء بغير حقا ذالك بما عصوا ﴾ تقدم تفسير نظائر هذه الجمل فأغنى ذلك عن إعادته هنا.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٦

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٤١/٢

الآناء : الساعات. وفي مفردها لغات أني كمعي ، وأني كفتى ، وأني كنحي ، وأتى كظبي ، وانو كجرو.
الصر : البرد الشديد المحرق. وقيل : البارد بمعنى الصرصر كما قال :
لا تعدلن إناء بين تضر بهمنكباء ضر بأصحاب المحلات
وقالت ليلى الأخيلية :
ولم يغلب الخصم الألد ويملأ
الجفان سديفا يوم منكباء صرصر
٣٢
وقال ابن كيسان : هو صوت لهب النار ، وهو اختيار الزجاج من الصرير. وهو الصوت من قولهم : صر الشيء ، ومنه الريح الصرصر. وقال الزجاج : والصر صوت النار التي في الريح.
البطانة في الثوب بإزاء الظهارة ، ويستعار لمن يختصه الإنسان كالشعار والدثار. يقال : بطن فلان من فلان بطونا وبطانة إذا كان خاصا به ، داخلا في أمره. وقال الشاعر :
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٢
أولئك خلصاني نعم وبطانتيوهم عيبتي من دون كل قريب
ألوت في الأمر : قصرت فيه. قال زهير :
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهمفلم يفعلوا ولم يليموا لم يألووا
أي لم يقصروا. الخبال والخبل : الفساد الذي يلحق الحيوان. يقال : في قوائم الفرس خبل وخبال أي فساد من جهة الاضطراب. والخبل والجنون. ويقال : خبله الحب أي أفسده.
البغضاء : مصدر كالسراء والبأساء يقال : بغض الرجل فهو بغيض ، وأبغضته أنا اشتدت كراهتي له.
الأفواه معروفة ، والواحد منها في الأصل فوه. ولم تنطق به العرب بل قالت : فم. وفي الفم لغات تسع ذكرت في بعض كتب النحو.
العض : وضع الأسنان على الشيء بقوة ، والفعل منه على فعل بكسر العين ، وهو بالضاد. فأماعظ الزمان وعظ الحرب فهو بالظاء أخت الطاء قال :
وعض زمان يا ابن مروان لم يدعمن المال إلا مسحتا أو مجلف
والعض بضم العين علف أهل الأمصار مثل : الكسب والنوى المرضوض : يقال منه : أعض القوم إذا أكل إبلهم العض. وبعير عضاضي أي سمين ، كأنه منسوب إليه. والعض بالكسر الداهية من الرجال.

الأنامل جمع أنملة ، ويقال : بفتح الميم وضمها ، وهي أطراف الأصابع. قال ابن عيسى : أصلها النمل المعروف ، وهي مشبهة به في الدقة والتصرف بالحركة. ومنه رجل نمل : أي نمام.

الغيض : مصدر غاضة ، وغيض اسم علم.

الفرح : معروف يقال منه : فرح بكسر العين.

الكيد : المكر كاده يكيده مكر به. وهو الاحتيال بالباطل. قال ابن قتيبة : وأصله المشقة من قولهم : فلان يكيد بنفسه ، أي يعالج مشقات النزع وسكرات الموت.

". (١)

"قال الزمخشري : ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما يستحقان به انتهى. وفي ذكر الاستحقاق دسيسة الاعتزال ، وتقدم ذكر المغفرة على الجنة لأنها السبب الموصل إلى الجنة ، وحذف المضاف من السموات أي : عرض السموات بعد حذف أداة التشبيه أي : كعرض. وبعد هذا التقدير اختلفوا ، هل هو تشبيه حقيقي ؟ أو ذهب به مذهب السعة العظيمة ؟ لما كانت الجنة من الاتساع والانفساح في الغاية القصوى ، إذ السموات والأرض أوسع ما علمه الناس من مخلوقاته وأبسطه ، وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة ، فعلى هذا لا يراد عرض ولا طول حقيقة قاله : الزجاج. وتقول العرب : بلاد عريضة ، أي واسعة. وقال الشاعر :

كأن بلاد الله وهي عريضةعلى الخائف المطلوب كفة حابل

والقول الأول عن ابن عباس وغيره. قال ابن عباس وسعيد بن جبير : والجمهور تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب ، فذلك عرض الجنة ، ولا يعلم طولها إلا الله انتهى ولا ينكر هذا. فقد ورد في الحديث في وصف الجنة وسعتها ما يشهد لذلك. وأورد ابن عطية من ذلك أشياء في كتابه. والجنة على هذا القول أكبر من السموات ، وهي ممتدة في الطول حيث شاء الله. وخص العرض بالذكر لدلالته على الطول ، والطول إذا ذكر لا يدل على سعة العرض ، إذ قد يكون العرض يسيرا كعرض الخيط.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٥

وقال قوم : معناه كعرض السموات والأرض طباقا ، لا بأن تقرن كبسط الثياب. فالجنة في السماء وعرضها كعرضها ، وعرض ما وازاها من الأرضين إلى السابعة ، وهذه دلالة على العظيم. وأغنى ذكر العرض عن ذكر الطول. وقال ابن فورك : الجنة في السماء ، ويزاد فيها يوم القيامة ، وتقدم الكلام في الجنة أخلقت ؟

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٥/٣

وهو ظاهر القرآن. ونص الآثار الصحيحة النبوية أم لم تخلق ؟

٥٧

بعد وهو قول : المعتزلة ، ووافقهم من أهل بلادنا القاضي منذر بن سعيد. وأما قول ابن فورك أنه يزاد فيها فيحتاج إلى صحة نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الكلبي : الجنان أربع : جنة عدن ، وجنة المأوى ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم. كل جنة منها كعرض السماء والأرض ، لو وصل بعضها ببعض ما علم طولها إلا الله. وقال ابن بحر : هو من عرض المتاع على البيع ، لا العرض المقابل للطول. أي لو عورضت بها لساوها نصيب كل واحد منكم ، وجاء إعدادها للمتقين فخصوا بالذكر تشريفا لهم ، وإعلاما بأنهم الأصل في ذلك ، وغيرهم تبع لهم في إعدادها. وإن أريد بالمتقين متقو الشرك كان عاما في كل مسلم طائع أو عاص.

﴿الذين ينفقون فى السرآء والضرآء﴾ قال ابن عباس والكلبي ومقاتل : السراء اليسر ، والضراء العسر. وقال عبيد بن عمير والضحاك : الرخاء والشدة. وقيل : في الحياة ، وبعد الموت بأن يوصى. وقيل : في الفرح وفي الترح. وقيل : فيما يسر كالنفقة على الولد والقرابة ، وفيما يضر كالنفقة على الأعداء. وقيل : في ضيافة الغني والإهداء إليه ، وفيما ينفقه على أهل الضر ويتصدق به عليهم. وقيل : في المنشط والمكره. ويحتمل التقييد بهاتين الحالتين ، ويحتمل أن يعني بهما جميع الأحوال ، لأن هاتين الحالتين لا يخلو المنفق أن يكون على إحداهما. والمعنى : لا يمنعهم حال سرور ولا حال ابتلاء عن بذل المعروف. وروي عن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب. وعن بعض السلف ببصلة. وابتدىء بصفة التقوى الشاملة لجميع الأوصاف الشريفة ، ثم جيء بعدها بصفة البذل ، إذ كانت أشق على النفس وأدل على الإخلاص. وأعظم الأعمال للحاجة إلى ذلك في الجهاد ، ومواساة الفقراء. ويجوز في الدين الاتباع والقطع للرفع والنصب.

﴿والكاظمين الغيظ﴾ أي الممسكين ما في أنفسهم من الغيظ بالصبر ، ولا يظهر له أثر ، والغيظ : أصل الغضب ، وكثيرا ما يتلازمان ، ولذلك فسره بعضهم هنا بالغضب.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٥

والغيظ فعل نفساني لا يظهر على الجوارح ، والغضب فعل لها معه ظهور في الجوارح ، وفعل ما ولا بد ، ولذلك أسند إلى الله تعالى إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم ، ولا يسند الغيظ إليه تعالى. ووردت أحاديث في كظم الغيظ وهو من أعظم العبادة. وروي عنه صلى الله عليه وسلم : "من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنا وإيمانا" وعنه عليه السلام : "ما من جرعة يتجرعها العبد خير له وأعظم

أجرا من جرعة غيظ في الله" وعن عائشة أن خادما لها غاظها فقالت : لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء وقال مقاتل : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية : ﴿إن هذه في أمتي لقليل وقد كانوا أكثر في الأمم الماضية". وأنشد أبو القاسم بن حبيب :

وإذا غضبت فكن وقورا كاظماللغيظ تبصر ما تقول وتسمع

فكفى به شرفا تصبر ساعةيرضى بها عنك الإله ويدفع

." (١)

"وقرأ ابن عباس : ميثاق النبيين لتبيننه للناس ، فيعود الضمير في فنبذوه على الناس إذ يستحيل عوده على النبيين ، أي : فنبذه الناس المبين لهم الميثاق ، وتقدم تفسير معنى : ﴿فنبذوه ورآء ظهورهم﴾ في قوله : ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله ورآء ظهورهم﴾ .

﴿واشتروا بها ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ وتقدم تفسير مثل هذه الجملة والكلام في إعراب ما بعد بئس فأغنى عن الإعادة.

﴿لا تحسبن الذين يفرحون بمآ أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذابا ولهم عذاب﴾ نزلت في المنافقين كانوا يتخلفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو ، فإذا جاء استعذروا له ، فيظهر القبول ويستغفر لهم ، ففضحهم الله بهذه الآية قاله : أبو سعيد الخدري وابن زيد وجماعة. وقال كثير من المفسرين : نزلت في أحبار اليهود. وأتى تكون بمعنى فعل ، كقوله تعالى :

١٣٦

﴿إنه كان وعده مأتيا﴾ أي مفعولا. فمعنى بما أتوا بما فعلوا ، ويدل عليه قراءة أبى بما فعلوا. وفي الذي فعلوه وفرحوا به أقوال : أحدها كتم ما سألهم عنه الرسول ، وإخبارهم بغيره ، وأروه أنهم قد أخبروه به واستحمدوا بذلك إليه قاله : ابن عباس. الثاني ما أصابوا من الدنيا وأحبوا أن يقال : إنهم علماء قاله : ابن عباس أيضا. الثالث قولهم : نحن على دين ابراهيم ، وكتمهم أمر الرسول قاله : ابن جبير. الرابع كتبهم إلى اليهود يهود الأرض كلها أن محمدا ليس بنبي ، فأثبتوا على دينكم ، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به. وقالوا : نحن أهل الصوم والصلاة وأولياء الله قاله : الضحاك والسدي. الخامس قول يهود خيبر للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه : نحن على دينكم ، ونحن لكم ردء ، وهم مستمسكون بضلالهم ، وأرادوا أن يحمدهم بما لم يفعلوا قاله : قتادة. السادس تجهيز اليهود جيشا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنفاقهم

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤٥/٣

على ذلك الجيش قاله : النخعي. السابع إخبار جماعة من اليهود للمسلمين حين خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بأشياء عرفوها ، فحمدهم المسلمون على ذلك ، وأبطنوا خلاف ما أظهر ، وأذكره الزجاج. الثامن اتباع الناس لهم في تبديل تأويل التوراة ، وأحبوا حمدهم إياهم على ذلك ، ولم يفعلوا شيئا نافعا ولا صحيحا قاله : مجاهد. التاسع تخلف المنافقين عن الغزو وحلفهم للمسلمين أنهم يسرون بنصرهم ، وكانوا يحبون أن يقال أنهم في حكم المجاهدين قاله : أبو سعيد الخدري.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٣٥

والأقوال السابقة غير هذا الأخير مبنية على أن الآية نزلت في اليهود. قيل : ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي **بحسنة فرح بها** فرح إعجاب ، ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد ، وبما ليس فيه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : لا يحسبن ولا يحسبنهم بالياء فيهما ، ورفع باء يحسبنهم على إسناد يحسبن للذين ، وخرجت هذه القراءة على وجهين : أحدهما ما قاله أبو علي : وهو أن لا يحسبن لم يقع على شيء ، والذين رفع به. وقد تجيء هذه الأفعال لغوا لا في حكم الجمل المفيدة نحو قوله :

وما خلت أبقي بيننا من مودةعراض المداكي المسنفات القلائصا

وقال الخليل : العرب تقول : ما رأيته يقول ذلك إلا زيد ، وما ظننته يقول ذلك إلا زيد. قال ابن عطية : فتتجه القراءة بكون فلا يحسبنهم بدلا من الأول ، وقد تعدى إلى المفعولين وهما : الضمير وبمفازة ، واستغنى بذلك عن المفعولين ، كما استغنى في قوله :

بأي كتاب أم بأية سنةترى حبهم عارا علي وتحسب

أي : وتحسب حبهم عارا علي. والوجه الثاني ما قاله الزمخشري : وهو أن يكون المفعول الأول محذوفا على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة ، بمعنى : لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين. وفلا يحسبنهم تأكيد ، وتقدم لنا الرد على الزمخشري في تقديره لا يحسبنهم الذين في قوله : {ولا يحسبن الذين كفروا أنما} وإن هذا التقدير لا يصح فيطلع هناك. وتعدى في هذه القراءة فعل الحسبان إلى ضميريه المتصلين : المرفوع والمنصوب ، وهو مما يختص به ظننت وأخواتها ، ومن غيرها : وجدت ، وفقدت ، وعدمت ، وذلك مقرر في علم النحو.

وقرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم : لا تحسبن ، وفلا تحسبنهم بتاء الخطاب ،

١٣٧

". (١)

"الثابت : ﴿أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ "الثيب ترجم والبكر تجلد" فدل على أن ذلك في الزناة. وأجاب بأنه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد ، وأنه غير جائز. وبأن الصحابة اختلفوا في أحكام اللوطية ولم يتمسك أحد منهم بقوله : واللذان يأتيانها منكم ، فدل على أنها ليست فيهم. وأجاب بأن مطلوب الصحابة : هل يقام الحد على اللوطي وليس فيها دلالة على ذلك لا بالنفي ولا بالإثبات ؟ فلهذا لم يرجعوا إليه. انتهى. ما احتج به أبو مسلم ، وما رد به عليه ، وما أجاب به. والذي يقتضيه ظاهر اللفظ هو قول مجاهد وغيره : أن اللاتي مختص بالنساء ، وهو عام أحصنت أو لم تحصن. وإن واللذان مختص بالذكور ، وهو عام في المحصن وغير المحصن. فعقوبة النساء الحبس ، وعقوبة الرجال الأذى. ويكون هاتان الآيتان وآية النور قد استوفت أصناف الزناة ، ويؤيد هذا الظاهر قوله : من نسائكم وقوله : منكم ، لا يقال : إن السحاق واللواط لم يكونا معروفين في العرب ولا في الجاهلية ، لأن ذلك كان موجودا فيهم ، لكنه كان قليلا. ومن ذلك قول طرفة بن العبد :

ملك النهار وأنت الليل مومسةماء الرجال على فخذيك كالقرس

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٢

وقال الراجز :

يا عجبا لساحقات الورسالجاعلات المكس فوق المكس

وقرأ عبد الله : واللاتي يأتين بالفاحشة ، وقوله : من نسائكم اختلف ، هل المراد الزوجات أو الحرائر أو المؤمنات أو الثيبات دون الأبكار ؟ لأن لفظ النساء مختص في العرف بالثيب ، أقوال. الأول : قاله قتادة والسدي وغيرهما. قال ابن عطية : قوله من نسائكم إضافة في معنى الإسلام ، لأن الكافرة قد تكون من نساء المسلمين ينسب ولا يلحقها هذا الحكم انتهى. وظاهر استعمال النساء مضافة للمؤمنين في الزوجات كقوله تعالى : ﴿للذين يؤلون من نسآئهم﴾ ﴿والذين يظاهرون من نسآاهم﴾ وكون المراد الزوجات وأن الآية فيهم ، هو قول أكثر المفسرين. وأمر تعالى باستشهاد أربعة تغليظا على المدعي ، وسترا لهذه المعصية. وقيل : يترتب على كل واحد شاهدان. وقوله : عليهن ، أي على إتيانهن الفاحشة. والظاهر أنه يختص بالذكور المؤمنين لقوله : أربعة منكم ، وأنه يجوز الاستشهاد لمعاينة الزنا. وإن تعمد النظر إلى الفرج لا

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٠٩/٣

يقدح في العدالة إذا كان ذلك لأجل الزنا.
وإعراب اللاتي مبتدأ ، وخبره فاستشهدوا. وجاز دخول الفاء في الخبر ، وإن كان لا يجوز فاضربه على الابتداء والخبر ، لأن المبتدأ موصول بفعل مستحق به الخبر ، وهو مستوف شروط ما تدخل الفاء في خبره ، فأجرى الموصول لذلك مجرى اسم الشرط. وإذ قد أجرى مجراه بدخول الفاء فلا يجوز أن ينتصب بإضمار فعل يفسره فاستشهدوا ، فيكون من باب الاشتغال ، لأن فاستشهدوا لا يصح أن يعمل فيه لجريانه مجرى اسم الشرط ، فلا يصح أن يفسر هكذا. قال بعضهم : وأجاز قوم النصب بفعل محذوف تقديره : اقصدوا اللاتي. وقيل : خير اللاتي محذوف تقديره : فيما يتلى عليكم حكم اللاتي يأتين ، كقول سيبويه في قوله : ﴿والسارق والسارقة﴾ وفي قوله : ﴿الزانية والزانى﴾ وعلى ذلك جملة سيبويه. ويتعلق من نسائكم بمحذوف ، لأنه في موضع الحال من الفاعل في : يأتين ، تقديره : كائنات من نسائكم. ومنكم يحتمل أن يتعلق بقوله : فاستشهدوا ، أو بمحذوف فيكون صفة لأربعة ، أي : كائنين منكم.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٢
﴿فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ أي : فإن شهد أربعة منكم عليهن. والمخاطب بهذا الأمر : أهم الأزواج أمروا بذلك إذا بدت من الزوجة فاحشة الزنا ، ولا تقربوهن عقوبة لهن وكانت من جنس جريمتهن ؟ أم الأولياء إذا بدت ممن لهم عليهن ولاية ونظر يحبسن حتى يمتن ؟ أو أولو الأمر من الولاة والقضاة إذ هم
١٩٥
." (١)

"وينبغي التوقف في جواز ذلك حتى يسمع من لسان العرب. وقال ابن عطية : وكأن مضمنة معنى التشبيه ، ولكنها ليست كالثقيلة في الحاجة إلى الاسم والخبر ، وإنما تجيء بعدها الجمل انتهى. وهذا الذي ذكره غير محرر ، ولا على إطلاقه. أما إذا خففت ووليها ما كان يليها وهي ثقيلة ، فالأكثر والأفصح أن ترتفع تلك الجملة على الابتداء والخبر ، ويكون اسم كان ضمير شأن محذوفا ، وتكون تلك الجملة في موضع رفع خبر كان. وإذا لم ينو ضمير الشأن جاز لها أن تنصب الاسم إذا كان مظهرا ، وترفع الخبر هذا ظاهر كلام سيبويه. ولا يخص ذلك بالشعر ، فنقول : كأن زيدا قائم. قال سيبويه : وحدثنا من يوثق به أنه سمع من العرب من يقول : إن عمر المنطلق وأهل المدينة يقرؤون : وأن كلا لما يخففون وينصبون كما

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٥٦/٣

قال : كأن ثدييه حقان ، وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل ، فلما حذف من نفسه شيء لم يغير عمله ، كما لم يغير عمل لم يك ، ولم أبل حين حذف انتهى. فظاهر تشبيه سيبويه أن عمر المنطلق بقوله : كأن ثدييه
٢٩٢
حقان جواز ذلك في الكلام ، وأنه لا يختص بالشعر.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٩١
وقد نقل صاحب رؤوس المسائل : أن كأن إذا خففت لا يجوز إعمالها عند الكوفيين ، وأن البصريين أجازوا ذلك. فعلى مذهب الكوفيين قد يتمشى قول ابن عطية في أن كان المخففة ليست كالثقيلة في الحاجة إلى الاسم والخبر ، وأما على مذهب البصريين فلا ، لأنها عندهم لا بد لها من اسم وخبر.
والجملة من قوله : كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اختلف المفسرون فيها ونحن نسرد كلام من وقفنا على كلامه فيها. فنقول : قال الزمخشري : اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن ، وبين مفعوله وهو يا ليتني ، والمعنى : كأن لم يتقدم له معكم مودة ، لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر ، وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن. والظاهر أنه تهكم ، لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا لهم ، فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم ؟ وقال ابن عطية : المنافق يعاطي المؤمنين المودة ، ويعاهد على التزام كلف الإسلام ، ثم يتخلف نفاقا وشكا وكفرا بالله ورسوله ، ثم يتمنى عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين. فعلى هذا يجيء قوله تعالى : كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ، التفاتة بليغة واعتراضا بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم. وقال الزجاج : هذه الجملة اعتراض ، أخبر تعالى بذلك لأنهم كانوا يوادون المؤمنين. وقال أيضا ، وتبعه الماتريدي هذا على التقديم والتأخير تقديره : فإن أصابتكم مصيبة قال : قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا ، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ، ولئن أصابكم فضل من الله. قال الراغب : وذلك مستقبح ، فإنه لا يفصل بين الجملة وبعض ما يتعلق بجملة أخرى. وقال أيضا : وتبعه أبو البقاء : موضع الجملة نصب على الحال كما تقول : مررت بزيد وكان لم يكن بينك وبينه معرفة ، فضلا عن مودة. وقال أبو علي الفارسي : هذه الجملة من قول المنافقين الذين أقعدوهم عن الجهاد وخرجوا هم ، كأن لم تكن بينكم وبينه أي : وبين النبي صلى الله عليه وسلم مودة فيخرجكم معهم لتأخذوا من الغنيمة ، ليبغضوا بذلك الرسول إليهم. وتبع أبو علي في ذلك مقاتلا. قال مقاتل : معناه كأنه ليس من أهل ملتكم ولا مودة بينكم ، يريد : أن المبطىء قال لمن تخلف عن الغزو من المنافقين وضعفة المؤمنين ، ومن تخلف بإذن كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة فيخرجكم

إلى الجهاد ، فتفوزون بما فاز. وقال أبو عبد الله الرازي : هو اعتراض في غاية الحسن ، لأن من أحب **إنسانا فرح عند** فرحه ، وحزن عند حزنه ، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة. فنقول : حكى تعالى عن المنافق سروره وقت نكبة المسلمين ، ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب أنه فاتته الغنيمة ، فقبل أن يذكر الكلام بتمامه ألقى قوله : كأن لم يكن بينكم وبينه ، والمراد التعجب. كأنه يقول تعالى : انظروا إلى ما يقوله هذا المنافق ، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة أيها المؤمنون ولا مخالطة أصلا ، فهذا هو المراد من الكلام.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٩١

وقال قتادة وابن جريج : قول المنافق : يا ليتني كنت معهم على معنى الحسد منه للمؤمنين في نيل رغبته. وتلخص من هذه الأقوال أن هذه الجملة : إما أن يكون لها موضع من الإعراب نصب على الحال من الضمير المستكن في ليقولن ، أو نصب على المفعول بيقولن على الحكاية ، فيكون من جملة المقول ، وجملة المقول هو مجموع الجملتين : جملة التشبيه ، وجملة التمني. وضمير الخطاب للمتخلفين عن الجهاد ، وضمير الغيبة في وبينه للرسول. وعلى الوجه الأول ضمير الخطاب للمؤمنين ، وضمير الغيبة للقائل. وإما أن لا يكون لها موضع من الإعراب لكونها اعترا ضا في الأصل بين جملة الشرط وجملة القسم وأخرت ، والنية بها التوسط بين الجملتين. أو لكونها اعتراضا بين : ليقولن ومعموله الذي هو جملة التمني ، وليس اعتراضا يتعلق بمضمون

". (١)

"قال الزمخشري : ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء ، فيلحقوا بهم في التكليف انتهى. وليس بجيد ، لأن المراهق لا يلحق بالمكلف أصلا ، ولا وعيد عليه ما لم يكلف. وقيل : يحتمل أن يراد بالمستضعفين أسرى المسلمين الذين هم في أيدي المشركين لا يستطيعون حيلة إلى الخروج ، ولا يهتدون إلى تخليص أنفسهم. وهذا الاستثناء قال الزجاج : هو من قوله : ﴿مأواهم جهنم﴾ . قال غيره : كأنه قيل : فأولئك في جهنم إلا المستضعفين ، فعلى هذا استثناء متصل. والذي يقتضيه النظر أنه استثناء منقطع ، لأن قوله : ﴿إن الذين توفاهم الملا ئكة﴾ إلى آخره يعود الضمير في مأواهم إليهم. وهم على أقوال المفسرين إما كفار ، وإما عصاة بالتخلف عن الهجرة وهم قادرون ، فلم يندرج فيهم المستضعفون المستثنون لأنهم عاجزون ، فهو منقطع لا يستطيعون حيلة ، ولا يهتدون سبيلا.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣/٢٣٨

الحيلة : لفظ عام لأنواع أسباب التخلص. والسبيل هنا طريق المدينة قاله : مجاهد ، والسدي. وغيرهما. قال ابن عطية : والصواب أنه عام في جميع السبل ، يعني المخلصة من دار الكفر انتهى. وقيل : لا يعرفون طريقا إلى الخروج ، وهذه الجملة قيل ؛ مستأنفة. وقيل : في موضع الحال. وقال الزمخشري : صفة للمستضعفين ، أو الرجال والنساء والولدان. قال : وإنما جاز ذلك والجمل نكرات ، لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس بشيء بعينه كقوله :
ولقد أمر على اللئيم يسبني
انتهى كلامه.
وهو تخريج ذهب إلى مثله بعض النحويين في قوله تعالى : ﴿وءاية لهم اليل نسلخ منه النهار﴾ وهو هدم للقاعدة المشهورة : بأن النكرة لا تنعت إلا بالنكرة ، والمعرفة لا تنعت إلا بالمعرفة. والذي يظهر أنها جملة مفسرة لقوله : المستضعفين ، لأنها في معنى : "إلا الذين استضعفوا فجاء بيانا وتفسيرا لذلك ، لأن الاستضعاف يكون بوجوه ، فبين جهة الاستضعاف النافع في التخلف عن الهجرة وهي عدم استطاعة الحيلة وعدم اهتداء السبيل. والثاني مندرج تحت الأول ، لأنه يلزم من انتفاء القدرة على الحيلة التي يتخلص بها انتفاء اهتداء السبيل. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى مسلمي مكة بهذه الآية ، فقال جندب بن ضمرة الليثي : ويقال : جندع بالعين ، أو ضمرة بن جندب لبنيه : احملوني فإني لست من المستضعفين ، وإني لأهتدي
٣٣٥
الطريق ، والله لا أبيت الليلة بمكة ، فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة ، وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم.
﴿فأوالئاك عسى الله أن يعفو عنهم﴾ عسى : كلمة أطماع وترجية ، وأتى بها وإن كانت من الله واجبة ، دلالة على أن ترك الهجرة أمر صعب لا فسحة فيه ، حتى أن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول : عسى الله أن يعفو عني. وقيل : معنى ذلك أنه يعفو عنه في المستقبل ، كأنه وعدهم غفران ذنوبهم كما قال صلى الله عليه وسلم : "إن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".
﴿وكان الله عفوا غفورا﴾ تأكيد في وقع عفوه عن هؤلاء ، وتنبيه على أن هذا المترجي هو واقع ، لأنه تعالى لم يزل متصفا بالعفو والمغفرة.

﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة﴾ قيل : نزلت في أكثم بن صيفي ، ولما رغب تعالى في الهجرة ذكر ما يترتب عليها من وجود السعة والمذاهب الكثيرة ، ليذهب عنه ما يتوهم وجوده في الغربة ومفارقة الوطن من الشدة ، وهذا مقرر ما قالته الملائكة : ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ .

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٢٧

ومعنى مراغما : متحولا ومذهبا قاله : ابن عباس ، والضحاك ، والربيع ، وغيرهم. وقال مجاهد : المزحزح عما يكره. وقال ابن زيد : المهاجر. وقال السدي : المبتغى للمعيشة. وقرأ الجراح ، ونبيح ، والحسن بن عمران : مرغما على وزن مفعل كمذهب. قال ابن جنِّي : هو على حذف الزوائد من راغم. والسعة هنا في الرزق قاله : ابن عباس ، والضحاك ، والربيع ، وغيرهم. وقال قتادة : سعة من الضلالة إلى الهدى ، ومن القلة إلى الغنى. وقال مالك : السعة سعة البلاد. قال ابن عطية : والمشبه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعاقل ، وبذلك تكون السعة في الرزق واتساع الصدر عن همومه وفكره ، وغير ذلك من **وجوه الفرج**، ونحو هذا المعنى قول الشاعر :

لكان لي مضطرب واسعفي الأرض ذات الطول والعرش

انتهى. وقد مراغمة الأعداء على سعة العيش ، لأن الابتهاج برغم أنوف الأعداء لسوء معاملتهم أشد من الابتهاج بالسعة.

". (١)

"﴿حتى إذا فرحوا بمآ أوتوا أخذناهم بغتة﴾ معنى هذه الجمل معنى قوله ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ﴾ وفي الحديث الصحيح عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا رأيتم الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ الآية ، والأبواب استعارة عن الأسباب التي هيأها الله لهم المقتضية لبسط الرزق عليهم والإبهام في هذا العموم لتهويل ما فتح عليهم وتعظيمه وغيا الفتح بفرحهم بما أوتوا وترتب على فرحهم أخذهم بغتة أي إهلاكهم فجأة وهو أشد الإهلاك إذ لم يتقدم شعور به فتتوطن النفس على لقائه ، ابتلاهم أولا بالبأساء والضراء فلم يتعظوا ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم من إسباغ النعم عليهم فلم يجد ذلك

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٧٣/٣

عندهم ولا قصدوا الشكر ولا أصغوا إلى إنابة بل لم يحصلوا إلا **على فرح بما** أسبغ عليهم. قال محمد بن النضر الحارثي : أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١١٦

﴿فإذا هم مبلسون﴾ أي باهتون بائسون لا يخبرون جوابا. وقرأ ابن عامر فتحنا بتشديد التاء والتشديد لتكثير الفعل وإذا هي الفجائية وهي حرف على مذهب الكوفيين وظرف مكان ، ونسب إلى سيبويه وظرف زمان وهو مذهب الرياشي والعامل فيها إذا قلنا بظرفيتها هو خبر المبتدإ أي ، ففي ذلك المكان ﴿هم مبلسون﴾ أي مكان إقامتهم وذلك الزمان ﴿هم مبلسون﴾ وأصل الإبلاس الإطراق لحلول نقمة أو زوال نعمة. قال الحسن : مكتئبون. وقال السدي : هالكون. وقال ابن كيسان : وقطرب : خاشعون. وقال ابن عباس : متحيرون. وقال الزجاج : متحسرون. وقال ابن جرير : الساكت عند انقطاع الحجة.

﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ عبارة عن استئصالهم بالهلاك والمعنى : فقطع دابرهم ونبه على سبب الاستئصال بذكر الوصف الذي هو الظلم ، وهو هنا الكفر والدابر التابع للشيء من خلفه يقال : دبر الوالد الولد يدبره ، وفلان دبر القوم دبورا ودبرا إذا كان آخرهم. وقال أمية بن أبي الصلت :

فاستؤصلوا بعذاب خص دابرهمفما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

قال أبو عبيدة : ﴿دابر القوم﴾ آخرهم الذي يدبرهم. وقال الأصمعي : الدابر الأصل يقال : قطع الله دابره أي أذهب أصله ، وقرأ عكرمة ﴿فقطع دابر﴾ بفتح القاف والطاء والراء أي فقطع الله وهو التفات إذ فيه الخروج من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب.

﴿والحمد لله رب العالمين﴾ قال الزمخشري : إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم ؛ انتهى. والذي يظهر أنه تعالى لما أرسل إلى هؤلاء الأمم كذبوهم وآذوهم فابتلاهم الله تارة بالبلاء ، وتارة بالرخاء فلم يؤمنوا فأهلكهم واستراح الرسل من شرهم وتكذيبهم وصار ذلك نعمة في حق الرسل إذ أنجز الله وعده على لسانهم بهلاك المكذبين فناسب هذا الفعل كله الختم بالحمد له.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١١٦

﴿قل أرءيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إلاه غير الله يأتيكم به﴾ لما ذكر أولا تهديدهم بإتيان العذاب أو الساعة كان ذلك أعظم من هذا التهديد ، فأكد خطاب الضمير بحرف الخطاب فقيل أرأيتكم ولما كان هذا التهديد أخف من ذلك لم يؤكد به ، بل اكتفى بخطاب الضمير فقيل ﴿أرءيتم﴾

وفي تلك وهذه الاستدلال على توحيد الله تعالى وأنه المتصرف في العالم الكاشف للعذاب والراد لما شاء بعد الذهاب ، وأن آلهتهم لا تغني عنهم شيئا والظاهر من قوله ﴿سمعكم وأبصاركم﴾ أنه ذهاب الحاسة ١٣١

(١) ".

"الوعيد ، والأظهر من نسق الآيات أنه خطاب للكفار وهو مذهب الطبري. وقال أبي وأبو العالية وجماعة : هي خطاب للمؤمنين. قال أبي : هن أربع : عذاب قبل يوم القيامة مضت اثنتان قبل وفاة الرسول بخمس وعشرين سنة لبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض ، وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم. وقال الحسن : بعضها للكفار بعث العذاب من فوق ومن تحت وسائرها للمؤمنين ، انتهى. وحين نزلت استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم وقال في الثالثة : "هذه أهون أو هذه أيسر" ؛ واحتج بهذا من قال هي للمؤمنين. وقال الطبري : لا يمتنع أن يكون عليه لسلام تعوذ لأمته مما وعد به الكفار وهون الثالثة لأنها في المعنى هي التي دعا فيها فمنع كما في حديث الموطأ وغيره. والظاهر ﴿من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ الحقيقة كالصواعق وكما أمطر على قوم لوط وأصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان ، كقوله : ﴿ففتحنآ أبواب السمآء بمـا ء منهمر﴾ وكالزلازل ونبع الماء المهلك وكما خسف بقارون. وقال السدي عن أبي مالك وابن جبير : الرجم والخسف. وقال ابن عباس : ﴿من فوقكم﴾ ولاة الجور و﴿من تحت أرجلكم﴾ سفلة السوء وخدمته. وقيل : حبس المطر والنبات. وقيل : ﴿من فوقكم﴾ خذلان السمع والبصر والآذان واللسان و﴿من تحت أرجلكم﴾ **خذلان الفرج والرجل** إلى المعاصي ؛ انتهى ، وهذا والذي قبله مجاز بعيد.

﴿أو يلبسكم شيعا﴾ أي يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم انشاب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال كقول الشاعر :

وكتيبة لبستها بكتيبةحتى إذا التبست نفضت لها يدي فتركتهم تقص الرماح ظهورهمما بين منعفر وآخر مسند

قال ابن عباس ومجاهد : تثبت فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقا. وقيل : المعنى يقوي عدوكم حتى يخالطوكم. وقرأ أبو عبد الله المدني ﴿يلبسكم﴾ بضم الياء من اللبس استعارة من اللبـا س فعلى فتح الياء يكون شيعا حالا. وقيل : مصدر والعامل فيه ﴿يلبسكم﴾ من غير لفظه ؛ انتهى. ويحتاج في كونه مصدرا

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/١٠٤

إلى نقل من اللغة وعلى ضم الياء يحتمل أن يكون التقدير أو يلبسكم الفتنة شيعا ويكون شيعا حالا ، وحذف المفعول الثاني ويحتمل أن يكون المفعول الثاني شيعا كان الناس يلبس بعضهم بعضا كما قال الشاعر :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٤٣

لبست أناسا فأفنيتهموغادرت بعد أناس أناسا

وهي عبارة عن الخلطة والمعايشة.

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ البأس الشدة من قتل وغيره والإذاقة والإنالة والإصابة هي من أقوى حواس الاختبار وكثر استعمالها في كلام العرب وفي القرآن قال تعالى : ﴿ذوقوا مس سقر﴾ . وقال الشاعر :

أذقناهم كؤوس الموت صرفاوذاقوا من أسنتنا كؤوسا

وقرأ الأعمش : ونذيق بالنون وهي نون عظمة الواحد وهي التفات فأئدته نسبة ذلك إلى الله على سبيل العظمة والقدرة القاهرة.

﴿انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون﴾ هذا استرجاع لهم ولفظة تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعني إنا نسألك في مجيء الآيات أنواعا رجاء أن يفقهوا ويفهموا عن الله تعالى ، لأن في اختلاف الآيات ما يقتضي الفهم إن غربت آية لم تعزب أخرى.

﴿وكذب بها قومك وهو الحق﴾ قال السدي : ﴿به﴾ عائد على القرآن الذي فيه جاء تصريف الآيات. وقال الزمخشري : ﴿به﴾ راجع إلى العذاب وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم. وقال ابن عطية : ويحتمل أن يعود على الوعيد الذي تضمنته الآية ونحا إليه الطبري. وقيل : يعود على النبي صلى الله عليه وسلم

١٥١

وهذا لقرب مخاطبته بعد ذلك بالكاف ؛ انتهى. وقرأ ابن أبي عبلة : وكذبت به قومك بالتاء ، كما قال : كذبت قوم نوح والظاهر أن قوله : ﴿وهو الحق﴾ جملة استئناف لا حال.

﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ أي لست بقائم عليكم لإكراهكم على التوحيد. وقيل : ﴿بوكيل﴾ بمسلط وقيل : لا أقدر على منعكم من التكذيب إجبارا إنما أنا منذر. قال ابن عطية : وهذا كان قبل نزول الجهاد والأمر بالقتال ثم نسخ. وقيل : لا نسخ في هذا إذ هو خبر والنسخ فيه متوجه لأن اللازم من اللفظ لست الآن وليس فيه أنه لا يكون في المستقبل.

﴿لكل نبإ مستقر﴾ أي لكل أجل شيء ينبأ به يعني من أنبائه بأنهم يعذبون وإبعادهم به وقت استقرار

وحصول لا بد منه. وقيل : لكل عمل جزاء وليس هذا بالظاهر. وقال السدي : استقر نبأ القرآن بما كان يعدهم من العذاب يوم بدر. وقال مقاتل : منه في الدنيا يوم بدر وفي الآخرة جهنم. ﴿وسوف تعلمون﴾ مبالغة في التهديد والوعيد فيجوز أن يكون تهديد بعذاب الآخرة ، ويجوز أن يكون تهديدا بالحرب وأخذهم بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٤٣

." (١)

"وقرأ زيد بن علي : بدوكم بغير همز ، ووجهه أنه سهل الهمزة من بدأت بإبدالها ياء ، كما قالوا في قرأت : قريت ، فصار كرميت. فلما أسند الفعل إلى واو الضمير سقطت ، فصار بدوكم كما تقول : رموكم. أتخشونهم تقرير للخشية منهم ، وتوبيخ عليها. فالله أحق أن تخشوه فتقتلوا أعداءه. ولفظ الجلالة مبتدأ وخبره أحق ، وأن تخشوه بدل من الله أي : وخشية الله أحق من خشيتهم وأن تخشوه في موضع رفع ، ويجوز أن تكون في موضع نصب أو جر على الخلاف إذا حذف حرف الجر ، وتقديره : بأن تخشوه أي أحق من غيره بأن تخشوه. وجوز أبو البقاء أن يكون أن تخشوه مبتدأ ، وأحق خبره قدم عليه. وأجاز ابن عطية أن يكون أحق مبتدأ وخبره أن تخشوه ، والجملة خبر عن الأول. وحسن الابتداء بالنكرة لأنها أفعل التفضيل ، وقد أجاز سيبويه أن تكون المعرفة خبرا للنكرة في نحو : اقصد رجلا خير منه أبوه. إن كنتم مؤمنين أي كاملي الإيمان ، ل أنهم كانوا مؤمنين. وقال الزمخشري : يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى : ﴿ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ .

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشآءا والله عليم حكيم﴾ قررت الآيات قبل هذا أفعال

١٦

الكفرة المقتضية لقتالهم ، والحض على القتال ، وحرم الأمر بالقتال في هذه ، وتعذيبهم بأيدي المؤمنين هو في الدنيا بالقتل والأسر والنهب ، وهذه وعود ثبتت قلوبهم وصححت نياتهم ، وخزيهم هو إهانتهم وذلهم ، وينصركم يظفركم بهم ، وشفاه الصدور بإعلاء دين الله وتعذيب الكفار وخزيهم.

وقرأ زيد بن علي : ونشف بالنون على الالتفات ، وجاء التركيب صدور قوم مؤمنين ليشمل المخاطبين وكل

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٢١/٤

مؤمن ، لأن ما يصيب أهل الكفر من العذاب والخزي هو شفاء لصدر كل مؤمن. وقيل : المراد قوم معينون. قال ابن عباس : هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا ، فلقوا من أهلها أذى شديدا ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون إليه فقال : "أبشروا فإن الفرج قريب" وقال مجاهد والسدي : هم خزاعة. ووجه تخصيصهم أنهم هم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب ، وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير. ألا ترى إلى قول الخزاعي المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم :

ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

وفي آخر الرجز : وقتلونا ركعا وسجدا

وإذهاب الغيظ بما نال الكفار من المكروه ، وهذه الجملة كالتأكيد للتي قبلها ، لأن شفاء الصدر من آلة الغيظ هو إذهاب الغيظ. وقرأ فرقة : ويذهب فعلا لازما غيظ فاعل به. وقرأ زيد بن علي : كذلك إلا أنه رفع الباء. وهذه المواعيد كلها وجدت ، فكان ذلك دليلا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وبدىء أولا فيها بما تسبب عن النصر وهو تعذيب الله ا لكفار وبأيدي المؤمنين وإخزاؤهم ، إذا كانت البداءة بما ينال الكفار من الشر هي التي يسر بها المؤمنون ، ثم ذكر ما السبب وهو نصر الله المؤمنين على الكافرين ، ثم ذكر ما تسبب أيضا عن النصر من شفاء صدور المؤمنين وإذهاب غيظهم تتميما للنعم ، فذكر ما تسبب عن النصر بالنسبة للكفار ، وذكر ما تسبب للمسلمين من الفرح والسرور بإدراك الثأر ، ولم يذكر ما نالوه من المغانم والمطاعم ، إذ العرب قوم جبلوا على الحمية والأنفة ، فرغبتهم في إدراك الثأر وقتل الأعداء هي اللائقة بطباعهم.

إن الأسود أسود الغاب همتهايوم الكريهة في المسلوب لا السلب

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢

". (١)

"قال الزمخشري : (فإن قلت) : كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته ، والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف ؟ وقد تلاه بقوله تعالى ذلك بأنهم كفروا الآية ، فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال : ؟ (قلت) : لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم ذلك ، ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿من الناسا فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾ وفي إظهار النبي صلى الله

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٢/٥

عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمته ، ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض انتهى. وفي هذا السؤال والجواب. غض من منصب النبوة ، وسوء أدب على الأنبياء ، ونسبته إلهم ما لا يليق بهم. وإذا كان صلى الله عليه وسلم يقول : "لم يكن لنبي خائنة الأعين" أو كما قال : وهي الإشارة ، فكيف يكون له النطق بشيء على سبيل التحيل ؟ حاشا منصب الأنبياء عن ذلك ، ولكن هذا الرجل مسرح الألفاظ في حق الأنبياء بما لا يليق بحالهم ، ولقد تكلم عند تفسير قوله : ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ بكلام في حق الرسول نزهت كتابي هذا أن أنقله فيه ، والله تعالى يعصمنا من الزلل في القول والعمل ، ذلك إشارة إلى انتفاء الغفران وتبيين العلة الموجبة لذلك ، وانتفاء هداية الله الفاسقين هو للذين حتم لهم بذلك ، فهو عام مخصوص.

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر﴾ : لما ذكر

٧٨

تعالى ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين ، ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه وتخلفوا عن الجهاد ، واعتذروا بأعذار وعلل كاذبة ، حتى أذن لهم ، فكشف الله للرسول صلى الله عليه وسلم عن أحوالهم وأعلمه بسوء فعالهم ، فأنزل الله عليه : **فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله الآية : أي : عن غزوة تبوك. وكان الرسول قد خلفهم بالمدينة لما اعتذروا ، فأذن لهم. وهذه الآية تقتضي التوبيخ والوعيد. ولفظة المخلفون تقتضي الذم والتحقير ، ولذلك جاء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وهي أمكن من لفظة المتخلفين ، إذ هم مفعول بهم ذلك ، ولم يفرح إلا منافق فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر. ولفظ المقعد يكون للزمان والمكان ، والمصدر وهو هنا للمصدر أي : بقعودهم ، وهو عبارة عن الإقامة بالمدينة. وانتصب خلاف على الظرف ، أي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال : فلان أقام خلاف الحي ، أي بعدهم. إذا ظعنوا ولم يظعن معهم. قاله أبو عبيدة ، والأخفش ، وعيسى بن عمرو. قال الشاعر :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٧٢

عقب الربيع خلافهم فكأنمابسط السواطب بينهن حصيرا

ومنه قول الشاعر :

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضتأهب لأخرى مثلها وكأن قد

". (١)

"ويؤيد هذا التأويل : قراءة ابن عباس ، وأبي حيوة ، وعمرو بن ميمون خلف رسول الله. وقال قطرب ، ومؤرج ، والزجاج ، والطبري : انتصب خلاف على أنه مفعول لأجله أي : لمخالفة رسول الله ، لأنهم خالفوه حيث نهض للجهاد وقعدوا. ويؤيد هذا التأويل قراءة من قرأ خلف بضم الخاء ، وما تظاهرت به الروايات من أنه أمرهم بالنفر فغضبوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين وغير مستأذنين ، وكراهتهم للجهاد هي لكونهم لا يرجون به ثوابا ، ولا يدفعون بزعمهم عنهم عقابا. وفي قوله : **فرح وكرهوا** مقابلة معنوية ، **لأن الفرح من** ثمرات المحبة. وفي قوله : أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين ويتحملهم المشاق العظيمة أي : كالمؤمنين الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد في سبيل الله ، وآثروا ذلك على الدعة والخفض ، وكره ذلك المنافقون ، وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان. والفرح بالقعود يتضمن الكراهة للخروج ، وكأن الفرج بالقعود هو لمثل الإقامة ببلده لأجل الألفة والإيناس بالأهل والولد ، وكراهة الخروج إلى الغزو لأنه تعريض بالنفس والمال للقتل والتلف. واستعذروا بشدة الحر ، فأجاب الله تعالى عما ذكروا أنه سبب لترك النفر ، وقالوا : إنه قال بعضهم لبعض وكانوا أربعة وثمانين رجلا. وقيل : قالوا للمؤمنين لم يكفهم ما هم عليه من النفاق والكسل حتى أرادوا أن يكسبوا غيرهم وينبهوهم على العلة الموجبة لترك النفر. قال ابن عباس ، وأبو رزثن والربيع : قال رجل : يا رسول الله ، الحر شديد ، فلا ننفر في الحر. وقال محمد بن كعب هو رجل من بني سلمة انتهى. أي : قال ذلك عن لسانهم ، فلذلك جاء وقالوا بلفظ الجمع. وكانت غزوة تبوك في وقت شدة الحر وطيب الثمار والظلال ، فأمر الله نبيه أن يقول لهم : قل نار جهنم أشد حرا ، أقام الحجة عليهم بأنه قيل لهم : إذا كنتم تجزعون من حر القيظ ، فنار جهنم التي هي أشد أحرى أن تجزعوا منها لو فقهتم. قال الزمخشري : قل نار جهنم أشد حرا استجهال لهم ، لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل. ولبعضهم :

مسرة أحقاد تلقيت بعدهامساءة يوم اربها شبه الصاب

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٧٢

فكيف بأن تلقى مسرة ساعةوراء تقضيها مساءة أحقاب

٧٩

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٦٤

انتهى. وقرأ عبيد الله : يعلمون مكان يفقهون ، وينبغي أن يحمل ذلك على معنى التفسير ، لأنه مخالف لسواد ما أجمع المسلمون عليه ، ولما روي عنه الأئمة. والأمر بالضحك والبكاء في معنى الخبر ، والمعنى : فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا ، إلا أنه أخرج على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم لا يكون غيره. روي أن أهل النفاق يكونون في النار عمرالدنيا ، لا يرقأ لهم دمع ، ولا يكتحلون بنوم. والظاهر أن قوله : فليضحكوا قليلا إشارة إلى مدة العمر في الدنيا ، وليبكوا كثيرا إشارة إلى تأييد الخلود ، فجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبر عن حالهم. قال ابن عطية : ويحتمل أن تكون صفة حالهم أي : هم لما هم عليه من الحظر مع الله وسوء الحال ، بحيث ينبغي أن يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم كثيرا من أجل ذلك ، وهذا يقتضي أن يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا نحو قوله عليه السلام لأمته : "لو يعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا" وانتصب قليلا وكثيرا على المصدر ، لأنهما نعت للمصدر أي : ضحكا قليلا وبكاء كثيرا. وهذا من المواضع التي يحذف فيها المنعوت ، ويقوم نعته مقامه ، وذلك لدلالة الفعل عليه. وقال أبو البقاء : ويجوز أن يكونا نعتا لظرف محذوف أي : زمانا قليلا ، وزمانا كثيرا انتهى. والأول أجود ، لأن دلالة الفعل على المصدر بحروفه ودلالته على الزمان بهيئته ، فدلالته على المصدر أقوى. وانتصب جزاء على أنه مفعول لأجله ، وهو متعلق بقوله : وليبكوا كثيرا.
". (١)

"وقال ابن عطية : وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أن الفضل هو هداية الله إلى دينه والتوفيق إلى اتباع الشرع ، والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على اتباع الإسلام والإيمان. ومعنى الآية : قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله وبرحمته **فليقع الفرح منكم** ، لا بأمور الدنيا وما يجمع من حطامها ، فالمؤمنون يقال لهم : فليفرحوا وهم ملتبسون **بعلة الفرح وسببه** ، ومخلصون لفضل الله منتظرون لرحمته ، والكافرون يقال لهم : بفضل الله ورحمته فليفرحوا على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك انتهى. والظاهر أن قوله : قل بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا جملتان ، وحذف ما تتعلق به الباء والتقدير : قل بفضل الله وبرحمته ليفرحوا ، ثم عطفت الجملة الثانية على الأولى على سبيل التوكيد. قال الزمخشري : والتكرير للتقرير والتأكيد ، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا ، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه ، والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل : إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح ، فإنه لا مفروح به أحق منهما. ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٦٥

فليعتنوا بذلك ، فليفرحوا. ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي : فمجيئهما فليفرحوا انتهى. أما إضمار فليعتنوا فلا دليل عليه ، وأما تعليقه بقوله : قد جاءتكم ، فينبغي أن يقدر ذلك محذوفا بعد قل ، ولا يكون متعلقا بجاءتكم الأولى للفصل بينهما بقل. وقال الحوفي : الباء متعلقة بما دل على المعنى أي : قد جاءتكم الموعظة بفضل الله. وقيل : الفاء الأولى زائدة ، ويكون بذلك بدلا قبله ، وأشير به إلى الاثنين الفضل والرحمة. وقيل : كررت الفاء الثانية للتوكيد ، فعلى هذا لا تكون الأولى زائدة ، ويكون أصل التركيب فبذلك ليفرحوا ، وفي القول قبله يكون أصل التركيب بذلك فليفرحوا ، ولا تنافي بين الأمر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله : ﴿قومه لا تفرحا إن الله لا يحب الفرحين﴾ لاختلاف المتعلق ، فالمأمور به **هنا الفرح بفضل** الله وبرحمته ، والمنهى **هناك الفرح بجمع** الأموال لرئاسة الدنيا وإرادة العلو بها والفساد والأشر ، ولذلك جاء بعده : ﴿وابتغ فيمآ ءاتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ وقبله : ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم﴾ وقوله : ﴿لفرح فخور﴾ جاء ذلك على سبيل الذم لفرحه بإذاقة النعماء بعد الضراء ، وبأسه وكفرانه للنعماء إذا نزعت منه ، وهذه صفة مذمومة ، وليس ذلك من أفعال الآخرة. وقول من قال : إذا أطلق

١٧١

الفرح كان مذموما ، وإذا قيد لم يكن مذموما كما قال : ﴿فرحين بمآ ءاتاهم الله من فضله﴾ ليس بمطرد ، إذ جاء مقيدا في الذم في قوله تعالى : ﴿حتى إذا فرحوا بمآ أوتوا أخذناهم بغتة﴾ وإنما **يمدح الفرح ويذم** بحسب متعلقه ، فإذا كان بنيلِ ثواب الآخرة وإعمال البر كان محمودا ، وإذا كان بنيل لذات الدنيا وحطامها كان مذموما.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٤٥

وقرأ عثمان بن عفان ، وأبي ، وأنس ، والحسن ، وأبو رجاء ، وابن هرمز ، وابن سيرين ، وأبو جعفر المدني ، والسلمي ، وقتادة ، والجحدري ، وهلال بن يساف ، والأعمش ، وعمرو بن قائد ، والعباس بن الفضل الأنصاري : فلتفرحوا بالتاء على الخطاب ، ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال صاحب اللوامح : وقال وقد جاء عن يعقوب كذلك ، انتهى. وقال ابن عطية : وقرأ أبي وابن القعقاع ، وابن عامر ، والحسن : على ما زعم هارون. ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما على المخاطبة ، وهي قراءة جماعة من السلف كثيرة ، وعن أكثرهم خلاف انتهى. والجمهور بالياء على أمر الغائب. وما نقله ابن عطية أن ابن عامر قرأ فلتفرحوا بالتاء ليس هو المشهور عنه ، إنما قراءته في مشهور الـسبعة بالياء

أمرا للغائب ، لكنه قرأ تجمعون بالتاء على الخطاب ، وباقي السبعة بالتاء على الخطاب. وفي مصحف أبي : فبذلك فافرحوا ، وهذه هي اللغة الكثيرة الشهيرة في أمر المخاطب. وأما فليفرحوا بالياء فهي لغة قليلة. وفي الحديث : وقرأ أبو التياح والحسن : فليفرحوا بكسر اللام ، ويدل على أن ذلك أشير به إلى واحد عود الضمير عليه موحدا في قوله : هو خير مما يجمعون ، فالذي ينبغي أن قوله تعالى : بفضل الله وبرحمته ، على أنهما شيء واحد عبر عنه باسمين على سبيل التأكيد ، ولذلك أشير إليه بذلك ، وعاد الضمير عليه مفردا. وقوله : مما يجمعون يعني من حطام الدنيا ومتاعها.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٤٥." (١)

"﴿ولان أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولان أذقناه نعمآء بعد ضرآء مسته ليقولن ذهب السيئات عنيا إنه لفرح فخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أوالا ئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ : لما ذكر تعالى عذاب الكفار وإن تأخر لا بد أن يحيق بهم ، ذكر ما يدل على كفرهم وكونهم مستحقين العذاب لما جبلوا عليه من كفر نعماء الله ، وما يترتب على إحسانه تعالى إليهم مما لا يليق بهم من فخرهم على عباد الله. والظاهر أن الإنسان هنا هو جنس ، والمعنى إن هذا الخلق في سجايا الناس ، ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والإيمان إلى الصبر والعمل الصالح ، ولذلك جاء الاستثناء منه في قوله : إلا الذين صبروا متصلا. وقيل : المراد هنا بالإنسان الكافر. وقيل : المراد به إنسان معين ، فقال ابن عباس : هو الوليد بن المغيرة ، وفيه نزلت. وقيل : عبد الله بن أمية المخزومي ، وذكره الواحدي ، وعلى هذين القولين يكون استثناء منقطعا ومعنى رحمة : نعمة من صحة ، وأمن وجدة ، ثم نزعناها أي سلبناها منه. ويؤوس كفور ، صفتا مبالغة والمعنى : إنه شديد اليأس كثيرة ، ييأس أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة ، ويقطع رجاءه من فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه. كفور كثير الكفر ، إن لما سلف لله عليه من نعمة ذكر حالة الإنسان إذ بدىء بالنعمة ولم يسبقه الضر ، ثم ذكر حاله إذا جاءته النعمة بعد الضر. ومعنى ذهب السيئات أي : المصائب التي تسوءني. وقوله هذا يقتضي نظرا وجهلا ، لأن ذلك بإنعام من الله ، وهو يعتقد أن ذلك اتفاق أو يسعد ، وهو اعتقاد فاسد. إنه لفرح أشر بطر ، **وهذا الفرح مطلق** ، فلذلك ذم المتصف به ، ولم يأت في القرآن للمدح إلا مقيدا بما فيه خير كقوله : ﴿فرحين بمآ ءاتاهم الله من فضله﴾ وقرأ الجمهور : لفرح بكسر الراء ، وهي قياس اسم الفاعل من فعل اللازم. وقرأت فرقة : لفرح بضم الراء ، وهي كما تقول : ندس ، ونطس. وفخره هو تعاظمه على الناس بما أصابه من

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٣٨/٥

النعماء ، واستثنى تعالى الصابرين يعني على الضراء وعاملي الصالحات. ومنها الشكر على النعماء. أولئك لهم مغفرة لذنوبهم يقتضي زوال العقاب والخلاص منه ، وأجر كبير هو الجنة ، فيقتضي الفوز بالثواب. ووصف الأجر بقوله : كبير ، لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ورفع التكاليف ، وإلا من العذاب ، ورضا الله عنهم ، والنظر إلى وجهه الكريم.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٩٨

﴿فلعلك تاركا بعض ما يوحى إليك وضآئقا بها صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جآء معه ملكا إنمآ أنت نذيرا والله على كل﴾ : قال الزمخشري : كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشاد ، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم. ومن اقتراحاتهم : لولا أنزل عليه كنز ، أو جاء معه ملك ، وكانوا لا يعتدون بالقرآن ، ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات ، فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه ، فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله : فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك أي : لعلك

٢٠٦

تترك أن تلقيه إليهم ، وتبلغه إياهم مخافة ردهم وتهاونهم به ، وضائق به صدرك بأن تتلو عليهم أن يقولوا مخافة أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز ، هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ، ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه. ثم قال : إنما أنت نذير أي : ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك ، وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ، ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا ، والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون ، وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل ، فتوكل عليه ، وكل أمرك إليه.

." (١)

"وقال ابن عطية : سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا : يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك ، وقالوا : إئت بقرآن غير هذا أو بدله ، ونحو هذا من الأقوال ، فخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة ، وقفه بها توقيفا رادا على أقوالهم ، ومبطلا لها. وليس المعنى أنه عليه السلام هم بشيء من ذلك ثم خرج عنه ، فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه ، ولا ضاق صدره به ، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان. ولعلك ههنا بمعنى التوقيف والتقرير ، وما يوحي إليه هو القرآن والدعاء إلى الله كان في ذلك سب آلهتهم ، وتسفيه

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٦٩/٥

آبائهم أو غيره. ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد عظم عليه ما يلقى من الشدة ، فمال إلى أن يكون من الله إذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة ، ونحو هذا من الاعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلم كما جاءت آيات الموادعة. وعبر بضائق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك ، وإن كان ضيق أكثر استعمالا ، لأنه وصف لازم ، وضائق وصف عارض. وقال الزمخشري : (فإن قلت) : لم عدل عن ضيق إلى ضائق ؟ (قلت) : ليدل على أن ضيق عار غير ثابت ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدا. ومثله قولك : سيد وجواد ، تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين ، فإذا أردت الحدوث قلت : سائد وجائد انتهى. وليس هذا الحكم مختصا بهذه الألفاظ ، بل كل ما يبنى من الثلاثي للثبوت والاستقرار على غير وزن فاعل رد إليه إذا أريد معنى الحدوث ، فنقول : حاسن من حسن ، وثاقل من ثقل ، وفارح من فرح ، وسامن من سمن ، وقال بعض اللصوص يصف السجن ومن سجن فيه :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٩٨

بمنزلة أما اللئيم فسامن بهاوكرام الناس باد شحوبها

والظاهر عود الضمير في به على بعض. وقيل : على ما ، وقيل : عل التبليغ ، وقيل : على التكذيب ، قيل ولعل هنا للاستفهام بمعنى هل ، والمعنى : هل أنت تارك ما فيه تسفيه أحلامهم وسب آلهتهم كما سألوك ؟ وقدروا كراهته أن يقولوا ، ولئلا يقولوا ، وبأن يقولوا ، ثلاثة أقوال. والكنز المال الكثير. وقالوا : أنزل ، ولم يقولوا أعطى ، لأن مرادهم التعجيز ، وأنهم التمسوا أن ينزل عليه من السماء كنز على خلاف العادة ، فإن الكنوز إنما تكون في الأرض. وطلبهم آية تضطر إلى الإيمان ، والله عز وجل لم يبعث الأنبياء بآيات اضطرار ، إنما بعثهم بآيات النظر والاستدلال ، ولم يجعل آية الاضطرار إلا للأمة التي أراد تعذيبها لكفرها بعد آية الاستدلال ، كالناقة لثمود ، وآنسه تعالى بقوله ؛ إنما أنت نذير ، أي : الذي فوض إليك هو النذارة لا تحصيل هدايتهم ، فإن ذلك إنما هو لله تعالى. وقال مقاتل : وقيل : كافل بالمصالح قادر عليها. وقال ابن عطية : المحصي لإيمان من شاء ، وكفر من شاء. قيل : وهذه الآية منسوخة ، وقيل : محكمة.

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثلها مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ : ٢٠٧

الظاهر أن أم منقطعة تتقدر ببل ، والهمزة أي : أيقولون افتراه. وقال ابن القشيري : أم استفهام توسط الكلام على معنى : أيكتفون بما أوحيت إليك من القرآن ، أم يقولون إنه ليس من عند الله ، فإن قالوا : إنه ليس من عند الله فليأتوا بمثله انتهى. فجعل أم متصلة ، والظاهر الانقطاع كما قلنا ، والضمير في افتراه عائد

على قوله : ما يوحى إليك ، وهو القرآن.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٩٨

". (١)

"وهو في أهله وغلمانه. والذين جاؤه ثلاثة ، وهي تعهده يغلب الأربعين ، وقيل : المائة. وقال قتادة : ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم. وقال السدي : ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل وقالت : عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا ، وهم لا يأكلون طعامنا. وقال وهب بن منبه : وروي عن ابن عباس : ضحكت من البشارة بإسحاق ، وقال : هذا مقدم بمعنى التأخير. وذكر ابن الأنباري أن ضحكها كان سرورا بصدق ظنها ، لأنها كانت تقول لابراهيم : اضمم إليك ابن أخيك لوطا وكان أخاها ، فإنه سينزل العذاب بقومه. وقيل : ضحكت لما رأت من المعجز ، وهو أن الملائكة مسحت العجل الحنيذ فقام حيا يطفر ، والذي يظهر والله أعلم أنهم لما لم يأكلوا ، وأوجس في نفسه خيفة بعدما نكر حالهم ، لحق المرأة من ذلك أعظم ما لحق الرجل. فلما قالوا : لا تخف ، وذكروا سبب مجيئهم زال عنه الخوف وسر ، فلحقها هي من السرور إن ضحكت ، إذ النساء في **باب الفرح والسرور** أطرب من الرجال وغالب عليهن ذلك. وقد أشار الزمخشري إلى طرف من هذا فقال : ضحكت سرورا بزوال الخيفة. وذكر محمد بن قيس سببا لضحكها تركنا ذكره لفظاعته ، يوقف عليه في تفسير ابن عطية : وقرأ محمد بن زياد الأعرابي رجل من قراء مكة : فضحكت بفتح الحاء. قال المهدوي : وفتح الحاء غير معروف ، فبشرناها هذا موافق لقوله تعالى : ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ، والمعنى : فبشرناها على لسان رسلنا بشرتها الملائكة بإسحاق ، وبأن إسحاق سيلد يعقوب. قال ابن عطية : أضاف فعل الملائكة إلى ضمير اسم الله تعالى ، إذ كان ذلك بأمره ووحيه. وقال غيره : لما ولد لابراهيم اسماعيل عليهما السلام من هاجر تمنت سارة أن يكون لها ابن ، وأيست لكبر سنها ، فبشرت بولد يكون نبيا وبلد نبيا ، فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولد ولدها. وإنما بشروها دونه ، لأن المرأة أعجل فرحا بالولد ، ولأن إبراهيم قد بشروه وأمنوه من خوفه ، فأتبعوا بشارته ببشارتها. وقيل : خصت بالبشارة حيث لم يكن لها ولد ، وكان لإبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل.

والظاهر أن وراء هنا ظرف استعمل اسما غير ظرف بدخول من عليه كأنه قيل : ومن بعد إسحاق ، أو من خلف إسحاق ، وبمعنى بعد ، روي عن ابن عباس واختاره مقاتل وابن قتيبة ، وعن ابن عباس أيضا : أن

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/١٧٠

الوراء ولد الولد ، وبه قال الشعبي : واختاره أبو عبيدة. وتسميته وراء هي قريبة من معنى وراء الظرف ، إذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده. فإن قيل : كيف يكون يعقوب وراء لإسحاق وهو ولده لصلبه ، وإنما الوراء ولد الولد ؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال : المعنى ومن الوراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب ، لأنه قد كان الوراء لإبراهيم من جهة إسحاق ، فلو قال : ومن الوراء يعقوب ، لم يعلم أهذا الوراء منسوب إلى إسحاق أم إلى إسماعيل ، فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس انتهى. وبشرت من بين أولاد إسحاق بيعقوب ، لأنها رأته ولم تر غيره ، وهذه البشارة لسارة كانت وهي بنت تسع وتسعين سنة ، وابراهيم ابن مائة سنة. وقيل : كان بينهما غير ذلك ، وهي أقوال متناقضة.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٣٦

وهذه الآية تدل على أن إسماعيل هو الذبيح ، لأن سارة حين أخدمها الملك الجبار هاجر أم إسماعيل كانت شابة جميلة ، فاتخذ إبراهيم هاجر سرية ، فغارت منها سارة ، فخرج بها وبابنها إسماعيل من الشام على البراق ، وجاء من يومه مكة ، وانصرف إلى الشام من يومه ، ثم كانت البشارة بإسحاق وسارة عجوز محالة ، وسيأتي الدليل على ذلك أيضا من سورة والصافات. ويجوز أن يكون الله سماها حالة البشارة بهذين الاسمين ، ويجوز أن يكون الإسمان حدثا لها وقت الولادة ، وتكون البشارة بولد ذكر بعده ولد ذكر ، وحالة الإخبار عن البشارة ذكرا باسمها كما يقول المخبر : إذا بشر في النوم بولد ذكر فولد له ولد ذكر فسماه مثلا عبد الله : بشرت بعبد

٢٤٣

الله. وقرأ الحرميان ، والنحويان ، وأبو بكر يعقوب : بالرفع على الابتداء ومن وراء الخبر كأنه قيل : ومن وراء إسحاق يعقوب كائن ، وقدره الزمخشري مولود أو موجود. قال النحاس : والجملة حال داخلة في البشارة أي : فبشرناها بإسحاق متصلا به يعقوب. وأجاز أبو علي أن يرتفع بالجار والمجرور ، كما أجازه الأخفش أي : واستقر لها من وراء إسحاق يعقوب. وقالت فرقة : رفعه على القطع بمعنى ومن وراء إسحاق يحدث يعقوب. وقال النحاس : ويجوز أن يكون فاعلا بإضمار فعل تقديره : ويحدث من وراء إسحاق يعقوب. قال ابن عطية : وعلى هذا لا تدخل البشارة انتهى. ولا حاجة إلى تكلف القطع والعدول عن الظاهر المقتضى للدخول في البشارة.

". (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٢٠٠

"قال مقاتل نزلت : والذين ينقضون في أهل الكتاب. وقال ابن عباس : نزلت الله يبسط في مشركي مكة ، ولما ذكر تعالى حال السعداء وما ترتب لهم من الأمور السنية الشريفة ، ذكر حال الأشقياء وما ترتب لهم من الأمور المخزية. وتقدم تفسير الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل الآية في أوائل البقرة وترتب للسعداء هناك التصريح بعقبي الدار وهي الجنة ، وإكرام الملائكة لهم بالسلام ، وذلك غاية القرب والتأنيس. وهنا ترتب للأشقياء الإبعاد من رحمة الله. وسوء الدار أي : الدار السوء وهي النار ، وسوء عاقبة الدار ، وتكون دار الدنيا. ولما كان كثير من الأشقياء فتحت عليهم نعم الدنيا ولذاتها أخبر تعالى أنه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، والكفر والإيمان لا تعلق لهما بالرزق. قد يقدر على المؤمن ليعظم أجره ، ويبسط للكافر إملاء لازدياد آثامه. ويقدر مقابل يبسط ، وهو التضييق من قوله : ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ وعليه يحمل ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ وقول ذلك الذي أحرق وذري في البحر : ﴿قدر﴾ أي لئن ضيق. وقيل : يقدر يعطي بقدر الكفاية. وقرأ زيد بن علي : ويقدر بضم الدال ، حيث وقع والضمير في فرحوا عائد على الذين ينقضون ، وهو استئناف إخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا عليهم ، **وفرحهم فرح بطر** وبسط **لا فرح سرور** بفضل الله وإنعامه عليهم ، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة بفضل الله به ، واستجهلهم **بهذا الفرح إذ هو فرح بما** يزول عن قريب وينقضي. ويبعد قول من ذهب إلى أنه معطوف على صلات. والذين ينقضون أي : يفسدون في الأرض ، وفرحوا بالحياة الدنيا. وفي الكلام تقديم وتأخير. ومتاع : معناه ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفنى. كما قال الشاعر :

تمتع يا مشعث إن شيئاسبقت به الممات هو المتاع

وقال آخر :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى

غير أن لا بقاء لللإنسان

وقال آخر :

تمتع من الدنيا فإنك فانمن النشوات والنسأ الحسان

قال الزمخشري : خفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نذرا ، يتمتع به كعجالة الراكب ، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو غير ذلك انتهى. وهذا مني قول الحسن : أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الحياة الدنيا في جنب ما أعد الله لأوليائه في الآخرة نذر ليس يتمتع به كعجالة

الراكب ، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو غير ذلك. وقال ابن عباس : زاد كزاد الرعي. وقال مجاهد : قليل ذاهب من متع النهار إذا ارتفع فلا بد له من زوال.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٨٣
﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه ءاية من ربها قل إن الله يضل من يشآء ويهدى إليه من أناب﴾ : نزلت : ويقول الذين كفروا ، في مشركي مكة ، طلبوا مثل آيات الأنبياء. والملتمس ذلك هو عبد الله بن أبي أمية وأصحابه ، رد تعالى على مقترحي الـآيات من كفار قريش كسقوط السماء عليهم كسفا. وقولهم : سير علينا الأخشبين ، واجعل لنا البطاح محارث ومغترسا
٣٨٨
كالأردن ، وأحي لنا مضينا وأسلافنا ، ولم تجر عادة الله في الإتيان بالآيات المقترحة إلا إذا أراد هلاك مقترحها ، فرد تعالى عليهم بأن نزول الآية لا يقتضي ضرورة إيمانكم وهداكم ، لأن الأمر بيد الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.
وقال الزممشري : (فإن قلت) : كيف يطابق قولهم : لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إن الله يضل من يشاء ؟ (قلت) : هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم ، وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله ، وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية ، فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأنه لم ينزل عليه قط كان موضع التعجب والاستنكار ، فكأنه قيل لهم : ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم إن الله يضل من يشاء ، فمن كان على صفتكم من التصميم وشدة التسليم في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائكم وإن أنزلت كل آية ، ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم. وقال أبو علي الجبائي : يضل من يشاء عن رحمته وثوابه عقوبة له على كفره ، ويهدي إليه من أناب أي : إلى جنته من أناب أي : من تاب. والهدى تعلقه بالمؤمن هو الثواب لأنه يستحقه على إيمانه ، وذلك يدل على أنه يضل عن الثواب بالعقاب ، لا عن الدين بالكفر ، على ما ذهب إليه من خالفنا انتهى. وهي على طريقة الاعتزال.
." (١)

"والضمير في إليه عائد على القرآن ، أو على الرسول صلى الله عليه وسلم. والظاهر أنه عائد على الله تعالى على حذف مضاف أي : إلى دينه وشرعه. وأناب أقبل إلى الحق ، وحقيقته دخل في توبة الخير.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١٦/٥

والذين آمنوا : بدل من أناب. واطمئنان القلوب سكونها بعد الاضطراب من خشيته. وذكر الله ذكر رحمته ومغفرته ، أو ذكر دلائله على وحدانيته المزيلة لعلق الشبه. أو تطمئن بالقرآن ، لأنه أعظم المعجزات تسكن به القلوب وتنتبه. ثم ذكر الحض على ذكر الله وأنه به تحصل الطمأنينة ترغيبا في الإيمان ، والمعنى : أنه بذكره تعالى تطمئن القلوب لا بالآيات المقترحة ، بل ربما كفر بعدها ، فنزل العذاب كما سلف في بعض الأمم. وجوزوا في الذين أن يكون بدلا من الذين ، وبدلا من القلوب على حذف مضاف أي : قلوب الذين ، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف أي : هم الذين ، وأن يكون مبتدأ خبره ما بعده.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٨٣

وطوبى : فعل من الطيب ، قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها كما قلبت في موسر ، واختلفوا في مدلولها : فقال أبو الحسن الهنائي : هي جمع طيبة قالوا في جمع كيسة كوسى ، وصيفة صوفى. وفعلى ليست من ألفاظ الجموع ، فلعله يعني بها اسم جمع. وقال الجمهور : هي مفرد كبشرى وسقيا ورجعى وعقبى ، واختلف القائلون بهذا في معناها. فقال الضحاك : المعنى غبطة لهم. وعنه أيضا : أصبت خيرا. وقال عكرمة : نعمى لهم. وقال ابن عباس : فرح وقرة عين. وقال قتادة : حسنى لهم. وقال النخعي : خير لهم ، وعنه أيضا كرامة لهم. وعن سميط بن عجلان : دوام الخير. وهذه أقوال متقاربة ، والمعنى العيش الطيب لهم. وعن ابن عباس ، وابن جبير : طوبى اسم للجنة بالحبشية. وقيل : بلغة الهند. وقال أبو هريرة ، وابن عباس أيضا ، ومعتب بن سمي ، وعبيد بن عمير ، ووهب بن منبه : هي شجرة في الجنة. وروي مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عتبة بن عبيد السلمي أنه قال. وقد سأله أعرابي : يا رسول الله أفي الجنة فاكهة ؟ قال : "نعم فيها شجرة تدعى طوبى" وذكر الحديث. قال القرطبي : الصحيح أنها شجرة للحديث المرفوع حديث عتبة ، وهو صحيح على ما ذكره السهيلي ، وذكره أبو عمر في التمهيد والثعلبي. وطوبى : مبتدأ ، وخبره لهم. فإن كانت علما لشجرة في الجنة فلا كلام في جواز الابتداء ، وإن كانت نكرة فمسوغ الابتداء بها ما ذهب إليه سيبويه من أنه ذهب بها مذهب الدعاء كقولهم : سلام عليك ، إلا أنه التزم فيه

٣٨٩

الرفع على الابتداء ، فلا تدخل عليه نواسخه هكذا قال : ابن مالك. ويرده أنه قرىء : وحسن مآب بالنصب ، قرأه كذلك عيسى الثقفي ، وخرج ذلك ثعلب على أنه معطوف على طوبى ، وأنها في موضع نصب ، وحسن مآب معطوف عليها. قال ثعلب : وطوبى على هذا مصدر كما قالوا : سقيا. وخرجه صاحب اللوامح

على النداء قال : بتقدير يا طوبى لهم ، ويا حسن مآب. فحسن معطوف على المنادى المضاف في هذه القراءة ، فهذا نداء للتحنين والتشويق كما قال : يا أسفي على الفوت والندبة انتهى. ويعني بقوله : معطوف على المنادى المضاف ، أن طوبى مضاف للضمير ، واللام مقحمة كما أقحمت في قوله : يا بؤس للجهل ضرارا الأقوام ، وقول الآخر : يا بؤس للحرب التي ، ولذلك سقط التنوين من بؤس وكأنه قيل : يا طوباهم وحسن مآب أي : ما أطيبهم وأحسن مآبهم ، كما تقول : يا طيبها ليلة أي : ما أطيبها ليلة. وقرأ بكرة الأعرابي طيبي بكسر الطاء ، لتسلم الياء من القلب ، وإن كان وزنها فعلي ، كما كسروا في بيض لتسلم الياء ، وإن كان وزنها فعلا كحمر. وقال الزمخشري : أصبت خيرا وطيبا ، ومحلها النصب أو الرفع كقولك : طيبا لك ، وطيب لك ، وسلاما لك ، وسلام لك ، والقراءة في قوله : وحسن مآب بالرفع والنصب بذلك على محلها ، واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك. وقرىء : وحسن مآب بفتح النون ، ورفع مآب. فحسن فعل ماض أصله وحسن نقلت ضمة سينه إلى الحاء ، وهذا جائز في فعل إذا كان للمدح أو الذم كما قالوا : حسن ذا أدبا.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٨٣

." (١)

"الإعراب. وتأول قوم على القرآن مثل مقحم ، وأن التقدير : الجنة التي وعد المتقون تجري ، وإقحام الأسماء لا يجوز. وحكوا عن الفراء أن العرب تقحم كثيرا المثل والمثل ، وخرج على ذلك : ﴿ليس كمثلها شيء﴾ أي : كهو شيء. فقال غيرهما : الخبر تجري ، كما تقول : صفة زيد اسمر ، وهذا أيضا لا يصح أن يكون تجري خبرا عن الصفة ، وإنما يتأول تجري على إسقاط أن ورفع الفعل ، والتقدير : أن تجري خبر ثان الأنهار. وقال الزجاج : معناه مثل الجنة جنة تجري على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد انتهى. وقال أبو علي : لا يصح ما قال الزجاج ، لا على معنى الصفة ، ولا على معنى الشبه ، لأن الجنة التي قدرها جنة ولا تكون الصفة ، ولأن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث ، والجنة جنة فلا تكون المماثلة. وقرأ علي وابن مسعود : مثال الجنة على الجمع أي : صفاتها. وفي اللوامح على السلمى أمثال الجنة جمع ، ومعناه : صفات الجنة. وذلك لأنها صفات مختلفة ، فلذلك جمع نحو الحلقوم والإسعال. والأكل ما يؤكل فيها ، ومعنى دوامه : أنه لا ينقطع أبدا ، كما قال تعالى : ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ وقال إبراهيم التيمي : أي لذاته دائمة لا تزاد بجوع ولا تمل من شبع. وظلها أي

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١٧/٥

: دائم البقاء والراحة ، لا تنسخه شمس ، ولا يميل لبرد كما في الدنيا. أي : تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا أي : اجتنبوا الشرك.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٨٣

﴿والذين ءاتيناهم الكتاب يفرحون بمآ أنزل إليكا ومن الاحزاب من ينكر بعضها قل إنمآ أمرت أن أعبد الله ولا﴾ : نزلت في مؤمني أهل الكتابين ، ذكره الماوردي ، واختاره الزمخشري فقال : من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا : أربعون من نجران ، وثمانية من اليمنن ، وإثنان وثلاثون من الحبشة. ومن الأحزاب يعني : ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو : كعب بن الأشرف وأصحابه ، والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما ، من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف ، وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ، ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حرفوه وبدلوه انتهى. وعن ابن عباس ، وابن زيد : في مؤمني اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه ، وعن قتادة في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، مدحهم الله تعالى بأنهم يسرون بما أنزل إليك من أمر الدين. وعن مجاهد ، والحسن ، وقتادة : أن المراد بأهل الكتاب جميعهم يفرحون بما أنزل من القرآن ، إذ فيه تصديق كتبهم ، وثناء على أنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم الذين هم على دين موسى وعيسى عليهما السلام. وضعف هذا القول بأن همهم به أكثر من فرحهم ، فلا يعتد بفرحهم. وأيضا فإن اليهود والنصارى ينكرون بعضه ، وقد قذف تعالى بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب. والأحزاب قال مجاهد : هم اليهود ، والنصارى ، والمجوس. وقالت فرقة : هم أحزاب الجاهلية من العرب. وقال مقاتل : الأحزاب بنو أمية ، وبنو المغيرة ، وآل أبي طلحة. ولما كان ما أنزل إليه يتضمن عبادة الله ونفي الشريك ، أمر بجواب المنكرين ، فقيل له : قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، فإنكاركم لبعض القرآن الذي أنزل لعبادة الله وتوحيده ، وأنتم تدعون

٣٩٦

وجوب العبادة ونفي الشريك إليه ، أدعوا إلى شرعه ودينه ، وإليه مرجعي عند البعث يوم القيامة في جميع أحوالي في الدنيا والآخرة. وقرأ أبو جليد عن نافع : ولا أشرك بالرفع على القطع أي : وأنا لا أشرك به. وجوز أن يكون حالا أي : أن أعبد الله غير مشرك به. وكذلك أي : مثل إنزالنا الكتاب على الأنبياء قبلك ، لأن قوله : والذين آتيناهم الكتاب ، يتضمن إنزاله الكتاب ، وهذا الذي أنزلناه هو بلسان العرب ، كما

أن الكتب السابقة بلسان من نزلت عليه : ﴿ومآ أرسلنا من رسول إلا بلسان قومها ليبين لهم﴾ وأراد بالحكم أنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم. وقال ابن عطية : وقوله وكذلك المعنى : كما يسرنا لهؤلاء الفرح ولهؤلاء الإنكار لبعض كذلك أنزلناه حكما عربيا انتهى. وانتصب حكما على الحال من ضمير النصب في أنزلناه ، والضمير عائد على القرآن ، والحكم ما تضمنه القرآن من المعاني. ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبه إليها. ولئن اتبعت : الخطاب لغير الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه معصوم من اتباع أهوائهم. وقال الزمخشري : هذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه. أن لا يزال زال عند الشبه بعد استمساكه بالحجة ، وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٨٣

". (١)

"﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السمآء * تؤتى أكلها كل حينا بإذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار * يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيواة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمينا ويفعل الله ما يشآء﴾ : تقدم الكلام في ضرب مع المثل في أوائل البقرة ، فكان يغني ذلك عن الكلام فيه هنا ، إلا أن المفسرين أبدوا هنا تقديرات ، فأعرب الحوفي والمهدوي وأبو البقاء مثلا مفعولا بضرب ، وكلمة بدل من مثلا. وإعرابهم هذا تريع ، على أن ضرب مثل لا يتعدى لا إلى مفعول واحد. وقال ابن عطية : وأجازه الزمخشري مثلا مفعول بضرب ، وكلمة مفعول أول تفريعا على أنها مع المثل تتعدى إلى اثنين ، لأنها بمعنى جعل. وعلى هذا تكون كشجرة خبر مبتدأ محذوف أي : جعل كلمة طيبة مثلا هي أي : الكلمة كشجرة طيبة ، وعلى البدل تكون كشجرة نعتا للكلمة. وأجاز الزمخشري : وبدأ به أن تكون كلمة نصبا بمضمر أي : جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة ، وهو تفسير لقوله : ضرب الله مثلا ، كقولك : شرف الأمير زيدا كساه حلة ، وحمله على رس انتهى. وفيه تكلف إضمار لا ضرورة تدعو إليه.

وقرىء شاذا كلمة طيبة بالرفع. قال أبو البقاء : على الابتداء ، وكشجرة خبره انتهى. ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير : هو أي المثل كلمة طيبة كشجرة ، وكشجرة نعت لكمة ، والكلمة الطيبة هي : لا له إلا الله قاله ان عباس ، أو الإيمان قاله مجاهد وابن جريج ، أو المؤمن نفمسع قاله عطية العوفي

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٢٣/٥

والربيع ، أو جميع طاعاته أو القرآن قاله الأصم ، أو دعوة الإسلام قاله ابن بحر ، أو الثناء على الله أو التسبيح والتنزيه والشجرة الطيبة المؤمن قاله ابن عباس ، أو جوزة الهند قاله على وابن عباس ، أو شجرة في الجنة قاله ابن عباس أيضا ، أو النخلة وعليه أكثر المتأولين وهو قول : ابن مسعود ، وابن عباس ، وأنس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وابن زيد ، وجاء ذلك نصا من حديث ابن عمر مما خرجه الدارقطني عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الآية فقال : "أتدرون ما هي فوقع في نفسي أنها النخلة" الحديث. وقال أبو العالية : أتيت أنس بن مالك فجيء بطبق عليه رطب فقال أنس : كل يا أبا العالية ، فإنها الشجرة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه ثم قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع بسر فتلا هذه الآية. وفي الترمذي من حديث أنس نحو هذا. وقال الزمخشري :

٤٢١

كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة ، وشجرة التين ، والعنب ، والرمان ، وغير ذلك انتهى.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤١٣

وقد شبه الرسول المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة ، فلا يبعد أن يشبه أيضا بشجرتها. أصلها ثابت أي : في الأرض ضارب بعروقه فيها. وقرأ نس بن مالك : كشجرة طيبة ثابت أصلها ، أجريت الصفة على الشجرة لفظا وإن كانت في الحقيقة للسبي. وقراءة الجماعة فيها إسناد الثبوت إلى السبي لفظا ومعنى ، وفيها حسن التقسيم ، إذ جاء أصلها ثابت وفرعها في السماء ، يريد بالفرع أعلاها ورأسها ، وإن كان المشبه به ذا فروع ، فيكون من باب الاكتفاء بلفظ الجنس. ومعنى في السماء : جهة العلو والصعود لا المظلة. وفي الحديث : "خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعا" ولما شبهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة كانت الكلمة أصلها ثابت في قلوب أهل الإيمان ، وما يصدر عنها من الأفعال الزكية والأعمال الصالحة هو فرعها يصعد إلى السماء إلى الله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعها﴾ وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله هو جناها ، ووصف هذه الشجرة بأربعة أوصاف : الأول قوله : طيبة ، أي كريمة المنبت ، والأصل في الشجرة له لذة في المطعم. قال الشاعر :

طيب الباءة سهل ولهمسبل إن شئت في وحش وعر

أي ساحتهم سهلة طيبة. الثاني : رسوخ أصلها ، وذلك يدل على تمكنها ، وأن الرياح لا تقصفها ، فهي بطيئة الفناء ، وما كان كذلك **حصل الفرح بوجدانه**. والثالث : علو فرعها ، وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها ، وعلى بعدها عن عفونات الأرض ، وعلى صفائها من الشوائب. الرابع : ديمومة وجود

ثمرتها وحضورها في كل الأوقات. والحين في اللغة قطعة من الزمان قال الشاعر :
تناذرها الراقون من سوء سمهاتطلقه حينا وحينا تراجع
." (١)

"وادي مكة ، غير ذي ذرع : لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله : ﴿قرءانا عربيا غير ذى عوج﴾ بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ، ما فيه إلا استقامة لا غير انتهى. واستعمل قط وهي ظرف لا يستعمل إلا مع الماضي معمولا لقوله : لا يكون ، وليس هو ماضيا ، وهو مكان أبدا الذي يستعمل مع غير الماضي من المستقبلات. والظاهر أن قوله : عند بيتك المحرم ، يقتضي وجود البيت حالة الدعاء ، وسبقه قبله وتقدم الكلام في البيت ومتى وضع في البقرة ، وفي آل عمران. ووصف بالمحرم لكونه حرم على الطوفان أي : منع منه ، كما سمى بعتيق لأنه أعتق منه فلم يستول عليه ، أو لكونه لم يزل عزيزا ممنعا من الجبابرة ، أو لكونه محترما لا يحل انتهاكه. وليقيموا متعلق بأسكنت. وربنا دعاء معترض ، والمعنى : إنه لا يخلو هذا البيت المعظم من العبادة. وقيل : هي لام الأمر ، دعا لهم بإقامة الصلاة. وقال أبو الفرج بن الجوزي : اللام متعلقة بـقوله : واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ليقيموا الصلاة انتهى. وهذا بعيد جدا. وخص الصلاة دون سائر العبادات لأنها أفضلها ، أو لأنها سبب لكل خير. وقوله : ليقيموا بضمير الجمع دلالة على أن الله أعلمه بأن هذا الطفل سيعقب هنالك ، ويكون له نسل. وأفئدة : جمع فؤاد وهي القلوب ، سمي القلب فؤاد لإتفاده مأخوذ من فأد ، ومنه المفتأد ، وهو مستوقد النار حيث يشوى اللحم. وقال مؤرج الافئدة : القطع من الناس بلغة قريش ، وإليه ذهب ابن بحر. قال مجاهد : لو قال ابراهيم عليه السلام : أفئدة الناس ، لازدحمت على البيت فارس والروم. وقال ابن جبير : لحجته اليهود والنصارى. والظاهر أن من للتبعيض ، إذ التقدير : أفئدة من الناس. قال الزمخشري : ويجوز أن تكون من للابتداء كقولك : القلب مني سقيم يريد قلبي ، فكأنه قيل : أفئدة ناس ، وإنما نكر المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة ، لأنها في الآية نكرة لتتناول بعض الأفئدة انتهى. ولا يظهر كونها لابتداء الغاية ، لأنها ليس لنا فعل يبتدأ فيه لغاية ينتهي إليها ، إذ لا يصح ابتداء جعل الأفئدة من الناس ، وإنما الظاهر في من التبعيض. وقرأ هشام : أفئدة بياء بعد الهمزة ، نص عليه الحلواني عنه وخرج ذلك على الإشباع ، ولما كان الإشباع لا يكون إلا في ضرورة الشعر حمل بعض العلماء هذه القراءة على أن هشاما قرأ بتسهيل الهمزة كالياء ، فعبر الراوي عنها بالياء ، فظن من أخطأ فهمه أنها بياء بعد الهمزة ، والمراد بياء عوضا من الهمزة ، قال : فيكون هذا التحريف من

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٤٣/٥

جنس التحريف المنسوب إلى من روى عن أبي عمرو : بارئكم ويأمركم ، ونحوه بإسكان حركة لإعراب ، وإنما كان ذلك اختلاسا. قال أبو عمرو والداني الحافظ : ما ذكره صاحب هذا القول لا يعتمد عليه ، لأن النقلة عن هشام وأبي عمر وكانوا من أعلم الناس بالقراءة ووجوهها ، وليس يفضي بم الجهل إلى أن يعتقد فيهم مثل هذا وقرىء آفدة : على وزن فاعلة ، فاحتمل أن يكون اسم فاعل للحذف من أفد أي دنا وقرب وعجل أي : جماعة آفدة ، أو جماعات آفدة ، وأن يكون جمع ذلك فؤاد ، ويكون من باب القلب ، وصار بالقلب أأفدة ، فأبدلت الهمزة الساكنة ألفا كما قالوا. في ارآم أأرام ، فوزنه أعفلة. وقرىء أفدة على وزن فعله ، فاحتمل أن يكون جمع فؤاد وذلك بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها وهو الفاء ، وإن كان تسهيلها بين بين هو الوجه ، وأن يكون اسم فاعل من أفد كما تقول : فرح فهو فرح. وقرأت أم الهيثم : أفودة بالواو المكسورة بدل الهمزة. قال صاحب اللوامح : وهو جمع وفد ، والقراءة حسنة : لكني لا أعرف هذه المرأة ، بل ذكرها أبو حاتم انتهى. أبدل الهمزة في فؤاد بعد الضمة كما أبدلت في جون ، ثم جمع فأقرها في الجمع إقرارها في المفرد. وهو جمع وفد كما قال صاحب اللوامح ، وقلب إذ الأصل أوفده. وجمع فعل على أفعلة شاذ نحو : نجد وأنجدة ، ووهى وأوهية. وأم الهيثم

٤٣٢

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٢٩

امرأة نثل عنها شيء من لغات العرب. وقرأ زيد بن علي : إفادة على وزن إشارة. ويظهر أن الهمزة بدل من الواو المكسورة كما قالوا : اشاح في وشاح ، فالوزن فعالة أي : فاجعل ذوي وفادة. ويجوز أن يكون مصدر أفاد إفادة ، أو ذوي إفادة ، وهم الناس الذين يفيدون وينتفع بهم. وقرأ الجمهور : تهوي إليهم أي تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ، ولما ضمن تهوي معنى تميل عداه بإلى ، وأصله أن يتعدى باللام. قال الشاعر :

حتى إذا ما هوت كف الوليد بهاطارت وفي كفه من ريشها بتك

ومثال ما في الآية قول الشاعر :

تهوى إلى مكة تبغي الهدىما مؤمن الجن ككفارها

(١) ".

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٥٢/٥

"المتصل المنصوب ، فلا يجوز زيد ضربه زيد ، تريد ضرب نفسه إلا في باب ظن وأخواتها من الأفعال القلبية ، أو فقد ، وعدم ، فيجوز : زيد ظنه قائما وزيد فقده ، وزيد عدمه. والضمير المجرور بالحرف المنصوب المتصل ، فلا يجوز زيد غضب عليه تريد غضب على نفسه ، فعلى هذا الذي تقرر لا يجوز النصب إحذ يكون التقدير : ويجعلون لهم ما يشتهون. قالوا : وضمير مرفوع ، ولهم مجرور باللام ، فهو نظير : زيد غضب عليه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٩٩

وإذا بشر ، المشهور أن البشارة أول خبر يسر ، وهنا قد يراد به مطلق الأخبار ، أو تغير البشرة ، وهو القدر المشترك بين الخبر السار أو المخبرين ، وفي هذا تقبيح لنسبتهم إلى الله المنزه عن الولد البنات واحدهم أكره الناس فيهن ، وأنفرهم طبعا عنهن. وظل تكون بمعنى صار ، وبمعنى أقام نهارا على الصفة التي تسند إلى اسمها تحتمل الوجهين. والأظهر أن يكون بمعنى صار ، لأن التبشير قد يكون في ليل ونهار ، وقد تلحظ الحالة الغالبة. وأن أكثر الولادات تكون بالليل ، وتتأخر أخبار المولود له إلى النهار وخصوصا بالأنثى ، فيكون ظلوله على ذلك طول النهار. واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والتكره والنفرة التي لحقته بولادة الأنثى. قيل : إذا قوي الفرح انبسط روح القلب من داخله ووصل إلى الأطراف ، ولا سيما إلى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد ، فترى الوجه مشرقا متلألئا. وإذا قوي الغم انحصر الروح إلى باطن القلب ولم يبق له أثر قوي في ظاهر الوجه ، فيربد الوجه ويصفر ويسود ، ويظهر فيه أثر الأرضية ، فمن لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه ، ومن لوازم الغم والحزن اربداده واسوداده ، فلذلك كنى عن الفرح بالاستنارة ، وعن الغم بالاسوداد. وهو كظيم أي : ممتلىء القلب حزنا وغما. أخبر عما يظهر في وجهه وعن ما يجنه في قلبه. وكظيم يحتمل أن يكون للمبالغة ، ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول لقوله : ﴿وهو مكظوم﴾ ويقال : سقاء. مكظوم ، أي مملوء مشدود الفم. وروى الأصمعي أن امرأة ولدت بنتا سمتها الذلفاء ، فهجرها زوجها فقالت :

ما لأبي الذلقاء لا يأتينايظل في البيت الذي يلينا

يحردان لا نلد البنيناوإنما نأخذ ما يعطينا

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٩٩

يتوارى : يختفي من الناس ، ومن سوء للتعليل أي : الحال له على التواري هو سوء ما أخبر به ، وقد كان بعضهم في الجاهلية يتوارى حالة الطلق ، فإن أخبر بذكر ابتهج ، أو أنثى حزن. وتوارى أياما يدبر فيها ما

يصنع. أيمسكه قبله حال محذوفة دل عليها المعنى ، والتقدير : مفكرا أو مدبرا أيمسكه ؟ وذكر الضمير ملاحظة للفظ ما في قوله : من سوء ما بشر به. وقرأ الجحدري : أيمسكها على هوان ، أم يدسها بالتأنيث عودا على قوله : بالأنثى ، أو على معنى ما بشر به ، ووافقه عيسى على قراءة هوان على وزن فعال. وقرأت فرقة : أيمسكه بضمير التذكير ، أم يدسها بضمير التأنيث. وقرأت فرقة : على هون بفتح الهاء. وقرأ الأعمش : على سوء ، وهي عندي تفسير لا قراءة ، لمخالفتها السواد المجمع عليه. ومعنى الإمساك حبسه وتربيته ، والهون الهوان كما قال : ﴿عذاب الهون﴾ والهون بالفتح الرفق واللبن ، ﴿يمشون على الارض هونا﴾ وفي قوله : على هون قولان : أحدهما : أنه حال من الفاعل ، وهو مروي عن ابن عباس. قال ابن عباس : إنه صفة للأب ، والمعنى : أيمسكها مع رضاه بهوان نفسه ، وعلى رغم أنفه ؟ وقيل : حال من المفعول أي : أيمسكها مهانة ذليلة ، والظاهر من قوله : أم يدسه في التراب ، إنه يئدها وهو دفنها حية حتى تموت. وقيل : دسها إخفاؤها عن الناس حتى لا تعرف كالمدسوس في التراب. والظاهر من قوله : ألا ساء ما يحكمون ، رجوعه إلى قوله : ويجعلون لله البنات الآية أي : ساء ما يحكمون في نسبتهم إلى الله ما هو مستكره عندهم ، نافر عنهن طبعهم ، بحيث لا يحتملون نسبتهن إليهن ، ويئدونهن استنكافا منهن ، وينسبون إليهم

٥٠٤

". (١)

"وقرأ الجمهور بلام كي وياء الغيبة وضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين. وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء بالياء وهمزة مفتوحة على الإفراد والفاعل المضمر عائد على الله تعالى أو على الوعد أو على البعث الدال عليه جملة الجزاء المحذوفة. وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي والكسائي لنسوء بالنون التي للعظمة وفيها ضمير يعود على الله. وقرأ أبي لنسوءن بلام الأمر والنون التي للعظمة ونون التوكيد الخفيفة آخرا. وعن علي أيضا لنسوءن وليسوءن بالنون والياء ونون التوكيد الشديدة وهي لام القسم ، ودخلت لام الأمر في قراءة أبي على المتكلم كقوله : ﴿سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ وجواب إذا هو الجملة الأمرية على تقدير الفاء. وفي مصحف أبي ليسيء بياء مضمومة بغير واو. وفي مصحف أنس ليسوء وجهكم على الإفراد ، والظاهر أنه أريد بالوجوه الحقيقة لأن آثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه ، ففي الفرح يظهر الإسفار والإشراق ، وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة ، ويحتمل أن يعبر عن الجملة بالوجه

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/٤١١

فإنهم ساؤهم بالقتل والنهب والسبي فحصلت الإساءة للذوات كلها أو عن ساداتهم وكبرائهم بالوجوه ، ومنه قولهم في الخطاب يا وجه العرب.

واللام في ﴿وليدخلوا ﴾ لام كي معطوفا على ما قبلها من لام كي ، ومن قرأ بلام الأمر أو بلام القسم جاز أن يكون وليدخلوا وما بعدها أمرا ، وجاز أن تكون لام كي أي وبعثناهم ليدخلوا. ﴿والمسجد﴾ مسجد بيت المقدس ومعنى كما دخلوه أول مرة أي بالسيف والقهر والغلبة والإذلال ، وهذا يبعد قول من ذهب إلى أن أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب ، وتقدم الكلام في أول مرة في سورة التوبة. ﴿وليتبروا ﴾ بهلكوا. وقال قطرب : يهدموا. قال الشاعر :

فما الناس إلا عاملان فعامليتبر ما يبني وآخر رافع

والظاهر أن ﴿مآ﴾ مفعولة بيتبروا أي يهلكوا ما غلبوا عليه من الأقطار ، ويحتمل أن تكون ما ظرفية أي مدة استيلائهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم وانزجرتم عن المعاصي ، وهذه الترجئة ليست لرجوع دولة وإنما هي من باب ترحم المطيع منهم ، وكان من الطاعة أن يتبعوا عيسى ومحمدا عليهما السلام فلم يفعلوا. ﴿وإن عدتم﴾ إلى المعصية مرة ثالثة عدنا إلى العقوبة وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الأتاوة عليهم. وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يطعون الجزية عن يد وهم صاغرون. وعن قتادة : ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منه في عذاب إلى يوم القيامة انتهى. ومعنى ﴿عدنا﴾ أي في الدنيا إلى العقوبة. وقال تعالى : ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سواء العذاب﴾ ثم ذكر ما أعد لهم في الآخرة وهو جعل جهنم لهم ﴿حصيرا﴾ والحصير السجن. قال لبيد :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢

ومقامه غلب الرجال كأنهمجن لدى باب الحصير قيام

وقال الحسن : يعني فراشا ، وعنه أيضا هو مأخوذ من الحصر والذي يظهر أنها حاصرة لهم محيطة بهم من جميع جهاتهم ، فحصير معناه ذات حصر إذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مؤنث كما تقول : رحيمة وعليمة ، ولكنه على معنى النسب كقوله السماء منفطر به أي ذات انفطار.

١١

﴿إن هذا القرءان يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وأن الذين لا يؤمنون بالاخرة أعتدنا لهم عذابا أليما * ويدع الانسان بالشر دعآءه بالخيرا وكان الانسان عجولا

* وجعلنا اليل والنهار ءايتينا فمحونآ ءاية اليل وجعلنآ ءاية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ .

١٢

." (١)

"وحكى الكسائي : قعد لا يسأل حاجة إلا قضاها بمعنى صار ، فالزمخشري أخذ في الآية بقول الفراء ، والقعود هنا عبارة عن المكث أي فيمكث في الناس ﴿مذموما مخذولا﴾ كما تقول لمن سأل عن حال شخص هو قاعد في أسوأ حال ، ومعناه ماكث ومقيم ، وسواء كان قائما أم جالسا ، وقد يراد القعود حقيقة لأن من شأن المذموم المخذول أن يقعد حائرا متفكرا ، وعبر بغالب حاله وهي القعود. وقيل : معنى ﴿فتقعد﴾ فتعجز ، والعرب تقول : ما أقعدك عن المكارم والذم هنا لا حق من الله تعالى ، ومن ذوي العقول في أن يكون الإنسان يجعل عودا أو حجرا أفضل من نفسه ويخصه بالكرامة وينسب إليه الألوهية ويشركه مع الله الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه ، والخذلان في هذا يكون بإسلام الله ولا يكفل له بنصر ، والمخذول الذي لا ينصره من يجب أن ينصره. وانتصب ﴿مذموما مخذولا﴾ على الحال ، وعند الفراء والزمخشري على أنه خبر لتقعد كلا لمذكرين مثنى معنى اتفاقا مفردا لفظا عند البصريين على وزن فعل كمعي فلامه ألف منقلبة عن واو عند الأكثر ، مثنى لفظا عند الكوفيين ، وتبعهم السهيلي فألفه للتثنية لا أصل ولامه لام محذوفة عند السهيلي ولا نص عن الكوفيين فيها ، ويحتمل أن تكون موضوعة على حرفين على أصل مذهبهم ، ولا تنفك عن الإضافة وإن أضيف إلى مظهر فألفه ثابتة مطلقا في مشهور اللغات ، وكنانة تجعله كمشهور المثنى أو إلى مضمر ، فالمشهور قلب ألفه ياء نصبا وجرا ، والذي يضاف إليه مثنى أو ما في معناه. وجاء التفريق في الشعر مضافا فالظاهر وحفظ الكوفيون كلاي وكلاك قاما ويستعمل تابعا توكيدا ومبتدأ ومنصوبا ومجرورا ، ويخبر عنه إخبار المفرد فصيحا ، وربما وجب ، وإخبار المثنى قليلا وربما وجب.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢

٢٢

﴿أف﴾ اسم فعل بمعنى أتضجر ولم يأت اسم فعل بمعنى المضارع إلا قليلا نحو : أف وأوه بمعنى أتوجع

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٦/٦

، وكان قياسه أن لا يبنى لأنه لم يقع موقع المبني. وذكر الزناتي في كتاب الحلل له : إن في أف لغات تقارب الأربعين ونحن نسردها مضبوطة كما رأيناها وهي : أف أف أف أف أف أفا أف أفا أف أف أف أفء أفي بغير إمالة أفي بالإمالة المحضة أفي بالإمالة بين بين أفي أفو أفه أفه أفه فهذا اثنان وعشرون مع الهمزة المضمومة إف أف إف إف إف إفا إف إف إفا إفي بالإمالة إفي فهذه إحدى عشرة مع الهمزة المكسورة أف أف آف آف أفي. وذكر ابن عطية أفاه بهاء السكت وهي تمام الأربعين. النهر الزجر بصياح وإغلاظ. قال العسكري : وأصله الظهور ، ومنه النهر والانتهار ، وأنهر الدم أظهره وأسأله ، وانتهر الرجل أظهر له الإهانة بقبح الزجر والطرد. وقال ابن عطية : الانتهار إظهار الغضب في الصوت واللفظ. وقال الزمخشري : النهي والنهر والنهم أخوات. التبذير الإسراف قاله أبو عبيدة يعني في النفقة ، وأصله التفريق ومنه سمي البذر بذرا لأنه يفرق في المزرعة. وقال الشاعر :

ترائب يستضيء الحلي فيهاكجمر النار بذر بالظلام

٢٣

ويروى بدد أي فرق. المحسور قال الفراء : تقول العرب بعير محسور إذا انقطع سيره ، وحسرت الدابة حتى انقطع سيرها ، ويقال حسير فعيل بمعنى مفعول ويجمع على حسرى. قال الشاعر :

بها جيف الحسرى فأما عظامهافبيض وأما جلدها فصليب

القسطاس بضم القاف وكسرها وبالسين الأولى والصاد. قال مؤرج السدوسي : هي الميزان بلغة الروم وتأتي أقوال المفسرين فيه. المرح شدة الفرح ، يقال : مرح يمرح مرحا. الطول ضد القصر ، ومنه الطول خلاف العرض. الحجاب ما ستر الشيء عن الوصول إليه. الرفات قال الفراء : التراب. وقيل : الذي بولغ في دقه حتى تفتت ، ويقال : رفت الشيء كسره يرفته بالكسر والرفات الأجزاء المتفتتة من كل شيء مكسر ، وفعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفتات والرضاض والدقاق.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهمآ أو كلاهما فلا تقل لهمآ أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا﴾ .

٢٤

". (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/١٥

"وقالت فرقة : الضمير لقريش قاله ابن عباس وقتادة ، واستفزازهم هو ما ذهبوا إليه من إخراجه من مكة كما ذهبوا إلى حصره في الشعب ، ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الآية وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه إلى الغار ونفذ عليهم الوعيد في أن لم يلبثوا ﴿إلا قليلا﴾ يوم بدر. وقال الزجاج حاكيا أن استفزازهم ما أجمعوا عليه في دار الندوة من قتله والأرض على هذا الدنيا. وقال مجاهد : ذهبت قريش إلى هذا ولكنه لم يقع منها لأنه لما أراد تعالى استبقاء قريش وأن لا يستأصلها أذن لرسوله في الهجرة فخرج بإذنه لا بقهر قريش ، واستبقيت قريش ليسلم منها ومن أعقابها من أسلم قال : ولو أخرجته قريش لعذبوا. ذهب مجاهد إلى أن الضمير في ﴿يلبثون﴾ لجميعهم. وقال الحسن : ﴿ليستفزونك﴾ ليفتنونك عن رأيك. وقال ابن عيسى : ليزعجونك ويستخفونك. وأنشد :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦١

يطيع سفيه القوم إذ يستفزهويعصى حليما شيبته الهز ا هز

والظاهر أن الآية تدل على مقاربة استفزازه لأن يخرجوه ، فما وقع الاستفزاز ولا إخراجهم إياه المعلل به الاستفزاز ، ثم جاء في القرآن ﴿وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك﴾ أي أخرجك أهلها. وفي الحديث : "يا ليتني كنت فيها جذعا إذ يخرجك قومك قال : أو مخرجي هم" الحديث فدل ذلك على أنهم أخرجوه. لكن الإخراج الذي هو علة للأستفزاز لم يقع فلا تعارض بين الآيتين والحديث. وقال أبو عبد الله الرازي : ما خرج بسبب إخراجهم وإنما خرج بأمر الله فزال التناقض انتهى.

﴿لا يلبثون﴾ جواب قسم محذوف أي والله إن استفزوك فخرجت ﴿لا يلبثون﴾ ولذلك لم تعمل ﴿إذآ﴾ لأنها توسطت بين قسم مقدر ، والفعل فلا يلبثون ليست منصبة عليه من جهة الإعراب ، ويحتمل أن تكون ﴿لا يلبثون﴾ خبرا لمبتدأ محذوف يدل عليه المعنى تقديره ، وهم ﴿لا يلبثون﴾ فوقعت إذا بين المبتدأ وخبره فألغيت. وقرأ أبي وإذا لا يلبثوا بحذف النون أعمل إذا فنصب بها على قول الجمهور ، وبأن مضمرة بعدها على قول بعضهم وكذا هي في مصحف عبد الله محذوفة النون.

قال الزمخشري : فإن قلت : ما وجه القراءتين ؟ قلت : أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد ، والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم. وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي وإذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ انتهى. وقرأ عطاء ﴿لا يلبثون﴾ بضم الياء وفتح اللام والباء مشددة. وقرأ يعقوب كذلك إلا أنه كسر الباء. وقرأ الأخوان وابن عامر وحفص ﴿خلفك﴾ وباقي السبعة خلفك والمعنى واحد. قال الشاعر :

عفت الديار خلافهم فكأنمابسط الشواطب بينهن حصيرا
وهذا كقوله ﴿فرح المخلفون بمقعدهم﴾ خلاف رسول الله أي خلف رسول الله في أحد التأويلات. وقرأ عطاء بن أبي رباح : بعدك مكان خلفك ، والأحسن أن يجعل تفسيرا لخلفك لا قراءة لأنها لا تخالف سواد المصحف ، فأراد أن يبين أن خلفك هنا ليست ظرف مكان وإنما تجوز فيها فاستعملت ظرف زمان بمعنى بعدك. وهذه الظروف التي هي قبل وبعد ونحوهما اطرد إضافتها إلى أسماء
٦٦
الأعيان على حذف مضاف يدل عليه ما قبله ، في نحو خلفك أي خلف إخراجك ، أو جاء زيد قبل عمرو أي قبل مجيء عمرو ، وضحك بكر بعد خالد أي بعد ضحك خالد. وانتصب ﴿سنة﴾ على المصدر المؤكد أي سن الله سنة ، والمعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم بعد إخراجه ويستأصلهم ولا يقيمون بعده إلا قليلا. وقال الفراء : انتصب ﴿سنة﴾ على إسقاط الخافض لأن المعنى كسنة فنصب بعد حذف الكاف ، وعلى هذا لا يقف على قوله ﴿إلا قليلا﴾ .
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦١
وقال أبو البقاء : ﴿سنة﴾ منصوب على المصدر أي سننا بك سنة من تقدم من الأنبياء ، ويجوز أن يكون مفعولا به أي اتبع ﴿سنة من قد أرسلنا﴾ كما قال تعالى : ﴿فبهداهم اقتده﴾ انتهى. وهذا معنى غير الأول والمفسرون على الأول وهو المناسب لمعنى الآية قبلها ﴿ولن تجد﴾ لما أجرينا به العادة ﴿تحويلا﴾ منه إلى غيره إذ كل حادث له وقت معين وصفة معينة ونفي الوجدان هنا وفيما أشبهه معناه نفي الوجود.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦١
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦٧
٦٧
الدلوك الغروب قاله الفراء وابن قتيبة ، واستدل الفراء بقول الشاعر :
هذا مقام قدمي رباحغدوة حتى دلكت براح
أي حتى غابت الشمس ، وبراح اسم الشمس وأنشد ابن قتيبة لذي الرمة :
مصابيح ليست باللواتي يقودهانجوم ولا بالآفلات الدوالك
." (١)

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٤٨/٦

"سورة مريم

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٦٨

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٦٩

١٦٩

اشتعال النار تفرقها في التهابها فصارت شعلاً. وقيل : شعاع النار. الشيب معروف ، شاب شعره أبيض بعدما كان بلون غيره. المخاض اشتداد وجع الولادة والطلق. الجذع ما بين الأرض التي فيها الشجرة منها وبين متشعب الأغصان ، ويقال للغصن أيضا جذع وجمعه أجذاع في القلة ، وجذوع في الكثرة. السري المرتفع القدر ، يقال سرو يسرو ، ويجمع على سراة بفتح السين وسرواء وهما شاذان فيه ، وقياسه أفعلاء. والسري النهر الصغير لأن الماء يسري فيه ولامه ياء كما أن لام ذلك واو. وقال لبيد :

فتوسطا عرض السري فصدعامسجورة متحاورا قلامها

أي جدولا. الهز التحريك. الرطب معروف واحده رطبة ، وجمع شاذا على أرطاب كربع وأرباع وهو ما قطع قبل أن يشتد وييبس. الجني ما طاب وصلح للاجتناء. وقال أبو عمرو بن العلاء : لم يجف ولم ييبس. وقيل : الجني ما ترطب من البسر. وقال الفراء : الجني والمجني واحد ، وعنه الجني المقطوع. قرة العين : مأخوذ من القر ، يقال : دمع الفرح بارد اللمس ودمع الحزن سخن اللمس. وقال أبو تمام :

فأما عيون العاشقين فأسخنتوأما عيون الشامتين فقرت

وقريش يقول : قررت به عينا ، وقررت بالمكان أقر وأهل نجد قررت به عينا بالكسر. الفري العظيم من الأمر يستعمل في الخير وفي الشر ، ومنه في وصف عمر : فلم أر عبقريا يفري فريه ، والفري القطع وفي المثل : جاء يفري الفري أي يعمل عظيما من العمل قولا أو فعلاً. وقال الزمخشري : الفري البديع وهو من فري الجلد. الإشارة معروفة تكون باليد والعين والثوب والرأس والفم ، وأشار ألفه منقلبة عن ياء يقال : تشايرنا الهلال للمفاعلة. وقال كثير :

فقلت وفي الأحشاء داء مخامرألا حبذا يا عز ذاك التشاير

﴿كاهيعاصا * ذكر رحمت ربكا عبده زكريآ * إذ نادى ربه ندآء خفيا * قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكنا بدعآك رب شقيا * وإني خفت الموالى من ورآءى وكانت امرأتى عاقرا فهب

لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من ءال يعقوبا واجعله رب رضيا * يازكريآ إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذالك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأا * قال رب اجعل لى ءاية قال ءايتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا * فخرج على قومها من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا * يايحيى خذ الكتاب بقوةا وءاتيناه الحكم صبيا * وحنانا من لدنا وزكواةا وكان تقيا * وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا * وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾ .

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٦٩

هذه السورة مكية كالسورة التي قبلها. وقال مقاتل : إلا آية السجدة فهي مدنية نزلت بعد مهاجرة المؤمنين إلى الحبشة. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمن السورة قبلها قصصا عجبا كقصة أهل الكهف ، وقصة موسى مع الخضر ، وقصة ذي القرنين ، وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر ، وولادة عيسى من غير أب ، فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك ، وتقدم الكلام في أول البقرة على هذه الحروف المقطعة التي في فواتح السور بما يوقف عليه هناك و﴿ذكر﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذا المتلو من هذا القرآن ﴿ذكر﴾ . وقيل ﴿ذكر﴾ خبر لقوله ﴿كاهيعاص﴾ وهو مبتدأ ذكره الفراء. قيل : وفيه بعد لأن الخبر هو المبتدأ في المعنى وليس في الحروف المقطعة ذكر الرحمة ، ولا في ذكر الرحمة معناها. وقيل : ﴿ذكر﴾ مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى ﴿ذكر﴾ .

وقرأ الجمهور كاف بإسكان الفاء. وروي عن الحسن ضمها ، وأمال نافع هاء وياء بين اللفظين ، وأظهر دال صاد عند ذاك. ﴿ذكر﴾ وقرأ الحسن بضم الهاء وعنه أيضا ضم الياء وكسر الهاء ، وعن عاصم ضم الياء وعنه كسرهما وعن حمزة فتح الهاء وكسر الياء. قال أبو عمرو الداني : معنى الضم في الهاء والياء إشباع التفخيم وليس بالضم الخالص الذي يوجب القلب. وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القراءات خارجة عن الحسن : كاف بضم الكاف ، ونصر بن عاصم عنه بضم الهاء وهارون بن موسى العتكي عن إسماعيل عنه بالضم ، وهذه الثلاث مترجم عليها بالضم ولسن مضمومات المحال في الحقيقة لأنهن لو كن كذلك لوجب قلب ما بعدهن من الألفات واوات بل نحيت هذه الألفات نحو الواو على لغة أهل الحجاز ، وهي التي تسمى ألف التفخيم بضد الألف الممالة فأشبهت الفتحات التي تولدت منهن الضمات ، وهذه الترجمة كما ترجموا عن الفتحة الممالة المقربة من

الكسرة بكسرة لتقريب الألف بعدها من الياء انتهى.
وقرأ أبو جعفر بتقطيع هذه الحروف وتخليص بعضها من بعض فرقا بينها وبين ما ائتلف من الحروف ، فيصير أجزاء الكلم فاقتضين إسكان آخرهن ، وأظهر الأكثرون دال صاد عند ذال ﴿ذكر﴾ وأدغمها أبو عمرو. وقرأ حفص عن عاصم وفرقة بإظهار النون من عين والجمهور على إخفائها.." (١)

"سورة طه

عليه السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢٠

٢٢١

الثرى : التراب الندي ويثنى ثريان ، ويقال ثريت التربة بللتها ، وثريت الأرض تثرى ثري فهي ترية ابتل ترابها بعد الجدوبة ، وأثرت فهي مثرية كثر ترابها ، وأرض ثرى ذات ثرى. وقال ابن الأعرابي : يقال فلان قريب الثرى بعيد النبط للذي يعد ولا يفي ، ويقال : إني لأرى ثرى الغضب في وجه فلانا أي أثره ، ويقال الثرى بيني وبين فلان إذا انقطع ما بينكما. وقال جرير :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢١

فلا تنبشوا بيني وبينكم الثرىفإن الذي بيني وبينكم مثري

آنس : وجد ، تقول العرب : هل آنست فلان أي وجدته. وقيل : أحس وهو قريب من وجد. قال الحارث بن حلزة :

آنست نبأة وروعها القناصعصرا وقد دنا الإمساء

القبس جذوة من النار تكون على رأس عود أو قصبة أو نحوه فعل بمعنى مفعول كالقبض والنفض ، ويقال : قبست منه نارا أقبس فأقبسني أعطاني منه قبسا ، ومنه المقبسة لما يقتبس فيه من شقفة وغيرها ، واقتبست منه نارا. وعلما أي استفدته. وقال المبرد : أقبست الرجل علم وقبسته نارا. وقال الكسائي : أقبسته نارا وعلما وقبسته أيضا فيهما. الخلع والنعل معروفان وهو إزالتها من الرجل. وقيل : النعل ما هو وقاية للرجل من الأرض كان من جلد أو حديد أو خشب أو غيره. طوى : اسم موضع. السعي المشي بسرعة ، وقد يطلق على العمل. ردى يردى ردى هلك ، وأرداه أهلكه. قال دريد بن الصمة :

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٢٦/٦

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسافقلت أعبد الله ذلكم الردى

توكأ على الشيء تحامل عليه في المشي والوقوف ، ومنه الاتكاء. توكأت واتكأت بمعنى. وتقدمت هذه المادة في سورة يوسف في قوله وشرحت هنا لاختلاف الوزنين وإن كان الأصل واحدا. هش على الغنم يهش بضم الهاء خبط أوراق الشجر لتسقط ، وهش إلى الرجل يهش بالكسر قاله ثعلب إذا بش **وأظهر الفرح به** ، والأصل في هذهالمادة ا لرخاوة يقال : رجل هش. الغنم معروف وهو اسم جنس مؤنث. المأربة بضم الراء وفتحها وكسرها الحاجة وتجمع على مآرب ، والإربة أيضا الحاجة. الحية الحنش ينطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير ، وتقدمت مادته وكررت هنا لخصوصية المدلول. وقولهم حواء للذي يصيد الحيات من باب قوة فالمادتان مختلفتان كسبط وسبطر. الأزر : الظهر قاله الخليل ، وأبو عبيد وآزره قواه ، والأزر أيضا القوة. وقال الشاعر :

بمحنية قد آزر الضال نبتهامجر جيوش غانمين وخيب

٢٢٢

القذف الرمي والإلقاء. الساحل شاطىء البحر وهو جانبه الخالي من الماء ، سمي بذلك لأن الماء يسحله أي يقشره فهو فاعل بمعنى مفعول. وقال أبو تمام :

هو البحر من أي النواحي أتيتهفلجته المعروف والجود ساحله

﴿طه * مآ أنزلنا عليك القرءان لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى * تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى * الرحمان على العرش استوى * له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى * الله لا إله إلا هوا له الاسمآء الحسنى * وهل﴾ .

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢١

هذه السورة

٢٢٣." (١)

"ثم ذكر نعمة الله عليه ، وإن ما آتاه الله من النبوة وسعة الملك خير مما آتاكم ، بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون بحبكم الدنيا ، والهدية تصح إضافتها إلى المهدي وإلى المهدي إليه ، وهي هنا مضافة للمهدي إليه ، وهذا هو الظاهر. ويجوز أن تكون مضافة إلى المهدي ، أي بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها **تفرحون فرح افتخار** على الملوك ، فإنكم قدرتم على إهداء مثلها. ويجوز أن تكون عبارة عن

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٦٣/٦

الرد ، كأنه قال : بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها. وقرأ جمهور السبعة : أتمدونني ، بنونين ، وأثبت بعض الياء. وقرأ حمزة : بإدغام نون الرفع في نون الوقاية وإثبات ياء المتكلم. وقرأ المسيبي ، عن نافع : بنون واحدة خفيفة. وقال الزمخشري : فإن قلت : ما الفرق بين قولك : أتمدونني بمال وأنا أغني منكم ، وبين أن يقوله بالفاء ؟ قلت : إذا قلته بالواو ، فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى ، وهو مع ذلك يمدني بالمال ، وإذا قلته بالفاء ، فقد جعلته ممن خفيت عنه حالي ، وأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده ، كأني أقول له : أنكر عليك ما فعلت ، فإني غني عنه وعليه. ورد قوله : ﴿فمآ ءاتانا الله﴾ . فإن قلت : فما وجه الإضراب ؟ قلت : لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره ، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه ، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا **ولا فرح إلا** أن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها. انتهى.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠

﴿ارجع إليهم﴾ : هو خطاب للرسول الذي جاء بالهدية ، وهو المنذر بن عمرو أمير الوفد ، والمعنى : ارجع إليهم بهديتهم ، وتقدمت قراءة عبد الله : ارجعوا إليهم ، وارجعوا هنا لا تتعدى ، أي انقلبوا وانصرفوا إليهم. وقيل : الخطاب بقوله : ارجع ، للهدهد محملا كتابا آخر. ثم أقسم سليمان فقال : ﴿فلنأتينهم بجنود﴾ ، متوعدا لهم ، وفيه حذف ، أي إن لم يأتوني مسلمين. ودل هذا التوعد على أنهم كانوا كفارا باقين على الكفر إذ ذاك. والضمير في ﴿بها﴾ عائد على الجنود ، وهو جمع تكسير ، فيجوز أن يعود الضمير عليه ، كما يعود على الواحدة ، كما قالت العرب : الرجال وأعضادها. وقرأ عبد الله : بهم. ومعنى ﴿لا قبل﴾ : لا طاقة ، وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة ، أي لا تقدرون أن تقابلوهم. والضمير في منها عائد على سبأ ، وهي أرض بلقيس وقومها. وانتصب ﴿أذلة﴾ على الحال. ﴿وهم صاغرون﴾ : حال أخرى. والذل : ذهاب ما كانوا فيه من العز ، والصغار : وقوعهم في أسر واستعباد ، ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا. وفي مجيء هاتين الحالتين دليل على جواز أن يقضي العامل حالين الذي حال واحد ، وهي مسألة خلاف ، ويمكن أن يقال : إن الثانية هنا جاءت توكيدا لقوله : ﴿أذلة﴾ ، فكأنهما حال واحدة.

﴿قال يا ـاادم﴾ .

في الكلام حذف تقديره : فرجع المرسل إليها بالهدية ، وأخبرها بما أقسم عليه سليمان ، فتجهزت للمسير إليه ، إذ علمت أنه نبي ولا طاقة لها بقتال نبي. فروي أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان ، فجعل عرشها

في آخر سبعة أبيات ، بعضها في جوف بعض ، في آخر قصر من قصورها ، وغلقت الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ، وتوجهت إلى سليمان في أقيالها وأتباعها.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠

". (١)

"﴿مآ أصاب من مصيبة﴾ : أي مصيبة ، وذكر فعلها ، وهو جائز التذكير والتأنيث ، ومن التأنيث ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ . ولفظ مصيبة يدل على الشر ، لأن عرفها ذلك. قال ابن عباس ما معناه : أنه أراد عرف المصيبة ، وهو استعمالها في الشر ، وخصصها بالذكر لأنها أهم على البشر. والمصيبة في الأرض مثل القحط والزلزلة وعاهة الزرع ، وفي الأنفس : الأسقام والموت. وقيل : المراد بالمصيبة الحوادث كلها من خير وشر ، ﴿إلا فى كتاب﴾ : هو اللوح المحفوظ ، أي مكتوبة فيه ، ﴿من قبل أن نبرأهآ﴾ : أي نخلقها. برأ : خلق ، والضمير في نبرأها الظاهر أنه يعود على المصيبة ، لأنها هي المحدث عنها ، وذكر الأرض والأنفس هو على سبيل محل المصيبة. وقيل : يعود على الأرض. وقيل : على الأنفس ، قاله ابن عباس وقتادة وجماعة. وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر. قال ابن عطية : وهي كلها معارف صحاح ، لأن الكتاب السابق أزلي قبل هذه كلها. انتهى. ﴿إن ذالك﴾ : أي يحصل كل ما ذكر في كتاب وتقديره ، ﴿على الله يسير﴾ : أي سهل ، وإن كان عسيرا على العباد.

ثم بين تعالى الحكمة في إعلامنا بذلك الذي فعله من تقدير ذلك ، وسبق قضائه به فقال : ﴿لكيلا تأسوا﴾ : أي تحزنوا ، ﴿على ما فاتكم﴾ ، لأن العبد إن أعلم ذلك سلم ، وعلم أن ما فاته لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه ، فلذلك لا يحزن على فائت ، لأنه ليس بصدد أن يفوته ، فهون عليه أمر حوادث الدنيا بذلك ، إذ قد وطن نفسه على هذه العقيدة. ويظهر أن المراد بقوله : ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم﴾ : أن يلحق الحزن الشديد على ما فات من الخير ، فيحدث عنه التسخط وعدم الرضا بالمقدور. ﴿ولا تفرحوا بمآ ءاتاكم﴾ : أن يفرح الفرح المؤدي إلى البطر المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿لا تفرحا إن الله لا يحب الفرحين﴾ ، فإن الحزن قد ينشأ عنه البطر ، ولذلك ختم بقوله : ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ . فالفرح بما ناله من حطام الدنيا يلحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على الناس ، فمثل هذا هو المنهي عنه. وأما الحزن على ما فات من طاعة الله ، والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع ، فهو مندوب إليه.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٧/٥٥

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢١٦
وقال ابن عباس : ليس أحد إلا يحزن ويفرح ، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا ، ومن أصاب خيرا جعله شكرا. انتهى ، يعني هو المحمود. وقال الزمخشري : فإن قلت : فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ، ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح. قلت : المراد : الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر ، والتسليم لأمر الله تعالى ، ورجاء ثواب الصابرين ، والفرح المطغي الملهي عن الشكر. فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر ، فلا بأس به. انتهى. وقرأ الجمهور : بما آتاكم : أي أعطاكم ؛ وعبد الله : أوتيتم ، مبنيا للمفعول : أي أعطيتم ؛ وأبو عمرو : أتاكم : أي جاءكم.
﴿الذين يبخلون﴾ : أي هم الذين يبخلون ، أو يكون الذين مبتدأ محذوف الخبر على جهة
٢٢٥
الإبهام تقديره : مذمومون ، أو موعودون بالعذاب ، أو مستغنى عنهم ، أو على إضمار ، أعني فهو في موضع نصب ، أو في موضع نصب صفة لكل مختال ، وإن كان نكرة ، فهو مخصص نوعا ما ، فيسوغ لذلك وصفة بالمعرفة. قال ابن عطية : هذا مذهب الأخفش. انتهى.
." (١)

"سورة الحاقة

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣١٧

الحسوم ، قال الفراء : من حسم الداء ، أي تابع

٣١٨

بالمكواة عليه ، قال الشاعر :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣١٨

ففرق بين جمعهم زمانتتابع فيه أعوام حسوم

وقال المبرد : حسمت الشيء : فصلته عن غيره ، ومنه الحسام. قال الشاعر :

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٧٠/٨

فأرسلت ريحا دبورا عقيمافدارت عليهم فكانت حسوما

وقال الليث : الحسوم : الشؤم ، يقال : هذه ليالي الحسوم : أي تحسم الخير عن أهلها ، وقاله في الصحاح. صرعي : هلكى ، الواحد صريع ، وهي الشيء ضعف وتداعي للسقوط. قال ابن شجرة : من قولهم وهي السقاء إذا انخرق ، ومن أمثالهم قول الراجز :

خل سبيل من وهي سقاؤهومن هريق بالفلاة ماؤه

الأرجاء : الجوانب ، واحدها رجا ، أي جانب من حائط أو بئر ونحوه ، وهو من ذوات الواو ، ولذلك برزت في التثنية. قال الشاعر :

كأن لم ترا قبلي أسيرا مقيداولا رجلا يرمي به الرجوان

وقال الآخر :

فلا يرمي به الرجوان إنيأقل اليوم من يغني مكاني

هاء بمعنى خذ ، فيها لغات ذكرناها في شرح التسهيل. وقال الكسائي وابن السكيت : العرب تقول : هاء يا رجل ، وللاثنين رجلين أو امرأتين : هاؤما ، وللرجل هاؤم ، وللمرأء هاء بهمزة مكسورة من غير ياء ، وللنساء هاؤن. قيل : ومعنى هاؤم : خذوا ، ومنه الخبر في الربا الإهاء وهاء : أي يقول كل واحد لصاحبه خذ. وقيل : تعالوا ، وزعم القتبي أن الهمزة بدل من الكاف ، وهذا ضعيف إلا إن كان عنى أنها تحل محلها في لغة من قال : هاك وهاك وهاكما وهاكم وهاكن ، فيمكن أنه بدل صناعي ، لأن الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها. وقيل : هاؤم كلمة وضعت لإجابة الداعي **عند الفرح والنشاط**. وفي الحديث ، أنه عليه الصلاة والسلام ناداه أعرابي بصوت عال ، فجاوبه عليه الصلاة والسلام : "هاؤم" ، بصولة صوته. وزعم قوم أنها مركبة في الأصل ، والأصل هاء أموا ، ثم نقله التخفيف والاستعمال. وزعم قوم أن هذه الميم ضمير جماعة الذكور. القطوف جمع قطف : وهو ما يجتنى من الثمر ويقطف. السلسلة معروفة ، وهي حلق يدخل في حلق على سبيل الطول. الذراع مؤنث ، وهو معروف ، وقال الشاعر :

أرمي عليها وهي فرع أجمعوهي ثلاث أذرع وأصبع

حض على الشيء : حمل على فعله بتوكيد. الغسلين ، قال اللغويون : ما يجري من الجراح إذا غسلت. الوتين : عرق يتعلق به القلب ، إذا انقطع مات صاحبه. وقال الكلبي : عرق بين العلباء والحلقوم ، والعلباء

: عصب العنق ، وهما علباوان بينهما العرق. وقيل : عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر ، ومنه قول الشماخ :
إذا بلغتني وحملت رحليعرابة فاشرقي بدم الوتين." (١)

"﴿ذي المعارج﴾ : المعارج لغة الدرج وهنا استعارة ، قال ابن عباس وقتادة : في الرتب والفواضل والصفات الحميدة. وقال ابن عباس أيضا : المعارج : السموات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء. وقال الحسن : هي المراقي إلى السماء ، وقيل : المعارج : الغرف ، أي جعلها لأوليائه في الجنة تعرج ، قراءة الجمهور بالتاء على التأنيث ، وعبد الله والكسائي وابن مقسم وزائدة عن الأعمش بالياء. ﴿والروح﴾ ، قال الجمهور ؛ هو جبريل ، خص بالذكر تشريفا ، وأخر هنا بعد الملائكة ، وقدم في قوله : ﴿يوم يقوم الروح والملئاكة صفا ﴾ . وقال مجاهد : ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبني آدم ، لا تراهم الحفظة كما لا نرى نحن حفظتنا. وقيل : الروح ملك غير جبريل عظيم الخلقة. وقال أبو صالح : خلق كهيئة الناس وليسوا بالناس. وقال قبيصة بن ذؤيب : روح الميت حين تقبض إليه ، الضمير عائد على الله تعالى ، أي إلى عرشه وحيث يهبط منه أمره تعالى. وقيل : إليه ، أي إلى المكان الذي هو محلهم وهو في السماء لأنها محل بره وكرامته ، والظاهر أن المعنى : أنها تعرج في يوم من أيامكم هذه ، ومقدار المسافة أن لو عرجها آدمي خمسون ألف سنة ، قاله ابن عباس وابن إسحاق وجماعة من الحذاق منهم القاضي منذر بن سعيد. فإن كان العارج ملكا ، فقال مجاهد : المسافة هي من قعر الأرض السابعة إلى العرش ؛ ومن جعل الروح جنس أنواع الحيوان ، قال وهب : المسافة من وجه الأرض إلى منتهى العرش. وقال عكرمة والحكم : أراد مدة الدنيا ، فإنها خمسون ألف سنة لا يدري أحد ما مضى منها وما بقي ، أي تعرج في مدة الدنيا وبقاء هذه البنية. وقال ابن عباس أيضا : هو يوم القيامة. وقيل : طوله ذلك العدد ، وهذا ظاهر ما جاء في الحديث في مانع الزكاة فإنه قال : ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ . وقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري : قدره في رزاياه وهوله وشدته للكفار ذلك العدد. وفي الحديث : "يخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة". وقال عكرمة مقدار : ما ينقضي فيه من الحساب قدر ما يقضي بالعدل في خمسين ألف سنة من أيام الدنيا. وقال الحسن : نحوه. وقيل : لا يراد حقيقة العدد ، إنما أريد به طول الموقف يوم القيامة وما فيه من الشدائد ، والعرب تصف أيام الشدة بالطول **وأيام الفرح بالقصر**. قال الشاعر يصف **أيام الفرح والسرور** :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٣٠

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٨/٢٣٩

ويوم كظل الرمح قصر طولهدم الزق عنا واصطفاق المزاهر

والظاهر أن قوله : ﴿في يوم﴾ متعلق بتعرج. وقيل : بدافع ، والجملة من قوله : ﴿تعرج﴾ اعتراض. ولما كانوا قد سألوا استعجال العذاب ، وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب ، وكانوا قد وعدوا به ، أمره تعالى بالصبر ، ومن جعله من السيلان فالمعنى : أنه أشرف على الوقوع ، والضمير في ﴿يرونه﴾ عائد على العذاب أو على اليوم ، إذا أريد بـهـ يوم القيامة ، وهذا الاستبعاد هو على سبيل الإحالة منهم. ﴿ونراه قريبا﴾ : أي هينا في قدرتنا ، غير بعيد علينا ولا متعذر ، وكل ما هو آت قريب ، والبعد والقرب في الإمكان لا في المسافة. ﴿يوم تكون﴾ : منصوب بإضمار فعل ، أي يقع يوم تكون ، أو ﴿يوم تكون السمآء كالمهل﴾ كان

٣٣٣

كيت وكيت ، أو بقريبا ، أو بدل من ضمير نراه إذا كان عائدا على يوم القيامة. وقال الزمخشري : أو هو بدل من ﴿في يوم﴾ فيمن علقه بواقع. انتهى. ولا يجوز هذا ، لأن ﴿في يوم﴾ وإن كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لأن مثل هذا ليس من المواضع التي تراعي في التوابع ، لأن حرف الجر فيها ليس بزائد ولا محكوم له بحكم الزائد كرب ، وإنما يجوز مراعاة المواضع في حرف الجر الزائد كقوله :

يا بني لبينى لستما بيدإلا يدا ليست لها عضد

". (١)

"وجاء التكرار بثم ليدل على أن الثانية أبلغ من الأولى للتراخى الذي بينهما ، كأنه دعى عليه أولا ورجى أن يقلع عن ما كان يرومه فلم يفعل ، فدعى عليه ثانيا ، ﴿ثم نظر﴾ : أي فكر ثانيا. وقيل : نظر إلى وجوه الناس ، ﴿ثم عبس وبسر﴾ : أي قطب وكلح لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول. وقيل : قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ﴿ثم أدبر﴾ : رجع مدبرا ، وقيل : أدبر عن الحق ، ﴿واستكبر﴾ ، قيل : تشارس مستكبرا ، وقيل : استكبر عن الحق ، وصفه بالهيئات التي تشكل بها حين أراد أن يقول : ما قال كل ذلك على سبيل الاستهزاء ، وأن ما يقوله كذب وافتراء ، إذ لو كان ممكنا ، لكان له هيئات غير هذه **من فرح القلب** وظهور السرور والجذل والبشر في وجهه ، ولو كان حقا لم يحتج إلى هذا الفكر لأن الحق أبلج يتضح بنفسه من غير إكداد فكر ولا إبطاء تأمل. ألا ترى إلى ذلك الرجل وقوله حين رأي رسول صلى الله عليه وسلم ، فعلمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، وأسلم من فوره. وقيل

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٥١/٨

: ثم نظر فيما يحتج به للقرآن ، فرأى ما فيه من الإعجاز والإعلام بمرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودام نظره في ذلك. ﴿ثم عبس وبسر﴾ ، دلالة على تأنيه وتمهله في تأمله ، إذ بين ذلك تراخ وتباعد. وكان العطف في ﴿وبسر﴾ وفي ﴿واستكبر﴾ ، لأن البسور قريب من العبوس ، فهو كأنه على سبيل التوكيد والاستكبار يظهر أنه سبب للادبار ، إذ الاستكبار معنى في القلب ، والإدبار حقيقة من فعل الجسم ، فهما سبب ومسبب ، فلا يعطف بثم ؛ وقدم المسبب على السبب لأنه الظاهر للعين ، وناسب العطف بالواو ؛ وكان العطف في فقال بالفاء دلالة على التعقيب ، لأنه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلبه ، لم يتمالك أن نطق به من غير تمهل. ومعنى ﴿يؤثر﴾ : يروي وينقل ، قال الشاعر :
لقلت من القول ما لا يزال يؤثر عني به المسند
٣٧٤
وقيل : ﴿يؤثر﴾ أي يختار ويرجح علىى غيره من السحر فيكون من الإيثار ، ومعنى ﴿إلا سحر﴾ : أي شبيه بالسحر. ﴿إن هاذآ إلا قول البشر﴾ : تأكيد لما قبله ، أي يلتقط من أقوال الناس ، ويظهر أن كفر الوليد إنما هو عناد. ألا ترى ثناءه على القرآن ، ونفيه عنه جميع ما نسبوا إليه من الشعر والكهانة والجنون ، وقصته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ عليه أوائل سورة فصلت إلى قوله تعالى : ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ ، وكيف ناشدة الله بالرحم أن يسكت ؟ ﴿سأصليه سقر﴾ ، قال الزمخشري : بدل من ﴿سأرهقه صعودا﴾ . انتهى. ويظهر أنهما جملتان اعتقبت كل واحدة ، منهما فتوعد على سبيل التوعد العصيان الذي قبل كل واحدة منهما ، فتوعد على كونه عنيدا لآيات الله بإرهاق صعود ، وعلى قوله بأن القرآن سحر يؤثر بإصلائه سقر ، وتقدم الكلام على سقر في أواخر سورة القمر. ﴿ومآ أدراك ما سقر﴾ : تعظيم لهولها وشدتها ، ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ : أي لا تبقي على من ألقي فيها ، ولا تذر غاية من العذاب إلا أوصلته إليه.
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٦٨
﴿لواحة للبشر﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو رزين والجمهور : معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسودة لها ، والبشر جمع بشرة ، وتقول العرب : لاحت النار الشيء إذا أحرقته وسودته. وقال الحسن وابن كيسان : لواحة بناء مبالغة من لاح إذا ظهر ، والمعنى أنها تظهر للناس ، وهم البشر ، من مسيرة خمسمائة عام ، وذلك لعظمها وهولها وزجرها ، كقوله تعالى : ﴿لترون الجحيم﴾ ، وقوله : ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ . وقرأ الجمهور : ﴿لواحة﴾ بالرفع ، أي هي لواحة. وقرأ العوفي وزيد بن علي والحسن وابن أبي عبلة :

لواحة بالنصب على الحال المؤكدة ، لأن النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون إلا مغيرة للإبشار. وقال الزمخشري : نصبا على الاختصاص للتهويل.
." (١)

"الوقف. وروي أن من العرب من يقول : رأيت عمرا بالألف في الوقف. ﴿من كأس﴾ : من لابتداء الغاية ، ﴿كان مزاجها كافورا﴾ ، قال قتادة : يمزج لهم بالكافور ، ويختم لهم بالمسك. وقيل : هو على التشبيه ، أي طيب رائحة وبرد كالكافور. وقال الكلبي : كافورا اسم عين في الجنة ، وصرفت لتوافق الآي. وقرأ عبد الله : قافورا بالقاف بدل الكاف ، وهما كثيرا ما يتعاقبان في الكلمة ، كقولهم : عربي قح وكح ، و﴿عينا ﴾ بدل من ﴿كفورا﴾ مفعولا بيشربون ، أي ماء عين ، أو بدل من محل من كأس على حذف مضاف ، أي يشربون خمرا خمر عين ، أو نصب على الاختصاص. ولما كانت الكأس مبدأ شربهم أتى بمن ؛ وفي ﴿يشرب بها﴾ : أي يمزج شرابهم بها أتى بالباء الدالة على الإلصاق ، والمعنى : يشرب عباد الله بها الخمر ، كما تقول : شربت الماء بالعسل ، أو ضمن يشرب معنى يروى فعدى بالباء. وقيل : الباء زائدة والمعنى يشرب بها ، وقال الهذلي :
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٩١
شربن بماء البحر ثم ترفعتمتى لجج خضر لهن نئيج
قيل : أي شربن ماء البحر. وقرأ ابن أبي عبلة : بشربها ؛ وعباد الله هنا هم المؤمنون ، ﴿يفجرونها﴾ : يثقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاءوا ، فهي تجري عند كل واحد منهم ، هكذا ورد في الأثر. وقيل : هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين. ﴿يوفون بالنذر﴾ في الدنيا ، وكانوا يخافون. وقال الزمخشري : ﴿يوفون﴾ جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك. انتهى. فاستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز ، وأتى بعد عسى بالمضارع غير مقرون بأن ، وهو قليل أو في شعر. والظاهر أن المراد بالنذر ما هو المعهود في الشريعة أنه نذر. قال الأصم وتبعه الزمخشري : هذا مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات ، لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان لما أوجبه الله تعالى عليه أوفى. وقيل : النذر هنا عام لما أوجبه الله تعالى ، وما أوجبه العبد فيدخل فيه الإيمان وجمع الطاعات. ﴿على حبه﴾ : أي على حب الطعام ، إذ هو محبوب للفاقة والحاجة ، قاله ابن عباس ومجاهد ؛ أو على حب الله : أي لوجهه وابتغاء مرضاته ، قاله الفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني. والأول أمدح ، لأن

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٨٢/٨

فيه الإيثار على النفس ؛ وأما الثاني فقد يفعله الأغنياء أكثر. وقال الحسن بن الفضل : على حب الطعام ، أي محبين في فعلهم ذلك ، لا رياء فيه ولا تكلف. ﴿مسكينا﴾ : وهو الطواف المنكسر في السؤال ، ﴿ويتيما﴾ : هو الصبي الذي لا أب له ، ﴿وأسيرا﴾ : والأسير معروف ، وهو من الكفار ، قاله قتادة. وقيل : من المسلمين تركوا في بلاد الكفار رهائن وخرجوا لطلب الفداء. وقال ابن جبير وعطاء : هو الأسير من أهل القبلة. وقيل : ﴿وأسيرا﴾ استعارة وتشبيه. وقال مجاهد وابن جبير وعطاء : هو المسجون. وقال أبو حمزة اليماني : هي الزوجة ؛ وعن أبي سعيد الخدري : هو المملوك والمسجون. وفي الحديث : "غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك".

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٩١

﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ : هو على إضمار القول ، ويجوز أن يكونوا صرحوا به خطابا للمذكورين ، منعا منهم وعن المجازاة بمثله أو الشكر ، لأن إحسانهم مفعول لوجه الله تعالى ، فلا معنى لمكافأة الخلق ، وهذا هو الظاهر. وقال مجاهد : أما أنهم ما تكلموا به ، ولكن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم به. ﴿لا نريد منكم جزآء﴾ : أي بالأفعال ، ﴿ولا شكورا﴾ : أي ثناء بالأقوال ؛ وهذه الآية قيل نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جدا ظاهرة الاختلاف ، وفيها إشعار للمسكين واليتيم والأسير ، يخاطبون بها ببيت النبوة ، وإشعار لفاطمة رضي الله عنها تخاطب كل واحد منهم ، ظاهرها الاختلاف لسفساف ألفاظها وكسر أبياتها وسفاطة معانيها. ﴿يوما عبوسا﴾ : نسبة العبوس إلى اليوم مجاز. قال ابن عباس : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من

٣٩٥

عينيه عرق كالقطران. وقرأ الجمهور : ﴿فوقهم﴾ بخفة القاف ؛ وأبو جعفر : بشدها ؛ ﴿ولقاهم نضرة﴾ : بدل عبوس الكافر ، ﴿وسرورا﴾ : فرحا بدل حزنه ، لا تكاد تكون النظرة إلا مع فرح النفس وقرة العين. وقرأ الجمهور : ﴿وجزاهم﴾ ؛ وعلي : وجازاهم على وزن فاعل ، ﴿جنة وحريرا﴾ : بستانا فيه كل مأكل هنيء ، ﴿وحريرا﴾ فيه ملبس بهي ، وناسب ذكر الحرير مع الجنة لأنهم أوثروا على الجوع والغذاء. ﴿لا يرون فيها﴾ : أي في الجنة ، ﴿شمسا﴾ : أي حر شمس ولا شدة برد ، أي لا شمس فيها فترى فيؤذي حرها ، ولا زمهرير يرى فيؤذي بشدته ، أي هي معتدلة الهواء. وفي الحديث : "هواء الجنة سجسج لا حر

ولا قر". وقيل : لا يرون فيها شمسا ولا قمرا ، والزمهرير في لغة طيء القمر.
". (١)
"

٦٢

الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان) الإسراء ٨٨ الآية

سورة البقرة الآية ٢٤

ثم قال عز وجل " فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا " " لم " تستعمل للماضي " ولن " تستعمل للمستقبل فكأنه قال فإن لم تفعلوا أي لم تأتوا في الماضي ولن تفعلوا أي لن تأتوا في المستقبل وتجحدون بغير حجة " فاتقوا النار "

قال قتادة معناه " فإن لم تفعلوا " ولن تقدروا أن تفعلوا ولن تطيقوا " فاتقوا النار " يقول احذروا النار " التي وقودها الناس والحجارة " يعني حطبها الناس إذا صاروا إليها والحجارة قبل أن يصيروا إليها ويقال معناه إن مع كل إنسان من أهل النار حجرا معلقا في عنقه حتى إذا طفئت النار رسبه به الحجر إلى الأسفل ويقال " وقودها الناس والحجارة " أي حجارة الكبريت وإنما جعل حطبها من حجارة الكبريت لأن لها خمسة أشياء ليست لغيرها أحدها أنها أسرع وقودا والثاني أنها أبطأ خمودا والثالث أنها أنتن رائحة والرابع أنها أشد حرا والخامس أنا ألصق بالبدن ثم قال " أعدت للكافرين " يعني وهيئت وخلقت وقدرت لهم

سورة البقرة آية ٢٥

ثم قال " وبشر الذين آمنوا " فقد ذكر في أول الآية إثبات الصانع وذكر حجته ثم ذكر إثبات الكتاب والنبوة ثم ذكر الوعيد للكافرين لمن لا يؤمن بالله ثم ذكر ثواب للمؤمنين وهكذا في جميع القرآن في كل موضع ذكر عقوبة الكفار ثم ذكر على أثره ثواب المؤمنين لتسكن قلوبهم إلى ذلك وتزول عنهم الوحشة لكي يثبتوا على إيمانهم ويرغبوا في ثوابه فقال " وبشر الذين آمنوا " **يعني فرح قلوب** الذين آمنوا يعني صدقوا بوحدانية الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به جبريل عليه السلام " وعملوا الصالحات " يعني الطاعات فيما بينهم وبين ربهم " أن لهم " يعني بأن لهم " جنات " وهي البساتين " تجري من تحتها الأنهار " أي من تحت شجرها ومساكنها وغرفها الأنهار " وكلما رزقوا منها " يعني أطعموا منها أي من الجنة " من ثمرة رزقا " يعني طعاما

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٩٧/٨

" قالوا هذا الذي رزقنا " يعني أطعمنا من الجنة " من قبل " قال بعضهم معناه إذا أتي بطعام وثمار في أول النهار فأكلوا منها ثم إذا أتي بها في آخر النهار " قالوا هذا الذي رزقنا من
". (١)

٧٨"

قوله تعالى " فرح المخلفون " يقول عجب ورضي المتخلفون عن الغزو وهم المنافقون " بمقعدهم خلاف رسول الله " يعني بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر " يعني قال بعضهم لبعض لا تخرجوا إلى الغزو فإن الحر شديد قال الله تعالى " قل " يا محمد " نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون " يعني لو كانوا يفهمون قراءة إبن مسعود " لو كانوا يعلمون "

ثم قال عز وجل " فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا " اللفظ لفظ الأمر والمراد به التوبيخ قال الحسن يعني " فليضحكوا قليلا " في الدنيا " وليبكوا كثيرا " في الآخرة في النار " جزاء بما كانوا يكسبون " يعني عقوبة لهم ما كانوا يكفرون وعن أبي رزين أنه قال في قوله تعالى " فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا " قال يقول الله تعالى الدنيا قليل فليضحكوا قليلا فيها ما شاؤوا فإذا صاروا إلى النار بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير

وروى الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي عامر عن عمرو بن شرحبيل قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على ملأ من قريش وفيهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة فقال أبو جهل هذا نبيكم يا بني عبد مناف فقال عتبة وما ننكر أن يكون منا نبي أو ملك فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم فقال أما أنت يا عتبة فلم تغضب لله ولا لرسوله وإنما غضبت للأصل وأما أنت يا أبا جهل فوالله لا يأتي عليك إلا غير كثير من الدهر حتى تبكي كثيرا وتضحك قليلا وأما أنتم يا ملأ قريش فوالله لا يأتي عليكم إلا غير كثير من الدهر حتى تدخلوا في هذا الأمر الذي تنكرون طائعين أو كارهين قال فسكتوا كأنما ذر على رؤوسهم التراب فلم يردوا عليه شيئا

وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يرسل الله تعالى البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود

سورة التوبة ٨٣

قوله تعالى " فإن رجعك الله إلى طائفة منهم " يعني إن رجعك الله من تبوك إلى طائفة من المنافقين الذين

---

(١) بحر العلوم. ، ٦١/١

تخلفوا " فاستأذنوك للخروج " معك إلى غزوة أخرى " فقل لن تخرجوا معي أبدا " إلى الغزو " ولن تقاتلوا معي عدوا " ويقال معناه لن تخرجوا إلا مطيعين من غير أن تكون لهم شركة في الغنيمة " إنكم رضيتم بالقعود أول مرة " أي بالتخلف عن غزوة تبوك " فاقعدوا مع الخالفين " يعني مع المتخلفين الذين تخلفوا بغير عذر ويقال الخالف." (١)

"٢٤٢

وقت من ألوان المنفعة "كل حين " يعني في كل وقت روى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس أنه قال " تؤتي أكلها كل حين " قال غدوة وعشية وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال النخلة يكون حملها شهرين فنرى أن الحين شهران وروى هشام بن حسان عن عكرمة أنه قال حلف رجل فقال إن فعلت كذا إلى حين فعلي كذا فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى ناس من الفقهاء فسألهم فلم يقولوا شيئا قال عكرمة فقلت إن من الحين حينا لا يدرك كقوله تعالى " ولتعلمن نبأه بعد حين " [ص : ٨٨] " ومتعناهم إلى حين " [يونس٩٨] ومنها ما يدرك كقوله تعالى " تؤتي أكلها كل حين " فأراد ما بين خروج الثمرة إلى صرامها فأراد به ستة أشهر قال فأعجب بذلك **أي فرح بذلك** عمر بن عبد العزيز وروي عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن إمرأة حلفت ألا تدخل على أهلها حينا قال الحين ما بين أن يطلع الطلع إلى أن يجد فبين أن يجد إلى أن يطلع الطلع ستة أشهر وعن عكرمة عن إبن عباس أنه قال الحين ما بين الثمرتين أي سنة وروي عن وهب بن منبه أنه قال الحين السنة وعن مقاتل سنة وعن سعيد بن جبير عن ا بن عباس أنه قال الحين ستة أشهر وقال عكرمة النخلة لا يزال فيها شيء ينتفع به إما ثمرة وإما حطبه فكذلك الكلمة الطيبة ينتفع بها صاحبها في الدنيا والآخرة

ثم قال تعالى " بإذن ربها " أي بأمر ربها " ويضرب الله الأمثال للناس " يعني يبين الله الأشباه " للناس لعلهم يتذكرون " يعني يتعظون ويتفكرون في الأمثال فيوحدونه

سورة إبراهيم ٢٦ - ٢٧

قوله تعالى " ومثل كلمة خبيثة " يعني كلمة الشرك "كشجرة خبيثة " وهي الحنظلة ليس لها حلاوة ولا رائحة طيبة فكذلك الشرك بالله خبيث ثم وصف الشجرة فقال " اجتثت من فوق الأرض " أي اقتلعت من فوق الأرض " ما لها من قرار " يعني ليس لها أصل تجيء بها الريح وتذهب فكذلك الكفر ليس له أصل ولا حجة في الأرض ولا في السماء

---

(١) بحر العلوم ، ٧٨/٢

ثم قال تعالى " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت " بلا إله إلا الله " في الحياة الدنيا " يعني يثبتهم على ذلك القول عند النزع " وفي الآخرة " يعني في القبر وقال البراء بن عازب نزلت الآية في عذاب القبر يسأل من ربك ومن نبيك وما دينك يعني إذا أجاب فقد ثبته الله تعالى وقال الضحاك إذا وضع المؤمن في قبره وانصرف عنه الناس دخل عليه ملكان فيجلسانه ويسألانه من ربك ومن نبيك وما دينك وما كتابك وما قبلتك فيثبته الله في القبر كما يثبته في الحياة الدنيا بالإقرار بالله تعالى وكتبه ورسله وروى ابن طاوس عن أبيه." (١)

"٤٦٦

ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وجلس عنده جماعة من المشركين فتمنى في نفسه أن لا يأتيه من الله شيء ينفرون منه فابتلاه الله تعالى بما ألقى الشيطان في أمنيته وقال بعضهم تمنى أي تفكر وحدث بنفسه تلك الغرانيق العلى ولم يتكلم به لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم كان حجة فلا يجوز أن يكون يجري على لسانه كلمة الكفر وقال بعضهم لما رآه الشيطان يقرأ خلط صوته بصوت النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ الشيطان تلك الغرانيق فظن الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرأها وقال بعضهم قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه التعيير والزجر يعني أنكم تعبدونها كأنهن الغرانيق العلى كما قال إبراهيم عليه السلام " فعله كبيرهم هذا " [الأنبياء : ٦٣] وقال الزجاج ألقى الشيطان في تلاوته فذلك محنة يمتحن الله تعالى بها من يشاء فجرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم شيء من صفة الأصنام فافتتن بذلك أهل الشقاوة والنفاق وروي عن سفيان بن عيينة وعن عمرو بن دينار أن إبن عباس كان يقرأ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث والمحدث الذي يرى أمره في منامه من غير أن يأتيه الوحي

ثم قال " والله عليم " بما ألقى الشيطان " حكيم " حكم بالناسخ وبين قوله عز وجل " ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة " يعني بلية " للذين في قلوبهم مرض " أي شك " والقاسية قلوبهم " يعني الذين قست قلوبهم عن ذكر الله وهم المشركون " وإن الظالمين لفي شقاق بعيد " عن الحق يعني المشركين في خلاف طويل عن الحق

ثم ذكر المؤمنين فقال " وليعلم الذين أوتوا العلم " يعني الذين أكرموا بالتوحيد والقرآن ويقال هم مؤمنو أهل الكتاب " أنه الحق من ربك " يعني القرآن " فيؤمنوا به " أي فيصدقوا به ويقال لكي يعلموا أن ما أحكم

---

(١) بحر العلوم. ، ٢/٢٤٢

الله في آياته حق وأن ما ألقى الشيطان باطل ويزداد لهم يقين وبيان فذلك قوله " فيؤمنوا به " أي يثبتوا به على إيمانهم " فتخبت له قلوبهم " يعني فتخلص له قلوبهم " وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم " يعني إن الله عز وجل لحافظ قلوب المؤمنين في هذه المحنة حتى لم ينزع المعرفة من قلوبهم عند إلقاء الشيطان

سورة الحج ٥٥ - ٥٧

ثم قال عز وجل " ولا يزال الذين كفروا في مرية منه " أي في شك منه يعني من القرآن " حتى تأتيهم الساعة بغتة " يعني فجأة " أو يأتيهم عذاب يوم عقيم " لا فرح فيه ولا راحة ولا رحمة ولا رأفة وهو عذاب يوم القيامة وقال السدي وقتادة " يوم عقيم " يوم بدر ويقال إنما سمي " يوم عقيم " لأنه أعقم كثيرا من النساء وقال عمرو بن قيس " يوم." (١)

"٦١٩

إليه ما يبكيك قد أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت فقال موسى خذيهم فأخذتهم

وفي رواية الحسن خرج موسى عليه السلام مغضبا فدعا الله عز وجل وقال عبدك قارون الذي عبد غيرك وجحدك فأوحى الله تعالى إلى موسى إني قد أمرت الأرض بأن تطيعك فجاء موسى حتى دخل إلى قارون حين إجتمع الناس في داره فقال يا عدو الله كذبتني في كلام له غيظ حتى غضب قارون وأقبل عليه بكلام شديد وهم به فلما رأى موسى ذلك قال يا أرض خذيهم قال وكان قارون على فرش على سرير مرتفع في السماء فأخذت الأرض أقدامهم وغاب سريره ومجلسه وقد دخل من الدار في الأرض مثل ما أخذت منهم على قدرها فأقبل موسى يوبخهم ويغلظ لهم المقالة فلما رأى القوم ما نزل بهم عرفوا أن هذا الأمر ليس لهم به قوة فنادوا يا موسى إرحمنا وكف عنا وجعلوا يتضرعون إليه ويطلبون رضاه وهو لا يزداد إلا غضبا وتوبيخا لهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبہم فجعلوا يتضرعون إليه ويسألونه وهو يوبخهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أوساطهم وكانت الأرض تأخذ من الدار كل مرة مثل ما تأخذ منهم وهم يتضرعون في ذلك إلى موسى ويسألونه ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى آباطهم فمدوا أيديهم إلى وجه الأرض رجاء أن يمتنعوا بها ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم فلم يبق على وجه الأرض منهم شيء إلا رؤوسهم ولم يبق من الدار إلا شرفها وقال قارون يا موسى أنشدك بالله وبالرحم فقال يا أرض خذيهم فاستوت الأرض عليهم وعلى الدار فانطلق موسى وهو فرح بذلك فأوحى الله تعالى إليه يا موسى يتضرع إليك

---

(١) بحر العلوم. ، ٤٦٦/٢

عبادي ودعوك وسألوك فلم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو أنهم دعوني واستغاثوا بي لرحمتهم ولكن تركوا أن يجعلوا رغبتهم ورجاءهم إلي وجعلوها إليك فتركتهم فذلك قوله تعالى " أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم " يعني تطاول على بني إسرائيل وعلى موسى " وآتيناه من الكنوز " يعني من المال " ما إن مفاتحه " يعني خزائنه " لتنوء بالعصبة " قال مقاتل العصبة من العشرة إلى الأربعين فإذا كانوا أربعين فهم أولو قوة يقول لتعجز العصبة أولو القوة عن حمل مفاتيح الخزائن

وقال أهل اللغة ناء به الحمل إذا أثقله وقال القتبي تنوء بالعصبة أي تميل بها العصبة إذا حملتها من ثقلها وقال إبن عباس في رواية أبي صالح العصبة في هذا الموضع أربعون رجلا وخزائنه كانت أربعمائة ألف يحمل كل رجل عشرة آلاف ويقال " مفاتحه " يعني مفاتيح خزائنه يحملها أربعون رجلا ويقال أربعون بغلا

وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة قال كان مفاتيح كنوز قارون من جلد كل مفتاح مثل الإصبع كل مفتاح على خزانة على حدة فإذا ركب حمل المفاتيح على ستين بغلا كل." (١)

"٦٢٠

بغل أغر محجل " إذ قال له قومه " يعني بني إسرائيل " لا تفرح " يعني لا تفخر بما أوتيت من الأموال ويقال لا تفرح بكثرة المال " إن الله لا يحب الفرحين " يعني المرحين المفاخرين ويقال البطرين ويقال " لا تفرح " أي لا تأشر والأشر **أشد الفرح الذي** يخالطه حرص شديد حتى يبطر يعني يطغى وقالوا له " وابتغ فيما آتاك الله " يعني أطلب مما أعطاك الله تعالى من الأموال والخير " الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا " يعني لا تترك حظك من الدنيا أن تعمل لآخرتك " وأحسن " العطية من الصدقة والخير " كما أحسن الله إليك " يعني أعط الناس كما أعطاك الله ويقال أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك " ولا تبغ الفساد في الأرض " يعني أنفقه في طاعة الله تعالى ولا تنفقه في معصية الله تعالى " إن الله لا يحب المفسدين " المنفقين في المعصية وقوله " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا " أي لا تضيع عمرك فإنه نصيبك من الدنيا " قال " قارون " إنما أوتيته على علم عندي " قال مقاتل يعني على خير علمه الله عندي وقال في رواية الكلبي يعني علم التوراة وكان قارون أقرأ رجل في بني إسرائيل بالتوراة فأعطيت ذلك لفضل علمي وكنت بذلك العلم مستحقا لفضل المال ويقال " على علم عندي " يعني علم الكيميا وكان يعمل كيميا الذهب وقال الزجاج الطريق الأول أشبه لأن الكيميا لا حقيقة لها

يقول الله تعالى " أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا " من

---

(١) بحر العلوم. ، ٢/٦١٩

الأموال منهم نمرود وغيره " ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون " يعني لا يسأل الكافرون عن ذنوبهم لأن كل كافر يعرف بسيماه وهذا قول الكلبي وقال مقاتل لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية وقيل لا يسأل الكافرون يوم القيامة عن ذنوبهم سؤال النجاة بل يسألون سؤال العذاب والمناقشة

سورة القصص ٧٩ - ٨٢

قوله عز وجل " فخرج على قومه " يعني خرج قارون على بني إسرائيل " في زينته "." (١)

"٦٤٠

ثم رجع إلى أهل الهجرة ورغبهم فيها فقال " الله يبسط الرزق لمن يشاء " يعني يوسع على من يشاء " من عباده ويقدر له " يعني ويقتر لمن يشاء " إن الله بكل شيء عليم " من البسط والتقتير

قوله عز وجل " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها " يعني من بعد يبسها وقحطها " ليقولن الله قل الحمد لله " على إقرارهم بذلك " بل أكثرهم لا يعقلون " توحيد ربهم وهم مقرون بالله عز وجل خالق هذه الأشياء

سورة العنكبوت ٦٤ - ٦٩

قوله عز وجل " وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو " يعني باطل " ولعب "كلعب الصبيان ولهو كلهو الشبان ويقال فرح لا يبقى للخلق ولا يبقى فيها إلا العمل الصالح روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاها أو عالما أو متعلما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بسخلة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا على الله أهون من هذه السخلة على أهلها " وإن الدار الآخرة لهي الحيوان " يعني هي دار الحياة لا موت فيها " لو كانوا يعلمون " يعني لو كانوا يصدقون بثواب الله عز وجل

ثم قال " فإذا ركبوا في الفلك " يعني في السفن " دعوا الله مخلصين له الدين " يعني موحدين وتركوا دعاء أصنامهم ويعلمون أنه لا يجيبهم أحد إلا الله تعالى " فلما نجاهم إلى البر " يعني إلى القرار " إذا هم يشركون " به

قوله عز وجل " ليكفروا بما آتيناهم " يعني ما أعطيناهم من النعم " وليتمتعوا " قرأ عاصم وأبو عمرو وإبن عامر ونافع في رواية ورش " وليتمتعوا " بكسر اللام وقرأ الباقون بالجزم فمن قرأ بالكسر فمعناه لكي يتمتعوا لأن الكلام عطف على ما قبله يعني يشركون لكي يكفروا ولكي يتمتعوا في الدنيا ومن قرأ بالجزم فهو على

---

(١) بحر العلوم. ، ٢/٦٢٠

معنى التهديد والتوبيخ بلفظ الأمر وتشهد له قراءة أبي كان يقرأ " تمتعوا فسوف تعلمون " ومعناه وليتمتعوا يعني وليعيشوا فسوف يعلمون إذا نزل بهم العذاب

ثم قال عز وجل " أولم يروا " يعني أولم يعلموا ليعتبروا " أنا جعلنا حرما آمنا." (١)

٢٣٦"

بعضهم هذا اللفظ لفظ الخبر عنهم والمراد به التعليم أنه ينبغي لهم يقولوا أن هكذا حتى يصبروا على ظلمهم قوله تعالى " وما كان لهم من أولياء " يعني لا يكون للظالمين يوم القيامة مانع يمنعهم من عذاب الله " ينصرونهم من دون الله " يعني يمنعونهم من عذاب الله " ومن يضلل الله " يعني يضله الله عن الهدى " فما له من سبيل " إلى الهدى من حجة ويقال ما له من حيلة

سورة الشورى ٤٧ - ٥٠

قوله عز وجل " استجيبوا لربكم " يعني أجيبوا ربكم في الإيمان وفيما أمركم به " من قبل أن يأتي يوم لا مرد له " يعني لا رجعة له إذا جاء لا يقدر أحد على دفعه " من الله " ويقال فيه تقديم يعني من قبل أن يأتي عذاب الله يوم لا مرد له

يعني لا مدفع له " ما لكم من ملجإ يومئذ " يعني ما لكم من مفر ولا حرز يحرزكم من عذابه " وما لكم من نكير " يعني من مغير يغير العذاب عنكم

قوله عز وجل " فإن أعرضوا " يعني عن الإيمان وعن الإجابة بعد ما دعوتهم " فما أرسلناك عليهم حفيظا " تحفظهم على الإيمان وتجبرهم على ذلك " إن عليك إلا البلاغ " يعني ليس عليك إلا تبليغ الرسالة وهذا قبل أن يؤمر بالقتال

ثم قال " وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة " يعني أصبنا الإنسان منا نعمة " فرح بها " أي بطر بالنعمة وقال بعضهم يعني أبا جهل وقال بعضهم جميع الناس والإنسان هو لفظ الجنس وأراد به جميع الكافرين بدليل أنه قال " وإن تصبهم " ذكر بلفظ الجماعة يعني إن تصبهم " سيئة " يعني القحط والشدة " بما قدمت أيديهم " يعني بما عملوا في المعاصي " فإن الإنسان كفور " لنعم الله يعني يشكو ربه عند المصيبة ولا يشكره عند النعمة

قوله تعالى " لله ملك السموات والأرض " يعني القدرة على أهل السموات والأرض " يخلق ما يشاء " يعني على أي صورة يشاء " يهب لمن يشاء إناثا " يعني يعطي من يشاء الأولاد الإناث فلا يجعل معهن ذكورا

---

(١) بحر العلوم. ، ٢/٦٤٠

" ويهب لمن يشاء الذكور " يعني يعطي من يشاء الأولاد الذكور ولا يكون معهم إناث " أو يزوجهم ذكرانا وإناثا " يعني من يشاء الأولاد الذكور والإناث " ويجعل من يشاء عقيما " فلا يعطيه شيئا من الولد ويقال " يهب لمن يشاء." (١)

٢٨٧"

لا إله إلا الله

يعني ادع الناس إلى ذلك

ويقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ليتني أعلم أي الكلام أفضل وأي الدعاء أفضل)

فأعلمه الله أن أفضل الكلام التوحيد وأفضل الدعاء الاستغفار)

ثم قال " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات " روى الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم سبعين مرة أو أكثر)

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إني أستغفر الله تعالى وأتوب إليه في كل يوم مائة مرة "

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن جريج قال قلت لعطاء استغفر للمؤمنين في المكتوبة قال نعم

قلت فمن ابتدئ قال فبنفسك كما قال الله تعال " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات "

" والله يعلم متقلبكم ومثواكم " يعني منتشركم بالنهار ومأواكم بالليل

ويقال ذهابكم ومجيئكم

قوله عز وجل " ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة " وذلك أنهم كانوا يأنسون بالوحي ويستوحشون إذا أبطأ فاشتاقوا إلى الوحي فقالوا لولا " نزلت " يعني هلا نزلت سورة

قال الله تعالى " فإذا أنزلت سورة محكمة " يعني مبينة يعني الحلال والحرام " وذكر فيها القتال " يعني أمروا فيها بالقتال

وقال قتادة كل سورة ذكر فيها ذكر القتال فهي محكمة

وقال القتبي في قراءة ابن مسعود سورة محدثة وتسمى المحدثة المحكمة لأنها إذا نزلت تكون محكمة ما لم ينسخ منها شيء

ويقال " فإذا أنزلت سورة محكمة " فيها ذكر القتال وطاعة النبي صلى الله عليه **وسلم فرح بها** المؤمنين

---

(١) بحر العلوم . ، ٢٣٦/٣

وكره المنافقون فذلك قوله " رأيت الذين في قلوبهم مرض " يعني الشك والنفاق

" ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت "كراهية لنزول القرآن

يعني إنهم يشخصون إليك بأبصارهم وينظرون نظرا شديدا من شدة العداوة كما ينظر المريض عند الموت

" فأولى لهم " فهذا تهديد ووعيد

يعني وليهم المكروه يعني قل لهم احذروا العذاب وقد تقدم الكلام

سورة محمد ٢١ - ٢٣

ثم قال " طاعة وقول معروف " قال القتبي هذا مخصوص يعني قولهم قبل نزول." (١)

"٣٨٦

النبي صلى الله عليه وسلم

ومن قرأ بالتشديد يعني المتصدقين من الرجال والمتصدقات من النساء فأدغمت التاء في الصاد وشددت

" وأقرضوا الله قرضا حسنا " يعني يتصدقون محتسبين بطبيعة أنفسهم صادقين من قلوبهم " يضاعف لهم " الحسنات والثواب بكل واحد عشرة إلى سبعمائة إلى ما لا يحصى " ولهم أجر كريم " يعني ثوابا حسنا في الجنة

ثم قال عز وجل " والذين آمنوا بالله ورسله " يعني صدقوا بتوحيد الله وصدقوا بجميع الرسل " أولئك هم الصديقون " والصديق اسم للمبالغة في الفعل يقال رجل صديق كثير الصدق

وقال ابن عباس فمن آمن بالله ورسله فهو من الصديقين

ثم قال " والشهداء عند ربهم " قال مقاتل هذا استئناف فقال

" والشهداء " يعني من استشهد عند ربهم

يعني يطلب شهادته على الأمم " لهم أجرهم " يعني ثوابهم " ونورهم " ويقال هذا بناء على الأول

يعني " أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم " يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة

ويقال معناه " أولئك هم الصديقون " " وأولئك هم الشهداء " عند ربهم ويكون لهم أجرهم ونورهم

قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد

ثم وصف حال الكفار فقال عز وجل " والذين كفروا " يعني جحدوا بوحدانية الله تعالى " وكذبوا بآياتنا " يعني جحدوا بالقرآن " أولئك أصحاب الجحيم "

---

(١) بحر العلوم. ، ٢٨٧/٣

سورة الحديد ٢٠

ثم قال عز وجل " اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو " يعني باطل " ولهو "

يعني فرح يلهون فيها " وزينة " يعني زينة الدنيا " وتفاخر بينكم " في الحسب " وتكاثر في الأموال والأولاد " تفتخرون بذلك

وروى إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قام في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها)

ثم ضرب للدنيا مثلا آخر فقال " كمثل غيث " يعني كمثل مطر نزل من السماء فنبت به الزرع والنبات " أعجب الكفار نباته " يعني فرح الزارع بنباته ويقال " أعجب الكفار " يعني الكفار بالله لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين

ويقال " الكفار " كناية عن الزراع لأن الكفر في اللغة هو التغطية ولهذا سمي الكافر كافرا لأنه يغطي الحق بالباطل فسمي الزراع كفارا لأنهم يغطون الحب تحت الأرض وليس ذلك الكفر الذي هو ضد الإيمان والطريقة الأولى أحسن إن أراد به الكفار لأن ميلهم إلى الدنيا أشد " ثم يهيج " يعني ييبس فيتغير " فتراه مصفرا " بعد خضرته " ثم يكون حطاما " يعني يابسا

ويقال " حطاما " يعني." (١)

٣٨٨"

قبل خلقكم " ولا تفرحوا بما آتاكم " يعني بما أعطاكم في الدنيا ولا تفتخروا بذلك " والله لا يحب كل مختال فخور " يعني متكبرا فخورا بنعم الله تعالى ولا يشكروه

قرأ أبو عمرو " بما أتاكم " بغير مد والباقون بالمد

فمن قرأ بغير مد فمعناه لكيلا تفرحوا بما جاءكم من حطام الدنيا فإنه إلى نفاد

ومن قرأ بالمد يعني بما أعطاكم

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن من جعل الفرح شكرا والمصيبة صبرا

سورة الحديد ٢٤ - ٢٥

ثم قال عز وجل " الذين يبخلون " يعني لا يحب الذي يبخلون يعني يمسكون أموالهم ولا يخرجون منها

---

(١) بحر العلوم . ، ٣٨٦/٣

حق الله تعالى " ويأمرون الناس بالبخل " ويقال الذين يبخلون يعني يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم " ويأمرون الناس بالبخل " يعني يكتمون صفة النبي صلى الله عليه وسلم ونعته

" ومن يتول " يعني يعرض عن النفقة ويقال يعرض عن الإيمان " فإن الله هو الغني الحميد " يعني غني عن نفقتهم وعن إيمانهم " الحميد " في فعاله

قرأ حمزة والكسائي " ويأمرون الناس بالبخل " بنصب الخاء والباء وقرأ الباقون بضم الباء وإسكان الخاء ومعناهما واحد

قرأ نافع وابن عامر " فإن الله الغني الحميد " بحذف " هو " هكذا في مصاحف أهل الشام والمدينة ومعناه إن الله الغني الحميد الذي لا غني مثله

والباقون " فإن الله هو الغني الحميد " بإثبات هو وهو للفرد ويقال للصلة

ثم قال " لقد أرسلنا رسلنا بالبينات " يعني بالأمر والنهي والحلال والحرام " وأنزلنا معهم الكتاب " يعني أنزلنا عليهم الكتاب ليعلموا أمتهم " والميزان " يعني العدل

ويقال هو الميزان بعينه أنزل على عهد نوح عليه السلام " ليقوم الناس بالقسط " يعني لكي يقوم الناس " بالقسط " يعني بالعدل " وأنزلنا الحديد " يعني وجعلنا الحديد " فيه بأس شديد " يعني فيه قوة شديدة في الحرب

وعن عكرمة أنه قال " وأنزلنا الحديد " يعني أنزل الله تعالى الحديد لآدم عليه السلام العلاة والمطرقة والكلبتين " فيه بأس شديد "

ثم قال عز وجل " ومنافع للناس " يعني في الحديد " منافع للناس " مثل السكين والفأس والإبرة يعني من معايشهم

" وليعلم الله من ينصره " يعني ولكن يعلم الله من ينصره على عدوه " ورسله بالغيب " بقتل أعدائه كقوله " إن تنصروا الله ينصركم " ويقال لكي يرى الله من استعمل هذا السلاح في طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم " بالغيب " يعني يصدق بالقلب " إن الله قوي " في أمره " عزيز " في ملكه." (١)

"ولدا من امرأة أخرى ، فقوله : ﴿رب أنى يكون لي غلام﴾ معناه : كيف تعطيني الولد ؟ فسأل عن الكيفية على القسم الأول ، أما على القسم الثاني فقال مستفهما لا شاكا.

---

(١) بحر العلوم. ، ٣٨٨/٣

قاله الحسن والأصم.

وثانيهما : أن من كان آيسا من الشيء مستبعدا لحصوله ووقوعه ، إذا اتفق أن حصل له ذلك المقصود ، فربما صار كالمدهوش من **شدة الفرح ،** ويقول : كيف حصل هذا ؟ ومن أين وقع ؟ كمن يرى إنسانا وهب أموالا عظيمة ، يقول : كيف وهب هذه الأموال ؟ ومن أين سمحت نفسك بهبتها.

كذا هنا.

الثالث : أن الملائكة لما بشروه بيحيى ، لم يعلم أنه يرزق الولد من جهة أنثى ، أو من صلبه ، فذكر هذا الكلام ليزول ذلك الاحتمال.

٢٠٥

الرابع : أن العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء يطلب من السيد ، ثم إن السيد يعده بأنه سيعطيه ، فعند ذلك يلتذ السائل بسماع ذلك ، فربما أعاد ال‍سؤال ؛ ليعيد ذلك الجواب ، فحينئذ يلتذ بسماع تلك الإجابة مرة أخرى ، فيحتمل أن يكون هذا هو السبب في إعادة هذا الكلام.

الخامس : نقل عن سفيان بن عيينة قال : كان دعاؤه قبل البشارة بستين سنة حتى كان نسي ذلك السؤال وقت البشارة ، فلما سمع البشارة - زمان الشيخوخة - استبعد ذلك - على مجرى العادة لا شكا في قدرة الله - تعالى - .

السادس : قال عكرمة والسدي : إن زكريا - عليه السلام - جاءه الشيطان عند سماع البشارة ، فقال يا زكريا إن هذا لصوت من الشيطان - وقد سخر منك - ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحي إليك في سائر الأمور ، فقال زكريا ذلك ؛ دفعا للوسوسة ، ومقصوده من هذا الكلام أن يريه الله آية تدل على ن ذلك الكلام من الوحي والملائكة لا من إلقاء الشيطان.

قال القرطبي : لا يجوز أن يشتبه كلام الملائكة بكلام الشياطين عند الأنبياء عليهم السلام ؛ إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق عن كل الشرائع.

ويمكن أن يجاب بأنه لما قامت المعجزات على صدق الوحي في كل ما يتعلق بالدين لا جرم حصل الوثوق هناك بأن الوحي من الله بواسطة الملائكة ، ولا مدخل للشيطان فيه ، أما ما يتعلق بمصالح الدنيا أو الولد ، فربما لا يتأكد ذلك بالمعجزات.

فلا جرم [بقي احتمال كون ذلك الكلام من الشيطان] ، فرجع إلى الله - تعالى - في أن يزيل عن خاطره ذلك الاحتمال.

قوله : ﴿وامرأتي عاقر﴾ جملة حالية ، إما من الياء في " لي " فيتعدد الحال - عند من يراه - وإما من الياء في " بلغني " ، والعاقر : من لا يولد له رجلا كان أو امرأة ، مشتقا من العقر ، وهو القتل ، كأنهم تخيلوا فيه قتل أولاده ، والفعل - بهذا المعنى - لازم ، وأما عقرت - بمعنى " نحرت " فمتعد.
قال تعالى : ﴿فعقروا الناقة﴾ [الأعراف : ٧٧].
وقال الشاعر : [الطويل] ١٤٤٤ - ....
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٨٧
وقيل : عاقر - على النسب - أي : ذات عقر ، وهي بمعنى مفعول ، أي : معقورة ، ولذلك لم تلحق تاء التأنيث ، والعقر بفتح العين وضمها - أصل الشيء ، ومنه عقر الدار ، وعقر الحوض ، وفي الحديث : " ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا " وعقرته ، أي : أصبت عقره ، أي : أصله - نحو رأسته ، أي أصبت رأسه ، والعقر - أيضا - آخر الولد ، وكذلك بيضة العقر ، والعقار : الخمر لأنها تعقر العقل - مجازا - وفي كلامهم رفع فلان عقيرته ، أي : صوته ، وذلك أن رجلا عقر رجله فرفع صوته ، فاستعير ذلك لكل من رفع صوته.
وقال : وأنشد الفراء : [الرجز] ١٤٤٥ - أرزام باب عقرت أعواما
فعلقت بنيها تسماما
وقال بعضهم : يقال : عقرت المرأة تعقر عقرا وعقارا ويقال : عقر الرجل وعقر وعقر إذا لم تحبل زوجته ، فجعل الفعل المسند إلى الرجل أوسع من المسند إلى المرأة.
قال الزجاج : عاقر بمعنى ذات عقر قال : لأن فعلت أسماء الفاعلين منه على فعيل نحو ظريفة ، وكريمة ، وإنما عاقر على ذات عقر ، قلت : وهذا نص في أن الفعل
٢٠٦
المسند للمرأة لا يقال فيه إلا عقرت - بضم القاف ؛ إذ لو جاز فتحها ، أو كسرها لجاء منهما فاعل - من غير تأويل على النسب ، ومن ورود عاقر وصفا للرجل قول عامر بن الطفيل : [الطويل] ١٤٤٦ - لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا

جبانا فما عذري لدى كل محضر

." (١)

"في حضور الجمع العظيم الذي يحصل القطع واليقين بقولهم ؛ لأن تخصيص مثل هذا المعجز بالواحد والاثنين لا يجوز ، ولو حدثت هذه الواقعة لتوفرت الدواعي على نقلها ، فيصير ذلك بالغا حد التواتر ، يمتنع إخفاؤه.

وأيضا فإن النصارى بالغوا في المسيح ، حتى ادعوا ألوهيته ، ومن هذا شأنه في التعصب يمتنع أن تخفى مناقبه ، فلما أنكروه – وهم أحق الناس بإظهاره – علمنا أنه ما كان موجودا.

وأجاب المتكلمون بأن كلامه – حينئذ – إظهار لبراءة أمه ، والحاضرون قليلون يجوز تواطؤهم على الإخفاء ، فنسبهم الناس إلى الكذب ، أو خافوا من ذلك الأمر إلى أن أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم وذلك يدل على معجزته ، وصدقه.

قوله : ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد﴾ " يكون " يحتمل التمام والنقصان ، وتقدم إعراب هذه الجمل في قصة زكريا إلا أنه قال هناك : ﴿يفعل ما يشآء﴾ وقال هنا ﴿يخلق ما يشآء﴾ قيل : لأن قصتها أغرب من قضته ؛ ذلك أنه لم يعهد ولد من عذراء لم يمسسها بشر ألبتة ، بخلاف الولد بين الشيخ والعجوز ، فإنه يستبعد ، وقد يعهد بمثله – وإن كان قليلا – فلذلك أتى بـ " يخلق " المقتضي للإيجاد والاختراع من غير إحالة على سبب ظاهر ، وإن كانت الأشياء كلها بخلقه وإيجاده – وإن كان لها أسباب ظاهرة.

قوله : ﴿ولم يمسسني بشر﴾ هذه الجملة حال ، والبشر – في الأصل – مصدر كالخلق ، ولذلك يسوى فيه بين المذكر ولمؤنث ، والمفرد ، والمثنى ، والجمع ، تقول : هذه بشر ، وهذا بشر ، وهؤلاء بشر. كقولك : هؤلاء خلق.

قيل : واشتقاقه من البشرة ، وهي ظاهر الجلد ؛ لأنه الذي شأنه أن **يظهر الفرح والغم** في بشرته ، وتقدم اختلاف القراء في ﴿فيكون﴾ وما ذكر في توجيهه.

فصل قال المفسرون : إنما قالت ذلك ؛ لأن البشرية تقتضي التعجب مما وقع على خلاف العادة ؛ إذ لم تجر عادة بأن يولد ولد بلا أب.

فصل قال القرطبي : " معنى قوله : ﴿قالت رب﴾ أي : يا سيدي ، تخاطب جبريل – عليه السلام – لأنه لما تمثل لها ، قال لها : ﴿قال إنمآ أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا﴾ [مريم : ١٩] فلما سمعت

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٦١

ذلك من قوله استفهمت عن طريق الولد ، فقالت : ﴿أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ ؟ أي : بنكاح ، وذلك : لأن العادة التي أجراها الله في خلقه أن الولد لا يكون إلا من نكاح ، [أو سفاح].

٢٣٢

وقيل : إنها لم تستبعد من قدرة الله شيئا ، ولكن أرادت : كيف يكون هذا الولد ؟ من قبل زوج في المستقبل ؟ أم يخلقه الله ابتداء.

قوله : ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

تقدم الكلام فيه.

قال ابن جريج : نفخ جبريل في جيب درعها وكمها ، فحملت من ساعتها بعيسى.

وقيل : وقع نفخ جبريل - عليه السلام - في رحمها ، فعلقت بذلك.

وقال بعضهم : لا يجوز أن يكون الخلق من نفخ جبريل ؛ لأن الولد يكون بعضه من الملائكة وبعضه من الإنس ؛ ولكن سبب ذلك ، أن الله تعالى لما خلق آدم وأخذ الميثاق من ذريته ، فجعل بعض الماء في أصلاب الآباء ، وبعضه في أرحام الأمهات ، فإذا اجتمع الماءان صار ولدا ، وإن الله - تعالى - جعل الماءين جميعا في مريم ، بعضه في رحمها ، وبعضه في صلبها ، فنفخ جبريل ، ليهيج شهوتها ، فإن المرأة ما لم تهج شهوتها لم تحبل فلما هاجت شهوتها بنفخ جبريل وقع الماء - الذي كان في صلبها - في رحمها ، فاختلط الماءان ، فعلقت بذلك ، فذلك قوله تعالى : ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾.

قوله : ﴿ويعلمه الكتاب﴾ قرأ نافع وعاصم ويعقوب ﴿ويعلمه﴾ - بياء الغيبة - والباقون بنون المتكلم المعظم نفسه ، وعلى كلتا القراتين ففي محل هذه الجملة أوجه : أحدها : أنها معطوفة على " يبشرك " أي : أن الله يبشرك بكلمة ويعلم ذلك المولود المعبر عنه بالكلمة.

الثاني : أنها معطوفة على " يخلق " أي : كذلك الله يخلق ما يشاء ويعلمه.

وإلى هذين الوجهين ، ذهب جماعة منهم الزمخشري وأبو علي الفارسي ، وهذان الوجهان ظاهران على قراءة الياء ، وأما قراءة النون ، فلا يظهر هذان الوجهان عليها إلا بتأويل الالتفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المتكلم ، إيذانا بالفخامة والتعظيم.

فأما عطفه على " يبشرك " فقد استبعده أبو حيان جدا ، قال : " لطول الفصل بين المعطوف ، والمعطوف عليه " ، وأما عطفه على " يخلق " فقال : " هو معطوف عليه سواء كانت - يعني " يخلق " خبرا عن الله أم تفسيراص لما قبلها ، إذا أعربت لفظ " الله " مبتدأ ، وما قبله خبر ".

يعني أنه تقدم في إعراب ﴿كذلك الله﴾ في قصة زكريا أوجه : أحدها ما ذكره - ف " يعلمه " معطوف على " يخلق " بالاعتبارين [المذكورين] ؛ إذ
٢٣٣
." (١)

"تركوهم أحياء في الدنيا على مناهج الإيمان والجهاد ؛ ليعلمهم انهم إذا استشهدوا لحقوا بهم ، ونالوا من الكرامة ما نالوا هم ؛ فلذلك يستبشرون.

وقال الزجاج وابن فورك : الإشارة - بالاستبشار للذين لم يلحقوا بهم - لى جميع المؤمنين - وإن لم يقتلوا - ولكنهم لما عاينوا ثواب الله وقع اليقين بأن دين افسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه ، فهم فرحون لأنفسهم بما آتاهم الله من فضله ، مستبشرون للمؤمنين بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قوله : ﴿ألا خوف عليهم﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن " أن " وما في حيزها في محل جر ، بدلا من " بالذين " بدل اشتمال ، أي : يستبشرون بعد خوفهم وحزنهم ، فهو المستبشر به في الحقيقة ، لأن الذوات لا يستبشر بها.

الثاني : أنها في محل نصب ؛ على أنها مفعول من أجله ، أي : لأنهم لا خوف عليهم.

و " أن " - هذه - هي المخففة ، واسمها ضمير الشأن ، وجملة النفي بعدها في محل الخبر.

فإن قيل : الذوات لا يستبشر بها -كما تقدم - فكيف قال : ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا﴾.

فالجواب أن ذلك على حذف مضاف مناسب ، تقديره : ويستبشرون بسلامة الذين ، أو لحوقهم بهم في الدرجة.

وقال مكي - بعد أن حكى أنها بدل اشتمال - : ويجوز أن يكون في موضع نصب ، على معنى : بأن لا وهذا - هو بعينه - وجه البدل المتقدم ، غاية ما في الباب أنه أعاد مع البدل العامل في تقديره اللهم إلا أن يعني أنها - وإن كانت بدلا من " الذين " - ليست في محل جر ، بل في محل نصب ، لأنها سقطت منها الباء ؛ فإن الأصل : بان لا ، وإذا حذف منها حرف الجر كانت في محل نصب على رأي سيبويه والفراء - وهو بعيد.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٥

لما بين - تعالى - أنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ، بين - هنا - أنهم يستبشرون لأنفسهم بما رزقوا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٧٤

من النعيم ولذلك أعاد لفظ لاستبشار.

فإن قيل : أليس الذي ذكر فرحهم بأحوال أنفسهم والفرح عين الاستبشار - فلزم التكرار ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما : أن الاستبشار هو الفرح التام ، فلا يلزم التكرار.

٥٢

الثاني : لعل المراد حصول الفرح بما حصل في الحال ، وحصول الاستبشار بما عرفوا أن النعمة العظيمة تحصيل لهم في الآخرة.

فإن قيل : ما الفرق بين النعمة والفضل ، فإن العطف يقتضي المغايرة ؟ فالجواب : أن النعمة هي الثواب ، والفضل : هو التفضل الزائد.

وقيل : النعمة : المغفرة ، والفضل : الثواب الزائد.

وقيل : للتأكيد.

روى الترمذي عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه " ، قال : هذا حديث حسن ، صحيح ، غريب ، وهذا تفسير النعمة والفضل ، وهذا في الترمذي وابن ماجه ست ، وهي في العدد سبعة.

فصل وهذه الآية تدل على أن الإنسان يكون فرحه واستبشاره - بصلاح حال إخوانه - أتم من استبشاره بسعادة نفسه ، لأنه - تعالى - مدحهم على ذلك بكونهم أول ما استبشروا فرحا بإخوانهم ، ثم ذكر - بعده - استبشارهم بأنفسهم ، فقال : ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل﴾.

قوله : ﴿وأن الله لا يضيع﴾ قرأ الكسائي بكسر " أن " على الاستئناف.

وقال الزمخشري : إن قراءة الكسر اعتراض.

واستشكل كونها اعتراضا ؛ لأنها لم تقع بين شيئن متلازمين.

ويمكن أن يجاب عنه بأن " الذين استجابوا " يجوز أن يكون تابعا لـ " الذين لم يلحقوا " - نعتا ، أو بدلا ، على ما سيأتي - فعلى هذا لا يتصور الاعتراض.

٥٣
." (١)

"قال أبو حيان : ويحتاج مثل هذا إلى سماع من العرب ، وقال ابن عطية : " وكأن " مضمنة معنى التشبيه ، ولكنها ليست كالثقيلة في الإحتياج إلى الاسم والخبر ، وإنما تجيء بعدها الجمل ، وظاهر هذه العبارة : أنها لا تعمل عند تخفيفها ، وقد تقدم أن ذلك قول الكوفيين لا البصريين ، ويحتمل أنه أراد بذلك أن الجملة بعدها لا تتأثر بها لفظا ؛ لأن اسمها محذوف ، والجملة خبرها.

وقرأ ابن كثير ، وحفص من عاصم ، ويعقوب : [يكن] بالياء ؛ لأن المودة في معنى الود [و] لأنه قد فصل بينها وبين فعلها ، والباقون : بالتاء اعتبارا بلفظها.

قال الواحدي : وكلتا القراءتين قد جاء التنزيل به ؛ قال ﴿قد جآءتكم موعظة من ربكم﴾ [يونس : ٥٧] وقال : ﴿فمن جآءه موعظة من ربه﴾ [البقرة : ٢٧٥] فالتأنيث هو الأصل ، والتذكير يحسن إذا كان التأنيث غير حقيقي ، لا سيما إذا وقع فاصل بين الفعل والفاعل ، و " يكون " يحتمل أن تكون تامة ، فيتعلق الظرف بها ، أو بمحذوف ، لأنه حال ممن " مودة " إذ هو في الأصل صفة نكرة قدم عليها ، وأن تكون ناقصة ، فيتعلق الظرف بمحذوف على أنه خبرها ، واختلفوا في هذه الجملة على ثلاثة أقوال : الأول : أنها اعتراضية لا محل لها من الإعراب ، وعلى هذا فما المعترض بينهما ؟ فيه وجهان : أحدهما : أنها معترضة بين جملة الشرط التي هي ﴿فإن أصابتكم﴾ وبين جملة القسم التي هي " ولئن أصابكم " ، والتقدير : ﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ قال ﴿قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا﴾ كأن لم تكن بينكم [وبينه مودة ، ولئن أصابكم فضل.

فأخرت الجملة المعترض بها أعني قوله] ﴿كأن لم تكن بينكم﴾ والنية بها التوسط ، وهذا قول الزجاج وتبعه الماتريدي ، ورد الراغب الأصبهاني هذا القول بأنه مستقبح ، لأنه لا يفصل بين بعض الجملة [وبعض] ما يتعلق بجملة أخرى.

٤٩٠

قال شهاب الدين : وهذا من الزجاج كأنه تفسير معنى لا إعراب ، على ما يأتي ذكره عنه في تفسير الإعراب.

الوجه الثاني : أنها معترضة بين القول ومفعوله ، والأصل : ليقولن يا ليتني كنت معهم كأن لم يكن ، وعلى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٠٨

هذا أكثر الناس ، وقد اختلفت عباراتهم في ذلك ، ولا يظهر المعنى إلا بنقل نصوصهم فلننقلها.

فقال الزمخشري : اعتراض بين الفعل الذي هو " ليقولن " وبين مفعوله وهو " يا ليتني " والمعنى : كأنه لم يتقدم له معكم مودة ؛ لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر أنه تهكم ؛ لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين ، وأشدهم حسدا لهم ، فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس والتهكم.

وقال الزجاج : هذه الجملة اعتراض ، أخبر – تعالى – بذلك ؛ لأنهم كانوا يوادون المؤمنين.

وقال ابن عطية : المنافق يعاطي المؤمنين المودة ، ويعاهد على التزام حلف الإسلام ، ثم يتحلف نفاقا وشكا وكفرا بالله ورسوله ، ثم يتمنى عندما ينكشف الغيب الظفر للمؤمنين فعلى هذا يجيء قوله : "كأن لم يكن " التفاتة بليغة ، واعتراضا بين القول والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم.

وقال الرازي : هو اعتراض في غاية الحسن ؛ لأن من أحب **إنسانا فرح لفرحه** ، وحزن لحزنه ، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة ، فحكى – تعالى – سرور المنافق عند نكبة المسلمين ، ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب فواته الغنيمة فقبل أن يذكر الكلام بتمامه ، ألقى قوله : ﴿كأن لم تكن﴾ والمراد التعجب ؛ كأنه يقول : انظروا إلى ما يقوله هذا المنافق كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ولا مخالطة أصلا ، والذي حسن الاعتراض بهذه الجملة وإن كان محلها التأخير ، كون ما بعدها فاصلة وهي ليست بفاصلة.

وقال الفارسي : وهذه الجملة من قول المنافقين الذين أقعدوهم عن الجهاد ؛ وخرجوا هم لم تكن بينكم وبينه أي : وبين الرسول – عليه الصلاة والسلام – مودة ، فيخرجكم معه لتأخذوا من الغنيمة ليبغضوا بذلك الرسول إليهم ، فأعاد الضمير في " بينه " على النبي – عليه الصلاة والسلام – .

٤٩١

". (١)

"الضمير المستتر في " لنا " ، والعامل فيها هو العامل في الحال قبلها.

فصل فإن قيل : هذا هو الوجه الثاني المتقدم ، وذكرت عن أبي حيان هناك ؛ أنه منع مجيء الحالين لذي حال واحدة ، وبأنه يلزم دخول الواو على المضارع ، فما الفرق بين هذا وذاك ؟ فالجواب : أن الممنوع تعدد الحال دون عاطف ، وهذه الواو عاطفة ، وأن المضارع إنما يمتنع دخول واو الحال عليه ، وهذه عاطفة لا واو حال ؛ فحصل الفرق بينهما من جهة الواو ؛ حيث كانت في الوجه الثاني واو الحال ، وفي

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥٢٧

هذا الوجه واو عطف ، ولما حكى الزمخشري هذا الوجه ، أبدى له معنيين حسنين ؛ فقال – رحمه الله – : " وأن يكون معطوفا على " لا نؤمن " على معنى : وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين ، أو على معنى : وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام ؛ لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين ".

الخامس : أنها جملة استئنافية ، قال أبو حيان : الأحسن والأسهل : أن يكون استئناف إخبار منهم ؛ بأنهم طامعون في إنعام الله عليهم ؛ بإدخالهم مع الصالحين ، فالواو عطافة هذه الجملة على جملة ﴿وما لنا لا نؤمن﴾ ، قال شهاب الدين : وهذا المعنى هو ومعنى كونها معطوفة على المحكي بالقول قبلها – شيء واحد – فإن [فيه] الإخبار عنهم بقولهم كيت وكيت.

السادس : أن يكون " ونطمع " معطوفا على " نؤمن " ، أي : وما لنا لا نطمع ، قال أبو حيان هنا : " ويظهر لي وجه غير ما ذكروه ، وهو أن يكون معطوفا على " نؤمن " ، التقدير : وما لنا لا نؤمن ولا نطمع ، فيكون في ذلك إنكار لانتفاء إيمانهم وانتفاء طمعهم مع قدرتهم على تحصيل الشيئين : الإيمان والطمع في الدخول مع الصالحين " ، قال شهاب الدين : قوله : " غير ما ذكروه " ليس كما ذكره ، بل ذكر أبو البقاء فقال : " ونطمع " يجوز أن يكون معطوفا على " نؤمن " ، أي : " وما لنا لا نطمع " ، فقد صرح بعطفه على الفعل المنفي بـ " لا " ، غاية ما في الباب أن الشيخ زاده بسطا.

والطمع قال الراغب : " هو نزوع النفس إلى الشيء شهوة له " ، ثم قال : " ولما كان أكثر الطمع من جهة الهوى ، قيل : الطمع طبع والطمع يدنس الإهاب " ، وقال أبو حيان : " الطمع قريب من الرجاء يقال منه طمع يطمع طمعا " ؛ قال تعالى : ﴿خوفا

٤٨٦

وطمعا﴾ [السجدة : ١٦] وطماعة وطماعية كالكراهية ؛ قال : [الطويل] ٢٠٤٦ – ....

طماعية أن يغفر الذنب غافره

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٣

فالتشديد فيها خطأ ، واسم الفاعل منه طمع كـ " فرح " و " أشر " ، ولم يحك أبو حيان غيره ، وحكى الراغب : طمع وطامع ، وينبغي أن يكون ذلك باعتبارين ؛ كقولهم " فرح " لمن شأنه ذلك ، و " فارح " لمن تجدد له فرح.

قوله : " أن يدخلنا " ، أي : " في أن " فمحلها نصب أو جر ؛ على ما تقدم غير مرة.

و " مع " على بابها من المصاحبة ، وقيل : هي بمعنى " في " ولا حاجة إليه ؛ لاستقلال المعنى مع بقاء الكلمة على موضوعها.

فصل قال المفسرون – [رحمهم الله] – إن اليهود عيروهم ، وقالوا لهم : لم آمنتم ؟ فأجابوهم بهذا.

والمراد : يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين جنته ، ودار رضوانه قال – تعالى – : ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ [الحج : ٥٩] ، إلا أنه حسن الحذف لكونه معلوما.

قوله تعالى : ﴿فأثابهم الله بما قالوا﴾ [المائدة : ٨٥].

وقرأ الحسن : " فآتاهم الله " : من آتاه كذا ، أي : أعطاه ، والقراءة الشهيرة أولى ؛ لأن الإثابة فيها منبهة على أن ذلك لأجل عمل ؛ بخلاف الإيتاء ؛ فإنه يكون على عمل وعلى غيره ، وقوله تعالى : " جنات " مفعول ثان لـ " أثابهم " ، أو لـ " آتاهم " على حسب القراءتين.

و ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ في محل نصب صفة لـ " جنات ".

و " خالدين " حال مقدرة.

فإن قيل : ظاهر الآية يدل على أنهم إنما استحقوا ذلك الثواب بمجرد القول ؛ لأنه – تعالى – قال : ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات﴾ ، وذلك غير ممكن ؛ لأن مجرد القول لا يفيد الثواب.

فالجواب من وجهين : الأول : أنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة ، وذلك قوله – تعالى – : ﴿مما عرفوا من الحق﴾ ، وكلما حصلت المعرفة والإخلاص وكمال

٤٨٧

". (١)

"للعود من الترح إلى الفرح ، وهو اسم لما اعتدته يعود إليك ، وقد تقدم.

وقال السدي : معناه يتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيدا لأولنا لأهل زماننا ، وآخرنا لمن يجيء بعدنا.

وقال ابن عباس : يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

قوله : " وآية منك " دلالة وحجة.

قيل : نزلت يوم الأحد ، فاتخذه النصارى عيدا.

وقوله " وارزقنا " أي : طعاما نأكله ﴿وأنت خير الرازقين﴾.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٨٧٠

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦٠٩
قرأ نافع وابن عامر وعاصم : " منزلها " : بالتشديد ، فقيل : إن أنزل ونزل بمعنى ، وقد تقدم تحقيق ذلك ، وقيل : التشديد للتكثير ، فإنها نزلت مرات متعددة.

قوله : " بعد " : متعلق بـ " يكفر " ، وبني ؛ لقطعه عن الإضافة ؛ إذ الأصل : بعد الإنزال ، و " منكم " متعلق بمحذوف ؛ لأنه حال من فاعل " يكفر " ، وقوله : " عذابا " فيه وجهان : أظهرهما : أنه اسم مصدر بمعنى التعذيب ، أو مصدر على حذف الزوائد ؛ نحو : " عطاء ونبات " لـ " أعطى " و " أنبت " ، وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين.

والثاني - أجازه أبو البقاء - : أن يكون مفعولا به على السعة ، يعني : جعل الحدث مفعولا به على السعة ؛ مبالغة ، وحينئذ يكون نصبه على التشبيه بالمفعول به ، والمنصوب على التشبيه بالمفعول به عند النحاة ثلاثة أنواع : معمول الصفة المشبهة ، والمصدر ، والظرف المتسع فيهما : أما المصدر ، فكما تقدم ، وأما الظرف ، فنحو : " يوم الجمعة صمته " ، ومنه قوله في ذلك : [الطويل] ٢٠٩٩ - ويوم شهدناه سليما وعامرا

قليل سوى الطعن النهال نوافله

٦١٣

قال الزمخشري : " ولو أريد بالعذاب ما يعذب به ، لكان لا بد من الباء " قال شهاب الدين : إنما قال ذلك ؛ لأن إطلاق العذاب على ما يعذب به كثير ، فخاف أن يتوهم ذلك ، وليس لقائل أن يقول : كان الأصل : بعذاب ، ثم حذف الحرف ؛ فانتصب المجرور به ؛ لأن ذلك لم يطرد إلا مع " أن " و " أن " بشرط أمن اللبس.

قوله : " لا أعذبه " الهاء فيها ثلاثة أوجه : أظهرها : أنها عائدة على " عذاب " الذي تقدم أنه بمعنى التعذيب ، والتقدير : فإني أعذبه تعذيبا لا أعذب مثل ذلك التعذيب أحدا ، والجملة في محل نصب صفة لـ " عذابا " ، وهذا وجه سالم من تكلف ستراه في غيره ، ولما ذكر أبو البقاء هذا لوجه - أعني عودها على " عذابا " المتقدم - قال : " وفيه على هذا وجهان : أحدهما : على حذف حرف الجر ، أي : لا أعذب به أحدا ، والثاني : أنه مفعول به على السعة ".

قال شهاب الدين : أما قوله " حذف الحرف " ، فقد عرفت أنه لا يجوز إلا فيما استثني.

الثاني - من أوجه الهاء - : أنها تعود على " من " المتقدمة في قوله : " فمن يكفر " ، والمعنى : لا

أعذب مثل عذاب الكافر أحدا ، ولا بد من تقدير هذين المضافين ؛ ليصح المعنى ، قال أبو البقاء في هذا الوجه : " وفي الكلام حذف أي : لا أعذب الكافر ، أي : مثل الكافر ، أي : مثل عذاب الكافر ".
الثالث : أنها ضمير المصدر المؤكد ؛ نحو : " ظننته زيدا قائما " ، ولما ذكر أبو البقاء هذا الوجه ، اعترض على نفسه ، فقال : " فإن قلت : " لا أعذبه " صفة لـ " عذاب " ، وعلى هذا التقدير لا يعود من الصفة على الموصوف شيء ، قيل : إن الثاني رما كان واقعا موقع المصدر والمصدر جنس ، و " عذابا " نكرة ، كان الأول داخلا في الثاني ، والثاني مشتمل على الأول ، وهو مثل : زيد نعم الرجل ".
انتهى ، فجعل الرابط العموم ، وهذا الذي ذكره من أن الربط بالعموم ، إنما ذكره النحويون في الجملة الواقعة خبرا لمبتدأ ، ولذلك نظره أبو البقاء بـ " زيد نعم الرجل " ، وهذا لا ينبغي أن يقاس عليه ؛ لأن الربط يحصل في الخبر بأشياء لا تجوز في الجملة الواقعة صفة ، وهذا منها ، ثم هذا الاعتراض الذي ذكره وارد عليه في الوجه الثاني ؛ فإن الجملة صفة لـ " عذابا " ، وليس فيها ضمير ، فإن قيل : ليست هناك بصفة ، قيل : يفسد المعنى بتقدير الاستئناف ، وعلى تقدير صحته ، فلتكن هنا أيضا مستأنفة ، و " أحدا " منصوب على المفعول الصريح ، و " من العالمين " صفة لـ " أحدا " فيتعلق بمحذوف.
٦١٤
." (١)

"وهذا من تمام القصة الأولى بين تعالى أنه أخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعوا ثم بين في هذه الآية أنهم لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، ونقلناهم من البأساء والضراء إلى الراحة والرخاء ، وأنواع الآلاء والنعماء والمقصود أنه – تعالى – عاملهم بتسليط المكاره والشدائد تارة ، فلم ينتفعوا به ، فنقلهم من تلك الحالة إلى ضدها ، وهو فتح أبواب الخيرات عليهم ، فلم ينتفعوا به أيضا ، وهذا كما يفعله الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه.
١٤٩
قوله : " فتحنا " : قرأ الجمهور " فتحنا " مخففا ، وابن عامر " فتحنا " مثقلا ، والتقيل مؤذن بالتكثير ؛ لأن بعده " أبواب " فناسب التكثير والتخفيف هو الأصل.
وقرا ابن عامر أيضا في " الأعراف " ﴿لفتحنا﴾ [الأعراف : ٩٦] وفي " القمر " ﴿ففتحنآ﴾ [القمر : ١١] بالتشديد أيضا ، وشدد أيضا ﴿فتحت يأجوج﴾ [الأنبياء : ٩٦] والخلاف أيضا في ﴿فتحت أبوابها﴾

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٩٦٥

في " الزمر " في الموضعين [آية ٧١ ، ٧٣] ، ﴿وفتحت السمآء﴾ في النبأ [آية ١٩] فإن الجماعة وافقوا ابن عامر على تشديدها ، ولم يقرأها بالتخفيف إلا الكوفيون ، فقد جرى ابن عامر على نمط واحد في هذا الفعل ، والباقون شددوا في المواضع الثلاثة المشار إليها ، وخففوا في الباقي جمعا بين اللغتين.

قوله : " فإذا مبلسون " " إذا " هي الفجائية ، وفيها ثلاثة مذاهب : مذهب سيبويه أنها ظرف مكان ، ومذهب جماعة منهم الرياشي أنها ظرف زمان ، ومذهب الكوفيين أنها حرف ، فعلى تقدير كونها ظرفا زمانا أو م كانا النصاب لها خبر المبتدأ ، أي : أبلسوا في مكان إقامتهم أو في زمانها.

والإبلاس : الإطراق.

وقيل : هو الحزن المعترض من شدة البأس ، ومنه أشتق " إبليس " وقد تقدم في موضعه ، وأنه هل هو أعجمي أم لا ؟ قال القرطبي : المبلس الباهت الحزين الآيس من الخير الذي لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال.

قال العجاج : [الرجز] ٢١٧٥ - يا صاح هل تعرف رسما مكرسا

قال : نعم أعرفه وأبلسا

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٤٩

أي : تحير لهول ما رأى ، ومن ذلك اشتق اسم إبليس ، وأبلس الرجل سكت ،

١٥٠

وأبلست الناقة وهي مبلاس إذا لم ترع من شدة الضبعة يقال : ضبعت الناقة تضبع ضبعة وضبعا إذا أرادت الفحل.

فصل في معنى الآية المعنى : فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير ، أي : لما قست قلوبهم ولم يتفطنوا ونسوا ما ذكروا به من الوعظ فتحنا عليهم أبواب الخير مكان البلاء والشدة حتى إذا فرحوا بما أوتوا ، **وهذا فرح بطر** **مثل فرح قارون** بما أصاب من الدنيا.

قال الحسن : في هذه الآية مكر بالقوم ورب الكعبة.

وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا رأيت الله يعطي العاصي ، فإن ذلك استدراج من الله " ثم قرأ هذه الآية.

ثم قال " أخذناهم بغتة " : فجاءة أين ما كانوا.

قال أهل المعاني : وإنما أخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية ، " فإذا هم مبلسون " آيسون من كل خير.

قال الفراء : المبلس الذي انقطع رجاؤهن ولذلك قيل للذي سكت عند انقطاع حجته : قد أبلس.

وقال الزجاج : المبلس الشديد الحسرة الحزين.

قوله : " فقطع دابر " الجمهور على " فقطع " مبنيا للمفعول " دابر " مرفوع به.

وقرأ عكرمة : " قطع " مبنيا للفاعل ، وهو الله تعالى ، " دابر " مفعول به ، وفيه التفات ، إذ هو خورج من تكلم في قوله : " أخذناهم " إلى غيبة.

و " الدابر " التابع من خلف ، يقال : دبر الولد والده ، ودبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا.

وقيل : الدابر الأصل ، يقال : قطع الله دابره ، أي : أصله قاله الأصمعي ، وقال أبو عبيد " " دابر القوم آخرهم " ، وأنشدوا لأمية بن أبي الصلت : [البسيط] ٢١٧٦ - فاستؤصلوا بعذاب حص دابرهم

فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

١٥١

." (١)

"وقوله : [الرجز] ٢٥٨٤ -كن لي لا علي يا ابن عما

ندم عزيزين ونكف الذما

فصل إنما قال : " ابن أم " وكان هارون أخاه لأبيه ليرقق ويستعطفه.

وقيل : كان أخاه لأمه دون أبيه ، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين ، وأحب إلى بني إسرائيل من موسى ؛ لأنه كان لين الغضب.

قوله : ﴿إن القوم استضعفوني﴾ أي لم يلتفتوا إلى كلامي ، يعني : عبدة العجل ﴿وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعدآء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ أي : شريكا لهم في عقوبتك على فعلهم.

قوله : ﴿فلا تشمت﴾ العامة على ضم التاء ، وسكر الميم ، وهو من " أشمت " رباعيا ، الأعداء مفعول به.

وقرأ ابن محيصن " فلا تشمت " بفتح التاء وكسر الميم ، ومجاهد : بفتح التاء أيضا وفتح الميم ، " الأعداء " نصب على المفعول به ، وفي هاتين القراءتين تخريجان : أظهرهما : أن " شمت ، أو شمت " بكسر الميم أو فتحها متعد بنفسه ك : أشمت الرباعي.

يقال : شمت بي زيد العدو ؛ كما يقال : أشمت بي العدو.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٥٣

والثاني : أن تشمت مسند لضمير الباري تعالى أي : فلا تشمت يا رب ، وجاز هذا كما جاز : ﴿الله يستهزىء بهم﴾ [البقرة : ١٥] ثم أضمر ناصبا للأعداء ، كقراءة الجماعة ، قاله ابن جني.

ولا حاجة إلى هذا التكلف ؛ لأن " شمت " الثلاثي يكون متعديا بنفسه ، والإضمار على خلاف الأصل.

وقال أبو البقاء - في هذا التخريج - : " فلا تشمت أنت " فجعل الفاعل ضمير

٣٢٦

" موسى " ، وهو أولى من إسناده إلى ضمير الله تعالى ، وأما تنظيره بقوله ﴿الله يستهزىء بهم﴾ فإنما جاز ذلك للمقابلة في قوله : ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ [البقرة : ١٤] ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران : ٥٤] ولا يجوز ذلك في غير المقابلة.

وقرأ حميد بن قيس " فلا تشمت " كقراءة ابن محيصن ، ومجاهد كقراءته فيه أولا ، إلا أنهما رفعا " الأعداء " على الفاعلية ، جعلا " شمت لازما فرفعا به " الأعداء " على الفاعلية ، فالنهي في اللفظ للمخاطب والمراد به غيره كقولهم : لا أرينك ههنا ، أي : لا يكن منك ما يقتضي أن تشمت بي الأعداء.

والإشمات والشماته : الفرح ببلية تنال عدوك ؛ قال : [الكامل] ٢٥٨٥ - ....

والموت دون شماتة الأعداء

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٨

فصل قيل : واشتقاقها من شوامت الدابة ، وهي قوائمها ؛ لأن الشماتة تقلب قلب الحاسد في حالتي الفرح والترح كتقلب شوامت الدابة.

وتشميت العاطس وتسميته ، بالشين و السين الدعاء له بالخير.

قال أبو عبيد : الشين أعلى اللغتين.

وقال ثعلب : الأصل فيها السين من السمت ، وهو القصد والهدي.

وقيل : معنى تشميت العاطس [بالمعجمة] أن يثبته الله كما يثبت قوائم الدابة.

وقيل : بل التفعيل للسلب ، أي : أزال الله الشماتة به وبالسين المهملة ، أي : رده الله إلى سمته الأولى ، أي : هيئته ، لأنه يحصل له انزعاج.

وقال أبو بكر : " يقال : شمته وشمت عليه " وفي الحديث : وشمت عليهما.

فصل ولما تبين لموسى عذر أخيه قال : ﴿رب اغفر لي ما صنعت﴾ أي : ما أقدمت عليه من الغضب ، " ولأخي " إن كان منه في الإنكار على عبدة العجل ﴿وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٨

قوله تعالى : ﴿الذين اتخذوا العجل﴾ الآية.

المفعول الثاني من مفعولي - الاتخاذ -

٣٢٧." (١)

"وإنما خص الذهب والفضة بالذكر من بين سائر الأموال ؛ لأنهما الأصل المعتبر في الأموال ، وهما اللذان يقصدان بالكنز ، ثم قال : ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي : فأخبرهم على سبيل التهكم لأن الذين يكنزون الذهب والفضة ، إنما يكنزوهما ، ليتوسلوا بهما إلى تحصيل الفرج يوم الحاجة فقيل : هذا يوم الفرج ، كما يقال : تحيتهم ليس إلا الضرب ، وإكرامهم ليس إلا الشتم وأيضا : فالبشارة : عبارة عن الخير الذي يؤثر في القلب ؛ فيتغير بسببه لون بشرة الوجه وهذا يتناول ما إذا تغيرت البشرة **بسبب الفرح أو** بالغم.

قوله : " يوم يحمى " منصوب بقوله : " بعذاب أليم ".

وقيل : بمحذوف يدل عليه " عذاب " أي : يعذبون يوم يحمى ، وقيل : هو منصوب بـ " أليم ".

وقيل : الأصل : عذاب يوم ، و " عذاب " بدل من " عذاب " الأول ، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه.

وقيل : منصوب بقول مضمر ، وسيأتي بيانه.

و " يحمى " يجوز أن يكون من " حمتي أو أحميت ثلاثيا ورباعيا ، يقال : حميت الحديدة ، وأحميتها ، أي : أوقدت عليها ، لتحمى ، والفاعل المحذوف هو " النار " تقديره : يوم تحمى النار عليها ، فلما حذف الفاعل ، ذهب علامة التأنيث ، لذهابه كقولك : رفعت القضية إلى الأمير ، ثم تقول : رفع إلى الأمير.

وقيل : لأن تأنيث " النار " مجازي ، والفعل غير مسند في الظاهر إليه ، بل إلى قوله " عليها " فلهذا حسن التذكير والتأنيث.

وقيل : المعنى : يحمى الوقود.

وقرأ الحسن " تحمى " بالتاء من فوق ، أي : النار ، وهي تؤيد التأويل الأول.

وقرأ أبو حيوة " يكوى " بالياء من تحت ؛ لأن تأنيث الفاعل مجازي.

وقرأ الجمهور : " جباههم " بالإظهار وقرأ أبو عمرو في بعض طرقه بالإدغام ، كما أدغم ﴿سلككم﴾

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٤٤٤

[المدثر : ٤٢] ، و ﴿مناسككم﴾ [البقرة : ٢٠٠] ، ومثل " جباههم " ، ﴿وجوههم﴾ [آل عمران : ١٠٦] ، والمشهور الإظهار.

قوله : ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ أي : جزاء ما كنتم ؛ لأن المكنوز لا يذاق و " ما " يجوز أن تكون بمعنى " الذي " ، فالعائد محذوف ، وأن تكون مصدرية.

وقرىء " تكنزون " بضم عين المضارع ، وهما لغتان ، يقال : كنز يكنز ، ويكنز ، ك : يقتل.

٨٠

فصل أصل الكنز في كلام العرب : الجمع ، وكل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز.

واختلف علماء الصحابة في المراد بهذا الكنز المذموم ، فقال الأكثرون : هو المال الذي لم تؤد زكاته ، قال عمر بن الخطاب : " ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كن تحت سبع أرضين ، وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان فوق الأرضين ".

وقال ابن عباس في قوله : ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ يريد : الذين لا يؤدون زكاة أموالهم.

وروى أبو هرية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ".

قال القاضي " تخصيص هذا المعنى بمنع الزكاة لا سبيل إليه ، بل الواجب أن يقال : الكنز : هو المال الذي ما أخرج عنه ما وجب إخراجه ، ولا فرق بين الزكاة وبين ما يجب من الكفارات ، وبين ما يلزم من نفقة الحج أو الجمعة ، وبين ما يجب إخراجه في الديون والحقوق ، والإنفاق على الأهل والعيال ، وضمان المتلفات ، وأروش الجنايات ؛ فيجب دخول كل هذه الأقسام في هذا الوعيد ".

وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال : كل مال زاد على أربعة آلاف درهم ؛ فهو كنز ، أديت منه الزكاة أو لم تؤد ، وما دونها نفقة.

وروي عن أبي ذر أنه كان يقول : " من ترك بيضاء أو حمراء كوي بها يوم القيامة " وقيل : ما فضل عن الحاجة كنز ، لما روى أبو أمامة قال : " مات رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كية ، ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كيتان " والقول الأول أصح ، لقوله عليه الصلاة والسلام : " نعم المال الصالح للرجل الصالح " وقوله عليه

٨١

". (١)

"الصلاة والسلام : " ما أدي زكاته فليس بكنز " وروى مجاهد عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية كبر ذلك على المسلمين ، وقالوا : ما يستطيع أحد منا أن يدع لولده شيئا ، فذكر ذلك عمر للرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم " وسئل ابن عمر عن هذه الآية فقال : كان هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طهرا للأموال.

وقال ابن عمر : " ما أبالي لو أن لي مثل أحد ذهبا أعلم عدده أزكيه ، وأعمل بطاعة الله عز وجل ".

وكان في زمان الرسول - عليه الصلاة والسلام - جماعة مياسير كعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه الصلاة والسلام يعدهم من أكابر المؤمنين ، وندب عليه الصلاة والسلام إلى إخراج الثلث أو أقل في المرض ، ولو كان جمع المال محرما لكان عليه الصلاة والسلام يأمر المريض بالتصدق بكله ، بل كان يأمر الصحيح في حال صحته بذلك ، وقال عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص : " إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ".

فصل اختلفوا في وجوب الزكاة في الحلي ، فقال مالك وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد : لا زكاة فيه.

وهو قول الشافعي بالعراق ، ووقف فيه بعد ذلك بمصر ، وقال الثوري وأبو حنيفة والأوزاعي : فيه الزكاة.

فإن قيل : من لم يكنز ولم ينفق في سبيل الله وأنفق في المعاصي ، هل يكون حكمه في الوعيد حكم من كنز ولم ينفق في سبيل الله.

قيل : إن ذلك أشد ، فإن من بذل ماله في المعاصي ، عصى من جهتين : بالإنفاق والتناول ، ك : شراء الخمر وشربها.

بل من

٨٢

جهات إذا كانت المعصية مما تتعدى كمن أعان على ظلم مسلم من قتله أو أخذ ماله.

فإن قيل : لم خصت هذه الأعضاء ؟ فالجواب من وجوه : أحدها : أن المقصود من كسب الأموال ، حصول فرح القلب ، فيظهر أثره في الوجه ، وحصول الشبع ينفتح بسببه الجنبان ، وليس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم ، فلما طلبوا تزيين هذه الأعضاء الثلاثة ، حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦١٢

وثانيها : أن هذه الاعضاء مجوفة وفي داخلها آلات ضعيفة يعظم تألمها بسبب وصول أدنى أثر غليها ، بخلاف سائر الأعضاء.

وثالثها : قال أبو بكر الوراق : خصت هذه المواضع بالذكر ؛ لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وإذا جلس الفقير بجنبه تباعد عنه وولى ظهره.

ورابعها : أنهم يكوون على الجهات الأربع ، أما من مقدمه فعلى الجبهة ، وأما من خلفه فعلى الظهر ، وأما من يمينه ويساره فعلى الجنبين.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٧٧

قوله تعالى : ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ الآية.

" العدة " مصدر بمعنى " العدد ".

و " عند الله " منصوب به ، أي : في حكمه.

و " اثنا عشر " خبر " إن " ، وقرأ ميسرة عن حفص ، وهي قراءة أبي جعفر " اثنا عشر " بسكون العين مع ثبوت الألف قبلها ، واستكرهت من حيث الجمع بين ساكنين على غير حديهما ، كقولهم : " التقت حلقتا البطان " بإثبات الألف من " حلقتا ".

وقرأ طلحة بسكون الشين كأنه حمل " عشر " في المذكر على " عشرة " في المؤنث ، و " شهرا " نصب على التمييز ، وهو مؤكد ؛ لأنه قد فهم ذلك من الأول ، فهو كقولك : عندي من الدنانير عشرون دينارا.

والجمع متغاير في قوله " عدة الشهور " وفي قوله تعالى : ﴿الحج أشهر﴾ [البقرة : ١٩٧] ؛ لأن هذا جمع كثرة ، وذاك جمع قلة.

٨٣

." (١)

"أراد : " يعلمن " فأبدل الخفيفة ألفا بعد فتحة ، كالتنوين.

وقرأ القاضي أيضا ، وطلحة " هل يصيبنا " بتشديد الياء.

قال الزمخشري : ووجهه أن يكون " يفيعل " لا " يفعل " لأنه من ذوات الواو ، كقولهم : الصواب ، وصاب يصوب ، ومصاوب ، في جمع " مصيبة " فحق " يفعل " منه " يصوب " ، ألا ترى إلى قولهم : صوب رأيه ، إلا أن يكون لغة من يقول : صاب السهم يصيب ؛ كقوله : [المنسرح] ٢٧٩٣ -

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦١٣

....

أسهمي الصائبات والصيب

يعني : أن أصله " يصويب " فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغم فيها.

وهذا كما تقدم في " تحيز " أن أصله " تحيوز " ، وأما إذا أخذناه من لغة من يقول : صاب السهم يصيب ، فهو من ذوات الياء فوزنه على هذه اللغة " فعلط.

فصل المعنى : قل لهم يا محمد ﴿لن يصيبنآ إلا ما كتب الله لنا﴾ أي : علينا ، وقدره في اللوح المحفوظ ، أو يكون المعنى " لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " أي : في عاقبة أمرنا من

١١٢

الظفر بالعدو ، والاستيلاء عليهم.

وقال الزجاج : المعنى : إذا صرنا مغلوبين ، صرنا مستحقين للأجر العظيم ، والثواب الكثير ، وإن صرنا غالبين ، صرنا مستحقين للثواب في الآخرة وفزنا بالمال الكثير ، والثناء الجميل في الدنيا والصحيح الأول.

ثم قال : " هو مولانا " ناصرنا ، وحافظنا.

قال الكلبي " هو أولى بنا من أنفسنا ، في الحياة والموت ".

﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وهذا كالتنبيه على أن حال المنافقين بالضد من ذلك ، وأنهم لا يتوكلون إلا على الأسباب الدنيوية الفانية.

فصل ﴿قل هل تربصون بنآ إلا إحدى الحسنيين﴾ الآية.

هذا الجواب الثاني **عن فرح المنافقين** بمصائب المؤمنين ، أي : " هل تربصون " ، أي : تنتظرون ، " بنا " أيها المنافقون ، ﴿إلا إحدى الحسنيين﴾ إما النصر والغنيمة ، فيحصل لنا الفوز بالأموال في الدنيا والنصر ، والفوز بالثواب العظيم في الآخرة ، وإما الشهادة ، فيحصل لنا الثواب العظيم في الآخرة.

قوله : ﴿إلا إحدى الحسنيين﴾ مفعول " تربص " ، فهو استثناء مفرغ.

وقرأ ابن محيصن : " إلا احدى " بوصل ألف " إحدى " ؛ إجراء لهمزة القطع مجرى همزة الوصل ؛ فهو كقول الشاعر : [الرجز]

٢٧٩٤ - إن لم أقاتل فالبسوني برقعا

وقول الآخر : [الكامل] ٢٧٩٥ - يا با المغيرة رب أمر معضل

فرجته بالمكر مني والدها

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١١٠

قوله : ﴿ونحن نتربص بكم﴾ إحدى السوأتين إما ﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عندہ﴾ فيهلككم كما أهلك تلك الأمم الخالية ، ﴿أو بأيدينا﴾ أي : بأيدي المؤمنين ، إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق ، فيقع بكم القتل والنهب مع الخزي والذل ، ومفعول : التربص " أن يصيبكم " ثم قال : " فتربصوا اا " أي : إحدى الحالتين الشريفتين ﴿إنا معكم متربصون﴾ أي : مواعيد الله من إظهار دينه ، واستئصال من خالفه ، فقوله : " فتربصوا اا " وإن كان صيغة أمر ، إلا أن المراد منه : التهديد ، كقوله : ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان : ٤٩].

قوله تعالى : ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها﴾ الآية.

" طوعا ، أو كرها " مصدران في موضع الحال ، أي : طائعين ، أو كارهين.

وقرأ

١١٣

الأخوان "كرها " بالضم ، وقد تقدم تحقيق ذلك في النساء.

وقال أبو حيان هنا : " قرأ الأعمش وابن وثاب "كرها " بضم الكاف ".

وهذا يوهم أنها لم تقرأ في السبعة.

قال الزمخشري : هو أمر في معنى الخبر ، كقوله : ﴿فليمدد له الرحمان مدا﴾ [مريم : ٥٧] ، ومعناه لن يتقبل منكم ؛ أنفقتم طوعا أو كرها ، ونحوه قوله تعالى : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ [التوبة : ٨٠] ؛ وقول كثير عزة : [الطويل] ٢٧٩٦ - أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة

....

أي : لن يغفر الله ، استغفرت لهم ، أو لم تستغفر.

ولا نلومك أحسنت إلينا ، أم أسأت ؛ وفي معناه قول القائل : [الطويل] ٢٧٩٧ - أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا

لتضربه لم يستغشك في الود

." (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٣٠

"وجاء أبو عقيل الأنصاري واسمه الحبحاب ، بصاع من تمر ، وقال : يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير حتى نلت صاعين من تمر ؛ فأمسكت أحدهما لعيالي ، وجئت بالآخر ؛ فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات ؛ فلمزهم المنافقون ، وقالوا : ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ، وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يزكي نفسه ليعطى من الصدقات ؛ فأنزل الله تعالى : " الذين يلمزون " أي : يعيبون المطوعين المتبرعين من المؤمنين في الصدقات ، يعني : عبد الرحمن بن عوف وعاصما ، ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ أي : طاقتهم.

والجهد : شيء قليل يعيش به المقل ، والجهد بالفتح ، والجهد بالضم بمعنى واحد يعني : أبا عقيل : " فيسخرون منهم " يستهزئون منهم ، ﴿سخر الله منهم﴾ أي : جازاهم على السخرية ، وقال الأصم : المراد أنه تعالى قبل من هؤلاء المنافقين ما أظهروه من أعمال البر مع أنه لا يثيبهم عليها ؛ فكان ذلك كالسخرية ، ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

قوله تعالى : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ الآية.

قال ابن عباس : إن عند نزول الآية في المنافقين ، قالوا : يا رسول الله ، استغفر لنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سأستغفر لكم " ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ قد تقدم الكلام على هذا عند قوله : ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم﴾ [التوبة : ٥٣] ؛ وأنه نظير قوله :

[الطويل] ٢٨١٨ - أسيئي بنا أو أحسني لا مسيئة

لدينا ولا مقلية إن تقلت

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٤٥

قوله تعالى : ﴿فرح المخلفون بمقعدهم﴾ الآية.

" بمقعدهم " متعلق بـ " فرح " ، وهو يصلح لمصدر " قعد " ، وزمانه ومكانه.

قال الجوهري " قعد قعودا ومقعدا " ، جلس ، وأقعده غيره " والمخلف : المتروك ، أي : خلفهم الله وثبطهم ، أو خلفهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - والمؤمنون ، لما علموا تثاقلهم عن الجهاد والمراد بـ " المقعد " ههنا المصدر ، أي ؛ بقعودهم وإقامتهم بالمدينة.

وقال ابن عباس : يريد : المدينة ؛ فعلى هذا هو اسم مكان.

فإن قيل : إنهم احتالوا حتى تخلفوا عن رسول الله ؛ فكان الأولى أن يقال : **فرح المتخلفون** فالجواب من وجوه : أحدها : أن الرسول عليه الصلاة والسلام منع أقواما من الخروج معه لعلمه أنهم يفسدون

ويشوشون ، وكان هذا في غزوة تبوك ؛ فهؤلاء كانوا مخلفين لا متخلفين.

وثانيها : أن أولئك المتخلفين صاروا مخلفين في قوله بعد هذه الآية : ﴿فإن رجعك الله إلى طآئفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا﴾ [التوبة : ٨٣] ، فلما منعهم الله من الخروج صاروا مخلفين.

وثالثها : أن من يتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خروجه إلى الجهاد ، يوصف بأنه مخلف من حيث إنه لم ينهض ، وبقي وأقام.

قوله : ﴿خلاف رسول الله﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر مدلول عليه بقوله " مقعدهم " ؛ لأنه في معنى تخلفوا ، أي : تخلفوا خلاف رسول الله.

الثاني : أن " خلاف " مفعول من أجله ، والعامل فيه إما " فرح " ، وإما " مقعد " أي : فرحوا ؛ لأجل مخالفتهم رسول الله ، حيث مضى هو للجهاد ، وتخلفوا هم عنه ، أو بقعودهم لمخالفتهم له ، وإليه ذهب الطبري ، والزجاج ، ومؤرج ، وقطرب ، ويؤيد ذلك قراءة من قرأ " خلف " بضم الخاء وسكون اللام.

والثالث : أن ينتصب على الظرف ، أي : بعد رسول الله ، يقال : أقام زيد خلاف القوم ، أي : تخلف بعد ذهابهم.

١٥٨

قال الأخفش وأبو عبيدة : إن " خلاف " بمعنى : " خلف " ، وأن يونس رواه عن عيسى بن عمر ومعناه : بعد رسول الله.

ويؤيده قراءة ابن عباس ، وأبو حيوة ، وعمرو بن ميمون " خلف " بفتح الخاء وسكون اللام.

وعلى هذا القول ، الخلاف : اسم للجهة المعينة كالخلف ، وذلك أن المتوجه إلى قدامه فجهة خلفه مخالفة لجهة قدامه في كونها جهة متوجها إليها ، و " خلاف " بمعنى " خلف " مستعمل ، وأنشد أبو عبيدة للأحوص : [الكامل] ٢٨١٩ - عقب الربيع خلافهم فكأنما

بسط الشواطب بينهن حصيرا

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٥٨

وقول الآخر : [الطويل] ٢٨٢٠ - فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى

تأهب لأخرى مثلها فكأن قد

(١) ".

"قوله تعالى : ﴿وكرهوا اا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ أي : إنهم فرحوا بسبب التخلف ، وكرهوا الذهاب إلى الغزو.

واعلم أن الفرح بالإقامة يدل على كراهية الذهاب ، إلا أنه أعاده للتأكيد ، أو لعل أن المراد أن طبعه مال إلى الإقامة ؛ لأجل إلفه البلدة ، واستثنائه بأهله وولده ، وكره الخروج إلى الغزو ؛ لأنه تعريض للمال والنفس للقتل ، وأيضا منعهم عن الخروج شدة الحر في وقت خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المراد من قوله : ﴿لا تنفروا في الحر﴾ ، فأجاب الله عن هذا الأخير بقوله : ﴿قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾ أي : يعلمون ، وكذلك في مصحف عبد الله بن مسعود ، أي : بعد هذه الدار ، دار أخرى ، وبعد هذه الحياة حياة أخرى ، وأيضا هذه مشقة منقضية ، وتلك مشقة باقية.

وأنشد الزمخشري لبعضهم : [الطويل] ٢٨٢١ - مسرة أحقاب تلقيت بعدها

مساءة يوم أريها شبه الصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة

وراء تقضيها مساءة أحقاب

قوله تعالى : ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ الآية.

" قليلا " ، و " كثيرا " فيهما وجهان :

١٥٩

أظهرهما : أنهما منصوبان على المصدر ، أي : ضحكا قليلا وبكاء كثيرا ؛ فحذف الموصوف ، وهو أحد المواضع المطرد فيها حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه.

والثاني : أنهما منصوبان على ظرفي الزمان ، أي : زمانا قليلا ، وزمانا كثيرا والأول أولى ؛ لأن الفعل يدل على المصدر بشيئين : بلفظه ومعناه ، بخلاف ظرف الزمان فإنه لا يدل عليه بلفظه ، بل بهيئته الخاصة.

وهذا وإن ورد بصيغة الأمر إلا أن معناه الإخبار بأنه ستحصل هذه الحالة ، لقوله تعالى بعده ﴿جزآء بما كانوا يكسبون﴾.

قوله : " جزاء " فيه وجهان : الأول : قال الزجاج : إنه مفعول لأجله ، أي : سبب الأمر بقلة الضحك ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٥٥

وكثرة البكاء جزاؤهم بعملهم.

و " بما " متعلق بـ " جزاء " ، لتعديته به ويجوزث أن يتعلق بمحذوف ؛ لأنه صفته.

والثاني : أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر ، أي : يجزون جزاء.

﴿جزآء بما كانوا يكسبون﴾ في الدنيا من النفاق.

قوله تعالى : ﴿فإن رجعك الله﴾ الآية.

" رجع " يتعدى كهذه الآية الكريمة ، ومصدره : " الرجع " ، كقوله ﴿والسمآء ذات الرجع﴾ [الطارق : ١١].

ولا يتعدى ، نحو : ﴿وإلينا ترجعون﴾ [الأنبياء : ٣٥] في قراءة من بناه للفاعل.

والمصدر : الرجوع ، كالدخول.

والمعنى : فإن ردك الله من غزوة تبوك إلى المدينة ، ومعنى " الرجع " مصير الشيء إلى المكان الذي كان فيه ، يقال : رجعته رجعا ، كقولك : رددته ردا.

وقوله : ﴿إلى طآئفة منهم﴾ إنما خصص ؛ لأن جميع من أقام بالمدينة ما كانوا منافقين ، بل كان بعضهم مخلصين معذورين ، ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ معك في غزوة أخرى ﴿فقل لن تخرجوا معي أبدا﴾ في سفر ، ﴿ولن تقاتلوا معي عدوا﴾ وهذا يجري مجرى الذم واللعن لهم ، ومجرى إظهار نفاقهم وفضائحهم ؛ لأن ترغيب المسلمين في الجهاد أمر معلوم بالضرورة من دين محمد عليه الصلاة والسلام ، ولما منعوا هؤلاء من الخروج إلى الغزو بعد ذلك الاستئذان ، كان ذلك تصريحا بكونهم خارجين عن الإسلام ، ونظيره قوله تعالى ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم﴾ [الفتح : ١٥] ﴿قل لن تتبعونا﴾ [الفتح : ١٥] ، ثم إنه تعالى علل ذلك المنع بقوله ﴿إنكم رضيتم﴾ أي : لأنكم رضيتم ﴿بالقعود أول مرة﴾ في غزوة تبوك.

قال أبو البقاء : " أول مرة " ظرف.

قال أبو حيان " يعني ظرف زمان وهو بعيد ".

١٦٠

." (١)

"وقال مقاتل : قال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة : " لا تجالسوهم ولا تكلموهم ".

ثم ذكر العلة في وجوب الإعراض عنهم ، فقال : " إنهم رجس " والمعنى : أن خبث بواطنهم رجس

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٥٦

روحاني ، فكما يجب الاحتراز عن الأرجاس الجسمانية ؛ فوجوب الاحتراز عن الأرجاس الروحانية أولى.

وقيل : إن عملهم قبيح.

﴿ومأواهم جهنم﴾ أي : منزلهم.

قال الجوهري : المأوى : كل مكان يأوي إليه شيء ليلا أو نهارا ، وقد أوى فلان إلى منزله يأوي أويا ، على " فعول " ، وإواء ، وأويته إذا أنزلته بك ، فعلت وأفعلت ، بمعنى عن أبي زيد.

ومأوي الإبل - بكسر الواو - لغة في مأوى الإبل خاصة ، وهو شاذ.

قوله : " جزاء...

" يجوز أن ينتصب على المصدر بفعل من لفظه مقدر ، أي : يجزون جزاء ، وأن ينتصب بمضمون الجملة السابقة ؛ لأن كونهم يأوون في جهنم في معنى المجازاة ، ويجوز أن يكون مفعولا من أجله.

قوله تعالى : ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ الآية.

لما بين في الآية الأولى أنهم يحلفون بالله ليعرض المسلمون عن إيذائهم ، بين ههنا أيضا أنهم يحلفون ليرضى المسلمون عنهم ، ثم إنه تعالى نهى المسلمين عن أن يرضوا عنهم ، وذكر العلة في ذلك النهي وهي أن : ﴿الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾.

قوله تعالى : ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا﴾ الآية.

لما ذكر الله تعالى أحوال المنافقين في المدينة ذكر من كان خارجا منها ، ونائبا عنها من الأعراب فقال : كفرهم أشد.

قال قتادة : " لأنهم أبعد عن معرفة السنن " وقيل : لأنهم أقسى قلبا ، وأكذب قولا ، وأغلظ طبعا ، وأبعد عن استماع التنزيل ، ولذا قال تعالى في حقهم : " وأجدر " أي : أخلق.

" ألا يعلموا ".

ولما دل ذلك على نقصهم من المرتبة الكاملة عن سواهم ، ترتب على ذلك أحكام : منها : أنه لا حق لهم في الفيء والغنيمة ، لقوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريدة : "...

ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين " ومنها : إسقاط شهادة أهل البادية عن الحاضرة ، لتحقق التهمة.

وأجازها أبو حنيفة ؛ لأنها لا تراعى كل تهمة والمسلمون كلهم عنده عدول ، وأجازها الشافعي إذا كان عدلا ، وهو الصحيح.

قوله : " الأعراب " صيغة جمع ، وليس جمعا لـ " عرب " قاله سيبويه ، وذلك لئلا يلزم

١٧٨

أن يكون الجمع أخص من الواحد ، فإن العرب هذا الجيل الخاص ، سواء سكن البوادي ، أم سكن القرى.

وأما الأعراب ، فلا يطلق إلا على من كان يسكن البوادي فقط ، وقد تقدم عند قوله تعالى : ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة : ٢] ، أول الفاتحة.

ولهذا الفرق نسب إلى " الأعراب " على لفظه فقيل : أعرابي ويجمع على " أعاريب ".

قال أهل اللغة : " يقال : رجل عربي ، إذا كان نسبه في العرب ، وجمعه العرب ، كما يقال : يهودي ومجوسي ، ثم تحذف ياء النسب في الجمع ، فيقال : اليهود والمجوس ، ورجل أعرابي بالألف إذا كان بدويا ، ويطلب مساقط الغيث والكلأ ، سواء كان من العرب ، أو من مواليهم.

ويجمع الأعرابي على الأعراب ، والأعاريب ، والأعرابي إذا قيل له : يا عربي ، فرح والعربي إذا قيل له : يا أعرابي ، غضب ، فمن استوطن القرى العربية فهم عرب ، ومن نزل البادية فهم أعراب ويدل على الفرق قوله عليه الصلاة والسلام " حب العرب من الإيمان " وأما الأعراب فقد ذمهم الله تعالى في هذه الآية.

وأيضا لا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب ، إنما هم عرب ، وهم متقدمون في مراتب الدين على الأعراب ، قال عليه الصلاة والسلام " لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا أعرابي مهاجرا ".

فصل قال بعض العلماء : الجمع المحلى بالألف واللام الأصل فيه أن ينصرف إلى المعهود السابق فإن لم يوجد المعهود السابق ، حمل على الاستغراق للضرورة ، قالوا : لأن صيغة الجمع تكفي في حصول معناها الثلاثة فما فوقها ، والألف واللام للتعريف ، فإن حصل جمع هو معهود سابق ؛ وجب الانصراف إليه ، وإن لم يوجد حمل على الاستغراق ، دفعا للإجمال.

قالوا : إذا ثبت هذا فقوله : " الأعراب " المراد منه جمع معينون من منافقي الأعراب ، كانوا يوالون منافقي المدينة ، فانصرف هذا اللفظ إليهم.

فصل سمي العرب عربا ، لأن أباهم : يعرب بن قطعان ، فهو أول من نطق بالعربية ، وقيل : سموا عربا ؛ لأن ولد إسماعيل نشئوا بـ " عربة " وهي تهامة ، فنسبوا إلى بلدهم ،

١٧٩

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٦٧

"مصدر سمن يسمن فهو سمين ، فالاسم والمصدر ، جاءا على غير قاس ؛ إذا قياسهما " سمن " بفتح الميم . فهو سمن بسكرها ؛ **نحو فرح فرحا** فهو فرح.

قال الزمخشري : " فإن قلت : هل من فوق بين إيقاع سمان صفة للتمييز : وهو بقرات دون المميز : سبع بقرات سمانا ؟ قلت : إذا أوقعتها صفة لـ " بقرات " ، فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات ، وهو السمان منهم ، لا بجنسهن ، ولو وصفت السبع بها ، لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن.

فإن قلت : هلا قيل : " سبع عجاف " على الإضافة.

قلت : التمييز موضوع الجنس ، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده ، فإن قلت : فقد يقولون : ثلاثة فرسان ، وخمسة أصحاب ، لبيان ؛ قلت : الفارس ، والصاحب ، والراكب ، ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء ؛ فأخذت حكمها ، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها ، ألا تراك ألا تقول : عندي ثلاثة ضخام ولا أربعة غلاظ.

فإن قلت : ذلك مما يشكل ، وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ، ألا ترى أنه لم يقل : وبقرات سبع عجاف ؛ لوقوع العلم بأن المراد البقرات قلت : ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل ، وقد وقع الاستغناء عن قولك : سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف " انتهى.

وهي أسئلة وأجوبة حسنة ، وتحقيق السؤال الأول وجوابه : أنه يلزم من وصف التمييز بشيء وصف المميز به ، ولا يلزم من وصف المميز وصف التمييز بذلك الشيء ؛ بيانه : أنك إذا قلت : " عندي أربعة رجال حسان " بالجر ، كان معناه : أربعة من الرجال الحسان ؛ فيلزم حسن الإربعة ؛ لأنهم بعض الرجال الحسان ، وإذا قلت : عندي أربعة رجال حسان برفع حسان كان معناه : أربعة من الرجال حسان ، وليس فيه دلالة على وصف الرجال بالحسن.

وتحقيق الثاني وجوابه : أن أسماء العدد لا تضاف إلى الأوصاف إلا في ضرورة وإنما يجاء بها تابعة لأسماء [العدد] ؛ فيقال : عندي ثلاثة قرشيون ، ولا يقال ثلاثة قرشيين بالإضافة إلا في شعر ، ثم أعترض بثلاثة فرسان ، وأجاب بجريان ذلك مجرى الأسماء.

وتحقيق الثالث : أنه إنما امتنع " ثلاثة ضخام " ونحوه ؛ لأنه لا يعلم موصوفه ، بخلاف الآية الكريمة ، فإن الموصوف معلوم ، ولذلك لم يصرح به.

١١٣

وأجاب عن ذلك : بأن الأصل عدم إضافة العدد إلى الصفة كما تقدم ، فلا يترك هذا الأصل مع الاستغناء عنه بالفرع.

وبالجملة : ففي هذه العبارة قلق ، هذا ملخصها.

ولم يذكر أبو حيان نصه ولا اعترض عليه ، بل لخص بعض معانيه ، وتركه على إشكاله.

فصل في اشتقاق " عجاف " جمع عجفاء : عجاف والقياس : عجف ؛ نحو : حمراء ، وحمر ؛ حملا له على سمان ؛ لأنه نقيضه ، ومن دأبهم حمل النظير على النظير ، والنقيض على النقيض ، قاله الزمخشري ، والعجف : شدة الهزال الذي ليس بعده هزال ؛ قال : [الكامل] ٣١٠٦.عمرو الذي هشم الشريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

جزء : ١١ رقم الصفحة : ١١٢

قال الليث : العجف : ذهاب السمن ، والفعل : عجف يعجف ، والذكر : أعجف ، والأنثى : عجفاء ، والجمع عجاف في الذكران والإناث.

وليس في كلام العرب : أفعل ، وفعلاء ، وجمعها على : فعال غير أعجف ، وعجاف ، هي شاذة حملوها على لفظ سمان ، وعجاف ؛ لأنهما نقيضان ، ومن عادتهم حمل النظير على النظير ، والنقيض على النقيض.

وقال الراغب : هو من قولهم : نصل أعجف ، أي : رقيق.

وعجفت نفسي عن الطعام وعن فلان : إذا نبت عنهما ، وأعجف الرجل أي : صارت [إيله] عجافا.

" وأخر يابسات " ، قوله : " وأخر " نسق على قوله " سبع " لا على " سنبلات " ويكون قد حذف اسم العدد ، من قوله : " وأخر يابسات " والتقدير : سبعا أخر ، وإنما حذف ؛ لأن التقسيم في البقرات نقيض التقسيم في السنبلات.

قال الزمخشري : " فإن قلت : هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت كالخضر ؟ قلت : الكلام منبي على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف ، والسنبلات الخضر ، فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ، ويكون قوله : " وأخر يابسات " بمعنى : وسبعا أخر " انتهى.

وإنما لم يجز عطف أخر على التمييز ، وهو " سنبلات " ، فيكون أخر مجرورا لا

". (١)

"عنها ، وأما واقعة يوسف صلوات الله وسلامه عليه فهو عليه السلام كان يعلم كذبهم في السبب الذي ذكروه ، وأما السبب الحقيقي ، فلم يعلمه.

وأيضا : أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يعلم حياة هؤلاء ، وأما يوسف فما كان يعلم أنه حي ، أو ميت ، فلهذه الأسباب عظم حزنه على مفارقته.

قوله : ﴿يا أسفا﴾ الألف منقلبة عن ياء المتكلم ، وإنما قلبت ألفا ؛ لأن الصوت معها أتم ، ونداؤه على سبيل المجاز ، كأنه قال : هذا أوانك فاحضر ، نحو : " يا حسرتا ".

وقيل هذه ألف الندبة ، وحذفت هاء السكت وصلا.

قال الزمخشري : والتجانس بين لفظتي الأسف ، ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ، ويبدع ، ونحوه : ﴿اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم﴾ [التوبة : ٣٨] ﴿ينهون عنه وينأون عنه﴾ [الأنعام : ٢٦] ﴿يحسبون أنهم يحسنون﴾ [الكهف : ١٠] ﴿من سبإ بنبإ﴾ [النمل : ٢٢].

قال شهاب الدين : ويسمى هذا النوع تجنيس التصريف ، وهو أن تشترك الكلمتان في لفظ ، ويفرق بينهما بحرف ليس في الأخرى ، وقد تقدم [الأنعام : ٢٦].

وقرأ ابن عباس ، مجاهد " من الحزن " بفتحتين ، وقتادة بضمتين والعامة بضمة فسكون.

فالحزن ، والحزن ، كالعدم ، والعدم ، والبخل والبخل ، وأما الضمتان فالثانية إتباع.

وقال الواحدي : اختلفوا في الحزن ، الحزن ، فقال قوم : الحزن : البكاء والحزن ضد الفرح ، وقال قوم : هما لغتان ، يقال : أصابه حزن شديد وحزن شديد ، إذا كان في مواضع النصب ، فتحوا الحاء ، والزاي كقوله : ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا﴾ [التوبة : ٩٢] ، وإذا كان في موضع الرفع ، والخفض فبضم الحاء ، كقوله : ﴿من الحزن﴾ وقوله : ﴿إنمآ أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ قال : هما في موضع رفع بالابتداء.

و " كضيم " يجوز أن يكون مبالغة بمعنى فاعل ، وأن يكون بمعنى مفعول ، كقوله : ﴿وهو مكظوم﴾ [القلم : ٤٨] وبه فسره الزمخشري ، فإن كان بمعنى الكاظم فهو الممسكل على حزنه فلا يظهره ، وإن كان بمعنى المكظوم ، فقال ابن قتيبةك " معناه المملوء من الهم ، والحزن مع سد طريق نفسه المصدور ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٩٧٨

من كظم السقاء ، إذا اشتد على ملئه ، ويجوز أن يكون بمعنى مملوء من الغيظ على أولاده ".

فصل تقدم الكلام على الأسف ، وأما قوله : ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ فقيل : إنه لما قال :

١٨٩

﴿يا أسفا على يوسف﴾ غلبه البكاء ، وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين ، فتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء ، فقوله : ﴿وابيضت عيناه﴾ كناية عن غلبة البكاء.

رواه الواحدي عن ابن عباس.

وقال مقاتل : كناية عن العمى ، فلم يبصر بهما شيئا حتى كشفه الله ـ تعالى ـ بقميص يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله : ﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ [يوسف : ٩٣] ، وقال : ﴿فلمآ أن جآء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا﴾ [يوسف : ٩٦] : ولأن الحزن الدائم ، يوجب البكاء الدائم وهو يوجب العمح لأنه يوجب كدورة على سواد العين.

وقيل : ما عمي ، ولكنه صار بحيث يدرك إدراكا ضعيفا ؛ كما قال : [الطويل] ٣١٣٤. خليلي إني قد غشيت من البكا

فهل عند غيري مقلة استعيرها

جزء : ١١ رقم الصفحة : ١٨٧

قيل : ما صحت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ، وتلك المدة ثمانون سنةن وما كان على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ..

قولهك " تفتؤ " هذا جواب القسم في قوله : " تالله " وهو على حذف لا أي : لا تفتؤ كقول الشاعر : [البسيط] ٣١٣٥. تالله على الأيام ذو حيد

بمشمخر به الظيان والآس

أي : لا تبقى ، ويدل على حذفها : أنه لو كان مثبتا ؛ لاقترن بلام الابتداء ونون التوكيد معا عند البصريين ، أو إحداهما عن الكوفيين ، وتقول : والله أحبك : تريد لأحبك ، وهو من التورية ، فإن كثيرا من الناس يتبادر ذهنه إلى إثبات المحبة ، و " تفتأ " هنا ناقصة بمعنى لا تزال.

قال ابن السكيت : " ما زلت أفعله ، ما فتئت أفعله ، ما برحت أفعله ، ولا يتكلم بهن إلا في الجحد ".

قال ابن قتيبة : " يقال : ما فترت وما فتئت ، لغتان ، ومعناه : ما نسيته ، وما انقطعت عنه " ، وإذا كانت ناقصة ؛ فهي ترفع الاسم ، وهو الضمير ، وتنصب الخبر ، وهو الجملة من قوله : " تذكر " أي : لا تزال

ذاكرا له ، يقال : ما فتيء زيد ذاهبا ؛ قال أوس بن حجر : [الطويل] ٣١٣٦. فما فتئت حتى كأن غبارها
سرادق يوم ذي رياح ترفع
وقال أيضا : [الطويل] ٣١٣٧. فما فتئت خيل تثوب وتدعي
ويلحق منها لاحق وتقطع
١٩٠
." (١)

"وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم ، قال له العباس ـ رضي الله عنه ـ : " إذا أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتل عليه : ﴿قال لا تثريب عليكم﴾ ففعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ".

وروي : أن أخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا إليه : إنا نستحي منك لما صدر منا من الإساءة إليك ، فقال يوسف : إن أهل مصر لو ملكت فيهم ، فإنهم ينظرون إلي بالعين الإولى ، ويقولون : سبحان الذي بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ، ولقد شرفت بإتيانكم ، وعظمت في العيون لما جئتم ، علم الناس أنكم إخوتي ، وأني من حفدة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم سألهم عن أبيه ، فقال : ما فعل أبي من بعدي قالوا : ذهبت عيناه ؛ فأعطاهم قميصه وقال : ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ أي يعيده مبصرا ، وقيل : يأتيني بصيرا.

ق ال الحسن رضي الله عنه : لم يعلم أنه يعود بصيرا إلا بالوحي ؛ لأن العقل لا يدل عليه وقال الضحاك : كان ذلك القميص من نسيج الجنة.

وعن مجاهد : أمره جبريل ـ صلوات الله عليه ـ أن يرسل قميصه ، وكان ذلك القميص قميص إبراهيم ـ عليه الصلام ـ وذلك أنه جرد من يثابه ، وألقي في النار عريانا ، فآتاه جبريل بمقيص من حرير الجنة ، فألبسه إياه ، فكان ذلك عند إبراهيم فلما مات إبراهيم عليه السلام ورثه إسحاق ، فلما مات إسحاق ورثه يعقوب ، فلما شب يوسف ـ عليه السلام ـ جعل ذلك يعقوب في قصبة من فضة وسد رأسها ، وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين كانت لا تفارقه ، فلما ألقى في الجب عريانا جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ وعلى يوسف ذلك التعويذ ؛ فأخرج القميص منه ، وألبسه ، ففي ذلك الوقت جاءه جبريل ، وقال : أرسل ذلك القميص فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ، ولا سقيم إلا عوفي ، فدفع يوسف ذلك القميص إلى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٣٠١٨

إخوته ، وقال : ﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ أي : مبصرا وإنما أفرد بالذكر تعظيما له ، وقال في الباقين : ﴿وائتوني بأهلكم أجمعين﴾.

قال ابن الخطيب : " ويمكن أن يقال : لعل يوسف علم أن أباه ما صدر أعمى إلا من كثرة البكاء ، وضيق القلبت ، وذلك يضعف البصر ، وإذا ألقي عليه قميصه ، فلا بد وأن ينشرح صدره ، وأن يحصل في قلبه الفرح الشديد ، وذلك يقوي الروح ، ويزيل الضعف عن القوى فحينئذ يقوى بصره ، ويزول عنه ذلك ، فهذا القدر مما يمكن معرفته بالقلب فإن القوانين الطبية تدل على صحة هذا المعنى ".

قوله : " بقميصي " يجوز أن يتعلق بما قبله على أن الباء معدية كهي في " ذهبت به " وأن

٢٠٧

تكون للحال فتتعلق بمحذوف ، أي : اذهبوا معكم بقميصي ، و " هذا " نعت له ، أو بدل ، أو بيان ، و " بصيرا " حال ، و " أجمعين " توكيد له ، وقد أكد بها دون كل ، ويجوز أن تكون حالا.

جزء : ١١ رقم الصفحة : ١٩٧

قوله : ﴿ولما فصلت العير﴾ يقال : فصل فلان عن فلان فصولا إذا خرج من عنده ، و " فصل "كذا إذا أنفذ ، و " فصل " يكون لازما ، ومتعديا ، فإن كان لازما فمصدره فصولا ، وإن كان متعديا فمصدره فصلا.

قال المفسرونك لما توجه العير من مصر إلى كنعان ، قال يعقوب لمن كان عنده من ولد ولده : ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ قال مجاهد : أصاب يعقوب ريح القميص من مسيرة ثلاثة أيام.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ من مسيرة ثماني ليال.

وقال الحسن : كان بنيهما ثمانون فرسخا ، وقال مجاهد : هب ريح يوسف فصفق القميص ؛ ففاحت روائح الجنة في الدنيا ، واتصلت بيعقوب ـ عليه الصلاة والسلام ـ فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال : ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ وروي أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير.

واعلم أن وصول تلك الرائحة إلى يعقوب من هذه المسافة البعيدة أمر مناقض للعادة فكان ذلك معجزة ، ولكن لمن منهما ؟ والأقرب أنها ليعقوب حيث أخبروه عنه ، ونسبوه إلى ما لا ينبغي ؛ فظهر الأمر كما قال ؛ فكانت معجزة له.

قال أهل المعاني : إن الله ـ تعالى ـ أوصل ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء وقت الروح والفرج من المكان البعيد ، ومنع من وصول خبره إليه مع قرب إحدى البلدين من الأخرى في مدة ثمانين سنة ،

وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمن المحنة صعب ، وكل صعب في زمن الإقبال سهل ، ومعنى : ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ : أشم ، وعبر عنه بالوجود ؛ لأنه وجدان له بحاسة الشم.

٢٠٨

قوله : ﴿لولا أن تفندون﴾ التفنيد : الإفساد ، يقال : فندت فلانا ، أي : أفدست رأيه ورددته.

قال الشاعر : [البسيط] ٣١٥٠ب - يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي

فليس ما فات من بمردود

." (١)

"قوله : ﴿والذين ينقضون﴾ مبتدأ ، والجملة من قوله ﴿أولائك لهم اللعنة﴾ خبره ، والكلام في " اللعنة " تقدم في " عقبى الدار.

ولما ذكر صفة السعداء وما يترتب عليها من الأحوال الشريفة ، ذكر صفة الأشقياء وما يترتب عليها من الأحوال المخزية ، وابتع الوعد بالوعيد فقال عز وجل ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ وقد تقدم أن عهد الله ما ألزم عباده مما يجب الوفاء به وهذا في الكفار ، والمراد من نقض العهد : ألا ينظر في الأدلة وحينئذ لا يكون العمل بموجبها أو ينظر ويعلم صحتها ثم يعاند فلا يعمل بعمله أو ينظر في الشبهة فيعتقد خلاف الحق ، والمراد من قوله : " من بعد ميثاقه " أن وثق الله تلك الأدلة وأحكامها.

فإن قيل : العهد لا يكون إلا مع الميثاق ، فما فائدة اشتراطه بقوله : ﴿من بعد ميثاقه﴾ ؟ .

فالجواب : لا يمتنع أن يكون المراد بالعهد هو ما كلف العبد به والمراد بالميثاق الأدلة ؛ لأنه - تعالى - قد يؤكد [العهد] بدلائل أخر سواء كانت تلك المؤكدات دلائل عقلية أو سمعية.

ثم قال ﴿ويقطعون مآ أمر الله به أن يوصل﴾ فيدخل فيه قطع كل ما أوجب الله وصله مثل : أن يؤمنوا ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض ، ويقطعون وصل الرسول بالموالاة والمعاونة ، ووصل المؤمنين ووصل الأرحام وسائر ما تقدم.

ثم قال : ﴿ويفسدون في الأرض﴾ إما بالدعاء إلى غير دين اكلله وإما بالظلم كما في النفوس والأموال وتخريب البلاد ثم قال : ﴿أولائك لهم اللعنة﴾ وهي الإبعاد من خيري الدنيا والآخرة ﴿ولهم سواء الدار﴾ وهي جنهم.

قوله ﴿الله يبسط الرزق لمن يشآء ويقدر﴾ الآية لما حكى عن ناقضي العهد في التوحيد والنبوة بأنهم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٠٢٨

ملعونين ومعذبون في الآخرة فكأنه قيل : لو كان أعداء الله لما أنعم عليهم في الدنيا ؟ فأجاب الله ـ تعالى ـ عنه بهذه الآية وهو أنه ـ تعالى ـ يبسط الرزق على البعض ، وبسط الرزق لا تعلق له بالكفر والإيمان ، فقد يوجد الكافر موسعا عليه دون المؤمن ، والدنيا دار امتحان.

٢٩٨

قال الواحدي : " ومعنى القدر في اللغة : قطع الشيء على مساوة غيره من غير زيادة ولا نقصان ".

وقال المفسرون في معنى " يقدر " ههنا : يضيق ، لقوله ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ [الطلاق : ٧] ومعناه : أنه يعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء.

وقرأ زيد بن علي : " ويقدر " بضم العين.

قوله : " وفرحوا " هذا استئناف إخبار.

وقيل : بل هو عطف على صلة " الذين " قبل.

وفيه نظر ؛ من حيث الفصل بين أبعاض الصلة بالخبر ، وأيضا : فإن هذا ماض وما قبله مستقبل ولا يدعي التوافق في الزمان إلا أن يقال : المقصود استمرارهم بذلك أو أن الماضي متى وقع صلة صلح [لل‍ماضي] والاستقبال.

قوله " في الآخرة " ، أي في جنب الآخرة.

" إلا متاع " وهذا الجار في موضع الحال تقديره : وما الحياة القريبة الكائنة في جنب الآخرة إلا متاع ولا يجوز تعلقه بالحياة ولا بالدنيا لأنهما لا يقعان إلا في الآخرة.

ومعنى الآية : أن [مشركي] مكة أشروا وبطروا ، والفرح : لذة في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام محال ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ أي قليل ذاهب.

قوله : ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ ألآية اعلم أن كفار مكمة قالوا : يا محمد ـ فأجابهم الله بقوله ﴿إن الله يضل من يشآء ويهدى إليه من أناب﴾.

وبيان كيفية هذا الجواب من وجوه : أحدها : كأنه يقول : إن الله أنزل عليه آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة ، لكن [الإضلال] والهداية من الل‍ه فأضلهم عن تلك الآيات وهدى إليها آخرين ، فلا فائدة في تكثير الآيات والمعجزات.

وثانيها : أنه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم ، وذلك لأن الآيات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على رسول الله ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ كانت أكثر من أن تصير مشتبه على العاقل فلما طلبوا بعدها آيات

أخر كان في موضع التعجب والاستنكار ، فكأنه قيل لهم : ما أعظم عنادكم ﴿إن الله يضل من يشآء﴾ من كان على صنيعكم من التصميم على الكفر فلا سبيل إلى هدايتكم وإن نزلت كل آية : " ويهدي " من كان على خلاف صنيعكم.

٢٩٩

." (١)

"وضعت أراهط فاستراحوا

ولذلك سقط التنوين من " بؤس : كأنه قيل : يا طيبا ، أي : ما أطيبهم وأحسن مآبهم.

قال الزمخشري : " ومعنى " طوبى لك " : أصحبت خيرا ، و " طيبا " ومحلها النصب أو الرفع ، كقولك : طيبا لك وطيب لك ، وسلاما لك وسلام لك والقراءة ف يقوله " وحسن مآب " بالنصب والرفع يدل على محلها ، واللام مفي " لهم " للبيان مثلها في " سقيا لك " فهذا يدل على أنها تتصربف ، ولا يلزم الرمفع بالابتداء.

وقرأ مكوزوة الأعرابي : " طيبى " بكسر الطاء لتسليم الياء ، نحو : بيض ومعيشة.

وقرىء : " وحسن مآب " بفتح النون ورفع " مآب " على أنه فعل ماض ، أصله حسن فنقلت ضمة العين إلى الفاء قصدا للمدح ، كقوله : حسن ذا أدب ، و " مآب " فاعله.

فصل قال ابن عباس رضي الله عنهما : طوبى ، **فرح لهم** وقرة عين.

وقال عكرمة : نعم ما لهم.

وقال قتادة : حسنى لهم.

2٣٠

وقال معمر عن قتادة : هذه كلمة عربية ، يقول الرجل : طوبى لك ، أي : أصبت خيرا.

وقال إبراهيم . رحمه الله . : خير لهم وكرامة.

وقال الفراء : وفيه لغتان : تقول العرب : طوباك ، وطوبى لك ، أي لهم الطيب " وحسن مآب " أي : حسن المنقلب.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : " طوبى : اسم الجنة بالحبشية.

وقال الربيع : البستان بلغة الهند.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٠٧٦

وقال الزجاج : العيش الطيب لهم وروي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرجاء قالوا : طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقيل فيها غير ذلك.

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٢٩٨

قوله : ﴿كذلك أرسلناك﴾ الكاف في محل نصب كانظائرها.

قال الزمخشري : " مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعن : إرسالا له شأن ".

وقيل : الكاف متعلقة بالمعنى الذي قبله في قوله : ﴿إن الله يضل من يشآء ويهدى إليه من أناب﴾ [الرعد : ٢٧] ، أي كما أنفذ الله هذا كذلك أرسلناك.

وقال ابن عطية : " الذي يظهر لي أن المعنى كما أجرينا العادة بأن الله يضل ويهدي لا بالآيات المقترحة فكذلك فعلنا أيضا في هذه الأمة أرسلناك إليها بوحي لا بأيآت مقترحة ".

وقال أبو البقاء : وكذلك : " الأمر كذلك " فجعلها في موضع رفع.

وقال الحوفي : الكاف للتشبيه في موضع نصب ، أي : كفعلنا الهداية والإضلال والإشارة بذلك إلى ما وصف به نفسه من أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وتكون الكاف للتشبيه.

قال ابن عباس والحسن ـ رضي الله عنهم ـ أي : أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك.

٣٠٣

وقيل : كما أرسلنا إلى أمم وأعطيناهم كتبا تتلى عليهم كذلك [أعطيناك] هذا الكتاب وأنت تتلوه عليهم.

قوله : " قد خلت " جملة في محل جر صفة لـ " أمة " ، و " لتتل " متعهلق بـ " أرسلناك " والمعنى : أنه فسر كيف أرسله فقال : ﴿فى أمة قد خلت من قبلهآ أمم﴾ أي : أرسلناك في أمة قد تقدمها أمم وهم آخر الأمم وأنت آخر الأنبياء " لتتلو " لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك وهو الكتاب العظيم.

قوله : ﴿وهم يكفرون﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة استئنافية ، وأن تكون حالية والضمير في " وهم يكفرون " عائد على " أمة " من حيث المعنى ، ولو عاد على لفظها لكان التركيب : وهي تكفر.

وقيل : الضمير عائد على " أمة " وعلى " أمم ".

وقيل : عائد على الذين قالوا : " لولا أنزل ".

فصل قال قتادة ومقاتل وابن جريح : الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن سهل بن عمرو لما جاءوا واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح ، فقال رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لعلي ـ كرم الله وجهه ـ : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم.

قالوا لا نعرف إلى الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون : مسليمة الكذاب ، اكتب كما كممنت تكتب : باسمك اللهم فهذا معنى قوله : ﴿وهم يكفرون بالرحمان﴾ والمعروف أن الآية مكية ، وسبب نزولها : أن أبا جهل سمع النبي سصلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو الله يا رحمن فرجع إلى المشركين ، وقال : إن محمدا يدعو إلهين : يدعو الله ويدعو الرحمن إلها آخر يسمى الرحمن ، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ، ونزل قوله تعالى : ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمان أيا ما تدعوا فله الأسمآء الحسنى﴾ [الإسراء : ١١٠] وروى الضحاك عن ابن عباس : أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وبجل وعظم : " اسجدوا للرحمن " ، قالوا : وما الرحمن ؟ قال الله تعالى : " قل لهم يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت " اعتمدت " وإليه متاب " . أي : توبتي ومرجعي.

٣٠٤

." (١)

"أي : ترب ؛ وكقوله : [الرجز] ٣٢٢٨. أعوذ بالله من العقراب

الشائلات عقد الأذناب

وقد طعن جماعة على هذه القراءة ، وقالوا : الإشباع من ضرائر الشعر ، فكيف يجعل في أفصح الكلام ؟

.

وزعم بعضهم : أن هشاما إنما قرأ بتسهيل الهمزة بين بين فظنها الراوي [أنها زائدة] ياء بعد الهمزة ، قال : كما توهم عن أبي عمرو اختلاسه في : " بارئكم " ، و " يأمركم " أنه سكن.

وهذا ليس بشيء ، فإن الرواة أجل من هذا.

وقرأ زيد بن علي : " إفادة " بزنة " رفادة " ، وفيها وجهان : أحدهما : أن يكون مصدرا لـ " أفاد " كـ " أقام إقامة " أي : ذوي إفادة ، وهم الناس الذين ينتفع بهم.

والثاني : أن يكون أصلها : " وفادة " فأبدلت الواو همزة ، نحو إشاح وإعاء.

وقرأت أم الهيثم : " أفودة " بكسر الواو وفيها وجهان : أحدهما : أن يكون جمع : " فؤاد " المسهل وذلك أن الهمزة المفتوحة المضموم ما قبلها يطرد قبلها واوا ، نحو " جون " ففعل في : " فؤاد " المفرد ذلك فأقرت في الجمع على حالها.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٠٧٨

والثاني : قال صاحب اللوامح ـ رحمه الله ـ : هي جمع " وفد ".
قال شهاب الدين : " فكان ينبغكمي أن يكون اللفظ " أوفدة " يتقدم الواو ؛ إلا أن
٣٩٧
يقال : إنه جمع " وفدا " على " أوفدة " ، ثم قبله فوزنه " أعفلة " كقولهم : آرام " في " أرآم " وبابه ، إلا أنه جمع " فعل " على " أفعلة " نحو : " نجد وأنجدة " و " وهي وأوهية " وأم الهيثم امرأة نقل عنها شيء من اللغة.
وقرىء " آفدة " بزنة ضاربة وهو يحتمل وجهين : أحدهما : أن تكون مقلوبة من " أفئدة " بتقديم الهمزة على الفاء ، فقلبت الهمزة ألفا فوزنه : " أعفلة " ك " آرام " في " أرآم ".
والثاني : أنها اسم فاعل : من " أفد يافد " ، أي : " قرب ودنا ".
المعنى : جماعمة آفدة أو جماعات آفدة.
وقرىء : أفدة " بالقصر ، وفيها وجهان أيضا : أحدهما : أن تكون اسم فالع على " فعل " ك " فرح فهو فرح " ، وأن تكون مخففة من " أفئدة " بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، وحذف الهمزة.
و " من " في " من الناس " فيها وجهان : أحدهما : أنها لابتداء الغاية.
قال الزمخشري : " ويجوز أن يكون " من " الابتداء الغاية ، كقولك : القلب مني سقيم ، تريد : قلبي ، كأنه قال : أفئدة ناس ، وإنما نكرت المضاف إليه في هذا التمثيل ، لتنكير " أفئدة " لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة ".
قال أبو حيان : " ولا ينظر كونها للغاية ؛ لأنه ليس لنا فعل يبتدأ فيه بغاية ينتهي إلهيا ، إذ لا يصح حعل ابتداء الأفئدة من الناس ".
والثاني : أنها للتعبيض ، وفي التفسير : لو لم يقل من الناس لحج الناس كلهم.
قوله : تهوي " هذا هو المفعول الثاني للجعل ، والعامة على : " تهوي " بكسر العين ، بمعنى تسرع وتطير شوقا إليه ؛ قال : [الكامل] ٣٢٢٩. وإذا رميت به الفجاج رأيته
يهوى مخارمها هوي الأجدل
جزء : ١١ رقم الصفحة : ٣٩٢
وأصله أن يتعدى باللام ، كقوله : [البسيط] ٣٢٣٠. حتى إذا ما هوت كف الوليد بها
طارت وفي كفه من رشها بتك

وإنما عدي بإلى ؛ لأ ، هـ ضمن معنى تميل ، كقوله : [السريع]

٣٩٨

٣٢٣١. يهوي إلى مكة يبغي الهدى

ما مؤمن الجن ككفارها

وقرأ أمير المؤمنين علي ، وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ، ومجاهد . رضي الله عنهم . بفتح الواو ، وفيه قولان : أحدهما : أن " إلى " زائدة ، أي : تهواهم.

والثاني : أنه ضمن معنى تنزع وتميل ، ومصدر الأول على " هوى " ؛ كقوله : [الكامل]

٣٢٣٢.......................

يهوي مخارمه ا هوي الأجدل

ومصدر الثاني على " هوى ".

وقال أبو البقاء : " معناهما متقاربان ، إلا أن " هوى " . يعني بفتح الواو . متعمد بنفسه ، وإنما عدي بـ : " إلى " حملا على تميل ".

وقرأ مسلمة بن عبد الله : " تهوى " بضم التاء ، وفتح الواو مبنيا للمفعول ، من " أهوى " المنقول من " هوى " اللازم ، . أي : يسرع بها إليهم.

فصل قال المفسرون : قوله ﴿أسكنت من ذريتي﴾ أدخل " من " للتعبيض ، والمعنى : أسكنت من ذريتي ولدا : ﴿بواد غير ذي زرع﴾ وهو مكة ؛ لأن مكة واد بين جبلين : ﴿عند بيتك المحرم﴾.

روي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما . : أول ما أتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل . صلوات الله وسلامه عليه . اتخذت منطلقا لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم . صلوات الله وسلامه عليه . وبابنها إسماعيل ، وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس فيها ماء ، ووضع عندها إناء فيه تمر ، وسقاء فيه

٣٩٩

." (١)

"وقرأ العامة : بفتح النون مخففة على أنها نون الرفع ؟ ولم يذكر مفعنول التبشير ، وقرأ نافع بكسرها ، والأصل : تبشروني فحذف الياء مجتزئا عنها بالكسرة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣١٢٤

وقد غلطه أبو حاتم ، وقال : هذا يكون في الشعر اضطرارا.
وقال مكي : " وقد طعن في هذه القراءة قوم لبعد مخرجها في العربية ؛ لأن حذف النون التي تصحب الياء لا يحسن إلا في الشعر ، وإن قدر حذف النون الأولى حذفت [علم] الرفع من غير ناصب ، ولا جازم ؛ ولأن نون الرفع كسرها قبيح ، إنما حقها الفتح ".
وهذا الطعن لا يتلفت إليه ، لأن ياء المتكلم قد كثر حذفها مجتزءا عنها بالكسرة ، وقد قرىء بذلك في قوله تعالى : ﴿قل أفغير الله تأمرونى ﴾ [الزمر : ٦٤] كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ..
ووجهه : أنه لما اجتمع نونان أحدهما نون الرفع ، والأخرى نون الوقاية استثقل اللفظ ، فمنهم من أدغم ، ومنهم من حذف ، ثم اختلف في المحذوفة ، هل هي الأولى ، أو الثانية ، وتقدم الكلام على ذلك في سورة الأنعام [الأنعام : ٨٠].
وقرأ ابن كثير بتشديدها مكسورة ، أدغم الأولى في الثانية ، وحذف ياء الإضافة ، والحسن : أثبت الياء مع تشديد النون ، ورجح قراءة من أثبت مفعول : " يبشرون " وهو الياء.
قوله : ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ " بشرناك " ، و " بالحق " متعلق بالفعل قبله ، وضعف أن يكون حالا ، أي : قالوا بشرناك.
ومعنى : " بالحق " هنا استفهام بمعنى التعجب ، كأنه قيل : بأي أعجوبة تبشروني ؟ .
فإن قيل : كيف استبعد قدرة الله ـ تعالى ـ على خلق الولد منه في زمان الكبر ؟ وما فائدة هذا الاستفهام مع أنهم قد بينوا ما بشروا به ؟ .
فأجاب القاضي : بأنه أراد أن يعرف أنه ـ تعالى ـ هل يعطيه الولد مع أنه يبقيه على سفة الشيخوخة ، أو يقلبه شابا ، ثم يعطيه الولد ؟ .
وسبب هذا الاستفهام : أن العادة جارية بأنه لا يحصل الولد حال الشيخوخة التامة ، وإنما يحصل في حال الشباب.
فإن قيل : فإذا كان معنى الكلام ما ذكرتم ، فلم قالوا : ﴿بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾ ؟ .
٤٦٩
قلنا : إنهم بينوا أنه ـ تعالى بشره بالولد مع إبقائه على صفة الشيخوخة ، وقولهم ﴿بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾ لايدل على أنه كان كذلك بدليل أنه صرح في جوابهم بما يدل على أنه ليس كذلك فقال : ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضآلون﴾.

وأجاب غيره : بأن الإنسان إذا كان عظيم الرغبة في شيء ، وفاته الوقت الذي يغلب على ظنه حصول المراد فيه ، فإذا بشر بعد ذلك بحصوله عظم فرحه ، وسروره ، ويصير **ذلك الفرح القوي** كالمدهش له ، والمزيل لقوة فهمه ، وذكائه ، فربما تكلم بكلمات مضطربة في ذلك الوقت.

وقيل أيضا : إنه يستطيب تلك البشارة ، فربما يعيد السؤال ليسمع تلك البشارة مرة أخرى ومرتين وأكثر طلبا للالتذاذ بسماع تلك البشارة ، أو طلبا لزيادة الطمأنينة والوثوق ، كقوله : ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة : ٢٦٠] وقيل أيضا : استفهم : أبأمر الله تبشروني ، أم من عند أنفسكم ، واجتهادكم.

قوله : ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يريد بما قضى الله تعالى.

وقوله : ﴿فلا تكن من القانطين﴾ نهي لإبراهيم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عن القنوط ، وقد تقدم أن النهي لإنسان عن الشيء لا يدل على كون المنهي فاعلا للمنهي عنه ، كقوله ـ جل وعز ـ ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [الأحزاب : ٤٨] ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ [القصص : ٧٨].

قوله : ﴿ومن يقنط من رحمة ربه﴾ هذا استفهام معناه النفي ، ولذلك وقع بعد الإيجاب بـ " إلا ".

وقرأ أبو عمرو ، والكسائي : " يقنط " بكسر عين هذا المضارع حيث وقع ، والباقون بفتحها وزيد بن علي والأشهب بضمها ، وفي الماضي لغتان " قنط " بكسر النون ، " يقنط " بفتحها ، وقنط ، " يقنط " بكسرها ، ولولا أن القراءة سنة متبعة ، لكان قياس من قرأ ﴿من بعد ما قنطوا﴾ [الشورى : ٢٨] وافلتح في الماضي هو الأكثر ، ولذلك أجمع عليه.

قال الفارسي : فتح النون في الماضي ، وكسرها في المستقبل من أعلى اللغات ، ويرجح قراءة " يقنط " بالفتح قراءة أبي عمرو في بعض الروايات " فلا تكن من القنطين " كفرحش يفرح فهو فرح.

٤٧٠

(١) ".

"مكظوم﴾ [القلم : ٤٨] ، والجملة حال ، ويجوز أن يكون : " وهو كظيم " حالا من الضمير في " ظل " أو من " وجهه " أو من الضمير في : " مسودا ".

وقال أبو البقاء : " فلو قرئ هنا " مسود " يعني بالرفع ، كلان مستقيما على أن يجعل اسم " ظل " مضمرا فيها ، والجملة خبرها ".

وقال في سورة الزخرف [الآية : ١٧] : " ويقرآن بالرفع على أنه مبتدأ ، وخبر في موضع خبر ظل ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣١٥٨

قوله : ﴿يتوارى﴾ يحتمل أن تكون مستأنفة ، وأن تكون حالا مما كانت الأولى حالا منه إلا " وجهه " فإنه لا يليق ذلك به ، ويجوز أن يكون حالا من الضمير في : "كظيم ".

قوله ﴿من القوم من سواء﴾ تعلق هنا جاران بلفظ واحد لاختلاف معناهما فإن الأولى للابتداء ، والثانية للعلة ، أي : من أجل سوء ما بشر به.

قوله : " أيمسكه " قال أبو البقاء : " في موضع الحال ، تقديره : يتوارى ، أي : مترددا هل يمسكه أم لا ؟ ".

وهذا خطأ عند النحويين ؛ لأنهم نصوا على أن الحال ، لا تقع جملة طلبية ، و الذي يظهر أن هذه الجملة الاستفهامية معمولة لشيء محذوف هو حال من فاعل " يتوارى " ، ليتم الكلام ، أي : يتوارى ناظرا ، أو متفكرا : " أيمسكه على هون...

أم يدسه " على تذكير الضمائر اعتبارا بلفظ " ما ".

وقرأ الجحدري : أيمسكها ، أم يدسها مراعاة للأنثى ، أو لمعنى " ما ".

وقرئ : أيمسكه أم يدسها ، والجحدري ، وعيسى - رحمهما الله - على " هوان " بزنة فدان ، وفرقة على " هون " وهي قلقة ؛ لأن الهون بفتح الهاء : الرفق ، واللين ، ولا يناسب معناه هنا ، وأما الهوان فمعنى " هون " المضموم.

قوله : ﴿على هون﴾ فيه وجهان : أحدهما : أنه حال من الفاعل ، وهو مروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فإنه قال : أيمسكه مع [رضاء] بهوان نفسه ، وعلى رغم أنفه.

والثاني : أنه حال من المفعول ، أي : يمسكها ذليلة مهانة.

والدس : إخفاء الشيء ، وهو هنا عبارة عن الوأد.

فصل معنى الآية : أن وجهه يتغير تغير المغموم ، ويقال لمن لقي مكروها قد اسود وجهه

٨٩

غما ، وحزنا ، وإنما جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم ؛ لأن الإنسان إذا قوي فرحه انشرح صدره ، وانبسط روح قلبه من داخل البدن ، ووصل إلى الأطراف ، ولا سيما إلى الوجه لما بين القلب ، والدماغ من التعلق الشديد ، وإذا وصل الروح إلى ظاهر الوجه أشرق الوجه ، وتلألأ ، واستنار ، وإذا قوي غم الإنسان احتقن الروح في داخل القلب ، ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه ، فلا جرم يصفر الوجه ، ويسود ، ويظهر فيه أثر الأرضية ، والكآبة ؛ فثبت أن من لوازم الفرح استنارة الوجه ، وإشراقه ، ومن لوازم الغم كمودة الوجه ،

وغبرته ، وسواده , فلهذا قال : ﴿ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ أي ممتلئ غما " يتوارى " به من القوم يتنحى عنهم ويتغيب من سوء ما بشر.

قال المفسرون : كان الرجل في الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى واختفى عن القوم إلى أن يعلم ما يولد له ، فإن كان ذكرا ؛ ابتهج به وإن كان أنثى حزن ، ولم يظهر أياما يدبر فيها رأيه ماذا يصنع بها ؟ وهو قوله : ﴿أيمسكه على هون﴾ ، أي : أيحتبسه ؟ والإمساك هنا : الحبس ، كقوله : ﴿أمسك عليك زوجك﴾ [الأحزاب : ٣٧] والهون : الهوان.

قال النضر بن شميل : يقال : إنه أهون عليه هونا ، وهوانا ، وأهنته هونا وهوانا ، وقد تقدم الكلام فيه في سورة الأنعام عند قوله تعالى : ﴿عذاب الهون﴾ [الأنعام : ٩٣].

﴿أم يدسه في التراب﴾ والدس : إخفاء الشيء في الشيء ، كانت العرب يدفنون البنات أحياء خوفا من الفقر عليهن ، وطمع غير الأكفاء فيهن.

قال قيس بن عاصم : يا رسول الله : " إني واريت ثماني بنات في الجاهلية ، فقال – صلوات الله وسلامه عليه – : أعتق عن كل واحدة منهن رقبة " ، فقال : يا نبي الله إني ذو إبل ، فقال – عليه الصلاة والسلام – " أهد عن كل واحدة منهن هديا ".

وروي " أن رجلا قال : يا رسول الله : والذي بعثك بالحق نبيا ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت قد كان لي بنت في الجاهلية ، وأمرت امرأتي أن تزينها وتطيبها ، فأخرجتها إلي فلما انتهيت بها إلى واد بعيد القعر ألقيتها فيه ، فقالت : يا أبت قتلتني ، فكلما تذكرت قولها لم ينفعني شيء ، فقال صلى الله عليه وسلم " ما كان في الجاهلية فقد هدمه الإسلام ، وما كان في الإسلام يهدمه الاستغفار ".

واعلم أنهم كانوا مختلفين في قتل البنات ، فمنهم من يذبحها ، ومنهم من يحفر الحفيرة ، ويدفنها إلى أن تموت ، ومنهم من يرميها من شاهق جبل ، ومنهم من يغرقها ، وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة ، وتارة للحمية ، وتارة خوفا من الفقر ، والفاقة ، ولزوم النفقة.

٩٠

." (١)

"والسلام – وكان محمد اختار يوم الجمعة ، وهذه المتابعة إنما تحصل إذا قلنا : إن إبراهيم – صلوات الله وسلامه عليه – كان قد اختار في شرعه يوم الجمعة ، وعند هذا القائل أن يقول : فلم اختار

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٢١٩

اليهود يوم السبت ؟ .

فأجاب الله – تعالى – عنه بقوله : ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ ، وفي الآية قولان :

الأول : روى الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال : " أمرهم موسى – صلوات الله وسلامه عليه – بالجمعة ، وقال : تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما واحدا ، وهو يوم الجمعة لا تعملوا فيه شيئا من أعمالكم ، فأبوا أن يفعلوا ذلك ، وقالوا : لا نريد إلا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق ، وهو يوم السبت ، فجعل الله – تعالى – السبت لهم ، وشدد عليهم فيه ، ثم جاءهم عيسى – عليه الصلاة والسلام – أيضا بالجمعة ، فقالت النصارى : لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا ، واتخذوا الأحد ".

وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " إن الله كتب يوم الجمعة على من قبلنا ، فاختلفوا فيه وهدانا الله إليه ، فهم لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غد ".

واعلم أن أهل الملل اتفقوا على أنه – تعالى – خلق العالم في ستة أيام ، وبدأ – تعالى – بالخلق والتكوين في يوم الأحد ، وتم في يوم الجمعة ، وكان يوم السبت يوم الفراغ ، فقالت اليهود : نحن نوافق ربنا في ترك الأعمال ، فعينوا يوم السبت لهذا المعنى ، وقالت النصارى : مبدأ الخلق والتكوين يوم الأحد ، فنجعل هذا اليوم عيداص لنا.

وأما وجه جعل يوم الجمعة عيدا ؛ فلأنه يوم كمال الخقل وتمامه ، وحصول التمام والكمال يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم ، فجعل يوم الجمعة يوم العيد أولى.

والقول الثاني : اختلافهم في السبت هو أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه [تارة].

قوله – تعالى – : ﴿إنما جعل﴾ العامة على بنائه للمفعول ، وأبو حيوة على بنائه للفاعل ، و " السبت " مفعول به.

﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ، أي : يحكم للمحققين بالثواب ، وللمبطلين بالعقاب.

قوله – تعالى – : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ الآية لما أمر محمدا

١٨٦

– صلوات الله وسلامه عليه – باتباع إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، بين الشيء الذي أمره بمتابعته فيه ؛ فقال – عز وجل – : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة ا﴾.

واعلم أنه – تعالى – أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة ، وهي

: ﴿بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ ، والمجادلة بالطريق الأحسن ، وذكر – تعالى – هذا الجدل في آية أخرى ، فقال – تعالى – : ﴿ولا تجادلوا ا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [العنكبوت : ٤٦] ولما ذكر الله – تعالى – هذه الطرق الثلاثة ، وعطف – تعالى – بعضها على بعض وجب أن تكون طرقا متغايرة.

واعلم أن الدعوة إلى المذاهب لا بد وأن تكون مبنية على حجة وبينة ، والمقصود من ذكر تلك الحجة : إما تقرير ذلك المذهب ، وذلك على قسمين : لأن تلك الحجة إما أن تكون حجة قطعية مبرأة عن احتمال النقيض ، أو لا تكون كذلك ، بل تكون حجة تفيد الظن الظاهر ، والإقناع الكامل ، فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج في هذه الأقسام الثلاثة : أولها : الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية ، وذلك هو المسمى بالحكمة.

وثانيها : الأمارات الظنية ، و الدلائل الإقناعية ، وهي الموعظة الحسنة.

وثالثها : الدلائل التي يكون المقصود منها : إلزام الخصوم وإفحامهم ، وذلك هو الجدل ، ثم هذا الجدل على قسمين : أحدهما : أن يكون دليلا مركبا من مقدمات مسلمة عند الجمهور ، أو من مقدمات مسلمة عند ذلك الخصم ، وهذا هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن.

والقسم الثاني : أن يكون ذلك الدليل مركبا من مقدمات فاسدة باطلة ، إلا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين ، بالسفاهة والشغب ، والحيل الباطلة ، و الطرق الفاسدة ، وهذا القسم لا يليق بأهل [الفضل] ، إنما اللائق بهم القسم الأول ، وهو المراد بقوله : ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

فصل قال المفسرون : قوله : " بالحكمة " أي : بالقرآن ، " والموعظة الحسنة " يعني : مواعظ القرآن.

وقيل " الموعظة الحسنة " هو الدعاء إلى الله – تعالى – ب الترغيب والترهيب ، وقيل : بالقول اللين من غير غلظ ولا تعنيف.

﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ناظرهم بالخصومة ، " التي هي أحسن " أي : أعرض عن

١٨٧

." (١)

"أي : على اليدين.

وحروف الإضافة يقوم بعضها مقام بعض ؛ كقوله : ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ [الزلزلة : ٥] أي : إليها.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٢٧٠

والثاني : أنها بمعنى " إلى ".
قال الطبري : " أي : فغليها ترجع الإساءة ".
الثالث : أنها على بابها ، وإنما أتى بها دون " على " للمقابلة في قوله : " لأنفسكم " فأتى بها ازدواجا.
وهذه اللام يجوز أن تتعلق بفعل مقدر كما تقدم في قول الطبري ، وإما بمحذوف على أناه خبر لمبتدأ محذوف تقديره : فلها الإساءة لا لغيرها.
قال الواحدي : " لا بد في الآية من إضمار ؛ والتقدير : وقلنا : " إن أحسنتم ، أحسنتم لأنفسكم " والمعنى : إن أحسنتم بفعل الطاعات ، فقد أحسنتم إلى أنفسكم من حيث إن تفعلوا تلك الطاعة يفتح الله عليكم أبواب الخيرات والبركات وإن أسأتم بفعل المحرمات ، أسأتم إلى أنفسكم من حيث إن شؤم تلك المعاصي يفتح الله عليكم أبواب العقوبة.
قال أهل المعاني : " هذه الآية تدل على أن رحمة الله تعالى غالبة على غضبه ؛ بدليل أنه لما حكى عنهم الإحسان ، أعاده مرتين ؛ فقال : ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ ولما حكى عنهم الإساءة ، اقتصر على ذكرها مرة واحدة ، فقال : ﴿وإن أسأتم فلها﴾ ولولا أن جانب الرحمة غالب ، وإلا لما كان ذلك ".
قوله : " فإذا جاء وعد الآخرة " ، اي : المرة الآخرة ، فحذفت " المرة " للدلالة عليها ، وجواب الشرط محذوف ، تقديره : بعثناهم ، ليسوءوا وجوهكم ، وإنما حسن هذا الحذف لدلالة ما تقدم عليه من قوله : ﴿بعثنا عليكم عبادا لنآ﴾ [الإسراء : ٥] والمرة الآخرة هي إقدامهم على قتل زكريا ويحيى - عليهما الصلاة والسلام - وقصدهم قتل عيسى حين رفع.
قال الواحدي : " فبعث الله عليهم بختنصر البابلي المجوسيِ○○ ، فسبى بني إسرائيل ، وقتل ، وخرب بيت المقدس ، وسلط عليهم الفرس والروم : خردوش وطيطوس ؛ حتى قتلوهم ، وسبوهم ، ونفوهم عن ديارهم ".
قال ابن الخطيب : " والتواريخ تشهد أن بختنصر كان قبل بعث عيسى وزكريا بسنين متطاولة ، ومعلوم أن الملك الذي انتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم ، يقال له : قسطنطين ".
٢١٤
قوله : ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ متعلق بالجواب المقدر.
يقال : ساءه يسوءه ، أي : أحزنه وإنما عزا الإساءة إلى الوجوه ؛ لأن آثار الأعراض الفسانية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه ، فإن **حصل الفرح في** القلب ظهرت النضرة والإشراق والإسفار في الوجه ،

وإن حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه ، فلهذا عزيت الإساءة غلى الوجوه في هذه الآية ، ونظير هذا المعنى في القرآن كثير.

وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر " ليسوء " بالياء المفتوحة وهمزة مفتوحة آخرا.

والفاعل : إما الله تعالى ، وإما الوعد ، وإما البعث ، وإما النفير ، والكسائي بنون العظمة ، أي : لنسوء نحن ، وهو موافق لما قبله من قوله ﴿بعثنا عليكم عبادا لنآ﴾ و " وددنا " و " أمددنا " وما بعده من قوله : " عدنا " و " جعلنا " وقرأ الباقون " ليسوءوا " مسندا إلى ضمير الجمع العائد على العباد أو أولي البأس ، أو على النفير ؛ لأنه اسم جمع ، وهو موافق لما بعده من قوله ﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا﴾ وفي عود الضمير على النفير نظر ؛ لأن النفير المذكور من المخاطبين ، فكيف يوصف ذلك النفير بأنه يسوء وجوههم ؟ اللهم إلا أن يريد هذا القائل أنه عائد على لفظه ، دون معناه ؛ من باب " عندي درهم ونصفه ".

وقرأ أبي " لنسوءن " بلام الأمر ونون التوكيد الخفيفة ونون العظمة ، وهذا جواب لـ " إذا " ولكن على حذف الفاء ، أي : فلنسوءن ، ودخلت لام الأمر على فعل المتكلم ؛ كقوله تعالى ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ [العنكبوت : ١٢].

وقرأ ابن أبي طالب " ليسوءن " و " لنسوءن " بالياء والنون التي للعظمة ، ونون التوكيد الشديدة ، واللام التي للقسم ، وفي مصحف أبي " ليسوء " بضم الهمزة من غير واو ، وهذه القراءة تشبه أن تكون على لغة من يجتزئ عن الواو بالضمة ؛ كقوله : [الوافر] ٣٣٨١ - فلو أن الأطبا كان حولي

....

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٢١٣

يريد : "كانوا حولي " وقول الآخر : [الكامل] ٣٣٨٢ - ....

....

إذا ما الناس جاع وأجدبوا

٢١٥

يريد " جاعوا " ، فكذا هذه القراءة ، أي : ليسوءوا ، كما في القراءة الشهيرة ، فحذف الواو.

وقرئ " ليسيء " بضم الياء وكسر السين وياء بعدها ، أي : ليقبح الله وجوهكم ، أو ليقبح الوعد ، أو البعث.

وفي مصحف أنس " وجهكم " بالإفراد ؛ كقوله : [الوافر] ٣٣٨٣ - كلوا في بعض بطنكم تعفوا ." (١)

"الثالث : أنه مفعول من أجله.

والمرح : شدة السرور والفرح ؛ مرح يمرح مرحا ، فهو مرح ؛ كفرح يفرح فرحا ، فهو فرح.

قوله : ﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ الآية.

قرأ أبو الجراح " لن تخرق " بضم الراء ، وأنكرها أبو حاتم وقال : لا نعرفها لغة البتة.

والمراد من الخرق ها هنا نقب الأرض ، وذكروا فيه وجوها : الأول : أن الشيء إنما يتم بالارتفاع والانخفاض ، فكأنه قال إنك حال الانخفاض لا تقدر على خرق الأرض ونقبها ، وحال الارتفاع لا تقدر على أن تصل إلى رءوس الجبال ، والمعنى : أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئا ، كمن يريد خرق الأرض ، ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء.

والمراد التنبيه على كونه ضعيفا عاجزا ، فلا يليق به التكبر.

الثاني : أن تحتك الأرض التي لا تقدر على خرقها ، وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول إليها ، فأنت محاط بك من فوقك ، ومن تحتك بنوعين من الجماد ، وأنت أضعف منهما بكثير ، والضعيف المحصور لا يليق به التكبر ، فكأنه قيل له : تواضع ، ولا تتكبر ؛ فإنك خلق ضعيف من خلق الله ، محصور بين حجارة وتراب ، فلا تفعل فعل القوي المقتدر.

الثالث : أن من يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه ، ومرة على صدور قدميه ، فقيل له : إنك لن تنقب الأرض ، إن مشيت على عقبيك ، ولن تبلغ الجبال طولا ، إن مشيت على صدور قدميك.

قال علي - كرم الله وجهه - : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفؤا ؛ كأنما ينحط من صبب.

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال : " ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحدا أسرع مشية من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث ".

٢٨٧

قوله تعالى : " طولا " يجوز أن يكون حالا من فاعل " تبلغ " أو من مفعوله ، أو مصدرا من معنى " تبلغ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٢٨٥

" أو تمييزا ، أو مفعولا له ، وهذان ضعيفان جدا ؛ لعدم المعنى.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٢٨٦

قرأ ابن عامر والكوفيون بضم الهمزة والهاء ، والتذكير ، وترك التنوين ، والباقون بفتح الهمزة ، وتاء التأنيث منصوبة منونة ، فالقراءة الأولى أشير فيها بذلك غلى جميع ما تقدم ، ومنه السيئ والحسن ، فأضاف السيئ إلى ضمير ما تقدم ، ويؤيدها ما قرأ به عبد الله : "كل ذلك كان سيئاته " بالجمع ، مضافا للضمير ، وقراءة أبي " خبيثه " والمعنى : كل ما تقدم ذكره مما أمرتم به ونهيتم عنه كان سيئه - وهو ما نهيتم عنه خاصة - أمرا مكروها ، هذا أحسن ما يقدر في هذا المكان.

وأما ما ا ستشكله بعضهم من أنه يصير المعنى : كل ما ذكر كان سيئة ، ومن جملة كل ما ذكر : المأمور به ، فيلزم أن يكون فيه سيئ ، فهو استشكال واه ؛ لما تقدم من تقرير معناه.

و " مكروها " خبر "كان " وحمل الكلام كله على لفظ "كل " فلذلك ذكر الضمير في " سيئه " والخبر ، وهو : مكروه.

وأما قراءة الباقين : فيحتمل أن تقع الإشارة فيها بـ " ذلك " إلى مصدري النهيين المتقدمين قريبا ، وهما : قفو ما ليس به علم ، والمشي في الأرض مرحا.

والثاني : أنه أشير به إلى جميع ما تقدم من المناهي.

و " سيئة " خبر "كان " وأنث ؛ حملا على معنى "كل " ثم قال " مكروها " حملا على لفظها.

وقال الزمخشري كلاما حسنا ، وهو : أن " السيئة في حكم الأسماء : بمنزلة الذنب والإثم ، زال عنه حكم الصفات ، فلا اعتراب بتأنيثه ، ولا فرق بين من قرأ " سيئة " ومن قرأ " سيئا " ألا ترى أنك تقول : الزنى سيئة ، كما تقول : السرقة سيئة ، فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث ".

وفي نصب " مكروها " أربعة أوجه : أحدها : أنه خبر ثان لـ "كان " وتعداد خبرها جائز على الصحيح.

الثاني : أنه بدل من " سيئة " وضعف هذا ؛ بأن البدل بالمشتق قليل.

الثالث : أنه حال من الضمير المستتر في " عند ربك " لوقوعه صفة لـ " سيئة ".

٢٨٨

الرابع : أنه نعت لـ " سيئة " ، وإنما ذكر لأن " سيئة " تأنيث موصوفه مجازي ؛ وقد رد هذا ؛ بأن ذلك إنما يجوز حيث أسند إلى المؤنث المجازي ، أما إذا أسند إلى ضميره ، فلا ؛ نحو : " الشمس طالعة " لا يجوز : " طالع " إلا في ضرورة كقوله : ٣٤٢٢ - ....

ولا أرض أبقل إبقالها

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٢٨٨

." (١)

"والجني : ما طاب ، وصلح للاجتناء ، وهو " فعيل " بمعنى مفعول أي رطبا مجنيا ، وقيل : بمعنى فاعل ، أي : طريا ، والجنى والجني أيضا : المجتنى من العسل ، وأجنى الشجر : أدرك ثمره ، وأجنت الأرض : كثر جناها ، واستعير من ذلك " جنى فلان جناية "كما استعير " اجترم جريمة ".

فصل في معنى الآية المعنى جمعنا لك بين الشرب والأكل.

قال عمرو بن ميمون : ليس شيء خير من الثمر والرطب ، ثم تلا هذه الآية.

وقال بعض العلماء : أكل الرطب والثمرة للمرأة التي ضربها الطلق يسهل عليها الولادة.

قال الربيع بن خيثم " ما للنفساء عندي خير من الرطب ، ولا للمرض خير من العسل.

قالت المعتزلة : هذه الأفعال الخارقة للعادة كانت معجزة لزكريا وغيره من الأنبياء ؛ وهذا باطل ؛ لأن زكريا – صلوات الله عليه وسلامه – ما كان له علم بحالها ومكانها ، فكيف بتلك المعجزات ؟ بل الحق أنها كانت كرامات لمريم ، أو إرهاصا لعيسى – صلوات الله عليهما – ، لأن النخلة لم تكن مثمرة ، إذا ذاك ؛ لأن ميلاده كان في زمان الشتاء ، وليس ذاك وقت ثمر.

قوله تعالى : ﴿وقري عينا﴾ : نصب " عينا " على التمييز منقول من الفاعل ؛ إذ الأصل : لتقر عينك ، والعامة على فتح القاف من " قري " أمرا من قرت عينه تقر ، بكسر العين في الماضي ، وفتحها في المضارع.

وقرئ بكسر القاف ، وهي لغة نجد ؛ يقولون : قرت عينه تقر ، بفتح العين في الماضي ، وكسرها في المضارع ، والمشهور : أن مكسور العين في الماضي لـ " العين " ، والمفتوحها في " المكان " يقال : قررت بالمكان اقر به ، وقد يقال : قررت بالمكان بالكسر ، وسيأتي ذلك في قوله تعالى ﴿وقرن في بيوتكن﴾ [الأحزاب : ٣٣].

وفي وصف العين بذلك تأويلان " أحدهما : أنه مأخوذ من " القر " وهو البرد : وذلك أن العين ، **إذا فرح صاحبها** ، كان دمعها قارا ، باردا ، وإذا حزن ، كان حارا ؛ ولذلك قالوا في الدعاء عليه : " أسخن الله عينه " وفي الدعاء له : " أقر الله عينه " وما أحلى قول أبي تمام – رحمه الله تعالى – : [الطويل]

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٣٢٤

٤٩

٣٥٩٧ – فأما عيون العاشقين فأسخنت

وأما عيون الشامتين فقرت

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٣٠

والثاني : أنه مأخوذ من الاستقرار ، والمعنى : أعطاه الله ما يسكن عينه فلا تطمح إلى غيره.

المعنى : فكلي من الرطب واشربي من النهر " وقري عينا " وطيبي نفسا ، وقدم الأكل على الشرب ؛ لأن حاجة النفساء ، إلى الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء ؛ لكثرة ما سال منها من الدم ، قيل : " قري عينا " بولدك عيسى ، وتقدم معناه.

فإن قيل : إن مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش ؛ لأن الخوف ألم الروح ، والجوع ألم البدن ، وألم الروح أقوى من ألم البدن ، يروى أنه أجيعت شاة ، فقدم إليها علف ، وعندها ذئب ، فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف ، مع جوعها ؛ خوفا من الذئب ، ثم كسر رجلها ، وقدم العلف إليها ، فتناولت العلف ، مع ألم البدن ؛ فدل ذلك على أن ألم الخوف أشد من ألم البدن ، وإذا كان كذلك ، فلم قدم دفع ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف ؟ .

فالجواب : لأن هذا الخوف كان قليلا ؛ لأن بشارة جبريل – صلوات الله عليه – كانت قد تقدمت ، فما كانت تحتاج إلى التذكرة مرة أخرى.

قوله تعالى : ﴿فإما ترين﴾ دخلت " إن " الشرطية على " ما " الزائدة للتوكيد ، فأدغمت فيها ، وكتبت متصلة ، و " ترين " تقدم تصريفه.

أي : " أن تري " ، فدخلت عليه نون التوكيد ، فكسرت الياء ، لالتقاء الساكنين.

معناه : فإما ترين من البشر أحدا ، فسألك عن ولدك والعامة على صريح الياء المكسورة ، وقرأ أبو عمرو في رواية " ترئن " بهمزة مكسورة بدل الياء ، وكذلك روي عنه " لترؤن " بإبدال الواو همزة ، قال الزمخشري : " هذا من لغة من يقول : لبأت بالحج ، وحلأت السويق " – يعني بالهمز – وذلك لتآخ بين الهمز وحروف اللين " وتجرأ ابن خالويه على أبي عمرو ؛ فقال : " هو لحن عند أكثر النحويين ".

وقرأ أبو جعفر قارئ المدينة ، وشيبة ، وطلحة " ترين " بياء ساكنة ، ونون خفيفة ، قال أبن جني : " وهي شاذة ".

قال شهاب الدين : لأنه كان ينبغي أن يؤثر الجازم ، فيحذف نون الرفع ؛ كقول الأفوه : [السريع] ٣٥٩٨

- إما تري رأسي أزرى به
ماس زمان ذ انتكاث مئوس
٥٥
ولم يؤثر هنا شذوذا ، وهذا نظير قول الآخر : [البسيط] ٣٥٩٩ - لولا فوارس من نعم وأسرتهم
يوم الصليفاء لم يوفون بالجار
جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٣٠
." (١)

"﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمان مدا﴾ [مريم : ٧٥] أي : يمد له الرحمن ، والباء زائدة.

الثاني : أن يقال : إنه أمر لكل أحد بأن يجعل زيدا كريما ، أي : بأن يصفه بالكرم ، والباء زائدة ؛ كما في قوله : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة : ١٩٥].

قال ابن الخطيب : وسمعت لبعض الأدباء فيه تأويلا ثالثا ؛ وهو أن قولك : أكرم بزيد ، يفيد أن زيدا بلغ في الكرم إلى حيث كأنه في ذاته صار كرما ؛ حتى لو أردت جعل غيره كريما ، فهو الذي يلصقك بمقصودك ويحصل بك غرضك.

فصل في معنى الآية المشهور أن معنى قوله : ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ " ما أسمعهم ، وما أبصرهم " والتعجب على الله تعالى محال ، وإنما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ جديرة بأن يتعجب منها بعدما كانوا صما عميا في الدنيا.

وقيل : معناه التهديد مما يسمعون وسيبصرون ما يسوءهم ، ويصدع قلوبهم.

وقال القاضي : ويحتمل أن يكون المراد : أسمع هؤلاء وأبصرهم ، أيك عرفهم حال القوم الذين يأتوننا ؛ ليعتبروا وينزجروا.

وقال الجبائي : ويجوز : أسمع الناس بهؤلاء ، ليعرفوا أمرهم ، وسوء عاقبتهم ، فينزجروا عن الإتيان بمثل فعلهم.

قوله تعالى : ﴿يوم يأتوننا﴾ معمول لـ " أبصر ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٤٩٦

[ولا يجوز أن يكون معمولا لـ " أسمع " لأنه لا يفصل بين فعل التعجب ، ومعموله ؛ ولذلك كان الصحيح أنه] لا يجوز أن تكون المسألة من التنازع ، وقد جوزه بعضهم ملتزما إعمال الثاني ، وهو خلاف قاعدة الإعمال ، وقيل : بل هو أمر حقيقة ، والمأمور به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى : أسمع الناس ، وأبصرهم بهم وبحديثهم ماذا يصنع بهم من العذاب ؟ وهو منقول عن أبي العالية.

قوله تعالى : ﴿لاكن الظالمون اليوم﴾.

نصب " اليوم " بما تضمنه الجار من قوله " في ضلال مبين " أي : لكن الظالمون استقروا في ضلال مبين اليوم ، ولا يجوز أن يكون هذا الظرف هو الخبر ، والجار لغو ؛ لئلا يخبر عن الجثة [بالزمان ؛ بخلاف] قولك : القتال اليوم في دار زيد ؛ فإنه يجوز الاعتباران.

فصل في معنى الآية المعنى : ﴿لاكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ أي : خطأ بين ، وفي الآخرة يعرفون الحق.

٦٩

وقيل : لكن الظالمون اليوم في الآخرة في ضلال عن الجنة ؛ بخلاف المؤمنين.

وقوله ﴿لاكن الظالمون﴾ من إيقاع الظاهر موقع المضمر.

قوله : ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ هذا أمر لمحمد - صلوات الله عليه وسلم - بأن ينذر من في زمانه ، والإنذار : التخويف من العذاب ، لكي يحذروا ترك عبادة الله تعالى ، ويوم الحسرة : هو يوم القيامة ؛ لأنه يكثر التحسر من أهل النار.

وقيل : يتحسر أيضا في الجنة ، إذا لم يكن من السابقين إلى الدرجات العالية ؛ لقول رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - : " ما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : فما ندمه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إن كان محسنا ، ندم ألا يكون ازداد ، وإن كان مسيئا ندم ألا يكون نزع " والأول أصح ؛ لأن الحسرة [هم] ، ولا تليق بأهل الجنة.

قوله : ﴿إذ قضي الأمر﴾ : يجوز أن يكون منصوبا بالحسرة ، والمصدر المعرف بـ " أل " يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم ، فكيف بالظرف ؟ ويجوز أن يكون بدلا من " يوم " فيكون معمولا لـ " أنذر " كذا قال أبو البقاء ، والزمخشري وتبعهما أبو حيان ، ولم يذكر غير البدل ، وهذا لا يجوز إن كان الظرف باقيا على حقيقته ؛ إذ يستحيل أن يعمل المستقبل في الماضي ، فإن جعلت " اليوم " مفعولا به ، أي : خوفهم نفس اليوم ، أي : إنهم يخافون اليوم نفسه ، صح ذلك لخروج الظرف إلى حيز المفاعيل

الصريحة.

فصل في قوله تعالى ﴿إذ قضي الأمر﴾ في قوله تعالى : ﴿إذ قضي الأمر﴾ وجوه : أحدها : قضي الأمر ببيان الدلائل ، وشرح أمر الثواب والعقاب.

وثانيها : [إذ قضي الأمر يوم الحسرة بفناء الدنيا ، وزوال التكليف ، والأول أقرب ؛ لقوله : ﴿وهم لا يؤمنون﴾.

وثالثها :] " إذ قضي الأمر " فرغ من الحساب ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، وذبح الموت ؛ كما روي أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿إذ قضي الأمر﴾ فقال : " حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح ، فيذبح ، والفريقان ينظران ؛ فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرح ، وأهل النار غما إلى غم ".

٧٠

". (١)

"فصل لما ذكر قصص الأنبياء لمحمد – عليه السلام – أتبعه بما يدل على نبوته فقال : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ لأنه لفصاحته معجز فيكون من رب العالمين.

وأيضا فلأنه إخبار عن الأمم الماضية من غير تعلم ألبتة ، وذلك إلا بوحي من الله تعالى.

وأيضا فقوله ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ مؤكد لما ذكرنا ، لأن ذكر هذه القصص على ما هي في زبر الأولين من غير تفاوت أصلا مع أنه لم يشتغل بالتعلم والاستفادة دليل على أنه ليس إلا من عند الله ، ﴿نزل به الروح الأمين﴾ على قلبك يا محمد ، أي : فهمك إياه وأثبته في قلبك كي لا تنساه كقوله : ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ [الأعلى : ٦] ﴿لتكون من المنذرين﴾ : المخوفين.

وسمي جبريل روحا ، لأنه خلق من الروح.

وقيل : لأنه نجاة الخلق في باب الدين ، فهو كالروح التي تستتبع الحياة.

وقيل : لأنه روح كله ، لا كالناس في أبدانهم روح.

وسماه أمينا لأنه مؤتمن على ما يؤديه للأنبياء – (عليهم السلام) – .

فصل روي أن جبريل – عليه السلام – نزل على آدم – عليه السلام – اثنا عشرة مرة ، وعلى إدريس أربع مرات ، وعلى نوح خمسين مرة ، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة ، وعلى موسى أربعمائة مرة ، وعلى عيسى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٥٠٩

عشر مرات وعلى محمد – عليه السلام – أربع عشرة ألف مرة.

فإن قيل : لم قال : " على قلبك " وهو إنما أنزل عليه ؟ فالجواب : ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ للرسول متمكن من قبله لا يجوز عليه التغيير ، ولأن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختيار ، وأما سار الأعضاء فمسخرة له ، ويدل على ذلك القرآن والحديث والمعقول ، أما القرآن فقوله تعالى : ﴿نزله على قلبك﴾ [البقرة : ٩٧] ، ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ ، ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق : ٣٧] واستحقاق الجزاء ليس إلا على ما في القلب ، قال تعالى : ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولاكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ [البقرة : ٢٢٥] ﴿لن ينال الله لحومها ولا دمآؤها ولاكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج : ٣٧] والتقوى في القلب لقوله تعالى : ﴿أولائك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ [الحجرات : ٣] وقوله : ﴿وحصل ما في

٧٩

الصدور﴾ [العاديات : ١٠].

وحكى عن أهل النار قولهم : ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير﴾ [الملك : ١٠] والعقل في القلب ، والسمع منفذ إليه ، وقال : ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء : ٣٦] والسمع والبصر لا يستفاد منهما إلا ما يؤديانه إلى القلب ، وقال : ﴿يعلم خآئنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [غافر : ١٩] ولم تخن الأعين إلا بما تضمر القلوب إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الحديث فقوله – عليه السلام – : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " وأما المعقول فإن القلب إذا غشي عليه ، فإذا قطع سائر الأعضاء لم يحصل به الشعور ، وإذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات.

وأيضا فإذا فرح القلب أو حزن فإنه يتغير حال الأعضاء عند ذلك.

وأيضا فإن القلب منبع المشيئات الباعثة على الأفعال الصادر عن سار الأعضاء.

قوله : " بلسان عربي ".

يجوز أن يتعلق بـ " المنذرين " أي : لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي ، وهم : هود ، وصالح ، وشعيب ، وإسماعيل ، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – (و) يجوز أن يتعلق بـ " نزل " أي : نزل باللسان العربي لتنذر به ، لأنه لو نزل بالأعجمي لقالوا : لم نزل علينا ما لا نفهمه ؟ وجوز أبو البقاء أن يكون بدلا من " به " بإعادة العامل ، قال : أي نزل بلسان عربي ، أي : برسالة أو لغة.

قال ابن عباس : بلسان قريش ليفهموا ما فيه.

قوله : ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾.

أي : وإن القرآن.

وقيل : وإن محمدا ونعته ﴿لفي زبر الأولين﴾ أي : كتب الأولين.

وقيل : المراد وجوه التخويف ، لأن ذكر هذه الأشياء بأسرها قد تقدم ، وفيه التفات ، إذ لو جرى على ما تقدم لقيل : " وإنك لفي زبر ".

وقرأ الأعمش : " زبر " بسكون الباء ، وهي مخففة من المشهورة.

٨٠

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٧٨

." (١)

"الحوفي فجعلها متعلقة بـ " ناظرة " ، وهذا لا يستقيم ، لأن اسم الاستفهام له صدر الكلام و " بم يرجع " معلق لناظرة.

قوله : ﴿فلما جآء سليمان﴾ أي : فلما جاء الرسول ، أضمره لدلالة قولها " مرسلة " فإنه يستلزم رسولا ، والمراد به الجنس لا حقيقة رسول واحد ، بدليل خطابه لهم بالجمع في قوله : " أتمدونني..

" إلى آخره ، وكذلك قرأ عبد الل : فلما جاءوا ، وقرأ : " فارجعوا إليهم " ، اعتبارا بالأصل المشار إليه.

قوله : " أتمدونني " استفهام إنكار ، وقرأ حمزة بإدغام نون الرفع في نون الوقاية ، وأام الياء فإنه يحذفها وقفا ، ويثبتها وصلا على قاعدته في الزوائد ، والباقون بنونين – على الأصل – وأما الياء فإن نافعا وأبا عمرو كحمزة يثبتانها وصلا ويحذفانها وقفا ، وابن كثير يثبتها في الحالين ، والباقون يحذفونها في الحالين.

وروي عن نافع أنه يقرأ بنون ؤاحدة ، فتكملت ثلاثة قراءات كما في : ﴿تأمرونى أعبد﴾ [الزمر : ٦٤].

قال الزمخشري : ما الفرق بين قولك : أتمدونني بمال وأنا أغنى منكم ، وبين أن تقوله بالفاء ؟ قلت : إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى ، وهو – مع ذلك – يمدني بالمال ، وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفي عليه حالي ، وإنما أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده ، كأني أقول له : أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه ، وعليه ورد قوله : ﴿فمآ آتاني الله خير﴾ انتهى.

وفي هذا الفرق نظر ، إذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفاء ، ثم إنه لم يجب عن السؤال الأول ، وهو أنه :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٣٧

لم عدل عن قوله : وأنا إغنى منكم إلى قوله : ﴿فمآ آتاني الله﴾ ؟ وجوابه : أنه أسند إيتاء الغنى إلى الله ، إظهارا لنعمته عليه ، ولو قال : وأنا أغنى منكم ، كان فيه افتخار من غير ذكر لنعمة الله عليه ، فأظهر – بهذا الكلام – قلة

١٦١

الاكتراث بذلك المال.

قوله : " بل أنتم " إضراب انتقال ، قال الزمخشري : فإن قلت : فما وجه الإضراب ؟ قلت : لما أنكر عليهم الإمداد ، وعلل إنكاره ، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه ، وهو أنهم لا يعرفوهم سبب رضى إلا مما يهدى إليهم من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها ، والهدية : يجوز إضافتها إلى المهدي وإلى المهدى إليه ، وهي هنا محتملة للأمرين.

قال أبو حيان : وهي هنا مضافة للمهدى إليه ، وهذا هو الظاهر ، ويجوز أن تكون مضافة إلى المهدي ، أي : بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها **تفرحون فرح افتخار**.

قال شهاب الدين : كيف يجعل الأول هو الظاهر ، ولم ينقل أن سليمان – صلى الله عليه وسلم – أرسل إليهم هدية في هذه الحالة ، حتى يضيفها إليهم ، بل الذي يتعين إضافتها إلى المهدي.

ومعنى الآية : ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ , لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم لبعض ، وأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي ، لأن الله تعالى قد مكنني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحدا ، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة.

قوله : " ارجع " الظاهر أن الضمير يعود على الرسول ، وتقدمت قراءة عبد الله : " ارجعوا " ، وقيل : يعود على الهدهد.

" فلنأتينهم بجنود " وهذا جواب قسم مقدر ، وكذلك قوله : " ولنخرجنهم ".

قوله : " لا قبل " صفة لـ " جنود " ، أي : فيجري مجرى المؤنثة الواحدة كقولهم : الرجال وأعضادها.

وقرأ عبد الله " بهم " على الأصل.

" ولنخرجنهم منها " أي من بلادهم وأرض سبأ " أذلة " حال ، والذل : أن يذهب عنهم ما كان عندهم من العز والملك.

وقله : " وهم صاغرون " حال ثانية ، والظاهر أنها مؤكدة ، لأن " أذلة " تغني عنها.

فإن قيل : قوله " فلنأتينهم " ، و " لنخرجنهم " قسم ، فلا بد أن يقع

فالجوابك أنه معلق على شرط حذف لفهم المعنى ، أي : إن لم يأتوني مسلمين ، والصغار : أن يقعوا في أسر واستبعاد.
فصل قال ابن عباس : لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان ، قالت : قد عرفت والله ما هذا بملك ، ولا لنا به من طاقة ، وبعثت إلى سليمان : إني قادمة عليك بملوك قومي ، حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم آذنت بالرحيل إلى سليمان ، فلما قربت منه على فرسخ ، فرأى سليما رهجا قريبا ، فقال ما هذا ؟ قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان.
قال ابن عباس : وكان بن الكوفة والحيرة قدر فرسخ ، فأقبل سليمان حينئذ على جنوده ، فقال : ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ ؟ .
جزء : ١٥ رقم الصفحة : ١٦٠
." (١)

"النعمان بن سالم " عن جانب " وكلها بمعنى واحد.
ومثله الجناب والجنابة.
﴿وهم لا يشعرون﴾ جملة حالية ، ومتعلق الشعور محذوف أي : أنها تقصه ، أو أنه سيكون لهم عدوا وحزنا ، أو أنها أخته ، أو أنها ترقبه.
جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢١٩
قوله : ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ قيل : يجوز أن يكون جمع مرضع وهي المرأة ، وقيل : جمع مرضع بفتح الميم والضاد ، ثم جوزوا فيه أن يكون مكانا أي : مكان الإرضاع وهو الثدي وأن يكون مصدرا أي : الإرضاعات ، أن : أنواعها ، و " من قبل " أي : من قبل قصها أثره ، أو من قبل مجيء أخته ، ومن قبل ولادته في حكمنا وقضائنا.
والمراد من التحريم المنع ، لأن التحريم بالنهي تعبد وذلك لا يصح ، فلا بد من فعل سواه ، فيحتمل أن – تعالى – غير طبعه عن لبن سائر النساء ، فلذلك لم يرتضع أو أحدث في لبنهن طعما ينفر عنه طبعه ، أو وضع في لبن أمه لذة تعود بها ، فكان يكره لبن غيرها.
فصل قال ابن عباس : إن امرأة فرعون كان همها من الدنيا أن تجد له مرضعة ، فكل ما أتوه بمرضعة لم

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣٩٧١

يأخذ ثديها ؛ فذلك قوله عز وجل ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ ، فلما رأت أخت موسى التي أرسلتها أمه في طلبه ذلك ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه﴾ أي : يرضعونه لكم ويضمنونه ، وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن تجد صغيرا ترضعه.

قوله : ﴿وهم له ناصحون﴾ الظاهر أنه ضمير موسى ، وقيل لفرعون ، قال ابن

٢٢٢

جريج والسدي : لما قالت أخت موسى ﴿وهم له ناصحون﴾ استنكروا حالها وتفرسوا أنها قرابته ، فقالت : إنما أردت وهم للملك ناصحون ، فتخلصت منهم ، وهذا يسمى عند أهل البيان الكلام الموجه ومثله : لما سئل بعضهم وكان بين أقوام بعضهم يحب عليا دون غيره ، وبعضهم أبا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان ، فقيل له : أيهم أحب إلى رسول الله ؟ فقال : من كانت ابنته تحته.

وقيل لما تفرسوا أنه قرابته قالت : إنما قلت هذا رغبة في سرور الملك أمي.

قالوا : ولأمك ابن ؟ قالت : نعم ، هارون ، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها.

قالوا : صدقت ، فائتينا بها ، فانطلقت إلى أمه فأخبرتها بحال ابنها ، وجاءت بها إليهم ، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل تديثها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا.

والنصح : إخلاص العمل من سائر الفساد.

قوله : ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ برد موسى إليها ، " ولا تحزن " عطف على " تقر " ، ودمعة الفرح قارة ، ودمعة الترح حارة ، قال أبو تمام : ٣٩٧٦ - فأما عيون العاشقين فأسخنت

وأما عيون الشامتين فقرت

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢٢٢

وتقدم تحقيق هذا في مريم.

٢٢٣

﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ برده إليها كانت عالمة بذلك ولكن ليس المخبر كالمعاين فتحققت بوجود الموعود ، ﴿ولاكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الله وعدها رده إليها.

قال الضحاك : لما قبل ثديها قال هامان : إنك لأمه ، قالت : لا ، قال : فما بالك قبل ثديك من بين النسوة ؟ قالت : أيها الملك ، إني أمرأة طيبة الريح ، حلوة اللبن ، فما شم ريحي صبي إلا أقبل على ثديي.

قالوا : صدقت.

فلم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها أتحفها بالذهب والجواهر.
جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢٢٢
قوله : ﴿ولما بلغ أشده﴾ تقدم الكلام عليه ، " واستوى " أي : بلغ أربعين سنة - (قال ابن عباس -) وقيل : استوى : انتهى شبابه ، ﴿آتيناه حكما وعلما﴾ أي : الفقه والعقل والعلم في الدين ، فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيا ، ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ ، وهذا يدل على أنه ليس المراد بالحكم النبوة ، لأنه جعل إيتاءه الحكم والعلم مجازاة على إحسانه ، والنبوة لا تكون جزاء على العمل.
قوله : " ودخل المدينة " أي : ودخل موسى المدينة.
قال السدي : مدينة منف من أرض مصر ، وقال مقاتل : قرية تدعى حانين على (رأس) فرسخين من مصر ، وقيل : عين شمس ، قوله : ﴿على حين غفلة﴾ في موضع الحال إما من الفاعل أي : كائنا على حين غفلة ، أي : مستخفيا ، وإما من المفعول ، وقرأ أبو
٢٢٤
طالب القارىء " على حين " بفتح النون ، وتكلف أبو حيان تخريجها على أنه حمل المصدر على الفعل في أنه إذا أضيف الظرف إليه جاز بناؤه على الفتح ، كقوله :
٣٩٧٧ - على حين عاتبت المشيب على الصبا
." (١)

"وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - " إن قارون كان من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله " قوله : ﴿وآتيناه من الكنوز مآ إن مفاتحه﴾ ما موصولة بمعنى الذي صلتها (إن) وما في حيزها ولهذا كسرت ونقل الأخفش الصغير عن الكوفيين منع الوصل بإن وكان يستقبح ذلك عنهم ، يعني لوجوده في القرآن ، والمفاتح جمع مفتح بفتح الميم وهو الذي يفتح به الباب قاله قتادة ومجاهد وجماعة ، وقيل : مفاتحه خزائنه كقوله ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ [الأنعام : ٥٩] أي : خزائنه.
قوله : " لتنوء بالعصبة " فيها وجهان : أحدهما : بأن الباء للتعدية ، كالهمزة ولا قلب في الكلام ، والمعنى : لتنيء المفاتح العصبة الأقوياء كما تقول : أجأته وجئت به ، وأذهبته وذهبت به ، ومعنى ناء بكذا : نهض به بثقل ، قال : ٤٠١٧ - تنوء بأخراها فلأيا قيامها
وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٩٥

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢٨٦

وقال أبو زيد : نؤت بالعمل أي : نهضت به ، قال : ٤٠١٨ - إذا وجدنا خلفا بئس الخلف

عبدا إذا ما ناء بالحمل وقف

وفسره الزمخشري بالأثقال ، قال : يقال : ناء به الحمل حتى أثقله

٢٨٨

وأماله ، وعليه ينطبق المعنى أي : لتثقل المفاتح العصبة.

والثاني : قال أبو عبيدة إن في الكلام قلبا ، والأصل : لتنوء العصبة بالمفاتح أي : لتنهض بها لقولهم : عرضت لناقة على الحوض ، وتقدم الكلام في القلب وأن فيه ثلاثة مذاهب ، وقرأ بديل بن ميسرة : لينوء بالياء من تحت والتذكير ، لأنه راعى المضاف المحذوف ، إذ التقدير حملها أو ثقلها ، وقيل الضمير في " مفاتحه " لـ " قارون " فاكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير ، كقولهم : ذهبت أهل اليمامة ، قاله الزمخشري ؛ يعني كما اكتسب " أهل " التأنيث اكتسب هذا التذكير ، و " العصبة " : الجماعة الكثيرة ، والعصابة مثلها ، قال مجاهد : ما بين العشرة إلى الأربعين ؛ لقول إخوة يوسف ﴿ونحن عصبة﴾ [يوسف : ٨] وكانوا عشرة لأن يوسف وأخاه لم يكونا معهم وقيل : أربعون رجلا وقيل سبعون روي عن ابن عباس : كان يحمل مفاتحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال ، وروى جرير عن منصور عن خيثمة قال : وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا ما يزيد مفتاح منها على إصبع لكل مفتاح منها كنز ، وطعن بعضهم في هذا القول من وجهين الأول : ان مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو أنا قدرنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكان لها أعداد قليل من المفاتيح ، فأي حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح ؟ الثاني : أن المكنوز هي الأموال المدخرة في الأرض فلا يجوز أن يكون لها مفاتح.

٢٨٩

وأجيب عن الأول أن المال إذا كان من جنس (العروض لا من جسن النقد) جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد ، وأيضا أن قولهم تلك المفاتح بلغت ستين حملا ليس مذكورا في القرآن ، فلا تقبل هذه الرواية ، وعن الثاني أن الكنز وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع التي عليها أغلاق وحمل ابن عباس والحسن المفاتح على نفس المال وهذا أبين ، قثال ابن عباس كانت خزائنه يحملها أربعون رجلا أقوياء ، وقال أبو مسلم المراد من المفاتح العلم والإحاطة ، كقوله تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمهآ إلا هو﴾ [الأنعام : ٥٩] والمراد : آتيناه من الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها ما

يتعب القائمين أن يحفظوها.
قوله : " إذ قال " فيه أوجه : أن يكون معمولا لـ " تنوء " قاله الزمخشري ، أو لـ " بغى " قاله ابن عطية ، ورده أبو حيان بأن المعنى ليس على التقييد بهذا الوقت أو لـ " آتيناه " قاله أبو البقاء ورده أبو حيان بأن الإيتاء لم يكن ذلك الوقت.
أو لمحذوف ، فقدره ، أبو البقاء : بغى عليهم وهذا ينبغي أن يرد بما رد به قول ابن عطية.
وقدره الطبري : اذكر وقدره أبو حيان أظهر الفرح وهو مناسب ، واعلم أنه كان في قومه من وعظه بأمور : أحدها : قوله : لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ، وقرى الفارحين - حكاها عيسى الحجازي - والمراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن أمر الآخرة ، قال
٢٩٠
بعضهم : إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضي بها واطمأن إليها ، وأما من يعلم أنه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح.
وما أحسن قول المتنبي : ٤٠١٩ - أشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا
)
جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢٨٦
" (١).

"لي كفيلا فكفل له ابن عبد الله بن أبي بكر ، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد رآه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال : والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فأطاه ، ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية ، وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم.
وقيل : كان يوم بدر ، قال الشعبي : لم تمض تلك المدة التي عقدوا المانحبة بينهم أهل مكة وصاحب قمارهم أبي بن خلف والمسلمون وصاحب قمارهم أبو بكر الصديق ، وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس ، وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمر أبو بكر أبيا ، وأخذ مال الخطر من ورثته ، وجاء به يحمله إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - تصدق به.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٠٢٠

قوله : ﴿من قبل ومن بعد﴾ العامة على بنائه، ضما لقطعهما على الإضافة وإرادتهما أي من قبل الغلب ومن بعده أو من قبل كل أمر ومن بعده ، وإنما بني على الضم لما قطعت عن الإضافة لأن غير الضمة من الفتح والكسرة تشبيه بما يدخل إليهما وهو النصب والجر ، أما النصب ففي قولك : " جئت قبله أو بعده ".

وأما الجر ففي قولك : " من قبله ومن بعده " فبني عليه لعدم دخول مثلها عليه في الإعراب وهو الرفع ، وحكى الفراء كسرها من غير تنوين.

وغلطه النحاس وقال : إنما يجوز من قبل ومن بعد يعني مكسورا منونا ، قال شهاب الدين : وقد قرىء بذلك ووجهه أنه لم ينو إضافتهما فأعربهما كقوله : ٤٠٣٣ - فساغ لي الشراب وكنت قبلا

أكاد أغص بالماء القراح

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٨١

وقوله : ٤٠٣٤ - ونحن قتلنا الأسد أسد خفية

فما شربوا بعدا على لذة خمرا

وحكي من قبل بالتنوين والجر ومن بعد بالبناء على الضم.

٣٨٥

وقد خرج بعضهم ما حكاه الفراء على أنه قدر أن المضاف إليه موجود فترك الأول بحاله وأنشد : ٤٠٣٣ - ....

بين ذراعي وجبهة الأسد

والفرق لائح ، فإن في اللفظ مثل المحذوف على خلاف في تقدير البيت أيضا.

(فصل) وعلى قراءة عبد الله بن عمر ، وأبي سعيد الخدري ، والحسين ، وعيسى بن عمر غلبت الروم بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الياء وفتح اللام.

قالوا : نزلت حين أخبر النبي

٣٨٦

- صلى الله عليه وسلم - عن غلبة الروم فارسا في أدنى الأرض (إليكم) وهم من بعد غلبهم سيغلبون المسلمين في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم والأول قول أكثر المفسرين وهو الأصح ولله الأمر من قبل وم نبعد أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فأي الفريقين كان لهم

الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره.
قوله : " ويومئذ " أي إذ تغلب الروم فارسا ، والنصاب " ليوم " (يفرح وقوله " بنصر الله ينصر " من التجنيس ، وقد تقدم آخر الكهف ، وقوله : بنصر الله " الظاهر تلقه " بيفرح).
وجوز أبو البقاء أن يتعلق " بينصر " وهذا فيه تفكيك للنظم.
فصل المعنى : يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على فارس.
قال السدي : **فرح النبي** – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر ، فظهر أهل الكتاب على أهل الشرك ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ الغالب " الرحيم " للمؤمنين.
جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٨١
(١) ".

"جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٤١٢
قوله : ﴿وإذآ أذقنا الناس رحمة﴾ أي الخصب وكثرة المطر " فرحوا بها " **يعني فرح البطر** لما بين حال الشرك الظاهر شركه ، بين حال الشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته للدنيا ، فإذا أعطاه رضي ، وإذا منه سخط وقنط ، ولا ينبغي أن يكون كذلك بل ينبغي أن يعبد الله في الشدة وزالرخاء.
فإن قيل : **الفرح بالرحمة** مأمور به قال : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ [يونس : ٥٨] وههنا ذمهم **على الفرح بالرحمة**.
فالجواب : هناك قال افرحوا برحمة الله من حيث إنها مضافة إلى الله ، وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم إذا كان من الله.
قوله : ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي الجدب وقلة المطر ، وقيل : الخوف والبلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من السيئات ﴿إذا هم يقنطون﴾ ييأسوا من رحمة الله ، وهذا خلاف وصف المؤمنين فإنهم يشركونه عند النعمة ، ويرجونه عند الشدة.
قوله : ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشآء ويقدر﴾ ألم يعلموا أن الكل من الله فالمحق ينبغي أن لا يكون نظره إلى ما يوجد بل إلى من يوجد وهو الله ، فلا يكون له تبدل حال وإنما يكون **عنده الفرح الدائم** ولذلك قال : ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾.
٤١٤

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٠٦٢

قوله : ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ من البر والصلة ، و " المسكين " بأن يتصدق عليه ، وابن السبيل " يعني المسافر ، وقيل : الضيف.

وخص هذه الأصناف الثلاثة بالذكر دون بقية الأصناف الثمانية المذكورة في الصدقات ، لأنه أراد ههنا بيان من يجب الإحسان إليه على كل من له مال ، سواه كان زكويا أو لم يكن وساء كان قبل الحول أم بعده ؛ لأن المقصود هنا الشفقة العامة وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم وإن لم يكن للأنسان مال زائد أما القريب فتجب نفقته عليه إذا كان له مال وإن لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك ، فإن من لا شيء له إذا وقع في الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على القادر دفع حاجته وإن لم يكن عليه زكاة ، والفقير داخل في المسكين لأن من أوصى للمساكين بشيء يصرف إلى الفقير أيضا وإذا نظرت إلى الباقين من الأصناف رأيتهم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وجبت الزكاة عليهم وقدم القريب لأن دفع حاجته واجب سواء كان في مخمصة أو لم يكن فلذلك قدم على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة إلا إذا كان في شدة ، وأما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع ، فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع.

قوله : " ذلك خير " يحتمل أن يراد : " خير من عنده " ، وأن يكون ذلك خير في نفسه ﴿للذين يريدون وجه الله﴾ أي يطلبون ثواب الله مما يعملون ﴿وأولئك هم المفلحون﴾.

فإن قيل : كيف قال : ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ؟ مع أن للإفلاح شرائط أخرى مذكورة في قوله : ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ ؟ !.

فالجواب : كل وصف مذكور هنا يفيد الإفلاح ، وكذا الذي آتى المال لوجه الله يفيد الإفلاح اللهم إلا إذا وجد مانع من ارتكاب محظور أو ترك واجب.

فإن قيل : لم لم يذكر غيره من الأفعال كالصلاة وغيره ؟ فالجواب : الصلاة مذكورة من قبل وكذا غيرها في قوله : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ [الروم : ٣٠] ، وقوله ﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ [الروم : ٣١].

فإن قيل : قوله في البقرة : " فأولئك هم المفلحون " إشارة إلى من أقام الصلاة وآتى الزكاة ، وآمن بما أنزل على الرسول وبما أنزل من قبل وبالآخرين فهو المفلح ، وإذا كان المفلح منحصرا في " أولئك " فهذا خارج عنهم فكيف يكون مفلحا ؟ !.

فالجواب : هذا هو ذاك لأن قوله : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ أمر بذلك ، فإذا أتى

٤١٥
بالصلاة ، وآتى المال ، وأراد وجه الله ثبت أنه منم مقيمي الصلاة ومؤتي الزكاة ومعترف بالآخرة.
جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٤١٤
." (١)

"قوله : ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي.
قوله : " فريقا تقتلون " منصوب بما بعده وكذلك " فريقا " منصوب بما قبله ، والجملة مبينة ومقررة لقذف الرعب في قلوبهم والعامة على الخطاب في الفعلين ، وابن ذكوان - في رواية - بالغيبة فيهما ، واليماني بالغيبة في الأول فقط ، وأبو حيوة " تأسرون " بضم السين.
فإن قيل : ما فائدة التقديم المفعول في الأول حيث قال : تقتلون وتأخيره حيث قال " وتأسرون فريقا ؟ !.
فالجواب : قال ابن الخطيب إن القائل يبدأ بالأهم فالأهم والأقرب فالأقرب والرجال كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم والأسراء كانوا هم النساء والذراري ولم يكونوا مشهورين ولاسبي والأسر أظهر من القتل لأنه يبقى فيظهر لكل أحد أنه أسير فقدم من المحلين ما هو أشهر على الفعل القائم به ومن الفعلين ما هو أشهر قدمه
٥٣١
عل ى المحل الخفي ووجه آخر وهو أن قوله " فريقا تقتلون " فعل ومفعول والأصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل أما أنها جملة فعلية فلأنها لوكانت اسمية لكان الواجب في " فريق " الرفع ، كأنه يقول فريق منهم تقتلونهم (فلما نصب كان ذلك بفعل مضمير يفسره الظاهر تقديره : " تقتلون فريقا تقتلون ") والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول ، وههنا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وأنه قد قذف في قلوبهم الرعب فلو قال : تقتلون أوهم أن يسمع السامع مفعول " تقتلون " سبق في قلوبهم الرعب إلى سمعهم فيستمع إلى تمام الكلام ، وإذا كان الأول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية عليها على الأصل (فعدم) تقديم الفعل لزوال موجب التقديم إذ عرف حالهم وما يجيء بعده يكون مصروفا إليهم فلو قال بعد ذلك : " وفريقا تأسرون " فمن سمع " فريقا " رب ما يظن أنه يقال فيهم يطلقون أو لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا أولى وكذا الكلام في قوله :

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٠٧٥

﴿وأنزل الذين (ظاهروهم)﴾ (ظاهروهم) وقوله : " قذف " ، فإن قذف الرعب قبل الإنزال لأن الرعب صار سبيل الإنزال ولكن لما كان الفرح في إنزالهم أكثر قدم الإنزال على قذف الرعب والله أعلم.

فصل فريقا تقتلون هم الرجال قيل : كانوا ستمائة ، و " تأسرون فريقا " وهم النساء والذراري ، قيل : كانوا سبعمائة وخمسين ، وقيل تسعمائة ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها﴾ بعد ؛ قال ابن زيد ومقاتل يعني خيبر وقال قتادة.

كنا نحدث أنها مكية ، وقال الحسن : فارس والروم وقيل : القلاع وقال عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة.

قوله : " لم تطئوها " الجملة صفة " لأرضا " والعامة على همزة مضمومة ثم واو ساكنة ، وزيد بن علي " تطوها " بواو بعد طاء مفتوحة ووجهها أنها كبدل الهمزة ألفاعلى الإسناد كقوله :

٥٣٢

٤٠٨٢ - إن الأسود لتهدى في مرابضها

....

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٢١

فلما أسنده للواء التقى ساكنان محذوف أولهما نحو " لم تروها " وهذا أحسن من أن تقول ثم أجرى الألف المبدلة من الهمزة مجرى الألف المتأصلة فحذفها جزما لأن الأحسن هناك أن لا يحذف اعتدادا بأصلها ، واستشهد بعضهم على الحذف بقول زهير : ٤٠٨٣ - جريء متى يظلم يعاقب بظلمه

سريعا وإلا يبد بالظلم يظلم

قوله : ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ هذا يؤكد قول من قال : إن المراد من قوله ﴿وأرضا لم تطؤوها﴾ ما يؤخذ بعد من بني قريظة لأن الله تعالى لما ملكهم تلك البلاء ووعدهم بغيرها دفع استبعاد من لا يكون قوي الاتكال على الله تعالى وقال أليس الله ملككم هذه فهو على كل شيء قدير يملككم غيرها ، روى أبو هريرة - " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : " لا إله إلا الله وحده ، أعز جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده.

"

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٢١

". (١)

"قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا﴾ الآية وجه التعلق (هو) أن مكارم الأخلاق منحصرة في شيئين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وإلى هذا أشار عليه (الصلاة و) السلام بقوله : " الصلاة وما ملكت أيمانكم " ، فالله (تعالى لما) أرشد نبيه إلى ما يتعلق بجانب التعظيم لله بقوله : ﴿يأيها النبي اتق الله﴾ [الأحزاب : ١] ذكره ما يتعلق بجانب الشفقة وبدأ بالزوجات فإنهن أولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة.

فصل قال المفسرون : سبب نزلو هذه الآية نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - (سألنه) عن عرض الدنيا (شيئا) وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وآلى أن لا يقربهن شهرا ولا يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه فقال عمر : لأعلمن لكم شأنه قال : فدخلت على رسوله الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت يا رسول الله : أطلقتهن قال : لا ، فقلت : يا رسول الله إني

٥٣٤

دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال : نعم إن شئت فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه ونزلت هذه الآية : ﴿وإذا جآءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء : ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله آية التخيير وكانت تحت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكرن وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أمية ، وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الأسدية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها فقرأ عليها (القرآن) فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة.

ورؤي الفرح في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتابعنها على ذلك ، قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال : ﴿لا تحل لك النساء من بعد﴾.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٢٣

وعن جابر بن عبد الله قال : " دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لواحد منهم قال : فأذن لأبي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي – صلى الله عليه وسلم – جالسا حوله نساؤه واجما ساكنا قال : فقال : لأقولن شيئا أضحك النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال : هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول : تسألن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الآية : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ حتى بلغ ﴿للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ قال : فبدأ بعائشة فقال : يا عائشة إني أعرض عليك أمرا لا أحب أن تعجلي حتى تستشيري أبويك ، قالت : وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية فقالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت ، قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا " ، ورى الزهري

٥٣٥

." (١)

"إذا تقاتل قوم ومات الكل في القتال يقال : هؤلاء القوم هم قتلوا أنفسهم.

" فهم " في الموضعين يكون عائدا إلى القوم ولا يكون المراد أشخاصا معينين بل المراد أن بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى : " آية لهم " أي آية لكل بعض منهم أ ، ا حلمنا ذرية كل (بعض) منهم ، أو ذرية بعض منهم.

وإن قلنا : المراد جنس الفلك فآية ظاهرة لكل أحد وقوله تعالى في سفينة نوح : ﴿وجعلناهآ آية للعالمين﴾ [العنكبوت : ١٥] أي بوجود جنسها ومثلها.

ويؤيده قوله تعالى : ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [لقمان : ٣١] وإن قيل : المراد سفينة نوح فوجه المناسبة أنه ذكرهم بحال نوح وأن المكذبين هلكوا والمؤمنين فازوا فكذلك هم إن آمنوا يفوزوا وإن كذبوا يهلكوا.

والأول أظهر وهو أن المراد بالفلك الموجودة في زمانهم ويؤيده قوله تعالى : ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٢٤

فإن قيل : لم قال ﴿حملنا ذرييتهم﴾ ولم يقل : " حملناهم " ليكون أعم كما قال : ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون﴾ [يس : ٣٣] ولم يقل : تأكل ذريتهم ؟ .
فالجواب : قوله تعالى : " حملنا ذريتهم " أي ذريات العباد ولم يقل حملناهم لأن سكون الأرض عام (ل)كل أحد يسكنها فقال : ﴿وآية لهم الأرض الميتة﴾ إلى أن قال : ﴿فمنه يأكلون﴾ لأن الأكل عام وأما الحمل في السفنية فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذرية العباد لا بد لهم من ذلك فإن فيهم من يحتاج إليها فيحمل فيها.
فإن قيل : ما الحكمة في كونه جمع الفلك في قوله : ﴿وترى الفلك فيه مواخ ِر﴾ [فاطر : ١٢] وأفرده في قوله : ﴿في الفلك المشحون﴾.
فالجواب : أن فيه تدقيقا مليحا في علم اللغة وهو أن الفلك تكون حركتها مثل حركة تلك الكلمة في الصورة ، والحركتان مختلفنان في المعنى مثاله قولك : سجد يسجد سجودا للمصدر وهم قوم سجود في جمع " ساجد " يظن أنها كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرا حركته أصلية إذا قلنا : إن الفعل مشتق من المصدر
٢٢٧
وحركة السجود عند كونه للجمع حركة معتبرة من حيث إن الجمع مشتق من الواحد وينبغي أن يلحق الشمتق تغيير في حرف أو حركة أو في مجموعهما ، فساجد لما أردنا أن يشتق منه لفظ جمع غيرناه وجئنا بلفظ السجود فإذن السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الألفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين.
وإذا عرف هذا فنقول " الفلك " عند كونه واحدا مثل : " قفل وبرد " وعند كونها جمعا مثل خشب أو برد أو غيرهما.
فإن قيل : فإذا جعلته جمعا ما يكون واحدها ؟ .
فالجواب : نقول جاز أن يكون واحدها فلكة أو غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء لم يستعمل وكذا القول في : " إمام مبين " إمام كزمام وكتاب عند قوله تعالى : ﴿كل أناس بإمامهم﴾ [الإسراء : ٧١] أي بأئمتهم إمام كسهام وحفان ، وهذا من دقيق التصريف.
وأما من جهة المعنى ففيه سؤالات : السؤال الأول : قال ههنا : " حملنا ذريتهم " من عليهم بحمل ذرياتهم وقال تعالى : ﴿إنا لما طغا المآء حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة : ١١] من عليهم هناك بحمل أنفسهم.

فالجواب : أن من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه كمن أحسن إلى ولد إنسان وفرحة فـرح بفرحه أبوه وإذا دفع الألم عن ولد إنسان يكون **قد فرح أباه** ولا يكون في الحقيقة أزال الألم عن أبيه فعند طغيان الماء كان الضرر يلحقهم فقال : دفعت وههنا عنكم الضرر ولو قلا : دفعت عن أولادكم الضرر لما حصل بين دفع الضرر عنهم وههنا أراد بيان المنافع فقال : " حملنا ذرياتهم " لأن النفع حاصل بنفع الذرية ، ويدل على هذا قوله : " في الفلك المشحون " فإن امتلأ الفلك من الأموال يحصل (بذكره)

٢٢٨

" (١).

"فأجاب الله عن هذه الشبهة بقوله تعالى : ﴿الذى أنشأهآ أول مرة﴾ يعني كما خلق الإنسان ولم يكن شيئا مذكروا كذلك يعيده وإن لم يبق شيئيا مذكورا.

الثاني : أن من تفرقت أجزاؤه في مشارق الأرض ومغاربها وصار بعضه في أبدان السباع ، وبعضه في حواصل الطيوب وبعض في جدران الرباع كيف يجمتع ؟ وأبعد من هذا : لو أكل الإنسان إنسانا وصار أجزاء المأكول في أجزاء الآكل (فإن أعيدت أجزاء الآكل) فلا يبقى للمأكول أجزاء تتخلق منها أعضاء وإما أن تعاد إلى بدن المأكول فلا يبقى للآكل أجزاء.

فأبطل الله تعالى هذه الشبهة بقوله : ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ ووجهه : أن في الأكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك فإذا أكل إنسان إنسانا صار الأصلي من أجزاء المأكول فضليا من أجزاء الآكل والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان قبل الأكل فالله بكل خلق عليم يعلم الأصل من الفضل فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول وينفخ فيه روحا وكذلك يجمع أجزاءه المتفرقة في البقاع المتبددة بحكمته وقدرته.

ثم إنه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وإبطال نكارهم فقال : ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا﴾ هذه قراءة العامة ، وقرئ الخضرا اعتبارا بالمعنى ، وقد تقدم أنه يجوز تذكر اسم الجنس وتأنيثه قال تعالى : ﴿نخل منقعر﴾ [القمر : ٢٠] ﴿نخل خاوية﴾ [الحاقة : ٧] وتقدم أن بني تميم ونجد يذكرونه ، والحجاز يؤنثونه إلا ألفاظا استثنيت.

٢٦٦

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٢٤٣

فصل قال ابن عباس : هما شجرتان يقال لإحداهما المرخ وللأخرى العفار فمن أراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خصراوان يقطران الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله تعالى.

وتقول العرب : في كل شجر نار واستمجد المرخ العفار.

وقالت الحكماء : في كل شجرنا إلا العناب.

قوله : ﴿فإذآ أنتم منه توقدون﴾ أي تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر ، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ هذه قراءة العامة ودخلت الباء زائدة على اسم الفاعل ، والجحدري وابن أبي إسحاق والأعرج " يقدر " فعلا مضارعا والضمير لتضمنهم من يعقل ثم قال : " بلى " (أي قل بلى) هو قادر على ذلك ﴿وهو الخلاق العليم﴾ (يخلق خلقا بعد خلق) العليم بجميع ما خلق و " بلى " جواب " لليس " وإن دخل عليها الاستفهام لتصيرها إيجابا والعامة على " الخلاق " صيغة مبالغة ، والجحدري والحسن ومالك بن دينار " الخالق " اسم فاعل.

٢٦٧

قوله : ﴿إنمآ أمره إذآ أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ تقدم الخلاف في " فيكون " نصبا ورفعا وتوجيه ذلك في البقرة.

قوله : ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ قرأ طلحة والأعمش ملكة بزنة شجرة.

وقرئ مملكة بزنة مفعلة وقرئ ملك والملكوت أبلغ الجميع ، والعامة على " ترجعون " مبنيا للمفعول ، وزيد بن علي مبنيا للفاعل وتقدم الكلام على قوله " سبحان " والتسبيح التنزيه ، والمكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت ، وهو فعلول أو فعللوت فيه كلام ، قال - عليه (الصلاة و) السلام - : " اقرءوا على موتاكم يس " وقال عليه (الصلاة و) السلام : " لكل شيء قلب ، وإن قلب القرآن سورة يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات " وعن عائشة قالت : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن في القرآن سورة تشفع لقارئها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس " وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يس تدعى المعمة قيل : يا رسول الله : وما المعمة ؟ قال : تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة وتدعى

٢٦٨

الدافعة القاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة ، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها

كان له ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف يقين وألف رأفة ونزع منه كل داء وغل ، وعن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قرأ يس يريد بها وجه – عز وجل – غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة ، وأيما مريض قرئ عنده سورة ي نزل عليه بقدر كل حرف عشرة أملاك ، يقومون بين يديه صفوفا فيصلون عليه ويستغفرون عليه ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت وهو ريان ويبعث وهو ريان ، ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء ، حتة يدخل الجنة وهو ريان " وعن أبي هريرة قال : " قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وعن يحيى بن أبي كثير قال : بلغنا " من قرآ يس حين يصبح لم يزل **في فرح حتى** يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل **في فرح حتى** يصبح ".

٢٦٩

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٢٦٤." (١)

"قوله : ﴿عندهم من العلم﴾ فيه أوجه : أحدهما : أنه تهكم بهم ، والمعنى ليس عندهم علم.

الثاني : أن ذلك جاء على زعمهم أن عندهم علما ينتفعون به.

الثالث : أن " من " بمعنى بدل أي بما عندهم من الدنيا بدل العلم.

الرابع : أن يكون الضمير للرسل ، **أي فرح الرسل** بما عندهم من العلم.

الخامس : أن الأول للكفار ، وأما الثاني للرسل ، **ومعناه فرح الكفار** فرح ضحك واستهزاء بماعند الرسل من العلم ؛ إذ لم يأخذوه بقبول ويمتثلوا أوامر الوحي ونواهيه.

وقال الزمخشري : ومنها . أي من والوجوه . أن يوضع قوله : ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب **لأقصى الفرح والمسرة** مع تهكم بفرط خلوهم من العلم وجهلهم.

قال أبو حيان : ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية إلا في قليل من الكلام ، نحو : " شر أهر ذا ناب " على خلاف فيه ، ولما آل أمره إلى الإثبات المحصور جاز.

وأما في الآية فينبغي أن لا يحمل على القليل لأن في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٢٦٠

فصل قال المفسرون : الضمير في قوله : " فرحوا " يحتمل أن يكون عائدا على الكفار وأن يكون عائدا إلى الرسل فإن عاد إلى الكفار ، فذلك العلم الذي فرحوا به قيل : هو الأشياء التي كانوا يسمونها علما ، وهي الشبهات المحكية عنهم في القرآن ، كقولهم : ﴿وما يهلكنآ إلا الدهر﴾ [الجاثية : ٢٤] وقولهم : ﴿لو شآء الله مآ أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام : ١٨٤] وقولهم : ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ [يس : ٧٨] ﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ [الكهف : ٣٦] وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الأنبياء ، كما قال ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون : ٥٣] و[الروم : ٣٢] وقيل : المراد علوم الفلاسفة فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علوم الأنبياء عن علومهم كما روي عن سقراط أن سمع بمجيء أحد الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فقيل له : لو هاجرت إليه فقال : نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا.

وقيل : المراد علمهم

٩٣

بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها ، كقوله تعالى : ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم : ٧] ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ [النجم : ٣٠] فلما جاءت الرسل بعلوم الديانات ومعرفة الله تعالى ، ومعرفة المعاد وتطهير النفس من الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزأوا بها ، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفائدة من علمهم ففرحوا به.

وإن عاد الضمير إلى الأنبياء ففيه وجهان : الأول : أن يفرح الرسل إذا رأوا من قومهم جهلا كاملا وإعراضا عن الحق وعلموا سوء غفلتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم وإعراضهم يفرحوا بما أوتوا من العلم ، ويشركوا الله عليه " وحاق " بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم.

الثاني : أن المراد أن الرسل فرحوا بما عندهم من **العلم فرح ضحك** واستهزاء.

قوله : ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ أي عذابنا ﴿قالوا اا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي تبرأنا مما كنا نعدل بالله ، البأس : شدة العذاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿بعذاب بئيس﴾ [الأعراف : ١٦٥].

قوله : ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾ يجوز رفع " إيمانهم " اسما لكان ، و " وينفعهم " جملة خبرا مقدما ، ويجوز أن يرتفع بأنهن فاعل ينفعهم ، وفي كان ضمير الشأن.

وقد تقدم هذا محققا في قوله : ﴿ما كان يصنع فرعون﴾ [الأعراف : ١٣٧] وأنه ليس من باب التنازع.

ودخل حرف النفي على الكون لا على النفي ؛ لأنه بمعنى لا يصح ولا ينبغي ، كقوله تعالى : ﴿ما كان لله

أن يتخذ من ولد﴾ [مريم : ٣٥].
واعلم أن المراد بالوقت الذي لا ينفع الإيمان فيه هو وقت معاينة نزول ملائكة الرحمة وملائكة العذاب لأن في ذلك الوقت يصير المرء ملجأ إلى الإيمان فذلك الإيمان لا ينفع.
قوله : ﴿سنة الله﴾ يجوز انتصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة يعني إن الذي فعل الله بهم سنة سابقة من الله ، ويجوز انتصابها على التحذير ، أي احذروا سنة الله في المكذبين ﴿التي قد خلت في عباده﴾ ، وتلك السنة أنهم إذا عاينوا العذاب آمنوا
٩٤

ولا ينفعهم إيمانهم ﴿هنالك الكافرون﴾ " هنالك " في الأصل مكان.
قيل : واستعير هنا للزمان ، ولا حاجة فالمكانية فيه ظاهرة ، أي وخسر هنالك الكافرون بذهاب الدارين.
قال الزجاج : " الكافر خاسر في كل وقت ، وإنما يبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب ".
فصل قال بن سيرين : رأى رجل في المنام سبع جوار حسان في مكان واحد لم ير أحسن منهن فقال لهن : لمن أنتن ؟ فقلن : لمن قرأ آل حم.
(اللهم وفقنا لكتابك) (والله سبحانه وتعالى أعلم).
٩٥
جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٩٢." (١)
"فأما الكسر فهو صفة على " فعل " وفعله : " فعل " بكسر العين أيضا كفعله ؛ يقال : نحس فهو نحس ، كفرح ، فهو فرح ، وأشر فهو أشر ، ومعناه نكدات مشئومات ذات نحوس.
وأمال الليث من الكسائي ألفه لأجل الكسرة ، ولكنه غير مشهور عنه حتى نسبه الداني للوهم وأما قراءة الإسكان فتحتمل ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون مخفف من " فعل " في القراءة المتقدمة وفيه توافق القراءتين.
الثاني : أنه مصدر وصف به كرجل عدل ، إلا أن هذا يضعفه الجمع ، فإن الفصيح في المصدر الموصوف (به) أن يوحد وكأن المسوغ للجمع اختلاف أنواعه في الأصل.
الثالث : أنه صفة مستقلة على " فعل " بسكون العين ولكن أهل التصريف لم يذكروا في الصفة الجائية

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٢١

من " فعل " بكسر العين إلا أوزانا محصورة ليس فيه " فعل " بالسكون فذكروا : فرح فهو فرح وحوز فهو أحور ، وشبع فهو شبعان ، وسلم فهو سالم ، وبلي فهو بال.

وفي معنى " نحسات " قولان : أحدهما : أنها من الشؤم ، قال السدي أي مشائيم من النحس المعروف.

والثاني : أنها من شدة البرد وأنشدوا على الأول قول الشاعر : ٤٣٦٠. يومين غيمين ويوما نحسا

نجمين سعدين ونجما نحسا

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ١٢٠

١٢١

وعلى المعنى الثاني : ٤٣٦١.كأن سلافة عرضت لنحس

يحيل شفيفها الماء الزلالا

ومنه : ٤٣٦٢. قد أغتدي قبل طلوع الشمس

للصيد في يوم قليل النحس

وقيل : يريد به في هذا البيت الغبار ، أي قليل الغبار.

وقد قيل بذلك في الآية إنها ذات غبار.

و " نحسات " نعت لأيام ، والجمع بالألف والتاء مطرد في صفة ما لايعقل كأيام معدودات كما تقدم تحقيقه في البقرة (اللهم يسر).

فصل الصرصر : العاصفة التي تصرصر في هبوبها ؟ .

روي عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : الرياح ثمان ، اربع منها عذاب وهي العاصف ، والصرصر ، والعقيم ، والعاصفة ، واربع منها رحمة ، وهي : الناشرات ، والمبشرات ، والمرسلات ، والذارياتت.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الله تعالى ما أرسل على عباده من الريح إلا قدر خاتمي.

وقال الضحاك : أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ، وتوالت الرياح عليهم من غير مطر.

فصل استدل الأحكاميون من المنجمين بهذه الآية على أن بعض الأيام يكون نحسا وبعضها سعدا وأجاب المتكلمون بأن المراد بهذه الحسنات أي ذات غبار وتراب ثائر ، لا يكاد يبصر فيه ولا يتصرف فيه ، وقالوا أيضا : معنى كون هذه الأيام نحسات أن الله أهلكهم فيها.

وأجاب الأحكاميون بأن الأحكام في وضع اللغة هي المشئومات لأن

١٢٢
النحس مقابلة السعد ، والهواء الكدر يقابله الصافي.

وأيضا فإنه تعالى أخبر عن إيقاع ذلك العذاب في تلك الأيام النحسات ، فوجب أن كون تلك الأيام نحسة مغايار لذلك الذاب الذي وقع فيها.

قوله : ﴿لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ أي عذاب الهوان والذل مقابل لذلك الاستكبار ﴿ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾ أي لا يكون لهم ناصر يدعف عنهم ذلك الخزي.

قوله تعالى : ﴿وأما ثمود﴾ الجمهور على رفعه ، ممنوع الصرف.

والأعمش وابن وثاب مصروفا ، وكذلك كل ما في القرآن إلا قوله : ﴿وآتينا ثمود الناقة﴾ [الإسراء : ٥٩] ، قالوا لأن الرسم ثمود بغير ألف.

وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق والأعمش . في رواية . ثمودا منصوبا مصروفا.

والحسن وابن هرمز وعاصم أيضا منصوبا غير منصرف.

فأما الصرف وعدمه فقد تقدم توجيههما في " هود ".

وأما الرفع فعلى الابتداء والجملة بعده الخبر ، وهو متعين عند الجمهور لأن " أما " لا يليها إلا المبتدأ ، فلا يجوز فيما بعدها الاشتغال إلا في قليل كهذه القراءة ، وإذا قدرت الفعل الناصب فقدره بعد
١٢٣
". (١)

"بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليهضا طعامه وشرابه ، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، قد أيس من راحلته فبينضا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك " أخطأ من شدة الفرح.

قوله : ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ قرأ الأخوان وحفص يفعلون بالياء من تحت ؛ نظرا إلى قوله : " من عباده " وقال بعده : ﴿ويزيدهم من فضله﴾ والباقون بالخطاب إقبالا على اناس عامة ، وهو خطاب للمشركين.

قوله تعالى : ﴿الذين آمنوا﴾ يجوز أن يكون الموصول فاعلا أي يجيبون ربهم إذا دعاهم كقوله تعالى : ﴿استجيبوا لله ۝ وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال : ٢٤] واستجاب كأجاب ، ومنه قوله الشاعر : ٤٣٨١. وداع دعا يا من يجيب إلى الندى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٣٤

فلم يستجبه عند ذلك مجيب

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ١٨١

ويجوز أن تكون السين للطلب على بابها بمعنى ويستدعي المؤمنون الإجابة من ربهم بالأعمال الصالحة.

ويجوز أن يكون الموصول مفعولا به والفاعل مضمر يعود على الله بمعنى : ويجيب الذين آمنوا اي دعاءهم.

وقيل : ثم لام مقدرة أي ويستجيب الله للذين آمنوا ، (فحذفها ، للعلم بها ، كقوله : ﴿وإذا كالوهم﴾ [المطففين : ٣] قال عطاء عن ابن عباس

١٩٥

معناه : ويثيب الذين آمنوا) وعلموا الصالحات ﴿ويزيدهم من فضله﴾ سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه ، وروى أبو صالح عه : يشفعهم ويزيدهم من فضله.

(ثم) قال في أخونان إخوانهم : ﴿والكافرون ل◌هم عذاب شديد﴾.

قوله تعالى : ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ ، قال خباب بن الأرت : فينا نزلت هذه الآية ، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع وتمنيناها فأنزل الله عز وجل ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا﴾ ، لطغوا في الأرض ، قال ابن عباس ـ (رضي الله عهنما) : بغيهم طلب(ـهم) منزلة بعد منزلة ، ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس ، ولكن ينزل أرزاقهم قدر ما شاء نظرا منه لعباده.

(قرأ ابن كثير وأبو عمر ينزل مشددة ، والباقون مخففة) إنه بعباده خبير بصير.

روى أنس بن مالك عن النبي ـ صلى الله علهي وسلم ـ عن جبريل عن الله عز وجل في حديث طويل وفيه يقول الله عز وجل : " ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يك◌ره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب عن العبادة فأكفه عنه (أن) لا يدخله عجب فيفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي (المؤمنين) لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أعنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي (المؤمنين) لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي (المؤمنين) لمنء لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك وذلك أني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير◌ ".

فصل وجه التعلق أنه تعالى لما قال في الآية الأولى إنه يجيب دعاء المؤمنين ورد عليه سؤال وهو أن المؤمن

قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعو فلا يظهر أثر الإجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله : ويستجيب الذين آمنوا ؟ ! فأجاب تعالى عنه بقوله : ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ ، ولأقدموا على المعاصي ، فلذلك وجب أن لا يعطيهم ما طلبوه ، ويؤيده الحديث المتقدم.

فصل قال الجبائي : هذه الآية تدل على فساد قول المجبرة من وجهين :

١٩٦

." (١)

"الأول : أنه تعالى لو بسط الرزق لعباده لبغوا في الأرض غير مراد ، فعلمنا أنه تعالى لا يريد البغي في الأرض ، وذلك يوجب فساد قول المجبرة.

الثاني : أنه تعالى إنما لم يرد بسط الرزق ؛ لأنه يفضي إلى المفسدة ، فلما بين تعالى أنه لا يريد ما يفضي إلى المفسدة فبأن لا يكون مريدا للمفسدة كان أولى.

وأجيب : بأن الميل إلى البغي والقسوة والقهر صفة حدثت بعد أن لم تكن ، فلا بد لها من فاعل وفاعل هذه الأحوال إما البعد أو الله ، والأول باطل ؛ لأنه إنما يفعل هذه الأشياء لو مال طبعه إليه وعاد السؤال في أنه من المحدث لذلك الميل الثاني ؟ ويلزم التسلسل ، وأيضا فالميل الشديد إلى الظلم والقسوة عيوب ونقصانات ، والعاقل لا يرضى بتحصيل موجبات النقصان لنفسه ، ولما بطل هذا ثبت أن محدث هذا الميل والرغبة هو الله تعالى.

ثم أوده الجبائي على نفسه سؤالا : فإن قيل : أليس قد يبسط الرزق لبعض عباده مع أنه يبغي ؟ !.

فأجاب عنه : بأن الذي يبسط الرزق إذا بغى كان المعلوم من حاله أنه يبغي على كل حال سواء أعطي ذلك الرزق أو لم يعط.

قال ابن الخطيب : هذا الجواب فاسد ، ويدل عليه القرآن والعقل أما القرآن فقوله تعالى : ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ [العلق : ٦.٧] حكم مطابق لكن حصول الغنى سبب لحصول الطغيان وأم ا االعقل فهو أن النفس إذا كانت مائلة إلى الشر فمعحصول الغنى تميل إلى الشر أكثر ، فثبت أن وجدان المال يوجب الطغيان.

فصل في كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوه : الأول : أن الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لا متنع كون البعض محتاجا إلى البعض ، وذلك يوجب خراب العالم وتعطيل المصالح.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٦٥

الثاني : أن هذه الأية مختصة بالعرب.

فإنه كلما اتسع رزقهم ، ووجدوا من ماء المطر ما يرويهم ومن الكلأ والعشب ما يشبعهم ، أقدموا على النهب والغارة.

الثالث : أن الإنسان متكبر بالطبع ، فإذا وجد الغنى والقدرة عاد إلى مقتضى خلقته الأصلية وهو التكبر وإذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر وعاد إلى التواضع والطاعة.

١٩٧

قوله تعالى : ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ أي املطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ من بعد ما يئس الناس منه.

وإنزال الغيب بعد القنوط أدعى إلى الشكر ؛ **لأن الفرح بحصول** النعمة بعد البلية أتم.

قال الزمخشري : قرىء قنطوا ، بفتح النون وكسرها.

(فأما فتح النون فهي قراءة العامة ، وأما كسرها فهي قراءة يحيى بن وثاب ، والأعمش وهي لغة وعليها قراءة : ﴿يقنط﴾ [الحجر : ٥٦] ﴿لا تقنطوا﴾ [الزمر : ٥٣] بفتح النون في المتواتر.

ولم يقرأ في الكسر في الماضي إلا شاذا و " ما " مصدرية أي من بعد قنوطهم).

قال مقاتل : حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حين قنطوا ، ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نعمه.

قوله : ﴿وينشر رحمته﴾ يبسط مطره ، كما قال : ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته﴾ [الأعراف : ٥٧] وهو الولي الحميد.

" الولي " : الذي يتولى عباده بإحاسنه " الحميد " المحمود على ما يوصل إلى الخلق من الرحمة وقيل : " الولي " لأهل طاعته ، " الحميد " عند خلقه.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ١٨١

قوله تعالى : ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض...

﴾ الآية قد تقدم الكلام على دلالة خلق السموات والأرض والحيوانات على وجود الإله الحيكم.

فإن قيل : كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة ؟ !.

فالجواب : فيه وجوه : الأول : أنه قد يضاف الفعل إلى جماعة ، وإن كان فاعله واحدا منهم كما يقال : " بنو فلان فعلوا كذا " ، وإنما فعله واحد م نهم ومنه قوله : ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن : ٢٢].

الثاني : أن الدابة عبارة عما فيه الروح والحركة ، والملائكة لهم الروح والحركة.

الثالث : لا يبعد أن يقال : إنه تعالى خلق في السموات أنواعا من الحيوانات يمشون

١٩٨

." (١)

"قوله : " ينصرونهم " صفة " لأولياء " ، فيجوز أن يحكم على موضعها بالجر اعتبارا بلفظ موصوفها وبالرفع اعتبارا بمحلة ، فإنه اسم لكان.

وقوله : " من سبيل " إما فاعل وإما مبتدأ ، والمعنى فما له من سبيل إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى وقد أفسد عليهم طريق الخير.

قوله : ﴿وقال الذين آمنوا اا﴾ يجوز أن يكون ماضيا على حقيقته ، ويكون " يوم القيامة " معمولا " لخسروا " ويجوز أن يكون بمعنى يقول فيكون يوم القيامة معمولا له.

قله تعالى : ﴿استجيبوا لربكم...

﴾ الآيات.

لما ذكر الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود ، فقال : ﴿استجيبوا لربكم﴾ أي أجيبوا داعي (ربكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ أي لا يقدر أحد على دفعه.

قوله : " من الله " يجوز تعلقه بيأتي أي يأتي من الله يوم لا مرد له ، وأن يتعلق بمحذوف يدل عليه " لا مرد له " أي لا يرد ذلك اليوم ما حكم الله به فيه.

وجوز الزمخشري أن يتعلق " بلا مرد " ، ورده أبو حيان : بأنه يكون معمولا وكان ينبغي أن يعرب فينصب منونا.

واختلفوا في المراد بذلك اليوم ، فقيل : هو ورود الموت.

وقيل : يوم القيامة ، قال ابن الخطيب : ويحتمل أن يكون معنى قوله : لا مرد له " أي لا يقبل التقديم ولا التأخير ، وأن يكون معناه أنه لا مرد فيه إلى حال التكليف حتى يحصل فيه التلاقي.

ثم وصف اليوم فقال فيه : ﴿ما لكم من ملجأ﴾ تلجأون إليه يقع به المخلص من العذاب ﴿وما لكم من نكير﴾ ينكر تغير ما بكم.

ويجوز أن يكون المراد من النكير الإنكار ، أي لا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه من الأعمال.

قوله : " فإن أعرضوا " عن الاستجابة ولم يقبلوا هذا الأمر ﴿فمآ أرسلناك عليهم حفيظا﴾ بأن تحفظ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٦٦

أعمالهم وتحصيها ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ أي ما عليك إلا البلا غ ، وذلك تسلية من الله تعالى له.

، ثم بين السبب في إصرارهم على الكفر فقال : ﴿وإنآ إذآ أذقنا

٢١٧

الإنسان منا رحمة﴾ قال ابن عباس . (رضي الله عنهما) . يعني الغنى والصحة " فرح بها ".

واعلم أن نعم الله وإن كانت في الدنيا عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى سعادات الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر ، فلذلك سميت ذوقا.

فبين (الله) تعالى أن الإنسان إذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به وعظم غروره ، ووقع في العجب والكبر ، ويظن أنه فاز بكل المنى ، ووصل إلى أقصى السعادات ، وهذه طريقة من ضعف اعتقاده في سعادات الآخرة.

ثم إنه تعالى بين أنه متى أصابهم سيئة أي شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر والقحط وغيرها فإنه يظهر الكفر وهو (معنى) قوله : ﴿فإن الإنسان كفور﴾ ، والكفور : هو المبالغ في الكفران والمراد بقوله : كفور أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد باول شدة جميع ما سلف من النعم.

وقوله : فإن الإنسان من وقوع الظاهر موقع المضمر أي فإنه كفور.

وقدر أبو البقاء : ضميرا محذوفا فقال فإن الإنسان (منهم) ولما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بعدها اتبع ذلك بقوله : ﴿لله ملك السماوات والأرض﴾ له التصرف فيهما بما يريد والمقصود منه أن لا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه بل إذا علم أن الكل ملك لله وملكه وإنما حصل له القدر إنعاما من الله عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد من الطاعة.

ثم ذكر من أقسام تصرف الله تعالى في العالم أنه يخص البعض بالأولاد و الإناث والبعض بالذكور والبعض بهما ، والبعض بأن يجعله محروما من الكل وهو المراد بقوله : ﴿ويجعل من يشآء ُ عقيما﴾.

قوله : ﴿ذكرانا وإناثا﴾ حال وهي حال لازمة ؟ وسوغ مجيئها كذلك أنها بعد ما يجوز أن يكون الأمر على خلافه ، لأن معنى يزوجهم يقرنهم.

قال الزمخشري : فإن قلت : لم قدم الإناث على الذكور مع تقديمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ؟ ! ولم عرف الذكور بعدما نكر الإناث ؟ !.

قلت : لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى ، وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة السابقة عنه ، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقد الإناث ؛ لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤ(هـ)

". (١)

"الإنسان ، فكان ذكر الإنثا اللاتي من جملة ما يشاؤه الإنسان أهم ، والأهم واجب التقديم ، وليلي الجنس التي كانت العرب تعده بلاء (ذكر) البلاء ، وآخر الذكور ، فلما أخرهم تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم وبالتعريف ، لأن تعريفهم فيه تنويه وتشهير ، كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم.

ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال : " ذكرانا وإناثا " (كما قال : إنا) ﴿خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ [الحجرات : ١٣] فجعل فيه ﴿الزوجين الذكر والأنثى﴾.

فصل قال ابن الخطيب : وفي الآية سؤالات : الأول : أنه قدم الإناث في الذكر على الذكور أولا ، ثم قدم الذكر على الإناث ثانيا فما السبب في هذا التقديم والتأخير ؟ الثاني : أنه ينكر الإناث وعرف الذكور وقال في الص○○نفين معا ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾.

الثالث : لما كان حصول الولد هبة من الله تعالى فيكفي في عدم حصوله أن لا يهب فأي حاجة في عدم حصوله إلى قوله : ﴿ويجعل من يشآء عقيما﴾.

الرابع : هل المراد بهذا الحكم جمع معينون أو الحكم على الإنسان المطلق ؟ والجواب على الأول : أن الكريم يسعى في أن يقع الحتم على الخير والراحة فإذا وهب الأنثى أولا ثم أعطي الذكر بعده فكأنه نقله من الغم **إلى الفرح** ، وهذا غاية الكرم ، أما إذا أعطي الذكر أولا ثم أعطي الأنثى ثانيا فكأنه نقله **من الفرح إلى** الغم ، فذكر الله تعالى هبة الأنثى أولا ، ثم ثنى بهبة الذكر حتى يكون قد نقله من الغم **إلى الفرح** **فيكون** أليق بالكرم.

قيل : من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر ؛ لأن الله بدأ بالإناث وأما تقديم ذكر الذكور على الإناث ثانيا ؛ لأن الذكر أكمل وأفضل من الأنثى ، والأفضل مقدم على المفضول.

وأما الجواب عن تنكير الإناث وتعريف الذكور فهو أن المقصود منه التبيه على أن الذكور أفضل من الأنثى وأما قوله : ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾ وهو أن كل شيئين يقرن أحدهما بالآخر ، فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له : زوج والكناية في " يزوجهم "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٧٥

٢١٩
عائدة على الإناث والذكور والمعنى يجعل الذكور والإناث أزواجا أي يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث.

وأما الجواب عن قوله " عقيما " فالعقيم هو الذي لا يلد ولا يولد له يقال : رجل عقيم ، وامرأة عقيم ، وأصل العقم القطع ومنه قيل : الملك عقيم ، لأنه يقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق.

وأما الجواب عن الرابع فقال ابن عباس . (رضي الله عنهما) . : يهب لمن يشاء إناثا ، يريد لوطا وشعيبا لم يكن لهما إلا البنات ، و ﴿ويهب لمن يشآء الذكور﴾ يريد : إبراهيم لم يكن له إلا الذكور ، ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾ يريد محمدا صلى الله عليه وسلم كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبدالله ، وإبراهيم ، ومن البنات إربع : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ﴿ويجعل من يشآء عقيما﴾ يريد يحيى وعيسى . عليهما الصلاة والسلام ..

وقال أكثر المفسرين : هذا على وجه التمثيل ، وإنما الحكم عام في كل الناس ؛ لأن المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الأنبياء كيف شاء ، فلا معنى للتخصيص.

ثم إنه تعالى خت الآية بقوله : ﴿إنه عليم قدير﴾.

قال ابن عباس . (رضي الله عنهما) . : عليم بما خلق قدير ما يشاء أن يخلقه.

والله أعلم.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٢١٤

قوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا...

﴾ الآية لما بين حال قدرته وعلمه وحكمته أتبعه ببيان أنه كيف يخص أنبياءه بوحيه وكلامه.

ووقوله : " أن يكلمه " " أن " ومنصوبها اسم كان و " لبشر " خبرها.

وقال أبو البقاء : " أن " والفعل في موضع رفع

٢٢٠

." (١)

"وقرأ علي مجاهد . رضي الله عنهما . سلفا . بضم السين.

وفيه وجهان :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٧٦

٢٨٠

أشهرهما : أنه جمع سلفة كغرفة وغرف.

والسلفة الأمة.

وقيل : الأصل سلفا بضمتين ، وإنما أبدل من الضمة فتحة.

وقوله : " مثلا " إما مفعول ثان إن كانت بمعنى صير ، وإلا حالا.

قاق الفراء والزجاج : جعلناهم متفرقين ليتعظ بهم الآخرون ، وهم كفار أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمعنى ومثلا للآخرين أي عظة لمن بقي بعدهم وعبرة.

قال أبو علي الفارسي : المثل واحد يراد به الجمع ، ومن ثم عطف على سلف والدليل على وقوعه (على) أكثر من واحد قوله تعالى : ﴿ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا﴾ [النحل : ٧٥].

فأدخل تحت المثل شيئين وقيل : المعنى سلفا لفكار هذه الأمة إلى النار ، ومثلا لمن يجيء بعدهم.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٢٧٠

قوله تعالى : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا﴾ اعلم أنه تعالى ذكر أنواعا كثيرة من كفراناتهم ، فأولها : قوله تعالى : ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ [الزخرف : ١٥].

وثانيها : قوله : ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثا﴾ [الزخرف : ١٩].

وثالثها : قوله : ﴿وقالوا لو شآء الرحمان ما عبدناهم﴾ [الزخرف : ٢٠].

ورابعها : قوله : ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف : ٣١].

٢٨١

وخامسها : هذه الآية : وليس في لفظها ما يدل على أن ذلك المثللا أي شيء كان والمفسرون ذكروا فيه وجوها : أشهرها : قال ابن عباس وأكثر المفسرين : نزلت الآية في مجادلة عبدالله بن الزبعرى مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شأن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما نزل قول الله عز وجل : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء : ٩٨] كما تقدم في سورة الأنبياء.

والمعنى : ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا ، وجادل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه " إذا قومك " من قريش " منه " أي من هذا المثل " يصدون " أي يرتفع لهم ضجيج فرحا بسبب مارأوا من سكوت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه قد جرت العادة بأن أحد الخصمين إذا

انقطع ، أظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج.

وقيل : إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح وجعلوه إلها لأنفسهم قالت كفار قريش : إن محمدا يريد أن يجعل نفسه لنا إلها كما جعل النصارى المسيح إلها لأنفسهم فعند هذا قالوا : ﴿أآلهتنا خير أم هو﴾ فعند ذلك قالوا : إن محمدا يدعونا لعبادة نفسه وآباؤنا زعموا أنه يجب عبادة هذه الأصنام وإذا كان لا بد من عبادة أحد هذين فعبادة الأصنام أولى ؛ لأن آبائنا وآسلافنا أجمعوا على ذلك ، وأما محمد فإنه متهم في أمرنا بعبادته.

ثم إنه تعالى لم يقل : إن عبادة المسيح طريق حسن ، بل هو كلام باطل ، وأن عيسى ليس إلا عبدا أنعمنا علي۫ فزالت شبهتهم في قولهم : إن محمدا يريد أن يأمرنا بعبادة نفسه.

وقيل : إن الكفار لما رأوا النصارى يعبدون عيسى قالوا إذا عبد النصارى عيسى فآلهتنا خير من عيسى فعبدوال الملائكة.

قوله : " يصدون " قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويصدون ـ بضم الصاد ـ والباقون بكسرها ، . فقيل : هما بمعنى واحد.

وهو الصحيح واللفظ ، يقال : صد يصدذ ويصد كعكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) يضجرون.

وقال سعيد بن المسيب :

٢٨٢

". (١)

"ينظرونها.

فقوله : " أن تأتيهم " بدل من الساعة.

والمعنى هل ينظرون إلا إتيان الساعة.

قوله : " بغتة " فجأة.

فإن قيل : قوله بغتة يفيد ما يفيد قوله : " وهم لا يشعرون " فما فائدته ؟ فالجواب : يجوز أن تأتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب انهم يشاهدونه ".

قوله تعالى : " الأخلاء يومئذ " مبتدأ وخبره " عدو " والتنوين في " يومئذ " عوض عن جملة ، تقديره :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٥٠٠

" يومئذ تأتيهم الساعة.

والعامل في يومئذ : تأتيهم الساعة والعامل في " يومئذ " لفظ " عدو " أي عداوتهم في ذلك اليوم.

فصل معنى الآية الأخلاء على المعصية في الدنيا يومئذ أي يوم القيامة ﴿لبعض عدو إلا المتقين﴾ يعني المتحابين في الله على طاعة الله وهم الموحدون الذين يخال بعضهم بعضا على الإيمان والتقوى فإن خلتهم لا تصير عداوة.

روى أبو ثور عن م◌عمر عن قتادة عن أبي إسحاق أن عليا (رضي الله عنه) قال : في الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران ، فمات أحد المؤمنين فقال : يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير ، وينهاني عن الشر ، ويخبرني أني ملاقيك يا رب ، فلا تضله بعدي ، واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني ، فإذا مات خليله المؤمن جمع (الله) بينهما فيقول (الله تعالى) : ليثن أحدكما على صاحبه فيقول : (يا رب) نعم الأخ ، ونعم الخليل ، ونعم الصاحب.

قال : ويموت أحد الكافرين فيقول : يا رب إن فلانا كان ينهاني عن ذاتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر ، وينهاني عن الخير ، ويخبرني أني غير ملاقيك فيقول : بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب.

٢٨٨

قوله : "يا عبادي " قرأ أبو بكر عن عاصم : " يا عبادي لا خوف " بفتح الياء.

والأخوان وابن كثير وحفص بحذفها وصلا ووقفا.

والباقون بإثباتها ساكنة.

وقرأ العامة : لا خوف بالرفع والتنوين إما مبتدأ وإما اسما لها وهو قليل.

وابن محيصن دون تنوين على حذف مضاف وانتظاره أي لا خوفل شيء.

والحسن وابن أبي إسحاق بالفتح على لا التبرئة ، وهي عندهم أبلغ.

فصل قد تقدم أن عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقن.

وفيه أنواع كثيرة توجب الفرح : أولها : أن الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة.

وثانيها : أنه تعالى وصفهم بالعبودية من غير واسطة ، وهذا تشريف عظيم ، بدليل أنه تعالى لما أراد تشريف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة المعراج قال : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا﴾ [الإسراء : ١].

وثالثها : قوله : ﴿لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية.

قوله : " الذين آمن◌وا " يجوز أن يكون نعتا لعبادي ، أو بدلا منه ، أو عطف بيان الله ، أو مقطوعا

منصوبا بفعل أي أعني الذين آمنوا.

أو مرفوعا بالابتداء وخبره مضمر ، تقديره يقال لهم : ادخلوا.

فصل قال مقاتل : إذا وقع الخوف يوم القيامة نداى مناد : يا عبادي لا خوف عليكم اليوم.

فإذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤوسم فيقال : ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ فينكس أهل الأديان الباطلة رؤوسهم فيمر حسابهم على أحسن الوجوه ثم يقال لهم :

٢٨٩

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ تسرون وتنعمون والحبرة المبالغة في الإكرام على أحسن الوجوه وتقدم تفسيره في سورة الروم.

قوله تعالى : ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾.

قوله : " يطاف عليهم " قبله محذوف أي يدخلون (و) يطاف.

الصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان ؛ قال الجوهري : الصحفة كالقصعة.

وقال الكسائي : أعظلم القصا الجفنة ، ثم القصعة تشبع العشرة ، ثم الصفحة تشبع الخمسة ، ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة (ثم الصحيفة تشبع الرجل).

والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف.

وأمال الكسائي ـ في رواية ـ بصحاف من ذهب ؟ " وأكواب " جمع كوب ، وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى له.

وقيل : هو كالإبريق إلا أنه عروة له.

وقيل : إنه ما لا خرطوم له.

وقيل : إنه لا خرطوم له ولا عروة معا.

قال الجواليقي : ليتمكن الشارب من أين شاء ، فإن العروة تمنع من ذلك ، وقال عدي : ٤٤١٧. متكئا تصفق أبوابه

يطوف عليه العبد بالكوب

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٢٨٧

والتقدير : وأكواب من ذهب.

فقوله : ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ إشارة إلى المطعوم ، وقوله : " وأكواب " إشارة إلى المشروب.

ثم إنه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بيانا كليا فقال : ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ أي في الجنة.

". (١)

"الأول : معناه لا أدري ما يصير إليه أمري وأمركم ، ومن الغالب منا ومن المغلوب ؟ .

الثاني : قال ابن ـ عباس ـ في رواية الكلبي ـ : لما اشتد البلاء بأصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة رأى في المنام أنه يهاجر إلىأرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على الصحابة فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج مما هم فيه من أذى المشركين.

ثم إنهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا : يا رسول الله : ما رأينا الذي قلت ، متى نهاجر إلى الأرض التي رأيتها في المنام ؟ فكست النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنزل الله تعالى : ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل ومآ أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ وهو شيء رأيته في المنام وأنا لا أتبع إلا ما يوحيه الله إلي.

الثالث : قال الضحاك : لا أدري ما تؤمرون به ، ولا ما أومر به من التكاليف ، والشرائع ، ولا من الابتلاء والامتحان وإنما أنذركم بما أعلمني الله به من أحوال الآخرة من الثواب والعقاب ، ثم أخبر أنه تعالى يظهر دينه على الأديان فقال : ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ [الفتح : ٢٨] وقال في أمته : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال : ٣٣] فأخبره الله ما يصنع به وبأمته قال السدي.

الرابع : كأنه يقول : ما أدري ما يفعل بي في الدنيا ، أموت أو أقتل ، كما تقل الأنبياء قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أو يخسف بكم أو يفعل بكم ما يفعل بسائر الأمم ، وأما من حمل الآية على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس أنه قال : لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا : كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ربه فأنزل الله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ إلى قوله : ﴿وكان ذلك عند الله فوزا عظيما﴾ [الفتح : ١.٥] فقالت الصحابة : هنيئا لك يا نبي الله ، قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا ؟ فأنزل الله ـ عز وجل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٤٥٠٣

. : ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [الفتح : ٥] الآية وأنزل : ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ [الأحزاب : ٤٧] فبين الله ما يفعل به وبهم ، وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة.

وقالوا : إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك قال ابن الخطيب : وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول لوجهين : ال أول : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا بد وأن يعلم من نفسه كونه نبيا ، ومتى علم كونه نبيا ، علم أنه لا يصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له ، وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في أنه هل هو مغفور له أم لا ؟ .

٣٨٤

". (١)

"الثالث : أن مثل الجنة مبتدأ ، والخبر قوله : " فيها أنهار " ، وهذا ينبغي أن يمتنع ؛ إذ لا عائد من الجملة إلى المبتدأ ، ولا ينفع كون الضمير عائدا على ما أضيف إليه المبتدأ.

الرابع : أن مثل الجنة مبتدأ خبره ﴿كمن هو خالد في النار﴾ فقدره ابن عطية : أمثل أهل الجنة كمن هو خالد (في النار) (فقدر حرف الإنكار ومضافا ليصح.

وقدره الزمخشري أمثل الجنة كمن جزاؤه من هو خالد) والجملة من قوله : ﴿فيهآ أنهار﴾ على هذا فيها ثلاثة أوجه : أحدها : هي حال من الجنة ، أي مستقرة فيها أنهار.

الثاني : أنها خبر لمبتدأ مضمر ، أي هي فيها أنهار ، كأن قائلا قال : ما فكيها ؟ فقيل : فيها أنهار.

الثالث : أن تكون تكريرا للصلة ، لأنها في حكمها ، ألا ترى إلى أنه يصح قولك : التي فيها أنهار.

وإنما أعري قوله مثل الجنة تصوير المكابرة من أن يسوي بين المستمسك بالبينة وبين الت ا بع هواه ، كمن يسوي بين الجنة التي صفتها كيت وكيت وبين النار التي صفتها أن يسقي أهلها الحميم.

ونظيره قوله القائل ـ رحمه الله ـ : ٤٤٦٨ـ أفرح أن ازرأ الكرام وأنت

أورث ذودا شصائصا نبلا

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٤٤٠

٤٤١

هذا كلام منكر الفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الإنكار.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٤٥٤٣

وذكر ذلك كله الزمخشري.
وقرأ علي بن أبي طالب : مثال الجنة.
وعنه أيضا وعن ابن عباس وابن مسعود : أمثال بالجمع.
قوله : ﴿غير آسن﴾ قرأ ابن كثير : أسن بزنة حذر ، وهو اسم فاعل من أسن بالكسر يأسن ، فهو أسن كحذر يحذر فهو حذر.
الباقون آسن بزنة ضارب من : أسن بالفتح يأسن ، يقال : أسن الماء بالفتح يأسن ويأسن بالكسر والضم أسونا.
وكذا ذكره ثعلب في فصيحة.
فهما لغتان يقال : أسن الماء يأسن أسنا وأجن يأجن ، وأسن يأسن ويأسن ، وأجن يأجن أسونا وأجونا.
وقال اليزيدي يقال : أسن بالكسر يأسن بالفتح أسنا أي تغير طعمه ، وأما أسن الرجل إذا دخل بئرا فأصابه من ريحها ما جعل في رأسه دوارا فأسن بالكسر فقط قال الشاعر : ٤٤٦٩. قد أترك القرن مصفرا أنامله
يميد في الرمح ميد المائح الأسن
وقرىء يسن بالباء بدل من الهمزة.
قال أبو علي : هو تخفيف أسن وهو تخفيف غريب.
٤٤٢
قوله : ﴿لم يتغير طعمه﴾ صفة لـ " لبن ".
قوله : " لذة " يجوز أن يكون تأنيث " لذ " ولذ بمعنى لذيد ، ولا تأويل على هذا.
ويجوز أن يكون مصدرا وصف به ، ففيه التأويلات المشهورة.
قال ابن الخطيب : يحتمل أن يقال : ما ثبتت لذته يقال : كعام لذ ولذيد ، وأطعمة لذة ولذيدة ، ويحتمل أن يكون ذلك وصفا بنفس المعنى لا بالمشتق منه كما يقال للحكيم : هو حكيم كله ، وللعاقل : هو عاقل كله.
والعامة على جر " لذة " صفة لخمر.
وقرىء بالنصب على المفعول له وهي تؤيد المصدرية في قراءة العامة.
وبالرفع صفة " لأنهار ".
ولم تجمع ، لأنها مصدر إن قيل به وإلا فلأنها صفة لجمع غير عاقل ، وهو يعامل معاملة المؤنثة الواحدة.

قوله : ﴿من عسل﴾ نقلوا في عسل التذكير والتأنيث ، وجاء القرآن على التذكير في قوله : " مصفى " والعسلان العدو ، وأكثر استعماله في الذئب ، يقال : عسل الذئب والثعلب.

وأصله من عسلان الرمح وهو اهتزازه ، فكا ، العادي يهز أعضاءه ويحركها ، قال الشاعر : ٤٤٧٠. لدن بهز الكف يعسل متنه

فيه كما عسل الطريق الثعلب

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٤٤٠

وكنى بالعسيلة عن الجماع ، لما بينهما.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك " فصل قال ابن الخطيب : اختار هذه الأنهار من الأنهار الأربعة ؛ لأن المشروب إما أن يشرب لطعمه أو لغير طعمه ، فإن كان للطعم فالمطعوم تسعة : المر والمالح ، والحريف ، والحامض ، والعفص والقابض والتفه ، والحلو ، والدسم.

وألذها الحلو والدسم ، لكن أحلى الأشياء العسل فذكره وأما أدسم الأشياء فالدهن لكن الدسومة إذا تمحضت لا

٤٤٣

." (١)

"جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٤٩١

وقال أبو البقاء : أو بمعنى إلا أن ، أو حتى.

(" فصل " معنى قوله : تقاتلونهم أن يسلمون إشارة إلى أن أحدهما يقع ؛ لأن " أو " تبين

٤٩٣

المتغايرين وتنبيء عن الحصر ، يقال : العدد زوج أو فرد ، ولهذا لا يصح قوله القائل : هذا زيد أو ابن عمرو ؛ أذا كان زيد ابن عمرو ؛ إذا علم هذا فقول القائل : ألازمك أو تقضيني حقي معناه أن الزمان انحصر في قسمين : قسم يكون فيه الملازمة ، وقسم يكون فيه قضاء الحق فيكون قوله : " ألازمك أو تقضيني " ، كقوله : ألازمك إلى أن تقضيني ، لامتداد زمان الملازمة إلى القضاء).

قوله : ﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا﴾ يعني الجنة ﴿وإن تتولوا﴾ تعرضوا ﴿كما توليتم من قبل﴾ عام الحديبية ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ وهو النار ، فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة : كيف بنا يا رسول

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٥٦٩

الله ؟ فأنزل الله ـ عز وجل ـ ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ أي في التخلف عن الجهاد ﴿ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾.

وذلك لأن الجهاد عبارة عن المقاتلة والكر والفر ، وهؤلاء الثلاثةلا يمكنهم الإقدام على العدو والطلب ، ولا يمكنهم الاحتراز والهرب.

وفي معنى الأعرج الأقطع المقعد بل أولى أن يعذر ، ومن به عرج لا يمكنه من الكر والفر لا يعذر ، وكذلك المرض الذي لا يمنع من الكر والفر كالطحال والسعال وبعض أوجاع المفاصل إذا لم يضعفه عن الكر والفر ، فهذه الأعذار في نفس المجاهد ، وتبقى أعذار خارجة ، كالفقر الذي لا يمكن صاحبه من ستصحاب ما يحتاج له وكذا الاشتغال بمن لولاه لضاع كطفل أو مريض.

والأعذار المبيحة مذكورة في كتب الفقه.

وقدم الأعمى على الأعرج ، لأن عذر الأعمى يستمر ولو حضر القتال ، والأعرج إن حضر راكبا أو بطريق يقدر على القتال بالرمي وغيره.

قوله : ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما﴾ قرأ أهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما.

وقرآ الآخرون بالياء لقوله : ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٤٩١

قوله تعالى : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين...

﴾ الآية لما بين حال المخلفين بعد قوله : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ [الفتح : ١٠] عاد إلى بيان حال المبايعين.

قوله : ﴿إذ يبايعونك﴾ منصوب بـ " رضي " و " تحت الشجرة " يجوز أن يكون متعلقا بـ " يبايعونك " وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من المفعول.

(" فصل " المعنى : يبايعونك بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ، ولا يفروا.

وقوله : " تحت الشجرة " وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحت الشجرة قال : فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها.

وروي أن عمر بن الخطاب مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال : أين ؟ فجعل بعضهم يقول : ههنا ، وبعضهم ههنا ، فلما كثر اختلافهم قال : سيروا قد ذهبت الشجرة.

وروى جابر بن عبدالله قال : " قال لنا رسول الله ـ صلى الله عليه سولم ـ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض ، وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

وروى سالم عن جابر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا يدخل النار أحج ممن بايع تحت الشجرة) ".

قوله : ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق والوفاء ﴿فأنزل السكينة﴾ الطمأنيىنة والرضا " عليهم " فإن قيل : الفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضا ؛ لأن علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم ؟ فالجواب : قال ابن الخطيب : إن قوله تعالى : ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ متعلق بقوله : ﴿إذ يبايعونك﴾ كما تقول : " فرحت أمس إذ كلمت زيدا فقام لي ، وإذ دخلت عليه فأكرمني " **فيكون الفرح بعد** الإكرام مرتبا كذلك ههنا قال تعالى : ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك...

فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق إشارة ألى أن الرضا لا يكون

٤٩٥

". (١)

"يرزق الرؤية.

وهذا الوجه يليق بتفسير اللفظ ، فإن الأوفى مطلق غير مبين ، فلم يقل : أوفى من كذا فينبغي أن يكون أوفى من كل واف ولا يتصف به غير رؤية الله تعالى.

فصل قال في حق المسيء : لا تزر وازرة (وزر أخرى) وهو لا يدل إلا على عدم الحمل عن الوازرة ، ولا يلزم من ذلك بقاء الوزر عليها من ضرورة اللفظ ؛ لجواز أن يسقط عنها ، ويمحو الله ذلك الوزر ، فلا يبقى عليها ولا يحمل عنها غيرها ، ولو قال : لا تزر (وازرة) إلا وزر نفسها لكان من ضرورة الاستثناء أنها تزر.

وقال في حق المحسن : ﴿ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ ولم يقل : ليس له ما لم يسع ؛ لأن العبارة الثانية ليس فيها أن له ما سعى وفي العبارة الأولى أن له ما سعى نظرا إلى الاستثناء فقال في حق المسيء بعبارة لا تقطع رجاءه ، وفي حق المحسن بعبارة تقطع خوفه ، وكل ذلك إشارة إلى سبق الرحمة الغضب.

قوله [تعالى :] ﴿وأن إلى ربك المنتهى ﴾ العامة على فتح همزة " أن " وما عطف عليها بمعنى أن الجميع في صحف موسى وإبراهيم.

وقرأ أبو السمال بالكسر في الجميع على الابتداء ومعنى الآية : إن منتهى الخلق ومصيرهم إليه فيجازيهم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٥٩٢

بأعمالهم.

وقيل : منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال.

وروى أو هريرة مرفوعا : تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق ، فإن الله لا يحيط به الفكر.

قال القرطبي : ومن هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام : " يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول له : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته " ولهذا أحسن من قال (رحمة الله عليه ورضاه) (شعرا) : ٤٥٦٨ - ولا تف◌كرن في ذا العلا عز وجهه

فإنك تردى إن فعلت وتخذل

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٢٠٠

ودونك مصنوعاته فاعتبر بها

وقل مثل ما قال الخليل المبجل

٢٠٩

وقيل : المراد من هذه الآية التوحيد.

وفي المخاطب وجهان : أحدهما : أنه عام تقديره إلى ربك أيها السامع أو العاقل.

والثاني : أنه خطاب مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فعلى الأولى يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - .

فعلى الأولى أيضا تكون اللام في " المنتهى " للعهد الموعود في القرآن.

وعلى الثاني تكون للعموم أي إلى ربك كل منتهى.

فإن قيل : فعلى هذا الوجه يكون منتهى ، وعلى الأول يكون " مبتدى ".

فالجواب : منتهى الإدراكات والمدركات فإن الإنسان أولا يدرك الأشياء الظاهرة ثم يمعن النظر فينتهي إلى الله فيقف عنده.

قوله : ﴿وأنه هو أضحك وأبكى ﴾ (أضحك وأبكى) ما بعده هذا يسميه البيانيون الطباق والتضاد وهو نوع من البديع ، وهو أن يذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه.

و " أضحك وأبكى " (أضحك وأبكى) ما بعده هذا يسميه البيانيون الطباق والتضاد وهو نوع من البديع ، وهو أن يذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه.

و " أضحك وأبكى " لا مفعول لهما في هذا الموضع ؛ لأنها مسوقة لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور ،

فلا حاجة إلى المفعول كقول القائل : فلان بيده الأخذ والعطاء يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى.

فصل اختار هذين الوصفين المذكورين لأنهما أمران لا يعللان ، فلا يقدر أحد من الطبيعيين أن يبدي في اختصاص الإنسان بالضحك والبكاء وجها وسببا وإذا لم يعلل بأمر ، فلا بد له من موجد فهو الله بخلاف الصحة والسقم ، فإنهم يقولون : سببهما اعتلال المزاج وخروجه عن الاعتدال.

ومما يدل على ما ذكرنا أنهم عللوا الضحك قالوا : لقوة التعجب وهو باطل ، لأن الإنسان ربما يبهت عند رؤية الأمور العجيبة ولا يضحك.

وقيل : لقوة الفرح ؛ وليس كذلك ؛ لأن الإنسان قد يبكي لقوة الفرح كما قال بعضهم (شعرا) ٤٥٦٩

– هجم السرور علي حتى إنني

من عظم ما قد سرني أبكاني

٢١٠

" (١).

"وأيضا فالذي يحزن غاية الحزن قد يضحك وقد يخرج الدمع من العين عند أمور مخصوصة لا يقدرون على تعليلها بتعليل صحيح.

وأيضا عند الخواص كالتي في المغناطيس وغيره ينقطع الطبيعي كما ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض أمره إلى قدرة الله وإرادته عند أوضاع الكواكب.

فصل إذا قيل : بأن المراد بقوله تعالى : ﴿إلى ربك المنتهى ﴾ إثبات الوحدانية فهذه الآيات مبينات لمسائل يتوقف عليها الإسلام من جملتها قدرة الله تعالى ، فإن من الفلاسفة من يقول : بأن الله المنتهى وأنه واحد لكن يقول : بأنه موجب لا قادر فقال تعالى : هو أوجد ضدين الضحك والبكاء في محل واحد على التعاقب والتراخي ، والموت والحياة ، والذكورة والأنوثة في مادة واحدة ، وذلك لا يكون إلا من قادر يعترف به كل عاقل.

وإن قيل : بأن المراد بالمنتهى بيان المعاد فهو إشارة إلى أن ،لإنسان كما كان في الدنيا في بعض الأمور ضاحكا وفي بعضها باكيا محزونا كذلك في الآخرة.

فصل هذه الآية تدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضاء الله وخلقه حتى الضحك والبكاء قال مجاهد والكلبي : أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار ، وقال الضحاك : أضحك الأرض بالنبات

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٧١٦

، وأبكى السماء بالمطر ، وقال عطاء بن أبي مسلم : يعني أفرح وأحزن ؛ **لأن الفرح يجلب** الضحك والحزن يجلب البكاء.

فصل " روى مسلم عن عائشة – (رضي الله عنها) – قالت : والله ما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن الميت ليعذب ببكاء أهله ، ولكنه قال : إن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذابا ، وإن الله لهو أضحك وبكى ، وما تزر وازرة وزر أخرى ".

وعنها قالت : " مر النبي – صلى الله عليه وسلم – على قوم من أصحابه وهم يضحكون فقال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، فنزل جبريل – عليه الصلاة والسلام – فقال يا محمد : إن الله يقول لك : إنه هو أضحك وأبكى فرجع إليهم فقال : ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال : إيت هؤلاء فقل لهم إن الله يقول : هو أضحك وأبكى " أي قضى أسباب الضحك والبكاء.

٢١١

وقال بسام بن عبد الله : أضحك أسنانهم وأبكى قلوبهم ، وأنشد [رحمه الله] : ٤٥٧٠ – السن تضحك والأحشاء تحترق

وإنما ضحكها زور ومختلق

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٢٠٠

يا رب باك بعين لا دموع لها

ورب ضاحك سن ما به رمق

قيل : إن الله تعالى خص الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوانات.

وقيل : إن القرد وحده يضحك ولا يبكي ، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك.

وقال يوسف بن الحسين : سئل طاهر المقدسي : أتضحك الملائكة ؟ فقال : ما ضحكوا ولا كل من دون العرش.

قوله تعالى : ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ أي أمات في الدنيا ، وأحيا للبعث.

وقال القرطبي : قضى أسباب الموت والحياة.

وقيل : خلق الموت والحياة.

قال ابن بحر.

وقيل : أمات النطفة وأحيا النسمة ، وقيل : أمات الآباء وأحيا الأبناء.

وقيل : أمات الكافر بالكفر ، وأحيا المؤمن بالإيمان.

قال ابن الخطيب : فإن قيل : معنى أمات وأحيا حتى يعلم ذلك بل مشاهدة الإحياء والإماتة بناء على الحياة والموت ؟ .

نقول : فيه وجوه : أحدها : أنه على التقديم والتأخير كأنه قال : أحيا وأمات.

ثانيها : هو بمعنى المستقبل ، فإن الأمر قريب المستقبل ، يقال : كأن فلانا وصل والليل دخل ، إذا قرب مكانه وزمانه فكذلك الإحياء والإماتة.

ثالثها : أنه خلق الموت والجمود في العناصر ثم ركبها و " أحيا " أي خلق الحس والحركة فيها.

قوله : ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴾ أي من كل حيوان.

ولم يرد آدم وحواء ؛ لأنهما ما خلقا من نطفة.

وهذا أيضا من جملة المتضادات الواردة على النطفة ، فبعضها يخلق ذكرا وبعضها يخلق أنثى ، ولا يصل إليه فهم الطبيعي ، والذي يقولونه من البرد والرطوبة في الأنثى فرب امرأة أحر وأيبس مزاجا من الرجل.

٢١٢

." (١)

"ولم يقيدها غيره ، بل صرح بأنها الجماعة قلت أو كثرت.

وقال الراغب : الثلة : قطعة مجتمعة من الصوف ؛ ولذلك قيل للمقيم : " ثلة " يعني بفتح الثاء.

ومنه قوله : [الرجز] ٤٦٧٣ - أمرعت الأرض لو ان مالا

لو أن نوقا لك أو جمالا

أو ثلة من غنم إما لا

انتهى.

ثم قال : " ولاعتبار الاجتماع ، قيل : ﴿ثلة من الأولين ، وثلة من الآخرين﴾ أي جماعة ، وثللت كذا : تناولت ثلة منه ، وثل عرشه : أسقط ثلة منه والثلل : قصر الأسنان لسقوط ثلة منها ، وأثل فمه : سقطت ، وتثللت الركبة : تهدمت " انتهى.

فقد أطلق أنها الجماعة من غير قيد بقلة ولا بكثرة.

والكثرة التي فهمها الزمخشري قد تكون من السياق.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٧١٧

وقال الزجاج : الثلة : الفرقة.

و " من الأولين " صفة لـ " ثلة " ، وكذلك " من الآخرين " صفة لـ " قليل ".

فصل في المراد بقوله : ثلة من الأولين قوله تعالى : ﴿ثلة من الأولين﴾.

أي جماعة من الأمم الماضية.

﴿وقليل من الآخرين﴾ أي : ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن : " ثلة " ممن قد مضى قبل هذه الأمة ، " وقليل " من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم بكرمك.

وسموا قليلا بالإضافة إلى من كان قبلهم ؛ لأن الأنبياء المتقدمين كثروا ، فكثر السابقون إلى الإيمان بهم ، فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا.

٣٨١

(قيل : لما نزلت هذه الآية شق على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) فنزلت ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، بل نصف أهل الجنة ، وتقاسمونهم في النصف الثاني " رواه أبو هريرة ذكره الماردوي وغيره ، ومعناه ثابت في " صحيح مسلم " ، من حديث عبد الله بن مسعود ، وكأنه أراد أنها منسوخة.

قال ابن الخطيب : وهذا في غاية الضعف من وجوه : أحدها : أن عدد أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك الزمان ، بل إلى آخر الزمان بالنسبة إلى ما مضى في غاية القلة ، فالمراد بالأولين : الأنبياء وكبار أصحابهم ، وهم إذا جمعوا أكثر من السابقين من هذه الأمة.

الثاني : أن هذا خبر ، والخبر لا ينسخ.

الثالث : أن هذه الآية في السابقين ، والتي بعدها في أصحاب اليمين.

الرابع : أنه إذا جعل قليل منهم مع الأنبياء والرسل المتقدمين كانوا في درجة واحدة ، وذلك **يوجب الفرح** ؛ لأنه إنعام عظيم ، ولعل الإشارة إليه بقوله عليه الصلاة والسلام : " علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ".

قال القرطبي : " والأشبه أنها محكمة ؛ لأنها خبر ، والخبر لا ينسخ ؛ لأن ذلك في جماعتين مختلفتين ".

قال الحسن : سابقو من مضى أكثر من سابقينا ، فلذلك قال : ﴿وقليل من الآخرين﴾ ، وقال في أصحاب اليمين ، وهم سوى السابقين : ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾.

ولذلك [قال عليه الصلاة والسلام : " إني لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة " ، ثم تلا : ﴿ثلة من

الأولين ، وثلة من الآخرين﴾].

٣٨٢

وقال أبو بكر رضي الله عنه : كلا الثلتين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في أول أمته ، ومنهم من هو في آخرها.

وهو مثل قوله تعالى : ﴿فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ [فاطر : ٣٢].

وقيل : المراد ﴿ثلة من الأولين﴾ هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، فإن أكثرهم لهم الدرجة العليا ، كما قال تعالى : ﴿لا يستوي منكم من﴾ [الحديد : ١٠].

﴿وقليل من الآخرين﴾ لحقوهم ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " خيركم قرني ثم الذين يلونهم " ثم سوى في أصحاب اليمين بين الأولين والآخرين.

قال ابن الخطيب : وعلى هذا فقوله : ﴿وكنتم أزواجا ثلاثة﴾ يكون خطابا مع الموجودين وقت التنزيل ، ولا يكون فيه بيان الأولين الذين كانوا قبل نبينا - عليه الصلاة والسلام - وهذا ظاهر ؛ لأن الخطاب لا يتعلق إلا بالموجودين من حيث اللفظ ، ويدخل فيه غيره بالدليل.

ووجه آخر : أن المراد بالأولين الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وبالآخرين ، أي : ذرياتهم الملحقون بهم في قوله تعالى : ﴿واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ [الطور : ٢١].

وقال الزجاج : الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم وصدقوهم أكثر مما عاين النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى : ﴿على سرر موضونة﴾.

أي : السابقون في الجنة على سرر , أي : مجالسهم على سرر ، جمع سرير.

وقرأ زيد بن علي ، وأبو السمال : " سرر " بفتح الراء الأولى وقد تقدم أنها لغة لبعض بني "كلب " و " تميم ".

و " الموضونة " : قال ابن عباس : منسوجة بالذهب.

٣٨٣

". (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٧٨٦

"و " الشهداء " هم الذين يلون الصديقين و " الصالحون " يلون الشهداء ، فيجوز أن تكون هذه الآية في جملة من صدق بالرسل.

والمعنى : والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء ، ويكون المعني بالشهداء من شهد لله بالوحدانية ، أنهم شهداء عند ربهم على العباد في أعمالهم ، والمراد أنهم عدول في الآخرة الذين تقبل شهاداتهم.

وقال الحسن : كل مؤمن فإنه شهيد كرامة.

وقال الفراء والزجاج : هم الأنبياء ؛ لقوله تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [النساء : ٤١].

وقال ابن جرير : " الشهداء " هم الذين استشهدوا في سبيل الله.

" وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما تعدون الشهداء فيكم " ؟ قالوا : المقتول ، فقال : " إن شهداء أمتي إذا لقليل ".

وعلى هذا يكون منقطعا عما قبله ، وتكون " الواو " في " والشهداء " واو الاستئناف ، وهذا مروي عن ابن عباس ومسروق.

وقوله : ﴿لهم أجرهم﴾ مما عملوا من العمل الصالح.

و " نورهم " على الصراط.

ثم لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بذكر حال الكافرين ، فقال : ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصحاب الجحيم﴾.

ولما ذكر أحوال المؤمنين والكافرين ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا ، وكمال حال الآخرة ، فقال : ﴿اعلموا ﺍﺍ أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾.

" ما " صلة ، أي : حياة هذه الدار لعب باطل لا حاصل له ، **وهو فرح ثم** ينقضي ، وزينة ومنظر تتزينون به.

قوله : ﴿وتفاخر بينكم﴾.

العامة على تنوين " تفاخر " موصوف بالظرف ، أو عامل فيه.

والسلمي أضافه إليه ، أي : يفخر به بعضكم على بعض.

٤٨٦

قال المفسرون : " اللعب " : الباطل ، " واللهو " : الفرح.
وقال قتادة : " لعب ولهو " : أكل وشرب.
وقال مجاهد : كل لعب لهو.
وقيل : " اللعب " : ما رغب في الدنيا ، " واللهو " : ما ألهى على الآخرة.
قوله : ﴿وتكاثر في الأموال والأولاد﴾.
قال ابن عباس : يجمع المال في سخط الله ، ويباهي به على أولياء الله ، ويصرفه في مساخط الله ، فهي ظلمات بعضها فوق بعض ، وكان من عادة الجاهلية أن يتكاثروا بالأموال والأولاد.
قال بعض المتأخرين : " لعب "كلعب الصبيان ، " ولهو "كلهو الفتيان " وزينة "كزينة النسوان " وتفاخر "كتفاخر الأقران " وتكاثر "كتكاثر الدهقان.
وقال علي - رضي الله عنه لـ " عمار " : لا تحزن على الدنيا ، فإن الدنيا ستة أشياء : مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومشموم ، ومركوب ، ومنكوح ، فأحسن طعامها العسل ، وهو بزقة ذبابة ، وأكثر شرابها الماء ، ويستوي فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة ، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة ، وأفضل مركوبها الفرس ، وعليها يقتل الرجال ، وأما المنكوح فهو النساء وهو مبال في مبال ، والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها.
ثم ذكر تعالى لهذه الحياة مثلا ، فقال : "كمثل غيث " أي : مطر ﴿أعجب الكفار نباته﴾.
قال ابن مسعود : المراد بـ " الكفار " هنا : الزراع.
وقال الأزهري : والعرب تقول للزارع : كافر ؛ لأنه يكفر البذر [المبذور في الأرض] بتراب الأرض ، أي : يغطيه.
والمعنى : أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار ، ثم لا يلبث أن يصير هشيما كأن لم يكن.
وقيل : المراد بالكفار هنا هم الكفار بالله ، وهم أشد إعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين.
٤٨٧
." (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٨٢٩

"قوله تعالى : ﴿لكيلا﴾.
هذه " اللام " متعلقة بقوله " ما أصاب " ، أي : أخبرناكم بذلك لكيلا يحصل لكم الحزن المقنط والمفرح المطغي فأما ما دون ذلك فالإنسان غير مؤاخذ به ، و "كي " هنا ناصبة بنفسها ، فهي مصدرية فقط لدخول لام الجر عليها.
وقرأ أبو عمرو : " بما أتاكم " مقصورا من الإتيان ، أي : بما جاءكم.
قال أبو علي الفارسي : " لأن " أتاكم " معادل لقوله " فاتكم " ، فكما أن الفعل للفائت في قوله : " فاتكم " ، فكذلك الفعل الثاني في قوله : " بما أتاكم ".
وقرأ باقي السبعة : " آتاكم " ممدوا من " الإيتاء " ، أي : بما أعطاكم الله إياه.
والعائد إلى الموصول في الكلمتين في الذكر المرفوع بأنه فاعل ، و " الهاء " محذوفة من الصلة ، أي : بما آتاكموه.
وقرأ عبد الله : " بما أوتيتم ".
فصل في أن حزن المؤمن صبر وفرحه شكر قال ابن عباس : ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح ، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا ، والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى فيهما إلى ما لا يجوز.
وقال جعفر بن محمد : يا ابن آدم ما لك تأسف على مقدر لا يرده عليك الفوت ، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت.
وقيل لـ " بزرجمهر " : أيها الحكيم ، ما لك لا تحزن على ما فات ، ولا تفرح بما هو آت ؟ قال : لأن الفائت لا يتلافى بالعبرة ، والآتي لا يستدام بالحبرة.
٤٩٥
وقوله : ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ أي : متكبر بما أوتي من الدنيا.
" فخور " به على الناس ، قيل : الفخور الذي ينظر الناس بعين الاحتقار.
فصل فيمن قالوا بالإرادة والجبر قال ابن الخطيب : المعتزلة وإن نازعوا في القدرة والإرادة ، فهم مسلمون في العلم والجبر ، فيلزمهم الجبر باعتبارهما.
والفلاسفة مذهبم الجبر ؛ لأن سبب الحوادث عندهم الاتصالات الفلكية.
و القدرية قالوا : بأن الحوادث اتفاقية ، فجميع فرق العقلاء يلزمهم الجبر ، سواء أقروا به أو أنكروه.

فصل في إرادة العبد الحزن والفرح قالت المعتزلة : قوله : ﴿لكيلا تأسوا﴾ يدل على أنه إنما أخبرهم بكتبها ليحترزوا عن الحزن والفرح ، ولولا قدرتهم عليه لم يكن لذلك فائدة ، ويدل على أنه لا يريد أن يقع **منهم الفرح والحزن** ، وهو خلاف قول المجبرة ؛ لأنه قال : ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ والمحبة هي الإرادة.

وأجيبوا بأن المحبة هي إرادة خاصة وهي إرادة الثواب ، ولا يلزم من نفيها نفي الإرادة.

قوله : ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾.

تقدم نظيره في سورة " النساء ".

قال القرطبي : " الذين " في موضع خفض نعتا للمختال.

وقال ابن الخطيب : بدل من قوله : "كل مختال ".

وقيل : رفع بالابتداء ، فهو كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله.

والمعنى : الذين يبخلون فالله غني عنهم.

قيل : أراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يؤمن به الناس ، فتذهب مأكلتهم.

قاله السدي والكلبي.

فيكون " الذين " مبتدأ ، وخبره محذوف يدل عليه قوله تعالى : ﴿ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾.

٤٩٦

وقال سعيد بن جبير : " الذين يبخلون " يعني بالعلم ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ بألا يعلموا الناس شيئا.

وقال زيد بن أسلم : إنه البخل بأداء حق الله تعالى.

وقال عبد الله بن عامر الأشعري : هو البخل بالصدقة والحقوق.

وقال طاوس : وهو البخل بما في يديه.

فصل في قراءات البخل " بالبخل ".

قرأ العامة : " بالبخل " بضم الباء وسكون الخاء.

وقرأ أنس وعبيد بن عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد وابن محيصن وحمزة والكسائي " بالبخل " بفتحتين ، وهي لغة الأنصار.

وقرأ أبو العالية وابن السميفع : " بالبخل " بفتح الباء وإسكان الخاء.

وعن نصر بن عاصم : " البخل " – بضمتين – وكلها لغات مشهورة.

وقال قوم : الفرق بين البخل والسخاء من وجهين : أحدهما : أن البخيل الذي لا يعطي عند السؤال ، والسخي الذي يعطي بغير سؤال.

وتقدم الفرق بين البخل والشح في آخر آل عمران.

قوله : ﴿ومن يتول﴾ أي : عن الإيمان ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾.

قرأ نافع وابن عامر : ﴿فإن الله الغني الحميد﴾ بإسقاط " هو " ، وهو ساقط في مصاحف " المدينة " و " الشام " ، والباقون : بإثباته ، وهو ثابت في مصاحفهم ، فقد وافق كل مصحفه.

قال أبو علي الفارسي : من أثبت " هو " يحسن أن يكون فصلا ، ولا يحسن أن يكون ابتداء ؛ لأن الابتداء لا يسوغ حذفه.

٤٩٧

." (١)

"سورة الممتحنة

مدنية ، وتسمى"الممتحنة" – بكسر الحاء – أي : المختبرة ، وأضيف الفعل أليها مجازا ، كما سميت سورة "براءة" المبعثرة والفاضحة والكاشفة لما كشفت من عيوب النافقين.

ومن قال "بفتح الحاء" فإنه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها ، وهي أم كلثوم بنت غقبة بن أبي معيط ، قال تعالى : ﴿فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن﴾ [الممتحنة : ١٠].

وهي ثلاث عشرة آية ، وثلاث مائة وثمان وأربعون كلمة ، وألف وخمسمائة وعشرة أحرف.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٦١٦

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أوليآء﴾ الآية.

وجه تعلق أول هذه السورة بآخر ما قبلها ، هو أن آخر تلك السورة تشتمل على الصفات الجميلة [اللائقة بحضرة الله – تعالى – من الوحدانية وغيرها] ، وأول هذه السورة يشتمل على حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات.

قوله : ﴿عدوي وعدوكم أوليآء﴾.

هذان مفعولا الاتخاذ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٨٣٣

٣

و " العدو " لما كان بزنة المصادر وقع على الواحد فما فوق.

وأضاف العدو لنسه تغليظا في جرمهم.

روى مسلم عن علي – رضي الله عنه – قال : " بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد ، فقال : " ائتوا روضة " خاخ " فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها " فانطلقنا تعادي بنا خيلنا ، فذا نحن بالمرأة ، وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف ولدت إبراهيم بن عبد الرحمن ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب او لنقلين الثياب فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه : من حاطب بن أيب بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل " مكة " يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حاطب ما هذا ؟ فقال : لا تعجل علي يا رسول الله ، إني كنت أمرأ ملصا في قريش – قال سفيان : يقول : كنت حليفا – ولم أكن من أنفسها ، وكان ممن معك من المهاجرين من له يدا يحمون قرابتي ، ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إما إنه قد صدقكم " ، فقال عمر يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : إنه شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياَء﴾ إلى قوله : ﴿سوآء السبيل﴾.

قيل : اسم المرأة سارة من موالي قريش ، وكان في الكتاب : " أما بعد ، فإن رسول الله صلى الله علهي وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده فأظفره الله بكم ، وانجز له وعده فيكم ، فإن الله وليه وناصره ".

وقيل : " إن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام بن عبد مناف أتت [المدينة من مكة ورسول الله] يتجهز لفتح مكة.

قيل : كان هذا زمن الحديبية ، فقال لها رسول

٤

الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت يا سارة ؟ قالت : لا ، قال : أمسلمة جئت ؟ قالت : لا ، قال : فما جاء بك ؟ قالت : كنتم الأهل والموالي ، والأصل والعشيرة ، وقد ذهبت الموالي – تعني قتلوا يوم بدر – وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني ، فقال عليه الصلاة والسلام : فأين أنت

عن شباب أهل مكة ؟ – وكانت مغنية نائحة قالت : ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر ، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على إعطائها ، فكسوها وحملوها وأعطوها ، فخرجت إلى مكة ، وأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى ، وقال : أعطيك عشرة دنانير ، وبردا على أن تبلغي هذا الكتاب إلى أهل " مكة " ، وكتب في الكتاب : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم ، فخذوا حذركم ، فخرجت سارة ، ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فبعث عليا والزبير والمقداد وأبا مرثد الغنوي ، وفي رواية : عليا وعمار بن ياسر ، وفي رواية : عليا وعمارا وعمرا والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد ، وكانواكلهم فرسانا ، وقال لهم : انطلقوا حتى تأتوا رضوة " خاخ " ، فإن بها ظعينة ، ومعها كتاب من حاطب إلى المشركين ، فخذوه منها وخلوا سبيلها ، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقهان فأدركوها في ذلك المكان ، فقالوا : أين الكتاب ؟ فحلفت بالله ما معها كتاب ، ففتشوا أمتعتها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع ، فقال علي : والل ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه ، وقال أخرجي الكتاب وإلا والله لأجردنك ولأضربن عنقك ، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها قد خبأته في شعرها – وفي رواية في حجزتها – فخلوا سبيلها ، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى حاطب ، فقال : هل تعرف هذا الكتاب ؟ قال : نعم ، وذكر الحديث " فصل في النهي عن موالاة الكفار هذه السورة أصل في النهي عن موالاة الكفار ، وقد تقدم نظيره ، كقوله : ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أوليآء﴾ [آل عمران : ٢٨].

وقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ [آل عمران : ١١٨] ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآء﴾ [المائدة : ٥١].

روي أن حاطبا لما سمع ﴿ يا أيها الذين آمنوا﴾ غشي **من الفرح بخطاب** الإيمان.

قوله : " تلقون ".

فيه أربعة أوجه : أحدها : أنه تفسير لموالاتهم إياها.

الثاني : أنه استئناف إخبار بذلك ، فلا يكون للجملة على هذين الوجهين محل من الإعراب.

ه ". (١)

"سماء إلى سماء ، وفوق ظهورهن العرش ".

ذكره القشيري ، وخرجه الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٨٨٦

وفي حديث مرفوع : " أن حملة العرش ثمانية أملاك ؛ على صور الأوعال ، ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع " وروي أن أرجلهن في السماء السابعة.

فصل في إضافة العرش إلى الله إضافة العرش إلى الله – تعالى – كإضافة البيت إليه ، وليس البيت للسكن ، فكذلك العرش ، ومعنى " فوقهم " أي : فوق رءوسهم.

قال ابن الخطيب : قالت المشبهة : لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثا لا فائدة فيه ، لا سيما قد أكد ذلك بقوله : ﴿يومئذ تعرضون﴾ ، والعرش إنما يكون لو كان الإله حاضرا في العرش.

وأجاب : بأنه لا يمكن أن يكون المراد أن الله – تعالى – جالس في العرشح لأن كل من كان ح املا للعرش ؛ كان حاملا لكل ما كان في العرش فلو كان الإله على العرش لزم أن كون الملائكة حاملين لله تعالى ، وذلك محال ؛ لأنه يقتضي احتياج الله إليهم ، وأن يكونوا أعظم قدرا من الله ، وكل ذلك كفر ، فعلمنا أنه لا بد فيه من التأويل ، فنقول : السبب في هذا الكلام هو أنه – تعالى – خاطبهم بما يتعارفونه ، فخلق لنفسه بيتا يزورونه ليس أنه يسكنه – تعالى الله عن ذلك – وجعل في ركن البيت حجرا ، هو يمينه في الأرض إذ كان من شأنهم أن يعظموا رؤساءهم يتقبيل أيمانهم ، وجعل على العباد حفظة لا لأن النسيان يجوز عليه سبحانه ، وكذلك أن الملك إذا أراد محاسبة عماله جلس على سريره ، ووقفت الأعوان حوله ، فسمى الله يوم القيامة عرشا ، وحفت به الملائكة لا لأنه يقعد عليه ، أو يحتاج إليه ، بل كما قلنا في البيت والطواف.

قوله : ﴿يومئذ تعرضون﴾ هو جواب " إذا " من قوله : " فإذا نفخ ".

قاله أبو حيان.

وفيه نظر ، بل جوابها ما تقدم من قوله : " وقعت الواقعة " و " تعرضون " على هذا مستأنفة.

قوله : ﴿لا تخفى ﴾.

٣٢٩

قرأ الأخوان : بالياء من تحت ؛ لأن التأنيث مجازي ، كقوله : ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا﴾ [هود : ٦٧].

واختاره أبو عبيد ؛ لأنه قد حال بين الفعل والاسم المؤنث الجار والمجرور.

والأخوان ، على أصلهما في إمالة الألف.

وقرأ الباقون : " لا تخفى " بالتاء من فوق للتأنيث اللفظي والفتح وهو الأصل ، واختاره أبو حاتم.

فصل في العرض على الله قال القرطبي : هذا هو العرض على الله ، ودليله : ﴿وعرضوا على ربك صفا﴾ [الكهف : ٤٨] وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن عالما ، بل ذلك العرض عبارة عن المحاسبة والمساءله وتقدير الأعمال عليهم للمجازاة.

قال صلى الله عليه وسلم : " يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدال ، ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله " وقوله : و ﴿لا تخفى منكم خافية﴾.

قال ابن شجرة : أي : هو عالم بكل شيء من أعمالكم ، ف " خافية " على هذا بمعنى " خفية "كانوا يخفونها من أعمالهم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾ [غافر : ١٦].

قال ابن الخطيب : فيكون الغرض المبالغة في التهديد ، يعني : " تعرضون على من لا يخفى عليه شيء ".

وقيل : لا يخفى عليه إنسان لا يحاسب.

٣٣٠

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : لا يخفى المؤمن من الكافر ، ولا البر من الفاجر.

وقيل : لا يتسر منكم عورة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : " يحشر الناس حفاة عراة " قوله : ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ ، وهذا دليل على النجاة.

قال ابن عباس : أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب ، وله شعاع كشعاع الشمس ، وقيل له : فأين أبو بكر ، فقال : هيهات ، زفته الملائكة إلى الجنة.

قال القرطبي : وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ، ومعناه في كتاب " التذكرة ".

قوله : " هاؤم " ، أي : خذوا ﴿اقرؤا كتابيه﴾ يقول ذلك ثقة بالإسلام وسرورا بنجاته ؛ لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح.

؟ قال الشاعر : [الوافر] ٤٨٤٨ - إذا ما راية رفعت لمجد

لقاها عرابة باليمين

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٣١٩

وقال : [الطويل] ٤٨٤٩ - أبيني أفي يمنى يديك جعلتني

فأفرح أم صيدتني بشمالك

وقال ابن زيد : معنى : " هاؤم " : تعالوا ، فتتعدى بـ " إلى ".

وقال مقاتل : " هلم ".

وقيل : خذوا ، ومنه الحديث في الربا : " إلا هاء وهاء " ، أي : يقول كل واحد لصاحبه : خذ ، وهذا هو المشهور.

٣٣١

". (١)

"وقيل : هي كلمة وضعت لأجابة الداعي عند الفرح ، والنشاط.

وفي الحديث : " أنه ناداه أعرابي بصوت عال ، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم " هاؤم " بطول صوته " وفقيل : معناها " اقصدوا ".

وزعم هؤلاء أنها مركبة من هاء التنبيه ، وأموا ، من الأم ، وهو القصد ، فصيره التخفيف والاستعمال إلى " هاؤم ".

وقيل : " الميم " ضمير جماعة الذكور.

وزعم القتيبي : أن " الهمزة " بدل من " الكاف ".

فإن عنى أنها تحل محلها فصحيح ، وإن عنى البدل الصناعي فليس بصحيح.

فقوله : " هاؤم " يطلب مفعولا يتعدى إليه بنفسه إن كان بمعنى : " خذ " أو " أقصد إلي " إن كان بمعنى : " تعالوا " ، و " اقرأوا " يطلبه أرضا ، فقد تنازعا في : "كتابيه " وأعمل الثاني للحذف من الأول.

وقد تقدم تحقيق هذا في سورة " الكهف ".

وفيها لغات : وذلك أنها تكون فعلا صريحا ، وتكون اسم فعل ، ومعناها في الحالين : " خذ " فإن كانت اسم فعل ، وهي المذكورة في الآية الكريمة ، ففيها لغتان : المد والقصر تقول : " ها درهما يا زيد ، وهاء درهما " ، ويكونان كذلك في الأحوال كلها من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث ، ويتصل بهما كاف الخطاب ، اتصالها بإسم الإشارة ، فتطابق مخاطبك بحسب الواقع مطابقتها وهي ضميره ، نحو : " هاك ، هاك هاءك " إلى آخره.

وتخلف كاف الخطاب همزة " هاء " مصرفة تصرف كاف الخطاب ، فتقول : " هاء يا زيد ، هاء يا هند ، هاؤم ، هاؤن " وهي لغة القرآن.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٠٢٥

وإذا كانت فعلا صريحا ؛ لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها كان فيها ثلاثة لغات : إحدها : أن يكون مثل " عاطى يعاطي " ، فيقال : " هاء يا زيد ، هائي يا هند ، هائيا يا زيدان أو يا هندات ، هاءوا يا زيدون ، هائين يا هندات ".

الثانية : أن تكون مثل : " هـِب " فيقال : " هأ ، هيء ، هاءا ، هئوا ، هئن " ، مثل : " هب ، هبي ، هبا ، هبوا ، هبن ".

الثالثة : أن تكون مثل : " خف " أمرا من الخوف ، فيقال : " هأ ، هائي ، هاءا ، هاءوا ، هأن ، مثل : " خف ، خافي ، خافا ، خافوا ، خفن ".

قوله : "كتابيه ".

منصوب بـ " هاؤم " عند الكوفيين ، وعند البصريين بـ " اقرأوا " ؛ لأنه أقرب العاملين ، والأصل "كتابي " فأدخل " الهاء " لتبين فتحة " الياء " و " الهاء " في "كتابيه "

٣٣٢

و " حسابيه " و " سلطانيه " و " ماليه " للسكت ، وكان حقها أن تحذف وصلا وتثبت وقفا ، وإنما أجري الوصل مجرى الوقف ، أو وصل بنية الوقف في "كتابيه " و " حسابيه " اتفاقا ، فأثبت " الهاء ".

وكذلك في " ماليه " و " سلطانيه " و ﴿ما هيه﴾ [القارعة : ١٠] في القارعة ، عند القراء كلهم إلا حمزة ، فإنه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا ، وأثبتها وقفا ، لأنها في الوقف يحتاج إليها ؛ لتحصين حركة الموقوف عليه ، وفي الوصل يستغنى عنها.

فإن قيل : فلم لم يفعل ذلك في "كتابيه " و " حسابيه " ؟ فالجواب : أنه جمع بين اللغتين ، هذا في القراءات السبع.

وقرأ ابن محيصن : بحذفها في الكلم كلها وصلا ووقفا إلا في " القارعة " ، فإنه لم يتحقق عنه فيها نقل.

وقرأ الأعمش ، وابن أبي إسحاق : بحذفها فيهن وصلا ، وإثباتها وقفا.

وابن محيصن : يسكن الهاء في الكلم المذكورة بغيرها.

والحق أنها قراءة صحيحة ، أعني ثبوت هاء السكت وصلا ؛ لثبوتها في خط المصحف الكريم ، ولا يلتفت إلى قول الزهراوي إن إثباتها في الوصل لحن لا أعلم أحدا يجيزه.

وقد تقدم الكلام على هاء السكت في البقرة والأنعام.

قوله : ﴿إني ظننت﴾.

قال ابن عباس : أي : أيقنت وعلمت.

وقيل : ظننت أن يؤاخذني الله بسيئاتي إن عذبني فقد تفضل علي بعفوه ، ولم يؤاخذني بها.

قال الضحاك : كل ظن من المؤمن في القرآن فهو يقين ، ومن الكافر فهو شك.

وقال مجاهد : ظن الآخرة يقين وظن الدنيا شك.

وقال الحسن في هذه الآية : إن المؤمن من أحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن بربه ، فأساء العمل.

٣٣٣

." (١)

"منها أنه كان يعاند في دلائل التوحيد ، والعدل ، والقدرة ، وصحة النبوة وصحة البعث.

ومنها : أن كفره كان عنادا لأنه كان يعرف هذه الأشياء بقلبه وينكرها بلسانه.

وكفر المعاند أفحش أنواع الكفر.

ومنها : أن قوله "كان " يدل على أن هذه حرفته من قديم الزمان.

ومنها : أن هذه المعاندة ، كانت مختصة منه بآيات الله تعالى.

قوله : ﴿سأرهقه صعودا﴾ ، أي : سأكلفه ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : سألجئه ، والإرهاق في كلام العرب : أن يحمل الإنسان الشيء.

والصعود : جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ، ثم يهوي به كذلك فيه أبدا.

رواه الترمذي.

وفي رواية : صخرة في جهنم ، إذا وضعوا أيديهم عليها ذابت ، فإذا رفعوها عادت.

وقيل : هذا مثل لشدة العذاب الشاق الذي لا يطاق ، كقوله : عقبة صعود وكؤود ، أي : شاقة المصعد.

ثم إنه تعالى حكى كيفية عناده ، وهو قوله تعالى : ﴿إنه فكر وقدر﴾ : يجوز أن يكون استئناف تعليل لقوله تعالى : ﴿سأرهقه صعودا﴾ ، ويجوز أن يكون بدلا من ﴿إنه كان لآياتنا عنيدا﴾.

يقالك فكر في الأمر ، وتفكر إذا نظر فيه وتدبر ، ثم لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهيأه ، وهو المراد من قوله " وقدر ".

والعرب تقول : قدرت الشيء إذا هيأته.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٠٢٦

فصل في معنى الآية معنى الآية : أن الوليد فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن لما نزل : ﴿حما تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إلاه إلا هو إليه المصير﴾ [غافر : ١ – ٣] ، سمعه الوليد يقرأها ، فقال : والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ، وما يعلى عليه ، وما يقول هذا بشر ، فقالت قريش : صبأ الوليد لتصبون قريش كلها ، وكان يقال للوليد : ريحانة قريش ، فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه فانطلق إليه حزينا ، فقال له : ما لي أراك حزينا ، فقال : وما لي لا أحزن ، وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينوك بها ، ويزعمون أنك زينت كلام محمد ، وتدخل على ابن أبي كبشة ، وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهما ، فغضب الوليد – لعنه الله – وتكبر ،

٥١١

وقال : أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبه ، وأنتم تعلمون قدر مال ، واللات والعزى ما بي حاجة إلى ذلك وأنتم تزعمون أن محمدا مجنون ، فهل رأيتموه قط يخنق ؟ .

قالوا : لا والله ، قال : وتزعمون أنه كاهن ، فهل رأيتموه تكهن قط ؟ ولقد رأينا للكهنة أسجاعا وتخالجا ، فهل رأيتموه كذلك ؟ .

قالوا : لا واللهز وقال : تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ قالوا : لا والله.

قال : وتزعمون أنه كذاب ، فهل جريتم عليه كذبا قط ؟ .

قالوا : لا والله.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق والأمين من كثرة صدقه ، فقالت قريش للوليد : فما هو ؟ ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس ، فقال : ما هذا إلا سحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وولده فذلك قوله تعالى : ﴿إنه فكر﴾ أي في أمر محمد والقرآن " وقدر " في نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما.

قوله : ﴿فقتل﴾ ، أي : لعن.

وقيل : قهر وغلب.

وقال الزهري : عذب ، وهو من باب الدعاء.

قال ابن الخطيب : وهذا إنما يذكر عند التعجب والاستعظام.

ومثله قولهم : قتله الله ما أشجعه ، وأخزاه الله ما أفجره ، ومعناه : أنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن

يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك ، وإذا عرف ذلك ، فنقول : هنا يحتمل وجهين : الأول : أنه تعجب من قوة خاطره ، يعني أنه لا يمكن القدح في أمر محمد صلى الله عليه وسلم بشبهة أعظم ولا أقوى مما ذكره هذا القائل.

الثاني : الثناء عليه على طريقة الاستهزاء ، يعني أن هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط.

قوله : ﴿كيف قدر﴾ ، أي : كيف فعل هذا ، كقوله تعالى : ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ [الإسراء : ٤٨] ثم قيل : بضرب آخر من العقوبة.

"كيف قدر " على أي حال قدر.

" ثم نظر " بأي شيء يرد الحق ويدفعه.

قال ابن الخطيب : والمعنى أنه أولا فكر.

وثانيا : قدر.

وثالثا : نظر في ذلك المقدر ، فالنظر السابق للاستخراج ، والنظر اللاحق لتمام الاحتياط ، فهذه المرات الثلاثة متعلقة بأحوال ثلاث.

٥١٢

قوله تعالى : ﴿ثم عبس﴾ ، يقال : عبس يعبس عبسا ، وعبوسا : أي : قطب وجهه.

وقال الليث : عبس يعبس فهو عبس إذا قطب ما بين عينيه ، فإذا أبدى عن أسنانه في عبوسه قيل : كلح ، فإن اهتم لذلك , وفكر فيه قيل : بسر ، فإن غضب مع ذلك قيل بسل.

واعلم أنه ذكر صفات جسمه بعد صفات قلبه ، وهذا يدل على عناده ، لأن من فكر في أمر حسن يظهر عليه الفرح لا العبوس ، والعبس أيضا : ما يبس في أذناب الإبل من البعر ، والبول ؛ قال أبو النجم :

[الرجز] ٤٩٦١ - كأن في أذنابهن الشول

من عبس الصيف قرون الإيل

". (١)

"قال مكي : " لو جاء هذا لجاز : نظرت إلى زيد ، بمعنى : نظرت إلى عطاء زيد ، وفي هذا نقض لكلام العرب وتخليط في المعاني ".

ونضره الله ونضره ، مخففا ومثقلا ، أي : حسنه ونعمه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥١٠٥

قال صلى الله عليه وسلم : " نضر الله أمرأ سمع مقالتي فوعاها ، فأداها كما سمعها " يروى بالوجهين.

ويقال للذهب : نضار من ذلك ، ويقال له : النضر أيضا.

ويقال : أخضر ناضر كأسود حالك ، وقدح نضارك يورى بالإتباع والإضافة.

والعامة : " ناضرة " بألف ، وقرأ زيد بن علي : " نضرة " بدونها ، ك " فرح " فهو فرح.

فصل في الرؤية.

روى مسلم في قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى ﴾ [يونس : ٢٦] كان ابن عمر يقول : أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ، ثم تلى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾.

وقال عكرمة : تنظر إلى ربها نظرا ، وحكى الماوردي عن ابن عمر وعكرمة ومجاهد : تنظر أمر ربها ، وليس معروفا إلا عن مجاهد وحده.

وجمهور أهل السنة تمسك بهذه الآية لإثبات أن المؤمنين يرون الله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة وأما المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالى : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، ويقولون : النظر المقرون بـ " إلى " ليس اسما للرؤية ، بل لمقدمة الرؤية ، وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته ، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة ، وكالإصغاء بالنسبة إلى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ [الأعراف : ١٩٨] فأثبت النظر حال عدم الرؤية ، ويقال : نظر إليه شزرا ، ونظر إليه غضبان ونظر راضيا ، ولا يقال ذلك في الرؤية ،

٥٦٥

ويقال : وجوه متناظرة ، أي : متقابلة ويقال : انظر إليه حتى تراه ، فتكون الرؤية غاية للنظر ، وان النظر يحل والرؤية غير حاصلة وقال : [الوافر] ٥٠٠١ - وجوه ناظرات يوم بدر

إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٥٦١

ولا رؤية ع النظر المقرون بـ " إلى " ، وقال تعالى : ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ [آل عمران : ٧٧] ومن قال : لا يراهم ، كفر ، قالوا : ويمكن أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ناظرة﴾ أي : منتظرة كقولك : أنا أنظر إليك في حاجتي ، أو يكون " إلى " مفرد " آلاء " وهي النعم - كما تقدم - والمراد : إلى ثواب ربها ؛ لأن الأدلة العقلية والسمعية لما منعت الرؤية وجب التأويل ، أو يكون المعنى أنها لا تسأل ، ولا ترغب إلا إلى الله عز وجل ، كقوله : " اعبد الله كأنك تراه " قال ابن الخطيب : والجواب : لنا مقامان : أحدهما

: أن نقول : النظر هو الرؤية كقول موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿رب أرنى أنظر إلىيك﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، فلو كان المراد تقليب الحدقة نحو المرئي لاقتضت الآية إثبات الجهة والمكان ، ولأنه أخر النظر عن الإرادة فلا يكون تقليب.

المقام الثاني : سلمنا ما ذكرتموه من أن النظر تقليب الحدقة للرؤية ، لكن يقدر حمله على الحقيقة ، فيجب الحمل على الرؤية إطلاقا لاسم السبب على المسبب ، وهو أولى من حمله على الانتصار لعدم الملازمة ؛ لأن تقليب الحدقة كالسبب للرؤية ، ولا تعلق بينه وبين الانتظار.

وأم قولهم : نحمله على الانتظار قلنا : الذي هو بمعنى الانتظار ، وفي القرآن غير مقرون ، كقوله تعالى : ﴿انظرونا نقتبس﴾ [الحديد : ١٣] ، ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [الأعراف : ٥٣] ، والذي ندعيه أن النظر المقرون بـ " إلى " ليس بمعنى الرؤية ؛ لأن وروده بمعنى الرؤية ، أو بالمعنى الذي يستعقب الرؤية ظاهر ، فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا للاشتراك وقوله : " وجوه ناظرات يوم بدر ".

شعر موضع ، والرواية الصحيحة : [الوافر] ٥٠٠٢ - وجوه نظرات يوم بكر

إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

والمراد من هذا الرحمن : مسيلمة الكذاب ؛ لأنهم كانوا يسمونه رحمن اليمامة ، وأصحابه كانوا ينظرون إليه ويتوقون منه الخلاص من الاعداء.

وقولهم : هو مفرد " آلاء " أي : نعمة ربها.

٥٦٦

." (١)

"حيلة يقال : سفل يسفل فهو سافل ، وهم سافلون كما تقول : علا يعلو فهو عال وهم عالون].

وعن مجاهد وأبي العالية : " أسفل سافلين " إلى النار ، يعني الكافر.

قال علي رضي الله عنه : أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض ، فيبدأ بالأسفل فيملأ وهو أسفل السافلين.

وعلى هذا التقدير : ثم رددناه إلى أسفل ، وفي أسفل السافلين.

قوله : ﴿إلا الذين آمنوا﴾ فيه وجهان : أحدهما : متصل على أن المعنى : رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا ، يعني أقبح من قبح خلقه ، وأشوههم صورة ، وهم أهل النار ، فالاتصال على هذا واضح.

والثاني : أنه منقطع على أن المعنى : ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في الحسن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥١٣٠

والصورة والشكل ، حيث نكسناه في خلقه ، فقوس ظهره ، وضعف بصره وسمعه والمعنى : ولكن والذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم عل طاعتم ، وصبرهم على الابتداء بالشيخوخة ، ومشاق العبادة ، قاله الزمخشري ملخصا ، وقال : أسفل سافلين على الجمع ؛ لأن الإنسان في معنى الجمع.

قال الفراء : ولو قال : أسفل سافل جاز ، لأن لفظ الإنسان واحد كما تقول : هذا أفضل ، ولا تقول : أفضل قائمين ، لأنك تضمر الواحد ، فإن كان الواحد غير مضمور له ، رجع اسمه بالتوحيد ، والجمع ، كقوله تعالى : ﴿والذي جآء بالصدق وصدق به أولائك هم المتقون﴾ [الزمر : ٣٣] ، وقوله تعالى : ﴿إذآ أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها**﴾ [الشورى : ٤٨].

قوله تعالى : ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾.

قال الضحاك : أجر بغير عمل.

وقيل : غير مقطوع أي : لا يمن به عليهم.

قوله تعالى : ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾.

" ما " استفهامية في محل فع بالابتداء والخبر الفعل بعدها والمخاطب : الإنسان على طريق الالتفات ، توبيخا ، وإلزاما للحجة ، والمعنى :

٥٤١

فما يجعلك كاذبا بسبب الدين ، وإنكاره ، وقد خلقك في أحسن تقويم ، وأنه يردك إلى أرذل العمر ، وينقلك من حال إلى حال فما الذي يحملك بعد هذا الدليل إلى أن تكون كاذبا بسبب الجزاء [لأن كل مكذب بالحق ، فهو كاذب فأي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذبا يعني : أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء ؛ لأن كل مكذب كاذب بسبب الجزاء] ، والباء مثلها في قوله : ﴿على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [النحل : ١٠٠].

وقيل : المخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى : فما الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث وهو الدين ، بعد هذه العبر التي يوجب النظر فيها صحة ما قلت ، قاله الفراء والأخفش.

قوله تعالى : ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي : أتقن الحاكمين صنعا في كل ما خلق ، وإذا ثبتت القدرة ، والحكمة بهذه الدلالة صح القول بإمكان الحشر ، ووقوعه ، أما الإمكان فبالنظر إلى القدرة ، وأما الوقوع فبالنظر إلىالحكمة لأن عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى : ﴿وما خلقنا السمآء والأرض وما

بينهما باطلا﴾ [ص : ٢٧].

وقيل : أحكم الحاكمين : قضاء بالحق ، وعدلا بين الخلق ، وألف الاستفهام إذا دخلت على النفي في الكلام صار إيجابا ، كقوله : [الوافر] ٥٢٥٢ - ألستم خير من ركب المطايا

....

]

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٤٠٥

قيل : هذه الآية منسوخة بآية السيف.

وقيل : هي ثابتة لأنه لا تنافي بينهما].

وكان ابن عباس وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - إذا قرءا : ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ ، قالا : بلى ، وإنا على ذلك من الشاهدين.

قال القاضي : هذه الآية من أقوى الدلائل على أنه تعالى لا يفعل القبيح ، ولا يخلق أفعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم ، لأنه تعالى أحكم الحاكمين ، فلا يفعل فعل السفهاء.

وأجيب : بالمعارضة بالعلم ، والداعي ، ثم نقول : السفيه من قامت السفاهة به ، لا من خلق السفاهة ، كما أن المتحرك من قامت الحركة به بدلا لا من خلقها.

والله أعلم.

٤١١

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٤٠٥." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ [البقرة: ٩٦] هذا خبر من الله جل ثناؤه بقوله عن الذين أشركوا، الذين أخبر أن اليهود -[٢٧٨]- أحرص منهم على الحياة، يقول جل ثناؤه: يود أحد هؤلاء الذين أشركوا إلا بعد فناء دنياه وانقضاء أيام حياته أن يكون له بعد ذلك نشور أو محيا أو فرح أو سرور لو يعمر ألف سنة؛ حتى جعل بعضهم تحية بعض عشرة آلاف عام حرصا منهم على الحياة." (٢)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٣٠٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٧٧/٢

"ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن علقمة بن أبي وقاص، أخبره أن مروان قال لرافع: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان ﷺكل امرئ **منا فرح بما** أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا، ليعذبنا الله أجمعين فقال ابن عباس: «ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود، فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه» ثم قال: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ [آل عمران: ١٨٧] الآية." (١)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: أخبرني عبد الله بن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان بن الحكم قال لبوابه: يا رافع اذهب إلى ابن عباس، فقل له: لئن كان كل امرئ **منا فرح بما** أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا، لنعذبن جميعا فقال ابن عباس: «ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب» ثم تلا ابن عباس: ﴿ﷺوإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس﴾ [آل عمران: ١٨٧] إلى قوله: ﴿أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ [آل عمران: ١٨٨] قال ابن عباس: «سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه - [٣٠٦]- بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما قد سألهم عنه، فاستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه» وقال آخرون: بل عني بذلك قوم من يهود أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد ، والله عالم منهم خلاف ذلك." (٢)

"حدثت عن الحسين بن الفرح، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: ﴿ﷺولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء: ٥] يعني بذلك: «ولد الرجل وامرأته، وهي أسفه السفهاء»." (٣)

"لعلهم يتضرعون﴾ ، ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ [الأعراف: ٩٥] ، ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية أنهم نسوا ما ذكرهم بقوله: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ [الأنعام: ٤٤] هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه إياهم من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة، ومن الضر في

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٠٥/٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٠٥/٦

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨٩/٦

الأجسام إلى الصحة والعافية، وهو فتح أبواب كل شيء كان أغلق بابه عليهم مما جرى ذكره قبل قوله: ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ [الأنعام: ٤٤] ، فرد قوله: ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ [الأنعام: ٤٤] عليه. ويعني تعالى بقوله: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ [الأنعام: ٤٤] يقول: حتى **إذا فرح هؤلاء** المكذبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة، والصحة في الأجسام." (١)

"سمعت أبا إسحاق يحدث عن عاصم بن ضمرة، عن علي، قال: ذكر لعمر شيء لا أحفظه، ثم ذكر الجنة، فقال: " ﷺيدخلون فإذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان، قال: فيغتسلون من إحداهما، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث أشعارهم ولا تغبر أبشارهم، ويشربون من الأخرى، فيخرج كل قذى وقذر، أو شيء في بطونهم. قال: ثم يفتح لهم باب الجنة، فيقال لهم: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ [الزمر: ٧٣] ، قال: فتستقبلهم الولدان، فيحفون بهم كما تحف الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته. ثم يأتون فيبشرون أزواجهم، فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، فيقلن: أنت رأيته؟ قال: فيستخفهن الفرح، قال: فيجئن حتى يقفن على أسكفة الباب. قال: فيجيئون فيدخلون، فإذا أس بيوتهم بجندل اللؤلؤ، وإذا صروح صفر وخضر وحمر ومن كل لون، وسرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، فلولا أن الله قدرها لالتمعت أبصارهم مما ي,ون فيها. فيعانقون الأزواج، ويقعدون على السرر ويقولون: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ [الأعراف: ٤٣] الآية." (٢)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾ [التوبة: ٨١] يقول تعالى **ذكره: فرح الذين** خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه بمقعدهم ﴿خلاف رسول الله﴾ [التوبة: ٨١] يقول: بجلوسهم في منازلهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر إلى جهاد أعداء الله، فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم. وقوله: ﴿خلاف﴾ [المائدة: ٣٣] مصدر من قول القائل: خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال، كما يقال: قاتله فهو يقاتله قتالا، ولو كان مصدرا من خلفه، لكانت القراءة: بمقعدهم خلف رسول الله؛ لأن مصدر خلفه

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٩/٢٤٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠/٢٠١

خلف، لا خلاف، ولكنه على ما بـينت من أنه مصدر خالف. فقرئ: ﴿خلاف رسول الله﴾ [التوبة: ٨١] وهي القراءة التي عليها قراءة الأمصار، وهي الصواب عندنا. وقد تأول بعضهم ذلك، بمعنى: بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

[البحر الكامل]

عقب الربيع خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون﴾ [التوبة: ٨٢] يقول تعالى **ذكره: فرح هؤلاء** المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، فليضحكوا فرحين قليلا في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا ﴿جزاء﴾ [البقرة: ٨٥] يقول: ثوابا منا لهم على معصيتهم بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله. ﴿بما كانوا يكسبون﴾ [الأنعام: ١٢٩] يقول: بما كانوا يجترحون من الذنوب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (٢)

"حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: " ﷺكان أبو عمرو يقرأ: «نرتع ونلعب» بالنون، قال: فقلت لأبي عمرو: كيف يقولون نلعب وهم أنبياء؟ قال: لم يكونوا يومئذ أنبياء «وأولى القراءة في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه في الحرفين كليهما بالياء، وبجزم العين في» يرتع ". لأن القوم إنما سألوا إياهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك عما ليوسف في إرساله معهم -[٢٦]- **من الفرح والسرور**، والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك، لا بالخبر عن أنفسهم. وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك:." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو هشام، قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿ﷺطوبى لهم﴾ [الرعد: ٢٩] قال: " غبطة لهم. حدثني المثنى قال: ثنا إسحاق قال: ثنا عبد الرحمن بن مغراء، عن جويبر، عن الضحاك، مثله. قال: ثنا عمرو بن عون قال: أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، مثله. وقال آخرون: **معناه: فرح وقرة** عين." (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٠٢/١١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٠٥/١١

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٥/١٣

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٢٠/١٣

"ذكر من قال ذلك: حدثني علي بن داود، والمثنى بن إبراهيم، قالا: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ﷺطوبى لهم﴾ [الرعد: ٢٩] **يقول: فرح وقرة** عين ". وقال آخرون: معناه: حسنى لهم." (١)

"وقال آخر منهم: إنما كلم القوم بما يعقلون، قال: وذلك لما دنا من الانقضاض، جاز أن يقول: يريد أن ينقض، قال: ومثله ﴿تكاد السموات يتفطرن﴾ وقولهم: إني لأكاد أطير من الفرح، وأنت لم تقرب من ذلك، ولم تهم به، ولكن لعظيم الأمر عندك. وقال بعض الكوفيين منهم: من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط، قال: ومثله من قول العرب قول الشاعر:

[البحر الخفيف]

إن دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالإحسان

وقول الآخر:

[البحر الرجز]

يشكو إلي جملي طول السرى ... صبرا جميلا فكلانا مبتلى

قال: والجمل لم يشك، إنما تكلم به على أنه لو تكلم لقال ذلك، قال: وكذلك قول عنترة:

[البحر الكامل]

وازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلي بعبرة وتحمحم." (٢)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، أنه ﷺذكر الغلام الذي قتله الخضر، فقال: **قد فرح به** أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما. فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن -[٣٦٠]- فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب." (٣)

"حدثني العباس بن الوليد الآملي، قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني، قال: أخبرنا القاسم بن أبي أيوب، قال: ثني سعيد بن جبير، قال: سألت عبد الله بن عباس عن قول الله، لموسى ﴿ﷺوفتناك فتونا﴾ [طه: ٤٠] فسألته على الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثا طويلا، قال فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني، قال فقال ابن عباس: تذاكر

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٢١/١٣

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٤٨/١٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٥٩/١٥

فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون فيه، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب، فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان وعد الله إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فأتمروا بينهم وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، وأن الصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر، فيقل أبناؤهم، ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحد، فتشب الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون -[٦٥]- منهم فتخافون مكاثرتهم إياكم، ولن يقلوا بمن تقتلون، فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به، فأوحى الله تبارك وتعالى إليها أن ﴿لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ [القصص: ٧] وأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت، ثم تلقيه في اليم، فلما ولدته فعلت ما أمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس، فقالت في نفسها: ما صنعت بابن، لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودورانه، فانطلق به الماء حتى أوفى به فرضة مستقى جواري آل فرعون، فلما رأينه أخذنه، فهممن أن يفتحن التابوت، فقال بعضهن: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يحركن منه شيئا حتى دفعنه إليها، فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقي عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس ، فأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى. فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم، يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت للذباحين: انصرفوا عني، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فآتي فرعون فأستوهبه إياه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم، فلما أتت به فرعون قالت: ﴿قرة عين -[٦٦]- لي ولك﴾ قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه. فقال: والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك. فأرسلت إلى من حولها من كل أنثى لها لبن، لتختار له ظئرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها، فلم يقبل من أحد. وأصبحت أم موسى، فقالت لأخته: قصيه واطلبيه،

هل تسمعين له ذكرا؟ أحي ابني، أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الظئورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت :نصحهم له وشفقتهم عليه، رغبتهم في ظئورة الملك، ورجاء منفعته، فتركوها، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر، فجاءت، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا، فأرسلت إليها، فأتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإني لم أحب حبه شيئا قط، قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي، فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها، فتعاسرت على -[٦٧]- امرأة فرعون، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها، فأنبته الله نباتا حسنا، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التي كانت فيهم. فلما ترعرع، قالت امرأة فرعون لأم موسى: أزيريني ابني. فوعدتها يوما تزيرها إياه فيه، فقالت لخواصها وظئورتها وقهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليرى ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون. فلما دخل عليها نحلته وأكرمته وفرحت به، وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه، وقالت: انطلقن به إلى فرعون، فلينحله وليكرمه. فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدها، فقال عدو من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به. فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلوني، فقالت: اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق، ائت -[٦٨]- بجمرتين ولؤلؤتين، فقربهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرب ذلك إليه، فتناول الجمرتين، فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد هم به، وكان الله بالغا فيه أمره. فلما بلغ أشده، وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة، حتى امتنعوا كل امتناع، فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة،

إذ هو برجلين يقتتلان، أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتد غضبه، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره، فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ [القصص: ١٥] ثم قال: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ [القصص: ١٦] ﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ [القصص: ١٨] الأخبار، فأتي فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله ومن شهد عليه، لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا ثبت، فطلبوا له ذلك، فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتا، إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل -[٦٩]- فرعونيا، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى، فغضب موسى، فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، قال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم ﴿إنك لغوي مبين﴾ [القصص: ١٨] فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له ﴿إنك لغوي مبين﴾ [القصص: ١٨] أن يكون إياه أراد، ولم يكن أراده، إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي فحاجز الفرعوني فقال: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس﴾ [القصص: ١٩] وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، فتتاركا، فانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس؟ فأرسل فرعون الذباحين، فسلك موسى الطريق الأعظم، فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم، وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر، وذلك من الفتون يا ابن جبير.." (١)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام، عن مجاهد، في قوله " ﴿ﷺإذ قال له قومه لا تفرح، إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] قال: **هو فرح البغي** "." (٢)

"وقال عكرمة: " ﷺفي غيرة كانت غارتها عائشة، وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٤/١٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٢١/١٨

صفية ابنة حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وبدأ بعائشة، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، **رئي الفرح في** وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتابعن كلهن على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة "." (١)

"قال قتادة: " ﷺوهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا، وكان تحته تسع نسوة: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث -[٨٧]- الهلالية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وصفية بنت حيي بن أخطب؛ فبدأ بعائشة، وكانت أحبهن إليه؛ فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، **رئي الفرح في** وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن على ذلك "." (٢)

"حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا شريك بن عبد الله، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قوله: ﴿ﷺوسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾ [الزمر: ٧٣] " حتى إذا انتهوا إلى بابها، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان، فعمدوا إلى إحداهما، فشربوا منها كأنما أمروا بها، فخرج ما في بطونهم من قذر أو اذى أو قذى، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتوضئوا منها كأنما أمروا به، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رءوسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها، ثم دخلوا الجنة، فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ -[٢٦٧]- المكنون، فيقولون: أبشر، أعد الله لك كذا، وأعد لك كذا وكذا، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر، يتلألأ كأنه البرق، فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه، فيقول: أبشري قد قدم فلان ابن فلان، فيسميه باسمه واسم أبيه، فتقول: أنت رأيته، أنت رأيته **فيستخفها الفرح حتى** تقوم، فتجلس على أسكفة بابها، فيدخل فيتكئ على سريره، ويقرأ هذه الآية: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] الآية "." (٣)

"حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: ذكر أبو إسحاق عن الحارث، عن علي، رضي الله عنه قال: " ﷺيساقون إلى الجنة، فينتهون إليها، فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان تجريان، فيعمدون إلى إحداهما، فيغتسلون منها، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٨٦/١٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٨٦/١٩

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٦٦/٢٠

رءوسهم بعدها أبدا، ولن تغبر جلودهم بعدها أبدا، كأنما دهنوا بالدهان؛ ويعمدون إلى الأخرى، فيشربون منها، فيذهب ما في بطونهم من قذى أو أذى، ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون، فيفتح لهم، فتتلقاهم خزنة الجنة فيقولون ﴿سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل: ٣٢] " قال: وتتلقاهم الولدان المخلدون، يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم إذا جاء من الغيبة، -[٢٦٨]- يقولون: أبشر أعد الله لك كذا، وأعد لك كذا، فينطلق أحدهم إلى زوجته، فيبشرها به، فيقول: قدم فلان باسمه الذي كان يسمى به في الدنيا، وقال: **فيستخفها الفرح حتى** تقوم على أسكفة بابها، وتقول: أنت رأيته، أنت رأيته؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيجيء حتى يأتي منزله، فإذا أصوله من جندل اللؤلؤ من بين أصفر وأحمر وأخضر، قال: فيدخل فإذا الأكواب موضوعة، والنمارق مصفوفة، والزرابي مبثوثة قال: ثم يدخل إلى زوجته من الحور العين، فلولا أن الله أعدها له لالتمع بصره من نورها وحسنها؛ قال: فاتكأ عند ذلك ويقول: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] قال: فتناديهم الملائكة: ﴿أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [الأعراف: ٤٣] حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، قال: ذكر السدي نحوه أيضا، غير أنه قال: لهو أهدى إلى منزله في الجنة منه إلى منزله في الدنيا، ثم قرأ السدي: ﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ [محمد: ٦] واختلف أهل العربية في موضع جواب إذا التي في قوله ﴿حتى إذا جاءوها﴾ فقال بعض نحويي البصرة: يقال إن قوله ﴿وقال لهم خزنتها﴾ [الزمر: ٧٣] في معنى: قال لهم، كأنه يلغي الواو، وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة، كما قال الشاعر: [البحر الكامل]

فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن ... إلا توهم حالم بخيال

فيشبه أن يكون يريد: فإذا ذلك لم يكن، قال: وقال بعضهم: فأضمر الخبر، وإضمار الخبر أيضا أحسن في الآية، وإضمار الخبر في الكلام كثير. وقال آخر -[٢٦٩]- منهم: هو مكفوف عن خبره، قال: والعرب تفعل مثل هذا؛ قال عبد مناف بن ربع في آخر قصيدة: [البحر البسيط]

حتى إذا أسلكوهم في قتائده ... شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقال الأخطل في آخر القصيدة: [البحر الطويل]

خلا أن حيا من قريش تفضلوا ... على الناس أو أن الأكارم نهشلا

. وقال بعض نحويي الكوفة: أدخلت في حتى إذا وفي فلما الواو في جوابها وأخرجت، فأما من أخرجها فلا شيء فيه، ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب، فجعل الثاني نسقا على الأول، وإن كان الثاني جوابا كأنه قال: أتعجب لهذا وهذا وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الجواب متروك، وإن كان القول الآخر غير مدفوع، وذلك أن قوله: ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ [الزمر: ٧٣] يدل على أن في الكلام متروكا، إذ كان عقيبه ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ [الزمر: ٧٤] ؛ وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: حتى إذا جاءوا وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، دخلوها، وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده وعني بقوله ﴿سلام عليكم﴾ [الزمر: ٧٣] : أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروه أو اذى." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ﷺبما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق﴾ [غافر: ٧٥] إلى ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ [غافر: ٧٦] قال: " **الفرح والمرح**: الفخر والخيلاء، والعمل في الأرض بالخطيئة، وكان ذلك في الشرك، وهو مثل قوله لقارون ": ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] «وذلك في الشرك»." (٢)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾ [الشورى: ٤٨]." (٣)

"يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق، ودعوتهم إليه من الرشد، فلم يستجيبوا لك، وأبوا قبوله منك، فدعهم، فإنا لن نرسلك إليهم رقيبا عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ [الشورى: ٤٨] يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها**﴾

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٦٧/٢٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٦٦/٢٠

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٥/٢٠

[الشورى: ٤٨] يقول تعالى ذكره: فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل **ثناؤه، فرح بها**: يقول: سر بما أعطيناه من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ [النساء: ٧٨] يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش ﴿بما قدمت أيديهم﴾ [البقرة: ٩٥] يقول: بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير ﴿فإن الإنسان كفور﴾ [الشورى: ٤٨] يقول تعالى ذكره: فإن الإنسان جحود نعم ربه، يعدد المصائب، ويجحد النعم وإنما قال: ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ [النساء: ٧٨] فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور، وقد ذكر الإنسان قبل ذلك بمعنى الواحد، لأنه بمعنى الجمع." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿ﷺفروح وريحان﴾ [الواقعة: ٨٩] قال: «راحة» وقوله: وريحان قال: «الرزق» وقال آخرون: الروح: الفرح، والريحان: الرزق." (٢)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن إدريس قال: سمعت أبي، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿ﷺفروح وريحان﴾ [الواقعة: ٨٩] قال: " الروح: الفرح، والريحان: الرزق " -[٣٧٨]- وأما الذين قرأوا ذلك بضم الراء فإنهم قالوا: الروح: هي روح الإنسان، والريحان: هو الريحان المعروف وقالوا: معنى ذلك: أن أرواح المقربين تخرج من أبدانهم عند الموت بريحان تشمه." (٣)

"حدثنا ابن بشار قال: ثنا أبو عامر قال: ثنا قرة، عن الحسن، في قوله: ﴿ﷺفأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٩] قال: «ذلك في الآخرة،» فقال له بعض القوم قال: «أما والله إنهم ليرون عند الموت» حدثنا ابن بشار قال: ثنا حماد قال: ثنا قرة، عن الحسن، بمثله. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي: قول من قال: عني **بالروح: الفرح والرحمة** والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت روحا: إذا وجد نسيما يستروح إليه من كرب الحر وأما الريحان، فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه." (٤)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٦/٢٠

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٧٧/٢٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٧٧/٢٢

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٧٩/٢٢

"حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن أبيه، «ذكر لي أن الشيطان أو قال ﷺالوسواس، ينفث في قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح، وإذا ذكر الله خنس»." (١)

"شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام لي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرءون القرآن ويفتقرون [إلى] «١» العلم وذكر من لسانهم أنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برءاء مني، والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.

ثم قال: أخبرنا أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» ، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» .

قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ، قال: فأخبرني عن إماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة شاهقون في البنيان» ، قال: ثم انطلق، فلبث علينا ثم قال: يا عمر من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبرائيل عليه السلام أتاكم ليعلمكم دينكم» «٢»
.

ثم يسمى اقرار اللسان وأعمال الأبدان إيمانا بوجه من المناسبة وضرب من المقاربة لأنها من شرائعه وتوابعه وعلاماته وإماراته كما نقول: **رأيت الفرح في** وجه فلان، ورأيت علم زيد في تصنيفه وإنما الفرج والعلم في القلب،

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون بابا، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأعلاها شهادة «٣» أن لا إله إلا الله» [٦٦] «٤» .

وعن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٤/٧٥٥

شعبة من الإيمان» [٦٧] «٥» .

الحسن بن علي قال: حدثني علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان» [٦٨] «٦» .

---

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) صحيح مسلم: ١/ ٢٨- ٢٩ بطوله.

(٣) في المصدر: وارفعها قول.

(٤) مسند أحمد: ٢/ ٤٤٥، وكنز العمال: ١/ ٣٦.

(٥) صحيح مسلم: ١/ ٤٦.

(٦) المعجم الأوسط: ٦/ ٢٢٦.." (١)

"إن كنتم صادقين إن محمدا أسر قوله من تلقاء نفسه، فلما تحداهم وعجزوا [قال الله تعالى] : فإن لم تفعلوا أي فإن لم تجيئوا بمثل القرآن.

ولن تفعلوا: ولن تقدروا على ذلك.

وقيل فإن لم تفعلوا فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقي.

فاتقوا النار التي وقودها حطبها وعلفها الناس والحجارة قال الحسن ومجاهد:

(وقودها) بضم الواو حيث كان وهو رديء، لأن الوقود بضم الراء المصدر وهو الالتهاب، والوقود بالفتح وهو ما يوقد به النار كالظهور والبرود، ومثليهما ومثل الوضوء والوضوء.

وقرأ عبيد بن عمير: وقيدها الناس والحجارة.

قيل: تلك الحجارة [كجت الأرض النائية] مثل الكبريت يجعل في أعناقهم إذا اشتعلت فيها النار أحرق توهجها وجوههم، فذلك قوله تعالى: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب «١» .

اختلفوا في الحجارة، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: إنها حجارة الكبريت [الأسود وهي أشد الأشياء حرا] ، وقال حفص ابن المعلى: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت معمولة من الحجر، دليله قوله: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون «٢» .

وقيل: هي أن أهل النار إذا عيل صبرهم بكوا وشكوا فتنشأ سحابة سوداء مظلمة فيرجون الفرج ويرفعون

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٦/١

رؤوسهم إليها فتمطرهم حجارة عظاما كحجارة الرحا، فتزداد النار اتقادا والتهابا كنار الدنيا إذا زيد حطبها زاد لهيبها.

وقيل: ذكر الحجارة ها هنا تعظيما لأمر النار لأنها لا تأكل الحجارة إلا إذا كانت فظيعة وهائلة.

أعدت: خلقت وهيئت للكافرين، وفي هذه الآية دليل على أن النار مخلوقة لأن المعد لا يكون إلا موجودا.

وبشر أي وأخبر.

الذين آمنوا وأصل التبشير: إيصال الخبر السار على [مسامع الناس] ويستبشر به، وأصله من البشرة لأن الإنسان إذا فرح بان ذلك في وجهه وبشرته، ثم كثر حتى وضع موضع الخبر فيما [ساء وسر] قال الله تعالى: فبشرهم بعذاب أليم «٣» .

---

(١) سورة الزمر: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٣) سورة آل عمران: ٢١.." (١)

"إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية الخليقة، قرأ نافع البرئة بالهمزة في الحرفين ومثله روى ابن ذكوان عن أهل الشام على الأصل لأنه من قولهم: برأ الله الخلق يبرؤهم برءا، قال الله سبحانه: من قبل أن نبرأها، وقرأ الآخرون بالتشديد من غير همزة، ولها وجهان: أحدهما أنه ترك الهمزة وأدخل الشبه به عوضا منه.

والآخر أن يكون (فعيلة) من البراء وهو التراب، تقول العرب: بفيك البراء فمجازه: المخلوقون من التراب.

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه.

قال الصادق رضي الله عنه: بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق، ورضوا عنه بما من عليهم بمتابعتهم لرسوله، وقبولهم ما جاءهم به، أي أن بيان رضا الخلق عن الله رضاهم بما يرد عليهم من أحكامه ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضا عنه» [٢٢٣] .

محمد بن الفضيل: الروح والراحة في الرضا واليقين، والرضا باب الله الأعظم ومستراح العابدين. محمد بن

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٦٩/١

حقيق: الرضا ينقسم قسمين: رضا به ورضا عنه، فالرضا به ربا ومدبرا، والرضا عنه فيما يقضي ويقدر.
وقيل: الرضا رفع الاختيار. ذي النون: الرضا: سرور القلب لمر القضاء. حارث: الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم. أبو عمرو الدمشقي: الرضا نهاية الصبر. أبو بكر بن طاهر:
الرضا خروج الكراهية من القلب حتى لا يكون **إلا فرح وسرور**. الواسطي: هو النظر إلى الأشياء يعني الرضا حتى لا يسخطك شيء إلا ما يسخط مولاك. ابن عطاء: هو النظر إلى قديم إحسان الله للعبد فيترك السخط عليه.

سمعت محمد بن الحسين بن محمد يقول: سمعت محمد بن أحمد بن إبراهيم يقول:
سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عبد الحميد يقول: سمعت السهمي يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟.." (١)

"قال علي (رضي الله عنه) : «فخرجت في آثارهم أنظر ما يصنعون، فإذا هم قد أجنبوا الخيل وامتطوا الإبل وتوجهوا إلى مكة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أي ذلك كان فأخفه حتى تأتيني، فلما رأيتهم قد توجهوا إلى مكة أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم لما بي **من الفرح وانصرفوا** إلى مكة وانصرفنا إلى المدينة، فأنزل الله تعالى في ذلك ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم» «١» يعني أن انصرفوا إليكم ودخلوا المدينة.
وفي قراءة أبي (ألا يكفيكم أن يمدكم ربكم) ، أي يعطيكم ويعينكم.
قال المفضل: [كل] «٢» ما كان على جهة القوة والإعانة، قيل فيه: أمده يمده إمدادا، وكل ما كان على جهة الزيادة قيل: مده يمده مدا، ومنه قوله: والبحر يمده من بعده «٣» .
وقال بعضهم: المد في الشر، والإمداد في الخير. يدل عليه قوله تعالى: ويمدهم في طغيانهم يعمهون «٤» وقوله ونمد له من العذاب مدا «٥» .
وقال في الخير أني ممدكم بألف «٦» وقال: يمددكم ربكم بخمسة آلاف. وقال وأمددناكم بأموال وبنين «٧» .
وقال: أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين «٨» . وقال: وأمددناهم بفاكهة «٩» ، وقال: ويمددكم بأموال وبنين «١٠» ، ممدكم بألف من الملائكة «١١» منزلين. قرأ أبو حيوة: بكسر الزاي، مخففا، يعني منزلين النصر. وقرأ الحسن ومجاهد وطلحة بن مصرف وعمر ابن ميمون وابن عامر مشددة مفتوحة الزاي

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٦٢/١٠

على التكثير. وتصديقه قوله: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة «١٢» .
وقوله: مسومين. وقرأ الآخرون: بفتح الزاي خفيفة. ودليله قوله: لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا «١٣» وقوله: وأنزل جنودا لم تروها «١٤» . وتفسير الإنزال: جعل الشيء من علو إلى سفل، ثم قال: بلى وهو تصديق لقول الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم.
إن تصبروا لعدوكم وتتقوا معصية ربكم.

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٢٠٧.

(٢) في المخطوط: على.

(٣) لقمان: ٢٧,

(4) البقرة: ١٥.

(٥) مريم: ٧٩.

(٦) الأنفال: ٩.

(٧) الإسراء: ٦.

(٨) المؤمنون: ٥٥.

(٩) الطور: ٢٢.

(١٠) نوح: ١٢.

(١١) الأنفال: ٩.

(١٢) الأنعام: ١١١.

(١٣) الفرقان: ٢١. [.....]

(١٤) التوبة: ٢٦.." (١)

"وهو مقتول فوقف عليه ودعا ثم قرأ: من المؤمنين رجال صدقوا «١» الآية، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «إن رسول الله يشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم، فو الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه، يرزقون من ثمار الجنة وتحفها» «٢» [١٨٥]
.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٣/٣

فرحين نصب على الحال والقطع من قوله يرزقون.
وقرأ ابن السميقع: (فارحين) بالألف، وهما لغتان كالفره والفاره والحذر والحاذر والطمع والطامع والبخل والباخل.
بما آتاهم الله من فضله من ثوابه ويستبشرون يفرحون، وأصله من البشرة، لأن الإنسان **إذا فرح ظهر** أثر السرور في بشرة وجهه بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على منهاجهم من الإيمان والجهاد، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا لحقوا بهم فصاروا من كرائم الله عز وجل إلى مثل ما صاروا هم إليهم، فهم لذلك مستبشرون.
وقال السدي: يؤتى الشهيد بكتاب فيه من تقدم عليه من إخوانه وأهله فيقال: تقدم فلان عليك يوم كذا وتقدم فلان يوم كذا، فيستبشر حين يقدم عليه كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا.
ألا خوف عليهم يعني بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله يعني وبأن الله في محل الخفض على قوله: بنعمة من الله وفضل.
وقرأ الكسائي والفراء والمفضل ومحمد بن عيسى: (وإن الله) بكسر الألف على الاستثناء، ودليلهم قراءة ابن مسعود والله (لا يضيع أجر المؤمنين) .
قال الكلبي باسناده: إن العبد إذا لقى العدو في سبيل الله، فتح له باب من السماء وأطلعت عليه زوجتاه من الحور العين، فإذا أقبل على العدو يقاتلهم قالتا: اللهم وفقه وسدده، وإذا أدبر عن العدو قالتا: اللهم أعف وتجاوز، فإذا قتل يباهي الله عز وجل به الملائكة فيقول لهم: انظروا إلى عبدي بذل نفسه ودمه ابتغاء مرضاتي، فتقول الملائكة: يا رب أفلا تذهب فتنصره على من يريد قتله؟ فيقول لهم: خلوا عن عبدي، فقد سهر ونصب في طلب مرضاتي، أحب لقائي وأحببت لقاءه. فينزل إليه زوجتاه من الحور العين، ويأمر الله الملائكة أن يأتوه من آفاق الأرض، فيحبونه ويبشرونه بالجنة والكرامة من الله تعالى، فإذا فعلوا ذلك بعث الله إليهم:

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٢.
(٢) كنز العمال: ١٠/ ٣٨١، ح ٢٩٨٩٢.." [1]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/٢٠٥

"قال الشاعر:

يا عيد مالك من شوق وإيراق ... ومر طيف على الأهوال طراق «١»

فقال آخر:

إعتاد قلبك من جبينك عود ... شق عناك فأنت عنه تذود

وأنشد الفراء:

فواكبدي من لاعج الحب والهوى ... إذا اعتاد قلبي من أميمة عيدها «٢»

وأصله عود بالواو ولأنه من عاد يعود إذا رجع فقلبت الواو بالكسرة ما قبلها مثل النيران والميقات والميعاد.

قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا.

وقال سفيان: نصلي فيه.

وقال الخليل بن أحمد: العيد كل يوم مجمع كأنهم عادوا إليه.

وقال ابن الأنصاري: سمي العيد عيدا للعود من الترح **إلى الفرح فهو** يوم سرور للخلق كلهم ألا ترى أن المسجونين لا يطالبون ولا يعاقبون ولا تصطاد فيه الوحوش والطيور ولا ينفذ الصبيان إلى المكتب «٣» ، وقيل: سمي عيدا لأن كل إنسان يعود إلى قدر منزلته ألا ترى إختلاف ملابسهم وأحوالهم وأفعالهم فمنهم من يضيف ومنهم من يض١ف ومنهم من يظلم ومنهم من يرحم، وقيل: سمي بذلك لأنه يوم شريف فاضل تشبيها بالعيد وهو فحل نجيب كريم ومشهور في العرب وينسبون إليه فيقال: إبل عيدية «٤» . قال الراعي:

عيد به طويت على زفراتها ... طي القناطر قد نزلن نزولا «٥»

وقوله لأولنا وآخرنا يعني قبل زماننا ولمن يجيء بعدنا.

وقرأ زيد بن ثابت: لأولنا وآخرنا على الجميع.

وقال ابن عباس: يعني نأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

---

(١) لسان العرب: ٣/ ٣١٨

. (٢) كتاب العين: ١/ وفيه: نفسي، بدل: قلبي

. (٣) راجع روضة الواعظين للفتال النيشابوري: ٣٥٢

. (٤) راجع تفسير القرطبي: ٦/ ٣٦٨

. (٥) لسان العرب: ٤/ ٣٢٥، وفيه: حوزية طويت

.." (١)

"[سورة التوبة (٩) : الآيات ٧٩ الى ٩١]

الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم (٧٩) استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين (**٨٠) فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣)

ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥) وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٨٦) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٨٧) لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون (٨٨)

أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩) وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم (٩٠) ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١)

الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات

قال أهل التفسير: حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف فجئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله، فأمسكت أربعة آلاف لعيالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» . [٤٠]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٢٦/٤

فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى مات وعنده امرأتين يوم مات فبلغ ثمن مالهما مائة وستون ألف درهم لكل واحدة منهما ثمانون ألفا، وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وستين وسقا من تمر، وجاء أبو عقيل الأنصاري- واسمه الحباب- بصاع من تمر وقال: يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير أحبلا حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لأهلي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات، فلمزهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع أبي عقيل، ولكنه أحب أن يزكي نفسه ليعطي الصدقة «١» فأنزل الله عز وجل: الذين يلمزون أي يعيبون ويغتابون المطوعين المتبرعين من المؤمنين في الصدقات.

---

(١) تفسير الطبري: ١٠/ ٢٥١، وفتح الباري: ٢٥٠٨، وأسباب النزول للواحدي: ١٧٢- ١٧٣.." (١)

"[٤٣] فأنزل الله: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم

فأبى الله أن يغفر لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم **الفاسقين فرح المخلفون** عن غزوة تبوك بمقعدهم بقعودهم خلاف رسول الله قال قطرب والمؤرخ: يعني مخالفة لرسول الله حين سار وأقاموا، وقال أبو عبيدة: يعني بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وأنشد الحرث بن خالد:

عقب الربيع خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا «١»

أي بعدهم، ويدل على هذا التأويل قراءة عمرو بن ميمون: خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون يعلمون ذلك، هو في مصحف عبد الله فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون قال أبو موسى الأشعري: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو أجريت السفن من دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه فليبكي.

وقال ابن عباس: إن أهل النفاق ليبكون في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم.

شعبة عن قتادة عن أنس قال: قال أنس: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبكيتم كثيرا فإن رجعك الله رجعك الله من غزوة تبوك إلى طائفة منهم يعني من المخلفين فإنما قال طائفة منهم لأنه ليس كل من تخلف عن تبوك كان منافقا فاستأذنوك في أن يكونوا في غزاة أخرى فقل لهم لن تخرجوا معي أبدا ولن

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥/٧٦

تقاتلوا معي عدوا عقوبة لهم على تخلفهم إنكم رضيتم بالقعود أول مرة بمعنى تخلفوا عن غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين قال ابن عباس: الرجال الذين تخلفوا بغير عذر.
الضحاك: النساء والصبيان والمرضى والزمنى، وقيل: مع الخالفين. قال الفراء: يقال:
عبد خالف وتخالف إذ كان مخالفا، وقيل: [ضعفاء] الناس ويقال: خلاف أهله إذ كان ذويهم، وقيل مع أهل الفساد من قولهم: خلف الرجل على أهله يخلف خلوفا إذ فسد، ونبيذ خالف أي فاسد [من قولك] : خلف اللبن خلوفا إذا حمض من طول وضعه في السقاء، وخلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه، ومنه خلف سوء، وقرأ مالك بن دينار: مع المخالفين.
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا
قال المفسرون- بروايات مختلفة: بعث عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: أهلكك يهود، فقال: يا رسول الله إني لم أبعث إليك لتؤنبني ولكن بعثت إليك لتستغفر لي وسأله أن

---

(١) لسان العرب: ٩/ ٨٦.." (١)

"وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مررت ليلة أسري بي إلى السماء فرأيت يوسف، فقلت: يا جبرئيل من هذا؟ قال: هذا يوسف» قالوا: وكيف رأيته يا رسول الله، قال: «كالقمر ليلة البدر» [١١٤] «١» .
وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: «هبط جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تعالى يقول: كسوت حسن يوسف من نور الكرسي، وكسوت نور حسن وجهك من نور عرشي» »
[١١٥] .
وروى الوليد بن مسلم عن إسحاق عن عبد الله بن أبي فروة قال: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والماء على الجدران.
فلما رأينه أكبرنه أي أعظمنه وأجللنه، قال أبو العالية: هالهن أمره وبهتن، وروى عبد الصمد بن علي عن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده ابن عباس في قوله تعالى: فلما رأينه أكبرنه قال حضن من الفرح، ثم قال:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧٨/٥

نأتي النساء على أطهارهن ولا ... نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا «٣»
وعلى هذا التأويل يكون أكبرنه بمعنى أكبرن له أي حضن لأجله من جماله، ووجدن ما تجد النساء في مثل تلك الحال «٤» وهذا كقول عنترة:
ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنال به كريم المطعم «٥»
أي وأظل عليه.
قال الأصمعي: أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البيت، فقال:
ما من شاعر جاهلي أحببت أن أراه ... دون [.............]
«٦» البيت
وقطعن أيديهن، يعني وحززن أيديهن بالسكاكين التي معهن وكن يحسبن أنهن يقطعن الأترج، عن قتادة: قطعن أيديهن حتى ألقينها، وقال مجاهد: فما أحسسن إلا بالدم ومنهن لم يجدن من ألم إلا يرى الدم لشغل قلوبهن بيوسف، قال وهب: وبلغني أن تسعا من الأربعين متن في ذلك المجلس وجدا بيوسف.

---

(١) تاريخ دمشق: ٣/ ٤٨٤، باختصار. [.....]
(٢) تاريخ بغداد: ٣/ ٥٨، وتاريخ دمشق: ٣/ ٢٩٩.
(٣) تفسير الطبري: ١٢/ ٢٦٩.
(٤) راجع زاد المسير: ٤/ ١٦٧.
(٥) كتاب العين: ٧/ ٤٦٦، لسان العرب: ١١/ ٤١٩.
(٦) كلمة غير مقروءة.." (١)

"الكلبي: كمثل السكرجة «١» والقصعة أو القدح والقدر ونحوها ينتفع بها ثم يذهب ويقول الذين كفروا من أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ويرشد الأمة إلى طاعته من رجع إليه بقلبه ثم وصفهم فقال الذين آمنوا في محل النصب والأمن قبله من وتطمئن وتسكن فستأنس قلوبهم بذكر الله.
مقاتل: بالقرآن ألا بذكر الله تطمئن القلوب.
قال ابن عباس: هذا في الحلف ويقولها إذا حلف الرجل المسلم بالله على شيء يم سكن قلوب المؤمنين

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢١٨/٥

إليه.

وقال مجاهد: هم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

الذين آمنوا وعملوا الصالحات ابتداء طوبى لهم خبره، وقيل:

معناه لهم طوبى فطوبى خبر الابتداء الأول.

واختلف العلماء في تفسير «طوبى» .

الوالبي عن ابن عباس: طوبى لهم: فرح وقرة عين لهم، عكرمة: نعم ما لهم، الضحاك:

غبطة لهم.

قتادة: حسنى لهم معمر عنه: هذه كلمة عربية، يقول الرجل للرجل طوبى لكم أي أصبت خيرا.

إبراهيم: خير وكرامة لهم.

شميط بن عجلان: طوبى يعني دوام الخير. الفراء: أصله من الطيب وإنما جاءت الواو لضم ما قبلها وإتيان بقول العرب: طوباك، طوبى لك.

سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى اسم الجنة بالحبشية.

سعيد بن مسجوح: اسم الجنة بالهندية ربيع البستان بلغة الهند «٢» .

وروى ابن سعيد الهندي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له: يا رسول الله ما طوبى؟

قال: «شجرة في الجنة مسيرة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة يخرج من أكمامها» [١٤٦] «٣» .

وروى معاوية بن مرة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة» [١٤٧] «٤» .

---

(١) السكرجة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم.

(٢) راجع تفسير القرطبي: ٢/ ٥٣.

(٣) مسند أحمد: ٣/ ٧١.

(٤) كنز العمال: ١٤/ ٣٥٧ ح ٣٩٢٥٠.." (١)

"ذي الحليفة، حتى ترتاد ويجتمع عليه أصحابه [وينظر] «١» إليه الناس. فأنزل الله عز وجل وإن كادوا ليستفزونك من الأرض التي كنت بها وهي أرض المدينة «٢» .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٨٨/٥

وروى شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن الحكم: إن اليهود أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم إن كنت صادقا أنك نبي فالحق بالشام فإنها أرض المحشر والنشر وأرض الأنبياء فصدق رسول الله ما قالوا وقد كان في غزوة تبوك لا يريد بذلك إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آية من سورة بني إسرائيل بعدها ختمت السورة وإن كادوا ليستفزونك من الأرض الآية وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها خيلك وملكك وفيها مبعثك.

قال مجاهد وقتادة: هم أهل مكة عمدا بإخراج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ولو فعلوا ذلك لما توطنوا ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره ولقلما لبثوا مع ذلك بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة حتى أهلكهم الله يوم بدر «٣» .

وهذا التأويل أليق بالآية لأن ما قبلها خبر من أهل مكة ولم يجد لليهود ذكر ولأن هذه السورة مكية.

وقيل: هم الكفار كلهم كادوا أن يستخفوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ينالوا منه ما أملوا من الظفر ولو أخرجوه من أرض العرب لم يميلوا أن يقيموا فيها على كفرهم بل أهلكوا بالعذاب فذلك قوله وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك أي بعدك وهي قراءة أبي عمرو وأهل الحجاز واختاره أبو عبيد.

وقرأ الباقون: خلافك واختاره أبو حاتم اعتبارا بقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله «٤» ومعناه أيضا بعدك.

قال الشاعر:

عفت الديار خلافها فكأنما ... بسط الشواطب منهن حصيرا

أي بعدها.

إلا قليلا حتى تهلكوا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا أي كسنتنا فيمن أرسلنا

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) هذا من أوضح المفتريات أن يدع الرسول الأعظم الوحي ويأخذ من اليهود، فإن الإنسان العادي الساذج لا يأخذ بهذا القول فكيف بنبي الهدى الذي لا ينطق عن الهوى، والذي هو أعقل العرب وأسيسها والمعصوم عن الزلل، كما أجمعت عليه الفرق الإسلامية وثبت في محله.

(٣) راجع تفسير الطبري: ١٥/ ١٦٦.

(٤) سورة التوبة: ٨١.." (١)

"وقيل: وراءهم: خلفهم، وكان رجوعهم في طريقهم عليه، ولم يكونوا يعلمون بخبره فأعلم الله الخضر (عليه السلام) بخبره. ملك يأخذ كل سفينة غصبا، أي كل سفينة صالحة، فاكتفى بدلالة الكلام عليه، يدل عليه ما روى سفيان عن عمر بن دينار عن ابن عباس أنه يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) . فخرقها وعيبها، لئلا يتعرض لها ذلك الملك، واسمه جلندى وكان كافرا. قال محمد بن إسحاق: وكان اسمه منواه بن جلندى الأردني. وقال شعيب الجبائي اسمه هدد بن بدد.

وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا، أي فعلمنا. وفي مصحف أبي: (فخاف ربك) أي علم، ونظائره كثيرة. وقال قطرب: معناه فكرهنا، كما تقول: فرقت بين الرجلين خشية أن يقتتلا، وليست فيك خشية ولكن كراهة أن يقتتلا. أن يرهقهما، أي يهلكهما. وقيل:

يغشاهما. وقال الكلبي: يكلفهما طغيانا وكفرا، قال سعيد بن جبير: خشينا أن يحملهما حبه على أن يدخلهما معه في دينه.

فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة: صلاحا وإسلاما وأقرب رحما هو من الرحم والقرابة. وقيل: هو من الرحمة، يقال: رحم ورحم للرحمة، مثل هلك وهلك، وعمر وعمر، قال العجاج:

ولم تعوج رحم من تعوجا «١»

قال ابن عباس: وأقرب رحما يعني: وأوصل للرحم وأبر بوالديه. قال قتادة: أقرب خيرا، وقال ابن جريج: يعني أرحم به منهما بالمقتول. وقال الفراء: وأقرب أن يرحما له. قال الكلبي: أبدلهما الله جارية، فتزوجها نبي من الأنبياء، فولدت له نبيا فهدى الله عز وجل على يديه أمة من الأمم.

[وأخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن أحمد قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن الحرث القاضي عن عبد الوهاب بن فليح عن ميمون بن عبد الله القداح عن] «٢» جعفر بن محمد عن أبيه في هذه الآية قال: «أبدلهما جارية فولدت سبعين نبيا» «٣» [٩١] .

وقال ابن جريج: أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وكذلك هو في حرف ابي: (فأما الغلام فكان كافرا، وكان أبواه مؤمنين) . وقال قتادة: قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/١١٩

(١) لسان العرب: ١٢/ ٢٣٢.

(٢) ليس في النسخة المعتمدة.

(٣) تفسير مجمع البيان: ٦/ ٣٧٦.." [١]

"وكان الشيطان يجيئ فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبي: إني قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفسا وقروا عينا، فيرفعون عند ذلك رؤوسهم ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم، ثم ينصرفون حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليه صغيرهم وكبيرهم فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقا، ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم، فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا يعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعد بهم الشياطين كلها، فيرفعون رؤوسهم من السجود وبهم **من الفرح والنشاط** ما لا يفيقون من الشرب والعزف، فيكونون على ذلك اثنا عشر يوما ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون.

فلما طال كفرهم بالله سبحانه وعبادتهم غيره بعث الله سبحانه إليهم نبيا من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى ومعرفة ربوبيته فلا يتبعونه، فلما رأى شدة تماديهم في الغي والضلال، وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والصلاح وحضر عند قريتهم العظمى قال: يا رب إن عبادك أبوا إلا أن يكذبوني ويكفروا بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر، فأيبس شجرهم اجمع وأرهم قدرتك وسلطانك، فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كله، فهالهم ذلك وقطعوا بها وصاروا فرقتين: فرقة قالت سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم أنه رسول رب السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه.

وفرقة قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيه ويدعوكم الى عبادة غيرها، فحجبت حسنها وبهاءها لكي تضبوا لها فينتصروا منه، فأجمع رأيهم على قتله فاتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الأفواه، ثم أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرابخ، ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قرارها بئرا ضيقة المدخل عميقة، وأرسلوا فيها نبيهم وألقموا فاها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا إذ رأت أنا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان، فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨٧/٦

نبيهم عليه السلام وهو يقول: سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي، وعجل قبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي حتى مات عليه السلام.

فقال الله تعالى لجبرئيل: إن عبادي هؤلاء غرهم حلمي وآمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي، وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي، وإني حلفت لأجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين، فلم يرعهم وهم في عيدهم إلا ريح عاصف شديدة الحمرة قد عروا عنها وتحيروا فيها، وانضم بعضهم إلى بعض ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبة حمراء تلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار نعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته.." (١)

"خريفا، ثم ينتهي إلى غي وأثام، قال: قلت: وما غي وأثام» ؟ قال: نيران يسيل فيها صديد أهل النار، وهما اللتان قال الله سبحانه في كتابه فسوف يلقون غيا «١» ويلق أثاما «٢» .

وأخبرنا بو عمرو سعيد بن عبد الله بن إسماعيل الحيري قال: أخبرنا العباس بن محمد بن قوهباد قال: حدثنا إسحاق بن عبد الله بن محمد بن زرين السلمي. قال: أخبرنا حفص بن عبد الرحمن، قال: حدثنا سعيد عن قتادة، عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أثاما واد في جهنم، وهو قول مجاهد، وقال أبو عبيد: الأثام: العقوبة.

قال الليثي:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى ... عقوقا والعقوق له أثاما

أي عقوبة.

يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا قرأه العامة بجزم الفاء والدال، ورفعهما ابن عامر وابن عباس على الابتداء.

ثم قال إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية.

أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله قال: حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا موسى بن هارون الجمال قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي قال: حدثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله ابن عمر بن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين «٣» والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية. ثم نزلت إلا من تاب فما رأيت النبي صلى الله عليه **وسلم فرح بشيء** قط فرحه بها وفرحه ب إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧/١٣٦

وأخبرني الحسين بن محمد الفنجوي قال: حدثنا محمد بن الحسين بن علي اليقطيني قال:
أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي قال: حدثنا صفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال:
حدثنا عبد العزيز بن الحصين عن ابن أبي نجيح قال: حدثني القاسم بن أبي برة قال:
قلت لسعيد بن جبير: أبا عبد الله أرأيت قول الله سبحانه وتعالى ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق إلى قوله إلا من تاب قال: سمعت ابن عباس يقول: هذه مكية نسختها الآية المدنية التي في سورة النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ولا توبة له.
وروى أبو الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل

---

(١) سورة مريم: ٥٩.

(٢) مسند الشاميين- الطبراني.: ٢/ ٤٠٥.

(٣) في النسخة الثانية: سنتين.." (١)

"بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحرث المصطلقية، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه بعائشة، وكانت أحبهن إليه، فخيرها وقرأ عليها القرآن، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، **فرؤي الفرح في** وجه رسول الله صلى الله عليه وتابعنها على ذلك.

قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله، شكرهن الله على ذلك، وقصره عليهن وقال: (لا يحل لك النساء من بعد) الآية.

أخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن الحسين عن أحمد بن يوسف عن عبد الرزاق عن معمر، أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة قالت: لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله صلى الله عليه فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك قد دخلت علي من تسع وعشرين أعدهن، فقال: إن الشهر تسع وعشرون، ثم قال: يا عائشة إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك، قالت: ثم قرأ علي هذه الآية:
يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا حتى بلغ أجرا عظيما.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٩/٧

قالت عائشة: قد علم والله إن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: في هذا أستامر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قال معمر: فحدثني أيوب أن عائشة قالت: لا تخبر أزواجك اني اخترتك، فقال النبي صلى الله عليه: إنما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا.

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون عن [أحمد بن محمد بن الحسن] «١» عن محمد بن يحيى عن عثمان بن عمر عن يونس عن الزهري عن [أبي] «٢» سلمة أن عائشة قالت: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال: إني مخبرك خبرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، ثم قال: إن الله عز وجل قال: يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا حتى بلغ أجرا عظيما. فقلت: أفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه مثل ما فعلت.

قوله: يا نساء النبي من يأت منكن قرأ الجحدري بالتاء. غيره بالياء. بفاحشة مبينة بمعصية ظاهرة يضاعف لها العذاب في الآخرة ضعفين وقرأ ابن عامر وابن كثير:

نضعف بالنون وكسر العين مشددا من غير ألف (العذاب) نصبا.

---

(١) في نسخة أصفهان: ابن الشرقي.

(٢) في نسخة أصفهان: ابن.." (١)

"يقين وألف زلفى وألف رحمة، ونزع عنه كل داء وغل» [٦٩] «١» .

وأخبرنا أبو الحسن بن أبي إسحاق المزكي قال: حدثنا أبو الأحرز محمد بن عمر بن جميل قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم- وهو أبو بسطام البغدادي- قال: حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم قال: حدثنا يوسف بن عطية عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ (يس) يريد بها الله عز وجل غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة «٢» مرة، وأيما مريض قرئت عنده سورة (يس) نزل عليه بعدد كل حرف عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا فيصلون ويستغفرون له ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأيما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت وهو ريان ويبعث وهو ريان ويحاسب وهو

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٢/٨

ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان» [٧٠] «٣» .

وحدثنا أبو الفضل علي بن محمد بن أحمد بن علي الشارعي الخوارزمي إملاء قال: حدثنا أبو سهل بن زياد القطان قال: حدثنا ابن مكرم قال: حدثنا مصعب بن المقدم قال: حدثنا أبو المقدام هشام عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة (يس) في ليلة أصبح مغفورا له» [٧١] «٤» .

وأخبرني الحسين بن محمد الثقفي قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال: حدثنا حمزة بن الحسين بن عمر البغدادي قال: حدثنا محمد بن أحمد الرياحي قال: حدثنا أبي قال:

حدثنا أيوب بن مدرك عن أبي عبيدة عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من دخل المقابر فقرأ سورة (يس) خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات» [٧٢] «٥» .

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا علي بن ماهان عن علي بن محمد الطنافسي قال: حدثنا عبد الرحمن المحاربي قال: حدثنا عامر بن يساف اليمامي عن يحيى بن كثير قال: بلغنا أنه من قرأ (يس) حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح، وقد حدثني من جربها.

---

(١) تفسير القرطبي: ١٥/ ١.

(٢) في المخطوط: اثني عشر.

(٣) تفسير مجمع البيان: ٨/ ٢٥٤ بتفاوت.

(٤) الجامع الصغير: ٢/ ٦٣٣ ح ٨٩٣٤.

(٥) تفسير مجمع البيان: ٨/ ٢٥٤.." (١)

"الثمانية زادوا فيها واوا فيقولون: خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، يدل عليه قول الله تعالى:

سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما «١» وقال سبحانه: التائبون العابدون «٢» ، فلما بلغ الثامن من الأوصاف قال والناهون عن المنكر «٣» ، وقال سبحانه وتعالى: ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم «٤» ، وقال تعالى: ثيبات وأبكارا «٥» .

وقيل: زيادة الواو في صفة الجنة علامة لزيادة رحمة الله على غضبه وعقوبته.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١١٩/٨

وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال قتادة فإذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم من بعض، حتى إذا هدءوا واطمئنوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي أخبرنا أبو حاتم مكي بن عبدان التميمي حدثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر السليطي حدثنا روح بن عبادة القيسي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه: أنه سئل عن هذه الآية وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا الآية.

فقال: سيقودهم إلى أبواب الجنة حتى إذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحت ساقها عينان، فعمدوا إلى إحداهما فتطهروا فيها فجرت عليهم بنضرة النعيم، فلن تغير أجسادهم بعدها أبدا ولن تشعث أشعارهم بعدها أبدا كأنما دهنوا بالدهان، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو قذى، وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، ويلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم إذا جاء من الغيبة يقولون: ابشر قد أعد الله لك كذا وكذا وأعد لك كذا وكذا، وينطلق غلام من غلمانه يسعى إلى أزواجه من الحور العين فيقول: هذا فلان- باسمه في الدنيا- قد قدم.

فيقلن: أنت رأيته؟

فيقول: نعم.

فيستخفهن الفرح حتى يخرجن إلى أسكفة الباب ويجيء ويدخل، فإذا سرر موضونة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه، فإذا هو قد

---

(١) سورة الحاقة: ٧.

(٢) سورة التوبة: ١١٢.

(٣) سورة التوبة: ١١٢.

(٤) سورة الكهف: ٢٢.

(٥) سورة التحريم: ٥.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٥٨/٨

"[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٧٥ الى ٨٥]
ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦) فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨) الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩)
ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠) ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون (٨١) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا بِهِ يستهزؤن (٨٣) فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤)
فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون (٨٥)
ذلكم بما كنتم تفرحون تبطرون وتأمرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون تفخرون وتختالون وتنشطون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك أو نتوفينك قبل أن يحل بهم ذلك فإلينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك خبرهم في القرآن ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي تحق له العبادة هو الذي جعل خلق لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم تحمل أثقالكم في أسفاركم من بلد إلى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون نظيره وحملناهم في البر والبحر «١» .
ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض يعني مصانعهم وقصورهم فما أغنى عنهم أي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون وقيل: هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أي شيء أغنى عنهم كسبهم.
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا يعني الأمم بما عندهم من العلم.
قال مجاهد: قولهم نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث، وقيل: أشروا بما عندهم من العلم، بما كان عندهم

أنه علم وهو جهل.

وقال الضحاك: رضوا بالشرك الذي كانوا عليه.

وقال بعضهم: **هو الفرح راجع** إلى الرسل **يعني فرح الرسل** بما عندهم من العلم بنجاتهم وهلاك أعدائهم.

---

(١) سورة الإسراء: ٧٠.." (١)

"مجازه: الله يمحو الباطل. فحذفت منه الواو في المصحف، وهو في وضع رفع كما حذفت من قوله: ويدع الإنسان «١» سندع الزبانية «٢» على اللفظ.

ويحق الحق بكلماته. [.......] «٣» . إنه عليم بذات الصدور

قال ابن عباس:

لما نزلت لا أسئلكم عليه أجرا ... وقع في قلوب قوم منها شيء، وقالوا: ما يريد إلا أن يحثنا على أقاربه من بعده. ثم خرجوا، فنزل جبريل (عليه السلام) فأخبره إنهم اتهموه وأنزل هذه الآية، فقال القوم: يا رسول الله فإنا نشهد إنك صادق، فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده

واختلفت عبارات العلماء في حقيقة التوبة وشرائطها.

أخبرنا الإمام أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بقراءته علي. في شهور سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، حدثنا محمد بن سليمان بن منصور، حدثنا محمد مسكان بن جبلة بساوة.

أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز بن أبي داود عن إبراهيم بن طهمان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله، ق ا ل: دخل إعرابي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم إني استغفرك وأتوب إليك، سريعا وكبر، فلما فرغ من صلاته قال له علي: يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين، وتوبتك تحتاج إلى توبة، قال: يا أمير المؤمنين وما التوبة؟ قال: اسم يقع على ستة معاني: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما أذبتها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته.

وسمعت الحسن بن محمد بن الحسن، يقول: سمعت إبراهيم بن يزيد، يقول: سمعت حسن بن محمد الترمذي يقول: قيل لأبي بكر محمد بن عمر الوراق: متى يكون الرجل تائبا؟

فقال: إذا رجع إلى الله فراقبه واستحياه وخاف نقمته فيما عصاه، والتجاء إلى رحمته فرجاه، وذكر حلمه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٨٣/٨

في ستره فأبكاه، وندم على مكروه أتاه، وشكر ربه على ما أتاه، وفهم عن الله وعظه فوعاه، وحفظ عهده فيما أوصاه.

وسمعت الحسن بن محمد بن حبيب، يقول: سمعت أبا منصور محمد بن محمد بن سمعان المذكر، يقول: سمعت أبا بكر بن الشاه الصوفي الفارسي، يقول: سئل الحرب بن أسد المحاسبي: من التائب؟ فقال: من رأى نفسه من الذنوب معصوما، وللخيرات موفقا، ورأى الفرح من قلبه غائبا والحزن فيه باقيا، وأحبه أهل الخير، وهابه أهل الشر، ورأى القليل من الدنيا كثيرا، ورأى الكثير من عمل الآخرة قليلا، ورأى قلبه فارغا من كل ما ضمن له، مشتغلا

---

(١) سورة الإسراء: ١١.

(٢) سورة العلق: ١٨.

(٣) بياض في المخلوط.." (١)

"ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص محيد عن عقاب الله تعالى. فما أوتيتم من شيء من رياش الدنيا وقماشها. فمتاع الحياة الدنيا وليس من زاد المعاد. وما عند الله من الثواب. خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم.

قرأ يحيى بن رئاب وحمزة والكسائي وخلف هاهنا وفي سورة النجم (كبير) على التوحيد وفسروه الشرك عن ابن عباس، وقرأ الباقون كبائر بالجمع في السورتين، وقد بينا اختلاف العلماء في معنى «الكبائر» والفواحش.

قال السدي: يعني الزنا، وقال مقاتل: موجبات الخلود.

وإذا ما غضبوا هم يغفرون يتجاوزون ويتحملون.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٣٨ الى ٥٠]

والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (٣٨) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩) وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (٤٠) ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣١٥/٨

ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣) ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل (٤٤) وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨) لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠)

والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون، وقيل هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. حين لامه الناس على إنفاق ماله كله، وحين شتم فحلم.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه، حدثنا إسحاق بن صدقة، حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا سيف بن عمر، عن عطية، عن أيوب، عن علي رضي الله عنه قال: اجتمع لأبي بكر رضي الله عنهما مال مرة فتصدق به كله في سبيل الخير، فلامه المسلمون وخطأه الكافرون، فأنزل الله تعالى: فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ... إلى قوله: ومما رزقناهم ينفقون." (١)

"وترى الظالمين الكافرين. لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد رجوع إلى الدنيا.

من سبيل وتراهم يعرضون عليها أي على النار خاشعين خاضعين متواضعين من الذل ينظرون من طرف خفي ذليل قد خفي من الذل. قاله ابن عباس، وقال مجاهد وقتادة والسدي والقرظي: سارقو النظر.

واختلف العلماء باللغة في وجه هذه الآية، فقال يونس: من بمعنى الباء، مجازه: بطرف خفي، أي ضعيف من الذل والخوف، وقال الأخفش: الطرف العين، أي ينظرون من عين ضعيفة، وقيل: إنما قال: من طرف خفي لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها، وقيل معناه:

ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا، والنظر بالقلب خفي.

وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم دائم. وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله. ومن يضلل الله فما له من سبيل طريق للوصول «١»

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٢٢/٨

إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى، قد انسدت عليه طرق الخير. استجيبوا لربكم بالإيمان والطاعة. من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله. ما لكم من ملجإ معقل. يومئذ وما لكم من نكير منكم يغير ما بكم.
فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا. إن عليك إلا البلاغ. وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور لله ملك السماوات والأرض. يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا فلا يكون له ولد ذكر.

أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا الفضل بن الفضل الكندي، حدثنا محمد بن الحسين الفرج، حدثنا أحمد بن الخليل القومي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حكيم بن حزام أبو سمير، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، وذلك إن الله تعالى يقول: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور

. ألا ترى إنه بدأ بالإناث قبل الذكور»

[١٨٨] «٢» .

ويهب لمن يشاء الذكور فلا يكون له أنثى. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يجمع بينهما فيولد له الذكور والإناث.

تقول العرب: زوجت وزوجت الصغار بالكبار. أي قرنت بعضها ببعض.

أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا طلحة وعبيد، قالا: حدثنا ابن مجاهد، حدثنا الحسين بن علي ابن العباس، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبيد الله، عن إسماعيل بن سلمان، عن أبي عمر،

---

(١) في المخطوط: إلى الوصول.

(٢) كنز العمال: ١٦/ ٦١١/ ح ٤٦٠٤٦، وتفسير القرطبي: ١٦/ ٤٨ بتفاوت في المصدرين.

[.....]".[١]

"هو أعلم بما تفيضون تخوضون. فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم.

[سورة الأحقاف (٤٦) : الآيات ٩ الى ١٢]

قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين (٩) قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٢٤/٨

الله لا يهدي القوم الظالمين (١٠) وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم (١١) ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين (١٢)

قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا مثل نصف ونصيف، من الرسل، لست بأول مرسل، فلم تنكرون نبوتي؟ هل أنا إلا كالأنبياء قبلي؟ وجمع البدع: أبداع، قال عدي بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعتري ... رجالا عرت من بعد بؤسي وأسعدي «١»

وما أدري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلماء في معنى هذه الآية وحكمها، فقال بعضهم: معناها وما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة.

فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون فرحا شديدا، وقالوا: واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد صلى الله عليه وسلم عند الله إلا واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا إنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به. فأنزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر «٢» .

فبين له أمره ونسخت هذه الآية، فقالت الصحابة: هنيئا لك يا نبي الله، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار «٣» الآية. وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا «٤» فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم.

وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة.

أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الsني، حدثنا إسماعيل بن داود، حدثنا هارون بن سعيد، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن أبي شهاب إن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره أن أم العلاء- امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم- أخبرته أنهم اقتسموا والمهاجرين سكناهم قرعة.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٦/ ٨.

(٢) سورة الفتح: ٢.

(٣) سورة الفتح: ٥.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٧.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧/٩

"الشعبي في قوله: إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال: فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس.

وقال مقاتل بن حيان: يسرنا لك يسرا بينا،

وقال مقاتل بن سليمان: لما نزل قوله: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم «١» **فرح بذلك** المشركون، والمنافقون، وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به وبأصحابه، ما أمرنا وأمره إلا واحد، فأنزل الله تعالى بعد ما رجع من الحديبية إنا فتحنا لك فتحا مبينا أي قضينا لك قضاء بينا.

ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فنسخت هذه الآية تلك الآية، وقال صلى الله عليه وسلم: «لقد نزلت علي آية ما يسرني بها حمر النعم» [٢٧] «٢» .

وقال الضحاك: إنا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال، وكان الصلح من الفتح، وقال الحسن: فتح الله عليه بالإسلام.

ليغفر لك الله قال أبو حاتم: هذه (لام) القسم، لما حذفت (النون) من فعله كسرت اللام ونصب فعلها بسببها بلام كي، وقال الحسين بن الفضيل: هو مردود إلى قوله: واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري وقال محمد بن جرير: هو راجع إلى قوله: إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره «٣» ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر إلى وقت نزول هذه السورة.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو عمرو عثمان بن عمر ابن حقيف الدراج، حدثنا حامد بن شعيب، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا محمد بن حميد، عن سفيان الثوري ما تقدم من ذنبك ما عملت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله.

وقال عطاء بن أبي مسلم الخرساني: ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك. سمعت الطرازي يقول: سمعت أبا القاسم النصرآبادي يقول: سمعت أبا علي الروذباري بمصر يقول: في قول الله تعالى: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه.

ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما أي ويثبتك عليه، وقيل: يهدي بك.

---

(١) سورة الأحقاف: ٩. [.....]

(٢) تفسير القرطبي: ١٦/ ٢٦٠ وفيه: علي سورة.

(٣) سورة النصر: ٣٠١.." [١]

"مرداس قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم السلمي، قال: حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا ذكر الله عز وجل فانتهوا» [١٤٥] «١» .

[أخبرنا] أبو منصور محمد بن عبد الله الجمشاذي لفظا سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، قال:

حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن مجبور قال: حدثنا أبو يحيى البزاز قال: حدثني محمد ابن زكريا، قال: حدثني إبراهيم بن الجنيد، قال: محمد بن يحيى المغني، قال: حدثنا داود عم الحسين بن قابيل عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون، فقال: «فيم أنتم؟» قالوا: نتفكر في الخالق. فقال: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة، تفكروا أن الله خلق السموات والأرض سبعا غلظ كل أرض خمسمائة عام، وما بين كل أرضين خمسمائة عام، وما بين السماء والأرض خمسمائة عام، غلظ كل سماء خمسمائة عام، وما بين كل سمائين خمسمائة عام، وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله، فيه ملك لم يجاور الماء كعبه» [١٤٦] «٢» .

وأنه هو أضحك من شاء من خلقه وأبكى من شاء منهم.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا عمر بن الخطاب، قال: حدثنا عبد الله بن الفضل، قال:

حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، قال: حدثتنا دلال بنت أبي المدل، قالت: حدثتنا الصهباء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: مر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يضحكون فقال: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا» [١٤٧] فنزل عليه جبريل فقال: إن الله تعالى يقول: وأنه هو أضحك وأبكى فرجع إليهم فقال «ما خطوت أربعين خطوة حتى أتى جبريل وقال: أئت هؤلاء فقل لهم: إن الله عز وجل يقول: هو أضحك وأبكى» [١٤٨] «٣» .

وقال عطاء بن أبي أسلم: يعني: أفرح وأحزن، **لأن الفرح يجلب** الضحك والحزن يجلب البكاء.

سمعت أبا منصور الحمساذي يقول: سمعت أبا بكر بن عبد الله الرازي يقول: سمعت يوسف بن جبير يقول: سئل طاهر المقدسي: أتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم، وقيل

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/ ٤٢

لعمر: هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم والله، والإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي، وقال مجاهد: أضحك اهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار، وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر، وقيل: أضحك الأسحار بالأنوار وأبكى السماء بالأمطار. ذو النون: أضحك قلوب

---

(١) مسند الشاميين: ٣/ ٣٠٨ ج ٢٣٥٠.

(٢) صدر الحديث في تفسير القرطبي: ٤/ ٣١٤، وذيله في تفسير الطبري: ٢٨/ ١٩٥.

(٣) تفسير القرطبي: ١٧/ ١١٦.." [1]

"أجيبا بجواب واحد، وهما جزآن ومن ذلك قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم «١» .

وقيل: في الآية تقديم وتأخير مجازها فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده إذا بلغت الحلقوم، ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وفي البعث، وبين درجاتهم فقال فأما إن كان من المقربين وهم السابقون فروح قرأ الحسن وقتادة ويعقوب: بضم الراء على معنى أن روحه تخرج في الريحان. قاله الحسن.

وقال قتادة: الروح الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم، وذكر أنها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا محمد بن نعيم، أخبرنا الحسين بن أيوب، أخبرنا علي بن عبد العزيز، أخبرنا أبو عبيد، حدثنا مروان بن معاوية عن أبي حماد الخراساني عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذا الحرف: (فروح وريحان) بضم الراء.

وباسناده عن أبي عبيد، حدثنا حجاج عن هارون وأخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا عمر ابن الحسن، أخبرنا أحمد، حدثنا أبي، حدثنا الحسين عن عبيد الله البصري عن هارون بن موسى المعلم أخبرني بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (فروح وريحان) بضم الراء.

وقرأ الآخرون: بفتح الراء.

واختلفوا في معناه، فقال ابن عباس ومجاهد: فراحة. سعيد بن جبير: فرح. الضحاك:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٥٥/٩

مغفرة ورحمة.

وريحان قال ابن عباس: مستراح. مجاهد وسعيد بن جبير: رزق. قال مقاتل: هو بلسان حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه.

قال الربيع بن خثيم وابن زيد: (فروح) عند الموت (وريحان) يخبأ له في الآخرة.

وقال الآخرون: هو الريحان المعروف الذي يشم.

قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض «٢»
.

وجنة نعيم قال أبو بكر الوراق: الروح: النجاة من النار، والريحان: دخول دار القرار.

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٨. [.....]

(٢) تفسير الطبري: ٢٧/ ٢٧٦.." [1]

"قيس، عن الهرمل، عن عبد الله قال: إن الرجل ليقاتل الناس ليرى مكانه، وإن الرجل ليقاتل على الدنيا، وإن الرجل ليقاتل ابتغاء وجه الله، وإن الرجل ليموت على فراشه فيكون شهيدا، ثم قرأ: والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد قال: حدثنا داود بن سليمان قال:

حدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا سفيان بن ليث، عن مجاهد قال: كل مؤمن صديق شهيد، ثم قرأ هذه الآية، يعني موصولة.

وقال ابن عباس في بعض الروايات: أراد بالشهداء الأنبياء خاصة.

لهم أجرهم ونورهم في ظلمة القيامة. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا أنما الحياة الدنيا: (ما) صلة مجازه اعلموا ...

لعب باطل لا حاصل له **ولهو: فرح ثم** ينقضي وزينة منظر يتزينون به، وتفاخر بينكم: يفخر به بعضكم على بعض، وتكاثر في الأموال والأولاد أي يتاه بكثرة الأموال والأولاد.

وقال بعض المتأولين من المتأخرين: لعب كلعب الصبيان، ولهو كلهو الفتيان، وزينة كزينة النسوان، وتفاخر كتفاخر الأقران، وتكاثر كتكاثر الدهقان.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/٢٢٤

وقال علي بن ابي طالب لعمار بن ياسر: «لا تحزن على الدنيا، فإن الدنيا ستة أشياء: مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب، ومنكوح. فأكبر طعامها العسل وهي بزقة ذبابة، وأكبر شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان، وأكبر الملبوس الديباج وهي نسجة دود، وأكبر المشموم المسك، وهي دم فأرة ظبية، وأكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال، وأكبر المنكوح النساء وهو مبال في مبال. والله إن المرأة ليزين أحسنها يراد به أقبحها» «١» .

ثم ضرب جل ذكره لها مثلا فقال عز من قائل: كمثل غيث أعجب الكفار أي الزراع نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما فيبلى ويفنى وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة، يعني: أو مغفرة من الله ورضوان وما الـحياة الدنيا إلا متاع الغرور سابقوا: سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها: سعتها كعرض السماوات والأرض لوصل بعضها ببعض.

وقال ابن كيسان: عنى به جنة واحدة من الجنان.

أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة في الأرض بالجدب والقحط وذهاب الزرع والثمر ولا في أنفسكم بالأوصاب والأسقام.

---

(١) تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٥٥.." (١)

"وقال الفضيل في هذا المعنى: الدنيا مفيد ومبيد فما أباد فلا رجعة له، وما أفاد فقد أذن بالرحيل.

وقال الحسين بن الفضل: حمل الله سبحانه بهذه الآية المؤمنين على مضض الصبر على الفائت، **وترك الفرح بالآتي**، والرضا بقضائه في الحالتين جميعا.

وقال قتيبة بن سعيد: دخلت بعض أحياء العرب فإذا أنا بفضاء من الأرض مملوء من الإبل الموتى والجيف بحيث لا أحصي عددها، فسألت عجوزا: لمن كانت هذه الإبل؟ فأشارت إلى شيخ على تل يغزل صوفا، فقلت له: يا شيخ ألك كانت هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي. قلت:

فما أصابها؟ قال: ارتجعها الذي أعطاها. قلت: وهل قلت في ذلك شيئا؟ قال: نعم:

لا والذي أخذ [...] «١» من خلائقه ... والمرء في الدهر نصب الرزء والمحن

ما سرني أن إبلي في مباركها ... وما جرى في قضاء الله لم يكن «٢»

وقال سلم الخواص: من أراد أن يأكل الدارين فليدخل في مذهبنا عامين ليضع الله سبحانه الدنيا والآخرة

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/٢٤٤

بين يديه. قيل: وما مذهبكم؟ قال: الرضا بالقضا، ومخالفة الهوى.
وأنشد:
لا تطل الحزن على فائت ... فقلما يجدي عليك الحزن
سيان محزون على ما مضى ... ومظهر حزنا لما لم يكن
الذين يبخلون، قيل: هو في محل الخفض على نعت (المختال) ، وقيل: هو رفع بالابتداء وخبره ما بعده.
ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد قرأ أهل المدينة والشام بإسقاط (هو) وكذلك هو في مصاحفهم. الباقون بإثباته.
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان يعني له يعدل. وقال ابن زيد:
ما يوزن به. ليقوم الناس بالقسط: ليعمل الناس بينهم بالعدل وأنزلنا الحديد، قال ابن عباس: نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من الحديد: السندان، والكلبتان، والمنقعة، والمطرقة، والإبرة.
وقال أهل المعاني: يعني أنه أخرج لهم الحديد من المعادن، وعلمهم صنيعته بوحيه.
وقال قطرب: هذا من النزل كما تقول: أنزل ا لأمر على فلان نزلا حسنا، فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلا لهم، ومثله قوله: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج «٣» .

---

(١) كلمة غير مقروءة.
(٢) زاد المسير لابن الجوزي: ٧/ ٣٠٨.
(٣) سورة الزمر: ٦.." (١)

"المهيمن أنا العزيز أنا الجبار أنا المتكبر أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئا، أنا الذي أعدتها أين الملوك أين الجبابرة» [٢٦٤] «١» .
أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنا محمد بن يونس الكريمي قال:
حدثنا عمرو بن عاصم قال حدثنا أبو الأشهب عن يزيد بن آبان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» [٢٦٥] «٢» .
وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن شنبه قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنا أحمد بن أبي سريح وأحمد بن منصور الرمادي قالا: حدثنا أبو أحمد الزبيدي قال: حدثنا خالد بن سليمان قال: حدثني نافع عن أبي

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٤٦/٩

نافع عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، فأن مات في ذلك اليوم مات شهيدا، ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزلة» [٢٦٦] «٣» .

وأخبرني محمد بن القاسم قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا السماح قال: حدثنا أحمد بن الفرج قال: حدثنا أبو عثمان- يعني المؤذن- قال: حدثنا محمد بن زياد قال: سمعت أبا أمامة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة» [٢٦٧] «٤» .

وأخبرني ابن القاسم قال حدثنا ابن بختيار قال: حدثنا مكي بن عيدان قال: حدثنا إبراهيم ابن عبد الله قال: حدثنا عمرو بن عاصم قال: حدثنا أبو الأشهب قال: حدثنا يزيد الرقاسي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ آخر سورة الحشر: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الى آخرها فمات من ليلته مات شهيدا» [٢٦٨] «٥» .

وأخبرني أبو عثمان بن أبي بكر الحبري قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن محمد الحجاجي قال: أخبرنا عبد الله بن أبان بن شداد أن إسماعيل بن محمد الحبريني حدثهم قال:

حدثنا علي بن زريق قال: حدثنا هشام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال:

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم فقال: «عليك بآخر سورة الحشر فأكثر قرأتها، فأعدت عليه فعاد علي، فأعدت عليه فعاد علي» [٢٦٩] «٦» .

---

(١) الدر المنثور: ٥/ ٣٣٥.

(٢) تفسير القرطبي: ١٨/ ٤٩، تفسير مجمع البيان: ٩/ ٤٣٩.

(٣) مسند أحمد: ٥/ ٢٦، كنز العمال: ٢/ ١٣٨ ح ٣٤٩١.

(٤) كنز العمال: ١/ ٥٨٣، ح ٢٦٤٣.

(٥) كنز العمال: ١/ ٥٩٣، ح ٢٧٠٣.

(٦) تفسير القرطبي: ١٨/ ٤٩. [.....]."[١]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/٢٨٩

"أحدهما: أن الأنبياء كلهم حمادون لله سبحانه ونبينا صلى الله عليه وسلم أحمد، أي أكثر حمدا لله منهم.

والثاني: أن الأنبياء كلهم محمودون ونبينا أحمد أي أكثر مناقب وأجمع للفضائل.

فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم قراءة العامة بالتخفيف من الإنجاء وقرأ ابن عامر بالتشديد من [التنجية] من عذاب أليم بين ما هي فقال: تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثني ابن حرجة قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان قال: حدثنا محمد بن الفرح البغدادي قال: حدثنا حجاج بن محمد بن جبير القصاب عن الحسن قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فقال: «قصر من لؤلؤة في الجنة وذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون، على كل فراش امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من كل الطعام، في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة، قال: فيعطي الله المؤمن من القوة في غذاءه وحده ما يأتي على ذلك كله» [٢٨٥] «١» .

في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى قال: نحاة البصرة: هي في محل الخفض «٢» مجازه: وتجارة أخرى، وقال نحاة الكوفة: محلها رفع أي ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآجل.

تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ثم حثهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال: يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله أعوانا بالسيف على أعدائه، قرأ أبو عمرو وقرأ أهل الحجاز أنصارا بالتنوين وهو اختيار أيوب، وقرأ الباقون بالإضافة وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد قال: لقوله نحن أنصار الله ولم يقل: أنصارا لله.

كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال: الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

---

(١) مجمع الزوائد: ١٠/ ٤٢٠، تفسير القرطبي: ١٨/ ٨٨.

(٢) أي معطوفة على تجارة.." (١)

"وقد أخبر عقيل أن **أبا الفرج أخبرهم** عن أبي جعفر الطبري قال: حدثني العباس بن أبي طالب قال حدثنا علي بن المعافي بن يعقوب الموصلي قال: حدثنا أبو علي الضائع عن أبي خلف عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله سبحانه فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله قال: ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله «١» .

قال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم.

وقال جعفر بن محمد الصادق فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله هو يوم السبت.

وإذا رأوا تجارة أو لهوا الآية

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن جعفر قال حدثنا علي بن حرب قال حدثنا ابن فضيل قال حدثنا حصين عن سالم بن الجعد عن جابر ابن عبد الله قال: أقبلت عير ونحن نصلي مع النبي (عليه السلام) الجمعة فانفض الناس إليها فما بقي غير اثني عشر رجلا أنا فيهم فنزلت وإذا رأوا تجارة أو لهوا الآية.

وقال الحسن وأبو مالك: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع، خشوا أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا رهط منهم أبو بكر وعمر، فنزلت هذه الآية فقال رسول الله (عليه السلام) : «والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي نارا» [٣٠٥] «٢» .

قال المقاتلان: بينا رسول الله (عليه السلام) يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم أحد بني الخزرج ثم أحد بني زيد بن مناة بن عامر من الشام بتجارة، وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أتاه وكان يقدم إذا قدم كل ما يحتاج إليه من دقيق أو بر أو غيره، فينزل عند أحجار الزيت، وهو مكان في سوق المدينة، ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس، فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم، ورسول الله (عليه السلام) قائما على المنبر يخطب، فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا إثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي (عليه السلام) : «لولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء» [٣٠٦]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/٣٠٤

«٣» وأنزل الله سبحانه هذه الآية

، وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط، وقال ابن كيسان: خرجوا إلا أحد عشر رجلا وامرأة.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ١٠/ ١٤. [.....]

(٢) مسند أبي يعلى: ٣/ ٤٦٨.

(٣) تفسير مجمع البيان: ١٠/ ١١.." (١)

"جبير " لما نزلت: ﴿قل فيهمآ إثم كبير ومنافع للناس﴾ كره الخمر قوم للإثم، وشربها قوم للمنافع **وهو الفرح الذي** فيها حتى نزلت ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [النساء: ٤٣]، فتركوها عند الصلاة حتى نزلت/ ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ [المائدة: ٩٠] فحرمت ".

فهذا يدل على أنها منسوخة بما في " المائدة ".

وروي أن عمر Bه كان يقول: " اللهم بين لنا في الخمر "، فنزلت: ﴿يسألونك عن الخمر﴾ الآية، فقرئت ع ليه، فقال: [اللهم بين لنا في ال خمر بيانا شافيا، فإنها تذهب العقل والمال]، فنزلت ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾، فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت: ﴿إنما الخمر والميسر﴾ الآية التي في المائدة فقال عمر: انتهينا، انتهينا ".

فالخمر محرمة بنص القرآن لأن الله جل ذكره أخبرنا في هذه." (٢)

"بالحميم إذا جاء من الغيبة، أبشر، أعد الله لك كذا وأعدلك كذا. فينطلق أحدهم إلى زوجته فيبشرها به، فيقول قدم فلان - باسمه الذي كان يسمى به في الدنيا - قال: **فيستحفها الفرح حتى** تقوم على أسكفة بابها، فتقول: أنت رأيته، (أنت رأيته) قال: فيقول: نعم، فيجيء حتى يأتي منزله. قال: أصوله من جندل اللؤلؤ بين أصفر وأخضر وأحمر. . . قال الله جل ذكره: ﴿وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة﴾ [الغاشية: ١٤ - ١٦]. قال: ثم يدخل إلى زوجته من الحور العين، فلولا أن الله أعدها له لا ليمتع بصره من نورها وحسنها. فاتكأ عبد الله ويقول: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣١٧/٩

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي ط ا لب ٧١٨/١

فتنازيهم الملائكة أن تلكم الجنة وأورثتموها بعلمكم.
وقال السدي: لهو أهدى إلى منزلة في الجنة منه إلى منزله في الدنيا. ثم قرأ السدي: ﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ [محمد: ٦].
ثم قال تعالى ذكره: ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾، أي: له الحمد خالصا إذ صدقنا ما كان وعدنا في الدنيا على طاعته. ﴿وأورثنا الأرض﴾، أي: أرض الجنة.." (١)

"قال ابن عباس: الفرح هنا والمرح: الفخر والخيلاء والعمل في الأرض بالخطيئة وكان ذلك في الشرك، وهو مثل قوله في قارون: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦].
ثم قال: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾، أي: أبواب جهنم السبعة ماكثين فيها إلى غير نهاية.
﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾، أي: فجهنم بئس مثوى من تكبر في الدنيا عن عبادة الله D وطاعته.
ثم قال تعالى: ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾، أي: فاصبر يا محمد على ما تلقى من مشركي قومك ومجادلتهم لك بغير الحق وتكذيبهم، إن الله منجز لك ما وعدك به من الظفر والنصر عليهم، وإحلال العذاب بهم.
﴿فإما نرينك﴾ يا محمد في حياتك، ﴿بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب، ﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن يحل بهم ذلك، ﴿فإلينا يرجعون﴾، أي: إلينا مصيرهم، فنحكم بينك وبينهم بالحق فنخلدهم في النار ونخلدك ومن اتبعك ومن آمن بك في (النعيم المقيم. وهذا كله وعيد من الله D لقريش وتعزية للنبي A وتصبير له.." (٢)

"والعمل من قريش.
﴿فمآ أغنى عنهم﴾، أي: عن الأمم الماضية.
﴿ما كانوا يكسبون﴾ من الأموال والأولاد والبناء والعمل بل أهلكوا ودمروا بتكذيبهم الرسل وكفرهم. (فماذا ينتظر) قومك يا محمد مع تكذيبهم بما جئتهم به، وهم دون أولئك في القوة والكثرة والآثار في الأرض من البناء (والتصرف والحرث) وغير ذلك. وهذا كله تنبيه وتهدد لقريش.
ثم قال تعالى: ﴿فلما جآءتهم رسلهم بالبينات﴾، يعني: الأمم الماضية، جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحات.
﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ لجهالتهم.
﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾، أي: وحل بهم عقاب استهزائهم بما جائتهم به الرسل واستعجالهم

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٣٩٢/١٠
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٤٦٦/١٠

للعذاب.

والمعنى: فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا، نحو قوله تعالى: ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ [الروم: ٧].." (١)

"وقيل: الضمير في " فرحوا " للرسل، **أي: فرح الرسل** بما عندهم من العلم أن الله مهلك من كفر بهم وكذبهم، وناصر دينهم، فينجي الأنبياء ومن آمن بهم ويهلك الكفار.

وقيل: في الكلام حذف. والتقدير: فلما جاءت الرسل قومها كذبوهم فأوحى الله D إليهم أنه معذبهم، ففرحوا بما أوحى إليهم من هلاك من كذبهم، فالضمير للرسل في " فرحوا "، والضمير في " حاق بهم " للمكذبين للرسل.

ثم قال تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾، أي: لما رأت الأمم المكذبة للرسل عذاب الله D وانتقامه الذي وعد الرسل بإيقاعه على من كذبهم، قالوا أمنا بالله وحده، أي: أقررنا بتوحيد الله وكفرنا بما كنا به مشركين من الأصنام والأوثان).

قال الله جل ذكره: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ أي: لم ينفعهم التوحيد عند معاينتهم العذاب.

﴿سنت الله التي قد خلت في عباده﴾، أي: سن الله ذلك سنة فيمن تقدم من عباده أنہ من آمن عند معاينة العذاب لم ينفعه ذلك.

﴿وخسر هنالك الكافرون﴾، أي: وهلك عند معاينة العذاب من تمادى على كفره." (٢)

"أعرض هؤلاء المشركون عما جئتهم به يا محمد من الحق فلم يؤمنوا به فدعهم، فإذا لم ترسلك إليهم رقيبا عليهم تحفظهم أعمالهم، ما عليك إلا البلاغ لما أرسلت به إليهم، فإذا بلغت قضيت ما يجب عليك.

ثم قال تعالى: ﴿وإنآ إذآ أذقنا الإنسان منا رحمة﴾، أي: أغنيناه ووسعنا **عليه فرح بها**.

﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾، أي: وإن يصب الإنسان فقر، أو ضيق عيش، أو علة بما قدمت يداه من المعاصي - عقوبة له من الله D على فعله وعصيانه - جحد نعم الله سبحانه المتقدمة عنده ويئس من الخير.

والتقدير، فإن الإنسان كفور، أي: جحود لنعم ربه، يعد المصائب ويجحد النعم.

والإنسان هنا: واحد للجنس، يدل على الجمع، ولذلك قال: ﴿وإن تصبهم﴾، فجمع.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٤٧١/١٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٤٧٢/١٠

ثم قال تعالى: ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشآء﴾، أي: لله سطان السموات والأرض يفعل في سلطانه ما يشاء ويخلق من يشاء، فيهب لمن يشاء – من عباده - الذكور من الأولاد، ويهب لمن يشاء منهم الإناث، ويهب لمن يشاء ذكورا وإناثا،." (١)

"وقيل حذف جواب أحدهما لدلالة الآخر عليه.

أي: إن كان الميت من المقربين أي: من الذين قربهم الله من جواره ورحمته.

﴿فروح وريحان﴾ (أي فله) روح وريحان.

والروح: الرحمة، والريحان: الرزق.

وقال مجاهد الروح: الفرح.

وقال الحسن الريحان: ريحانكم هذا.

وقال الربيع بن خيثم فروح وريحان هذا عند الموت، والجنة مخبوءة له إلى أن يبعث.." (٢)

"ملاقيته من المصائب على الله سهل، لأنه إنما يقول لشيء كن فيكون.

قال: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بمآ آتاكم﴾.

أي: أعلمكم الله D أن الأمور كلها قد فرغ منها، لكيلا تأسوا على ما فاتكم من أمر دنياكم، ولا تفرحوا بما جاءكم منها، **وذلك الفرح الذي** يؤدي إلى المعصية والحزن الذي يؤدي إلى المعصية.

قال عكرمة: هو الصبر عند المصيبة، والشكر عند النعمة، قال وليس (أحد إلا وهو) يحزن ويفرح، لكن من أصابته مصيبة فجعل / حزنه صبرا ومن أصابه خير فجعل فرحه شكرا، فهو ممدوح لا مذموم.

فالمعنى: أعلمكم بفراغه مما يكون وتقدم علمه به قبل خلقكم / كيلا تحزنوا حزنا تتعدون فيه على ما [لا] ينبغي، ولا تفرحوا فرحا تتجاوزون فيه ما (ينبغي).

ثم قال: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ أي: لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا، فخور به على الناس.

وقيل: معناه: لا يحب كل مختال في مشيته تكبرا وتعظما فخور على الناس بماله ودنياه.." (٣)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٦١٥/١٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٢٩٧/١١

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٣٣٠/١١

"الوقف على "كلا " وهو قول نصير وأحمد بن موسى/. والمعنى: كلا، [لم أهنه بتقديري] عليه رزقه. وقال الفراء: معناه: كلا، لم يكن ينبغي للإنسان أن يقول هذا، ولكن يجب عليه أن يحمد الله على الأمرين جميعا، على الغنى والفقر.

وقوله تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن﴾.

أي: فأ/اا الإنسان إذا امتحنه ربه بالنعم **والسعة فرح بذلك**، وقال: ربي أكرمني بهذه الكرامة.

وأما إذا ما امتحنه فضيق عليه رزقه وقتره عليه غمه [وقال]: ربي أهانني وأذلني بالفقر، فلم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه.

قال قتادة: ﴿فيقول ربي أهانن﴾ " ما أسرع ما كفر ابن آدم ".

وقوله: ﴿كلا﴾.

هو إنكار من الله أن يكون سبب كرامته من أكرم [كثرة] المال، وسبب." (١)

"الذي بكم أي: اهلكوا به، وهو دعاء في لفظ الأمر.

[قوله] ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة﴾.

معناها أي: إن تنالوا سرورا، [وظفر] بعدوكم وزيادة الناس في الدخول في الإسلام، وتصديق النبي A ساء ذلك اليهود. وقيل: يعني المنافقين - وإن يصبكم ضرر من عدوكم واختلاف **بينكم فرح بذلك** اليهود.

وقيل: هم المنافقون.

﴿لا يضركم كيدهم شيئا﴾.

من قرأ بكسر الضاد، والتخفيف، فهو من ضاره يضيره، وجزمه لأنه جواب الشرط. ومن قرأ يضركم فهو يحتمل ثلاثة أوجه: يجوز أن يكون ضم لالتقاء الساكنين مع الإدغام، وأصله يضرركم من ضره يضره فيم على لغة من قال: مد يا في كمن قال مديا.." (٢)

"يأتون فيبشرون أزواجهم فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم. فيقلن: أنت رأيته! قال: ويستخفهن الفرح، [قال:] فيجئن حتى يقفن على أسكفة الباب [قال]: فيجيئون فيدخلون، فأذا أس بيوتهم جندل اللؤلؤ، وإذا سرج صفر وخضر وحمر من كل لون، وسرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، فلولا أن الله قدرها لهم لالتمعت أبصارهم مما يرون فيها. فيعانقون الأزواج، ويصعدون على السرر،

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٨٢٥١/١٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١٠٨/٢

ويقولون: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾، أي: هدانا للإيمان، ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾، أي: الحمد لله الذي هدانا، إلى هذا وهو الإسلام.." (١)

"﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾.

أي: فجأة.

قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله [عليه السلام]، كان يقول: " إن الساعة تهيج الناس، والرجل يصلح حوضه، والرجل يسقي ما شيته، والرجل يقيم سلعته في السوق، ويخفض ميزانه ويرفعه ".

وروى أبو هريرة: أن النبي A، قال: " تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يبيعانه فما يطويانه حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى قوم الساعة ".

ثم قال: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾.

أي: يسألونك عنها ﴿كأنك حفي﴾ بهم، **أي: فرح بسؤالهم**.." (٢)

"قوله: ﴿فسئل به خبيرا﴾ [الفرقان: ٥٩]، أي: عنه.

وقيل المعنى: **﴿كأنك﴾ فرح بسؤالهم**. يقال: حفيت بفلان في المسألة، إذا سألته عنه سؤالا أظهرت فيه المحبة. وأحفى فلان بفلان في المسألة، تأويله الكثرة. ويقال: حفى الدابة يحفى حفى مقصور، إذا أكثرت عليه المشي حتى حفى أسفل رجله. والحفاء، ممدود: مشي الرجل بغير نعل.

وقدره المبرد: ﴿كأنك حفي﴾ بالمسألة ﴿عنها﴾، أي: ملح، ومكثر السؤال عنها.

وقوله ﴿قل إنما علمها عند ربي﴾.." (٣)

"فأرسل إليه النبي A، أحد ثوبيه، فقال: إنما أريد الذي على جلدك من ثيابك، فبعث إليه به، فقيل للنبي A، في ذلك، فقال: " إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا إذا كفن فيه، وإني آمل أن يدخل في الإسلام خلق كثير بهذا السبب ".

فروي أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب النبي، عليه السلام.

وكان عبد الله هذا رأس المنافقين وسيدهم.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٣٧٤/٤

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٦٦٣/٤

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٦٦٥/٤

قوله: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾، إلى قوله: ﴿مع الخالفين﴾.

﴿خلاف رسول الله﴾: مفعول من أجله، أو مصدر مطلق.." (١)

"**والمعنى: فرح الذين** تخلفوا عن الغزو مع رسول الله عليه السلام، بجلوسهم في منازلهم، على الخلاف منهم لرسول الله عليه السلام، لأنه أمرهم بالخروج معه فتخلفوا عنه، وفرحوا بتخلفهم، وكرهوا الخروج في الحر.

وذلك أن النبي A، استنفرهم في غزوة تبوك في حر شديد، فقال بعضهم لبعض: ﴿لا تنفروا في الحر﴾، قال الله D، لنبيه عليه السلام ﴿قل﴾ لهم: ﴿نار جهنم أشد حرا﴾، لمن خالف أمر الله، وعصى رسوله، عليه السلام من هذا الحر الذي تتواصون به بينكم أن لا تنفروا فيه، فالذي هو أشد حرا، يجب أن يتقي ﴿لو كانوا يفقهون﴾، عن الله عز جل، وعظه.

وكان عدة من تخلف عن الخروج مع النبي عليه السلام، في غزوة تبوك من المنافقين نيفا وثمانين رجلا.." (٢)

"أعاذنا الله منها. وقيل معناه: سوء العاقبة.

ثم قال تعالى ذكره: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشآء (ويقدر)﴾ أي: يوسع على من (يشاء، ويضيق على من يشاء.

﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ **أي: فرح المشركون** بما وسع عليهم في الدنيا، ولم يفكروا أن متاع الدنيا عند متاع الآخرة قليل.

وهذه الآية فيها تقديم وتأخير، لأن ﴿وفرحوا﴾ (معطوف على ﴿ويفسدون﴾ في الأرض).

وقوله: ﴿أولئك لهم اللعنة﴾ إلى قوله: ﴿الدار﴾: مقدم قبل ﴿وفرحوا﴾ وتقدير الآية: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض، وفرحوا بالحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع:." (٣)

"ثم قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ المعنى: الذين صدقوا بما جاء به محمد A، وعملوا الأعمال الصالحات ﴿طوبى لهم﴾: أي: نعم ما لهم. قاله عكرمة.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٠٨٤/٤

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٠٨٥/٤

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٧٣١/٥

وقيل: معناه: غبطة لهم. قاله الضحاك.

وقال ابن عباس: فرح لهم، وقرة عين.

وقال قتادة: معناه: " حسنى لهم، وهي كلمة من كلام العرب ".

وقيل: المعنى: أصابوا خيرا، تقول العرب للرجل: " طوبى لك " أي: أصبت خيرا. وقال النخعي: ﴿طوبى لهم﴾ أي: خيرا لهم.

وقيل: هي اسم من أسماء الجنة. فالمعنى: الجنة لهم، روي ذلك عن ابن عباس، قال: طوبى لهم: اسم الجنة بالحبشية.." (١)

"ولدت غلاما مسلما.

قال: قتادة: فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ول بقي كان فيه هلاكهما. فليرض امرؤ بقضاء الله [D] فإن قضاء الله [سبحانه] للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

وقوله: ﴿وأقرب رحما﴾.

أي: أقرب رحمة بوالديه وأبر بهما من المقتول، قال قتادة. وعنه أيضا ﴿وأقرب رحما﴾ أقرب خيرا.

وقال: ابن جريج: أقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول. وقيل: المعنى أقرب أن يرحما به. وقيل: الزكاة هنا الدين والرحم المودة.." (٢)

"فكلاهما محكم غير منسوخ في وجه النظر.

وعن ابن عباس أنه قال: قرأنا هذه الآية: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾، الآية، بسنتين حتى نزلت: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾، الآية قال: فما علمت رسول الله A فرح بشيء فرحه بها، وبسورة: ﴿إنا فتحنا﴾ [الفتح: ١].

ثم قال تعالى: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾، قال ابن عباس: معناه: كانوا قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك، فحولهم إلى الحسنات، فأبدلهم الله مكان السيآت حسنات. أي: مكان عمل الحسنات.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٧٣٤/٥

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٤٤٢/٦

وعن ابن عباس أنه قال: يبدل بكل مكان سيئة عملها حسنة يعملها في الدنيا.

وقيل معناه: أولئك يبدل الله قبائح أعمالهم في الشرك بمحاسن الأعمال في." (١)

"ثم قال تعالى: ﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله﴾، أي لا تبطر ولا تأشر ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾، أي البطرين الأشرين الذين لا يشكرون على ما آتاهم الله من فضله، أمروا بالتواضع والاستكانة لله.

قال قتادة: ﴿الفرحين﴾، المرحين، وكذلك قال ابن عباس.

وقال مجاهد: المتبذخين.

وقيل: ﴿الفرحين﴾ المستهزئين.

وذكر الفراء: أن موسى الذي قال له ذلك وحده، فأخبر عنه بلفظ الجماعة كما قال: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ [آل عمران: ١٧٣] يعني نعيم بن مسعود.

وفرق الفراء بين الفرحين والفارحين، فقال: الفرحين الذين هم في حال فرح، والفارحين: الذين يفرحون فيما يستقبل، ومثله عنده طمع وطامع، وميت." (٢)

"ومايت، وقوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠] يدل على خلاف ما قال الفراء، لأن هذا للمستقبل، ولم يكونوا في حال موت إذ خوطبوا بهذا، ولم يقل: مايت ومايتون.

وقال الزجاج: معنى ﴿لا تفرح﴾ أي تفرح بالمال **فإن الفرح بالمال** لا يؤدي فيه الحق.

قال تعالى: ﴿وابتغ فيمآ آتاك الله الدار الآخرة﴾، أي وقال قوم قارون له: التمس في المال الذي أعطاكه الله الدار الآخرة بالعمل الصالح فيه ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾.

قال ابن عباس: معناه لا تترك العمل في الدنيا لله بطاعته وهو معنى قول مجاهد وغيره.

قال ابن زيد: لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك.

وقيل معناه: بل من لذات الدنيا المحللة، لأن ذلك ليس بمحظور عليك.

وقيل: معناه لا تترك أن تطلب بدنياك الآخرة فهو حظك من دنياك.." (٣)

"قال ابن عباس: كل سلطان في القرآن فهو عذر وحجة/.

ثم قال تعالى: ﴿وإذآ أذقنا الناس رحمة فرحوا بها﴾ أي: وإذا مس الناس خصب ورخاء وصحة فرحوا بذلك.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٢٦٠/٨

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٥٧٤/٨

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٥٧٥/٨

﴿وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم﴾ أي: وإن تصبهم شدة جدب أو مرض أو إتلاف مال بذنوبهم المتقدمة ﴿إذا هم يقنطون﴾ أي: يئسون من الفرح، والقنوط: اليأس.

ثم قال تعالى: ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشآء﴾ أي: ألم ير هؤلاء الذين ييأسوا عند الشدة ويفرحون عند الرخاء أن الله يوسع على من يشاء في رزقه، ﴿ويقدر﴾ أي: ويضيق على من يشاء في رزقه. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي: إن في توسيعه الرزق على بعض خلقه وتضييقه على بعض، لدلالات وحججا على قدرة الله لمن آمن بالله.

ثم قال تعالى: ﴿فآت ذا القربى حقه﴾.

قال مجاهد وقتادة: هو قريب الرجل، صلة الرحم له فرض من الله جل ذكره.

وقال مجاهد: لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاجه.

وقال قتادة: إذا لم تعط ذا قرابتك وتمش إلأيه برجليك فقد قطعته.." [1]

"سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته صفية بن حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بن الحارث من بني المصطلق، فبدأ بعائشة فاختارت الله ورسوله، فرئي الفرح في وجه رسول الله A فتتابعن كلهن على ذلك.

قال الحسن وقتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: لا." [2]

"﴿فرح المخلفون﴾ يعني: الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين ﴿بمقعدهم﴾ بقعودهم ﴿خلاف رسول الله﴾ مخالفة له ﴿وقالوا لا تنفروا﴾ مع محمد إلى تبوك ﴿في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾ يعلمون أن مصيرهم إليها." [3]

"﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ وهي شجرة غرسها الله سبحانه بيده وقيل: فرح لهم وقرة أعين." [4]

"﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني: مؤمني أهل الكتاب ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ وذلك أنهم ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما أنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٦٩١/٩

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٨٢٣/٩

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٤٧٥

(٤) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٥٧٢

فرح بذلك مؤمنو أهل الكتاب وكفر المشركون بالرحمن وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة وذلك قوله: ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني: الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من ينكر بعضه﴾ يعني: ذكر الرحمن." (١)

"﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾ في شك ﴿منه﴾ مما ألقي على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ القيامة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يعني: يوم بدر وكان عقيما عن أن يكون للكافرين فيه فرح أو راحة والعقيم معناه: التي لا تلد." (٢)

"﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾." (٣)

"الأليم موضع (١) البشرى بالنعيم، ويجوز أن يكون المعنى: فأخبرهم؛ لأن أصل البشرى: ما يظهر في بشرة الوجه من فرح أو غم، إلا أنه أكثر (٢) في الفرح، وكلا القولين بما مضى الكلام فيه (٣).

٣٥ - وقوله تعالى: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ الآية، "يوم" ظرف للعذاب الأليم في قوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾.

وقوله: ﴿يوم يحمى﴾: قال الأصمعي: "أحميت الحديدة في النار فأنا أحميها إحماء حتى حميت تحمى (٤) حميا" (٥)، وذلك إذا أوقدت عليها، وقوله: ﴿عليها﴾ ليس منه (٦) صلة الإحماء؛ لأنه يقال: أحميت الحديدة ولا يقال: على الحديدة، إلا إذا جعل (على) من صلة معنى الإحماء، وهو الإيقاد فمعنى قوله: "يحمى عليها" أي يوقد عليها، أنشد ابن السكيت (٧):

إن كنت جلمود بصر (٨) لا أؤبسه ... أوقد عليه فأحميه فينصدع (٩)

---

(١) في (ى): (مع).

(٢) في (م): (كثر).

(٣) انظر: "تفسير البسيط" البقرة: ٩٧.

---

(١) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٥٧٤

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧٣٨

(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٩٦٨

(٤) ساقط من: (ى).

(٥) اهـ. كلام الأصمعي، انظر: "تهذيب اللغة" (حمي) ١٠١٣.

(٦) ساقط من (ح).

(٧) انظر: "تهذيب إصلاح المنطق" ص٨٣، و"تهذيب اللغة" (أبس) ١/ ١٠٧.

(٨) في (ح): (نصرا)، وهو خطأ.

(٩) البيت لعباس بن مرداس. انظر "ديوانه" ص ٨٦، و"تهذيب إصلاح المنطق" ص ٨٣، و"لسان العرب" (أبس) و (بصر).

والجلمود: الصخر الغليظ، والبصر: الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض، =." [١]

"وقال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله رخص لي فسأزيدن (١) على السبعين لعل الله أن يغفر لهم" (٢)، ونحو هذا قال عروة بن الزبير والحسن وقتادة: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لأزيدن علي السبعين" فأنزل الله: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ [المنافقون: ٦] (٣)، قال مقاتل: (فصار قوله: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ منسوخا بقوله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾ (٤).

فهذا الذي ذكرنا من قولهم يدل على أنهم جعلوا قوله: ﴿استغفر لهم [أو لا تستغفر لهم] (٥)﴾ تخييرا، وقوله تعالى: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ حصرا لهذا العدد لا تكثرا.

٨١ - قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون﴾، قال ابن عباس وغيره: (يريد المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزوة تبوك) (٦)، والمخلف:

---

(١) في "تفسير البغوي": (فلأزيدن)، وفي "تفسير الثعلبي": (فسأزيد).

(٢) رواه الثعلبي في "تفسيره" ٦/ ١٣٤ ب، والبغوي في "تفسيره" ٤/ ٧٩، وهو ضعيف لإرساله، وقال القشيري: لم يثبت أنه قال: "لأزيدن على السبعين". "تفسير القرطبي" ٨/ ٢١٩.

(٣) رواه ابن جرير ١٠/ ١٩٨ - ٢٠٠ عن عروة وقتادة، ورواه عن عروة أيضا ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٥٤، وأشار القرطبي في "تفسيره" ٨/ ٢٢٠ إلى قول الحسن، وأقوالهم هذه مراسيل.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٠٢/١٠

(٤) "تفسير مقاتل" ١٣٣ أبنحوه.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٦) "تنوير المقباس" ص ٢٠٠، وبنحوه قال قتادة والضحاك وابن الجوزي وغيرهم. انظر: "زاد المسير" ٣/ ٤٧٨، و"الدر المنثور" ٣/ ٤٧٤.." [1]

"والأعاريب، والأعرابي إذا قيل له: يا **عربي فرح بذلك**، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له، فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن استوطن القرى العربية فهم عرب) (١).

قال الأزهري: (والذي لا يفرق بين الأعراب والعرب والأعرابي والعربي (٢) ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية، ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب) (٣)، وهم مقدمون في مراتب الدين على الأعراب، ولذلك قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تؤمن امرأة رجلا، ولا فاسق مؤمنا، ولا أعرابي مهاجرا" (٤).

وقال أهل العلم: (إنما سمي العرب عربا؛ لأن أولاد إسماعيل نشأوا بعربة (٥) وهي من تهامة فنسبوا إلى بلدهم، وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهو منهم، وسموا عربا باسم بلدهم عربة) (٦).

---

(١) انظر: "تهذيب اللغة" (عرب) ٣/ ٢٣٨١ والنص منقول منه. وانظر أيضا: "مجمل اللغة" (عرب) ٣/ ٦٦٤، و "مختار الصحاح" (عرب) ص ٤٢١، و"لسان العرب" (عرب) ٥/ ٢٨٦٤.

(٢) ساقط من (ى).

(٣) أهـ. كلام الأزهري، انظر: "تهذيب اللغة" (عرب) ٣/ ٢٣٨١.

(٤) رواه مطولا ابن ماجه (١٠٨١)، كتاب: إقامة الصلاة، باب: فرض الجمعة، وفي سنده متهم بوضع الحديث وآخر ضعيف كما في "التلخيص الحبير"، رقم (٥٦٩) ٢/ ٣٢.

(٥) عربة هي مكة المكرمة، انظر: "معجم البلدان" ٤/ ١٠٩.

(٦) انظر: "تهذيب اللغة" (عرب) ٣/ ٢٣٨١، و"لسان العرب" (عرب) ٥/ ٢٨٦٤، وذكره القرطبي في "تفسيره" ٨/ ٢٣٣ عن القشيري.." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠/٥٧٤

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١١/١١

"ولا بكر عوان بين ذلك﴾ [البقرة: ٦٨] أي بين البكر والفارض (١).

وقوله تعالى: ﴿فليفرحوا﴾ هو أمر للمؤمنين بالفرح.

ومعنى الفرح: لذة في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى، يقول: ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته، فإن ما آتاهم الله من الموعظة وشفاء ما في الصدور، وثلج اليقين بالإيمان، وسكون النفس إليه، خير مما يجمع غيرهم من أعراض الدنيا مع فقد هذه الخلال.

فإن قيل: كيف جاء الأمر للمؤمنين (٢) بالفرح (٣) وقد ذم ذلك في غير (٤) موضع من التنزيل؛ من ذلك قوله: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦]، وقوله: ﴿إنه لفرح فخور﴾ [هود: ١٠]؟

قيل: إن عامة ما جاء مقترنا بالذم من هذه اللفظة إذا جاءت مطلقة، فإذا قيد (٥) لم يكن ذما، كقوله: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٧٠]، وقد قيد في هذه الآية بقوله تعالى: (بذلك).

وقوله: ﴿فليفرحوا﴾ بالياء، قال الفراء: وقد ذكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ بالتاء (٦)، وقال: معناه: فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، هو

---

(١) الفارض: المسنة الهرمة. انظر: "تفسير ابن جرير" ١/ ٣٤١، ٣٤٢، ٢٤٣، "القاموس المحيط" فصل: الفاء، باب: الضاد ٦٥٠.

(٢) في (م): (المؤمن).

(٣) ساقط من (م).

(٤) ساقط من (ح) و (ز).

(٥) في (ى): (قيل)، وهو خطأ.

(٦) وهي قراءة رويس عن يعقوب -من العشرة- والحسن البصري وغيرهما. انظر: "الغاية في القراءات العشرة" ص ١٧١، "النشر" ٢/ ٢٨٥، "إتحاف فضلاء البشر" ص ٢٥٢، "المحتسب"١/ ٣١٣، وذكرها في السواد وهم من ابن جني.." [(١)]

"أعظمنه وهالهن أمره وبهتن، وهو قول مجاهد (١) في رواية ابن أبي نجيح وقتادة (٢) في رواية سعيد، وروى ليث عن مجاهد (٣) أعظمنه فحضن.

وروى عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده (٤) أكبرنه قال: حضن من الفرح (

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٣٢/١١

٥).

قال: وفي ذلك يقول الشاعر (٦):

يأتي النساء على أطهارهن ولا ... يأتي النساء إذا أكبرن إكبارا

ونحو هذا القول روى أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس (٧).

---

(١) الطبري ١٢/ ٢٠٥، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم (لم أجده في النسخة التي بين يدي) وأبو الشيخ كما في "الدر" ٤/ ٢٩، و"زاد المسير" ٤/ ٢١٨.

(٢) الطبري ١٢/ ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) "زاد المسير" ٤/ ٢١٨.

(٤) الطبري ١٢/ ٢٠٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٥ كما في "الدر" ٤/ ٢٩، والثعلبي ٧/ ٧٩ ب، وعبد الصمد كان أميرا على مكة، قال الذهبي: ليس بحجة. انظر: "الجرح والتعديل" ٦/ ٥٠، و"الميزان" ٣/ ٣٣٤، وأبوه هو أبو محمد ثقة عابد، مات سنة ١١٨ هـ على الصحيح وأخرج له الجماعة إلا البخاري. انظر: "الكاشف" ٢/ ٤٣، و"التهذيب" ٣/ ١٤٦ والأثر ضعيف.

(٥) في (أ)، (ج): (من الفرج) بالعجمة "زاد المسير" ٤/ ٢١٨، ابن عطية ٧/ ٤٩٤، القرطبي ٩/ ١٨٠.

(٦) البيت غير منسوب وهو في الطبري ١٢/ ٢٠٥، والثعلبي ٧/ ٧٩ ب، والقرطبي ٩/ ١٨٠، و"زاد المسير" ٤/ ٢١٨، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣٠٩١، وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٥، و"البحر المحيط" ٥/ ٣٠٣، و"المحرر الوجيز" ٧/ ٤٩٤، و"اللسان" (كبر)، قال الطبري: البيت مصنوع، ط. البابي الحلبي ١٢/ ٢٠٥.

(٧) "تهذيب اللغة" (كبر) ٤/ ٣٠٩١، و"زاد المسير" ٤/ ٢١٨، وفي ابن أبي حاتم ٧/ ٢١٣٥ عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال: أعظمنه، فلعل الرواية هنا نقلها عن الأزهري في "التهذيب" فقد روى بسنده هذا القول إلى ابن عباس.." (١)

"وقال قتادة (١): يا حزني على يوسف، وقال مجاهد (٢): يا جزعى على يوسف، قال أبو بكر: فمن بني على هذا المذهب، وجعل الأسف جزعا وضدا للصبر، زعم أن هذا خطيئة من يعقوب، كما روي أنه كان يرفع حاجبيه بخرقة من الكبر، فقال له رجل: ما هذا الذي أراه بك، قال: طول الزمان وكثرة الأحزان،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢/٩٨

فأوحى الله إليه: أتشكوني يا يعقوب، فقال: يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي (٣).

وقوله تعالى: (﴿وابيضت) (٤) عيناه من الحزن﴾ أي انقلبت إلى حال البياض، قال مقاتل (٥): لم يبصر بهما ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف.

وفسر ابن عباس (٦) الحزن هاهنا: بالبكاء يريد: أن عيناه ابيضتا لكثرة بكائه، والحزن لما كان سببا للبكاء جاز أن يسمى به، وذلك أن العين لا تبيض وإن اشتد الحزن حتى يكثر البكاء، واختلفوا في: الحزن والحزن، فقال قوم: الحزن: البكاء، والحزن: ضد الفرح.

---

(١) الطبري ١٣/ ٣٩، وابن أبي شيبة وابن المنذر كما في "الدر" ٤/ ٥٦، عبد الرزاق ٢/ ٣٢٧.

(٢) الطبري ١٣/ ٣٨ - ٣٩، وابن أبي شيبة وابن المنذر كما في "الدر" ٤/ ٥٦، الثعلبي ٧/ ١٠٢ ب.

(٣) الطبري ١٣/ ٤٦، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم ٧/ ٢١٨٦، وأبو الشيخ عن حبيب بن ثابت كما في "الدر" ٤/ ٥٧.

(٤) ما بين القوسين بياض في (أ).

(٥) "تفسير مقاتل" ١٥٦ أ، الثعلبي ٧/ ١٠٣ أ، "زاد المسير" ٤/ ٢٧٠.

(٦) القرطبي ٩/ ٢٤٨، و"زاد المسير" ٤/ ٢٧١.." [١]

"وقربى وزلفى، وعلى هذا معنى طوبى في اللغة: الغبطة وبلوغ أقصى الأمنية والسؤل، وأنشد (١):

وطوبى لمن يستبدل الطود بالقرى ... ورسلا بيقطين العراق وفومها

قال الأزهري (٢): والعرب تقول: طوبى لك. وطوباك لحن لا تقوله العرب، وهذا قول أكثر النحويين، إلا الأخفش (٣) فإنه قال: من العرب من يضيفها فيقول: طوباك.

قال أبو بكر (٤): (طوباك) مما (٥) يلحن فيه العوام، والصواب: طوبى لك، وهذا الذي ذكرنا من قول أهل اللغة مذهب جماعة من المفسرين.

قال ابن عباس (٦) في رواية الوالبي: (طوبى **لهم): فرح وقرة** أعين، وروى معمر عن قتادة (٧) قال: طوبى كلمة عربية، تقول العرب: طوبى لك إن فعلت كذا وكذا، أي أصبت خيرا، وقال عكرمة (٨): (طوبى لهم) نعمى لهم.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢/٢١٤

(١) بلا نسبة في "الزاهر" ١/ ٥٥٨، و"اللسان" (طيب) ٥/ ٢٧٣٢ الرسل: اللبن، الطود: الجبل، اليقطين: القرع، الفوم: الخبز والحنطة، ويقال: الثوم.
(٢) في (ح): (ممن).
(٣) "تهذيب اللغة" (طاب) ٣/ ٢١٤٧.
(٤) "معاني القرآن" ٢/ ٥٩٧.
(٥) "اللسان" (طيب) ٥/ ٢٧٣٢، و"الزاهر" ١/ ٥٥٧.
(٦) الطبري ١٣/ ١٤٦، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في "الدر" ٤/ ١١٠ - ١١١.
(٧) الطبري ١٣/ ١٤٦.
(٨) "زاد المسير" ٤/ ٣٢٨، القرطبي ٩/ ٣١٦.." [١]

"أشار بأولئك إلى الأيام، وكذلك أشير في هذه الآية بأولئك إلى البصر والسمع والفؤاد.
وقوله تعالى: ﴿كان عنه مسئولا﴾ عادت الكناية إلى لفظ (كان) لا إلى معناه.

٣٧ - وقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ المرح: شدة الفرح، يقال: مرح يمرح مرحا، وهو مرح مروح (١)، قال ابن عباس: يريد بالكبرياء والعظمة.
وقال عبد الله بن مسلم: أي بالكبر والفخر (٢).
وقال الزجاج: تأويل الآية: لا تمش في الأرض مختالا ولا فخورا (٣)، قال الأخفش: ولو قرئ مرحا بالكسر كان أحسن في القراءة (٤).
قال أبو إسحاق: مرحا اسم الفاعل، ومرحا مصدر، وكلاهما في

= ٣/ ٢٤٠، و"تفسير الماوردي" ٣/ ٢٤٤، و"ابن الجوزي" ٥/ ٣٥، وورد بلا نسبة في "تفسير الطبري" ١٥/ ٨٧، و"الثعلبي" ٧/ ١٠٨ ب، و"الطوسي" ٦/ ٤٧٨، و"ابن عطية" ٩/ ٨٦، (اللوى): اسم واد من أودية بني سليم. "المحيط في اللغة" (لوى) ١٠/ ٣٧١.
(١) انظر (مرح) في "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٣٧١، و"المحيط في اللغة" ٣/ ٩٦، و"مجمل اللغة" ٢/ ٨٢٩، و"اللسان" ٧/ ٤١٧٠.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٤٨/١٢

(٢) "الغريب" لابن قتيبة ١/ ٢٥٦، بنصه.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٤٠، بنصه.

(٤) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٦١٢، بنحوه، وخالفه الطبري، فقال: وقيل: ولا تمش مرحا ولم يقل: مرحا؛ لأنه لم يرد بالكلام: لا تكن مرحا، فيجعله من نعت الماشي، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرحا، ففسر المعنى المراد من قوله: ﴿ولا تمش﴾ "تفسير الطبري" ١٥/ ٨٨، انظر كلام الزجاج بعده فقد تضمن الرد عليه أيضا.." [1]

"وقال: الدمع كله حار **في فرح كان** أو حزن) (١).

وحكي عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا: (أقر الله عينك سكن الله عينك بالنظر إلى ما تحب. أي: صادفت ما يرضيك فتقر عينك من النظر إلى غيره. والعرب تقول للذي يدرك ثاره: وقعت بقرك، أي: صادف فؤادك ما كان متطلعا إليه فقر) (٢).

وقولهم: فلان قرة عيني معناه رضي نفسي، أي: ترضى نفسي وتقر وتسكن بقربه مني ونظري إليه (٣).

قال أبو عمرو الشيباني: (أقر الله عينه أنام الله عينه، والمعنى صادف سرورا يذهب سهره فينام) (٤)، وأنشد (٥):

أقر به مواليك العيونا

أي: نامت عيونهم لما ظفروا بما أرادوا. وقال الفراء: ﴿وقري عينا﴾ جاء في التفسير: طيبي نفسا، وإنما نصبت العين؛ لأن الفعل كان

---

(١) "تهذيب اللغة" (قر) ٣/ ٢٩٢٤.

(٢) "زاد المسير" ٥/ ٢٢٤، "تهذيب اللغة" (قر) ٣/ ٢٩٢٤، "لسان العرب" (قر) ٦/ ٣٥٨١.

(٣) انظر: "تهذيب اللغة" (قر) ٣/ ٢٤٩٢، "مقاييس اللغة" (قر) ٥/ ٧، "الصحاح" (قرر) ٢/ ٧٨٨، "المفردات في غريب القرآن" (قر) ٣٩٧، "لسان العرب" (قر) ٦/ ٣٥٨١.

(٤) "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٣١١، "تهذيب اللغة" (قر) ٣/ ٢٩٢٤، "لسان العرب" (قرر) ٦/ ٣٥٨١.

(٥) هذا عجز بيت ينسب لعمرو بن كلثوم وصدره:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٣٤/١٣

بيوم كريهة ضربا وطعنا

انظر: "تهذيب اللغة" (قرر) ٣/ ٢٩٢٤، "لسان العرب" (قرر) ٦/ ٣٥٨١.." [(١)]

"أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) [طه: ٨٦]، ولم يختلفوا في كسر هذين، ومن قرأ بالضم فوجهه: أن الغضب لما كان يتبعه العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال: يحل أي: ينزل. فجعله بمنزلة قوله: حل بالمكان يحل. هذا معنى قول أبي علي وبعض كلامه (١).

وقوله تعالى: (فقد هوى) يقال: هوى يهوي هويا: إذا سقط من علو إلى أسفل، وهوت العقاب تهوى هويا: إذا سقطت على صيد، وهوى يهوي هويا: إذا وقع مهواه، وهوى فلان: إذا مات، قال النابغة (٢):

وقال الشامتون هوى زياد ... لكل منية سبب مبين

وهوى: إذا هلك. ومنه قول كعب بن سعد (٣) (٤):

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا

أي: هلكت أمه. هذا معاني (هوى) في اللغة (٥). فأما التفسير فقيل:

---

(١) "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٢٤٣.

(٢) البيت للنابغة الذبياني. **الشماتة: فرح العدو. وقيل: الفرح ببلية** تنزل بمن تعاديه. انظر: "تهذيب اللغة" (هوى) ٤/ ٣٨١٣، "لسان العرب" (هوا) ٨/ ٤٧٢٦.

(٣) تقدمت ترجمته في سورة البقرة.

(٤) هذا صدر بيت لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه. وعجز البيت:

وماذا يودي الليل حين يؤوب

انظر: "تهذيب اللغة" (هوى) ٤/ ٣٨١٣، "الصحاح" (هوى (٦/ ٣٩، "لسان العرب" (هوا) ١٥/ ١٦٩، "الأمالي" للقالي ٢/ ١٥٠، "التكملة" للصنعاني (هوى) ٦/ ٥٤٠.

(٥) انظر: "تهذيب اللغة" (هوى) ٤/ ٣٨١٣، "مقاييس اللغة" (هوى) ٦/ ١٥، "القاموس المحيط" (الهواء) ٤/ ٤٠٤، "الصحاح" (هوى) ٦/ ٢٥٣٧ "لسان العرب" (هوا) ٨/ ٤٧٢٦.." [(٢)]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٣٢/١٤

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٨٤/١٤

"أفي كل عام مأتم تحدثونه ... على فاجع من خير قومكم (١) نعا (٢)

قال: وشبيه هذا إسكانهم الياء المنكسر ما قبلها في النصب كقول رؤبة:

كأن أيديهن بالقاع القرق (٣) (٤)

= لقد نال زيد الخيل مال أخيكم ... فأصبح زيد بعد فقر قد اقتنى

فقال زيد: أفي كل ...

قال البغدادي في "الخزانة" ٩/ ٤٩٤ - ٤٩٥: قوله (أفي كل عام). إلخ استفهام توبيخي، و (المأتم) مهموز، وهو الجماعة من النساء -يجتمعن لحزن أو فرح، والمراد به هنا الحزن. وقال أبو زيد ص ٣٠٣: (المحمر: الفرس يشبه الحمار، .. و (العود): (المسن): أثيب: أعطى ثوابه. وقال السيرافي ١/ ١٢١: المحمر: البرذون، وقيل هو السكيت الذي لا خير منه من الخيل. يريد أنهم يجمعون نساء ليبكين على هذا المحمر .. والفاجع: الهالك الذي يؤذي أهله فقده .. و (رضا) و (نعا) أصلهما (رضي ونعي) فقلبت الياء فيها ألفا، وهذه لغة طائية. أهـ

(١) في (أ)، (ت): (قومك).

(٢) في (ت): (ناعيا).

(٣) في (أ): (القرف).

(٤) هذا الرجز لرؤبة، وبعده: أيدي جوار يتعاطين الورق. وهو في "ديوانه" (ص ١٧٩)، و"الكامل" للمبرد ٢/ ٣٢٠، و"العمدة" لابن رشيق ٢/ ١٩٣، و"أمالي ابن الشجري" ١/ ١٠٥، و"خزانة الأدب" ٨/ ٣٤٧. وغير منسوب في "مقاييس اللغة" لابن فارس ٥/ ٧٥ (قرق)، و"الخصائص" ابن جني ١/ ٣٠٦، و"أمالي المرتضى" ١/ ٥٦١، و"لسان العرب" ١٠/ ٣٢١ (قرق)، و"همع الهوامع" للسيوطي ١/ ٥٣.

والشاهد فيه إسكان الياء من (أيديهن) والقياس فتحها. قال ابن الشجري في "أماليه" ١/ ١٠٥: ضمير (أيديهن) للإبل، والقاع: المكان المستوي، والقرق- بفتح القاف الأولى وكسر الراء: الأملس، و (جوار) - بفتح الجيم: جمع جارية،=." (١)

"يأتي للمؤمنين. والريح العقيم: التي لا تأتي بمطر ولا سحاب ولا تلقح (١) شجرا (٢).

وأما التفسير: فقال ابن عباس: يريد يوم بدر (٣).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/١٧٥

وهو قول قتادة (٤)، ومجاهد (٥)، والسدي (٦)، وأبي بن كعب (٧).

واختلفوا: لم سمي يوم بدر عقيما.

فقال ابن عباس: لأنه ليس ليوم بدر نظير من الأيام لا قبله ولا بعده، لم تقاتل الملائكة مع نبي قط إلا مع محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولم تقاتل مع محمد إلا يوم بدر.

وعلى هذا سمي عقيما، لأنه لا نظير له في عظمه بقتال الملائكة فيه، فكأن الدهر عقيم عن مثل ذلك اليوم.

وقال الكلبي: يوم عقيم لا فرج (٨) فيه وهو يوم بدر.

---

(١) في (أ): (الذي، يلقح).

(٢) انظر: (عقم) في "تهذيب اللغة" للأزهري ١/ ٢٨٨، "الصحاح" للجوهري ٥/ ١٩٨، "لسان العرب" ١٢/ ٤١٣.

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٧٠ وعزاه لابن مردويه والضياء في المختارة.

(٤) رواه عنه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٤١، والطبري ١٧/ ١٩٣.

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٩٣.

(٦) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤٤٤.

(٧) رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٤١ عن قتادة قال: بلغني أن أبي بن كعب كان يقول: أربع آيات أنزلت في بدر. هذه إحداهن "يوم عقيم" يوم بدر.

وهو منقطع. ورواه الطبري ١٧/ ١٩٣ من هذا الوجه مختصرا.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٧٠ وعزاه لابن مردويه.

(٨) في (أ)، (ظ)، (د): (لا فرح)، والمثبت من (ع).." [1]

"وقال الفراء: المعنى في زبر وزبر واحد (١).

يعني أن الزبرة بمعنى القطعة تجمع على زبر وزبر، وعلى هذا ليس للكتب في الآية معنى، ويدل على هذا أن الذين قالوا من المفسرين في الآية فرقا وقطعا لم يقولوه في قراءة من قرأ بفتح الباء، وإنما فسروه على قراءة العوام.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٧٧/١٥

وقد قال المبرد: ﴿زبرا﴾ أي فرقا مختلفة وأحدها زبور. والزبر واحدها زبرة وهي القطعة (٢). وعلى هذا الزبور الفرقة والطائفة.

وقوله: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ قال ابن عباس: يريد بما عندهم من خلاف النبي -صلى الله عليه وسلم- مسرورون.

وقال مقاتل: يقول: كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون (٣).

ومضى الكلام في الفرح عند قوله: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٧٠].

وقال الفراء: يقول معجبون بدينهم يرون أنهم على الحق (٤).

٥٤ - قوله تعالى: ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة، يقول: خل عنهم في غفلتهم (٥).

وقال ابن عباس: يريد في ضلالتهم (٦). وهو قول قتادة (٧).

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٣٨.

(٢) لم أجده.

(٣) "تفسير مقاتل" ٢/ ٣١ أ.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٣٨.

(٥) "تفسير مقاتل" ٢/ ٣١ ب.

(٦) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٦٢ أ.

(٧) رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٤٦.." [1]

"وإنما الصراري جمع صراء، وهو مفرد نحو: حسان (١)، فكسره ككلاب، وكلاليب؛ لأن الصفة تشبه في التكسير بالأسماء. ويدل على أن الصراء واحد قول الفرزدق:

أشارب قهوة وخدين زير ... وصراء لفسوته بخار (٢)

قوله: ﴿قرة أعين﴾ (٣) قال الفراء: ولو قرئت: قرات أعين؛ لأنهم كثير، كان صوابا. والوجه التقليل: ﴿وقرة﴾؛ لأنه فعل، والفعل لا يكادون يجمعونه، ألا ترى أنه قال: ﴿وادعوا ثبورا كثيرا﴾ [الفرقان: ١٤] فلم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/٦١٠

يجمعه، وهو كثير. والقرة: مصدر، تقول: قرت عينك قرة (٤).

= / ٣٥٣، ونسبه للعجاج. وكذا في "لسان العرب" ٤/ ٤٥٤ (صرر)، وفيه: وصواب إنشاد بيت العجاج: جذب برفع الباء؛ لأنه فاعل لفعل في بيت قبله.

(١) في "لسان العرب" ٤/ ٤٥٤ (صرر): وكان أبو علي يقول: صراء واحد، مثل: حسان للحسن.

(٢) "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٣٥٣، بنصه، ونسب البيت للفرزدق، وعزاه المحقق لديوانه ١/ ٣٨٨، وأنشده في "لسان العرب" ٤/ ٤٥٤ (صرر)، منسوبا للفرزدق؛ وفيه: أشارب خمرة. وفيه: ولا حجة لأبي علي في هذا البيت؛ لأن الصراري الذي هو عنده جمع، بدليل قول المسيب بن علس، يصف غائصا أصاب درة:

وترى الصراري يسجدون لها ... ويضمهما بيديه للنحر

(٣) ﴿قرة أعين﴾ كل ما تقر به عين الإنسان، ومعنى ذلك: أن الرجل **إذا فرح بالشيء** خرج من عينه ماء بارد، وهو القر، وإذا اغتم وبكى خرج من عينه ماء ساخن، فيقال: سخن الله عينه، إذا دعوا عليه، وإذا دعوا له: أقر الله عينه، ويقال: معنى أقر الله عينه، أي: غنم، وقيل: أقر الله عينه، أي: بلغه الله مراده حتى تقر عينه فلا تطمح إلى شيء وتستقر. "إعراب القراءات السبع وعللها" ٢/ ١٢٨.

(٤) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٧٤. بنصه. قال الألوسي ١٩/ ٥٢: اختير الأعين جمعا للعين الباصرة، والعيون جمعا للعين الجارية، في جميع القرآن الكريم.." [1]

"قال: أراد: أأفرح؛ لأنه ينكر ذلك ولا يقبله. ومنها:

بسبع رمين الجمر .. (١)

وهذا الذي ذكره هو قول الأخفش؛ قال: هذا استفهام كأنه قال: أو تلك نعمة تمنها؛ ثم فسر فقال: ﴿أن عبدت بني إسرائيل﴾ فجعله بدلا من النعمة (٢). قال أبو العباس: وهذا غلط لا يجوز أن يلقى الاستفهام، وهو يطلب فيكون الاستفهام كالخبر، وقد استقبح ومعه (أم)، وهي دليل على الاستفهام، واستقبحوا قول امرئ القيس:

تروح من الحي أم تبتكر (٣)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦/٦١١

= ابن عيسى، عن القاسم بن معن: أن رجلا من العرب توفي فورثه أخوه، فعيره رجل **بأنه فرح بموت** أخيه لما ورثه؛ فقال:

أفرح أن أرزأ الكرام وأن ... أورث ذودا شصائصا نبلا

قال: والنبل في هذا الموضع: الصغار الأجسام. وفي "اللسان" ١١/ ٦٤١ (نبل): "يقول: أأفرح بصغار الإبل، وقد رزئت بكبار الكرام قال ابن بري: الشعر لحضرمي بني عامر".

(١) أنشده منسوبا لابن أبي ربيعة، سيبويه ٣/ ١٧٥، وفي الحاشية: الشاهد فيه: حذف ألف الاستفهام ضرورة لدلالة أم عليها، وأنشده كذلك المبرد، في "المقتضب" ٣/ ٢٩٤، والبيت بتمامه عندهما:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا ... بسبع رمين الجمر أم بثمان

عند سيبويه والمبرد بالنون: رمين. ورواية اليت في الديوان ٣٩٩: فوالله ما أدري وإني لحاسب بسبع رميت الجمر أم بثمان

ورميت أولى؛ لأن يصور ذهوله عند رؤية عائشة بنت طلحة، وقد رآها في الحج.

(٢) "معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٦٤٦.

(٣) ديوان امرئ القيس ٢٢، وعجزه:

وماذا عليك بأن تنتظر." [(١)]

"وقد يقال في الفره بمعنى الفرح: الفاره. كما يقال: الفارح (١).

قال أبو عبيدة: يقال فرهين وفارهين، بمعنى مرحين، وأنشد فقال:

لا أستكين إذا ما أزمة أزمت ... ولن تراني بخير فاره اللبب (٢)

قال: أي لا تراني مرحا. ونحو هذا ذكر المفسرون في تفسير الفرهين؛ فقال مجاهد: شرهين (٣).

وقال قتادة: معجبين (٤).

وقال السدي: متجبرين (٥). والشره، والإعجاب، والمرح، والتجبر كله **نتائج الفرح والأشر**.

وروي عن عكرمة: ناعمين (٦). وهو وهم؛ لأن (٧) الذي هو بمعنى النعيم الراء فيه مقدم على الفاء من الرفاهية، وروي في فارهين، عن عطية، وعبد الله بن شداد، أنهما قالا: يتخيرون مواضع نحتها (٨). وهذا أيضا يعود

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٩/١٧

(١) "تأويل مشكل القرآن" ٤٩١. و"غريب القرآن" ٣١٩، ويعني بقوله: واحتج بالآية: آية القصص: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ حيث ذكرها في "الكتابيين".

(٢) أنشده أبو عبيدة ٢/ ٨٩، ونسبه لـعدي بن وداع العقوي. وعنه الأنباري، الزاهر ٢/ ٣٣٠، ولم ينسبه. وأبو علي، في كتابه الحجة ٥/ ٣٦٦، ولم ينسبه أيضا. وأنشده ابن جرير ١٩/ ١٠١، ونسبه لعدي بن وداع، وفيه: الطلب، بدل: اللبب. واللبب: البال. "لسان العرب" ١/ ٧٣٣ (لبب).

(٣) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠١، وابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٠٢.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٧٥، وعنه ابن جرير ١٩/ ١٠١.

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٠، عن السدي، عن عبد الله بن شداد.

(٦) نسبه القرطبي ١٩/ ١٢٩، للكلبي.

(٧) في نسخة (ب): لأنه، وهو خطأ.

(٨) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٠٠، عن عبد الله بن شداد، من طريقين: يتجبرون. ولم أجد فيه نسبته لعطية.." [١]

"وقوله تعالى: ﴿إذ قال له قومه﴾ قال مقاتل: بنو إسرائيل (١).

وقال الفراء: يعني موسى، وهو من الجمع الذي أريد به الواحد، كقوله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ [آل عمران: ١٧٣] وإنما كان رجلا من أشجع؛ يقال له نعيم بن مسعود (٢).

قوله تعالى: ﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ قال المفسرون: لا تأشر ولا تمرح ولا تبطر ولا تفخر (٣). وأنشد أبو عبيدة في الفرح بمعنى البطر قول هدبة (٤):

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتقلب (٥)

وأنشد لابن أحمر:

ولا ينسيني الحدثان عرضي ... ولا ألقي من الفرح الإزارا (٦)

---

(١) "تفسير مقاتل" ٦٨ ب.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣١١، ولم يذكر الاسم. وقد ذكر الواحدي في تفسير الآية من سورة آل عمران ثلاثة أقوال؛ هذا أحدها، والثاني: ركب من عبد القيس، والثالث: المنافقون.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠٧/١٧

(٣) "تفسير مقاتل" ٦٨ ب. و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ١١١. و"تأويل مشكل القرآن " ٤٩١، و"معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٥٥. و"تفسير الثعلبي" ٨/ ١٥١ ب.

(٤) هدبة بن خشرم بن كرز، من بني عامر بن ثعلبة، من قضاعة، شاعر فصيح، راوية من أهل بادية الحجاز، قتل في المدينة قصاصا نحو سنة ٥٠ هـ "الشعر والشعراء" ٤٦٤، و"الأعلام" ٨/ ٧٨.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ١١١، ونسبه لهدبة. وأنشد البيت المبرد، في "الكامل" ٣/ ١٤٥٥، في قصة قتل هدبة قصاصا، وبعد هذا البيت:

ولا أبتغي الشر والشر تاركي ... ولكنني متى أحمل على الشر أركب

وأنشده ولم ينسبه ابن قتيبة، "غريب القرآن" ٣٣٥، وكذا الثعلبي ٨/ ١٥١ ب.

(٦) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ١١١، ونسبه لابن أحمر، وأنشده المبرد في "الكامل" ١/ ٥٩، ولم ينسبه، وفيه: ولا أرخي من المرح.." [١]

"و ﴿بعد﴾ ووجوه استعمالهما مركبة (١).

٤، ٥ - قوله: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله﴾ قال ابن عباس: يريد: حينئذ؛ حين تغلب الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون﴾: أبو بكر وأصحابه ﴿بنصر الله﴾ الروم على فارس (٢). وقال مقاتل: لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة، وأتى الخبر المسلمين أن الروم قد غلبوا أهل فارس ففرح المؤمنون بذلك. قوله: ﴿ويومئذ﴾ يعني: يوم بدر (٣) ﴿يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله﴾ ونحو هذا قال **السدي: فرح النبي** -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم: بدر، وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك. قال أبو سعيد الخدري: ظهر الروم على فارس يوم أحد (٤).

وقال آخرون: ظهر الروم على فارس يوم الحديبية؛ وهو قول عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود (٥).

---

(١) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣١٩ - ٣٢٢. و"معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٧٦، ١٧٧.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٧١.

(٣) "تفسير مقاتل" ٧٧ أ. ولا يفهم من نقل الواحدي عن مقاتل أن غلبة الروم على فارس كانت مقاربة لغزوة بدر، كلا، بل قال مقاتل: وأتى المسلمين الخبر بعد ذلك، والنبي -صلى الله عليه وسلم-، والمؤمنون

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧/٤٥٥

بالحديبية أن الروم قد غلبوا أهل فارس.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٢١، وفيه يوم بدر؛ وهكذا ذكره السيوطي، "الدر المنثور" ٦/ ٤٨١، وعزاه لابن أبي حاتم، وأخرجه كذلك الترمذي ٥/ ٣٢٠، كتاب تفسير القرآن، رقم (٣١٩٢). فكتابة: أحد؛ بدل: بدر، في "البسيط" تحريف. والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٩، عن عطاء، وقتادة قال ابن كثير ٦/ ٣٠٣: وقد كانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كبيرة من العلماء؛ كابن عباس، والثوري، والسدي، وغيرهم .. وقال آخرون: بل كان نصرة الروم على فارس عام الحديبية؛ قاله عكرمة، والزهري، وقتادة وغيرهم .. ووجه بعضهم هذا =." (١)

"وصاحب النظم (١).

وقال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم منيبين؛ لأن مخاطبة النبي عليه السلام تدخل معه فيها: الأمة؛ والدليل على ذلك قوله: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١] قال: ومعناه: راجعين إلى كل ما أمر الله به، مع التقوى وأداء الفرائض (٢)، وهو قوله: ﴿واتقوه وأقيموا الصلاة﴾. ثم أخبر أنه لا ينفع ذلك إلا بالإخلاص في التوحيد؛ فقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾.

٣٢ - ﴿من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ (٣) ذكرنا تفسيره في آخر سورة: الأنعام (٤). وهذه الآية متصلة بالأولى؛ لأنها من نعت المشركين. قال الفراء: وإن شئت استأنفت قوله تعالى: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (٥).

---

(١) قال الفراء في إعراب ﴿منيبين﴾: منصوبة على الفعل، وإن شئت على القطع، فأقم وجهك ومن معك منيبين مقبلين إليه. "معاني القرآن" ٢/ ٣٢٥.

(٢) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٨٥.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٨٥.

(٤) قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾ [١٥٩]: "قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: المشركين بعضهم يعبدون الملائكة يزعمون أنهم بنات الله،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤/١٨

وبعضهم يعبد الأصنام ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس: ١٨] فهذا معنى: ﴿فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ أي: فرقا وأحزابا في الضلالة؛ فتفريقهم دينهم أنهم لم يجتمعوا في دينهم الذي هو شرك على شيء واحد .. ".

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣٢٥، وتمامه: كأنك قلت: الذين تفرقوا وتشايعوا كل حزب بما في يده فرح.." [١]

"قال مقاتل: كل أهل ملة (١) بما عندهم من الدين راضون به (٢).

وقال الزجاج: كل حزب من هذه الجماعة الذين فرقوا دينهم فرح؛ يظن أنه هو المهتدي (٣). وهذا مذكور في سورة: المؤمنين (٤).

٣٣ - قوله: ﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة، الضر يعني: القحط والسنة ﴿دعوا ربهم منيبين إليه﴾ راجعين إليه (٥). قال أبو إسحاق: أي لا يلتجئون في شدائدهم إلى من عبدوه مع الله -عز وجل-، إنما يرجعون في دعائهم إليه وحده (٦).

قوله: ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ قال مقاتل: إذا أعطاهم من عنده، يعني: المطر ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ يقول: تركوا توحيد ربهم في

---

(١) "تفسير مقاتل" ٧٩ أ. وفي النسختين: (مكة). بدل: (ملة)؛ وهو تصحيف.

(٢) "تفسير مقاتل" ٧٩ أ.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٨٦.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ وقد أحال الواحدي في تفسيرها على سورة الأنبياء؛ حيث قال: "والكلام في هذا قد سبق في نظيرتها في سورة الأنبياء". "البسيط" ٢/ ٦١٩. تح/ المديميغ. قال الواحدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون﴾ [الأنبياء: ٩٣]: "قال ابن عباس: يريد المشركين اتخذوا من دونه آلهة. هذا كلامه في رواية عطاء. والصحيح أن هذا إخبار عن جميع مخالفي شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- يقول: اختلفوا في الدين فصاروا فيه فرقا وأحزابا. ويجوز أن يكون هذا الاختلاف راجعا إلى اختلاف أهل كل ملة كاختلاف اليهود فيما

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٩/١٨

بينهم، واختلاف النصارى؛ وهذا هو الظاهر. ويجوز أن يرجع إلى مخالفتهم دين الحق". "البسيط" ١/ ١٨٧ (تح/ المديميغ).
(٥) "تفسير مقاتل" ٧٩ أ.
(٦) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٨٦.." [1]

"إسحاق قال: ومما يؤيد قوله (١) في حمل الأمانة أنه خيانتها وترك أدائها قول الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة ... وتحمل أخرى أفرحتك الودائع) (٢) (٣)

أراد بقوله: وتحمل أخرى أي: تخونها فلا تؤدها يدلك على ذلك قوله أفرحتك الودائع أي: أثقل ظهرك الأمانات التي تخونها ولا تؤديها، قال أبو علي: وحملها الإنسان أي: لم يؤدها؛ لأن حمل الحامل الشيء إمساك له وخلاف لأدائه وكأنه لم يؤد الأمانة (٤).

٧٣ - قوله تعالى: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ قال المقاتلان: ليعذبهم الله بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل ونقضوا الميثاق الذي أقروا به حين أخرجهم من ظهر آدم ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ بأدائهم الأمانة ووفائهم بالعهد والميثاق (٥).

وروي عن الحسن وقتادة أنهما قالا قوله: ﴿ليعذب الله﴾ إلى قوله: ﴿ويتوب الله﴾ فقالا: هؤلاء الذين خانوهما وهم الذين ظلموه، (٦).

﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ هؤلاء أدوها. وقال ابن قتيبة:

---

(١) في (أ): قلبه. وهو خطأ.
(٢) "تهذيب اللغة" ٥/ ٩٣.
(٣) البيت من الطويل وهو لبيهس العذري في "لسان العرب" ٢/ ٥٤١ (فرح)، و"التنبيه والإيضاح" ١/ ٢٥٨، "تاج العروس" ١٧/ ١٣ (فرح). وبلا نسبة في "تهذيب اللغة" ٥/ ٩٣، "المخصص" ١٢/ ٣١٤.
(٤) "الحجة" ٥/ ٢٤٦.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦٠/١٨

(٥) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٦/ ب، "تفسير الماوردي" ٤/ ٤٣٠.

(٦) انظر: "تفسير الطبري" ٢٢/ ٥٨، "مجمع البيان" ٨/ ٥٨٧، "تفسير هود" ٣/ ٣٨٦.." [١]

"وغرمته وأغرمته، وقد جاء منه شيء عدي بتضعيف العين دون الهمز وهو قولهم: لقيت خيرا، ولقانيه زيد، ولا تقول: ألقانيه. ومن هذا قوله: ﴿ويلقون فيها تحية وسلاما﴾ [الفرقان: ٧٥]. ﴿فولقاهم نضرة﴾ [الإنسان: ١١] فيجوز أن يكون نشأ من ذلك، عدي بالهمزة دون التضعيف؛ لأنا لم نعلم نشأ، كما جاء بلغ وأبلغ، ونجى وأنجى، وإذا كان كذلك كان الأوجلى: أو من ينشأ من الإنشاء، ومن قال (ينشأ) فهو في القياس مثل: فرح وأفرح، وغرم وأغرم، وإن عز وجود ذلك في الاستعمال. هذا كرمه (١)، وهو كما قال، فإن أحدا من أهل اللغة لم يحك نشأ، ولا حكاه الأزهري عن أحد في كتابه، غير أن الكسائي قال: نشى فهو منشأ ينشأ وينشيه، واختار أبو عبيد هذه القراءة، قال: ومعناه أن الله تعالى فعل ذلك بهن (٢).

قال المبرد: الفرق الذي ذكر أبو عبيد بين (ينشأ وينشا) ليس بشيء، لأنه إذا أنشئ نشأ، ولا ينشأ إلا أن ينشأ، وكذلك: إنك ميت، إنما هو ممات؛ لأنه لا يموت حتى يمات، وكذلك كل ما ينسب إلى العبد في خلقه (٣).

قوله تعالى: ﴿وهو في الخصام﴾ يعني المخاصمة ﴿غير مبين﴾ للحجة قاله الكلبي، وقال قتادة: قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها (٤)، وقال أبو إسحاق: إن الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين (٥)،

---

(١) انظر: "الحجة للقراء السبعة" ٦/ ١٤٠.

(٢) انظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٤/ ١٠٢، "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ٧١.

(٣) قولا الكسائي والمبرد لم أقف عليهما، وانظر: "حجة القراءات" لابن زنجلة ص ٦٤٦.

(٤) انظر: "تفسير عبد الرازق" ٢/ ١٩٥، "الطبري" ١٣/ ٥٧، "البغوي" ٧/ ٢٠٩.

(٥) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٤٠٧.." [٢]

"وقال مقاتل: يقول فهلا ألقى على موسى إلهه الذي أرسله أسورة من ذهب إن كان صادقا أنه رسول (١)، وقال الكلبي: كان الرجل إذا ارتفع سوروه (٢).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٠٧/١٨

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٢/٢٠

وقال مجاهد: كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب، يكون ذلك دلالة على سيادته (٣).

قال أبو إسحاق: كأنه لما وصف نفسه بالملك والرياسة فقال: هلا جاء موسى يلقى عليه أسورة من ذهب، يدل على أنها من عند إلهه الذي يدعوكم إلى توحيده (٤).

٥٣ – قوله: ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ قال قتادة: متتابعين (٥)، وقال ابن عباس: يعاونونه على من خالفه (٦)، وقال مقاتل: يعينونه على أمره الذي بعث له (٧)، وقال الكلبي: مصدقين له بالرسالة (٨).

وقال أبو إسحاق: أي يمشون معه فيدلون على صحة نبوته (٩)، وقد جمع بين هذه الأقوال كلها لأنه فسر الاقتران وموجبه.

٥٤ – قوله تعالى: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ يقال: استخفه الفرح،

---

(١) انظر: "تفسير مقاتل" ٣/ ٧٩٨.

(٢) انظر: "تفسير أبي الليث" ٣/ ٢٠٩، "زاد المسير" ٧/ ٣٢٢ من غير نسبة.

(٣) انظر: "تفسير البغوي" ٧/ ٢١٧، "الجامع" للقرطبي ١٦/ ١٠٠ ونسباه لمجاهد.

(٤) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٤١٥.

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٨٣ عن قتادة، ونسبه القرطبي ١٦/ ١٠٥ لقتادة.

(٦) انظر: "تفسير الطبري" ١٣/ ٨٣، "تفسير الثعلبي" ١٠/ ٨٧ أ، "البغوي" ٧/ ٢١٧.

(٧) انظر: "تفسير مقاتل" ٣/ ٧٩٨.

(٨) انظر: "تنوير المقباس" ص ٤٩٣.

(٩) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٤١٥.." [1]

"هذا قولان قال في رواية عطاء: لما نزلت هذه الآية فرح المشركون واليهود والمنافقون فقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا، فأنزل الله تعالى ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا (١) ليغفر لك الله﴾

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠/٦٠

[الفتح: ١ - ٢] الآيات إلى قوله (١) ﴿وكان ذلك عند الله فوزا عظيما﴾ [الفتح: ٥] فبين الله ما يفعل به وبمن اتبعه من المؤمنين، ونسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف المنافقين والمشركين واليهود، ورحم النبي -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين، وقال قتادة في هذه الآية: نسختها ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ وهذا قول أنس وعكرمة (٢).

وقال في رواية الكلبي: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقالوا: يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى نهاجر (٣) إلى الأرض التي رأيت، فسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنزل الله ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ يعني: لا أدري أخرج إلى الموضع الذي أريته في منامي أم لا، ثم قال لهم: إنما هو شيء أريته في منامي، ما أتبع إلا ما يوحى إلى، يقول: لم يوح إلى ما أخبرتكم، وعلى هذا لا نسخ في الآية، وهذا القول اختيار الفراء (٤) والزجاج (٥).

---

(١) ذكر الطبري رواية عن ابن عباس نحو هذا المعنى وأخصر منه. انظر: ١٣/ ٧/ ٢.

(٢) انظر: "تفسير الطبري" ١٣/ ٢/ ٧، و"الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه" ص ٣٥٦، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ١٨٥.

(٣) انظر: "تفسير أبي الليث السمرقندي" ٣/ ٢٣٠.

(٤) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٥٠ - ٥١.

(٥) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٤٣٩، وقال مكي: فأما من قال معناه: وما =." [1]

"سماطان لا يرى طرفهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه (١).

وقال حميد بن هلال (٢): ذكرنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنة وألبس لباسهم، وحلي حليهم، وأري أزواجه وخدمه، أخذه سوار فرح لو كان ينبغي له أن يموت لمات من سوار فرح، فيقال له: أرأيت سوار فرحتك، فإنها قائمة لك أبدا (٣).

٢٧ - قوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه في الدنيا

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٦٦/٢٠

من التعب والنصب والخوف (٤). وقال مقاتل: زار بعضهم بعضا فتساءلوا بينهم ما كانوا فيه من المشقة في الدنيا فذلك قوله:

٢٨ - ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ أي في دار الدنيا مشفقين من العذاب.

٢٩ - ﴿فمن الله علينا﴾ بالمغفرة ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ يعني جهنم الحارة (٥). ونحو هذا قال الحسن في السموم أنه من أسماء جهنم (٦).

وقال عطاء: يريد الطبق السابع من جهنم وهو الأعلى (٧).

---

(١) لم أجد هذا القول.

(٢) حميد بن هلال العدوي، أبو نصر البصري، ثقة، عالم، توقف فيه ابن سيرين لدخوله عمل السلطان. انظر: "تقريب التهذيب" ١/ ٢٠٤، "صفة الصفوة" ٣/ ٢٦٠، "سير أعلام النبلاء" ٥/ ٣٠٩.

(٣) انظر: "صفة الصفوه" ٣/ ٢٦٠.

(٤) انظر: "الوسيط" ٤/ ١٨٨، "معالم التنزيل" ٤/ ٢٤٠. ومعنى قوله: أخذه سوار الفرح، أي: دب **فيه الفرح دبيب** الشراب. انظر: "اللسان" ٢/ ٢٣٧ (سور).

(٥) انظر: "تفسير مقاتل" ١٢٨ ب، ١٢٩ أ.

(٦) انظر: "معالم التنزيل" ٤/ ٢٤٠، "زاد المسير" ٨/ ٥٣، "القرطبي" ١٧/ ٧٠.

(٧) لم أجده.." [1]

"٦١ - قوله ﴿وأنتم سامدون﴾ قال الليث: السمود في الناس الغفلة والسهو عن الشيء، وهذا قول المبرد، قال: السمود الاشتغال عن الشيء يكون لهم **أو فرح يتشاغل** به وأنشد فقال:

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سمودا (١)

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: السمود الغناء في لغة حمير (٢)، يقال: اسمدي لنا، أي غني لنا (٣)، ومنه قول أبي زبيد أنشده أبو عبيدة فقال:

وكأن العزيف فيها غناء ... للندامى من شارب مسمود (٤)

فالمسمود الذي غني له، والسامد أيضا القائم في تحير، قال المبرد: ومما يأثر العرب من أشعار عاد (٥):

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٩٦/٢٠

= والثعلبي في "الكشف والبيان" ١٢/ ٢١ أ، وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن العباس بإسناد ضعيف، و"تخريجات الكشاف" ٤/ ١٦١، ورواه وكيع بن الجراح في "الزهد" ١/ ٢٦٦. قال محققه: إسناده ضعيف ومعناه غريب أيضا؛ لأن الآية نزلت في مكة، وقد ثبت ضحك النبي -صلى الله عليه وسلم- وتبسمه في أحاديث كثيرة.

(١) البيت لعبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي، أو للكميت بن معروف. انظر: "الحماسة" لأبي تمام ١/ ٤٦٤، و"أمالي القالي" ٣/ ١١٥، و"الأضداد" ص ٣٦، و"مجالس ثعلب" ص ٤٣٩، و"تهذيب اللغة" ١/ ٣٧٧٢، و"اللسان" ٢/ ١٩٨ (سمد). ونسبه ابن كثير في "البداية والنهاية" ٨/ ١٤٤ لأيمن بن خزيم.

(٢) حمير: بطن عظيم من القحطانية ينسب إلى حمير بن سبأ، من بلادهم في اليمن شام، وذمار، ورفع .. قدم رسول ملوك حمير سنة تسع من الهجرة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: انظر: "معجم قبائل العرب" ١/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٣) انظر: "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٢٥٥، و"جامع البيان" ٢٧/ ٤٨، و"المصنف" لابن أبي شيبة ١٠/ ٤٧١.

(٤) انظر. "الأضداد" لابن الأنباري ص ٣٦، و"الأضداد" للسجستاني ص ١٤٤.

(٥) عاد بن عوص من العرب العاربة البائدة، يقال لهم عاد الأولى، وكانت منازلهم =." (١)

"فله روح وهو الراحة والاستراحة، قاله ابن عباس والكلبي وقتادة والضحاك (١).

وقال مجاهد: الروح الفرح (٢).

قوله: ﴿وريحان﴾ قالوا: يعني الرزق في الجنة (٣)، وذكرنا الريحان بمعنى الرزق في قوله: ﴿ذو العصف والريحان﴾ [الرحمن: ١٢].

وقال الحسن وأبو العالية: هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه (٤).

٩٠، ٩١ - ﴿وأما إن كان﴾ أي المتوفى ﴿من أصحاب اليمين (٩٠) فسلام لك من أصحاب اليمين﴾.

قال مقاتل: سلم الله لهم أمرهم يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم (٥).

وقال الكلبي: يسلم عليك أهل الجنة، وقال أيضا: يقول السلام لك (٦)، قال الزجاج: أي أنك ترى فيهم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨٤/٢١

ما تحب من السلام وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء (٧).

---

(١) انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٣٤١، و"تفسير مقاتل" ١٤٠ أ، و"جامع البيان" ٢٧/ ١٢٢.

(٢) انظر: "الدر" ٦/ ١٦٦، و"فتح القدير" ٥/ ١٦٢.

(٣) قاله مجاهد، وابن جبير، ومقاتل.

انظر: "تفسير مجاهد" ٢/ ٦٥٣، و"تفسير مقاتل" ١٤٠ أ، و"جامع البيان" ٢٧/ ١٢٢.

(٤) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ١٢٢، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٩١. وقال ابن كثير ٤/ ٣٠٠ بعد ذكره للأقوال: (وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فإن من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن).

(٥) انظر: "تفسير مقاتل" ١٤٠ أ.

(٦) انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٣٤٢، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٩١.

(٧) انظر: "معاني القرآن" ٥/ ١١٨.." [١]

"الضمير في نبرأها للأنفس وهو اختيار الفراء (١). وذكر أيضا الضمير للأرض والأنفس جميعا (٢)، وعن ابن عباس أيضا أنها للمصيبة (٣).

قوله تعالى: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ قال ابن عباس: إن حفظ ذلك على الله هين (٤). وهذا كقوله تعالى: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ [فاطر: ١١] والمعنى أن إثبات ذلك على كثرته يسير هين على الله.

٢٣ - قوله: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾ هذا يدل على قول الشعبي إن المصيبة تكون من خير وشر؛ لأن الله تعالى ذكر في هذه الآية الحزن والفرح جميعا، وهذه اللام تجعل أول الكلام سببا لآخره، كما تقول: قمت لأضربك، بينت باللام أن القيام سبب للضرب وفي هذه الآية ليس الأمر على ذلك؛ لأن إثبات الله تعالى للحوادث والكائنات قبل خلقها لو كان سببا لنفي الحزن والفرح **ما فرح أحد** ولا حزن، ولا **وجد فرح ولا** حزن، ولكن اللام تتعلق بإخبار الله تعالى إيانا بانقضائه وسبق قدره وبالكائنات، وذلك يوجب **نفي الفرح والحزن** وكأنه قيل: أخبرناكم بهذا لكيلا تأسوا، وحذف ذلك؛ لأن المشاهدة أغنت عنه وهذا

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٦٩/٢١

معنى ما ذكره صاحب النظم (٥).

---

(١) انظر: "معاني القرآن" ٣/ ١٣٦.

(٢) انظر: "معالم التنزيل" ٤/ ٢٩٩، و"التفسير الكبير" ٢٩/ ٢٣٧.

(٣) انظر: "الكشف والبيان" ١٢/ ٦٩ أ، و"التفسير الكبير" ٢٩/ ٢٣٧، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ٢٥٧.

(٤) انظر: "معالم التنزيل" ٤/ ٢٩٩، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٣١٤.

(٥) انظر: "التفسير الكبير" ٢٩/ ٢٣٨.." [(١)]

"ولا تفرحوا فرحا شديدا تأثروا فيه وتبطروا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فدل بهذا أنه **ذم الفرح الذي** يختال فيه صاحبه ويبطر، **فأما الفرح بنعمة** الله والشكر عليها فغير مذموم (١). وهذا كله معنى ما روى عكرمة عن ابن عباس: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا للمصيبة صبرا وللخير شكرا (٢).

٢٤ - قوله تعالى: ﴿الذين يبخلون﴾ هذه الآية مستأنفة لا تتعلق بما قبلها لأنها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام وبخلوا ببيان فعته، قاله ابن عباس في رواية عطاء والكلبي ومقاتل (٣)، والآية مفسرة في سورة النساء (٤). و (الذين) ابتداء وخبره محذوف دل عليه قوله: ﴿ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ على تقدير الذين يبخلون الله غني عنهم (٥).

قال ابن عباس: ومن يتول عن الإيمان فإن الله غني عن عبادته، حميد إلى أوليائه (٦).

وقال مقاتل: يعني بخل اليهود حين بخلوا بالزكاة والنفقة في سبيل الله. يقول الله غني عما عندهم حميد عند خلقه (٧).

---

(١) انظر: "معاني القرآن" ٥/ ١٢٨.

(٢) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ١٣٦، و"التفسير الكبير" ٢٩/ ٢٣٩، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٣١٤.

(٣) انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٣٦٣، و"تفسير مقاتل" ١٤٢ أ، و"التفسير الكبير" ٢٩/ ٢٤.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢١/٣٠٦

(٤) عند تفسيره الآية (٣٧) من سورة النساء.

(٥) انظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٣٦٧، و"مشكل إعراب القرآن" ٢/ ٧١٩.

(٦) انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٣٦٣، و"الوسيط" ٤/ ٢٥٣.

(٧) انظر: "تفسير مقاتل" ١٤٢ أ.." [١]

"ثم ابتدأ فصل آخر فقال: ﴿إن مع العسر يسرا﴾ والدليل على ابتدائه (١): تعريه (٢) من فاء، أو واو، أو غيرهما من حروف النسق، وهو وعد عام لجميع المؤمنين؛ لأنه يعني بذلك أن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسرا في الآخرة لا محالة، وربما اجتمع له اليسران: يسر الدنيا، وهو ما ذكر في الآية الأولى، ويسر (في) (٣) الآخرة، وهو ما ذكر في الآية الثانية) (٤).

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لن يغلب عسر يسرين" أي يسر الدنيا والآخرة (٥)، والمعنى: لن يجمعهما في الغلبة، إنما يغلب أحدهما إن غلب، وهو يسر الدنيا، فأما يسر الآخرة للمؤمنين فلا محالة كائن، ولا يغلبه شيء، والعسرة بين يسرين: إما (٦) فرح في الدنيا، وإما ثواب الآخرة (٧). وهذا هو الصحيح في معنى الآية.

وهو أن اليسرين: أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة، إما هذا، وإما ذاك، وربما اجتمعتا، ويدل على صحة هذا ما ذكر محمد بن إسماعيل

---

(١) في (أ): (ابتلائه).

(٢) في (أ): (تعرية بواو).

(٣) ما بين القوسين ساقط من: (ع).

(٤) ما بين القوسين من قول الجرجاني، انظر: "الكشف والبيان" ١٣/ ١١٤ ب، ١١٥ أ، نقله الإمام الواحدي عن "الكشف" بتصرف، وانظر أيضا بنحوه في "زاد المسير" ٨/ ٢٧٢، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ٦، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ١٠٨، و"لباب التأويل" ٤/ ٣٨٩.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (أ): (أنها).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٠٨/٢١

(٧) وهذا المعنى ورد بمعناه عن الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٣/ ١١٥ أ، وانظر. و"معالم التنزيل" ٤/ ٥٠٣، و"زاد المسير" ٨/ ٢٧٣.." [1]

"واحد فقيل: سافلين عى الجمع؛ لأن الإنسان في معنى الجمع، وأنت يقول: هذا (أفضل) (١) قائم، ولا تقول: هذا (أفضل) (٢) قائمين؛ لأنك تضمر لواحد، فإذا كان الواحد غير (مقصود) (٣) له رجع اسمه بالتوحيد، وبالجمع. كقوله سبحانه: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال: ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم﴾ [الشورى: ٤٨]، [فرد الإنسان على جمع، ورد تصبهم على الإنسان] (٤) للذي أنبأتك به (٥) (٦).

وفي الآية قول آخر، قال مجاهد: ثم رددناه إلى النار (٧)، وهو قول الحسن (٨)، وأبي العالية (٩).

---

(١) فضل: هكذا جاء في النسختين، وأثبت ما جاء في "المعاني".

(٢) فضل: هكذا وردت في النسختين، وأثبت ما جاء في "المعاني".

(٣) جاء في النسختين (مصمود)، وأثبت ما جاء في المعاني لاستقامة المعنى به. وقد ذكر محقق "معاني القرآن" في الحاشية أنه في الأصل مكتوب: مصمود، وذكر أنه خطأ، وأثبت على ذلك ما جاء عند الطبري. انظر "جامع البيان" ٣٠/ ٢٤٦.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من النسختين، وأثبته من "معاني القرآن" لانتظام الكلام به.

(٥) بياض في (ع).

(٦) "معاني القرآن" ٣/ ٢٧٧.

(٧) "جامع البيان" ٣٠/ ٢٤٥، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١١٩ ب، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٠٢، و"معالم التنزيل" ٤/ ٥٠٤، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٥٠٠، و"زاد المسير" ٨/ ٢٧٧، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١١، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ١١٥، و"البحر المحيط" ٨/ ٤٩٠، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٥٦٣، و"الدر المنثور" ٨/ ٥٥٥، وعزاه إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٨) المراجع السابقة عدا: "النكت"، وانظر أيضا: "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٣٨٣، و"تفسير الحسن البصري" ٢/ ٤٣٠.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣٤/٢٤

(٩) المراجع السابقة عدا "التفسير الكبير"، و"تفسير عبد الرزاق"، والحسن، وانظر: "تفسير أبي العالية" تح: نورة الورثان ٢/ ٦٥٧.." [1]

"قال أصحاب المعاني: أراد: تقلب عينيك، فذكرهما بلفظ الوجه، كما ذكر الأعين بلفظ الوجوه في قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة:٢٢ - ٢٣]، وذلك أن ما تقع به المواجهة يسمى وجها، كاللحية قد يطلق عليها اسم الوجه. ويجوز أن يريد نفس الوجه؛ لأنه كما يقلب عينيه في السماء يقلب وجهه (١).

وقوله تعالى: ﴿في السماء﴾ أي: في النظر إلى السماء.

وقوله تعالى: ﴿فلنولينك قبلة﴾ يقال، وليتك القبلة،: إذا صيرته يستقبلها (٢) بوجهه، وليس في (فعلت) منه هذا المعنى؛ لأنك إذا قلت: وليت الحائط، ووليت الجدران، لم يكن في قولك دلالة على أنك واجهته. ففعلت من هذه الكلمة ليس بمنقول من (فعلت) الذي هو وليت، فيكون على حد **قولك: فرح وفرحته**، ولكن المعنى الذي هو المواجهة عارض (٣) في فعلت، ولم يكن في (فعلت)، وإذا كان كذلك كان فيه دلالة على أن النقل لم يكن من فعلت، كما كان قولهم: ألقيت متاعك بعضه على بعض، لم يكن النقل فيه (٤) من: لقي متاعك بعضه بعضا، ولكن

= عن ابن عباس من رواية الكلبي، وأخرج بعضه الطبري في "تفسيره" ٢/ ٢٠، والنحاس في "الناسخ والمنسوخ" ص ١٥، من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس.

(١) ينظر: "معاني القرآن" للزجاج ١/ ٢٢١، "تفسير الثعلبي" ١/ ١٢٤٣، "المحرر الوجيز" ٢/ ١٣، "تفسير القرطبي" ٢/ ١٤٥، والوجه الثاني هو الذي ذكره الطبري في "تفسيره" ٢/ ٢٠.

(٢) في (م): (مستقبلها).

(٣) في (ش): كأنها (يمارض).

(٤) في (ش): (فيه دلالة).." [2]

"وقال السدي: كانوا يقتلون بالواحد الاثنين والعشرة والمائة، فلما قصروا على الواحد كان في ذلك حياة (١).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥٥/٢٤

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٣٨٧/٣

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ فرح، وأراد: أن ولي الدم إذا استوفى القصاص تشفى بذلك وطابت نفسه، فالتذ بالحياة، ولولا القصاص لتنغص بعيشه، فكأن حياته موتا. وقد يبلغ بالإنسان القصور عن إدراك الثأر إلى أن يتمنى الموت، سيما العرب، فإنهم أشد الأمم حفاظا، وأحرصهم على إدراك الثأر، والأخذ بالطوائل، وكل عيش يراد الموت فيه موت، فإذا زال سبب تمني الموت بالقصاص كان فيه حياة. ويجوز أن يكون المعنى في هذا ما تذهب إليه العرب من أن قتل القاتل إحياء للمقتول، يقولون: أحيا فلان أباه، إذا قتل قاتله، ومنه:

أحيا أباه هاشم بن حرمله (٢)

يعني: قتل قاتله، فسماه إحياء، فعلى هذا في القصاص حياة للمقتول على معنى: أن المراد بالحياة قتل قاتله.

وقوله تعالى: ﴿يا أولي الألباب﴾ أولوا: واحدها ذو، وهو من الجموع التي لا يفرد واحدها من لفظه، كالنفر (٣) والرهط والقوم والخيل

---

(١) رواه بمعناه الطبري في "تفسيره" ٢/ ١١٥، وذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ٢٦٨، والرازي في "تفسيره" ٥/ ٥٦.

(٢) تمامه:

إذ الملوك حوله مرعبله.

البيت لعامر الخصفي، ذكره في "الاشتقاق" لابن دريد ص ٢٩٥، "السيرة النبوية" لابن هشام ١/ ١١٢، ١١٣، "الإصابة" ٣/ ٦١٦ وفيه قصة هذا البيت.

(٣) في (م): (كالنفس).." (١)

"الرجل، أبشره): إذا أفرحته، ف (بشر (١)، يبشر): إذا فرح.

وقال ابن الأعرابي (٢): (بشرت بكذا، وأبشرت به) أي: فرحت (٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿وأبشروا بالجنة﴾ [فصلت: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿بيحيى﴾. (يحيى) (٤)، لا ينصرف، عربيا كان، أو عجميا (٥): لأنه إن كان عجميا: فقد اجتمع فيه العجمة والتعريف، وإن كان عربيا: لا (٦) ينصرف؛ لشبهه (٧) بالفعل، وأنه معرفة.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/٥٤٢

قال المفسرون: سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل مولده (٨).

قال الحسين (٩) بن الفضل (١٠): إنما سمي

= يبشرك. وما أثبته هو ما استصوبته، وهو موافق لما في "زاد المسير" حيث ضبط الحركات بالحروف، "اللسان"؛ لأن الواحدي أراد أن يبين معنى القراءة بالتخفيف (يبشرك)، وما في "معاني القرآن" المطبوع لا استبعد الخطأ المطبعي في ضبط حركتها.

(١) في (أ): (فبشر) وهو موافق لما في "معاني القرآن". وما أثبته يوافق ما في "تهذيب اللغة"، "اللسان" وبقية مصادر اللغة، ولم أعثر على (بشر) في معاجم اللغة.

(٢) قوله في "تهذيب اللغة" ١/ ٣٣٨، وهو ما أشار إليه المؤلف سابقا.

(٣) نقله المؤلف باختصار، ونصه: (يقال: (بشرته، وبشرته، وأبشرته). قال: (وبشرت بكذا، وبشرت وأبشرت): إذا فرحت به.

(٤) من قوله: (يحيى ..) إلى (.. وأنه معرفة): نقله بتصرف عن "معاني القرآن" للزجاج ١/ ٤٠٦.

(٥) في (ج)، و"معاني القرآن": (أعجميا).

(٦) في (ج)، "معاني القرآن": (لم).

(٧) في (د): لتشبيهه.

(٨) انظر: "تفسير الطبري" ٣/ ٢٥٢، "تفسير ابن أبي حاتم" ٢/ ٦٤٢، "النكت والعيون" ١/ ٣٨٩ - ٣٩٠.

(٩) في (ج): (الحسن).

(١٠) قوله في "تفسير الثعلبي" ٣/ ٤٦ أ، وانظر: "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب ٢٦٩ - ٢٧٠. وهو: أبو علي، الحسين بن الفضل بن عمير بن كيسان البجلي، تقدم.." [1]

"خلق، وهؤلاء خلق (١). وإنما وجب في المصدر ذلك؛ لأنه جنس في الفعل، كما وجب في الماء والرمل، وما هو من أسماء الأجناس.

وأصله من (البشرة) التي هي ظاهر الجلد؛ لأنه الذي من شأنه أن **يظهر الفرح والغم** في بشرته (٢).

وقوله تعالى: ﴿كذلك الله يخلق ما يشاء﴾. أي: يخلق الله (٣) ما يشاء مثل ذلك من الأمر، وهو: خلق

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٢٢٤

الولد من غير مسيس.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قضى أمرا﴾. إلى آخر الآية. ذكرنا ما فيه في سورة البقرة، عند قوله: ﴿بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا﴾ [البقرة: ١١٧]. الآية.

٤٨ - قوله (٤) تعالى: ﴿ويعلمه الكتاب﴾. الآية. قال ابن جريج، وغيره: أراد: الكتابة والخط (٥). وقيل: أراد كتابا آخر غير التوراة والإنجيل، من نحو: الزبور وغيره (٦).

---

(١) (وهؤلا خلق): ساقط من (ج).

(٢) انظر (مادة: بشر) في: "التهذيب" ١/ ٣٣٨، "اللسان" ١/ ٢٨٦.

(٣) لفظ الجلالة (الله): ليس في: (ج)، (د).

(٤) في (د): (وقوله).

(٥) قول ابن جريج، في "تفسير الطبري" ٣/ ٢٧٤، ولفظه: (قال: بيده). وقد ورد هذا التفسير عن عكرمة، يرويه عن ابن عباس، ولفظه: (الخط بالقلم)، وقد ورد كذلك عن: يحيى بن أبي كثير، ومقاتل، وعثمان بن عطاء. انظر: "تفسير ابن أبي حاتم" ٢/ ٦٥٣، وممن رجح هذا: البغوي في "تفسيره" ٢/ ٣٩، والفخر الرازي في "تفسيره" ٨/ ٥٩، واستظهره ابن كثير في "تفسيره" ١/ ٣٩١.

(٦) لم أهتد إلى قائل هذا القول. وقد أخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" ٢/ ٦٥٣ عن الحسن قوله: (الكتاب: القرآن). وفي "زاد المسير" ١/ ٣٩١ ذكر في المراد بـ ﴿الكتاب﴾ قول ابن جريج، وقولا آخر، وهو: (أنه كتب النبيين، وعلمهم)، وقال: (قاله ابن عباس). وذكر ابن عطية هذا القول الذي أورده الواحدي، وقال عنه: (وهو دعوى لا حجة عليها). "المحرر الوجيز" ٣/ ١٢٥.." [١]

"فإذا (١) نقلت (٢) إلى (فعل)، قلت: (ولاني مآخيره) (٣)، و (ولاني ميامنه) (٤)، فهو مثل: (فرح) و (فرحته) (٥)، ومثل هذا: قوله: ﴿ليولن الأدبار﴾ [الحشر: ١٢]، وقوله: ﴿ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٥]، إلا أن المفعول الثاني الزائد في نقل (فعل) (٦) إلى (فعل) محذوف من الآيتين، ولو لم يحذف لكان كقوله: ﴿يولوكم الأدبار﴾ (٧).

وقوله تعالى: ﴿ثم لا ينصرون﴾ محمول (٨) على الاستئناف، لا على

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٢٦٥

(١) في (ج): (وإذا).

(٢) في "إعراب القرآن" المنسوب للزجاج: نقلته.

(٣) في (أ)، (ب): (ما آخيره). والمثبت من: (ب)، (ج)، "إعراب القرآن". وفي "إعراب القرآن": (قلت: وليت مآخيره، وولاني مآخيره).

والمآخير: لم أقف على المراد بها في معاجم اللغة التي رجعت إليها، وقد ورد فيها (المئخار)، وهي النخلة التي يبقى حملها إلى آخر الصرام، أو يبقى إلى آخر الشتاء، وجمعها: مآخير.

انظر: "كتاب النخل"، لأبي حاتم السجستاني: ٩٢، وانظر مادة (أخر) في "اللسان" ١/ ٤٥، "التاج" ٦/ ١٧.

ولكن هذا المعنى ليس هو - المراد هنا، وإنما يراد بها هنا -والله أعلم- جهة الخلف من الإنسان: الظهر وما يليه. ويعزز هذا قوله بعده: (وولاني ميامنه).

(٤) ورد في "إعراب القرآن" المنسوب للزجاج: (ووليت ميامنه، وولاني ميامنه). والميامن: جمع (ميمنه)، وهي خلاف الميسرة في الإنسان. انظر: "اللسان" ٨/ ٤٩٦٧ (يمن).

(٥) في "إعراب القرآن" السابق، أضاف بعدها: (وليس مثل: لقي وألقيته ولقيته).

(٦) في (أ): (فعل). وفي (ب)، (ج): (غير مشكولة). وما أثبته هو الصواب.

(٧) فـ (الأدبار) مفعول ثان. انظر: "التبيان" للعكبري: ص ٢٠٤، "الدر المصون" ٣/ ٣٥٢.

(٨) من قوله: (محمول ..) إلى (ثم لا ينصرون): ساقط من (ج).." [1]

"﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾.

قال ابن عباس (١): يريد: من خلفكم. يقال (٢): (جاء فلان في آخر الناس)، و (آخرة (٣) الناس)، و (أخرى الناس)، و (أخراة الناس) (٤).

وقوله تعالى: ﴿فأثابكم﴾ الإثابة: أكثر ما تستعمل (٥) في الخير، ويجوز استعماله في الشر، لأن أصله: ما يرجع من الجزاء على الفعل، طاعة كان أو معصية، ولكنه كثر في جزاء الطاعة (٦)، كما تقول في (الطرب)، فإن أصله: خفة تأخذ الإنسان، من فرح أو حزن (٧)، كما قال (٨):

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٥٠١

(١) لم أقف على مصدر قوله بهذا النص. والذي في "تفسير الطبري" ٤/ ١٣٣من قوله -في تفسيرها-: (إلي عباد الله!) وقد يفهم من هذا القول أنه يناديهم من خلفهم، وهو ما فهمه الطبري، حيث فسرها بذلك، ثم أورد قول ابن عباس -السابق- دليلا على ذلك. انظر: "تفسيره" ٤/ ١٣٣.

(٢) من قوله: (يقال ..) إلى (.. وأخراة الناس): بنصه في: "تفسير الثعلبي" ٣/ ١٣٣ أ. وأورده القرطبي في "تفسيره" ٤/ ٢٤٠. وعندهما زيادة: (.. وأخريات الناس).

(٣) في (ج): (احرة). وفي "تفسير الثعلبي" (أخرة) وعند القرطبي: (أخرة). وما ورد في (أ)، (ب) مما أثبته، قد ورد في مصادر اللغة. يقال: (جاء أخرة، وبأخرة، وأخرة، وبأخرة)؛ أي: جاء آخر كل شيء. ويقال: (جاء أخرا، وبآخرة)، ويقال: (وآخرة السرج، أو الرحل).

انظر: (أخر) في: "اللسان" ١/ ٣٩، و"التاج" ٦/ ١٧.

(٤) (وأخرى الناس وأخراة الناس): ساقط من (ج). وقوله: (وأخراة الناس) ليس في "تفسير القرطبي".

و (أخراة) مثل (أخرى)؛ مؤنث (الآخر). انظر: "التاج" ٦/ ١٧ (أخر).

(٥) في (ج): (يستعمل).

(٦) انظر: (ثوب) في: "تهذيب اللغة" ١/ ٤٦٥، و"اللسان" ١/ ٥١٩.

(٧) انظر: (طرب) في: "التهذيب" ٣/ ٢١٧٤، و"اللسان" ٥/ ٢٦٤٩.

(٨) في (ب): (يقال).." [1]

"طرب الواله أو كالمختبل (١)

إلا أنه كثر استعماله في خفة الفرح، ونشاط السرور (٢).

وقال أصحاب المعاني (٣): معنى قوله: ﴿فأثابكم غما بغم﴾؛ أي: جعل مكان ما ترجون من الثواب، الغم؛ كما تقول: (تحيتك الضرب)، و (عتابك السيف) (٤)؛ أي: تجعل هذا مكان ذاك. قال عمرو بن معد يكرب (٥):

وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع (٦)

---

(١) شطر بيت للنابغة الجعدي. وصدره:

وأراني طربا في إثرهم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٨٠

وقد ورد في: شعره: ٩٣. وورد منسوبا له في: "أدب الكاتب" ١٨، و"تهذيب اللغة" ٣/ ٢١٧٤ (طرب)، و"الاقتضاب" ٣/ ١٤، و"اللسان" ٥/ ٢٦٤٩ (طرب). وروايته في شعره: (فأراني ..).
(الواله): الذي ذهب عقله، أو قارب الذهاب؛ لفقد حبيبه، أو ولده، وهو (الثاكل).
و (المختبل): الذي خبله الحزن فجننه وأفقده عقله، أو هو الذي قطع عضو من أعضائه. وهذا التفسير الثاني، قال في: "الاقتضاب" إنه (أجود في هذا ،الموضع؛ ليختلف المعنيان).
انظر: "الاقتضاب" ٤/ ١٣٤، و"القاموس" ٩٧٢ (ثكل)، ٩٩٠ (خبل).
(٢) انظر: (مادة: طرب) في المصادر السابقة
(٣) انظر: "تفسير الطبري" ٤/ ١٣٤، و"معاني القرآن" للنحاس ١/ ٤٩٧، و"بحر العلوم" ١/ ٣٠٨، و"تفسير الثعلبي" ٣/ ١٣٣ ب.
(٤) وهذا من كلام العرب السائر. كما يقول أبو زيد في: النوادر: ١٤٩.
(٥) أبو ثور الزبيدي، تقدم.
(٦) ورد البيت في: شعره ١٤٩. وقد ورد منسوبا له في:
"كتاب سيبويه" ٣/ ٥٠، و"النوادر" لأبي زيد ١٥٠، و"العمدة" لابن رشيق ٢/ ١٠٥٦، و"الممتع في صنعة الشعر" ١٥٩. =." (١)

"والثاني: هم أحياء عند ربهم؛ أي: في علمه بعملهم، -كذلك- كما تقول: (هذا عند الشافعي كذا)؛ أي: في علمه وقوله.
وقل (١): معنى ﴿عند ربهم﴾: أنهم أحياء في دار كرامته، فمعنى (عند): معنى القرب والإكرام، بحضور دار السلام.

١٧٠ - وقوله تعالى: ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ الاستبشار: السرور بالبشارة (٢) يبشر بها. وأصل الاستفعال: طلب الفعل.
فالمستبشر بمنزلة الذي طلب السرور فوجده بالبشارة (٣).
وفي هذا ثلاثة أقوال:
أحدها: أنهم يفرحون بإخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء، يقولون: إخواننا يقتلون كما قتلنا، فيصيبون من

---
(١) التفسير البسيط الواحدي ٨١/٦

كرامة الله ما أصبنا. وهذا قول:

---

(١) لم أقف على القائل.

(٢) في (ج): (بمنزلة البشارة). بدلا من (السرور بالبشارة).

(٣) يرى ابن عطية أن (استفعل) -هنا- ليس بمعنى: طلب البشارة، بل بمعنى الفعل المجرد، مثل: (استغنى الله) أي: غني.

وقد ورد في اللغة: (بشر، واستبشر)، بمعنى واحد، وهو: فرح.

إلا أن أبا حيان يرى أن هذا المعنى لا يتعين، وأجاز أن يكون (استبشر) فعلا مطاوعا لـ (أبشر)؛ أي: أبشره الله، فاستبشر؛ كقولهم: (أكانه الله فاستكان)، و (أراحه فاستراح). واستظهر أبو حيان هذا؛ لأن المطاوعة تدل على الانفعال عن الغير، فحصلت له البشرى بإبشار الله له بذلك، ولا يلزم المعنى إذا كان بمعنى الفعل المجرد لعدم دلالته على المطاوعة.

انظر: "المحرر الوجيز" ٣/ ٢٢١، و"لسان العرب" ١/ ٢٨٧ (بشر)، و"البحر المحيط" ٣/ ١١٥.." [١]

"واختلف القراء في هذه الآية:

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو -كلاهما-: بالياء وضم الباء، من ﴿يحسبنهم﴾ (١).

ووجه (٢) هذه القراءة: أنهما لم يعديا (حسبت) إلى مفعوليه اللذين (٣) يقتضيهما؛ لأنهما جعلا قوله -تعالى- (٤): ﴿فلا يحسبنهم﴾ (٥) بدلا من

= وابن المنذر، والبيهقي في "الشعب".

وقد ورد حول سبب النزول أقوال أخرى. انظرها في: "تفسير الطبري" ٤/ ٢٠٥ - ٢٠٨، و"تفسير البغوي" ٢/ ١٥٠، و"أسباب النزول" للمؤلف ١٤٠ - ١٤٢، و"الدر المنثور" ٢/ ١٩١ - ١٩٣.

قال ابن حجر عن الأثر الوارد عن أبي سعيد وابن عباس والآخرين: (ويمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معا، وبهذا أجاب القرطبي وغيره). وقال -عن هذين الأثرين، وعن بقية الآثار الواردة في سبب نزولها-: (ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة، وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح **بها فرح إعجاب**، أحب أن يحمده الناس، ويثنوا عليه بما ليس فيه. والله أعلم).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧١/٦

"فتح الباري" ٨/ ٢٣٣، وانظر: "تفسير القرطبي" ٤/ ٣٠٦ - ٣٠٧، و"تفسير ابن كثير" ١/ ٤٧٣.
(١) أي: قرآ: ﴿ولا يحسبن﴾، و ﴿فلا يحسبنهم﴾ بكسر السين فيهما. انظر: "السبعة" ٢١٩، و"الحجة " للفارسي ٣/ ١٠٠ - ١٠١، و"حجة القراءات" ١٨٦ - ١٨٧. وضبطت الكلمتان بفتح السين في: "إعراب القراءات السبع" لابن خالويه ١/ ١٢٥.
(٢) من قوله: (ووجه ..) إلى (.. فيستقيم فيه تقدير العطف): نقله -بتصرف- عن "الحجة" للفارسي ٣/ ١٠٤ - ١٠٥.
(٣) في (ج): (الذين).
(٤) (تعالى): ليست في: (ج).
(٥) (أ)، (ب): (تحسبنهم) -بالتاء وكسر السين-. ولم ترد قراءة بهذه الصورة. وفي (ب): (تحسبنهم). وفي (ج): مهملة من النقط والشكل. ولكن المؤلف -هنا- يتحدث عن توجيه قراءة ابن كثير وأبي عمرو، فالصواب ما أثبته، والله أعلم.." [١]

"ولا تعلق للقدرية بهذه الآية؛ لأن الحسنة والسيئة المذكورتين هنا لا ترجعان إلى الطاعة والمعصية وأكساب العباد بحال، ولا يجوز ذلك (١) قال ابن الأنباري: لأن الحسنة التي يراد بها الخير والطاعة لا يقال فيها: أصابتني، إنما يقال: أصبتها ، وليس في كلام العرب: أصابت فلانا حسنة على معنى: عمل خير، وكذلك: أصابته سيئة، على معنى عمل معصية، غير موجود في كلامهم، إنما يقولون: أصاب سيئة، إذا عملها واكتسبها، واللغة تروى، ولا تعمل عملا، فانفساخ قول القدرية واضح بين.
وأكد الحسين بن الفضل هذا المعنى فقال: لو كانت الآية على ما يقول أهل القدر لقال: ما أصبت، ولم يقل: ما أصابك؛ لأن العادة جرت بقول الناس: أصابني بلاء ومكروه، **وأصابني فرح ومحبوب**، ولا يكاد يسمع: أصابني الصلاة والزكاة، والطاعة والمعصية، فالحسنة والسيئة في هذه الآية ماستان مصيبتان، ولا ممسوستان مصابتان، وإذا كانتا بهذه الصفة لم يكن بيننا وبين أهل القدر خلاف أنهما تكونان من فعل الله تعالى وخلقه، كالخصب والجدب، والنصر والهزيمة.
وإذا صح هذا كان معنى قوله: ﴿فمن نفسك﴾ على ما ذكره المفسرون وأرباب المعاني، وبطل تعلقهم بالآية.
ومن المفسرين من أضمر في الآية شيئا، وهو ما يروى عن أبي صالح أنه قال: ﴿وما أصابك من سيئة فمن

---
(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٤٥/٦

نفسك﴾ وأنا قدرتها عليك (٢).

---

(١) انظر: "الكشف والبيان" ٤/ ٨٩ ب، "معالم التنزيل" ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣، "التفسير الكبير" ١٠/ ٩٠ - ١٩٢.

(٢) أخرجه الطبري ٥/ ١٧٥ - ١٧٦؛ وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٢/ ٣٣٠ - ٣٣١ أيضا إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقد ورد =." [١]

"وقال أبو بكر (١): قال النحويون: يوم العيد معناه اليوم الذي يعود **فيه الفرح والسرور**. والعيد عند العرب الذي يعود **فيه الفرح والحزن**، قال: وكأن الأصل في العيد العود؛ لأنه من عاد يعود، فلما سكنت الواو انكسر ما قبلها صارت ياء (٢) كقولهم: ميزان، وميقات وميعاد (٣).

وقوله تعالى: ﴿وآية منك﴾ أي: دلالة على توحيدك وصحة نبوة نبيك (٤). وقوله تعالى: ﴿وارزقنا﴾ قال ابن عباس: وارزقنا عليها طعاما نأكله (٥).

١١٥ - قوله تعالى: ﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ وقرئ بالتشديد (٦)، فمن خفف فلقوله: ﴿أنزل علينا مائدة من السماء﴾ فقال: ﴿إني منزلها﴾ ليكون الجواب كالسؤال، ومن شدد فلأن نزل وأنزل في القرآن قد استعمل كل واحد منهما موضع الآخر (٧)؛ ولأنها نزلت مرات كما يروى في القصة، فكأن التشديد دل على التكرير.

وقوله تعالى: ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ بعد إنزال المائدة.

وقوله تعالى: ﴿فإني أعذبه عذابا﴾ إلى أخر الآية قال، ابن عباس:

---

(١) ابن الأنباري كما في "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٢٧١ (عاد).

(٢) إلى هنا انتهى كلام ابن الأنباري حسب ما في "تهذيب اللغة".

(٣) الكلام من قوله: "قال الليث .. " إلى هنا من "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٢٧٠ - ٢٢٧١ (عاد).

(٤) انظر: "بحر العلوم" ١/ ٤٦٨.

(٥) "تفسير الوسيط" ٢/ ٢٤٦.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٦١٧

(٦) قرأ بالتشديد نافع وعاصم وابن عامر، وقرأ الباقون بالتخفيف. "الحجة للقراء السبعة" ٣/ ٢٨٢، و"حجة القراءات" ص ٢٤٢.

(٧) "الحجة" ٣/ ٣٨٢.." [1]

"أي: فرح بهم). لعلى هذا التقدير: يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي: بار بهم لطيف.

قال ابن الأعرابي: (يقال: حفي بي حفاوة، وتحفى بي تحفيا، والتحفي: الكلام واللقاء الحسن) (١)، ومنه قوله: ﴿إنه كان بي حفيا﴾ [مريم: ٤٧]. أي: بارا لطيفا يجيب (٢) دعائي إذا دعوته، وهو (٣) قول الحسن (٤) وقتادة (٥) والسدي (٦)، ويؤيد هذا القول ما روي في "التفسير": (إن قريشا قالت لمحمد: إن بيننا وبينك قرابة، فأسر إلينا متى الساعة؟ فقال الله تعالى: ﴿يسألونك كأنك حفي﴾) (٧)، أي: كأنك صديق لهم، بار بهم، فهم يدلون إليك بالقرابة في طلب علم الساعة يعني: أنك لا تكون حفيا

= كأنك تحفي. وجاء عن ابن عباس أنه قال: كأنك حفي بهم أي: فرح بهم حين يسألونك. ويقال للقاضي والحاكم: الحافي، وقد تحفينا إلى فلان إذا تحاكمنا) اهـ.

(١) "تهذيب اللغة" ١/ ٨٥٩، وانظر: "العين" ٣/ ٣٠٥، و"مجالس ثعلب" ص ٣٥٠. و"المنجد" لكراع ص ١١٧، "الجمهرة" ١/ ٥٥٧، و"الصحاح" ٦/ ٢٣١٦، و"المجمل" ١/ ٢٤٣، و"مقاييس اللغة" ٢/ ٨٣، و"المفردات" ص ٢٤٥، و"اللسان" ٢/ ٩٣٥ (حفا).

(٢) في (ب): (ويجيب).

(٣) في (ب): (وهذا).

(٤) ذكره هود الهواري ٢/ ٦٣، والرازي ١٥/ ٨٢.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ١/ ٢/ ٢٤٥ بسند جيد. وذكره ابن عطية ٦/ ١٦٧، والرازي ١٥/ ٨٢.

(٦) أخرجه الطبري ٩/ ١٤١ بسند جيد، وذكره الرازي ١٥/ ٨٢.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢/ ٢٤٥، والطبري ٩/ ١٤٠، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٢٨ من طرق جيدة عن قتادة وهو مرسل.." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٩٧/٧

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٥٠١/٩

"وقال أبو عبيدة: (هو (١) من قولهم: تحفى فلان بالمسألة أي: استقصى) (٢).

وقال ابن الأنباري: (﴿كأنك حفي عنها﴾، أي: سؤول عنها، والحفي الشديد السؤال، ومن ذلك قول الأعشى (٣):

فإن تسألي عني في رب سائل ... حفي عن الأعشى به حيث أصعدا) (٤)

وذكر أبو إسحاق القولين وقرب بينهما فقال: (﴿كأنك حفي﴾ أي: **كأنك فرح بسؤالهم**، يقال: قد تحفيت بفلان في المسألة (٥) إذا سألت عنه سؤالا، أظهرت فيه المحبة والبر، قال: وأحفى فلان بفلان في المسألة فإنما تأويله: الكثرة، قال: وقيل: ﴿كأنك حفي عنها﴾ كأنك أكثرت المسألة عنها) (٦)؛ فالقولان راجعان إلى كثرة السؤال؛ لأن العالم بالشيء هو الذي أكثر السؤال عنه حتى تيقنه، واللطيف البار بالإنسان بكثير (٧) السؤال عنه

---

(١) في (أ): (وهو).

(٢) "تفسير الرازي" ١٥/ ٨٢، وفي "مجاز القرآن" ١/ ٢٣٥ قال: (أي: حفي بها ومنه قولهم: تحفيت به في المسألة) اهـ.

(٣) "ديوان الأعشى الكبير" ص ١٥١، و"العين" ٣/ ٣٠٦، و"تهذيب اللغة" ١/ ٨٥٩، و"الصحاح" ٦/ ٢٣١٦، و"المجمل" ١/ ٢٤٣، و"مقاييس اللغة" ٢/ ٨٣، و"الفريد" ٢/ ٣٩٢، و"تفسير القرطبي" ٧/ ٣٣٦، و"اللسان" ٢/ ٩٣٥ - ٩٣٦ (حقا)، و"الدر المصون" ٥/ ٥٣٢، وحفي أي: سأل عن حاله مبالغ في إكرامه والتلطف به، وأصعد أي: ذهب في البلاد.

(٤) "شرح القصائد" ص ٤٤٧، و"الزاهر" ١/ ٣٤٨، و"تهذيب اللغة" ١/ ٨٥٩، قال في "شرح القصائد" أي: كأنك معني بها مستقص في السؤال عنها.

(٥) في (ب): (بالمسألة).

(٦) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٧) في (ب): (بكثرة)، وهو تحريف.." [١]

"٤٢٣ - أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق، أنا أبو عمرو بن نجيد، نا محمد بن أيوب، أنا حوثرة بن أشرس، حدثني سويد أبو حاتم، عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير، عن أبيه، عن جده، أن رجلا قال:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٠٣/٩

" يا رسول الله أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل، قال: فأي المؤمنين أكمل إيمانا؟ قال: أحسنهم خلقا "

قوله: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ [التوبة: ٨٠] الآية، قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد خيرني في الاستغفار للمنافقين، وسأزيد على السبعين لعل الله أن يغفر لهم» .

فأنزل الله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾ [المنافقون: ٦] الآية، وذكر السبعين حصر لهذا العدد، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والله لأزيدنهم على السبعين؟» .

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ﴿٨١﴾ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٨٢﴾ فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴿٨٣﴾ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴿٨٤﴾ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴿٨٥﴾ ﴾ [التوبة: ٨١-٨٥] **قوله: فرح المخلفون** يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فالمخلف المتروك خلف من مضى، وقوله: بمقعدهم أي: بقعودهم، والمقعد ههنا مصدر بمعنى القعود، خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الزجاج، وقطرب، والمؤرج: مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سار، وأقاموا.

وقال أبو عبيدة، والأخفش: خلاف رسول." (١)

"وقال حبيب بن أبي ثابت: إن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه، فكان يرفعهما بخرقة، فقال له بعض جيرانه: قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان.

فأوحى الله إليه: يا يعقوب، تشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي.

قال: غفرت لك.

فكان بعد ذلك إذا سئل قال: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦] .

وقال وهب بن منبه: أوحى الله إلى يعقوب أتدري لما عاقبت وحبست يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٥١٥/٢

قال: لأنك شويت وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه.
ويقال: إن سبب ابتلاء يعقوب أنه كانت له بقرة ولها عجل فذبح عجلها بين يديها وهي تخور، فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله به وابتلاه بأعز ولده، والبث أشد الحزن وهو ما يبديه الإنسان ويظهره لأنه إذا اشتد لم يصبر على كتمانه حتى يبثه، من قولهم: بث الحديث.
إذا نشره.
وقوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ [يوسف: ٨٦] أنتم، قال الكلبي: وذلك أن ملك الموت أتاه فقال له: يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف فيما قبضت من الأرواح؟ قال: لا يا نبي الله.
وقال ابن عباس: وأعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني وأنتم سنسجد له.
وقال عطاء: وأعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون.
قال السدي: لما أخبر يعقوب بنوه بسيرة ملك مصر طمع أن يكون يوسف فلذلك قال لبنيه ﴿اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ [يوسف: ٨٧] .
قال أبو عبيد: تحسست الخبر: بحثته وطلبته لأجده.
وقال ابن عباس: ابحثوا عن يوسف.
﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ [يوسف: ٨٧] قال الأصمعي: الروح الاستراحة من غم القلب.
وقال أبو عمرو: الروح الفرح.
قال ابن عباس: يريد من رحمة الله.
وهو قول قتادة، والضحاك، وقال أبو زيد: فرج الله.
والمعنى: لا تيئسوا من الروح الذي يأتي به الله ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧] قال ابن عباس: يريد: أن المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد، ويشكره ويحمده في الرخاء، وأن الكافر ليس كذلك، قال المفسرون: لما قال أبوهم اذهبوا فتحسسوا من يوسف فخرجوا إلى مصر، ﴿." (١)

"يسأل الله العباد فيم استعملوها.
في هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم، وإرادة ما لا يجوز.
قوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحا﴾ [الإسراء: ٣٧] المرح شدة الفرح، قال ابن عباس: يريد بالكبرياء

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٦٢٩/٢

والعظمة.

وقال الزجاج: ولا تمش في الأرض مختالا فخورا.

﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ [الإسراء: ٣٧] الخرق الشق، يقال: خرق ثوبه إذا شقه.

قال ابن عباس: لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها.

﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ [الإسراء: ٣٧] بعظمتك وإنما أنت مخلوق عبد ذليل، والمعنى: أنك لا تقدر أن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها، ولا أن تطول الجبال، فلا تستحق الكبر والبذخ، ﴿كل ذلك﴾ [الإسراء: ٣٨] إشارة إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه، كان سيئه قرئ بالإضافة والتنوين، قال الزجاج: والإضافة أحسن، لأن فيما تقدم من الآيات سيئا وحسنا، سيئه هو المكروه، ويقوى ذلك التذكير في المكروه.

ومن قرأ بالتنوين ج؏ل كلا إحاطة بالمنهي عنه دون الحسن، المعنى: كل ما نهى الله عنه كان سيئه فكان مكروها، والمكروه على هذه القراءة بدل من السيئة، وليس بنعت.

قوله: ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾ [الإسراء: ٣٩] ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك﴾ [الإسراء: ٣٩] يعني ما تقدم ذكره من الفرائض والسنن، من الحكمة من القرآن ومواعظه، ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر﴾ [الإسراء: ٣٩] هذا خطاب لكل واحد من المؤمنين، كأنه قال: ولا تجعل أيها الإنسان.

ثم خاطب المشركين الذين زعموا أن الملائكة بنات الله منكرا عليهم، فقال: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ﴿٤٠﴾ ولقد صرفنا في هذا القرءان ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا ﴿٤١﴾ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴿٤٢﴾ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴿٤٣﴾ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٠-٤٤] ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ [الإسراء: ٤٠] يقال: أصفاه بالشيء إذا آثره به.

قال أبو عبيدة: أفأصفاكم خصكم.

وقال المفضل: أخلصكم.

وهذا توبيخ للكفار، يقال: اختار لكم ربكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينه وبينكم، فاختصكم بالأجل، وجعل لنفسه الأدون؟ إنكم لتقولون بهذا الزعم الباطل، قولا عظيما يعظم خطؤه وإثمه.

قوله: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرءان﴾ [الإسراء: ٤١] أي: صرفنا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها مما يوجب الاعتبار به، ومعنى التصريف ههنا التبيين، لأنه إنما يصرف القول ليبين، وقوله: ﴿ليذكروا﴾ [الإسراء: ٤١] ليتعظوا، ويتدبروه بعقولهم، ويتفكروا فيه، وقراءة حمزة بالتخفيف بهذا المعنى كقوله: ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه﴾ [البقرة: ٦٣] وقوله: ﴿وما يزيدهم إلا نفورا﴾ [الإسراء: ٤١] قال ابن عباس: ينفرون من الحق، ويتعبون الباطل.." (١)

"الشافعي، نا عبد الله بن رجاء، عن عبيد الله بن عمر، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قرأنا على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سنتين ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله﴾ . . . . الآية، ثم نزلت: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾ ، فما رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فرح بشيء فرحه بها، وبـ: إنا فتحنا لك فتحا مبينا، قال قتادة: إلا من تاب من ذنبه، وآمن بربه، وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه
﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ [الفرقان: ٧٠] قال: التبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه، والخير يعمله بعد الشر.

وقال الحسن: أبدلهم بالعمل السيئ العمل الصالح، وبالشرك إخلاصا وإسلاما، وبالفجور إحصانا.

وقال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: يبدل الله سيآتهم يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام بالشرك إيمانا، وبقتل النفس التي حرم الله قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصانا.

وذهب قوم إلى أن الله تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة، وهو قول سعيد بن المسيب، ومكحول، وعمرو بن ميمون، واحتجوا بالحديث الصحيح الذي

٦٧١ - أخبرناه أبو منصور بن طاهر التميمي، أنا أبو عمر بن مطر، نا إبراهيم بن علي الذهلي، نا يحيى بن يحيى، نا وكيع، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، ويخبأ عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن لي كبار ذنوب ما أراها ههنا، قال: فلقد رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يضحك حتى بدت نواجده، رواه مسلم، عن ابن نمير، عن أبيه، عن الأعمش

٦٧٢ - أخبرنا أحمد بن إبراهيم المهرجاني، أنا عبيد الله بن محمد بن بطة، نا أبو القاسم ابن بنت منيع،

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٠٨/٣

أنا محمد بن هارون الجدي، نا أبو المغيرة الحمصي، نا صفوان بن عمرو، نا عبد الرحمن بن جبير، أن رجلا أتى النبي، صلى الله عليه وسلم، طويل شطب ممدود، فقال: " أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها فلم يترك منها وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه، فهل لذلك من توبة؟ قال: هل أسلمت؟ قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، قال: نعم، تفعل الخيرات، وتترك الشرات يجعلهن الله لك خيرات، قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: نعم، فقال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى "

قوله: ﴿ومن تاب وعمل صالحا﴾ [الفرقان: ٧١] قال ابن عباس في رواية عطاء: ومن آمن.

يعني: ممن لم يقتل، ولم يزن وعمل." (١)

"غلبت، يعني أن غلبة أحد الفريقين الآخر أيهما كان الغالب أو المغلوب فإن ذلك كان بأمر الله وإرادته، وقضائه وقدرته، ويومئذ يعني: يوم تغلب الروم فارس، ﴿يفرح المؤمنون ﴿٤﴾ بنصر الله﴾ [الروم: ٤-٥] الروم على فارس، قال السدي: فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر، وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك بنصر الله.

﴿ينصر من يشاء وهو العزيز﴾ [الروم: ٥] الغالب، الرحيم بالمؤمنين، قال الزجاج: وهذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عند الله، لأنه أنبأ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله عز وجل.

٧١٨ - أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني، أنا عبيد الله بن محمد بن عمر الزاهد، أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا محمد بن سليمان بن لوين، نا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، عن دينار بن مكرم، وكانت له صحبة، قال: لما نزلت: الم غلبت الروم خرج بها أبو بكر إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، قال: الله أنزل هذا وكانت فارس قد غلبت الروم، فاتخذوهم شبه العبيد وكان المشركون يحبون أن لا تغلب الروم فارس؛ لأنهم أهل جحد وتكذيب بالبعث، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب وتصديق بالبعث، فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، قال أبو بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، قالوا: الوسط في ذلك ستة لا أقل ولا أكثر، قال: فوضعوا الرهان، وذلك قبل أن يحرم الرهان، فرجع أبو بكر، رضي الله عنه، إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقالوا: بئس ما صنعت، ألا أقررتها كما قال الله: لو شاء الله أن يقول ستا لقال، فلما كانت سنة ست لم تظهر الروم على فارس فأخذوا الرهان، فلما كان سنة سبع ظهرت الروم على فارس

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٣٤٧

فذلك قوله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾
قوله: وعد الله أي: وعد الله ذلك وعدا، ﴿لا يخلف الله وعده﴾ [الروم: ٦] في ظهور الروم على فارس، ﴿ولكن أكثر الناس﴾ [الروم: ٦] يعني: كفار مكة، لا يعلمون أن الله لا يخلف وعده في إظهار الروم على فارس.
ثم وصف كفار مكة، فقال: ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ [الروم: ٧] يعني: معايشهم وما يصلحهم، وقال الحسن: يعلمون متى زرعهم، ومتى حصادهم.
وروي عنه أنه قال: بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم بيده، فيخبرك بوزنه، ولا يحسن أن يصلي.
وقال الضحاك: يعلمون بنيات قصورها، وتشقيق أنهارها، وغرس أشجارها.
وقال الزجاج: يعلمون معايش الحياة، لأنهم كانوا يعالجون التجارات، فأعلم الله مقدار ما يعلمون.
﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧] حين لم يؤمنوا بها، ولم يعدوا لها.
ثم وعظهم ليعتبروا، فقال: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴿٨﴾ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما." (١)

"يأيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١] فقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك﴾ [الروم: ٣٠] معناه: فأقيموا وجوهكم، منيبين إليه راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى، وأداء الفرض، وهو قوله: ﴿واتقوه وأقيموا الصلاة﴾ [الروم: ٣١] .
ثم أخبر أنه لا ينفع ذلك إلا بالإخلاص في التوحيد، فقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين ﴿٣١﴾ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ [الروم: ٣١-٣٢] تقدم تفسيره في آخر ﴿ [الأنعام،] كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [سورة الروم: ٣٢] قال مقاتل: كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون.
﴿وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ﴿٣٣﴾ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴿٣٤﴾ أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴿٣٥﴾ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴿٣٦﴾ أولم

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٢٨/٣

يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿٣٧﴾ ﴾ [الروم: ٣٣-٣٧]
قوله: ﴿وإذا مس الناس﴾ [الروم: ٣٣] يعني: كفار مكة، ضر وقحط وسنة، ﴿دعوا ربهم منيبين إليه﴾ [الروم: ٣٣] أي: لا يلتجئون في شدائدهم إلى أوثانهم التي يعبدونها مع الله، إنما يرجعون في دعائهم إلى الله وحده، ﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ [الروم: ٣٣] إذا أعطاهم من عنده المطر، ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ [الروم: ٣٣] تركوا توحيد ربهم في الرخاء وقد وحدوه في الضر.
﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ [الروم: ٣٤] ذكرنا تفسيره في آخر ﴿ [العنكبوت.
ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد بقوله:] فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ [سورة الروم: ٣٤] حالكم في الآخرة.
﴿أم أنزلنا عليهم﴾ [الروم: ٣٥] على هؤلاء، سلطانا حجة وكتابا من السماء، ﴿فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ [الروم: ٣٥] يقولون من الشرك، يعني يأمرهم به، وهذا استفهام إنكار، أي ليس الأمر على هذا.
ثم ذكر بطرهم عند النعمة، ويأسهم عند الشدة بقوله: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها﴾ [الروم: ٣٦] **يعني: فرح البطر** وترك الشكر، ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ [الروم: ٣٦] شدة وبلاء، ﴿بما قدمت أيديهم﴾ [الروم: ٣٦] بما عملوا من السيئات، ﴿إذا هم يقنطون﴾ [الروم: ٣٦] قنطوا من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة.
ثم وعظهم، فقال: ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ [الروم: ٣٧] والآية ظاهرة.
﴿فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ﴿٣٨﴾ وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴿٣٩﴾ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٨-٤٠] قوله: ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ [الروم: ٣٨] أي: من الصلة والبر، والمسكين قال مقاتل: حقه أن يتصدق عليه.
وابن السبيل يعني الضيافة، ذلك خير إعطاء الحق خير وأفضل من الإمساك، ﴿للذين يريدون وجه الله﴾ [الروم: ٣٨] يطلبون." (١)

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٣٤/٣

"ابن عباس: يريد: يبدءون بالظلم.

﴿ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ [الشورى: ٤٢] يعملون فيها بالمعاصي.

ولمن صبر فلم ينتصر، ﴿وغفر إن ذلك﴾ [الشورى: ٤٣] الصبر والتجاوز، ﴿لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣] قال مقاتل: من الأمور التي أمر الله بها.

وقال الزجاج: الصابر يؤتى بصبره ثوابا، فالرغبة في الثواب أتم عزم.

﴿ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴿٤٤﴾ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم ﴿٤٥﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴿٤٦﴾ ﴾ [الشورى: ٤٤-٤٦] .

﴿ومن يضلل الله﴾ [الشورى: ٤٤] عن الهدى، ﴿فما له من ولي من بعده﴾ [الشورى: ٤٤] فما له من أحد يلي هدايته، بعد إضلال الله إياه، وترى الظالمين المشركين، ﴿لما رأوا العذاب﴾ [الشورى: ٤٤] في الآخرة، يسألون الرجعة إلى الدنيا، يقولون: ﴿هل إلى مرد من سبيل﴾ [الشورى: ٤٤] .

﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ [الشورى: ٤٥] على النار، قبل دخولهم النار، ﴿خاشعين من الذل﴾ [الشورى: ٤٥] ساكنين، متواضعين، ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ [الشورى: ٤٥] يعني: خفي النظر لما عليهما من الذل، يسارقون النظر إلى النار، خوفا منها، وذلة في أنفسهم، وعرف المؤمنون خسران الكافرين ذلك اليوم، فقالوا: ﴿إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم﴾ [الشورى: ٤٥] بأن صاروا إلى النار، وأهليهم في الجنة، بأن صاروا لغيرهم، قال الله تعالى: ﴿ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾ [الشورى: ٤٥] .

قوله: ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم﴾ [الشورى: ٤٦] ظاهر.

قوله: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير ﴿٤٧﴾ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشورى: ٤٧-٤٨] .." [(١)]

"نفس من يعز عليكم، إذا بلغت الحلقوم! وإذ لم يمكنكم ذلك بوجه، فاعلموا أن الأمر إلى غيركم، وهو الله عز وجل.

ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت، بقوله: ﴿فأما إن كان من المقربين ﴿٨٨﴾ فروح وريحان وجنة نعيم

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤/٥٩

﴿٨٩﴾ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴿٩٠﴾ فسلام لك من أصحاب اليمين ﴿٩١﴾ وأما إن كان من المكذبين الضالين ﴿٩٢﴾ فنزل من حميم ﴿٩٣﴾ وتصلية جحيم ﴿٩٤﴾ إن هذا لهو حق اليقين ﴿٩٥﴾ فسبح باسم ربك العظيم ﴿٩٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٦] .

﴿فأما إن كان﴾ [الواقعة: ٨٨] الذي بلغت روحه الحلقوم، ﴿من المقربين﴾ [الواقعة: ٨٨] عند الله.

﴿فروح﴾ [الواقعة: ٨٩] أي: فله روح، وهو الراحة والاستراحة، وقال مجاهد: الروح: الفرح.

﴿وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٩] يعني: الرزق في الجنة، وقال الحسن، وأبو العالية: يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه.

﴿وأما إن كان﴾ [الواقعة: ٩٠] المتوفى، ﴿من أصحاب اليمين ﴿٩٠﴾ فسلام لك من أصحاب اليمين ﴿٩١﴾ ﴾ [الواقعة: ٩٠-٩١] أي: أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة، وقال مقاتل: هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم، ويقبل حسناتهم.

﴿وأما إن كان من المكذبين﴾ [الواقعة: ٩٢] بالبعث، الضالين عن الهدى.

﴿فنزل من حميم﴾ [الواقعة: ٩٣] فالذي يعد له حميم جهنم.

وتصلية جحيم وإدخال لنار عظيمة، كما يقال: ويصلى سعيرا في قراءة من شدد.

١١٦٤ - أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي، أنا محمد بن محمد بن يعقوب الحافظ، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، نا علي بن المديني، نا عيسى بن يونس، نا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن ابن أبي ليلى، عن." (١)

"أيها الإنسان، وأنا أحكم الحاكمين، قال مقاتل: يقول: فما يكذبك أيها الإنسان بعد بيان الصورة الحسنة، والشباب، ثم الهرم بعد ذلك بالحساب.

والمعنى: ألا يتفكر في صورته، وشبابه، وهرمه فيعتبر، ويقول: إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني، ويحاسبني.

ومعنى: ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ [التين: ٧] : ما الذي يجعلك تكذب بالمجازاة بعد هذه الحجج؟

﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ [التين: ٨] بأقضى القاضين، قال مقاتل: يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد.

١٣٩٣ - أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد السعدي، أنا محمد بن عبد الله بن محمد بن الفتح بن

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢٤٢/٤

الشخير، نا محمد بن بيان بن مسلم، نا الحسن بن عرفة، نا عبد الرحمن بن مهدي، عن مالك، عن الزهري، عن أنس بن مالك، قال: لما نزلت سورة التين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح لها فرحا شديدا حتى تبين لنا شدة فرحه فسألنا ابن عباس عن تفسيرها، فقال: والتين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين ﴿وطور سينين﴾ [التين: ٢] الذي كلم الله عز وجل موسى عليه ﴿وهذا البلد الأمين﴾ [التين: ٣] مكة ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤] محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ [التين: ٥] عبدة اللات والعزى ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ [التين: ٦] أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم ﴿فما يكذبك بعد بالدين ﴿٧﴾ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴿٨﴾ ﴾ [التين: ٧-٨] إذ بعثك فيهم نبيا وجمعك على التقوى يا محمد.." (١)

"وإنما خص الكافرين (١)؛ لأنهم هم المخاطبون بقوله: ﴿وإن (٢)﴾ كنتم في ريب لا أن (٣) النار لا تصيب المؤمن الفاسق، كتخصيص (٤) المؤمنين بقوله: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج﴾ الآية [الأعراف:٣٢] (٥).

٢٥ - فلما ذكر مآل الكافرين أعقبه مقر المؤمنين، جمعا بين الإنذار والتبشير على قضية قوله تعالى: ﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين،﴾ الآية [الكهف:٢]، فقال (٦):

(بشر)، أي: فرح قلوب الذين (٧).

والبشارة اسم للخبر الذي يقع به التبشير، وقد يستعمل في ما يسوء (٨)، قال الله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران:٢١]، وهو على المجاز (٩)، كقوله: ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ [الكهف:٢٩]، وقيل (١٠): هو على الحقيقة؛ لأن ما يسوء من الخبر يؤثر في بشرة الوجه أيضا.

﴿الصالحات:﴾ الطاعات (١١). (٦ ظ)

﴿أن لهم جنات:﴾ أي: بساتين كثيرة (١٢) الشجر، سمي جنة لاستتار بقاعه واجتنانها (١٣) بالأشجار والأنوار.

﴿تجري:﴾ تنسكب.

﴿من تحتها:﴾ تحت شجرها (١٤).

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٥٢٦/٤

(١) في قوله: أعدت للكافرين. وينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن ١/ ١٠٧، والمحرر الوجيز ١/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ١/ ٢٣٦.

(٢) النسخ الأربع: إن، والواو ساقطة. وهذا جزء من الآية السابقة.

(٣) في ك وب: لأن، بدل (لا أن).

(٤) في ب: لتخصيص، وهو تحريف.

(٥) تخصيص المؤمنين جاء بعد ذلك في الآية نفسها في قوله: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة.

(٦) في الآية التي بعدها: وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

(٧) ينظر: تفسير القرآن الكريم ١/ ٢٩٦، وتفسير القرطبي ١/ ٢٣٨.

(٨) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ١٠٨، ومجمع البيان ١/ ١٢٩، وزاد المسير ١/ ٤٠.

(٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ١/ ١٠٧.

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز ١/ ١٠٨.

(١١) تفسير القرآن الكريم ١/ ٢٩٧، والوجيز ١/ ٩٦، وتفسير الخازن ١/ ٣٢.

(21) في ك وع: كثير.

(١٣) في ك: واجتناها. وينظر: تفسير البغوي ١/ ٥٦، والقرطبي ١/ ٢٣٩، والنسفي ١/ ٣٠.

(١٤) ينظر: تفسير غريب القرآن ٤٣، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٢٩٧، والوجيز ١/ ٩٦.." (١)

"١٦٨ - ﴿الذين:﴾ نصب، بدل عن الأول (١).

﴿لإخوانهم:﴾ في النسبة، وبنو أعمامهم (٢). وقيل (٣): إخوانهم في النفاق الذين قاتلوا رياء لا جهادا فقتلوا.

و (القعود): الجلوس، ومجازه التخلف عن السعي في الأمور (٤).

﴿قل فادرؤا:﴾ «ادفعوا» (٥) ﴿الموت:﴾ المكتوب عليكم عن (٦) أنفسكم.

﴿إن كنتم صادقين:﴾ أنهم لو قعدوا لصرفوا القتل المكتوب عليهم عن (٧) أنفسهم.

١٦٩ - ﴿أحياء:﴾ رفع؛ لأنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: بل هم أحياء (٨). وقال الزجاج (٩): لو

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/١٢٣

كان منصوبا على تقدير: احسبهم أحياء، لكان جائزا، وليس كذلك؛ لأن الأمر من الحسبان غير جائز (١٠).

١٧٠ - و (الفرح): السرور (١١). و (الفرح) (١٢): ذو الفرح، كالورع والوجل.

﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم:﴾ أي: كما يفرحون بأحوال أنفسهم فكذلك يفرحون بما يبشرهم الله به من الوعد لإخوانهم ﴿ألا خوف عليهم﴾ (١٣).

١٧٢ - ﴿الذين استجابوا:﴾ نعت للمؤمنين (١٤).
واستجابتهم حين ندبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال قريش ببدر الصغرى، وهو ماء لبني كنانة عليها بطن منهم (١٥). وقيل: إن قريشا لما رجعوا من أحد وكانوا (١٦) بالروحاء قال بعضهم

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١/ ١٧٨، والتبيان في تفسير القرآن ٣/ ٤٤، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٢٣٠ - ٢٣١.
(٢) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٣٦٩، والكشاف ١/ ٤٣٨، وتفسير القرطبي ٤/ ٢٦٧.
(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ٢٠١، والكشاف ١/ ٤٣٨، وتفسير القرطبي ٤/ ٢٦٧.
(٤) ينظر: لسان العرب ٣/ ٣٥٧ (قعد).
(٥) غريب القرآن وتفسيره ١١١، ومعاني القرآن الكريم ١/ ٥٠٨، والعمدة في غريب القرآن ١٠٣.
(٦) في ك: من.
(٧) ساقطة من ب. وينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٤٥، والكشاف ١/ ٤٣٨ - ٤٣٩.
(٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٤٦، والمحرر الوجيز ١/ ٥٤٠، والبحر المحيط ٣/ ١١٨.
(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٨.
(١٠) ينظر: الإغفال ١/ ٥٨٩، والمحرر الوجيز ١/ ٥٤٠، والبحر المحيط ٣/ ١١٨.
(١١) ينظر: زاد المسير ٢/ ٥٦، وتفسير القرطبي ٤/ ٢٧٥.
(١٢) مكررة في الأصل وع.
(١٣) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٣٧٢، والقرطبي ٤/ ٢٧٥.

(١٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٩، وتفسير البغوي ١/ ٣٧٥، والمحرر الوجيز ١/ ٥٤٢.

(١٥) ينظر: تفسير القرآن الكريم ٢/ ٢٠٦ – ٢٠٧، وتفسير البغوي ١/ ٣٧٤، والقرطبي ٤/ ٢٧٩.

(١٦) في ك: وكان.." [(١)]

"الخير، والقساس: النمام (١).

﴿ورهبانا:﴾ جمع راهب (٢).

﴿وأنهم:﴾ أي: النصارى (٣)، وقيل: القسيسين (٤) والرهبان.

٨٣ – ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول:﴾ صفة الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا (٥).

ويجوز أن يجاب (إذا) بفعل المستقبل (٦)، قال الله تعالى: ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ [الصافات:١٤].

﴿تفيض:﴾ تمتلئ مع السيلان، يقال للخبر (٧) الفاشي: فائض ومستفيض.

و ﴿الدمع:﴾ ماء العين (٨)، من فرح كان أم حزن.

يحتمل أنهم بكوا فرحا لإدراك النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل خوفا على إفراطهم.

٨٤ – ﴿وما لنا لا نؤمن:﴾ استفهام على سبيل التعجب توجه إلى من أنكر عليهم إيمانهم (٩).

﴿(لا نؤمن)﴾: في الحال (١٠).

﴿ونطمع:﴾ عطف على ﴿(لا نؤمن)﴾ (١١)، وقيل (١٢): استئناف كلام.

٨٥ – (الإثابة): جزاء الخير (١٣).

٨٧ – ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله:﴾ قيل: إن علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون والمقداد وسالما مولى أبي حذيفة وأبا ذر تذاكروا القيامة فيما بينهم، فتعاقدوا وتعاهدوا في بيت عثمان بن مظعون على لبس المسوح وإخصاء الأنفس وترك

---

(١) في ب: العمام. وينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٦١٥، ومجمع البيان ٣/ ٣٩٨ – ٣٩٩.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٤٩/١

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٦، والتبيان في تفسير القرآن ٣/ ٦١٥، وتفسير البغوي ٢/ ٥٨.
(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٦١٦، ومجمع البيان ٣/ ٤٠٢.
(٤) النسخ الثلاث: والقسيس.
(٥) ينظر: زاد المسير ٢/ ٣١٠.
(٦) ينظر: الدر المصون ٤/ ٣٩٣.
(٧) في ك: للخير. وينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٣.
(٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٤.
(٩) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٨.
(١٠) ينظر: الكشاف ١/ ٦٧٠.
(١١) ينظر: الكشاف ١/ ٦٧٠، والتفسير الكبير ١٢/ ٦٨ - ٦٩، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٥٦.
(١٢) ينظر: المجيد ٦١٥ (تحقيق: د. عطية أحمد)، والبحر المحيط ٤/ ٨، والدر المصون ٤/ ٤٠١.
(١٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ٥.." [١]

"المنافق يأكل في سبعة أمعاء (١)، وفي الحديث أن صاحب اليمين يقول لصاحب الشمال: أمسك، فيمسك سبع ساعات من النهار فإن تاب لم يكتب عليه (٢)، وفي الحديث: سألت الشفاعة لأمتي فقال: لك (٣) سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقلت: رب زدني، فقال: مع كل ألف سبعون ألفا (٤)، فقلت: رب زدني، فقال: لك هذا فحثا (٥) بين يديه وعن يمينه وعن شماله (٦)، وفي الحديث أن سائلا قال: كم أعفو عن الخادم في اليوم؟ فقال: سبعين مرة (٧)، وفي الحديث أن الكافر يهوي في النار سبعين خريفا (٨). وقيل: خصت السبعة بالمبالغة؛ لأن كميتها مشتملة على ثلاثة من أوتار العدد وثلاثة من الأشفاع.

٨١ - ﴿فرح المخلفون بمقعدهم:﴾ قيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم برز بعسكره (٩) إلى ثنية الوداع حين خرج إلى غزوة تبوك، ونزل ابن أبي بن سلول أسفل من الثنية مع المنافقين، فلما ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف ابن أبي مع بضع وثمانين رجلا، فأنزل الله الآية (١٠).
و (المقعد): القعود، مصدر، كالمطعم والمشرب والملبس (١١).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٨٠/١

﴿خلاف:﴾ مخالفة، مفعول له (١٢).

﴿في الحر:﴾ في أوان الحر (١٣)، وهو القيظ. «والحر: ضد البرد» (١٤).

وقوله: ﴿لو كانوا يفقهون﴾ كالشرط لحصول الخبر في علمهم، وتقديره: أعلمهم أن نار جهنم أشد حرا (١٥) لو كانوا يفقهون، قريب منه: ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ [البقرة:١٠٢].

---

(١) ينظر: صحيح البخاري ٥/ ٢٠٦١، والمعجم الكبير ٧/ ٢٣٠، ومجمع الزوائد ٥/ ٣٣.

(٢) ينظر: الزهد لهناد ٢/ ٤٦٢، وشعب الإيمان ٥/ ٣٩٠.

(٣) ساقطة من ك.

(٤) (فقلت رب زدني. . . ألفا) مكررة في ب.

(٥) في ك وع: بحثا، وهو تحريف.

(٦) ينظر: مسند ابن الجعد ٤١٧، ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣١٨، والزهد لهناد ١/ ١٣٥ - ١٣٦.

(٧) ينظر: سنن أبي داود ٤/ ٣٤١، والترمذي ٤/ ٣٣٦، ومسند الشاميين ١/ ١٥٣.

(٨) ينظر: الترغيب والترهيب ٤/ ٢٥٢، والتخويف من النار ٨٤، وموارد الظمآن ٦٤٩.

(٩) في الأصل وك وب: معسكره.

(١٠) ينظر: البحر المحيط ٥/ ٨٠ و ٨١.

(١١) ينظر: المجيد ٤٣٩ (تحقيق: د. إبراهيم الدليمي)، والبحر المحيط ٥/ ٨٠، والدر المصون ٦/ ٩٠.

(١٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٦٣، والكشاف ٢/ ٢٩٦، والتبيان في إعراب القرآن ٢/ ٦٥٣.

(١٣) في ع: الحب.

(١٤) لسان العرب ٤/ ١٧٧ (حرر).

(١٥) بعدها في النسخ الثلاث: يعلمون، ولعلها مقحمة.." [١]

"بالفاء. وقيل (١): جزم على الدعاء.

٨٩ - ﴿أجيبت دعوتكما:﴾ كان موسى يدعو وهارون يؤمن (٢).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٧٨٨/١

٩٠ - ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل:﴾ [عن] (٣) ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام يدس في في فرعون الطين خشية أن يرحمه (٤)، كان جبريل يعاجل (٥) فرعون ليتم فيه دعوة موسى عليه السلام، فمن كان يعاجل رحمة الله كفر؛ لأنه يتقرب إلى الله بإظهار موالاة نبيه ومعاداة عدوه.

٩١ - ﴿آلآن وقد عصيت:﴾ قيل (٦): إن جبريل عليه **السلام فرح حين** سمع وتيقن أن فعله وقع مرضيا لله (٧).

٩٢ - ﴿ببدنك:﴾ «بجسدك» (٨). فقيل: الآية استفهام على سبيل الإنكار، تقديرها: أفاليوم (٩) ننجيك (١٠)، من النجاة (١١)، (١٥٦ و) فتكون قدوة وحجة لمن خلفك. وقيل: إنها على سبيل الخبر (١٢)، ومعناها: اليوم نلقي بدنك بعد إزهاق الروح على نجوة من الأرض لتكون عبرة ونكالا لمن خلفك (١٣).

٩٣ - ﴿مبوأ صدق:﴾ ما أورثهم من ديار آل فرعون (١٤). وقيل: المراد به التيه حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى. وقيل: ديار العمالقة حيث افتتحها (١٥) يوشع عليه السلام، أو البيت المقدس حين ابتناه داود وسليمان عليهما السلام (١٦).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٠٦، وإعراب القرآن ٢/ ٢٦٦، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٣٥٣.
(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٨، وتفسير الطبري ١١/ ٢٠٧ - ٢٠٨، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣١.
(٣) من ك.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ١١/ ٢١١ - ٢١٢، والمستدرك ٤/ ٢٧٨، وشعب الإيمان ٧/ ٤٤.
(٥) مكررة في ب.
(٦) في الأصل وع: قبل.
(٧) ينظر: مجمع البيان ٥/ ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٨) تفسير غريب القرآن ١٩٩، ومعاني القرآن الكريم ٣/ ٣١٦، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٣٥٣.
(٩) في ب: فاليوم.
(١٠) ينظر: المجيد ٥٢٤ (تحقيق: د. إبراهيم الدليمي)، والبحر المحيط ٥/ ١٨٨، والدر المصون ٦/ ٢٦٦.
(١١) (من النجاة) ساقطة من ع. وينظر: مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٥٣.
(١٢) ينظر: المجيد ٥٢٤ (تحقيق: د. إبراهيم الدليمي)، والبحر المحيط ٥/ ١٨٨، والدر المصون ٦/ ٢٦٦.
(١٣) ينظر: غريب القرآن وتفسيره ١٧٢، وتفسير غريب القرآن ١٩٩، وتفسير الطبري ١١/ ٢١٣.
(١٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٥/ ٤٢٩، ومجمع البيان ٥/ ٢٢٥، وزاد المسير ٤/ ٥٣.
(١٥) في الأصل: افتحها، وبعدها في ب: يونس، بدل (يوشع).
(١٦) ينظر: تفسير الطبري ١١/ ٢١٥، ومعاني القرآن الكريم ٣/ ٣١٦، وتفسير البغوي ٢/ ٣٦٧.." (١)

"وكذلك عند بيانه معنى كلمة (طوبى) في قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ [الرعد:٢٩]، يقول: «اسم على وزن فعلى، وهو اسم جامع لكل ما يستطاب، فكأنها الحياة الطيبة بروح الاتحاد» (١).

ففي هذين المثالين بين وزن الكلمة ليوضح معنى كل منهما وما فيهما من معنى يدل عليه، ففي الأولى معنى المبالغة، وفي الأخرى معنى الجمع لكل ما يستطاب.

ج-ونجده يذكر اختلاف البصريين والكوفيين في أصل كلمة: فعند حديثه عن أصل كلمة (التوراة) في قول الله تعالى: ﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾ [آل عمران:٣]، يقول: «أصل التوراة عند الكوفيين: تورية بوزن توصية، فلما أخرجوا اللفظ من حيز الأفعال إلى الأسماء نقلوا حركة عين الفعل إلى الفتحة، فانقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها»، ويذكر أصلها عند البصريين فيقول: «وعند البصريين وزن التوراة: وورية كقوصرة، قلبت الواو الأولى تاء، كما في تولج، مشتق من الإيراء» (٢).

د-يبين الفرق بين معنى كلمتين لهما اعتمادا على وزن الكلمة: فمن ذلك ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿تبغونها عوجا﴾ [آل عمران:٩٩]، إذ يقول: «والعوج، بكسر العين:
الزيغ في الرأي، والعوج، بالفتح: الميل فيما يكون منتصبا» (٣). وكذلك عند تفسيره قول الله تعالى: [آل

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/٨٢٨

عمران:١٧٠] يقول: «و (الفرح): السرور. و (الفرح): ذو الفرح، كالورع والوجل» (٤). فكلا الكلمتين لهما الصورة نفسها، لكنهما مختلفتان في الوزن، لكنه لم يذكر وزن الكلمة.

هـ-يوضح كلمة بكلمة أخرى أكثر شهرة منها ومشتركة معها بالوزن: ومثالها ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿أو كانوا غزى﴾ [آل عمران:١٥٦]، فيقول: «جمع غازي، كركع وسجد، جمع راكع وساجد» (٥).

و-أحيانا يبين مفرد الكلمة: فعند حديثه عن كلمة (الآلاء) في قول الله تعالى: ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ [الأعراف:٦٩]، يقول: «الآلاء: النعماء، واحدها ألى وإلى» (٦). وكذلك عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿أراذلنا﴾ [هود:٢٧]، يقول: «جمع أرذل، وأرذال جمع رذل: وهو النذل الخسيس» (٧). وكذلك يبين مفرد (أفئدة) في قوله تعالى: ﴿فاجعل أفئدة من الناس﴾ [إبراهيم:٣٧]، فيقول: «واحدها فؤاد»» (٨).

---

(١) درج الدرر ٨١.

(٢) الأصل (٦٠ و).

(٣) الأصل (٦٩ و).

(٤) الأصل (٧٨ و).

(٥) الأصل (٧٧ و).

(٦) الأصل (١١٨ و).

(٧) درج الدرر ١١.

(٨) درج الدرر ٩٥.." [1]

"إذا جلست (١) للناس غدا، وأذنت له، فأتيني فاستعدي على موسى، وقولي: إنه أرادني على نفسي (٢)، قالت: نعم، فلما كان الغد، واجتمع الناس في داره حتى ملؤوها أبطأت عليه، فلم تجئه، فأرسل إليها، فجيء بها، ثم أرسل إلى موسى، فجيء به (٣)، فقال له قارون: ما لهذه المرأة تشكوك؟ قال له موسى: ما أدري ما لها؟ قال لها قارون: أخبريه، فقالت المرأة: يا موسى، إن هذا جعل لي ما نطقت به وما أردته على أن أزعم على رؤوس الناس أنك تراودني عن نفسي، وإني، والله، ما كنت لأفعل، معاذ الله، لقد برأك الله من ذلك، فغضب موسى عليه السلام، واشتد غضبه، ثم قال: يا عدو الله، قد بلغ جرأتك على هذا،

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٢/٢

وقال له قولا غليظا، فخرج من عنده مغضبا، فدعا الله تعالى، فقال: عبدك قارون الذي عبد دونك وجحدك، وأنكر ربوبيتك، ثم قد أراد أن يرميني به (٤) حتى متى تمهله، يا رب، فأوحى الله إلى موسى: أن قد أمرت الأرض أن تطيءك فمرها بما شئت، فجاء موسى وهو فرح، فدخل على قارون حين اجتمع الناس في داره وملؤوها، فقال: يا عدو الله، كربتني، وجحدت الله، وعبدت من دونه في كلام غليظ حتى غضب قارون، وأقبل عليه بكلام شديد، وهم به، فلما رأى ذلك موسى عليه السلام فقال: يا أرض خذيهم، وكان قارون على فرش على سرير مرتفع في السماء، فأخذت الأرض بأقدامهم، وغاب سريره ومجلسه في الأرض، وأخذت الأرض بقدميه، وقد دخل من الدار في الأرض مثل ما أخذت منهم على قدرها، وأقبل موسى يوبخهم، ويغلظ لهم المقالة، فلما رأى القوم ما نزل بهم عرفوا أن هذا أمر ليس لهم به قوة، قال: فنادوا يا موسى، ارحمنا وكف عنا، وجعلوا يتضرعون، ويطلبون إليه، وهو لا يزداد إلا غضبا وتوبيخا لهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أوراكهم، فجعلوا يتضرعون إليه ويسألونه، ثم قال: يا أرض خذيهم (٥)، فأخذتهم الى أوساطهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى (٦) آباطهم، فمدوا أيديهم على وجه الأرض رجاء أن يمتنعوا بها، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فلم يبق على وجه الأرض إلا رؤوسهم، ولم يبق من الدار إلا شرفها، وكانت الأرض تأخذ من الدار كل مرة مثل ما تأخذه منهم، وهم يتضرعون في ذلك إلى موسى عليه السلام ويسألونه، ثم قال: يا أرض خذيهم، فاستوت عليهم وعلى الدار، فانطلق موسى **وهو فرح بذلك** (٢٥٥ ظ) فأوحى الله إليه أن يا موسى تضرع عبادي إليك ودعوك وسألوك فلم ترحمهم،

---

(١) ع: أذنت.

(٢) (على نفسي)، ساقطة من ك.

(٣) (فجيء به)، ساقط من ك.

(٤) ساقطة من ع.

(٥) (فأخذتهم إلى أوراكهم، فجعلوا يتضرعون إليه، ويسألونه، ثم قال: يا أرض خذيهم)، ساقطة من ك.

(٦) (أوساطهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى)، ساقطة من ع.." (١)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٢٧/٢

"٢٠ - ﴿وزينة:﴾ زخارف الدنيا.

﴿وتفاخر:﴾ تذاكر بالشرف القديم، وأول من فخر إبليس.

﴿أعجب الكفار:﴾ الزراع. (١) وقيل: أضداد المؤمنين لاختصاصهم بالسرور العاجل، وقلة نظرهم في العواقب. (٢)

﴿وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان:﴾ أي: في الآخرة شر محض، وخير محض على غير سبيل الابتلاء.

٢٣ - ﴿لكيلا:﴾ أخبرناكم وبينا لكم.

﴿لكيلا تأسوا:﴾ والمراد بالأسى الأسى المضجر، **وبالفرح الفرح المبطر**، ما يعرض فيعرض عنه. وعن ابن عباس: أنه ليس أحد (٣) إلا يفرح ويحزن، فمن أصابته مصيبة فليجعلها صبرا، ومن أصابه خير فليجعله شكرا. (٤)

﴿ورهبانية:﴾ تخليا عن الأهل والمال لعبادة الله. (٥)

٢٧ - ﴿ما كتبناها:﴾ أي: لم نوجب الرهبانية عليهم. (٦)

﴿إلا ابتغاء رضوان الله:﴾ لكن كتبنا (٧) عليهم ابتغاء رضوان الله على سبيل الإجمال (٨).

والثاني: لكن ابتدعوها لابتغاء رضوان الله. (٩)

﴿فما رعوها حق رعايتها:﴾ أي: قصروا في إقامتها ومحافظة شرائطها بعد وجوبها عليهم بنذرهم. (١٠)

٢٨ - ﴿كفلين:﴾ تضعيف الأجر، (١١) كقوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام:١٦٠].

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٥٤، مجمع البيان ٩/ ٣٠٦، وزاد المسير ٧/ ٣٤٨.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة ٥/ ٤٩، والتفسير الكبير ١٠/ ٤٦٤، وتفسير البيضاوي ٥/ ١٨٩.

(٣) أ: أحدهم.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ١٣٧، وتفسير الطبري ١١/ ٦٨٧، والمستدرك ٢/ ٥٢١.

(٥) ينظر: مجمع البيان ٩/ ٣١١، والتفسير الكبير ١٠/ ٤٧٣ - ٤٧٤.

(٦) ينظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٣٨٩، والكشاف ٤/ ٤٨٠، والقرطبي ١٧/ ٢٦٣ عن ابن زيد.

(٧) ك: كتبناها.

(٨) أ: الأعمال.

(٩) ينظرك مشكل إعراب القرآن ٦٦٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢٦٣.

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٣٠، وزاد المسير ٧/ ٣٥٢.

(١١) ينظر: العين ٥/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ١٤/ ٣٢٨ عن أبي موسى الأشعري، ولسان العرب ١١/ ٥٨٩.." [(١)]

"باسمه، فيقلن: أنت رأيته؟ فيقول: نعم، **فيستخفها الفرح حتى** (١) تقوم إلى باب بيتها، فيدخل بيتا بني أسفله من جندل اللؤلؤ، وحيطانه من كل لون، ثم ينظر إلى سقفه فلولا أنه شيء قدر الله له أن يذهب لم يبصره، فإذا هو بسرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة متكئين عليها، ثم يقول: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ (٢) الآية [الأعراف:٤٣]. (٣)

١٥ - وعن ابن عباس في قوله: ﴿كانت قواريرا﴾ قال: لو أنك أخذت من فضة الدنيا فصنعتها حتى تكون مثل جناح الذباب ما رأيت الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة في بياض الفضة في صفاء القوارير. (٤)

١٦ - ﴿قدروها:﴾ أي: الخدم قدروا الأواني والكؤوس. (٥)
﴿تقديرا:﴾ على مقدار ري المسقي لا نقص ولا عجز. (٦) ويحتمل: أن أهل الجنة يقدرون القوارير من فضة فيتوهمونها كذلك لصفائها وبياضها توهما حقا.

١٧ - و (الزنجبيل): في الدنيا يزكى بالعسل كالشقاقل، وهو غاية الحرارة والحدة، والله أعلم بزنجبيل الجنة.

١٨ - ﴿سلسبيلا:﴾ عذبا سلسالا. (٧)

٢٠ - ﴿ثم:﴾ إشارة إلى المكان كهناك. (٨)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/ ٦٢٠

٢٤ - ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا:﴾ في عرض قريش الأموال والبنات، وعقد اللواء على رسول الله على أن يكف عن آلهتهم. (٩)

٢٨ - ﴿أسرهم:﴾ فقدهم وحبسهم، والمراد به الخلقة هاهنا. (١٠)

---

(١) ك: حين.
(٢) أزيادة: وما كنا [الأعراف:٤٣].
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد ٥٠٨ - ٥٠٩،٤ وابن الجعد في مسنده ٣٧٤، والثعلبي في تفسيره ٨/ ٢٥٨.
(٤) تفسير الصنعاني ٣/ ٣٣٨، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٠٣، والتبصرة ١/ ٤٥٠،
(٥) ينظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٥٠٦، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤١، والتسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٦٩.
(٦) ينظر: تفسير السمعاني ٦/ ١١٨، والكشاف ٤/ ٦٧٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤١،
(٧) ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٩٢، ولسان العرب ١١/ ٣٤٤.
(٨) ينظر: حروف المعاني ٩، ومغني اللبيب ١/ ١٦٢، ولسان العرب ١٢/ ٨١.
(٩) ينظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٥٠٧، وتفسير السمعاني ٦/ ١٢٢، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤٩.
(١٠) ينظر: تفسير الصنعاني ٣/ ٣٣٩، وتفسير السمرقندي ٣/ ٥٠٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٥١ عن ابن عباس وغيره.." (١)

"أي: لا تحسبن يا محمد الفارحين وقرأ الآخرون بالياء "لا يحسبن" الفارحون فرحهم منجيا لهم من العذاب ﴿فلا يحسبنهم﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: بالياء وضم الباء خبرا عن الفارحين، أي فلا يحسبن أنفسهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء أي: فلا تحسبنهم يا محمد وأعاد قوله ﴿فلا تحسبنهم﴾ تأكيدا وفي حرف عبد الله بن مسعود ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا بمفازة من العذاب﴾ غير تكرار.

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا سعيد بن أبي مريم، أنا محمد بن جعفر، حدثني زيد بن

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٨١/٢

أسلم، عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ٧٦/أأن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ (١) الآية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد بن إسماعيل، أنا إبراهيم بن موسى، أنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم: أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقل له: لئن كان كل **امرئ فرح بما** أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه فأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ كذلك حتى قوله: ﴿يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ (٢) .

قال عكرمة: نزلت في فنحاص وأشيع وغيرهما من الأحبار يفرحون بإضلالهم الناس وبنسبة الناس إياهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم (٣) . وقال مجاهد: هم اليهود فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير تفسير سورة آل عمران باب "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا" ٨ / ٢٣٣ ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٧٧) : ٤ / ٢١٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق نفسه ومسلم في الموضع نفسه برقم (٢٧٧٨) .

(٣) تفسير الطبري: ٧ / ٤٦٦.

(٤) تفسير الطبري: ٧ / ٤٦٩.." [1]

"قدرته، ﴿وتطمئن﴾ وتسكن، ﴿قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا﴾ بأنك رسول الله، أي: نزداد إيمانا ويقينا، وقيل: إن عيسى ابن مريم أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما، فإذا أفطروا لا يسألون الله شيئا إلا أعطاهم، ففعلوا وسألوا المائدة، وقالوا: "ونعلم أن قد صدقتنا" في قولك، إنا إذا صمنا ثلاثين يوما لا نسأل الله تعالى شيئا إلا أعطانا، ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالنبوة والرسالة، وقيل: ونكون

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢/١٥٠

من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.
﴿قال عيسى ابن مريم﴾ عند ذلك، ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾ وقيل: إنه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ رأسه وغض بصره وبكى، ثم قال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، ﴿تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا﴾ أي: عائدة من الله علينا حجة وبرهانا، والعيد: يوم السرور، سمي به للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته ويعود إليك، وسمي يوم الفطر والأضحى عيدا لأنهما يعودان كل سنة، قال السدي: معناه نتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيدا لأولنا وآخرنا، أي: نعظمه نحن ومن بعدنا، وقال سفيان: نصلي فيه، قوله ﴿لأولنا﴾ أي: لأهل زماننا ﴿وآخرنا﴾ أي: لمن يجيء بعدنا، وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم، ﴿وآية منك﴾ دلالة وحجة، ﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾
﴿قال الله﴾ تعالى مجيبا لعيسى عليه السلام، ﴿إني منزلها عليكم﴾ يعني: المائدة وقرأ أهل المدنة وابن عامر وعاصم "منزلها" بالتشديد لأنها نزلت مرات، والتفعيل يدل على التكرير مرة بعد أخرى، وقرأ الآخرون بالتخفيف لقوله: أنزل علينا، ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ أي: بعد نزول المائدة ﴿فإني أعذبه عذابا﴾ أي جنس عذاب، ﴿لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ يعني: عالمي زمانه، فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير، قال عبد الله بن عمر: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون (١) .
واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟ فقال مجاهد والحسن: لم تنزل لأن الله عز وجل لما أوعدهم على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا، وقالوا: لا نريدها، فلم تنزل، وقوله: "إني منزلها عليكم"، يعني: إن سألتم (٢) .

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري موقوفا على عبد الله بن عمرو: ١١ / ٢٣٣، وصححه الشيخ أحمد شاكر في عمدة التفسير. وعزاه السيوطي أيضا لعبد بن حميد وأبي الشيخ موقوفا كذلك. الدر المنثور: ٣ / ٢٣٧.
(٢) ما ذهب إليه مجاهد والحسن رحمهما الله - رأي مرجوح، لم يستندا فيه إلى خبر صحيح. وهو مخالف لنص الآية "إني منزلها عليكم". ولذلك رجح البغوي وغيره رأي الجمهور، وهو الصحيح.." (١)

"﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥) قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون (٤٦) ﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١١٨/٣

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ تركوا ما وعظوا وأمروا به، ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ قرأ أبو جعفر، "فتحنا" بالتشديد، في كل القرآن، وقرأ ابن عامر كذلك إذا كان عقيبه جمع والباقون بالتخفيف وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاء والصحة، ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ **وهذا فرح بطر مثل فرح قارون** بما أصاب من الدنيا، ﴿أخذناهم بغتة﴾ فجأة آمن ما كانوا، وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، ﴿فإذا هم مبلسون﴾ آيسون من كل خير، وقال أبو عبيدة:." [1]

"﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين (٨٠) **فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) ﴾ .

﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ لفظه أمر، ومعناه خبر، تقديره: استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم. ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ وذكر عدد السبعين للمبالغة في اليأس على طمع المغفرة.

قال الضحاك: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قد رخص لي فلأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم"، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ (١) .

﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ .

﴿فرح المخلفون﴾ عن غزوة تبوك. والمخلف: المتروك ﴿بمقعدهم﴾ أي بقعودهم

---

(١) الطبري: ١٤ / ٣٩٥، الدر المنثور: ٤ / ٢٥٣.." [2]

"﴿ويفسدون في الأرض﴾ أي: يعملون بالمعاصي، ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ يعني: النار، وقيل: سوء المنقلب لأن منقلب الناس دورهم.

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٤٣/٣

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٧٩/٤

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع (٢٦) ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب (٢٧) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨) ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء.

﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ يعني: مشركي مكة أشروا وبطروا، والفرح: لذة في القلب بنيل المشتهى، وفيه دليل على **أن الفرح بالدنيا** حرام.

﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ أي: قليل ذاهب. قال الكلبي: كمثل السكرجة والقصعة والقدح والقدر ينتفع بها [ثم تذهب] (١) .

﴿ويقول الذين كفروا﴾ من أهل مكة، ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ [أي: يهدي إليه من يشاء بالإنابة. وقيل: يرشد إلى دينه من يرجع إليه بقلبه] (٢) .

﴿الذين آمنوا﴾ في محل النصب، بدل من قوله: "من أناب"، ﴿وتطمئن﴾ تسكن، ﴿قلوبهم بذكر الله﴾ قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك، ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين.

قال ابن عباس: هذا في الحلف، يقول: إذا حلف المسلم (٣) بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه (٤) .

فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (الأنفال -٢) فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟

---

(١) ساقط من "أ".

(٢) ساقط من "ب".

(٣) في "ب": المؤمن.

(٤) ساقط من "ب".." (١)

"﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (٢٩) ﴾ .

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ابتداء، ﴿طوبى لهم﴾ خبره.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣١٥/٤

واختلفوا في تفسير ﴿طوبى﴾ (١) .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرح لهم وقرة عين.

وقال عكرمة: نعم مالهم.

وقال قتادة: حسنى لهم.

وقال معمر عن قتادة: هذه كلمة عربية، يقول الرجل للرجل: طوبى لك، أي: أصبت خيرا.

وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة.

وقال الفراء: [أصله من الطيب، والواو فيه لضمة الطاء، وفيه لغتان، تقول العرب: طوباك وطوبى لك أي: لهم الطيب] (٢) .

﴿وحسن مآب﴾ أي: حسن المنقلب.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى اسم الجنة بالحبشية.

قال الربيع: هو البستان بلغة الهند.

وروي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قالوا: [طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها. وقال عبيد بن عمير] (٣) : هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم، وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولم يخلق الله تعالى فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها. تنبع من أصلها عينان: الكافور والسلسبيل.

قال مقاتل: كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح (٤) .

---

(١) انظر في تفسير طوبى، والروايات في: الطبري: ١٦ / ٤٣٤-٤٤٤، الدر المنثور: ٤ / ٦٤٢-٦٤٣.

(٢) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٣) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٤) هذه الروايات، وغيرها من الروايات، التي تتضمن زيادات كثيرة عن الحديث الصحيح الذي سيأتي في تفسير "طوبى"، وفيها مبالغات كثيرة، وقد ساقها الطبري، وتعقب بعضها الحافظ ابن كثير -رحمه الله- هذه الروايات من الإسرائيليات، وحسبنا في تفسير "طوبى" الحديث الصحيح المتفق عليه الذي ساقه المصنف من رواية أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر: الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص (٣٢٣-٣٢٦) . وأشار ابن عطية في المحرر الوجيز: ٨ / ١٦٨ إلى تلك الروايات والمبالغات التي مقتضاها أن

هذه الشجرة ليست في الجنة دار إلا وفيها من أغصانها، وأنها تثمر ثياب أهل الجنة، وأن منها الخيل بسرجها ولجمها ... ونحو هذا مما لا يثبت سنده".." (١)

"فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية: إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج فأنزل الله هذه الآية و"الأرض" هاهنا هي المدينة (١) .

وقال مجاهد وقتادة: "الأرض" أرض مكة والآية مكية هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية (٢) .

وقيل: هم الكفار كلهم أرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ينالوا منه ما أملوا والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة.

﴿وإذا لا يلبثون خلافك﴾ أي بعدك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب ﴿خلافك﴾ اعتبارا بقوله تعالى: "فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله" (التوبة-٨١) ومعناهما واحد (٣) . ﴿إلا قليلا﴾ أي: لا يلبثون بعدك إلا قليلا حتى يهلكوا فعلى هذا القول الأول: مدة حياتهم وعلى الثاني: ما بين خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إلى أن قتلوا ببدر.

﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧) ﴾

قوله عز وجل: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ أي: كسنتنا فانتصب بحذف الكاف وسنة الله في الرسل إذا كذبتهم الأمم أن لا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم فإذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم.

﴿ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ أي تبديلا.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف" ص (١٠١) : "لم أجده وذكره السهيلي في "الروض الأنف" عن عبد المجيد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ... ". وقال الحافظ ابن كثير: (٣ / ٥٤) : قيل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة. وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك وقيل: إنها نزلت بتبوك وفي صحته نظر. وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم.. -وساق القصة- ثم قال: "وفي هذا الإسناد نظر والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣١٦/٤

يغز تبوك عن قول اليهود وإنما غزاها امتثالا لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار" ... وانظر: تفسير القرطبي: ١٠ / ٣٠١ أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٦) هذا وقد رجح المصنف - رحمه الله- الرواية الآتية على هذه الرواية.

(٢) وهو ما رجحه الطبري في تفسيره: ١٥ / ١٣٣، والقرطبي وانظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٦) .

(٣) أي معنى: "خلافك" و"خلفك" وبالثانية قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو عن عاصم وسياق المصنف يوحي أن في الأصل سقطا وليس كذلك لأن المثبت في النسخة الخطية القراءة الثانية "خلفك". وانظر: زاد المسير: ٥ / ٧٠.." (١)

"﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما (٨١) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا (٨٢) ﴾

﴿فأردنا أن يبدلهما﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو: بالتشديد هاهنا وفي سورة "التحريم" و"القلم" وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان وفرق بعضهم فقال: "التبديل": تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم و"الإبدال": رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه ﴿ربهما خيرا منه زكاة﴾ أي صلاحا وتقوى ﴿وأقرب رحما﴾ قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: بضم الحاء والباقون بجزمها أي: عطفا من الرحمة. وقيل: هو من الرحم والقرابة قال قتادة: أي أوصل للرحم وأبر بوالديه (١) .

قال الكلبي: أبدلهما الله جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: أبدلهما الله جارية ولدت سبعين نبيا (٢) .

وقال ابن جريج: أبدلهما بغلام (٣) .

قال **مطرف: فرح به** أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل. ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب. قوله عز وجل: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ وكان اسمهما أصرم وصريم ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ اختلفوا في ذلك الكنز روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كان ذهبا وفضة" (٤) .

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١١٣/٥

(١) قال الطبري: (١٦ / ٤) "ولا وجه للرحم في هذا الموضع لأن المقتول كان الذي أبدل منه والديه ولدا لأبوي المقتول، فقرابتهما من والديه وقربهما منه في الرحم سواء".

(٢) قال ابن عطية: وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل ولم تكن هذه المرأة منهم. (البحر المحيط:٦ / ١٥٥) .

(٣) انظر هذه الأقوال في الطبري: ١٦ / ٣-٤، زاد المسير: ٥ / ١٨٠ وقد مال الطبري إلى أن المقصود بالآية أن الله تعالى أبدلهما بالغلام جارية.

(٤) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الكهف: ٨ / ٦٠٠، والحاكم في المستدرك ٢ / ٣٦٩، وأخرجه البخاري في تاريخه والطبراني (تحفة الأحوزي: ٨ / ٦٠١) ويزيد بن يوسف الصنعاني ضعيف قال الذهبي: "متروك" وإن كان حديثه أشبه بمعنى الكنز.." [١]

"أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: "أن تدعو لله ندا وهو خلقك" قال" ثم أي؟ قال: "أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك"، قال: ثم أي؟ قال: "أن تزاني حليلة جارك"، فأنزل الله تصديقها: "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما" (١) قوله عز وجل: ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي: شيئا من هذه الأفعال، ﴿يلق أثاما﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يريد جزاء الإثم. وقال أبو عبيدة: "الآثام": العقوبة. وقال مجاهد: "الآثام": واد في جهنم، يروى ذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٢) ويروى في الحديث: "الغي والآثام بئران يسيل فيها صديد أهل النار" (٣) .

﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا (٦٩) إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما (٧٠) ﴾

﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر "يضاعف" و"يخلد" برفع الفاء والدال على الابتداء، وشدد بن عامر: "يضعف"، وقرأ الآخرون بجزم الفاء والدال على جواب الشرط. ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾ قال قتادة: إلا من تاب من ذنبه، وآمن بربه، وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه. أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن عبد

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٩٥/٥

الله، حدثنا موسى بن محمد، حدثنا موسى بن هارون الحمال، حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي، حدثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر، عن علي بن يزيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، قال: قرأناه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ الآية، ثم نزلت: ﴿إلا من تاب﴾ فما رأيت النبي صلى الله عليه **وسلم فرح بشيء** قط كفرحه بها وفرحه بـ: "إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (٤) (الفتح ١ -٢)

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان، باب "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر": ٨ / ٤٩٢.

(٢) انظر: الطبري ١٩ / ٤٤-٤٥، وهو أيضا قول مجاهد وعكرمة، وانظر: الزهد للإمام هناد: ١ / ٣٦٩ مع تعليق المحقق.

(٣) أخرجه الطبري من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مطولا: ١٩ / ٤٤-٤٥.

(٤) قال الهيثمي في المجمع: (٧ / ٨٤) : "رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثقا وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات. وله حديث في الصحيح غير هذا". وزاد السيوطي نسبته لابن المنذر وابن مردويه. الدر المنثور: ٦ / ٢٧٩.." [١]

"فقال شهريراز: إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخي فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك. قال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا، فقتلا الترجمان معا بسكينهما، فأديلت الروم على فارس عند ذلك، فاتبعوهم يقتلونهم، ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن معه (١) ، فذلك قوله عز وجل: ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ أي: أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، قال عكرمة: هي أذرعات وكسكر، وقال مجاهد: أرض الجزيرة. وقال مقاتل: الأردن وفلسطين. ﴿وهم من بعد غلبهم﴾ أي: الروم من بعد غلبة فارس إياهم، والغلب والغلبة لغتان، ﴿سيغلبون﴾ فارسا.

﴿في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) }

﴿في بـضـع سنين﴾ والبضع ما بين الثلاث إلى السبع، [وقيل: ما بين الثلاثة إلى التسع] (٢) وقيل: ما

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٩٦

دون العشرة. وقرأ عبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: "غلبت" بفتح الغين واللام، "سيغلبون" بضم الياء وبفتح اللام. وقالوا: نزلت حين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم فارسا. ومعنى الآية: الم غلبت الروم فارسا في أدنى الأرض إليكم، وهم من بعد غلبهم سيغلبهم، يغلبهم المسلمون في بضع سنين. وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم (٣) . والأول أصح، وهو قول أكثر المفسرين. ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ أي: من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها، فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله ٧٠/أوقضائه وقدره. ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ ﴿بنصر الله﴾ الروم على فارس. قال **السدي: فرح النبي** صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على

---

(١) هذه السياقات التي ذكها المفسرون عن الشعبي وعكرمة وعطاء، ذكرها ابن كثير في التفسير (٣ / ٤٢٤-٤٢٥) قال: ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الإمام سنيد بن داود في تفسيره حيث قال.. وساق جملة ما نقله البغوي عن المفسرين.. ثم قال: "فهذا سياق غريب وبناء عجيب". وجملة القصة وسبب النزول وردا بروايات متعددة ثابتة، فقد أخرجها الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم. وانظر: الدر المنثور: ٦ / ٤٧٩-٤٨٣، أسباب النزول ص (٣٩٨) ، الطبري: ٢١ / ١٦-١٩.

(٢) ما بين القوسين ساقط من "أ".

(٣) انظر: الطبري: ٢١ / ٢١، المحرر الوجيز: ١٢ / ٢٤١.." (١)

"﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون (٣٥) وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون (٣٦) أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٣٧) فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٣٨) وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (٣٩) ﴾

﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: حجة وعذرا. وقال قتادة: كتابا، ﴿فهو يتكلم﴾ ينطق، ﴿بما كانوا به يشركون﴾ أي: ينطق بشركهم ويأمرهم به. ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ أي: الخصب وكثرة المطر، ﴿فرحوا بها﴾ **يعني فرح البطر** ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: الجدب وقلة المطر ويقال: الخوف والبلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ السيئات، ﴿إذا هم يقنطون﴾ ييأسون من رحمة الله، وهذا خلاف وصف

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٢٦١

المؤمن، فإنه يشكر الله عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة. ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ قوله تعالى: ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ البر والصلة، ﴿والمسكين﴾ وحقه أن يتصدق عليه، ﴿وابن السبيل﴾ يعني: المسافر، وقيل: هو الضعيف، ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ يطلبون ثواب الله بما يعملون، ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ قوله عز وجل: ﴿وما آتيتم من ربا﴾ قرأ ابن كثير: "أتيتم" مقصورا، وقرأ الآخرون بالمد، أي: أعطيتم، ومن قصر فمعناه: ما جئتم من ربا، ومجيئوهم ذلك على وجه الإعطاء كما تقول: أتيت خطئا، وأتيت صوابا، فهو يؤول في معنى إلى قول من مد. ﴿ليربو في أموال الناس﴾ قرأ أهل المدينة، ويعقوب: "لتربوا" بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب، أي: لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، وقرأ الآخرون بالياء وفتحها، ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله: ﴿فلا يربو عند الله﴾ في أموال الناس، أي: في اختطاف أموال الناس واجتذابها.." (١)

"فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعتها على ذلك (١) .

قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغفار بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا زهير بن حرب، أخبرنا روح بن عبادة، أخبرنا زكريا بن إسحاق، أخبرنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد الناس جلوسا ببابه ولم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا، فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: لا تسألي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين، ثم نزلت الآية: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ حتى بلغ: ﴿للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت:

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٢٧٢

أفيك يا رسول الله استشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: " لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا" (٢) .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا، قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: فلما مضت تسع وعشرون أعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: بدأ بي فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت في تسع وعشرين أعدهن؟ فقال: "إن الشهر تسع وعشرون" (٣)

---

(١) انظر: فتح الباري: ٨ / ٥١٩، مسلم: (١٤٧٥) : ٢ / ١١٠٥-١١٠٨، الطبري: ٢١ / ١٥٦-١٥٧، شرح السنة: ٩ / ٢١٥-٢١٦، الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١١٧-١٢٠.

(٢) أخرجه مسلم في الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية برقم: (١٤٧٨) : ٢ / ١١٠٤-١١٠٥.

(٣) أخرجه معمر بن راشد في كتاب الجامع رواية عبد الرزاق في المصنف: ١٠ / ٤٠١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: 6 / ٥٩٦ لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.." (١)

"﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون (٢٥) ﴾

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ (١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أولياءه وأهل طاعته، قيل التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والإقبال على الطاعة نية وفعلا قال سهل بن عبد الله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. ﴿ويعفو عن السيئات﴾ إذا تابوا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبد الله أعوده، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لله أفرح بتوبة عبده من رجل، أظنه قال: [في برية] (٢) مهلكة معه راحلته

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٤٦/٦

عليها طعامه وشرابه، فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلت (٣) راحلته، فطاف عليها حتى أدركه العطش، فقال: أرجع إلى حيث كانت راحلتي فأموت عليه، فرجع فأغفى فاستيقظ فإذ هو بها عنده عليها طعامه وشرابه". (٤)

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك وهو عمه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح". (٥)

﴿ويعفو عن السيئات﴾ فيمحوها إذا تابوا. ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص "تفعلون" بالتاء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم، فقال: قبله عن عباده، وبعده ويزيدهم من فضله.

---

(١) انظر: القرطبي: ١٦ / ٢٦.

(٢) في "ب" بدوية.

(٣) في "ب" هلكت.

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات، باب التوبة: ١١ / ١٠٢، ومسلم في التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم: (٢٧٤٤) : ٤ / ٢١٠٣، واللفظ له، والمصنف في شرح السنة: ٥ / ٨٤-٨٥.

(٥) أخرجه مسلم في التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم: (٢٧٤٧) ٤ / ٢١٠٤، والمصنف في شرح السنة: ٥ / ٨٧-٨٨.." [1]

"﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨) لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٩٣/٧

إنه عليم قدير (٥٠) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم (٥١) ﴾

﴿فإن أعرضوا﴾ عن الإجابة، ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك﴾ ما عليك، ﴿إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ قال ابن عباس: يعني الغنى والصحة. ﴿فرح بها وإن تصبهم سيئة﴾ قحط، ﴿بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾ أي: لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول شدة جميع ما سلف من النعم.

﴿لله ملك السماوات والأرض﴾ له التصرف فيهما بما يريد، ﴿يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا﴾ فلا يكون له ولد ذكر، قيل: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، لأن الله تعالى بدأ بالإناث، ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ فلا يكون له أنثى.

﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾ يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث، ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ فلا يلد ولا يولد له. قيل: هذا في الأنبياء عليهم السلام ﴿يهب لمن يشاء إناثا﴾ يعني: لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان، ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ يعني: إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى، ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾ يعني: محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبنات، ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا على وجه التمثيل، والآية عامة في حق كافة الناس. ﴿إنه عليم قدير﴾ .

قوله عز وجل: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا﴾ وذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله وتنظر إليه، إن كنت نبيا، كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله عز وجل، فأنزل الله تعالى: "وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا" (١) يوحي إليه في المنام أو بالإلهام، ﴿أو من وراء حجاب﴾ يسمعه كلامه ولا يراه، كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام،

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٤٦) : لم أجده.." [١]

"﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (٦) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين (٧) أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين (٩) ﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٠٠/٧

﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ جاحدين، بيانه قوله: "تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون" (القصص-٦٣) .

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين﴾ يسمون القرآن سحرا.

﴿أم يقولون افتراه﴾ محمد من قبل نفسه، فقال الله عز وجل: ﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا﴾ لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبني على افترائي، فكيف أفتري على الله من أجلكم، }هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. ﴿كفى به شهيدا بيني وبينكم﴾ أن القرآن جاء من عنده، ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به.

﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ أي بديعا، مثل: نصف ونصيف، وجمع البدع أبداع، لست بأول مرسل، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي. ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ اختلف العلماء في معنى هذه الآية:

فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه **الآية فرح المشركون**، فقالوا: واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فأنزل الله: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر"، (الفتح-٢) فقالت الصحابة: هنيئا لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل." (١)

"﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى (٤٥) من نطفة إذا تمنى (٤٦) وأن عليه النشأة الأخرى (٤٧) ﴾

﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

قال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن، **لأن الفرح يجلب** الضحك، والحزن يجلب البكاء.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا قيس، هو ابن الربيع الأسدي، حدثنا سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم وكان أصحابه يجلسون ويتناشدون الشعر، ويذكرون

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٥٢/٧

أشياء من أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا (١) -يعني النبي صلى الله عليه وسلم -.
وقال معمر عن قتادة: سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل (٢) .
﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ أي: أمات في الدنيا وأحيا للبعث. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.
﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ من كل حيوان.
﴿من نطفة إذا تمنى﴾ أي: تصب في الرحم، يقال: منى الرجل وأمنى. قاله الضحاك وعطاء بن أبي رباح. وقال آخرون: تقدر، يقال: منيت الشيء إذا قدرته.
﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾ أي: الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الترمذي في الآداب، باب ما جاء في إنشاد الشعر: ٨ / ١٤٢-١٤٣ وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، والإمام أحمد: ٥ / ٩١. وأخرجه مسلم في الفضائل، باب تبسمه صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته برقم: (٢٣٢٢) : ٤ / ١٨١٠ بلفظ: "أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. كثيرا. كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس. فإذا طلعت قام. وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم صلى الله عليه وسلم".
(٢) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف": ١١ / ٤٥١.." [1]

"والباقون بفتحها، فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الروح الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم.
ومن قرأ بالفتح معناه: فله روح وهو الراحة، وهو قول مجاهد. وقال سعيد بن جبير: فرح. وقال الضحاك: مغفرة ورحمة.
﴿وريحان﴾ استراحة. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: رزق. وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله أي رزق الله.
وقال آخرون: هو الريحان الذي يشم. قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه. (١) .

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٤١٨/٧

﴿وجنة نعيم﴾ قال أبو بكر الوراق: "الروح" النجاة من النار، و"الريحان" دخول دار القرار.

﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين (٩٠) فسلام لك من أصحاب اليمين (٩١) وأما إن كان من المكذبين الضالين (٩٢) ﴾

﴿وأما إن كان﴾ المتوفى ﴿من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم، فإنهم سلموا من عذاب الله أو أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة.

قال مقاتل: ١٥٢/ب هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم.

وقال الفراء وغيره: (٢) مسلم لك أنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: مسلم لك أنك من أصحاب اليمين وألفيت إن كالرجل يقول إني مسافر عن قليل، فيقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: "فسلام لك" أي عليك من أصحاب اليمين. ﴿وأما إن كان من المكذبين﴾ بالبعث ﴿الضالين﴾ عن الهدى وهم أصحاب المشئمة.

---

(١) أورد هذه الأقوال الطبري: ٢٧ / ٢١١ - ٢١٢ ثم قال مرجحا: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عنى **بالروح: الفرح والرحمة** والمغفرة وأصله من قولهم: وجدت روحا: إذا وجد نسيما يستروح إليه من كرب الحر، وأما الريحان: فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العاليه والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانية".

(٢) معاني القرآن للفراء: ٣ / ١٣١ بتصرف.." [١]

"مجاهد: كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية (١) .

وقال قوم: تم الكلام عند قوله: "هم الصديقون" ثم ابتدأ فقال: والشهداء عند ربهم، و"الواو" واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة. ثم اختلفوا فيهم فقال قوم: هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، يروى ذلك عن ابن عباس (٢) هو قول مقاتل بن حيان. وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله (٣) .

﴿لهم أجرهم﴾ بما عملوا من العمل الصالح ﴿ونورهم﴾ على الصراط ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٦/٨

الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٢٠) ﴾

قوله عز وجل: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا﴾ أي: أن الحياة الدنيا، و"ما" صلة، أي: أن الحياة في هذه الدار ﴿لعب﴾ باطل لا حاصل له ﴿ولهو﴾ فرح ثم ينقضي ﴿وزينة﴾ منظر تتزينون به ﴿وتفاخر بينكم﴾ يفخر به بعضكم على بعض ﴿وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ أي: مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلا فقال: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار﴾ أي: الزراع ﴿نباته﴾ ما نبت من ذلك الغيث ﴿ثم يهيج﴾ ييبس ﴿فتراه مصفرا﴾ بعد خضرته ونضرته ﴿ثم يكون حطاما﴾ يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ قال مقاتل: لأعداء الله ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ لأوليائه وأهل طاعته.

﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه ١٥ / ٤ أ

---

(١) أخرجه عبد الرازق في التفسير: ٢ / ٢٧٦. انظر: البحر المحيط: ٨ / ٢٢٣.

(٢) ذكره الطبري: ٢٧ / ٢٣١.

(٣) انظر: القرطبي: ١٧ / ٢٥٣.." [1]

"﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١) ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢) لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤) ﴾

﴿سابقوا﴾ سارعوا ﴿إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ لو وصل بعضها ببعض ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ فبين أن أحدا لا يدخل الجنة إلا بفضل الله. قوله عز وجل: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ يعني: قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ﴿ولا في أنفسكم﴾ يعني: الأمراض وفقد الأولاد ﴿إلا في كتاب﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿من قبل أن نبرأها﴾ من قبل أن نخلق الأرض والأنفس. قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٨/٣٩

المصيبة. وقال أبو العالية: يعني النسمة ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل. ﴿لكي لا تأسوا﴾ تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ من الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ قرأ أبو عمرو بقصر الألف، لقوله "فاتكم" فجعل الفعل له وقرأ الآخرون ﴿آتاكم﴾ بمد الألف، أي: أعطاكم. قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن **اجعلوا الفرح شكرا** والحزن صبرا (١) ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ متكبر بما أوتي من الدنيا "فخور" يفخر به على الناس.

قال جعفر بن محمد الصادق: يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت (٢) . ﴿الذين يبخلون﴾ قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال. وقيل: هو رفع بالابتداء

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧ / ٢٣٥، وصححه الحاكم: ٢ / ٤٧٩ ووافقه الذهبي. وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٨ / ٦٢ عزوه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب.

(٢) انظر: القرطبي: ١٧ / ٢٥٨.." [1]

"عن الحق. قال ابن عباس: هم الذين جعلوا لله ندا، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مسقط، وقسط إذا جار فهو قاسط ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾ أي: قصدوا طريق الحق وتوخوه.

﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (١٥) وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (١٦) لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا (١٧) ﴾

﴿وأما القاسطون﴾ الذين كفروا ﴿فكانوا لجهنم حطبا﴾ كانوا وقود النار يوم القيامة. ثم رجع إلى كفار مكة فقال: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ اختلفوا في تأويلها فقال قوم: لو استقاموا على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ كثيرا قال مقاتل: وذلك بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين. وقالوا معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: "ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم" الآية (المائدة-٦٦) وقال: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء" الآية (الأعراف-٩٦) . وقوله تعالى: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا. وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٨/٤٠

وقال آخرون: معناها وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه، عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم، وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان، كما قال الله: "فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء" الآية (الأنعام-٤٤) .

﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب: "يسلكه" بالياء وقرأ الآخرون بالنون، أي: ندخله ﴿عذابا صعدا﴾ قال ابن عباس: شاقا والمعنى ذا صعد أي: ذا مشقة. قال قتادة: لا راحة فيه. وقال مقاتل: لا فرح فيه. قال الحسن: لا يزداد إلا شدة. والأصل فيه أن الصعود يشق على [الناس] (١) .

---

(١) في "ب" الإنسان.." (١)

"الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد، ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني فلأضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله فأخذت برأسه وقلت: والله لا يناجيه الليلة أحد دوني، فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت: مهلا يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا. قال: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، [وذلك لأني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم] (١) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به"، قال: فذهبت إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: "ويحك يا أبا سفيان [ألم يأن] (٢) لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ " قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره فقد أغنى عني شيئا بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي وما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه فإن في النفس منها [حتى الآن] (٣) شيئا، قال العباس: قلت له: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق وأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئا، قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٤١/٨

آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عباس احبسه، بمضيق الوادي عند خطم (٤) الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: ومرت به القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: أقول: سليم، قال يقول: مالي ولسليم، ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته يقول: مالي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء، كتيبة رسول الله، فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من "ب".
(٢) ألم يحن، يقال: آن الشيء يئين، وأنى يأني (كرم يرمي) وأنى يأنى (من باب فرح) كله بمعنى حان.
(٣) ساقط من "ب".
(٤) أنف الجبل، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق.." [1]

"حكم وفوائد. وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب، وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم، ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور، من غير تفتيش وتكثير سؤال، ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة، والدلالة على بركة البر بالوالدين، والشفقة على الأولاد، وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء، وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق «١» في اختيار ما يتقرب به، وأن يختاره فتى السن غير قحم ولا ضرع، حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر إليه، وأن يغالى بثمنه، كما يروى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجيبة «٢» بثلاثمائة دينار، وأن الزيادة في الخطاب نسخ له، وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البداء، وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب، لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن تتولد منهما حياة. فإن قلت: فما للقصة لم تقص على ترتيبها، وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: وإذ قتلتم نفسا فادارأتم

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٥٧١/٨

فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها؟ قلت: كل ما قص من قصص بنى إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعا لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام. وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك. والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة. وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع. ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى، دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: (اضربوه ببعضها)

حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة.

---

(١) . قوله «أن يتنوق» في الصحاح: تنوق في الأمر، أى تأنق فيه. ويفيد أيضا أن «القحم» المسن الفاني، و «الضرع» بالتحريك الضعيف النحيف. و **«الأنق» الفرح والسرور**. (ع)

(٢) . أخرجه أبو داود من رواية الجهم بن الجارود عن سالم عن أبيه. قال: «أهدى عمر رضى الله عنه نجيبة فأعطى بها ثلاثمائة دينار. فقال يا رسول الله أفأبيعها وأشترى بثمنها بدنا؟ قال: لا، أنحرها إياها» .." (١)

"كما قالت ليلى الأخيلية:

ولم يغلب الخصم الألد ويملإ ... الجفان سديفا يوم نكباء صرصر «١»

فإن قلت: فما معنى قوله مثل ريح فيها صر

؟ قلت: فيه أوجه: أحدهما أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر، كما تقول: برد بارد على المبالغة. والثاني:

أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله. والثالث: أن يكون من قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ومن قولك: إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل. قال:

وفى الرحمن للضعفاء كافى «٢»

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١/١٥٤

. (١)

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ ... بنجد ولم يطلع من المتغور

ولم يغلب الخصم الألد ويملأ ... الجفان سديفا يوم نكباء صرصر

لليلى الأخيلية ترثى صاحبها توبة بن الحمير وتتذكر أحواله وتعد مناقبه. وفتى الفتيان: أى هو الفتى من بينهم وليسوا فتيانا بالنسبة له وإن كانوا فتيانا في أنفسهم، وتوبة بدل. ولم ينخ من أناخ بعيره، خبر كأن، أى كأنه لم ينخ بعيره بمحل مرتفع. ويروى: لم يسر بنجد، ولم يطلع من أطلع بمعنى طلع، أو لم يطلع بعيره من المتغور على اسم المفعول، أى المكان المنخفض ما فيه، وكأنه لم يغلب الخصم الشديد الخصومة. ويروى الخصم الصحاح بفتح الصاد، بمعنى الصحيح، وكأنه لم يملأ الجفان سديفا، أى قطعا بيضا من السنام في زمن الريح الشديدة الباردة، أو كثيرة الصرير وهو التصويت تعنى أنه كان يفعل ذلك كله، ثم كأنه اليوم لم يفعل لموته.

. (٢)

لقد زاد الحياة إلى حبا ... بناني إنهن من الضعاف

أحاذر أن يرين البؤس بعدي ... وأن يشربن رنقا بعد صاف

وأن يعرين إن كسى الجواري ... فتنبو العين عن كرم عجاف

ولولا هن قد سويت مهري ... وفي الرحمن للضعفاء كافى

لأبى خالد الخارجي. وقيل: لمحمد بن عبد الله الأزدى. وقيل: لعمران بن حطان. وقيل غير ذلك لامه قطري ابن الفجاءة عن التخلف عن الحرب فاءتذر بذلك. وبناتي فاعل زاد. وأحاذر أى أخاف أن يدركهن الفقر بعد موتى، وكنى عن ذلك برؤيتهن له مبالغة، لأنه إذا خاف الرؤية خاف اللحوق. ويروى مخافة أن يذقن البؤس، أى الشدة، فشبهه بمطعوم على سبيل المكنية والذوق تخييل. ورنق الماء كدر، وترنق تكدر، ورنقه وأرنقه كدره، والرنق بالتحريك مصدر كالكدر فسكن وأريد منه الماء الكدر. وروى «زيفا» أى مغشوشا مكدرا، فالمراد واحد، فشبه العيش المنغص به، وشبه العيش الناعم بالماء الصافي على طريق التصريح والشرب ترشيح، وكسى بوزن فرح لازم ضد عرى. ويجوز هنا بناؤه للمجهول، من كسى المتعدي كدعا. وإن للشرط المجرد عن الشك أو بمعنى إذ. وتنبو ترتفع عنهن، كناية عن عدم التزوج بهن. والكرم بالسكون، وقيل- بالكسر- وصف من الكرم يقع على الواحد والمتعدد مذكرا ومؤنثا. ويروى «عن رم» أى باليات، وهو أشبه بالسياق. والعجاف جمع عجفاء، أى مهزولة، أى لا يلتفت إليهن مع كونهن كريمات لهزالهن

ورثاثة حالهن. وسويت مهري: وضعت عليه آلات الحرب ومهدته وهيأته لها. ويروى «قد سموت مهري» ولعله بتخفيف الميم بمعنى علوت عليه وركبته وقيل: بمعنى وضعت عليه سمات الحرب، فلعله مقلوب. و «سمت» وروى سومت بالتشديد، وهو الذي يصلح أنه بمعنى جعلت عليه علامات الحرب لا ذاك، وجود من جانب الله عز وجل شخصا كافيا، ولا حجر في المبالغة لا سيما على العرب. وفيه نوع استرجاع إلى الله وتفويض إليه وتوكل عليه، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين.." (١)

"في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير واو. وقرأ الباقون بالواو. وتنصره قراءة أبى وعبد الله: وسابقوا. ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة: الإقبال على ما يستحقان به عرضها السماوات والأرض أى عرضها عرض السموات والأرض، كقوله: (عرضها كعرض السماء والأرض) والمراد وصفها بالسعة والبسطة، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه.

وخص العرض، لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، كقوله: (بطائنها من إستبرق) . وعن ابن عباس رضى الله عنه: كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر، لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل، كما حكى عن بعض السلف: أنه ربما تصدق ببصلة. وعن عائشة رضى الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب «١» أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة، لا تمنعهم حال فرح وسرور، ولا حال محنة وبلاء، من المعروف. وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس، فإنه لا يدع الإحسان. وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين.

كظم القربة: إذا ملأها وشد فاها. وكظم البعير: إذا لم يجتر. ومنه كظم الغيظ، وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم» من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا «٢» » وعن عائشة رضى الله عنها: أن خادما لها غاظها فقالت: لله در التقوى، ما تركت لذي غيظ شفاء. والعافين عن الناس إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه. وروى «ينادى مناد يوم القيامة: أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا» «٣» وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه. وعن النبي صلى

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٠٤/١

(١) . أخرجه ابن سعد أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا فضيل بن مرزوق عن ظبية بنت المعلل. قالت «دخلت على عائشة فجاء سائل فأعطته حبة عنب، ثم نظرت إلينا. وقالت: أتعجبين من هذا؟ إن في هذا لمثاقيل كثيرة» .

(٢) . أخرجه أبو داود. من رواية ابن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه. قال ابن طاهر: هذا الصحابي هو معاذ بن أنس وابنه هو سهل. ورواه عبد الرزاق وأحمد عنه. والعقيلي من طريقه. قال: أخبرنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عمر له عن أبى هريرة به. وعبد الجليل مجهول.

(٣) . أخرجه البيهقي في الشعب. من رواية المبارك بن فضالة عن الحسن عن عمران بن حصين رفعه «إذا كان يوم القيامة ينادى مناد من بطنان العرش ليقم الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا» وفي إسناده قصة إبراهيم بن مهدى مع المأمون. ورواه الطبراني من رواية محرز أبى رجاء عن الحسن قال «يقال يوم القيامة ليقم من كان له على أنه أجر فما يقوم إلا إنسان عفا، ثم قرأ (والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) . وذكره أبو شجاع في الفردوس عن أنس رضى الله عنه.." (١)

"لوهب: إنى أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب. وقال: والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك، وعن محمد بن كعب: لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه «١» ولا يحل لجاهل أن يسكت على جهله حتى يسأل. وعن على رضى الله عنه. ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا «٢» . وقرئ: ليبيننه. ولا يكتمونه، بالياء، لأنهم غيب. وبالتاء، على حكاية مخاطبتهم، كقوله: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن)

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٨٨]

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم (١٨٨)

لا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وأحد المفعولين الذين يفرحون والثاني (بمفازة) وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره: لا تحسبنهم، فلا تحسبنهم فائزين. وقرئ:

لا تحسبن. فلا تحسبنهم، بضم الباء على خطاب المؤمنين. ولا يحسبن. فلا يحسبنهم، بالياء وفتح الباء

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤١٥/١

فيهما، على أن الفعل للرسول. وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني، على أن الفعل للذين يفرحون، والمفعول الأول محذوف على: لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة، بمعنى: لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين، وفلا يحسبنهم، تأكيد. ومعنى بما أوتوا بما فعلوا. وأتى وجاء، يستعملان بمعنى فعل. قال الله تعالى: (إنه كان وعده مأتيا) ، (لقد جئت شيئا فريا) . ويدل عليه قراءة أبى: يفرحون بما فعلوا. وقرئ: آتوا، بمعنى أعطوا. وعن على رضى الله عنه: بما أوتوا. ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه. روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه «٣» ، وأروه أنهم قد صدقوه، واستحمدوا إليه، وفرحوا بما فعلوا، فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم: أى: لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا- من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه- ناجين من العذاب. ومعنى (يفرحون بما أتوا)

(١) . قوله «على علمه» لعل بعده سقطا تقديره «حتى يعلم» . (ع)

(٢) . رواه الحرث بن أبى أسامة أخبرنا عبد الوهاب الخفافى حدثنا الحسن بن عمارة حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزار: سمعت عليا يقول فذكره والحسن متروك، ومن طريق الحرث رواه الثعلبي ورويناه في جزء الذراع قال: كتب الحارث بن أسامة فذكره، وذكره ابن عبد البر في العلم. قال: ويروى عن على. وذكره صاحب الفردوس عن على. فكأنه وقف عليه مرفوعا.

(٣) . متفق عليه من رواية حميد بن عبد الرحمن أن مروان قال لبوابه: يا رافع اذهب إلى ابن عباس فقل له لئن كان امرؤ **منا فرح بما** أوتى وحمد بما لم يفعل عذب لنعذبن جميعا. فقال ابن عباس رضى الله عنهما: إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، أتاه اليهود فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه ... الحديث» . [.....]."[١]

"بما أوتوه من علم التوراة. وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه. وقيل: هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف، واستحمدوا إليه بترك الخروج. وقيل: هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم، ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٥١/١

لإبطانهم الكفر. ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتى بحسنة فيفرح **بها فرح إعجاب**، ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٨٩ الى ١٩١]

ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير (١٨٩) إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (١٩١)

ولله ملك السماوات والأرض فهو يملك أمرهم. وهو على كل شيء قدير، فهو يقدر على عقابهم لآيات لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لأولي الألباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر. وفي النصائح الصغار: املأ عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلهما في جملة هذه العجائب، متفكرا في قدرة مقدرها، متدبرا حكمة مدبرها، قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر: وعن ابن عمر رضى الله عنهما: قلت لعائشة رضى الله عنها: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، «١» فبكت وأطالت، ثم قالت: كل أمره عجب، أتانى في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي، ثم قال: يا عائشة، هل لك أن تأذنى لي الليلة في عبادة ربى؟ فقلت: يا رسول الله، إنى لأحب قربك وأحب هواك، قد أذنت لك. فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء، ثم قام يصلى، فقرأ من القرآن فجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقويه، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكى، ثم رفع يديه فجعل يبكى

---

(١) . أخرجه ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء: دخلت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة، فقالت: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول كما قال الأول: زر غبا تزدد حبا، فقالت: دعونا من بطالتكم هذه. ثم قال ابن عمر لعائشة: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث بطوله ورواه عبد بن حميد، والثعلبي وغيرهم من رواية أبى جناب الكلبي عن عطاء قال: دخلت أنا وابن عمر على عائشة فقال لها ابن عمر أخبريني ... فذكره.." [1]

---

(١) تفسير الزم خشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٥٢/١

"أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله. فإن قلت: إن علقت الشرط به فما تصنع بقوله: فيكشف ما تدعون إليه مع قوله أو أتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين؟ قلت: قد اشترط في الكشف المشيئة، وهو قوله: إن شاء إيذانا بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة، إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٤٢ الى ٤٥]

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٤٣) فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥)

البأساء، والضراء: البؤس، والضر. وقيل البأساء: القحط والجوع. والضراء: المرض ونقصان الأموال والأنفس. والمعنى: ولقد أرسلنا إليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه: نفى التضرع، كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا. ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء: أى تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة، ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء، كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى، طلبا لصلاحه حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم، لم يزيدوا **على الفرح والبطر**، من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون واجمون «١» متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم أحد، قد استؤصلت شأفتهم «٢» والحمد لله رب العالمين

---

(١) . قوله «واجمون» في الصحاح «الواجم» الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام. (ع)

(٢) . قوله «شأفتهم» قرحة تخرج من أسفل القدم فتكوى فتذهب، ثم ضربت مثلا في الاستئصال. أوده الصحاح. (ع)." [1]

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٢٣

"بطر فخور على الناس بما أذاقه الله من نعمائه، قد **شغله الفرح والفخر** عن الشكر إلا الذين آمنوا، فإن عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا، وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا.

[سورة هود (١١) : آية ١٢]

فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (١٢)

كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم. ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات، فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى إليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه، فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك أى لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم أن يقولوا مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أى هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه، ثم قال إنما أنت نذير أى ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه، ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون، وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل، فتوكل عليه، وكل أمرك إليه، وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح، غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم. فإن قلت: لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟ قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا. ومثله قولك: زيد سيد وجواد، تريد السيادة والجواد الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراآت. وقول السمهري العكلي:

بمنزلة أما اللئيم فسامن ... بها وكرام الناس باد شحوبها «١»

[سورة هود (١١) : آية ١٣]

أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (١٣)

---

(١) . العكلي. والشحوب تغير اللون. وأنشده أبو زيد شاهدا على أن الشحوب في لغة بنى كلاب الهزال، وهو أنسب بالمقابلة لقوله بمنزلة مجدبة صفتها أنها. أما اللئيم الذي همه بطنه، فهو سامن فيها لكثرة

أكله. وأما كرام الناس فهم متغيرون فيها مهازيل، لأنهم يطعمون ولا يطعمون. و «فاعل» من سمن شاذ، وقياسه «فعيل» .." (١)

"إبراهيم وقال: «القلب يجزع، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون «١» » وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه، فقيل: يا رسول الله، تبكى وقد نهيتنا عن البكاء؟ فقال: ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين: صوت عند الفرح، وصوت عند الترح «٢» : وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره، فقيل له في ذلك، فقال: ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملوة من الغيظ «٣» على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم، فعيل بمعنى مفعول، بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه، والكظم بفتح الظاء: مخرج النفس.

يقال: أخذ بأكظامه.

[سورة يوسف (١٢) : آية ٨٥]

قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين (٨٥)

تفتؤا أراد: لا تفتؤ، فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات، لأنه لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون. ونحوه:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا «٤»

---

(١) . متفق عليه من حديث أنس.

(٢) . قال المخرج: عزاه الطيبي إلى الصحيحين فلم يصب. ولم يرد هذا في ولد بعض بناته وإنما ورد في ولده إبراهيم كما أخرجه الترمذي وابن أبى شيبة وإسحاق وعبد بن حميد وغيرهما من حديث جابر. وأخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن ابن عوف نحوه. والذي ورد في بعض بناته متفق عليه من حديث أسامة وفيه «ففاضت عيناه فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده» قلت والأول إنما هو بلفظ «قال عبد الرحمن بن عوف:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٨٢/٢

أتبكي، أو لم تكن نهيت عن البكاء؟ قال: لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين: صوت عند مصيبة، وخمش وجوه، ورنة شيطان، وشق جيوب. وصوت نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان» .

(٣) . قوله «فهو مملوء من الغيظ» أى الغضب الكامن. أفاده الصحاح. قوله «ولا يظهر ما يسوؤهم» أى لما صنعوا بيوسف وأخيه. (ع) [.....]

(٤) .

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالا على حال

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

لامرئ القيس. يقول: سموت إلى محبوبتى سلمى بعد نوم أهلها، ولم يسمع لي أحد صوتا، ولم تشعر بى هي إلا وأنا عندها، كسمو حباب الماء فوقه بسهولة. وحباب الماء- بالضم: اسم لثعبان الماء. وحباب الماء- بالفتح-:

فقاقعه التي تعلوه. وقوله: «حالا على حال» واقع موقع الحال المؤكدة للتشبيه، أى: حالا منطبقا على حال ومساويا له، كقولك «سواء بسواء» وهاهنا حذف، أى: فخوفتنى بالقوم، فقلت: يمين الله أبرح، أى: لا أبرح قاعدا.

وحذف «لا» النافية للمضارع بعد القسم كثير لأمن اللبس، ولأنه لولا تقديرها لوجب اقتران الفعل بلام جواب القسم أو بنون التوكيد أو بهما. ويمين: نصب بمحذوف، أى أحلف يمين الله، فهو كالمصدر النائب عن فعله.

وبقية القصة تقدمت.." (١)

"رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من **الدنيا فرح بطر** وأشر **لا فرح سرور** بفضل الله وإنعامه عليهم، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة، وخفى عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك.

[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٢٧ الى ٢٩]

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب (٢٧) الذين

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٩٨/٢

آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨) الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (٢٩)

فإن قلت: كيف طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل من يشاء؟ قلت: هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم، وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبى قبله، وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية، فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه فط، كان موضعا للتعجب والاستنكار، فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم: إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم أناب أقبل إلى الحق، وحقيقته دخل في نوبة الخير، والذين آمنوا بدل من من أناب. وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته، كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته، أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ، وطوبى لهم خبره. ويجوز أن يكون بدلا من القلوب، على تقدير حذف المضاف، أى: تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا، وطوبى مصدر من طاب، كبشرى وزلفى. ومعنى «طوبى لك» أصبت خيرا وطيبا، ومحلها النصب أو الرفع، كقولك:

طيبا لك، وطيب لك، وسلاما لك، وسلام لك. والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب، تدلك على محليها. واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك، والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها، كموقن وموسر. وقرأ مكوزة الأعرابى: طيبي لهم، فكسر الطاء لتسلم الياء، كما قيل: بيض ومعيشة.." (١)

"بيان للرجس وتمييز له، كقولك: عندي عشرون من الدراهم، لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء، كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. والزور من الزور والازورار وهو الانحراف، كما أن الإفك من أفكه إذا صرفه. وقيل قول الزور قولهم: هذا حلال وهذا حرام، وما أشبه ذلك من افترائهم. وقيل: شهادة الزور. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله، عدلت شهادة الزور الإشراك بالله، عدلت شهادة الزور الإشراك بالله» «١» وتلا هذه الاية.

وقيل: الكذب والبهتان. وقيل: قول أهل الجاهلية في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٢٨/٢

وما ملك. يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مزعا «٢» في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح «٣» البعيدة. وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادى الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة «٤» .

---

(١) . أخرجه أبو داود وأحمد وإسحاق وابن أبى شيبة من رواية سفيان بن زياد العصفري عن أبيه عن حبيب ابن النعمان عن حريم بن فاتك. وأخرجه الترمذي من رواية العصفري عن فاتك بن فضالة عن أنس بن حريم كذا قال.

(٢) . قوله «مزعا» مفرده «مزعة» بالضم. أى: قطعة لحم كما في الصحاح. (ع)

(٣) . قوله «والمطاوح» أى المقاذف. وطاح يطوح ويطيح: هلك وسقط. وطوحته الطوائح: قذفته القواذف، كذا في الصحاح أيضا. (ع) [.....]

(٤) . قال محمود: «ويجوز في هذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا، فان كان مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير فصيرته مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، وشبه الأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادى الضلالة بالريح تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة» قال أحمد: أما على تقدير أن يكون مفرقا، فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالهاوى من السماء إلى التنبيه على أحد أمرين: إما أن يكون الاشراك المراد ردته، فانه حينئذ كمن علا إلى السماء بإيمانه ثم هبط بارتداده. وإما أن يكون الاشراك أصليا، فيكون قد عد تمكن المشرك من الايمان ومن العلو به ثم عدوله عنه اختيارا، بمنزلة من علا إلى السماء ثم هبط كما قال تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات فعدهم مخرجين من النور وما دخلوه قط، ولكن كانوا متمكنين منه. وقد مضى تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا. وفي تقريره تشبيه الأفكار المتوزعة للكافر بالطير المختطفة، وفي تشبيه تطويح الشيطان بالهوى مع الريح في مكان سحيق: نظر، لأن الأمرين ذكرا في سياق تقسيم حال

الكافر إلى قسمين، فإذا جعل الأول مثلا لاختلاف الأهواء والأفكار. والثاني مثلا لنزغ الشيطان: فقد جعلهما شيئا واحدا، لأن توزع الأفكار واختلاف الأهواء، مضاف إلى نزغ الشيطان، فلا يتحقق التقسيم المقصود. والذي يظهر في تقرير التشبيهين غير ذلك، فنقول: لما انقسمت حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما، الأول منهما: المتذبذب والمتمادى على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة، فهذا القسم من المشركين مشبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستولى طائر على مزعة منه إلا انتهبها منه آخر، وذلك حال المذبذب لا يلوح له خيال إلا اتبعه ونزل عما كان عليه. والثاني: مشرك مصمم على معتقد باطل، لو نشر بالمباشير لم يكع ولم يرجع لا سبيل إلى تشكيكه ولا مطمع في نقله عما هو عليه، **فهو فرح مبتهج** لضلالته، فهذا مشبه في إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى واد سافل فاستقر فيه. ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد الأخباء عن السماء: وصف ضلاله بالبعد في قوله تعالى أولئك في ضلال بعيد ضلوا ضلالا بعيدا أى صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم إلى الحق، فهذا تحقيق القسمين، والله أعلم.." (١)

"[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٥٣]

فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون (٥٣)

وقرئ زبرا جمع زبور، أى: كتبا مختلفة، يعنى: جعلوا دينهم أديانا، وزبرا قطعا: استعيرت من زبر الفضة والحديد، وزبرا: مخففة الباء، كرسل في رسل، أى: كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين **دينهم، فرح بباطله**، مطمئن النفس، معتقد أنه على الحق.

[سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٥٤]

فذرهم في غمرتهم حتى حين (٥٤)

الغمرة. الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم. أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل. قال:

كأننى ضارب في غمرة لعب «١»

وعن على رضى الله عنه: في غمراتهم حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٥٥/٣

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٥٥ الى ٥٦]

أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٥٦)

سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره. وقرئ: يمدهم. ويسارع، ويسرع، بالياء، والفاعل الله سبحانه وتعالى. ويجوز في:

يسارع، ويسرع: أن يتضمن ضمير الممد به. ويسارع، مبنيا للمفعول. والمعنى: أن هذا الإمداد ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي، واستجرارا إلى زيادة الإثم، وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات، وفيما لهم فيه نفع وإكرام، ومعاجلة بالثواب قبل وقته. ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين. وبل استدراك لقوله أيحسبون يعنى:

بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور، حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك: أهو استدراج، أم مسارعة في الخير؟ فإن قلت: أين الراجع من خبر أن إلى اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره؟

قلت: هو محذوف تقديره: نسارع به، ويسارع به، ويسارع الله به، كقوله إن ذلك لمن عزم الأمور أى إن ذلك منه، وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس.

---

(1) .

ليالي اللهو يطبينى فأتبعه ... كأننى ضارب في غمرة لعب

لذي الرمة. وليالي: منصوب على الظرفية، واللهو: مبتدأ. وطباه يطبوه ويطبيه: إذا دعاه وجذبه. وطبي الناقة ثديها لجذبه عند الحلب. أى اللهو يدعوني في ليال كثيرة فأتبعه، كأنى سابح في لجة من الماء تغمر القامة، لعب فيها فهو خبر ثان. ويروى: لغب. بالمعجمة من اللغوب وهو المشقة. وقيل «ليالي» مضاف للجملة بعده، فهو ظرف لما قبله. وروى: اللهو بالجر. وتطبينى بالتاء، فالفاعل ضمير الليالي.." [١]

"وقال: أبن الحق؟ وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم: إن فيه كذا وكذا، ثم أمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها، فجعل رزقها في الشجرة. وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها، فجعل رزقها في الفواكه. ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه، ثم رد الهدية وقال للمنذر:

أرجع إليهم، فقالت: هو نبى وما لنا به طاقة، فشخصت إليه في اثنى عشر ألف قيل، تحت كل قيل ألوف.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٩١/٣

وفي قراءة ابن مسعود رضى الله عنه: فلما جاءوا. أتمدونن وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالإدغام، كقوله أتحاجوني وبنون واحدة: أتمدوني. الهدية:
اسم المهدى، كما أن العطية اسم المعطى، فتضاف إلى المهدى والمهدى إليه، تقول هذه هدية فلان، تريد: هي التي أهداها أو أهديت إليه، والمضاف إليه هاهنا هو المهدى إليه. والمعنى: أن ما عندي خير مما عندكم، وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع، وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه، فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم، لأن ذلك مبلغ همتكم وحالى خلاف حالكم، وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية. فإن قلت: ما الفرق بين قولك: أتمدني بمال وأنا أغنى منك، وبين أن تقوله بالفاء؟ قلت: إذا قلته بالواو، فقد جعلت مخاطبى عالما بزيادتى عليه في الغنى واليسار، وهو مع ذلك يمدني بالمال. وإذا قلته بالفاء، فقد جعلته مخاطبى عالما بزيادتى عليه في الغنى واليسار، وهو مع ذلك يمدني بالمال. وإذا قلته بالفاء، فقد جعلته ممن خفيت عليه حالى، فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده، كأنى أقول له: أنكر عليك ما فعلت، فإني غنى عنه. وعليه ورد قوله فما آتاني الله. فإن قلت:
فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه: وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح، إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها. ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدى، ويكون المعنى: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها **تفرحون فرح افتخار** على الملوك، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها.
ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد، كأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٣٧]
ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (٣٧)
ارجع خطاب للرسول. وقيل: للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة.
وحقيقة القبل: المقاومة والمقابلة، أى: لا يقدرون أن يقابلوهم. وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه: لا قبل لهم بهم. الضمير في منها لسبأ. والذل: أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز و الملك.." (١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٦٦/٣

"إنا رادوه إليك ويجوز: وأصبح فؤادها فارغا من الهم، حين سمعت أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها، لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت، لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من **شدة الفرح والابتهاج**، لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه. وقرئ: مؤسى، بالهمزة: جعلت الضمة في جارة الواو- وهي الميم- كأنها فيها، فهمزت كما تهمز واو وجوه قصيه اتبعى أثره وتتبعى خبره. وقرئ فبصرت بالكسر- يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة، بمعنى: عن بعد. وقرئ: عن جانب، وعن جنب. والجنب: الجانب. يقال: قعد إلى جنبه وإلى جانبه، أى: نظرت إليه مزورة متجانفة مخاتلة «١» . وهم لا يحسون بأنها أخته، وكان اسمها مريم.

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٢ الى ١٣]

وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣)

التحريم: استعارة للمنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه. ألا ترى إلى قولهم: محظور.

وحجر، وذلك لأن الله منعه أن يرضع ثديا، فكان لا يقبل ثدي مرضع قط، حتى أهمهم ذلك.

والمراضع: جمع مرضع، وهي المرأة التي ترضع. أو جمع مرضع، وهو موضع الرضاع يعنى الثدي أو الرضاع من قبل من قبل قصصها أثره. روى أنها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان: إنها لتعرفه وتعرف أهله، فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون «٢» والنصح:

إخلاص العمل من شائب الفساد، فانطلقت إلى أمها بأمرهم، فجاءت بها والصبى على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع، فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ قالت: إنى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أوتى بصبى إلا قبلني، فدفعه إليها وأجرى عليها، وذهبت به إلى بيتها، وأنجز الله وعده في الرد، فعندها ثبت واستقر في علمها أن سيكون نبيا. وذلك قوله ولتعلم أن وعد الله حق يريد. وليثبت علمها ويتمكن. فإن قلت: كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟

---

(١) . قوله «متجانفة مخاتلة» متجانفة: أى مائلة. ومخاتلة: أى مخادعة. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) . قال محمود: «إنهم اتهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام، فقالت إنما أردت

وهم للملك فرعون ناصحون، فخلصت من التهمة» قال أحمد: أوردت هذه التورية استحسانا لفطنتها، ولكونها من بيت النبوة، وأخت النبي، فحقيق لها ذلك.." (١)

"أوب، فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف، ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام. وإسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة، وإلى الحرم مجاز يجبى إليه تجلب وتجمع. قرئ:

بالياء والتاء. وقرئ: تجنى، بالنون، من الجنى. وتعديته بإلى كقوله: يجنى إلى فيه، ويجنى إلى الخافة «١» . وثمرات: بضمتين وبضمة وسكون. ومعنى الكلية: الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء، ولكن أكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا أى قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله، وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له، ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن من عنده، ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده.

فإن قلت: بم انتصب رزقا؟ قلت: إن جعلته مصدرا جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله، لأن معنى يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء: واحد، وأن يكون مفعولا له. وإن جعلته بمعنى: مرزوق، كان حالا من الثمرات لتخصصها بالإضافة، كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة.

[سورة القصص (٢٨) : آية ٥٨]

وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين (٥٨)

هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش، فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر، «٢» فدمرهم الله وخرب ديارهم. وانتصبت معيشتها إما بحذف الجار وإيصال الفعل، كقوله تعالى واختار موسى قومه وإما على الظرف بنفسها، كقولك: زيد ظنى مقيم «٣» . أو بتقدير حذف الزمان المضاف، أصله: بطرت أيام معيشتها، كخفوق النجم، ومقدم الحاج: وإما بتضمين بطرت معنى:

كفرت وغمطت. وقيل: البطر سوء احتمال الغنى: وهو أن لا يحفظ حق الله فيه إلا قليلا من السكنى. قال ابن عباس رضى الله عنهما: لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم معاصى المهلكين بقي أثره في ديارهم، فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٩٦/٣

(١) . قوله «ويجنى إلى الخافة» في الصحاح «الخافة» : خريطة من أدم يشتار فيها بعسل. وفيه «يشتار»
:
يجتنى. (ع)
(٢) . قوله «فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر» أى بطروها وحقروها. والأشر والبطر: شدة المرح والمرح: شدة الفرح، كذا في الصحاح. (ع)
(٣) . قوله «كقولك زيد ظنى مقيم» أى: في ظنى. (ع)." (١)

"نافق كما نافق السامري وقال: إذا كانت النبوة لموسى عليه السلام، والمذبح والقربان إلى هرون فما لي؟ وروى: أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان ويكون رأسا فيهم- وكان القربان إلى موسى فجعله موسى إلى أخيه- وجد قارون في نفسه وحسدهما، فقال لموسى: الأمر لكما ولست على شيء، إلى متى أصبر؟ قال موسى: هذا صنع الله قال: والله لا أصدق حتى تأتى بآية، فأمر رؤساء بنى إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه، فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحى ينزل عليه فيها، وكانوا يحرسون عصيهم بالليل، فأصبحوا وإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز، فقال قارون: ما هو بأعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم. قيل: ملكه فرعون على بنى إسرائيل فظلمهم. وقيل: من البغي وهو الكبر والبذخ: تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده. قيل: زاد عليهم في الثياب شبرا. المفاتح: جمع مفتح بالكسر: وهو ما يفتح به. وقيل هي الخزائن، وقياس واحدها: مفتح- بالفتح. ويقال: ناء به الحمل، إذا أثقله حتى أماله. والعصبة: الجماعة الكثيرة والعصابة: مثلها. واعصوصبوا: اجتمعوا. وقيل: كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا، لكل خزانة مفتاح، ولا يزيد المفتاح على أصبع. وكانت من جلود. قال أبو رزين: يكفى الكوفة مفتاح، وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ: الكنوز، والمفاتح، والنوء، والعصبة، وأولى القوة. وقرأ بديل بن ميسرة: لينوء بالياء. ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن، ويعطيها حكم ما أضيفت إليه للملابسة والاتصال، كقولك ذهبت أهل اليمامة. ومحل إذ منصوب بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل:
ولست بمفراح إذا الدهر سرنى «١»
وذلك أنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن. وأما من قلبه إلى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن

---
(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٢٣/٣

قريب، لم تحدثه نفسه بالفرح. وما أحسن ما قال القائل:

أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا «٢»

---

(١) .

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا أبتغى شرا إذا الشر تاركي ... ولكن متى أحمل على الشر أركب

لهدبة بن خشرم لما قاده معاوية إلى الحرة ليقتص منه في زياد بن زيد العذرى، فلقيه عبد الرحمن بن حسان فاستنشده فأنشده ذلك. والمفراح: كثير الفرح. والمراد: نفى الفرح من أصله. وصرف الدهر: حدثانه. وإذا: شرطية فلا بد بعدها من فعل، أى: إذا كان الشر تاركي. وأحمل مبنى للمجهول، وأركب للفاعل. والمعنى: أنى جربت الدهر فإذا هو خئون، ومع ذلك لا أتضعضع.

(٢) . لأبى الطيب، أى: أشد الغم عندي وقت السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه، وهكذا سرور الدنيا كله.." (١)

"فأقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله، غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا، وهو تمثيل لإقباله على الدين، واستقامته عليه، وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه، وسدد إليه نظره، وقوم له وجهه، مقبلا به عليه. وحنيفا حال من المأمور. أو من الدين فطرت الله أى الزموا فطرة الله. أو عليكم فطرة الله. وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين إليه ومنيبين: حال من الضمير في: الزموا. وقوله واتقوه وأقيموا ... ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر. والفطرة: الخلقة. ألا ترى إلى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى: أنه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الإسلام، غير نائين عنه ولا منكرين له، لكونه مجاوبا للعقل، مساوقا للنظر الصحيح، حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين «1» عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى «٢» » وقوله عليه السلام: كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه» «٣» لا تبديل لخلق الله أى ما ينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير. فإن قلت: لم وحد الخطاب أولا، ثم جمع؟ قلت: خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا، وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للإمام، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٣٠

فرقوا دينهم تركوا دين الإسلام. وقرئ: فرقوا دينهم بالتشديد، أى: جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم وكانوا شيعا فرقا، كل واحدة تشايع إمامها الذي أضلها كل حزب **منهم فرح بمذهبه** مسرور، يحسب باطله حقا- ويجوز أن يكون من الذين منقطعا مما قبله، ومعناه: من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم، ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل، كقوله:

وكل خليل غير هاضم نفسه «٤»

---

(١) . قوله «فاجتالتهم الشياطين» أدارتهم. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) . أخرجه مسلم من حديث عياض بن حمار به وأتم منه.

(٣) . متفق عليه من حديث أبى هريرة.

(٤) .

وكل خليل غير هاضم نفسه ... فبالصد والاعراض عنه جدير

للشماخ. ويروى: بدل الشطر الثاني: بوصل خليل صارم أو مصادر. وغير هاضم- بالرفع-: صفة كل. أو بالجر: صفة خليل، أى: من لم يخفض نفسه لصاحبه فهو حقيق بالصد والاعراض عنه لا بالمودة. وزادت الفاء، لأن المبتدأ فيه معنى الشرط. والصارم: القاطع. والمصادر: المجانب، أى: من لم يهضم نفسه لوصل خليله، أدى به ذلك إلى القطيعة، فان لم تكن فالى المجانبة، فكأنه مقاطع، أو مجانب بالفعل.." [١]

"على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر: استبشروا وابتهجوا، فإذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار، ضجوا وكفروا بنعمة الله. فهم في جمع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله، فقنطوا. وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها، فلم يزيدوا **على الفرح والاستبشار**. وأن يصبروا على بلائه، فكفروا. والريح التي اصفر لها النبات: يجوز أن تكون حرورا وحرجفا، فكلتاهما مما يصوح «١» له النبات ويصبح هشيما. وقال: مصفرا: لأن تلك صفرة حادثة. وقيل: فرأوا السحاب مصفرا، لأنه إذا كان كذلك لم يمطر.

[سورة الروم (٣٠) : آية ٥٤]

الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٧٩

وهو العليم القدير (٥٤)
قرئ: بفتح الضاد وضمها، وهما لغتان، والضم أقوى في القراءة، لما روى ابن عمر رضى الله عنهما: قال: قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف، فأقرأني من ضعف «٢» .
قوله خلقكم من ضعف كقوله خلق الإنسان من عجل يعنى أن أساس أمركم وما عليه؟؟؟ بلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الإنسان ضعيفا أى ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا، وذلك حال الطفولة والنشء حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة، وتلك حال القوة إلى الاكتهال وبلوغ الاشد، ثم رددتم إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم. وقيل: من ضعف من؟؟؟ النطف، كقوله تعالى من ماء مهين وهذا الترديد في الأحوال المختلفة، والتغيير من هيئة إلى؟؟؟ الهيئة وصفة إلى صفة: أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القادر.

[سورة الروم (٣٠) : آية ٥٥]
ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون (٥٥)
الساعة القيامة، سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا. أو لأنها تقع؟؟؟ بغتة وبديهة. كما تقول: «في ساعة» لمن تستعجله، وجرت علما لها كالنجم للثريا، والكوكب للزهرة. وأرادوا: لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث. وفي الحديث:

---

(١) . قوله «وحرجفا ... الخ» في الصحاح «الحرجف» : الريح الباردة. وفيه أيضا «صوحته الريح» : ؟؟؟ أيبسته. (ع)
(٢) . أخرجه أبو داود والترمذي وإسحاق والبزار من حديث عطية عن ابن عمر دون التفسير ورواه ابن مردويه من رواية أبى عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر لكن في إسناده سلام بن سليمان.." (١)

"العين وضمها. وتأسرون، بضم السين. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقالت الأنصار في ذلك، فقال: إنكم في منازلكم، وقال عمر رضى الله عنه:
أما تخمس كما خمست يوم بدر؟ قال: لا، إنما جعلت هذه لي طعمة دون الناس، قال: رضينا بما صنع الله ورسوله «١» وأرضا لم تطؤها عن الحسن رضى الله عنه: فارس والروم.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٨٦/٣

وعن قتادة رضى الله عنه: كنا نحدث أنها مكة. وعن مقاتل رضى الله عنه: هي خيبر. وعن عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. ومن بدع التفاسير: أنه أراد نساءهم.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٢٨ الى ٢٩]

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (٢٩)

أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير، فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت، فبدأ بعائشة رضى الله عنها- وكانت أحبهن إليه- فخيرها وقرأ عليها القرآن، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، **فرؤى الفرح في** وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اختارت جميعهن اختيارها، فشكر لهن الله ذلك، فأنزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج «٢» . روى أنه قال لعائشة: إنى ذاكر لك أمرا، ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت: أفى هذا أستأمر أبوى، فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة «٣» . وروى أنها قالت: لا تخبر أزواجك أنى اخترتك، فقال: إنما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا «٤» . فإن قلت: ما حكم التخيير في الطلاق؟ قلت: إذا قال لها اختاري، فقالت: اخترت نفسي. أو قال: اختاري نفسك، فقالت: اخترت، لا بد من ذكر النفس في

---

(١) . أخرجه الواقدي من رواية حارثة بن زيد عن أم العلاء قالت «لما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير- الحديث» ومن طريق المسور بن رفاعة قال قال عمر يا رسول الله ألا تخمس ما أصبت من بنى النضير الخ؟»

(٢) . أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة عن الحسن نحو هذا

(٣) . متفق عليه من رواية الزهري عن أبى سلمة عن عائشة: وزاد ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت»

(٤) . أخرجه سالم من رواية أبى الزبير عن جابر في قصة التخيير. وفي آخره «وأسألك أن تخيير امرأة من نسائك. فانه لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا» وفي الصحيحين من رواية معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس- فذكر القصة مطولا.

وفي آخره عند مسلم قال معمر فأخبرنا أيوب أن عائشة قالت له لا تخبر نساءك أنى اخترتك. قال: إن الله أرسلنى مبلغا ولم يرسلني متعنتا» .." (١)

"أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين، لاتحاد المضاف والمضاف إليه، وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف، ثم بنى الحين لكونه مضافا إلى غير متمكن. وقرئ: ولات بكسر التاء على البناء، كجير. فإن قلت: كيف يوقف على لات؟ قلت: يوقف عليها بالتاء، كما يوقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث. وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة.

وأما قول أبى عبيد: إن التاء داخلة على حين فلا وجه له. واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط. والمناص: المنجا والفوت. يقال: ناصه ينوصه إذا فاته. واستناص: طلب المناص. قال حارثة بن بدر:

غمر الجراء إذا قصرت عنانه ... بيدي استناص ورام جري المسحل «١»

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤ الى ٥]

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (٤) أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب (٥)

منذر منهم رسول من أنفسهم وقال الكافرون ولم يقل: وقالوا، إظهارا للغضب عليهم، ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغى الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا، ويتعجبوا من التوحيد، وهو الحق الذي لا يصح غيره، ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته. روى أن إسلام عمر رضى الله تعالى **عنه فرح به** المؤمنون فرحا شديدا، وشق على قريش وبلغ منهم، فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبى طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا «٢» ، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، يريدون: الذين دخلوا في الإسلام، وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك، فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا ابن أخى، هؤلاء قومك يسألونك السؤال «٣» فلا تمل كل الميل على قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا يسألوننى؟ قالوا ارفضنا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٣٤/٣

(١) . لحارثة بن بدر، يصف فرسا بأنه كثير المجاراة لغيره من الأفراس، إذا قصرت: أى جذبت عنانه، استناص: أى طلب النوص والهرب والنجاء من الأعداء. وشبه الفرس بمن تصح منه الارادة على طريق المكنية، والروم تخييل، أى: أراد جريا كجرى السحل وهو حمار الوحش، سمي به لكثرة سحاله، أى شهيقه.

(٢) . ذكره الثعلبي بغير سند. وروى الترمذي والنسائي وابن حبان وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والطبري وابن أبى حاتم وغيرهم من طريق يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال «مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاء النبي صلى الله عليه وسلم....... الحديث نحوه» وليس فيه أوله.

(٣) . قوله «يسألونك السؤال فلا تمل» لعله السواء، كما في عبارة النسفي. (ع)." [١]

"ملأه بالوقود. ومنه: السجير «١» ، كأنه سجر بالحب، أى: مليء. ومعناه: أنهم في النار فهي محيطة بهم، وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم. ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة اللهم أجرنا من نارك فإنا عائذون بجوارك ضلوا عنا غابوا عن عيوننا، فلا نراهم ولا ننتفع بهم. فإن قلت: أما ذكرت في تفسير قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم: أنهم مقرونون بآلهتهم، فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم؟ قلت:

يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم: أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم، وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات «٢» ، وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم، إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا أى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا، وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول: حسبت أن فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان ادخلوا أبواب جهنم السبعة المقسومة لكم. قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم. خالدين مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم. فإن قلت:

أليس قياس النظم أن يقال: فبئس مدخل المتكبرين، كما تقول: زر بيت الله فنعم المزار، وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى؟ قلت: الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/ ٧٢

[سورة غافر (٤٠) : آية ٧٧]

فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧)

فإما نرينك أصله: فإن ترك. و «ما» مزيدة لتأكيد معنى الشرط، ولذلك ألحقت النون بالفعل «٣» . ألا تراك لا تقول. إن تكرمني أكرمك، ولكن: إما تكرمني أكرمك. فإن قلت:

لا يخلو إما أن تعطف أو نتوفينك على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى فإلينا يرجعون فقولك: فإما نرينك بعض الذي نعدهم فإلينا يرجعون: غير صحيح، وإن

---

(١) . قوله «ومنه السجير» في الصحاح: «سجير الرجل» : صفيه وخليله، والجمع السجراء. (ع)

(٢) . قوله «في سائر الأوقات» أى باقى الأوقات بعد وقت التوبيخ. (ع)

(٣) . قال محمود: «المصحح للحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط، ولولا «ما» لم يجز دخولها» قال أحمد: وإنما كان كذلك لأن النون المؤكدة حقها أن تدخل في غير الواجب، والشرط من قبيل الواجب، إلا أنه إذا أكد قوى إبهامه فقربته قوة الإبهام من غير الواجب، فيساغ دخول النون فيه.." [١]

"وآثارا قصورهم ومصانعهم. وقيل: مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم فما أغنى عنهم ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام، ومحلها النصب، والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع، يعنى أى شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه: منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة: وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب، وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء، كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها: أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان، وكانوا إذا سمعوا بوحي الله: دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط: أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه، وقيل له.

لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا. ومنها: أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة، موضع قوله: يفرحوا بما جاءهم من العلم، مبالغة في نفى فرحهم بالوحي الموجب **لأقصى الفرح والمسرة**، مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء. ومنها أن يراد: فرحوا بما عند الرسل من **العلم فرح ضحك** منه واستهزاء به، كأنه قال: استهزؤا بالبينات وبما جاءوا به من علم

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٧٩/٤

الوحى فرحين مرحين. ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها: أن **يجعل الفرح للرسل**. ومعناه: أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادى واستهزائهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم:

فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه، وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم.

ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم: علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات- وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف «١» عن الملاذ والشهوات- لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزؤا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به.

---

(١) . قوله «والظلف» في الصحاح: ظلفت نفسي عن كذا- بالكسر- تظلف ظلفا، أى: كفت. (ع)."

(١)

"قوله وأمرهم شورى بينهم أى ذو شورى، وكذلك قولهم: ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة شورى.

[سورة الشورى (٤٢) : آية ٣٩]

والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩)

هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا. وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق. فإن قلت: أهم محمودون على الانتصار؟ قلت: نعم، لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولى دم أورد على سفيه، محاماة على عرضه وردعا له، فهو مطيع.

وكل مطيع محمود.

[سورة الشورى (٤٢) : آية ٤٠]

وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (٤٠)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٨٢/٤

كلتا الفعلتين الأولى وجزاؤها سيئة، لأنها تسوء من تنزل به. قال الله تعالى: وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك: يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا. والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة، فإذا قال أخزاك الله قال: أخزاك الله فمن عفا وأصلح بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء، كما قال تعالى فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، فأجره على الله عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم. وقوله إنه لا يحب الظالمين دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة «١» والاعتداء خصوصا في حال الحرد «٢» والتهاب الحمية فربما كان المجازى من الظالمين وهو لا يشعر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم. قال: فيقوم خلق، فيقال لهم: ما أجركم على الله؟ فيقولون: نحن الذين عفونا عمن ظلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة بإذن الله «٣» .

---

(١) . قال محمود: «فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه ... الخ» قال أحمد: معنى حسن يجاب به عن قول القائل: لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم، فيشفى غليل السائل ويحصل منه على كل طائل.

ومن هذا النمط والله الموفق: قوله تعالى: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور.

(٢) . قوله «الحرد» في الصحاح: «الحرد» بالتحريك: الغضب. (ع)

(٣) . أخرجه العقيلي والطبراني في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب في السابع والخمسين كلهم من طريق الفضل بن يسار عن غالب العطار عن الحسن بن أنس رفعه. قال «إذا وقف العبد للحساب ينادى مناد: من كان أجر» على الله فليدخل الجنة- الحديث» وله طريق أخرى عند الثعلبي من رواية زهير بن عباد عن ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس. وأخرى عن البيهقي من رواية الثوري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتم منه- قال البيهقي: المتن غريب- والاسناد ضعيف.." (١)

"ومن يضلل الله ومن يخذل الله «١» فما له من ولي من بعده فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢٢٩/٤

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]

وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦)

خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون، ويوقف على خاشعين ينظرون من طرف خفي أى يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفى بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف «٢» . وهكذا نظر الناظر إلى المكاره:

لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحاب. وقيل: يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم. وذلك نظر من طرف خفى. وفيه تعسف يوم القيامة

إما أن يتعلق بخسروا، ويكون قوله المؤمنين واقعا في الدنيا، وإما أن يتعلق بقال، أى: يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة.

[سورة الشورى (٤٢) : آية ٤٧]

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧)

من الله من صلة لا مرد، أى: لا يرده الله بعد ما حكم به. أو من صلة يأتى، أى:

من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده. والنكير: الإنكار، أى: ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون في صحائف أعمالكم.

[سورة الشورى (٤٢) : آية ٤٨]

فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

---

(١) . قوله «ومن يخذل الله. فما له من ولى» تأويل على مذهب المعتزلة: أنه تعالى لا يخلق الشر. وعند

أهل السنة: يخلقه كالخير، فالاضلال خلق الضلال. ومن بعده: أى من بعد إضلاله. (ع)
(٢) . قوله «كما ترى المصبور ينظر إلى السيف» أى: المحبوس للقتل. أفاده الصحاح. (ع)." [١]
"فخور
لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه: اختال وافتخر به وتكبر على الناس.
قرئ: بما آتاكم. وأتاكم، من الإيتاء والإتيان. وفي قراءة ابن مسعود: بما أوتيتم. فإن قلت: فلا أحد يملك نفسه- عند مضرة تنزل به، ولا عند منفعة ينالها- أن لا يحزن ولا يفرح.
قلت: المراد: الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين، والفرح المطغى الملهى عن الشكر، فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام، والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر: فلا بأس بهما الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كأنه قال: لا يحب الذين يبخلون، يريد: الذين يفرحون الفرح المطغى إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه في عيونهم: يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به، ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الإمساك ويزينوه لهم، وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند إصابته ومن يتول عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتى: فإن الله غنى عنه. وقرئ: بالبخل. وقرأ نافع: فإن الله الغنى، وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك.

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٥]
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥)
لقد أرسلنا رسلنا يعنى الملائكة إلى الأنبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وأنزلنا معهم الكتاب أى الوحى والميزان روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: مر قومك يزنوا به وأنزلنا الحديد قيل: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان، والكلبتان، والميقعة، والمطرقة «١»
، والإبرة. وروى: ومعه المر والمسحاة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض:
أنزل الحديد، والنار، والماء، والملح «٢»

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٢٣١

. وعن الحسن وأنزلنا الحديد: خلقناه، كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، فما من صناعة

---

(١) . قوله «والميقعة والمطرقة ... الخ» في الصحاح «الميقعة» : المطرقة. والميقعة- أيضا-: المسن الطويل.

والمر: الحبل، والمسحاة كالمجرفة، إلا أنها من حديد. (ع)

(٢) . أخرجه الثعلبي من حديث ابن عمر، وفي إسناده من لا أعرفه.." (١)

"هذا عرفه في اللغة. قال قتادة: الظلمات الضلالة. والنور الهدى. وبمعناه قال الضحاك والربيع.

وقال مجاهد وعبدة بن أبي لبابة إن قوله: الله ولي الذين آمنوا الآية نزلت في قوم آمنوا بعيسى فلما جاء محمد عليه السلام كفروا به فذلك إخراجهم من النور إلى الظلمات.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: فكأن هذا القول أحرز نورا في المعتقد خرج منه إلى ظلمات. ولفظ الآية مستغن عن هذا التخصيص. بل هو مترتب في كل أمة كافرة آمن بعضها كالعرب.

ومترتب في الناس جميعا. وذلك أن من آمن منهم فالله وليه أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ومن كفر بعد وجود الداعي النبي المرسل فشيطانه ومغويه كأنه أخرجه من الإيمان، إذ هو معد وأهل للدخول فيه. وهذا كما تقول لمن منعك الدخول في أمر ما: أخرجتني يا فلان من هذا الأمر وإن كنت لم تدخل فيه البتة.

ولفظة الطاغوت في هذه الآية تقتضي أنه اسم جنس، ولذلك قال أولياؤهم بالجمع، إذ هي أنواع، وقرأ الحسن بن أبي الحسن، أولياؤهم الطواغيت، يعني الشياطين، وحكم عليهم بالخلود في النار لكفرهم.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٨]

ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٨٠/٤

القوم الظالمين (٢٥٨)

ألم تر تنبيه، وهي رؤية القلب، وقرأ علي بن أبي طالب «ألم تر» بجزم الراء، والذي حاج إبراهيم هو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة، هذا قول مجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن إسحاق وزيد بن أسلم وغيرهم. وقال ابن جريج: هو أول ملك في الأرض وهذا مردود. وقال قتادة: هو أول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل. وقيل: إنه ملك الدنيا بأجمعها ونفذت فيها طينته وهو أحد الكافرين. والآخر بخت نصر. وقيل: إن الذي حاج إبراهيم نمرود بن فالخ بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وفي قصص هذه المحاجة روايتان إحداهما: ذكر زيد بن أسلم أن النمرود هذا قعد يأمر للناس بالميرة فكلما جاء قوم قال: من ربكم وإلهكم؟

فيقولون: أنت، فيقول: ميروهم وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار، فقال له من ربك وإلهك؟ قال قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، فلما سمعها نمرود قال: أنا أحيي وأميت، فعارضه إبراهيم بأمر الشمس، فبهت الذي كفر، وقال: لا تميروه، فرجع إبراهيم إلى أهله دون شيء، فمر على كثيب من رمل كالدقيق، فقال لو ملأت غرارتي من هذا فإذا دخلت **به فرح الصبيان** حتى أنظر لهما، فذهب بذلك فلما بلغ **منزله فرح الصبيان** وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ونام هو من الإعياء، فقالت امرأته: لو صنعت له طعاما يجده حاضرا إذا انتبه، ففتحت إحدى الغرارتين فوجدت أحسن ما يكون من الحواري فخبرته، فلما." (١)

"العلقة، وروي عن النبي عليه السلام أنه قال: إنه الله تعالى يطلع إلى الشهداء فيقول: يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون يا ربنا لا فوق ما أعطيتنا، هذه الجنة نأكل منها حيث نشاء، لكنا نريد أن تردنا إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك فنقتل مرة أخرى، فيقول تعالى: قد سبق أنكم لا تردون، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله: ألا أبشرك يا جابر؟ قال جابر: قلت بلى يا رسول الله، قال: إن أباك حيث أصيب- بأحد- أحياه الله، ثم قال: ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: يا رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى، وقال قتادة رحمه الله: ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: ليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين أصيبوا- بأحد- فنزلت هذه الآية وقال محمد بن قيس بن مخرمة في حديث: إن الشهداء قالوا يا ربنا ألا رسول يخبر نبينا عنا بما أعطيتنا؟ فقال الله تعالى:

أنا رسولكم، فنزل جبريل بهذه الآية وكثرت هذه الأحاديث في هذا المعنى، واختلفت الروايات وجميع ذلك

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٤٥/١

جائز على ما اقتضبته من هذه المعاني وقوله تعالى: فرحين نصب في موضع الحال وهو **من الفرح بمعنى** السرور، و «الفضل» في هذه الآية: التنعيم المذكور.

يستبشرون معناه: يسرون ويفرحون، وليست استفعل في هذا الموضع بمعنى طلب البشارة، بل هي بمعنى استغنى الله واستمجد المرخ والعفار، وذهب قتادة والربيع وابن جريج وغيرهم: إلى أن هذا الاستبشار إنما هو بأنهم يقولون: إخواننا الذين تركناهم خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل ما نحن فيه فيسرون لهم بذلك، إذ يحصلون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وذهب فريق من العلماء وأشار إليه الزجاج وابن فورك: إلى أن الإشارة في قوله: بالذين لم يلحقوا إلى جميع المؤمنين، أي لم يلحقوا بهم في فضل الشهادة لكن الشهداء لما عاينوا ثواب الله، وقع اليقين بأن دين الإسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه، فهم فرحون لأنفسهم بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون للمؤمنين بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ، وألا مفعول من أجله، التقدير، بأن لا خوف، ويجوز أن يكون في موضع خفض بدل اشتمال.

قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٧١ الى ١٧٢]

يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين (١٧١) الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (١٧٢)

ثم أكد تعالى استبشارهم بقوله: يستبشرون بنعمة ثم بين تعالى بقوله: وفضل فوقع إدخاله إياهم الجنة الذي هو فضل منه لا بعمل أحد، وأما النعمة في الجنة والدرجات فقد أخبر أنها على قدر الأعمال، وقرأ الكسائي وجماعة من أهل العلم: «وإن الله» - بكسر الألف من «أن» ، وقرأ باقي السبعة وجمهور العلماء: «وأن الله» - بفتح الألف، فمن قرأ بالفتح فذلك داخل فيما يستبشر به، المعنى، بنعمة وبأن الله، ومن قرأ بالكسر فهو إخبار مستأنف، وقرأ عبد الله «وفضل والله لا يضيع» .." [1]

"كطود يلاذ بأركانه ... عزيز المراغم والمذهب

وقول الآخر: [المتقارب]

إلى بلد غير داني المحل ... بعيد المراغم والمضطرب

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٤١/١

وقال مجاهد: «المراغم» المتزحزح عما يكره. وقال ابن زيد: «المراغم» المهاجر، وقال السدي: «المراغم» المبتغى للمعيشة.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق: وهذا كله تفسير بالمعنى، فأما الخاص باللفظة، فإن «المراغم» موضع المراغمة، وهو أن يرغم كل واحد من المتنازعين أنف صاحبه بأن يغلبه على مراده، فكفار قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة، فلو هاجر منهم مهاجر في أرض الله لأرغم أنوف قريش بحصوله في منعة منهم، فتلك المنعة هي موضع المراغمة. وكذلك الطود الذي ذكر النابغة، من صعد فيه أمام طالب له وتوقل فقد أرغم أنف ذلك الطالب. وقرأ نبيح والجراح والحسن بن عمران «مرغما» بفتح الميم وسكون الراء دون ألف. قال أبو الفتح: هذا إنما هو على حذف الزوائد من راغم، والجماعة على «مراغم» . وقال ابن عباس والربيع والضحاك وغيرهم: السعة هنا هي السعة في الرزق، وقال قتادة: المعنى سعة من الضلالة إلى الهدى ومن العيلة إلى الغنى، وقال مالك: السعة سعة البلاد.

قال القاضي رحمه الله: والمشبه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعاقل، وبذلك تكون «السعة» في الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرح، ونحو هذا المعنى قول الشاعر [حطان بن المعلى] .

لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض

ومنه قول الآخر: [الوافر]

وكنت إذا خليل رام قطعي ... وجدت وراي منفسحا عريضا

وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى: ألم تكن أرض الله واسعة وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: الآية تعطي أن كل مسلم ينبغي أن يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق، وقوله تعالى ومن يخرج من بيته الآية: حكم باق في الجهاد والمشي إلى الصلاة والحج ونحوه، أما أنه لا يقال: إن بنفس خروجه ونيته حصل في مرتبة الذي قضى ذلك الفرض أو العبادة في الجملة، ولكن يقال: وقع له بذلك أجر عظيم، وروي: أن هذه الآية نزلت بسبب رجل من كنانة، وقيل: من خزاعة من بني ليث، وقيل: من جندع، لما سمع قول الله عز وجل الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال: إني لذو مال وعبيد- وكان مريضا- فقال: أخرجوني إلى المدينة، فأخرج في سرير فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت الآية بسببه، واختلف في اسمه، فحكى الطبري عن ابن جبير: أنه ضمرة بن العيص، أو العيص بن ضمرة بن زنباع، وحكي عن السدي: أنه ضمرة بن جندب، وحكي عن عكرمة: أنه جندب بن ضمرة

الجندعي، وحكي عن ابن جبير أيضا: أنه ضمرة بن بغيض الذي من بني ليث، وحكى أبو عمر بن عبد البر: أنه ضمرة بن العيص، وحكى المهدوي: أنه ضمرة بن نعيم، وقيل: ضمرة بن خزاعة، وقرأت." (١)

"السين والباء والعين فهو شديد الأمر، من ذلك السبعة فإنها عدد مقنع هي في السماوات وفي الأرض وفي خلق الإنسان وفي رزقه وفي أعضائه التي بها يطيع الله وبها يعصيه، وبها ترتيب أبواب جهنم فيما ذكر بعض الناس، وهي عيناه وأذناه ولسانه وبطنه وفرجه ويداه ورجلاه، وفي سهام الميسر وفي الأقاليم وغير ذلك.

ومن ذلك السبع والعبوس والعنبس ونحو هذا من القول، وقوله ذلك إشارة إلى امتناع الغفران، وقوله: والله لا يهدي القوم الفاسقين إما من حيث هم فاسقون، وإما أنه لفظ عموم يراد به الخصوص فيمن يوافي على كفره.

قوله عز وجل:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٨١ الى ٨٣]

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣)

هذه آية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ لهم وفي ضمنها وعيد، وقوله المخلفون لفظ يقتضي تحقيرهم وأنهم الذين أبعدهم الله من رضاه وهذا أمكن في هذا من أن يقال المتخلفون، ولم يفرح إلا منافق، فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر، و «مقعد» مصدر بمعنى القعود، ومثله:

من كان مسرورا بمقتل مالك وقوله خلاف معناه بعد وأنشد أبو عبيدة في ذلك: [الكامل]

عقب الربيع خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصير

يريد بعدهم ومنه قول الشاعر: [الطويل]

فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تأهب لأخرى مثلها فكأن قد

وقال الطبري هو مصدر خالف يخالف.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٠١/٢

قال القاضي أبو محمد: فعلى هذا هو مفعول له، **والمعنى فرح المخلفون** بمقعدهم لخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مصدر ونصبه في القول الأول كأنه على الظرف، و «كراهيتهم» لما ذكر هي شح إذ لا يؤمنون بالثواب في سبيل الله فهم يظنون بالدنيا، وقولهم لا تنفروا في الحر كان لأن غزوة تبوك كانت في وقت شدة الحر وطيب الثمار والظلال، قاله ابن عباس وكعب بن مالك والناس، فأقيمت عليهم الحجة بأن قيل لهم فإذا كنتم تجزعون من حر القيظ فنار جهنم التي هي أشد أحرى أن تجزعوا منها." (١)

"هذه آية خوطب بها جميع العالم، و «الموعظة» : القرآن لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف ويزجر ويرقق ويوعد ويعد، وهذه صفة الكتاب العزيز، وقوله من ربكم يريد لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم بل هي من عند الله، وما في الصدور يريد به الجهل والعتو عن النظر في آيات الله ونحو هذا مما يدفع الإيمان، وجعله موعظة بحسب الناس أجمع، وجعله هدى ورحمة بحسب المؤمنين فقط، وهذا تفسير صحيح المعنى إذا تؤمل بان وجهه، وقوله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته، الباء متعلقة بمحذوف استغني عن ذكره يدل عليه قوله: وهدى ورحمة، قال بعض المتأولين وهو هلال بن يساف وقتادة والحسن وابن عباس: «الفضل» : الإسلام، و «الرحمة» : القرآن، وقال أبو سعيد الخدري:

«الفضل» : القرآن، و «الرحمة» أن جعلهم من أهله، وقال زيد بن أسلم والضحاك «الفضل» : القرآن، و «الرحمة» : الإسلام، وقالت فرقة: «الفضل» : محمد صلى الله عليه وسلم، و «الرحمة» : القرآن.

قال القاضي أبو محمد: ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند منه شيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه، أن «الفضل» هو هداية الله تعالى إلى دينه والتوفيق إلى اتباع الشرع، و «الرحمة» هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرع بالإسلام والإيمان به، ومعنى الآية: قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله وبرحمته **فليقع الفرح منكم**، لا بأمور الدنيا وما جمع من حطامها، فالمؤمنون يقال لهم: فلتفرحوا، وهم متلبسون **بعلة الفرح وسببه**، ومحصلون لفضل الله منتظرون الرحمة، والكافرون يقال لهم: بفضل الله وبرحمته فلتفرحوا، على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك، وقرأ أبي بن كعب وابن القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم «فلتفرحوا» ، و «تجمعون» بالتاء فيهما على المخاطبة، وهي قراءة جماعة من السلف كبيرة، وعن أكثرهم خلاف، وقرأ السبعة سوى ابن عامر وأهل المدينة والأعرج ومجاهد وابن أبي إسحاق وقتادة وطلحة والأعمش: بالياء فيهما على ذكر الغائب، ورويت عن الحسن بالتاء من

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٦٥

فوق فيهما، وقرأ أبو التياح وأبو جعفر وقتادة: بخلاف عنهم وابن عامر بالياء في الأولى وبالتاء في الآخرة، وقرأ الحسن بن أبي الحسن وجماعة من السلف ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالياء في الأولى وفي الآخرة، ورويت عن أبي التياح، وإذا تأملت وجوه ذلك بانت على مهيع الفصيح من كلام العرب ولذلك كثر الخلاف من كل قارئ، وفي مصحف أبي بن كعب، «فبذلك فافرحوا» ، وأما من قرأ «فلتفرحوا» ، فأدخل اللام في أمر المخاطب فذلك على لغة قليلة، حكى ذلك أبو علي في الحجة، وقال أبو حاتم وغيره: الأصل في كل أمر إدخال اللام إذا كان النهي بحرف فكذلك الأمر، وإذا كان أمرا لغائب بلام، قال أبو الفتح: إلا أن العرب رفضت إدخال اللام في أمر المخاطب لكثرة تردداه، وقرأ أبو الفتوح والحسن: بكسر اللام من «فلتفرحوا» ، فإن قيل: كيف أمر الله بالفرح في هذه الآية؟ وقد ورد ذمه في قوله لفرح فخور [هود: ١٠] ، وفي قوله لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين [القصص: ٧٦] قيل **إن الفرح إذا** ورد مقيدا في خير فليس بمذموم وكذلك هو في هذه الآية، وإذا ورد مقيدا." (١)

"وقرأت فرقة «لفرح» بكسر الراء، وقرأت فرقة «لفرح» بضمها، **وهذا الفرح مطلق**، ولذلك ذم، **إذ الفرح انهمال** النفس: ولا **يأتي الفرح في** القرآن ممدوحا إلا إذا قيد بأنه في خير.

وقوله تعالى: إلا الذين صبروا الآية، هذا الاستثناء متصل على ما قدمناه من أن الإنسان عام يراد به الجنس: ومن قال إنه مخصوص بالكافر قال هاهنا: إن الاستثناء منقطع، وهو قول ضعيف من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فجيد، وكذلك قاله من النحاة قوم.

واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية الإنسان هؤلاء الذين حملتهم الأديان على الصبر على المكاره ومثابرة عبادة الله: وليس شيء من ذلك في سجية البشر وإنما حمل على ذلك حب الله وخوف الدار الآخرة. و «الصبر» و «العمل الصالح» لا ينفع إلا مع هداية وإيمان، ثم وعد تعالى أهل هذه الصفة تحريضا عليها وحضا، بالمغفرة للذنوب والتفضل بالأجر والنعيم.

قوله عز وجل:

[سورة هود (١١) : الآيات ١٢ الى ١٣]

فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (١٢) أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٦/٣

من دون الله إن كنتم صادقين (١٣)

سبب هذه الآيات أن كفار قريش قالوا: يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك. وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحو هذا من الأقوال. فخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة، ووقفه بها توقيفا رادا على أقوالهم ومبطلا لها، وليس المعنى أنه صلى الله عليه وسلم هم بشيء من ذلك فزجر عنه، فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه، ولا ضاق صدره، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان.

و «لعلك» هاهنا بمعنى التوقيف والتقرير، وما يوحى إليك هو القرآن والشريعة والدعاء إلى الله تعالى ئأن في ذلك سب آلهتهم وتسفيه آبائهم أو غيره ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد عظم عليه ما يلقى من الشدة فمال إلى أن يكون من الله تعالى إذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا من الاعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلم، كما جاءت آيات الموادعة. وعبر ب ضائق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك، وإن كان ضيق أكثر استعمالا لأنه وصف لازم، وضائق وصف عارض فهو الذي يصلح هنا، والضمير في به عائد على «البعض» ، ويحتمل أن يعود على «ها» وأن في موضع نصب على تقدير كراهة أن و «الكنز» هاهنا: المال: وهذا طلبهم آية تضطر إلى الإيمان: والله تعالى لم يبعث الأنبياء بآيات اضطرار وإنما بعثهم بآيات النظر والاستدلال، ولم يجعل آية الاضطرار إلا للأمم التي قدر تعذيبها لكفرها بعد آية الاضطرار، كالناقة لثمود.." (١)

"وقال قتادة: عنى به جميع المؤمنين، والكتاب هو القرآن، وبما أنزل إليك يراد به، جميع الشرع. وقالت فرقة: المراد ب الذين آتيناهم الكتاب اليهود والنصارى، وذلك أنهم **لهم فرح بما** ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم من تصديق شرائعهم وذكر أوائلهم.

قال القاضي أبو محمد: ويضعف هذا التأويل بأن همهم به أكثر من فرحهم، ويضعف أيضا بأن اليهود والنصارى ينكرون بعضه. وقد فرق الله في هذه الآية بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب.

والأحزاب قال مجاهد: هم اليهود والنصارى والمجوس، وقالت فرقة: هم أحزاب الجاهلية من العرب. وأمره الله تعالى أن يطرح اختلافهم ويصدع بأنه إنما أمر بعبادة الله وترك الإشراك، والدعاء إليه، واعتقاد «المآب» إليه وهو الرجوع عند البعث يوم القيامة.

وقوله: وكذلك المعنى: كما يسرنا هؤلاء للفرح، وهؤلاء لإنكار البعض، كذلك أنزلناه حكما عربيا، ويحتمل

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٥٤/٣

المعنى: والمؤمنون آتيناهموه يفرحون به لفهمهم به وسرعة تلقيهم.
ثم عدد النعمة بقوله: «كذلك جعلناه» أي سهلنا عليهم في ذلك وتفضلنا.
وحكما نصب على الحال، و «الحكم» هو ما تضمنه القرآن من المعاني، وجعله عربيا لما كانت العبارة عنه بالعربية.
ثم خاطب النبي عليه السلام محذرا من اتباع أهواء هذه الفرق الضالة، والخطاب لمحمد عليه السلام، وهو بالمعنى يتناول المؤمنين إلى يوم القيامة.
ووقف ابن كثير وحده على «واقي» و «هادي» و «والي» بالياء. قال أبو علي: والجمهور يقفون بغير ياء، وهو الوجه. وباقي الآية بين.
وقوله: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية. في صدر هذه الآية تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم ورد على المقترحين من قريش بالملائكة المتعجبين من بعثة الله بشرا رسولا. فالمعنى: أن بعثك يا محمد ليس ببدع فقد تقدم هذا في الأمم. ثم جاء قوله: وما كان لرسول الآية، لفظه لفظ النهي والزجر، والمقصود به إنما هو النفي المحض، لكنه نفي تأكد بهذه العبارة، ومتى كانت هذه العبارة عن أمر واقع تحت قدرة المنهي فهي زجر، ومتى لم يقع ذلك تحت قدرته فهو نفي محض مؤكد، وبإذن الله معناه:
إلا أن يأذن الله في ذلك.
وقوله: لكل أجل كتاب لفظ عام في جميع الأشياء التي لها آجال، وذلك أنه ليس كائن منها إلا وله أجل في بدئه أو في خاتمته. وكل أجل مكتوب محصور، فأخبر تعالى عن كتبه الآجال التي للأشياء عامة، وقال الضحاك والفراء: المعنى: لكل كتاب أجل.
قال القاضي أبو محمد: وهذا العكس غير لازم ولا وجه له، إذ المعنى تام في ترتيب القرآن، بل يمكن هدم قولهما بأن الأشياء التي كتبها الله تعالى أزلية باقية كتنعيم أهل الجنة وغيره يوجد كتابها لا أجل له.." (١)
"[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٧٦ الى ٧٩]
وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا (٧٦) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٧٧) أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا (٧٨) ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (٧٩)
قال حضرمي الضمير في كادوا ليهود المدينة وناحيتها، كحيي بن أخطب وغيره، وذلك أنهم ذهبوا إلى

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣١٦/٣

المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا له: إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء، وإنما أرض الأنبياء بالشام، ولكنك تخاف الروم، فإن كنت نبيا، فاخرج إليها فإن الله سيحميك كما حمى غيرك من الأنبياء، فنزلت الآية في ذلك، وأخبر الله عز وجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرج لم يلبثهم بعده إلا قليلا، وحكى النقاش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بسبب قولهم، وعسكر بذي الحليفة، وأقام ينتظر أصحابه، فنزلت الآية عليه، فرجع، وهذا ضعيف لم يقع في سيرة ولا في كتاب يعتمد عليه، وذو الحليفة ليس في طريق الشام من المدينة، وقالت فرقة الضمير في كادوا هو لقريش، وحكى الزجاج أن «استفزازهم» هو ما كانوا أجمعوا عليه في دار الندوة من قتله، والأرض على هذا عامة في الدنيا، كأنه قال ليخرجوك من الدنيا، وعلى سائر الأقوال هي أرض مخصوصة، إما مكة وإما المدينة، كما قال تعالى أو ينفوا من الأرض [المائدة: ٣٣] . فإنما معناه من الأرض التي فيها تصرفهم وتمعسهم، وقال ابن عباس وقتادة: واستفزاز قريش هو ما كانوا ذهبوا إليه من إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، كما ذهبوا قبل إلى حصره في الشعب، ووقع استفزازهم هذا بعد نزول الآية، وضيقوا عليه حتى خرج واتبعوه إلى الغار وغير ذلك، ونفذ عليهم الوعيد في أن لم يلبثوا خلفه إلا قليلا يوم بدر، وقال مجاهد ذهبت قريش إلى هذا ولكنه لم يقع منها، لأنه لما أراد الله استبقاء قريش وأن لا يستأصلها، أذن لرسوله بالهجرة، فخرج من الأرض بإذن الله لا يقهر قريش، واستبقيت قريش ليسلم منها ومن أعقابها من أسلم، قال: ولو أخرجته قريش لعذبوا، فذهب مجاهد رحمه الله إلى أن الضمير في يلبثون عام في جميعهم، وفي مصحف عبد الله بن مسعود «وإذا لا يلبثوا» بحذف النون، وإعمال إذا، وسائر القراء ألغوها وأثبتوا النون، وقرأ عطاء بن أبي رباح «يلبثون» بضم الياء وفتح اللام وشد الباء، وروي مثله عن يعقوب إلا أنه كسر الباء، وقرأ عطاء «بعدك إلا قليلا» ، وقرأ الجمهور «خلفك» ، وقرأ ابن عامر وحمزة الكسائي وحفص عن عاصم «خلافك» ، والمعنى واحد، ومنه قول الشاعر: [الكامل]

عقب الرذاذ خلافها فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا

ومنه قوله تعالى: فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله [التوبة: ٨١] ، على بعض تأويلاته أي بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه اللفظة قد لزم حذف المضاف لأن التقدير في آياتنا خلاف خروجك، وفي بيت الشاعر خلاف انبساط الشمس أو نحوه، قال أبو علي: أصابوا هذه الظروف تضاف

إلى الأسماء الأعيان التي ليست أحداثا فلم يستحبوا إضافتها إلى غير ما جرى عليه كلامهم كما أنها لما جرت منصوبة في كلامهم تركوها على حالها إذا وقعت في غير موضع النصب، كقوله تعالى: وأنا منا." (١)

"هو المكلم لها وأن الجذع كان يابسا وعلى هذا تكون آيات تسليها وتسكن إليها. والباء في قوله بجذع زائدة مؤكدة قال أبو علي: كما يقال ألقى بيده أي ألقى يده.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا المثال عندي نظر، وأنشد الطبري: [الطويل]

بواد يمان ينبت السدر صدره ... وأسفله بالمزج والشبهان

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم والجمهور من الناس «تساقط» بفتح التاء وشد السين يريد النخلة، وقرأ البراء بن عازب والأعمش «يساقط» بالياء يريد «الجذع» ، وقرأ حمزة وحده «تساقط» بفتح التاء وتخفيف السين، وهي قراءة مسروق وابن وثاب وطلحة وأبي عمرو بخلاف، وقرأت فرقة «يساقط» بالياء على ما تقدم من إرادة النخلة أو «الجذع» . وقرأ عاصم في رواية حفص «تساقط» بضم التاء وتخفيف السين، وقرأت فرقة «يساقط» بالياء، وقرأ أبو حيوة «يسقط» بالياء، وروي عنه «يسقط» بضم الياء وقرأ أيضا «تسقط» ، وحكى أبو علي في الحجة أنه قرىء «يتساقط» بياء وتاء، وروي عن مسروق «تسقط» بضم التاء وكسر القاف، وكذلك عن أبي حيوة، وقرأ أبو حيوة أيضا «يسقط» بفتح الياء وضم القاف، «رطب جني» بالرفع، ونصب رطبا يختلف بحسب معاني القراءات المذكورة، فمرة يسند الفعل إلى الجذع ومرة إلى الهز، ومرة إلى النخلة وجنيا معناه قد طابت وصلحت للاجتناء، وهو من جنيت الثمرة. وقرأ طلحة بن سليمان «جنيا» بكسر الجيم، وقد استدل بعض الناس من شيء للنفساء خيرا من التمر والرطب، وقال محمد بن كعب: كان طب عجوة، وقد استدل بعض الناس من هذه الآية على أن الرزق وإن كان محتوما فإن الله تعالى قد وكل ابن آدم إلى سعي ما فيه لأنه أمرت مريم بهز الجذع لترى آية، وكانت الآية تكون بأن لا تهز هي. وحكى الطبري عن ابن زيد أنه قال «قال لها عيسى: لا تحزني، فقالت وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة أي شيء عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا [مريم: ٢٣] ، فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام» . وقوله فكلي واشربي وقري الآية، قرأ الجمهور «وقري» بفتح القاف، وحكى الطبري قراءة «وقري» بكسر القاف، وقرة العين مأخوذة من القر وذلك أنه يحكى أن دمع الفرح بارد المس ودمع الحزن سخن المس، وضعفت فرقة هذا وقالت: الدمع كله سخن وإنما معنى قرة العين أن البكاء الذي يسخن العين ارتفع إذ لا حزن بهذا الأمر

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٧٦/٣

الذي قرت به العين. وقال الشيباني قري عينا معناه نامي، حضها على الأكل والشرب والنوم.
وقوله عينا نصب على التمييز، والفعل في الحقيقة إنما هو للعين فينقل ذلك إلى ذي العين وينصب الذي كان فاعلا في الحقيقة على التفسير، ومثله طبت نفسا وتفقأت شحما وتصببت عرقا، وهذا كثير. وقرأ الجمهور «ترين» وأصله ترءيين حذفت النون للجزم، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء، ثم قلبت الياء الأولى ألفا لتحركها وانفت ا ح ما قبلها، فاجتمع ساكنان الألف والياء، فحذفت الألف فجاء ترى وعلى هذا! النحو هو قول الأفوه: [السريع] أما ترى رأسي أزرى به ثم دخلت النون الثقيلة، فكسرت الياء لاجتماع ساكنين منها ومن النون، وإنما دخلت النون هنا." (١)

"أنه خبر من الله أن جبريل لا يتنزل، قال هذا التأويل بعض المفسرين، ويرده قوله ما بين أيدينا لأنه لا يطرد معه وإنما يتجه أن يكون خبرا من جبريل أن القرآن لا يتنزل إلا بأمر الله في الأوقات التي يقدرها. ورويت قراءة الأعرج بضم الياء، وقرأ ابن مسعود «إلا بقول ربك» ، وقال ابن عباس وغيره: سبب هذه الآية، أن النبي عليه السلام أبطأ عنه جبريل مرة فلما جاءه قال «يا جبريل قد اشتقت إليك أفلا تزورنا أكثر مما تزورنا» ، فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد والضحاك: سببها أن جبريل تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم عند قوله في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف «غدا أخبركم» **حتى فرح بذلك** المشركون واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء جبريل ونزلت هذه في ذلك المعنى، فهي كالتي في الضحى، وهذه الواو التي في قوله وما نتنزل هي عاطفة جملة كلام على أخرى وواصلة بين القولين وإن لم يكن معناهما واحدا.
وحكى النقاش عن قوم أن قوله وما نتنزل متصل بقوله إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا [مريم: ١٩] ، وهذا قول ضعيف، وقوله ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك لفظ يحتاج إلى ثلاث مراتب، واختلف المفسرون فيها، فقال أبو العالية «ما بين الأيدي» في الدنيا بأسرها إلى النفخة الأولى، «وما خلف» الآخرة من وقت البعث وما بين ذلك ما بين النفختين. وقال ابن جريج «ما بين الأيدي» هو ما مر من الزمن قبل إيجاد من في الضمير، «وما خلف» هو ما بعد موتهم إلى استمرار الآخرة وما بين ذلك هو مدة الحياة.

قال القاضي أبو محمد: والآية إنما المقصد بها الإشعار بملك الله تعالى لملائكة وأن قليل تصرفهم وكثيرة إنما هو بأمره وانتقالهم من مكان إلى مكان، إنما هو بحكمته إذ الأمكنة له وهم له، فلو ذهب بالآية إلى أن المراد ب «ما بين الأيدي وما خلف» الأمكنة التي فيها تصرفهم، والمراد ب ما بين ذلك هم أنفسهم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢/٤

ومقاماتهم لكان وجهها كأنه قال نحن مقيدون بالقدرة لا ننتقل ولا نتنزل إلا بأمر ربك. وقال ابن عباس وقتادة فيما روي وما أراه صحيحا عنهما «ما بين الأيدي هي الآخرة وما خلف هو الدنيا» ، وهذا مختل المعنى إلا على التشبيه بالمكان لأن ما بين اليد إنما هو ما تقدم وجوده في الزمن بمثابة التوراة والإنجيل من القرآن وقول أبي العالية إنما يتصور في بني آدم وهذه المقالة هي للملائكة فتأمله. وقوله وما كان ربك نسيا أي ممن يلحقه نسيان بعثنا إليكم في وقت المصلحة به فإنما ذلك عن قدر له أي فلا تطلب أنت يا محمد الزيارة أكثر مما شاء الله هذا ما تقتضيه قوة الكلام على التأويل الواحد أو فلا تهتم يا محمد بتأخيري ولا تلفت لفرح المشركين بذلك على التأويل الثاني ونسيا فعيل من النسيان والذهول عن الأمور، وقالت فرقة نسيا هنا معناه تاركا، ع: وفي هذا ضعف لأنه إنما نفي النسيان مطلقا فيتمكن ذلك في النسيان الذي هو نقص وأما الترك فلا ينتفي مطلقا ألا ترى قوله تعالى: وتركهم في ظلمات [البقرة: ١٧] وقوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض [الكهف: ٩٩] فلو قال نسيك أو نحوه من التقييد لصح حمله على الترك، ولا حاجة بنا أن نقول إن التقييد في النية لأن المعنى الآخر أظهر. وقرأ ابن مسعود «وما بين ذلك وما نسيك ربك» ، وروى أبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهي عافيته فاقبلوا» ثم تلا هذه الآية وقوله رب بدل من قوله وما كان ربك، وقوله فاعبده واصطبر لعبادته أمر بحمل تكاليف الشرع وإشعار ما بصعوبتها كالجهاد." (١)

"«نضعف» بضم النون وكسر العين المشددة «العذاب» نصب «ويخلد» جزم وهي قراءة أبي جعفر وشيبة، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر «يضاعف ويخلد» بالرفع فيهما، وقرأ طلحة بن سليمان «وتخلد» بالتاء على معنى مخاطبة الكافر بذلك، وروي عن أبي عمرو «ويخلد» بضم الياء من تحت وفتح اللام قال أبو علي وهي غلط من جهة الرواية «ويضاعف» بالجزم بدل من يلق قال سيبويه مضاعفة العذاب هي الأثام قال الشاعر:

«متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا» . البيت وقوله إلا من تاب الآية لا خلاف بين العلماء أن الاستثناء عامل في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين، فقال جمهور العلماء له التوبة وجعلت هذه الفرقة قاعدتها قوله تعالى: ويغفر ما دون ذلك [النساء: ٤٨] فجعل القاتل في المشيئة كسائر التائبين من الذنوب، ويتأولون الخلود الذي في آية القتل في سورة النساء بمعنى الدوام إلى مدة كخلد الدول ونحوه، وروى أبو هريرة في أن التوبة لمن قتل حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل إن هذه الآية نزلت في وحشي

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/ ٢٤

قاتل حمزة، وقاله سعيد بن جبير، وقال ابن عباس وغيره لا توبة للقاتل، قال ابن عباس وهذه الآية إنما أريد بالتوبة فيها المشركون وذلك أنها لما نزلت إلا من تاب الآية، ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله [الزمر: ٥٣] ، فما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح فرحه بها وبسورة الفتح، وقال غير ابن عباس ممن قال بأن لا توبة للقاتل إن هذه الآية منسوخة بآية سورة النساء قاله زيد بن ثابت، ورواه أيضا سعيد بن جبير عن ابن عباس، وقال أبو الجوزاء صحبت ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن إلا سألته عنه فما سمعته يقول إن الله تعالى يقول لذنب لا أغفره وقوله تعالى: يبدل الله سيئاتهم حسنات. معناه يجعل أعمالهم بدل معاصيهم الأول طاعة فيكون ذلك سببا لرحمة الله إياهم قاله ابن عباس وابن جبير وابن زيد والحسن، ورد على من قال هو في يوم القيامة، وقد ورد حديث في كتاب مسلم من طريق أبي يقتضي أن الله تعالى يبدل يوم القيامة لمن يريد المغفرة من الموحدين بدل سيئات حسنات، وذكره الترمذي والطبري وهذا تأويل ابن المسيب في هذه الآية.

قال القاضي أبو محمد: وهو معنى كرم العفو، وقرأ ابن أبي عبلة «يبدل» بسكون الباء وتخفيف الدال.

قوله عز وجل:

[سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ٧١ الى ٧٤]

ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا (٧١) والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢) والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا (٧٣) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما (٧٤)

أكد بهذه الألفاظ أمر التوبة والمعنى ومن تاب فإنه قد تمسك بأمر وثيق وهكذا، كما تقول لمن." [١]

"فلا تحرمني نائلا عن جنابة ... فإني امرؤ وسط القباب غريب

وقرأ قتادة «عن جنب» بفتح الجيم وسكون النون وهي قراءة الحسن والأعرج، وقرأ «عن جانب» النعمان بن سالم، وقرأ الجمهور «عن جنب» بضم الجيم والنون، وقوله وهم لا يشعرون، معناه أنها أخته وأنها من جملة لطائف الله تعالى له ولأمه حسب الوعد الذي أوحي إليها، ويقال: بصرت الشيء وأبصرته بمعنى واحد متقارب، قال المهدوي: وقيل عن جنب معناه عن شوق وهي لغة لجذام يقولون جنبت إلى لقائك أي اشتقت إليه، وقال قتادة: معنى عن جنب أنها تنظر إليه كأنها لا تريده.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٢٢١

قوله عز وجل:

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٢ الى ١٥]

وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣) ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (١٤) ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين (١٥)

قوله تعالى: وحرمنا يقتضي أن الله تعالى خصه من الامتناع من ثدي النساء بما يشد به عن عرف الأطفال وهو تحريم تنقيص، والمراضع جمع مرضع واستعمل دون هاء التأنيث لأنه لا يلتبس بالرجال.

وقوله تعالى: من قبل معناه من أول أمره، وقبل مبني، والضمير في «قالت» لأخت موسى قال النقاش اسمها مريم، ويكفلونه، معناه يحسنون تربيته وإرضاعه، وعلم القوم أن مكلمتهم من بني إسرائيل وكان ذلك عرف بني إسرائيل أن يكونوا مراضع وخدمة، وقوله وهم له ناصحون يحتمل أن الضمير يعود على الطفل ويحتمل أن يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر أمره من جملته، وقال ابن جريج: إن القوم تأولوا أنها أعادت الضمير على الطفل فقالوا لها إنك قد عرفته فأخبرينا من هو فقالت: ما أردت إلا أنهم ناصحون للملك، فتخلصت منهم بهذا التأويل.

قال الفقيه الإمام القاضي: ويحتمل أن يعود الضمير على الطفل ولكن يكون النصح له بسبب الملك وحرصا على التزلف إليه والتقرب منه، وفي الكلام هنا حذف يقتضيه الظاهر وهو أنها حملتهم إلى أم موسى وكلموها في ذلك فدرت عليه وقبلها وحظيت بذلك وأحسن إليها وإلى أهل بيتها، و «قرت عينها» أي سرت بذلك، وروي أن فرعون قال لها: ما سبب قبول هذا الطفل؟ فقالت إني طيبة الرائحة طيبة اللبن **ودمع الفرح بارد** ودموع الهم حرى سخنة فمن هذا المعنى قيل قرت العين وسخنت، وقرأ يعقوب «نقر» بنون مضمومة وكسر القاف، ووعد الله المشار إليه وهو الذي أوحاه إليها أولا إما بملك وإما بمنامة وإما بإلهام حسب اختلاف المفسرين في ذلك، والقول بالإلهام يضعف أن يقال فيه وعد، وقوله تعالى: أكثرهم." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٧٩/٤

"قلب كما تفعل العرب كثيرا، فمن ذلك قول الشاعر: [الوافر]

فديت بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوك إلا ما أطيق

ومن ذلك قول الآخر [خداش بن زهير] : [الطويل]

وتركب خيل لا هوادة بينها ... وتشقي الرماح بالضياطرة الحمر

وهذا البيت لا حجة فيه إذ يتجه على وجهه فتأمله، ومن ذلك قول الآخر:

فما كنت في الحرب العوان مغمزا ... إذا شب حر وقودها أجدالها

وقال سيبويه والخليل التقدير «لتنيء العصبة» فجعل بدل ذلك تعدية الفعل بحرف الجر كما تقول ناء الحمل وأنأته ونؤت به، بمعنى جعلته ينوء والعرب تقول ناء الحمل بالبعير إذا أثقله.

قال الفقيه الإمام القاضي: ويحتمل أن يسند «تنوء» إلى المفاتح مجازا لأنها تنهض بتحامل إذا فعل ذلك الذي ينهض بها وهذا مطرد في قولهم ناء الحمل بالعير ونحوه فتأمله، واختلف الناس في «العصبة» كم هي فقال ابن عباس ثلاثة، وقال قتادة من العشرة إلى الأربعين، وقال مجاهد خمسة عشر حملا، وقيل أحد عشر حملا على إخوة يوسف وقيل أربعون، وقرأ بديل بن ميسرة «لينوء» بالياء ووجهها أبو الفتح على أنه يقرأ «مفاتحه» جمعا وذكر أبو عمرو الداني أن بديل بن ميسرة قرأ «ما إن مفتاحه» على الإفراد فيستغنى على هذا عن توجيه أبي الفتح، وقوله تعالى: إذ قال له قومه، متعلق بقوله فبغى، ونهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال نفس وأشر وإعجاب، و «الفرح» هو الذي تخلق دائما بالفرح، ولا يجب في هذا الموضع صفة فعل لأنه أمر قد وقع فمحال أن يرجع إلى الإرادة وإنما هو لا يظهر عليهم بركته ولا يبهم رحمته، ثم وصوه أن يطلب بماله رضى الله تعالى ويقدم لآخرته، وقوله تعالى: ولا تنس نصيبك من الدنيا، اختلف المتأولون فيه فقال ابن عباس والجمهور: معناه لا تضيع عمرك في أن لا تعمل عملا صالحا في دنياك إذ الآخرة إنما يعمل لها في الدنيا فنصيب الإنسان وعمله الصالح فيها فينبغي أن لا يهمله.

قال الفقيه الإمام القاضي: فالكلام كله على هذا التأويل شدة في الموعظة.

وقال الحسن وقتادة: معناه ولا تضيع أيضا حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه ونظرك لعاقبة دنياك.

قال الفقيه الإمام القاضي: فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهيه وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة، وقال الحسن: معناه قدم الفضل وأمسك ما يبلغ. وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف. وحكى الثعلبي أنه قيل أرادوا بنصيبه الكفن.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا وعظ متصل كأنهم قالوا لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر: [الطويل]

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تلوى فيهما وحنوط." (١)

"أن يشار به **إلى فرح المسلمين** بنصر الله إياهم في أن صدق ما قال نبيهم من أن الروم ستغلب فارس فإن هذا ضرب من النصر عظيم، وقوله تعالى: وعد الله نصب على المصدر المؤكد، وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يريد الكفار من قريش والعرب، أي لا يعلمون أن الأمور من عند الله وأن وعده لا يخلف وأن ما يورده نبيه حق.

قال القاضي أبو محمد: هذا الذي ذكرناه هو عمدة ما قيل، وقد حكى الطبري وغيره روايات يردها النظر أو قول الجمهور، من ذلك أن بعضهم قال إنما نزلت وعد الله لا يخلف الله وعده بعد غلبة الروم لفارس ووصول الخبر بذلك، وهذا يقتضي أن الآية مدنية والسورة مكية بإجماع ونحو هذا من الأقوال.

قوله عز وجل:

[سورة الروم (٣٠) : الآيات ٧ الى ٨]

يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (٧) أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون (٨)

وصف تعالى الكفرة الذين لا يعلمون أمر الله وصدق وعده بأنهم إنما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، واختلف الناس في معنى ظاهرا فقالت فرقة معناه بينا أي ما أدته إليهم حواسهم فكأن علومهم إنما هي علوم البهائم، وقال ابن عباس والحسن والجمهور: معناه ما فيه الظهور والعلو في الدنيا من إتقان الصناعات والمباني ومظان كسب الأموال والفلاحات ونحو هذا، وقالت فرقة: معناه ذاهبا زائلا أي يعلمون أمور الدنيا التي لا بقاء لها ولا عاقبة ومثل هذه اللفظة قول الهذلي:

وعيرها الواشون أني أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وقال سعيد بن جبير: إن قوله ظاهرا من الحياة الدنيا إشارة إلى ما يعلم من قبل الكهنة مما يسترقه الشياطين، وقال الروماني: كل ما يعلم بأوائل العقول فهو الظاهر وما يعلم بدليل العقل فهو الباطن.

قال القاضي أبو محمد: وفيه تقع الغفلة وتقصير الجهال، ثم وصفهم ب «الغفلة» والإعراض عن أمر

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٩٩/٤

الآخرة وكرر الضمير تأكيدا، وغفلة الكافر هي على الكمال والمؤمن المنهمك في أمور الدنيا التي هي أكبر همه يأخذ من هذه الآية بحظ، نور الله قلوبنا بهداه، ثم وقفهم على جهة التوبيخ على أنهم قد فكروا فلم تنفعهم الفكرة والنظر إذ لم يكن على سداد، وقوله تعالى: في أنفسهم يحتمل معنيين: أحدهما أن تكون الفكرة في ذواتهم وحواسهم وخلقتهم ليستدلوا بذلك على الخالق المخترع، ثم أخبر عقب هذا المعنى بأن الحق هو السبب في خلق السماوات والأرض، فيفهم على طريقة الإيجاز والاختصار أن من فكر في نفسه علم حقيقة هذا الخبر ووقف عليه ببصيرة نفسه، والمعنى الثاني أن تكون النفس ظرفا للفكرة في خلق السماوات والأرض فيكون قوله في أنفسهم تأكيدا لقوله يتفكروا كما تقول انظر بعينك واسمع بأذنك، فقولك بأذنك تأكيد، وقوله إلا بالحق أي بسبب المنافع التي هي حق واجب يريد من." (١)

"أن سخنة العين مأخوذة من السخانة، وأصل هذا فيما يزعمون أن **دمع الفرح بارد** ودمع الحزن سخن، وفي معنى هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. واقرؤوا إن شئتم: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين.

وقال ابن مسعود: «في التوراة مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» . وقرأ ابن مسعود وأبو هريرة وأبو الدرداء، «قرات» على الجمع، وقوله جزاء بما كانوا يعملون أي بتكسبهم، وقوله تعالى: أفمن كان مؤمنا الآية، روي عن عطاء بن يسار أنها نزلت في علي بن أبي طالب: والوليد بن عقبة بن أبي معيط وذلك أنهما تلاحيا فقال له الوليد: أنا أبسط منك لسانا وأحد سنانا وأرد للكتيبة، فقال له علي بن أبي طالب: اسكت فإنك فاسق، فنزلت الآية. وذكر الزجاج والنحاس وغيرهما أنها نزلت في علي وعقبة بن أبي معيط، وعلى هذا يلزم أن تكون الآية مكية، لأن عقبة لم يكن بالمدينة وإنما قتل في طريق مكة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر، ويعترض القول الآخر بإطلاق اسم الفسق على الوليد وذلك يحتمل أن يكون في صدر إسلام الوليد لشيء كان فيه أو لما روي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه إن جاءكم فاسق بنبإ [الحجرات: ٦] ويحتمل أيضا أن تطلق الشريعة ذلك عليه لأنه كان على طرف مما يبغي وهو الذي شرب الخمر في خلافة عثمان وصلى الصبح بالناس أربعا ثم التفت وقال: أتريدون أن أزيدكم ونحو هذا مما يطول ذكره. ثم قسم الله تعالى المؤمنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر لأن التكذيب الذي في آخر الآية يقتضي

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٢٩/٤

ذلك، وقرأ طلحة «جنة» بالإفراد، وقرأ أبو حيوة «نزلا» بإسكان الزاي، والجمهور على ضمها وسائر باقي الآية بين.
قوله عز وجل:

[سورة السجده (٣٢) : الآيات ٢١ الى ٢٢]
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (٢١) ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون (٢٢)
الضمير في قوله لنذيقنهم لكفار قريش، أعلم الله تعالى أنه يصيبهم بعذاب دون عذاب الآخرة، واختلف المتأولون في تعيين العذاب الأدنى، فقال إبراهيم النخعي ومقاتل: هم السنون التي أجاعهم الله تعالى فيها، وقال ابن عباس وأبي بن كعب: هو مصائب الدنيا من الأمراض ونحوها وقاله ابن زيد، وقال ابن مسعود والحسن بن علي هو القتل بالسيف كبدر وغيرها.
قال الفقيه الإمام القاضي: فيكون على هذا التأويل الراجع غير الذي يذوق بل الذي يبقى بعده وتختلف رتبتا ضمير الذوق مع ضمير «لعل» ، وقال أبي بن كعب أيضا هي البطشة، واللزام، والدخان.
وقال ابن عباس أيضا عنى بذلك الحدود.
قال الفقيه الإمام القاضي: ويتجه على هذا التأويل أن تكون في فسقة المؤمنين، وقال مجاهد: عنى." (١)
"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يس
هذه السورة مكية بإجماع إلا أن فرقة قالت إن قوله، ونكتب ما قدموا وآثارهم [يس: ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «دياركم تكتب آثاركم» ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعروا المدينة، وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتج بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي صلى الله عليه وسلم في المعنى، فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة، وروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لكل شيء قلبا وإن قلب القرآن يس» ، وروت عائشة رضي الله عنها

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٦٣/٤

أنه عليه السلام قال: «إن في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها وهي يس» ، وقال يحيى بن أبي كثير: من قرأ سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ويصدق ذلك التجربة.

قوله عز وجل:

[سورة يس (٣٦) : الآيات ١ الى ٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين (٣) على صراط مستقيم (٤)

تنزيل العزيز الرحيم (٥)

أمال حمزة والكسائي الياء في يس غير مفرطين والجمهور يفتحونها ونافع وسط في ذلك، وقوله تعالى: يس يدخل فيه من الأقوال ما تقدم في الحروف المقطعة في أوائل السور، ويختص هذا بأقوال، منها أن سعيد بن جبير قال: إنه اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم دليله إنك لمن المرسلين وقال السيد الحميري:

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة ... على المودة إلا آل ياسينا

وقال ابن عباس: معناه يا إنسان بلسان الحبشة، وقال أيضا ابن عباس في كتاب الثعلبي: هو بلغة طيىء وذلك أنهم يقولون يا إيسان بمعنى إنسان ويجمعونه على أياسين فهذا منه، وقالت فرقة: «يا» حرف نداء، والسين مقامة مقام الإنسان انتزع منه حرف فأقيم مقامه، ومن قال إنه اسم من أسماء السورة أو من أسماء القرآن فذلك من الأقوال المشتركة في أوائل جميع السور، وقرأ جمهور القراء يس و «نون» [القلم: ١] بسكون النون وإظهارها وإن كانت النون ساكنة تخفى مع الحروف فإنما هذا مع الانفصال، وإن حق هذه الحروف المقطعة في الأوائل أن تظهر، وقرأ عاصم وابن عامر بخلاف عنهما يس والقرآن." (١)

"وقوله تعالى: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم يحتمل أن يكون من قول المؤمنين يومئذ حكاه الله عنهم، ويحتمل أن يكون استئنافا من قول الله تعالى وإخباره لمحمد عليه السلام.

قوله عز وجل:

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٦ الى ٤٨]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٤٤٥

وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

قوله تعالى: وما كان لهم من أولياء إنحاء على الأصنام والأوثان التي أظهر الكفار ولايتها واعتقدت ذلك دينا، المعنى: فما بالهم يوالون هذه التي لا تضر ولا تنفع، ولكن من يضلل الله فما له من سبيل هدى ونجاة، ثم أمر تعالى نبيه أن يأمرهم بالاستجابة لدعوة الله وشريعته، وحذرهم إتيان يوم القيامة الذي لا يرد أحد بعده إلى عمل، والذي لا ملجأ ولا منجا لأحد فيه إلا إلى العلم بالله تعالى والعمل الصالح في الدنيا، فأخبرهم أنه لا ملجأ لهم ولا نكير. والنكير مصدر بمعنى الإنكار وهو بمنزلة عديد الحي ونحوه من المصادر، ويحتمل أن يكون من أبنية اسم الفاعل من نكر، وإن كان المعنى يبعد به، لأن نكر إنما معناه لم يميز وظن الأمر غير ما عهده.

وقوله تعالى: فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا تأنيس لمحمد عليه السلام وإزالة لهمه بهم، وأعلمه أنه ليس عليه إلا البلاغ وتوصيل الحجة، ثم جاءت عبارة في باقي الآية هي بمنزلة ما يقول، والقوم قوم عتو وتناقض أخلاق واضطراب، إذا أذيقوا رحمة فرحوا بها وبطروا، وإن أصابت سيئة أي مصيبة تسوءهم في أجسامهم أي في نفوسهم، وذلك بذنوبهم وقبيح فعلهم فإنهم كفر عند ذلك غير صبر. وعبر ب الإنسان الذي هو اسم عام ليدخل في الآية والمذمة جميع الكفرة من المجاورين يومئذ ومن غيرهم، وجمع الضمير في قوله: تصبهم وهو عائد على لفظ الإنسان من حيث هو اسم جنس يعم كثيرا.

قوله عز وجل:

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٩ الى ٥٣]

لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم (٥١) وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما

كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (٥٣)." [١]

"وقوله تعالى: أعدت ظاهرة أنها مخلوقة الآن معدة، ونص عليه الحسن في كتاب النقاش.

وقوله تعالى: ما أصاب من مصيبة قال ابن زيد وغيره المعنى: ما حدث من حادث خير وشر، فهذا على معنى لفظ: أصاب لا على عرف المصيبة، فإن عرفها في الشر. وقال ابن عباس ما معناه:

أنه أراد عرف المصيبة وخصها بالذكر، لأنها أهم على البشر، وهي بعض من الحوادث تدل على أن جميع الحوادث خيرها وشرها كذلك.

وقوله تعالى: في الأرض يعني بالقحوط والزلازل وغير ذلك. وقوله: في أنفسكم يريد بالموت والأمراض وغير ذلك.

وقوله تعالى: إلا في كتاب معناه: إلا والمصيبة في كتاب. و: نبرأها معناه: نخلقها، يقال:

برأ الله الخلق: أي خلقهم، والضمير عائد على المصيبة، وقيل: على الأرض، وقيل: على الأنفس، قاله ابن عباس وقتادة وجماعة وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر، وهي كلها معان صحاح، لأن الكتاب السابق أزلي قبل هذه كلها.

وقوله تعالى: إن ذلك على الله يسير يريد تحصيل الأشياء كلها في الكتاب. وقوله تعالى: لكيلا تأسوا معناه: فعل الله ذلك كله وأعلمكم به ليكون سبب تسليمكم وقلة اكتراثكم بأمر الدنيا، فلا تحزنوا على ما فات، ولا **تفرحوا الفرح المبطر** بما آتاكم منها. قال ابن عباس: ليس أحد إلا يفرح ويحزن، ولكن من أصابته مصيبة يجعلها صبرا، من أصاب خيرا يجعله شكرا.

وقرأ أبو عمرو وحده: «أتاكم» على وزن مضى، وهذا ملائم لقوله: فاتكم. وقرأ الباقون من السبعة: «آتاكم» ، على وزن أعطاكم، بمعنى آتاكم الله تعالى، وهي قراءة الحسن والأعرج وأهل مكة.

وقرأ ابن مسعود: «أوتيتم» ، وهي تؤيد قراءة الجمهور.

وقوله تعالى: والله لا يحب كل مختال فخور يدل على **أن الفرح المنهي** عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال، والفخر بنعم الله المقترن بالشكر والتواضع فأمر لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه.

قوله عز وجل:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٢/٥

[سورة الحديد (٥٧) : الآيات ٢٤ الى ٢٦]

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤) لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥) ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (٢٦)

اختلف النحاة في إعراب: الذين فقال بعضهم: هم في موضع رفع على الابتداء، والخبر عنهم." (١)

"وقال أبو حمزة الثمالي: الأسير هنا المرأة، ودليله قوله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم» ، وقوله تعالى: إنما نطعمكم لوجه الله المعنى يقولون لهم عند الإطعام، وهذا إما أن يكون المطعم يقول ذلك نصا فحكي ذلك. وإما أن يكون ذلك مما يقال في الأنفس وبالنية فمدح بذلك، هذا هو تأويل ابن مجاهد وابن جبير، وقرأ أبو عمرو في رواية عباس بجزم الميم من «نطعمكم» ، قال أبو علي أسكن تخفيفا، و «الشكور» : مصدر الشكر، ووصف اليوم بعبوس هو على التجوز، كما تقول ليل نائم أي فيه نوم، و «القمطرير» والقماطر: هو في معنى العبوس والارتداد، تقول اقمطر الرجل إذا جمع ما بين عينيه غضبا، ومنه قول الشاعر [القرطبي] : [الطويل]

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ... عليكم إذا ما كان يوم قماطر

وقال آخرون:

ففروا إذا ما الحرب ثار غبارها ... ولج بها اليوم العبوس القماطر

وقال ابن عباس: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران. وعبر ابن عباس عن «القمطرير» بالطويل. وعبر عنه ابن الكلبي بالشديد، وذلك كله قريب في المعنى. وقرأ الجمهور «فوقاهم» بتخفيف القاف. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «فوقاهم» بشد القاف. و «النضرة» : جمال البشرة، وذلك لا يكون إلا مع فرح النفس وقرة العين. وقرأ علي بن أبي طالب «وجازاهم» بألف، وقوله بما صبروا، عام عن الشهوات وعلى الطاعات والشدائد، ففي هذا يدخل كل ما خصص الناس من صوم وفقر ونحوه.

ومتكئين حال من الضمير المنصوب في جزاهم وهو الهاء والميم، وقرأ أبو جعفر وشيبة «متكيين» بغير همز، و «الأرائك» السرر المستورة بالحجال، هذا شرط لبعض اللغويين، وقال بعض اللغويين: كل ما يتوسد ويفترش مما له حشو فهو أريكة وإن لم يكن في حجلة، وقوله تعالى: لا يرون فيها الآية عبارة عن اعتدال

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٢٦٨

مس هوائها وذهاب ضرري الحر والقر عنها، وكون هوائها سجسجا كما في الحديث المأثور ومس الشمس وهو أشد الحر، و «الزمهرير» : هو أشد البرد، وقال ثعلب: «الزمهرير» بلغة طيىء القمر.

قوله عز وجل:

[سورة الإنسان (٧٦) : الآيات ١٤ الى ٢٠]

ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا (١٤) ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا (١٥) قواريرا من فضة قدروها تقديرا (١٦) ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا (١٧) عينا فيها تسمى سلسبيلا (١٨)

ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا (١٩) وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا (٢٠)

اختلف النحويون في إعراب قوله تعالى: ودانية، فقال الزجاج وغيره: هو حال عطفا على متكئين [الإنسان: ١٣] ، وقال أيضا: ويجوز أن يكون صفة للجنة، فالمعنى وجزاهم جنة دانية. وقرأ جمهور الناس «دانية» . وقرأ الأعمش «ودانيا عليهم» . وقرأ أبو جعفر «ودانية» بالرفع. وقرأ أبي بن كعب." (١)

"جنات عدن أو دخول جنات عدن، والعدن الإقامة والدوام، عدن بالموضع أقام فيه، ومنه المعدن لأنه رأس ثابت، وقال ابن مسعود: جنات عدن بطنان الجنة أي سوطها، وقوله: رضي الله عنهم ورضوا عنه قيل ذلك في الدنيا، فرضاه عنهم هو ما أظهره عليهم من أمارات رحمته وغفرانه، ورضاهم عنه: هو رضاهم بجميع ما قسم لهم من جميع الأرزاق والأقدار. قال بعض الصالحين: رضى العباد عن الله رضاهم بما يرد من أحكامه، ورضاه عنهم أن يوفقهم للرضى عنه، وقال أبو بكر بن طاهر: الرضى عن الله خروج الكراهية عن القلب حتى لا يكون **إلا فرح وسرور**، وقال السري السقطي: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه الرضا عنك؟ وقيل ذلك في الآخرة، فرضاهم عنه رضاهم بما من به عليهم من النعم، ورضاهم عنه هو ما روي أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: هل رضيتم بما أعطيتكم؟ فيقولون: نعم ربنا وكيف لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من كل ما أعطيتكم رضواني فلا أسخط

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤١١/٥

عليكم أبدا، وخص الله بالذكر أهل الخشية لأنها رأس كل بركة الناهية عن المعاصي الآمرة بالمعروف.." (١)

"٥٧: لو يجدون ملجأ أو مغارات أو: أو مغارات: سعيد بن عبد الرحمن بن عوف: ٣/ ٤٦ مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون أو مدخلا: مسلمة بن محارب- الحسن- ابن محيصن: ٣/ ٤٦ أو مندخلا: أبي بن كعب: ٣/ ٤٦ لوالوا: جد أبي عبيدة بن قرمل: ٣/ ٤٦ يجمزون: أنس بن مالك: ٣/ ٤٦ ٥٨: ومنهم من يلمزك في الصدقات: يلمزك: ابن كثير- حماد بن مسلمة- قتادة الحسن- أهل مكة- أبو رجاء: ٣/ ٤٧ يلمزك: الأعمش: ٣/ ٤٧ ٦١: ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم: أذن: نافع: ٣/ ٥٣ قل أذن خير: الحسن بن أبي الحسن- مجاهد- عيسى: ٣/ ٥٣ ٦١: ورحمة للذين آمنوا منكم: ورحمة: حمزة- أبي بن كعب- عبد الله- الأعمش: ٣/ ٥٣ ٦٣: ألم يعلموا: ألم تعلم: في مصحف أبي بن كعب: ٣/ ٥٤ ألم تعلموا: الأعرج- الحسن: ٣/ ٥٤ ٦٣: فأن له نار جهنم: فإن له نار جهنم: ابن أبي عبلة: ٣/ ٥٤ ٦٤: أن تنزل عليهم سورة: أن تنزل: أبو عمرو: ٣/ ٥٤ ٦٦: إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة: إن تعف عن طائفة منكم يعذب طائفة: الجحدري: ٣/ ٥٥ إن تعف عن طائفة منكم تعذب طائفة: مجاهد: ٣/ ٥٥ ٧٤: وما نقموا إلا أن أغناهم الله: نقموا: أبو حيوة- ابن أبي عبلة: ٣/ ٦٠ ٧٨: ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم: ألم تعلموا: أبو عبد الرحمن- الحسن: ٣/ ٦٢ ٧٩: الذين يلمزون المطوعين: يلمزون: الحسن- أبو رجاء- يعقوب- ابن كثير: ٣/ ٦٣ ٧٩: والذين لا يجدون إلا جهدهم: جهدهم: الأعرج: ٣/ ٦٣- ٦٤ ٨١: فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله: خلف: ابن عباس- أبو حيوة: ٣/ ٦٦ ٨١: لو كانوا يفقهون: يعلمون: عبد الله: ٣/ ٦٦ ٨٣: لن تخرجوا معي أبدا: معي: عاصم- المفضل: ٣/ ٦٦ ٨٣: فاقعدوا مع الخالفين: الخلفين: مالك بن دينار- عكرمة: ٣/ ٦٧ ٩٠: وجاء المعذرون من الأعراب: المعذرون: الضحاك- حميد- الأعرج- أبو صالح: ٣/ ٦٩- ٧٠ المعتذرون: سعيد بن جبير: ٣/ ٧٠ ٩١: وقعد الذين كذبوا الله ورسوله: كذبوا بالله ورسوله: الحسن: ٣/ ٧٠." (٢)

"و «يبشرك» بضم الياء: البشارة. ومعنى «يبشرك» بفتح الياء: يسرك ويفرحك، يقال: بشرت الرجل أبشره،: إذا أفرحته، وبشر الرجل يبشر: وأنشد الأخفش والكسائي:

وإذا لقيت الباهشين الى الندى ... غبرا أكفهم بقاع ممحل

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٥٠٩

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٦/٤٢

فأعنهم وابشر بما بشروا به ... واذا هم نزلوا بضنك فانزل «١»

فهذا على بشر يبشر: إذا فرح. وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور، ومنه قولهم: يلقاني ببشر، أي: بوجه منبسط.

وفي معنى تسميته «يحيى» خمسة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه. قاله ابن عباس. والثاني: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان. قاله قتادة. والثالث: لأنه أحياه بين شيخ وعجوز، قاله مقاتل. والرابع: لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيها، قاله الزجاج. والخامس: لأن الله أحياه بالطاعة، فلم يعص، ولم يهم، قاله الحسن بن الفضل.

وفي «الكلمة» قولان: أحدهما: أنها عيسى، وسمي كلمة، لأنه بالكلمة كان، وهي «كن» وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة والسدي، ومقاتل، وقيل: إن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقتل يحيى قبل رفع عيسى. والثاني: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عبيدة في آخرين. ووجهه أن العرب تقول: أنشدني فلان كلمة، أي: قصيدة.

وفي معنى السيد ثمانية أقوال: أحدها: أنه الكريم على ربه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه الحليم التقي، روي عن ابن عباس أيضا، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه الحكيم، قاله الحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء وأبو الشعثاء والربيع ومقاتل. والرابع: أنه الفقيه العالم، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه التقي، رواه سالم عن ابن جبير. والسادس: أنه الحسن الخلق، رواه أبو روق عن الضحاك. والسابع: أنه الشريف، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الذي يفوق قومه في الخير، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: السيد هاهنا الرئيس، والإمام في الخير.

فأما «الحصور» فقال ابن قتيبة: هو الذي لا يأتي النساء، وهو فعول بمعنى مفعول، كأنه محصور عنهن، أي: محبوس عنهن. وأصل الحصر: الحبس. ومما جاء على «فعول» بمعنى «مفعول» : ركوب بمعنى مركوب، وحلوب بمعنى محلوب، وهيوب بمعنى مهيب، واختلف المفسرون لماذا كان لا يأتي النساء؟ على أربعة أقوال: أحدها: أنه لم يكن له ما يأتي به النساء.

(١٧٨) فروى عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا

ضعيف جدا، والصحيح موقوف. أخرجه ابن أبي حاتم كما في ابن كثير ١/ ٣٦٩ من حديث عمرو بن

العاص مرفوعا. وقال ابن كثير: هذا غريب جدا، ثم كرره ابن أبي حاتم موقوفا وهو أصح من المرفوع وأخرجه من حديث أبي هريرة اه. قلت وفي إسناد حديث أبي هريرة حجاج بن سليمان قال أبو زرعة: منكر الحديث. انظر الميزان، ورجح السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٢ الوقف فيه ومع ذلك هو منكر، وهو من الإسرائيليات، فإن ابن عمرو روى عن أهل الكتاب، وهذا منها. وانظر «تفسير القرطبي» ١٦٦٦، ويأتي تفصيل ذلك في سورة مريم.

---

(١) البيتان لعبد قيس بن خفاف البرجمي كما ورد في «لسان العرب» مادة «بشر» . وبشر الرجل: فرح. والبهش:
المسارعة إلى أخذ الشيء، ورجل باهش وبهوش. والقاع: الأرض الحرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها. الممحل: من المحل الجدب وهو انقطاع المطر وييس الأرض.." (١)

"فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس «١» ، وهو قول مقاتل.

(٢٣٨) والثالث: أنها نزلت في شهداء بئر معونة. روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلا من خيار المسلمين إلى أهل نجد، فلما نزلوا بئر معونة، خرع حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم ينظر فيه عامر، وخرج رجل من كسر «٢» البيت برمح، فضرب به في جنب حرام حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالى فيهم:
«بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه» ثم رفعت، فنزلت هذه الآية: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا.
فهذا اختلاف الناس فيمن نزلت، واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله أن يخبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أن رجلا قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين استشهدوا، فنزلت، قاله مقاتل. والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور، تحسروا، وقالوا نحن في النعمة والسرور، وآباؤنا، وأبناؤنا، وإخواننا، في القبور، فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٧٩/١

فأما التفسير، فمعنى الآية: لا تحسبنهم أمواتا كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله، وقد بينا هذا المعنى في (البقرة) وذكرنا أن معنى حياتهم: أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها. قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٧٠]

فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠)

قوله تعالى: فرحين قال ابن قتيبة: الفرح: المسرة، فأما الذي آتاهم الله، فما نالوا من كرامة الله ورزقه، والاستبشار: السرور بالبشارة، بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم إخوانهم من المسلمين. وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء، أخبر الشهداء بأني قد أنزلت على نبيكم، وأخبرته بأمركم فاستبشروا، وعلموا أن إخوانهم سيحرصون على الشهادة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة، يقولون: إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل، قاله قتادة. والثالث: أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه يقدم عليه فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدومه، كما يستبشر أهل الغائب به، هذا قول السدي.

ذكره ابن هشام في «السيرة» ٣/ ١٤٧ في أثناء خبر مطول. وأخرج بعضه الطبري ٨٢٢٤ من حديث أنس.

وانظر «الدر المنثور» ٢/ ١٦٩ و «دلائل النبوة» للبيهقي ٣/ ٣٣٨- ٣٤١ وأصله في «صحيح البخاري» ١٥٢٨ من حديث أنس.

---

(١) لم أقف على إسناده إلى سعيد، ولا يصح، والصواب أنها نزلت في شهداء أحد.

(٢) في «اللسان» : كسر البيت: جانبه.." (١)

"قوله تعالى: فنبذوه قال الزجاج: أي: رموا به، يقال للذي يطرح الشيء ولا يعبأ به: قد جعلت هذا الأمر بظهر. قال الفرزدق:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٤٧/١

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي ... بظهر ولا يعيا علي جوابها «١»

معناه: لا تكونن حاجتي مهملة عندك، مطرحة.

وفي هاء «فنبذوه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الميثاق. والثاني: إلى الكتاب.

قوله تعالى: واشتروا به يعني: استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به، ووعدهم عليه الجنة ثمنا قليلا أي: عرضا يسيرا من الدنيا.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٨٨]

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم (١٨٨)

قوله تعالى: لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا وقرأ أهل الكوفة: لا تحسبن بالتاء. وفي سبب نزولها ثمانية أقوال «٢» :

(٢٤٨) أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، سأل اليهود عن شيء، فكتموه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم قد أخبروه به، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود، فرحوا بما يصيبون من الدنيا، وأحبوا أن يقول الناس:

إنهم علماء، وهذا القول والذي قبله عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: نحن على دين إبراهيم، وكتموا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير «٣» . والرابع: أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق واليمن، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها، أن محمدا ليس بنبي، فاثبتوا على دينكم، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به، ففرحوا بذلك، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة، وأولياء

حديث صحيح لكن ليس فيه ذكر نزول الآية، وإنما فيه أنهم المراد بهذه الآية، فقد أخرجه البخاري ٤٥٦٨ ومسلم ٢٧٧٨ ح ٨ والترمذي ٣٠١٤ والنسائي في «التفسير» ١٠٦ والطبري ٨٣٤٩ والحاكم ٢/ ٢٩٩ والواحدي ٢٨١ من طرق أن مروان بن الحكم قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب كذلك حتى قوله يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. واللفظ للبخاري.

(١) في «اللسان» : رجل تكلف عملا فيعيا به وعنه إذا لم يهتد لوجه عمله.
(٢) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٤٩ (آل عمران: ١٨٨) : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: «عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله عز وجل أنه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه» . لأن قوله: ﴿ا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية، في سياق الخبر عنهم وهو شبيه بقصتهم، مع اتفاق أهل التأويل بأنهم معنيون بذلك.
(٣) أخرجه الطبري ٨٣٤٣ عن سعيد مرسلا.." (١)

"معرفتهم. وقرأ الأعمش: «وتعلم» بالتاء، والمعنى: وتعلم القلوب أن قد صدقتنا. وفي قوله تعالى: من الشاهدين أربعة أقوال: أحدها: من الشاهدين لله بالقدرة، ولك بالنبوة. والثاني: عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم، وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البرية عند هذا السؤال. والثالث: من الشاهدين عند من يأتي من قومنا بما شاهدنا من الآيات الدالة على أنك نبي. والرابع: من الشاهدين لك عند الله بأداء ما بعثت به.

[سورة المائدة (٥) : آية ١١٤]

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤)

قوله تعالى: تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وقرأ ابن محيصن، وابن السميفع، والجحدري: «لأولانا وأخرانا» برفع الهمزة، وتخفيف الواو، والمعنى: يكون اليوم الذي نزلت فيه عيدا لنا، نعظمه نحن ومن بعدنا، قاله قتادة، والسدي. وقال كعب: أنزلت عليهم يوم الأحد، فاتخذوه عيدا. وقال ابن قتيبة: عيدا، أي: مجمعا. قال الخليل بن أحمد: العيد: كل يوم يجمع، كأنهم عادوا إليه. وقال ابن الأنباري: سمي عيدا للعود من الترح إلى الفرح.

قوله تعالى: وآية منك أي علامة منك تدل على توحيدك، وصحة نبوة نبيك. وقرأ ابن السميفع، وابن محيصن، والضحاك «وأنه منك» بفتح الهمزة، وبنون مشددة.

وفي قوله تعالى: وارزقنا قولان: أحدهما: ارزقنا ذلك من عندك. والثاني: ارزقنا الشكر على ما أنعمت به من

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٥٨/١

إجابتك لنا.

[سورة المائدة (٥) : آية ١١٥]

قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١١٥)

قوله تعالى: قال الله إني منزلها عليكم قرأ نافع وعاصم وابن عامر «منزلها» بالتشديد، وقرأ الباقون خفيفة. وهذا وعد بإجابة سؤال عيسى. واختلف العلماء: هل نزلت أم لا؟ على قولين «١» :

أحدهما: أنها نزلت، قاله الجمهور، فروى وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: لما رأى عيسى أنهم قد جدوا في طلبها لبس جبة من شعر، ثم توضأ، واغتسل، وصف قدميه في محرابه حتى استويا، وألصق الكعب بالكعب، وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وطأطأ رأسه خضوعا، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت تسيل دموعه على خده، وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض من دموعه حيال وجهه، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، فبينما عيسى كذلك، هبطت عليهم مائدة من السماء، سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من تحتها، وغمامة من فوقها، وعيسى يبكي ويتضرع، ويقول: إلهي اجعلها سلامة، لا تجعلها عذابا، حتى استقرت بين يديه، والحواريون من حوله، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها، وإذا عليها منديل مغطى، فقال عيسى: أيكم أوثق بنفسه وأقل بلاء عند ربه فليأخذ

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله ٥/ ١٣٥: والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى ذلك.." (١)

"(٥٨١) روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، حتى إذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة. فو الذي نفسي بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» .

وقال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة، تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله ما في قلوبهم من غل وغيره مما كان في الدنيا، ثم يدخلون إلى العين الأخرى، فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٦٠٢/١

فأما النزع، فهو قلع الشيء من مكانه. والغل: الحقد الكامن في الصدر. وقال ابن قتيبة: الغل: الحسد والعداوة.

قوله تعالى: الحمد لله الذي هدانا لهذا قال الزجاج: معناه: هدانا لما صيرنا إلى هذا. قال ابن عباس: يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته. وروى عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام قال: تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منثور، فيطوفون بهم كاطافتهم بالحميم جاء من الغيبة، ويبشرونهم بما أعد الله لهم، ويذهبون إلى أزواجهم فيبشرونهن، فيستخفهن الفرح، فيقمن على أسكفة الباب، فيقلن: أنت رأيته، أنت رأيته؟ قال: فيجيء إلى منزله فينظر في أساسه، فاذا صخر من لؤلؤ، ثم يرفع بصره، فلولا أن الله ذلله لذهب بصره، ثم ينظر أسفل من ذلك، فاذا هو بالسرر الموضونة، والفرش المرفوعة، والزرابي المبثوثة، فعند ذلك قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. كلهم قرأ «وما كنا» باثبات الواو، غير ابن عامر، فانه قرأ «ما كنا لنهتدي» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. قال أبو علي: وجه الاستغناء عن الواو أن القصة ملتبسة بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف، ومثله رابعهم كلبهم «١» .

قوله تعالى: لقد جاءت رسل ربنا بالحق هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا.

ونودوا أن تلكم الجنة قال الزجاج: إنما قال «تلكم» لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل لهم: هذه تلكم التي وعدتم بها. وجائز أن يكون هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها. وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر «أورثتموها» غير مدغمة. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي «أورثتموها» مدغمة، وكذلك قرءوا في (الزخرف) قال أبو علي: من ترك الادغام، فلتباين مخرج الحرفين، ومن أدغم، فلأن التاء والثاء مهموستان متقاربتان. وفي معنى «أورثتموها» أربعة أقوال:

(٥٨٢) أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة

صحيح. أخرجه البخاري ٢٤٤٠ و ٦٥٣٥ وأحمد ٣/ ١٣ و ٦٣ و ٧٤ وابن أبي عاصم في «السنة» ٨٥٨ وابن مندة ٨٣٧ و ٨٣٨، ٨٣٩ وأبي يعلى ١١٨٦، وابن حبان ٧٤٣٤ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ٢٨٨٨.

أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٤/ ١٥٩ (الزخرف: ٧٢) عن الفضل ابن شاذان المقرئ حدثنا يوسف بن يعقوب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعا،

وإسناده حسن، رجاله ثقات أبو بكر بن عياش فيه كلام لا يضر. وورد عن أبي بكر بن عياش بهذا الإسناد بلفظ «كل

---

(١) سورة الكهف: ٢٢.." (١)

"(٥٩٨) والثاني: أن قريشا قالت: يا محمد، بيننا وبينك قرابة، فبين لنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. وقال عروة: الذي سأله عن الساعة عتبة بن ربيعة. والمراد بالساعة ها هنا التي يموت فيها الخلق.

قوله تعالى: أيان مرساها قال أبو عبيدة: أي: متى مرساها؟ أي: منتهاها. ومرسى السفينة:

حيث تنتهي. وقال ابن قتيبة: «أيان» بمعنى: متى و «متى» بمعنى: أي حين، ونرى أن أصلها: أي أوان فحذفت الهمزة والواو، وجعل الحرفان واحدا، ومعنى الآية: متى ثبوتها؟ يقال: رسا في الأرض، أي: ثبت، ومنه قيل للجبال: رواسي. قال الزجاج: ومعنى الكلام: متى وقوعها؟

قوله تعالى: قل إنما علمها عند ربي أي: قد استأثر بعلمها لا يجليها أي: لا يظهرها في وقتها إلا هو. قوله تعالى: ثقلت في السماوات والأرض فيه أربعة أقوال «١» : أحدها: ثقل وقوعها على أهل السماوات والأرض، قاله ابن عباس، ووجهه أن الكل يخافونها، م حسنهم ومسيئهم. والثاني: عظم شأنها في السماوات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وابن جريج. والثالث: خفي أمرها، فلم يعلم متى كونها، قاله السدي. والرابع: أن «في» بمعنى «على» فالمعنى: ثقلت على السماوات والأرض، قاله قتادة. قوله تعالى: لا تأتيكم إلا بغتة أي: فجأة.

قوله تعالى: كأنك حفي عنها فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه من المقدم والمؤخر، فتقديره:

يسألونك عنها كأنك حفي، أي: بر بهم، كقوله تعالى: إنه كان بي حفيا. قال العوفي عن ابن عباس، وأسباط عن السدي: كأنك صديق لهم. والثاني: كأنك حفي بسؤالهم، مجيب لهم. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: كأنك يعجبك سؤالهم. وقال خصيف عن مجاهد: كأنك تحب أن يسألونك عنها. وقال الزجاج: **كأنك فرح بسؤالهم**. والثالث: كأنك عالم بها، قاله الضحاك عن ابن عباس، وهو قول ابن زيد، والفراء. والرابع: كأنك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها، قاله ابن ابي نجيح عن مجاهد. وقال عكرمة: كأنك مسؤول عنها. وقال ابن قتيبة: كأنك معني بطلب علمها. وقال ابن الانباري: فيه تقديم وتأخير،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٢١/٢

تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها، والحفي في كلام العرب: المعني.
قوله تعالى: قل إنما علمها عند الله أي: لا يعلمها إلا هو ولكن أكثر الناس لا يعلمون قال مقاتل في آخرين: المراد بالناس ها هنا أهل مكة.

ضعيف. أخرجه الطبري ١٥٤٧٣ عن قتادة مرسلا، فهو ضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٥٩ عن قتادة مرسلا.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٣٨: وأولى ذلك عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السماوات والأرض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها، لأن الله تعالى ذكره أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه منهم أحد، وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة، فالذي هو أولى: أن يكون ما بين ذلك أيضا خبرا عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك.." [١]

"فان قيل: كيف جاز أن يستغفر لهم، وقد أخبر بأنهم كفروا؟ فالجواب: أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام، ولا يجوز أن يقال: علم كفرهم ثم استغفر.
فان قيل: ما معنى حصر العدد بسبعين؟ فالجواب: أن العرب تستكثر في الآحاد من سبعة، وفي العشرات من سبعين.

[سورة التوبة (٩) : آية ٨١]
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١)
قوله **تعالى: فرح المخلفون** يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. والمخلف: المتروك خلف من مضى. بمقعدهم أي: بقعودهم. وفي قوله تعالى: خلاف رسول الله قولان: أحدهما: أن معناه: بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله أبو عبيدة. والثاني: أن معناه: مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو منصوب، لأنه مفعول له، فالمعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله صلى الله

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/١٧٥

عليه وسلم، قاله الزجاج.
وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبلة: «خلف رسول الله» ، ومعناها: أنهم تأخروا عن الجهاد. وفي قوله تعالى: لا تنفروا في الحر قولان: أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض، قاله ابن اسحاق، ومقاتل. والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين، ذكره الماوردي. وإنما قالوا هذا، لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر.
قل نار جهنم أشد حرا لمن خالف أمر الله. وقوله تعالى: يفقهون معناه:
يعلمون. قال ابن فارس: الفقه: العلم بالشيء. تقول: فقهت الحديث أفقهه وكل علم بشيء: فقه.
ثم اختص به علم الشريعة، فقيل لكل عالم بها: فقيه. قال المصنف: وقال شيخنا علي بن عبيد الله:
الفقه في إطلاق اللغة: الفهم، وفي عرف الشريعة: عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين، بنحو التحليل، والتحريم، والإيجاب، و الإجزاء، والصحة، والفساد، والغرم، والضمان، وغير ذلك.
وبعضهم يختار أن يقال: الفقه: فهم الشيء، وبعضهم يختار أن يقال: علم الشيء.

[سورة التوبة (٩) : آية ٨٢]
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢)
قوله تعالى: فليضحكوا قليلا لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد. وفي قلة ضحكهم وجهان:
أحدهما: أن الضحك في الدنيا، لكثرة حزنها وهمومها، قليل، وضحكهم فيها أقل، لما يتوجه إليهم من الوعيد. والثاني: أنهم إنما يضحكون في الدنيا، وبقاؤها قليل. وليبكوا كثيرا في الآخرة. قال أبو موسى الأشعري: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع، فلمثل ما هم فيه فليبكي.
قوله تعالى: جزاء بما كانوا يكسبون أي: من النفاق والمعاصي.

[سورة التوبة (٩) : آية ٨٣]
فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣)

قوله تعالى: فإن رجعك الله أي: ردك من غزوة تبوك إلى المدينة إلى طائفة من المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر. وإنما قال: إلى طائفة لأنه ليس كل من تخلف عن تبوك كان منافقا.." (١)

"عنهم حتى يباد أهل الكفر وتعلو كلمة الإخلاص. قوله تعالى: وحاق بهم قال أبو عبيدة: نزل بهم وأصابهم. وفي قوله: ما كانوا به يستهزؤن قولان: أحدهما: أنه الرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب، قاله أبو صالح عن ابن عباس، فيكون المعنى: حاق بهم جزاء استهزائهم. والثاني: أنه العذاب، كانوا يستهزئون بقولهم: ما يحبسه، وهذا قول مقاتل.

[سورة هود (١١) : آية ٩]

ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور (٩)

قوله تعالى: ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة. قاله ابن عباس.

والثاني: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ذكره الواحدي والثالث: أن الإنسان ها هنا اسم جنس، والمعنى: ولئن أذقنا الناس، قاله الزجاج. والمراد بالرحمة: النعمة، من العافية، والمال، والولد. واليؤوس: القنوط، قال أبو عبيدة: هو فعول من يئست. قال مقاتل: إنه ليؤوس عند الشدة من الخير، كفور لله في نعمه في الرخاء.

[سورة هود (١١) : آية ١٠]

ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠)

قوله تعالى: ولئن أذقناه نعماء قال ابن عباس: صحة وسعة في الرزق بعد ضراء بعد مرض وفقر. ليقولن ذهب السيئات عني يريد الضر والفقر. إنه لفرح أي: بطر. فخور قال ابن عباس: يفاخر أوليائي بما أوسعت عليه.

فإن قيل: ما وجه عيب الإنسان في قوله: ذهب السيئات عني، وما وجه ذمه على الفرح، وقد وصف الله الشهداء فقال تعالى: فرحين؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: إنما عابه بقوله:

ذهب السيئات عني لأنه لم يعترف بنعمة الله ولم يحمده على ما صرف عنه. وإنما ذمه **بهذا الفرح لأنه**

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٢٨٥

يرجع إلى معنى المرح والتكبر عن طاعة الله، قال الشاعر:

ولا ينسيني الحدثان عرضي ... ولا ألقي **من الفرح الإزارا** «١»

يعني من المرح. وفرح **الشهداء فرح لا** كبر فيه ولا خيلاء، بل هو مقرون بالشكر فهو مستحسن.

[سورة هود (١١) : آية ١١]

إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١١)

قوله تعالى: إلا الذين صبروا قال الفراء: هذا الاستثناء من الانسان، لأنه في معنى الناس، كقوله: إن الإنسان لفي خسر (٢) إلا الذين آمنوا «٢» . وقال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن الذين صبروا. قال ابن عباس: الوصف الأول للكافر، والذين صبروا أصحاب محمد عليه السلام.

---

(١) البيت لابن أحمر. وفي «اللسان» حدثان الدهر وحوادثه: نوبه وما يحدث منه.

(٢) سورة العصر: ٢- ٣.." (١)

"أراد: تواضعت المدينة، وقال الآخر:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم «١»

أراد: كما شرقت القناة.

قال المفسرون: فلما عزم القوم على كيد يوسف، قالوا لأبيه: ما لك لا تأمنا قرأ الجماعة «تأمنا» بفتح الميم وإدغام النون الأولى في الثانية والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضم قال مكي:

لأن الأصل «تأمننا» ثم أدغمت النون الأولى، وبقي الإشمام يدل على ضمة النون الأولى. والإشمام: هو ضمك شفتيك من غير صوت يسمع، فهو بعد الإدغام وقبل فتحه النون الثانية. وابن كيسان يسمي الإشمام الإشارة، ويسمى الروم إشماما والروم: صوت ضعيف يسمع خفيا. وقرأ أبو جعفر «تأمنا» بفتح النون من غير إشمام إلى إعراب المدغم. وقرأ الحسن «ما لك لا تأمنا» بضم الميم. وقرأ ابن مقسم «تأمننا» بنونين على الأصل والمعنى: ما لك لا تأمنا على يوسف فترسله معنا، فانه قد كبر ولا يعلم شيئا من أمر المعاش، وإنا له لناصحون فيما أشرنا به عليك أرسله معنا غدا إلى الصحراء.

وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنهم قالوا له: أرسله معنا، فقال: إني ليحزنني أن تذهبوا به،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٣٦٠

فقالوا: ما لك لا تأمنا.

قوله تعالى: يرتع ويلعب قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو «نرتع ونلعب» بالنون فيهما، والعين ساكنه وافقهم زيد عن يعقوب في «نرتع» فحسب. وفي معنى «نرتع» ثلاثة أقوال: أحدها: نله، قاله الضحاك. والثاني: نسع، قاله قتادة. والثالث: نأكل يقال: رتعت الإبل: إذا رعت، وأرتعتها: إذا تركتها ترعى. قال الشاعر:

وحبيب لي إذا لاقيته ... وإذا يخلو له لحمي رتع «٢»

أي أكله، هذا قول ابن الأنباري، وابن قتيبة. وقرأ عاصم، وحمزة والكسائي: «يرتع ويلعب» بالياء فيهما وجزم العين والباء، يعنون «يوسف» . وقرأ نافع: «نرتع» بكسر العين من «نرتع» من غير بلوغ إلى الياء. قال ابن قتيبة: ومعناها: نتحارس، ويرعى بعضنا بعضا، أي: يحفظ ومنه يقال: رعاك الله، أي: حفظك. ورويت عن ابن كثير أيضا «نرتعي» باثبات ياء بعد العين في الوصل والوقف. وقرأ أنس، وأبو رجاء «نرتعي» باثبات ياء بعد العين في الوصل والوقف. وقرأ أنس، وأبو رجاء «نرتع» بنون مرفوعة وكسر التاء وسكون العين، و «نلعب» بالنون. قال أبو عبيدة: أي: نرتع إبلنا «٣» .

فأما قوله تعالى: «ونلعب» فقال ابن عباس: نلهو.

---

(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» ، مادة «شرق» ونسبه للأعشى. وشرق الشيء شرقا فهو شرق: اشتدت حمرته بدم أو بحسن لون أحمر.

(٢) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من قصيدة في «المفضليات» ١٩٠- ٢٠٢، و «الشعر والشعراء» ٣٨٤.

(٣) قال الإمام الطبري رحمه الله ٧/ ١٥٥: وأولى ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه في الحرفين كليهما بالياء، وبجزم العين في «يرتع» ، لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك، كما ليوسف في إرساله معهم **من الفرح والسرور**. والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك، لا بالخبر عن أنفسهم.." (١)

"ولا شكورا «١» لم يقولوا ذلك، إنما أضمروه، ويدل على صحة هذا أنها لو قالت له وهو شاب مستحسن: اخرج على نسوة من طبعهن الفتنة، ما فعل.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٤١٧

وفي قوله تعالى: أكبرنه قولان: أحدهما: أعظمنه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: حضن «٢» ، رواه الضحاك عن ابن عباس. وروى علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: حضن من الفرح، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

نأتي النساء لدى أطهارهن ولا ... نأتي النساء إذا أكثرن إكبارا «٣»

وقد روى هذا المعنى ليث عن مجاهد، واختاره ابن الأنباري، ورده بعض اللغويين، فروي عن أبي عبيدة أنه قال: ليس في كلام العرب «أكبرن» بمعنى «حضن» ، ولكن عسى أن يكن من شدة ما أعظمنه حضن، وكذلك روي عن الزجاج أنه أنكره.

قوله تعالى: وقطعن أيديهن فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حززن أيديهن، وكن يحسبن أنهن يقطعن طعاما، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: قطعن أيديهن حتى ألقينها، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث:

كلمن الأكف وأبن الأنامل، قاله وهب بن منبه.

قوله تعالى: وقلن حاش لله قرأ أبو عمرو «حاشا» بألف في الوصل في الموضعين، واتفقوا على حذف الألف في الوقف، وأبو عمرو جاء به على التمام والأصل، والباقون حذفوا. وهذه الكلمة تستعمل في موضعين. أحدهما: الاستثناء. والثاني: التبرئة من الشر. والأصل «حاشا» وهي مشتقة من قولك: كنت في حشا فلان، أي: في ناحيته. والحشا: الناحية، وأنشدوا:

بأي الحشا أمسى الخليط المباين «٤»

أي: بأي النواحي، والمعنى: صار يوسف في حشا من أن يكون بشرا، لفرط جماله. وقيل:

صار في حشا مما قرفته به امرأة العزيز. وقال ابن عباس، ومجاهد: «حاش لله» بمعنى: معاذ الله. قال الفراء: و «بشرا» منصوب، لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها أحبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه، فنصبوا على ذلك، وكذلك قوله: ما هن أمهاتهم «٥» ، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وبغير الباء، فإذا أسقطوها، رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية. قال الزجاج: قوله: الرفع أقوى الوجهين، غلط، لأن كتاب الله أقوى اللغات، ولم يقرأ بالرفع أحد. وزعم الخليل، وسيبويه، وجميع النحويين القدماء أن «بشرا» منصوب، لأنه خبر «ما» و «ما» بمنزلة «ليس» . قلت: وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، وعكرمة، ومعاذ القارئ في آخرين: «ما هذا

---

(١) سورة الإنسان: ٩.

(٢) قال الإمام الطبري رحمه الله: ٧/ ٢٠٣: مرجحا القول الأول: لا شك أن المحال أن يحضن من يوسف، ولكن الخبر، إن كان صحيحا عن ابن عباس على ما روي فخليق أن يكون معناه في ذلك: أنهن حضن لما أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن، ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك.

ووافقه ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٨٧ بقوله: أكبرنه: أي أعظمن شأنه وأجللن قدره.

(٣) بيت مصنوع، وقائله مجهول، انظر تفسير الطبري والبحر المحيط. [.....]

(٤) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «حشا» ، وعزاه إلى المعطل الهذلي، وعنده- الحبيب- بدل- الخليط-.

(٥) سورة المجادلة: ٢.." (١)

"[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٢٨ الى ٢٩]

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨) الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (٢٩)

قوله تعالى: الذين آمنوا هذا بدل من قوله: أناب، والمعنى: يهدي الذين آمنوا، وتطمئن قلوبهم بذكر الله في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: ذكر الله على الإطلاق. وفي معنى هذه الطمأنينة قولان: أحدهما: أنها الحب له والأنس به. والثاني: السكون إليه من غير شك، بخلاف الذين إذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم.

قوله تعالى: ألا بذكر الله قال الزجاج: «ألا» حرف تنبيه وابتداء، والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب.

قوله تعالى: طوبى لهم فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه اسم شجرة في الجنة.

(٨٢٨) روى أبو سعيد الخدري «عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال:

شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» .

وقال أبو هريرة: طوبى: شجرة في الجنة، يقول الله عز وجل لها: تفتقي لعبدي عما شاء، فتتفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها، وعن الإبل بأزمتها، وعما شاء من الكسوة. وقال شهر بن حوشب: طوبى: شجرة في الجنة، كل شجر الجنة منها أغصانها، من وراء سور الجنة، وهذا مذهب عطية، وشمر بن عطية، ومغيث

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٤٣٦

بن سمي، وأبي صالح. والثاني: أنه اسم الجنة بالحبشية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور عن سعيد بن مسجوح قال: طوبى: اسم الجنة بالهندية، وممن ذهب إلى أنه اسم الجنة عكرمة، وعن مجاهد كالقولين.

والثالث: أن معنى طوبى لهم: فرح وقرة عين لهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أن معناه: نعمى لهم، قاله عكرمة في رواية، وفي رواية أخرى عنه: نعم ما لهم. والخامس: غبطة لهم، قاله سعيد بن جبير، والضحاك. والسادس: أن معناه: خير لهم، قاله النخعي في رواية، وفي أخرى عنه قال: الخير والكرامة اللذان أعطاهم الله، وروى معمر عن قتادة قال: يقول الرجل للرجل:

طوبى لك، أي: أصبت خيرا، وهي كلمة عربية. والسابع: حسنى لهم، رواه سعيد عن قتادة عن الحسن. والثامن: أن المعنى: العيش الطيب لهم. و «طوبى» عند النحويين: فعلى من الطيب، هذا قول الزجاج. وقال ابن الأنباري: تأويلها: الحال المستطابة، والخلة المستلذة، وأصلها: «طيبى» فصارت الياء واوا لسكونها وانضمام ما قبلها كما صارت في «موقن» والأصل فيه «ميقن» لأنه مأخوذ من اليقين، فغلبت الضمة فيه الياء فجعلتها واوا.

صدره حسن، وعجزه ضعيف، أخرجه أحمد ٣/ ٧١ وأبو يعلى ١٣٧٤ وابن حبان ٧٤١٣ والخطيب ٤/ ٩١ والطبري ٢٠٣٩٤. من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا. وهذا إسناد ضعيف، لضعف دراج في روايته عن أبي الهيثم، ولصدره شواهد، والوهن فقط في عجزه «ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» . وله شاهد من حديث عتبة بن عبد السلمي، أخرجه الطبري ٢٠٣٩٢ وابن حبان ٧٤١٤ وأحمد ٤/ ١٨٣ وإسناده ضعيف لجهالة عامر بن زيد، لكن يشهد لما قبله. وله شاهد من حديث قرة بن إياس، أخرجه الطبري ٢٠٣٩٣ وإسناده ضعيف لضعف فرات بن أبي الفرات. وله شواهد أخرى واهية.." (١)

"قوله تعالى: لهم عذاب في الحياة الدنيا

وهو القتل، والأسر، والسقم، فهو لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمنين كفارة، ولعذاب الآخرة أشق

أي: أشد وما لهم من الله من واق

أي: مانع يقيهم عذابه.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٤٩٤

[سورة الرعد (١٣) : آية ٣٥]

مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٥)

قوله تعالى: مثل الجنة أي: صفتها أن الأنهار تجري من تحتها، هذا قول الجمهور. وقال ثعلب: خبر المثل مضمر قبله، والمعنى: فيما نصف لكم مثل الجنة، وفيما نقصه عليكم خبر الجنة أكلها دائم قال الحسن: يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا وظلها لأنه لا يزول ولا تنسخه الشمس.

قوله تعالى: تلك عقبى الذين اتقوا أي: عاقبة أمرهم المصير إليها.

[سورة الرعد (١٣) : آية ٣٦]

والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب (٣٦)

قوله تعالى: والذين آتيناهم الكتاب فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مسلمو اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: هم عبد الله بن سلام وأصحابه. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله قتادة. والثالث: مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. والذي أنزل إليه: **القرآن، فرح به** المسلمون وصدقوه، وفرح به مؤمنو أهل الكتاب، لأنه صدق ما عندهم.

وقيل: إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما نزل ذكره فرحوا، وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية.

فأما الأحزاب، فهم الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعاداة، وفيهم أربعة أقوال «١» :

أحدها: أنهم اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثاني: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد.

والثالث: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العزى، قاله مقاتل. والرابع: كفار قريش، ذكره الماوردي. وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذكر الرحمن والبعث ومحمد صلى الله عليه وسلم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوته. والثالث: أنهم عرفوا صدقه، وأنكروا تصديقه، ذكرهما الماوردي.

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله ٢/ ٦٣٩: وقوله ومن الأحزاب أي: ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك. وقال مجاهد: ومن الأحزاب اليهود والنصارى من ينكر بعض ما جاءك من الحق. وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وهذا كما قال تعالى: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب.." (١)

"الناس وغيرهم من الموات، تشير إليه بلفظ «أولئك» قال جرير:

الآية ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

قال المفسرون: الإشارة إلى الجوارح المذكورة، يسأل العبد يوم القيامة فيما إذا استعملها، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم، والعزم على ما لا يجوز.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٣٧ الى ٣٩]

ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨) ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا (٣٩)

قوله تعالى: ولا تمش في الأرض مرحا وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «مرحا» بكسر الراء، قال الأخفش: والكسر أجود، لأن «مرحا» اسم الفاعل قال الزجاج: كلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال، تقول: جاء زيد ركضا، وجاء زيد راكضا، ف «ركضا» أوكد في الاستعمال، لأنه يدل على توكيد الفعل، وتأويل الآية: لا تمش في الأرض مختالا فخورا، والمرح:

الأشر والبطر. وقال ابن فارس: المرح: شدة الفرح.

قوله تعالى: إنك لن تخرق الأرض فيه قولان: أحدهما: لن تقطعها إلى آخرها. والثاني: لن تنفذها وتنقبها. قال ابن عباس: لن تخرق الأرض بكبرك، ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك. قال ابن قتيبة: والمعنى: لا ينبغي للعاجز أن يبذخ ويستكبر.

قوله تعالى: كل ذلك كان سيئه قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «سيئة» منونا غير مضاف، على معنى: كان خطيئة، فعلى هذا يكون قوله تعالى: كل ذلك إشارة إلى المنهي عنه من المذكور فقط. وقرأ عاصم،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٤٩٨

وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «سيئه» مضافا مذكرا، فتكون لفظة «كل» يشار بها إلى سائر ما تقدم ذكره. وكان أبو عمرو لا يرى هذه القراءة. قال الزجاج: وهذا غلط من أبي عمرو، لأن في هذه الأقاصيص سيئا وحسنا، وذلك أن فيها الأمر ببر الوالدين، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد، ونحو ذلك، فهذه القراءة أحسن من قراءة من نصب السيئة، وكذلك قال أبو عبيدة: تدبرت الآيات من قوله تعالى: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) فوجدت فيها أمورا حسنة.

وقال أبو علي: من قرأ «سيئة» رأى أن الكلام انقطع عند قوله تعالى: وأحسن تأويلا، وأن قوله:

ولا تقف لا حسن فيه.

قوله تعالى: ذلك مما أوحى إليك ربك يشير إلى ما تقدم من الفرائض والسنن، من الحكمة، أي: من الأمور المحكمة والأدب الجامع لكل خير. وقد سبق معنى «المدحور» «١» .

[سورة الإسراء (١٧) : آية ٤٠]

أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما (٤٠)

---

(١) سورة الأعراف: ١٨.." (١)

"هذا مذهب أبي عبيدة.

والثالث: أنها دخلت على الجذع لتلصقه بالهز، فهي مفيدة للالصاق، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: تساقط قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تساقط» بالتاء مشددة السين، وقرأ حمزة، وعبد الوارث: «تساقط» بالتاء مفتوحة مخففة السين، وقرأ حفص عن عاصم: «تساقط» بضم التاء وكسر القاف مخففة السين، وقرأ يعقوب، وأبو زيد عن المفضل: «يساقط» بالياء مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف. فهذه القراءات المشاهير. وقرأ أبي بن كعب، وأبو حيوة: «يسقط» بفتح الياء وسكون السين ورفع القاف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعائشة، والحسن: «يساقط» بألف وتخفيف السين ورفع الياء وكسر القاف. وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار:

«يسقط» برفع الياء وكسر القاف مع سكون السين وعدم الألف. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٥/٣

مثله، إلا أنه بالتاء. وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر مثله، إلا أنه بالنون. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبلة: «تسقط» بالتاء مفتوحة مع سكون السين ورفع القاف. وقرأ أبو السمال العدوي، وابن حذلم: «تتساقط» بتاءين مفتوحين وبألف. وقال الزجاج: من قرأ «يساقط» فالمعنى: يتساقط، فأدغمت التاء في السين. ومن قرأ «تساقط» فكذلك أيضا، وأنث لأن لفظ النخلة مؤنث. ومن قرأ «تساقط» بالتاء والتخفيف، فإنه حذف من «تتساقط» اجتماع التاءين. ومن قرأ «يساقط» ذهب إلى معنى: يساقط الجذع عليك. ومن قرأ «نساقط» بالنون، فالمعنى: نحن نساقط عليك، فنجعله لك آية، والنحويون يقولون:

إن «رطبا» منصوب على التمييز إذا قلت: يساقط أو يتساقط، المعنى: يتساقط الجزع رطبا. وإذا قلت: تساقط بالتاء، فالمعنى: تتساقط النخلة رطبا.

قوله تعالى: جنيا قال الفراء: الجني: المجتنى، وقال ابن الأنباري: هو الطري، والأصل:

مجنو، صرف من مفعول إلى فعيل، كما يقال: قديد، وطبيخ، وقال غيره: هو الطري بغباره ولم يكن لتلك النخلة رأس، فأنبته الله تعالى، فلما وضعت يدها عليه، سقط الرطب رطبا وكان السلف يستحبون للنفساء الرطب من أجل مريم عليها السلام.

قوله تعالى: فكلي أي: من الرطب واشربي من النهر وقري عينا بولادة عيسى عليه السلام. قال الزجاج: يقال: قررت به عينا أقر، بفتح القاف في المستقبل وقررت في المكان أقر بكسر القاف، «وعينا» : منصوب على التمييز. وروى ابن الأنباري عن الأصمعي أنه قال: معنى «وقري عينا» ولتبرد دمعتك، لأن دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن حارة. واشتقاق «قري» من القرور، وهو الماء البارد. وقال لنا أحمد بن يحيى: تفسير «قري عينا» بلغت غاية أملك حتى تقر عينك من الاستشراف إلى غيره. واحتج بقول عمرو بن كلثوم:

بيوم كريهة ضربا وطعنا ... أقر به مواليك العيونا «١»

أي ظفروا وبلغوا منتهى أمنيتهم، فقرت أعينهم من تطلع إلى غيره.

قوله تعالى: فإما ترين وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، وابن السميفع، والضحاك، وأبو العالية،

---

(١) البيت في «مختار الشعر الجاهلي» ٢/ ٣٦٢ و «اللسان» - قرر-.." [1]

"جعفر مثله، إلا أن العين مكسورة، و «العذاب» بالنصب.

قوله تعالى: ويخلد وقرأ أبو حيوة وقتادة والأعمش: «ويخلد» برفع الياء وسكون الخاء وفتح اللام مخففة.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/١٢٧

وقرأ عاصم الجحدري وابن يعمر وأبو المتوكل مثله، إلا أنهم شددوا اللام.

فصل:

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها منسوخة وفي ناسخها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قوله تعالى: ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم «١» ، قاله ابن عباس. وكان يقول: هذه مكية، والتي في النساء مدنية. والثاني: أنها نسخت بقوله: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك الآية «٢» . والثالث: أن الأولى نسخت بالثانية، وهي: إلا من تاب.

والقول الثاني: أنها محكمة والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا. وفساد القول الأول ظاهر، لأن القتل لا يوجب تخليدا عند الأكثرين وقد بيناه في سورة النساء «٣» ، والشرك لا يغفر إذا مات المشرك علىيه، والاستثناء ليس بنسخ.

قوله تعالى: إلا من تاب. قال ابن عباس:

(١٠٥٧) قرأنا على عهد رسول الله سنتين: والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ثم نزلت إلا من تاب فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشيء فرحه بها، وب إنا فتحنا لك فتحا مبينا.

قوله تعالى: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اختلفوا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه، فقال ابن عباس: يبدل الله شركهم إيمانا، وقتلهم إمساكا، وزناهم إحصانا وهذا يدل: أولا:

على أنه يكون في الدنيا، وممن ذهب إلى هذا المعنى سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أن هذا يكون في الآخرة، قاله سلمان رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين. وقال عمرو بن ميمون: يبدل الله سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات، حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي. وعن الحسن كالقولين. وروي عن الحسن أنه قال: ود قوم يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب فقيل: من هم؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات.

(١٠٥٨) ويؤكد هذا القول حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال:

ضعيف. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» ٩٧٢ والطبراني في «الكبير» ١٢٩٣٥ والواحدي ٣/ ٣٤٧ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٨٤ وقال: رواه الطبراني من

رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثقا، وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات. كذا قال رحمه الله، وما ذكره لعله يصدق على يوسف بن مهران، فقد قال عنه الحافظ. لين الحديث، وأما علي بن زيد فضعيف. وقد ضعفه الجمهور، وجزم الحافظ في «التقريب» بضعفه، وقد روى مناكير كثيرة، وشيخه يوسف بن مهران، وثقة أبو زرعة وابن حبان، وقال أحمد: لا يعرف.

صحيح. أخرجه مسلم ١٩٠ والترمذي ٢٥٩٦ وأحمد ٥/ ١٠٧ وابن حبان ٧٣٧٥ وأبو عوانة ١/ ١٦٩- ١٧٠ وابن مندة في «الإيمان» ٨٤٧- ٨٤٩ من طرق عن الأعمش به. وأخرجه الترمذي في «الشمائل» ٢٢٩ والبغوي ٤٢٥٦ من طرق كلهم من حديث أبي ذر.

---

(١) النساء: ٩٣.

(٢) النساء: ٤٨.

(٣) النساء: ٩٣.." [1]

"قال الفراء: والعرب تقول للخرافات: أحاديث الخلق. وقرأ عاصم، ونافع وابن عامر وحمزة وخلف «خلق الأولين» بضم الخاء واللام. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وعاصم الجحدري: «خلق» برفع الخاء وتسكين اللام والمعنى: عادتهم وشأنهم. قال قتادة: قالوا له: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ثم يموتون، ولا بعث لهم ولا حساب.

قوله تعالى: وما نحن بمعذبين أي: على ما نفعله في الدنيا.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٤٦ الى ١٥٢]

أتتركون في ما هاهنا آمنين (١٤٦) في جنات وعيون (١٤٧) وزروع ونخل طلعها هضيم (١٤٨) وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين (١٤٩) فاتقوا الله وأطيعون (١٥٠)

ولا تطيعوا أمر المسرفين (١٥١) الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون (١٥٢)

قوله تعالى: أتتركون في ما هاهنا أي: فيما أعطاكم الله في الدنيا آمنين من الموت والعذاب. قوله تعالى: طلعها هضيم الطلع: الثمر. وفي الهضيم سبعة أقوال: أحدها: أنه الذي قد اينع وبلغ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه الذي يتهشم تهشما، قاله مجاهد. والثالث: أنه الذي ليس له نوى، قاله الحسن. والرابع:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٣٣٠

أنه المذنب من الرطب، قاله سعيد بن جبير. والخامس:

اللين، قاله قتادة، والفراء. والسادس: أنه الحمل الكثير الذي يركب بعضه بعضا، قاله الضحاك.

والسابع: أنه الطلع قبل أن ينشق عنه القشر وينفتح، يريد أنه منضم مكتنز، ومنه قيل: رجل أهضم الكشحين، إذا كان منضمهما، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «فرهين» . وقرأ الباقون: «فارهين» بألف. قال ابن قتيبة: «فرهين» : أشرين بطرين، ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء، أي: فرحين، و «الفرح» قد يكون السرور، وقد يكون الأشر، ومنه قوله تعالى: إن الله لا يحب الفرحين «١» أي: الأشرين، ومن قرأ: «فارهين» فهي لغة أخرى، يقال: فره وفاره، كما **يقال: فرح وفارح**، ويقال: «فارهين» أي: حاذقين قال عكرمة: حاذقين بنحتها.

قوله تعالى: ولا تطيعوا أمر المسرفين قال ابن عباس: يعني: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذين عقروا الناقة.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٥٣ الى ١٦٤]

قالوا إنما أنت من المسحرين (١٥٣) ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين (١٥٤) قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (١٥٥) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم (١٥٦) فعقروها فأصبحوا نادمين (١٥٧)

فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٥٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٥٩) كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (١٦١) إني لكم رسول أمين (١٦٢) فاتقوا الله وأطيعون (١٦٣) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٦٤)

---

(١) القصص: ٧٦.." (١)

"[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٣٦ الى ٤٠]

فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (٣٦) ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (٣٧) قال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٣٤٥

بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (٣٨) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠)

قوله تعالى: فلما جاء سليمان قال الزجاج: لما جاء رسولها، ويجوز: فلما جاء برها.

قوله تعالى: أتمدونن بمال قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «أتمدونني» بنونين وياء في الوصل. وروى المسيبي عن نافع: «أتمدوني» بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي: «أتمدونن» بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ حمزة: «أتمدوني بمال» بنون واحدة مشددة ووقف على الياء.

قوله تعالى: فما آتاني الله قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «فما آتان» بكسر النون من غير ياء. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم: «أتاني الله» بفتح الياء. وكلهم فتح التاء غير الكسائي، فإنه أمالها من «آتاني الله» وأمال حمزة: «أنا آتيك به» أشم النون شيئا من الكسر، والمعنى: فما آتاني الله، أي: من النبوة والملك خير مما آتاكم من المال بل أنتم بهديتكم تفرحون يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح، فأما أنا فلا، ثم قال للرسول: ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل أي: لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم منها يعني بلدتهم. فلما رجعت رسلها إليها بالخبر، قالت: قد علمت أنه ليس بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب، ووكلت به حرسا يحفظونه، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك ألوف. وكان سليمان مهيبا لا يبتدئ بشيء حتى يسأل عنه، فجلس يوما على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت بهذا المكان، وكان قدر فرسخ، وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها، وقال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها وفي سبب طلبه له خمسة أقوال «١» :

أحدها: ليعلم صدق الهدهد، قاله ابن عباس. والثاني: ليجعل ذلك دليلا على صدق نبوته، لأنها خلفته في دارها واحتاطت عليه، فوجدته قد تقدمها، قاله وهب بن منبه. والثالث: ليختبر عقلها وفطنتها، أتعرفه أم تنكره، قاله سعيد بن جبير.

والرابع: لأن صفته أعجبته، فخشي أن تسلم فيحرم عليه مالها، فأراد أخذه قبل ذلك، قاله قتادة.

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٩/ ٥٢١: وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضار عرش المرأة دون سائر ملكها عندها ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات بعضها في جوف بعض مغلق مقفل فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله إلى وليه من خلقه وسلمه إليه فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها إليه سليمان وعلى صدقه فيما أعلمها من نبوته.." [(١)]

"شدائدهم، ولا يلتفت المشركون حينئذ إلى أوثانهم.

قوله تعالى: ليكفروا بما آتيناهم قد شرحناه في آخر العنكبوت «١» ، وقوله تعالى: فتمتعوا خطاب لهم بعد الإخبار عنهم. قوله تعالى: أم أنزلنا عليهم أي: على هؤلاء المشركين سلطانا أي: حجة وكتابا من السماء فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أي: يأمرهم بالشرك؟! وهذا استفهام إنكار، ومعناه: ليس الأمر كذلك.

قوله تعالى: وإذا أذقنا الناس قال مقاتل: يعني كفار مكة رحمة وهي المطر. والسيئة:

الجوع والقحط، وقال ابن قتيبة: الرحمة: النعمة، والسيئة: المصيبة. قال المفسرون: **وهذا الفرح المذكور** ها هنا، **هو فرح البطر** الذي لا شكر فيه. والقنوط: اليأس من فضل الله عز وجل، وهذا خلاف وصف المؤمن، فانه يشكر عند النعمة، ويرجو عند الشدة وقد شرحناه في بني إسرائيل «٢» ، إلى قوله تعالى: ذلك يعني إعطاء الحق خير أي: أفضل من الإمساك للذين يريدون وجه الله أي: يطلبون بأعمالهم ثواب الله.

[سورة الروم (٣٠) : الآيات ٣٩ الى ٤٠]

وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (٣٩) الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون (٤٠)

قوله تعالى: وما آتيتم من ربا في هذه الآية أربعة أقوال «٣» : أحدها: أن الربا ها هنا: أن يهدي الرجل للرجل الشيء يقصد أن يثيبه عليه أكثر من ذلك، هذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وطاوس والضحاك وقتادة والقرظي. قال الضحاك: فهذا ليس فيه أجر ولا وزر، وقال قتادة: ذلك الذي لا يقبله الله عز وجل ولا يجزي به، وليس فيه وزر. والثاني: أنه الربا المحرم، قاله الحسن البصري.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير   ابن الجوزي ٣٦٢/٣

والثالث: أن الرجل يعطي قرابته المال ليصير به غنيا لا يقصد بذلك ثواب الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي. والرابع: أنه الرجل يعطي من يخدمه لأجل خدمته، لا لأجل الله تعالى، قاله الشعبي. قوله تعالى: ليربوا في أموال الناس وقرأ نافع ويعقوب: «لتربو» بالتاء وسكون الواو، أي: في اجتلاب أموال الناس واجتذابها فلا يربوا عند الله أي: لا يزكو ولا يضاعف لأنكم قصدتم زيادة العوض ولم تقصدوا القربة. وما آتيتم من زكاة أي: ما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة إنما تريدون بها ما عند الله تعالى: فأولئك هم المضعفون قال ابن قتيبة: الذين يجدون التضعيف والزيادة. وقال

(١) العنكبوت: ٦٧.

(٢) الإسراء: ٢٦.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٥٣٦: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله، وهذا الصنيع مباح، وإن كان لا ثواب له فيه، إلا أنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة قاله الضحاك واستدل بقوله: ولا تمنن تستكثر أي: لا تعطي العطاء تريد أكثر منه. وقال ابن عباس: الربا رباءان، فربا لا يصح يعني ربا البيع، وربا لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها وإضعافها، ثم تلا هذه الآية: وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وإنما الثواب عند الله في الزكاة، ولهذا قال: وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء.." (١)

"قوله تعالى: فأقبل بعضهم على بعض يعني أهل الجنة يتساءلون عن أحوال كانت في الدنيا.

قال قائل منهم إني كان لي قرين فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الصاحب في الدنيا. والثاني: أنه الشريك، رويا عن ابن عباس. والثالث: أنه الشيطان، قاله مجاهد. والرابع: أنه الأخ قال مقاتل: وهما الأخوان المذكوران في سورة الكهف «١» في قوله تعالى: واضرب لهم مثلا رجلين والمعنى: كان لي صاحب أو أخ ينكر البعث، يقول أإنك لمن المصدقين قال الزجاج: هي مخففة الصاد، من صدق يصدق فهو مصدق، ولا يجوز ها هنا تشديد الصاد، قال المفسرون: والمعنى: أإنك لمن المصدقين بالبعث؟ وقرأ بكر بن عبد الرحمن القاضي عن حمزة: «المصدقين» بتشديد الصاد. قوله تعالى: أإنا لمدينون أي:

مجزيون بأعمالنا، يقال: دنته بما صنع، أي: جازيته. فأحب المؤمن أن يرى قرينه الكافر، فقال لأهل الجنة:

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٤٢٤

هل أنتم مطلعون أي: هل تحبون الاطلاع إلى النار لتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهلها؟ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وأبو عمران، وابن يعمر: «هل أنتم مطلعون» بإسكان الطاء وتخفيفها «فأطلع» بهمزة مرفوعة وسكون الطاء. وقرأ أبو رزين وابن أبي عبلة: «مطلعون» بكسر النون، قال ابن مسعود:

اطلع ثم التفت إلى أصحابه فقال: لقد رأيت جماجم القوم تغلي قال ابن عباس: وذلك أن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار. قوله تعالى: فرآه يعني قرينة الكافر في سواء الجحيم أي: في وسطها. وقيل: إنما سمي الوسط سواء، لاستواء المسافة منه إلى الجوانب. قال خليد العصري: والله لولا أن الله عرفه إياه، ما عرفه، لقد تغير حبره وسبره. فعند ذلك قال تالله إن كدت لتردين قال المفسرون: معناه: والله ما كدت إلا تهلكني يقال: أرديت فلانا، أي: أهلكته. ولولا نعمة ربي أي: إنعامه علي بالإسلام لكنت من المحضرين معك في النار.

قوله تعالى: أفما نحن بميتين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إذا ذبح الموت، قال أهل الجنة:

أفما نحن بميتين (٥٨) إلا موتتنا الأولى التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذبين فيقال لهم: لا فعند ذلك قالوا: إن هذا لهو الفوز العظيم فيقول الله تعالى: لمثل هذا فليعمل العاملون، قاله ابن السائب.

وقيل: يقول ذلك للملائكة. والثاني: أنه قول المؤمن لأصحابه، فقالوا له: إنك لا تموت، فقال: «إن هذا لهو الفوز العظيم» ، قاله مقاتل. وقال أبو سليمان الدمشقي: إنما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام، لأنه قد علم أنهم ليسوا بميتين، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سرورا. والثالث: أنه قول المؤمن لقرينه الكافر على جهة التوبيخ بما كان ينكره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: لمثل هذا يعنى النعيم الذي ذكره في قوله: أولئك لهم رزق معلوم «٢» ، فليعمل العاملون، وهذا ترغيب في طلب ثواب الله عز وجل بطاعته.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٦٢ الى ٧٤]

أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم (٦٢) إنا جعلناها فتنة للظالمين (٦٣) إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم (٦٤) طلعها كأنه رؤس الشياطين (٦٥) فإنهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون (٦٦)

ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم (٦٧) ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم (٦٨) إنهم ألفوا آباءهم ضالين (٦٩) فهم على آثارهم يهرعون (٧٠) ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين (٧١)

ولقد أرسلنا فيهم منذرين (٧٢) فانظر كيف كان عاقبة المنذرين (٧٣) إلا عباد الله المخلصين (٧٤)

(١) الكهف: ٣٢.

(٢) الصافات: ٤١.." (١)

"[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٧٥ الى ٨٥]

ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦) فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨) الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩)

ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠) ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون (٨١) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا بِهِ يستهزؤن (٨٣) فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤)

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون (٨٥)

ذلكم العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق أي: بالباطل وبما كنتم تمرحون وقد شرحنا المرح في بني إسرائيل «١» ، وما بعد هذا قد تقدم بتمامه «٢» إلى قوله: وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله وذلك لأنهم كانوا يقترحون عليه الآيات فإذا جاء أمر الله وهو قضاؤه بين الأنبياء وأممهم، والمبطلون: أصحاب الباطل.

قوله تعالى: ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم أي: حوائجكم في البلاد. قوله تعالى: أي آيات الله تنكرون استفهام توبيخ. قوله تعالى: فما أغنى عنهم في «ما» قولان: أحدهما: أنها للنفي. والثاني: أنها للاستفهام، ذكرهما ابن جرير.

قوله تعالى: فرحوا بما عندهم من العلم في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الأمم المكذبة، قاله الجمهور، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنهم قالوا: نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نحاسب، قاله مجاهد.

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٤٢/٣

والثاني: فرحوا بما كان عندهم أنه علم، قاله السدي. والقول الثاني: أنهم الرسل، **والمعنى: فرح الرسل** لما هلك المكذبون ونجوا بما عندهم من العلم بالله إذ جاء تصديقه، حكاه أبو سليمان وغيره. قوله تعالى: وحاق بهم يعني بالمكذبين العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

والبأس: العذاب. ومعنى سنت الله: أنه سن هذه السنة في الأمم، أي: أن إيمانهم لا ينفعهم إذا رأوا العذاب، وخسر هنالك الكافرون.

فإن قيل: كأنهم لم يكونوا خاسرين قبل ذلك؟ فعنه جوابان. أحدهما: أن «خسر» بمعنى «هلك» ، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إنما بين لهم خسرانهم عند نزول العذاب، قاله الزجاج.

---

(١) الإسراء: ٣٧.

(٢) النحل: ٢٩، يونس: ١٠٩، النساء: ١٦٤.." (١)

"يقولون هل إلى مرد من سبيل؟ وتراهم يعرضون عليها أي: على النار خاشعين أي: خاضعين متواضعين من الذل ينظرون من طرف خفي وفيه أربعة أقوال: أحدها: من طرف ذليل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقال الأخفش: ينظرون من عين ضعيفة. وقال غيره: «من» بمعنى «الباء» . والثاني: يسارقون النظر، قاله قتادة، والسدي. والثالث: ينظرون ببعض العين، قاله أبو عبيدة. والرابع: أنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم، لأنهم قد حشروا عميا، فلم يروها بأعينهم، حكاه الفراء، والزجاج، وما بعد هذا قد سبق بيانه «١» إلى قوله: ينصرونهم من دون الله أي: يمنعونهم من عذاب الله.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٧ الى ٥٠]

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨) لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠)

قوله تعالى: استجيبوا لربكم أي: أجيبوه، فقد دعاكم برسوله من قبل أن يأتي يوم وهو يوم القيامة لا مرد له

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٤٤

من الله أي: لا يقدر أحد على رده ودفعه ما لكم من ملجإ تلجؤون إليه، وما لكم من نكير قال مجاهد: من ناصر ينصركم، وقال غيره: من قدرة على تغيير ما نزل بكم. فإن أعرضوا عن الإجابة فما أرسلناك عليهم حفيظا لحفظ أعمالهم إن عليك إلا البلاغ أي: ما عليك إلا أن تبلغهم. وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف. قوله تعالى: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** قال المفسرون: المراد به: الكافر والرحمة: الغنى والصحة والمطر ونحو ذلك، والسيئة:

المرض والفقر والقحط ونحو ذلك، والإنسان هاهنا: اسم جنس، فلذلك قال: وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم أي: بما سلف من مخالفتهم فإن الإنسان كفور بما سلف من النعم. لله ملك السماوات والأرض أي: له التصرف فيها بما يريد، يهب لمن يشاء إناثا يعني البنات ليس فيهن ذكر، كما وهب للوط صلى الله عليه وسلم، فلم يولد له إلا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يعني البنين ليس معهم أنثى، كما وهب لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فلم يولد له إلا الذكور. أو يزوجهم يعني الإناث والذكور، قال الزجاج: ومعنى «يزوجهم» : يقرنهم، وكل شيئين يقترن أحدهما بالآخر، فهما زوجان، ويقال لكل واحد منهما: زوج، تقول: عندي زوجان من الخفاف، يعني اثنين. وفي معنى الكلام للمفسرين قولان: أحدهما: أنه وضع المرأة غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية، قاله مجاهد، والجمهور. والثاني: أنه وضع المرأة جارية وغلاما توأمين، قاله ابن الحنفية. قالوا: وذلك كما جمع لمحمد صلى الله عليه وسلم فإنه وهب له بنين وبنات، ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له، كيحيى بن زكريا عليهما السلام. وهذه الأقسام موجودة في سائر الناس، وإنما ذكروا الأنبياء تمثيلا.

---

(١) الأنعام: ١٢، هود: ٣٩.." (١)

"قوله عز وجل: فلولا أي: فهلا إذا بلغت الحلقوم يعني: النفس، فترك ذكرها لدلالة الكلام، وأنشدوا من ذلك:

إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر «١» قوله عز وجل: وأنتم يعني أهل الميت تنظرون إلى سلطان الله وأمره والثاني تنظرون للإنسان في تلك الحالة، ولا تملكون له شيئا ونحن أقرب إليه منكم فيه قولان: أحدهما: ملك الموت أدنى إليه من أهله ولكن لا تبصرون الملائكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ونحن أقرب إليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية ولكن لا تبصرون أي: لا تعلمون، والخطاب للكفار، ذكره

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٦٩

الواحدي.

قوله عز وجل: فلولا إن كنتم غير مدينين فيه خمسة أقوال: أحدها: محاسبين، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة. والثاني: موقنين، قاله مجاهد.

والثالث: مبعوثين، قاله قتادة. والرابع: مجزيين. ومنه يقال: دنته، وكما تدين تدان، قاله أبو عبيدة.

والخامس: مملوكين أذلاء، من قولك: دنت له بالطاعة، قاله ابن قتيبة. قوله عز وجل: ترجعونها أي: تردون النفس. والمعنى: إن جحدتم الإله الذي يحاسبكم ويجازيكم، فهلا تردون هذه النفس؟! فإذا لم يمكنكم ذلك، فاعلموا أن الأمر لغيركم. قال الفراء: وقوله عز وجل: ترجعونها هو جواب لقوله عز وجل: فلولا إذا بلغت الحلقوم ولقوله عز وجل: فلولا إن كنتم غير مدينين فإنهما أجيبتا بجواب واحد. ومثله قوله عز وجل: فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم «٢» .

ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت فقال عز وجل: فأما إن كان يعني: الذي بلغت نفسه الحلقوم من المقربين عند الله. قال أبو العالية: هم السابقون فروح أي: فله روح. والجمهور يفتحون الراء. وفي معناها ستة أقوال «٣» : أحدها: الفرح، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني:

الراحة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن ابن عباس.

والرابع: الجنة، قاله مجاهد. والخامس: روح من الغم الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب.

والسادس: روح في القبر، أي: طيب نسيم، قاله ابن قتيبة. وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة وابن يعمر، وقتادة، ورويس عن يعقوب، وابن أبي سريج عن الكسائي: «فروح» برفع الراء. وفي معنى هذه القراءة قولان: أحدهما: أن معناها: فرحمة، قاله قتادة. والثاني: فحياة وبقاء، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: معناه: فحياة دائمة لا موت معها. وفي «الريحان» أربعة أقوال:

أحدها: أنه الرزق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه المستراح، رواه ابن أبي طلحة عن

---

(١) هو عجز بيت لحاتم الطائي كما في ديوانه ٥٠، وصدره: أماوي ما يغني الثراء عن الفتى.

(٢) البقرة: ٣٨.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١١/ ٦٦٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني **بالروح: الفرح والرحمة** والمغفرة. وأصله في قولهم: وجدت روحا: إذا وجد نسيما يستروح إليه

من كرب الحر. وأما الريحان، فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه.." (١)

"الفائدة الثانية:

قال صلى الله عليه وسلم: إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون، وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة،

وأقول: إنه صلى الله عليه وسلم إنما ذكر هذا الكلام على سبيل التفهيم، وإلا فبحار الرحمة غير متناهية فكيف يعقل تحديدها بحد معين.

الفائدة الثالثة:

قال صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمذنبين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: ولم؟ فيقولون: رجونا عفوك وفضلك، فيقول الله تعالى: إني قد أوجبت لكم مغفرتي.

الفائدة الرابعة:

قال عبد الله بن عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل ينشر على بعض عباده يوم القيامة تسعة وتسعين سجلا كل واحد منها مثل مد البصر فيقول له: هل تنكر من هذا شيئا؟ هل ظلمك الكرام الكاتبون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله تعالى: فهل كان لك عذر في عمل هذه الذنوب؟ فيقول: لا يا رب، فيضع ذلك العبد قلبه على النار فيقول الله تعالى: إن لك عندي حسنة وإنه لا ظلم اليوم، ثم يخرج بطاقة فيها:

«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله» فيقول العبد: يا رب، كيف تقع هذه البطاقة في مقابلة هذه السجلات؟ فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة أخرى، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع ذكر الله شيء.

الفائدة الخامسة:

وقف صبي في بعض الغزوات ينادى عليه في من يزيد في يوم صائف شديد الحر، فبصرت به امرأة فعدت إلى الصبي وأخذته وألصقته إلى بطنها، ثم ألقت ظهرها على البطحاء وأجلسته على بطنها تقيه الحر، وقالت: ابني، ابني، فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر، فقال: أعجبتم من رحمة/ هذه بابنها فإن الله تعالى أرحم بكم جميعا من هذه المرأة بابنها،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٢٣٠

فتفرق المسلمون على أعظم أنواع الفرح والبشارة.

أصل لفظ الجلالة:

المسألة الثالثة: في كيفية اشتقاق هذه اللفظة بحسب اللغة، قال بعضهم هذه اللفظة ليست عربية، بل عبرانية أو سريانية، فإنهم يقولون إلها رحمانا ومرحيانا، فلما عرب جعل «الله الرحمن الرحيم» وهذا بعيد، ولا يلزم من المشابهة الحاصلة بين اللغتين الطعن في كون هذه اللفظة عربية أصلية، والدليل عليه قوله تعالى: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله [لقمان: ٢٥] وقال تعالى: هل تعلم له سميا [مريم: ٦٥] وأطبقوا على أن المراد منه لفظة «الله» وأما الأكثرون فقد سلموا كونها لفظة عربية، أما القائلون بأن هذا اللفظ اسم علم لله تعالى فقد تخلصوا عن هذه المباحث، وأما المنكرون لذلك فلهم قولان: قال الكوفيون:

أصل هذه اللفظة إلاه، فأدخلت الألف واللام عليها للتعظيم، فصار الإلاه، فحذفت الهمزة استثقالا، لكثرة جريانها على الألسنة، فاجتمع لامان، فأدغمت الأولى فقالوا: «الله» وقال البصريون أصله لاه، فألحقوا بها الألف واللام فقيل: «الله» وأنشدوا: –

كحلفة من أبي رباح ... يسمعها لاهه الكبار

فأخرجه على الأصل.." (١)

"بينكم وبينه

يعني الرسول: مودة فثبت أنه لا يمكن حمله على المؤمنين، وإنما يمكن حمله على المنافقين، ثم قال: فإن حمل على أنه من الإبطاء والتثاقل صح في المنافقين، لأنهم كانوا يتأخرون عن الجهاد ويتثاقلون ولا يسرعون إليه، وإن حمل على تثبيط الغير صح أيضا فيهم، فقد كانوا يثبطون كثيرا من المؤمنين بما يوردون عليهم من أنواع التلبيس، فكلا الوصفين موجود في المنافقين، وأكثر المفسرين حمله على تثبيط الغير، فكأنهم فصلوا بين أبطأ وبطأ، فجعلوا الأول لازما، والثاني متعديا، كما يقال في أحب وحب، فان الأول لا زم والثاني متعد.

المسألة الثانية: قال الزجاج: «من» في قوله: لمن ليبطئن موصولة بالحال للقسم كأن هذا لو كان كلاما لك لقلت إن منكم لمن حلف بالله ليبطئن.

ثم قال تعالى: فإن أصابتكم مصيبة يعني من القتل والانهزام وجهد من العيش. يعني لم أكن معهم شهيدا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١/١٤٨

حاضرا حتى يصيبني ما أصابهم من البلاء والشدة ولئن أصابكم فضل من الله من ظفر وغنيمة ليقولن: كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم كأن لم تكن بالتاء المنقطة من فوق يعني المودة، والباقون بالياء لتقدم الفعل. قال الواحدي: وكلا القراءتين قد جاء به التنزيل. قال: قد جاءتكم موعظة من ربكم [يونس: ٥٧] وقال في آية أخرى: فمن جاءه موعظة من ربه [البقرة: ٢٧٥] فالتأنيث هو الأصل والتذكير يحسن إذا كان التأنيث غير حقيقي، سيما إذا وقع فاصل بين الفعل والفاعل.

المسألة الثانية: قرأ الحسن ليقولن بضم اللام أعاد الضمير إلى معنى «من» لأن قوله: لمن ليبطئن في معنى الجماعة، إلا أن هذه القراءة ضعيفة لأن «من» وإن كان جماعة في المعنى لكنه مفرد في اللفظ، وجانب الإفراد قد ترجح في قوله: قال قد أنعم الله علي [النساء: ٧٢] وفي قوله: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما.

المسألة الثالثة: لقائل أن يقول: لو كان التنزيل هكذا: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما كان النظم مستقيما حسنا، فكيف وقع قوله: كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في البين؟

وجوابه: أنه اعتراض وقع في البين وهو في غاية الحسن، بيانه أنه تعالى حكى عن هذا المنافق أنه إذا وقعت للمسلمين نكبة أظهر السرور الشديد بسبب أنه كان متخلفا عنهم، ولو فازوا بغنيمة/ ودولة أظهر الغم الشديد بسبب فوات تلك الغنيمة، ومثل هذه المعاملة لا يقدم عليها الإنسان إلا في حق الأجنبي العدو، لأن من أحب **إنسانا فرح عند** فرحه وحزن عند حزنه، فأما إذا قلبت هذه القضية فذاك إظهار للعداوة.

إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: إنه تعالى حكى عن هذا المنافق سروره وقت نكبة المسلمين، ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب أنه فاته الغنيمة، فقبل أن يذكر هذا الكلام بتمامه ألقى في البين قوله:

كأن لم تكن بينكم وبينه مودة والمراد التعجب كأنه تعالى يقول: انظروا إلى ما يقول هذا المنافق كأنه ليس بينكم أيها المؤمنون وبينه مودة ولا مخالطة أصلا، فهذا هو المراد من الكلام، وهو وإن كان كلاما واقعا في البين على سبيل الاعتراض إلا أنه في غاية الحسن.." (١)

"ويلاطفه أخرى طلبا لصلاحه حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم، لم يزيدوا **على الفرح والبطر** من غير انتداب لشكر ولا إقدام على اعتذار وتوبة، فلا جرم أخذناهم بغتة.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣٩/١٠

واعلم أن قوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء معناه فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير، حتى إذا فرحوا أي حتى إذا ظنوا أن الذي نزل بهم من البأساء والضراء ما كان على سبيل الانتقام من الله. ولما فتح الله عليهم أبواب الخيرات ظنوا أن ذلك باستحقاقهم، فعند ذلك ظهر أن قلوبهم قست وماتت وأنه لا يرجى لها انتباه بطريق من الطرق، لا جرم فاجأهم الله بالعذاب من حيث لا يشعرون. قال الحسن: في هذه الآية مكر بالقوم ورب الكعبة،

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الله يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج من الله تعالى» ثم قرأ هذه الآية.

قال أهل المعاني: وإنما أخذوا في حال الرخاء والراحة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية وقوله فإذا هم مبلسون أي آيسون من كل خير. قال الفراء: المبلس الذي انقطع رجاؤه، ولذلك قيل للذي سكت عند انقطاع حجته قد أبلس. وقال الزجاج: المبلس الشديد الحسرة الحزين، والإبلاس في اللغة يكون بمعنى اليأس من النجاة عند ورود الهلكة، ويكون بمعنى انقطاع الحجة، ويكون بمعنى الحيرة بما يرد على النفس من البلية وهذه المعاني متقاربة.

ثم قال تعالى: فقطع دابر القوم الذين ظلموا الدابر التابع للشيء من خلفه كالولد للوالد يقال: دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا إذا كان آخرهم. قال أمية بن أبي الصلت:

فاستؤصلوا بعذاب حص دابرهم ... فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

وقال أبو عبيدة: دابر القوم آخرهم الذي يدبرهم. وقال الأصمعي الدابر الأصل يقال قطع الله دابره أي أذهب الله أصله. وقوله والحمد لله رب العالمين فيه وجوه: الأول: معناه أنه تعالى حمد نفسه على أن قطع دابرهم واستأصل شأفتهم لأن ذلك كان جاريا مجرى النعمة العظيمة على أولئك الرسل في إزالة شرهم عن أولئك الأنبياء. والثاني: أنه تعالى لما علم قسوة قلوبهم لزم أن يقال: إنه كلما ازدادت مدة حياتهم ازدادت أنواع كفرهم ومعاصيهم، فكانوا يستوجبون به مريد العقاب والعذاب فكان إفناؤهم وإماتتهم في تلك الحالة موجبا أن لا يصيروا مستوجبين/ لتلك الزيادات من العقاب فكان ذلك جاريا مجرى الإنعام عليهم. والثالث: أن يكون هذا الحمد والثناء إنما حصل على وجود إنعام الله عليهم في أن كلفهم وأزال العذر والعلة عنهم ودبرهم بكل الوجوه الممكنة في التدبير الحسن، وذلك بأن أخذهم أولا بالبأساء والضراء، ثم نقلهم إلى الآلاء والنعماء، وأمهلهم وبعث الأنبياء والرسل إليهم، فلما لم يزدادوا إلا انهماكا في الغي والكفر، أفناهم الله وطهر وجه الأرض من شرهم، فكان قوله والحمد لله رب العالمين على تلك النعم الكثيرة المتقدمة.

[سورة الأنعام (٦) : آية ٤٦]

قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون (٤٦)

في الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن المقصود من هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار، وتقريره أن أشرف أعضاء الإنسان هو السمع والبصر والقلب فالأذن محل القوة السامعة والعين محل القوة." (١)

"واعلم أن هذه الإشارة اشتملت على أنواع من الدرجات العالية وأنه تعالى ابتدأ فيها بالأشرف فالأشرف، نازلا إلى الأدون فالأدون، ونحن نفسرها تارة على طريق المتكلمين وأخرى على طريقة العارفين. أما الأول فنقول: فالمرتبة الأولى منها وهي أعلاها وأشرفها كون تلك البشارة حاصلة من ربهم بالرحمة والرضوان، وهذا هو التعظيم والإجلال من قبل الله. وقوله: وجنات لهم إشارة إلى حصول المنافع العظيمة وقوله: فيها نعيم إشارة إلى كون المنافع خالصة عن المكدرات لأن النعيم مبالغة في النعمة، ولا معنى للمبالغة في النعمة إلا خلوها عن ممازجة الكدورات وقوله: مقيم عبارة عن كونها دائمة غير منقطعة. ثم إنه تعالى عبر عن دوامها بثلاث عبارات: أولها: مقيم وثانيها: قوله: خالدين فيها وثالثها: قوله: أبدا فحصل من مجموع ما ذكرنا أنه تعالى يبشر هؤلاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين بمنفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، وذلك هو حد الثواب. وفائدة تخصيص هؤلاء المؤمنين بكون هذا الثواب كامل الدرجة عالي الرتبة بحسب كل واحد من هذه القيود الأربعة. ومن المتكلمين من قال قوله: يبشرهم ربهم برحمة منه المراد منه خيرات الدنيا وقوله: ورضوان لهم المراد منه كونه تعالى راضيا عنهم حال كونهم في الحياة الدنيا وقوله:

وجنات المراد منه المنافع وقوله: لهم فيها نعيم المراد منه كون تلك النعم خالصة عن المكدرات، لأن النعيم مبالغة في النعمة/ وقوله: مقيم خالدين فيها أبدا المراد منه الإجلال والتعظيم الذي يجب حصوله في الثواب. وأما تفسير هذه الآية على طريقة العارفين المحبين المشتاقين فنقول: المرتبة الأولى من الأمور المذكورة في هذه الآية قوله: يبشرهم ربهم.

واعلم أن الفرح بالنعمة يقع على قسمين: أحدهما: أن يفرح بالنعمة لأنها نعمة. والثاني: أن يفرح بها لا

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢/٥٣٥

من حيث هي بل من حيث إن المنعم خصه بها وشرفه وإن عجز ذهنك عن الوصول إلى الفرق بين القسمين فتأمل فيما إذا كان العبد واقفا في حضرة السلطان الأعظم وسائر العبيد كانوا واقفين في خدمته، فإذا رمى ذلك السلطان تفاحة إلى أحد أولئك العبيد عظم فرحه بها **فذلك الفرح العظيم** ما حصل بسبب حصول تلك التفاحة، بل بسبب أن ذلك السلطان خصه بذلك الإكرام، فكذلك هاهنا. قوله: يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان منهم من كان فرحهم بسبب الفوز بتلك الرحمة، ومنهم من لم يفرح بالفوز بتلك الرحمة، **وإنما فرح لأن** مولاه خصه بتلك الرحمة وحينئذ يكون فرحه لا بالرحمة بل بمن أعطى الرحمة، ثم إن هذا المقام يحصل فيه أيضا درجات فمنهم من يكون فرحه بالراحم لأنه رحم، ومنهم من يتوغل في الخلوص فينسى الرحمة ولا يكون فرحه إلا بالمولى لأنه هو المقصد، وذلك لأن العبد ما دام مشغولا بالحق من حيث إنه راحم فهو غير مستغرق في الحق، بل تارة مع الحق وتارة مع الخلق، وفإذا تم الأمر انقطع عن الخلق وغرق في بحر نور الحق وغفل عن المحبة والمحنة، والنقمة والنعمة، والبلاء والآلاء، والمحققون وقفوا عند قوله: يبشرهم ربهم فكان ابتهاجهم بهذا وسرورهم به وتعويلهم عليه ورجوعهم إليه ومنهم من لم يصل إلى تلك الدرجة العالية فلا تقنع نفسه إلا بمجموع قوله: يبشرهم ربهم برحمة منه فلا يعرف أن الاستبشار بسماع قول ربهم، بل إنما يستبشر بمجموع كونه مبشرا بالرحمة، والمرتبة الثانية هي أن يكون استبشاره بالرحمة وهذه المرتبة هي النازلة عند المحققين. واللطيفة الثانية من لطائف هذه الآية هي أنه تعالى قال: يبشرهم ربهم وهي مشتملة على أنواع." (١)

"من الرحمة والكرامة. أولها: أن البشارة لا تكون إلا بالرحمة والإحسان. والثاني: أن بشارة كل أحد يجب أن تكون لائقة بحاله، فلما كان المبشر هاهنا هو أكرم الأكرمين، وجب أن تكون البشارة بخيرات تعجز العقول عن وصفها وتتقاصر الأفهام عن نعتها. والثالث: أنه تعالى سمى نفسه هاهنا بالرب وهو مشتق من التربية كأنه قال:

الذي رباكم في الدنيا بالنعم التي لا حد لها ولا حصر لها يبشركم بخيرات عالية وسعادات كاملة. والرابع: أنه تعالى قال: ربهم فأضاف نفسه إليهم، وما أضافهم إلى نفسه. والخامس: أنه تعالى قدم ذكرهم على ذكب نفسه فقال: يبشرهم ربهم والسادس: أن البشارة هي الإخبار عن حدوث/ شيء ما كان معلوم الوقوع، أما لو كان معلوم الوقوع لم يكن بشارة، ألا ترى أن الفقهاء قالوا، لو أن رجلا قال من يبشرني من عبيدي بقدوم ولدي فهو حر، فأول من أخبر بذلك الخبر يعتق، والذين يخبرون بعده لا يعتقون وإذا كان الأمر

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥/١٦

كذلك فقوله:

يبشرهم لا بد أن يكون إخبارا عن حصول مرتبة من مراتب السعادات ما عرفوها قبل ذلك، وجميع لذات الجنة وخيراتها وطيباتها قد عرفوه في الدنيا من القرآن، والإخبار عن حصول بشارة فلا بد وأن تكون هذه البشارة بشارة عن سعادات لا تصل العقول إلى وصفها ألبتة. رزقنا الله تعالى الوصول إليها بفضله وكرمه.

واعلم أنه تعالى لما قال: يبشرهم ربهم بين الشيء الذي به يبشرهم وهو أمور: أولها: قوله: برحمة منه وثانيها: قوله: ورضوان وأنا أظن والعلم عند الله أن المراد بهذين الأمرين ما ذكره في قوله: ارجعي إلى ربك راضية مرضية [الفجر: ٢٨] والرحمة كون العبد راضيا بقضاء الله وذلك لأن من حصلت له هذه الحالة كان نظره على المبلي والمنعم لا على النعمة والبلاء، ومن كان نظره على المبلي والمنعم لم يتغير حاله، لأن المبلي والمنعم منزه عن التغير فالحاصل أن حاله يجب أن يكون منزها عن التغير، أما من كان طالبا لمحض النفس كان أبدا في التغير من الفرح إلى الحزن، ومن السرور إلى الغم، ومن الصحة إلى الجراحة، ومن اللذة إلى الألم، فثبت أن الرحمة التامة لا تحصل إلا عند ما يصير العبد راضيا بقضاء الله فقوله: يبشرهم ربهم برحمة منه هو أنه يزيل عن قلبه الالتفات إلى غير هذه الحالة، ويجعله راضيا بقضائه. ثم إنه تعالى يصير راضيا وهو قوله:

ورضوان وعند هذا تصير هاتان الحالتان هما المذكورتان في قوله: راضية مرضية وهذه هي الجنة الروحانية النوانية العقلية القدسية الإلهية. ثم إنه تعالى بعد أن ذكر هذه الجنة العالية المقدسة ذكر الجنة الجسمانية، وهي قوله: وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا وقد سبق شرح هذه المراتب، ولما ذكر هذه الأحوال قال: إن الله عنده أجر عظيم والمقصود شرح تعظيم هذه الأحوال، ولنختم هذا الفصل ببيان أن أصحابنا يقولون إن الخلود يدل على طول المكث، ولا يدل على التأبيد، واحتجوا على قولهم في هذا الباب بهذه الآية، وهي قوله تعالى: خالدين فيها أبدا ولو كان الخلود يفيد التأبيد، لكان ذكر التأبيد بعد ذكر الخلود تكرارا وأنه لا يجوز.

[سورة التوبة (٩) : آية ٢٣]

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (٢٣)

اعلم أن المقصود من ذكر هذه الآية أن يكون جوابا عن شبهة أخرى ذكروها في أن البراءة من الكفار غير." (١)

"إن العمومات الواردة في إيجاب الزكاة موجودة في الحلي المباح

قال عليه السلام: «هاتوا ربع عشر أموالكم»

وقال: «في الرقة ربع العشر»

وقال: «يا علي عليك زكاة، فإذا ملكت عشرين مثقالا، فأخرج نصف مثقال»

وقال: «ليس في المال حق سوى الزكاة وقال لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول»

فهذه الآية مع جميع هذه الأخبار توجب الزكاة في الحلي المباح، ثم نقول ولم يوجد لهذا الدليل معارض من الكتاب، وهو ظاهر لأنه ليس في القرآن ما يدل على أنه لا زكاة في الحلي المباح، ولم يوجد في الأخبار أيضا معارض إلا أن/ أصحابنا نقلوا فيه خبرا، وهو

قوله عليه السلام: «لا زكاة في الحلي المباح»

إلا أن أبا عيسى الترمذي قال: لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلي خبر صحيح، وأيضا بتقدير أن يصح هذا الخبر فنحمله على اللئالئ لأنه

قال: لا زكاة في الحلي،

ولفظ الحلي مفرد محلى بالألف واللام، وقد دللنا على أنه لو كان هناك معهود سابق، وجب انصرافه إليه والمعهود في القرآن في لفظ الحلي اللئالئ. قال تعالى: وتستخرجوا منه حلية تلبسونها [النحل: ١٤] وإذا كان كذلك انصرف لفظ الحلي إلى اللئالئ، فسقطت دلالته، وأيضا الاحتياط في القول بوجوب الزكاة، وأيضا لا يمكن معارضة هذا النص بالقياس، لأن النص خير من القياس فثبت أن الحق ما ذكرناه.

المسألة الخامسة: أنه تعالى ذكر شيئين وهما الذهب والفضة.

ثم قال: ولا ينفقونها وفيه وجهان: الأول: أن الضمير عائد إلى المعنى من وجوه: أحدها: أن كل واحد منهما جملة وآنية دنانير ودراهم، فهو كقوله تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا [الحجرات: ٩] وثانيها: أن يكون التقدير، ولا ينفقون الكنوز. وثالثها: قال الزجاج: التقدير: ولا ينفقون تلك الأموال.

الوجه الثاني: أن يكون الضمير عائدا إلى اللفظ وفيه وجوه: أحدها: أن يكون التقدير ولا ينفقون الفضة، وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة من حيث إنهما معا يشتركان في ثمنية الأشياء، وفي كونهما جوهرين

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦/١٦

شريفين، وفي كونهما مقصودين بالكنز، فلما كانا متشاركين في أكثر الصفات كان ذكر أحدهما مغنيا عن ذكر الآخر. وثانيها: أن ذكر أحدهما قد يغني عن الآخر كقوله تعالى: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها [الجمعة: ١١] جعل الضمير للتجارة. وقال: ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا [النساء: ١١٢] فجعل الضمير للإثم. وثالثها: أن يكون التقدير: ولا ينفقونها والذهب كذلك كما أن معنى قوله:

وإني وقيار بها لغريب

أي وقيار كذلك.

فإن قيل: ما السبب في أن خصا بالذكر من بين سائر الأموال؟

قلنا: لأنهما الأصل المعتبر في الأموال وهما اللذان يقصدان بالكنز.

واعلم أنه تعالى لما ذكر الذين يكنزون الذهب والفضة قال: فبشرهم بعذاب أليم أي فأخبرهم على سبيل التهكم لأن الذين يكنزون الذهب والفضة إنما يكنزونهما ليتوسلوا بهما إلى تحصيل الفرج يوم الحاجة.

فقيل هذا هو الفرج كما يقال تحيتهم ليس إلا الضرب وإكرامهم ليس/ إلا الشتم، وأيضا فالبشارة عن الخير الذي يؤثر في القلب، فيتغير بسببه لون بشرة الوجه، وهذا يتناول ما إذا تغيرت البشرة **بسبب الفرج أو** بسبب الغم.." (١)

"ثم قال تعالى: يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم وفي قراءة أبي وبطونهم وفيه سؤالات:

السؤال الأول: لا يقال أحميت على الحديد، بل يقال: أحميت الحديد فما الفائدة في قوله: يوم يحمى عليها.

والجواب: ليس المراد أن تلك الأموال تحمى على النار، بل المراد أن النار تحمى على تلك الأموال التي هي الذهب والفضة، أي يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد، وهو مأخوذ من قوله: نار حامية [القارعة: ١١] ولو قيل يوم تحمى لم يفد هذه الفائدة.

فإن قالوا: لما كان المراد يوم تحمى النار عليها، فلم ذكر الفعل؟

قلنا: لأن النار تأنيثها لفظي، والفعل غير مسند في الظاهر إليه، بل إلى قوله: عليها فلا جرم حسن التذكير والتأنيث وعن ابن عامر أنه قرأ تحمى بالتاء.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨/١٦

السؤال الثاني: ما الناصب لقوله: يوم.

الجواب: التقدير فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها.

السؤال الثالث: لم خصت هذه الأعضاء؟

والجواب لوجوه: أحدها: أن المقصود من كسب الأموال حصول فرح في القلب يظهر أثره في الوجوه، وحصول شبع ينتفخ بسببه الجنبان، ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم، فلما طلبوا تزين هذه الأعضاء الثلاثة، لا جرم حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور. وثانيها: أن هذه الأعضاء الثلاثة مجوفة، قد حصل في داخلها آلات ضعيفة يعظم تألمها بسبب وصول أدنى أثر إليها بخلاف سائر الأعضاء. وثالثها: قال أبو بكر الوراق: خصت هذه المواضع بالذكر لأن صاحب المال إذا رأى الفقير بجنبه تباعد عنه وولى ظهره. ورابعها:

أن المعنى أنهم يكوون على الجهات الأربع، إما من مقدمه فعلى الجبهة، وإما من خلفه فعلى الجبهة، وإما من خلفه فعلى الظهور، وإما من يمينه ويساره فعلى الجنبين. وخامسها: أن ألطف أعضاء الإنسان جبينه والعضو المتوسط في اللطافة والصلابة جنبه، والعضو الذي هو أصلب أعضاء الإنسان ظهره. فبين تعالى أن هذه الأقسام الثلاثة من أعضائه تصير مغمورة في الكي، والغرض منه التنبيه على أن ذلك الكي يحصل في تلك الأعضاء. وسادسها: أن كمال حال بدن الإنسان في جماله وقوته أما الجمال فمحله الوجه، وأعز الأعضاء في الوجه الجبهة، فإذا وقع الكي/ في الجبهة، فقد زال الجمال بالكلية، وأما القوة فمحلها الظهر والجنبان، فإذا حصل الكي عليها فقد زالت القوة عن البدن، فالحاصل: أن حصول الكي في هذه الأعضاء الثلاثة يوجب زوال الجمال وزوال القوة، والإنسان إنما طلب المال لحصول الجمال ولحصول القوة.

السؤال الرابع: الذي يجعل كيا على بدن الإنسان هو كل ذلك المال أو القدر الواجب من الزكاة.

والجواب: مقتضى الآية: الكل لأنه لما يخرج منه لم يكن الحق منه جزءا معينا، بل لا جزء إلا والحق متعلق به، فوجب أن يعذبه الله بكل الأجزاء.

ثم إنه تعالى قال: هذا ما كنزتم لأنفسكم والتقدير: فيقال لهم: هذا م ا كنزتم لأنفسكم فذوقوا." (١)

"ما كان خائفا، لقالوا إنه فرح بسبب وقوع الرسول في البلاء، ولما خاف وبكى قالوا: هذا السؤال الركيك، وذلك يدل على أنهم لا يطلبون الحق، وإنما مقصودهم محض الطعن! والجواب عن الثاني: أن الذي قالوه أخس من شبهات السوفسطائية، فإن أبا بكر لو كان قاصدا له، لصاح بالكفار عند وصولهم إلى

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦/٣٩

باب الغار، وقال لهم نحن هاهنا، ولقال ابنه وابنته عبد الرحمن وأسماء للكفار نحن نعرف مكان محمد فندلكم عليه، فنسأل الله العصمة من عصبية تحمل الإنسان على مثل هذا الكلام الركيك.

والجواب عن الثالث من وجوه: الأول: أنا لا ننكر أن اضطجاع علي بن أبي طالب في تلك الليلة المظلمة على فراش رسول الله طاعة عظيمة ومنصب رفيع، إلا أنا ندعي أن أبا بكر بمصاحبته كان حاضرا في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلي كان غائبا، والحاضر أعلى حالا من الغائب. الثاني: أن عليا ما تحمل المحنة إلا في تلك الليلة، أما بعدها لم، عرفوا أن محمدا غاب تركوه، ولم يتعرضوا له. أما أبو بكر، فإنه بسبب كونه مع محمد عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام في الغار كان في أشد أسباب المحنة، فكان بلاؤه أشد. الثالث: إن أبا بكر رضي الله عنه كان مشهورا فيما بين الناس بأنه يرغب الناس في دين محمد عليه الصلاة والسلام ويدعوهم إليه، وشاهدوا منه أنه دعا جمعا من أكابر الصحابة رضي الله عنهم إلى ذلك الدين، وأنهم إنما قبلوا ذلك الدين بسبب دعوته، وكان يخاصم الكفار بقدر الإمكان، وكان يذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالنفس والمال. وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كان في ذلك الوقت صغير السن، وما ظهر منه دعوة لا بالدليل والحجة، ولا جهاد بالسيف والسنان، لأن محاربته مع الكفار إنما ظهرت بعد انتقالهم إلى المدينة بمدة مديدة، فحال الهجرة ما ظهر منه شيء من هذه الأحوال، وإذا كان كذلك كان غضب الكفار على أبي بكر لا محالة أشد من غضبهم على علي، ولهذا السبب، فإنهم لما عرفوا أن المضطجع على ذلك الفراش هو علي/ لم يتعرضوا له البتة، ولم يقصدوه بضرب ولا ألم، فعلمنا أن خوف أبي بكر على نفسه في خدمة محمد صلى الله عليه وسلم أشد من خوف علي كرم الله وجهه، فكانت تلك الدرجة أفضل وأكمل. هذا ما نقوله في هذا الباب على سبيل الاختصار.

أما قوله تعالى: وأيده بجنود لم تروها فاعلم أن تقدير الآية أن يقال: إلا تنصروه فلا بد له ذلك بدليل صورتين.

الصورة الأولى: أنه قد نصره في واقعة الهجرة إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه.

والصورة الثانية: واقعة بدر، وهي المراد من قوله: وأيده بجنود لم تروها لأنه تعالى أنزل الملائكة يوم بدر، وأيد رسوله صلى الله عليه وسلم بهم، فقوله: وأيده بجنود لم تروها معطوف على قوله: فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا.

ثم قال تعالى: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والمعنى أنه تعالى جعل يوم بدر كلمة

الشرك سافلة دنيئة حقيرة، وكلمة الله هي العليا، وهي قوله لا إله إلا الله. قال الواحدي: والاختيار في قوله: وكلمة الله الرفع، وهي قراءة العامة على الاستئناف، قال الفراء، ويجوز كلمة الله بالنصب، ولا." (١)

"فإن قيل: إنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام تسلية للرسول في فرحهم بحزنه ومكارهه فأي تعلق لهذا المذهب بذلك؟

قلنا: السبب فيه

قوله صلى الله عليه وسلم: «من علم سر الله في القدر هانت عليه المصائب»

فإنه إذا علم الإنسان أن الذي وقع امتنع أن لا يقع، زالت المنازعة عن النفس وحصل الرضا به.

القول الثاني: في تفسير هذه الآية أن يكون المعنى لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا أي في عاقبة أمرنا من الظفر بالعدو والاستيلاء عليهم، والمقصود أن يظهر للمنافقين أن أحوال الرسول والمسلمين وإن كانت مختلفة في السرور والغم، إلا أن في العاقبة الدولة لهم والفتح والنصر والظفر من جانبهم، فيكون ذلك اغتياظا للمنافقين وردا عليهم في ذلك الفرح.

والقول الثالث: قال الزجاج: المعنى إذا صرنا مغلوبين صرنا مستحقين للأجر العظيم، / والثواب الكثير، وإن صرنا غالبين، صرنا مستحقين للثواب في الآخرة، وفزنا بالمال الكثير والثناء الجميل في الدنيا، وإذا كان الأمر كذلك، صارت تلك المصائب والمحزنات في جنب هذا الفوز بهذه الدرجات العالية متحملة، وهذه الأقوال وإن كانت حسنة، إلا أن الحق الصحيح هو الأول.

ثم قال تعالى: هو مولانا والمراد به ما يقوله أصحابنا أنه سبحانه يحسن منه التصرف في العالم كيف شاء، وأراد لأجل أنه مالك لهم وخالق لهم، ولأنه لا اعتراض عليه في شيء من أفعاله، فهذا الكلام ينطبق على ما تقدم، ولذا قلنا إنه تعالى وإن أوصل إلى بعض عبيده أنواعا من المصائب فإنه يجب الرضا بها لأنه تعالى مولاهم وهم عبيده، فحسن منه تعالى تلك التصرفات، بمجرد كونه مولى لهم، ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله.

ثم قال تعالى: وعلى الله فليتوكل المؤمنون معناه أنه وإن لم يجب عليه لأحد من العبيد شيء من الأشياء ولا أمر من الأمور إلا أنه مع هذا عظيم الرحمة كثير الفضل والإحسان، فوجب أن لا يتوكل المؤمن في الأصل إلا عليه، وأن يقطع طمعه إلا من فضله ورحمته، لأن قوله: وعلى الله فليتوكل المؤمنون يفيد الحصر، وهذا كالتنبيه على أن حال المنافقين بالضد من ذلك وأنهم لا يتوكلون إلا على الأسباب الدنيوية واللذات

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٤/١٦

العاجلة الفانية.

[سورة التوبة (٩) : آية ٥٢]

قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (٥٢)

اعلم أن هذا هو الجواب الثاني عن فرح المنافقين بمصائب المؤمنين، وذلك لأن المسلم إذا ذهب إلى الغزو، فإن صار مغلوبا مقتولا فاز بالاسم الحسن في الدنيا والثواب العظيم الذي أعده الله للشهداء في الآخرة، وإن صار غالبا فاز في الدنيا بالمال الحلال والاسم الجميل، وهي الرجولية والشوكة والقوة، وفي الآخرة، بالثواب العظيم. وأما المنافق إذا قعد في بيته فهو في الحال في بيته مذموما منسوبا إلى الجبن والفشل وضعف القلب و القناعة بالأمور الخسيسة من الدنيا على وجه يشاركه فيها النسوان والصبيان والعاجزون من النساء، ثم يكونون أبدا خائفين على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وفي الآخرة إن ماتوا فقد انتقلوا إلى العذاب الدائم في." (١)

"بعشر أمثالها إلى سبعمائة»

فلما ذكر الله تعالى هذا العدد في معرض التضعيف لرسوله صار أصلا فيه.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٨١ الى ٨٢]

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢)

اعلم أن هذا نوع آخر من قبائح أعمال المنافقين، وهو فرحهم بالعقود وكراهتهم الجهاد قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، والمخلف المتروك ممن مضى.

فإن قيل: إنهم احتالوا حتى تخلفوا، فكان الأولى أن يقال فرح المتخلفون.

والجواب من وجوه: الأول: أن الرسول عليه السلام منع أقواما من الخروج معه لعلمه بأنهم يفسدون

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦/٦٧

ويشوشون، فهؤلاء كانوا مخلفين لا متخلفين. والثاني: أن أولئك المتخلفين صاروا مخلفين في الآية التي تأتي بعد هذه الآية، وهي قوله: فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا [التوبة: ٨٣] فلما منعهم الله تعالى من الخروج معه صاروا بهذا السبب مخلفين. الثالث: أن من يتخلف عن الرسول عليه السلام بعد خروجه إلى الجهاد مع المؤمنين يوصف بأنه مخلف من حيث لم ينهض فبقي وأقام. وقوله: بمقعدهم قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد المدينة، فعلى هذا المقعد اسم للمكان. وقال مقاتل: بمقعدهم بقعودهم وعلى هذا، هو اسم للمصدر. وقوله: خلاف رسول الله فيه قولان: الأول: وهو قول قطرب والمؤرج والزجاج، يعني مخالفة لرسول الله حين سار وأقاموا. قالوا: وهو منصوب لأنه مفعول له، والمعنى بأن قعدوا لمخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والثاني: قال الأخفش: إن خلاف بمعنى خلف، وإن يونس رواه عن عيسى بن عمر ومعناه بعد رسول الله، ويقوي هذا الوجه قراءة من قرأ خلف رسول الله وعلى هذا القول، الخلاف اسم للجهة المعينة كالخلف، والسبب فيه أن الإنسان متوجه إلى قدامه فجهة خلفه مخالفة لجهة قدامه في كونها جهة متوجها إليها، وخلاف بمعنى خلف مستعمل أنشد أبو عبيدة للأحوص:

عقب الربيع خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا

وقوله: وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والمعنى أنهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الذهاب إلى الغزو.

واعلم **أن الفرح بالإقامة** يدل على كراهة الذهاب إلا أنه تعالى أعاده للتأكيد، وأيضا لعل المراد أنه مال طبعه إلى الإقامة لأجل إلفه تلك البلدة واستئناسه بأهله وولده وكره الخروج إلى الغزو لأنه تعريض للمال والنفس للقتل والإهدار، وأيضا مما منعهم من ذلك الخروج شدة الحر في وقت خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المراد من قوله: وقالوا لا تنفروا في الحر.

فأجاب الله تعالى عن هذا السبب الأخير بقوله: قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون أي إن بعد هذه الدار دارا أخرى، وإن بعد هذه الحياة حياة أخرى، وأيضا هذه مشقة منقضية، وتلك مشقة باقية، وروى صاحب «الكشاف» لبعضهم:." (١)

"المسألة الأولى: قال العلماء من أهل اللغة، يقال: رجل عربي. إذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١٣/١٦

كما تقول مجوسي ويهودي، ثم يحذف ياء النسبة في الجمع، فيقال: المجوس واليهود، ورجل أعرابي، بالألف إذا كان بدويا، يطلب مساقط الغيث والكلإ، سواء كان من العرب أو من مواليهم، ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب، فالأعرابي إذا قيل له يا عربي: فرح، والعربي إذا قيل له: يا أعرابي، غضب له، فمن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومن نزل البادية فهم أعراب، والذي يدل على الفرق وجوه: الأول:

أنه عليه السلام قال: «حب العرب من الإيمان»

وأما الأعراب فقد ذمهم الله في هذه الآية. والثاني: أنه لا يجوز أن يقال: للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب، وهم متقدمون في مراتب الدين على الأعراب.

قال عليه السلام: «لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا أعرابي مهاجرا»

الثالث: قيل إنما سمي العرب عربا لأن أولاد إسماعيل نشأوا بعربة، وهي من تهامة. فنسبوا إلى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم، لأنهم إنما تولدوا من أولاد إسماعيل وقيل: سموا بالعرب، لأنه ألسنتهم معربة عما في ضمائرهم، ولا شك أن اللسان العربي مختص بأنواع من الفصاحة والجزالة لا توجد في سائر الألسنة، ورأيت في بعض الكتب عن بعض الحكماء أنه قال: حكمة الروم في أدمغتهم وذلك لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة، وحكمة الهند في أوهامهم، وحكمة يونان في أفئدتهم. وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية، وحكمة العرب في ألسنتهم، وذلك لحلاوة ألفاظهم وعذوبة عباراتهم.

المسألة الثانية: من الناس من قال: الجمع المحلى بالألف واللام الأصل فيه أن ينصرف إلى المعهود السابق، فإن لم يوجد المعهود السابق، حمل على الاستغراق للضرورة. قالوا: لأن صيغة الجمع يكفي في حصول معناها الثلاثة فما فوقها، والألف واللام للتعريف، فإن حصل جمع هو معهود سابق وجب الانصراف إليه، وإن لم يوجد فحينئذ يحمل على الاستغراق دفعا للإجمال.

قالوا إذا ثبت هذا فنقول: قوله: الأعراب المراد منه جمع معينون من منافقي الأعراب، كانوا يوالون منافقي المدينة فانصرف هذا اللفظ إليهم.

المسألة الثالثة: أنه تعالى حكم على الأعراب بحكمين:

الحكم الأول أنهم أشد كفرا ونفاقا، والسبب فيه وجوه: الأول: أن أهل البدو يشبهون الوحوش. والثاني: استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم، وذلك يوجب مزيد التيه والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم، والثالث: أنهم ما كانوا تحت سياسة سائس، ولا تأديب مؤدب، ولا ضبط ضبط فنشاؤا كما شاؤوا، ومن كان كذلك خرج على أشد الجهات فسادا. والرابع: أن من أصبح وو أمسى مشاهدا لوعظ رسول الله صلى الله عليه

وسلم، وبياناته الشافية، وتأدبياته الكاملة، كيف يكون مساويا لمن لم يؤاثر هذا الخير، ولم يسمع خبره.
والخامس: قابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية لتعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية.." (١)
"لو فتشوا على أخلاقكم وطبائعكم لوجدوا فيكم غلظة، وهذا الكلام إنما يصح فيمن أكثر أحواله الرحمة والرأفة، ومع ذلك فلا يخلو عن نوع غلظة.
واعلم أن هذه الغلظة إنما تعتبر فيما يتصل بالدعوة إلى الدين. وذلك إما بإقامة الحجة والبينة، وإما بالقتال والجهاد، فأما أن يحصل هذا التغليظ فيما يتصل بالبيع والشراء والمجالسة والمؤاكلة فلا.
ثم قال: واعلموا أن الله مع المتقين والمراد أن يكون إقدامه على الجهاد والقتال بسبب تقوى الله لا بسبب طلب المال والجاه، فإذا رآه قبل الإسلام أحجم عن قتاله، وإذا رآه مال إلى قبوله الجزية تركه، وإذا كثر العدو أخذ الغنائم على وفق حكم الله تعالى.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٤ الى ١٢٥]
وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون (١٢٤) وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (١٢٥)
اعلم أنه تعالى لما ذكر مخازي المنافقين وذكر أعمالهم القبيحة فقال: وإذا ما أنزلت سورة، فمن المنافقين من يقول أيكم زادته هذه إيمانا؟ واختلفوا فقال بعضهم: يقول بعض المنافقين لبعض، ومقصودهم تثبيتهم قومهم على النفاق، وقال آخرون: بل يقولونه لأقوام من المسلمين، وغرضهم صرفهم عن الإيمان.
وقال آخرون: بل ذكروه على وجه الهزء، والكل محتمل. ولا يمكن حمله على الكل، لأن حكاية الحال لا تفيد العموم. ثم إنه تعالى أجاب فقال إنه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران، وحصل للكافرين أيضا أمران. أما الذي حصل للمؤمنين: فالأول: هو أنها تزيدهم إيمانا إذ لا بد عند نزولها من أن يقروا بها ويعترفوا بأنها حق من عند الله، والكلام في زيادة الإيمان ونقصانه قد ذكرناه في أول سورة الأنفال بالاستقصاء.
والثاني: ما يحصل لهم من الاستبشار. فمنهم من حمله على ثواب الآخرة، ومنهم من حمله على ما يحصل في الدنيا من النصر والظفر، ومنهم من حمله **على الفرح والسرور** الحاصل بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث إنه يتوسل به إلى مزيد في الثواب، ثم جمع للمنافقين أمرين مقابلين للأمرين المذكورين في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦/١٢٥

المؤمنين، فقال:

وأما الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين فزادتهم رجسا إلى رجسهم والمراد من الرجس إما العقائد الباطلة أو الأخلاق المذمومة، فإن كان الأول كان المعنى أنهم كانوا مكذبين بالسور النازلة قبل ذلك، والآن صاروا مكذبين بهذه السورة الجديدة، فقد انضم كفر إلى كفر، وإن كان الثاني كان المراد أنهم كانوا في الحسد والعداوة واستنباط وجوه المكر والكيد، والآن ازدادت تلك الأخلاق الذميمة بسبب نزول هذه السورة الجديدة.

والأمر الثاني: أنهم يموتون على كفرهم، فتكون هذه الحالة كالأمر المضاد للاستبشار الذي حصل في المؤمنين، وهذه الحالة أسوأ وأقبح من الحالة الأولى، وذلك لأن الحالة الأولى عبارة عن ازدياد الرجاسة، وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكفر وموتهم عليه. واحتج أصحابنا بقوله: فزادتهم رجسا إلى رجسهم على أنه تعالى قد يصد عن الإيمان ويصرف عنه، قالوا: إنه تعالى كان عالما بأن سماع هذه السورة يورث حصول الحسد والحقد في قلوبهم، وأن حصول ذلك الحسد يورث مزيد الكفر في قلوبهم، أجابوا وقالوا نزول تلك." (١)

"والمعنى: إذا أذقنا الناس رحمة مكروا وإن تصبهم سيئة قنطوا. واعلم أن (إذا) في قوله: إذا لهم مكر تفيد المفاجأة، معناه أنهم في الحال أقدموا على المكر وسارعوا إليه.

المسألة الرابعة: سمى تكذيبهم بآيات الله مكرا، لأن المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بطريق الحيلة، وهؤلاء يحتالون لدفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من إلقاء شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة. قال مقاتل: المراد من هذا المكر هو أن هؤلاء لا يقولون هذا رزق الله، بل يقولون سقينا بنوء كذا.

أما قوله تعالى: قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون فالمعنى أن هؤلاء الكفار لما قابلوا نعمة الله بالمكر، فالله سبحانه وتعالى قابل مكرهم بمكر أشد من ذلك، وهو من وجهين: الأول: ما أعد لهم يوم القيامة من العذاب الشديد، وفي الدنيا من الفضيحة والخزي والنكال. والثاني: أن رسل الله يكتبون مكرهم ويحفظونه، وتعرض عليهم ما في بواطنهم الخبيئة يوم القيامة، ويكون ذلك سببا للفضيحة التامة والخزي والنكال نعوذ بالله تعالى منه.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٤/١٦

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٢٢ الى ٢٣]

هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (٢٢) فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون (٢٣)

[في قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر إلى قوله بغير الحق] في الآية مسائل:

المسألة الأولى: [في ذكر الله تعالى لنقل الإنسان من الضر الشديد إلى الرحمة مثالا، ولمكر الإنسان مثالا] اعلم أنه تعالى لما قال: وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا [يونس: ٢١] كان هذا الكلام كلاما كليا لا ينكشف معناه تمام الانكشاف إلا بذكر مثال كامل، فذكر الله تعالى لنقل الإنسان من الضر الشديد إلى الرحمة مثالا، ولمكر الإنسان مثالا، حتى تكون هذه الآية كالمفسرة للآية التي قبلها، وذلك لأن المعنى الكلي لا يصل إلى أفهام السامعين إلا بذكر مثال جلي واضح يكشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي.

واعلم أن الإنسان إذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود، حصل **له الفرح التام** والمسرة القوية، ثم قد تظهر علامات الهلاك دفعة واحدة. فأولها: أن تجيئهم الرياح العاصفة الشديدة. وثانيها: أن تأتيهم الأمواج العظيمة من كل جانب. وثالثها: أن يغلب على ظنونهم أن الهلاك واقع، وأن النجاة ليست متوقعة، ولا شك أن الانتقال من تلك الأحوال الطيبة الموافقة إلى هذه الأحوال القاهرة الشديدة يوجب الخوف العظيم، والرعب الشديد، وأيضا مشاهدة هذه الأحوال والأهوال في البحر مختصة بإيجاب مزيد الرعب والخوف ثم إن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته، ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق، ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعا إلى الله تعالى، ثم إذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة، ونقله من هذه المضرة القوية إلى الخلاص والنجاة، ففي الحال ينسى تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه." (١)

"إلا بهذين الطريقين أعني لذة البطن والفرج. وأما الآلام: فإن كل جزء من أجزاء بدن الإنسان معه نوع آخر من الآلام، ولكل نوع منها خاصية ليست للنوع الآخر. والثالث: أن اللذات/ الجسمانية لا تكون خالصة ألبتة بل تكون ممزوجة بأنواع من المكاره، فلو لم يحصل في لذة الأكل والوقاع إلا إتعاب النفس

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣٢/١٧

في مقدماتها وفي لواحقها لكفى. الرابع: أن اللذات الجسمانية لا تكون باقية، فكلما كان الالتذاذ بها أكثر كانت الحسرات الحاصلة من خوف فواتها أكثر وأشد، ولذلك قال المعري:

إن حزنا في ساعة الموت أضعاف ... سرور في ساعة الميلاد

فمن المعلوم **أن الفرح الحاصل** عند حدوث الولد لا يعادل الحزن الحاصل عند موته. الخامس: أن اللذات الجسمانية حال حصولها تكون ممتنعة البقاء، لأن لذة الأكل لا تبقى بحالها، بل كما زال ألم الجوع زال الالتذاذ بالأكل ولا يمكن استبقاء تلك اللذة. السادس: أن اللذات الجسمانية التذاذ بأشياء خسيسة، فإنها التذاذ بكيفيات حاصلة في أجسام رخوة سريعة الفساد مستعدة للتغير، فأما اللذات الروحانية فإنها بالضد في جميع هذه الجهات، فثبت **أن الفرح باللذات الجسمانية فرح باطل**، **وأما الفرح الكامل فهو الفرح بالروحانيات** والجواهر المقدسة وعالم الجلال ونور الكبرياء.

والبحث الثاني: من مباحث هذه الآية أنه إذا حصلت اللذات الروحانية فإنه يجب على العاقل أن لا يفرح بها من حيث هي هي، بل يجب أن يفرح بها من حيث إنها من الله تعالى وبفضل الله وبرحمته، فلهذا السبب قال الصديقون: **من فرح بنعمة** الله من حيث إنها تلك النعمة فهو مشرك، أما **من فرح بنعمة** الله من حيث إنها من الله كان فرحه بالله، وذلك هو غاية الكمال ونهاية السعادة فقوله سبحانه: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا يعني فليفرحوا بتلك النعم لا من حيث هي هي، بل من حيث إنها بفضل الله وبرحمة الله، فهذه أسرار عالية اشتملت عليها هذه الألفاظ التي ظهرت من عالم الوحي والتنزيل، هذا ما تلخص عندنا في هذا الباب، أما المفسرون فقالوا: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن. وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله.

المسألة الرابعة: قرئ فلتفرحوا بالتاء، قال الفراء: وقد ذكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ بالتاء وقال:

معناه فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار، قال وقريب من هذه القراءة قراءة أبي فبذلك فافرحوا والأصل في الأمر للمخاطب والغائب اللام نحو لتقم يا زيد وليقم زيد، وذلك لأن حكم الأمر في الصورتين واحد، إلا أن العرب حذفوا اللام من فعل المأمور المخاطب لكثرة استعماله، وحذفوا التاء أيضا وأدخلوا ألف الوصل نحو اضرب واقتل ليقع الابتداء به وكان الكسائي يعيب قولهم فليفرحوا لأنه وجده قليلا فجعله عيبا إلا أن ذلك هو الأصل،

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض المشاهد: «لتأخذوا مصافكم»

يريد به خذوا، هذا كله كلام/ الفراء. وقرئ تجمعون بالتاء ووجهه أنه تعالى عنى المخاطبين والغائبين إلا أنه

غلب المخاطب على الغائب كما يغلب التذكير على التأنيث، فكأنه أراد المؤمنين هكذا قال أهل اللغة وفيه دقيقة عقلية وهو أن الإنسان حصل فيه معنى يدعوه إلى خدمة الله تعالى وإلى الاتصال بعالم الغيب ومعارج الروحانيات، وفيه معنى آخر يدعوه إلى عالم الحس والجسم واللذات الجسدانية، وما دام الروح متعلقا بهذا الجسد، فإنه لا ينفك عن حب الجسد، وعن طلب اللذات الجسمانية، فكأنه تعالى خاطب الصديقين العارفين،." (١)

"الله تعالى على تلك النعمة. فالحاصل أن الكافر يكون عند زوال تلك النعمة يؤوسا وعند حصولها يكون كفورا.

وأما القسم الثاني: وهو أن ينتقل الإنسان من المكروه إلى المحبوب، ومن المحنة إلى النعمة، فههنا الكافر يكون فرحا فخورا. أما **قوة الفرح فلأن** منتهى طمع الكافر هو الفوز بهذه السعادات الدنيوية وهو منكر للسعادات الأخروية الروحانية، فإذا وجد الدنيا فكأنه قد فاز بغاية السعادات فلا جرم يعظم فرحه بها، وأما كونه فخورا فلأنه لما كان الفوز بسائر المطلوب نهاية السعادة لا جرم يفتخر به، فحاصل الكلام أنه تعالى بين أن الكافر عند البلاء لا يكون من الصابرين، وعند الفوز بالنعماء لا يكون من الشاكرين. ثم لما قرر ذلك قال:

إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات والمراد منه ضد ما تقدم فقوله: إلا الذين صبروا المراد منه أن يكون عند البلاء من الصابرين، وقوله: وعملوا الصالحات المراد منه أن يكون عند الراحة والخير من الشاكرين.

ثم بين حالهم فقال: أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فجمع لهم بين هذين المطلوبين. أحدهما: زوال العقاب والخلاص منه وهو المراد من قوله: لهم مغفرة والثاني: الفوز بالثواب وهو المراد من قوله: وأجر كبير ومن وقف على هذا التفصيل الذي ذكرناه علم أن هذا الكتاب الكريم كما أنه معجز بحسب ألفاظه فهو أيضا معجز بحسب معانيه.

[سورة هود (١١) : آية ١٢]

فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (١٢)

اعلم أن هذا نوع آخر من كلمات الكفار، والله تعالى بين أن قلب الرسول ضاق بسببه، ثم إنه تعالى قواه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧/٢٧٠

وأيده بالإكرام والتأييد، وفيه مسائل:

المسألة الأولى:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رؤساء مكة قالوا: يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا إن كنت رسولا، وقال آخرون: ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك. فقال: لا أقدر على ذلك فنزلت هذه الآية.

واختلفوا في المراد بقوله: تارك بعض ما يوحى إليك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: «ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك، وقال الحسن اطلبوا منه لا يقول: إن الساعة آتية [طه: ١٥] وقال بعضهم: المراد نسبتهم إلى الجهل والتقليد والإصرار على الباطل.

المسألة الثانية: أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول عليه الصلاة والسلام أن يخون في الوحي والتنزيل وأن يترك بعض ما يوحى إليه، لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف وذلك يقدح في النبوة وأيضا فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة عن أن تفيد فائدتها المطلوبة منها، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك شيئا آخر سوى أنه عليه السلام فعل ذلك وللناس فيه وجوه: الأول: لا يمتنع أن يكون في معلوم الله تعالى أنه إنما ترك التقصير في أداء الوحي والتنزيل لسبب يرد عليه من الله تعالى أمثال هذه التهديدات.

البليغة الثاني: أنهم كانوا لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به، فكان يضيق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فهيجه الله تعالى لأداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات إلى استهزائهم، والغرض منه التنبيه على أنه إن أدى ذلك الوحي وقع في سخريتهم وسفاهتهم وإن لم يؤد ذلك." (١)

"قال: المراد من ذلك مجموع الحاضرين مع الذين سيولدون بعد ذلك، والمختار هو القول الثاني: ومن في قوله: ممن معك لابتداء الغاية، والمعنى: وعلى أمم ناشئة من الذين معك.

واعلم أنه تعالى جعل تلك الأمم الناشئة من الذين معه على قسمين: أحدهما: الذين عطفهم على نوح في وصول سلام الله وبركاته إليهم وهم أهل الإيمان. والثاني: أمم وصفهم بأنه تعالى سيمتعهم مدة في الدنيا ثم في الآخرة يمسهم عذاب أليم، فحكم تعالى بأن الأمم الناشئة من الذين كانوا مع نوح عليه السلام لا بد

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٢٣/١٧

وأن ينقسموا إلى مؤمن وإلى كافر. قال المفسرون: دخل في تلك السلامة كل مؤمن وكل مؤمنة إلى يوم القيامة، ودخل في ذلك المتاع وفي ذلك العذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة، ثم قال أهل التحقيق: إنه تعالى إنما عظم شأن نوح بإيصال السلامة والبركات منه إليه، لأنه قال: بسلام منا وهدا يدل على أن الصديقين لا يفرحون بالنعمة من حيث إنها نعمة ولكنهم إنما يفرحون بالنعمة من حيث إنها من الحق، وفي التحقيق يكون فرحهم بالحق وطلبهم للحق وتوجههم إلى الحق، وهذا مقام شريف لا يعرفه إلا خواص الله تعالى، **فإن الفرح بالسلامة** والبركة من حيث هما سلامة وبركة غير، والفرح بالسلامة والبركة من حيث إنهما من الحق غير، والأول: نصيب عامة الخلق، والثاني: نصيب المقربين، ولهذا السبب قال بعضهم: من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني، ومن آثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة/ الوصول، وأما أهل العقاب فقد قال في شرح أحوالهم وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم فحكم بأنه تعالى يعطيهم نصيبا من متاع الدنيا فدل ذلك على خساسة الدنيا، فإنه تعالى لما ذكر أحوال المؤمنين لم يذكر ألبتة أنه يعطيهم الدنيا أم لا. ولما ذكر أحوال الكافرين ذكر أنه يعطيهم الدنيا، وهذا تنبيه عظيم على خساسة السعادات الجسمانية والترغيب في المقامات الروحانية.

[سورة هود (١١) : آية ٤٩]

تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين (٤٩)

واعلم أنه تعالى لما شرح قصة نوح عليه السلام على التفصيل قال: تلك أي تلك الآيات التي ذكرناها، وتلك التفاصيل التي شرحناها من أنباء الغيب، أي من الأخبار التي كانت غائبة عن الخلق فقوله:

تلك في محل الرفع على الابتداء، ومن أنباء الغيب الخبر ونوحيها إليك خبر ثان وما بعده أيضا خبر ثالث.

ثم قال تعالى: ما كنت تعلمها أنت ولا قومك والمعنى: إنك ما كنت تعرف هذه القصة، بل قومك ما كانوا يعرفونها أيضا، ونظيره أن تقول لإنسان لا تعرف هذه المسألة لا أنت ولا أهل بلدك.

فإن قيل: أليس قد كانت قصة طوفان نوح عليه السلام مشهورة عند أهل العلم؟

قلنا: تلك القصة بحسب الإجمال كانت مشهورة، أما التفاصيل المذكورة فما كانت معلومة.

ثم قال: فاصبر إن العاقبة للمتقين والمعنى: يا محمد اصبر أنت وقومك على أذى هؤلاء الكفار كما صبر

نوح وقومه على أذى أولئك الكفار، وفيه تنبيه على أن الصبر عاقبته النصر والظفر والفرح والسرور كما كان لنوح عليه السلام ولقومه.." (١)

"كان على وجه الأرض عبدا أكرم على الله تعالى من يعقوب عليه السلام.

أما قوله تعالى: من الحزن فاعلم أنه قرئ من الحزن بضم الحاء وسكون الزاي، وقرأ الحسن بفتح الحاء والزاي. قال الواحدي: واختلفوا في الحزن والحزن فقال قوم: الحزن البكاء والحزن ضد الفرح، وقال قوم: هما لغتان يقال أصابه حزن شديد، وحزن شديد، وهو مذهب أكثر أهل اللغة، وروى يونس عن أبي عمرو قال: إذا كان في موضع النصب فتحوا الحاء والزاي كقوله: تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا [التوبة: ٩٢] وإذا كان في موضع الخفض أو الرفع ضموا الحاء كقوله: من الحزن وقوله: شكوا بثي وحزني إلى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء.

وأما قوله تعالى: فهو كظيم فيجوز أن يكون بمعنى الكاظم وهو الممسك على حزنه فلا يظهره قال ابن قتيبة: ويجوز أن يكون بمعنى المكظوم، ومعناه المملوء من الحزن مع سد طريق نفسه المصدور من كظم السقاء إذا اشتد على ملئه، ويجوز أيضا أن يكون بمعنى مملوء من الغيظ على أولاده.

واعلم أن أشرف أعضاء الإنسان هذه الثلاثة، فبين تعالى أنها كانت غريقة في الغم فاللسان كان مشغولا بقوله: يا أسفى والعين بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي شد ولا يمكن خروج الماء منه وهذا مبالغة في وصف ذلك الغم.

أما قوله تعالى: قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قال ابن السكيت يقال: ما زلت أفعله وما فتئت أفعله وما برحت أفعله ولا يتكلم بهن إلا مع الجحد. قال ابن قتيبة يقال: ما فتيت وما فتئت لغتان فتيا وفتوا إذا نسيته وانقطعت عنه قال النحويون وحرف النفي هاهنا مضمر على معنى قالوا: ما تفتؤا ولا تفتؤ وجاز حذفه لأنه لو أريد الإثبات لكان باللام والنون نحو والله لتفعلن فلما كان بغير اللام والنون عرف أن كلمة لا مضمرة وأنشدوا قول امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا

والمعنى: لا أبرح قاعدا ومثله كثير. وأما المفسرون فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة لا تزال تذكره، وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتور والفتوء أخوين.

المسألة الثانية: حكى الواحدي عن أهل المعاني أن أصل الحرض فساد الجسم والعقل للحزن والحب،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٦١/١٨

وقوله: حرضت فلانا على فلان تأويله أفسدته وأحميته عليه، وقال تعالى: حرض المؤمنين على القتال [الأنفال: ٦٥] .

إذا عرفت هذا فنقول: وصف الرجل بأنه حرض إما أن يكون لإرادة أنه ذو حرض فحذف المضاف أو لإرادة أنه لما تناهى في الفساد والضعف فكأنه صار عين الحرض ونفس الفساد. وأما الحرض بكسر الراء فهو الصفة وجاءت القراءة بهما معا.

إذا عرفت هذا فنقول: للمفسرين فيه عبارات: أحدها: الحرض والحارض هو الفاسد في جسمه وعقله.

وثانيهما: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الحرض فقال: الفاسد الدنف. وثالثها: أنه الذي يكون لا." (١)

"عرفهم يوسف سألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه، فأعطاهم قميصه، قال المحققون: إنما عرف أن إلقاء ذلك القميص على وجهه يوجب قوة البصر بوحي من الله تعالى ولولا الوحي لما عرف ذلك، لأن العقل لا يدل عليه ويمكن أن يقال: لعل يوسف عليه السلام علم أن أباه ما صار أعمى إلا أنه من كثرة البكاء وضيق القلب ضعف بصره فإذا ألقي عليه قميصه فلا بد أن ينشرح صدره وأن يحصل في **قلبه الفرح الشديد**، وذلك يقوي الروح ويزيل الضعف عن القوى، فحينئذ يقوى بصره، ويزول عنه ذلك النقصان، فهذا القدر مما يمكن معرفته بالقلب فإن القوانين الطبية تدل على صحة هذا المعنى، وقوله: يأت بصيرا أي يصير بصيرا ويشهد له فارتد بصيرا [يوسف: ٩٦] ويقال: المراد يأت إلي وهو بصير، وإنما أفرده بالذكر تعظيما له، وقال في الباقين:

وأتوني بأهلكم أجمعين قال/ الكلبي: كان أهله نحوا من سبعين إنسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف عليه السلام مصر. وهم ثلاثة وتسعون من بين رجل وامرأة، وروي أن يهوذا حمل الكتاب وقال أنا أحزنته بحمل القميص الملطخ بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته. وقيل حمله وهو حاف وحاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٩٤ الى ٩٨]

ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون (٩٤) قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم (٩٥) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٩٩/١٨

(٩٦) قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين (٩٧) قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم (٩٨)

يقال: فصل فلان من عند فلان فصولا إذا خرج من عنده. وفصل مني إليه كتابا إذا أنفذ به إليه. وفصل يكون لازما ومتعديا وإذا كان لازما فمصدره الفصول وإذا كان متعديا فمصدره الفصل قال لما خرجت العير من مصر متوجهة إلى كنعان قال يعقوب عليه السلام لمن حضر عنده من أهله وقرابته وولد ولده إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ولم يكن هذا القول مع أولاده لأنهم كانوا غائبين بدليل أنه عليه السلام قال لهم:

اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه [يوسف: ٨٧] واختلفوا في قدر المسافة فقيل: مسيرة ثمانية أيام، وقيل عشرة أيام، وقيل ثمانون فرسخا. واختلفوا في كيفية وصول تلك الرائحة إليه، فقال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فمن ثم قال: إني لأجد ريح يوسف

وروى الواحدي بإسناده عن أنس بن مالك/ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أما قوله: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا [يوسف: ٩٣] فإن نمروذ الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل عليه جبريل عليه السلام بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه، فكسا إبراهيم عليه السلام ذلك القميص إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فألقي في الجب والقميص في عنقه

فلذلك قوله: اذهبوا بقميصي هذا والتحقيق أن يقال: إنه تعالى أوصل تلك الرائحة." (١)

"الطمأنينة عند اشتغالهم بالطاعات. الثاني: أن المراد أن علمهم بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا من عند الله. أما شكهم في أنهم أتوا بالطاعات على سبيل التمام والكمال فيوجب حصول الوجل في قلوبهم. الثالث: أنه حصلت في قلوبهم الطمأنينة في أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما أخبر عنه، إلا أنه حصل الوجل والخوف في قلوبهم أنهم هل أتوا بالطاعة الموجبة للثواب أم لا، وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب أم لا.

واعلم أن لنا في قوله: ألا بذكر الله تطمئن القلوب أبحاثا دقيقة غامضة وهي من وجوه:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨/٥٠٧

الوجه الأول: أن الموجودات على ثلاثة أقسام: مؤثر لا يتأثر، ومتأثر لا يؤثر، وموجود يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء، فالمؤثر الذي لا يتأثر هو الله سبحانه وتعالى، والمتأثر الذي لا يؤثر هو الجسم، فإنه ذات قابلة للصفات المختلفة والآثار المتنافية، وليس له خاصية إلا القبول فقط. وأما الموجود الذي يؤثر تارة ويتأثر أخرى، فهي الموجودات الروحانية، وذلك لأنها إذا توجهت إلى الحضرة الإلهية صارت قابلة للآثار الفائضة عن مشيئة الله تعالى وقدرته وتكوينه وإيجاده وإذا توجهت إلى عالم/ الأجسام اشتاقت إلى التصرف فيها، لأن عالم الأرواح مدبر لعالم الأجسام.

وإذا عرفت هذا: فالقلب كلما توجه إلى مطالعة عالم الأجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد إلى الاستيلاء عليها والتصرف فيها، أما إذا توجه القلب إلى مطالعة الحضرة الإلهية حصل فيه أنوار الصمدية والأضواء والإلهية، فهناك يكون ساكنا فلهذا السبب قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

الوجه الثاني: أن القلب كلما وصل إلى شيء فإنه يطلب الانتقال منه إلى حالة أخرى أشرف منها، لأنه لا سعادة في عالم الأجسام إلا وفوقها مرتبة أخرى في اللذة والغبطة. أما إذا انتهى القلب والعقل إلى الاستسعاد بالمعارف الإلهية والأضواء الصمدية بقي واستقر فلم يقدر على الانتقال منه البتة، لأنه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منها وأكمل، فلهذا المعنى قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

والوجه الثالث: في تفسير هذه الكلمة أن الإكسير إذا وقعت منه ذرة على الجسم النحاسي انقلب ذهبا باقيا على كر الدهور والأزمان، صابرا على الذوبان الحاصل بالنار، فإكسير جلال الله تعالى إذا وقع في القلب أولى أن يقلبه جوهرا باقيا صافيا نورانيا لا يقبل التغيير والتبدل، فلهذا قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

ثم قال تعالى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في تفسير كلمة طوبى ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها اسم شجرة في الجنة،

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «طوبى شجرة في الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة» ،

وحكى أبو بكر الأصم رضي الله عنه: أن أصل هذه الشجرة في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن.

والقول الثاني: وهو قول أهل اللغة أن طوبى مصدر من طاب، كبشرى وزلفى، ومعنى طوبى لك، أصبت

طيبا، ثم اختلفوا على وجوه: فقيل: فرح وقرة عين لهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل: نعم ما لهم عن." (١)

"الكلام، ولا يبعد أيضا أن يكون ذلك من بقية كلام إبليس قطعا لأطماع أولئك الكفار عن الإعانة والإغاثة، والله أعلم.

[سورة إبراهيم (١٤) : آية ٢٣]

وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام (٢٣)

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى لما بالغ في شرح أحوال الأشقياء من الوجوه الكثيرة، شرح أحوال السعداء، وقد عرفت أن الثواب يجب أن يكون منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، فالمنفعة الخالصة إليها الإشارة بقوله تعالى: وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير إليه بقوله: خالدين فيها والتعظيم حصل من وجهين: أحدهما: أن تلك المنافع إنما حصلت بإذن الله تعالى وأمره. والثاني: قوله: تحيتهم فيها سلام لأن بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة، والملائكة يحيونهم بها كما قال: والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام/ عليكم [الرعد: ٢٣، ٢٤] والرب الرحيم يحييهم أيضا بهذه الكلمة كما قال: سلام قولا من رب رحيم [يس: ٥٨] .

واعلم أن السلام مشتق من السلامة وإلا ظهر أن المراد أنهم سلموا من آفات الدنيا وحسراتها أو فنون آلامها وأسقامها، وأنواع غمومها وهمومها، وما أصدق ما قالوا، فإن السلامة من محن عالم الأجسام الكائنة الفاسدة من أعظم النعم، لا سيما إذا حصل بعد الخلاص منها الفوز بالبهجة الروحانية والسعادة الملكية.

المسألة الثانية: قرأ الحسن: وأدخل الذين آمنوا على معنى وأدخلهم أنا، وعلى هذه القراءة فقوله: بإذن ربهم متعلق بما بعده، أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم. يعني: أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم.

[سورة إبراهيم (١٤) : الآيات ٢٤ الى ٢٦]

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٤) تؤتي أكلها كل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٩/٤٠

حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٥) ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار (٢٦)

[في قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا إلى قوله وفرعها في السماء] اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال الأشقياء وأحوال السعداء، ذكر مثالا يبين الحال في حكم هذين القسمين، وهو هذا المثل. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربعة ثم شبه الكلمة الطيبة بها.

فالصفة الأولى: لتلك الشجرة كونها طيبة، وذلك يحتمل أمورا. أحدها: كونها طيبة المنظر والصورة والشكل. وثانيها: كونها طيبة الرائحة. وثالثها: كونها طيبة الثمرة يعني أن الفواكه المتولدة منها تكون لذيذة مستطابة. ورابعها: كونها طيبة بحسب المنفعة يعني أنها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها، ويجب حمل قوله: شجرة طيبة، على مجموع هذه الوجوه لأن اجتماعها يحصل كمال الطيب.

والصفة الثانية: قوله: أصلها ثابت أي راسخ باق آمن الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء وذلك لأن الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء، فهو وإن كان **يحصل الفرح بسبب** وجدانه إلا أنه يعظم." (١)

"الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه، أما إذا علم من حاله أنه باق دائم لا يزول ولا ينقضي فإنه **يعظم الفرح بوجدانه** ويكمل السرور بسبب الفوز به.

والصفة الثالثة: قوله: وفرعها في السماء وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين: الأول: أن ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق. والثاني: أنها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية فكانت ثمراتها نقية ظاهرة طيبة عن جميع الشوائب.

والصفة الرابعة: قوله: تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها والمراد: أن الشجرة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة، وهي أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات، ولا تكون مثل الأشجار التي يكون ثمارها حاضرا في بعض الأوقات دون بعض، فهذا شرح هذه الشجرة التي ذكرها الله تعالى في هذا الكتاب الكريم ومن المعلوم بالضرورة أن الرغبة في تحصيل مثل هذه الشجرة يجب أن تكون عظيمة، وأن العاقل متى أمكنه تحصيلها وتملكها فإنه لا يجوز له أن يتغافل عنها وأن يتساهل في الفوز بها.

إذا عرفت هذا فنقول: معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وفي خدمته وطاعته، تشبه هذه الشجرة في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٩/١٩

هذه الصفات الأربع.

أما الصفة الأولى: وهي كونها طيبة فهي حاصلة، بل نقول: لا طيب ولا لذيذ في الحقيقة إلا هذه المعرفة وذلك لأن اللذة الحاصلة بتناول الفاكهة المعينة إنما حصلت، لأن إدراك تلك الفاكهة أمر ملائم لمزاج البدن، فلأجل حصول تلك الملاءمة والمناسبة حصلت تلك اللذة العظيمة وهاهنا الملائم لجوهر النفس النطقية والروح القدسية، ليس إلا معرفة الله تعالى ومحبته والاستغراق في الابتهاج به فوجب أن تكون هذه المعرفة لذيذة جدا، بل نقول: اللذة الحاصلة من إدراك الفاكهة يجب أن تكون أقل حالا من اللذة الحاصلة بسبب إشراق جوهر النفس بمعرفة الله وبيان هذا التفاوت من وجوه:

الوجه الأول: أن المدركات المحسوسة إنما تصير مدركة بسبب أن سطح الحاس يلاقي سطح المحسوس فقط، فأما أن يقال إن جوهر المحسوس نفذ في جوهر الحاس فليس الأمر كذلك، لأن الأجسام يمتنع تداخلها أما هاهنا فمعرفة الله تعالى وذلك النور وذلك الإشراق صار ساريا في جوهر/ النفس متحدا به وكأن النفس عند حصول ذلك الإشراق تصير غير النفس التي كانت قبل حصول ذلك الإشراق فهذا فرق عظيم بين البابين.

والوجه الثاني: في الفرق أن في الالتذاذ بالفاكهة المدرك هو القوة الذائقة، والمحسوس هو الطعم المخصوص وهاهنا المدرك هو جوهر النفس القدسية، والمعلوم والمشعور به هو ذات الحق جل جلاله، وصفات جلاله وإكرامه، فوجب أن تكون نسبة إحدى اللذتين إلى الأخرى كنسبة أحد المدركين إلى الآخر.

الوجه الثالث: في الفرق أن اللذات الحاصلة بتناول الفاكهة الطيبة كلما حصلت زالت في الحال، لأنها كيفية سريعة الاستحالة شديدة التغير، أما كمال الحق وجلاله فإنه ممتنع التغير والتبدل واستعداد جوهر النفس لقبول تلك السعادة أيضا ممتنع التغير، فظهر الفرق العظيم من هذا الوجه.

واعلم أن الفرق بين النوعين يقرب أن يكون من وجوه غير متناهية فليكتف بهذه الوجوه الثلاثة تنبيها." (١)

"تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: أبشرتموني على أن مسني الكبر فيم تبشرون، فمعنى: على هاهنا للحال أي حالة الكبر، وقوله: فبم تبشرون فيه مسألتان:

المسألة الأولى: لفظ ما هاهنا استفهام بمعنى التعجب كأنه قال: بأي أعجوبة تبشروني؟

فإن قيل: في الآية إشكالان: الأول: أنه كيف استبعد قدرة الله تعالى على خلق الولد منه في زمان الكبر وإنكار قدرة الله تعالى في هذا الموضع كفر. الثاني: كيف قال: فبم تبشرون مع أنهم قد بينوا ما بشروه به،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩٠/١٩

وما فائدة هذا الإستفهام. قال القاضي: أحسن ما قيل في الجواب عن/ ذلك أنه أراد أن يعرف أنه تعالى يعطيه الولد مع أنه يبقيه على صفة الشيخوخة أو يقلبه شابا، ثم يعطيه الولد، والسبب في هذا الاستفهام أن العادة جارية بأنه لا يحصل الولد حال الشيخوخة التامة وإنما يحصل في حال الشباب.

فإن قيل: فإذا كان معنى الكلام ما ذكرتم فلم قالوا: بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين.

قلنا: إنهم بينوا أن الله تعالى بشره بالولد مع إبقائه على صفة الشيخوخة وقولهم: فلا تكن من القانطين. لا يدل على أنه كان كذلك، بدليل أنه صرح في جوابهم بما يدل على أنه ليس كذلك فقال: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون وفيه جواب آخر، وهو أن الإنسان إذا كان عظيم الرغبة في شيء وفاته الوقت الذي يغلب على ظنه حصول ذلك المراد فيه، فإذا بشر بعد ذلك بحصوله عظم فرحه وسروره ويصير **ذلك الفرح القوي** كالمدهش له والمزيل لقوة فهمه وذكائه فلعله يتكلم بكلمات مضطربة في **ذلك الفرح في** ذلك الوقت، وقيل أيضا: إنه يستطيب تلك البشارة فربما يعيد السؤال ليسمع تلك البشارة مرة أخرى ومرتين وأكثر طلبا للالتذاذ بسماع تلك البشارة، وطلبا لزيادة الطمأنينة والوثوق مثل قوله: ولكن ليطمئن قلبي [البقرة: ٢٦٠] وقيل أيضا: استفهم أبأمر الله تبشرون أم من عند أنفسكم واجتهادكم؟

المسألة الثانية: قرأ نافع: تبشرون بكسر النون خفيفة في كل القرآن، وقرأ ابن كثير بكسر النون وتشديدها. والباقون بفتح النون خفيفة، أما الكسر والتشديد فتقديره تبشرونني أدغمت نون الجمع في نون الإضافة، وأما الكسر والتخفيف فعلى حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين وطلبا للتخفيف قال أبو حاتم: حذف نافع الياء مع النون. قال: وإسقاط الحرفين لا يجوز، وأجيب عنه: بأنه أسقط حرفا واحدا وهي النون التي هي علامة للرفع. وعلى أن حذف الحرفين جائز قال تعالى في موضع: ولا تك وفي موضع:

ولا تكن فأما فتح النون فعلى غير الإضافة والنون علامة الرفع وهي مفتوحة أبدا، وقوله: بشرناك بالحق قال ابن عباس: يريد بما قضاه الله تعالى والمعنى: أن الله تعالى قضى أن يخرج من صلب إبراهيم إسحاق عليه السلام. ويخرج من صلب إسحاق مثل ما أخرج من صلب آدم فإنه تعالى بشر بأنه يخرج من صلب إسحاق أكثر الأنبياء فقوله: بالحق إشارة إلى هذا المعنى وقوله: فلا تكن من القانطين نهي لإبراهيم عليه السلام عن القنوط وقد ذكرنا كثيرا أن نهي الإنسان عن الشيء لا يدل على كون المنهي فاعلا للمنهي عنه كما في قوله:

ولا تطع الكافرين والمنافقين [الأحزاب: ١] ثم حكى تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ومن يقنط من

رحمة ربه إلا الضالون وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: هذا الكلام حق، لأن القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور:." (١)

"بلا عمل كغيث بلا مطر «كه»

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لجابر بن عبد الله الأنصاري: قوام الدنيا بأربعة بعالم يعمل بعلمه، وجاهل لا يستنكف من تعلمه، وغني لا يبخل بماله، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه، فإذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة «كو» قال الخليل: الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فهو عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فهو نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فهو مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فهو شيطان فاجتنبوه «كز» أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منها وإن كان أميرا:

قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته لضيفه، وخدمته للعالم الذي يتعلم منه، والسؤال عما لا يعلم ممن هو أعلم منه «كح» إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال صار العوام آكلين للشبهات، وإذا صار العالم آكلا للشبهات صار العامي آكلا للحرام، وإذا صار العالم آكلا للحرام صار العامي كافرا يعني إذا استحلوا. أما الوجوه العقلية فأمور:

أحدها: أن الأمور على أربعة أقسام، قسم يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة. وقسم ترضاه الشهوة ولا يرضاه العقل، وقسم يرضاه العقل والشهوة معا، وقسم لا يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة. أما الأول: فهو الأمراض والمكاره في الدنيا، وأما الثاني: فهو المعاصي أجمع، وأما الثالث: فهو العلم، وأما الرابع: فهو الجهل فينزل العلم من الجهل منزلة الجنة من النار، فكما أن العقل والشهوة لا يرضيان بالنار فكذلك لا يرضيان بالجهل وكما أنهما يرضيان بالجنة فكذا يرضيان بالعلم فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة، ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة، فكل من اختار العلم يقال له تعودت المقام في الجنة فادخل الجنة، ومن اكتفى بالجهل يقال له تعودت النار فادخل النار، والذي يدل على أن العلم جنة والجهل نار أن كمال اللذة في إدراك المحبوب وكمال الألم في البعد عن المحبوب، والجراحة إنما تؤلم لأنها تبعد جزءا من البدن عن جزء محبوب من تلك الأجزاء وهو الاجتماع فلما اقتضت الجراحة إزالة ذلك الاجتماع فقد اقتضت إزالة المحبوب وبعده، فلا جرم كان ذلك مؤلما والإحراق بالنار إنما كان أشد إيلاما من الجرح لأن الجرح لا يفيد إلا تبعيد جزء معين عن جزء معين، أما النار فإنها تغوص في جميع الأجزاء فاقتضت تبعيد جميع

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥١/١٩

الأجزاء بعضها عن بعض، فلما كانت التفريقات في الإحراق أشد كان الألم هناك أصعب، أما اللذة فهي عبارة عن إدراك المحبوب، فلذة الأكل عبارة عن إدراك تلك الطعوم الموافقة للبدن، وكذلك لذة النظر إنما تحصل لأن القوة الباصرة مشتاقة إلى إدراك المرئيات، فلا جرم كان ذلك الإدراك لذة لها فقد ظهر بهذا أن اللذة عبارة عن إدراك المحبوب، والألم عبارة عن إدراك المكروه وإذا عرفت هذا فنقول: /كلما كان الإدراك أغوص وأشد والمدرك أشرف وأكمل، والمدرك أنقى وأبقى. وجب أن تكون اللذة أشرف وأكمل. ولا شك أن محل العلم هو الروح وهو أشرف من البدن ولا شك أن الإدراك العقلي أغوص وأشرف على ما سيجيء بيانه في تفسير قوله: الله نور السماوات والأرض [النور: ٣٥] وأما المعلوم فلا شك أنه أشرف لأنه هو الله رب العالمين وجميع مخلوقاته من الملائكة والأفلاك والعناصر والجمادات والنبات والحيوانات وجميع أحكامه وأوامره وتكاليفه وأي معلوم أشرف من ذلك فثبت أنه لا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذاته ولا شقاوة ولا نقصان فوق شقاوة الجهل ونقصانه، ومما يدل على ما قلناه أنه إذا سئل الواحد منا عن مسألة علمية فإن علمها وقدر على الجواب والصواب **فيها فرح بذلك** وابتهج به، وإن جهلها نكس رأسه حياء من ذلك، وذلك يدل على أن اللذة الحاصلة بالعلم أكمل اللذات، والشقاء الحاصل بالجهل أكمل أنواع الشقاء، واعلم أن هاهنا وجوها أخر من النصوص تدل على فضيلة العلم نسينا إيرادها قبل ذلك." (١)

"نقول جعلت لك، وأبى الزجاج إجازة الوجه الأول، وقال «ما» في موضع رفع لا غير، والتقدير: ولهم الشيء الذي يشتهونه، ولا يجوز النصب لأن العرب تقول جعل لنفسه ما تشتهي، ولا تقول جعل له ما يشتهي وهو يعني نفسه. ثم إنه تعالى ذكر أن الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه فما لا يرتضيه لنفسه كيف ينسبه لله تعالى فقال: وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وفيه مسائل:

المسألة الأولى: التبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور إلا أنه بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في تغير بشرة الوجه، ومعلوم أن السرور كما يوجب تغير البشرة فكذلك الحزن يوجبه. فوجب أن يكون لفظة التبشير حقيقة في القسمين، ويتأكد هذا بقوله/ فبشرهم بعذاب أليم [آل عمران: ٢١] ومنهم من قال: المراد بالتبشير هاهنا الإخبار، والقول الأول أدخل في التحقيق.

أما قوله: ظل وجهه مسودا فالمعنى أنه يصير متغيرا تغير مغتم، ويقال لمن لقي مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا، وأقول إنما جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم، وذلك لأن الإنسان إذا قوي فرحه انشرح صدره

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢/٤٠٥

وانبسط روح قلبه من داخل القلب، ووصل إلى الأطراف، ولا سيما إلى الوجه لما بينهما من التعلق الشديد، وإذا وصل الروح إلى ظاهر الوجه أشرق الوجه وتلألأ واستنار، وأما إذا قوي غم الإنسان احتقن الروح في باطن القلب ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه، فلا جرم يربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الأرضية والكثافة، فثبت أن من **لوازم الفرح استنارة** الوجه وإشراقه، ومن لوازم الغم كمودة الوجه وغبرته وسواده، فلهذا السبب جعل بياض الوجه إشراقه كناية **عن الفرح وغبرته** وكمودته وسواده كناية عن الغم والحزن والكراهية، ولهذا المعنى قال: ظل وجهه مسودا وهو كظيم أي ممتلئ غما وحزنا.

ثم قال تعالى: يتوارى من القوم من سوء أي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به، قال المفسرون: كان الرجل في الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى واختفى عن القوم إلى أن يعلم ما يولد له فإن كان ذكرا ابتهج به، وإن كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أياما يدبر فيها أنه ماذا يصنع بها؟ وهو قوله: أيمسكه على هون أم يدسه في التراب والمعنى: أيحبسه؟ والإمساك هاهنا بمعنى الحبس كقوله: أمسك عليك زوجك [الأحزاب: ٣٧] وإنما قال: أيمسكه ذكره بضمير الذكران لأن هذا الضمير عائد على «ما» في قوله: ما بشر به والهون الهوان قال النضر بن شميل يقال إنه أهون عليه هونا وهوانا، وأهنته هونا وهوانا، وذكرنا هذا في سورة الأنعام عند قوله، عذاب الهون [الأنعام: ٩٣] وفي أن هذا الهون صفة من؟ قولان: الأول: أنه صفة المولودة، ومعناه أنه يمسكها عن هون منه لها. والثاني: قال عطاء عن ابن عباس: إنه صفة للأب، ومعناه أنه يمسكها مع الرضا بهوان نفسه وعلى رغم أنفه.

ثم قال: أم يدسه في التراب والدس إخفاء الشيء في الشيء. يروى أن العرب كانوا يحفرون حفيرة ويجعلونها فيها حتى تموت.

وروي عن قيس بن عاصم أنه قال: يا رسول الله إني واريت ثماني بنات في الجاهلية فقال عليه السلام: «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» ، فقال: يا نبي الله إني ذو إبل، فقال: «أهد عن كل واحدة منهن هديا» وروي أن رجلا قال يا رسول الله: ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت، فقد كانت لي في الجاهلية ابنة فأمرت امرأتي أن تزينها فأخرجتها إلي فانتهيت بها إلى واد بعيد القعر فألقيتها فيه، فقالت: يا أبت قتلتني، فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء، فقال عليه السلام: «ما كان في الجاهلية فقد هدمه الإسلام وما كان." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٥/٢٠

"عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بالجمعة، فقالت النصارى: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا واتخذوا الأحد.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد» .

إذا عرفت هذا فنقول: قوله تعالى: على الذين اختلفوا فيه أي على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لأجله، وليس معنى قوله: اختلفوا فيه أن اليهود اختلفوا فيه فمنهم من قال بالسبت، ومنهم من لم يقل به، لأن اليهود اتفقوا على ذلك فلا يمكن تفسير قوله: اختلفوا فيه بهذا، بل الصحيح ما قدمناه.

فإن قال قائل: هل في العقل وجه يدل على أن يوم الجمعة أفضل من يوم السبت؟ وذلك لأن أهل الملل اتفقوا على أنه تعالى خلق العالم في ستة أيام، وبدأ تعالى بالخلق والتكوين من يوم الأحد وتم في يوم الجمعة، فكان يوم السبت يوم الفراغ، فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الأعمال، فعينوا السبت لهذا المعنى، وقالت النصارى: مبدأ الخلق والتكوين هو يوم الأحد، فنجعل هذا اليوم عيدا لنا، فهذان الوجهان معقولان، فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيدا لنا؟

قلنا: يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام وحصول التمام والكمال **يوجب الفرح الكامل** والسرور العظيم، فجعل يوم الجمعة يوم العيد أولى من هذا الوجه والله أعلم.

والقول الثاني: في اختلافهم في السبت، أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة، وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة.

ثم قال تعالى: وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون والمعنى: أنه تعالى سيحكم يوم القيامة للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب.

[سورة النحل (١٦) : آية ١٢٥]

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١٢٥)

اعلم أنه تعالى لما أمر محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع إبراهيم عليه السلام، بين الشيء الذي أمره بمتابعته فيه، فقال:

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة.

واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى فقال: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن [العنكبوت: ٤٦] ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض، وجب أن تكون طرقا متغايرة متباينة، وما رأيت للمفسرين فيه كلاما ملخصا مضبوطا.

واعلم أن الدعوة إلى المذهب والمقالة لا بد وأن تكون مبنية على حجة وبينة، والمقصود من ذكر الحجة، إما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب المستمعين، وإما أن يكون المقصود إلزام الخصم وإفحامه.." (١)

"اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له: / قسطنطين الملك، والله أعلم بأحوالهم، ولا يتعلق غرض من أغراض تفسير القرآن بمعرفة أعيان هؤلاء الأقوام.

المسألة الثانية: جواب قوله: فإذا جاء محذوف تقديره: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوؤا وجوهكم وإنما حسن هذا الحذف لدلالة ما تقدم عليه من قوله: بعثنا عليكم عبادا لنا [الإسراء: ٥] ثم قال: ليسوؤا وجوهكم وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: يقال: ساءه يسوءه أي أحزنه، وإنما عزا الإساءة إلى الوجوه، لأن آثار الأعراض النفسانية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه، فإن حصل الفرح في القلب ظهرت النضرة والإشراق والإسفار في الوجه وإن حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه، فلهذا السبب عزيت الإساءة إلى الوجوه في هذه الآية، ونظير هذا المعنى كثير في القرآن.

المسألة الثانية: قرأ العامة: ليسوؤا على صيغة المغايبة، قال الواحدي: وهي موافقة للمعنى وللفظ. أما المعنى فهو أن المبعوثين هم الذين يسوؤنهم في الحقيقة، لأنهم هم الذين يقتلون ويأسرون وأما اللفظ فلأنه يوافق قوله: وليدخلوا المسجد وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة: ليسوء على إسناد الفعل إلى الواحد، وذلك الواحد يحتمل أن يكون أحد أشياء ثلاثة: إما اسم الله سبحانه لأن الذي تقدم هو قوله: ثم رددنا ... وأمددناكم [الإسراء: ٦] ، وكل ذلك ضمير عائد إلى الله تعالى، وإما أن يكون ذلك الواحد هو البعث ودل عليه قوله: بعثنا والفعل المتقدم يدل على المصدر كقوله تعالى: ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم [آل عمران: ١٨٠] وقال الزجاج: ليسوء الوعد وجوهكم، وقرأ الكسائي بالنون وهذا على إسناد الفعل إلى الله تعالى كقوله: بعثنا عليكم أمددناكم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٨٦/٢٠

ثم قال تعالى: وليتبروا ما علوا تتبيرا يقال: تبر الشيء تبرا إذا هلك وتبره أهلكه. قال الزجاج: كل شيء جعلته مكسرا ومفتتا فقد تبرته، ومنه قيل: تبر الزجاج وتبر الذهب لمكسره، ومنه قوله تعالى: إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون [الأعراف: ١٣٩] وقوله: ولا تزد الظالمين إلا تبارا [نوح: ٢٨] وقوله: ما علوا يحتمل ما غلبوا عليه وظفروا به، ويحتمل ويتبروا ما داموا غالبين، أي ما دام سلطانهم جاريا على بني إسرائيل، وقوله: تتبيرا ذكر للمصدر على معنى تحقيق الخبر وإزالة الشك في صدقه كقوله:

وكلم الله موسى تكليما [النساء: ١٦٤] أي حقا، والمعنى: وليدمروا ويخربوا ما غلبوا عليه.

ثم قال تعالى: عسى ربكم أن يرحمكم والمعنى: لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل.

ثم قال: وإن عدتم عدنا يعني: أن بعثنا عليكم من بعثنا، ففعلوا بكم ما فعلوا عقوبة لكم وعظة لتنتفعوا به وتنزجروا به عن ارتكاب المعاصي، ثم رحمكم فأزال هذا العذاب عنكم، فإن عدتم مرة أخرى إلى المعصية عدنا إلى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى. قال القفال: إنما حملنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة الأعراف خبرا عن بني إسرائيل: وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب [الأعراف: ١٦٧] ثم قال: وإن عدتم عدنا أي وإنهم قد عادوا إلى فعل ما لا ينبغي وهو." (١)

"يكون قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة قطعية غير محتملة النقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل إلى الكل ولعرفه الكل ولارتفع الخلاف، وحيث لم يكن كذلك علمنا أنه لم يحصل في هذه/ المسألة دليل سمعي قاطع، فثبت أنه لم يوجد في إثبات كون القياس حجة دليل قاطع البتة، فبطل قولكم كون الحكم المثبت بالقياس حجة معلوم لا مظنون، فهذا تمام الكلام في تقرير هذا الدليل.

وأحسن ما يمكن أن يقال في الجواب عنه إن التمسك بهذه الآية التي عولتم عليها تمسك بعام مخصوص، والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد إلا الظن، فلو دلت هذه الآية على أن التمسك بالظن غير جائز لدلت على أن التمسك بهذه الآية غير جائز، فالقول بكون هذه الآية حجة يفضي ثبوته إلى نفيه فكان تناقضا فسقط الاستدلال به والله أعلم. وللمجيب أن يجيب فيقول: نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم أن التمسك بآيات القرآن حجة في الشريعة ويمكن أن يجاب عن هذا الجواب بأن كون العام المخصوص حجة غير معلوم بالتواتر والله أعلم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٠٢/٢٠

المسألة الثالثة: قوله: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فيه بحثان:

البحث الأول: أن العلوم إما مستفادة من الحواس، أو من العقول. أما القسم الأول: فإليه الإشارة بذكر السمع والبصر، فإن الإنسان إذا سمع شيئا ورآه فإنه يرويه ويخبر عنه، وأما القسم الثاني: فهو العلوم المستفادة من العقل وهي قسمان: البديهية والكسبية، وإلى العلوم العقلية الإشارة بذكر الفؤاد.

البحث الثاني: ظاهر الآية يدل على أن هذه الجوارح مسؤولة وفيه وجوه:

الوجه الأول: أن المراد أن صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤول لأن السؤال لا يصح إلا ممن كان عاقلا، وهذه الجوارح ليست كذلك، بل العاقل الفاهم هو الإنسان، فهو كقوله تعالى: وسئل القرية [يوسف: ٨٢] والمراد أهلها يقال له لم سمعت ما لا يحل لك سماعه، ولم نظرت إلى ما لا يحل لك النظر إليه، ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه.

والوجه الثاني: أن تقرير الآية أن أولئك الأقوام كلهم مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد فيقال لهم استعملتم السمع في ماذا أفي الطاعة أو في المعصية؟ وكذلك القول في بقية الأعضاء، وذلك لأن هذه الحواس آلات النفس، والنفس كالأمير لها والمستعمل لها في مصالحها فإن استعملتها النفس في الخيرات استوجبت الثواب، وإن استعملتها في المعاصي استحقت العقاب.

والوجه الثالث: أنه ثبت بالقرآن أنه تعالى يخلق الحياة في الأعضاء ثم إنها تشهد على الإنسان والدليل عليه قوله تعالى: يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون [النور: ٢٤] ولذلك لا يبعد أن يخلق الحياة والعقل والنطق في هذه الأعضاء ثم إنه تعالى يوجه السؤال عليها.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٣٧ الى ٣٨]

ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨)

[في قوله تعالى ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا] اعلم أن هذا هو النوع الثاني من الأشياء التي نهى الله عنها في هذه الآيات وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المرح **شدة الفرح يقال**: مرح يمرح مرحا فهو مرح، والمراد من الآية النهي عن أن يمشي." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٤١/٢٠

"المدعي.
«والجواب» عن الشبهة الخامسة أن المطيعين فيهم قلة كما قال تعالى: وقليل من عبادي الشكور [سبأ: ١٣] وكما قال إبليس: ولا تجد أكثرهم شاكرين [الأعراف: ١٧] وإذا حصلت القلة فيهم لم يكن ما يظهر عليهم من الكرامات في الأوقات النادرة قادحا في كونها على خلاف العادة.
المسألة السابعة: في الفرق بين الكرامات والاستدراج، اعلم أن من أراد شيئا فأعطاه الله مراده لم يدل ذلك على كون ذلك العبد وجيها عند الله تعالى سواء كانت العطية على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة بل قد يكون ذلك إكراما للعبد وقد يكون استدراجا له ولهذا الاستدراج أسماء كثيرة من القرآن، أحدها: الاستدراج قال الله تعالى: سنستدرجهم من حيث لا يعلمون [الأعراف: ١٨٢] ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بعدا من الله وتحقيقه أنه ثبت في العلوم العقلية أن تكرر الأفعال سبب لحصول الملكة الراسخة فإذا مال قلب العبد إلى الدنيا ثم أعطاه الله مراده فحينئذ يصل الطالب إلى المطلوب وذلك يوجب حصول اللذة وحصول اللذة يزيد في الميل وحصول الميل يوجب مزيد السعي ولا يزال يتأدى كل واحد منهما إلى الآخر وتتقوى كل واحدة من هاتين الحالتين درجة فدرجة ومعلوم أن الاشتغال بهذه اللذات العاجلة مانع عن مقامات المكاشفات ودرجات المعارف فلا جرم يزداد بعده عن الله درجة فدرجة إلى أن يتكامل فهذا هو الاستدراج. وثانيها: المكر قال تعالى: فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون [الأعراف: ٩٩] ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين [آل عمران: ٥٤] وقال: ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون [النمل: ٥٠] . وثالثها: الكيد قال تعالى: يخادعون الله وهو خادعهم
[النساء: ١٤٢] وقال: يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم [البقرة: ٩] . ورابعها: الإملاء قال تعالى: ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما [آل عمران: ١٧٨] . وخامسها: / الإهلاك قال تعالى: حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم [الأنعام: ٤٤] وقال في فرعون: واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم [القصص: ٣٩، ٤٠] فظهر بهذه الآيات أن الإيصال إلى المرادات لا يدل على كمال الدرجات والفوز بالخيرات بقي علينا أن نذكر الفرق بين الكرامات وبين الاستدراجات. فنقول: إن صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشد وحذره من قهر الله أقوى فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج، وأما صاحب الاستدراج فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه

ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقا لها وحينئذ يستحقر غيره ويتكبر عليه ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العاقبة فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجا لا كرامة. فلهذا المعنى قال المحققون: أكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أنواع البلاء. والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه:

الحجة الأولى: أن هذا الغرور إنما يحصل إذا اعتقد الرجل أنه مستحق لهذا الكرامة لأن بتقدير أن لا يكون مستحقا لها امتنع **حصول الفرح بها** بل يجب أن يكون فرحه بكرم المولى وفضله أكبر من فرحه بنفسه فثبت **أن الفرح بالكرامة** أكثر من فرحه بنفسه وثبت **أن الفرح بالكرامة** لا يحصل إلا إذا اعتقد أنه أهل ومستحق لها وهذا." (١)

"عين الجهل لأن الملائكة قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا [البقرة: ٣٢] وقال تعالى: وما قدروا الله حق قدره [الأنعام: ٩١] وأيضا قد ثبت بالبرهان اليقيني أنه لا حق لأحد من الخلق على الحق فكيف يحصل ظن الاستحقاق.

الحجة الثانية: أن الكرامات أشياء مغايرة للحق سبحانه فالفرح **بالكرامة فرح بغير** الحق والفرح بغير الحق حجاب عن الحق والمحجوب عن الحق كيف يليق **به الفرح والسرور**.

الحجة الثالثة: أن من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل لعمله وقع عظيم في قلبه ومن كان لعمله وقع عنده كان جاهلا ولو عرف ربه لعلم أن كل طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير وكل شكرهم في جنب آلائه ونعمائه قصور وكل معارفهم وعلومهم فهي في مقابلة عزته حيرة وجهل. رأيت في بعض الكتب أنه قرأ المقرئ في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق قوله تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه [فاطر: ١٠] فقال علامة أن الحق رفع عملك أن لا يبقى [ذكره] عندك فإن بقي عملك في نظرك فهو مدفوع وإن لم يبق معك فهو مرفوع مقبول.

الحجة الرابعة: أن صاحب الكرامة إنما وجد الكرامة لإظهار الذل والتواضع في حضرة الله فإذا ترفع وتجبر وتكبر بسبب تلك الكرامات فقد بطل ما به وصل إلى الكرامات فهذا طريق ثبوته يؤديه إلى عدمه فكان مردودا ولهذا المعنى لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه/ وفضائلها كان يقول في آخر كل واحد منها ولا فخر يعني لا أفتخر بهذه الكرامات وإنما أفتخر بالمكرم والمعطي.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٣٨/٢١

الحجة الخامسة: أن ظاهر الكرامات في حق إبليس وفي حق بلعام كان عظيما ثم قيل لإبليس وكان من الكافرين وقيل لبلعام فمثله كمثل الكلب وقيل لعلماء بني إسرائيل: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا [الجمعة: ٥] وقيل أيضا في حقهم: وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم [آل عمران: ١٩] فبين أن وقوعهم في الظلمات والضلالات كان بسبب فرحهم بما أوتوا من العلم والزهد.

الحجة السادسة: أن الكرامة غير المكرم وكل ما هو غير المكرم فهو ذليل وكل من تعزز بالذليل فهو ذليل، ولهذا المعنى

قال الخليل صلوات الله عليه: «١» أما إليك فلا، فالاستغناء بالفقير فقر والتقوي بالعاجز عجز والاستكمال بالناقص نقصان والفرح بالمحدث بله والإقبال بالكلية على الحق خلاص،

فثبت أن الفقير إذا ابتهج بالكرامة سقط عن درجته. أما إذا كان لا يشاهد في الكرامات إلا المكرم ولا في الإعزاز إلا المعز ولا في الخلق إلا الخالق فهناك يحق الوصول.

الحجة السابعة: أن الافتخار بالنفس وبصفاتها من صفات إبليس وفرعون، قال إبليس: أنا خير منه [الأعراف: ١٢] وقال فرعون: أليس لي ملك مصر [الزخرف: ٥١] وكل من ادعى الإلهية أو النبوة بالكذب فليس له غرض إلا تزيين النفس وتقوية الحرص والعجب ولهذا

قال عليه السلام: «ثلاث مهلكات، وختمها بقوله: وإعجاب المرء بنفسه» .

---

(١) هذا من خطابه لجبريل عليه السلام فإنه

لما ألقي في النار سأله جبريل فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام أما إليك فلا!

[.....]."(١)

"الحجة الثامنة: أنه تعالى قال: فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين [الأعراف: ١٤٤] واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [الحجر: ٩٩] فلما أعطاه الله العطية الكبرى أمره بالاشتغال بخدمة المعطي لا بالفرح بالعطية.

الحجة التاسعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خيره الله بين أن يكون ملكا نبيا وبين أن يكون عبدا نبيا ترك الملك، ولا شك أن وجدان الملك الذي يعم المشرق والمغرب من الكرامات بل من المعجزات ثم إنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك الملك واختار العبودية لأنه إذا كان عبدا كان افتخاره بمولاه وإذا كان ملكا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٣٩/٢١

كان افتخاره بعبيده، فلما اختار العبودية لا جرم جعل السنة التي في التحيات التي رواها ابن مسعود «وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» وقيل في المعراج:

سبحان الذي أسرى بعبده [الإسراء: ١] .

الحجة العاشرة: أن محب المولى غير، ومحب ما للمولى غير، فمن أحب المولى لم يفرح بغير المولى ولم يستأنس بغير المولى، فالاستئناس بغير المولى والفرح بغيره يدل على أنه ما كان محبا للمولى بل كان محبا لنصيب نفسه ونصيب النفس إنما يطلب للنفس فهذا الشخص ما أحب إلا نفسه. وما كان المولى محبوبا له بل جعل المولى وسيلة إلى تحصيل ذلك المطلوب. والصنم الأكبر هو النفس كما قال تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه [الجاثية: ٢٣] فهذا الإنسان عابد للصنم الأكبر/ حتى أن المحققين قالوا لا مضرة في عبادة شيء من الأصنام مثل المضرة الحاصلة في عبادة النفس ولا خوف من عبادة الأصنام كالخوف من الفرح بالكرامات.

الحجة الحادية عشرة: قوله تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه [الطلاق: ٢، ٣] وهذا يدل على أن من لم يتق الله ولم يتوكل عليه لم يحصل له شيء من هذه الأفعال والأحوال.

المسألة الثامنة: في أن الولي هل يعرف كونه وليا، قال الأستاذ أبو بكر بن فورك لا يجوز وقال الأستاذ أبو علي الدقاق وتلميذه أبو القاسم القشيري يجوز، وحجة المانعين وجوه:

الحجة الأولى: لو عرف الرجل كونه وليا لحصل له الأمن بدليل قوله تعالى: ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [يونس: ٦٢] لكن حصول الأمن غير جائز ويدل عليه وجوه: أحدها: قوله مالي: فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون [الأعراف: ٩٩] واليأس أيضا غير جائز لقوله تعالى: إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون [يوسف: ٨٧] ولقوله تعالى: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون [الحجر: ٥٦] والمعنى فيه أن الأمن لا يحصل إلا عند اعتقاد العجز، واليأس لا يحصل إلا عند اعتقاد البخل واعتقاد العجز والبخل في حق الله كفر، فلا جرم كان حصول الأمن والقنوط كفرا. الثاني: أن الطاعات وإن كثرت إلا أن قهر الحق أعظم ومع كون القهر غالبا لا يحصل الأمن. الثالث: أن الأمن يقتضي زوال العبودية وترك الخدمة والعبودية يوجب العداوة والأمن يقتضي ترك الخوف. الرابع: أنه تعالى وصف المخلصين بقوله: ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين [الأنبياء: ٩٠] قيل رغبا في ثوابنا، ورهبا من عقابنا. وقيل: رغبا في

فضلنا، ورهبا من عدلنا. وقيل رغبا في وصالنا، ورهبا من فراقنا. والأحسن أن يقال رغبا فينا، ورهبا منا.." (١)

"اليوم في ضلال مبين

ففيه قولان: الأول: لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وفي الآخرة يعرفون الحق.

والثاني: لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وهم في الآخرة في ضلال عن الجنة بخلاف المؤمنين، وأما قوله تعالى: وأنذرهم فلا شبهة في أنه أمر لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن ينذر من في زمانه فيصلح بأن يجعل هذا كالدلالة على أن قوله فاختلف الأحزاب أراد به اختلاف جميعهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الإنذار فهو التخويف من العذاب لكي يحذروا من ترك عبادة الله تعالى وأما يوم الحسرة فلا شبهة في أنه يوم القيامة من حيث يكثر التحسر من أهل النار وقيل يتحسر أيضا في الجنة إذا لم يكن من السابقين الواصلين إلى الدرجات العالية والأول هو الصحيح لأن الحسرة غم وذلك لا يليق بأهل الثواب،

أما قوله تعالى: إذ قضي الأمر ففيه وجوه:

أحدها: إذ قضي الأمر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب. وثانيها: إذ قضي الأمر يوم الحسرة بفناء الدنيا وزوال التكليف والأول أقرب لقوله: وهم لا يؤمنون فكأنه تعالى بين أنه ظهرت الحجج والبينات وهم في غفلة وهم لا يؤمنون. وثالثها:

روي أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: قضي الأمر: «فقال حين يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظران فيزداد أهل الجنة فرحا **على فرح وأهل** النار غما على غم»

واعلم أن الموت عرض فلا يجوز أن يصير/ جسما حيوانيا بل المراد أنه لا موت البتة بعد ذلك وأما قوله: وهم في غفلة أي عن ذلك اليوم وعن كيفية حسرته وهم لا يؤمنون أي بذلك اليوم ثم قال بعده: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها أي هذه الأمور تؤول إلى أن لا يملك الضر والنفع إلا الله تعالى: وإلينا يرجعون أي إلى محل حكمنا وقضائنا لأنه تعالى منزه عن المكان حتى يكون الرجوع إليه وهذا تخويف عظيم وزجر بليغ للعصاة.

القصة الثالثة: قصة إبراهيم عليه السلام.

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٤١ الى ٤٥]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٤٠/٢١

واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤١) إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (٤٢) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٤) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٥)

اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبودا سوى الله تعالى، وهؤلاء فريقان: منهم من أثبت معبودا غير الله حيا عاقلا فاهما وهم النصارى، ومنهم من أثبت معبودا غير الله جمادا ليس بحي ولا عاقل ولا فاهم وهم عبدة الأوثان والفريقان وإن اشتركا في الضلال إلا أن ضلال الفريق الثاني أعظم فلما بين تعالى ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الأوثان فقال: واذكر في الكتاب والواو في قوله تعالى واذكر عطف على قوله: ذكر رحمت ربك عبده زكريا [مريم: ٢] كأنه لما انتهت قصة عيسى وزكريا عليهما السلام قال قد ذكرت حال زكريا فاذكر حال إبراهيم وإنما أمر بذكره لأنه عليه السلام ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلدته مشتغلين بالعلم ومطالعة الكتب فإذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك إخبارا عن الغيب ومعجزا قاهرا دالا على نبوته. وإنما شرع." (١)

"عليه، وقال تعالى: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء [الأحقاف: ٢٦] فجعل هذه الثلاثة تمام ما ألزمهم من حجته، والمقصود من ذلك هو الفؤاد القاضي فيما يؤدي إليه السمع والبصر وخامسها: قوله تعالى: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم [البقرة: ٧] فجعل العذاب لازما على هذه الثلاثة وقال: لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها [الأعراف: ١٧٩] وجه الدلالة أنه قصد إلى نفي العلم عنهم رأسا، فلو ثبت العلم في غير القلب كثباته في القلب لم يتم الغرض فهذه الآيات ومشاكلها ناطقة بأجمعها أن القلب هو المقصود بإلزام الحجة، وقد بينا أن ما قرن بذكره من ذكر السمع والبصر فذلك لأنهما آلتان للقلب في تأدية صور المحسوسات والمسموعات.

وأما الحديث فما

روى النعمان بن بشير قال سمعته عليه السلام يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة/ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١/٥٤١

وأما المعقول فوجوه: أحدها: أن القلب إذا غشي عليه فلو قطع سائر الأعضاء لم يحصل الشعور به وإذا أفاق القلب فإنه يشعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات فدل ذلك على أن سائر الأعراض النفسانية وثانيها: أن القلب **إذا فرح أو** حزن فإنه بتغير حال الأعضاء عند ذلك، وكذا القول في سائر الأعراض النفسانية وثانيها: أن القلب منبع المشاق الباعثة على الأفعال الصادرة من سائر الأعضاء وإذا كانت المشاق مبادئ للأفعال ومنبعها هو القلب كان الآمر المطلق هو القلب وثالثها: أن معدن العقل هو القلب وإذا كان كذلك كان الآمر المطلق هو القلب.

أما المقدمة الأولى: ففيها النزاع فإن طائفة من القدماء ذهبوا إلى أن معدن العقل هو الدماغ والذي يدل على قولنا وجوه: الأول: قوله تعالى: أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها [الحج: ٤٦] وقوله: لهم قلوب لا يفقهون بها [الأعراف: ١٧٩] وقوله: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب [ق: ٣٧] أي عقل، أطلق عليه اسم القلب لما أنه معدنه الثاني: أنه تعالى أضاف أضداد العلم إلى القلب، وقال:

في قلوبهم مرض [البقرة: ١٠] ، ختم الله على قلوبهم [البقرة: ٧] وقولهم: قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم [النساء: ١٥٥] ، يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم [التوبة: ٦٤] ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم [الفتح: ١١] ، كلا بل ران على قلوبهم [المطففين: ١٤] ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها [محمد: ٢٤] ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور [الحج: ٤٦] فدلت هذه الآيات على أن موضع الجهل والغفلة هو القلب فوجب أن يكون موضع العقل والفهم أيضا هو القلب الثالث: وهو أنا إذا جربنا أنفسنا وجدنا علومنا حاصلة في ناحية القلب، ولذلك فإن الواحد منا إذا أمعن في الفكر وأكثر منه أحس من قلبه ضيقا وضجرا حتى كأنه يتألم بذلك، وكل ذلك يدل على أن موضع العقل هو القلب، وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون المكلف هو القلب لأن التكليف مشروط بالعقل والفهم الرابع: وهو أن القلب أول الأعضاء تكونا، وآخرها موتا، وقد ثبت ذلك بالتشريح ولأنه متمكن في الصدر الذي هو أوسط الجسد، ومن شأن الملوك المحتاجين إلى الخدم أن يكونوا في وسط المملكة لتكتنفهم الحواشي من الجوانب فيكونوا أبعد من الآفات، واحتج من قال العقل في الدماغ بأمور: أحدها: أن الحواس التي هي الآلات للإدراك نافذة إلى الدماغ دون القلب وثانيها: أن الأعصاب التي هي الآلات في الحركات." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣١/٢٤

"حين فتحت التابوت رأت النور، ولأنها لما فتحت التابوت رأته يمتص إصبعه، ولأن ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال برصها ويقال ما كان لها ولد فأحبته،

قال ابن عباس لما قالت: قرت عين لي ولك فقال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه، فقال عليه السلام «والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت لهداه الله تعالى كما هداها»

قال صاحب «الكشاف» قرت عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن يجعل مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى، وقراءة ابن مسعود دليل على أنه خبر، قرأ لا تقتلوه قرت عين لي ولك، وذلك لتقديم لا تقتلوه، ثم قالت المرأة عسى أن ينفعنا فنصيب/ منه خيرا أو نتخذه ولدا لأنه أهل للتبني.

أما قوله: وهم لا يشعرون فأكثر المفسرين على أنه ابتداء كلام من الله تعالى أي لا يشعرون أن هلاكهم بسببه وعلى يده، وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل، وقال ابن عباس يريد لا يشعرون إلى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام. وقال آخرون هذا من تمام كلام المرأة أي لا يشعر بنو إسرائيل وأهل مصر أنا التقطناه، وهذا قول الكلبي.

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٠ الى ١١]

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١)

ذكروا في قوله: فؤاد أم موسى فارغا وجوها: أحدها: قال الحسن فارغا من كل هم إلا من هم موسى عليه السلام وثانيها: قال أبو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والإشفاق كقوله: وأفئدتهم هواء [إبراهيم: ٤٣] ، وثالثها: قال صاحب «الكشاف» فارغا صفرا من العقل، والمعنى إنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف ورابعها: قال الحسن ومحمد بن إسحاق فارغا من الوحي الذي أوحينا إليها أن ألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك فجاءها الشيطان فقال لها كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر فتوليت إهلاكه، ولما أتاها خبر موسى عليه السلام أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها، وخامسها: قال أبو عبيدة: فارغا من الحزن لعلمها بأنه لا يقتل اعتمادا على تكفل الله بمصلحته قال ابن قتيبة: وهذا من العجائب كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن والله تعالى يقول: لولا أن ربطنا على قلبها وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون، ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يمتنع أنها لشدة ثقتها بوعد الله لم تخف عند إظهار اسمه، وأيقنت أنها وإن أظهرت فإنه يسلم لأجل ذلك الوعد إلا أنه كان في المعلوم أن الإظهار يضر فربط الله على قلبها، ويحتمل قوله: إن كادت لتبدي

به لولا أن ربطنا على قلبها بالوحي فأمنت وزال عن قلبها الحزن، فعلى هذا الوجه يصح أن يتأول على أن قلبها سلم من الحزن على موسى أصلا، وفيه وجه ثالث: وهو أنها سمعت أن امرأة فرعون عطفت عليه وتبنته إن كادت لتبدي به بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا بما سمعت، لولا أن سكنا ما بها من **شدة الفرح والابتهاج** لتكون من المؤمنين الواثقين/ بوعد الله تعالى لا يتبنى امرأة فرعون اللعين وبعطفها، وقرئ (قرعا) أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم: دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها من شدة ما ورد عليها.." (١)

"اعلم أن الناس اختلفوا في قوله: ولما توجه تلقاء مدين فقال بعضهم إنه خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه إلى الله تعالى وأخذ يمشي من غير معرفة فأوصله الله تعالى إلى مدين، وهذا قول ابن عباس، وقال آخرون لما خرج قصد مدين لأنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأنهم من ولد مدين بن إبراهيم عليه السلام، وهو كان من بني إسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى، ومن الناس من قال بل جاءه جبريل عليه السلام، وعلمه الطريق

وذكر ابن جرير عن السدي لما أخذ موسى عليه السلام في المسير جاءه ملك على فرس فسجد له موسى من الفرح، فقال لا تفعل واتبعني فاتبعه نحو مدين،

واحتج من قال إنه خرج وما قصد مدين بأمرين: أحدهما: قوله: ولما توجه تلقاء مدين ولو كان قاصدا للذهاب إلى مدين لقال، ولما توجه إلى مدين فلما لم يقل ذلك بل قال: توجه تلقاء مدين علمنا أنه لم يتوجه إلا إلى ذلك الجانب من غير أن يعلم أن ذلك الجانب إلى أين ينتهي والثاني: قوله: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل وهذا كلام شاك لا عالم والأقرب أن يقال إنه قصد الذهاب إلى مدين وما كان عالما بالطريق. ثم إنه كان يسأل الناس عن كيفية الطريق لأنه يبعد من موسى عليه السلام في عقله وذكائه أن لا يسأل، ثم قال ابن إسحاق خرج من مصر إلى مدين بغير زاد ولا ظهر، وبينهما مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر.

أما قوله: عسى ربي أن يهديني سواء السبيل فهو نظير قول جده إبراهيم عليه السلام: إني ذاهب إلى ربي سيهدين [الصافات: ٩٩] وموسى عليه السلام قلما يذكر كلاما في الاستدلال والجواب والدعاء والتضرع إلا ما ذكره إبراهيم عليه السلام، وهكذا الخلف الصدق للسلف الصالح صلوات الله عليهم وعلى جميع الطيبين المطهرين ولما ورد ماء مدين وهو الماء الذي يسقون منه وكان بئرا فيما روي وروده مجيئه والوصول

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤/٥٨١

إلي، وجد عليه أي فوق شفيره ومستقاه أمة جماعة كثيرة العدد من الناس من أناس مختلفين ووجد من دونهم في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تذودان والذود الدفع والطرد فقوله (تذودان) أي تحبسان ثم فيه أقوال: الأول: تحبسان أغنامهما واختلفوا في علة ذلك الحبس على وجوه: أحدها: قال الزجاج لأن على الماء من كان أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وثانيها: كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وثالثها: لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم ورابعها: لئلا تختلطا بالرجال القول الثاني: كانتا تذودان عن وجوههما نظرا الناظر ليراهما والقول الثالث: تذودان الناس عن غنمهما القول الرابع: قال الفراء تحبسانها عن أن تتفرق وتتسرب قال ما خطبكما أي ما شأنكما وحقيقته ما مخطوبكما أي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما يسمى المشئون شأنا في قولك ما شأنك فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير وذلك." (١)

"سورة الروم

ستون آية مكية [إلا آية ١٧ فمدنية، نزلت بعد الانشقاق] بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الروم (٣٠) : الآيات ١ الى ٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤)

الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين.

وجه تعلق أول هذه السورة بما قبلها يتبين منه سبب النزول، فنقول لما قال الله تعالى في السورة المتقدمة ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن [العنكبوت: ٤٦] وكان يجادل المشركين بنسبتهم إلى عدم العقل كما في قوله: صم بكم عمي فهم لا يعقلون [البقرة: ١٧١] وكان أهل الكتاب يوافقون النبي في الإله كما قال: وإلهنا وإلهكم واحد [العنكبوت: ٤٦] وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مؤمنين به كما قال: فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به [العنكبوت: ٤٧] أي أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الأمور، فلما وقعت الكرة عليهم حين قاتلهم الفرس **المجوس فرح المشركون** بذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآيات لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق، بل الله تعالى قد يريد

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٨٨/٢٤

مزيد ثواب في المحب فيبتليه ويسلط عليه الأعادي، وقد يختار تعجيل العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قبل يوم الميعاد للمعادي، وفي الآية مسائل:

الأولى: ما الحكمة في افتتاح هذه السورة بحروف التهجي؟ فنقول قد سبق منا أن كل سورة افتتحت بحروف التهجي فإن في أوائلها ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن كما في قوله تعالى: الم ذلك الكتاب [البقرة: ١، ٢] المص كتاب [الأعراف: ١، ٢] ، طه ما أنزلنا عليك القرآن [طه: ١، ٢] ، الم تنزيل الكتاب [السجدة: ١، ٢] حم تنزيل من الرحمن الرحيم [فصلت: ١، ٢] يس والقرآن [يس: ١، ٢] ، ص والقرآن [ص: ١، ٢] إلا هذه السورة وسورتين أخريين ذكرناهما في العنكبوت وقد ذكرنا ما الحكمة فيهما في موضعهما فنقول ما يتعلق بهذه السور وهو أن السورة التي في أوائلها التنزيل والكتاب والقرآن في أوائلها ذكر ما هو معجزة فقدمت عليها الحروف على ما تقدم بيانه في العنكبوت." (١)

"وهذه ذكر في أولها ما هو معجزة وهو الإخبار عن الغيب، فقدمت الحروف التي لا يعلم معناها ليتنبه السامع فيقبل بقلبه على الاستماع، ثم ترد عليه المعجزة وتقرع الأسماع.

المسألة الثانية: قوله تعالى: في أدنى الأرض أي أرض العرب، لأن الألف واللام/ للتعريف والمعهود عندهم أرضهم وقوله تعالى: وهم من بعد غلبهم أية فائدة في ذكره مع أن قوله: سيغلبون بعد قوله: غلبت الروم لا يكون إلا من بعد الغلبة؟ فنقول الفائدة فيه إظهار القدرة وبيان أن ذلك بأمر الله لأن من غلب بعد غلبه لا يكون إلا ضعيفا، فلو كان غلبتهم لشوكتهم لكان الواجب أن يغلبوا قبل غلبهم فإذا غلبوا بعد ما غلبوا، دل على أن ذلك بأمر الله، فذكر من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا أنه ليس بزحفهم، وإنما ذلك بأمر الله تعالى وقوله: في أدنى الأرض لبيان شدة ضعفهم، أي انتهى ضعفهم إلى أن وصل عدوهم إلى طريق الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم غلبوا حتى وصلوا إلى المدائن وبنوا هناك الرومية لبيان أن هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم بإذن الله.

المسألة الثالثة: قال تعالى: في بضع سنين قيل هي ما بين الثلاثة والعشرة، أبهم الوقت مع أن المعجزة في تعيين الوقت أتم فنقول السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة عند الله تعالى وبينها لنبيه وما أذن له في إظهارها لأن الكفار كانوا معاندين والأمور التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لا يمكن إنكارها لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن من أن يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في كلامه ولما وردت الآية ذكر أبو بكر رضي الله عنه أن الروم ستغلب وأنكره أبي بن خلف وغيره،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٩/٢٥

وناحبوا أبا بكر أي خاطروه على عشرة قلائص إلى ثلاث سنين فقال عليه السلام لأبي بكر البضع ما بين الثلاثة والعشرة فزايده في الإبل وماده في الأجل فجعلا القلائص مائة والأجل سبعا، وهذا يدل على علم النبي عليه السلام بوقت الغلبة.

[قوله تعالى: لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون] .

ثم قال تعالى: لله الأمر من قبل ومن بعد أي من قبل الغلبة ومن بعدها أو من قبل هذه المدة ومن بعدها، يعني إن أراد غلبهم غلبهم قبل بضع سنين وإن أراد غلبهم غلبهم بعدها، وما قدر هذه المدة لعجز وإنما هي إرادة نافذة، وبنيا على الضم لما قطعا عن الإضافة لأن غير الضمة من الفتحة والكسرة يشتبه بما يدخل عليهما وهو النصب والجر، أما النصب ففي قولك جئت قبله أو بعده، وأما الجر ففي قولك من قبله ومن بعده فنيا على الضم لعدم دخول مثلهما عليه في الإعراب وهو الرفع ويومئذ يفرح المؤمنون قيل يفرحون بغلبة الروم على الفرس كما فرح المشركون بغلبة الفرس على الروم، والأصح أنهم يفرحون بغلبتهم المشركين وذلك لأن غلبة الروم كانت يوم غلبة المسلمين المشركين ببدر، ولو كان المراد ما ذكروه لما صح لأن في ذلك اليوم بعينه لم يصل إليهم خبر الكسر فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده. / ثم قال تعالى:

[سورة الروم (٣٠) : الآيات ٥ الى ٧]

بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦) يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (٧)." [١]

"للشقاوة ومن كتب شقيا لا يسعد، وقيل: لا تبديل لخلق الله أي الوحدانية مترسخة فيهم لا تغير لها حتى إن سألتهم من خلق السموات والأرض يقولون الله، لكن الإيمان الفطري غير كاف. ويحتمل أن يقال خلق الله الخلق لعبادته وهم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله أي ليس كونهم عبيدا مثل كون المملوك عبدا لإنسان فإنه ينتقل عنه إلى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق بل لا خروج للخلق عن العبادة والعبودية، وهذا لبيان فساد قول من يقول العبادة لتحصيل الكمال والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف، وقول المشركين: إن الناقص لا يصلح لعبادة الله، وإنما الإنسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله، وقول النصارى إن عيسى كان يحل الله فيه وصار إلها فقال: لا تبديل لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك.

ثم قال تعالى: ذلك الدين القيم الذي لا عوج فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك هو الدين المستقيم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٠/٢٥

[سورة الروم (٣٠) : الآيات ٣١ الى ٣٢]

منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين (٣١) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون (٣٢)

لما قال حنيفا أي مائلا عن غيره قال: منيبين إليه أي مقبلين عليه، والخطاب في قوله: فأقم وجهك مع النبي والمراد جميع المؤمنين، وقوله: واتقوه يعني إذا أقبلتم عليه وتركتم الدنيا فلا تأمنوا فتتركوا عبادته بل خافوه وداوموا على العبادة وأقيموا الصلاة أي كونوا عابدين عند حصول القربة كما قلتم قبل ذلك، ثم إنه تعالى قال: ولا تكونوا من المشركين قال المفسرون يعني ولا تشركوا بعد الإيمان أي ولا تقصدوا بذلك غير الله، وهاهنا وجه آخر وهو أن الله بقوله: منيبين أثبت التوحيد الذي هو مخرج عن الإشراك الظاهر وبقوله: ولا تكونوا من المشركين أراد إخراج العبد عن الشرك الخفي أي لا تقصدوا بعملكم إلا وجه الله ولا تطلبوا به إلا رضاء الله فإن الدنيا والآخرة تحصيل وإن لم تطلبوها إذا حصل رضا الله وعلى هذا فقوله: من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني لم يجتمعوا على الإسلام، وذهب كل أحد إلى مذهب، ويحتمل أن يقال وكانوا شيعا يعني بعضهم عبد الله للدنيا وبعضهم للجنة وبعضهم/ للخلاص من النار، وكل واحد بما في نظره فرح، وأما المخلص فلا يفرح بما يكون لديه، وإنما يكون فرحه بأن يحصل عند الله ويقف بين يديه وذلك لأن كل ما لدينا نافد لقوله تعالى: ما عندكم ينفد وما عند الله باق [النحل: ٩٦] فلا مطلوب لكم فيما لديكم حتى تفرحوا به وإنما المطلوب ما لدى الله **وبه الفرح كما** قال تعالى: بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله [آل عمران: ١٦٩- ١٧٠] جعلهم فرحين بكونهم عند ربهم وبكون ما أوتوا من فضله الذي لا نفاد له، ولذلك قال تعالى: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا [يونس: ٥٨] لا بما عندهم فإن كل ما عند العبد فهو نافد، أما في الدنيا فظاهر، وأما في الآخرة فلأن ما وصل إلى العبد من الالتذاذ بالمأكول والمشروب فهو يزول، ولكن الله يجدد له مثله إلى الأبد من فضله الذي لا نفاد له فالذي لا نفاد له هو فضله. ثم قال تعالى:

[سورة الروم (٣٠) : آية ٣٣]

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون (٣٣)." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩٩/٢٥

"ثم قال تعالى: أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون لما سبق قوله تعالى: بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم [الروم: ٢٩] أي المشركون يقولون ما لا علم لهم به بل هم عالمون بخلافه فإنهم وقت الضر يرجعون إلى الله حقق ذلك بالاستفهام بمعنى الإنكار، أي ما أنزلنا بما يقولون سلطانا، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أم للاستفهام ولا يقع إلا متوسطا، كما قال قائلهم:

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا ءاأنت أم أم سالم

فما الاستفهام الذي قبله؟ فنقول تقديره إذا ظهرت هذه الحجج على عنادهم فماذا نقول، أهم يتبعون الأهواء من غير علم؟ أم لهم دليل على ما يقولون؟ وليس الثاني فيتعين الأول.

المسألة الثانية: قوله: فهو يتكلم مجاز كما يقال إن كتابه لينطق بكذا، وفيه معنى لطيف/ وهو أن المتكلم من غير دليل كأنه لا كلام له، لأن الكلام هو المسموع وما لا يقبل فكأنه لم يسمع فكأن المتكلم لم يتكلم به، وما لا دليل عليه لا يقبل، فإذا جاز سلب الكلام عن المتكلم عند عدم الدليل وحسن جاز إثبات التكلم للدليل وحسن. ثم قال تعالى:

[سورة الروم (٣٠) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون (٣٦) أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٣٧)

قوله تعالى: وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها لما بين حال المشرك الظاهر شركه بين حال المشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته الله للدنيا، فإذا آتاه رضي وإذا منعه سخط وقنط ولا ينبغي أن يكون العبد كذلك، بل ينبغي أن يعبد الله في الشدة والرخاء، فمن الناس من يعبد الله في الشدة كما قال تعالى: وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم [الروم: ٣٣] ومن الناس من يعبده إذا آتاه نعمة كما قال تعالى: وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها والأول كالذي يخدم مكرها مخافة العذاب والثاني كالذي يخدم أجيرا لتوقع الأجر وكلاهما لا يكون من المثبتين في ديوان المرتبين في الجرائد الذين يأخذون رزقهم سواء كان هناك شغل أو لم يكن، فكذلك القسمان لا يكونان من المؤمنين الذين لهم رزق عند ربهم، وفيه مسألة: وهي أن قوله تعالى: فرحوا بها إشارة إلى دنو همتهم وقصور نظرهم فإن فرحهم يكون بما وصل إليهم لا بما وصل منه إليهم، فإن قال قائل الفرح بالرحمة مأمور به في قوله تعالى: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا [يونس: ٥٨] وهاهنا

ذمهم **على الفرح بالرحمة**، فكيف ذلك؟ فنقول هناك قال: فرحوا برحمة الله من حيث إنها مضافة إلى الله تعالى وهاهنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم بما إذا كان من الله، وهو كما أن الملك لو حط عند أمير رغيفا على السماط أو أمر الغلمان بأن يحطوا عنده زبدية طعام يفرح ذلك الأمير به، ولو أعطى الملك فقيرا غير ملتفت إليه رغيفا أو زبدية طعام أيضا يفرح **لكن فرح الأمير** بكون ذلك من الملك وفرح الفقير بكون ذلك رغيفا وزبدية.

ثم قال تعالى: وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم لم يذكر عند النعمة سببا لها لتفضله بها وذكر عند العذاب سببا لأن الأول يزيد في الإحسان والثاني يحقق العدل. قوله إذا هم يقنطون إذا للمفاجأة أي لا يصبرون على ذلك قليلا لعل الله يفرج عنهم وإنه يذكرهم به.." (١)

"ثم قال تعالى: أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. أي لم يعلموا أن الكل من الله فالمحقق ينبغي أن لا يكون نظره على ما يوجد بل إلى من يوجد وهو الله، فلا يكون له تبدل حال، وإنما يكون **عنده الفرح الدائم**، ولكن ذلك مرتبة المؤمن الموحد المحقق، ولذلك قال: إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. ثم قال تعالى:

[سورة الروم (٣٠) : آية ٣٨]

فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٣٨)

وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن الله تعالى لما بين أن العبادة لا ينبغي أن تكون مقصورة على حالة الشدة بقوله: وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم [الروم: ٣٣] ولا أن تكون مقصورة على حالة أخذ شيء من الدنيا كما هو عادة المدوكر المتسلس «١» يعبد الله إذا كان في الخوانق والرباطات للرغيف والزبدية وإذا خلا بنفسه لا يذكر الله، بقوله: وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وبين أنه ينبغي أن يكون، في حالة بسط الرزق وقدره عليه، نظره على الله الخالق الرازق ليحصل الإرشاد إلى تعظيم الله والإيمان قسمان تعظيم لأمر الله وشفقة على خلق الله فقال بعد ذلك فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل، وفيه وجه آخر هو أن الله تعالى لما بين أن الله يبسط الرزق ويقدر، فلا ينبغي أن يتوقف الإنسان في الإحسان فإن الله إذا بسط الرزق لا ينقص بالإنفاق، وإذا قدر لا يزداد بالإمساك، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في تخصيص الأقسام الثلاثة بالذكر دون غيرهم مع أن الله ذكر الأصناف الثمانية في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠١/٢٥

الصدقات فنقول أراد هاهنا بيان من يجب الإحسان إليه على كل من له مال سواء كان زكويا أو لم يكن، وسواء كان بعد الحول أو قبله لأن المقصود هاهنا الشفقة العامة، وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم وإن لم يكن للمحسن مال زائد، أما القريب فتجب نفقته وإن كان لم تجب عليه زكاة كعقار أو مال لم يحل عليه الحول والمسكين كذلك فإن من لا شيء له إذا بقي في ورطة الحاجة حتى بلغ الشدة يجب على من له مقدرة دفع حاجته، وإن لم يكن عليه زكاة، وكذلك من انقطع في مفازة ومع آخر دابة يمكنه بها إيصاله إلى مأمن يلزمه ذلك، وإن لم تكن عليه زكاة والفقير داخل في المسكين لأن من أوصى للمساكين شيئا يصرف إلى الفقراء أيضا، وإذا نظرت إلى الباقين من الأصناف رأيتهم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وجبت الزكاة عليهم/ واعتبر ذلك في العامل والمكاتب والمؤلفة والمديون، ثم اعلم أن على مذهب أبي حنيفة رحمه الله حيث قال: المسكين من له شيء ما فنقول، وإن كان الأمر كذلك لكن لا نزاع في أن إطلاق المسكين على من لا شيء له جائز فيكون الإطلاق هاهنا بذلك الوجه، والفقير يدخل في ذلك بالطريق الأولى.

المسألة الثانية: في تقدم البعض على البعض فنقول لما كان دفع حاجة القريب واجبا سواء كان في شدة ومخمصة، أو لم يكن كان مقدما على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة إلا إذا كان في شدة، ولما كان

---

(١) المدوكر المتسلس: لعله اسم لطائفة من بني ساسان وهم المكدون والمتسولون، يعبدون الله رياء وسمعة والخوانق أو الخوانيق جمع خانقاه كلمة أعجمية وهي مكان للعبادات وأما الرباطات فهي جمع رباط وهو المكان يجتمع فيه المجاهدون في سبيل الله على الثغور الإسلامية للحماية على الثغور.." (١)

"وقوله: إن شاء ذلك فيمنعهم من الإيمان/ أو يتوب عليهم إن أراد، وإنما قال ذلك حيث لم يكن قد حصل يأس النبي عليه الصلاة والسلام عن إيمانهم وآمن بعد ذلك ناس منهم وقوله: إن الله كان غفورا حيث ستر ذنوبهم ورحيما حيث رحمهم ورزقهم الإيمان فيكون هذا فيمن آمن بعده أو نقول: ويعذب المنافقين مع أنه كان غفورا رحيما لكثرة ذنبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفر لهم ثم بين بعض ما جازاهم الله به على صدقهم فقال: ورد الله الذين كفروا بغيظهم أي مع غيظهم لم يشفوا صدرا ولم يحققوا أمرا وكفى الله المؤمنين القتال أي لم يحوجهم إلى قتال وكان الله قويا غير محتاج إلى قتالهم عزيزا قادرا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٢/٢٥

على استئصال الكفار وإذلالهم ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٢٦]

وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦)

أي عاونوهم من أهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من قلاعهم وقذف في قلوبهم الرعب حتى سلموا أنفسهم للقتل وأولادهم ونسائهم للسبي فريقا تقتلون وهم الرجال، وتأسرون فريقا وهم الصبيان والنسوان، فإن قيل هل في تقديم المفعول حيث قال فريقا تقتلون وتأخيره حيث قال: وتأسرون فريقا فائدة؟ قلت قد أجبنا أن ما من شيء من القرآن إلا وله فوائد منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر، والذي يظهر من هذا والله أعلم أن القائل يبدأ بالأهم فالأهم والأعرف فالأعرف والأقرب فالأقرب، والرجال كانوا مشهورين فكان القتل واردا عليهم والأسرى كانوا هم النساء والصغار ولم يكونوا مشهورين والسبي والأسر أظهر من القتل لأنه يبقى فيظهر لكل أحد أنه أسير فقدم من المحلين ما هو أشهر على الفعل القائم به وما هو أشهر من الفعلين قدمه على المحل الأخفى، وإن شئنا نقول بعبارة توافق المسائل النحوية فنقول قوله: فريقا تقتلون فعل ومفعول والأصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل، أما أنها جملة فعلية فلأنها لو كانت اسمية لكان الواجب في فريق الرفع وكان يقول فريق منهم تقتلونهم فلما نصب كان ذلك بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره تقتلون فريقا تقتلون والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول، وهاهنا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وأنه قذف في قلوبهم الرعب فلو قال تقتلون إلى أن يسمع السامع مفعول تقتلون يكون زمان وقد يمنعه مانع فيفوته فلا يعلم أنهم هم المقتولون، فأما إذا قال فريقا مع سبق في قلوبهم الرعب إلى سمعه يستمع إلى تمام الكلام وإذا كان الأول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية عليها على/ الأصل فعدم تقديم الفعل لزوال موجب التقديم إذا عرف حالهم وما يجيء بعده يكون مصروفا إليهم، ولو قال بعد ذلك وفريقا تأسرون فمن سمع فريقا ربما يظن أن يقال فيهم يطلقون، أو لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل هاهنا أولى، وكذلك الكلام في قوله: وأنزل الذين ظاهروهم وقوله: وقذف فإن قذف الرعب قبل الإنزال لأن الرعب صار سبب الإنزال، ولكن لما كان الفرح في إنزالهم أكثر، قدم الإنزال على قذف الرعب والله أعلم. ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٢٧]

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا (٢٧)
فيه ترتيب على ما كان، فإن المؤمنين أولا تملكوا أرضهم بالنزول فيها والاستيلاء عليها ثم تملكوا ديارهم." (١)

"للمصدر وهم قوم سجود في جمع ساجد، تظن أنهما كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك، بل السجود عند كونه مصدرا حركته أصلية إذا قلنا إن الفعل مشتق من المصدر/ وحركة السجود عند كونه للجمع حركة متغيرة من حيث إن الجمع يشتق من الواحد، وينبغي أن يلحق المشتق تغيير في حركة أو حرف أو في مجموعهما، فساجد لما أردنا أن يشتق منه لفظ جمع غيرناه، وجئنا بلفظ السجود، فإذا السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الألفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين، إذا عرفت هذا فنقول الفلك عند كونه واحدا مثل قفل وبرد، وعند كونها جمعا مثل خشب ومرد وغيرهما، فإن قلت فإذا جعلته جمعا ماذا يكون واحدا مثل قفل وبرد، وعند كونها جمعا مثل خشب ومرد وغيرهما، فإن قلت فإذا جعلته جمعا ماذا يكون واحدها؟ نقول جاز أن يكون واحدها فلكة أو غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء حيث لم يستعمل، وكذا القول في: إمام مبين [يس: ١٢] وفي قوله: ندعوا كل أناس «١» بإمامهم [الإسراء: ٧١] أي بأئمتهم عند قوله تعالى: إمام مبين إمام كزمام وكتاب وعند قوله تعالى: كل أناس «٢» بإمامهم إمام كسهام وكرام وجعاب وهذا من دقيق التصريف وأما المعنوية: فنذكرها في مسائل:
المسألة الأولى: قال هاهنا: حملنا ذريتهم من عليهم بحمل ذريتهم، وقال تعالى: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية [الحاقة: ١١] من هناك عليهم بحمل أنفسهم، نقول لأن من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير، ومن يدفع الضرر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضرر عن ذلك الغير، بل يكون قد نفعه مثاله من أحسن إلى ولد إنسان **وفرحه فرح بفرحه** أبوه، وإذا دفع واحد الألم عن ولد إنسان يكون **قد فرح أباه** ولا يكون في الحقيقة قد أزال الألم عن أبيه، فعند طغيان الماء كان الضرر يلحقهم فقال دفعت عنكم الضرر، ولو قال دفعت عن أولادكم الضرر لما حصل بيان دفع الضرر عنهم، وهاهنا أراد بيان المنافع فقال: حملنا ذريتهم لأن النفع حاصل بنفع الذرية ويدلك على هذا أن هاهنا قال: في الفلك المشحون فإن امتلاء الفلك من الأموال يحصل بذكره بيان المنفعة، وأما دفع المضرة فلا، لأن الفلك كلما كان أثقل كان الخلاص به أبطأ وهنالك السلامة، فاختار هنالك ما يدل على الخلاص من الضرر وهو الجري، وهاهنا ما يدل على كمال المنفعة وهو الشحن، فإن قيل قال تعالى: وحملناهم في البر والبحر [الإسراء: ٧٠] ولم يقل: وحملنا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٤/٢٥

ذريتهم مع أن المقصود في الموضعين بيان النعمة، لا دفع النقمة، نقول لما قال: في البر والبحر عم الخلق، لأن ما من أحد إلا وحمل في البر أو البحر، وأما الحمل في البحر فلم يعم، فقال إن كنا ما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهمكم أمره من الأولاد والأقارب والإخوان والأصدقاء.

المسألة الثانية: قوله: المشحون يفيد فائدة أخرى غير ما ذكرنا وهي أن الآدمي يرسب في الماء ويغرق، فحمله في الفلك واقع بقدرته، لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب في الماء، لأن الخفيف يطلب جهة فوق فقال: الفلك المشحون أثقل من الثقال التي ترسب، ومع هذا حمل الله الإنسان فيه مع ثقله، فإن قالوا ذلك لامتناع الخلاء نقول قد ذكرنا الدلائل الدالة على جواز الخلاء في الكتب العقلية، فإذن ليس حفظ الثقيل فوق الماء إلا بإرادة الله.

المسألة الثالثة: قال تعالى: وآية لهم الأرض [يس: ٣٣] وقال: وآية لهم الليل [يس: ٣٧] ولم يقل

---

(١) من عجب أن نسخة المطبعة الأميرية رسم فيها «أناث» هكذا بالثاء في الموضعين وهو تحريف ظاهر وخطأ في القرآن.

(٢) نفس المصدر. [.....]."[١]

"وقال الأخفش إنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب بها كأنك قلت ولات حين مناص لهم ويرتفع بالابتداء أي ولات حين مناص كائن لهم.

البحث الثاني: الجمهور يقفون على التاء من قوله: ولات والكسائي يقف عليها بالهاء كما يقف على الأسماء المؤنثة، قال صاحب «الكشاف» : وأما قول أبي عبيدة التاء داخلة على الحين فلا وجه له، واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين في مصحف عثمان فضعيف فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط.

البحث الثالث: المناص المنجا والغوث، يقال ناصه ينوصه إذا أغاثه، واستناص طلب المناص، والله أعلم.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٤ الى ٧]

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (٤) أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب (٥) وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (٦) ما سمعنا بهذا في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٨٤/٢٦

الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧)

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق أردفه بشرح كلماتهم الفاسدة فقال وعجبوا أن جاءهم منذر منهم في قوله: منهم وجهان الأول: أنهم قالوا إن محمدا مساو لنا في الخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة، فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والدرجات الرفيعة والثاني: أن الغرض من هذه الكلمة التنبيه على كمال/ جهالتهم، وذلك لأنه جاءهم رجل يدعوهم إلى التوحيد وتعظيم الملائكة والترغيب في الآخرة، والتنفير عن الدنيا، ثم إن هذا الرجل من أقاربهم يعلمون أنه كان بعيدا من الكذب والتهمة، وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه، ثم إن هؤلاء الأقوام لحماقتهم يتعجبون من قوله، ونظيره قوله: أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون [المؤمنون: ٦٩] فقال: وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ومعناه أن محمدا كان من رهطهم وعشيرتهم وكان مساويا لهم في الأسباب الدنيوية فاستنكفوا من الدخول تحت طاعته ومن الانقياد لتكاليفه، وعجبوا أن يختص هو من بينهم برسالة الله وأن يتميز عنهم بهذه الخاصية الشريفة، وبالجملة فما كان لهذا التعجب سبب إلا الحسد.

ثم قال تعالى: وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وإنما لم يقل وقالوا بل قال: وقال الكافرون إظهارا للتعجب ودلالة على أن هذا القول لا يصدر إلا عن الكفر التام، فإن الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو إلى طاعة الشيطان وهو عندكم بالعكس من ذلك والكذاب هو الذي يخبر عن الشيء لا على ما هو عليه وهو يخبر عن وجود الصانع القديم الحكيم العليم وعن الحشر والنشر وسائر الأشياء التي تثبت بدلائل العقول صحتها فكيف يكون كذابا، ثم إنه تعالى حكى جميع ما عولوا عليه في إثبات كونه كاذبا وهي ثلاثة أشياء أحدها: ما يتعلق بالإلهيات وثانيها: ما يتعلق بالنبوات وثالثها: ما يتعلق بالمعاد، أما الشبهة المتعلقة بالإلهيات فهي قولهم أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب

روي أنه لما أسلم **عمر فرح به** المسلمون فرحا شديدا وشق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يعنون المسلمين فجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك." (١)

"الصفة الثانية: من صفات القرآن قوله تعالى كتابا متشابها أما الكتاب فقد فسرناه في قوله تعالى: ذلك الكتاب لا ريب فيه [البقرة: ٢] وأما كونه متشابها فاعلم أن هذه الآية تدل على أن القرآن كله متشابه.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٦٧/٢٦

وقوله: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات [آل عمران: ٧] يدل على كون البعض متشابها دون البعض. وأما كونه كله متشابها كما في هذه الآية، فقال ابن عباس: معناه أنه يشبه بعضه بعضا، وأقول هذا التشابه يحصل في أمور أحدها: أن الكاتب البليغ إذا كتب كتابا طويلا، فإنه يكون بعض كلماته فصيحا، ويكون البعض غير فصيح، والقرآن يخالف ذلك فإنه فصيح كامل الفصاحة بجميع أجزائه وثانيها: أن الفصيح إذا كتب كتابا في واقعة بألفاظ فصيحة فلو كتب كتابا آخر في غير تلك الواقعة كان الغالب أن كلامه في الكتاب الثاني غير كلامه في الكتاب الأول، والله تعالى حكى قصة موسى عليه السلام في مواضع كثيرة من القرآن وكلها متساوية متشابهة في الفصاحة وثالثها: أن كل ما فيه من الآيات والبيانات فإنه يقوي بعضها بعضا ويؤكد بعضها بعضا ورابعها: أن هذه الأنواع الكثيرة من العلوم التي عددناها متشابهة متشاركة في أن المقصود منها بأسرها الدعوة إلى/ الدين وتقرير عظمة الله، ولذلك فإنك لا ترى قصة من القصص إلا ويكون محصلها المقصود الذي ذكرناه، فهذا هو المراد من كونه متشابها، والله الهادي.

الصفة الثالثة: من صفات القرآن كونه مثاني وقد بالغنا في تفسير هذه اللفظة عند قوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني [الحجر: ٨٧] وبالجملة فأكثر الأشياء المذكورة وقعت زوجين زوجين مثل: الأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل والمفصل، وأحوال السموات والأرض، والجنة والنار، والظلمة والضوء، واللوح والقلم، والملائكة والشياطين، والعرش والكرسي، والوعد والوعيد، والرجاء والخوف، والمقصود منه بيان أن كل ما سوى الحق زوج ويدل على أن كل شيء مبتلى بضده ونقيضه وأن الفرد الأحد الحق هو الله سبحانه.

الصفة الرابعة: من صفات القرآن قوله: تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وفيه مسائل:

المسألة الأولى: معنى تقشعر جلودهم تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، قال المفسرون: والمعنى أنهم عند سماع آيات الرحمة والإحسان يحصل لهم الفرح فتلين قلوبهم إلى ذكر الله، وأقول إن المحققين من العارفين قالوا: السائرون في مبدأ إجلال الله إن نظروا إلى عالم الجلال طاشوا، وإن لاح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا، ويجب علينا أن نذكر في هذا الباب مزيد شرح وتقرير، فنقول الإنسان إذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب تنزيه الله عن التحيز والجهة. فهنا يقشعر جلده، لأن إثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم، مما يصعب تصوره فههنا تقشعر الجلود، أما إذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب أن يكون فردا أحدا، وثبت أن كل متحيز

فهو منقسم فههنا يلين جلده وقلبه إلى ذكر الله. وأيضا إذا أراد أن يحيط عقله بمعنى الأزل فيتقدم في ذهنه بمقدار ألف ألف سنة ثم يتقدم أيضا بحسب كل لحظة من لحظات تلك المدة ألف ألف سنة، ولا يزال يحتال ويتقدم ويتخيل في الذهن، فإذا بالغ وتوغل وظن أنه استحضر معنى الأزل قال العقل هذا ليس بشيء، لأن كل ما استحضرته في فهو متناه والأزل هو الوجود المتقدم على هذه المدة المتناهية، فههنا يتحير العقل ويقشعر الجلد، وأما إذا ترك." (١)

"نسلم أنه سبحانه ما لم يأذن في الشفاعة لم يقدر أحد على الشفاعة، فإن قيل قوله: الله يتوفى الأنفس حين موتها فيه سؤال لأن هذا يدل على أن المتوفي هو الله فقط، وتأكد هذا بقوله: الذي خلق الموت والحياة [الملك: ٢] وبقوله: ربي الذي يحيي ويميت [البقرة: ٢٥٨] وبقوله: كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم [البقرة: ٢٨] ثم إن الله تعالى قال في آية أخرى: قل يتوفاكم ملك الموت [السجدة: ١١] وقال في آية ثالثة: حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا [الأنعام: ٦١] وجوابه أن المتوفي في الحقيقة هو الله، إلا أنه تعالى فوض في عالم الأسباب كل نوع من أنواع الأعمال إلى ملك من الملائكة، ففوض قبض الأرواح إلى ملك الموت وهو رئيس وتحته أتباع وخدم فأضيف التوفي في هذه الآية إلى الله تعالى بالإضافة الحقيقية، وفي الآية الثانية إلى ملك الموت لأنه هو الرئيس في هذا العمل وإلى سائر الملائكة لأنهم هم الأتباع لملك الموت والله أعلم.

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٤٥ الى ٤٨]

وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (٤٥) قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون (٤٦) ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (٤٧) وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٤٨)

اعلم أن هذا نوع آخر من الأعمال القبيحة للمشركين، وهو أنك إذا ذكرت الله وحده تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ظهرت آثار النفرة من وجوههم وقلوبهم، وإذا ذكرت الأصنام والأوثان ظهرت **آثار الفرح والبشارة** في قلوبهم وصدورهم، وذلك يدل على الجهل والحماقة، لأن ذكر الله رأس السعادات وعنوان

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٤٦/٢٦

الخيرات، وأما ذكر الأصنام التي هي الجمادات الخسيسة، فهو رأس الجهالات والحماقات، فنفرتهم عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الأصنام من أقوى الدلائل على الجهل الغليظ والحمق الشديد، قال صاحب «الكشاف» وقد يقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية في بابه لأن الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر أثر ذلك السرور في بشرة وجهه ويتهلل، والاشمئزاز أن يعظم غمه وغيظه فينقبض الروح إلى داخل القلب فيبقى في أديم الوجه أثر الغبرة والظلمة الأرضية، ولما حكى عنهم هذا الأمر العجيب الذي تشهد فطرة العقل بفساده أردفه بأمرين أحدهما: أنه ذكر الدعاء العظيم، فوصفه أولا بالقدرة التامة وهي قوله:

قل اللهم فاطر السماوات والأرض وثانيا بالعلم الكامل وهو قوله تعالى عالم الغيب والشهادة وإنما قدم ذكر القدرة على ذكر العلم لأن العلم بكونه تعالى قادرا متقدم على العلم بكونه عالما، ولما ذكر هذا الدعاء قال: أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون يعني أن نفرتهم عن التوحيد وفرحهم عند سماع الشرك أمر معلوم الفساد ببديهة العقل، ومع ذلك، القوم قد أصروا عليه، فلا يقدر أحد على إزالتهم عن هذا الاعتقاد الفاسد والمذهب الباطل إلا أنت.

عن أبي سلمة قال: سألت عائشة بم كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته بالليل؟." (١)

"على هذا المقصود ولا أثبت الأكل والشرب ولا سائر الأحوال الجسمانية، ومن تمسك بالآيات الواردة في إثبات وجوب الصلاة فقال المقصود منه إيجاب تنوير القلب بذكر الله، فأنا أكتفي بهذا القدر ولا أوجب هذه الأعمال المخصوصة، وإذا عرفت الكلام في هذين المثالين فقس عليه سائر المسائل الأصولية والفروعية، وحينئذ يخرج القرآن عن أن يكون حجة في المسائل الأصولية والفروعية، وذلك باطل قطعا، وأما إن سلم أن الأصل في علم القرآن أن يعتقد أن الأصل في الكلام حمله على حقيقته، فإن قام دليل منفصل على أنه يتعذر حمله على حقيقته، فحينئذ يتعين صرفه إلى مجازه، فإن حصلت هناك مجازات لم يتعين صرفه إلى مجاز معين إلا إذا كان الدليل يوجب ذلك التعيين، فنقول هاهنا لفظ القبضة ولفظ اليمين حقيقة في الجارحة المخصوصة، ولا يمكنك أن تصرف ظاهر الكلام عن هذا المعنى إلا إذا أقمت الدلالة على أن حمل هذه الألفاظ على ظواهرها ممتنع فحينئذ يجب حملها على المجازات، ثم تبين بالدليل أن المعنى الفلاني يصح جعله مجازا عن تلك الحقيقة، ثم تبين بالدليل أن هذا المجاز أولى من غيره، وإذا ثبتت هذه المقدمات وترتيبها على هذا الوجه فهذا هو الطريق الصحيح الذي عليه تعويل أهل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٥٧/٢٦

التحقيق فأنت ما أتيت في هذا الباب بطريقة جديدة وكلام غريب، بل هو عين ما ذكره أهل التحقيق، فثبت **أن الفرح الذي** أظهره من أنه اهتدى إلى الطريق الذي لم يعرفه غيره طريق فاسد، دال على قلة وقوفه على المعاني، ولنرجع إلى الطريق الحقيقي فنقول لا شك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الأعضاء والجوارح، إلا أن الدلائل العقلية قامت على امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح/ لله تعالى، فوجب حمل هذه الأعضاء على وجوه المجاز، فنقول إنه يقال فلان في قبضة فلان إذا كان تحت تدبيره وتسخيره. قال تعالى: إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم [المعارج: ٣٠] والمراد منه كونه مملوكا له، ويقال هذه الدار في يد فلان، وفلان صاحب اليد، والمراد من الكل القدرة، والفقهاء يقولون في الشروط وقبض فلان كذا وصار في قبضته، ولا يريدون إلا خلوص ملكه، وإذا ثبت تعذر حمل هذه الألفاظ على حقائقها وجب حملها على مجازاتها صونا لهذه النصوص عن التعطيل، فهذا هو الكلام الحقيقي في هذا الباب، ولنا كتاب مفرد في إثبات تنزيه الله تعالى عن الجسمية والمكان، سميناه بتأسيس التقديس، من أراد الإطناب في هذا الباب فليرجع إليه.
المسألة الثالثة: في تفسير ألفاظ الآية قوله والأرض المراد منه الأرضون السبع، ويدل عليه وجوه الأول: قوله جميعا فإن هذا التأكيد لا يحسن إدخاله إلا على الجمع ونظيره قوله كل الطعام [آل عمران: ٩٣] وقوله تعالى: أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء [النور: ٣١] وقوله تعالى:
والنخل باسقات [ق: ١٠] وقوله تعالى: إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات [العصر: ٢، ٣] فإن هذه الألفاظ الملحة باللفظ المفرد تدل على أن المراد منه الجمع فكذا هاهنا والثاني: أنه قال بعده والسماوات مطويات فوجب أن يكون المراد بالأرض الأرضون الثالث: أن الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهذا مقتضى المبالغة، وأما القبضة فهي المرة الواحدة من القبض، قال تعالى: فقبضت قبضة من أثر الرسول [طه: ٩٦] والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف، ويقال أيضا أعطني قبضة من كذا، يريد معنى القبضة تسمية بالمصدر، والمعنى والأرضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة من قبضاته، يعني أن الأرضين مع ما لها من العظمة والبسطة لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته، أما إذا أريد معنى القبضة،." (١)

"قالوا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا أي تبين لهم أنهم لم يكونوا شيئا، وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا، كما تقول حسبت أن فلانا شيء، فإذا هو ليس بشيء إذا جربته فلم تجد عنده خيرا، ويجوز أيضا أن يقال إنهم كذبوا وأنكروا أنهم عبدوا غير الله، كما أخبر الله/ تعالى عنهم في سورة الأنعام أنهم قالوا والله ربنا ما

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٧٤/٢٧

كنا مشركين [الأنعام: ٢٣] ثم قال تعالى: كذلك يضل الله الكافرين قال القاضي: معناه أنه يضلهم عن طريق الجنة، إذ لا يجوز أن يقال يضلهم عن الحجة إذ قد هداهم في الدنيا إليها، وقال صاحب «الكشاف» كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم، حتى أنهم لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يجد أحدهما الآخر، ثم قال: ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض أي ذلكم الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق، وهو الشرك وعبادة الأصنام ادخلوا أبواب جهنم السبعة المقسومة لكم، قال الله تعالى:

لها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم [الحجر: ٤٤] ، خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين والمراد منه ما قال في الآية المتقدمة في صفة هؤلاء المجادلين إن في صدورهم إلا كبر [غافر: ٥٦] .

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٧٧ الى ٧٨]

فاصبر إن وعد الله حق فإما نريك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨)

اعلم أنه تعالى لما تكلم من أول السورة إلى هذا الموضع في تزييف طريقة المجادلين في آيات الله، أمر في هذه الآية رسوله بأن يصبر على إيذائهم وإيحاشهم بتلك المجادلات، ثم قال: إن وعد الله حق وعنى به ما وعد به الرسول من نصرته، ومن إنزال العذاب على أعدائه، ثم قال: فإما نرينك بعض الذي نعدهم يعني أولئك الكفار من أنواع العذاب، مثل القتل يوم بدر، فذلك هو المطلوب أو نتوفينك قبل إنزال العذاب عليهم فإلينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام، ونظيره قوله تعالى: فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون [الزخرف: ٤١، ٤٢] .

ثم قال تعالى: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك والمعنى أنه قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: أنت كالرسل من قبلك، وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين، وليس فيهم أحد أعطاه الله آيات ومعجزات إلا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فيها وجرى عليهم من الهم ما يقارب ما جرى عليك فصبروا، وكانوا أبدا يقترحون على الأنبياء إظهار المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل العناد والتعنت، ثم أن الله تعالى لما علم أن الصلاح/ في إظهار ما أظهره، وإلا لم يظهره ولم يكن ذلك قادحا في نبوتهم، فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة لما لم يكن إظهارها صلاحا، لا جرم ما أظهرناها، وهذا هو المراد من قوله وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله

ثم قال: فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وهذا وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة والمبطلون هم المعاندون الذين يجادلون في آيات الله، ويقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت.

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٧٩ الى ٨١]

الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩) ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠) ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون (٨١)." [١]

"لأجل طلب هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا، فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة، لأن الدنيا فانية ذاهبة، واحتج عليه بقوله تعالى: أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني لو ساروا في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين المتمردين، ليست إلا الهلاك والبوار، مع أنهم كانوا أكثر عددا ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين، فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة والدولة القاهرة إلا الخيبة والخسار، والحسرة والبوار، فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين، أما بيان أنهم كانوا أكثر من/ هؤلاء عددا فإنما يعرف في الأخبار، وأما أنهم كانوا أشد قوة وآثارا في الأرض، فلأنه قد بقيت آثارهم بحصون عظيمة بعدهم، مثل الأهرام الموجودة بمصر، ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون، ومثل ما حكى الله عنهم من أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا.

ثم قال تعالى: فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما في قوله فما أغنى عنهم نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب، وما في قوله ما كانوا يكسبون موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم.

ثم بين تعالى أن أولئك الكفار لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم، واعلم أن الضمير في قوله فرحوا يحتمل أن يكون عائدا إلى الكفار، وأن يكون عائدا إلى الرسل، أما إذا قلنا إنه عائد إلى الكفار، فذلك العلم الذي فرحوا به أي علم كان؟ وفيه وجوه الأول: أن يكون المراد الأشياء التي كانوا يسمونها بالعلم، وهي الشبهات التي حكاها الله عنهم في القرآن كقولهم وما يهلكنا إلا الدهر [الجاثية: ٢٤] وقولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا [الأنعام: ١٤٨] وقولهم من يحي العظام وهي رميم [يس: ٧٨] ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا [الكهف: ٣٦] وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الأنبياء، كما قال: كل حزب بما لديهم فرحون [المؤمنون: ٥٣] ، الثاني: يجوز أن يكون المراد علوم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٣/٢٧

الفلاسفة، فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علومهم، وعن سقراط أنه سمع بمجيء بعض الأنبياء فقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا الثالث: يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون [الروم: ٧] ، ذلك مبلغهم من العلم [النجم: ٣٠] فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله تعالى ومعرفة المعاد وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزؤا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به. أما إذا قلنا الضمير عائد إلى الأنبياء ففيه وجهان الأول:

أن **يجعل الفرح للرسل**، ومعناه أن الرسل لما رأوا من قومهم جهلا كاملا، وإعراضا عن الحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم وإعراضهم، فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه، وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم الثاني: أن يكون المراد فرحوا بما عند الرسل من **العلم فرح ضحك** منه واستهزاء به، كأنه قال استهزؤا بالبينات، وبما جاءوا به من علم الوحي فرحين، ويدل عليه قوله تعالى: وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن.

ثم قال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى: بعذاب بئيس [الأعراف: ١٦٥] فإن قيل أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم وبين ما." (١)

"تعالى، ثم أورد الجبائي في «تفسيره» على نفسه سؤالا قال: فإن قيل أليس قد بسط الله الرزق لبعض عباده مع أنه بغى؟ وأجاب عنه بأن الذي عنده الرزق وبغى كان المعلوم من حاله أنه يبغي على كل حال سواء أعطي ذلك الرزق أو لم يعط، وأقول هذا الجواب فاسد ويدل عليه القرآن والعقل، أما القرآن فقوله تعالى: إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى [العلق: ٦، ٧] حكم مطلقا بأن حصول الغنى سبب لحصول الطغيان. وأما العقل فهو أن النفس إذا كانت مائلة إلى الشر لكنها كانت فاقدة للآلات والأدوات كان الشر أقل، وإذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر، فثبت أن وجدان المال يوجب الطغيان.

المسألة الثانية: في بيان الوجه الذي لأجله كان التوسع موجبا للطغيان ذكروا فيه وجوها الأول: أن الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع كون البعض خادما للبعض ولو صار الأمر كذلك لخرب العالم وتعطلت المصالح الثاني: أن هذه الآية مختصة بالعرب فإنه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من المطر ما يرويهم ومن الكلأ والعشب ما يشبعهم أقدموا على النهب والغارة الثالث: أن الإنسان متكبر بالطبع فإذا وجد الغنى والقدرة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٥/٢٧

عاد إلى مقتضى خلقته الأصلية وهو التكبر، وإذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر فعاد إلى الطاعة والتواضع.

المسألة الثالثة: قال خباب بن الأرت فينا نزلت هذه الآية وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها، وقيل نزلت في أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى.

ثم قال تعالى: ولكن ينزل بقدر ما يشاء قرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل خفيفة والباقون بالتشديد، ثم نقول بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا إنه بعباده خبير بصير يعني أنه عالم بأحوال الناس وبطباعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم، ولما بين تعالى أنه لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لأجل أنه علم أن تلك الزيادة تضرهم في دينهم بين أن‌ه‌م إذا احتاجوا إلى الرزق فإنه لا يمنعهم منه فقال: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا قرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل مشددة والباقون مخففة، قال صاحب «الكشاف» : قرئ قنطوا بفتح النون وكسرها، وإنزال الغيث بعد القنوط أدعى إلى الشكر لأن الفرح بحصول النعمة بعد البلية أتم، فكان إقدام صاحبه على الشكر أكثر وينشر رحمته أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب، وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له «اشتد القحط وقنط الناس فقال: إذن مطروا» أراد هذه الآية، ويجوز أن يريد رحمته الواسعة في كل شيء كأنه قيل ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر سائر أنواع الرحمة وهو الولي الحميد الولي الذي يتولى عباده بإحسانه والحميد المحمود على ما يوصل للخلق من أقسام الرحمة، ثم ذكر آية أخرى تدل على إلهيته فقال: ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة فنقول: أما دلالة خلق السموات والأرض على وج‌و‌د الإله الحكيم فقد ذكرناها وكذلك دلالة وجود الحيوانات على وجود الإله الحكيم، فإن قيل كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة؟ قلنا فيه وجوه الأول: أنه قد يضاف الفعل إلى جماعة وإن كان فاعله واحدا منهم يقال بنو فلان فعلوا كذا، وإنما فعله واحد منهم ومنه قوله تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان [الرحمن: ٢٢] الثاني: أن الدبيب هو الحركة، والملائكة لهم حركة الثالث: لا يبعد أن يقال إنه تعالى خلق في السموات أنواعا من الحيوانات يمشون مشي الأناسي على الأرض.

ثم قال تعالى: وهو على جمعهم إذا يشاء قدير قال صاحب «الكشاف» : إذا تدخل على المضارع كما." (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٩٩/٢٧

"ثم قال تعالى: ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده أي فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه أي من بعد إضلال الله إياه، وهذا صريح في جواز الإضلال من الله تعالى، وفي أن الهداية ليست في مقدور أحد سوى الله تعالى، قال القاضي المراد من يضلل الله عن الجنة فما له من ولي من بعده ينصره والجواب: أن تقييد الإضلال بهذه الصورة المعينة خلاف الدليل، وأيضا فالله تعالى ما أضله عن الجنة على قولكم بل هو أضل نفسه عن الجنة.

ثم قال تعالى: وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل والمراد أنهم يطلبون الرجوع إلى الدنيا لعظم ما يشاهدون من العذاب، ثم ذكر حالهم عند عرض النار عليهم فقال: وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل أي حال كونهم خاشعين حقيرين مهانين بسبب ما لحقهم من الذل، ثم قال:

ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كما ترى الذي يتيقن أن يقتل فإنه ينظر إلى السيف كأنه لا يقدر على أن يفتح أجفانه عليه ويملأ عينيه منه كما يفعل في نظره إلى المحبوبات، فإن قيل أليس أنه تعالى قال في صفة الكفار إنهم يحشرون عميا فكيف قال هاهنا إنهم ينظرون من طرف خفي؟ قلنا لعلهم يكونون في الابتداء هكذا، ثم يجعلون عميا أو لعل هذا في قوم، وذلك في قوم آخرين، ولما وصف الله تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال: وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال صاحب «الكشاف» : يوم القيامة إما أن يتعلق بخسروا أو يكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا، وإما أن يتعلق بقال أي يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة.

ثم قال: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم أي دائم قال القاضي، وهذا يدل على أن الكافر والفاسق يدوم عذابهما والجواب: أن لفظ الظالم المطلق في القرآن مخصوص بالكافر قال تعالى: والكافرون هم الظالمون [البقرة: ٢٥٤] والذي يؤكد هذا أنه تعالى قال بعده هذه الآية وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله والمعنى أن الأصنام التي كانوا يعبدونها لأجل أن تشفع لهم عند الله تعالى ما أتوا بتلك الشفاعة ومعلوم أن هذا لا يليق إلا بالكفار ثم قال: ومن يضلل الله فما له من سبيل وذلك يدل على أن المضل والهادي هو الله تعالى على ما هو قولنا ومذهبنا والله أعلم.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٧ الى ٥٠]

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم

سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨) لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠)

اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال: استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله وقوله من الله يجوز أن يكون صلة لقوله لا مرد له يعني لا يرده الله بعد ما." [١]

"حكم به، ويجوز أن يكون صلة لقوله يأتي أي من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده، واختلفوا في المراد بذلك اليوم فقيل يوم ورود الموت، وقيل يوم القيامة لأنه وصف ذلك اليوم بأنه لا مرد له وهذا الوصف موجود في كلا اليومين، ويحتمل أن يكون معنى قوله لا مرد له أنه لا يقبل التقديم والتأخير أو أن يكون معناه أن لا مرد فيه إلى حال التكليف حتى يحصل فيه التلافي.

ثم قال تعالى في وصف ذلك اليوم ما لكم من ملجإ ينفع في التخلص من العذاب وما لكم من نكير ممن ينكر. ذلك حتى يتغير حالكم بسبب ذلك المنكر، ويجوز أن يكون المراد من النكير الإنكار أي لا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه من الأعمال فإن أعرضوا أي هؤلاء الذين أمرتهم بالاستجابة أي لم يقبلوا هذا الأمر فما أرسلناك عليهم حفيظا بأن تحفظ أعمالهم وتحصيها إن عليك إلا البلاغ وذلك تسلية من الله تعالى، ثم إنه تعالى بين السبب في/ إصرارهم على مذاهبهم الباطلة، وذلك أنهم وجدوا في الدنيا سعادة وكرامة والفوز بمطالب الدنيا يفيد الغرور والفجور والتكبر وعدم الانقياد للحق فقال: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها ونعم الله في الدنيا وإن كانت عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى السعادات المعدة في الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر فلذلك سماها ذوقا فبين تعالى أن الإنسان إذا فاز بهذا القدر الحقير الذي حصل في الدنيا فإنه يفرح بها ويعظم غروره بسببها ويقع في العجب والكبر، ويظن أنه فاز بكل المنى ووصل إلى أقاصي السعادات، وهذه طريقة من يضعف اعتقاده في سعادات الآخرة، وهذه الطريقة مخالفة لطريقة المؤمن الذي لا يعد نعم الدنيا إلا كالوصلة إلى نعم الآخرة، ثم بين أنه متى أصابتهم سيئة أي شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر وغيرهما فإنه يظهر منه الكفر وهو معنى قوله فإن الإنسان كفور والكفور الذي يكون مبالغا في الكفران ولم يقل فإنه كفور، ليبين أن طبيعة الإنسان تقتضي هذه الحالة إلا إذا أدبها الرجل بالآداب التي أرشد الله إليها، ولما ذكر الله إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها أتبع ذلك بقوله لله ملك السماوات والأرض والمقصود منه أن لا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه بل إذا علم أن الكل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٠٨/٢٧

ملك الله وملكه، وأنه إنما حصل ذلك القدر تحت يده لأن الله أنعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة والخدمة، وأما إذا اعتقد أن تلك النعم، إنما تحصل بسبب عقله وجده واجتهاده بقي مغرورا بنفسه معرضا عن طاعة الله تعالى، ثم ذكر من أقسام تصرف الله في العالم أنه يخص البعض بالأولاد الإناث والبعض بالذكور والبعض بهما والبعض بأن يجعله محروما من الكل، وهو المراد من قوله ويجعل من يشاء عقيما.

واعلم أن أهل الطبائع يقولون السبب في حدوث الولد صلاح حال النطفة والرحم وسبب الذكورة استيلاء الحرارة، وسبب الأنوثة استيلاء البرودة، وقد ذكرنا هذا الفصل بالاستقصاء التام في سورة النحل، وأبطلناه بالدلائل اليقينية، وظهر أن ذلك من الله تعالى لا أنه من الطبائع والأنجم والأفلاك وفي الآية سؤالات:

السؤال الأول: أنه قدم الإناث في الذكر على الذكور فقال: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ثم في الآية الثانية قدم الذكور على الإناث فقال: أو يزوجهم ذكرانا وإناثا فما السبب في هذا التقديم والتأخير؟

السؤال الثاني: أنه ذكر الإناث على سبيل التنكير فقال: يهب لمن يشاء إناثا وذكر الذكور بلفظ التعريف فقال: ويهب لمن يشاء الذكور فما السبب في هذا الفرق؟.." (١)

"السؤال الثالث: لم قال في إعطاء الإناث وحدهن، وفي إعطاء الذكور وحدهم بلفظ الهبة فقال: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقال في إعطاء الصنفين معا أو يزوجهم ذكرانا وإناثا.

السؤال الرابع: لما كان حصول الولد هبة من الله فيكفي في عدم حصوله أن لا يهب فأي حاجة في عدم حصوله إلى أن يقول ويجعل من يشاء عقيما؟.

السؤال الخامس: هل المراد من هذا الحكم جمع معينون أو المراد الحكم على الإنسان المطلق؟.

والجواب: عن السؤال الأول من وجوه الأول: أن الكريم يسعى في أن يقع الختم على الخير والراحة والسرور والبهجة فإذا وهب الولد الأنثى أولا ثم أعطاه الذكر بعده فكأنه نقله من الغم **إلى الفرح وهذا** غاية الكرم، أما إذا أعطى الولد أولا ثم أعطى الأنثى ثانيا فكأنه نقله **من الفرح إلى** الغم فذكر تعالى هبة الولد الأنثى أولا وثانيا هبة الولد الذكر حتى يكون قد نقله من الغم **إلى الفرح فيكون** ذلك أليق بالكرم الوجه الثاني: أنه إذا أعطي الولد الأنثى أولا علم أنه لا اعتراض له على الله تعالى فيرضى بذلك فإذا أعطاه الولد الذكر بعد ذلك علم أن هذه الزيادة فضل من الله تعالى وإحسان إليه فيزداد شكره وطاعته، ويعلم أن ذلك إنما

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٠٩/٢٧

حصل بمحض الفضل والكرم والوجه الثالث: قال بعض المذكرين الأنثى ضعيفة ناقصة عاجزة فقدم ذكرها تنبيها على أنه كلما كان العجز والحاجة أتم كانت عناية الله به أكثر الوجه الرابع: كأنه يقال أيتها المرأة الضعيفة العاجزة إن أباك وأمك يكرهان وجودك فإن كانا قد كرها وجودك فأنا قدمتك في الذكر لتعلمي أن المحسن المكرم هو الله تعالى، فإذا علمت المرأة ذلك زادت في الطاعة والخدمة والبعد عن موجبات الطعن والذم، فهذه المعاني هي التي لأجلها وقع ذكر الإناث مقدما على ذكر الذكور وإنما قدم ذكر الذكور بعد ذلك على ذكر الإناث لأن الذكر أكمل وأفضل من الأنثى والأفضل الأكمل مقدم على الأخس الأرذل، والحاصل أن النظر إلى كونه ذكرا أو أنثى يقتضي تقديم ذكر الذكر على ذكر الأنثى، أما العوارض الخارجية التي ذكرناها فقد أوجبت تقديم ذكر الأنثى على ذكر الذكر، فلما حصل المقتضي للتقديم والتأخير في البابين لا جرم قدم هذا مرة وقدم ذلك مرة أخرى والله أعلم.

وأما السؤال الثاني: وهو قوله لم عبر عن الإناث بلفظ التنكير، وعن الذكور بلفظ التعريف؟ فجوابه أن المقصود منه التنبيه على كون الذكر أفضل من الأنثى.

وأما السؤال الثالث: وهو قوله لم قال تعالى في إعطاء الصنفين أو يزوجهم ذكرانا وإناثا؟ فجوابه أن كل شيئين يقرن أحدهما بالآخر فهما زوجان، وكل واحد منهما يقال له زوج والكناية في يزوجهم عائدة على الإناث والذكور التي في الآية الأولى، والمعنى يقرن الإناث والذكور فيجعلهم أزواجا.

وأما السؤال الرابع: فجوابه أن العقيم هو الذي لا يولد له، يقال رجل عقيم لا يلد، وامرأة عقيم لا تلد وأصل العقم القطع، ومنه قيل الملك عقيم لأنه يقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق.

وأما السؤال الخامس: فجوابه قال ابن عباس يهب لمن يشاء إناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لم يكن لهما إلا النبات ويهب لمن يشاء الذكور يريد إبراهيم عليه السلام لم يكن له/ إلا الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم كان له من البنين أربعة القاسم والطاهر وعبد الله وإبراهيم، ومن البنات أربعة زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد عيسى ويحيى، وقال الأكثرون من المفسرين." (١)

"[الزخرف: ٢٠] ورابعها: قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [الزخرف: ٣١] وخامسها: هذه الآية التي نحن الآن في تفسيرها، ولفظ الآية لا يدل إلا على أنه لما ضرب ابن مريم مثلا أخذ القوم يضجون ويرفعون أصواتهم، فأما أن ذلك المثل كيف كان، وفي أي شيء كان فاللفظ لا يدل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦١٠/٢٧

عليه والمفسرون ذكروا فيه وجوها كلها محتملة فالأول: أن الكفار لما سمعوا أن النصارى يعبدون/ عيسى قالوا إذا عبدوا عيسى فآلهتنا خير من عيسى، وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يعبدون الملائكة الثاني:

روي أنه لما نزل قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم [الأنبياء: ٩٨] قال عبد الله بن الزبعرى هذا خاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «بل لجميع الأمم» فقال خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا وعلى أمه، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما واليهود يعبدون عزيرا والملائكة يعبدون، فإذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم «١» فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضحكوا وضجوا، فأنزل الله تعالى:

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء: ١٠١]

ونزلت هذه الآية أيضا والمعنى، ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى إياه إذا قومك قريش منه أي من هذا المثل يصدون أي يرتفع لهم ضجيج وجلبة فرحا وجدلا وضحكا بسبب ما رأوا من إسكات رسول الله فإنه قد جرت العادة بأن أحد الخصمين إذا انقطع أظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج، وقالوا أآلهتنا خير أم هو يعنون أن آلهتنا عندك ليس خيرا من عيسى فإذا كان عيسى من حصب جهنم كان أمر آلهتنا أهون الوجه الثالث: في التأويل وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح وجعلوه إلها لأنفسهم، قال كفار مكة إن محمدا يريد أن يجعل لنا إلها كما جعل النصارى المسيح إلها لأنفسهم، ثم عند هذا قالوا أآلهتنا خير أم هو يعني أآلهتنا خير أم محمد، وذكروا ذلك لأجل أنهم قالوا: إن محمدا يدعونا إلى عبادة نفسه، وآباؤنا زعموا أنه يجب عبادة هذه الأصنام، وإذا كان لا بد من أحد هذين الأمرين فعبادة هذه الأصنام أولى، لأن آباءنا وأسلافنا كانوا متطابقين عليه، وأما محمد فإنه متهم في أمرنا بعبادته فكان الاشتغال بعبادة الأصنام أولى، ثم إنه تعالى بين أنا لم نقل إن الاشتغال بعبادة المسيح طريق حسن بل هو كلام باطل، فإن عيسى ليس إلا عبدا أنعمنا عليه، فإذا كان الأمر كذلك فقد زالت شبهتهم في قولهم: إن محمدا يريد أن يأمرنا بعبادة نفسه، فهذه الوجوه الثلاثة مما يحتمل كل واحد منها لفظ الآية.

المسألة الثانية: قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم

يصدون بضم الصاد وهو قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام

والباقون بكسر الصاد وهي قراءة ابن عباس، واختلفوا فقال الكسائي هما بمعنى نحو يعرشون ويعرشون ويعكفون، ومنهم من فرق، أما القراءة بالضم فمن الصدود، أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق

ويعرضون عنه، وأما بالكسر فمعناه يضجون.

المسألة الثالثة: قرأ عاصم وحمزة والكسائي أآلهتنا استفهاما بهمزتين الثانية مطولة والباقون استفهاما بهمزة ومدة.

---

(١)

الرواية المشهورة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم رد عليه عند ذلك بقوله لابن الزبعرى «ما أجهلك بلغة قومك ما لما لا يعقل» ،

وحينئذ فلا تقع على الذين اتخذهم الكفار آلهة من الأنبياء والملائكة والصالحين وإنما عنى من الأصنام التي عبدوها.." (١)

"تلك المحبة بالنفرة، لأن تلك المحبة إنما حصلت لاعتقاد حصول الخير والراحة، فإذا زال ذلك الاعتقاد، وحصل عقيبه اعتقاد أن الحاصل هو الضرر والألم، وجب أن تتبدل تلك المحبة بالبغضة، لأن تبدل العلة يوجب تبدل المعلول، أما إذا كانت الخيرات الموجبة للمحبة، خيرات باقية أبدية، غير قابلة للتبدل والتغير، كانت تلك المحبة أيضا محبة باقية آمنة من التغير، إذا عرفت هذا الأصل فنقول الذين حصلت بينهم محبة ومودة في الدنيا، إن كانت تلك المحبة لأجل طلب الدنيا وطيباتها ولذاتها، فهذه المطالب لا تبقى في القيامة، بل يصير طلب الدنيا سببا لحصول الآلام والآفات في يوم القيامة، فلا جرم تنقلب هذه المحبة الدنيوية بغضة ونفرة في القيامة، أما إن كان الموجب لحصول المحبة في الدنيا الاشتراك في محبة الله وفي خدمته وطاعته، فهذا السبب غير قابل للنسخ والتغير، فلا جرم كانت هذه المحبة باقية في القيامة، بل كأنها تصير أقوى وأصفى وأكمل وأفضل مما كانت في الدنيا، فهذا هو التفسير المطابق لقوله تعالى: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا/ المتقين، الحكم الثاني: من أحكم يوم القيامة، وقوله تعالى: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وقد ذكرنا مرارا أن عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد، بالمؤمنين المطيعين المتقين، فقوله يا عباد كلام الله تعالى، فكأن الحق يخاطبهم بنفسه ويقول لهم يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وفيه أنواع كثيرة مما **يوجب الفرح أولها**: أن الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وثانيها: أنه تعالى وصفهم بالعبودية، وهذا تشريف عظيم، بدليل أنه لما أراد أن يشرف محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، قال: سبحان الذي أسرى بعبده [الإسراء: ١]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٣٩/٢٧

وثالثها: قوله لا خوف عليكم اليوم فأزال عنهم الخوف في يوم القيامة بالكلية، وهذا من أعظم النعم ورابعها: قوله ولا أنتم تحزنون فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية.

ثم قال تعالى: الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قيل الذين آمنوا مبتدأ، وخبره مضمر، والتقدير يقال لهم: ادخلوا الجنة، ويحتمل أن يكون المعنى أعني الذين آمنوا، قال مقاتل: إذا وقع الخوف يوم القيامة، نادى مناد يا عباد لا خوف عليكم اليوم فإذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤوسهم، فيقال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فتنكس أهل الأديان الباطلة رؤوسهم الحكم الثالث: من وقائع القيامة، أنه تعالى إذا أمن المؤمنين من الخوف والحزن، وجب أن يمر حسابهم على أسهل الوجوه وعلى أحسنها، ثم يقال لهم ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون والحبرة المبالغة في الإكرام فيما وصف بالجميل، يعني يكرمون إكراما على سبيل المبالغة، وهذا مما سبق تفسيره في سورة الروم.

ثم قال: يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب قال الفراء: الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له، فقوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب إشارة إلى المطعوم، وقوله وأكواب إشارة إلى المشروب، ثم إنه تعالى ترك التفصيل وذكر بيانا كليا، فقال: وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون.

ثم قال: وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وقد ذكرنا في وراثة الجنة وجهين في قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس [المؤمنون: ١٠، ١١] ولما ذكر الطعام والشراب فيما تقدم، ذكر هاهنا حال الفاكهة، فقال: لكم فيها فاكهة (كثيرة) منها تأكلون.

واعلم أنه تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب أولا، ثم إلى العالمين ثانيا، والعرب كانوا في ضيق شديد." (١)

"اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم في كون القرآن. معجزا، بأن قالوا إنه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه إلى أنه كلام الله على سبيل الفرية، حكى عنهم نوعا آخر من الشبهات، وهو أنهم كانوا يقترحون منه معجزات عجيبة قاهرة، ويطالبونه بأن يخبرهم عن المغيبات، فأجاب الله تعالى عنه بأن قال: قل ما كنت بدعا من الرسل والبدع والبديع من كل شيء المبدأ والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله بحكم السنة، وفيه وجوه الأول: ما كنت بدعا من الرسل أي ما كنت أولهم، فلا ينبغي أن تنكروا إخباري بأني رسول الله إليكم، ولا تنكروا دعائي لكم إلى التوحيد، ونهيي عن عبادة الأصنام، فإن كل الرسل إنما بعثوا بهذا الطريق الوجه الثاني:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٤٢/٢٧

أنهم طلبوا منه معجزات عظيمة وإخبارا عن الغيوب فقال: قل ما كنت بدعا من الرسل والمعنى أن الإتيان بهذه المعجزات القاهرة والإخبار عن هذه الغيوب ليس في وسع البشر، وأنا من جنس الرسل وأحد منهم لم يقدر على ما تريدونه فكيف أقدر عليه؟ الوجه الثالث: أنهم كانوا يعيبونه أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وبأن أتباعه فقراء فقال: قل ما كنت بدعا من الرسل وكلهم كانوا على هذه الصفة وبهذه المثابة فهذه الأشياء لا تقدح في نبوتي كما لا تقدح في نبوتهم.

ثم قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في تفسير الآية وجهان أحدهما: أن يحمل ذلك على أحوال الدنيا والثاني: أن يحمل على أحوال الآخرة أما الأول: ففيه وجوه الأول: لا أدري ما يصير إليه أمري وأمركم، ومن الغالب منا والمغلوب والثاني:

قال ابن عباس في رواية الكلبي: لما اشتد البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك،، فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت ومتى نهاجر إلى الأرض التي رأيتها في المنام؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم وهو شيء رأيته في المنام، وأنا لا أتبع إلا ما أوحاه الله إلي

الثالث: قال الضحاك لا أدري ما تؤمرون به ولا أؤمر به في باب التكاليف والشرائع والجهاد ولا في الابتلاء والامتحان وإنما أنذركم بما أعلمني الله به من أحوال الآخرة في الثواب والعقاب والرابع: المراد أنه يقول لا أدري ما يفعل بي في الدنيا أأموت أم أقتل كما قتل الأنبياء قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون، أترمون بالحجارة من السماء، أم يخسف بكم أم يفعل بكم ما فعل بسائر الأمم، أما الذين حملوا هذه الآية على أحوال الآخرة، فروي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به وبنا؟ فأنزل الله تعالى: إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك إلى قوله وكان ذلك عند الله فوزا عظيما [الفتح: ١- ٥] فبين تعالى ما يفعل به وبمن اتبعه ونسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف المنافقين والمشركين.

وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وأن يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم كونه نبيا علم أنه لا تصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له، وإذا كان كذلك

امتنع كونه شاكا في أنه هل هو مغفور له أم لا الثاني: لا شك أن الأنبياء أرفع حالا من الأولياء، فلما قال في هذا إن الذين قالوا ربنا الله ثم." (١)

"يكون لهم الغلبة فقال إن الله معكم لا يبقى لكم شك ولا ارتياب في أن الغلبة لكم وهذا كقوله تعالى: لأغلبن أنا ورسلي [المجادلة: ٢١] وقوله إن جندنا لهم الغالبون

[الصافات: ١٧٣] وقوله ولن يتركم أعمالكم وعد آخر وذلك لأن الله لما قال إن الله معكم، كان فيه أن النصرة بالله لا بكم فكان القائل يقول لم يصدر مني عمل له اعتبار فلا أستحق تعظيما، فقال هو ينصركم ومع ذلك لا ينقص من أعمالكم شيئا، ويجعل كأن النصرة جعلت بكم ومنكم فكأنكم مستقلون في ذلك ويعطيكم أجر المستبد، والترة النقص، ومنه الموتر كأنه نقص منه ما يشفعه، ويقول عند القتال إن قتل من الكافرين أحد فقد وتروا في أهلهم وعملهم حيث نقص عددهم وضاع عملهم، والمؤمن إن قتل فإنما ينقص من عدده ولم ينقص من عمله، وكيف ولم ينقص من عدده أيضا، فإنه حي **مرزوق، فرح بما** هو إليه مسوق. ثم قال تعالى:

[سورة محمد (٤٧) : آية ٣٦]

إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم (٣٦)

زيادة في التسلية يعني كيف تمنعك الدنيا من طلب الآخرة بالجهاد، وهي لا تفوتك لكونك منصورا غالبا، وإن فاتتك فعملك غير موتر، فكيف وما يفوتك، فإن فات فائت ولم يعوض لا ينبغي لك أن تلتفت إليها لكونها لعبا ولهوا، وقد ذكرنا في اللعب واللهو مرارا أن اللعب/ ما تشتغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال ولا منفعة في المآل، ثم إن استعمله الإنسان ولم يشتغله عن غيره، ولم يثنه عن أشغاله المهمة فهو لعب وإن شغله ودهشه عن مهماته فهو لهو، ولهذا يقال ملاهي لآلات الملاهي لأنها مشغلة عن الغير، ويقال لما دونه لعب كاللعب بالشطرنج والحمام، وقد ذكرنا ذلك غير مرة، وقوله وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم إعادة للوعد والإضافة للتعريف، أي الأجر الذي وعدكم بقوله أجر كريم [يس: ١١] وأجر كبير [هود: ١١] وأجر عظيم [آل عمران: ١٧٢] وقوله ولا يسئلكم أموالكم يحتمل وجوها أحدها: أن الجهاد لا بد له من إنفاق، فلو قال قائل أنا لا أنفق مالي، فيقال له الله لا يسئلكم مالكم في الجهات المعينة من الزكاة والغنيمة وأموال المصالح فيها تحتاجون إليه من المال لا تراعون بإخراجه وثانيها: الأموال لله وهي في أيديكم عارية

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩/٢٨

وقد طلب منكم أو أجاز لكم في صرفها في جهة الجهاد فلا معنى لبخلكم بماله، وإلى هذا إشارة بقوله تعالى: وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض [الحديد: ١٠] أي الكل لله وثالثها: لا يسألكم أموالكم كلها، وإنما يسألكم شيئا يسيرا منها وهو ربع العشر، وهو قليل جدا لأن العشر هو الجزء الأقل إذ ليس دونه جزء آخر وليس اسما مفردا، وأما الجزء من أحد عشر ومن اثني عشر و [إلى] مائة جزء لما لم يكن ملتفتا إليه لم يوضع له اسم مفرد.

ثم إن الله تعالى لم يوجب ذلك في رأس المال بل أوجب ذلك في الربح الذي هو من فضل الله وعطائه، وإن كان رأس المال أيضا كذلك لكن هذا المعنى في الربح أظهر، ولما كان المال منه ما ينفق للتجارة فيه ومنه ما لا ينفق، وما أنفق منه للتجارة أحد قسميه وهو يحتمل أن تكون التجارة فيه رابحة، ويحتمل أن لا تكون رابحة فصار القسم الواحد قسمين فصار في التقدير كان الربح في ربعه فأوجب [ربع] عشر الذي فيه الربح وهو عشر فهو ربع العشر وهو الواجب، فعلم أن الله لا يسألكم أموالكم ولا الكثير منه. ثم قال تعالى:

[سورة محمد (٤٧) : آية ٣٧]

إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم (٣٧)." (١)

"بإحدى اليدين لا تعمهما والآفة النازلة بالعين الواحدة تعم العينين لأن منبع النور واحد وهما متجاذبان والوجود يفرق بينهما، فإن الأعمى كثير الوجود ومقطوع اليدين نادر.

المسألة الثالثة: قدم الآفة في الآلة على الآفة في القوة، لأن الآفة في القوة تزول وتطرأ، والآفة في الآلة إذ طرأت لا تزول، فإن الأعمى لا يعود بصيرا فالعذر في محل الآلة أتم.

المسألة الرابعة: قدم الأعمى على الأعرج، لأن عذر الأعمى يستمر ولو حضر القتال، والأعرج إن حضر راكبا أو بطريق آخر يقدر على القتال بالرمي وغيره.

[سورة الفتح (٤٨) : الآيات ١٨ الى ١٩]

لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (١٨) ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما (١٩)

اعلم أن طاعة كل واحد منهما طاعة الآخر فجمع بينهما بيانا لطاعة الله، فإن الله تعالى لو قال: ومن يطع

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٢/٢٨

الله، كان لبعض الناس أن يقول: نحن لا نرى الله ولا نسمع كلامه، فمن أين نعلم أمره حتى نطيعه؟ فقال طاعته في طاعة رسوله وكلامه يسمع من رسوله.

ثم قال: ومن يتول أي بقلبه، ثم لما بين حال المخلفين بعد قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله [الفتح: ١٠] عاد إلى بيان حالهم وقال: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض فأنزل السكينة عليهم حتى بايعوا على الموت، وفيه معنى لطيف وهو أن الله تعالى قال قبل هذه الآية ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات [الفتح: ١٧] فجعل طاعة الله والرسول علامة لإدخال الله الجنة في تلك الآية، وفي هذه الآية بين أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان، أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين وأما طاعة الرسول فبقوله إذ يبايعونك تحت الشجرة بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى:

لقد رضي الله عن المؤمنين لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة كما قال تعالى: ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم [المجادلة: ٢٢] .

ثم قال تعالى: فعلم ما في قلوبهم والفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضا لأنه علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم؟ نقول قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله إذ يبايعونك تحت الشجرة كما يقول القائل فرحت أمس إذ كلمت زيدا فقام إلي، أو إذ دخلت عليه فأكرمني، **فيكون الفرح بعد** الإكرام ترتيبا كذلك، هاهنا قال تعالى: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم من الصدق إشارة إلى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب، بل عند المبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم، والفاء في قوله فأنزل السكينة عليهم/ للتعقيب الذي ذكرته فإنه تعالى رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم، وفي علم بيان وصف المبايعة بكونها معقبة بالعلم بالصدق الذي في قلوبهم وهذا توفيق لا يتأتى إلا لمن هداه الله تعالى إلى معاني كتابه الكريم وقوله تعالى: وأثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر ومغانم كثيرة يأخذونها

مغانمها وقيل مغانم هجر وكان الله عزيزا كامل القدرة غنيا عن إعانتكم إياه." (١)

"ومسبب الأسباب، وعلى هذا القول الكاف أحسن موقعا، أما على قولنا: إن الخطاب عام فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن، لأن قوله: أيها السامع كائنا من كان إلى ربك المنتهى يفيد الأمرين إفادة بالغة حد الكمال، وأما على قولنا: الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فهو تسلية لقلبه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٨/٧٩

كأنه يقول: لا تحزن فإن المنتهى إلى الله فيكون كقوله تعالى: فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون إلى أن قال تعالى في آخر السورة:

وإليه ترجعون [يس: ٧٦- ٨٣] وأمثاله كثيرة في القرآن.

المسألة الثالثة: اللام على الوجه الأول للعهد لأن

النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: أبدا إن مرجعكم إلى الله

فقال:

وأن إلى ربك المنتهى الموعود المذكور في القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى الوجه الثاني للعموم أي إلى الرب كل منتهى وهو مبدأ، وعلى هذا الوجه نقول: منتهى الإدراكات المدركات، فإن الإنسان أو{ا يدرك الأشياء الظاهرة ثم يمعن النظر فينتهي إلى الله فيقف عنده ثم قال تعالى:

[سورة النجم (٥٣) : آية ٤٣]

وأنه هو أضحك وأبكى (٤٣)

وفيه مسائل:

الأولى: على قولنا: إليه المنتهى المراد منه إثبات الوحدانية، هذه الآيات مثبتات لمسائل يتوقف عليها الإسلام من جملتها قدرة الله تعالى، فإن من الفلاسفة من يعترف بأن الله المنتهى وأنه واحد لكن يقول: هو موجب لا قادر، فقال تعالى: هو أوجد ضدين الضحك والبكاء في محل واحد والموت والحياة والذكورة والأنوثة في مادة واحدة، وإن ذلك لا يكون إلا من قادر واعترف به كل عاقل، وعلى قولنا: إن قوله تعالى: وأن إلى ربك المنتهى [النجم: ٤٢] بيان المعاد فهو إشارة إلى بيان أمره فهو كما يكون في بعضها ضاحكا فرحا وفي بعضها باكيا محزونا كذلك يفعل به في الآخرة.

المسألة الثانية: أضحك وأبكى لا مفعول لهما في هذا الموضع لأنهما مسوقتان لقدرة الله لا لبيان المقدور، فلا حاجة إلى المفعول. يقول القائل: فلان بيده الأخذ والعطاء يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى.

المسألة الثالثة: اختار هذين الوصفين للذكر والأنثى لأنهما أمران لا يعللان فلا يقدر أحد من الطبيعيين أن يبدي في اختصاص الإنسان بالضحك والبكاء وجها وسببا، وإذا لم يعلل بأمر ولا بد له من موجد فهو الله تعالى، بخلاف الصحة والسقم فإنهم يقولون: سببهما اختلال المزاج وخروجه عن الاعتدال، ويدلك على هذا أنهم إذا ذكروا في الضحك أمرا له الضحك قالوا: قوة التعجب وهو في غاية البطلان لأن الإنسان ربما يبهت عند رؤية الأمور العجيبة ولا يضحك، وقيل: قوة الفرح، وليس كذلك لأن الإنسان يفرح كثيرا ولا

يضحك، والحزين الذي عند غاية الحزن يضحكه المضحك، وكذلك الأمر في البكاء، وإن قيل لأكثرهم علما بالأمور التي يدعيها الطبيعيون إن خروج الدمع من العين عند أمور مخصوصة لماذا؟ لا يقدر على تعليل صحيح، وعند الخواص كالتي في المغناطيس وغيرها ينقطع الطبيعي، كما أن عند أوضاع الكواكب ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض أمره إلى قدرة الله تعالى وإرادته ثم قال تعالى:

[سورة النجم (٥٣) : آية ٤٤]

وأنه هو أمات وأحيا (٤٤)." (١)

"العذاب الدائم فلم لا ترجعون أنفسكم إلى الدنيا إن لم تكن الآخرة دار الإقامة، وأما على قوله: (مجزيين) فالتفسير مثل هذا كأنه قال: ستصدقون وقت النزع رسل الله في الحشر، فإن كنتم بعد ذلك غير مجزيين فلم لا ترجعون أنفسكم إلى دنياكم، فإن التعويق للجزاء لا غير، ولولا الجزاء لكنتم مختارين كما كنتم في دنياكم التي ليست دار الجزاء مختارين تكونون حيث تريدون من الأماكن، وأما على قولنا: مملوكين من الملك، ومنه المدينة للمملوكة، فالأمر أظهر بمعنى أنكم إذا كنتم لستم تحت قدرة أحد، فلم لا ترجعون أنفسكم إلى الدنيا كما كنتم في دنياكم التي ليست دار جزاء مع أن ذلك مشتهى أنفسكم ومنى قلوبكم، وكل ذلك عند التحقيق راجع إلى كلام واحد، وأنهم كانوا يأخذون بقول الفلاسفة في بعض الأشياء دون بعض، وكانوا يقولون بالطبائع، وأن الأمطار من السحب، وهي متولدة بأسباب فلكية، والنبات كذلك، والحيوان كذلك. ولا اختيار لله في شيء وسواء عليه إنكار الرسل والحشر، فقال تعالى: إن كان الأمر كما يقولون فما بال الطبيعي الذي يدعي العلم لا يقدر على أن يرجع النفس من الحلقوم، مع أن في الطبع عنده إمكانا لذلك، فإن عندهم البقاء بالغذاء ولزوال الأمراض بالدواء، وإذا علم هذا فإن قلنا: غير مدينين معناه غير مملوكين رجع إلى قولهم من إنكار الاختيار وقلب الأمور كما يشاء الله، وإن قلنا: غير مقيمين فكذلك، لأن إنكار الحشر بناء على القول بالطبع، وإن قلنا:

غير/ محاسبين ومجزيين فكذلك، ثم لما بين أن الموت كائن والحشر بعده لازم، بين ما يكون بعد الحشر ليكون ذلك باعثا للمكلف على العمل الصالح، وزاجرا للمتمرد عن العصيان والكذب فقال:

[سورة الواقعة (٥٦) : الآيات ٨٨ الى ٨٩]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧٩/٢٩

فأما إن كان من المقربين (٨٨) فروح وريحان وجنة نعيم (٨٩)
هذا وجه تعلقه معنى، وأما تعلقه لفظا فنقول: لما قال: فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها [الواقعة: ٨٦، ٨٧] وكان فيها أن رجوع الحياة والنفس إلى البدن ليس تحت قدرتهم ولا رجوع لهم بعد الموت إلى الدنيا صار كأنه قال: أنتم بعد الموت دائمون في دار الإقامة ومجزيون، فالمجزي إن كان من المقربين فله الروح والريحان، وفيه مسائل:
المسألة الأولى: في معنى الروح وفيه وجوه الأول: هو الرحمة قال تعالى: ولا تيأسوا من روح الله [يوسف: ٨٧] أي من رحمة الله الثاني: الراحة الثالث: الفرح، وأصل الروح السعة، ومنه الروح لسعة ما بين الرجلين دون الفحج، وقرئ، فروح بضم الراء بمعنى الرحمة.
المسألة الثانية: في الكلام إضمار تقديره: فله روح أفصحت الفاء عنه لكونه فاء الجزاء لربط الجملة بالشرط فعلم كونها جزاء، وكذلك إذا كان أمرا أو نهيا أو ماضيا، لأن الجزاء إذا كان مستقبلا يعلم كونه جزاء بالجزم الظاهر في السمع والخط، وهذه الأشياء التي ذكرت لا تحتمل الجزم، أما غير الأمر والنهي فظاهر، وأما الأمر والنهي فلأن الجزم فيهما ليس لكونهما جزاءين فلا علامة للجزاء فيه، فاختاروا الفاء فإنها لترتيب أمر على أمر، والجزاء مرتب على الشرط.
المسألة الثالثة: في الريحان، وقد تقدم تفسيره في قوله تعالى: ذو العصف والريحان [الرحمن: ١٢] ولكن هاهنا فيه كلام، فمنهم من قال: المراد هاهنا ما هو المراد ثمة، إما الورق وإما الزهر وإما النبات." (١)

"المسألة الأولى: هذه الآية دالة على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ. قال المتكلمون: وإنما كتب كل ذلك لوجوه أحدها: تستدل الملائكة بذلك المكتوب على كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع الأشياء قبل وقوعها وثانيها: ليعرفوا حكمة الله فإنه تعالى مع علمه بأنهم يقدمون على تلك المعاصي خلقهم ورزقهم وثالثها: ليحذروا من أمثال تلك المعاصي ورابعها: ليشركوا الله تعالى على توفيقه إياهم على الطاعات وعصمته إياهم من المعاصي. وقالت الحكماء: إن الملائكة الذين وصفهم الله بأنهم هم المدبرات أمرا، وهم المقسمات أمرا، إنما هي المبادئ لحدوث الحوادث في هذا العالم السفلي بواسطة الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية، فتصوراتها لانسياق تلك الأسباب إلى المسببات هو المراد من قوله تعالى: إلا في كتاب.
المسألة الثانية: استدل جمهور أهل التوحيد بهذه الآية على أنه تعالى عالم بالأشياء قبل وقوعها خلافا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٣٧/٢٩

لهشام بن الحكم، ووجه الاستدلال أنه تعالى لما كتبها في الكتاب قبل وقوعها وجاءت مطابقة لذلك الكتاب علمنا أنه تعالى عالما بها بأسرها.

المسألة الثالثة: قوله: ولا في أنفسكم يتناول جميع مصائب الأنفس فيدخل فيها كفرهم ومعاصيهم، فالآية دالة على أن جميع أعمالهم بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ، ومثبتة في علم الله تعالى، فكان الامتناع من تلك الأعمال محالا، لأن علم الله بوجودها مناف لعدمها، والجمع بين المتنافيين محال، فلما حصل العلم بوجودها، وهذا العلم ممتنع الزوال كان الجمع بين عدمها وبين علم الله بوجودها محالا.

المسألة الرابعة: أنه تعالى لم يقل: إن جميع الحوادث مكتوبة في الكتاب، لأن حركات أهل الجنة والنار غير متناهية، فإثباتها في الكتاب محال، وأيضا خصص ذلك بالأرض والأنفس وما أدخل فيها أحوال السموات، وأيضا خصص ذلك بمصائب الأرض والأنفس لا بسعادات الأرض والأنفس، وفي كل هذه الرموز إشارات وأسرار، أما قوله: من قبل أن نبرأها فقد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: من قبل أن نخلق هذه المصائب، وقال بعضهم: بل المراد الأنفس، وقال آخرون: بل المراد نفس الأرض، والكل محتمل لأن ذكر الكل قد تقدم، وإن كان الأقرب نفس المصيبة لأنها هي المقصود، وقال آخرون: المراد من قبل أن نبرأ المخلوقات، والمخلوقات وإن لم يتقدم ذكرها إلا أنها لظهورها يجوز عود الضمير إليها كما في قوله: إنا أنزلناه [يوسف: ٢] .

ثم قال تعالى: إن ذلك على الله يسير وفيه قولان: أحدهما: إن حفظ ذلك على الله هين، والثاني: إن إثبات ذلك على كثرته في الكتاب يسير على الله وإن كان عسيرا على العباد، ونظير هذه الآية قوله: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير [فاطر: ١١] . / ثم قال تعالى:

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٣]

لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢٣)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: هذه اللام تفيد جعل أول الكلام سببا لآخره، كما تقول: قمت لأضربك فإنه يفيد أن القيام سبب للضرب، وهاهنا كذلك لأنه تعالى بين أن إخبار الله عن كون هذه الأشياء واقعة بالقضاء والقدر،

ومثبتة في الكتاب الذي لا يتغير يوجب أن لا **يشتد فرح الإنسان** بما وقع، وأن لا يشتد حزنه بما لم يقع، وهذا." (١)

"هو المراد

بقوله عليه السلام: «من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب»

وتحقيق الكلام فيه أن على مذهب أهل السنة أن وقوع كل ما وقع واجب، وعدم كل ما لم يقع واجب أيضا لأسباب أربعة أحدها: أن الله تعالى علم وقوعه، فلو لم يقع انقلب العلم جهلا ثانيها: أن الله أراد وقوعه، فلو لم يقع انقلبت الإرادة تمنيا ثالثها: أنه تعلقت قدرة الله تعالى بإيقاعه، فلو لم يقع لانقلبت تلك القدرة عجزا، رابعها: أن الله تعالى حكم بوقوعه بكلامه الذي هو صدق فلو لم يقع لانقلب ذلك الخبر الصدق كذبا، فإن هذا الذي وقع لو لم يقع لتغيرت هذه الصفات الأربعة من كمالها إلى النقص، ومن قدمها إلى الحدوث، ولما كان ذلك ممتنعا علمنا أنه لا دافع لذلك الوقوع، وحينئذ يزول الغم والحزن، عند ظهور هذه الخواطر وهانت عليه المحن والمصائب، وأما المعتزلة فهب أنهم ينازعون في القدرة والإرادة، ولكنهم يوافقون في العلم والخير، وإذا كان الجبر لازما في هاتين الصفتين، فأي فرق بين أن يلزم الجبر بسبب هاتين الصفتين وبين أن يلزم بسبب الصفات الأربع، وأما الفلاسفة فالجبر مذهبهم، وذلك لأنهم ربطوا حدوث الأفعال الإنسانية بالتصورات الذهنية والتخيلات الحيوانية، ثم ربطوا تلك التصورات والتخيلات بالأدوار الفلكية التي لها مناهج مقدرة، ويمتنع وقوع ما يخالفها، وأما الدهرية الذين لا يثبتون شيئا من المؤثرات فهم لا بد وأن يقولوا بأن حدوث الحوادث اتفاقي، وإذا كان اتفاقيا لم يكن اختياريا، فيكون الجبر لازما، فظهر أنه لا مندوحة عن هذا لأحد من فرق العقلاء، سواء أقروا به أو أنكروه، فهذا بيان وجه استدلال أهل السنة بهذه الآية، قالت المعتزلة: الآية دالة على صحة مذهبنا في كون العيد متمكنا مختارا، وذلك من وجوه الأول: أن قوله: لكيلا تأسوا على ما فاتكم يدل على أنه تعالى إنما أخبرهم بكون تلك المصائب مثبتة في الكتاب لأجل أن يحترزوا عن الحزن والفرح، ولولا أنهم قادرون على تلك الأفعال لما بقي لهذه اللام فائدة والثاني: أن هذه الآية تدل على أنه تعالى لا يريد أن يقع منهم الحزن والفرح وذلك خلاف قول المجبرة: إن الله تعالى/ أراد كل ذلك منهم والثالث: أنه تعالى قال بعد هذه الآية: والله لا يحب كل مختال فخور وهذا يدل على أنه تعالى لا يريد ذلك لأن المحبة والإرادة سواء، فهو خلاف قول المجبرة: إن كل واقع فهو مراد الله تعالى الرابع: أنه تعالى أدخل لام التعليل على فعله بقوله:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٩/٤٦٧

لكيلا وهذا يدل على أن أفعال الله تعالى معللة بالغرض، وأقول: العاقل يتعجب جدا من كيفية تعلق هذه الآيات بالجبر والقدر وتعلق كلتا الطائفتين بأكثرها.

المسألة الثانية: قال أبو علي الفارسي قرأ أبو عمرو وحده: بما أتاكم قصرا، وقرأ الباقون: آتاكم ممدودا، حجة أبي عمرو أن: أتاكم معادل لقوله: فاتكم فكما أن الفعل للغائب في قوله: فاتكم كذلك يكون الفعل للآني في قوله: بما آتاكم والعائد إلى الموصول في الكلمتين الذكر المرفوع بأنه فاعل، وحجة الباقين أنه إذا مد كان ذلك منسوبا إلى الله تعالى وهو المعطي لذلك، ويكون فاعل الفعل في: آتاكم ضميرا عائدا إلى اسم الله سبحانه وتعالى والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما آتاكموه.

المسألة الثالثة: قال المبرد: ليس المراد من قوله: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم نفي الأسى والفرح على الإطلاق بل معناه لا تحزنوا حزنا يخرجكم إلى أن تهلكوا أنفسكم ولا تعتدوا بثواب على فوات ما سلب منكم، ولا تفرحوا فرحا شديد يطغيكم حتى تأشروا فيه وتبطروا، ودليل ذلك قوله تعالى: والله لا يحب كل مختال فدل بهذا على أنه **ذم الفرح الذي** يختال فيه صاحبه ويبطر، **وأما الفرح بنعمة** الله." (١)

"والشكر عليها فغير مذموم، وهذا كله معنى ما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا للمصيبة صبرا وللخير شكرا. واحتج القاضي بهذه الآية على أنه تعالى لا يريد أفعال العباد والجواب عنه أن كثيرا من أصحابنا من فرق بين المحبة والإرادة فقال: المحبة إرادة مخصوصة، وهي إرادة الثواب فلا يلزم من نفي هذه الإرادة نفي مطلق الإرادة. ثم قال تعالى:

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٤]

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في الآية قولان: الأول: أن هذا بدل من قوله: كل مختال فخور [الحديد: ٢٣] كأنه قال: لا يحب المختال ولا يحب الذين يبخلون يريد الذين **يفرحون الفرح المطغي** فإذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا يكفيهم أنهم بخلوا به بل يأمرون الناس بالبخل به، وكل ذلك نتيجة فرحهم عند إصابته، ثم قال بعد ذلك: ومن يتول عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٨/٢٩

على الفائت والفرح بالآتي فإن الله غني عنه القول الثاني: أن قوله: / الذين يبخلون كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله، وهو في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويخلوا ببيان نعته، وهو مبتدأ وخبره محذوف دل عليه قوله: ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد وحذف الخبر كثير في القرآن كقوله: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال [الرعد: ٣١] .

المسألة الثانية: قال أبو علي الفارسي: قرأ نافع وابن عامر فإن الله الغني الحميد، وحذفوا لفظ هو وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون هو الغني الحميد قال أبو علي: ينبغي أن هو في هذه الآية فصلا لا مبتدأ، لأن الفصل حذفه أسهل، ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب، وقد يحذف فلا يخل بالمعنى كقوله: إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا [الكهف: ٣٩] .

المسألة الثالثة: قوله: فإن الله هو الغني الحميد معناه أن الله غني فلا يعود ضرر عليه ببخل ذلك البخيل، وقوله: الحميد كأنه جواب عن السؤال يذكر هاهنا، فإنه يقال: لما كان تعالى عالما بأنه يبخل بذلك المال ولا يصرفه إلى وجوه الطاعات، فلم أعطاه ذلك المال؟ فأجاب بأنه تعالى حميد في ذلك الإعطاء، ومستحق للحمد حيث فتح عليه أبواب رحمته ونعمته، فإن قصر العبد في الطاعة فإن وباله عائد إليه.

[سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٥]

لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥)

ثم قال تعالى: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وفي تفسير البينات قولان: الأول: وهو قول مقاتل بن سليمان إنها هي المعجزات الظاهرة والدلائل القاهرة والثاني: وهو قول مقاتل بن حيان: أي أرسلناهم بالأعمال التي تدعوهم إلى طاعة الله وإلى الإعراض عن غير الله، والأول هو الوجه الصحيح لأن نبوتهم إنما ثبتت بتلك المعجزات.

ثم قال تعالى: وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس.." (١)

"الله في جنة عرضها السموات والأرض فأكل منها، فأخرجه الله، ثم قرأ: اهبطا منها [طه: ١٢٣] وإياك والحسد فإنه قتل ابن آدم أخاه حين حسده، ثم قرأ: واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق [المائدة: ٢٧]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٩/٢٩

. الثاني:

قال ابن الزبير: ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار. الثالث: قال رجل للحسن: هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب إلا أنه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولسانا. الرابع:

قال معاوية: كل الناس أقدر على/ رضاه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة. الخامس: قيل: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا، ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما، ولا ينال عند الفزع إلا شدة وهولا، وعند الموقف إلا فضيحة ونكالا.

المسألة الثانية: في حقيقة الحسد: إذا أنعم الله على أخيك بنعمة فإن أردت زوالها فهذا هو الحسد، وإن اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة، أما الأول: فحرام بكل حال، إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر يستعين بها على الشر والفساد فلا يضرك محبتك لزوالها فإنك ما تحب زوالها من حيث إنها نعمة، بل من حيث إنها يتوسل بها إلى الفساد والشر والأذى. والذي يدل على أن الحسد ما ذكرنا آيات. أحدها: هذه الآية وهي قوله تعالى: لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم فأخبر أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد. وثانيها: قوله تعالى: ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء [النساء: ٨٩] . وثالثها: قوله تعالى: إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها [آل عمران: ١٢٠] **وهذا الفرح شماتة**، والحسد والشماتة متلازمان. ورابعها: ذكر الله تعالى حسد إخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم بقوله: قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم [يوسف: ٨، ٩] فبين تعالى أن حسدهم له عبارة عن كراهتهم حصول تلك النعمة له.

وخامسها: قوله تعالى: ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا [الحشر: ٩] أي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون، فأثنى الله عليهم بعدم الحسد. وسادسها: قال تعالى في معرض الإنكار: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله [النساء: ٥٤] . وسابعها: قال الله تعالى: كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين [البقرة: ٢١٣] إلى قوله: إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم [البقرة: ٢١٣] قيل في التفسير: حسدا. وثامنها: قوله تعالى: وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم [الشورى: ١٤] فأنزل الله العلم ليؤلف بينهم على طاعته فتحاسدوا واختلفوا، إذ أراد كل واحد أن ينفرد بالرياسة وقبول القول.

وتاسعها: قال ابن عباس: كانت اليهود قبل مبعث النبي عليه السلام إذا قاتلوا قوما قالوا: نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله إلا تنصرنا، فكانوا ينصرون، فلما جاء النبي عليه السلام من ولد إسماعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى: وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا [البقرة: ٨٩] إلى قوله: أن يكفروا بما أنزل الله بغيا [البقرة: ٩٠] أي حسدا.
وقالت صفية بنت حيي للنبي عليه السلام: جاء أبي وعمي من عندك فقال أبي لعمي ما تقول فيه؟ قال: أقول: إنه النبي الذي بشر به موسى عليه السلام، قال: فما ترى؟ قال: أرى معاداته أيام الحياة،
فهذا حكم الحسد. أما المنافسة فليست بحرام وهي مشتقة من النفاسة، والذي يدل على أنها ليست بحرام وجوه. أولها: قوله تعالى: وفي ذلك فليتنافس." (١)
"المتنافسون
[المطففين: ٢٦] . وثانيها: قوله تعالى: سابقوا إلى مغفرة من ربكم [الحديد: ٢١] وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة/ مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها. وثالثها:
قوله عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا فأنفقه في سبيل الله، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس» .
وهذا الحديث يدل على أن لفظ الحسد قد يطلق على المنافسة، ثم نقول: المنافسة قد تكون واجبة ومندوبة ومباحة، أما الواجبة فكما إذا كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة، فههنا يجب عليه أن يحب له مثل ذلك، لأنه إن لم يحب ذلك كان راضيا بالمعصية وذلك حرام، وأما إن كانت تلك النعمة من الفضائل المندوبة كالإنفاق في سبيل الله والتشمير لتعليم الناس كانت المنافسة فيها مندوبة، وأما إن كانت تلك النعم ة من المباحات كانت المنافسة فيها من المباحات، وبالجملة فالمذموم أن يحب زوالها عن الغير، فأما أن يحب حصولها له وزوال النقصان عنه فهذا غير مذموم، لكن هاهنا دقيقة وهي أن زوال النقصان عنه بالنسبة إلى الغير له طريقان. أحدهما: أن يحصل له مثل ما حصل للغير. والثاني: أن يزول عن الغير ما لم يحصل له فإذا حصل اليأس عن أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر، فههنا إن وجد قلبه بحيث لو قدر على إزالة تلك الفضيلة عن تلك الشخص لأزالها، فهو صاحب الحسد المذموم وإن كان يجد قلبه بحيث تردعه التقوى عن إزالة تلك النعمة عن الغير فالمرجو من الله

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٤٦/٣

تعالى أن يعفو عن ذلك، ولعل هذا هو المراد من

قوله عليه السلام: «ثلاث لا ينفك المؤمن منهن، الحسد والظن والطيرة، ثم قال: وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ» ،

أي إن وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به، فهذا هو الكلام في حقيقة الحسد وكله من كلام الشيخ الغزالي رحمة الله عليه.

المسألة الثالثة: في مراتب الحسد، قال الغزالي رحمه الله هي أربعة. الأولى: أن يحب زوال تلك النعمة وإن كان ذلك لا يحصل له وهذا غاية الحسد. والثانية: أن يحب زوال تلك النعمة عنه إليه وذلك مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة نالها غيره وهو يحب أن تكون له، فالمطلوب بالذات حصوله له، فأما زواله عن غيره فمطلوب بالعرض. الثالثة: أن لا يشتهي عنها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها لكي لا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها، فإن لم يحصل فلا يحب زوالها، وهذا الأخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة: منها مذمومة وغير مذمومة، والثانية: أخف من الثالثة، والأول: مذموم محض قال تعالى: ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض [النساء: ٣٢] فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم و أما تمنيه عين ذلك فهو مذموم.

المسألة الرابعة: ذكر الشيخ الغزالي رحمة الله عليه للحسد سبعة أسباب:

السبب الأول: العداوة والبغضاء، فإن من آذاه إنسان أبغضه قلبه وغضب عليه، وذلك/ الغضب يولد الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن التشفي بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، فمهما أصاب عدوه آفة وبلاء فرح، ومهما أصابته نعمة ساءته، وذلك لأنه ضد مراده، فالحسد من لوازم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وأقصى الإمكان في هذا الباب أن لا يظهر تلك العداوة من نفسه وأن يكره تلك الحالة من نفسه، فأما أن يبغض إنسانا ثم تستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن، وهذا النوع من الحسد هو الذي وصف الله الكفار به، إذ قال: وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا." (١)

"بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور، إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها [آل عمران: ١١٩، ١٢٠] وكذا قال: ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم [آل عمران: ١١٨] . واعلم أن الحسد ربما أفضى إلى التنازع والتقاتل.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٤٧/٣

السبب الثاني: التعزز، فإن واحدا من أمثاله إذا نال منصبا عاليا ترفع عليه وهو لا يمكنه تحمل ذلك، فيريد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه أن يتكبر، بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد يرضى بمساواته ولكنه لا يرضى بترفعه عليه.

السبب الثالث: أن يكون في طبيعته أن يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض، ومن هذا الباب كان حسد أكثر الكفار للرسول عليه الصلاة والسلام إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ له رؤوسنا؟ فقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [الزخرف: ٣١] وقال تعالى يصف قول قريش: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا [الأنعام: ٥٣] كالاستحقار بهم والأنفة منهم.

السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله عن الأمم الماضية إذ قالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا [إبراهيم: ١٠] ، وقالوا: أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون [المؤمنون: ٤٧] ، ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون [المؤمنون: ٣٤] وقالوا متعجبين: أبعث الله بشرا رسولا [الإسراء: ٩٤] وقالوا: لولا أنزل علينا الملائكة [الفرقان: ٢١] وقال: أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم [الأعراف: ٦٣، ٦٩] .

السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد منهما يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الباب تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلوب الأبوين للتوصل إلى مقاصد المال والكرامة، وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة، إذ كان غرضهما نيل المال والقبول عندهم.

السبب السادس: حب الرياسة وطلب الجاه نفسه من غير توسل به إلى مقصوده، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته وزوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو زهد أو ثروة ويفرح بسبب تفرده.

السبب السابع: شح النفس بالخير على عباد الله، فإنك تجد من لا يشتغل برياسة ولا بكبر ولا بطلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك، وإذا وصف اضطراب أمور الناس وإدبارهم وتنغص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته، ويقال: البخيل من بخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث النفس ورذالة جبلته في الطبع، لأن سائر أنواع الحسد

يرجى زواله لإزالة سببه، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته. فهذه هي أسباب الحسد، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد ويقوى قوة لا يقوى صاحبها معها." (١)

"حاصلا في حيز لكان ذلك الحيز موجودا، ولو كان ذلك الحيز موجودا لكان شيئا ولكان مقدور الله لقوله تعالى: وهو على كل شيء قدير وإذا كان تحقق ذلك الحيز بقدرة الله وبإيجاده، فيلزم أن يكون الله متقدما في الوجود على تحقق ذلك الحيز، ومتى كان كذلك كان وجود الله في الأزل محققا من غير حيز وله جهة أصلا والأزلي لا يزول ألبتة، فثبت أنه تعالى منزه عن الحيز والمكان أزلا وأبدا.

المسألة التاسعة: أنه تعالى قال أولا: بيده الملك ثم قال بعده: وهو على كل شيء قدير وهذا مشعر بأنه إنما يكون بيده الملك لو ثبت أنه على كل شيء قدير، وهذا هو الذي يقوله أصحابنا من أنه لو وقع مراد العبد ولا يقع مراد الله، لكان ذلك مشعرا بالعجز والضعف، وبأن لا يكون مالك الملك على الإطلاق، فدل ذلك، على أنه لما كان مالك الملك وجب أن يكون قادرا على جميع الأشياء.

المسألة العاشرة: القدير مبالغة في القادر، فلما كان قديرا على كل الأشياء وجب أن لا يمنعه ألبتة مانع عن إيجاد شيء من مقدوراته، وهذا يقتضي أن لا يجب لأحد عليه شيء وإلا لكان ذلك الوجوب مانعا له من الترك وأن لا يقبح منه شيء وإلا لكان ذلك القبح مانعا له من الفعل، فلا يكون كاملا في القدرة، فلا يكون قديرا والله أعلم.

[سورة الملك (٦٧) : آية ٢]

الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (٢)

قوله تعالى: الذي خلق الموت والحياة فيه مسائل:

المسألة الأولى: قالوا: الحياة هي الصفة التي يكون الموصوف بها بحيث يصح أن يعلم ويقدر واختلفوا في الموت، فقال قوم: إنه عبارة عن عدم هذه الصفة وقال أصحابنا: إنه صفة وجودية مضادة للحياة واحتجوا على قولهم بأنه تعالى قال: الذي خلق الموت والعدم لا يكون مخلوقا هذا هو التحقيق، وروى الكلبي بإسناده عن ابن عباس أن الله تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء، ولا يجد رائحته شيء إلا مات وخلق الحياة/ في صورة فارس يلقاه فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء ولا يجد ريحتها شيء

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦٤٨/٣

إلا حيي. واعلم أن هذا لا بد وأن يكون مقولا على سبيل التمثيل والتصوير، وإلا فالتحقيق هو الذي ذكرناه.
المسألة الثانية: إنما قدم ذكر الموت على ذكر الحياة مع أن الحياة مقدمة على الموت لوجوه: أحدها:
قال مقاتل: يعني بالموت نطفة وعلقة ومضغة والحياة نفخ الروح وثانيها: روى عطاء عن ابن عباس قال:
يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة دار الحيوان وثالثها: أنه
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن مناديا ينادي يوم القيامة يا أهل الجنة، فيعلمون أنه من قبل الله عز وجل فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا: نعم، ثم يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ويذبح ثم ينادى يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرح، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزن»
واعلم أنا بينا أن الموت عرض من الأعراض كالسكون والحركة فلا يجوز أن يصير كبشا بل المراد منه التمثيل ليعلم أن في ذلك اليوم قد انقضى أمر الموت، فظهر بما ذكرناه أن أيام الموت هي أيام الدنيا وهي منقضية، وأما أيام الآخرة فهي أيام الحياة وهي متأخرة فلما كانت أيام الموت متقدمة على أيام الحياة لا جرم قدم الله ذكر الموت على ذكر الحياة." (١)

"٣٣] وقال: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم [الشورى: ٤٨] .
والقول الثاني: ما ذكره مجاهد والحسن ثم رددناه إلى النار،
قال علي عليه السلام: وضع أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض فيبدأ بالأسفل فيملأ وهو أسفل سافلين، وعلى هذا التقدير فالمعنى ثم رددناه إلى أسفل سافلين إلى النار.

[سورة التين (٩٥) : آية ٦]
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون (٦)
أما قوله تعالى: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاعلم أن هذا الاستثناء على القول الأول منقطع، والمعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله إياهم بالشيخوخة والهرم، وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة وعلى تخاذل نهوضهم، وأما على القول الثاني فالاستثناء متصل ظاهر الاتصال.
أما قوله تعالى: فلهم أجر غير ممنون ففيه قولان: أحدهما: غير منقوص ولا مقطوع وثانيهما: أجر غير

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٧٩/٣٠

ممنون أي لا يمن به عليهم، واعلم أن كل ذلك من صفات الثواب، لأنه يجب أن يكون غير منقطع وأن لا يكون منغصا بالمنة. ثم قال تعالى:

[سورة التين (٩٥) : آية ٧]

فما يكذبك بعد بالدين (٧)

وفيه سؤالان:

الأولى: من المخاطب بقوله: فما يكذبك؟ الجواب فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للإنسان على طريقة الالتفات، والمراد من قوله: فما يكذبك أن كل من أخبر عن الواقع بأنه لا يقع فهو كاذب، والمعنى فما الذي يلجئك إلى هذا الكذب والثاني: وهو اختيار الفراء إنه خطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى فمن يكذبك يا أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل بالدين.

السؤال الثاني: ما وجه التعجب؟ الجواب: أن خلق الإنسان من النطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي، تم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر دليل واضح على قدرة الخالق على الحشر والنشر، فمن شاهد هذه الحالة ثم بقي مصرا على إنكار الحشر فلا شيء أعجب منه. ثم قال تعالى:

[سورة التين (٩٥) : آية ٨]

أليس الله بأحكم الحاكمين (٨)

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسيره وجهين أحدهما: أن هذا تحقيق لما ذكر من خلق الإنسان ثم رده إلى أرذل العمر، يقول الله تعالى: أليس الذي فعل ذلك بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا، وإذا ثبتت القدرة والحكمة بهذه الدلالة صح القول بإمكان الحشر ووقوعه، أما الإمكان فبالنظر إلى القدرة، وأما الوقوع فبالنظر إلى الحكمة لأن عدم ذلك يقدح في الحكمة، كما قال تعالى: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٣/٣٢

"المسألة الرابعة: أول السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال، وكفى بذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال. ثم قال تعالى:

[سورة العلق (٩٦) : آية ٨]

إن إلى ربك الرجعى (٨)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: هذا الكلام واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان.

المسألة الثانية: الرجعى

المرجع والرجوع وهي بأجمعها مصادر، يقال: رجع إليه رجوعا/ ومرجعا ورجعى على وزن فعلى، وفي معنى الآية وجهان: أحدهما: أنه يرى ثواب طاعته وعقاب تمرده وتكبره وطغيانه، ونظيره قوله: ولا تحسبن الله غافلا إلى قوله: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار [إبراهيم: ٤٢] وهذه الموعظة لا تؤثر إلا في قلب من له قدم صدق، أما الجاهل فيغضب ولا يعتقد **إلا الفرح العاجل** والقول الثاني: أنه تعالى يرده ويرجعه إلى النقصان والفقر والموت، كما رده من النقصان إلى الكمال، حيث نقله من الجمادية إلى الحياة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الذل إلى العز، فما هذا التعزز والقوة.

المسألة الثالثة:

روي أن أبا جهل قال للرسول عليه الصلاة والسلام: أتزعم أن من استغنى طغى، فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى، فندع ديننا ونتبع دينك، فنزل جبريل وقال: إن شئت فعلنا ذلك، ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم مثل ما فعلنا بأصحاب المائدة، فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء إبقاء عليهم.

[سورة العلق (٩٦) : الآيات ٩ الى ١٠]

أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى (١٠)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: روي عن أبي جهل لعنه الله أنه قال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فوالذي يحلف به لئن رأيته لأطأن عنقه، ثم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فنكص على عقبيه، فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهو لا شديدا. وعن الحسن أن

أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة.

واعلم أن ظاهر الآية هو الإنسان المتقدم ذكره، فلذلك قالوا: إنه ورد في أبي جهل، وذكروا ما كان منه من التوعد لمحمد عليه الصلاة والسلام حين رآه يصلي، ولا يمتنع أن يكون نزولها في أبي جهل، ثم يعم في الكل، لكن ما بعده يقتضي أنه في رجل بعينه.

المسألة الثانية: قوله: أرأيت خطاب مع الرسول على سبيل التعجب، ووجه التعجب فيه أمور أحدها:

أنه عليه السلام قال: اللهم أعز الإسلام إما بأبي جهل بن هشام أو بعمر،

فكأنه تعالى قال له: كنت تظن أنه يعز به الإسلام، أمثله يعز به الإسلام، وهو ينهى عبدا إذا صلى وثانيها: أنه كان يلقب بأبي الحكم، فكأنه تعالى يقول: كيف يليق به هذا اللقب وهو ينهى العبد عن خدمة ربه، أيوصف بالحكمة من يمنع عن طاعة الرحمن ويسجد للأوثان! وثالثها: أن ذلك الأحمق يأمر وينهى، ويعتقد أنه يجب على الغير طاعته، مع أنه ليس." (١)

"ربك، وهي السعادات الروحانية والمعارف الربانية التي هي باقية أبدية. ولنشرع الآن في التفسير قوله تعالى:

إنا أعطيناك الكوثر [في قوله تعالى إنا أعطيناك] اعلم أن فيه فوائد:

الفائدة الأولى: أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور، وكالأصل لما بعدها من السور. أما أنها كالتتمة لما قبلها من السور، فلأن الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح محمد عليه الصلاة والسلام وتفصيل أحواله، فذكر في أول السورة ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته أولها: قوله: ما ودعك ربك وما قلى، وثانيها: قوله: وللآخرة خير لك من الأولى [الضحى: ٤] وثالثها: ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختم هذه السورة بذكر ثلاثة أحوال من أحواله عليه السلام فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله: ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى [الضحى: ٦- ٨] .

ثم ذكر في سورة: ألم نشرح أنه شرفه بثلاثة أشياء أولها: ألم نشرح لك صدرك وثانيها:

ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك، وثالثها: ورفعنا لك ذكرك.

ثم إنه تعالى شرفه في سورة التين بثلاثة أنواع من التشريف أولها: أنه أقسم ببلده وهو قوله: وهذا البلد الأمين، وثانيها: أنه أخبر عن خلاص أمته عن النار وهو قوله: إلا الذين آمنوا، وثالثها: وصولهم إلى الثواب وهو قوله: فلهم أجر غير ممنون.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢١/٣٢

ثم شرفه في سورة اقرأ بثلاثة أنواع من التشريفات أولها: اقرأ باسم ربك أي اقرأ القرآن على الحق مستعينا باسم ربك وثانيها: أنه قهر خصمه بقوله: فليدع ناديه سندع الزبانية، وثالثها: أنه خصه بالقربة التامة وهو: واسجد واقترب.

وشرفه في سورة القدر بليلة القدر التي لها ثلاثة أنواع من الفضيلة أولها: كونها خيرا من ألف شهر، وثانيها: نزول الملائكة والروح فيها وثالثها: كونها: سلاما حتى مطلع الفجر.

وشرفه في سورة لم يكن بأن شرف أمته بثلاثة تشريفات أولها: أنهم خير البرية وثانيها: أن جزاؤهم عند ربهم جنات، وثالثها: رضا الله عنهم.

وشرفه في سورة إذا زلزلت بثلاث تشريفات: أولها: قوله: يومئذ تحدث أخبارها وذلك يقتضي أن الأرض تشهد يوم القيامة لأمته بالطاعة والعبودية والثاني: قوله: يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم وذلك يدل على أنه تعرض عليهم طاعاتهم فيحصل **لهم الفرح والسرور**، وثالثها: قوله: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومعرفة الله لا شك أنها أعظم من كل عظيم فلا بد وأن يصلوا إلى ثوابها ثم شرفه في سورة العاديات بأن أقسم بخيل الغزاة من أمته فوصف/ تلك الخيل بصفات ثلاث: والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا.

ثم شرف أمته في سورة القارعة بأمور ثلاثة أولها: فمن ثقلت موازينه وثانيها: أنهم في عيشة راضية وثالثها: أنهم يرون أعداءهم في نار حامية.

في شرفه في سورة ألهاكم بأن بين أن المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة أوجه أولها: أنهم يرون الجحيم وثانيها: أنهم يرونها عين اليقين وثالثها: أنهم يسألون عن النعيم.." (١)

"يحولنهم من رأي إلى رأي، ومن عزيمة إلى عزيمة، فأمر الله رسوله بالتعوذ من شرهن كقوله: إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم [التغابن: ١٤] فلذلك عظم الله كيدهن فقال: إن كيدكن عظيم [يوسف: ٢٨] .

واعلم أن هذا القول حسن، لولا أنه على خلاف قول أكثر المفسرين.

المسألة الثانية: أنكرت المعتزلة تأثير السحر، وقد تقدمت هذه المسألة، ثم قالوا: سبب الاستعاذة من شرهن لثلاثة أوجه أحدها: أن يستعاذ من إثم عملهن في السحر والثاني: أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن أن يستعاذ من إطعامهن الأطعمة الرديئة المورثة للجنون والموت.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٠٨/٣٢

[سورة الفلق (١١٣) : آية ٥]

ومن شر حاسد إذا حسد (٥)

من المعلوم أن الحاسد هو الذي تشتد محبته لإزالة نعمة الغير إليه، ولا يكاد يكون كذلك إلا ولو تمكن من ذلك بالحيل لفعل، فلذلك أمر الله بالتعوذ منه، وقد دخل في هذه السورة كل شر يتوقى ويتحرز منه دينا ودنيا، فلذلك لما نزلت فرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولها لكونها مع ما يليها جامعة في التعوذ لكل أمر، ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره. بقي هنا سؤالان:

السؤال الأول: قوله: من شر ما خلق عام في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد الجواب: تنبيها على أن هذه الشرور أعظم أنواع الشر.

السؤال الثاني: لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ الجواب: عرف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة، ونكر غاسقا لأنه ليس كل غاسق شريرا، وأيضا ليس كل حاسد شريرا، بل رب حسد يكون محمودا وهو الحسد في الخيرات.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.." [١]

"شيخوخته، فقوله أنى يكون لي غلام معناه: كيف تعطي الولد على القسم الأول أم على القسم الثاني؟ فقيل له كذلك، أي على هذا الحال والله يفعل ما يشاء، وهذا القول ذكره الحسن والأصم والثاني: أن من كان آيسا من الشيء مستبعدا لحصوله ووقوعه إذا اتفق أن حصل له ذلك المقصود فربما صار كالمدهوش من شدة الفرح فيقول: كيف حصل هذا، ومن أين وقع هذا كمن يرى إنسانا وهبه أموالا عظيمة، يقول كيف وهبت هذه الأموال، ومن أين سمحت نفسك بهبتها؟ فكذا هاهنا لما كان زكريا عليه السلام مستبعدا لذلك، ثم اتفق إجابة الله تعالى إليه، صار من عظم فرحه وسروره قال ذلك الكلام الثالث: أن الملائكة لما بشروه بيحيى لم يعلم أنه يرزق الولد من جهة أنثى أو من صلبه، فذكر هذا الكلام لذلك الاحتمال الرابع: أن العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء فطلبه من السيد، ثم إن/ السيد يعده بأنه سيعطيه بعد ذلك، فالتذ السائل بسماع ذلك الكلام، فربما أعاد السؤال ليعيد ذلك الجواب فحينئذ يلتذ بسماع تلك الإجابة مرة أخرى، فالسبب في إعادة زكريا هذا الكلام يحتمل أن يكون من هذا الباب

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٢/٣٧٥

الخامس: نقل سفيان بن عيينة أنه قال: كان دعاؤه قبل البشارة بستين سنة حتى كان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة زمان الشيخوخة لا جرم استبعد ذلك على مجرى العادة لا شكا في قدرة الله تعالى فقال ما قال السادس: نقل عن السدي أن زكريا عليه السلام جاءه الشيطان عند سماع البشارة فقال إن هذا الصوت من الشيطان، وقد سخر منك فاشتبه الأمر على زكريا عليه السلام فقال:

رب أنى يكون لي غلام وكان مقصوده من هذا الكلام أن يريه الله تعالى آية تدل على أن ذلك الكلام من الوحي والملائكة لا من إلقاء الشيطان قال القاضي: لا يجوز أن يشتبه كلام الملائكة بكلام الشيطان عند الوحي على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق عن كل الشرائع ويمكن أن يقال: لما قامت المعجزات على صدق الوحي في كل ما يتعلق بالدين لا جرم حصل الوثوق هناك بأن الوحي من الله تعالى بواسطة الملائكة ولا مدخل للشيطان فيه، أما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فربما لم يتأكد ذلك المعجز فلا جرم بقي احتمال كون ذلك من الشيطان فلا جرم رجع إلى الله تعالى في أن يزيل عن خاطره ذلك الاحتمال.

أما قوله تعالى: وقد بلغني الكبر ففيه مسائل:

المسألة الأولى: الكبر مصدر كبر الرجل يكبر إذا أسن، قال ابن عباس: كان يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت تسعين وثمان.

المسألة الثانية: قال أهل المعاني: كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك، وكلما جاز أن يقول: بلغت الكبر جاز أن يقول بلغني الكبر يدل عليه قول العرب: لقيت الحائط، وتلقاني الحائط.

فإن قيل: يجوز بلغني البلد في موضع بلغت البلد، قلنا: هذا لا يجوز، والفرق بين الموضعين أن الكبر كالشيء الطالب للإنسان فهو يأتيه بحدوثه فيه، والإنسان أيضا يأتيه بمرور السنين عليه، أما البلد فليس كالطالب للإنسان الذاهب، فظهر الفرق.

أما قوله وامرأتي عاقر.

اعلم أن العاقر من النساء التي لا تلد، يقال: عقر يعقر عقرا، ويقال أيضا عقر الرجل، وعقر بالحركات الثلاثة في القاف إذا لم يحمل له، ورمل عاقر: لا ينبت شيئا، واعلم أن زكريا عليه السلام ذكر كبر نفسه مع." (١)

"بأن صار كل واحد من أولئك الأحبار رئيسا في بلد، ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدعي أنه على الحق وأن صاحبه على الباطل، وأقول: إنك إذا أنصفت علمت أن أكثر علماء هذا الزمان صاروا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٤/٨

موصوفين بهذه الصفة فنسأل الله العفو والرحمة.

المسألة الرابعة: إنما قال: من بعد ما جاءهم البينات ولم يقل (جاءتهم) لجواز حذف علامة من الفعل إذا كان فعل المؤنث متقدما.

ثم قال تعالى: وأولئك لهم عذاب عظيم يعني الذين تفرقوا لهم عذاب عظيم في الآخرة بسبب تفرقهم، فكان ذلك زجرا للمؤمنين عن التفرق.

ثم قال تعالى: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه اعلم أنه تعالى لما أمر اليهود ببعض الأشياء ونهاهم عن بعض، ثم أمر المسلمين بالبعض ونهاهم عن البعض أتبع ذلك بذكر أحوال الآخرة، تأكيدا للأمر، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: في نصب يوم وجهان الأول: أنه نصب على الظرف، والتقدير: ولهم عذاب عظيم في هذا اليوم، وعلى هذا التقدير ففيه فائدتان إحداهما: أن ذلك العذاب في هذا اليوم، والأخرى أن من حكم هذا اليوم أن تبيض فيه وجوه وتسود وجوه والثاني: أنه منصوب بإضمار (اذكر) .

المسألة الثانية: هذه الآية لها نظائر منها قوله تعالى: ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة [الزمر: ٦٠] ومنها قوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة [يونس: ٢٦] ومنها قوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة [عبس: ٣٨- ٤١] ومنها قوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة [القيامة: ٢٢- ٢٥] ومنها قوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم [المطففين: ٢٤] ومنها قوله يعرف المجرمون بسيماهم [الرحمن: ٤١] .

إذا عرفت هذا فنقول: في هذا البياض والسواد والغبرة والقترة والنضرة للمفسرين قولان أحدهما: أن البياض مجاز عن الفرح والسرور، والسواد عن الغم، وهذا مجاز مستعمل، قال تعالى: وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم [النحل: ٥٨] ويقال: لفلان عندي يد بيضاء، أي جلية سارة، ولما سلم الحسن بن علي رضي الله عنه الأمر لمعاوية قال له بعضهم: يا مسود وجوه المؤمنين، ولبعضهم في الشيب.

يا بياض القرون سودت وجهي ... عند بيض الوجوه سود القرون

فلعمري لأخفينك جهدي ... عن عياني وعن عيان العيون

بسواد فيه بياض لوجهي ... وسواد لوجهك الملعون

وتقول العرب لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه: ابيض وجهه ومعناه الاستبشار والتهلل وعند التهنئة بالسرور يقولون: الحمد لله الذي بيض وجهك، ويقال لمن وصل إليه مكروه: اربد وجهه واغبر لونه وتبدلت صورته،

فعلى هذا معنى الآية أن المؤمن يرد يوم القيامة على ما قدمت يداه فإن كان ذلك من الحسنات ابيض وجهه." (١)

"بمعنى استبشر بنعم الله وفضله، وعلى ضد ذلك إذا رأى الكافر أعماله القبيحة محصاة اسود وجهه بمعنى شدة الحزن والغم وهذا قول أبي مسلم الأصفهاني.

والقول الثاني: إن هذا البياض والسواد يحصلان في وجوه المؤمنين والكافرين، وذلك لأن اللفظ حقيقة فيهما، ولا دليل يوجب ترك الحقيقة، فوجب المصير إليه، قلت: ولأبي مسلم أن يقول: الدليل دل على ما قلناه، وذلك لأنه تعالى قال: وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة فجعل الغبرة والقترة في مقابلة الضحك والاستبشار، فلو لم يكن المراد بالغبرة والقترة ما ذكرنا من المجاز لما صح جعله مقابلا، فعلمنا أن المراد من هذه الغبرة والقترة الغم والحزن حتى يصح هذا التقابل، ثم قال القائلون بهذا القول: الحكمة في ذلك أن أهل/ الموقف إذا رأوا البياض في وجه إنسان عرفوا أنه من أهل الثواب فزادوا في تعظيمه فيحصل **له الفرح بذلك** من وجهين أحدهما: أن السعيد يفرح بأن يعلم قومه أنه من أهل السعادة، قال تعالى مخبرا عنهم يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين [يس: ٢٦، ٢٧] الثاني: أنهم إذا عرفوا ذلك خصوه بمزيد التعظيم فثبت أن ظهور البياض في وجه المكلف سبب لمزيد سروره في الآخرة وبهذا الطريق يكون ظهور السواد في وجه الكفار سببا لمزيد غمهم في الآخرة، فهذا وجه الحكمة في الآخرة، وأما في الدنيا فالمكلف حين يكون في الدنيا إذا عرف حصول هذه الحالة في الآخرة صار ذلك مرغبا له في الطاعات وترك المحرمات لكي يكون في الآخرة من قبيل من يبيض وجهه لا من قبيل من يسود وجهه، فهذا تقرير هذين القولين.

المسألة الثالثة: احتج أصحابنا بهذه الآية على أن المكلف إما مؤمن وإما كافر، وأنه ليس هاهنا منزلة بين المنزلتين كما يذهب إليه المعتزلة، فقالوا: إنه تعالى قسم أهل القيامة إلى قسمين منهم من يبيض وجهه وهم المؤمنون، ومنهم من يسود وجهه وهم الكافرون ولم يذكر الثالث، فلو كان هاهنا قسم ثالث لذكره الله تعالى قالوا وهذا أيضا متأكد بقوله تعالى: وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة [عبس: ٣٨- ٤٢] .

أجاب القاضي عنه بأن عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه، يبين ذلك أنه تعالى إنما قال: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فذكرهما على سبيل التنكير، وذلك لا يفيد العموم، وأيضا المذكور في الآية المؤمنون

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣١٧/٨

والذين كفروا بعد الإيمان ولا شبهة أن الكافر الأصلي من أهل النار مع أنه غير داخل تحت هذين القسمين، فكذا القول في الفساق.

واعلم أن وجه الاستدلال بالآية هو أنا نقول: الآيات المتقدمة ما كانت إلا في الترغيب في الإيمان بالتوحيد والنبوة وفي الزجر عن الكفر بهما ثم إنه تعالى أتبع ذلك بهذه الآية فظاهرها يقتضي أن يكون ابيضاض الوجه نصيبا لمن آمن بالتوحيد والنبوة، واسوداد الوجه يكون نصيبا لمن أنكر ذلك، ثم دل ما بعد هذه الآية على أن صاحب البياض من أهل الجنة، وصاحب السواد من أهل النار، فحينئذ يلزم نفي المنزلة بين المنزلتين، وأما قوله يشكل هذا بالكافر الأصلي فجوابنا عنه من وجهين الأول: أن نقول لم لا يجوز أن يكون المراد منه أن كل أحد أسلم وقت استخراج الذرية من صلب آدم؟ وإذا كان كذلك كان الكل داخلا فيه والثاني: وهو أنه تعالى قال في آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فجعل موجب العذاب هو الكفر من حيث إنه كفر لا الكفر." (١)

"والجواب: هذا الدليل الذي ذكره الله تعالى لا يتمشى إلا إذا اعترفنا بالقضاء والقدر، وذلك لأنا إذا قلنا لا يدخل الشيء في الوجود إلا بقضاء الله وقدره، اعترفنا بأن الكافر لا يقتل المسلم إلا بقضاء الله، وحينئذ لا يبقى بين القتل وبين الموت فرق، فيصح الاستدلال أما إذا قلنا بأن فعل العبد ليس بتقدير الله وقضائه، كان الفرق بين الموت والقتل ظاهرا من الوجه الذي ذكرتم، فتفضي إلى فساد الدليل الذي ذكره الله تعالى، ومعلوم أن المفضي إلى ذلك يكون باطلا، فثبت أن هذه الآية دالة على أن الكل بقضاء الله. وقوله: إن كنتم صادقين يعني: إن كنتم صادقين في كونكم مشتغلين بالحذر عن المكاره والوصول إلى المطالب.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٦٩ الى ١٧٠]

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠)

[وقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء] اعلم أن القوم لما ثبطوا الراغبين في الجهاد بأن قالوا: الجهاد يفضي إلى القتل، كما قالوا في حق من خرج إلى الجهاد يوم أحد، والقتل شيء مكروه، فوجب الحذر عن الجهاد، ثم إن الله تعالى بين أن قولهم:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣١٨/٨

الجهاد يقضي إلى القتل باطل، بأن القتل إنما يحصل بقضاء الله وقدره كما أن الموت يحصل بقضاء الله وقدره، فمن قدر الله له القتل لا يمكنه الاحتراز عنه، ومن لم يقدر له القتل لا خوف عليه من القتل، ثم أجاب عن تلك الشبهة في هذه الآية بجواب آخر وهو أنا لا نسلم أن القتل في سبيل الله شيء مكروه، وكيف يقال ذلك والمقتول في سبيل الله أحياه الله بعد القتل وخصه بدرجات القربة والكرامة، وأعطاه أفضل أنواع الرزق وأوصله إلى أجل **مراتب الفرح والسرور**؟ فأي عاقل يقول إن مثل هذا القتل يكون مكروها، فهذا وجه النظم وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: هذه الآية واردة في شهداء بدر وأحد، لأن في وقت نزول هذه الآية لم يكن أحد من الشهداء إلا من قتل في هذين اليومين المشهورين، والمنافقون إنما ينفرون المجاهدين عن الجهاد لئلا يصيروا مقتولين مثل من قتل في هذين اليومين من المسلمين، والله تعالى بين فضائل من قتل في هذين اليومين ليصير ذلك داعيا للمسلمين إلى التشبه بمن جاهد في هذين اليومين وقتل، وتحقيق الكلام أن من ترك الجهاد فربما وصل إلى نعيم الدنيا وربما لم يصل، وبتقدير أن يصل إليه فهو حقير وقليل، ومن أقبل على الجهاد فاز بنعيم الآخرة قطعا وهو نعيم عظيم، ومع كونه عظيما فهو دائم مقيم، وإذا كان الأمر كذلك ظهر أن الإقبال على الجهاد أفضل من تركه.

المسألة الثانية: اعلم أن ظاهر الآية يدل على كون هؤلاء المقتولين أحياء، فإما أن يكون المراد منه حقيقة أو مجازا، فإن كان المراد منه هو الحقيقة، فإما أن يكون المراد أنهم سيصيرون في الآخرة أحياء، أو المراد أنهم أحياء في الحال، وبتقدير أن يكون هذا هو المراد، فإما أن يكون المراد إثبات الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجسمانية، فهذا ضبط الوجوه التي يمكن ذكرها في هذه الآية.

الاحتمال الأول: أن تفسير الآية بأنهم سيصيرون في الآخرة أحياء، قد ذهب إليه جماعة من متكلمي المعتزلة، منهم أبو القاسم الكعبي قال: وذلك لأن المنافقين الذين حكى الله عنهم ما حكى، كانوا يقولون: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يعرضون أنفسهم للقتل فيقتلون ويخسرون الحياة ولا يصلون إلى خير، وإنما كانوا يقولون." (١)

"ذلك لجحدهم البعث والميعاد، فكذبهم الله تعالى وبين بهذه الآية أنهم يبعثون ويرزقون ويوصل إليهم **أنواع الفرح والسرور** والبشارة.

واعلم أن هذا القول عندنا باطل، ويدل عليه وجوه:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩/٤٢٥

الحجة الأولى: أن قوله: بل أحياء ظاهره يدل على كونهم أحياء عند نزول الآية، فحمله على أنهم سيصيرون أحياء بعد ذلك عدول عن الظاهر.

الحجة الثانية: أنه لا شك أن جانب الرحمة والفضل والإحسان أرجح من جانب العذاب والعقوبة، ثم إنه تعالى ذكر في أهل العذاب أنه أحياهم قبل القيامة لأجل التعذيب فإنه تعالى قال: أغرقوا فأدخلوا نارا [٢٥: نوح] والفاء للتعقيب، والتعذيب مشروط بالحياة، وأيضا قال تعالى: النار يعرضون عليها غدوا وعشيا [غافر: ٤٦] وإذا جعل الله أهل العذاب أحياء قبل قيام القيامة لأجل التعذيب، فلأن يجعل أهل الثواب أحياء قبل القيامة لأجل الإحسان والإثابة كان ذلك أولى.

الحجة الثالثة: أنه لو أراد أنه سيجعلهم أحياء عند البعث في الجنة لما قال للرسول عليه/ الصلاة والسلام: ولا تحسبن مع علمه بأن جميع المؤمنين كذلك، أما إذا حملناه على ثواب القبر حسن قوله:

ولا تحسبن لأنه عليه الصلاة والسلام لعله ما كان يعلم أنه تعالى يشرف المطيعين والمخلصين بهذا التشريف، وهو أنه يحييهم قبل قيام القيامة لأجل إيصال الثواب إليهم.

فإن قيل: إنه عليه الصلاة والسلام وإن كان عالما بأنهم سيصيرون أحياء عند ربهم عند البعث ولكنه غير عالم بأنهم من أهل الجنة، فجاز أن يبشره الله بأنهم سيصيرون أحياء ويصلون إلى الثواب والسرور.

قلنا: قوله: ولا تحسبن إنما يتناول الموت لأنه قال: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا فالذي يزيل هذا الحسبان هو كونهم أحياء في الحال لأنه لا حسبان هناك في صيرورتهم أحياء يوم القيامة، وقوله: يرزقون فرحين فهو خبر مبتدأ ولا تعلق له بذلك الحسبان فزال هذا السؤال.

الحجة الرابعة: قوله تعالى: ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم والقوم الذين لم يلحقوا بهم لا بد وأن يكونوا في الدنيا، فاستبشارهم بمن يكون في الدنيا لا بد وأن يكون قبل قيام القيامة، والاستبشار لا بد وأن يكون مع الحياة، فدل هذا على كونهم أحياء قبل يوم القيامة، وفي هذا الاستدلال بحث سيأتي ذكره.

الحجة الخامسة: ما

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في صفة الشهداء: «إن أرواحهم في أجواف طير خضر وإنها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح حيث شاءت وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب مسكنهم ومطعمهم ومشربهم قالوا: يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما صنع الله تعالى بنا كي يرغبوا في الجهاد فقال الله تعالى: أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم ففرحوا بذلك

واستبشروا فأنزل الله تعالى هذه الآية»
وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية، فقال: سألنا عنها فقيل لنا إن الشهداء على نهر بباب الجنة في قبة خضراء، وفي رواية في روضة خضراء،
وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أبشرك أن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال: ما تريد يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك فقال يا رب أحب أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيها مرة أخرى»
والروايات في هذا الباب كأنها بلغت حد التواتر، فكيف يمكن إنكارها؟ طعن الكعبي في هذه الروايات وقال: إنها غير جائزة لأن الأرواح لا تتنعم، وإنما يتنعم الجسم إذا كان فيه روح لا الروح، ومنزلة الروح من البدن منزلة القوة، وأيضا: الخبر المروي ظاهره يقتضي أن هذه." (١)

"وكانت عاقبته يوم القيامة البهجة والسعادة والكرامة، صح أن يقال: إنه حي وليس بميت، كما يقال في الجاهل الذي لا ينفع نفسه ولا ينتقع به أحد إنه ميت وليس بحي، وكما يقال للبليد، إنه حمار، وللمؤذي إنه سبع، وروي أن عبد الملك بن مروان لما رأى الزهري وعلم فقهه وتحقيقه قال له: ما مات من خلف مثلك، وبالجملة فلا شك أن الإنسان إذا مات وخلف ثناء جميلا وذكرا حسنا، فإنه يقال على سبيل المجاز إنه ما مات بل هو حي. الثاني: قال بعضهم مجاز هذه الحياة أن أجسادهم باقية في قبورهم، وأنها لا تبلى تحت الأرض البتة.
واحتج هؤلاء بما روي أنه لما أراد معاوية أن يجري العين على قبور الشهداء، أمر بأن ينادى: من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع، قال جابر: فخرجنا إليهم فأخرجناهم رطاب الأبدان، فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فقطرت دما. والثالث: أن المراد بكونهم أحياء أنهم لا يغسلون كما تغسل الأموات، فهذا/ مجموع ما قيل في هذه الآية والله أعلم بأسرار المخلوقات.
المسألة الثالثة: قال صاحب «الكشاف» : ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء، وفيه وجوه: أحدها: ولا يحسبن رسول الله. والثاني: ولا يحسبن حاسب، والثالث: ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا قال: وقرئ تحسبن بفتح السين، وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف.
المسألة الرابعة: قوله: بل أحياء قال الواحدي: التقدير: بل هم أحياء، قال صاحب «الكشاف» :

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٢٦/٩

قرئ أحياء بالنصب على معنى بل أحسبهم أحياء. وأقول: إن الزجاج قال: ولو قرئ أحياء بالنصب لجاز على معنى بل أحسبهم أحياء، وطعن أبو علي الفارسي فيه فقال: لا يجوز ذلك لأنه أمر بالشك والأمر بالشك غير جائز على الله، ولا يجوز تفسير الحسبان بالعلم لأن ذلك لم يذهب إليه أحد من علماء أهل اللغة، وللزجاج أن يجيب فيقول: الحسبان ظن لا شك، فلم قلتم إنه لا يجوز أن يأمر الله بالظن، أليس أن تكليفه في جميع المجتهدات ليس إلا بالظن.

وأقول: هذه المناظرة من الزجاج وأبي علي الفارسي تدل على أنه ما قرئ أحياء بالنصب بل الزجاج كان يدعي أن لها وجها في اللغة، والفارسي نازعه فيه، وليس كل ما له وجه في الإعراب جازت القراءة به.

أما قوله تعالى: عند ربهم ففيه وجوه: أحدها: بحيث لا يملك لهم أحد نفعا ولا ضرا إلا الله تعالى.

والثاني: هم أحياء عند ربهم، أي هم أحياء في علمه وحكمه، كما يقال: هذا عند الشافعي كذا، وعند أبي حنيفة بخلافه. والثالث: أن عند معناه القرب والإكرام، كقوله: ومن عنده لا يستكبرون [الأنبياء: ١٩] وقوله: الذين عند ربك [الأعراف: ٢٠٦] .

أما قوله: يرزقون فرحين بما آتاهم الله فاعلم أن المتكلمين قالوا الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم، فقوله: يرزقون إشارة إلى المنفعة، وقوله: فرحين إشارة **إلى الفرح الحاصل** بسبب ذلك التعظيم، وأما الحكماء فإنهم قالوا: إذا أشرقت جواهر الأرواح القدسية بالأنوار الإلهية كانت مبتهجة من وجهين: أحدهما: أن تكون ذواتها منيرة مشرقة متلألئة بتلك الجلايا القدسية والمعارف الإلهية. والثاني:

بكونها ناظرة إلى ينبوع النور ومصدر الرحمة والجلالة، قالوا: وابتهاجها بهذا القسم الثاني أتم من ابتهاجها بالأول، فقوله: يرزقون إشارة إلى الدرجة الأولى وقوله: فرحين إشارة إلى الدرجة الثانية، ولهذا قال: فرحين بما آتاهم الله من فضله يعني أن فرحهم ليس بالرزق، بل بإيتاء الرزق لأن المشغول بالرزق مشغول." (١)

"قلنا: الجواب من وجهين: الأول: أن الاستبشار **هو الفرح التام** فلا يلزم التكرار. والثاني: لعل المراد **حصول الفرح بما** حصل في الحال، وحصول الاستبشار بما عرفوا أن النعمة العظيمة تحصل لهم في الآخرة.

المسألة الثانية: قوله: بنعمة من الله وفضل النعمة هي الثواب والفضل هو التفضل الزائد.

المسألة الثالثة: الآية تدل على أن استبشارهم بسعادة إخوانهم أتم من استبشارهم بسعادة أنفسهم، لأن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٢٩/٩

الاستبشار الأول في الذكر هو بأحوال الإخوان، وهذا، تنبيه من الله تعالى على أن فرح الإنسان بصلاح أحوال إخوانه ومتعلقيه، يجب أن يكون أتم وأكمل من فرحه بصلاح أحوال نفسه.

ثم قال: وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ الكسائي وإن الله بكسر الألف على الاستئناف. وقرأ الباقون بفتحها على معنى: وبأن الله، والتقدير: يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين والقراءة الأولى أتم وأكمل لأن على هذه القراءة يكون الاستبشار بفضل الله وبرحمته فقط، وعلى القراءة الثانية يكون الاستبشار بالفضل والرحمة وطلب الأجر، ولا شك أن المقام الأول أكمل لأن كون العبد مشتغلا بطلب الله أتم من اشتغاله بطلب أجر عمله.

المسألة الثانية: المقصود من الآية بيان أن الذي تقدم من إيصال الثواب والسرور العظيم إلى الشهداء ليس حكما مخصوصا بهم، بل كل مؤمن يستحق شيئا من الأجر والثواب، فإن الله سبحانه يوصل إليه ذلك الأجر والثواب ولا يضيعه ألبتة.

المسألة الثالثة: الآية عندنا دالة على العفو عن فساق أهل الصلاة لأنه بإيمانه استحق الجنة/ فلو بقي بسبب فسقه في النار مؤبدا مخلدا لما وصل إليه أجر إيمانه، فحينئذ يضيع أجر المؤمنين على إيمانهم وذلك خلاف الآية.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٧٢]

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (١٧٢)

[في قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح] اعلم أن الله تعالى مدح المؤمنين على غزوتين، تعرف إحداهما بغزوة حمراء الأسد، والثانية بغزوة بدر الصغرى، وكلاهما متصلة بغزوة أحد، أما غزوة حمراء الأسد فهي المراد من هذه الآية على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: في محل الذين وجوه: الأول: وهو قول الزجاج أنه رفع بالابتداء وخبره للذين أحسنوا منهم إلى آخر هذه الآية. الثاني: أن يكون محله هو الخفض على النعت للمؤمنين الثالث: أن يكون نصبا على المدح.

المسألة الثانية: في سبب نزول هذه الآية قولان: الأول: وهو الأصح أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد وبلغوا الروحاء ندموا، وقالوا إنا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل فلم تركناهم؟ بل الواجب أن نرجع ونستأصلهم، فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يرهب الكفار ويريهم من

نفسه ومن أصحابه قوة، فندب أصحابه إلى الخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا أريد أن يخرج الآن معي إلا من كان." (١)

"قالوا. قيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالى أو بعض الملائكة هؤلاء الذين أقسمتم. وقرئ «أدخلوا» و «دخلوا» على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٥٠ الى ٥١]

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٥٠) الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون (٥١)

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أي صبوه، وهو دليل على أن الجنة فوق النار. أو مما رزقكم الله من سائر الأشربة ليلائم الإفاضة، أو من الطعام كقوله: علفتها تبنا وماء باردا. قالوا إن الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرم من المكلف.

الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به. وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار. كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له. وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين أنها من عند الله.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٥٢ الى ٥٣]

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢) هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٥٣)

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة. على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما، وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى عالم بعلم. أو مشتملا على علم فيكون حالا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٣١/٩

من المفعول. وقرئ «فضلناه» أي على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك. هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء.
هل ينظرون ينتظرون. إلا تأويله إلا ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد. يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي. قد جاءت رسل ربنا بالحق أي قد تبين أنهم جاءوا بالحق. فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم. أو نرد أو هل نرد إلى الدنيا. وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا، أو لأن أو بمعنى إلى أن، فعلى الأول المسؤول أحد الأمرين الشفاعة أو ردهم إلى الدنيا، وعلى الثاني أن يكون لهم شفعاء إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو الرد. فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل. قد خسروا أنفسهم بصرف أعمارهم في الكفر. وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم.

[سورة الأعراف (٧) : آية ٥٤]
إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)
إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام أي في ستة أوقات كقوله: ومن يولهم يومئذ دبره أو في مقدار ستة أيام، فإن المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذ، وفي خلق." (١)

"الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم: إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، فنزلت.
إن هو إلا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٨٥ الى ١٨٦]
أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون (١٨٥) من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون (١٨٦)
أولم ينظروا نظر استدلال. في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٥/٣

من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها، ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها، ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه. وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى: أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم، قبل مغافصة الموت ونزول العذاب. فبأي حديث بعده أي بعد القرآن. يؤمنون إذا لم يؤمنوا به، وهو النهاية في البيان كأنه إخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والارشاد إلى النظر. وقيل هو متعلق بقوله: عسى أن يكون، كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن، وماذا ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به.

وقوله: من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له. ونذرهم فى طغيانهم بالرفع على الاستئناف، وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله، وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له، كأنه قيل: لا يهده أحد غيره ويذرهم. يعمهون حال من هم.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٨٧]

يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١٨٧)

يسئلونك عن الساعة أي عن القيامة، وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها، أو لأنها على طولها عند الله كساعة. أيان مرساها متى إرساؤها أي إثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره، ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة، واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت، وهو من أويت إليه لأن البعض أو إلى الكل. قل إنما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا. لا يجليها لوقتها لا يظهر أمرها في وقتها. إلا هو والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها، واللام للتأقيت كاللام في قوله: أقم الصلاة لدلوك الشمس. ثقلت في السماوات والأرض عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها، وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها. لا تأتيكم إلا بغتة إلا فجأة على غفلة، كما

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه» .

يسئلونك كأنك حفي عنها عالم بها، فعيل من حفى عن الشيء إذا سأل عنه، فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه، ولذلك عدي بعن. وقيل هي صلة يسئلونك. وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشا قالوا له: إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة، والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها. وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه، من حفي بالشيء **إذا فرح أي** تكثره لأنه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه. قل إنما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه.." (١)

"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله. يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لأجله الشراء. وقيل يقاتلون في معنى الأمر. وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت أن الواو لا توجب الترتيب وأن فعل البعض قد يسند إلى الكل. وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فإنه في معنى الوعد. في التوراة والإنجيل والقرآن مذكورا فيهما كما أثبت في القرآن. ومن أوفى بعهده من الله مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقا. فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به **غاية الفرح فإنه** أوجب لكم عظائم المطالب كما قال: وذلك هو الفوز العظيم.

[سورة التوبة (٩) : آية ١١٢]

التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١١٢)

التائبون رفع على المدح أي هم التائبون، والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا لقوله: وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال. وقرئ بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين. العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين. الحامدون لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء. السائحون الصائمون

لقوله صلى الله عليه وسلم «سياحة أمتي الصوم»

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣/٤٤

شبه بها لأنه يعوق عن الشهوات أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على حفايا الملك والملكوت، أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم.
الراكعون الساجدون في الصلاة. الآمرون بالمعروف بالإيمان والطاعة. والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي، والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال: الجامعون بين الوصفين، وفي قوله تعالى: والحافظون لحدود الله أي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها. وقيل إنه للايذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث أن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية. وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل، ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك، وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل: وبشرهم بما يجل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١١٣ الى ١١٤]
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (١١٣) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم (١١٤)
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
روي: أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب لما حضرته الوفاة:
«قل كلمة أحاج لك بها عند الله» فأبى فقال عليه الصلاة والسلام: «لا أزال استغفر لك ما لم أنه عنه» فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال: «إني استأذنت رب في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين» .
ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر، وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر فقال:." (١)

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣/٩٩

"اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه. وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ. فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا أي يرجع بصيرا أي ذا بصر. وأتوني أنتم وأبي. بأهلكم أجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٩٤ الى ٩٥]
ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون (٩٤) قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم (٩٥)

ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها. قال أبوهم لمن حضره. إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل به إليه يهوذا من ثمانين فرسخا. لولا أن تفندون تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم، ولذلك لا يقال عجوز مفندة لأن نقصان عقلها ذاتي. وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني أو لقلت إنه قريب.

قالوا أي الحاضرون. تالله إنك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالإفراط في محبة يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقائه.

[سورة يوسف (١٢) : آية ٩٦]
فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون (٩٦)

فلما أن جاء البشير يهوذا

. روي: أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه بحمل هذا إليه.

ألقاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه. فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة. قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام، وإنزال الفرح. وقيل إني أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله، أو إني لأجد ريح يوسف.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٩٧ الى ٩٨]
قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين (٩٧) قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم (٩٨)

قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة.

قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم اخره إلى السحر أو إلى صلاة الليل أو إلى ليلة الجمعة

تحريا لوقت الإجابة، أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة. ويؤيده ما

روي: أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة، وهو إن صح فدليل على نبوتهم، وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم.

[سورة يوسف (١٢) : آية ٩٩]

فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين (٩٩)

فلما دخلوا على يوسف

روي أنه وجه إليه رواحل وأموالا ليتجهز إليه بمن معه، واستقبله يوسف والملك بأهل مصر وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة، وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى.

آوى إليه أبويه ضم إليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الأم تنزيل العم منزلة الأب في قوله: وإله آبائك إبراهيم." (١)

"وجنودهما

بالرفع.

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٧ الى ٨]

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين (٧) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (٨)

وأوحينا إلى أم موسى بإلهام أو رؤيا. أن أرضعيه ما أمكنك إخفاؤه. فإذا خفت عليه بأن يحس به. فألقيه في اليم في البحر يريد النيل. ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة. ولا تحزني لفراقه.

إنا رادوه إليك عن قريب بحيث تأمنين عليه. وجاعلوه من المرسلين

روي أنها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها، فلما وقع موسى على

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٧٦/٣

الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه في قلبها بحيث منعها من السعاية، فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فأخذت له تابوتا فقذفته في النيل. فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه. وقرأ حمزة والكسائي وحزنا. إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفا لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون، أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم، فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به، وقرئ «خاطين» تخفيف خاطئين أو «خاطين» الصواب إلى الخطأ.

[سورة القصص (٢٨) : آية ٩]

وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون (٩)

وقالت امرأت فرعون أي لفرعون حين أخرجته من التابوت. قرت عين لي ولك هو قرة عين لنا لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه، أو لأنه كانت له ابنة برصاء وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان فلطخت برصها بريقه فبرئت،

وفي الحديث أنه قال: لك لا لي.

ولو قال هو لي كما هو لك لهداه الله كما هداها. لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم. عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع، وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه إبهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه. أو نتخذه ولدا أو نتبناه فإنه أهل له. وهم لا يشعرون حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له أي وهم لا يشعرون أنهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه والتبني له، أو من أحد ضميري نتخذه على أن الضمير للناس أي وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه.

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٠ الى ١١]

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١)

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى: وأفئدتهم هواء أي خلاء لا عقول فيها، ويؤيده أنه قرئ «فرغا» من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر، أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو سماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه. إن كادت

لتبدي به أنها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الضجر **أو الفرح لتبنيه**.
لولا أن ربطنا على قلبها بالصبر والثبات. لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله، أو من الواثقين." (١)
"تطالبوا لم يتصادفوا.

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٧٥ الى ٧٦]
ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦)
ذلكم الإضلال. بما كنتم تفرحون في الأرض تبطرون وتتكبرون. بغير الحق وهو الشرك والطغيان. وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح، والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ.
ادخلوا أبواب جهنم الأبواب السبعة المقسومة لكم. خالدين فيها مقدرين الخلود. فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم، وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود بسبب الثواء عبر بالمثوى.

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٧٧ الى ٧٨]
فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨)
فاصبر إن وعد الله بهلاك الكافرين. حق كائن لا محالة. فإما نرينك فإن نرك، وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع أن وحدها. بعض الذي نعدهم وهو القتل والأسر. أو نتوفينك قبل أن تراه. فإلينا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم، وهو جواب نتوفينك، وجواب نرينك محذوف مثل فذاك، ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى إن نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب، ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض.
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك إذ قيل عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، والمذكور قصصهم أشخاص معدودة. وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/ ١٧٢

فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم، ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها. فإذا جاء أمر الله بالعذاب في الدنيا أو الآخرة. قضي بالحق بإنجاء المحق وتعذيب المبطل. وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها.

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٧٩ الى ٨١]

الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩) ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠) ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون (٨١)

الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون فإن من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب كالإبل والبقر.

ولكم فيها منافع كالألبان والجلود والأوبار. ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها.

وعليها في البر. وعلى الفلك في البحر. تحملون وإنما قال وعلى الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة، وتغيير النظم في الأكل لأنه في حيز الضرورة. وقيل لأنه يقصد به التعيش وهو من الضروريات والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لأغراض دينية واجبة أو مندوبة، أو للفرق بين العين والمنفعة.

يريكم آياته

دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته. أي آيات الله

أي فأي آية من تلك." (١)

"الآيات. نكرون

فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار، وهو ناصب «أي» إذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الأولى رفعه والتفرقة بالتاء في أي أغرب منها في الأسماء غير الصفات لإبهامه.

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٨٢ الى ٨٣]

أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٨٣)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٦٤/٥

أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما، وقيل آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم. فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون «ما» الأولى نافية أو استفهامية منصوبة ب أغنى، والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به. فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات أو الآيات الواضحات. فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل، والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله: بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم: لا نبعث ولا نعذب، وما أظن الساعة قائمة ونحوها، وسماها علما على زعمهم تهكما بهم، أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك، أو علم الأنبياء، وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده: وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن **وقيل الفرح أيضا** للرسل فإنهم لما رأوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم.

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٨٤ الى ٨٥]

فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون (٨٥)

فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا. قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الأصنام.

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال: فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم، والفاء الأولى لأن قوله: فما أغنى كالنتيجة لقوله: كانوا أكثر منهم، والثانية لأن قوله:

فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله: فما أغنى والباقيتان لأن رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفي الإيمان مسبب عن الرؤية. سنت الله التي قد خلت في عباده أي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة. وخسر هنالك الكافرون أي وقت رؤيتهم البأس، اسم مكان استعير للزمان.

عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له» .." (١)

"الدنيا.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٥ الى ٤٦]

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٦٥/٥

وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦)

وتراهم يعرضون عليها على النار، ويدل عليه العذاب. خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل. ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف. وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض للعذاب المخلد. يوم القيامة ظرف ل خسروا والقول في الدنيا، أو لقال أي يقولون إذا رأوهم على تلك الحال. ألا إن الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم أو تصديق من الله لهم.

وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل إلى الهدى أو النجاة.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٧ الى ٤٨]

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة ل مرد. وقيل صلة يأتي أي من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن رده. ما لكم من ملجإ مفر.

يومئذ وما لكم من نكير إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون في صحائف أعمالكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم.

فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا رقيبا أو محاسبا. إن عليك إلا البلاغ وقد بلغت. وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** أراد بالإنسان الجنس لقوله: وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها، وهذا وإن اختص بالمجرمين جاز إسناده إلى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه. وتصدير الشرطية الأولى ب إذا والثانية ب إن لأن أذاقة النعمة محققة من حيث أنها عادة مقتضاة بالذات بخلاف إصابة البلية، وإقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٩ الى ٥٠]

لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠)

لله ملك السماوات والأرض فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء. يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض. يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور.

أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض، والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض إما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعا ويعقم آخرين، ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل، أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الإنسان والإناث كذلك، أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء، أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور، أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في." (١)

"أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ بفداء الأسرى ﴿وتكفرون ببعض﴾ بالقتال والإجلاء قال السدى أخذ الله عليهم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به

البقرة (٨٥ _ ٨٨)

إلا الفداء ﴿فما جزاء من يفعل ذلك﴾ هو إشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض ﴿منكم إلا خزي﴾ فضيحة وهوان ﴿في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ وهو الذي لا روح فيه **ولا فرح أو** إلى أشد من عذاب الدنيا ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ بالياء مكي ونافع وأبو بكر." (٢)

"روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٨٤/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٠٧/١

يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح **بها فرح إعجاب** ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه." (١)

"فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١)

﴿فرح المخلفون﴾ المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان ﴿بمقعدهم﴾ بقعودهم عن الغزو ﴿خلاف رسول الله﴾ مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من باعث الإيمان وداعي الإيقان ﴿وقالوا لا تنفروا فى الحر﴾ قال بعضهم لبعض أو قالوا." (٢)

"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (١١١)

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروي تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد ﴿يقاتلون فى سبيل الله﴾ بيان محل التسليم ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ أي تارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حمزة وعلي ﴿وعدا عليه﴾ مصدر أي وعدهم بذلك وعدا ﴿حقا﴾ صفته أخبر أن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ وهو دليل على أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين ولا نرى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ ﴿فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به﴾ فافرحوا **غاية الفرح فإنكم** تبيعون فانيا بباق ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ قال الصادق ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها." (٣)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/ ٣٢٠

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/ ٦٩٨

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/ ٧١٢

"ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠)

﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته﴾ وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذي ناله ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ أي المصائب التي ساءتني ﴿إنه لفرح﴾ أشر بطر ﴿فخور﴾ على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد **شغله الفرح والفخر** عن الشكر." (١)

"الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع (٢٦)

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ بما بسط لهم من **الدنيا فرح بطر** وأشر **لا فرح سرور** بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجلة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق." (٢)

"خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد فما آتاني الله ووجه الإضراب أنه لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا **لا فرح إلا** أن يهدي إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها." (٣)

"وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠)

﴿وأصبح﴾ وصار ﴿فؤاد أم موسى فارغا﴾ صفرا من العقل لما دهمها من فرط الجزع لما سمعت بوقوعه في يد فرعون ﴿إن كادت لتبدى به﴾ لتظهر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وأنه ولدها قيل لما رأت الأمواج تلعب بالتابوت كادت تصيح وتقول واابناه وقيل لما سمعت أن فرعون أخذ التابوت لم تشك أنه قتله فكادت تقول وإإبناه شفقة عليه وأن مخففة من الثقيلة أي إنها كادت ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ لولا ربطنا على قلبها والربط على القلب تقويته بإلهام الصبر ﴿لتكون من المؤمنين﴾ من المصدقين بوعدنا وهو إنا رادوه إليك وجواب لولا محذوف أي لأبدته أو فارغا من الهم حين سمعت أن فرعون تبناه إن كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا أنا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٤٩

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/١٥٣

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٦٠٦

حدث به من **شدة الفرح ﴿تكون﴾** من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون قال يوسف بن الحسين أمرت أن موسى بشيئين ونهيت عن شيئين وبشرت ببشارتين فلم ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط

القصص (١٤ - ١١)

على قلبها." (١)

"من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون (٣٢)

﴿من الذين﴾ بدل من المشركين بإعادة الجار ﴿فرقوا دينهم﴾ جعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم فارقوا حمزة وعلى وهى قراءة على رضى الله عنه أي تركوا دين الإسلام ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا كل واحدة تشابع إمامها الذي أضلها ﴿كل حزب﴾ منهم ﴿بما لديهم ﴿**فرحون﴾ فرح بمذهبه** مسرور يحسب باطله حقا." (٢)

"المرتفع لمن فى المكان المستوطى ثم كثر حتى استوى في استعماله الأمكنة ومعنى تعالين أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد الأمرين ولم يرد تهوضهن إليه بأنفسهن كقوله قام يهددني ﴿أمتعكن﴾ أعطكن متعة الطلاق وتستحب المتعة لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوط ﴿وأسرحكن﴾ وأطلقكن ﴿سراحا جميلا﴾ لا ضرار فيه أردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاين فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن

الأحزاب (٣٢ - ٢٩)

فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة **فرؤي الفرح فى** وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها وروي أنه قال لعائشة انى ذاكر لك أمر او لا عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وحكم التخير في الطلاق أنه إذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي أن تقع تطليقة بائنة وإذا اختارت زوجها لم يقع شئ وعن على رضى الله عنه إذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة." (٣)

"وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (٤) أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب (٥)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦٣١/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٧٠٠/٢

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢٨/٣

﴿وعجبوا أن جآءهم﴾ من أن جاءهم ﴿منذر منهم﴾ رسول من أنفسهم بنذرهم يعني استبعدوا أن يكون النبي من البشر ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾ ولم يقل وقالوا إظهار للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي إذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الأبلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى أن عمر رضى الله عنه لما **أسلم فرح به** المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك

ص (١٠ - ٦)

السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال عليه السلام أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا أي أصير إن هذا الشيء عجاب أي." (١)

"ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥)

﴿ذلكم﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ بسبب ما كان لكم **من الفرح والمرح** بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان فيقال لهم." (٢)

"فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٨٣)

﴿فلما جآءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزؤوا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا أو المراد فرحوا بما عند

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/١٤٤

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٢٢١

الرسل من **العلم فرح ضحك** منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ **أو الفرح للرسل** أي الرسل لما رأوا جهلهم." (١)

"فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

﴿فإن أعرضوا﴾ عن الإيمان ﴿فمآ أرسلناك عليهم حفيظا﴾ رقيبا

الشورى (٥١ – ٤٨)

﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ ما عليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلت ﴿وإنآ إذا أذقنا الإنسان﴾ المراد الجمع لا الواحد ﴿منا رحمة﴾ نعمة وسعة وأمنا وصحة ﴿فرح بها﴾ بطر لأجلها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح." (٢)

"وأنه هو أضحك وأبكى (٤٣)

﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ خلق الضحك والبكاء وقيل **خلق الفرح والحزن** وقيل أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا بالنوائب." (٣)

"لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢٣)

﴿لكي لا تأسوا﴾ تحزنوا حزنا يطغيكم ﴿على ما فاتكم﴾ من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها ﴿ولا **تفرحوا﴾ فرح المختال** الفخور ﴿بما آتاكم﴾ أعطاكم من الإيتاء أبو عمرو أتاكم أي جاءكم من الاتيان يعني أتاكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي لأن من علم أن ما

﴿والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن﴾

عنده مفقود لا مجالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنه وظن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل إليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس أحد إلا وهو يفرح عند منفعة." (٤)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢٢٣/٣

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢٦٠/٣

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٩٦/٣

(٤) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٤٠/٣

"تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغي أن يكون الفرج شكرا والحزن صبرا وإنما يذم من الحزن والجزع المنافي للصبر **ومن الفرح الأشر** المطغي الملهي عن الشكر ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ لأن **من فرح بحظ** من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر وتكبر على الناس." (١)

"الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤)

﴿الذين يبخلون﴾ خبر مبتدأ محذوف أو بدل من كل مختال فخور كان قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين **يفرحون الفرح المطغي** إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم في الإمساك ﴿ومن يتول﴾ يعرض عن الإنفاق أو عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتي ﴿فإن الله هو الغنى﴾ عن جميع المخلوقات فكيف عنه ﴿الحميد﴾ في أفعاله فإن الله الغني يترك هو مدني وشامي." (٢)

"حرف الباء

باري خالق، ومنه البرية أي الخلق بعث له معنيان بعث الرسل وبعث الموتى من القبور بسط الله الرزق وسعه ومعنى قبض وقدر الرزق: أي ضيقه، ومن أسماء الله تعالى: القابض والباسط، وبسطة: زيادة بشر: من البشارة وهي الإعلام بالخير قبل وروده، وقد يكون للشر إذا ذكر معها، ويجوز في الفعل التشديد والتخفيف، ومنه المبشر والبشير، واستبشر **بالشيء فرح به** بعد: له معنيان ضد القرب والفعل منه بعد بضم العين، والهلاك والفعل منه بكسرها ومنه كما بعدت ثمود بلاء: له معنيان:

العذاب، والاختبار ومنه أيضا ونبلوكم بر:

له معنيان: الكرامة ومنه بر الوالدين وأن تبروهم، والتقوى، والجمع لخصال الخير ومنه: البر من اتقى، ورجل بار وبر والجمع أبرار والبر من أسماء الله تعالى بات: معروف ومصدره بيات وبيت الأمر دبره بالليل بغتة: فجأة بروج: جمع برج وهو الحصن، وبروج السماء منازل الشمس والقمر بين: ظرف وبين يدي الشيء ما تقدم قبله، والبين الفراق والاجتماع لأنه من الأضداد بينات: براهين من المعجزة وغيرها ومبينة من البيان يبين: من البيان وله معنيان: بين غير متعد، ومبين لغيره بدا: يبدو بغير همز: ظهر، وأبديته: أظهرته، والبادي أيضا من البداية، ومنه:

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٤١/٣

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٤١/٣

بادون في الإعراب بدأ: بالهمزة من الابتداء ويقال بدأ الخلق وأبدأه، وقد جاء القرآن بالوجهين بغي: له معنيان: العدوان على الناس، والحسد، والبغاء بكسر الباء:

الزنا، ومنه: امرأة بغي أي زانية، وابتغاء الشيء وبغاه: أي طلبه بث: الحديث وغيره نشره، والمبثوث: المنتشر، مبثوثة متفرقة، والبث: الحزن الشديد، ومنه أشكو بثي بوأ: أنزل الرجل ومنه: بوأكم في الأرض، ولنبوأنهم، ومبوأ بوار: هلك، ومنه قوما بورا أي هلكى باء: بالشيء رجع به، وقد يقال بمعنى اعترف بأساء: الفقر والبؤس والشدة والمحنة، والبائس: الفقير من البؤس، والبأس: القتال والشجاعة، وال‍مكروه، وبأس الله عذابه وبئس كلمة ذم برزخ: شيء بين شيئين، والبرزخ ما بين الموت والقيامة بديع: له معنيان جميل، ومبدع أي خالق الشيء ابتداء بسر: عبس ومنه: باسرة بصير: من أبصر، يقال:

أبصرته وبصرته، والبصائر: البراهين جمع بصيرة برز: ظهر ومنه: بارزة وبارزون بطش: أخذ بشدة بخس: نقص بعل: له معنيان زوج المرأة وجمعه بعولة، والبعل أيضا: الرب، وقيل اسم صنم، ومنه:

أتدعون بعلا بهجة: حسن، وبهيج حسن مبلسون جمع مبلس وهو البائس، وقيل:

الساكت الذي انقطعت حجته، وقيل:

الحزين النادم، منه يبلس ومنه اشتق إبليس بهت: انقطعت حجته تبارك: من البركة، وهي الكثرة والنماء، وقيل: تقدس بلى:

جواب يقتضي إثبات الشيء بل: معناها الإضراب عما قبلها الباء: للإلصاق، ولنقل الفعل في التعدي، وللقسم، وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفية وزائدة.

حرف التاء

تلا يتلو: له معنيان: قرأ، واتبع تقوى:

مصدر مشتق من الوقاية فالتاء بدل من الواو معناه: الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه، فهو جامع لكل خير تاب:." (١)

"وبفتحها: اسم فاعل مبالغة، ويراد به إبليس غاض الشيء: نقص، ومنه: وغيض الماء.

وتغيض الأرحام. وغاظ بالظاء يغيظ من:

الغيظ غور: غاير من غار الماء إذا ذهب غرام: عذاب ومنه: إنا لمغرمون، والمغرم:

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/ ٣٠

غرم المال ومنه: من مغرم مثقلون.

حرف الفاء

فرقان مفرق بين الحق الباطل. ومنه:

يجعل لكم فرقانا: أي تفرقة. لذلك سمي القرآن بالفرقان فئة جماعة من الناس فصال فطام من الرضاع فضل له معنيان: الإحسان.

والربح في التجارة وغيرها. ومنه: يبتغون من فضل الله فسق أصله الخروج وتارة يرد بمعنى الكفر. وتارة بمعنى العصيان فتنة لها ثلاثة معان: الكفر. والاختبار. والتعذيب فاء يفيء أي رجع فلك بضم الفاء: سفينة. ويستوي فيه المفرد والجمع فلك بفتحتين:

القطب الذي تدور به الكواكب فزع له معنيان: الخوف من الإسراع. ومنه: إذا فزعوا فلا **فوت فرح له** معنيان: السرور والبطر فاحشة وفحشاء: هي كل ما يقبح ذكره من المعاصي فرض له معنيان: الوجوب. والتقدير فتح له معنيان: فتح الأبواب. ومنه: فتح البلاد وشبهها.

والحكم ومنه: افتح بيننا وبين قومنا. ويقال للقاضي: فاتح. واسم الله الفتاح، قيل:

الحاكم. وقيل: خالق الفتح والنصر انفضوا تفرقوا فطره خلقه ابتداء. ومنه: فاطر السموات والأرض. وفطرة الله: التي خلق الخلق عليها. وأفطر بالألف: من الطعام فطور شقوق. ومنه انفطرت أي: انشقت.

ويتفطرن فج طريق واسع وجمعه: فجاج فار التنور يقال: لكل شيء هاج وعلا حتى فاض. ومنه: وهي تفور. وقولهم: فارت القدر فوج جماعة من الناس وجمعه: أفواج فاكهين من التلذذ بالفاكهة أو من الفكهة وهي السرور واللهو فؤاد هو القلب، وجمعه أفئدة استفز يستفز: أي استخف فقه فهم. ومنه:

لا يفقهون. وما نفقه كثيرا في حرف جر بمعنى الظرفية. وقد تكون للتعليل. وقد تكون بمعنى مع. وقيل: بمعنى على الفاء لها ثلاثة أنواع: عاطفة. ورابطة. وناصبة للفعل بإضمار أن. ومعناها: الترتيب والتعقيب والسبب.

حرف القاف

قرآن القرآن العزيز. ومصدره قرأ: أي تلا. ومنه: إن علينا جمعه وقرآنه قنوت له خمسة معان: العبادة، والطاعة والقيام في الصلاة، والدعاء، والسكوت قضاء له سبعة معان: الحكم. والأمر. والقدر السابق.

وفعل الشيء، والفراغ منه، والموت، والإعلام بالشيء، ومنه: قضينا إليه ذلك الأمر قدر له خمسة معان:

من القدرة، ومن التقدير، ومن المقدار، ومن القدر، والقضاء، وبمعنى التضييق نحو: فقدر عليه رزقه، وقد يشد الفعل ويخفف. والقدر بفتح الدال وإسكانها القضاء والمقدار وبالفتح لا غير من القضاء قام له معنيان: من القيام على الرجلين، ومن القيام بالأمر بتقديره وإصلاحه، ومنه: الرجال قوامون على النساء، وقام الأمر: ظهر واستقام، ومنه:

الدين القيم دينا قيما له ثلاثة معان: أقام الرجل غيره من القيام، ومن التقويم ومنه:

جدارا يريد أن ينقض فأقامه، وأقام في." (١)

"عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا: ما هذا إلا رياء. وأصل المطوعين المتطوعين، والمراد به هنا من تصدق بكثير والذين لا يجدون إلا جهدهم هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به، نزلت في أبي عقيل تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غنى عن صدقة هذا فيسخرون منهم أي يستخفون بهم سخر الله منهم تسمية للعقوبة باسم الذنب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم يحتمل معنيين. أحدهما: أن يكون لفظه أمر، ومعناه الشرط، ومعناه: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين، والآخر: أن يكون تخييرا، كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم، وهذا أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله خيرني فاخترت، وذلك حين قال عمر: أتصلي على عبد الله بن أبي وقد نهاك الله عن الصلاة عليه سبعين مرة ذكرها على وجه التمثيل للعدد **الكثير فرح المخلفون** أي الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه، وفي هذا تحقير وذم لهم، ولذلك لم يقل المتخلفون بمقعدهم أي بقعودهم خلاف رسول الله أي بعده حين خرج إلى تبوك، فخلاف على هذا ظرف، وقيل: هو مصدر من خلف فهو على هذا مفعول من أجله وقالوا لا تنفروا في الحر قائل هذه المقالة رجل من بني سلمة ممن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحر فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها، وبكاؤهم الكثير في الآخرة وقيل: هو بمعنى الأمر أي يجب أن يكونوا: يضحكون قليلا ويبكون كثيرا في الدنيا لما وقعوا فيه إلى طائفة منهم إنما لم يقل إليهم، لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف لن تخرجوا معي أبدا عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ أول مرة يعني في غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين أي مع القاعدين وهم النساء والصبيان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول، وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حين مات، وروى أنه صلى عليه فنزلت الآية، وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما تقدم

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤٠/١

ليصلي عليه جاءه جبريل فجبذ ثوبه، وتلا عليه: ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية، فانصرف رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ولم يصل." (١)

"والحسنى: الجنة، وإعرابها مبتدأ وخبرها: للذين استجابوا، والذين استجابوا مبتدأ وخبره لو أن لهم ما في الأرض الآية فيوقف على الأمثال، وعلى الحسنى، وقيل: للذين استجابوا يتعلق بيضرب، والحسنى مصدر من معنى استجابوا: أي استجابوا الاستجابة الحسنى، والذين لم يستجيبوا معطوف على الذين استجابوا، والمعنى: يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على: والذين لم يستجيبوا له سوء الحساب أي المناقشة والاستقصاء.

أفمن يعلم تقرير. والمعنى أسواء من آمن ومن لم يؤمن، والأعمى هنا من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم «وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وأبي جهل لعنه الله يصلون ما أمر الله به أن يوصل القرابات وغيرها ويدرؤن بالحسنة السيئة قيل يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله، وقيل: يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن، والأظهر يفعلون الحسنات فيدرءون بها السيئات كقوله: إن الحسنات يذهبن السيئات [هود:

١١٤] ، وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأنصار، ثم هي عامة في كل مؤمن اتصف بهذه الصفات عقبى الدار يعني الجنة، ويحتمل أن يريد بالدار: الآخرة وأضاف العقبى إليها لأنها فيها، ويحتمل أن يريد بالدار الدنيا، وأضاف العقبى إليها لأنها عاقبتها جنات عدن بدل من عقبى الدار، أو خبر ابتداء مضمر تفسيرا لعقبى الدار ومن صلح أي من كان صالحا سلام عليكم أي يقولون لهم: سلام عليكم بما صبرتم يتعلق بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم ويجوز أن يتعلق بسلام أي ليسلم عليكم بما صبرتم والذين ينقضون عهد الله إلى آخر الآية أوصاف مضافة كما تقدم وقيل: إنها في الخوارج، والأظهر أنها في الكفار سوء الدار يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسع على ما من يشاء، ويضيق على من يشاء، وهذا تفسيره حيث وقع وفرحوا بالحياة الدنيا إخبار في ضمنه ذم وتسفيه **لمن فرح بالدنيا**، لذلك حقرها بقوله: وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع أي: قليل بالنظر إلى الآخرة قل إن الله يضل من يشاء خرج به مخرج." (٢)

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/٣٤٤

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/٤٠٤

"إن قارون كان من قوم موسى أي من بني إسرائيل، وكان ابن عم موسى وقيل ابن عمته، وقيل ابن خالته فبغى عليهم أي تكبر وطغى، ومن ذلك كفره بموسى عليه السلام وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة المفاتح هي التي يفتح بها، وقيل:

هي الخزائن، والأول أظهر، والعصبة جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين، وتنوء معناه تثقل، يقال ناء به الحمل: إذا أثقله، وقيل: معنى تنوء تنهض بتحامل وتكلف، والوجه على هذا أن يقال إن العصبة تنوء بالمفاتح، لكنه قلب كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول لا **تفرح الفرح هنا** هو الذي يقود إلى الإعجاب والطغيان، ولذلك قال: إن الله لا يحب الفرحين، وقيل السرور بالدنيا، لأنه لا يفرح بها إلا من غفل عن الآخرة ويدل على هذا قوله: ولا تفرحوا بما آتاكم [الحديد: ٢٣] وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة أي اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات ولا تنس نصيبك من الدنيا أي لا تضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة، وقيل: معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات، فإن حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يعمل فيها من الخير، فالكلام على هذا وعظ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا لئلا ينفر عن قبول الموعظة وأحسن كما أحسن الله إليك أي أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى قال إنما أوتيته على علم عندي لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم، والروغان عما ألزموه من الموعظة، والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له بسبب علم عندي استوجبته به، واختلف في هذا العلم فقيل: إنه علم الكيمياء، وقيل: التجارب للأمور والمعرفة بالمكاسب، وقيل: حفظه التوراة وهذا بعيد، لأنه كان كافرا، قيل: المعنى إنما أوتيته على علم من الله وتخصيص خصني به، ثم جعل قوله عندي كما تقول في ظني واعتقادي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال أو جمعه للخدم، والأول أظهر.

ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون في معناه قولان: أحدهما أنه متصل بما قبله، والضمير في ذنوبهم يعود على القرون المتقدمة، والمجرمون من بعدهم أي: لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة لأن كل أحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة، والثاني: أنه إخبار عن حال المجرمين في الآخرة وأنهم لا يسألون عن ذنوبهم لكونهم يدخلون النار من غير حساب، والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسألون عنها." (١)

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١١٩/٢

"سورة الروم

مكية إلا آية ١٧ فمدنية وآياتها ٦٠ نزلت بعد الانشقاق بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الروم) الم، غلبت الروم أي هزم كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم، وسميت الروم باسم جدهم وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم «١» في أدنى الأرض قيل: هي الجزيرة، وهي بين الشام والعراق وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وقيل في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام وهم من بعد غلبهم سيغلبون إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى التسع ويومئذ يفرح المؤمنون روي أن غلب الروم فارس وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش **وقيل: فرح المؤمنون** بنصر الروم على الفرس، لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام، **كذلك فرح الكفار** من قريش بنصر الفرس على الروم، لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب، فهم أقرب إلى كفار قريش، وروي أنه **لما فرح الكفار** بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون، وراهنهم على عشرة قلاص [القلاص مفردها: قلوص وهي الناقة الشابة] إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل، فجعل القلاص مائة، والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف، إذ كان قد مات وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: تصدق بها وعد الله مصدر مؤكد كقوله: له علي ألف درهم عرفا، لأن معناه اعترفت له بها اعترافا.

يعلمون ظاهرا قيل: معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم في

---

(١) . هذه مقولة لا سند لها. فالروم أمة عظيمة بل مجموعة من الأمم لا تدرى نسبتها على التحقيق والله أعلم. وقد جاء في كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم تفنيد هذا الحطأ انظر ص ٥١١ حيث يقول: وكان لإسحاق عليه السلام ابن آخر غير يعقوب واسمه عيصاب، كان بنوه يسكنون جبال الشراة التي بين الشام والحجاز. وقد بادوا جملة. إلا أن قوما يذكرون أن الروم من ولده وهذا خطأ ... لأن الروم إنما أنساب إلى روفلس باني رومه.. إلخ.." (١)

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٣٠/٢

"قريش: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم [الأنبياء: ٩٨] امتعضوا من ذلك، وقال عبد الله بن الزبعرى: أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال: خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا، وقد علمت أن النصارى عبدوه، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، ففرحت قريش بذلك، وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فأنزل الله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء: ١٠١] ، ونزلت هذه الآية، فالمعنى على هذا: لما ضرب ابن الزبعرى عيسى مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة النصارى إياه، إذا قريش من هذا المثل يصدون: أي يضحكون ويصيحون من الفرح، وهذا المعنى إنما يجري على قراءة يصدون بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح.

وقالوا أآلهتنا خير أم هو «1» يعنون بهو عيسى، والمعنى أنهم قالوا آلهتنا خير أم عيسى، فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معه، لأنه خير من آلهتنا، وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكره الزمخشري في تفسير الآية التي قبله، وأما على ما ذكر ابن عطية فهذا ابتداء معنى آخر، وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولا آخر: وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا: نحن أهدى من النصارى، لأنهم عبدوا آدميا ونحن عبدنا الملائكة، وقالوا آلهتنا وهم الملائكة خير أم عيسى فمقصدهم تفضيل آلهتهم على عيسى. وقيل: إن قولهم أم هو: يعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم، فإنهم لما قالوا إنما يريد محمد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى. قالوا: أآلهتنا خير أم هو يريدون تفضيل آلهتهم على محمد والأظهر أن المراد بهو عيسى وهو قول الجمهور، ويدل على ذلك تقدم ذكره ما ضربوه لك إلا جدلا أي ما ضربوا لك هذا المثال إلا على وجه الجدل، وهو أن يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبعرى وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن عيسى لم يدخل في قوله تعالى: حصب جهنم، ولكنهم أرادوا المغالطة، فوصفهم الله بأنهم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه يعني عيسى والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات، وغير ذلك ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون في معناها قولان: أحدهما لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة يسكنون الأرض ويخلفون فيها بني آدم، فقوله منكم يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون، والآخر لو نشاء لجعلنا منكم، أي لولدنا منكم أولادا ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم، فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشري.

(١) . قرأ نافع: آلهتنا. وقرأ أهل الكوفة: أآلهتنا.." [١]

"وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

وأن ليس للإنسان إلا ما سعى السعي هنا بمعنى العمل، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله ألحقنا بهم ذريتهم والصحيح أنها محكمة لأنها خبر: والأخبار لا تنسخ. وفي تأويلها ثلاثة أقوال: الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا فلا يلزم في شريعتنا الثاني: أن للإنسان ما عمل بحق وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها. الثالث: أنها في الذنوب، وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد، ويدل على هذا قوله بعدها: ألا تزر وازرة وزر أخرى ، كأنه يقول: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه وأن سعيه سوف يرى قيل: معناه يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر أنه صاحبه لقوله: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وأن إلى ربك المنتهى فيه قولان أحدهما أن معناه إلى الله المصير في الآخرة، والآخر أن معناه أن العلوم تنتهي إلى الله، ثم يقف العلماء عند ذلك، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا فكرة في الرب «١» .

وأنه هو أضحك وأبكى قيل: معناه أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار، وهذا تخصيص لا دليل عليه، وقيل: أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات، وهذا مجاز وقيل: خلق في بني آدم الضحك والبكاء والصحيح أنه عبارة **عن الفرح والحزن** لأن الضحك دليل على السرور والفرح، كما أن البكاء دليل على الحزن. فالمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده، وأسر من شاء أمات وأحيا يعني الحياة المعروفة والموت المعروف وقيل: أحيا بالإيمان و أمات بالكفر والأول أرجح، لأنه حقيقة من نطفة يعني المني إذا تمنى من قولك: أمنى الرجل إذا خرج منه المني النشأة الأخرى يعني الإعادة للحشر وأقنى يعني أكسب عباده المال، وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره وقيل: معنى أقنى: أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل: معناه أرضى وقيل: قنع عبده

---

(١) . لم أجده بهذا اللفظ وجاء في تخريج أحاديث الإحياء ج ٤ ص ٤٢٤. تفكروا في خلق الله ولا

---

[١] تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٢٦٢

تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره. وعزاه لأبي نعيم في الحلية وإسناده ضعيف والطبراني في الأوسط عن ابن عمر.." (١)

"أفضل وجنة عرضها كعرض السماء والأرض السماء هنا يراد به جنس السموات بدليل قوله في آل عمران [١٣٣] ، وقد ذكرنا هناك معنى عرضها ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها المعنى أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» «١» وعرشه على الماء، والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر، وقيل: أراد به المصيبة في العرف وهو ما يصيب من الشر، وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس، وفي الأرض يعني القحوط والزلازل وغير ذلك، وفي أنفسكم يعني الموت، والفقر، وغير ذلك ونبرأها معناه: نخلقها والضمير يعود على المصيبة أو على أنفسكم أو على الأرض، وقيل: يعود على جميعها لأن المعنى صحيح في كلها لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم المعنى فعل الله ذلك وأخبركم به لكيلا تتأسفوا على ما فاتكم، ومعنى لا تأسوا: لا تحزنوا أي فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا فيها، وقرأ الجمهور بما آتاكم بالمد أي بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر أي بما جاءكم من الدنيا فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه أن يفرح بالخير ويحزن للشر كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أتي بمال كثير اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، فالجواب: أن النهي **عن الفرح إنما** هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم كل مختال فخور المختال صاحب الخيلاء، والفخور شديد الفخر على الناس الذين يبخلون «٢» بدل من كل مختال فخور أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هم الذين أو منصوب بإضمار: أعني أو مبتدأ وخبره محذوف وأنزلنا معهم الكتاب والميزان الكتاب هنا جنس الكتب والميزان العدل وقيل: الميزان الذي يوزن به، وروي أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى نوح وقال له: مر قومك يزنوا به وأنزلنا الحديد خبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال وقيل: بل أنزله حقيقة، لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة فيه بأس شديد يعني أنه يعمل منه سلاح

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/ ٣٢٠

(١) . لم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر.

(٢) . بقية الآية: فإن الله هو الغني الحميد. قرأ نافع وابن عامر: فإن الله الغني الحميد.. بدون هو.." [١]

"لأنها أكثر التهابا. وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها. وقيل أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت من الحجارة وإنما قرن الناس مع الحجارة لأنهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها أنها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم أعدت أي هيئت للكافرين قوله عز وجل: وبشر الذين آمنوا أي أخبر المؤمنين، وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم. والبشارة إيراد الخبر السار على سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لأن الإنسان **إذا فرح بشيء** وسر به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر ومنه قوله: فبشرهم بعذاب أليم ولكن هو في السرور والخير أغلب وعملوا الصالحات أي الفعلات الصالحات وهي الطاعات. قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص. وقال عثمان بن عفان: وعملوا الصالحات أي أخلصوا الأعمال يعني عن الرياء أن لهم جنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنابها وتسترها بالأشجار والأوراق. وقيل: الجنة ما فيه نخيل والفردوس ما فيه كرم تجري من تحتها أي من تحت أشجارها ومساكنها الأنهار أي تجري المياه في الأنهار لأن الأنهار لا تجري وقيل معناه تجري بأمرهم وفي الحديث «إن أنهار الجنة تجري في غير أخدود» أي في غير شق والخد الشق كلما رزقوا أي أطعموا منها أي من الجنة من ثمرة رزقا أي طعاما قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أي في الدنيا، وقيل: إن ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى وأتوا به أي بالرزق متشابها قال ابن عباس مختلفا في الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك» وفي رواية «ورشحهم المسك». قوله: يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أي يجري على ألسنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما أن النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جشاء، يعني أن فضول طعامهم يخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة. والرشح العرق وقوله العرق. وقوله تعالى ولهم فيها أي في الجنات أزواج أي من الحور العين مطهرة يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الأقذار وقيل هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوي

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/ ٣٤٨

الأخلاق قيل في الجنة جماع ما شئت ولا ولد وهم فيها خالدون أي لا يخرجون منها ولا يموتون.
والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له (ق) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء» وفي رواية «ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا» (ق) عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا» عن أبي هريرة قال: «قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق؟ قال من الماء، قلت الجنة ما بناؤها؟ قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم» أخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس إسناده بذلك القوي. عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» أخرجه الترمذي (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم." (١)

"وهم اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه، وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وإنما ذكرهما للتأكيد وقيل تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في هذه الآية: هم أهل الكتاب نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب. وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين. وقال بعضهم: هم المبتدعة من هذه الأمة وقال أبو أمامة: هم الحرورية:
قال عبد الله بن شداد: وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٢/١

كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، شر قتيل تحت أديم السماء، وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا بعد إيمانهم ثم أخذ بيدي وقال: إن بأرضي منهم كثير وفي رواية ثم قرأ بعد قوله: كفروا بعد إيمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا إلى قوله: أكفرتم بعد إيمانكم ورواه الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة: رؤوسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلي تحت أديم السماء خير قتلي من قتلوه ثم قرأ: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى: من بعد ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وإنما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة التثنية والجمع وأولئك لهم عذاب عظيم يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا لهم عذاب عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والخلاف عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه أخرجه أبو داود. أراد بربقة الإسلام عقد الإسلام وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرا يشد بها الغنم الواحدة من العري ربقة. وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد» بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد. قوله عز وجل: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين، وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان: أحدهما، إن البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن، وهذا مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه وأريد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى: وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه إشراقها وسرورها واستبشارها بعملها، وذلك أن المؤمن إذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فإذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون وإشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله. وأما الكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فإذا كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات

يوم القيامة والقول الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة تحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتقريع.

فإن قلت كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم. قلت." (١)

"بالسعة والبسط فشبهت بأوسع شيء علمه الناس وذلك أنه لو جعلت السموات والأرض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فأما طولها فلا يعلمه إلا الله تعالى. وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة عظيمة قال الشاعر:

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة.

وروي أن هرقل أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم: إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل. وروى طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده أصحابه فقالوا: أرأيتم قولكم وجنة عرضها السموات والأرض. فأين النار؟ فقال عمر بن الخطاب أرأيتم إذا جاء الليل فأين يكون النهار وإذا جاء النهار فأين يكون الليل فقالوا إنها لمثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله تعالى. فإن قلت قال الله تعالى: وفي السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب أهل السنة أنها في السموات إنها فوق السموات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفي السماء هي أم في الأرض؟ فقال: أي أرض وسماء تسع الجنة قيل له: فأين هي؟ قال فوق السموات تحت العرش وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة: كانوا يرون أن الجنة فوق السموات السبع وأن جهنم تحت الأرضين السبع وقيل: إن باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين أي هيئت للمتقين وفيه دليل على أن الجنة

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٨٢/١

والنار مخلوقتان الآن.

قوله عز وجل: الذين ينفقون في السراء والضراء يعني في العسر واليسر لا يتركون الإنفاق في كلتا الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في **حال فرح وسرور** ولا في حال محنة وبلاء. وسواء كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فإنهم لا يدعون الإحسان إلى الناس فأول ما ذكر الله من أخلاقهم الموجبة للجنة السخاء لأنه أشق على النفس. وكانت الحاجة إلى إخراج المال في ذلك الوقت أعظم الأحوال للحاجة إليه في مجاهدة الأعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل» أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفت على جلده حتى تخفي ثيابه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع» الجنة الدرع من الحديد (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك» (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزية الجنة كل خزنة باب أي قل هلم فقال أبو بكر: فقال يا رسول الله ذاك الذي لا توي عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن تكون منهم» قوله أي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوي الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك عليه.

وقوله تعالى: والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء." (١)

"لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم. قال فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا إن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية إن رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدهم بسبعين رجلا من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى إذا كان ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على أحياء من العرب على رعل

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٩٧/١

وذكوان وعصية وبني لحيان قال أنس: فقرأنا فيهم قرآنا ثم إن ذلك رفع بلغوا قومنا إن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ولمسلم قال: جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه أن أبعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار وذكر نحو ما تقدم وقيل إن أولياء الشهداء وأهليهم كانوا إذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور فأنزل الله تعالى هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى:

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أي ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد من أمته والمعنى لا يظن ظان إن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا يعني كأموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله بل أحياء أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فأما أن يكون المراد أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة أو يكون المراد إنهم أحياء في الحال وعلى تقدير أنهم أحياء في الحال يكون المراد إثبات الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجثمانية. فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الأول هو أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم أحياء في الذكر: وأنهم يذكرون بخير أعمالهم وأنهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم أحياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لأن الله تعالى أثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء يعني في حال ما يقتلون فإنهم يحيون وهو الاحتمال الثاني. واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح أو للجسم والروح معا فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم يقال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الأرواح دون الأجساد وقال بعض المفسرين إن أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة. ومن أثبت الحياة الروح والجسم معا قال: يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالأحياء وقيل إن الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الأرض كغيره. وروي أنه لما أراد معاوية أن يجري الماء على قبور الشهداء أمر أن ينادي من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر: فخرجنا إليهم فأخرجناهم رطاب الأبدان فأصابت المسحاة إصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه» وقوله تعالى: عند ربهم يعني في محل كرامته وفضله يرزقون يعني من ثمار الجنة وتحفها.

[سورة آل عمران (٣): آية ١٧٠]
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٧٠)

فرحين بما آتاهم الله من فضله يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والإحسان و الإفضال في دار النعيم ويستبشرون أي يفرحون والاستبشار **هو الفرح والسرور** الذي يحصل للإنسان عند البشارة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من إخوانهم الذين تركوهم أحياء في الدنيا على منهج الإيمان والجهاد لعلمهم بأنهم إذا استشهدوا سألوا الله عز وجل أن يخبر إخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فأخبرهم الله عز." (١)

"وإن تصبروا وتتقوا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي فإن ذلك من عزم الأمور أي من صواب التدبير الذي لا شك أن الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فإن ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمتم الأخذ به. قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٨٧ الى ١٨٨]
وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون (١٨٧) لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم (١٨٨)

وإذ أخذ الله أي واذكر يا محمد وقت إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى، والمراد منهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والأحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والإلزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله تعالى: لتبيننه للناس يعني لتبينن ما في الكتاب ولتظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك أن الله أوجب على علماء التوراة والإنجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكتمونه يعني ولا تخفون ذلك عن الناس فنبذوه يعني الكتاب وقيل الميثاق وراء ظهورهم أي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعني

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٣١٩

المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم فبئس ما يشترون ذمهم الله تعالى على فعلهم ذلك.
واعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مخصوصا بعلماء أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علماء هذه الأمة الإسلامية لأنهم أهل كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب. قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فقبله ووعاه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه ألجم «بلجام من نار» أخرجه الترمذي. ولأبي داود «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة». وقال أبو هريرة لولا ما أخذ الله عز وجل على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت أريد أن تحدثني، فقال: أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت: إما أن تحدثني وإما أن أحدثك قال: حدثني فقلت: حدثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخراز قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال: فحدثني أربعين حديثا.
قوله عز وجل: لا تحسبن الذين يفرحون قرئ بالتاء على الخطاب أي لا تحسبن يا محمد الفارحين الذين يفرحون، وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى لا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الآية في المنافقين (ق) عن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا له وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية وقيل نزلت في اليهود (ق) عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن مروان قال اذهب يا رافع لبوابه إلى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ مما فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل لنعذبن أجمعون. قال ابن عباس: مالكم.
ولهذه الآية إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس." (١)

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/٣٣٠

"صادقين يعني في دعواكم. ومعنى الآية أن الكفار كانوا إذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا إلى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الأصنام فقيل لهم: أترجعون إلى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء؟ بل إياه تدعون يعني بل تدعون الله، ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم فيكشف ما تدعون إليه إن شاء يعني فيكشف الضر الذي من أجله دعوتموه وإنما قيد الإجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وإن كانت الأمور كلها بمشيئة الله تعالى: وتنسون ما تشركون يعني: وتتركون دعاء الأصنام التي تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه أنكم في ترككم دعاء الأصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لأنه قال وتعرضون عنها إعراض الناسي لها.

قوله تعالى: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك في الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع فأخذناهم بالبأساء يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل: البأساء، شدة الجوع والضراء يعني الأمراض والأوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهي الذلة. ومقصود الآية، أن الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قد أرسل من قبله رسلا إلى أقوام بلغوا في القسوة إلى أن أخذوا بالبأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان إغواؤه بما في المعصية من اللذة. قال ابن عباس: يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فأصروا على معاصي الله عز وجل.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٤٤ الى ٤٥]

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥)

قوله عز وجل: فلما نسوا ما ذكروا به أي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وإنما كان النسيان بمعنى الترك لأن التارك للشيء معرضا عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم أبواب كل شيء يعني بدلنا مكان البأساء والرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام وذلك استدراج منه لهم. وقيل: فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الخير كان مغلقا عنهم حتى إذا

فرحوا بما أوتوا يعني فرحوا بما أوتوا من السعة والرخاء والصحة في الأبدان والمعيشة وظنوا أن ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى فإنهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا أن ذلك باستحقاقهم **وهذا فرح بطر كما فرح قارون** بما أوتي من الدنيا أخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة، وقال أهل المعاني: إنما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة، فأخذناهم في آمن ما كانوا وأعجب ما كانت الدنيا إليهم فإذا هم مبلسون أي آيسون من كل خير، وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة المبلس النادم والحزين والإبلاس هو الإطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك." (١)

"أن يكون لعبدة العجل من السامي وأتباعه أو لهارون من بني إسرائيل فعلى الاحتمال الأول في أنه خطاب لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني وهو أن يكون الخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله تعالى وقد رأيتم مني الأمر بتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له ونفي الشركاء عنه وحمل بني إسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء أن يسروا لسيرة مستخلفهم وقوله أعجلتم أمر ربكم معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لأن معناها عمل الشيء في أول وقته ولقائل أن يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام «عجلت إليك رب لترضى» ومعنى الآية أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له. وقال الحسن: أعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين وذلك أنهم قدروا أنه لم يأت على رأس الثلاثين فقد مات وقيل معناه أعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل. وقال الكلبي: معناه أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم ولما ذكر الله تعالى أن موسى عليه الصلاة والسلام رجع إلى قومه غضبان أسفا ذكر بعده ما أوجبه الغضب فقال تعالى: وألقى الألواح يعني التي فيها التوراة وكان حاملا لها فألقاها من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الأخبار: كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباع وبقي سبع واحد رفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والأحكام والحلال والحرام، وروى أن الله تعالى أخبر موسى عليه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/١١٢

الصلاة والسلام بفتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام أن ما أخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع إلى قومه وعاين ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة وأخذ برأس أخيه يجره إليه قيل إنه أخذ بشعر رأسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الأنباري لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام ووجد قومه مقيمين على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فأقبل على أخيه هارون يلومه ومد يده إلى رأسه لشدة موجدته عليه إذا لم يلحق به فيعرفه خبر بني إسرائيل فيرجع ويتلافاهم فأعلمه هارون عليه السلام

أنه إنما أقام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى: قال يعني هارون ابن أم إذ قال هارون لموسى ابن أم وإن كانا لأب وأم ليرقِقه ويستعطفه عليه إن القوم يعني الذين عبدوا العجل استضعفوني أي استذلوني وقهروني وكادوا يقتلونني أي وقاربوا أهموا أن يقتلوني فلا تشمت بي الأعداء أصل **الشماتة الفرح ببلية** من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان إذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الأعداء بما تنال مني من مكروه ولا تجعلني مع القوم الظالمين يعني الذين عبدوا العجل.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٥١ الى ١٥٣]

قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (١٥١) إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين (١٥٢) والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١٥٣)

قال رب اغفر لي يعني أن موسى عليه الصلاة والسلام لما تبين له عذر أخيه هارون قال رب اغفر لي ما صنعت إلى أخي هارون يريد ما أظهر من الموجدة عليه في وقت الغضب ولأخي يعني واغفر لأخي هارون إن كان وقع منه تقصير في الإنكار على عبدة العجل وأدخلنا يعني جميعا في رحمتك يعني في سعة رحمتك وأنت أرحم الراحمين وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعاء لأن من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته إن الذين اتخذوا العجل يعني إلها عبدوه من دون الله سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الآية قولان:." (١)

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥٢/٢

"عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر وقال: يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فأمسكت أحدهما لعيالي وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون. فقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكن أحب أن يذكر نفسه ليعطي من الصدقة فأنزل الله سبحانه وتعالى الذين يلمزون يعيبون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه والذين لا يجدون إلا جهدهم يعني أبا عقيل الأنصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل: الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي يأتي به فيتصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيتصدق به لأن الغني أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير أخرج القليل إنما أخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج إلى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فيسخرون منهم يعني أن المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في إنفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون: إنه لفقير محتاج إليه فكان يتصدق به وجوابهم إن كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله سبحانه وتعالى: سخر الله منهم يعني أنه سبحانه وتعالى جازاهم على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى: ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة.

[سورة التوبة (٩): الآيات ٨٠ الى ٨٢]

استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين (٨٠) **فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢)

قوله سبحانه وتعالى: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال

المفسرون: لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر فلن يغفر الله لهم وإنما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لأن العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولأن آحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فإن السموات والأرضين سبع والأيام سبع والأقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمبالغة في اليأس من طمع المغفرة لهم. قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد رخص لي فسأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم فأنزل الله سبحانه وتعالى سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله يعني بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما خيرني الله عز وجل." (١)

"فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة وسأزيد على السبعين قال إنه منافق فصلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم.

وقوله سبحانه وتعالى: ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله يعني أن هذا الفعل من الله وهو ترك العفو عنهم وترك المغفرة لهم من أجل أنهم اختاروا الكفر على الإيمان بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يوافق للإيمان به وبرسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله.

قوله عز **وجل: فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله **يعني فرح المتخلفون** عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم للجهة المعينة لأن الإنسان إذا توجه إلى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى تبوك وأقاموا بالمدينة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج إلى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى: وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والمعنى أنهم فرحوا بسبب التخلف

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٣٨٩

وكرهوا الخروج إلى الجهاد وذلك أن الإنسان يميل بطبعه إلى إيثار الراحة والقعود مع الأهل والولد ويكره إتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى: وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فأجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى: قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون يعني: قل يا محمد لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر أن نار جهنم التي هي موعد في الآخرة أشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون. قال ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف. فقال رجال: يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله تعالى بالخروج فليضحكوا قليلا يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه وليبكوا كثيرا يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وإن ورد بصيغة الأمر إلا أن معناه الإخبار والمعنى: أنهم وإن فرحوا وضحكوا طول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم في الآخرة لأن الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة إلى الدائم الباقي قليل جزاء بما كانوا يكسبون يعني إن ذلك البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ). عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا أن تبكوا» فتباكوا فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت».

[سورة التوبة (٩): الآيات ٨٣ الى ٨٥]

فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥)

قوله سبحانه وتعالى: فإن رجعك الله يعني فإن ردك الله يا محمد من غزاتك هذه إلى طائفة منهم." (١)

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٩٠/٢

"[سورة التوبة (٩): الآيات ٩٤ الى ٩٨]

يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٩٤) سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون (٩٥) يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين (٩٦) الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم (٩٧) ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم (٩٨)

قوله سبحانه وتعالى: يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم يعني يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك يا محمد إليك وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا إليه وإلى المؤمنين فلهذا قال تعالى يعتذرون إليكم يعني بالأعذار الباطلة الكاذبة إذا رجعتم إليهم يعني من سفركم قل أي قل لهم يا محمد لا تعتذروا قال البغوي: روي أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به قد نبأنا الله من أخباركم يعني قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستأنف أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل:

يحتمل أنهم وعدوا بأن ينصروا المؤمنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم أم لا ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم يعني فيخبركم بما كنتم تعملون لأنه هو المطلع على ما في ضمائركم في الخيانة والكذب وإخلاف الوعد.

قوله عز وجل: سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم يعني إذا رجعتم من سفركم إليهم يعني إلى المتخلفين بالمدينة من المنافقين لتعرضوا عنهم يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم فأعرضوا عنهم يعني فدعوهم وما اختاروا لأنفسهم من النفاق. وقيل: يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعاني إن هؤلاء المنافقين طلبوا إعراض الصفح فأعطوا إعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب الإعراض عنهم فقال تعالى: إنهم رجس يعني أن بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة ومأواهم يعني مسكنهم في الآخرة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يعني من الأعمال الخبيثة في الدنيا. قال ابن عباس: نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي: صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا

تكلموهم. وقال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم الذي لا إله إلا هو أنه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فأنزل الله عز وجل هذه الآية والتي بعدها يحلفون لكم لترضوا عنهم يعني: يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم يعني فإن رضيتم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني أنه سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبدا.

وقوله سبحانه وتعالى: الأعراب أشد كفرا ونفاقا نزلت في سكان البادية يعني أن أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر. قال أهل اللغة: يقال رجل عربي إذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب. ورجل أعرابي إذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلأ. ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الأعراب، فالأعرابي إذا قيل له يا **عربي فرح بذلك**. والعربي إذا قيل له: يا أعرابي غضب والعرب أفضل من الأعراب، لأن المهاجرين والأنصار وعلماء الدين من العرب.." (١)

"من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي ولا يسلم علي قال: وأنزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الأخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة. وكانت أم سلمة محسنة في شأني معتنية بأمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره قال: إذا يحطمكم الناغس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخاري ومسلم. (شرح غريب هذا الحديث) ..

قوله حين تواثقنا على الإسلام: التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد. والراحلة: الجمل أو الناقة القويان على الحمل والسفر. وقوله: ورى بغيرها يقال: ورى عن الشيء إذا أخفاه وأظهره غيره. والمفازة: البرية القفراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم وأظهره لهم والأهبة الجهاز وما يحتاج إليه المسافر قوله فأنا إليها صعر هو بالعين المهملة أي أميل والصعر الميل. قوله: وتفارط الغزو أي تباعد ما بيني وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار إليه بالعيب.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٩٧/٢

يقال: فلان ينظر في عطفيه إذا كان معجبا بنفسه ويقال: زال به السراب يزول إذا ظهر شخص الإنسان خيالا فيه من بعد. والسراب: هو ما يظهر للإنسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض.

قوله: كن أبا خيثمة معناه أنت أبو خيثمة وقيل معناه: اللهم اجعله أبا خيثمة أي لتوجد يا هذا الشخص أبا خيثمة حقيقة قوله الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره إلى وطنه قوله حضرني بثني البث أشد الحزن كأنه لشدته يظهر قوله زاح عني الباطل أي زال وذهب عني وأجمعت صدقه أي عزمت عليه لقد أعطيت جدلا أي فصاحة وقوة في الكلام بحيث أخرج عن عهدة ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني أي يلومونني أشد اللوم قوله حتى تنكرت لي في نفسي الأرض فما هي الأرض التي أعرف: معناه تغير علي كل شيء من الأرض وتوحشت علي وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فأما صاحباي فاستكانا يعني خضعا وسكنا قوله تسورت حائط أبي قتادة أي علوته وصعدت سوره وهو أعلاه والأنباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والأطراح، وقوله فتيممت بها التنور فسجرته بها أي فقصدت بالصحيفة التي أرسل بها ملك غسان فأحرقتها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت أتأمم يعني أقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم. والفوج: الجماعة من الناس. يقال: برق وجهه إذا لمع وظهر عليه **أمارات الفرح والسرور** قوله أنخلع من مالي أي أخرج منه جميعه وأتصدق به كما يخلع الإنسان قميصه. قوله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني البلاء. والابتلاء: يكون في الخير وفي الشر وإذا أطلق كان في الشر غالبا فإذا أريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلاني أن أنعم على قوله أن لا أكون كذبته، هذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظة لا زائدة ومعناه أن أكون كذبته وقوله فأهلك هو بكسر اللام وإرجاؤه أمرنا تأخيره وقوله في الرواية الأخرى يحطمكم الناس أي يطؤكم ويزدحمون عليكم وأصل الوطء الكسر وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله وآذن بتوبة الله علينا أي أعلم والأذان الإعلام والله أعلم.

قوله عز وجل: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت يعني بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد أن كان واسعا وضاقت عليهم أنفسهم يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة

الناس إياهم وترك كلامهم وظنوا يعني وأيقنوا وعلموا أن لا ملجأ يعني لا مفزع ولا مفر من الله إلا إليه ولا عاصم من عذابه إلا هو ثم تاب عليهم فيه إضمار وحذف تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا." (١)

"يعني الذي يملك ما في السموات والأرض قادر على الإحياء والإماتة لا يتعذر عليه شيء مما أراد وإليه ترجعون يعني بعد الموت للجزاء قوله عز وجل:

[سورة يونس (١٠): الآيات ٥٧ الى ٦٠]

يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (٥٧) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (٥٨) قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون (٥٩) وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون (٦٠)

يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم قيل: أراد بالناس قريشا. وقيل: هو على العموم وهو الأصح وهو اختيار الطبري قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف. وقال الخليل:

هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. وقيل: الموعظة، ما يدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة.

والقرآن داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق وشفاء لما في الصدور يعني أن القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لأن داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن.

وأمراض القلب هي: الأخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة.

فالقرآن مزيل لهذه الأمراض كلها، لأن فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية، وإنما خص الصدر بالذكر، لأنه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع في بدن الإنسان لمكان القلب فيه وهدى يعني وهو هدى من الضلالة ورحمة للمؤمنين يعني ونعمة على المؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم قل بفضل الله وبرحمته الباء في بفضل الله متعلقة بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم. والفضل هنا: بمعنى الإفضال ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بإفضال الله عليكم ورحمته بكم وإرادته الخير لكم ثم قال سبحانه وتعالى: فبذلك فليفرحوا أشار بذلك إلى القرآن لأن المراد بالموعظة والشفاء: القرآن فترك اللفظ وأشار إلى المعنى وقيل: فبذلك فليفرحوا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٤١٨

إشارة إلى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والإنعام فليفرحوا قال الواحدي الفاء في قوله تعالى: فليفرحوا زائدة كقول الشاعر:

فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي فالفاء في قوله فاجزعي، زائدة.

وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك. فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير إيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط فكأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منهما، والفرح: لذة في القلب بإدراك المحبوب والمشتهى. يقال: فرحت بكذا إذا أدركت المأمول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أي ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وثلج اليقين بالإيمان وسكون النفس إليه هو خير مما يجمعون يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب أهل المعاني في هذه الآية.." (١)

"المحرمات الجنة وقيل: إن السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل، فعلى هذا يكون قوله: سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم. قال مقاتل: إن الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى. يقولون: سلام عليكم بما صبرتم، وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة موقوفا عليه قال: «إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا بالملك يستأذن فيقول: للذي يليه ملك يستأذن. ويقول الآخر: كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له، فيدخل فيسلم ثم ينصرف» فنعم عقبى الدار يعني فنعم العقبى عقبى الدار. وقيل: معناه فنعم عقبى الدار ما أنتم فيه والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء، وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به، وهذا من صفة الكفار لأنهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره، ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٤٨/٢

ويفسدون في الأرض يعني بالكفر والمعاصي أولئك يعني من هذه صفته لهم اللعنة يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ولهم سوء الدار يعني النار لأن منقلب الناس في العرف إلى دورهم، ومنازلهم، فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة، والكفار لهم سوء الدار وهي النار. قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله، ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه، وهذا أمر اقتضته حكمة الله وفرحوا بالحياة الدنيا يعني مشركي مكة لما بسط

الله عليهم الرزق أشروا وبطروا، والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى. وفيه دليل على **أن الفرح بالدنيا** والركون إليها حرام وما الحياة الدنيا في الآخرة يعني بالنسبة إلى الآخرة إلا متاع أي قليل ذاهب. قال الكلبي: المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدر ينتفع بها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة لأنها ذاهبة لا بقاء لها ويقول الذين كفروا يعني من أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه يعني هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة موسى وعيسى قل أي قل لهم يا محمد: إن الله يضل من يشاء فلا ينفعه نزول الآيات وكثرة المعجزات إن لم يهده الله عز وجل وهو قوله ويهدي إليه من أناب يعني ويرشد إلى دينه والإيمان به من أناب بقلبه ورجع إليه بكليته الذين آمنوا بدل من قوله من أناب وتطمئن قلوبهم يعني وتسكن قلوبهم بذكر الله قال مقاتل: بالقرآن لأنه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون إنما تكون بقوة اليقين، والاضطراب إنما يكون بالشك ألا بذكر الله تطمئن القلوب يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها. وقال ابن عباس: هذا في الحلف وذلك أن المسلم إذا حلف بالله على شيء سكنت قلوب المؤمنين إليه. فإن قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الأنفال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف، وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد. قلت: إنما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة، إنما تكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه.

[سورة الرعد (١٣): الآيات ٢٩ الى ٣١]

الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (٢٩) كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب (٣٠) ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس

الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد (٣١)." (١)

"الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس: فرح لهم وقرة أعين. وقال عكرمة: نعمى لهم. وقال قتادة: حسن لهم وفي رواية أخرى، عنه إن هذه الكلمة عربية يقول الرجل للرجل: طوبى لك أي أصبت خيرا. وقال إبراهيم النخعي خير لهم وكرامة. وقال الزجاج: طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم. قال الأزهري: تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين.

وقال سعيد بن جبير: طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء أن طوبى اسم شجرة في الجنة تظلل الجنان كلها. وقال عبيد ابن عمير: هي شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منه إلا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عينان: الكافور والسلسبيل. وقال مقاتل: كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروي عن أبي سعيد الخدري: أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال: «هي شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» وعن معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه. قال: «طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة» هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين بغير سند، وروي بسنده موقوفا عن أبي هريرة قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرءوا إن شئتم وظل ممدود» فبلغ ذلك كعب الأحبار فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أو حقة أو جذعة، ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما إن الله غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة. فقال البغوي وبهذا الإسناد عن عبد الله بن المبارك عن الأشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب» (ق) عن سهل بن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة شجرة

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٧/٣

يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» (ق) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها» (ق) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة» زاد البخاري في روايته «واقرءوا إن شئتم وظل ممدود».

وقوله تعالى وحسن مآب يعني ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلبون ويرجعون إليه في الآخرة وهي الجنة. قوله عز وجل: كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم يعني كما أرسلناك يا محمد إلى هذه الأمة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك إلى أمم قد خلت ومضت لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك يعني لتقرأ على أمتك الذي أوحينا إليك من القرآن وشرائع الدين وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة ومقاتل وابن جريج: هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما نكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني أنهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف أن الآية مكية. وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه: «يا." (١)

"دليل على أن إبراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين، ولكنه استبعد حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة أن به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه، وأخبر أن القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لأن القنوط من رحمة الله كبيرة، كالأمن من مكر الله ولا يحصل إلا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد، ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الأمور سبب للضلالة قال يعني إبراهيم فما خطبكم يعني فما شأنكم وما الأمر الذي جئتم فيه أيها المرسلون والمعنى ما الأمر الذي جئتم به سوى ما بشرتموني به من الولد قالوا يعني الملائكة إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين يعني لهلاك قوم مجرمين إلا آل لوط يعني أشياعه وأتباعه من أهل دينه إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته يعني امرأة لوط قدرنا يعني قضينا وإنما أسند الملائكة القدر إلى أنفسهم وإن كان ذلك لله عز وجل، لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا، ونحن فعلنا وإن كان قد فعلوه بأمر الملك إنها لمن الغابرين يعني لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٨/٣

بالهالكين.

[سورة الحجر (١٥): الآيات ٦١ الى ٧٠]
فلما جاء آل لوط المرسلون (٦١) قال إنكم قوم منكرون (٦٢) قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون (٦٣) وأتيناك بالحق وإنا لصادقون (٦٤) فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون (٦٥)
وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٦) وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠)
فلما جاء آل لوط المرسلون وذلك أن الملائكة عليهم السلام لما بشروا إبراهيم بالولد، وعرفوه بما أرسلوا به ساروا إلى لوط وقومه فلما دخلوا على لوط قال إنكم قوم منكرون وإنما قال هذه المقالة لوط لأنهم دخلوا عليه وهم في زي شبان مردان حسان الوجوه، فخاف أن يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال هذه المقالة. وقيل: إن النكرة ضد المعرفة فقوله: إنكم قوم منكرون يعني لا أعرفكم ولا أعرف من أي الأقوام أنتم، ولا لأي غرض دخلتم فعند ذلك قالوا يعني الملائكة بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يعني جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه وأتيناك بالحق يعني باليقين الذي لا شك فيه وإنا لصادقون يعني فيما أخبرناك به من إهلاكهم فأسر بأهلك بقطع من الليل يعني آخر الليل، والقطع القطعة من الشيء وبعضه واتبع أدبارهم يعني واتبع آثار أهلك وسر خلفهم ولا يلتفت منكم أحد يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك، وقيل: المراد الإسراع في السير وترك الالتفات إلى ورائه، والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط، ولئلا يتخلف أحد منهم فيناله العذاب وامضوا حيث تؤمرون قال ابن عباس: يعني إلى الشام وقيل: الأردن، وقيل إلى حيث يأمركم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يسيروا إلى قرية معينة، ما عمل أهلها عمل قوم لوط وقضينا إليه ذلك الأمر يعني وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذي حكمنا به على قومه، وفرغنا منه ثم إنه سبحانه وتعالى فسر ذلك الأمر الذي قضاه بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين يعني أن هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم بالعذاب وقت الصبح وإنما أبهم الأمر الذي قضاه عليهم أولا، وفسر ثانيا تفخيما له وتعظيما لشأنه وجاء أهل المدينة يعني مدينة سدوم وهي مدينة قوم لوط يستبشرون يعني يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار: **إظهار الفرح والسرور**، وذلك أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم في المدينة، وقيل إن امرأته أخبرتهم

بذلك، وكانوا شبانا مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط إلى داره طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال يعني." (١)

"يتزودون منها إلى الآخرة والقول الأول أولى وهو قول جمهور المفسرين لأن الله فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعني بساتين إقامة من قولهم: عدن بالمكان، أي أقام به يدخلونها يعني تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها تجري من تحتها الأنهار يعني تجري الأنهار في هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم لهم فيها يعني في الجنات ما يشاؤن يعني ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين مع زيادات غير ذلك، وهذه الحالة لا تحصل لأحد إلا في الجنة لأن قوله فيها ما يشاءون لا يفيد الحصر، وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا كذلك يجزي الله المتقين أي هكذا يكون جزاء المتقين، ثم عاد إلى وصف المتقين فقال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يعني مؤمنين طاهرين من الشرك. قال مجاهد: زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل: إن قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أنهم، أتوا بكل ما أمروا به من فعل الخيرات والطاعات، واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات، والمحرمات مع الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة، والمباعدة من الأخلاق المذمومة والخصال المكروهة القبيحة وقيل معناه إن أوقاتهم تكون طيبة سهلة لأنهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة، فيحصل لهم عند **ذلك الفرح والسرور** والابتهاج، فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة يقولون يعني الملائكة لهم سلام عليكم يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبلغهم السلام من الله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من الأعمال الصالحة. فإن قلت

: كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله: صلى الله عليه وسلم «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضله ورحمته» أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة؟ قلت: قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم. اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضا أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين، وأدخلهم النار كان ذلك عدلا منه، وإذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرون، وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلا، ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين، ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٥٩

ويدخلهم النار عدلا منه. وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل، ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلح في خبط طويل لهم، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع. وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته. وأما قوله سبحانه وتعالى: «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون- وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون» ونحوها من الآيات التي تدل على أن الأعمال الصالحة يدخل بها الجنة، فلا تعارض بينها، وبين هذا الحديث بل معنى الآيات: أن دخول الجنة بسبب الأعمال والتوفيق للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة، والفضل والمنة والله أعلم بمراده قوله تعالى:

[سورة النحل (١٦): الآيات ٣٣ الى ٣٨]

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣٣) فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٣٤) وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين (٣٥) ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٣٦) إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين (٣٧)
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٨)." (١)

"آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء فتمتعوا لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد. يعني: فعيشوا في اللذة التي أنتم فيها إلى المدة التي ضربها الله لكم فسوف تعلمون يعني عاقبة أمركم إلى ماذا تصير، وهو نزول العذاب بكم. قوله سبحانه وتعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا قيل الضمير في قوله: لما لا يعلمون عائد إلى المشركين يعني أن المشركين لا يعلمون. وقيل: إنه عائد إلى الأصنام يعني أن الأصنام
لا تعلم شيئا البتة لأنها جماد والجماد لا علم له، ومنهم من رجح القول الأول لأن نفي العلم عن الحي

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٧٥/٣

حقيقة، وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير إلى المشركين أولى، ولأنه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون، وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني. قال: لأنا إذا قلنا أنه عائد إلى المشركين احتجنا فيه إلى إضمار فيكون المعنى: ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون أنه إله ولا إله حتى نصيبا وإذا قلنا إنه عائد إلى الأصنام لم نحتج إلى هذا الإضمار لأنها لا علم لها، ولا فيهم وقوله مما رزقناهم يعني أن المشركين جعلوا للأصنام نصيبا من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي رزقهم الله، وقد تقدم تفسيره في سورة الأنعام تالله أقسم بنفسه على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة، وهو قوله تعالى لتسئلن عما كنتم تفترون يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم، إن هذه الأصنام آلهة وإن لها نصيبا من أموالكم، وهذا التفات من الغيبة إلى الحضور، وهو من بديع الكلام وبليغه ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة قالوا: الملائكة بنات الله وإنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء، أو لدخول لفظ التأنيث في تسميتهم سبحانه نزه الله نفسه عن الولد والبنات ولهم ما يشتهون يعني: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعني البنين وإذا بشر أحدهم بالأنثى البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه **أثر الفرح به**، ولما كان **ذلك الفرح والسرور** يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن، والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكمودة التي تعلو الوجه، عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن، فصح قوله: وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يعني متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة، والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يرضى بالبنت الأنثى أن تنسب إليه فكيف يرضي أن ينسبها إلى الله تعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ. وقوله سبحانه وتعالى وهو كظيم يعني أنه ظل ممتلئا غما وحزنا يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يعني أنه يختفي من ذلك القول الذي بشر به، وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قربت ولادة زوجة أحدهم، توارى من القوم إلى أن يعلم ما ولد له فإن كان ولدا ابتهج بذلك وظهر وإن كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى أيمسكه على هون يعني على هوان، وإنما ذكر الضمير في أيمسكه لأنه عائد إلى ما بشر به في قوله، وإذا بشر أحدهم أم يدسه في التراب يعني أم يخفي الذي بشر به في التراب والدس إخفاء الشيء في الشيء قال أهل التفسير: إن مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات أحياء، والسبب في ذلك إما خوف الفقر وكثر العيال ولزوم النفقة أو الحمية فيخافون عليهن من الأسر ونحوه، أو طمع غير الأكفاء فيهن فكان الرجل من العرب في الجاهلية، إذا ولدت له بنت أراد أن يستحييها تركها حتى إذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر، وجعلها ترعى الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية،

قال لأمها: زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فإذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها: انظري إلى هذه البئر فإذا نظرت إليها دفعها من خلفها في تلك البئر، ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم «١» الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك وجه بإبل إلى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك:

---

(١). قوله صعصعة عم كذا بالنسخ التي بأيدينا والصواب جد وكذا قوله (وعمي الذي) الصواب وجدي الذي كما هو مقرر في كتب الأدب اهـ.." (١)

"لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق، وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة. فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة فقبلوها، فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه، وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود، وبعد غد للنصارى» وفي رواية لمسلم «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة» وفي رواية أخرى له قال «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا، الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق» قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم: قال العلماء في معنى الحديث: نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم. وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو إلا أنهم. وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال: القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه، فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الأمة مبينا، ولم يكلهم إلى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال: يعني القاضي عياضا- وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة، وأعلمهم بفضله فناظروه أن السبت أفضل. فقيل له دعهم. قال القاضي: ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول: خالفوا فيه. قال الشيخ محيي الدين النووي: ويمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٨٢/٣

أم لهم إبداله فأبدلوه، وغلطوا في إبداله. قال الإمام فخر الدين الرازي في قوله تعالى «على الذين اختلفوا فيه» يعني على نبيهم موسى، حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم، أي لأجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه أن اليهود اختلفوا، فمنهم من قال بالسبت، ومنهم من لم يقل به، لأن اليهود اتفقوا على ذلك. وزاد الواحدي على هذا فقال: وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم: معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال: هو أعظم الأيام حرمة لأن الله فرغ من خلق الأشياء، وقال الآخرون بل الأحد أفضل لأن الله سبحانه وتعالى، ابتدأ فيه بخلق الأشياء، وهذا غلط لأن اليهود لم يكونوا فريقين في السبت، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل. فان قلت إن اليهود إنما اختاروا السبت، لأن أهل الملل اتفقوا على أن الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الأحد، وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ، فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم، فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى: إنما بدأ بخلق الأشياء في يوم الأحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا لنا، وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الإسلام عيدا؟ قلت: يوم الجمعة أفضل الأيام لأن كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا بهذا الوجه وهو أولى. ووجه آخر وهو أن الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه، وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب، ولأن الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الأمة وادخره لهم، ولم يختاروا لأنفسهم شيئا، وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لأنفسهم، وقال بعض العلماء
: بعث الله موسى بتعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الأحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت، ويوم الأحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الأيام يوم الجمعة كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء. وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة: الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم، وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله إنما جعل السبت أي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه، وهم." (١)

"فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما مكسلمينا ومخشلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونس وبيرونس وديموس وبطيوس وقالوس والكلب اسمه قطمير. كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٠٦/٣

شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر بهم فلما قرءوه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه سجدا لله وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث، وذلك أن فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلاث مائة سنة وأكثر، فلما أتى الملك الخبر رجع عقله إليه وذهب همه وقال: أحمدك اللهم رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح بيدروس الملك ثم أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فتلقاهم أهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية **بيدروس فرح بهم** وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه. ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الإنس والجن. فبينما الملك قائم إذا هم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم، فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه في منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه، فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذوا على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة. وقيل إن تمليخا حمل إلى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة، وذكر أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية قد فقدوا في الزمان الأول وإن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزانته فدعا باللوح ونظر في أسمائهم فإذا اسمه مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تمليخا: هم أصحابي فلما سمع الملك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تمليخا: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم فدخل تمليخا فبشرهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا إليهم فذلك قوله عز وجل إذ أوى الفتية إلى الكهف أي صاروا إلى الكهف واسمه خيرم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي هداية في الدين وهيئ لنا أي يسر لنا من أمرنا رشدا أي ما

نلتمس منه رضاك وما فيه رشدنا، وقال ابن عباس: أي مخرجا من الغار في سلامة. قوله سبحانه وتعالى:

[سورة الكهف (١٨): الآيات ١١ الى ١٧]

فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥)

وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا (١٦) وترى الشمس إذا طلعت تتزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا (١٧)." (١)

"الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي والأزدي وكان كافرا وقيل اسمه هدد بن بدد، روي أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت إذا هي تمر به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها. قوله عز وجل وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه، وقيل معناه فعلمنا أن يرهقهما أي يغشيهما وقيل يكلفهما طغيانا وكفرا قيل معناه فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه فأردنا أن يبدلهما ربهما الإبدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه خيرا منه زكاة أي صلاحا وتقوى، وقيل هو في مقابلة قوله تعالى «أقتلت نفسا زاكية» فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة وأقرب رحما أي ويكون المبدل منه أقرب عطفا ورحمة لأبويه، بأن يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا، وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل إن الغلام الذي **قتل فرح به** أبواه حين ولد وحزن عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض العبد بقضاء الله تعالى فإن قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

قوله سبحانه وتعالى وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل كان اسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كان الكنز ذهبا وفضة» أخرجه الترمذي.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/١٥٨

وقيل كان الكنز صحفا فيها علم. وقال ابن عباس: كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب، عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه. وقيل الكنز إذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره، يقال عند فلان كنز علم وكان هذا اللوح جامعا لهما وكان أبوهما صالحا قيل إن اسمه كاشح وكان من الأتقياء، قال ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما، وقيل كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء، قال محمد بن المنكدر: إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم وقال سعيد بن المسيب: إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. فأراد ربك أن يبلغا أشدهما أي يدركا ويعقلا قوتهما، وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة. فإن قلت كيف قال في الأولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأراد ربك وما وجه كل واحدة في هذه الألفاظ. قلت إنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مع الله تعالى، فقال فأردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على أنه من العلماء العظماء في علم الباطن وعلوم الحكمة، وأنه لم يقدم على مثل هذا القتل إلا بحكمة عالية، ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله سبحانه وتعالى لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله سبحانه وتعالى، فلأجل ذلك أضافه إلى الله تعالى ويستخرجا كنزهما يعني إذا بلغا وعقلا وقويا رحمة من ربك أي نعمة من ربك وما فعلته عن أمري أي باختياري ورأيي بل فعلته بأمر الله وإلهامه إياي لأن تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم وتغيير أصولهم، لا يكون إلا بالنص وأمر الله تعالى.

واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمري على أنه الخضر كان نبيا لأن هذا يدل على الوحي وذلك للأنبياء، والصحيح أنه ولي لله وليس بنبي. وأجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمري إنه إلهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك، وهذه درجة الأولياء. وقيل معناه إنما فعلت هذه الأفعال لغرض أن تظهر رحمة الله لأنها بأسرها ترجع إلى معنى واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى.

ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا أي لم تطق أن تصبر عليه. روي أن موسى عليه السلام لما أراد أن." (١)

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٧٤/٣

"جارك، فأنزل الله تعالى تصديقه، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون» ومن يفعل ذلك يلق أثاما أي ومن يفعل شيئا من ذلك يلق أثاما قال ابن عباس إنما يريد جزاء الإثم، وقيل عقوبة وقيل: الأثام واد في جهنم ويروى في الحديث «أن الغي والأثام بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار» يضاعف له العذاب يوم القيامة وسبب تضعيف العذاب، أن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته ويخلد فيه مهانا أي ذليلا.

قوله تعالى إلا من تاب أي عن ذنبه وآمن يعني بربه وعمل عملا صالحا أي فيما بينه وبين ربه روي عن ابن عباس رضي الله عنه عنهما قال: قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية ثم نزلت إلا من تاب فما رأيت النبي صلى الله عليه **وسلم فرح بشيء** قط مثل **ما فرح بها** وفرحه بإنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر». وقوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما قال ابن عباس: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام فيبدلهم بالشرك إيمانا، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصانا وقيل يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له إن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل إن الله تعالى يمحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٧١ الى ٧٧]

ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا (٧١) والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢) والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا (٧٣) والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما (٧٤) أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما (٧٥)

خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما (٧٦) قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

(٧٧)

ومن تاب وعمل صالحا قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا ومعناه، ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن فإنه يتوب إلى الله أي يعود إليه بعد الموت متابا أي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالآية الأولى وهي قوله: ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة. وقيل: هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه ومن أراد التوبة، وعزم عليها فليتب إلى الله فقوله يتوب إلى الله خبر بمعنى الأمر أي تب إلى الله وقيل معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله تعالى. قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله قال:

الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه ويطوف به في الأسواق وقيل:

لا يشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقيل: الكذب وقيل: النوح وقيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللهو واللعب والغناء. قال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. وأصل الزور." (١)

"العالمين

يعني أن فيه من أخبار الأمم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين نزل به الروح الأمين يعني جبريل عليه السلام سماه زوجا لأنه خلق من الروح وسماه أمينا، لأنه مؤتمن على وحيه لأنبيائه على قلبك يعني على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وإنما خص القلب لأنه هو المخاطب في الحقيقة، وأنه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الأعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» أخرجاه في الصحيحين. ومن المعقول أن **موضع الفرح والسرور**، والغم والحزن هو القلب، **فإذا فرح القلب** أو حزن يتغير حال سائر الأعضاء فكأن القلب كالرئيس لها، ومنه أن موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فإذا ثبت ذلك كان القلب هو الأمير المطلق، وهو المكلف والتكليف مشروط بالعقل والفهم. قوله تعالى لتكون من

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣١٩

المنذرين أي المخوفين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه وإنه يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته لفي زبر الأولين أي كتب الأولين أولم يكن لهم آية يعني أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلمه يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علماء بني إسرائيل.

قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد. قوله تعالى ولو نزلناه يعني القرآن على بعض الأعجمين جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية، وإن كان عربيا في النسب ومعنى الآية، وأنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم يعني القرآن ما كانوا به مؤمنين أي لقالوا لا نفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب كذلك سلكناه قال ابن عباس: يعني أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به أي القرآن حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم أفبعذابنا يستعجلون قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب، فأنزل الله أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا، فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون أي رسل ينذرونهم ذكرى أي تذكره وما كنا ظالمين أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وما تنزلت به الشياطين يعني أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ذلك وما ينبغي لهم أن ينزلوا بالقرآن وما يستطيعون أي ذلك، ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك فقال إنهم عن السمع لمعزولون أي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون إلى استراق السمع فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأنه معصوم من ذلك.

قال ابن عباس: يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك. قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين روى محمد بن إسحاق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني

جبريل فقال: يا محمد أن لا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجئت به، فتناول." (١)

"لنكاية وصولة في العدو، فلا تفعل فكتب إليه إن في رجال فارس خلفا عنه فعجل إلي برأسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث بريدا إلى أهل فارس إني قد عزلت عنكم شهرمان واستعملت عليكم فرحان ثم بعث مع البريد صحيفة صغيرة وأمره فيها بقتل شهرمان. وقال إذا ولي فرحان الملك وانقاد له أخوه فأعطه الصحيفة، فلما وصل البريد إلى شهرمان عرض عليه كتاب كسرى فلما قرأه قال: سمعا وطاعة ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرحان فدفع البريد الصحيفة إلى فرحان فلما قرأها: استدعى بأخيه شهرمان وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بسفط ففتحه وأعطاه ثلاث صحائف منه وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد قتلي بكتاب واحد فرد فرحان الملك إلى أخيه شهرمان فكتب إلى قيصر ملك الروم أما بعد إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى ألقاك في خمسين فارسي، فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يريد أن يمكر به حتى أتاه عيونه فأخبروا أنه ليس معه إلا خمسون فارسيا، فلما التقيا ضربت لهما فيها ديباج فدخلاها ومع كل واحد سكين ودعوا بترجمان يترجم بينهما فقال شهرمان: إن الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد بأن يقتل أخي فأبيت عليه ثم أمر أخي بقتلي فأبى عليه، وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك فقال: قد أصبتما وأشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوزهما فشا. فقتلا الترجمان معا بسكينيهما فأديلت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل الم غلبت الروم في أدنى الأرض يعني أقرب أرض الشام إلى فارس وقيل هي أذرعات وقيل الأردن وقيل الجزيرة وهم من بعد غلبهم أي فارس لهم سيغلبون أي الروم لفارس.

[سورة الروم (٣٠): الآيات ٤ الى ٧]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٣٢/٣

في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥) وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦) يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (٧)

في بضع سنين البضع ما بين الثلاث إلى السبع وقيل إلى التسع وقيل ما دون العشر لله الأمر من قبل ومن بعد أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فمن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله أي الروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك ينصر من يشاء أي بيده النصر ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب الرحيم أي بالمؤمنين قوله تعالى وعد الله أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي أن الله لا يخلف وعده ثم قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وقال الحسن إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطئ وهو لا يحسن يصلي. وقيل: لا يعلمون الدنيا بحقيقتها إنما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعبها. وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها وهم عن الآخرة هم غافلون أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها. قوله عز وجل:

[سورة الروم (٣٠): الآيات ٨ الى ١٨]

أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون (٨) أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٩) ثم كان عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن (١٠) الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون (١١) ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (١٢)

ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين (١٣) ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (١٤) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون (١٥) وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة

فأولئك في العذاب محضرون (١٦) فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (١٧) وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون (١٨)." [١]

"الطلاق وأسرحكن سراحا جميلا أي من غير ضرر وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا، ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه. فقال عمر: لأعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أطلقتهن قال: «لا» قلت: يا رسول الله إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن. قال: «نعم إن شئت» فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت هذا الأمر. وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمسة من قريش وهن: عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة، وأربع من غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة، وكانت أحبهن إليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة **فرؤي الفرح في** وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتابعتها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد (م) عن جابر بن عبد الله قال «دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه واجما ساكتا. فقال: لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول: تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده قلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٨٧

أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين حتى نزلت هذه الآية:
يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن حتى بلغ: للمحسنات منكن أجرا عظيما قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت: وما هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت: قال: «لا تسألني امرأة منهن طلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا» قوله واجما أي مهتما، والواجم الذي أسكته الهم وعلته الكآبة وقيل الوجوم الحزن. قولهم فوجأت عنقها أي دققته وقوله لم يبعثني معنتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت: لما مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت: يا رسول الله، أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال: إن الشهر تسع وعشرون.

فصل في حكم الآية
اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن، حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم، إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن إذ اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور، وأنه قال لعائشة: «لا تعجلي حتى تستشيري أبويك» وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور، وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا. التفريع على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير، فقال عمر." (١)

"على لسانهم أن ينسبوا مثله إلى الكذب وأنه افترى على الله كذبا وهو أقبح أنواع الكذب فإن يشإ الله يختم على قلبك أي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم وقولهم إنه مفتر وقيل معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله بالفعل به ما أخبر به في هذه الآية ويمح الله الباطل أخبره الله تعالى أن ما يقولونه الباطل والله عز وجل يمحوه ويحق الحق بكلماته أي يحق الإسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام إنه عليم بذات

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٢٣/٣

الصدور قال ابن عباس: لما نزلت قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبره أنهم اتهموه وأنزل الله هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فإنا نشهد أنك صادق فنزل قوله عز وجل: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أولياؤه وأهل طاعته.

(فصل في ذكر التوبة وحكمها) قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا.

فإذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع أن يبرأ من حق صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصي نية وفعلا والإقبال على الطاعات نية وفعلا، وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة (خ). عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (م) عن الأغر بن بشار المزني قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» (ق) عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقذ ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة» (ق) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» ولمسلم عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح» عن

صفوان بن عسال المرادي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها» الآية أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م). عن أبي موسى." (١)

"الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» وقوله عز وجل: ويعفوا عن السيئات أي يمحوها إذا تابوا ويعلم ما تفعلون يعين من خير وشر فيجازيهم عليهم.

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٢٦ الى ٢٨]

ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (٢٦) ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير (٢٧) وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد (٢٨)

ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني يجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات إذا دعوه، وقال ابن عباس: ويثبت الذين آمنوا ويزيدهم من فضله أي سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه، وقال ابن عباس: يشفعهم في إخوانهم ويزيدهم من فضله، قال في إخوان إخوانهم والكافرون لهم عذاب شديد قوله عز وجل: ولو بسط الله الرزق لعباده قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فأنزل الله تعالى: ولو بسط الله الرزق لعباده أي وسع الله الرزق لعباده لبغوا أي لطغوا وعتوا في الأرض قال ابن عباس: بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس، وقيل: إن الإنسان متكبر بالطبع فإذا وجد الغنى والقدرة رجع إلى مقتضى طبعه وهو التكبر وإذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع إلى الطاعة والتواضع، وقيل: إن البغي مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لأن النفس مائلة إلى الشر لكنها إذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل وإذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت أن وجدان المال يوجب الطغيان ولكن ينزل بقدر ما يشاء يعني الأرزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى: إنه بعباده خبير بصير والمعنى

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٩٩

أنه تعالى عالم بأحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال «يقول الله عز وجل من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى لو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير» أخرجه البغوي بإسناده.

قوله عز وجل: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا أي يئس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته **لأن الفرح بحصول** النعمة بعد الشدة أتم وينشر رحمته أي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وهو الولي أي لأهل طاعته الحميد أي المحمود على ما يوصل إلى الخلق من أقسام رحمته.." (١)

"[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٤٥ الى ٤٩]

وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨) لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩)

وتراهم يعرضون عليها أي على النار خاشعين من الذل أي خاضعين متواضعين ينظرون من طرف خفي يعني يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة في أنفسهم، وقيل ينظرون بطرف خفي أي ضعيف من الذل، وقيل

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٠٠/٤

ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يعني بأن صاروا إلى النار. وأهليهم يوم القيامة يعني وخسروا أهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل أي وصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير استجيبوا لربكم أي أجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله أي لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت ما لكم من ملجإ يومئذ أي ما لكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت وما لكم من نكير أي ينكر حالكم وقيل النكير الإنكار يعني لا تقدرون أن تنكروا من أعمالكم شيئا فإن أعرضوا أي عن الإجابة فما أرسلناك عليهم حفيظا أي تحفظ أعمالهم إن عليك إلا البلاغ أي ليس عليك إلا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة قال ابن عباس: يعني الغنى **والصحة فرح بها** وإن تصبهم سيئة أي قحط بما قدمت أيديهم أي من الأعمال الخبيثة فإن الإنسان كفور أي لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه.

قوله عز وجل: لله ملك السماوات والأرض يعني له التصرف فيهما بما يريد يخلق ما يشاء أي لا يقدر أحد أن يعترض عليه في ملكه وإرادته يهب لمن يشاء إناثا أي فلا يولد له ذكر ويهب لمن يشاء الذكور أي فلا يولد له أنثى.

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٥٠ الى ٥٢]

أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم (٥١) وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢)

أو يزوجهم ذكرانا وإناثا أي يجمع بينهما فيولد له الذكور والإناث ويجعل من يشاء عقيما أي فلا يولد له ولد، وقيل هذا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقوله يهب لمن يشاء إناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني

يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل وإلا فالآية عامة في جميع الناس إنه عليم أي بما يخلق قدير أي على ما يريد أن يخلق.." (١)

"والقول فيه أنه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم أي إن القرآن جاء من عنده وهو الغفور الرحيم أي في تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم إلى التوبة ومعناه أنه غفور لمن تاب منكم رحيم به.

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٩]

قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين (٩)

قوله تعالى: قل يا محمد ما كنت بدعا أي بديعا من الرسل أي لست بأول مرسل قد بعث قبلي كثير من الأنبياء فكيف تنكرون نبوتي وما أدري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه **الآية فرح المشركون** وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به فأنزل الله عز وجل: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل: ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا: إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء امرأة من الأنصار وكانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وما يدريك أن الله أكرمه، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أما هو فقد جاءه اليقين والله إني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي قالت فو الله لا أزكي بعده أحد يا رسول قالت ورأيت لعثمان في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٠٣/٤

فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله» وفي رواية غير البخاري قالت «لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الأنصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم وقيل في معنى قوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم هذا في الدنيا أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة وأن من كذبه في النار» فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو بمكة أرض ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر إليها فقال له أصحابه متى تهاجر إلى الأرض التي أريت فسكت فأنزل الله هذه الآية وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك في مكاني أم أخرج وأنا وأنتم إلى الأرض التي رفعت لي وقيل «لا أرى إلى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا أما أنا فلا أدري أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي أم أقتل كما قتل بعض الأنبياء من قبلي وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدري أتخرجون معي أم تتركون أم ماذا يفعل بكم ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أي شيء يفعل بكم مما فعل بالأمم المكذبة ثم أخبره الله عز وجل أن يظهر دينه على الأديان كلها فقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله» وقال في أمته «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» فأعلمه ما يصنع به وبأمته وقيل معناه لا أدري إلى ماذا يصير أمري وأمركم ومن الغالب والمغلوب ثم أخبره أنه يظهر دينه على الأديان وأمته على سائر الأمم.

وقوله: إن أتبع إلا ما يوحى إلي معناه ما أتبع غير القرآن الذي يوحى إلي ولا أبتدع من عندي شيئا وما أنا إلا نذير مبين أي أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع.." (١)

"العباس قميصا ألبسه إياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها. وقيل: ليس للإنسان إلا ما سعى هو من باب العدل فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه وأن سعيه سوف يرى أي يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما ثم يجزاه أي السعي الجزاء الأوفى أي الأتم والأكمل. والمعنى: أن الإنسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الأوفى. قوله عز وجل:

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٤٢ الى ٤٧]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٢٨/٤

وأن إلى ربك المنتهى (٤٢) وأنه هو أضحك وأبكى (٤٣) وأنه هو أمات وأحيا (٤٤) وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى (٤٥) من نطفة إذا تمنى (٤٦)

وأن عليه النشأة الأخرى (٤٧)

وأن إلى ربك المنتهى أي إليه منتهى الخلق ومصيرهم إليه في الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما أنه عام تقديره وأن إلى ربك أيها السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن إساءته ويزداد المحسن في إحسانه الوجه الثاني أن المخاطب بهذا النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا، ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم. والمعنى: لا تحزن فإن إلى ربك المنتهى. وقيل. في معنى الآية: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأن إلى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب.

وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعا: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة». ومعناه: لا فكرة في الرب أي انتهى الأمر إليه لأنك إذا نظرت إلى سائر الموجودات الممكنة علمت أن لا بد لها من موجد وإذا علمت أن موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الأمر إليه فهو إشارة إلى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى: وأنه هو أضحك وأبكى أي هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على أن جميع ما يعمله الإنسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء وقيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار قيل أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل: أفرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال «جلست مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم إذا ضحكوا» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وفي رواية سماك بن حرب: فيضحكون ويتبسم معهم إذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم. وسئل ابن عمر: هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل (ق).

عن أنس قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين» وهو بالخاء المعجمة أي بكاء مع صوت يخرج من الأنف وأنه هو أمات وأحيا أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث.

وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل:
أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى أي من كل حيوان وهو أيضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها أنثى وهذا شيء لا يصل إليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وإنما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة من نطفة إذا تمنى أي تصب في الرحم. وقيل:
تقدر. وفي هذا تنبيه على كمال قدرته، لأن النطفة شيء واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والأنثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وأنه هو خلق لأنه لم يدع أحد إيجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر أحد أن يدعي خلق السموات والأرض وأن عليه النشأة." (١)

"عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم إلى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا» وفي رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب.
قوله في أثر سماء أي أثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء إذا سقط وغاب وقيل ناء إذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما أنه كفر بالله تعالى سالب لأصل الإيمان مخرج عن ملة الإسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد أن إيجاد المطر من الله ورحمته وأن النوء ميقات له ومراده إنا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد إلى فعل النجم كما جاء عن عمر أنه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا؟ فقال إن العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعا بعد وقوعها فو الله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وإنما أراد عمركم بقي من الوقت الذي جرت العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا في كراهية

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢١٤/٤

هذا والأظهر أنها كراهية تنزيه لا إثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولأنها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم، والقول الثاني في تأويل أصل الحديث أن المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث أبي هريرة «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين» فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة والله أعلم.

قوله تعالى: فلولا أي فهلا إذا بلغت الحلقوم أي النفس أو الروح إلى الحلقوم عند الموت وأنتم يعني يا أهل الميت حينئذ تنظرون يعني إلى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا.

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٨٥ الى ٩٢]

ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥) فلولا إن كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها إن كنتم صادقين (٨٧) فأما إن كان من المقربين (٨٨) فروح وريحان وجنة نعيم (٨٩)

وأما إن كان من أصحاب اليمين (٩٠) فسلام لك من أصحاب اليمين (٩١) وأما إن كان من المكذبين الضالين (٩٢)

ونحن أقرب إليه منكم أي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إلى الميت منكم ولكن لا تبصرون أي الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون أي لا تعلمون ذلك فلولا إن كنتم غير مدينين أي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ترجعونها إن كنتم صادقين أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا إذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا إن كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى إن كان الأمر كما تقولون إنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى: فأما إن كان من المقربين يعني السابقين. فروح أي فله روح وهو الراحة وقيل **فله فرح وقيل** رحمة وريحان أي وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٢٤٣

"القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وكثير منهم فاسقون يعني الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل: اعلموا أن الله يحي الأرض أي بالمطر بعد موتها أي يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على إحياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة وإلا فقد علم إحياء الأرض بالمطر مشاهدة قد بينا لكم الآيات أي الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا لعلكم تعقلون إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا أي بالنفقة والصدقة في سبيل الله يضاعف لهم أي ذلك القرض ولهم أجر كريم أي ثواب حسن وهو الجنة.

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ١٩ الى ٢٠]

والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٩) اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٢٠)

والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون أي الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة في كل من آمن بالله ورسوله وقيل إن الآية خاصة في ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام وهم أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته، والشهداء عند ربهم قيل أراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله، لهم أجرهم أي بما عملوا من العمل الصالح ونورهم يعني على الصراط والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بحال الكافرين.

قوله عز وجل: اعلموا أنما الحياة الدنيا أي مدة الحياة في هذه الدار الدنيا وإنما أراد من صرف حياته في غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله لعب أي باطل لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو **أي فرح ساعة** ثم ينقضي عن قريب وزينة أي منظر يتزينون به وتفاخر بينكم يعني إنكم تشتغلون في حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض وتكاثر في الأموال والأولاد

أي مباهاة بكثرة الأموال والأولاد وقيل بجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على أولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى: كمثل غيث أعجب الكفار أي الزراع إنما سمي الزراع كفارا لسترهم الأرض بالبذر نباته أي ما نبت بذلك الغيث ثم يهيج أي ييبس فتراه مصفرا أي بعد خضرته ثم يكون حطاما أي يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى وفي الآخرة عذاب شديد أي لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعاني زهد الله بهذه الآية في العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب في العمل للآخرة بقوله: ومغفرة من الله ورضوان أي لأوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لأعدائه ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه لأن الآخرة إما عذاب وإما جنة وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور أي لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة فهي له بلاغ إلى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة.." (١)

"[سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢١ الى ٢٥]

سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١) ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤) لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥)

قوله عز وجل: سابقوا إلى مغفرة من ربكم معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما أنتم عليه بل احرصوا على أن تكون مسابقتكم في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين في المضمار إلى مغفرة أي إلى ما يوجب المغفرة وهي التوبة من الذنوب وقيل سابقوا إلى ما كلفتم به من الأعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض قيل إن السموات السبع والأرضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس إن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل إن الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والأرضين ولا شك أن الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها على أن طولها أضعاف ذلك وقيل إن هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وأفكارهم وأكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض فشبه عرض الجنة بعرض السموات

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥٠/٤

والأرض على ما يعرفه الناس، أعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه أعظم رجاء وأقوى أمل لأنه ذكر أن الجنة أعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الإيمان شيئا آخر يدل عليه قوله في سياق الآية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فبين أنه لا يدخل أحد الجنة إلا بفضل الله تعالى لا بعمله، والله ذو الفضل العظيم (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته» وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في تفسير سورة النحل.

قوله تعالى: ما أصاب من مصيبة في الأرض يعني عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار، ولا في أنفسكم يعني الأمراض وفقد الأولاد إلا في كتاب يعني في اللوح المحفوظ من قبل أن نبرأها أي من قبل أن نخلق الأرض والأنفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة إن ذلك على الله يسير أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل: لكيلا تأسوا أي تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا أي لا تبطروا بما آتاكم أي أعطاكم قال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن **اجعلوا الفرح شكرا** والحزن صبرا قال صاحب الكشاف: إن قلت ما من أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم ما لك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت، والله لا يحب كل مختال أي متكبر بما أوتي من الدنيا فخور أي بذلك الذي أوتي على الناس الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد إذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم." (١)

"صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك، فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية، فبدئ بأول علامات النبوة توطئه للوحي، وأما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد، وهو تفسير صحيح لأن أصل التحنث من الحنث، وهو الإثم، والمعنى أنه فعل فعلا يخرج به من الإثم وقولها فجأة الحق أي جاءه الحق بالوحي بغتة.

قوله: فغطني بالغين المعجمة، والطاء المشالة المهملة، أي عصرني، وضمني ضما شديدا، وهو قوله حتى

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٥١/٤

بلغ مني الجهد قال العلماء: والحكمة في الغط شغله عن الالتفات إلى غيره، والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا.

قوله: زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين، ومعناه غطوني بالثياب، وقوله حتى ذهب عنه الروع أي الفزع قولها كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزي أي لا يفضحك الله، ولا يكسرك، ولا يهينك ولا يذلك وروي بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون أي لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل أي الثقيل والحوائج المهمة، وتكسب المعدوم أي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة أنك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الأخلاق وحميد الفعال. وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء.

قولها: وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم «وكان يكتب الكتاب العربي يكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله تعالى أن يكتب» ومعناهما صحيح وحاصله أنه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الإنجيل، فيكتب أي موضع شاء منه بالعبرانية إن أراد، أو بالعربية إن أراد ذلك، قوله هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة، يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير. إنما سمي جبريل بذلك لأن الله خصه بالوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قوله يا ليتني فيها، أي في أيام النبوة وإظهار الرسالة جذعا أي شابا قويا حتى أبالغ في نصرتك، وهو قوله وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا أي قويا بالغا قولها ثم لم يلبث ورقة أن توفي أي فلم يلبث أن مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله كي يتردى التردي الوقوع من علو، وذروة الجبل أعلاه قوله تبدى له أي ظهر له قوله فيسكن لذلك جأشه أي قلبه، وقيل الجأش هو ثبوت القلب عند الأمر العظيم المهول، وقيل الجأش هو ما ثار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة العلق (٩٦): آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق (١)

قوله عز وجل: اقرأ باسم ربك قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك، والمعنى اذكر اسم ربك أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا، وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أي قل بسم الله، ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الآية دليل على استحباب البداءة بالتسمية في أول القراءة، وقيل معناه اقرأ القرآن

مستعينا باسم ربك على ما تتحمله من النبوة وأعباء الرسالة الذي خلق يعني جميع الخلائق وقيل الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق كل شيء.." [١]

"قاله ابن بحر وابن زيد، أو الفرح من الكرب لأنهم كانوا مستعبدين مع القبط، ومنه قوله تعالى: يجعل لكم فرقانا «١» ، أي فرجا ومخرجا. وهذا القول راجع لمعنى النصر أو القرآن. والمعنى أن الله آتى موسى ذكر نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم حتى آمن به، حكاه ابن الأنباري، أو القرآن على حذف مفعول، التقدير: ومحمدا الفرقان، وحكي هذا عن الفراء وقطرب وثعلب، وقالوا: هو كقول الشاعر: وزججن الحواجب والعيونا التقدير: وكحلن العيون. ورد هذا القول مكي والنحاس وجماعة، لأنه لا دليل على هذا المحذوف، ويصير نظير: أطعمت زيدا خبزا ولحما، ويكون: اللحم أطعمته غير زيد، ولأن الأصل في العطف أنه يشارك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم السابق، إذا كان العطف بالحروف المشتركة في ذلك، وليس مثل ما مثلوا به من: وزججن الحواجب والعيون، لما هو مذكور في النحو. وقد جاء: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء «٢» ، وذكروا جميع الآيات التي آتاها الله تعالى موسى لأنها فرقت بين الحق والباطل، أو انفراق البحر، قاله يمان وقطرب، وضعف هذا القول بسبق ذكر فرق البحر في قوله: وإذ فرقنا «٣» ، وبذكر ترجية الهداية عقيب الفرقان، ولا يليق إلا بالكتاب. وأجيب بأنه، وإن سبق ذكر الانفلاق، فأعيد هنا ونص عليه بأنه آية لموسى مختصة به، وناسب ذكر الهداية بعد فرق البحر لأنه من الدلائل التي يستدل بها على وجود الصانع وصدق موسى على نبينا وعليه السلام، وذلك هو الهداية، أو لأن المراد بالهداية النجاة والفوز، وبفرق البحر حصل لهم ذلك فيكون قد ذكر لهم نعمة الكتاب الذي هو أصل الديانات لهم، ونعمة النجاة من أعدائهم. فهذه اثنتا عشرة مقالة للمفسرين في المراد بالفرقان هنا.

لعلكم تهتدون: ترجية لهدايتهم، وقد تقدم الكلام في لعل. وفي لفظ ابن عطية في لعل هنا، وفي قوله قبل: لعلكم تشكرون، أنه توقع، والذي تقرر في النحو أنه إن كان متعلق لعل محبوبا، كانت للترجي، فإن كان محذورا، كانت للتوقع، كقولك: لعل العدو يقدم. والشكر والهداية من المحبوبات، فينبغي أن لا يعبر عن معنى لعل هنا إلا بالترجي. قال القشيري: فرقان هذه الأمة الذي اختصوا به نور في قلوبهم، يفرقون به بين

---

(١) سورة الأنفال: ٨/ ٢٩.

---

[١] تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٤٤٧

(٢) سورة الأنبياء: ٢١/ ٣٨.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٥٠.." [١]

"ولا استخراجه ولا تنميته، بل جاء رزقا مهنأ لا تعب فيه ثم إرداف هذه الجمل بالجملة الأخيرة، إذ هي مؤكدة لافتتاح هذه الجمل السابقة، لأنه افتتحها بالإخبار بأنهم ظلموا أنفسهم، وختمها بذلك وهو قوله: ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. فجاءت هذه الجمل في غاية الفصاحة لفظا والبلاغة معنى، إذ جمعت الألفاظ المختارة والمعاني الكثيرة متعلقا أوائل أواخرها بأواخر أوائلها، مع لطف الإخبار عن نفسه. فحيث ذكر النعم صرح بأن ذلك من عنده، فقال: ثم بعثناكم، وقال: وظللنا وأنزلنا، وحيث ذكر النقم لم ينسبها إليه تعالى فقال: فأخذتكم الصاعقة. وسر ذلك أنه موضع تعداد للنعم، فناسب نسبة ذلك إليه ليذكرهم آلاءه، ولم ينسب النقم إليه، وإن كانت منه حقيقة، لأن في نسبتها إليه تخويفا عظيما ربما عادل **ذلك الفرح بالنعم**. والمقصود: انبساط نفوسهم بذكر ما أنعم الله به عليهم، وإن كان الكلام قد انطوى على ترهيب وترغيب، فالترغيب أغلب عليه.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٥٨ الى ٦١]

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٥٩) وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٦٠) وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤ بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٦١)

الدخول: معروف، وفعله: دخل يدخل، وهو مما جاء على يفعل بضم العين. وكان." [٢]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١/٣٢٧

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١/٣٥٠

"الجمهور أولى، لأن الوصف بالمفرد أولى من الوصف بالجملة، ولأن في قراءة أبي عبد الرحمن، على أحد تخريجيها، تكون قد بدأت بالوصف بالجملة وقدمته على الوصف بالمفرد، وذلك مخصوص بالضرورة عند بعض أصحابنا، لأن لا ذلول المنفي معها جملة ومسلمة مفرد، فقد قدمت الوصف بالجملة على الوصف بالمفرد، والمفعول الثاني لتسقي محذوف، لأن سقى يتعدى إلى اثنين. وقرأ بعضهم: تسقي بضم التاء من أسقى، وهما بمعنى واحد. وقد قرىء: نسقيكم بفتح النون وضمها. مسلمة من العيوب، قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية ومقاتل، أو من الشيات والألوان، قاله مجاهد وابن زيد، أو من العمل في الحرث والسقي وسائر أنواع الاستعمال، قاله الحسن وابن قتيبة. والمعنى: أن أهلها أعفوها من ذلك، كما قال الآخر:

أو معبر الظهر ينبي عن وليته ... ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا

أو من الحرام، لا غصب فيها ولا سرقة ولا غيرهما، بل هي مطهرة من ذلك، أو مسلمة القوائم والخلق، قاله عطاء الخراساني، أو مسلمة من جميع ما تقدم ذكره، لتكون خالية من العيوب، بريئة من الغصوب، مكملة الخلق، شديدة الأسر، كاملة المعاني، صالحة لأن تظهر فيها آية الله تعالى ومعجزة رسوله، قال أبو محمد بن عطية: ومسلمة، بناء مبالغة من السلامة، وقاله غيره، فقال: هي من صيغ المبالغة، لأن وزنها مفعلة من السلامة، وليس كما ذكر، لأن التضعيف الذي في مسلمة ليس لأجل المبالغة، بل هو تضعيف النقل والتعدية، يقال: سلم كذا، ثم إذا عديته بالتضعيف، فالتضعيف هنا كهو في قوله: فرحت زيدا، إذ **أصله: فرح زيد**، وكذلك هذا أصله: سلم زيد، ثم يضعف فيصير يتعدى. فليس إذن هنا مبالغة بل هو المرادف للبناء المتعدي بالهمزة. لاشية فيها: أي لا بياض، قاله السدي، أو: لا وضح، وهو الجمع بين لونين من سواد وبياض، أو لا عيب فيها، أو: لا لون يخالف لونها من سواد أو بياض، أو: لا سواد في الوجه والقوائم، وهو الشية في البقر، يقال ثور موشى، إذا كان في وجهه وقوائمه سواد. وقيل: لا شية فيها، تفسير لقوله: مسلمة، أي خلصت صفرتها عن أخلاط سائر الألوان، قاله ابن زيد. قال ابن عطية: والثور الأشيه الذي ظهر بلقه، يقال: فرس أبلق، وكبش أخرج، وتيس أبرق، وكلب أبقع، وثور أشيه. كل ذلك بمعنى البلقة. انتهى. وليس الأشيه مأخوذا من الشية لاختلاف المادتين.

قالوا الآن جئت بالحق: قرأ الجمهور: بإسكان اللام والهمزة بعده، وقرأ نافع:." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤١٥/١

"لأنهم عذبوا في الدنيا بالقتل والسبي والجلاء وأنواع من العذاب. وقرأ الجمهور: يردون بالياء، وهو مناسب لما قبله من قوله: من يفعل. ويحتمل أن يكون التفاتا، فيكون راجعا إلى قوله: أفتؤمنون، فيكون قد خرج من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة. وقرأ الحسن وابن هرمز باختلاف عنهما: تردون بالتاء، وهو مناسب لقوله: أفتؤمنون.

ويحتمل أن يكون التفاتا بالنسبة إلى قوله: من يفعل ذلك، فيكون قد خرج من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب. وأشد العذاب: الخلود في النار، وأشديته من حيث إنه لا انقضاء له، أو أنواع عذاب جهنم، لأنها دركات مختلفة، وفيها أودية وحيات، أو العذاب الذي **لا فرح فيه** ولا روح مع اليأس من التخلص، أو الأشدية هي بالنسبة إلى عذاب الدنيا، أو الأشدية بالنسبة إلى عذاب عامتهم، لأنهم الذين أضلوهم ودلسوا عليهم، أقوال خمسة. وما الله بغافل عما تعملون: تقدم الكلام على تفسير هذا الكلام، إذ وقع قبل أفتطمعون. وقرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بالياء، والباقون بالتاء من فوق. فبالياء ناسب يردون قراءة الجمهور، وبالتاء تناسب قراءة تردون بالتاء، فيكون المخاطب بذلك من كان مخاطبا في الآية. قيل: ويحتمل أن يكون الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. فقد روي عن عمر بن الخطاب قال: إن بني إسرائيل قد مضوا، وأنتم الذين تعنون بهذا يا أمة محمد، وبما يجري مجراه، وهذه الآية من أوعظ الآيات، إذ المعنى أن الله بالمرصاد لكل كافر وعاص.

أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون: قال ابن عباس: نزلت في اليهود، الذين تقدم ذكرهم أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، وفي اسم الإشارة دليل على أنه أشير به إلى الذين جمعوا الأوصاف السابقة الذميمة. وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على قوله: أولئك على هدى من ربهم «١» ، وأنه إذا عددت أوصاف لموصوف، أشير إلى ذلك الموصوف تنبيها على أنه هو جامع تلك الأوصاف. والذين: خبر عن أولئك، وتقدم الكلام في قوله: اشتروا، وتقدم أن الشراء والبيع يقتضيان عوضا ومعوضا أعيانا. فتوسعت العرب في ذلك إلى المعاني، وجعل إيثارهم بهجة الدنيا وزينتها على النعيم السرمدي اشتراء، إيثارا للعاجل الفاني على الآجل الباقي، إذ المشتري ليس هو المؤثر لتحصيله، والثمن المبذول فيه مرغوب عنه عنده، ولا يفعل ذلك إلا مغبون الرأي فاسد العقل.

قال بعض أرباب المعاني: إن الدنيا: ما دنا من شهوات القلب، والآخرة: ما

(١) سورة البقرة: ٢/ ٥.." (١)

"ولا تفرحوا بما آتاكم: أن **يفرح الفرح المؤدي** إلى البطر المنهي عنه في قوله تعالى: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين «١» ، فإن الحزن قد ينشأ عنه البطر، ولذلك ختم بقوله: والله لا يحب كل مختال فخور. فالفرح بما ناله من حطام الدنيا يلحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على الناس، فمثل هذا هو المنهي عنه. وأما الحزن على ما فات من طاعة الله، والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع، فهو مندوب إليه.

وقال ابن عباس: ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا، ومن أصاب خيرا جعله شكرا. انتهى، يعني هو المحمود. وقال الزمخشري: فإن قلت: فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به، ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح.

قلت: المراد: الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر، والتسليم لأمر الله تعالى، ورجاء ثواب الصابرين، والفرح المطغي الملهي عن الشكر. فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر، فلا بأس به.

انتهى. وقرأ الجمهور: بما آتاكم: أي أعطاكم وعبد الله: أوتيتم، مبنيا للمفعول: أي أعطيتم وأبو عمرو: آتاكم: أي جاءكم.

الذين يبخلون: أي هم الذين يبخلون، أو يكون الذين مبتدأ محذوف الخبر على جهة الإبهام تقديره: مذمومون، أو موعودون بالعذاب، أو مستغنى عنهم، أو على إضمار، أعني فهو في موضع نصب، أو في موضع نصب صفة لكل مختال، وإن كان نكرة، فهو مخصص نوعا ما، فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة. قال ابن عطية: هذا مذهب الأخفش.

انتهى.

عظمت الدنيا في أعينهم، فبخلوا أن يؤدوا منها حقوق الله تعالى، وما كفاهم ذلك حتى أمروا الناس بالبخل ورغبوهم في الإمساك، والظاهر أنهم أمروا الناس حقيقة. وقيل:

كانوا قدوة فيه، فكأنهم يأمرون به. ومن يتول عن ما أمر الله به. وقرأ الجمهور: فإن الله هو وقرأ نافع وابن عامر: بإسقاط هو، وكذا في مصاحف المدينة والشام، وكلتا القراءتين متواترة. فمن أثبت هو، فقال أبو علي

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٧٣/١

الفارسي: يحسن أن يكون فصلا، قال:

ولا يحسن أن يكون ابتداء، لأن حذف الابتداء غير سائغ. انتهى. يعني أنه في القراءة الأخرى حذف، ولو كان مبتدأ لم يجز حذفه، لأنك إذا قلت: إن زيدا هو الفاضل،

---

(١) سورة القصص: ٢٨/ ٧٦.." [1]

"وللمرأء هاء بهمزة مكسورة من غير ياء، وللنساء هاؤن. قيل: ومعنى هاؤم: خذوا، ومنه الخبر في الربا إلا هاء وهاء: أي يقول كل واحد لصاحبه خذ. وقيل: تعالوا، وزعم القتبي أن الهمزة بدل من الكاف، وهذا ضعيف إلا إن كان عنى أنها تحل محلها في لغة من قال:

هاك وهاك وهاكما وهاكم وهاكن، فيمكن أنه بدل صناعي، لأن الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها. وقيل: هاؤم كلمة وضعت لإجابة الداعي **عند الفرح والنشاط**.

وفي الحديث، أنه عليه الصلاة والسلام ناداه أعرابي بصوت عال، فجاوبه عليه الصلاة والسلام: «هاؤم» ، بصولة صوته.

وزعم قوم أنها مركبة في الأصل، والأصل هاء أموا، ثم نقله التخفيف والاستعمال. وزعم قوم أن هذه الميم ضمير جماعة الذكور. القطوف جمع قطف: وهو ما يجتنى من الثمر ويقطف. السلسلة معروفة، وهي حلق يدخل في حلق على سبيل الطول. الذراع مؤنث، وهو معروف، وقال الشاعر:

أرمي عليها وهي فرع أجمع ... وهي ثلاث أذرع وأصبع

حض على الشيء: حمل على فعله بتوكيد. الغسلين، قال اللغويون: ما يجري من الجراح إذا غسلت. الوتين: عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه. وقال الكلبي:

عرق بين العلباء والحلقوم، والعلباء: عصب العنق، وهما علباوان بينهما العرق. وقيل:

عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر، ومنه قول الشماخ:

إذا بلغتني وحملت رحلي ... عرابة فاشرقي بدم الوتين

الحاقة، ما الحاقة، وما أدراك ما الحاقة، كذبت ثمود وعاد بالقارعة، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية، وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة، فعصوا رسول

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١١٢/١٠

ربهم فأخذهم أخذة رابية، إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية، لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية، فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية.

هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها: أنه لما ذكر شيئا من أحوال السعداء." (١)

"يوم القيامة. وقيل: طوله ذلك العدد، وهذا ظاهر ما جاء في الحديث في مانع الزكاة فإنه قال: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. وقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري: قدره في رزاياه وهوله وشدته للكفار ذلك العدد.

وفي الحديث: «يخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة» .

وقال عكرمة مقدار: ما ينقضي فيه من الحساب قدر ما يقضي بالعدل في خمسين ألف سنة من أيام الدنيا.

وقال الحسن: نحوه. وقيل: لا يراد حقيقة العدد، إنما أريد به طول الموقف يوم القيامة وما فيه من الشدائد، والعرب تصف أيام الشدة بالطول **وأيام الفرح بالقصر**. قال الشاعر يصف **أيام الفرح والسرور**:

ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

والظاهر أن قوله: في يوم متعلق بتعرج. وقيل: بدافع، والجملة من قوله:

تعرج اعتراض. ولما كانوا قد سألوا استعجال العذاب، وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب، وكانوا قد وعدوا به، أمره تعالى بالصبر، ومن جعله من السيلان فالمعنى: أنه أشرف على الوقوع، والضمير في يرونه عائد على العذاب أو على اليوم، إذا أريد به يوم القيامة، وهذا الاستبعاد هو على سبيل الإحالة منهم. ونراه قريبا: أي هينا في قدرتنا، غير بعيد علينا ولا متعذر، وكل ما هو آت قريب، والبعد والقرب في الإمكان لا في المسافة. يوم تكون: منصوب بإضمار فعل، أي يقع يوم تكون، أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت، أو بقريبا، أو بدل من ضمير نراه إذا كان عائدا على يوم القيامة. وقال الزمخشري: أو هو بدل من في يوم فيمن علقه بواقع.

انتهى. ولا يجوز هذا، لأن في يوم وإن كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لأن مثل هذا ليس من المواضع التي تراعى في التوابع، لأن حرف الجر فيها ليس بزائد ولا محكوم له بحكم الزائد كرب، وإنما يجوز مراعاة المواضع في حرف الجر الزائد كقوله:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٥٣/١٠

يا بني لبينى لستما بيد ... إلا يدا ليست لها عضد

ولذلك لا يجوز: مررت بزيد الخياط، على مراعاة موضع بزيد، ولا مررت بزيد وعمرا، ولا غضبت على زيد وجعفرا، ولا مررت بعمر وأخاك على مراعاة الموضع. فإن قلت: الحركة في يوم تكون حركة بناء لا حركة إعراب، فهو مجرور مثل في يوم.

قلت: لا يجوز بناؤه على مذهب البصريين لأنه أضيف إلى معرب، لكنه يجوز على مذهب الكوفيين، فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم إن كان استحضره وقصده. كالمهل:

تقدم الكلام عليه في سورة الدخان، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، كما في." (١)

"الحق، وصفه بالهيئات التي تشكل بها حين أراد أن يقول: ما قال كل ذلك على سبيل الاستهزاء، وأن ما يقوله كذب وافتراء، إذ لو كان ممكنا، لكان له هيئات غير هذه **من فرح القلب** وظهور السرور والجذل والبشر في وجهه، ولو كان حقا لم يحتج إلى هذا الفكر لأن الحق أبلج يتضح بنفسه من غير إكداد فكر ولا إبطاء تأمل. ألا ترى إلى ذلك الرجل وقوله حين رأى رسول صلى الله عليه وسلم، فعلمت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وأسلم من فوره. وقيل: ثم نظر فيما يحتج به للقرآن، فرأى ما فيه من الإعجاز والإعلام بمرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم، ودام نظره في ذلك. ثم عبس وبسر، دلالة على تأنيه وتمهله في تأمله، إذ بين ذلك تراخ وتباعد.

وكان العطف في وبسر وفي واستكبر، لأن البسور قريب من العبوس، فهو كأنه على سبيل التوكيد والاستكبار يظهر أنه سبب للإدبار، إذ الاستكبار معنى في القلب، والإدبار حقيقة من فعل الجسم، فهما سبب ومسبب، فلا يعطف بثم وقدم المسبب على السبب لأنه الظاهر للعين، وناسب العطف بالواو وكان العطف في فقال بالفاء دلالة على التعقيب، لأنه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلبه، لم يتمالك أن نطق به من غير تمهل.

ومعنى يؤثر: يروى وينقل، قال الشاعر:

لقلت من القول ما لا يزا ... ل يؤثر عني به المسند

وقيل: يؤثر أي يختار ويرجح على غيره من السحر فيكون من الإيثار، ومعنى إلا سحر: أي شبيه بالسحر. إن هذا إلا قول البشر: تأكيد لما قبله، أي يلتقط من أقوال الناس، ويظهر أن كفر الوليد إنما هو عناد. ألا ترى ثناءه على القرآن، ونفيه عنه جميع ما نسبوا إليه من الشعر والكهانة والجنون، وقصته مع رسول الله

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٧٣/١٠

صلى الله عليه وسلم حين قرأ عليه أوائل سورة فصلت إلى قوله تعالى: فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود «١» ، وكيف ناشده الله بالرحم أن يسكت؟ سأصليه سقر، قال الزمخشري: بدل من سأرهقه صعودا. انتهى. ويظهر أنهما جملتان اعتقبت كل واحدة، منهما فتوعد على سبيل التوعد العصيان الذي قبل كل واحدة منهما، فتوعد على كونه عنيدا لآيات الله بإرهاق صعود، وعلى قوله بأن القرآن سحر يؤثر بإصلائه سقر، وتقدم الكلام على سقر في أواخر سورة القمر. وما أدراك ما سقر: تعظيم لهولها وشدتها، لا تبقي ولا تذر:

أي لا تبقي على من ألقي فيها، ولا تذر غاية من العذاب إلا أوصلته إليه.

لواحة للبشر، قال ابن عباس ومجاهد وأبو رزين والجمهور: معناه مغيرة

---

(١) سورة فصلت: ٤١/ ١٣.." (١)

"به، ولكن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم به. لا نريد منكم جزاء: أي بالأفعال، ولا شكورا: أي ثناء بالأقوال

وهذه الآية قيل نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

، وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جدا ظاهرة الاختلاف، وفيها إشعار للمسكين واليتيم والأسير، يخاطبون بها بيت النبوة، وإشعار لفاطمة رضي الله عنها تخاطب كل واحد منهم، ظاهرها الاختلاف لسفساف ألفاظها وكسر أبياتها وسفاطة معانيها. يوما عبوسا:

نسبة العبوس إلى اليوم مجاز. قال ابن عباس: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من عينيه عرق كالقطران. وقرأ الجمهور: فوقاهم بخفة القاف وأبو جعفر: بشدها ولقاهم نضرة: بدل عبوس الكافر، وسرورا: فرحا بدل حزنه، لا تكاد تكون النظرة إلا مع فرح النفس وقرة العين. وقرأ الجمهور: وجزاهم

وعلي: وجازاهم على وزن فاعل،

جنة وحريرا: بستانا فيه كل مأكل هنيء، وحريرا فيه ملبس بهي، وناسب ذكر الحرير مع الجنة لأنهم أوثروا على الجوع والغذاء. لا يرون فيها: أي في الجنة، شمسا: أي حر شمس ولا شدة برد، أي لا شمس فيها فترى فيؤذي حرها، ولا زمهرير يرى فيؤذي بشدته، أي هي معتدلة الهواء.

وفي الحديث: «هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر» .

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٣١/١٠

وقيل: لا يرون فيها شمسا ولا قمرا، والزمهرير في لغة طيء القمر.
وقرأ الجمهور: ودانية، قال الزجاج: هو حال عطفا على متكئين. وقال أيضا: ويجوز أن يكون صفة للجنة، فالمعنى: وجزاهم جنة دانية. وقال الزمخشري:
ما معناه أنها حال معطوفة على حال وهي لا يرون، أي غير رائين، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم. وقرأ أبو حيوة: ودانية بالرفع، واستدل به الأخفش على جواز رفع اسم الفاعل من غير أن يعتمد، نحو قولك: قائم الزيدون، ولا حجة فيه لأن الأظهر أن يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبر له. وقرأ الأعمش: ودانيا عليهم، وهو كقوله:
خاشعة أبصارهم «١» . وقرأ أبي: ودان مرفوع، فهذا يمكن أن يستدل به الأخفش.
وذللت قطوفها، قال قتادة ومجاهد وسفيان: إن كان الإنسان قائما، تناول الثمر دون كلفة وإن قاعدا أو مضطعجا فكذلك، فهذا تذليلها، لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك. فأما على قراءة الجمهور: ودانية بالنصب، كان وذللت معطوفا على دانية لأنها في تقدير

---

(١) سورة القلم: ٦٨/ ٤٣، وسورة المعارج: ٧٠/ ٤٤.." (١)

"الدنيا، وبأن بعض الصحابة سأل أن ينزل التحريم بالأمر الواضح الذي لا يلتبس على أحد، فيكون آكد في التحريم.
وظاهر الآية الإخبار بأن فيهما إثما كبيرا. ومنافع حالة الجواب وزمانه، وقال ابن عباس، والربيع: الإثم فيهما بعد التحريم، والمنفعة فيهما قبل التحريم، فعلى هذا يكون الإثم في وقت، والمنفعة في وقت، والظاهر أنه إخبار عن الحال، والإثم الذي فيهما هو الذنب الذي يترتب عليه العقاب، وقالت طائفة: الإثم الذي في الخمر: ذهاب العقل، والسباب، والافتراء، والتعدي الذي يكون من شاربها، والمنفعة التي في الخمر، قال الأكثرون: ما يحصل منها من الأرباح والأكساب، وهو معنى قول مجاهد: وقيل ما ذكر الأطباء في منافعها من ذهاب الهم، وحصول الفرح، وهضم الطعام، وتقوية الضعيف، والإعانة على الباءة، وتسخية البخيل، وتصفية اللون، وتشجيع الجبان، وغير ذلك من منافعها. وقد صنفوا في ذلك مقالات وكتبا، ويسمونها: الشراب الريحاني، وقد ذكروا أيضا لها مضار كثيرة من جهة الطب.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٦٢/١٠

والمنفعة التي في الميسر إيسار القامر بغير كد ولا تعب، وقيل: التوسعة على المحاويج، فإن من قمر منهم كان لا يأكل من الجزور، ويفرقه على الفقراء. وذكر المفسرون هنا حكم ما أسكر كثيره من غير الخمر العنبية، وحد الشارب، وكيفية الضرب، وما يتوقى من المضروب فلا يضرب عليه، ولم تتعرض الآية لشيء من ذلك، وهو مذكور في علم الفقه.

وقرأ حمزة، والكسائي: إثم كثير، بالثاء، ووصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين، فكأنه قيل: فيه للناس آثام، أي لكل واحد من متعاطيها إثم، أو باعتبار ما يترتب على شربها من توالي العقاب وتضعيفه، فناسب أن ينعت بالكثرة، أو باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرمة، أو باعتبار من زوالها من لدن كانت إلى أن بيعت وشريت،

فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر، ولعن معها عشرة: بائعها، ومبتاعها، والمشتراة له، وعاصرها، ومعتصرها، والمعصورة له وساقيها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة له، وآكل ثمنها.

فناسب وصف الإثم بالكثرة بهذا الاعتبار.

وقرأ الباقون: كبير، بالباء، وذلك ظاهر، لأن شرب الخمر والقمار ذنبهما من الكبائر، وقد ذكر بعض الناس ترجيحا لكل قراءة من هاتين القراءتين على الأخرى، وهذا." (١)

"لا يتحقق إلا بعضها، وإن كان الاسم ينطلق على الكل لكن سبب استحقاق الاسم في الأنبياء هو تحقيق الصلاح من جميع الوجوه، وفي غيرهم من بعضها، فخصه بالذكر حتى ينقطع احتمال جواز النبوة في مطلق المؤمنين، فكان تقييده باسم الصلاح مفيدا.

وقيل: من الصالحين في الدنيا والآخرة، فيكون إشارة إلى الدوام على الإيمان، والأمن من خوف الخاتمة.

قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر كان قد تقدم سؤاله به: رب هب لي من لدنك ذرية طيبة فلا شك في إمكانية ذلك، وجوازه: وإذا كان ذلك ممكنا وبشرته به الملائكة، فما وجه هذا الاستفهام؟.

وأجيب بوجوه:

أحدها: أنه سؤال عن الكيفية، والمعنى: أيولد لي على سن الشيخوخة وكون امرأتي عاقرا؟ أي بلغت سن من لا تلد، وكان قد بلغ تسعا وتسعين سنة، وامرأته بلغت ثمانيا وتسعين سنة. وقال ابن عباس: كان يوم بشر ابن عشرين ومائة سنة. وقال الكلبي: ابن اثنتين وتسعين سنة.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢/٤٠٥

أم أعاد أنا وامرأتي إلى سن الشبيبة وهيئة من يولد له؟ فأجيب: بأنه يولد له على هذه الحال. قال معناه: الحسن، والأصم.

الثاني: أنه لما بشر بالولد استعلم: أيكون ذلك الولد من صلبه نفسه أم من بينه؟.

الثالث: أنه كان نسي السؤال، وكان بين السؤال والتبشير أربعون سنة. ونقل عن سفيان أنه كان بينهما ستون سنة.

الرابع: أن هذا الاستعلام هو على سبيل الاستعظام لقدرة الله تعالى، يحدث ذلك عند معاينة الآيات وهو يرجع معناه إلى ما قاله بعضهم: إن ذلك من شدة الفرح، لكونه كالمدهوش عند حصول ما كان مستبعدا له عادة.

الخامس: إنما سأل لأنه كان عاجزا عن الجماع لكبر سنه، فسأل ربه: هل يقويه على الجماع وامرأته على القبول على حال الكبر؟

السادس: سأل هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم من غيرها.

السابع: أنه لما بشر بالولد أتاه الشيطان ليكدر عليه نعمة ربه، فقال له: هل تدري." (١)

"أعض القوم إذا أكل إبلهم العض. وبعير عضاضي أي سمين، كأنه منسوب إليه. والعض بالكسر الداهية من الرجال.

الأنامل جمع أنملة، ويقال: بفتح الميم وضمها، وهي أطراف الأصابع. قال ابن عيسى: أصلها النمل المعروف، وهي مشبهة به في الدقة والتصرف بالحركة. ومنه رجل نمل: أي نمام.

الغيض: مصدر غاضة، وغيض اسم علم.

الفرح: معروف يقال منه: فرح بكسر العين.

الكيد: المكر كاده يكيده مكر به. وهو الاحتيال بالباطل. قال ابن قتيبة: وأصله المشقة من قولهم: فلان يكيد بنفسه، أي يعالج مشقات النزع وسكرات الموت.

ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة سببت النزول إسلام عبد الله بن سلام وغيره من اليهود، وقول الكفار من أحبارهم: ما آمن بمحمد إلا شرارنا، ولو كانوا خيارا ما تركوا دين آبائهم قاله: ابن عباس، وقتادة، وابن جريج. والواو في ليسوا هي لأهل الكتاب السابق ذكرهم في قوله: ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون «١» والأصح: أن الواو ضمير عائد على أهل الكتاب، وسواء خبر ليس.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٣٥/٣

والمعنى: ليس أهل الكتاب مستوين، بل منهم من آمن بكتابه وبالقرآن ممن أدرك شريعة الإسلام، أو كان على استقامة فمات قبل أن يدركها.

ومن أهل الكتاب أمة قائمة: مبتدأ وخبر. وقال الفراء: أمة مرتفعة بسواء، أي ليس أهل الكتاب مستويا من أهل الكتاب أمة قائمة موصوفة بما ذكر وأمة كافرة، فحذفت هذه الجملة المعادلة، ودل عليها القسم الأول كقوله:

عصيت إليها القلب إني لأمره ... سميع فما أدري أرشد طلابها

التقدير: أم غي فحذف لدلالة أرشد وقال:

أراك فما أدري أهم ضممته ... وذو الهم قدما خاشع متضائل

التقدير: أم غيره. قال الفراء: لأن المساواة تقتضي شيئين: سواء العاكف فيه والباد سواء محياهم ومماتهم. ويضعف قول الفراء من حيث الحذف. ومن حذف وضع

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١١٠.." (١)

"كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

والقول الأول مروي عن ابن عباس وغيره. قال ابن عباس وسعيد بن جبير:

والجمهور تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله انتهى ولا ينكر هذا. فقد ورد في الحديث في وصف الجنة وسعتها ما يشهد لذلك. وأورد ابن عطية من ذلك أشياء في كتابه. والجنة على هذا القول أكبر من السموات، وهي ممتدة في الطول حيث شاء الله. وخص العرض بالذكر لدلالته على الطول، والطول إذا ذكر لا يدل على سعة العرض، إذ قد يكون العرض يسيرا كعرض الخيط.

وقال قوم: معناه كعرض السموات والأرض طباقا، لا بأن تقرب كبسط الثياب.

فالجنة في السماء وعرضها كعرضها، وعرض ما وازاها من الأرضين إلى السابعة، وهذه دلالة على العظيم. وأغنى ذكر العرض عن ذكر الطول. وقال ابن فورك: الجنة في السماء، ويزاد فيها يوم القيامة، وتقدم الكلام في الجنة أخلقت؟ وهو ظاهر القرآن. ونص الآثار الصحيحة النبوية أم لم تخلق بعد؟ وهو قول: المعتزلة، ووافقهم من أهل بلادنا القاضي منذر بن سعيد. وأما قول ابن فورك إنه يزاد فيها فيحتاج إلى صحة نقل عن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٣٠٨

النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الكلبي: الجنان أربع: جنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الفردوس، وجنة النعيم. كل جنة منها كعرض السماء والأرض، لو وصل بعضها ببعض ما علم طولها إلا الله. وقال ابن بحر: هو من عرض المتاع على البيع، لا العرض المقابل للطول. أي لو عورضت بها لساوها نصيب كل واحد منكم، وجاء إعدادها للمتقين فخصوا بالذكر تشريفا لهم، وإعلاما بأنهم الأصل في ذلك، وغيرهم تبع لهم في إعدادها. وإن أريد بالمتقين متقو الشرك كان عاما في كل مسلم طائع أو عاص.

الذين ينفقون في السراء والضراء قال ابن عباس والكلبي ومقاتل: السراء اليسر، والضراء العسر. وقال عبيد بن عمير والضحاك: الرخاء والشدة. وقيل: في الحياة، وبعد الموت بأن يوصي. وقيل: في الفرح وفي الترح. وقيل: فيما يسر كالنفقة على الولد والقرابة، وفيما يضر كالنفقة على الأعداء. وقيل: في ضيافة الغني والإهداء إليه، وفيما ينفقه على أهل الضر ويتصدق به عليهم. وقيل: في المنشط والمكره. ويحتمل التقييد بهاتين الحالتين، ويحتمل أن يعني بهما جميع الأحوال، لأن هاتين الحالتين لا يخلو المنفق أن يكون على إحداهما. والمعنى: لا يمنعهم حال سرور ولا حال ابتلاء عن بذل." (١)

"مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم، حين أراد بعضهم أن يعتضد بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان.

واستكان ظاهره أنه استفعل من الكون، فتكون أصل ألفه واوا أو من قول العرب:

مات فلان بكينة سوء، أي بحالة سوء. وكانه يكينه إذا خضعه قال هذا: الأزهري وأبو علي. فعلى قولهما أصل الألف ياء. وقال الفراء وطائفة من النحاة: أنه افتعل من السكون، وأشبعت الفتحة فتولد منها ألف. كما قال: أعوذ بالله من العقراب، يريد من العقرب. وهذا الإشباع لا يكون إلا في الشعر. وهذه الكلمة في جميع تصاريفها بنيت على هذا الحرف تقول: استكان يستكين فهو مستكين ومستكان له، والإشباع لا يكون على هذا الحد.

والله يحب الصابرين أي على قتال عدوهم قاله: الجمهور. أو على دينهم وقتال الكفار. والظاهر العموم لكل صابر على ما أصابه من قتل في سبيل الله، أو جرح، أو بلاء، أو أذى يناله بقول أو فعل أو مصيبة في نفسه، أو أهله أو ماله، أو ما يجري مجرى ذلك.

وكثيرا ما تمدحت العرب بالصبر وحرصت عليه كما قال طرفة بن العبد:

وتشكي النفس ما أصاب بها ... فاصبري إنك من قوم صبر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٤٦/٣

إن تلاقي سفسيالا بلغنا ... **فرح الخير** ولا تكبو الضبر

وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين لما ذكر ما كانوا عليه من الجلد والصبر وعدم الوهن والاستكانة للعدو، وذلك كله من الأفعال النفسانية التي يظهر أثرها على الجوارح، ذكر ما كانوا عليه من الإنابة والاستغفار والالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء، وحصر قولهم في ذلك القول، فلم يكن لهم ملجأ ولا مفزع إلا إلى الله تعالى، ولا قول إلا هذا القول. لا ما كنتم عليه يوم أحد من الاضطراب، واختلاف الأقوال. فمن قائل: نأخذ أمانا من أبي سفيان، ومن قائل: نرجع إلى ديننا، ومن قائل ما قال حين فر. وهؤلاء قد فجعوا بموت نبيهم أو ربييهم لم يهنوا، بل صبروا وقالوا هذا القول، وهم ربيون أحبار هضما لأنفسهم، وإشعارا أن ما نزل من بلاد الدنيا إنما هو بذنوب من البشر، كما كان في قصة أحد بعصيان من عصى.

وقرأ الجمهور قولهم بالنصب على أنه خبر كان. وإن قالوا في موضع الاسم، جعلوا ما كان أعرف الاسم، لأن إن وصلتها تتنزل منزلة الضمير. وقولهم: مضاف للمضير، يتنزل." (١)

"فمعنى بما أتوا بما فعلوا، ويدل عليه قراءة أبي بما فعلوا. وفي الذي فعلوه وفرحوا به أقوال: أحدها كتم ما سألهم عنه الرسول، وإخبارهم بغيره، وأروه أنهم قد أخبروه به واستحمدوا بذلك إليه قاله: ابن عباس. الثاني ما أصابوا من الدنيا وأحبوا أن يقال: إنهم علماء قاله: ابن عباس أيضا. الثالث قولهم: نحن على دين إبراهيم، وكتمهم أمر الرسول قاله: ابن جبير. الرابع كتبهم إلى اليهود يهود الأرض كلها أن محمدا ليس بنبي، فاثبتوا على دينكم، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به. وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة وأولياء الله قاله: الضحاك والسدي. الخامس قول يهود خيبر للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: نحن على دينكم، ونحن لكم ردء، وهم مستمسكون بضلالهم، وأرادوا أن يحمدهم بما لم يفعلوا قاله: قتادة. السادس تجهيز اليهود جيشا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنفاقهم على ذلك الجيش قاله:

النخعي. السابع إخبار جماعة من اليهود للمسلمين حين خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بأشياء عرفوها، فحمدهم المسلمون على ذلك، وأبطنوا خلاف ما أظهر، وأذكره الزجاج. الثامن اتباع الناس لهم في تبديل تأويل التوراة، وأحبوا حمدهم إياهم على ذلك، ولم يفعلوا شيئا نافعا ولا صحيحا قاله: مجاهد. التاسع تخلف المنافقين عن الغزو وحلفهم للمسلمين أنهم يسرون بنصرهم، وكانوا يحبون أن يقال إنهم في حكم المجاهدين قاله: أبو سعيد الخدري.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٣٧٣

والأقوال السابقة غير هذا الأخير مبنية على إن الآية نزلت في اليهود. قيل: ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي **بحسنة فرح بها** فرح إعجاب، ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد، وبما ليس فيه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: لا يحسبن ولا يحسبنهم بالياء فيهما، ورفع باء يحسبنهم على إسناد يحسبن للذين، وخرجت هذه القراءة على وجهين: أحدهما ما قاله أبو علي: وهو أن لا يحسبن لم يقع على شيء، والذين رفع به.

وقد تجيء هذه الأفعال لغوا لا في حكم الجمل المفيدة نحو قوله:

وما خلت أبقى بيننا من مودة ... عراض المداكي المشنقات القلائصا

وقال الخليل: العرب تقول: ما رأيته يقول ذلك إلا زيد، وما ظننته يقول ذلك إلا زيد. قال ابن عطية: فتتجه القراءة بكون فلا يحسبنهم بدلا من الأول، وقد تعدى إلى المفعولين وهما: الضمير وبمفازة، واستغنى بذلك عن المفعولين، كما استغنى في قوله:

بأي كتاب أم بأية سنة ... ترى حبهم عارا علي وتحسب." (١)

"فعلهم. وقال الزجاج: هذه الجملة اعتراض، أخبر تعالى بذلك لأنهم كانوا يوادون المؤمنين. وقال أيضا، وتبعه الماتريدي هذا على التقديم والتأخير تقديره: فإن أصابتكم مصيبة قال: قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا، كأن لم تكن بينكم وبينه مودة، ولئن أصابكم فضل من الله. قال الراغب: وذلك مستقبح، فإنه لا يفصل بين بعض الجملة وبعض ما يتعلق بجملة أخرى. وقال أيضا: وتبعه أبو البقاء: موضع الجملة نصب على الحال كما تقول: مررت بزيد وكأن لم يكن بينك وبينه معرفة، فضلا عن مودة. وقال أبو علي الفارسي: هذه الجملة من قول المنافقين الذين أقعدوهم عن الجهاد وخرجوا هم، كأن لم تكن بينكم وبينه أي: وبين النبي صلى الله عليه وسلم مودة فيخرجكم معهم لتأخذوا من الغنيمة، ليبغضوا بذلك الرسول إليهم. وتبع أبو علي في ذلك مقاتلا. قال مقاتل: معناه كأنه ليس من أهل ملتكم ولا مودة بينكم، يريد: أن المبطئ قال لمن تخلف عن الغزو من المنافقين وضعفة المؤمنين، ومن تخلف بإذن كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة فيخرجكم إلى الجهاد، فتفوزون بما فاز. وقال أبو عبد الله الرازي: هو اعتراض في غاية الحسن، لأن من أحب **إنسانا فرح عند** فرحه، وحزن عند حزنه، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة. فنقول: حكى تعالى عن المنافق سروره وقت نكبة المسلمين، ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب أنه فاتته الغنيمة، فقبل أن يذكر الكلام بتمامه ألقى قوله: كأن لم يكن بينكم وبينه، والمراد التعجب. كأنه

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٤٦٦

يقول تعالى: انظروا إلى ما يقوله هذا المنافق، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة أيها المؤمنون ولا مخالطة أصلا، فهذا هو المراد من الكلام.

وقال قتادة وابن جريج: قول المنافق: يا ليتني كنت معهم على معنى الحسد منه للمؤمنين في نيل رغبته.

وتلخص من هذه الأقوال أن هذه الجملة: إما أن يكون لها موضع من الإعراب نصب على الحال من الضمير المستكن في ليقولن، أو نصب على المفعول بيقولن على الحكاية، فيكون من جملة المقول، وجملة المقول هو مجموع الجملتين: جملة التشبيه، وجملة التمني. وضمير الخطاب للمتخلفين عن الجهاد، وضمير الغيبة في وبينه للرسول. وعلى الوجه الأول ضمير الخطاب للمؤمنين، وضمير الغيبة للقائل. وإما أن لا يكون لها موضع من الإعراب لكونها اعتراضا في الأصل بين جملة الشرط وجملة القسم وأخرت، والنية بها التوسط بين الجملتين. أو لكونها اعتراضا بين: ليقولن ومعموله الذي هو جملة التمني، وليس اعتراضا يتعلق بمضمون هذه الجملة المتأخرة، بل يتعلق بمضمون الجملتين." (١)

"ابن جني: هو على حذف الزوائد من راغم. والسعة هنا في الرزق قاله: ابن عباس، والضحاك، والربيع، وغيرهم. وقال قتادة: سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن القلة إلى الغنى. وقال مالك: السعة سعة البلاد. قال ابن عطية: والمشبه لفصاحة العرب أن يريد سعة الأرض وكثرة المعاقل، وبذلك تكون السعة في الرزق واتساع الصدر عن همومه وفكره، وغير ذلك من وجوه الفرح، ونحو هذا المعنى قول الشاعر:

لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرش

انتهى. وقدم مراغمة الأعداء على سعة العيش، لأن الابتهاج برغم أنوف الأعداء لسوء معاملتهم أشد من الابتهاج بالسعة.

ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله قيل: نزلت في جندب بن ضمرة وتقدمت قصته قبل. وقيل: في ضمرة بن بغيض.

وقيل: أبو بغيض ضمرة بن زنباع الخزاعي. وقيل: خالد بن حرام بن خويلد أخو حكيم بن حرام خرج مهاجرا إلى الحبشة، فمات في الطريق. وقيل: ضمرة بن ضمرة بن نعيم.

وقيل: ضمرة بن خزاعة. وقيل: رجل من كنانة هاجر فمات في الطريق، فسخر منه قومه فقالوا: لا هو بلغ ما يريد، ولا هو أقام في أهله حتى دفن. والصحيح: أنه ضمرة بن بغيض، أو بغيض بن ضمرة بن الزنباع، لأن عكرمة سأل عنه أربع عشرة سنة، وصححه.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧٠٧/٣

وجواب الشرط فقد وقع أجره على الله، وهذه مبالغة في ثبوت الأجر ولزومه، ووصول الثواب إليه فضلا من الله وتكريما، وعبر عن ذلك بالوقوع مبالغة. وقرأ النخعي وطلحة بن مصرف: ثم يدركه برفع الكاف. قال ابن جني: هذا رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي:

ثم هو يدركه الموت، فعطف الجملة من المبتدأ والخبر على الفعل المجزوم، وفاعله.

وعلى هذا حمل يونس قول الأعشى:

إن تركبوا فركوب الخير عادتنا ... أو تنزلون فإنا معشر نزل

المراد: أو أنتم تنزلون، وعليه قول الآخر:

إن تذنبوا لم يأتيني نعيقكم ... فما علي بذنب عندكم قوت

المعنى: ثم أنتم يأتيني نعيقكم. وهذا أوجه من أن يحمل على ألم يأتيك انتهى.

وخرج على وجه آخر وهو: أن رفع الكاف منقول من الهاء، كأنه أراد أن يقف عليها، ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله:." (١)

"والأبواب استعارة عن الأسباب التي هيأها الله لهم المقتضية لبسط الرزق عليهم والإبهام في هذا العموم لتهويل ما فتح عليهم وتعظيمه وغيا الفتح بفرحهم بما أوتوا وترتب على فرحهم أخذهم بغتة أي إهلاكهم فجأة وهو أشد الإهلاك إذ لم يتقدم شعور به فتتوطن النفس على لقائه، ابتلاهم أولا بالبأساء والضراء فلم يتعظوا ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم من إسباغ النعم عليهم فلم يجد ذلك عندهم ولا قصدوا الشكر ولا أصغوا إلى إنابة بل لم يحصلوا إلا **على فرح بما** أسبغ عليهم. قال محمد بن النضر الحارثي: أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة.

فإذا هم مبلسون أي باهتون بائسون لا يخبرون جوابا. وقرأ ابن عامر فتحنا بتشديد التاء والتشديد لتكثير الفعل وإذا هي الفجائية وهي حرف على مذهب الكوفيين وظرف مكان، ونسب إلى سيبويه وظرف زمان وهو مذهب الرياشي والعامل فيها إذا قلنا بظرفيتها هو خبر المبتدأ أي، ففي ذلك المكان هم مبلسون أي مكان إقامتهم وذلك الزمان هم مبلسون وأصل الإبلاس الإطراق لحلول نقمة أو زوال نعمة. قال الحسن: مكتئبون. وقال السدي: هالكون. وقال ابن كيسان وقطرب: خاشعون. وقال ابن عباس: متحيرون. وقال الزجاج: متحسرون. وقال ابن جرير: الساكت عند انقطاع الحجة.

فقطع دابر القوم الذين ظلموا عبارة عن استئصالهم بالهلاك والمعنى: فقطع دابرهم ونبه على سبب الاستئصال

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٤٤

بذكر الوصف الذي هو الظلم، وهو هنا الكفر والدابر التابع للشيء من خلفه يقال: دبر الوالد الولد يدبره، وفلان دبر القوم دبورا ودبرا إذا كان آخرهم. وقال أمية بن أبي الصلت:

فاستؤصلوا بعذاب خص دابرهم ... فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

قال أبو عبيدة: دابر القوم آخرهم الذي يدبرهم. وقال الأصمعي: الدابر الأصل يقال: قطع الله دابره أي أذهب أصله، وقرأ عكرمة فقطع دابر بفتح القاف والطاء والراء أي فقطع الله وهو التفات إذ فيه الخروج من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب.

والحمد لله رب العالمين قال الزمخشري: إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم انتهى. والذي يظهر أنه تعالى لما أرسل الرسل إلى هؤلاء الأمم كذبوهم وآذوهم فابتلاهم الله تارة بالبلاء، وتارة بالرخاء فلم يؤمنوا فأهلكهم واستراح الرسل من شرهم وتكذيبهم وصار ذلك نعمة في حق الرسل إذ أنجز الله وعده على لسانهم بهلاك المكذبين فناسب هذا الفعل كله الختم بالحمدلة.." (١)

"ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين وهذا يقتضي سماع كل من الفريقين كلام الآخر وهذا جائز عقلا على بعد المسافة بينهما من العلو والسفل وجائز أن يكون ذلك مع رؤية واطلاع من الله وذلك أخزى وأنكى للكفار، وجائز أن يكون ذلك وبينهم الحجاب والسور، وعن ابن عباس أنه لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار في الفرح بعد اليأس فقالوا: يا رب لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فينظرون إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وأخبروهم بقراباتهم فينادي الرجل أخوه فيقول يا أخي قد احترقت فأغثني فيقول: إن الله حرمهما على الكافرين ويحتمل أن تكون مصدرية ومفسرة، وكلام ابن عباس يدل على أن هذا النداء كان عن رجاء وطمع حصول ذلك، وقال القاضي هو مع اليأس لأنهم قد علموا دوام عقابهم وأنهم لا يفتر عنهم ولكن اليائس من الشيء قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وإن علم أنه لا يغنيه انتهى، وأفيضوا أمكن من اسقونا لأنها تقتضي التوسعة كما يقال أفاض الله عليه نعمه أي وسعها وسؤالهم الماء لشدة التهابهم واحتراقهم ولأن من عادته إطفاء النار أو مما رزقكم الله لأن البنية البشرية لا تستغني عن الطعام إذ هو مقويها أو لرجائهم الرحمة بأكل طعام وأو على بابها من كونهم سألوا أحد الشيئين وأتى أو مما رزقكم الله عاما والعطف بأو يدل على أن الأول لا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤/٥١٥

يندرج في العموم، وقيل: أو بمعنى الواو لقولهم إن الله حرمهما، وقيل المعنى حرم كلا منهما فأوعلى بابها وما رزقكم الله عام فيدخل فيه الطعام والفاكهة والأشربة غير الماء وتخصيصه بالثمرة أو بالطعام أو غير الماء من الأشربة أقوال ثانيها للسدي وثالثها للزمخشري قال: أو مما رزقكم الله من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة فقال: ويجوز أن يراد وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله:

علفتها تبنا وماء باردا وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعله المضطر الممتحن انتهى وقوله وإنما يطلبون إلى آخره هو كلام القاضي وقد قدمناه ويجوز أن يراد وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون أفيضوا ضمن معنى ألقوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيصح العطف ويحتمل وهو الظاهر من كلامه أن يكون أضمر فعلا بعد أو يصل إلى مما رزقكم وهو ألقوا وهما مذهبان للنحاة فيما عطف على شيء." (١)

"فقال: «أبشروا فإن الفرج قريب»

وقال مجاهد والسدي: هم خزاعة. ووجه تخصيصهم أنهم هم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب، وكان يومئذ في خزاعة مؤمنون كثير. ألا ترى إلى قول الخزاعي المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم:

ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا وفي آخر الرجز:

وقتلونا ركعا وسجدا وإذهاب الغيظ بما نال الكفار من المكروه، وهذه الجملة كالتأكيد للتي قبلها، لأن شفاء الصدر من آلة الغيظ هو إذهاب الغيظ. وقرأت فرقة: ويذهب فعلا لازما غيظ فاعل به. وقرأ زيد بن علي: كذلك إلا أنه رفع الباء. وهذه المواعيد كلها وجدت، فكان ذلك دليلا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وبدىء أولا فيها بما تسبب عن النصر وهو تعذيب الله الكفار وبأيدي المؤمنين وإخزاؤهم، إذا كانت البداءة بما ينال الكفار من الشر هي التي يسر بها المؤمنون، ثم ذكر السبب وهو نصر الله المؤمنين على الكافرين، ثم ذكر ما تسبب أيضا عن النصر من شفاء صدور المؤمنين وإذهاب غيظهم تتميما للنعم، فذكر ما تسبب عن النصر بالنسبة للكفار، وذكر ما تسبب للمسلمين **من الفرح والسرور** بإدراك الثأر، ولم يذكر ما نالوه من المغانم والمطاعم، إذ العرب قوم جبلوا على الحمية والأنفة، فرغبتهم في إدراك الثأر وقتل الأعداء هي اللائقة بطباعهم.

إن الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وقرأ الجمهور: ويتوب الله رفعا، وهو استئناف إخبار بأن بعض أهل مكة وغيرهم يتوب عن كفره، وكان

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦١/٥

ذلك عالم كثيرون وحسن إسلامهم. قال الفراء والزجاج وأبو الفتح:
وهذا أمر موجود سواء قوتلوا أو لم يقاتلوا، فلا وجه لإدخال اليوم في جواب الشرط الذي في قاتلوهم انتهى. وقرأ زيد بن علي، والأعرج، وابن أبي إسحاق، وعيسى الثقفي، وعمرو بن عبيد، وعمر بن قائد، وأبو عمرو، ويعقوب فيما روي عنهما: ويتوب الله بنصب الباء، جعله داخلا في جواب الأمر من طريق المعنى. قيل: ويمكن أن تكون التوبة داخلة في الجزاء. قال ابن عطية: ويتوجه ذلك عندي إذا ذهب إلى أن التوبة يراد بها أن قتل الكافرين والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمال لإيمانكم، فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال. وقال غيره: لما أمرهم بالمقاتلة شق ذلك على بعضهم، فإذا." (١)

"من الله أكبر، إشارة إلى منازل المقربين الشاربين من تسنيم، والذين يرون كما يرى النجم الغائر في الأفق، وجميع من في الجنة راض، والمنازل مختلفة، وفضل الله تعالى متسع انتهى. وقال الزمخشري: رضاه تعالى هو سبب كل فوز وسعادة انتهى. والإشارة بذلك إلى جميع ما سبق، أو إلى الرضوان قولان، والأظهر الأول.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٧٣ الى ٩٢]

يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٧٣) يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير (٧٤) ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين (٧٥) فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (٧6) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (٧٧)

ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب (٧٨) الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم (٧٩) استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين **(٨٠) فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٨٣/٥

قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢)
فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥) وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٨٦) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٨٧)
لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون (٨٨) أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩) وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم (٩٠) ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١) ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢)." (١)
"ولقائل أن يقول هذا الاستدلال بالعكس أولى، لأنه تعالى لما بين أنه لا يغفر لهم ألبتة ثبت أن الحال فيما وراء العدد مساو للحال في العدد، وذلك يدل على أن التقييد بالعدد لا يوجب أن يكون الحكم فيما رآه بخلافه.
قال الزمخشري: (فإن قلت) : كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته، والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف؟
وقد تلاه بقوله تعالى ذلك بأنهم كفروا الآية، فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى
قال: «رخص لي ربي فأزيد على السبعين» ؟
(قلت) : لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم ذلك، ولكنه خيل بما قال إظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كما قال إبراهيم عليه السلام: ومن عصاني فإنك غفور رحيم «١» وفي إظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمته، ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض انتهى. وفي هذا السؤال والجواب. غض من منصب النبوة، وسوء أدب على الأنبياء، ونسبته إليهم ما لا يليق بهم. وإذا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٦٢/٥

كان صلى الله عليه وسلم يقول: «لم يكن لنبي خائنة الأعين»
أو كما قال: وهي الإشارة، فكيف يكون له النطق بشيء على سبيل التحييل؟
حاشا منصب الأنبياء عن ذلك، ولكن هذا الرجل مسرح الألفاظ في حق الأنبياء بما لا يليق بحالهم، ولقد تكلم عند تفسير قوله: عفا الله عنك لم أذنت لهم «٢» بكلام في حق الرسول نزهت كتابي هذا أن أنقله فيه، والله تعالى يعصمنا من الزلل في القول والعمل، ذلك إشارة إلى انتفاء الغفران وتبيين العلة الموجبة لذلك، وانتفاء هداية الله الفاسقين هو للذين حتم لهم بذلك، فهو عام مخصوص.
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون: لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين، ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه وتخلفوا عن الجهاد، واعتذروا بأعذار وعلل كاذبة، حتى أذن لهم، فكشف الله للرسول صلى الله عليه وسلم عن أحوالهم وأعلمه بسوء فعالهم، فأنزل الله **عليه: فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله الآية: أي: عن غزوة تبوك. وكان الرسول قد خلفهم بالمدينة لما اعتذروا، فأذن لهم. وهذه الآية تقتضي التوبيخ والوعيد. ولفظة المخلفون تقتضي الذم والتحقير، ولذلك

---

(١) سورة إبراهيم: ١٤/ ٣٦.
(٢) سورة التوبة: ٩/ ٤٣.." (١)

"جاء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، وهي أمكن من لفظة المتخلفين، إذ هم مفعول بهم ذلك، ولم يفرح إلا منافق فخرج من ذلك الثلاثة وأصحاب العذر. ولفظ المقعد يكون للزمان والمكان، والمصدر وهو هنا للمصدر أي: بقعودهم، وهو عبارة عن الإقامة بالمدينة. وانتصب خلاف على الظرف، أي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال: فلان أقام خلاف الحي، أي بعدهم. إذا ظعنوا ولم يظعن معهم. قاله أبو عبيدة، والأخفش، وعيسى بن عمرو. قال الشاعر:
عقب الربيع خلافهم فكأنما ... بسط السواطب بينهن حصيرا
ومنه قول الشاعر:
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تأهب لأخرى مثلها وكأن قد

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٧٣/٥

ويؤيد هذا التأويل: قراءة ابن عباس، وأبي حيوة، وعمرو بن ميمون خلف رسول الله. وقال قطرب، ومؤرج، والزجاج، والطبري: انتصب خلاف على أنه مفعول لأجله أي: لمخالفة رسول الله، لأنهم خالفوه حيث نهض للجهاد وقعدوا. ويؤيد هذا التأويل قراءة من قرأ خلف بضم الخاء، وما تظاهرت به الروايات من أنه أمرهم بالنفر فغضبوا وخالفوا وقعدوا مستأذنين وغير مستأذنين، وكراهتهم للجهاد هي لكونهم لا يرجون به ثوابا، ولا يدفعون بزعمهم عنهم عقابا. وفي **قوله: فرح وكرهوا** مقابلة معنوية، **لأن الفرح من** ثمرات المحبة. وفي قوله: أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين ويتحملهم المشاق العظيمة أي: كالمؤمنين الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد في سبيل الله، وآثروا ذلك على الدعة والخفض، وكره ذلك المنافقون، وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان. والفرح بالقعود يتضمن الكراهة للخروج، **وكأن الفرح بالقعود** هو لمثل الإقامة ببلده لأجل الألفة والإيناس بالأهل والولد، وكراهة الخروج إلى الغزو لأنه تعريض بالنفس والمال للقتل والتلف. واستعذروا بشدة الحر، فأجاب الله تعالى عما ذكروا أنه سبب لترك النفر، وقالوا: إنه قال بعضهم لبعض وكانوا أربعة وثمانين رجلا. وقيل: قالوا للمؤمنين لم يكفهم ما هم عليه من النفاق والكسل حتى أرادوا أن يكسلوا غيرهم وينبهوهم على العلة الموجبة لترك النفر. قال ابن عباس، وأبو رزين والربيع: قال رجل: يا رسول الله، الحر شديد، فلا ننفر في الحر. وقال محمد بن كعب هو رجل من بني سلمة انتهى. أي: قال ذلك عن لسانهم، فلذلك جاء وقالوا بلفظ الجمع.." (١)

"القرآن. وقال الضحاك وزيد بن أسلم عكس هذا، وقال أبو سعيد الخدري: الفضل القرآن، والرحمة أن جعلهم من أهله.

وقال ابن عباس فيما روى الضحاك عنه: الفضل العلم والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عمر: الفضل الإسلام، والرحمة تزيينه في القلوب.

وقال مجاهد: الفضل والرحمة القرآن، واختاره الزجاج. وقال خالد بن معدان: الفضل القرآن، والرحمة السنة. وعنه أيضا أن الفضل الإسلام، والرحمة الستر. وقال عمرو بن عثمان: فضل الله كشف الغطاء، ورحمته الرؤية واللقاء. وقال الحسين بن فضل: الفضل الإيمان، والرحمة الجنة. وقيل: الفضل التوفيق، والرحمة العصمة. وقيل: الفضل نعمه الظاهرة، والرحمة نعمه الباطنة.

وقال الصادق: الفضل المغفرة، والرحمة التوفيق.

وقال ذو النون: الفضل الجنان، ورحمته النجاة من النيران. وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، وينبغي أن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٧٤/٥

يعتقد أنها تمثيلات، لأن الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه.

وقال ابن عطية: وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أن الفضل هو هداية الله إلى دينه والتوفيق إلى اتباع الشرع، والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على اتباع الإسلام والإيمان. ومعنى الآية: قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله وبرحمته **فليقع الفرح منكم**، لا بأمور الدنيا وما يجمع من حطامها، فالمؤمنون يقال لهم: فليفرحوا وهم ملتبسون **بعلة الفرح وسببه**، ومخلصون لفضل الله منتظرون لرحمته، والكافرون يقال لهم:

بفضل الله ورحمته فليفرحوا على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك انتهى.

والظاهر أن قوله: قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا جملتان، وحذف ما تتعلق به الباء والتقدير: قل بفضل الله وبرحمته ليفرحوا، ثم عطفت الجملة الثانية على الأولى على سبيل التوكيد. قال الزمخشري: والتكرير للتقرير والتأكيد، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه، والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منهما. ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا بذلك، فليفرحوا.

ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي: فبمجيئهما فليفرحوا انتهى. أما إضمار فليعتنوا فلا دليل عليه، وأما تعليقه بقوله: قد جاءتكم، فينبغي أن يقدر ذلك محذوفا بعد قل، ولا يكون متعلقا بجاءتكم الأولى للفصل بينهما بقل. وقال الحوفي:

الباء متعلقة بما دل على المعنى أي: قد جاءتكم الموعظة بفضل الله. وقيل: الفاء الأولى." (١)

"زائدة، ويكون بذلك بدلا مما قبله، وأشير به إلى الاثنين الفضل والرحمة. وقيل: كررت الفاء الثانية للتوكيد، فعلى هذا لا تكون الأولى زائدة، ويكون أصل التركيب فبذلك ليفرحوا، وفي القول قبله يكون أصل التركيب بذلك فليفرحوا، ولا تنافي بين الأمر بالفرح هنا وبين النهي عنه في قوله: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين «١» لاختلاف المتعلق، فالمأمور به **هنا الفرح بفضل** الله وبرحمته، والمنهي **هناك الفرح بجمع** الأموال لرئاسة الدنيا وإرادة العلو بها والفساد والأشر، ولذلك جاء بعده: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا «٢» وقبله: إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم «٣» وقوله:

لفرح فخور «٤» جاء ذلك على سبيل الذم لفرحه بإذاقة النعماء بعد الضراء، ويأسه وكفرانه للنعماء إذا نزعت منه، وهذه صفة مذمومة، وليس ذلك من أفعال الآخرة. وقول من قال: إنه إذا **أطلق الفرح كان**

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٧٥/٦

مذموما، و إذا قيد لم يكن مذموما كما قال: فرحين بما آتاهم الله من فضله «٥» ليس بمطرد، إذ جاء مقيدا في الذم في قوله تعالى: حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة «٦» وإنما **يمدح الفرح ويذم** بحسب متعلقه، فإذا كان بنيل ثواب الآخرة وأعمال البر كان محمودا، وإذا كان بنيل لذات الدنيا وحطامها كان مذموما.

وقرأ عثمان بن عفان، وأبي، وأنس، والحسن، وأبو رجاء، وابن هرمز، وابن سيرين، وأبو جعفر المدني، والسلمي، وقتادة، والجحدري، وهلال بن يساف، والأعمش، وعمرو بن قائد، والعباس بن الفضل الأنصاري: فلتفرحوا بالتاء على الخطاب، ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال صاحب اللوامح: وقال وقد جاء عن يعقوب كذلك، انتهى. وقال ابن عطية: وقرأ أبي وابن القعقاع، وابن عامر، والحسن: على ما زعم هارون.

ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما على المخاطبة

، وهي قراءة جماعة من السلف كثيرة، وعن أكثرهم خلاف انتهى. والجمهور بالياء على أمر الغائب.

وما نقله ابن عطية أن ابن عامر قرأ فلتفرحوا بالتاء ليس هو المشهور عنه، إنما قراءته في مشهور السبعة بالياء أمرا للغائب، لكنه قرأ تجمعون بالتاء على الخطاب، وباقي السبعة بالتاء على الخطاب. وفي مصحف أبي: فبذلك فافرحوا، وهذه هي اللغة الكثيرة الشهيرة في أمر المخاطب. وأما فليفرحوا بالياء فهي لغة قليلة. وفي الحديث: «لتأخذوا

---

(١) سورة القصص: ٢٨/ ٧٦.

(٢) سورة القصص: ٢٨/ ٧٧.

(٣) سورة القصص: ٢٨/ ٧٦.

(٤) سورة هود: ١١/ ١٠.

(٥) سورة آل عمران: ٣/ ١٧٠.

(٦) سورة الأنعام: ٦/ ٤٤.." (١)

"بإنعام من الله، وهو يعتقد أن ذلك اتفاق أو بعد، وهو اعتقاد فاسد. إنه لفرح أشر بطر، **وهذا الفرح مطلق**، فلذلك ذم المتصف به، ولم يأت في القرآن للمدح إلا مقيدا بما فيه خير كقوله: فرحين بما آتاهم

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٧٦

الله من فضله «١» وقرأ الجمهور: لفرح بكسر الراء، وهي قياس اسم الفاعل من فعل اللازم. وقرأت فرقة: لفرح بضم الراء، وهي كما تقول: ندس، ونطس. وفخره هو تعاظمه على الناس بما أصابه من النعماء، واستثنى تعالى الصابرين يعني على الضراء وعاملي الصالحات. ومنها الشكر على النعماء. أولئك لهم مغفرة لذنوبهم يقتضي زوال العقاب والخلاص منه، وأجر كبير هو الجنة، فيقتضي الفوز بالثواب. ووصف الأجر بقوله: كبير، لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ورفع التكاليف، والأمن العذاب، ورضا الله عنهم، والنظر إلى وجهه الكريم.

فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل. قال الزمخشري: كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم. ومن اقتراحاتهم: لولا أنزل عليه كنز، أو جاء معه ملك، وكانوا لا يعتدون بالقرآن، ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات، فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك أي: لعلك تترك أن تلقيه إليهم، وتبلغه إياهم مخافة ردهم وتهاونهم به، وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم أن يقولوا مخافة أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز، هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة، ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه. ثم قال: إنما أنت نذير أي: ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك، وتبلغهم ما أمرت بتبليغه، ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا، والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون، وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل، فتوكل عليه، وكل أمرك إليه.

وقال ابن عطية: سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا: يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك، وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحو هذا من الأقوال، فخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على هذه الصورة من المخاطبة، وقفه بها توقيفا رادا

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٧٠.." (١)

"على أقوالهم، ومبطلا لها. وليس المعنى أنه عليه السلام هم بشيء من ذلك ثم خرج عنه، فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه، ولا ضاق صدره به، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٢٨/٦

الإيمان. ولعلك هاهنا بمعنى التوقيف والتقرير، وما يوحى إليه هو القرآن والشريعة والدعاء إلى الله كان في ذلك سب آلهتهم، وتسفيه آبائهم أو غيره. ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد عظم عليه ما يلقى من الشدة، فمال إلى أن يكون من الله إذن في مساهلة الكفار بعض المساهلة، ونحو هذا من الاعتقادات التي تليق به صلى الله عليه وسلم كما جاءت آيات الموادعة. وعبر بضائق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك، وإن كان ضيق أكثر استعمالا، لأنه وصف لازم، وضائق وصف عارض. وقال الزمخشري: (فإن قلت) :

لم عدل عن ضيق إلى ضائق؟ (قلت) : ليدل على أن ضيق عارض غير ثابت، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدرا. ومثله قولك: سيد وجواد، تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد انتهى. وليس هذا الحكم مختصا بهذه الألفاظ، بل كل ما يبنى من الثلاثي للثبوت والاستقرار على غير وزن فاعل رد إليه إذا أريد معنى الحدوث، فنقول: حاسن من حسن، وثاقل من ثقل، وفارح من فرح، وسامن من سمن، وقال بعض اللصوص يصف السجن ومن سجن فيه:

بمنزلة أما اللئيم فسامن بها ... وكرام الناس باد شحوبها

والظاهر عود الضمير في به على بعض. وقيل: على ما، وقيل: على التبليغ، وقيل: على التكذيب، قيل ولعل هنا للاستفهام بمعنى هل، والمعنى: هل أنت تارك ما فيه تسفيه أحلامهم وسب آلهتهم كما سألوك؟ وقدروا كراهته أن يقولوا، ولئلا يقولوا، وبأن يقولوا، ثلاثة أقوال. والكنز المال الكثير. وقالوا: أنزل، ولم يقولوا أعطي، لأن مرادهم التعجيز، وأنهم التمسوا أن ينزل عليه من السماء كنز على خلاف العادة، فإن الكنوز إنما تكون في الأرض. وطلبهم آية تضطر إلى الإيمان، والله عز وجل لم يبعث الأنبياء بآيات اضطرار، إنما بعثهم بآيات النظر والاستدلال، ولم يجعل آية الاضطرار إلا للأمة التي أراد تعذيبها لكفرها بعد آية الاستدلال، كالناقة لثمود. وآنسه تعالى بقوله: إنما أنت نذير، أي: الذي فوض إليك هو النذارة لا تحصيل هدايتهم، فإن ذلك إنما هو لله تعالى. وقال مقاتل:

وقيل: كافل بالمصالح قادر عليها. وقال ابن عطية: المحصي لإيمان من شاء، وكفر من شاء. قيل: وهذه الآية منسوخة، وقيل: محكمة.." (١)

"وأوجس في نفسه خيفة بعد ما نكر حالهم، لحق المرأة من ذلك أعظم ما لحق الرجل. فلما قالوا: لا تخف، وذكروا سبب مجيئهم زال عنه الخوف وسر، فلحقها هي من السرور أن ضحكت، إذ النساء في

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٢٩/٦

باب الفرح والسرور أطرب من الرجال وغالب عليهن ذلك. وقد أشار الزمخشري إلى طرف من هذا فقال: فضحكت سرورا بزوال الخيفة. وذكر محمد بن قيس سببا لضحكها تركنا ذكره لفظاعته، يوقف عليه في تفسير ابن عطية. وقرأ محمد بن زياد الأعرابي رجل من قراء مكة: فضحكت بفتح الحاء. قال المهدوي: وفتح الحاء غير معروف، فبشرناها هذا موافق لقوله تعالى: ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى، والمعنى: فبشرناها على لسان رسلنا بشرتها الملائكة بإسحاق، وبأن إسحاق سيلد يعقوب. قال ابن عطية: أضاف فعل الملائكة إلى ضمير اسم الله تعالى، إذ كان ذلك بأمره ووحيه. وقال غيره: لما ولد لإبراهيم إسماعيل عليهما السلام من هاجر تمنت سارة أن يكون لها ابن، وأيست لكبر سنها، فبشرت بولد يكون نبيا ويلد نبيا، فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولد ولدها. وإنما بشروها دونه، لأن المرأة أعجل فرحا بالولد، ولأن إبراهيم قد بشروه وأمنوه من خوفه، فأتبعوا بشارته ببشارتها. وقيل: خصت بالبشارة حيث لم يكن لها ولد، وكان لإبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل.

والظاهر أن وراء هنا ظرف استعمل اسما غير ظرف بدخول من عليه كأنه قيل: ومن بعد إسحاق، أو من خلف إسحاق، وبمعنى بعد، روي عن ابن عباس واختاره مقاتل وابن قتيبة، وعن ابن عباس أيضا: أن الوراء ولد الولد، وبه قال الشعبي، واختاره أبو عبيدة.

وتسميته وراء هي قريبة من معنى وراء الظرف، إذ هو ما يكون خلف الشيء وبعده. فإن قيل: كيف يكون يعقوب وراء لإسحاق وهو ولده لصلبه، وإنما الوراء ولد الولد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: المعنى ومن الوراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب، لأنه قد كان الوراء لإبراهيم من جهة إسحاق، فلو قال: ومن الوراء يعقوب، لم يعلم أهذا الوراء منسوب إلى إسحاق أم إلى إسماعيل، فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس انتهى. وبشرت من بين أولاد إسحاق بيعقوب، لأنها رأته ولم تر غيره، وهذه البشارة لسارة كانت وهي بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة. وقيل: كان بينهما غير ذلك، وهي أقوال متناقضة.

وهذه الآية تدل على أن إسماعيل هو الذبيح، لأن سارة حين أخدمها الملك الجبار هاجر أم إسماعيل كانت شابة جميلة، فاتخذ إبراهيم هاجر سرية، فغارت منها سارة." (١)

"ومن قدر عليه رزقه «١» وعليه يحمل فظن أن لن نقدر عليه «٢» وقول ذلك الذي أحرق وذري في البحر: «لئن قدر الله علي» أي لئن ضيق. وقيل: يقدر يعطي بقدر الكفاية.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٨٢/٦

وقرأ زيد بن علي: ويقدر بضم الدال، حيث وقع والضمير في فرحوا عائد على الذين ينقضون، وهو استئناف إخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا عليهم، **وفرحهم فرح بطر** وبسط **لا فرح سرور** بفضل الله وإنعامه عليهم، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة بفضل الله به، واستجهلهم **بهذا الفرح إذ هو فرح بما** يزول عن قريب وينقضي.

ويبعد قول من ذهب إلى أنه معطوف على صلات. والذين ينقضون أي: يفسدون في الأرض، وفرحوا بالحياة الدنيا. وفي الكلام تقديم وتأخير. ومتاع: معناه ذاهب مضمحل يستمتع به قليلا ثم يفنى. كما قال الشاعر:

تمتع يا مشعث إن شيئا ... سبقت به الممات هو المتاع

وقال آخر:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

وقال آخر:

تمتع من الدنيا فإنك فان ... من النشوات والنساء الحسان

قال الزمخشري: خفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نذرا، يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو غير ذلك انتهى. وهذا معنى قول الحسن: أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الحياة الدنيا في جنب ما أعد الله لأوليائه في الآخرة نذر ليس يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو غير ذلك. وقال ابن عباس: زاد كزاد الرعي. وقال مجاهد: قليل ذاهب من متع النهار إذا ارتفع فلا بد له من زوال.

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب. الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب. الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب: نزلت: ويقول الذين كفروا، في مشركي مكة، طلبوا مثل آيات الأنبياء. والملتمس ذلك هو عبد الله بن أبي أمية وأصحابه، رد تعالى

---

(١) سورة الطلاق: ٦٥/ ٧.

(٢) سورة الأنبياء: ٢١/ ٨٧.." [1]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٣٨٤

"واختلفوا في مدلولها: فقال أبو الحسن الهنائي: هي جمع طيبة قالوا في جمع كيسة كوسى، وصيفة صوفى. وفعلى ليست من ألفاظ الجموع، فلعله يعني بها اسم جمع. وقال الجمهور: هي مفرد مصدر كبشرى وسقيا ورجعى وعقبى، واختلف القائلون بهذا في معناها.

فقال الضحاك: المعنى غبطة لهم. وعنه أيضا: أصبت خيرا. وقال عكرمة: نعمى لهم.

وقال ابن عباس: فرح وقرة عين. وقال قتادة: حسنى لهم. وقال النخعي: خير لهم، وعنه أيضا كرامة لهم. وعن سميط بن عجلان: دوام الخير. وهذه أقوال متقاربة، والمعنى العيش الطيب لهم. وعن ابن عباس، وابن جبير: طوبى اسم للجنة بالحبشية. وقيل: بلغة الهند. وقال أبو هريرة، وابن عباس أيضا، ومعتب بن سمي، وعبيد بن عمير، ووهب بن منبه: هي شجرة في الجنة.

وروي مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عتبة بن عبيد السلمي أنه قال، وقد سأله أعرابي: يا رسول الله أفي الجنة فاكهة؟ قال: «نعم فيها شجرة تدعى طوبى»

وذكر الحديث. قال القرطبي: الصحيح أنها شجرة للحديث المرفوع حديث عتبة، وهو صحيح على ما ذكره السهيلي، وذكره أبو عمر في التمهيد والثعلبي. وطوبى:

مبتدأ، وخبره لهم. فإن كانت علما لشجرة في الجنة فلا كلام في جواز الابتداء، وإن كانت نكرة فمسوغ الابتداء بها ما ذهب إليه سيبويه من أنه ذهب بها مذهب الدعاء كقولهم: سلام عليك، إلا أنه التزم فيه الرفع على الابتداء، فلا تدخل عليه نواسخه هكذا قال: ابن مالك. ويرده أنه قرىء: وحسن مآب بالنصب، قرأه كذلك عيسى الثقفي، وخرج ذلك ثعلب على أنه معطوف على طوبى، وأنها في موضع نصب، وحسن مآب معطوف عليها.

قال ثعلب: وطوبى على هذا مصدر كما قالوا: سقيا. وخرجه صاحب اللوامح على النداء قال: بتقدير يا طوبى لهم، ويا حسن مآب. فحسن معطوف على المنادى المضاف في هذه القراءة، فهذا نداء للتحنين والتشويق كما قال: يا أسفى على الفوت والندبة انتهى. ويعني بقوله: معطوف على المنادى المضاف، أن طوبى مضاف للضمير، واللام مقحمة كما أقحمت في قوله: يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام، وقول الآخر: يا بؤس للحرب التي، ولذلك سقط التنوين من بؤس وكأنه قيل: يا طوباهم وحسن مآب أي: ما أطيبهم وأحسن مآبهم، كما تقول: يا طيبها ليلة أي: ما أطيبها ليلة. وقرأ بكرة الأعرابي طيبى بكسر الطاء، لتسلم الياء من القلب، وإن كان وزنها فعلى، كما كسروا في بيض لتسلم الياء، وإن كان وزنها فعلا كحمر. وقال الزمخشري:

أصبت خيرا وطيبا، ومحلها النصب أو الرفع كقولك: طيبا لك، وطيب لك، وسلاما لك، وسلام لك، والقراءة في قوله: وحسن مآب بالرفع والنصب." (١)

"سلام وكعب وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا: أربعون من نجران، وثمانية من اليمن، واثنان وثلاثون من الحبشة. ومن الأحزاب يعني: ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو: كعب بن الأشرف وأصحابه، والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما، ومن ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف، وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام، ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مما حرفوه وبدلوه انتهى. وعن ابن عباس، وابن زيد: في مؤمني اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه، وعن قتادة في أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، مدحهم الله تعالى بأنهم يسرون بما أنزل إليك من أمر الدين. وعن مجاهد، والحسن، وقتادة: أن المراد بأهل الكتاب جميعهم يفرحون بما أنزل من القرآن، إذ فيه تصديق كتبهم، وثناء على أنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم الذين هم على دين موسى وعيسى عليهما السلام. وضعف هذا القول بأن همهم به أكثر من فرحهم، فلا يعتد بفرحهم. وأيضا فإن اليهود والنصارى ينكرون بعضه، وقد قذف تعالى بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب. والأحزاب قال مجاهد: هم اليهود، والنصارى، والمجوس. وقالت فرقة:

هم أحزاب الجاهلية من العرب. وقال مقاتل: الأحزاب بنو أمية، وبنو المغيرة، وآل أبي طلحة. ولما كان ما أنزل إليه يتضمن عبادة الله ونفي الشريك، أمر بجواب المنكرين، فقيل له: قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به، فإنكاركم لبعض القرآن الذي أنزل لعبادة الله وتوحيده، وأنتم تدعون وجوب العبادة ونفي الشريك إليه، أدعوا إلى شرعه ودينه، وإليه مرجعي عند البعث يوم القيامة في جميع أحوالي في الدنيا والآخرة. وقرأ أبو جليد عن نافع: ولا أشرك بالرفع على القطع أي: وأنا لا أشرك به. وجوز أن يكون حالا أي: أن أعبد الله غير مشرك به. وكذلك أي: مثل إنزالنا الكتاب على الأنبياء قبلك، لأن قوله:

والذين آتيناهم الكتاب، يتضمن إنزاله الكتاب، وهذا الذي أنزلناه هو بلسان العرب، كما أن الكتب السابقة بلسان من نزلت عليه: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم «١» وأراد بالحكم أنه يفصل بين الحق والباطل ويحكم. وقال ابن عطية: وقوله:

وكذلك المعنى: كما يسرنا **لهؤلاء الفرح ولهؤلاء** الإنكار لبعض كذلك أنزلناه حكما عربيا انتهى. وانتصب

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٨٦/٦

حكما على الحال من ضمير النصب في أنزلناه، والضمير عائد على القرآن، والحكم ما تضمنه القرآن من المعاني. ولما كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبه

---

(١) سورة إبراهيم: ١٤/ ٤.." (١)

"أنس: كل يا أبا العالية، فإنها الشجرة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه ثم قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع بسر فتلا هذه الآية. وفي الترمذي من حديث أنس نحو هذا.

وقال لزمخشري: كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة، وشجرة التين، والعنب، والرمان، وغير ذلك انتهى.

وقد شبه الرسول المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة، فلا يبعد أن يشبه أيضا بشجرتها. أصلها ثابت أي: في الأرض ضارب بعروقه فيها. وقرأ نس بن مالك: كشجرة طيبة ثابت أصلها، أجريت الصفة على الشجرة لفظا وإن كانت في الحقيقة للسببي. وقراءة الجماعة فيها إسناد الثبوت إلى السببي لفظا ومعنى، وفيها حسن التقسيم، إذ جاء أصلها ثابت وفرعها في السماء، يريد بالفرع أعلاها ورأسها، وإن كان المشبه به ذا فروع، فيكون من باب الاكتفاء بلفظ الجنس. ومعنى في السماء: جهة العلو والصعود لا المظلة.

وفي الحديث: «خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعا»

ولما شبهت الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة كانت الكلمة أصلها ثابت في قلوب أهل الإيمان، وما يصدر عنها من الأفعال الزكية والأعمال الصالحة هو فرعها يصعد إلى السماء إلى الله تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه «١» وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله هو جناها، ووصف هذه الشجرة بأربعة أوصاف: الأول قوله: طيبة، أي كريمة المنبت، والأصل في الشجرة له لذة في المطعم. قال الشاعر:

طيب الباءة سهل ولهم ... سبل إن شئت في وحش وعر

أي ساحتهم سهلة طيبة. الثاني: رسوخ أصلها، وذلك يدل على تمكنها، وأن الرياح لا تقصفها، فهي بطيئة الفناء، وما كان كذلك **حصل الفرح بوجدانه**. والثالث: علو فرعها، وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها، وعلى بعدها عن عفونات الأرض، وعلى صفائها من الشوائب. الرابع: ديمومة وجود ثمرتها وحضورها في كل الأوقات. والحين في اللغة قطعة من الزمان قال الشاعر:

تناذرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه حينا وحينا تراجع

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٣٩٦

والمعنى: تعطي جناها كل وقت وقته الله له. وقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد،

---

(١) سورة فاطر: ٣٥/ ١٠.." (١)

"هذا الطفل سيعقب هنالك، ويكون له نسل. وأفئدة: جمع فؤاد وهي القلوب، سمي القلب فؤاد لإنفاده مأخوذ من فأد، ومنه المفتأد، وهو مستوقد النار حيث يشوى اللحم. وقال مؤرج الأفئدة: القطع من الناس بلغة قريش، وإليه ذهب ابن بحر. قال مجاهد: لو قال إبراهيم عليه السلام: أفئدة الناس، لازدحمت على البيت فارس والروم. وقال ابن جبير: لحجته اليهود والنصارى. والظاهر أن من للتبعيض، إذ التقدير: أفئدة من الناس. قال الزمخشري: ويجوز أن تكون من للابتداء كقولك: القلب مني سقيم يريد قلبي، فكأنه قيل: أفئدة ناس، وإنما نكر المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة، لأنها في الآية نكرة لتتناول بعض الأفئدة انتهى. ولا يظهر كونها لابتداء الغاية، لأنها ليس لنا فعل يبتدأ فيه لغاية ينتهي إليها، إذ لا يصح ابتداء جعل الأفئدة من الناس، وإنما الظاهر في من التبعيض. وقرأ هشام: أفئيدة بياء بعد الهمزة، نص عليه الحلواني عنه وخرج ذلك على الإشباع، ولما كان الإشباع لا يكون إلا في ضرورة الشعر حمل بعض العلماء هذه القراءة على أن هشاما قرأ بتسهيل الهمزة كالياء، فعبر الراوي عنها بالياء، فظن من أخطأ فهمه أنها بياء بعد الهمزة، والمراد بياء عوضا من الهمزة، قال: فيكون هذا التحريف من جنس التحريف المنسوب إلى من روى عن أبي عمرو: بارئكم ويأمركم، ونحوه بإسكان حركة لإعراب، وإنما كان ذلك اختلاسا. قال أبو عمرو والداني الحافظ: ما ذكره صاحب هذا القول لا يعتمد عليه، لأن النقلة عن هشام وأبي عمرو كانوا من أعلم الناس بالقراءة ووجوهها، وليس يفضي بهم الجهل إلى أن يعتقد فيهم مثل هذا وقرىء آفدة: على وزن فاعلة، فاحتمل أن يكون اسم فاعل للحذف من أفد أي دنا وقرب وعجل أي: جماعة آفدة، أو جماعات آفدة، وأن يكون جمع ذلك فؤاد، ويكون من باب القلب، وصار بالقلب أأفدة، فأبدلت الهمزة الساكنة ألفا كما قالوا. في آرآم أأرام، فوزنه أعفلة. وقرىء أفدة على وزن فعلة، فاحتمل أن يكون جمع فؤاد وذلك بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها وهو الفاء، وإن كان تسهيلها بين بين هو الوجه، وأن يكون اسم فاعل من أفد كما تقول: فرح فهو فرح. وقرأت أم الهيثم: أفودة بالواو المكسورة بدل الهمزة. قال صاحب اللوامح: وهو جمع وفد، والقراءة حسنة: لكنني لا أعرف هذه المرأة، بل ذكرها أبو حاتم انتهى. أبدل الهمزة في فؤاد بعد الضمة كما أبدلت في جون، ثم جمع فأقرها في الجمع إقرارها في المفرد. أو هو جمع وفد كما قال

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٤٣٢

صاحب اللوامح، وقلب إذ الأصل أوفده. وجمع فعل على أفعلة شاذ نحو: نجد وأنجدة، ووهي وأوهية. وأم الهيثم امرأة نقل عنها شيء من لغات العرب. وقرأ زيد بن." (١)

"المنصوب، فلا يجوز زيد ضربه زيد، تريد ضرب نفسه إلا في باب ظن وأخواتها من الأفعال القلبية، أو فقد، وعدم، فيجوز: زيد ظنه قائما وزيد فقده، وزيد عدمه. والضمير المجرور بالحرف المنصوب المتصل، فلا يجوز زيد غضب عليه تريد غضب على نفسه، فعلى هذا الذي تقرر لا يجوز النصب إذ يكون التقدير: ويجعلون لهم ما يشتهون. قالوا:

وضمير مرفوع، ولهم مجرور باللام، فهو نظير: زيد غضب عليه.

وإذا بشر، المشهور أن البشارة أول خبر يسر، وهنا قد يراد به مطلق الإخبار، أو تغير البشرة، وهو القدر المشترك بين الخبر السار أو المخبرين، وفي هذا تقبيح لنسبتهم إلى الله المنزه عن الولد البنات واحدهم أكره الناس فيهن، وأنفرهم طبعا عنهن. وظل تكون بمعنى صار، وبمعنى أقام نهارا على الصفة التي تسند إلى اسمها تحتمل الوجهين. والأظهر أن يكون بمعنى صار، لأن التبشير قد يكون في ليل ونهار، وقد تلحظ الحالة الغالبة. وأن أكثر الولادات تكون بالليل، وتتأخر أخبار المولود له إلى النهار وخصوصا بالأنثى، فيكون ظلوله على ذلك طول النهار. واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والتكره والنفرة التي لحقته بولادة الأنثى. قيل: إذا **قوي الفرح انبسط** روح القلب من داخله ووصل إلى الأطراف، ولا سيما إلى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد، فترى الوجه مشرقا متلألئا.

وإذا قوي الغم انحصر الروح إلى باطن القلب ولم يبق له أثر قوي في ظاهر الوجه، فيربد الوجه ويصفر ويسود، ويظهر فيه أثر الأرضية، فمن **لوازم الفرح استنارة** الوجه وإشراقه، ومن لوازم الغم والحزن اربداده واسوداده، فلذلك كنى **عن الفرح بالاستنارة**، وعن الغم بالاسوداد. وهو كظيم أي: ممتلىء القلب حزنا وغما. أخبر عما يظهر في وجهه وعن ما يجنه في قلبه. وكظيم يحتمل أن يكون للمبالغة، ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول لقوله:

وهو مكظوم «١» ويقال: سقاء. مكظوم، أي مملوء مشدود الفم. وروى الأصمعي أن امرأة ولدت بنتا سمتها الذلفاء، فهجرها زوجها فقالت:

ما لأبي الذلفاء لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

يحردان لا نلد البنينا ... وإنما نأخذ ما يعطينا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٤٤٧

يتوارى: يختفي من الناس، ومن سوء للتعليل أي: الحال له على التواري هو سوء ما أخبر به، وقد كان بعضهم في الجاهلية يتوارى حالة الطلق، فإن أخبر بذكر ابتهج، أو أنثى

---

(١) سورة القلم: ٦٨/ ٤٨.." (١)

"طويل. وقيل: المبعوث عليهم الإسكندر وبين الإسكندر وعيسى نحو ثلاثمائة سنة، ولكنه إن أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شعياء فكان بخت نصر إذ ذاك حيا فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس واتبعهم إلى مصر وأخرجهم منها. وروي عن عبد الله بن الزبير أن الذي غزاهم آخرا ملك اسمه خردوس وتولى قتلهم على دم يحيى بن زكرياء قائد له فسكن الدم. وقيل قتله ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له لا حب. وقال الربيع بن أنس: كان يحيى قد أعطي حسنا وجمالا فراودته امرأة الملك عن نفسه فأبى، فقالت لابنتها: سلي أباك رأس يحيى فأعطاها ما سألت.

وقرأ الجمهور ليسوؤا بلام كي وياء الغيبة وضمير الجمع الغائب العائد على المبعوثين. وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء بالياء وهمزة مفتوحة على الإفراد والفاعل المضمر عائد على الله تعالى أو على الوعد أو على البعث الدال عليه جملة الجزاء المحذوفة.

وقرأ علي بن أبي طالب وزيد بن علي والكسائي لنسوء بالنون

التي للعظمة وفيها ضمير يعود على الله. وقرأ أبي لنسوءن بلام الأمر والنون التي للعظمة ونون التوكيد الخفيفة آخرا.

وعن علي أيضا لنسوءن وليسوءن بالنون والياء ونون التوكيد الشديدة وهي لام القسم

، ودخلت لام الأمر في قراءة أبي على المتكلم كقوله: ولنحمل خطاياكم «١» وجواب إذا هو الجملة الأمرية على تقدير الفاء. وفي مصحف أبي ليسيء بياء مضمومة بغير واو. وفي مصحف أنس ليسوء وجهكم على الإفراد، والظاهر أنه أريد بالوجوه الحقيقة لأن آثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه، ففي الفرح يظهر الإسفار والإشراق، وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة، ويحتمل أن يعبر عن الجملة بالوجه فإنهم ساءوهم بالقتل والنهب والسبي فحصلت الإساءة للذوات كلها أو عن ساداتهم وكبرائهم بالوجوه، ومنه قولهم في الخطاب يا وجه العرب.

واللام في وليدخلوا لام كي معطوفا على ما قبلها من لام كي، ومن قرأ بلام الأمر أو بلام القسم جاز أن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦/٥٤٨

يكون وليدخلوا وما بعدها أمرا، وجاز أن تكون لام كي أي وبعثناهم ليدخلوا. والمسجد مسجد بيت المقدس ومعنى كما دخلوه أول مرة أي بالسيف والقهر والغلبة والإذلال، وهذا يبعد قول من ذهب إلى أن أولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب، وتقدم الكلام في أول مرة في سورة التوبة. وليتبروا يهلكوا. وقال قطرب:

يهدموا. قال الشاعر:

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٩/ ١٢.." (١)

"الغضب في الصوت واللفظ. وقال الزمخشري: النهي والنهر والنهم أخوات. التبذير الإسراف قاله أبو عبيدة يعني في النفقة، وأصله التفريق ومنه سمي البذر بذرا لأنه يفرق في المزرعة. وقال الشاعر:

ترائب يستضيء الحلي فيها ... كجمر النار بذر بالظلام

ويروى بدد أي فرق. المحسور قال الفراء: تقول العرب بعير محسور إذا انقطع سيره، وحسرت الدابة حتى انقطع سيرها، ويقال حسير فعيل بمعنى مفعول ويجمع على حسرى.

قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

القسطاس بضم القاف وكسرها وبالسين الأولى والصاد. قال مؤرج السدوسي: هي الميزان بلغة الروم وتأتي أقوال المفسرين فيه. المرح شدة الفرح، يقال: مرح يمرح مرحا. الطول ضد القصر، ومنه الطول خلاف العرض. الحجاب ما ستر الشيء عن الوصول إليه.

الرفات قال الفراء: التراب. وقيل: الذي بولغ في دقه حتى تفتت، ويقال: رفت الشيء كسره يرفته بالكسر والرفات الأجزاء المتفتتة من كل شيء مكسر، وفعال بناء لهذا المعنى كالحطام والفتات والرضاض والدقاق. وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا.

قرأ الجمهور وقضى فعلا ماضيا من القضاء. وقرأ بعض ولد معاذ بن جبل:

وقضاء ربك مصدر قضى مرفوعا على الابتداء وألا تعبدوا الخبر. وفي مصحف ابن مسعود وأصحابه وابن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٦/٧

عباس وابن جبير والنخعي وميمون بن مهران من التوصية. وقرأ بعضهم: وأوصى من الإيصاء، وينبغي أن يحمل ذلك التفسير لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف والمتواتر هو وقضى وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم في أسانيد القراء السبعة. وقضى هنا قال ابن عباس والحسن وقتادة بمعنى أمر. وقال ابن مسعود وأصحابه: بمعنى وصى. وقيل: أوجب وألزم وحكم. وقيل: بمعنى أحكم. وقال ابن عطية: وأقول إن المعنى وقضى ربك أمره ألا تعبدوا إلا إياه وليس في هذه." (١)

"إياه المعلل به الاستفزاز، ثم جاء في القرآن وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك «١» أي أخرجك أهلها.

وفي الحديث: «يا ليتني كنت فيها جذعا إذ يخرجك قومك قال: أو مخرجي هم» ؟

الحديث فدل ذلك على أنهم أخرجوه. لكن الإخراج الذي هو علة للاستفزاز لم يقع فلا تعارض بين الآيتين والحديث. وقال أبو عبد الله الرازي: ما خرج بسبب إخراجهم وإنما خرج بأمر الله فزال التناقض انتهى.

ولا يلبثون جواب قسم محذوف أي والله إن استفزوك فخرجت لا يلبثون ولذلك لم تعمل إذا لأنها توسطت بين قسم مقدر، والفعل فلا يلبثون ليست منصبة عليه من جهة الإعراب، ويحتمل أن تكون لا يلبثون خبرا لمبتدأ محذوف يدل عليه المعنى تقديره، وهم إذا لا يلبثون فوقعت إذا بين المبتدأ وخبره فألغيت. وقرأ أبي وإذا لا يلبثوا بحذف النون أعمل إذا فنصب بها على قول الجمهور، وبأن مضمرة بعدها على قول بعضهم وكذا هي في مصحف عبد الله محذوفة النون.

قال الزمخشري: فإن قلت: ما وجه القراءتين؟ قلت: أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد، والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم. وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي وإذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وإن كادوا ليستفزونك انتهى. وقرأ عطاء لا يلبثون بضم الياء وفتح اللام والباء مشددة. وقرأ يعقوب كذلك إلا أنه كسر الباء. وقرأ الأخوان وابن عامر وحفص خلافك وباقي السبعة خلفك والمعنى واحد. قال الشاعر:

عفت الديار خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا

وهذا كقوله فرح المخلفون بمقعدهم «٢» خلاف رسول الله أي خلف رسول الله في أحد التأويلات. وقرأ عطاء بن أبي رباح: بعدك مكان خلفك، والأحسن أن يجعل تفسيرا لخلفك لا قراءة لأنها لا تخالف سواد المصحف، فأراد أن يبين أن خلفك هنا ليست ظرف مكان وإنما تجوز فيها فاستعملت ظرف زمان

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٣/٧

بمعنى بعدك. وهذه الظروف التي هي قبل وبعد ونحوهما اطرد إضافتها إلى أسماء الأعيان على حذف مضاف يدل عليه ما قبله، في نحو خلفك أي خلف إخراجك، وجاء زيد قبل عمرو أي قبل مجيء عمرو، وضحك بكر بعد خالد أي بعد ضحك خالد. وانتصب سنة على المصدر المؤكد أي سن الله سنة،

---

(١) سورة محمد: ٤٧/ ١٣.

(٢) سورة التوبة: ٩/ ٨١.." (١)

"الجني والمجني واحد، وعنه الجني المقطوع. قرة العين: مأخوذ من القر، يقال: **دمع الفرح اللمس** ودمع الحزن سخن اللمس. وقال أبو تمام:

فأما عيون العاشقين فأسخنت ... وأما عيون الشامتين فقرت

وقريش يقول: قررت به عينا، وقررت بالمكان أقر وأهل نجد قررت به عينا بالكسر. الفري العظيم من الأمر يستعمل في الخير وفي الشر، ومنه في وصف عمر: فلم أر عبقريا يفري فريه، والفري القطع وفي المثل: جاء يفري الفري أي يعمل عظيما من العمل قولا أو فعلا. وقال الزمخشري: الفري البديع وهو من فري الجلد. الإشارة معروفة تكون باليد والعين والثوب والرأس والفم، وأشار ألفه منقلبة عن ياء يقال: تشايرنا الهلال للمفاعلة.

وقال كثير:

فقلت وفي الأحشاء داء مخامر ... ألا حبذا يا عز ذاك التشاير

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩٢/٧

هذه السورة مكية كالسورة التي قبلها. وقال مقاتل: إلا آية السجدة فهي مدنية نزلت بعد مهاجرة المؤمنين إلى الحبشة. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى ضمن السورة قبلها قصصا عجبا كقصة أهل الكهف، وقصة موسى مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وهذه السورة تضمنت قصصا عجبا من ولادة يحيى بين شيخ فان وعجوز عاقر، وولادة عيسى من غير أب، فلما اجتمعا في هذا الشيء المستغرب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك، وتقدم الكلام في أول البقرة على هذه الحروف المقطعة التي في فواتح السور بما يوقف عليه هناك وذكر خبر مبتدأ محذوف أي هذا المتلو من هذا القرآن ذكر. وقيل ذكر خبر." (١)

"تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا ... فقلت أعيذ الله ذلكم الردى

توكأ على الشيء تحامل عليه في المشي والوقوف، ومنه الاتكاء. توكأت واتكأت بمعنى.

وتقدمت هذه المادة في سورة يوسف في قوله متكأ «١» وشرحت هنا لاختلاف الوزنين وإن كان الأصل واحدا. هش على الغنم يهش بضم الهاء خبط أوراق الشجر لتسقط، وهش إلى الرجل يهش بالكسر قاله ثعلب إذا بش **وأظهر الفرح به**، والأصل في هذه المادة الرخاوة يقال: رجل هش. الغنم معروف وهو اسم جنس مؤنث. المأربة بضم الراء وفتحها وكسرها الحاجة وتجمع على مآرب، والإربة أيضا الحاجة. الحية الحنش ينطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وتقدمت مادته وكررت هنا لخصوصية المدلول. وقولهم حواء للذي يصيد الحيات من باب قوة فالمادتان مختلفتان كسبط وسبطر. الأزر: الظهر قاله الخليل، وأبو عبيد وآزره قواه، والأزر أيضا القوة. وقال الشاعر:

بمحنية قد آزر الضال نبتها ... مجر جيوش غانمين وخيب

القذف الرمي والإلقاء. الساحل شاطىء البحر وهو جانبه الخالي من الماء، سمي بذلك لأن الماء يسحله أي يقشره فهو فاعل بمعنى مفعول. وقال أبو تمام:

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله

بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى.

هذه السورة مكية بلا خلاف،

كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت قاله علي.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٣٧/٧

وقال الضحاك: صلى عليه السلام هو وأصحابه فأطال القيام لما أنزل عليه القرآن، فقالت قريش: ما أنزل عليه إلا ليشقى. وقال مقاتل: قال أبو جهل والنضر والمطعم: إنك لتشقى بترك ديننا فنزلت.

ومناسبة هذه السورة رآخر ما قبلها أنه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم أي بلغته وكان فيما علل به قوله لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا «٢» أكد ذلك بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن

---

(١) سورة يوسف: ١٢/ ٣١.

(٢) سورة مريم: ١٩/ ٩٧.." [١]

"الهدية، بل جوزت الرد، وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان. والهدية: اسم لما يهدى، كالعطية هي اسم لما يعطى. وروي أنها قالت لقومها: إن كان ملكا دنياويا، أرضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبيا، لم يرضه المال وينبغي أن نتبعه على دينه، وفي الكلام حذف تقديره: فأرسلت الهدية، فلما جاء، أي الرسول سليمان، والمراد بالرسول الجنس لا حقيقة المفرد، وكذلك الضمير في ارجع والرسول يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث. وقرأ عبد الله: فلما جاءوا، وقرأ: ارجعوا، جعله عائدا على قوله: المرسلون. وأ تمدونن بمال: استفهام إنكار واستقلال، وفي ذلك دلالة على عزوفه عن الدنيا، وعدم تعلق قلبه عليه الصلاة والسلام بها.

ثم ذكر نعمة الله عليه، وأن ما آتاه الله من النبوة وسعة الملك خير مما آتاكم، بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون بحبكم الدنيا، والهدية تصح إضافتها إلى المهدي وإلى المهدى إليه، وهي هنا مضافة للمهدى إليه، وهذا هو الظاهر. ويجوز أن تكون مضافة إلى المهدي، أي بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها **تفرحون فرح افتخار** على الملوك، فإنكم قدرتم على إهداء مثلها. ويجوز أن تكون عبارة عن الرد، كأنه قال: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها. وقرأ جمهور السبعة: أتمدونني، بنونين، وأثبت بعض الياء. وقرأ حمزة: بإدغام نون الرفع في نون الوقاية وإثبات ياء المتكلم. وقرأ المسيبي، عن نافع: بنون واحدة خفيفة. وقال الزمخشري: فإن قلت: ما الفرق بين قولك: أتمدونني بمال وأنا أغنى منكم، وبين أن يقوله بالفاء؟ قلت: إذا قلته بالواو، فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى، وهو مع ذلك يمدني بالمال، وإذا قلته بالفاء، فقد جعلته ممن خفيت عنه حالي، وأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٠٨/٧

كأني أقول له: أنكر عليك ما فعلت، فإني غني عنه. وعليه ورد قوله: فما آتانيِ الله.
فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا **ولا فرح إلا** أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها. انتهى.
ارجع إليهم: هو خطاب للرسول الذي جاء بالهدية، وهو المنذر بن عمرو أمير الوفد، والمعنى: ارجع إليهم بهديتهم، وتقدمت قراءة عبد الله: ارجعوا إليهم، وارجعوا هنا لا تتعدى، أي انقلبوا وانصرفوا إليهم. وقيل: الخطاب بقوله: ارجع، للهدهد محملا كتابا آخر. ثم أقسم سليمان فقال: فلنأتينهم بجنود، متوعدا لهم، وفيه حذف، أي إن." (١)

"عطف عليه وتبناه. إن كادت لتبدي بأنه ولدها، لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت، لولا أنا ظلمنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من **شدة الفرح والابتهاج**. لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله، لا بتبني فرعون وتعطفه. انتهى. وما ذهب إليه الزمخشري من تجويز كونه فارغا من الهم إلى آخره، خلاف ما فهمه المفسرون من الآية، وجواب لولا محذوف تقديره: لكادت تبدي به، ودل عليه قوله: إن كادت لتبدي به، وهذا تشبيه بقوله: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه «١» .
وقالت لأخته، طمعا منها في التعرف بحاله. قصيه: أي اتبعي أثره وتتبعي خبره.
فروي أنها خرجت في سكك المدينة مختفية، فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يتطلبون له امرأة ترضعه، حين لم يقبل المراضع، واسم أخته مريم
، وقيل: كلثمة، وقيل:
كلثوم، وفي الكلام حذف، أي فقصت أثره. فبصرت به: أي أبصرته عن جنب، أي عن بعد وهم لا يشعرون بتطلبها له ولا بإبصارها. وقيل: معنى عن جنب:
عن شوق إليه، حكاه أبو عمرو بن العلاء وقال: هي لغة جذام، يقولون: جنبت إليك:
اشتقت. وقال الكرماني: جنب صفة لموصوف محذوف، أي عن مكان جنب، يريد بعيد.
وقيل: عن جانب، لأنها كانت تمشي على الشط، وهم لا يشعرون أنها تقص. وقيل:
لا يشعرون أنها أخته. وقيل: لا يشعرون أنه عدو لهم، قاله مجاهد. وقرأ الجمهور: عن جنب، بضمتين.
وقرأ قتادة: فبصرت، بفتح الصاد وعيسى: بكسرها. وقرأ قتادة، والحسن، والأعرج، وزيد بن علي: جنب،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٣٧/٨

بفتح الجيم وسكون النون. وعن قتادة:
بفتحهما أيضا. وعن الحسن: بضم الجيم وإسكان النون. وقرأ النعمان بن سالم: عن جانب، والجنب والجانب والجنابة والجناب بمعنى واحد. وقال قتادة: معنى عن جنب:
أنها تنظر إليه كأنها لا تريده. والتحريم هنا بمعنى المنع، أي منعناه أن يرضع ثدي امرأة والمراضع جمع مرضع، وهي المرأة التي ترضع أو جمع مرضع، وهو موضع الرضاع، وهو الثدي، أو الإرضاع. من قبل: أي من أول أمره. وقيل: من قبل قصها أثره وإتيانه على من هو عنده.
فقالت هل أدلكم: أي أرشدكم إلى أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، لكونهم فيهم شفقة ورحمة لمن يكفلونه وحسن تربية. ودل قوله:

---

(١) سورة يوسف: آية ٢٤.." (١)

"وحرمنا عليه المراضع، أنه عرض عليه جملة من المرضعات، والظاهر أن الضمير في له عائد على موسى. قيل: ويحتمل أن يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر أمره من جملته. وقال ابن جريج: تأول القوم أن الضمير للطفل فقالوا لها: إنك قد عرفتيه، فأخبرينا من هو؟ فقالت: ما أردت، إلا أنهم ناصحون للملك، فتخلصت منهم بهذا التأويل. وفي الكلام حذف تقديره: فمرت بهم إلى أمه، فكلموها في إرضاعه أو فجاءت بأمه إليهم، فكلموها في شأنه، فأرضعته، فالتقم ثديها.
ويروى أن فرعون قال لها: ما سبب قبول هذا الطفل ثديك، وقد أبى كل ثدي؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح، طيبة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها، وذهبت به إلى بيتها، وأجرى لها كل يوم دينارا.
وجاز لها أخذه لأنه مال حربي، فهو مباح، وليس ذلك أجرة رضاع. فرددناه إلى أمه، كما قال تعالى: إنا رادوه إليك، **ودمع الفرح بارد**، وعين المهموم حرى سخنة، وقال أبو تمام:
فأما عيون العاشقين فأسخنت ... وأما عيون الشامتين فقرت
لما أنجز تعالى وعده في الرد، ثبت عندها أنه سيكون نبيا رسولا. ولتعلم أن وعد الله حق، فعلنا ذلك. ولا يعلمون، أي إن وعد الله حق، فهم مرتابون فيه أو لا يعلمون أن الرد إنما كان لعلمها بصدق وعد الله. ولكن أكثر الناس لا يعلمون بأن الرد كان لذلك، وفي قوله: ولتعلم أن وعد الله حق دلالة على ضعف من ذهب إلى أن الإيحاء إليها كان إلهاما أو مناما، لأن ذلك يبعد أن يقال فيه وعد. وقوله: ولتعلم وقوع ذلك

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٩٠/٨

فهو علم مشاهدة، إذ كانت عالمة أن ذلك سيكون، وأكثرهم هم القبط، ولا يعلمون سر القضاء.
وقال الضحاك: لا يعلمون مصالحهم وصلاح عواقبهم. وقال الضحاك أيضا، ومقاتل:
لا يعلمون أن الله وعدها رده إليها، وتقدم تفسير ولما بلغ أشده إلى المحسنين في سورة يوسف عليه السلام.
ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين، قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم، قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين، فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين، فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين، وجاء." (١)

"وقال أبو عبيدة: هو مقلوب وأصله: لتنوء بها العصبة، أي تنهض، والقلب عند أصحابنا بابه الشعر. والصحيح أن الباء للتعدية، أي لتنيء العصبة، كما تقول: ذهبت به وأذهبته، وجئت به وأجأته. ونقل هذا عن الخليل وسيبويه والفراء، واختاره النحاس، وروي معناه عن ابن عباس وأبي صالح والسدي، وتقول العرب: ناء الحمل بالبعير إذا أثقله. قال ابن عطية: ويمكن أن يسند تنوء إلى المفاتح، لأنها تنهض بتحامل إذا فعل ذلك الذي ينهض بها، وذا مطرد في ناء الحمل بالبعير ونحوه، فتأمله. وقرأ بديل بن ميسرة: لينوء، بالياء، وتذكيره راعى المضاف المحذوف، التقدير: ما إن حمل مفاتحه، أو مقدارها، أو نحو ذلك. وقال الزمخشري: ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن، ويعطيها حكم ما أضيف إليه للملابسة والإيصال، كقوله: ذهبت أهل اليمامة. انتهى. يعني: أنه اكتسب المفاتح التذكير من الضمير الذي لقارون، كما اكتسب أهل التأنيث من إضافته إلى اليمامة، فقيل فيه، ذهبت. وذكر أبو عمرو الداني إن بديل بن ميسرة قرأ: ما إن مفتاحه، على الإفراد، فلا تحتاج قراءته لينوء بالياء إلى تأويل. وتقدم تفسير العصبة في سورة يوسف عليه السلام.
وتقدم قبل تفسير المفاتح، أهي المقاليد، أو الخزائن نفسها، أو الظروف والأوعية؟ وعن ابن عباس والحسن: أن المفاتح هي الأموال.
قال ابن عباس: كانت خزائنه تحملها أربعون أقوياء، وكانت أربعمائة ألف، يحمل كل رجل عشرة آلاف.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٨/٢٩١

وقال أبو مسلم: المراد من المفاتح: العلم والإحاطة، كقوله تعالى:

وعنده مفاتح الغيب «١» ، والمراد: وآتيناه من الكنوز، ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة، أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها، يتعب حفظها القائمين على حفظها. إذ قال له قومه لا تفرح: نهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال نفس وأشر وإعجاب، وإنما يفرح بإقبال الدنيا عليه من اطمأن إليها وغفل عن أمر الآخرة، ومن جعل أنه مفارق زهرة الدنيا عن قريب، فلا يفرح بها. وقال أبو الطيب:

أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

قال الزمخشري: ومحل إذ منصوب بتنوء. انتهى، وهذا ضعيف جدا، لأن إثقال المفاتح العصبة ليس مقيدا بوقت قول قومه له: لا تفرح. وقال ابن عطية: متعلق بقوله: فبغى عليهم، وهو ضعيف أيضا، لأن بغيه عليهم لم يكن مقيدا بذلك الوقت.

---

(١) سورة الأنعام: ٦/ ٥٩.." (١)

"وقال الحوفي: الناصب له محذوف تقديره اذكر. وقال أبو البقاء: إذ قال له ظرف لآتيناه، وهو ضعيف أيضا، لأن الإيتاء لم يكن وقت ذلك القول. وقال أيضا: ويجوز أن يكون ظرفا لفعل محذوف دل عليه الكلام، أي بغى عليهم، إذ قال له قومه. انتهى.

ويظهر أن يكون تقديره: فأظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز، إذ قال له قومه لا تفرح. وقال تعالى: ولا تفرحوا بما آتاكم «١» ، والعرب تمدح بترك الفرح عند إقبال الخير. وقال الشاعر:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتحول

وقال الآخر:

إن تلاق منفسا لا تلقنا ... فرح الخير ولا نكبوا الضر

وقرىء: الفارحين، حكاه عيسى بن سليمان الحجازي. ولا يحب: صفة فعل، لا صفة ذات، بمعنى الإرادة، لأن الفرح أمر قد وقع، فالمعنى: لا يظهر عليهم بركته، ولا يعمهم رحمته. ولما نهوه عن الفرح المطغي، أمروه بأن يطلب، فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق، ثواب الدار الآخرة، بأن يفعل فيه أفعال البر، وتجعله زادك إلى الآخرة.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٨/٣٢٤

ولا تنس نصيبك من الدنيا، قال ابن عباس، والجمهور: معناه: ولا تضيع عمرك في أن لا تعمل صالحا في دنياك، إذ الآخرة إنما يعمل لها في الدنيا، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها، وهذا التأويل فيه عظة. وقال الحسن، وقتادة: معناه: لا تضيع حظك من الدنيا في تمتعك بالحلال وطلبك إياه ونظرك لعاقبة دنياك، وفي هذا التأويل بعض رفق.

وقال الحسن: معناه: قدم الفضل وأمسك ما تبلغ به. وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف. وقيل: أرادوا بنصيبه الكفن، وهذا وعظ متصل، كأنهم قالوا: تترك جميع مالك، لا يكون نصيبك منه إلا الكفن كما قال الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تأوي فيهما وحنوط

وقال الزمخشري: أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك، وهذا قريب من قول الحسن:

وأحسن إلى عباد الله، أو بشكرك وطاعتك لله. كما أحسن الله إليك بتلك ،النعم التي خولكها، والكاف للتشبيه، وهو يكون في بعض الأوصاف، لأن مماثلة إحسان العبد لإحسان الله من جميع الصفات يمتنع أن تكون، فالتشبيه وقع في مطلق الإحسان، أو تكون

---

(١) سورة الحديث: ٥٧/ ٢٣.." (١)

"كسبت رهينة

«١» . وقيل: أهلك من أهلك من القرون، عن علم منه بذنوبهم، فلم يحتج إلى مسألتهم عنها. وقيل: هو مستأنف عن حال يوم القيامة. قال قتادة: لا يسألون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها، لأنهم يدخلون النار بغير حساب. وقال قتادة أيضا، ومجاهد:

لا تسألهم الملائكة عن ذنوبهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم من السواد والتشويه، كقوله:

يعرف المجرمون بسيماهم «٢» . وقيل: لا يسألون سؤال توبيخ وتفريع. وقرأ أبو جعفر في روايته: ولا تسأل، بالتاء والجزم، المجرمين: نصب. وقرأ ابن سيرين، وأبو العالية:

كذلك في ولا تسأل على النهي للمخاطب، وكان ابن أبي إسحاق لا يجوز ذلك إلا إن يكون المجرمين بالياء في محل النصب، بوقوع الفعل عليه. قال صاحب اللوامح: فالظاهر ما قاله، ولم يبلغني في نصب المجرمين شيء، فإن تركاه على رفعه، فله وجهان:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٢٥/٨

أحدهما: أن تكون الهاء والميم في عن ذنوبهم راجعة إلى ما تقدم من القرون، وارتفاع المجرمين بإضمار المبتدأ، وتقديره: هم المجرمون، أو أولئك المجرمون، ومثله:

التائبون العابدون «٣» في التوبة. والثاني: أن يكون بدلا من أصل الهاء والميم في ذنوبهم، لأنها، وإن كانت في محل الجر بالإضافة إليها، فإن أصلها الرفع، لأن الإضافة إليها بمنزلة إضافة المصدر إلى اسم الفاعل فعلى ذلك المجرمون محمول على الأصل، على ما تقدم لنا من أن بعضهم قرأ: أن يضرب مثلا ما بعوضة «٤» بالجر، على أنها بدل من أصل المثل، وما زائدة فيه، وتقديره: لا يستحي بضرب مثل بعوضة، أي بضرب بعوضة. في ذلك فسر أن مع الفصل بالمصدر ناصب إلى المفعول به، ثم أبدل منه البعوضة من غير أن أعرف فيها أثرا لحال. فأما قوله: من ذنوبهم، فذنوب جمع، فإن كان جمع مصدر، ففي إعماله خلاف. وأما قوله على ما تقدم لنا من أن بعضهم قرأ، فقد ذكر في البقرة أنه سمع ذلك، ولا نعرف فيها أثرا، فينبغي أن لا يجعلها قراءة.

ولما ذكر تعالى قارون ونعته، وما آتاه من الكنوز، وفرحه **بذلك فرح البطرين**، وادعاءه أن ما أوتي من ذلك إنما أوتيه على علم، ذكر ما هو ناشىء عن التكبر والسرور بما أوتي فقال: فخرج على قومه في زينته، وكان يوم السبت: أي أظهر ما يقدر عليه من الملابس والمراكب وزينة الدنيا. قال جابر، مجاهد: في ثياب حمر. وقال ابن زيد: هو وحشمه في ثياب معصفرة. وقيل: في ثياب الأرجوان. وقيل: على بغلة شهباء عليها

---

(١) سورة المدثر: ٧٤/ ٣٨.

(٢) سورة الرحمن: ٥٥/ ٤١.

(٣) سورة التوبة: ٩/ ١١٢.

(٤) سورة البقرة: ٢/ ٢٦. [.....]."[1]

"تغير. وقال ابن عباس: لا تبديل لقضاء الله بسعادتهم وشقاوتهم، وقيل: هو نفي معناه:

النهي، أي لا تبدلوا ذلك الدين. وقيل: لا تبديل لخلق الله بمعنى: الوحدانية مترشحة فيه، لا تغير لها، حتى لو سألته: من خلق السموات والأرض؟ تقول: الله. ويستغرب ما روي عن ابن عباس أن معنى لا تبديل لخلق الله: النهي عن خصاء الفحول من الحيوان. وقول من ذهب إلى أن المعنى في هذه الجملة ألجأ

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٢٧/٨

على الكفرة، اعترض به أثناء الكلام، كأنه يقول: أقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا، فإن هؤلاء الكفرة ومن خلق الله لهم الكفر، ولا تبديل لخلق الله: أي أنهم لا يفلحون ذلك الذي أمرت بإقامة وجهك له، هو الدين المبالغ في الاستقامة. والقيم: بياء مبالغة، من القيام، بمعنى الاستقامة، ووزنه فعيل، أصله قيوم كيد، اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء فيها، وهو بناء مختص بالمعتل العين، لم يجيء منه في الصحيح إلا بيئس وصيقل علم لامرأة.

منيبين: حال من الناس، ولا سيما إذا أريد بالناس: المؤمنون، أو من الضمير في: الزموا فطرة الله، وهو تقدير الزمخشري، أو من الضمير في: فأقم، إذ المقصود: الرسول وأمته، وكأنه حذف معطوف، أي فأقم وجهك وأمتك. وكذا زعم الزجاج في: يا أيها النبي إذا طلقتم «١» : أي يا أيها النبي والناس، ودل على ذلك مجيء الحال في منيبين جمعا، وفي إذا طلقتم جاء الخطاب فيه وفي ما بعده.

جمعا، أو على خبر كان مضمرة، أي كونوا منيبين، ويدل عليه قوله بعد ولا تكونوا، وهذه احتمالات منقولة كلها. من المشركين: من اليهود والنصارى، قاله قتادة. وقال ابن زيد: هم اليهود وعن أبي هريرة وعائشة: أنهم أهل القبلة، ولفظة الإشراك على هذا تجوز بأنهم صاروا في دينهم فرقا. والظاهر أن المشركين: كل من أشرك، فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم. ومن الذين: بدل من المشركين، فرقوا دينهم: أي دين الإسلام وجعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم. وكانوا شيعا: كل فرقة تشايع إمامها الذي كان سبب ضلالها. كل حزب: أي **منهم فرح بمذهبه** مفتون به. والظاهر أن كل حزب مبتدأ وفرحون الخبر. وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه: من المفارقين دينهم. كل حزب فرحين بما لديهم، ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل، كقوله:

---

(١) سورة الطلاق: ٦٥/ ١. [.....]."(١)

"بعد الفاء. واللام في ولئن مؤذنة بقسم محذوف وجوابه لظلوا، وهو مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل اتساعا تقديره: ليظلن، ونظيره قوله تعالى: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك «١» : أي ما يتبعون ذمهم تعالى في جميع أحوالهم، كان عليهم أن يتوكلوا على فضل الله فقنطوا، وإن شكروا نعمته فلم يزيدوا **على الفرح والاستبشار**، وإن تصبروا على بلائه كفروا. والضمير في من بعده عائد على الاصفرار، أي من بعد اصفرار النبات تجحدون نعمته. وتقدم الكلام على قوله: فإنك لا تسمع الموتى

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٩٠/٨

إلى قوله: فهم مسلمون في أواخر النمل، إلا أن هنا الربط بالفاء في قوله:
فإنك.

الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير، ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون، وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون، ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون، كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون، فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون.

لما ذكر دلائل الآفاق، ذكر شيئا من دلائل الأنفس، وجعل الخلق من ضعف، لكثرة ضعف الإنسان أول نشأته وطفوليته، كقوله: خلق الإنسان من عجل «٢» . والقوة التي تلت الضعف، هي رعرعته ونماؤه وقوته إلى فصل الاكتهال. والضعف الذي بعد القوة هو حال الشيخوخة والهرم. وقيل: من ضعف: من النطفة، كقوله: من ماء مهين «٣» .

والترداد في هذه الهيئات شاهد بقدرة الصانع وعلمه. وقرأ الجمهور: بضم الضاد في ضعف معا وعاصم وحمزة: بفتحها فيهما، وهي قراءة عبد الله وأبي رجاء. وروي عن أبي عبد الرحمن والجحدري والضحاك: الضم والفتح في الثاني. وقرأ عيسى: بضمتين فيهما. والظاهر أن الضعف والقوة هما بالنسبة إلى ما عدا البدن من ذلك، وإن الضم والفتح بمعنى واحد في ضعف. وقال كثير من اللغويين: الضم في البدن، والفتح في العقل. ما لبثوا: هو جواب، وهو على المعنى، إذ لو حكى قولهم، كان يكون

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٤٥.

(٢) سورة الأنبياء: ٢١/ ٣٧.

(٣) سورة السجدة: ٣٢/ ٨، وسورة المرسلات: ٧٧/ ٢٠.." (١)

"ضلوا عنا، مع قوله: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم «١» ، يحتمل أن يكون ذلك عند تقريعهم، فلم يكونوا معهم إذ ذاك، أو لما لم ينفعوهم قالوا: ضلوا عنا، وإن كانوا معهم. كذلك: أي مثل هذه الصفة وبهذا الترتيب، يضل الله الكافرين، وقال الزمخشري: أي مثل ضلال آلهتهم عنهم، يضلهم عن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٤٠١/٨

آلهتهم، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا. ذلكم الإضلال بسبب ما كان لكم **من الفرح والمرح**، بغير الحق: وهو الشهادة عبادة الأوثان. وقال ابن عطية: ذلك العذاب الذي أنتم فيه مما كنتم تفرحون في الأرض بالمعاصي والكفر. انتهى. وتمرحون، قال ابن عباس: الفخر والخيلاء وقال مجاهد: الأشر والبطر. انتهى، فقال لهم ذلك توبيخا أي إيمانا لكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعاصي وكثرة المال والأتباع والصحة. وقال **الضحاك: الفرح والسرور**، والمرح: العدوان،

وفي الحديث: «إن الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين» .

وتفرحون وتمرحون من باب تجنيس التحريف المذكور في علم البديع، وهو أن يكون الحرف فرقا بين الكلمتين.

ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها: الظاهر أنه قيل لهم: ادخلوا بعد المحاورة السابقة، وهم قد كانوا في النار، ولكن هذا أمر يقيد بالخلود، وهو الثواء الذي لا ينقطع، فليس أمرا بمطلق الدخول، أو بعد الدخول فيها أمروا أن يدخلوا سبعة أبواب التي لكل باب منها جزء مقسوم من الكفار، فكان ذلك أمرا بالدخول يفيد التجزئة لكل باب. وقال ابن عطية: وقوله تعالى: ادخلوا معناه: يقال لهم قبل هذه المحاورة في أول الأمر ادخلوا، لأن هذه المخاطبة إنما هي بعد دخولهم، وفي الوقت الذي فيه الأغلال في أعناقهم. وأبواب جهنم: هي السبعة المؤدية إلى طبقاتها وأدراكها السبعة. انتهى.

وخالدين: حال مقدرة، ودلت على الثواء الدائم، فجاء التركيب: فبئس مثوى المتكبرين: فبئس مدخل المتكبرين، لأن نفس الدخول لا يدوم، فلم يبالغ في ذمه، بخلاف الثواء الدائم.

فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون، ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون، الله

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١/ ٩٨.." [(١)]

"يهذبنا. وعلى هذين القولين تكون الضمائر متناسقة عائدة على مدلول واحد. وقيل: الضمير في فرحوا، وفي بما عندهم عائد على الرسل، أي فرحت الرسل بما أوتوا من العلم، وشكروا الله عليه، لما رأوا جهل من أرسلوا إليهم واستهزاءهم بالحق، وعلموا سوء عاقبتهم. وقيل: الضمير في فرحوا عائد

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٧٣/٩

على الأمم، وفي بما عندهم عائد على الرسل، **أي فرح الكفار** بما عند الرسل من **العلم فرح ضحك** واستهزاء. وقال الزمخشري: ومنها، أي من الوجوه التي في الآية في قوله: فرحوا بما عندهم من العلم، مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب **لأقصى الفرح والسرور** في تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم. انتهى. ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية إلا في قليل من الكلام، نحو قولهم: شر أهر ذا ناب، على خلاف فيه، ولما آل أمره إلى الإيتاء المحصور جاز. وأما في الآية فينبغي أن لا يحمل على القليل، لأن في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة، فلا يوثق بشيء منها.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يراد فرحوا بما عندهم من العلم: علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون «١» ذلك مبلغهم من العلم، فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات، وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات، لم يلتفتوا إليها، وصغروها واستهزؤوا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به. انتهى، وهو توجيه حسن، لكن فيه إكثار وشقشقة. بأسنا: أي عذابنا الشديد، حكى حال من آمن بعد تلبيس العذاب به، وأن ذلك لم يك نافعا، وفي ذلك حض على المبادرة إلى الإيمان، وتخويف من التأني. فأما قوم يونس، فإنهم رأوا العذاب لم يلتبس بهم، وتقدمت قصتهم. وإيمانهم مرفوع بيك اسما لها، أو فاعل ينفعهم. وفي يك ضمير الشأن على الخلاف الذي في: كان يقوم زيد، ودخل حرف النفي على الكون، لا على النفي، لأنه يؤدي إلى نفي الصحة، أي لم يصح ولم يستقم لقوله: ما كان لله أن يتخذ من ولد «٢» . وترادف هذه الفاءات، أما في فما أغنى، فلأنه كان نتيجة قوله:

كانوا أكثر منهم، وفلما جاءتهم رسلهم، جار مجرى البيان والتفسير لقوله: فما أغنى عنهم. وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله: فلما جاءتهم، كأنه قال: فكفروا به فلما رأوا

---

(١) سورة الروم: ٣٠/ ٧.

(٢) سورة مريم: ١٩/ ٣٥.." [1]

"وأبو عمرو، والنخعي، وعيسى، والأعرج نحسات، بسكون الحاء، فاحتمل أن يكون مصدرا وصف به وتارة يضاف إليه، واحتمل أن يكون مخففا من فعل. وقال الطبري:

نحس ونحس: مقت. وقال الزمخشري: مخفف نحس، أو صفة على فعل، أو وصف بمصدر. انتهى.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٧٧/٩

وتتبعت ما ذكره التصريفيون مما جاء صفة من فعل اللازم فلم يذكروا فيه فعلا بسكون العين، قالوا: يأتي على فعل كفرح وهو فرح، وعلى أفعل حور فهو أحور، وعلى فعلان شبع فهو شبعان، وقد يجيء على فاعل سلم فهو سالم، وبلي فهو بال. وقرأ قتادة، وأبو رجاء، والجحدري، وشيبة، وأبو جعفر، والأعمش، وباقي السبعة: بكسر الحاء وهو القياس، وفعله نحس على فعل بكسر العين، ونحسات صفة لأيام جمع بألف وتاء، لأنه جمع صفة لما لا يعقل. قال مجاهد، وقتادة، والسدي: مشائيم من النحس المعروف. وقال الضحاك: شديدة البرد، وحتى كان البرد عذابا لهم. وأنشد الأصمعي في النحس بمعنى البرد:

كأن سلافة عرضت بنحس ... يخيل شقيقها الماء الزلالا

وقيل: سميت بذلك لأنها ذات غبار، ومنه قول الراجز:

قد أغتدي قبل طلوع الشمس ... للصيد في يوم قليل النحس

يريد: قليل الغبار. وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: متتابعات كانت آخر شوال من أربعاء إلى أربعاء. وقال السدي: أولها غداة يوم الأحد. وقال الربيع بن أنس: يوم الجمعة. وقال يحيى بن سلام: يوم الأحد. لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا:

وهو الهلاك. وقرىء: لتذيقهم بالتاء. وقال الزمخشري: على الإذاقة للريح، أو للأيام النحسات. وأضاف العذاب إلى الخزي إضافة الموصوف إلى صفته لم يأت بلفظة أخرى التي تقتضي المشاركة والتفصيل خبرا عن قوله: ولعذاب الآخرة، وهو إسناد مجازي، أو وصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به. ألا ترى تفاوت ما بين قولك: هو شاعر، وقوله: له شعر شاعر؟ وقابل استكبارهم بعذاب الخزي، وهو الذل والهوان. وبدأ بقصة عاد، لأنها أقدم زمانا، ثم ذكر ثمود فقال: وأما ثمود. وقرأ الجمهور: بالرفع ممنوع من الصرف وابن وثاب، والأعمش، وبكر بن حبيب: مصروفا، وهي قراءة ابن وثاب، والأعمش في ثمود بالتنوين في جميع القرآن إلا قوله: وآتينا ثمود الناقة «١» ، لأنه في

---

(١) سورة الإسراء: ١٨/ ٥٩.." (١)

"سورة الشورى

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ١ الى ٥٣]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٩٦/٩

بسم الله الرحمن الرحيم
حم (١) عسق (٢) كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم (٣) له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم (٤)
تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم (٥) والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل (٦) وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (٧) ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (٨) أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير (٩)
وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (١٠) فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢) شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤)
فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير (١٥) والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد (١٦) الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب (١٧) يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد (١٨) الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (١٩)
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب (٢٠) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم (٢١) ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (٢٢) ذلك الذي يبشر الله عباده الذين

آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور (٢٣) أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور (٢٤)

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون (٢٥) ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (٢٦) ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير (٢٧) وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد (٢٨) ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (٢٩)

وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير (٣٠) وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (٣١) ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (٣٢) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣٣) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (٣٤)

ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص (٣٥) فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٣٦) والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧) والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (٣٨) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩)

وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (٤٠) ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣) ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل (٤٤)

وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨) لله

ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم (٥١) وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (٥٣)." (١)

"فكان المسبوب يكظم ويعرق ويمسح العرق، ثم قام فتلا الآية، فقال الحسن: عقلها والله وفهمها، لم هذه ضيعها الجاهلون. والجملة من قوله: إنما السبيل اعتراض بين قوله:

ولمن انتصر، وقوله: ولمن صبر.

ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده: أي من ناصر يتولاه من بعده، أي من بعد إضلاله، وهذا تحقير لأمر الكفرة. وترى الظالمين: الخطاب للرسول، والمعنى:

وترى حالهم وما هم فيه من الحيرة، لما رأوا العذاب، يقولون: هل إلى مرد من سبيل: هل سبيل إلى الرد للدنيا؟ وذلك من فظيع ما اطلعوا عليه، وسوء ما يحل بهم.

وتراهم يعرضون عليها: أي على النار، دل عليها ذكر العذاب، خاشعين متضائلين صاغرين مما يلحقهم. من الذل. وقرأ طلحة: من الذل، بكسر الذال والجمهور بالضم، والخشوع: الاستكانة، وهو محمود. وإنما أخرجه إلى الذم اقترانه بالعذاب.

وقيل: من الذل متعلق ب ينظرون من طرف خفي. قال ابن عباس: ذليل. انتهى.

قيل: ووصف بالخفاء لأن نظرهم ضعيف ولحظهم نهاية، قال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير وقيل: يحشرون عميا. ولما كان نظرهم بعيون قلوبهم، جعله طرفا خفيا، أي لا يبدو نظرهم، وهذا التأويل فيه تكلف. وقال السدي، وقتادة: المعنى يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهم وسوء الحال، لا يستطيعون النظر بجميع العين، وإنما ينظرون من بعضها، فيجوز على هذا التأويل أن يكون الطرف مصدرا، أي من نظر خفي. وقال الزمخشري:

من طرف خفي، أي يبتدىء نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة، كما ترى المصور ينظر إلى السيف، وهكذا نظر الناظر إلى المكاره، ولا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينه منها، كما يفعل

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣١٨/٩

في نظره إلى المتحاب.

وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم، وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل، استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير، فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور، لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو." (١)

"ما يريد، ونبه على عظيم قدرته، وأن الكائنات ناشئة عن إرادته، فذكر أنه يهب لبعض إناثا، ولبعض ذكورا، ولبعض الصنفين، ويعقم بعضا فلا يولد له.

وقال إسحاق بن بشر: نزلت هذه الآية في الأنبياء، ثم عمت. فلوط أبو بنات لم يولد له ذكور، وإبراهيم ضده، ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهما ولد له الصنفان، ويحيى عقيم.

انتهى. وذكر أيضا مع لوط شعيب، ومع يحيى عيسى، وقدم تعالى هبة البنات تأنيسا لهن وتشريفا لهن، ليهتم بصونهن والإحسان إليهن.

وفي الحديث: «من ابتلي بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له سترا من النار» .

وقال واثلة بن الأسقع: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، لأن الله تعالى بدأ بالإناث. وقال الزمخشري: فإن قلت: لم قدم الإناث على الذكور مع تقدمهم عليهن، ثم رجع فقدمهم؟ ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث؟ قلت: لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى. وكفران الإنسان: نسيانه الرحمة السابقة عنده.

ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته، وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه، لا ما يشاء الإنسان، فكان ذكر الإناث اللائي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم أوجب التقديم. والبلاء: الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء، ذكر البلاء وأخر الذكور. فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيره، وهم أحق بالتقديم بتعريفهم، لأن التعريف تنويه وتشهير، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفريقين، الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم. ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير، وعرفان تقديمهن لم يكن لتقدمهن، ولكن لمقتضى آخر فقال: ذكرانا وإناثا، كما قال: إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٤٦/٩

«١» ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى «٢» . انتهى. وقيل:
بدأ بالأنثى ثم ثنى بالذكر، لتنقله من الغم إلى الفرح. وقيل: ليعلم أنه لا اعتراض على الله فيرضى. فإذا وهب له الذكر، علم أنه زيادة وفضل من الله وإحسان إليه. وقيل: قدمها تنبيها على أنه إذا كان العجز والحاجة لهم، كانت عناية الله أكثر. وقال مجاهد: هو أن تلد المرأة غلاما، ثم تلد جارية. وقال محمد بن الحنفية: أن تلد توأما، غلاما وجارية. وقال أبو بكر بن العربي: أو يزوجهم ذكرانا وإناثا. قال علماؤنا: يعني آدم، كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين، ذكرا وأنثى تزوج ذكر هذا البطن أنثى البطن الآخر. انتهى.
ولما ذكر الهبة في الإناث، والهبة في الذكور، اكتفى عن ذكرها في قوله:

(١) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٣.
(٢) سورة القيامة: ٧٥/ ٣٩.." (١)

"كالخلق، ولذلك يستوي فيه] المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع، تقول: هذه بشر، وهذان بشر، وهؤلاء بشر، كقولك: هؤلاء خلق. قيل: [واشتقاقه من البشرة وهو ظاهر الجلد، لأنه الذي من شأنه أن يظهر الفرح] والغم في بشرته. «ويكون» يحتمل التمام والنقصان، وقد تقدم تحريره، وتقدم أيضا اختلاف القراء في «فيكون» وما ذكر في توجيهه.." (٢)

"المؤمنين المودة ويعاهد على التزام كلف الإسلام، ثم يتخلف نفاقا وشكا وكفرا بالله ورسوله، ثم يتمنى عندما ينكشف الغيب الظفر للمؤمنين، فعلى هذا يجيء قوله تعالى: ﴿كأن لم تكن﴾ التفاتة بليغة واعتراضا بين القول والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم» . وقال الرازي: «هو اعتراض في غاية الحسن لأن من أحب إنسانا فرح لفرحه وحزن لحزنه، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة، فحكى تعالى سرور المنافق عند نكبة المسلمين، ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب فواته الغنيمة، فقبل أن يذكر الكلام بتمامه ألقى قوله:» كأن لم تكن «والمراد التعجب، كأنه يقول: انظروا إلى ما يقوله هذا المنافق كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ولا مخالطة أصلا، والذي حسن الاعتراض بهذه الجملة - وإن كان محلها التأخير - كون ما بعدها فاصلة وهي ليست بفاصلة» وقال الفارسي: «هذه الجملة من قول المنافقين للذين أقعدوهم عن الجهاد وخرجوا هم كأن لم تكن بينكم وبينه أي وبين الرسول عليه السلام [مودة] فيخرجكم

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٤٨/٩
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٨٢/٣

معه لتأخذوا من الغنيمة، ليبغضوا بذلك الرسول إليهم» فأعاد الضمير في «بينه» على النبي عليه السلام.

وتبع الفارسي في ذلك مقاتلا، قال مقاتل: «معناه: كأنه ليس من أهل ملتكم ولا مودة بينكم» يريد أن المبطئ قال لمن تخلف عن الغزو من المنافقين وضعفة المؤمنين ومن تخلف بإذن: كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة فيخرجكم إلى الجهاد فتفوزا بما فاز.

الثاني: من الأقوال: أنها في محل نصب بالقول، فيكون تعالى قد حكى بالقول جملتين: جملة التشبيه وجملة التمني، وهذا ظاهر على قول مقاتل والفارسي حيث زعما أن الضمير في «بينه» للرسول عليه السلام.." (١)

"طماعية أن يغفر الذنب غافره

فالتشديد فيها خطأ، واسم الفاعل منه طمع ك «فرح» و «أشر» ولم يحك الشيخ غيره، وحكى الراغب: طمع وطامع، وينبغي أن يكون ذلك باعتبارين كقولهم «فرح» لمن شأنه ذلك، و «فارح» لمن تجدد له فرح.

قوله: ﴿أن يدخلنا﴾ أي: في أن، فمحلها نصب أو جر على ما تقدم غير مرة. و «مع» على بابها من المصاحبة، وقيل: هي بمعنى «في» ولا حاجة إليه لاستقلال المعنى مع بقاء الكلمة على موضوعها.." (٢)

"كقراءته فيه أولا، إلا أنهما رفعا الأعداء على الفاعلية، جعلا شمت/ لازما فرفعا به «الأعداء» على الفاعلية، فالنهي في اللفظ للمخاطب والمراد به غيره كقولهم: «لا أرينك ههنا» ، أي: لا يكن منك ما يقتضي أن تشمت بي الأعداء.

والإشمات والشماتة: الفرح ببلية تنال عدوك قال:

٢٣٠٤ -. . . . . والموت دون شماتة الأعداء

قيل: واشتقاقها من شوامت الدابة وهي قوائمها؛ لأن الشماتة تقلب قلب الحاسد في حالتي الفرح والترح كتقلب شوامت الدابة. وتشميت العاطس وتسميته بالشين والسين الدعاء له بالخير، قال أبو عبيد: «الشين أعلى اللغتين» وقال ثعلب: «الأصل فيهما السين من السمت، وهو القصد والهدي» . وقيل: معنى تشميت العاطس بالمعجمة أن يثبته الله كما يثبت قوائم الدابة. وقيل: بل التفعيل للسلب، أي: أزال الله الشماتة به،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٣٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٤٠٢

وبالسين المهملة، أي: رده الله إلى سمته الأول أي هيئته. لأنه يحصل له انزعاج. وقال أبو بكر: «يقال: سمته وسمت عليه، وفي الحديث:» وسمت عليهما «.." (١)

"قوله تعالى: ﴿بمقعدهم﴾ : متعلق ب «فرح» ، وهو يصلح لمصدر قعد وزمانه ومكانه، والمراد به ههنا المصدر، أي: بقعودهم وإقامتها بالمدينة.." (٢)

"قوله: ﴿خلاف﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر مدلول عليه بقوله: «مقعدهم» ، لأنه في معنى تخلفوا، أي: تخلفوا خلاف رسول الله. الثاني: أن «خلاف» مفعول من أجله، والعامل فيه: إما فرح، وإما مقعد، أي: فرحوا لأجل مخالفتهم رسول الله حيث مضى هو للجهاد وتخلفوا هم عنه، أو بقعودهم لمخالفتهم له، وإليه ذهب الطبري والزجاج ومؤرج، ويؤيد ذلك قراءة من قرأ «خلف» بضم الخاء وسكون اللام، والثالث: أن ينتصب على الظرف، أي: بعد رسول الله. يقال: «أقام زيد خلاف القوم» ، أي: تخلف بعد ذهابهم، و «خلاف» يكون ظرفا قال:

٢٥٢٠ - عقب الربيع خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا

وقال الآخر:

٢٥٢١ - فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تهيأ لأخرى مثلها وكأن قد

وإليه ذهب أبو عبيدة وعيسى بن عمر والأخفش، ويؤيد هذا قراءة ابن عباس وأبي حيوة وعمرو بن ميمون «خلف» بفتح الخاء وسكون اللام.." (٣)

"قوله تعالى: ﴿سمان﴾ : صفة لبقرات وهو جمع سمينة، ويجمع سمين أيضا عليه يقال: رجال سمان كما يقال نساء كرام ورجال كرام. و «السمن» مصدر سمن يسمن فهو سمين فالمصدر واسم [الفاعل] جاءا على غير قياس، إذ قياسهما «سمن» بفتح الميم، فهو سمن بكسرها، **نحو فرح فرحا** فهو فرح.

قال الزمخشري: «هل من فرق بين إيقاع» سمان «صفة للمميز وهو» بقرات «دون المميز وهو» سبع «، وأن يقال: سبع بقرات سمانا؟ قلت: إذا أوقعتها صفة ل» بقرات «فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهو السمان منهن لا بجنسهن، ولو وصفت بها السبع لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٧٠/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩٠/٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩١/٦

لا بنوع منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن. فإن قلت: هلا قيل» سبع عجاف «على الإضافة. قلت: التمييز موضوع لبيان الجنس، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده. فإن قلت فقد يقولون: ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب. قلت: الفارس والصاحب والراكب ونحوها صف ا ت جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها. ألا تراك لا تقول: عندي ثلاثة ضخام ولا أربعة غلاظ. فإن قلت: ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه ألا ترى أنه لم يقل» وبقرات سبع عجاف «لوقوع العلم بأن المراد البقرات. قلت: ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل، وقد وقع الاستغناء عن قولك» سبع عجاف «عما تقترحه من التمييز بالوصف» .." (١)

"جمع «وفدا» على «أوفدة» ثم قلبه فوزنه أعفلة، كقولهم: آرام في أرآم وبابه، إلا أنه يقل جمع فعل على أفعلة نحو: نجد وأنجدة، ووهي وأوهية. وأم الهيثم امرأة نقل عنها شيء من اللغة.

وقرىء «آفدة» بزنة ضاربة، وهي تحتمل وجهين، أحدهما: أن تكون مقلوبة من أفئدة بتقديم الهمزة على الفاء فقلبت الهمزة ألفا، فوزنها أعفلة كآرام في أرآم.

والثاني: أنها اسم فاعل من أفد يأفد، أي: قرب ودنا، والمعنى: جماعة آفدة، أو جماعات آفدة.

وقرئ «آفدة» بالقصر، وفيها وجهان أيضا، أحدهما: أن يكون اسم فاعل على فعل كفرح فهو فرح. [والثاني] : أن تكون محففة من «أفئدة» . بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وحذف الهمزة.

و «من الناس» في «من» وجهان، أحدهما: أنها لابتداء الغاية. قال الزمخشري: «ويجوز أن تكون» من «لابتداء الغاية كقولك:» القلب مني سقيم «تريد: قلبي، كأنه قيل: أفئدة ناس، وإنما نكرت المضاف في هذا التمثيل لتنكير» أفئدة «لأنها في الآية نكرة، ليتناول بعض الأفئدة» . قال الشيخ: «ولا يظهر كونها للغاية؛ لأنه ليس لنا فعل يبتدأ فيه بغاية ينتهي إليها، إذ/ لا يصح جعل ابتداء الأفئدة من الناس» .." (٢)

"وقنط بفتحها يقنط بكسرها، ولولا أن القراءة سنة متبعة لكان قياس من قرأ «يقنط» بالفتح أن يقرأ ماضيه «قنط» بالكسر، لكنهم أجمعوا على فتحه في قوله تعالى في قوله: ﴿من بعد ما قنطوا﴾ [الشورى: ٢٨] . والفتح في الماضي هو الأكثر ولذلك أجمع عليه. ويرجح قراءة «يقنط» بالفتح قراءة أبي عمرو في بعض الروايات ﴿فلا تكن من القانطين﴾ كفرح يفرح فهو فرح. والقنوط: شدة اليأس من الخير.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٠١/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١١٤/٧

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٦٧/٧

"والمرح: شدة السرور والفرح. مرح يمرح مرحا فهو مرح كفرح يفرح فرحا فهو فرح.

قوله: «طولا» يجوز أن يكون حالا من فاعل «تبلغ» أو من مفعوله، أو مصدرا من معنى «تبلغ» أو تمييزا أو مفعولا له. وهذان ضعيفان جدا لعدم المعنى.

وقرأ أبو الجراح: «لن تخرق» بضم الراء، وأنكرها أبو حاتم، وقال «لا نعرفها لغة البتة» .." (١)

"العين في الماضي وكسرها في المضارع، والمشهور أن مكسور العين في الماضي للعين، والمفتوحها في المكان. يقال: قررت بالمكان أقر به، وقد يقال: قررت بالمكان بالكسر. وسيأتي ذلك في قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وفي وصف العين بذلك تأويلان، أحدهما: أنه مأخوذ من «القر» وهو البرد: وذلك أن العين **إذا فرح صاحبها** كان دمعها قارا أي باردا، وإذا حزن كان حرا ولذلك قالوا في الدعاء عليه: «أسخن الله عينه» ، وفي الدعاء له: «أقر الله عينه. وما أحلى قول أبي تمام:

٣٢٣ - ٠- فأما عيون العاشقين فأسخنت ... وأما عيون الشامتين فقرت

والثاني: أنه مأخوذ من الاستقرار، والمعنى: أعطاه الله ما يسكن عينه فلا تطمح إلى غيره.

قوله: ﴿فإما ترين﴾ دخلت» إن «الشرطية على» ما «الزائدة للتوكيد، فأدغمت فيها، وكتبت متصلة. و» ترين «تقدم تصريفه. والعامة على صريح الياء المكسورة وقرأ أبو عمرو في رواية« ترئن «بهمزة مكسورة بدل." (٢)

"ما فعلت فإني غني عنه، وعليه ورد قوله: ﴿فمآ آتاني الله﴾ انتهى. وفي هذا الفرق نظر؛ إذ لا يفهم ذلك بمجرد الواو والفاء، ثم إنه لم يجب عن السؤال الأول: وهو أنه لم عدل عن قوله:» وأنا أغنى منكم «إلى قوله: ﴿فمآ آتاني الله﴾ ؟ وجوابه: أنه أسند إيتاء الغنى إلى الله إظهارا لنعمته عليه، ولو قال: وأنا أغنى منكم، كان في افتخار من غير ذكر لنعمة الله عليه.

قوله: ﴿بل أنتم﴾ إضراب انتقال. قال الزمخشري:» فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد، وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا إلا ما يهدى إليهم/ من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها. والهدية يجوز إضافته إلى المهدي. وإلى المهدى إليه وهي هنا محتملة للأمرين «.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧/٣٥٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧/٥٩٠

قال الشيخ:» وهي هنا مضافة للمهدى إليه. وهذا هو الظاهر. ويجوز أن تكون مضافة إلى المهدي أي: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها **تفرحون فرح افتخار** «. قلت كيف يجعل هذا الأول هو الظاهر، ولم ينقل أن سليمان صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم هدية في هذه الحالة حتى يضيفها إليهم؟ ، بل الذي يتعين إضافتها إلى المهدي.." (١)

"قوله: ﴿ولا تحزن﴾ : عطف على «تقر» . **ودمعة الفرح قارة**، ودمعة الترح حارة. قال أبو تمام:

٣٥٨٦ - فأما عيون العاشقين فأسخنت ... وأما عيون الشامتين فقرت." (٢)

"بما رد به قول ابن عطية. وقدره الطبري: اذكر، وقدره الشيخ: **أظهر الفرح وهو** مناسب.

وقرىء «الفارحين» حكاها عيسى الحجازي.." (٣)

"قوله: ﴿بما عندهم من العلم﴾ : فيه أوجه، أحدها: أنه تهكم بهم. والمعنى: ليس عندهم علم. الثاني: أن ذلك جاء على زعمهم أن عندهم علما ينتفعون به. الثالث: أن «من» بمعنى بدل أي: بما عندهم من الدنيا بدل العلم. وعلى هذه الأوجه فالضميران للكفار. الرابع: / أن يكون الضميران للرسل **أي: فرح الرسل** بما عندهم من العلم. الخامس: أن الأول للكفار، والثاني للرسل، **ومعناه: فرح الكفار** فرح ضحك واستهزاء بما عند الرسل من العلم، إذ لم يأخذوه بقبول ويمتثلوا أوامر الوحي ونواهيه. وقال الزمخشري: «ومنها - أي من الوجوه - أن يوضع قوله: ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب **لأقصى الفرح والمسرة** مع تهكم بفرط خلوهم من العلم وجهلهم» . قال الشيخ: «ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية، إلا في قليل من الكلام نحو:» شر أهر ذا ناب «، على خلاف فيه، ولما آل أمره إلى الإثبات المحصور جاز. وأما في الآية فينبغي أن لا يحمل على القليل؛ لأن في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة.." (٤)

"فأقبلت امرأته في صرة﴾ [الذاريات: ٢٩] . وقال الراغب:» صرصر لفظة من الصر، وذلك يرجع إلى الشد لما في البرودة من التعقد «.

قوله:» نحسات «قرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء، والباقون بسكونها. فأما الكسر فهو صفة على فعل،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨/٦١٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨/٦٥٥

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨/٦٩٥

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩/٥٠٣

وفعله فعل بكسر العين أيضا كفعله يقال: نحس فهو نحس كفرح فهو فرح، وأشر فهو أشر. وأمال الليث/ عن الكسائي ألفه لأجل الكسرة، ولكنه غير مشهور عنه، حتى نسبه الداني للوهم.

وأما قراءة الإسكان فتحتمل ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون مخففا من فعل في القراءة المتقدمة، وفيه توافق القراءتين. والثاني: أنه مصدر وصف به كرجل عدل. إلا أن هذا يضعفه الجمع فإن الفصيح في المصدر الموصوف أن يوحد، وكأن المسوغ للجمع اختلاف أنواعه في الأصل. والثالث: أنه صفة مستقلة على فعل بسكون العين. ولكن أهل التصريف لم يذكروا في الصفة الجائية من فعل بكسر العين، إلا أوزانا محصورة ليس فيها فعل بالسكون **فذكروا: فرح فهو** فرح، وحور فهو أحور، وشبع فهو شبعان، وسلم فهو سالم، وبلي فهو بال.

وفي معنى» نحسات «قولان، أحدهما: أنها من الشؤم. قال السدي:." (١)

"قوله: ﴿لكيلا﴾ : هذه اللام متعلقة بقوله «ما أصاب» ، أي: أخبرناكم بذلك لكيلا يحصل لكم الحزن المقنط **أو الفرح المطغي**، فأما دون ذلك فالإنسان غير مؤاخذ به. و «كي» هنا ناصبة بنفسها فهي مصدرية فقط لدخول لام الجر عليها، وقرأ أبو عمرو «بما أتاكم» مقصورا من الإتيان، أي: بما جاءكم. وباقي السبعة «آتاكم» ممدودا من الإيتاء أي: بما أعطاكم الله إياه. وقرأ عبد الله «أوتيتم» .." (٢)

"قوله: ﴿هآؤم﴾ : أي: خذوا. وفيها لغات، وذلك أنها تكون فعلا صريحا، وتكون اسم فعل، ومعناها في الحالين خذ. فإن كانت اسم فعل وهي المذكورة في الآية الكريمة ففيها لغتان: المد والقصر تقول: ها درهما يا زيد، وهاء درهما. ويكونان كذلك في الأحوال كلها من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، وتتصل بهما كاف الخطاب اتصالها باسم الإشارة، فتطابق مخاطبك بحسب الواقع، مطابقتها وهي ضميره، نحو: هاك هاءك، هاك هاءك إلى آخره، وتخلف كاف الخطاب همزة «هاء» مصرفة تصرف كاف الخطاب، فتقول: هاء يا زيد، وهاء يا هند، هاؤما، هاؤم، هاؤن، وهي لغة القرآن.

وإذا كانت فعلا صريحا لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها كان فيها ثلاث لغات، إحداها: أن تكون مثل: عاطى يعاطي. فيقال: هاء يا زيد، هائي يا هند، هائيا يا زيدان، أو يا هندان، هاؤوا يا زيدون، هائين يا هندات. الثانية: أن تكون مثل «هب» فتقول: هأ، هئي، هآ، هؤوا، هأن. مثل: هب، هبي، هبا، هبوا، هبن.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥١٨/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٥٢/١٠

الثالثة: أن يكون مثل: خف أمرا من الخوف فيقال: هأ، هائي، هاءا، هاؤوا، هأن، مثل: خف، خافي، خافا، خافوا، خفن.

واختلف في مدلولها: فالمشهور أنها بمعنى خذوا. وقيل: معناها تعالوا، فيتعدى ب «إلى» . وقيل: هي كلمة وضعت لإجابة الداعي **عند الفرح والنشاط**. وفي الحديث: «أنه ناداه أعرابي بصوت عال، فجاوبه." (١)

"أبوابهم ويأوون إلى مقايلهم تقول:» عيينتي ناظرة إلى الله وإليكم «والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم» قلت: وهذا كالحوم على قول من يقول: إن «ناظرة» بمعنى منتظرة. إلا أن مكيا قد رد هذا القول فقال: «ودخول» إلى «مع النظر يدل على أنه نظر العين، وليس من الانتظار، ولو كان من الانتظار لم تدخل معه» إلى «؛ ألا ترى أنك لا تقول: انتظرت إلى زيد، وتقول: نظرت إلى زيد، ف» إلى «تصحب نظر العين لا تصحب نظر الانتظار، فمن قال: إن» ناظرة «بمعنى منتظرة فقد أخطأ في المعنى وفي الإعراب، ووضع الكلام في غير موضعه» .

والنضرة: طراوة البشرة وجمالها، وذلك من أثر النعمة يقال: نضر وجهه فهو/ ناضر. وقال بعضهم: مسلم أنه من نظر العين، إلا أن ذلك على حذف مضاف، أي: ثواب ربها، ونحوه. قال مكي: «لو جاز هذا لجاز: نظرت إلى زيد، أي: إلى عطاء زيد. وفي هذا نقض لكلام العرب وتخليط في المعانِي» . ونضره الله ونضره مخففا ومثقلا، أي: حسنه ونعمه، وفي الحديث: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها» يروى بالوجهين. وقيل للذهب: «نضار» من ذلك. ويقال له: النضر أيضا، وأخضر ناضر، ك أسود حالك، وقدح نضار ونضار، يروى بالإتباع والإضافة.

والعامة على «ناضرة» بألف. وقرأ زيد بن علي «نضرة» بدونها، كفرح فهو فرح.." (٢)

"الصورة في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف " بعزل؛ لأن المراء في مثل هذا ليس بكفر، في قول أحد من علماء الأمة، وقد أوجب صلى الله عليه وسلم بالمراء في الأحرف السبعة الكفر، كما تقدم (١) .

الحديث الثاني: قال البخاري، رحمه الله: حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير: أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارئ حدثاه (٢) " أنهما

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٣٢/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٧٧/١٠

سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فتبصرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرسله، اقرأ يا هشام"، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذلك أنزلت"، ثم قال: "اقرأ يا عمر"، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذلك أنزلت. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه " (٣) .

وقد رواه الإمام أحمد والبخاري -أيضا-ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري (٤) ورواه الإمام أحمد -أيضا-عن ابن مهدي، عن مالك، عن الزهري، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد، عن عمر، فذكر الحديث بنحوه (٥) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حرب بن ثابت، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه، عن جده قال: " قرأ رجل عند عمر فغير عليه فقال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير علي قال: فاجتمعا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "قد أحسنت". قال: فكأن عمر وجد من ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عمر، إن القرآن كله صواب، ما لم يجعل عذاب مغفرة أو مغفرة عذابا " (٦) .

وهذا إسناد حسن. وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت، لا نعرف أحدا جرحه.

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال: قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره: وقد اختلف العلماء في المراء بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي، ونحن نذكر منها خمسة أقوال.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٤٩) .

(٢) في ط، جـ: "أخبراه".

(٣) صحيح البخاري برقم ، ٤٩٩٢) .

(4) المسند (١/ ٢٤) وصحيح البخاري برقم (٢٤١٩) وصحيح مسلم برقم (٨١٨) وسنن أبي داود برقم (١٤٧٥) وسنن النسائي (٢/ ١٥٠) وسنن الترمذي برقم (٢٩٤٣) .

(٥) المسند (١/ ٤٠) .

(٦) المسند (٤/ ٣٠) .." [١]

"العداوة منهم للمؤمنين وهو أنه (١) إذا أصاب المؤمنين خصب، ونصر وتأييد، وكثروا وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة (٢) -أي: جدب-أو أديل عليهم الأعداء، لما لله في ذلك من الحكمة، كما جرى يوم **أحد، فرح المنافقون** بذلك، قال الله تعالى مخاطبا عباده المؤمنين: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا [إن الله بما يعملون محيط] (٣) ﴾ يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار، باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه.

ثم شرع تعالى في ذكر قصة أحد، وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وبيان صبر الصابرين، فقال تعالى:

﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم (١٢١) ﴾

---

(١) في جـ، ر، أ، و: "أنهم".

(٢) في أ، و: "المؤمنين سيئة إما".

(٣) زيادة من جـ، ر، أ، و، وفي هـ: "الآية".." [٢]

"فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم.

وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا (١) منه شيئا، فقد ورد في الحديث

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٤/١

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٠٩/٢

المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار".

وقوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا [فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب] (٢) ﴾ الآية، يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يعطوا، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة" (٣) وفي الصحيح: "المتشبع (٤) بما لم يعط كلابس ثوبي زور" (٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، أخبرني ابن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره: أن مروان قال: اذهب يا رافع -لبوابه-إلى ابن عباس، رضي الله عنه، فقل (٦) لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى (٧) وأحب أن يحمد بما لم يفعل -معذبا، لنعذبن أجمعون؟ (٨) فقال ابن عباس: وما لكم (٩) وهذه؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (١٠) وتلا ابن عباس: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ الآية. وقال ابن عباس: سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكتموه (١١) وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أوتوا (١٢) من كتمانهم ما سألهم عنه.

وهكذا رواه البخاري في التفسير، ومسلم، والترمذي والنسائي في تفسيريهما، وابن أبي حاتم وابن جرير (١٣) وابن مردويه، والحاكم في مستدركه، كلهم من حديث عبد الملك بن جريج، بنحوه (١٤) ورواه البخاري أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن علقمة بن وقاص: أن

---

(١) في ر: "يكتمون".

(٢) زيادة من جـ، ر، أ، و.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦١٠٥، ٦٦٥٢) وصحيح مسلم برقم (١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٤) في أ: "المشبع".

(٥) رواه مسلم برقم (٢١٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) في جـ، ر، أ: "فقل له".

(٧) في جـ: "أوتى".

(٨) في جـ، ر، أ، و: "أجمعين".

(٩) في جـ: "ما لكم".

(١٠) في جـ، ر، أ، و: "لتبيننه للناس.. الآية".

(١١) في ر، أ، و: "فكتموه إياه".

(١٢) في جـ: "أوتوا".

(١٣) في و: "وابن خزيمة".

(١٤) المسند (١/٢٩٨) وصحيح البخاري برقم (٤٥٦٨) وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٨) وسنن الترمذي برقم (٣٠١٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠٨٦) .." [1]

"أحب" قال أنس: **فما فرح المسلمون** فرحهم بهذا الحديث (١) .

وفي رواية (٢) عن أنس أنه قال: إني أحب (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحب أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما (٤) وأرجو أن الله يبعثني الله معهم وإن لم أعمل كعملهم (٥) .

وقال الإمام مالك بن أنس، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون (٦) الكوكب الدري الغابر من (٧) الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم". قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: "بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين".

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك (٨) ولفظه لمسلم.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا فزارة، أخبرني فليح، عن هلال -يعني ابن علي-عن عطاء، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون -أو ترون- الكوكب الدري الغارب في الأفق والطالع في تفاضل الدرجات". قالوا: يا رسول الله، أولئك النبيون؟ قال: "بلى، والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين".

قال الحافظ الضياء المقدسي: هذا الحديث على شرط البخاري (٩) والله أعلم.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار الموصلي، حدثنا عفيف بن سالم، عن أيوب بن عتبة (١٠) عن عطاء، عن ابن عمر قال: أتى رجل من

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢/١٨١

الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سل واستفهم". فقال: يا رسول الله، فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به، وعملت مثل ما عملت به، إني لكائن معك في الجنة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم، والذي نفسي بيده إنه ليضيء بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام" قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة" فقال رجل: كيف نهلك بعدها يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفد ذلك كله إلا أن يتطاول الله برحمته" ونزلت هذه الآيات (١١) ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ إلى قوله: ﴿نعيما وملكا كبيرا﴾ [الإنسان: ١-٢٠] فقال الحبشي: وإن عيني لتريان ما ترى عيناك في الجنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعم". فاستبكى حتى فاضت نفسه، قال ابن عمر: لقد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦١٦٧) ورواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٣٩) .

(٢) في د: "وفي لفظ".

(٣) في أ: "لأحب".

(٤) في ر: "عنهم".

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٦٣٩) .

(٦) في أ: "يتراءون".

(٧) في أ: "في".

(٨) صحيح البخاري برقم (٣٢٥٦) وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١) .

(٩) المسند (٢/٣٣٩) .

(١٠) في النسخ: "أيوب عن عتبة" وهو تحريف.

(١١) في ر، أ: "السورة".." [1]

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢/٣٥٦

"﴾ . [الحديد: ١٣-١٥] وقد ورد في الحديث: "من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به" (١) وفي حديث آخر: "إن الله يأمر بالعبد إلى الجنة فيما يبدو للناس، ويعدل به إلى النار" عياذا بالله من ذلك.

وقوله: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى [يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا] (٢) ﴾ هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها، وهي الصلاة. إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها؛ لأنهم لا نية لهم فيها، ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها كما روى (٣) ابن مردويه، من طريق عبيد الله بن زحر، عن خالد بن أبي عمران، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان، ولكن يقوم إليها طلق الوجه، عظيم الرغبة، شديد الفرح، فإنه يناجي الله [تعالى] (٤) وإن الله أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه، ثم يتلو ابن عباس هذه الآية: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾

وروي من غير هذا الوجه، عن ابن عباس، نحوه.

فقوله تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ هذه صفة ظواهرهم، كما قال: ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ [التوبة: ٥٤] ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة، فقال: ﴿يراءون الناس﴾ أي: لا إخلاص لهم [ولا معاملة مع الله بل إنما يشهدون الناس تقية من الناس ومصانعة لهم] (٥) ؛ ولهذا يتخلفون كثيرا عن الصلاة التي لا يرون غالبا فيها كصلاة العشاء وقت العتمة، وصلاة الصبح في وقت الغلس، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال، معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار (٦) " (٧) .

وفي رواية: "والذي نفسي بيده، لو علم أحدهم (٨) أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين، لشهد الصلاة، ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بيوتهم بالنار" (٩) .

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد -هو بن أبي بكر المقدمي (١٠) -حدثنا محمد بن دينار، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحسن الصلاة حيث يراه الناس، وأساءها حيث يخلو، فتلك استهانة، استهان بها ربه عز وجل" (١١)

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٩) وصحيح مسلم برقم (٢٧٨٧) .
(٢) زيادة من ر، أ، وفي هـ: "الآية".
(٣) في أ: "رواه".
(٤) زيادة من أ.
(٥) زيادة من ر، أ.
(٦) في ر: "في النار".
(٧) صحيح البخاري برقم (٦٥٧) وصحيح مسلم برقم (٦٥١) .
(٨) في أ: "لو يعلم أحدكم".
(٩) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤٤) .
(١٠) في أ: "محمد بن أبي بكر المقدسي".
(١١) مسند أبو يعلى (٥٤/٩) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٩٠/٢) من طريق زائدة عن إبراهيم الهجري به. قال الهيثمي في المجمع (٢٢١/١٠) : "فيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف".." [(١)]

"﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين (٨٤) وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين (٨٥) وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين (٨٦) ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (٨٧) ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨) أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين (٨٩) أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين (٩٠) ﴾

يخبر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق، بعد أن طعن في السن، وأيس هو وامرأته "سارة" من الولد، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط، فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك، وقالت: ﴿قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ [هود: ٧٢، ٧٣] ، وبشروه (١) مع وجوده بنبوته، وبأن له نسلا وعقبا، كما قال: ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ [الصافات: ١١٢] ، وهذا أكمل في البشارة،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٣٨/٢

وأعظم في النعمة، وقال: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ [هود: ٧١] أي: ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده، **فإن الفرح بولد** الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم "يعقوب"، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم، عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله، عز وجل، عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه، لتقر بهم عينه، كما قال [تعالى] (٢) ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا﴾ [مريم: ٤٩] ، وقال هاهنا: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا﴾

وقوله: ﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ أي: من قبله، هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذرية صالحة، وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح، عليه السلام، فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به -وهم الذين صحبوه في السفينة -جعل الله ذريته هم الباقين، فالناس كلهم من ذرية نوح، وكذلك الخليل إبراهيم، عليه السلام، لم يبعث الله، عز وجل، بعده نبيا إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ الآية [العنكبوت: ٢٧] ، وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ [الحديد: ٢٦] ، وقال تعالى: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا﴾ [مريم: ٥٨] .

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿ومن ذريته﴾ أي: وهدينا من ذريته ﴿داود وسليمان﴾ الآية، وعود الضمير إلى "نوح"؛ لأنه أقرب المذكورين، ظاهر. وهو اختيار ابن جرير، ولا إشكال عليه. وعوده

---

(١) في م: "وبشروها".

(٢) زيادة من أ.." (١)

"على نحو من صوته -قال: يا محمد، متى الساعة؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويحك إن الساعة آتية، فما أعددت لها؟ " قال: ما أعددت لها كبير (١) صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب". **فما فرح المسلمون** بشيء فرحهم

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٩٧/٣

بهذا الحديث (٢)

وهذا له طرق متعددة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: "المرء مع من أحب" (٣) وهي متواترة عند كثير من الحفاظ المتقنين.

ففيه أنه، عليه السلام، كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه، أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم، وهو الاستعداد لوقوع ذلك، والتهيؤ له قبل نزوله، وإن لم يعرفوا تعيين وقته.

ولهذا قال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر (٤) إلى أحدث إنسان (٥) منهم فقال: "إن يعش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم ساعتكم" (٦) يعني بذلك موتهم الذي يفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدار الآخرة.

ثم قال مسلم: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس؛ أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة، وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن يعش هذا الغلام فعسى ألا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة". انفرد به مسلم (٧)

وحدثنا حجاج بن الشاعر، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي (٨) عن أنس بن مالك، رضي الله عنه؛ أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: متى الساعة؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة، فقال: "إن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة" -قال أنس: ذلك الغلام من أترابي (٩)

وقال: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن أنس قال: مر غلام للمغيرة بن شعبة -وكان من أقراني (١٠) -فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة" (١١)

---

(١) في أ: "كثير".

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٣٩) من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه.

(٣) جاء من حديث أنس بن مالك وصفوان بن عسال وعبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري:.

أما حديث أنس بن مالك فهو السابق ذكره.
وأما حديث صفوان بن عسال فرواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٣٥) .
وأما حديث عبد الله بن مسعود فرواه البخاري في صحيحه برقم (٦١٦٩) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٤٠) .
وأما حديث أبي موسى الأشعري فرواه البخاري في صحيحه برقم (٦١٧٠) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٤١) .
(4) في ك، م: "فينظر".
(٥) في ك، م، أ: "أسنان".
(٦) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٢) .
(٧) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٣) .
(٨) في ك، م، أ: "سعيد بن أبي هلال المصري".
(٩) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٣) .
(١٠) في ك، م: "أترابي".
(١١) صحيح مسلم برقم (٢٩٥٣) .." (١)

"﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) ﴾

يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وفرحوا بمقعدهم (١) بعد خروجه، ﴿وكرهوا أن يجاهدوا﴾ معه ﴿بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿لا تنفروا في الحر﴾ ؛ وذلك أن الخروج في (٢) غزوة تبوك كان في شدة الحر، عند طيب الظلال والثمار، فلهذا قالوا (٣) ﴿لا تنفروا في الحر﴾ قال الله تعالى لرسوله: ﴿قل﴾ لهم: ﴿نار جهنم﴾ التي تصيرون إليها بسبب مخالفتكم ﴿أشد حرا﴾ مما فررتم منه من الحر، بل أشد حرا من النار، كما قال الإمام مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نار بني آدم التي يوقدون بها جزء من سبعين جزءا [من نار جهنم" فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣/٥٢١

قال (٤) إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا] (٥) أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك، به (٦)
وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي (٧) صلى الله عليه وسلم قال: "إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل [الله] (٨) فيها منفعة لأحد" (٩) وهذا أيضا إسناده صحيح (١٠)
وقد روى الإمام أبو عيسى الترمذي وابن ماجه، عن عباس الدوري، عن يحيى بن أبي بكير (١١) عن شريك، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء كالليل المظلم". ثم قال الترمذي: لا أعلم أحدا رفعه غير يحيى (١٢)
كذا قال. وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن الحسين بن

---

(١) في ت، أ: "بقعودهم".
(٢) في ت، أ: "إلى".
(٣) في ك: "قال".
(٤) في ت، ك، أ: "فقال".
(٥) زيادة من ت، ك، أ، والموطأ.
(٦) الموطأ (٢/٩٩٤) وصحيح البخاري برقم (٣٢٦٥) ورواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٤٣) من طريق المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به.
(٧) في ك: "أن رسول الله".
(٨) زيادة من ت، ك، أ،. والمسند.
(٩) المسند (٢/٢٤٤) .
(١٠) في ت، أ: "إسناد جيد صحيح".
(١١) في أ: "بكر".
(١٢) سنن الترمذي برقم (٢٥٩١) وسنن ابن ماجه برقم (٤٣٢٠) وقال الترمذي: "حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح، ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك".." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/١٨٩

"صحيح مسلم: "والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار" (١) .

وأما أمة الأتباع، فهم المصدقون للرسل، كما قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] وفي الصحيح: " فأقول: أمتي أمتي".

وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة، كقوله تعالى: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف:١٥٩] ، وقال تعالى: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ [آل عمران:١١٣] .

﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور (٩) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠) إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١١) ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة، حصل له يأس (2) وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيرا، ولم يرج (٣) بعد ذلك فرجا. وهكذا إن (٤) أصابته نعمة بعد نقمة ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ أي: يقول: ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿إنه لفرح فخور﴾ **أي: فرح بما** في يده، بطر فخور على غيره. قال الله تعالى: ﴿إلا الذين صبروا﴾ أي: في الشدائد والمكاره، ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي: في الرخاء والعافية، ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ أي: بما يصيبهم من الضراء، ﴿وأجر كبير﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء، كما جاء في الحديث: "والذي نفسي بيده، لا يصيب المؤمن هم ولا غم، ولا نصب ولا وصب، ولا حزن حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه (٥) (٦) ، وفي الصحيحين: "والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته سراء فشكر كان (٧) خيرا له، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له، وليس ذلك لأحد غير المؤمن" (٨) وهكذا قال الله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [سورة العصر] ، وقال تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين﴾ الآية [المعارج:١٩ -٢٢] .

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٥٣) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) في ت: "إياس".

(٣) في ت، أ: "ولا يرجوا".

(٤) في ت: "إذا".

(٥) في ت، أ: "ولا حزن إلا كفر الله بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها".

(٦) روى مسلم نحوه في صحيحه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٢٥٧٣) ومن حديث أبي هريرة وحده (٢٥٧٤).

(٧) في ت: "فكان".

(٨) صحيح مسلم برقم (٢٩٩) بلفظ: "عجبا للمؤمن إن أمره كله خير" من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه وليس في صحيح البخاري.." [١]

"﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أي: تطيب وتركن إلى جانب (١) الله، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيرا؛ ولهذا قال: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ أي: هو حقيق بذلك.

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ قال ابن أبي طلحة، عن ابن **عباس: فرح وقرة** عين. وقال عكرمة: نعم مالهم.

وقال الضحاك: غبطة لهم. وقال إبراهيم النخعي: خير لهم.

وقال قتادة: هي كلمة عربية (٢) يقول الرجل: "طوبى لك"، أي: أصبت خيرا. وقال في رواية: ﴿طوبى لهم﴾ حسنى لهم.

﴿وحسن مآب﴾ أي: مرجع.

وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها.

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿طوبى لهم﴾ قال: هي أرض الجنة بالحبشية.

وقال سعيد بن مسجوح: طوبى اسم الجنة بالهندية. وكذا روى السدي، عن عكرمة: ﴿طوبى لهم﴾ أي: الجنة. وبه قال مجاهد.

وقال العوفي، عن ابن عباس: لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ وذلك حين أعجبته.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن شهر بن حوشب قال: ﴿طوبى﴾ شجرة

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٣٠٩

في الجنة، كل شجر الجنة منها، أغصانها من وراء سور الجنة.
وهكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، ومغيث بن سمى، وأبي إسحاق السبيعي وغير واحد من السلف: أن طوبى شجرة في الجنة، في كل دار منها غصن منها.
وذكر بعضهم أن الرحمن، تبارك وتعالى، غرسها بيده من حبة لؤلؤة، وأمرها أن تمتد، فامتدت إلى حيث يشاء الله تبارك وتعالى، وخرجت من أصلها ينابيع أنهار الجنة، من عسل وخمر وماء ولبن. (٣)
وقد قال عبد الله بن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث، أن دراجا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، [مرفوعا: "طوبى: شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها". (٤)

---

(١) في ت، أ: "جناب".
(٢) في ت، أ: "غريبة".
(٣) في ت: "ولبن وماء".
(٤) رواه الطبري في تفسيره (٤٤٣/١٦) قال أحمد، رحمه الله: "أحاديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيها ضعف".." [١]

"أي: يحملهما حبه على متابعته على الكفر.
قال قتادة: **قد فرح به** أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض (١) امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه (٢) فيما يحب.
وصح في الحديث: "لا يقضي الله للمؤمن قضاء (٣) إلا كان خيرا له". وقال تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾ [البقرة:٢١٦] .
وقوله [تعالى] (٤) ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما﴾ أي: ولدا أزكى من هذا، وهما أرحم به منه، قاله ابن جريج.
وقال قتادة: أبر بوالديه.
وقد تقدم أنهما بدلا جارية. وقيل لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم. قاله ابن جريح (٥)
﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٥٥/٤

أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا (٨٢) ﴾
.
في هذه الآية دليل على إطلاق القرية على المدينة؛ لأنه قال أولا ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ [الكهف:٧٧] وقال هاهنا: ﴿فكان لغلامين يتيمين في المدينة﴾ كما قال تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك﴾ [محمد:١٣] ، ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف:٣١] يعني: مكة والطائف.

ومعنى الآية: أن هذا الجدار (٦) إنما أصلحه (٧) لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما.

قال عكرمة، وقتادة، وغير واحد: كان تحته مال مدفون لهما. وهذا ظاهر السياق من الآية، وهو اختيار ابن جرير، رحمه الله.

وقال العوفي عن ابن عباس: كان تحته كنز علم. وكذا قال سعيد بن جبير، وقال مجاهد: صحف فيها علم، وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوي ذلك، قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا بشر بن المنذر، حدثنا الحارث بن عبد الله اليحصبي عن عياش (٨) بن عباس القتباني (٩) عن ابن حجيرة (١٠) ، عن

---

(١) في ت، ف، أ: "فرضى".

(٢) في ف: "من قضائه له".

(٣) في أ: "للمؤمنين قضاء".

(٤) زيادة من ت.

(٥) في ت: "ابن جرير".

(٦) في ت: "الجار".

(٧) في ف: "أصلحته".

(٨) في ت، ف، أ: "عباس".

(٩) في أ: "الغسانى".

(١٠) في هـ: "أبي حجيرة" والصواب ما أثبتناه من مسند البزار.." (١)

"النار، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا، فلا يبقى أحد في ضحضاح من نار ولا في أسفل درك من جهنم، إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة والنار، ثم ينادى: يا أهل الجنة، هو الخلود أبد الآبدين، ويا أهل النار، هو الخلود أبد الآبدين، فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتا **من فرح ماتوا**، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتا من شهقة ماتوا فذلك قوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر﴾ يقول: إذا ذبح الموت. رواه ابن أبي حاتم في تفسيره.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ قال: يوم القيامة، وقرأ: ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ [الزمر: ٥٦]

وقوله: ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون﴾ يخبر تعالى أنه الخالق المالك المتصرف، وأن الخلق كلهم يهلكون ويبقى هو، تعالى وتقدس ولا أحد يدعي ملكا ولا تصرفا، بل هو الوارث لجميع خلقه، الباقي بعدهم، الحاكم فيهم، فلا تظلم نفس شيئا ولا جناح بعوضة ولا مثقال ذرة.

قال ابن أبي حاتم: ذكر هدبة بن خالد القيسي: حدثنا حزم بن أبي حزم القطعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة: أما بعد، فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت، فجعل مصيرهم إليه، وقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه، وأشهد ملائكته على خلقه: أنه يرث الأرض ومن عليها، وإليه يرجعون.

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤١) إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا (٤٢) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٤) يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٥) ﴾ .

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (١) : واذكر في الكتاب إبراهيم واتله على قومك، هؤلاء الذين يعبدون الأصنام، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين (٢) هم من ذريته، ويدعون أنهم

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٨٥/٥

على ملته، وهو (٣) كان صديقا نبيا -مع أبيه- كيف نهاه عن عبادة الأصنام فقال، ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ أي: لا ينفعك ولا يدفع عنك ضررا.
﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ : يقول: فإن كنت من صلبك وترى أني أصغر منك، لأني ولدك، فاعلم أني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك بعد، ﴿فاتبعني أهدك صراطا سويا﴾ أي: طريقا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب، والنجاة من المرهوب.

---

(١) في ف: "صلوات الله وسلامه عليه".
(٢) في ف، ت: "الذي".
(٣) في: "وقد"." [1]

"جبير، فقالت لهم: أقروه، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتى آتي فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم.
فأتت فرعون فقالت: ﴿قرة عين لي ولك﴾ [القصص: ٩] فقال فرعون: يكون لك، فأما لي فلا حاجة لي فيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له (١) كما أقرت امرأته، لهداه الله كما هداها، ولكن (٢) حرمه ذلك". فأرسلت إلى من حولها، إلى كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل على ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فأحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق ومجمع الناس، ترجو أن تجد له ظئرا تأخذه منها، فلم يقبل، وأصبحت أم موسى والها، فقالت لأخته: قصي أثره واطلبيه، هل تسمعين له ذكرا، أحي ابني أم قد أكلته الدواب؟ ونسيت ما كان الله وعدها فيه، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون -والجنب: أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد (٣) وهو إلى جنبه (٤) وهو لا يشعر به -فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤرات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون. فأخذوها فقالوا: ما يدريك؟ ما نصحهم له؟ هل يعرفونه (٥) ؟ حتى شكوا في ذلك، وذلك من الفتون يا بن جبير. فقالت: نصحهم (٦) له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظؤرة الملك، ورجاء منفعة الملك. فأرسلوها فانطلقت إلى أمها (٧) فأخبرتها الخبر. فجاءت أمه، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه، حتى امتلأ جنباه ريا، وانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا. فأرسلت إليها. فأتت بها وبه فلما رأت

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/٢٣٤

ما يصنع بها قالت: امكثي ترضعي ابني هذا، فإني لم أحب شيئا حبه قط. قالت أم موسى: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي، فيكون معي لا آلوه خيرا [فعلت، وإلا] (٨) فإني غير تاركة بيتي وولدي. وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فيه، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله منجز وعده (٩) فرجعت به إلى بيتها من يومها، [وأنبته] (١٠) الله نباتا حسنا وحفظه (١١) لما قد قضى فيه.

فلم يزل بنو إسرائيل، وهم في ناحية القرية، ممتنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أتريني (١٢) ابني؟ فوعدتها يوما (١٣) تريها إياه فيه، وقالت امرأة فرعون لخزانها وظؤرها وقهارمتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك (١٤) وأنا باعثة أمينا يحصي (١٥) ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدايا والنحل

---

(١) في ف، أ: "أن يكون له قرة عين".

(٢) في أ: "ولكن الله حرمه".

(٣) في ف، أ: "الشيء البعيد".

(٤) في ف، أ: "ناحية".

(٥) في ف، أ: "تعرفونه".

(٦) في ف، أ: "نصيحتهم".

(٧) في ف، أ: "أمه".

(٨) زيادة من ف، أ، والطبري.

(٩) في ف، أ: "موعوده".

(١٠) في ف: "فأنبته".

(١١) في أ: "حفظ"

(١٢) في أ: "تريني".

(١٣) في أ: "يوما أن".

(١٤) في أ: "ذلك فيه".

(١٥) في ف: "يحصي كل".." (١)

"جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكرا عليهم: ﴿أتمدونني بمال﴾ أي: أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم؟! ﴿فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ أي: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه، ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ أي: أنتم الذين (١) تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف.

قال الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنه: أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة. فلما رأت رسلها ذلك قالوا: ما يصنع هذا بهديتنا. وفي هذا دلالة على جواز تهيؤ الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد.

﴿ارجع إليهم﴾ أي: بهديتهم، ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ أي: لا طاقة لهم بقتالهم، ﴿ولنخرجنهم منها﴾ أي: من بلدهم، ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ أي: مهانون مدحورون.

فلما رجعت إليها رسلها بهديتها، وبما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظمة لسليمان، ناوية متابعته في الإسلام. ولما تحقق سليمان، عليه السلام، قدومهم عليه ووفودهم إليه، فرح (٢) بذلك وسره.

﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (٣٨) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (٤٠) ﴾ .

قال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت: قد -والله -عرفت، ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وما نصنع بمكاثرته (٣) شيئا. وبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي، لأنظر ما أمرك وما تدعونا إليه من دينك. ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه -وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ -فجعل في سبعة أبيات، بعضها في بعض، ثم أقفلت عليه الأبواب، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها: احتفظ بما قبلك، وسرير ملكي، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله، ولا يرينه أحد حتى آتيك. ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/٢٨٦

تحت يدي كل قيل منهم ألوف كثيرة. فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس، ممن تحت يديه، فقال: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ .

وقال قتادة: لما بلغ سليمان أنها جائية، وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه، وكان من ذهب،

---

(١) في أ: "الذي".

(٢) في ف: "ففرح".

(٣) في هـ: "بمكابرته" والمثبت من ف، أ، والطبري (١٩/١٠٠) .." (١)

"إسناده ابن البيلمان (١) .

وعن وهب بن منبه: أنه حكى من كلام عزير، عليه السلام، أنه قال: وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها، وتضع الحبالى قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجا، ويتعادى الأخلاء، وتحرق الحكمة، ويرفع العلم، وتكلم الأرض التي تليها. وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون، ويتعبون فيما لا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون. رواه ابن أبي حاتم، عنه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح -كاتب الليث -حدثني معاوية بن صالح، عن أبي مريم: أنه سمع أبا هريرة، رضي الله عنه، يقول: إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ (٢) للراكب.

وقال ابن عباس: هي مثل الحربة الضخمة.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال: إنها دابة لها ريش وزغب وحافر، وما لها ذنب، ولها لحية، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا، وما خرج ثلثها (٣) . ورواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جريج، عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا [عشر] (٤) ذراعا، تخرج معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه، حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق: بكم ذا يا مؤمن، بكم ذا يا كافر؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٩١/٦

على مائدتهم، فيعرفون مؤمنهم من كافرهم، ثم تقول لهم الدابة: يا فلان، أبشر، أنت من أهل الجنة، ويا فلان، أنت من أهل النار. فذلك قول الله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ (٥) .

---

(١) في ف: "البيلماني".

(٢) في أ: "فرح".

(٣) في ف، أ: "ثلثاها".

(٤) زيادة من ف، أ.

(٥) وهذا من الإسرائيليات مما لا فائدة من ذكره، وأوصاف الدابة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.." [١]

"﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (٢٢) ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (٢٣) فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير (٢٤) ﴾ لما أخبره ذلك الرجل بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره، خرج من مصر وحده، ولم يألف ذلك قلبه، بل كان في رفاهية ونعمة ورئاسة، ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾ أي: يتلفت ﴿قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ أي: من فرعون وملئه. فذكروا أن الله، سبحانه وتعالى، بعث له ملكا على فرس، فأرشده إلى الطريق، فالله أعلم.

﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أي: أخذ طريقا سالكا **مهيعا فرح بذلك**، ﴿قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ أي: إلى الطريق الأقوم. ففعل الله به ذلك، وهداه إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة، فجعل هاديا مهديا.

﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أي: ولما وصل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء ﴿وجد عليه أمة من الناس﴾ أي: جماعة ﴿يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ أي: تكفكفان غنمهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا. فلما رآهما موسى، عليه السلام، رق لهما ورحمهما، ﴿قال ما خطبكما﴾ أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟ ﴿قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء﴾ أي: لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء، ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ أي: فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٢١٤

قال الله تعالى: ﴿فسقى لهما﴾ قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عبد الله، أنبأنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن عمرو (١)

---

(١) في هـ، ت، ف، أ: "عروة بن ميمون" والمثبت من مصنف ابن أبي شيبة.." (١)

"كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به، وأنزل الله: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ (١) .

وقال آخرون: بل كان نصرة الروم على فارس عام (٢) الحديبية؛ قاله عكرمة، والزهري، وقتادة، وغيرهم (٣) . ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرى ليمشين من حمص إلى إيليا -وهو بيت المقدس -شكرا (٤) لله عز وجل، ففعل، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه مع دحية بن خليفة، فأعطاه دحية لعظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر. فلما وصل إليه سأل من بالشام من عرب الحجاز، فأحضر له أبو سفيان صخر بن حرب الأموي في جماعة من كفار قريش كانوا في غزة، فجيء بهم إليه، فجلسوا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا. فقال لأصحابه -وأجلسهم خلفه -: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذب فكذبوه. فقال أبو سفيان: فوالله لولا أن يأثروا علي الكذب لكذبت. فسأله هرقل عن نسبه وصفته، فكان فيما سأله أن قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها -يعني بذلك الهدنة التي كانت قد وقعت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش يوم (٥) الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين، فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية؛ لأن قيصر إنما وفى بنذره بعد الحديبية، والله أعلم.

ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعثت، فما تمكن من وفاء نذره حتى أصلح ما ينبغي إصلاحه وتفقد بلاده، ثم بعد أربع سنين من نصرته وفى بنذره، والله أعلم.

والأمر (٦) في هذا سهل قريب، إلا أنه لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك؛ لأن الروم أهل كتاب في الجملة، فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس، كما قال [الله] (٧) تعالى: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون. وإذا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٢٦/٦

سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [المائد: ٨٢، ٨٣] ، وقال تعالى هاهنا: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا صفوان، حدثنا الوليد، حدثني أسيد الكلابي، قال: سمعت (٨) العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه، قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم، كل ذلك في خمس عشرة سنة.

---

(١) سنن الترمذي برقم (٣١٩٢) وتفسير الطبري (١٦/٢١) .

(٢) في ف: "يوم".

(٣) في أ: "وغير واحد".

(٤) في ت: "تشكرا".

(٥) في ت، ف: "عام".

(٦) في ت: "فالأمر".

(٧) زيادة من ت.

(٨) في ت: "وروى ابن أبي حاتم عن".." (١)

"النعيم، فلم تغير أبشارهم بعدها أبدا، ولم تشعث أشعارهم أبدا بعدها، كأنما دهنوا بالدهان، ثم عمدوا إلى الأخرى كأنما أمروا بها، فشربوا منها، فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى أو قذى، وتلقتهم الملائكة على أبواب (١) الجنة: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ . ويلقى كل غلمان صاحبهم يطيفون به، فعل (٢) الولدان بالحميم جاء من الغيبة: أبشر، قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا. وقال: وينطلق غلام من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين، فيقول: هذا فلان -باسمه في الدنيا-فيقلن: أنت رأيته؟ فيقول: نعم. **فيستخفهن الفرح حتى** تخرج إلى أسكفة (٣) الباب. قال: فيجيء فإذا هو بنمارق مصفوفة، وأكواب موضوعة، وزرابي مبثوثة. قال: ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه (٤) ، فإذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ، بين أحمر وأخضر وأصفر [وأبيض] (٥) ، ومن كل لون. ثم يرفع طرفه إلى سقفه، فلولا أن الله قدره له، لألم أن يذهب ببصره، إنه لمثل البرق. ثم ينظر إلى أزواجه من الحور

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٠٤/٦

العين، ثم يتكئ على أريكة من أرائكه، ثم يقول: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف:٤٣] الآية.

ثم قال: حدثنا، أبي حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي، حدثنا مسلمة (٦) بن جعفر البجلي قال: سمعت أبا معاذ البصري يقول: إن عليا، رضي الله عنه، كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي (٧) صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي، بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون – أو: يؤتون–بنوق لها أجنحة، وعليها رحال الذهب، شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر، فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان، فيشربون من إحداهما فيغسل ما في بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى، فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا، وتجري عليهم نضرة النعيم، فينتهون –أو: فيأتون– باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فيضربون بالحلقة على الصفيحة (٨) ، فيسمع (٩) لها طنين يا علي، فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل، فتبعث قيمها فيفتح له، فإذا رآه خر له –قال مسلمة: أراه قال: ساجدا (١٠) –فيقول: ارفع رأسك، فإنما أنا قيمك، وكلت بأمرك. فيتبعه ويقفو أثره، فتستخف الحوراء العجلة، فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه، ثم تقول: أنت حبي، وأنا حبك، وأنا الخالدة التي لا أموت، وأنا الناعمة التي لا أبأس، وأنا الراضية التي لا أسخط، وأنا المقيمة التي لا أظعن". فيدخل بيتا من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع، بناؤه على جندل اللؤلؤ، طرائق أصفر وأخضر وأحمر، ليس فيها (١١) طريقة تشاكل صاحبتها، في البيت سبعون سريرا، على كل سرير سبعون حشية، على كل حشية سبعون زوجة، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من باطن الحلل، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه. الأنهار

---

(١) في أ: "باب".

(٢) في أ: "مثل".

(٣) في س: "أسفكة".

(٤) في أ: "بنائه".

(٥) زيادة من ت، س، أ.

(٦) في ت، أ: "سلمة".

(٧) في ت: "رسول الله".

(٨) في س: "الصفحة".

(٩) في أ: "فلو سمع".

(١٠) في ت: "خر له ساجد" وهو خطأ والصواب: "ساجدا".

(١١) في ت، س::منها".." (١)

"حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قال (١) حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك -وهو عمه (٢) -قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك -أخطأ من شدة الفرح" (٣) .

وقد ثبت أيضا في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود نحوه (٤) (٥) .

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري في قوله: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ : أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته (٦) في المكان الذي يخاف أن يقتله العطش فيه" (٧) .

وقال همام بن الحارث: سئل ابن مسعود عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها؟ قال: لا بأس به، وقرأ: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ الآية رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي، عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم النخعي، عن همام فذكره (٨) .

وقوله: ﴿ويعفو عن السيئات﴾ أي: يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي، ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ أي: هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم، ومع هذا يتوب على من تاب إليه.

وقوله: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال السدي: يعني يستجيب لهم. وكذا قال ابن جرير: معناه يستجيب الدعاء لهم (٩) [لأنفسهم] (١٠) ولأصحابهم وإخوانهم. وحكاه عن بعض النحاة، وأنه جعلها كقوله: ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ [آل عمران: ١٩٥] .

ثم روى هو وابن أبي حاتم، من حديث الأعمش، عن شقيق بن سلمة، عن سلمة بن سبرة قال: خطبنا معاذ بالشام فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة. والله إني أرجو أن يدخل الله من تسبون من فارس

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٢٤/٧

والروم الجنة، وذلك بأن أحدكم إذا عمل له -يعني أحدهم عملا-قال: أحسنت رحمك (١١) الله، أحسنت بارك الله فيك، ثم قرأ: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾

---

(١) في أ: "قالا".

(٢) في ت: "عمه رضي الله عنه".

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٧) .

(٤) في ت: "مثله".

(٥) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٤) .

(٦) في ت: "راحلته".

(٧) تفسير عبد الرزاق (١٥٦/٢) وقد روى متصلا، فرواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام ابن منبه عن أبي هريرة به.

(٨) تفسير الطبري (١٨/٢٥) .

(٩) في ت، م: "لهم الدعاء".

(١٠) زيادة من ت، م.

(١١) في ت، م، أ: "يرحمك".." (١)

"الرجعة إلى الدنيا، ﴿يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾ ، كما قال [تعالى] (١) ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ [الأنعام:٢٧، ٢٨] .

وقوله: ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أي: على النار ﴿خاشعين من الذل﴾ أي: الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله، ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ قال مجاهد: يعني ذليل، أي ينظرون إليها مسارقة خوفا منها، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة، وما هو أعظم مما في نفوسهم، أجارنا الله من ذلك.

﴿وقال الذين آمنوا﴾ أي: يقولون يوم القيامة: ﴿إن الخاسرين﴾ أي: الخسار (٢) الأكبر ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ أي: ذهب بهم إلى (٣) النار فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم، (٤) فخسروهم، ﴿ألا إن الظالمين في عذاب

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٠٥/٧

مقيم﴾ أي: دائم سرمدي أبدي، لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها.

وقوله: ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ أي: ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال، ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ أي: ليس له خلاص.

﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨) ﴾

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له، فقال: ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ أي: إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون، وليس له دافع ولا مانع.

وقوله: ﴿ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير﴾ أي: ليس لكم حصن تتحصنون فيه، ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه، فتغيبون عن بصره، تبارك وتعالى، بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته، فلا ملجأ منه إلا إليه، ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر. كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر﴾ [القيامة:١٠-١٢] .

وقوله: ﴿فإن أعرضوا﴾ يعني: المشركين ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ أي: لست عليهم بمصيطر. وقال تعالى: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [البقرة:٢٧٢] ، وقال تعالى: ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ [الرعد:٤٠] وقال هاهنا: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ أي: إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم.

---

(١) زيادة من ت.

(٢) في أ: "الخاسر".

(٣) في ت: "في".

(٤) في ت: "وأقربائهم".." (١)

"ثم قال تعالى: ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها**﴾ أي: إذا أصابه رخاء **ونعمة فرح بذلك**، ﴿وإن تصبهم﴾ يعني الناس ﴿سيئة﴾ أي: جدب ونقمة وبلاء وشدة، ﴿فإن الإنسان كفور﴾ أي: يجحد ما تقدم من النعمة (١) ولا يعرف إلا الساعة الراهنة، فإن أصابته نعمة أشر وبطر، وإن أصابته محنة يئس

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢١٥/٧

وقنط، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [للنساء] (٢) يا معشر النساء، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار" فقالت امرأة: ولم يا رسول الله؟ قال: "لأنكن تكثرن الشكاية، وتكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يوما قالت: ما رأيت منك خيرا قط" (٣) وهذا حال أكثر الناس (٤) إلا من هداه الله وألهمه رشده، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فالمؤمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن" (٥) .

﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠) ﴾

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، و ﴿يهب لمن يشاء إناثا﴾ أي: يرزقه البنات فقط -قال البغوي: ومنهم لوط، عليه السلام ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ أي: يرزقه البنين فقط. قال البغوي: كإبراهيم الخليل، عليه السلام -لم يولد له أنثى،. ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾ أي: ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، أي: من هذا وهذا (٦) . قال البغوي: كمحمد، عليه الصلاة والسلام ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ أي: لا يولد له. قال البغوي: كيحيى وعيسى، عليهما السلام، فجعل الناس أربعة أقسام، منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا وإناثا، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيما لا نسل له ولا يولد له، ﴿إنه عليم﴾ أي: بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام، ﴿قدير﴾ أي: على من يشاء، من تفاوت الناس في ذلك.

وهذا المقام شبيه بقوله تعالى عن عيسى: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ [مريم: ٢١] أي: دلالة لهم على قدرته، تعالى وتقدس، حيث خلق الخلق على أربعة أقسام، فآدم، عليه السلام، مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى، وحواء عليها السلام، [مخلوقة] (٧) من ذكر بلا أنثى، وسائر الخلق سوى عيسى [عليه السلام] (٨) من ذكر وأنثى، وعيسى، عليه السلام، من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى ابن مريم، عليهما السلام؛ ولهذا قال: ﴿ولنجعله آية للناس﴾ ، فهذا المقام في الآباء، والمقام الأول في الأبناء، وكل منهما أربعة أقسام، فسبحان العليم القدير.

---

(١) في ت، م: "النعم".

(٢) زيادة من ت، م، أ.

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٧٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وبرقم (٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في ت، م: "النساء".

(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٦) في ت: "هذا من هذا".

(٧) زيادة من ت.

(٨) زيادة من ت، م، وفي أ: "عيسى ابن مريم عليهما السلام".." (١)

"وكذا قال مجاهد: إن الروح: الاستراحة.

وقال أبو حزرة: الراحة من الدنيا. وقال سعيد بن جبير، والسدي: الروح: الفرح. وعن مجاهد: ﴿فروح وريحان﴾ : جنة ورخاء. وقال قتادة: فروح ورحمة (١) . وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير: ﴿وريحان﴾ : ورزق.

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، ﴿وجنة نعيم﴾ .

وقال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيقبض روحه فيه.

وقال محمد بن كعب: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم: أمن أهل الجنة هو أم [من] (٢) أهل النار؟

وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت [في الحياة الدنيا وفي الآخرة] ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ، (٣) ، ولو كتبت هاهنا لكان حسنا! ومن جملتها حديث تميم الداري، عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يقول الله لملك الموت: انطلق إلى فلان (٤) فأتني به، فإنه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب، ائتني به فلأريحنه. قال: فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة، معهم أكفان وحنوط من الجنة، ومعهم ضبائر الريحان، أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك".

وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم (٥) ، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية: قال (٦) الإمام أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا هارون، عن بديل بن ميسرة (٧) ، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة أنها

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢١٦/٧

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿فروح وريحان﴾ برفع الراء.

وكذا رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، من حديث هارون -وهو ابن موسى الأعور-به (٨) ، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديثه.

وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده، وخالفه الباقون فقرؤوا: ﴿فروح﴾ بفتح الراء.

---

(١) في أ: "فروح وريحان".

(٢) زيادة من أ.

(٣) زيادة من م.

(٤) في م، أ: "إلى وليي".

(٥) انظر: تفسير سورة إبراهيم الآية: ٢٧.

(٦) في م: "فقال".

(٧) في أ: "بن قيس".

(٨) المسند (٦/٦٤) وسنن أبي داود برقم (٣٩٩١) وسنن الترمذي برقم (٢٩٣٨) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٥٦٦) .." [1]

"وقوله: ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا (١) للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا على ما فاتكم، فإنه (٢) لو قدر شيء لكان ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أي: جاءكم، ويقرأ: "آتاكم" أي: أعطاكم. وكلاهما متلازمان، أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم (٣) الله أشرا وبطرا، تفخرون بها على الناس؛ ولهذا قال: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ أي: مختال في نفسه متكبر فخور، أي: على غيره.

وقال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن **اجعلوا الفرح شكرا** والحزن صبرا.

ثم قال: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ أي: يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه، ﴿ومن يتول﴾ أي: عن أمر الله وطاعته ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾ كما قال موسى عليه السلام: ﴿إن تكفروا أنتم ومن

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٤٩/٧

في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد﴾ [إبراهيم: ٨] .

---

(١) في أ: "كتابنا".

(٢) في م: "لأنه".

(٣) في أ: "نعمة".." (١)

"لهم منها.

وقوله: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ أي: حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا، هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل، أي: بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل.

﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا (٢٥) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٧) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٢٨) ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس: إنه لا علم له بوقت الساعة، ولا يدري أقريب وقتها أم بعيد؟ ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا﴾ ؟ أي: مدة طويلة.

وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه السلام، لا يؤلف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب. وقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها، ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا محمد، فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" (١) ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد، متى الساعة؟ قال: "ويحك. إنها كائنة، فما أعددت لها؟ ". قال: أما إني لم أعد لها كثير (٢) صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله. قال: "فأنت مع من أحببت". قال أنس: **فما فرح المسلمون** بشيء فرحهم بهذا الحديث (٣)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن مصفى، حدثنا محمد بن حمير (٤) حدثني أبو بكر بن أبي مريم، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا بني

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/٢٧

آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده، إنما توعدون لآت" (٥)

وقد قال أبو داود في آخر "كتاب الملاحم": حدثنا موسى بن سهيل، حدثنا حجاج بن إبراهيم، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم" (٦)

---

(١) هو جزء من حديث جبريل الطويل، رواه مسلم في صحيحه برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) في م: "كبير".

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٣٩) من حديث أنس، رضي الله عنه.

(٤) في أ: "محمد بن جبير".

(٥) ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٠٥٦٤) من طريق الحسن بن سفيان، عن محمد بن المصفي، به.

(٦) سنن أبي داود برقم (٤٣٤٩) ،، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/٤٢٤) من طريق ابن وهب، به. وقال الحاكم: "صحيح على شرطهما ولم يخرجاه".." [١]

"وقوله: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ أي: بشماله من وراء ظهره، تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك، ﴿فسوف يدعو ثبورا﴾ أي: خسارا وهلاكا، ﴿ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا﴾ أي: فرحا لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه **ذلك الفرح اليسير** الحزن الطويل، ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته. قاله ابن عباس، وقتادة، وغيرهما. والحور: هو الرجوع. قال الله: ﴿بلى إن ربه كان به بصيرا﴾ يعني: بلى سيعيده الله كما بدأه، ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه ﴿كان به بصيرا﴾ أي: عليما خبيرا.

﴿فلا أقسم بالشفق (١٦) والليل وما وسق (١٧) والقمر إذا اتسق (١٨) لتركبن طبقا عن طبق (١٩) فما لهم لا يؤمنون (٢٠) وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون (٢١) بل الذين كفروا يكذبون (٢٢) والله أعلم بما يوعون (٢٣) فبشرهم بعذاب أليم (٢٤) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (٢٥) ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/٢٤٦

روي عن علي، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وأبي هريرة، وشداد بن أوس، وابن عمر، ومحمد بن علي بن الحسين، ومكحول، وبكر بن عبد الله المزني، وبكير (١) بن الأشج، ومالك، وابن أبي ذئب، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا: الشفق: الحمرة.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خثيم (٢) عن ابن لبيبة، عن أبي هريرة قال: الشفق: البياض (٣) .

فالشفق هو: حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس-كما قاله مجاهد-وإما بعد غروبها-كما هو معروف (٤) عند أهل اللغة.

قال الخليل بن أحمد: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق.

وقال الجوهري: الشفق: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة. وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وقت المغرب ما لم يغب الشفق" (٥) .

ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل. ولكن صح عن مجاهد أنه

---

(١) في أ: "وبكر".

(٢) في أ: "خيثم".

(٣) تفسير عبد الرزاق (٢/٢٩٢) .

(٤) في م: "كما هو المعروف".

(٥) صحيح مسلم برقم (٦١٢) .." (١)

"جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا. فيسكن بذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع. فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك.

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري (١) وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى، فمن أراده فهو هناك محرر، ولله الحمد والمنة.

فأول شيء [نزل] (٢) من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات (٣) وهن أول رحمة رحم الله بها العباد،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٥٨/٨

وأول نعمة أنعم الله بها عليهم. وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة (٤) . وفيه أيضا: "من عمل بما علم رزقه (٥) الله علم ما لم يكن [يعلم] (٦)
.

﴿كلا إن الإنسان ليطغى (٦) أن رآه استغنى (٧) إن إلى ربك الرجعى (٨) أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى (١٠) أرأيت إن كان على الهدى (١١) أو أمر بالتقوى (١٢) أرأيت إن كذب وتولى (١٣) ألم يعلم بأن الله يرى (١٤) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (١٥) ناصية كاذبة خاطئة (١٦) فليدع ناديه (١٧) سندع الزبانية (١٨) كلا لا تطعه واسجد واقترب (١٩) ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله. ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ أي: إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك: من أين جمعته؟ وفيم صرفته؟

قال ابن أبي حاتم: حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو عميس، عن عون قال: قال عبد الله: منهومان لا يشبعان، صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان،

---

(١) المسند (٦/٢٣٢) وصحيح البخاري برقم (٣، ٤، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢، ٤٩٥٥، ٣٣٩٢) وصحيح مسلم برقم (١٦٠) .

(٢) زيادة من م، أ.

(٣) في م: "المباركة".

(٤) جاء عن عمر -رضي الله عنه- موقوفا، رواه الحاكم في المستدرك (١/١٠٦) وابن أبي شيبة في المصنف (٩/٤٩) والدارمي في السنن برقم (٥٠٣) . وعن أنس موقوفا، رواه الحاكم في المستدرك (١/١٠٦) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص٣٦٨) ، وجاء مرفوعا من حديث أنس، رواه الخطيب في تقييد العلم (ص ٧٠) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص ٣٦٨) . ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رواه الحاكم في المستدرك (١/١٠٦) وابن عبد البر في جمع بيان العلم (١/٧٣) والموقوف

أصح.

(٥) في م: "أورثه".

(٦) زيادة من م، أ.." (١)

"به كما يبس الرجل بدابته، فإذا سكن له زنقه -أو: ألجمه". قال أبو هريرة: وأنتم ترون ذلك، أما المزنوق فتراه مائلا-كذا-لا يذكر الله، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله، عز وجل. تفرد به أحمد (١) .

وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس الخناس﴾ قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس. وكذا قال مجاهد، وقتادة.

وقال المعتمر بن سليمان، عن أبيه: ذكر لي أن الشيطان، أو: الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس.

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿الوسواس﴾ قال: هو الشيطان يأمر، فإذا أطيع خنس.

وقوله: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ هل يختص هذا ببني آدم -كما هو الظاهر -أو يعم بني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا.

وقال ابن جرير: وقد استعمل فيهم (رجال من الجن) فلا بدع في إطلاق الناس عليهم.

وقوله: ﴿من الجنة والناس﴾ هل هو تفصيل لقوله: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ ثم بينهم فقال: ﴿من الجنة والناس﴾ وهذا يقوي القول الثاني. وقيل قوله: ﴿من الجنة والناس﴾ تفسير للذي يوسوس في صدور الناس، من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [الأنعام: ١١٢] ، وكما قال الإمام أحمد:

حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، حدثنا أبو عمر الدمشقي، حدثنا عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد، فجلست، فقال: "يا أبا ذر، هل صليت؟ ". قلت: لا. قال: "قم فصل". قال: فقمت فصليت، ثم جلست فقال: "يا أبا ذر، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن".

قال: قلت: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: "نعم". قال: قلت: يا رسول الله، الصلاة؟ قال: "خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر". قلت: يا رسول الله فما الصوم؟ قال: "فرض يجزئ، وعند الله مزيد". قلت: يا رسول الله، فالصدقة؟ قال: "أضعاف مضاعفة". قلت: يا رسول الله، أيها (٢) أفضل؟

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٣٧/٨

قال: "جهد من مقل، أو سر إلى فقير". قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال: "آدم". قلت: يا رسول الله، ونبي (٣) كان؟ قال: "نعم، نبي مكلم". قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: "ثلثمائة وبضعة عشر، جما غفيرا". وقال مرة: "خمسة عشر". قلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟

---

(١) المسند (٢/٢٣٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (١/٢٤٢) : "رجاله رجال الصحيح".

(٢) في م: "فأيها".

(٣) في م: "ونبيا".." [1]

"وإنما خص الذهب والفضة بالذكر من بين سائر الأموال؛ لأنهما الأصل المعتبر في الأموال، وهما اللذان يقصدان بالكنز، ثم قال: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي: فأخبرهم على سبيل التهكم لأن الذين يكنزون الذهب والفضة، إنما يكنزوهما، ليتوسلوا بهما إلى تحصيل الفرج يوم الحاجة فقيل: هذا يوم الفرج، كما يقال: تحيتهم ليس إلا الضرب، وإكرامهم ليس إلا الشتم وأيضا: فالبشارة: عبارة عن الخير الذي يؤثر في القلب؛ فيتغير بسببه لون بشرة الوجه وهذا يتناول ما إذا تغيرت البشرة **بسبب الفرح أو** بالغم.

قوله: «يوم يحمى» منصوب بقوله: «بعذاب أليم» .

وقيل: بمحذوف يدل عليه «عذاب» أي: يعذبون يوم يحمى، وقيل: هو منصوب ب «أليم» . وقيل: الأصل: عذاب يوم، و «عذاب» بدل من «عذاب» الأول، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه.

وقيل: منصوب بقول مضمر، وسيأتي بيانه.

و «يحمى» يجوز أن يكون من «حمتي أو أحميت ثلاثيا ورباعي ا، يقال: حميت الحديدة، وأحميتها، أي: أوقدت عليها، لتحمى، والفاعل المحذوف هو» النار «تقديره: يوم تحمى النار عليها، فلما حذف الفاعل، ذهب علامة التأنيث، لذهابه كقولك: رفعت القضية إلى الأمير، ثم تقول: رفع إلى الأمير.

وقيل: لأن تأنيث» النار «مجازي، والفعل غير مسند في الظاهر إليه، بل إلى قوله» عليها «فلهذا حسن التذكير والتأنيث.

وقيل: المعنى: يحمى الوقود. وقرأ الحسن» تحمى «بالتاء من فوق، أي: النار، وهي تؤيد التأويل الأول.

وقرأ أبو حيوة» يكوى «بالياء من تحت؛ لأن تأنيث الفاعل مجازي.

وقرأ الجمهور:» جباههم «بالإظهار وقرأ أبو عمرو في بعض طرقه بالإدغام، كما أدغم ﴿سلككم﴾ [المدثر:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/٥٤٠

٤٢] ، و ﴿مناسككم﴾ [البقرة: ٢٠٠] ، ومثل» جباههم «، ﴿وجوههم﴾ [آل عمران: ١٠٦] ، والمشهور الإظهار.

قوله: ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ أي: جزاء ما كنتم؛ لأن المكنوز لا يذاق و» ما «يجوز أن تكون بمعنى» الذي «، فالعائد محذوف، وأن تكون مصدرية. وقرىء» تكنزون «بضم عين المضارع، وهما لغتان، يقال: كنز يكنز، ويكنز، ك: يقتل.." (١)

"جهات إذا كانت المعصية مما تتعدى كمن أعان على ظلم مسلم من قتله أو أخذ ماله.

فإن قيل: لم خصت هذه الأعضاء؟ فالجواب من وجوه:

أحدها: أن المقصود من كسب الأموال، **حصول فرح القلب**، فيظهر أثره في الوجه، وحصول الشبع ينفتح بسببه الجنبان، وليس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم، فلما طلبوا تزيين هذه الأعضاء الثلاثة، حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور.

وثانيها: أن هذه الاعضاء مجوفة وفي داخلها آلات ضعيفة يعظم تألمها بسبب وصول أدنى أثر غليها، بخلاف سائر الأعضاء.

وثالثها: قال أبو بكر الوراق: خصت هذه المواضع بالذكر؛ لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وإذا جلس الفقير بجنبه تباعد عنه وولى ظهره.

ورابعها: أنهم يكوون على الجهات الأربع، أما من مقدمه فعلى الجبهة، وأما من خلفه فعلى الظهر، وأما من يمينه ويساره فعلى الجنبين.." (٢)

"الظفر بالعدو، والاستيلاء عليهم. وقال الزجاج: المعنى: إذا صرنا مغلوبين، صرنا مستحقين للأجر العظيم، والثواب الكثير، وإن صرنا غالبين، صرنا مستحقين للثواب في الآخرة وفزنا بالمال الكثير، والثناء الجميل في الدنيا والصحيح الأول.

ثم قال:» هو مولانا «ناصرنا، وحافظنا. قال الكلبي» هو أولى بنا من أنفسنا، في الحياة والموت «. ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وهذا كالتنبيه على أن حال المنافقين بالضد من ذلك، وأنهم لا يتوكلون إلا على الأسباب الدنيوية الفانية.

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٠/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٣/١٠

﴿قل هل تربصون بنآ إلا إحدى الحسنيين﴾ الآية.

هذا الجواب الثاني **عن فرح المنافقين** بمصائب المؤمنين، أي:» هل تربصون «، أي: تنتظرون،» بنا «أيها المنافقون، ﴿إلا إحدى الحسنيين﴾ إما النصر والغنيمة، فيحصل لنا الفوز بالأموال في الدنيا والنصر، والفوز بالثواب العظيم في الآخرة، وإما الشهادة، فيحصل لنا الثواب العظيم في الآخرة.

قوله: ﴿إلا إحدى الحسنيين﴾ مفعول» تربص «، فهو استثناء مفرغ. وقرأ ابن محيصن:» إلا احدى «بوصل ألف» إحدى «؛ إجراء لهمزة القطع مجرى همزة الوصل؛ فهو كقول الشاعر: [الرجز]

٢٧٩٤ - إن لم أقاتل فالبسوني برقعا ... وقول الآخر: [الكامل]

٢٧٩٥ - يا با المغيرة رب أمر معضل ... فرجته بالمكر مني والدها

قوله: ﴿ونحن نتربص بكم﴾ إحدى السوأتين إما ﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ فيهلككم كما أهلك تلك الأمم الخالية، ﴿أو بأيدينا﴾ أي: بأيدي المؤمنين، إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق، فيقع بكم القتل والنهب مع الخزي والذل، ومفعول: التربص» أن يصيبكم «ثم قال:» فتربصوا «أي: إحدى الحالتين الشريفتين ﴿إنا معكم متربصون﴾ أي: مواعيد الله من إظهار دينه، واستئصال من خالفه، فقوله:» فتربصوا «وإن كان صيغة أمر، إلا أن المراد منه: التهديد، كقوله: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩] .

قوله تعالى: ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها﴾ الآية.

» طوعا، أو كرها «مصدران في موضع الحال، أي: طائعين، أو كارهين. وقرأ." [١]

"قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم﴾ الآية.

«بمقعدهم» متعلق ب «فرح» ، وهو يصلح لمصدر «قعد» ، وزمانه ومكانه.

قال الجوهري «قعد قعودا ومقعدا» ، جلس، وأقعده غيره «والمخلف: المتروك، أي: خلفهم الله وثبطهم، أو خلفهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - والمؤمنون، لما علموا تثاقلهم عن الجهاد والمراد ب» المقعد «ههنا المصدر، أي؛ بقعودهم وإقامتهم بالمدينة. وقال ابن عباس: يريد: المدينة؛ فعلى هذا هو اسم مكان.

فإن قيل: إنهم احتالوا حتى تخلفوا عن رسول الله؛ فكان الأولى أن **يقال: فرح المتخلفون** فالجواب من وجوه:

أحدها: أن الرسول عليه الصلاة والسلام منع أقواما من الخروج معه لعلمه أنهم يفسدون ويشوشون، وكان

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٣/١٠

هذا في غزوة تبوك؛ فهؤلاء كانوا مخلفين لا متخلفين.

وثانيها: أن أولئك المتخلفين صاروا مخلفين في قوله بعد هذه الآية: ﴿فإن رجعك الله إلى طآئفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا مۂي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا﴾ [التوبة: ٨٣] ، فلما منعهم الله من الخروج صاروا مخلفين.

وثالثها: أن من يتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خروجه إلى الجهاد، يوصف بأنه مخلف من حيث إنه لم ينهض، وبقي وأقام.

قوله: ﴿خلاف رسول الله﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر مدلول عليه بقوله» مقعدهم «؛ لأنه في معنى تخلفوا، أي: تخلفوا خلاف رسول الله.

الثاني: أن» خلاف «مفعول من أجله، والعامل فيه إما» فرح «، وإما» مقعد «أي: فرحوا؛ لأجل مخالفتهم رسول الله، حيث مضى هو للجهاد، وتخلفوا هم عنه، أو بقعودهم لمخالفتهم له، وإليه ذهب الطبري، والزجاج، ومؤرج، وقطرب، ويؤيد ذلك قراءة من قرأ» خلف «بضم الخاء وسكون اللام.

والثالث: أن ينتصب على الظرف، أي: بعد رسول الله، يقال: أقام زيد خلاف القوم، أي: تخلف بعد ذهابهم.." (١)

"قال الأخفش وأبو عبيدة: إن» خلاف «بمعنى:» خلف «، وأن يونس رواه عن عيسى بن عمر ومعناه: بعد رسول الله. ويؤيده قراءة ابن عباس، وأبو حيوة، وعمرو بن ميمون» خلف «بفتح الخاء وسكون اللام.

وعلى هذا القول، الخلاف: اسم للجهة المعينة كالخلف، وذلك أن المتوجه إلى قدامه فجهة خلفه مخالفة لجهة قدامه في كونها جهة متوجها إليها، و» خلاف «بمعنى» خلف «مستعمل، وأنشد أبو عبيدة للأحوص: [الكامل]

٢٨١٩ - عقب الربيع خلافهم فكأنما ... بسط الشواطب بينهن حصيرا

وقول الآخر: [الطويل]

٢٨٢٠ - فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى ... تأهب لأخرى مثلها فكأن قد

قوله تعالى: ﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ أي: إنهم فرحوا بسبب التخلف، وكرهوا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥٨/١٠

الذهاب إلى الغزو.

واعلم **أن الفرح بالإقامة** يدل على كراهية الذهاب، إلا أنه أعاده للتأكيد، أو لعل أن المراد أن طبعه مال إلى الإقامة؛ لأجل إلفه البلدة، واستئنائه بأهله وولده، وكره الخروج إلى الغزو؛ لأنه تعريض للمال والنفس للقتل، وأيضا منعهم عن الخروج شدة الحر في وقت خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المراد من قوله: ﴿لا تنفروا في الحر﴾ ، فأجاب الله عن هذا الأخير بقوله: ﴿قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾ أي: يعلمون، وكذلك في مصحف عبد الله بن مسعود، أي: بعد هذه الدار، دار أخرى، وبعد هذه الحياة حياة أخرى، وأيضا هذه مشقة منقضية، وتلك مشقة باقية.

وأنشد الزمخشري لبعضهم: [الطويل]

٢٨٢١ - مسرة أحقاب تلقيت بعدها ... مساءة يوم أريها شبه الصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة ... وراء تقضيها مساءة أحقاب

قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ الآية.

«قليلا» ، و «كثيرا» فيهما وجهان:." (١)

"أن يكون الجمع أخص من الواحد، فإن العرب هذا الجيل الخاص، سواء سكن البوادي، أم سكن القرى.

وأما الأعراب، فلا يطلق إلا على من كان يسكن البوادي فقط، وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] ، أول الفاتحة. ولهذا الفرق نسب إلى «الأعراب» على لفظه فقيل: أعرابي ويجمع على «أعاريب» . قال أهل اللغة: «يقال: رجل عربي، إذا كان نسبه في العرب، وجمعه العرب، كما يقال: يهودي ومجوسي، ثم تحذف ياء النسب في الجمع، فيقال: اليهود والمجوس، ورجل أعرابي بالألف إذا كان بدويا، ويطلب مساقط الغيث والكلأ، سواء كان من العرب، أو من مواليهم. ويجمع الأعرابي على الأعراب، والأعاريب، والأعرابي إذا قيل له: يا **عربي، فرح والعربي** إذا قيل له: يا أعرابي، غضب، فمن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومن نزل البادية فهم أعراب ويدل على الفرق قوله عليه الصلاة والسلام » حب العرب من الإيمان «وأما الأعراب فقد ذمهم الله تعالى في هذه الآية. وأيضا لا يجوز أن يقال للمهاجرين والأنصار أعراب، إنما هم عرب، وهم متقدمون في مراتب الدين على الأعراب، قال عليه الصلاة والسلام » لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا أعرابي مهاجرا «.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥٩/١٠

فصل

قال بعض العلماء: الجمع المحلى بالألف واللام الأصل فيه أن ينصرف إلى المعهود السابق فإن لم يوجد المعهود السابق، حمل على الاستغراق للضرورة، قالوا: لأن صيغة الجمع تكفي في حصول معناها الثلاثة فما فوقها، والألف واللام للتعريف، فإن حصل جمع هو معهود سابق؛ وجب الانصراف إليه، وإن لم يوجد حمل على الاستغراق، دفعا للإجمال. قالوا: إذا ثبت هذا فقوله:» الأعراب «المراد منه جمع معينون من منافقي الأعراب، كانوا يوالون منافقي المدينة، فانصرف هذا اللفظ إليهم.

فصل

سمي العرب عربا، لأن أباهم: يعرب بن قطعان، فهو أول من نطق بالعربية، وقيل: سموا عربا؛ لأن ولد إسماعيل نشئوا ب» عربة «وهي تهامة، فنسبوا إلى بلدهم." (١)

"مصدر سمن يسمن فهو سمين، فالاسم والمصدر، جاءا على غير قاس؛ إذا قياسهما «سمن» بفتح الميم فهو سمن بسكرها؛ **نحو فرح فرحا** فهو فرح.

قال الزمخشري: «فإن قلت: هل من فوق بين إيقاع سمان صفة للتمييز: وهو بقرات دون المميز: سبع بقرات سمانا؟ قلت: إذا أوقعتها صفة ل» بقرات «، فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات، وهو السمان منهم، لا بجنسهن، ولو وصفت السبع بها، لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن.

فإن قلت: هلا قيل:» سبع عجاف «على الإضافة.

قلت: التمييز موضوع الجنس، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده، فإن قلت: فقد يقولون: ثلاثة فرسان، وخمسة أصحاب، لبيان؛ قلت: الفارس، والصاحب، والراكب، ونحوها صفات جرت مجرى الأسماء؛ فأخذت حكمها، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها، ألا تراك ألا تقول: عندي ثلاثة ضخام ولا أربعة غلاظ.

فإن قلت: ذلك مما يشكل، وما نحن بسبيله لا إشكال فيه، ألا ترى أنه لم يقل: وبقرات سبع عجاف؛ لوقوع العلم بأن المراد البقرات قلت: ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل، وقد وقع الاستغناء عن قولك: سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف «انتهى.

وهي أسئلة وأجوبة حسنة، وتحقيق السؤال الأول وجوابه: أنه يلزم من وصف التمييز بشيء وصف المميز

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠/١٧٩

به، ولا يلزم من وصف المميز وصف التمييز بذلك الشيء؛ بيانه: أنك إذا قلت:» عندي أربعة رجال حسان «بالجر، كان معناه: أربعة من الرجال الحسان؛ فيلزم حسن الإربعة؛ لأنهم بعض الرجال الحسان، وإذا قلت: عندي أربعة رجال حسان برفع حسان كان معناه: أربعة من الرجال حسان، وليس فيه دلالة على وصف الرجال بالحسن.

وتحقيق الثاني وجوابه: أن أسماء العدد لا تضاف إلى الأوصاف إلا في ضرورة وإنما يجاء بها تابعة لأسماء [العدد] ؛ فيقال: عندي ثلاثة قرشيون، ولا يقال ثلاثة قرشيين بالإضافة إلا في شعر، ثم أعترض بثلاثة فرسان، وأجاب بجريان ذلك مجرى الأسماء.

وتحقيق الثالث: أنه إنما امتنع» ثلاثة ضخام «ونحوه؛ لأنه لا يعلم موصوفه، بخلاف الآية الكريمة، فإن الموصوف معلوم، ولذلك لم يصرخ به.." (١)

"عنها وأما واقعة يوسف صلوات الله وسلامه عليه فهو عليه السلام كان يعلم كذبهم في السبب الذي ذكروه، وأما السبب الحقيقي، فلم يعلمه.

وأيضا: أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم حياة هؤلاء، وأما يوسف فما كان يعلم أنه حي، أو ميت، فلهذه الأسباب عظم حزنه على مفارقته.

قوله: ﴿ياأسفا﴾ الألف منقلبة عن ياء المتكلم، وإنما قلبت ألفا؛ لأن الصوت معها أتم، ونداؤه على سبيل المجاز، كأنه قال: هذا أوانك فاحضر، نحو: «يا حسرتا» .

وقيل هذه ألف الندبة، وحذفت هاء السكت وصلا.

قال الزمخشري: والتجانس بين لفظتي الأسف، ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح، ويبدع، ونحوه: ﴿اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم﴾ [التوبة: ٣٨] ﴿ينهون عنه وينأون عنه﴾ [الأنعام: ٢٦] ﴿يحسبون أنهم يحسنون﴾ [الكهف: ١٠] ﴿من سبإ بنبإ﴾ [النمل: ٢٢] .

قال شهاب الدين: ويسمى هذا النوع تجنيس التصريف، وهو أن تشترك الكلمتان في لفظ، ويفرق بينهما بحرف ليس في الأخرى، وقد تقدم [الأنعام: ٢٦] .

وقرأ ابن عباس، مجاهد «من الحزن» بفتحتين، وقتادة بضمتين والعامة بضمة فسكون.

فالحزن، والحزن، كالعدم، والعدم، والبخل والبخل، وأما الضمتان فالثانية إتباع. وقال الواحدي: اختلفوا في الحزن، الحزن، فقال قوم: الحزن: البكاء والحزن ضد الفرح، وقال قوم: هما لغتان، يقال: أصابه حزن شديد

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/١١٣

وحزن شديد، إذا كان في مواضع النصب، فتحوا الحاء، والزاي كقوله: ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا﴾ [التوبة: ٩٢] ، وإذا كان في موضع الرفع، والخفض فبضم الحاء، كقوله: ﴿من الحزن﴾ وقوله: ﴿إنمآ أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ قال: هما في موضع رفع بالابتداء.

و «كضيم» يجوز أن يكون مبالغة بمعنى فاعل، وأن يكون بمعنى مفعول، كقوله: ﴿وهو مكظوم﴾ [القلم: ٤٨] وبه فسره الزمخشري، فإن كان بمعنى الكاظم فهو الممسكل على حزنه فلا يظهره، وإن كان بمعنى المكظوم، فقال ابن قتيبةك »معناه المملوء من الهم، والحزن مع سد طريق نفسه المصدور، من كظم السقاء، إذا اشتد على ملئه، ويجوز أن يكون بمعنى مملوء من الغيظ على أولاده» .

فصل

تقدم الكلام على الأسف، وأما قوله: ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ فقيل: إنه لما قال:." (١)

"وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم، قال له العباس رضي الله عنه: «إذا أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتل عليه: ﴿قال لا تثريب عليكم﴾ ففعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك» .

وروي: أن أخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا إليه: إنا نستحي منك لما صدر منا من الإساءة إليك، فقال يوسف: إن أهل مصر لو ملكت فيهم، فإنهم ينظرون إلي بالعين الإولى، ويقولون: سبحان الذي بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ، ولقد شرفت بإتيانكم، وعظمت في العيون لما جئتم، علم الناس أنكم إخوتي، وأني من حفدة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم سألهم عن أبيه، فقال: ما فعل أبي من بعدي قالوا: ذهبت عيناه؛ فأعطاهم قميصه وقال: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ أي يعيده مبصرا، وقيل: يأتيني بصيرا.

قال الحسن رضي الله عنه: لم يعلم أنه يعود بصيرا إلا بالوحي؛ لأن العقل لا يدل عليه وقال الضحاك: كان ذلك القميص من نسيج الجنة.

وعن مجاهد: أمره جبريل صلوات الله عليه أن يرسل قميصه، وكان ذلك القميص قميص إبراهيم عليه الصلام وذلك أنه جرد من يثابه، وألقي في النار عريانا، فآتاه جبريل بمقيص من حرير الجنة، فألبسه إياه، فكان ذلك عند إبراهيم فلما مات إبراهيم عليه السلام ورثه إسحاق، فلما مات إسحاق ورثه يعقوب، فلما شب يوسف عليه السلام جعل ذلك يعقوب في قصبة من فضة وسد رأسها، وعلقها في عنقه لما كان يخاف

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨٩/١١

عليه من العين كانت لا تفارقه، فلما ألقى في الجب عريانا جاءه جبريل عليه السلام وعلى يوسف ذلك التعويذ؛ فأخرج القميص منه، وألبسه، ففي ذلك الوقت جاءه جبريل، وقال: أرسل ذلك القميص فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى، ولا سقيم إلا عوفي، فدفع يوسف ذلك القميص إلى إخوته، وقال: ﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ أي: مبصرا وإنما أفرد بالذكر تعظيما له، وقال في الباقين: ﴿وائتوني بأهلكم أجمعين﴾ .

قال ابن الخطيب: «ويمكن أن يقال: لعل يوسف علم أن أباه ما صدر أعمى إلا من كثرة البكاء، وضيق القلبت، وذلك يضعف البصر، وإذا ألقي عليه قميصه، فلا بد وأن ينشرح صدره، وأن يحصل في **قلبه الفرح الشديد**، وذلك يقوي الروح، ويزيل الضعف عن القوى فحينئذ يقوى بصره، ويزول عنه ذلك، فهذا القدر مما يمكن معرفته بالقلب فإن القوانين الطبية تدل على صحة هذا المعنى» .

قوله: «بقميصي» يجوز أن يتعلق بما قبله على أن الباء معدية كهي في «ذهبت به» وأن." (١)

"قال الواحدي:» ومعنى القدر في اللغة: قطع الشيء على مساوة غيره من غير زيادة ولا نقصان «.

وقال المفسرون في معنى» يقدر «ههنا: يضيق، لقوله ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ [الطلاق: ٧] ومعناه: أنه يعطيه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء.

وقرأ زيد بن علي:» ويقدر «بضم العين.

قوله:» وفرحوا «هذا استئناف إخبار. وقيل: بل هو عطف على صلة» الذين «قبل.

وفيه نظر؛ من حيث الفصل بين أبعاض الصلة بالخبر، وأيضا: فإن هذا ماض وما قبله مستقبل ولا يدعي التوافق في الزمان إلا أن يقال: المقصود استمرارهم بذلك أو أن الماضي متى وقع صلة صلح [للماضي] والاستقبال.

قوله «في الآخرة» ، أي في جنب الآخرة.

«إلا متاع» وهذا الجار في موضع الحال تقديره: وما الحياة القريبة الكائنة في جنب الآخرة إلا متاع ولا يجوز تعلقه بالحياة ولا بالدنيا لأنهما لا يقعان إلا في الآخرة.

ومعنى الآية: أن [مشركي] مكة أشروا وبطروا، والفرح: لذة في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على **أن الفرح بالدنيا** حرام محال ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ أي قليل ذاهب.

قوله: ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ ألآية اعلم أن كفار مكمة قالوا: يا محمد فأجابهم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٧/١١

الله بقوله ﴿إن الله يضل من يشآء ويهدي إليه من أناب﴾ .

وبيان كيفية هذا الجواب من وجوه:

أحدها: كأنه يقول: إن الله أنزل عليه آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة، لكن [الإضلال] والهداية من الله فأضلهم عن تلك الآيات وهدى إليها آخرين، فلا فائدة في تكثير الآيات والمعجزات.

وثانيها: أنه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم، وذلك لأن الآيات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام كانت أكثر من أن تصير مشتبه على العاقل فلما طلبوا بعدها آيات أخر كان في موضع التعجب والاستنكار، فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم ﴿إن الله يضل من يشآء﴾ من كان على صنيعكم من التصميم على الكفر فلا سبيل إلى هدايتكم وإن نزلت كل آية: «ويهدي» من كان على خلاف صنيعكم.." (١)

"وهذا يرد عليه: أن بعضهم جعلها في هذا الآية منصوبة بإضمار فعل، اي: وجعل لهم طوبى، وقد تأيد ذلك بقراءة عيسى الثقفي «وحسن مآب» بنصب النون، قال: إنه معطوف على «طوبى» وأنها في موضع نصب.

قال ثعلب: و «طوبى» على هذا مصدر، كما قال: «سقيا» .

وخرج هذه القراءة صاحب اللوامح على النداء، كيا أسفى على الفوت، يعنى أن «طوبى» مضاف للضمير معه واللام مقحمة؛ كقوله: [البسيط]

٣١٧٨ - ... ... يا بؤس للجهل ضرارا الأقوام

وقوله: [مجزوء الكامل]

٣١٧٨ - يا بؤس للحرب التي ... وضعت أراهط فاستراحوا

ولذلك سقط التنوين من «بؤس: كأنه قيل: يا طيبا، أي: ما أطيبهم وأحسن مآبهم.

قال الزمخشري:» ومعنى «طوبى لك» : أصحبت خيرا، و «طيبا» ومحلها النصب أو الرفع، كقولك: طيبا لك وطيب لك، وسلاما لك وسلام لك والقراءة ف يقوله «وحسن مآب» بالنصب والرفع يدل على محلها، واللام مفي «لهم» للبيان مثلها في »سقيا لك» فهذا يدل على أنها تتصربف، ولا يلزم الرمفع بالابتداء.

وقرأ مكوزوة الأعرابي: «طيبى» بكسر الطاء لتسليم الياء، نحو: بيض ومعيشة.

وقرىء: «وحسن مآب» بفتح النون ورفع «مآب» على أنه فعل ماض، أصله حسن فنقلت ضمة العين إلى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٢٩٩

الفاء قصدا للمدح، كقوله: حسن ذا أدب، و «مآب» فاعله.

فصل

قال ابن عباس رضي الله عنهما: طوبى، فرح لهم وقرة عين.

وقال عكرمة: نعم ما لهم. وقال قتادة: حسنى لهم.." (١)

"يقال: إنه جمع» وفدا «على» أوفدة «، ثم قبله فوزنه» أعفلة «كقولهم: آرام» في «أرآم» وبابه، إلا أنه جمع «فعل» على «أفعلة» نحو: «نجد وأنجدة» و «وهي وأوهية» وأم الهيثم امرأة نقل عنها شيء من اللغة.

وقريء «آفدة» بزنة ضاربة وهو يحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون مقلوبة من «أفئدة» بتقديم الهمزة على الفاء، فقلبت الهمزة ألفا فوزنه: «أعفلة» ك «آرام» في «أرآم» .

والثاني: أنها اسم فاعل: من «أفد يافد» ، أي: «قرب ودنا» . المعنى: جماعمة آفدة أو جماعات آفدة.

وقريء: أفدة «بالقصر، وفيها وجهان أيضا:

أحدهما: أن تكون اسم فالع على» فعل «ك» فرح فهو فرح «، وأن تكون مخففة من» أفئدة «بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وحذف الهمزة.

و» من «في» من الناس «فيها وجهان:

أحدهما: أنها لابتداء الغاية. قال الزمخشري:» ويجوز أن يكون «من» الابتداء الغاية، كقولك: القلب مني سقيم، تريد: قلبي، كأنه قال: أفئدة ناس، وإنما نكرت المضاف إليه في هذا التمثيل، لتنكير «أفئدة» لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة «.

قال أبو حيان:» ولا ينظر كونها للغاية؛ لأنه ليس لنا فعل يبتدأ فيه بغاية ينتهي إلهيا، إذ لا يصح حعل ابتداء الأفئدة من الناس «.

والثاني: أنها للتعبيض، وفي التفسير: لو لم يقل من الناس لحج الناس كلهم.

قوله: تهوي» هذا هو المفعول الثاني للجعل، والعامة على: «تهوي» بكسر العين، بمعنى تسرع وتطير شوقا إليه؛ قال: [الكامل]

٣٢٢٩ - وإذا رميت به الفجاج رأيته ... يهوى مخارمها هوي الأجدل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٠٢/١١

وأصله أن يتعدى باللام، كقوله: [البسيط]

٣٢٣٠ – حتى إذا ما هوت كف الوليد بها ... طارت وفي كفه من رشها بتك

وإنما عدي بإلى؛ لأ، ه ضمن معنى تميل، كقوله: [السريع]." (١)

"قلنا: إنهم بينوا أنه تعالى بشره بالولد مع إبقائه على صفة الشيخوخة، وقولهم ﴿بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾ لايدل على أنه كان كذلك بدليل أنه صرح في جوابهم بما يدل على أنه ليس كذلك فقال: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضآلون﴾ .

وأجاب غيره: بأن الإنسان إذا كان عظيم الرغبة في شيء، وفاته الوقت الذي يغلب على ظنه حصول المراد فيه، فإذا بشر بعد ذلك بحصوله عظم فرحه، وسروره، ويصير **ذلك الفرح القوي** كالمدهش له، والمزيل لقوة فهمه، وذكائه، فربما تكلم بكلمات مضطربة في ذلك الوقت.

وقيل أيضا: إنه يستطيب تلك البشارة، فربما يعيد السؤال ليسمع تلك البشارة مرة أخرى ومرتين وأكثر طلبا للالتذاذ بسماع تلك البشارة، أو طلبا لزيادة الطمأنينة والوثوق، كقوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة: ٢٦٠] وقيل أيضا: استفهم: أبأمر الله تبشروني، أم من عند أنفسكم، واجتهادكم.

قوله: ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد بما قضى الله تعالى.

وقوله: ﴿فلا تكن من القانطين﴾ نهي لإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه عن القنوط، وقد تقدم أن النهي لإنسان عن الشيء لا يدل على كون المنهي فاعلا للمنهي عنه، كقوله جل وعز ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [الأحزاب: ٤٨] ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ [القصص: ٧٨] .

قوله: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه﴾ هذا استفهام معناه النفي، ولذلك وقع بعد الإيجاب ب «إلا» .

وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «يقنط» بكسر عين هذا المضارع حيث وقع، والباقون بفتحها وزيد بن علي والأشهب بضمها، وفي الماضي لغتان «قنط» بكسر النون، «يقنط» بفتحها، وقنط «يقنط» بكسرها، ولولا أن القراءة سنة متبعة، لكان قياس من قرأ ﴿من بعد ما قنطوا﴾ [الشورى: ٢٨] وافلتح في الماضي هو الأكثر، ولذلك أجمع عليه.

قال الفارسي: فتح النون في الماضي، وكسرها في المستقبل من أعلى اللغات، ويرجح قراءة «يقنط» بالفتح قراءة أبي عمرو في بعض الروايات «فلا تكن من القنطين» كفرحش يفرح فهو فرح.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٣٩٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٤٧٠

"غما، وحزنا، وإنما جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم؛ لأن الإنسان إذا قوي فرحه انشرح صدره، وانبسط روح قلبه من داخل البدن، ووصل إلى الأطراف، ولا سيما إلى الوجه لما بين القلب، والدماغ من التعلق الشديد، وإذا وصل الروح إلى ظاهر الوجه أشرق الوجه، وتلألأ، واستنار، وإذا قوي غم الإنسان احتقن الروح في داخل القلب، ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه، فلا جرم يصفر الوجه، ويسود، ويظهر فيه أثر الأرضية، والكآبة؛ فثبت أن من **لوازم الفرح استنارة** الوجه، وإشراقه، ومن لوازم الغم كمودة الوجه، وغبرته، وسواده، فلهذا قال: ﴿ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ أي ممتلئ غما «يتوارى» به من القوم يتنحى عنهم ويتغيب من سوء ما بشر.

قال المفسرون: كان الرجل في الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى واختفى عن القوم إلى أن يعلم ما يولد له، فإن كان ذكرا؛ ابتهج به وإن كان أنثى حزن، ولم يظهر أياما يدبر فيها رأيه ماذا يصنع بها؟ وهو قوله: ﴿أيمسكه على هون﴾ ، أي: أيحتبسه؟ والإمساك هنا: الحبس، كقوله: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ [الأحزاب: ٣٧] والهون: الهوان.

قال النضر بن شميل: يقال: إنه أهون عليه هونا، وهوانا، وأهنته هونا وهوانا، وقد تقدم الكلام فيه في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿عذاب الهون﴾ [الأنعام: ٩٣] .

﴿أم يدسه في التراب﴾ والدس: إخفاء الشيء في الشيء، كانت العرب يدفنون البنات أحياء خوفا من الفقر عليهن، وطمع غير الأكفاء فيهن.

قال قيس بن عاصم: يا رسول الله: «إني واريت ثماني بنات في الجاهلية، فقال - صلوات الله وسلامه عليه -: أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» ، فقال: يا نبي الله إني ذو إبل، فقال - عليه الصلاة والسلام - «أهد عن كل واحدة منهن هديا» .

وروي «أن رجلا قال: يا رسول الله: والذي بعثك بالحق نبيا ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت قد كان لي بنت في الجاهلية، وأمرت امرأتي أن تزينها وتطيبها، فأخرجتها إلي فلما انتهيت بها إلى واد بعيد القعر ألقيتها فيه، فقالت: يا أبت قتلتني، فكلما تذكرت قولها لم ينفعني شيء، فقال صلى الله عليه وسلم » ما كان في الجاهلية فقد هدمه الإسلام، وما كان في الإسلام يهدمه الاستغفار «.

واعلم أنهم كانوا مختلفين في قتل البنات، فمنهم من يذبحها، ومنهم من يحفر الحفيرة، ويدفنها إلى أن

تموت، ومنهم من يرميها من شاهق جبل، ومنهم من يغرقها، وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة، وتارة للحمية، وتارة خوفا من الفقر، والفاقة، ولزوم النفقة.." (١)

"والسلام – وكان محمد اختار يوم الجمعة، وهذه المتابعة إنما تحصل إذا قلنا: إن إبراهيم – صلوات الله وسلامه عليه – كان قد اختار في شرعه يوم الجمعة، وعند هذا القائل أن يقول: فلم اختار اليهود يوم السبت؟ .

فأجاب الله – تعالى – عنه بقوله: ﴿إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه﴾ ، وفي الآية قولان:

الأول: روى الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال: «أمرهم موسى – صلوات الله وسلامه عليه – بالجمعة، وقال: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما واحدا، وهو يوم الجمعة لا تعملوا فيه شيئا من أعمالكم، فأبوا أن يفعلوا ذلك، وقالوا: لا نريد إلا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق، وهو يوم السبت، فجعل الله – تعالى – السبت لهم، وشدد عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى – عليه الصلاة والسلام – أيضا بالجمعة، فقالت النصارى: لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا، واتخذوا الأحد» .

وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله كتب يوم الجمعة على من قبلنا، فاختلفوا فيه وهدانا الله إليه، فهم لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد» .

واعلم أن أهل الملل اتفقوا على أنه – تعالى – خلق العالم في ستة أيام، وبدأ – تعالى – بالخلق والتكوين في يوم الأحد، وتم في يوم الجمعة، وكان يوم السبت يوم الفراغ، فقالت اليهود: نحن نوافق ربنا في ترك الأعمال، فعينوا يوم السبت لهذا المعنى، وقالت النصارى: مبدأ الخلق والتكوين يوم الأحد، فنجعل هذا اليوم عيداص لنا.

وأما وجه جعل يوم الجمعة عيدا؛ فلأنه يوم كمال الخقل وتمامه، وحصول التمام والكمال **يوجب الفرح الكامل** والسرور العظيم، فجعل يوم الجمعة يوم العيد أولى.

والقول الثاني: اختلافهم في السبت هو أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه [تارة] .

قوله – تعالى –: ﴿إنما جعل﴾ العامة على بنائه للمفعول، وأبو حيوة على بنائه لل‍فاعل، و «السبت» مفعول به.

﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ، أي: يحكم للمحققين بالثواب، وللمبطلين

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢/٩٠

بالعقاب.

قوله – تعالى –: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ الآية لما أمر محمدا –." (١)

"قوله: ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ متعلق بالجواب المقدر.

يقال: ساءه يسوءه، أي: أحزنه وإنما عزا الإساءة إلى الوجوه؛ لأن آثار الأعراض الفسانية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه، فإن حصل الفرح في القلب ظهرت النضرة والإشراق والإسفار في الوجه، وإن حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد في الوجه، فلهذا عزيت الإساءة غلى الوجوه في هذه الآية، ونظير هذا المعنى في القرآن كثير.

وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر «ليسوء» بالياء المفتوحة وهمزة مفتوحة آخرا.

والفاعل: إما الله تعالى، وإما الوعد، وإما البعث، وإما النفير، والكسائي بنون العظمة، أي: لنسوء نحن، وهو موافق لما قبله من قوله ﴿بعثنا عليكم عبادا لنآ﴾ و «وددنا» و «أمددنا» وما بعده من قوله: «عدنا» و «جعلنا»

وقرأ الباقون «ليسوءوا» مسندا إلى ضمير الجمع العائد على العباد أو أولي البأس، أو على النفير؛ لأنه اسم جمع، وهو موافق لما بعده من قوله ﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا﴾ وفي عود الضمير على النفير نظر؛ لأن النفير المذكور من المخاطبين، فكيف يوصف ذلك النفير بأنه يسوء وجوههم؟ اللهم إلا أن يريد هذا القائل أنه عائد على لفظه، دون معناه؛ من باب «عندي درهم ونصفه» .

وقرأ أبي «لنسوءن» بلام الأمر ونون التوكيد الخفيفة ونون العظمة، وهذا جواب ل «إذا» ولكن على حذف الفاء، أي: فلنسوءن، ودخلت لام الأمر على فعل المتكلم؛ كقوله تعالى ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ [العنكبوت: ١٢] .

وقرأ ابن أبي طالب «ليسوءن» و «لنسوءن» بالياء والنون التي للعظمة، ونون التوكيد الشديدة، واللام التي للقسم، وفي مصحف أبي «ليسوء» بضم الهمزة من غير واو، وهذه القراءة تشبه أن تكون على لغة من يجتزئ عن الواو بالضمة؛ كقوله: [الوافر]

٣٣٨١ – فلو أن الأطبا كان حولي..... ... ...

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢/١٨٦

يريد: «كانوا حولي» وقول الآخر: [الـ كامل]

٣٣٨٢ – ... ... إذا ما الناس جاع وأجدبوا." (١)

"الثالث: أنه مفعول من أجله.

والمرح: شدة السرور والفرح؛ مرح يمرح مرحا، فهو مرح؛ كفرح يفرح فرحا، فهو فرح.

قوله: ﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾ الآية.

قرأ أبو الجراح «لن تخرق» بضم الراء، وأنكرها أبو حاتم وقال: لا نعرفها لغة البتة.

والمراد من الخرق ها هنا نقب الأرض، وذكروا فيه وجوها:

الأول: أن الشيء إنما يتم بالارتفاع والانخفاض، فكأنه قال إنك حال الانخفاض لا تقدر على خرق الأرض ونقبها، وحال الارتفاع لا تقدر على أن تصل إلى رءوس الجبال، والمعنى: أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئا، كمن يريد خرق الأرض، ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء.

والمراد التنبيه على كونه ضعيفا عاجزا، فلا يليق به التكبر.

الثاني: أن تحتك الأرض التي لا تقدر على خرقها، وفوقك الجبال التي لا تقدر على الوصول إليها، فأنت محاط بك من فوقك، ومن تحتك بنوعين من الجماد، وأنت أضعف منهما بكثير، والضعيف المحصور لا يليق به التكبر، فكأنه قيل له: تواضع، ولا تتكبر؛ فإنك خلق ضعيف من خلق الله، محصور بين حجارة وتراب، فلا تفعل فعل القوي المقتدر.

الثالث: أن من يمشي مختالا يمشي مرة على عقبيه، ومرة على صدور قدميه، فقيل له: إنك لن تنقب الأرض، إن مشيت على عقبيك، ولن تبلغ الجبال طولا، إن مشيت على صدور قدميك.

قال علي – كرم الله وجهه –: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفؤا؛ كأنما ينحط من صبب.

وروى أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: «ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدا أسرع مشية من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث» .." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢١٥/١٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨٧/١٢

"والجني: ما طاب، وصلح للاجتناء، وهو «فعيل» بمعنى مفعول أي رطبا مجنيا، وقيل: بمعنى فاعل، أي: طريا، والجنى والجني أيضا: المجتنى من العسل، وأجنى الشجر: أدرك ثمره، وأجنت الأرض: كثر جناها، واستعير من ذلك «جنى فلان جناية» كما استعير «اجترم جريمة» .

فصل في معنى الآية

المعنى جمعنا لك بين الشرب والأكل.

قال عمرو بن ميمون: ليس شيء خير من الثمر والرطب، ثم تلا هذه الآية.

وقال بعض العلماء: أكل الرطب والثمرة للمرأة التي ضربها الطلق يسهل عليها الولادة.

قال الربيع بن خيثم «ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمرض خير من العسل.

قالت المعتزلة: هذه الأفعال الخارقة للعادة كانت معجزة لزكريا وغيره من الأنبياء؛ وهذا باطل؛ لأن زكريا - صلوات الله عليه وسلامه - ما كان له علم بحالها ومكانها، فكيف بتلك المعجزات؟ بل الحق أنها كانت كرامات لمريم، أو إرهاصا لعيسى - صلوات الله عليهما -، لأن ا لنخلة لم تكن مثمرة، إذا ذاك؛ لأن ميلاده كان في زمان الشتاء، وليس ذاك وقت ثمر.

قوله تعالى: ﴿وقري عينا﴾ : نصب» عينا «على التمييز منقول من الفاعل؛ إذ الأصل: لتقر عينك، والعامة على فتح القاف من» قري «أمرا من قرت عينه تقر، بكسر العين في الماضي، وفتحها في المضارع.

وقرئ بكسر القاف، وهي لغة نجد؛ يقولون: قرت عينه تقر، بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع، والمشهور: أن مكسور العين في الماضي ل «العين» ، والمفتوحها في «المكان» يقال: قررت بالمكان اقر به، وقد يقال: قررت بالمكان بالكسر، وسيأتي ذلك في قوله تعالى ﴿وقرن في بيوتكن﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وفي وصف العين بذلك تأويلان «

أحدهما: أنه مأخوذ من» القر «وهو البرد: وذلك أن العين، **إذا فرح صاحبها**، كان دمعها قارا، باردا، وإذا حزن، كان حارا؛ ولذلك قالوا في الدعاء عليه:» أسخن الله عينه «وفي الدعاء له:» أقر الله عينه «وما أحلى قول أبي تمام - رحمه الله تعالى -: [الطويل]." (١)

"وقيل: لكن الظالمون اليوم في الآخرة في ضلال عن الجنة؛ بخلاف المؤمنين.

وقوله ﴿لكن الظالمون﴾ من إيقاع الظاهر موقع المضمر.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٩/١٣

قوله: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ هذا أمر لمحمد - صلوات الله عليه وسلم - بأن ينذر من في زمانه، والإنذار: التخويف من العذاب، لكي يحذروا ترك عبادة الله تعالى، ويوم الحسرة: هو يوم القيامة؛ لأنه يكثر التحسر من أهل النار.

وقيل: يتحسر أيضا في الجنة، إذا لم يكن من السابقين إلى الدرجات العالية؛ لقول رسول الله – صلوات الله عليه وسلامه –: «ما من أحد يموت إلا ندم، قالوا: فما ندمه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إن كان محسنا، ندم ألا يكون ازداد، وإن كان مسيئا ندم ألا يكون نزع» والأول أصح؛ لأن الحسرة [هم] ، ولا تليق بأهل الجنة.

قوله: ﴿إذ قضي الأمر﴾ : يجوز أن يكون منصوبا بالحسرة، والمصدر المعرف ب «أل» يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم، فكيف بالظرف؟ ويجوز أن يكون بدلا من «يوم» فيكون معمولا ل «أنذر» كذا قال أبو البقاء، والزمخشري وتبعهما أبو حيان، ولم يذكر غير البدل، وهذا لا يجوز إن كان الظرف باقيا على حقيقته؛ إذ يستحيل أن يعمل المستقبل في الماضي، فإن جعلت «اليوم» مفعولا به، أي: خوفهم نفس اليوم، أي: إنهم يخافون اليوم نفسه، صح ذلك لخروج الظرف إلى حيز المفاعيل الصريحة.

فصل في قوله تعالى ﴿إذ قضي الأمر﴾

في قوله تعالى: ﴿إذ قضي الأمر﴾ وجوه:

أحدها: قضي الأمر ببيان الدلائل، وشرح أمر الثواب والعقاب.

وثانيها: [إذ قضي الأمر يوم الحسرة بفناء الدنيا، وزوال التكليف، والأول أقرب؛ لقوله: ﴿وهم لا يؤمنون﴾

.

وثالثها:] «إذ قضي الأمر» فرغ من الحساب، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وذبح الموت؛ كما روي أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿إذ قضي الأمر﴾ فقال: «حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح، فيذبح، والفريقان ينظران؛ فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرح، وأهل النار غما إلى غم» .." (١)

"الصدور﴾ [العاديات: ١٠] . وحكى عن أهل النار قولهم: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠] والعقل في القلب، والسمع منفذ إليه، وقال: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء: ٣٦] والسمع والبصر لا يستفاد منهما إلا ما يؤديانه إلى القلب،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٠/١٣

وقال: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [غافر: ١٩] ولم تخن الأعين إلا بما تضمر القلوب إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الحديث فقوله – عليه السلام –: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»

وأما المعقول فإن القلب إذا غشي عليه، فإذا قطع سائر الأعضاء لم يحصل به الشعور، وإذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات.

وأيضا **فإذا فرح القلب** أو حزن فإنه يتغير حال الأعضاء عند ذلك. وأيضا فإن القلب منبع المشيئات الباعثة على الأفعال الصادر عن سار الأعضاء.

قوله: «بلسان عربي» . يجوز أن يتعلق ب «المنذرين» أي: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي، وهم: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – (و) يجوز أن يتعلق ب «نزل» أي: نزل باللسان العربي لتنذر به، لأنه لو نزل بالأعجمي لقالوا: لم نزل علينا ما لا نفهمه؟ وجوز أبو البقاء أن يكون بدلا من «به» بإعادة العامل، قال: أي نزل بلسان عربي، أي: برسالة أو لغة. قال ابن عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه.

قوله: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ . أي: وإن القرآن. وقيل: وإن محمدا ونعته ﴿لفي زبر الأولين﴾ أي: كتب الأولين. وقيل: المراد وجوه التخويف، لأن ذكر هذه الأشياء بأسرها قد تقدم، وفيه التفات، إذ لو جرى على ما تقدم لقيل: «وإنك لفي زبر» . وقرأ الأعمش: «زبر» بسكون الباء، وهي مخففة من المشهور.." (١)

"الاكتراث بذلك المال. قوله: «بل أنتم» إضراب انتقال، قال الزمخشري: فإن قلت: فما وجه الإضراب؟ قلت: لما أنكر عليهم الإمداد، وعلل إنكاره، أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو أنهم لا يعرفوهم سبب رضى إلا مما يهدى إليهم من حظوظ الدنيا التي لا يعرفون غيرها، والهدية: يجوز إضافتها إلى المهدي وإلى المهدى إليه، وهي هنا محتملة للأمرين. قال أبو حيان: وهي هنا مضافة للمهدى إليه، وهذا هو الظاهر، ويجوز أن تكون مضافة إلى المهدي، أي: بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها **تفرحون فرح افتخار**.

قال شهاب الدين: كيف يجعل الأول هو الظاهر، ولم ينقل أن سليمان – صلى الله عليه وسلم – أرسل إليهم هدية في هذه الحالة، حتى يضيفها إليهم، بل الذي يتعين إضافتها إلى المهدي. ومعنى الآية: ﴿بل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٨٠

أنتم بهديتكم تفرحون﴾ ، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم لبعض، وأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي، لأن الله تعالى قد مكنني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحدا، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة. قوله: «ارجع» الظاهر أن الضمير يعود على الرسول، وتقدمت قراءة عبد الله: «ارجعوا» ، وقيل: يعود على الهدهد. «فلنأتينهم بجنود» وهذا جواب قسم مقدر، وكذلك قوله: «ولنخرجنهم» . قوله: «لا قبل» صفة ل «جنود» ، أي: فيجري مجرى المؤنثة الواحدة كقولهم: الرجال وأعضادها. وقرأ عبد الله «بهم» على الأصل. «ولنخرجنهم منها» أي من بلادهم وأرض سبأ «أذلة» حال، والذل: أن يذهب عنهم ما كان عندهم من العز والملك. وقله: «وهم صاغرون» حال ثانية، والظاهر أنها مؤكدة، لأن «أذلة» تغني عنها. فإن قيل: قوله «فلنأتينهم» ، و «لنخرجنهم» قسم، فلا بد أن يقع." (١)

"جريج والسدي: لما قالت أخت موسى ﴿وهم له ناصحون﴾ استنكروا حالها وتفرسوا أنها قرابته، فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون، فتخلصت منهم، وهذا يسمى عند أهل البيان الكلام الموجه ومثله: لما سئل بعضهم وكان بين أقوام بعضهم يحب عليا دون غيره، وبعضهم أبا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان، فقيل له: أيهم أحب إلى رسول الله؟ فقال: من كانت ابنته تحته. وقيل لما تفرسوا أنه قرابته قالت: إنما قللت هذا رغبة في سرور الملك أمي. قالوا: ولأمك ابن؟ قالت: نعم، هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها. قالوا: صدقت، فائتينا بها، فانطلقت إلى أمه فأخبرتها بحال ابنها، وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل تديثها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا.

والنصح: إخلاص العمل من سائر الفساد.

قوله: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ برد موسى إليها، «ولا تحزن» عطف على «تقر» ، ودمعة الفرح قارة، ودمعة الترح حارة، قال أبو تمام:

٣٩٧٦ - فأما عيون العاشقين فأسخنت ... وأما عيون الشامتين فقرت

وتقدم تحقيق هذا في مريم.." (٢)

"وأجيب عن الأول أن المال إذا كان من جنس (العروض لا من جسن النقد) جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد، وأيضا أن قولهم تلك المفاتح بلغت ستين حملا ليس مذكورا في القرآن، فلا تقبل هذه الرواية، وعن الثاني أن الكنز وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضع

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٢/١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢٣/١٥

التي عليها أغلاق وحمل ابن عباس والحسن المفاتح على نفس المال وهذا أبين، قثال ابن عباس كانت خزائنه يحملها أربعون رجلا أقوياء، وقال أبو مسلم المراد من المفاتح العلم والإحاطة، كقوله تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمهآ إلا هو﴾ [الأنعام: ٥٩] والمراد: آتيناه من الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها ما يتعب القائمين أن يحفظوها.

قوله: «إذ قال» فيه أوجه: أن يكون معمولا ل «تنوء» قاله الزمخشري، أو ل «بغى» قاله ابن عطية، ورده أبو حيان بأن المعنى ليس على التقييد بهذا الوقت أو ل «آتيناه» قاله أبو البقاء ورده أبو حيان بأن الإيتاء لم يكن ذلك الوقت.

أو لمحذوف، فقدره، أبو البقاء: بغى عليهم وهذا ينبغي أن يرد بما رد به قول ابن عطية. وقدره الطبري: اذكر وقدره أبو حيان **أظهر الفرح وهو** مناسب، واعلم أنه كان في قومه من وعظه بأمور:

أحدها: قوله: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، وقرى الفارحين - حكاها عيسى الحجازي - والمراد لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا ما يلهيه عن أمر الآخرة، قال." (١)

"وقد خرج بعضهم ما حكاه الفراء على أنه قدر أن المضاف إيله موجود فترك الأول بحاله وأنشد:

٤٠٣٣ - ... ... بين ذراعي وجبهة الأسد

والفرق لائح، فإن في اللفظ مثل المحذوف على خلاف في تقدير البيت أيضا.

(فصل)

وعلى قراءة عبد الله بن عمر، وأبي سعيد الخدري، والحسين، وعيسى بن عمر غلبت الروم بفتح الغين واللام سيغلبون بضم الياء وفتح اللام. قالوا: نزلت حين أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن غلبة الروم فارسا في أدنى الأرض (إليكم) وهم من بعد غلبهم سيغلبون المسلمين في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم والأول قول أكثر المفسرين وهو الأصح ولله الأمر من قبل وم نبعد أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فأي الفريقين كان لهم الغلبة فهو بأمر الله وقضائه وقدره.

قوله: «ويومئذ» أي إذ تغلب الروم فارسا، والنصاب «ليوم» (يفرح وقوله «بنصر اىله ينصر» من التجنيس، وقد تقدم آخر الكهف، وقوله: بنصر الله «الظاهر تلقه» بيفرح) . وجوز أبو البقاء أن يتعلق «بينصر» وهذا فيه تفكيك للنظم.

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٢٩٠

المعنى: يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الروم على فارس. قال **السدي: فرح النبي** – صلى الله عليه وسلم –." (١)

"قوله: ﴿وإذآ أذقنا الناس رحمة﴾ أي الخصب وكثرة المطر «فرحوا بها» **يعني فرح البطر** لما بين حال الشرك الظاهر شركه، بين حال الشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته للدنيا، فإذا أعطاه رضي، وإذا منه سخط وقنط، ولا ينبغي أن يكون كذلك بل ينبغي أن يعبد الله في الشدة وزالرخاء.

فإن **قيل: الفرح بالرحمة** مأمور به قال: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ [يونس: ٥٨] وههنا ذمهم **على الفرح بالرحمة**.

فالجواب: هناك قال افرحوا برحمة الله من حيث إنها مضافة إلى الله، وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم إذا كان من الله.

قوله: ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي الجدب وقلة المطر، وقيل: الخوف والبلاء ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من السيئات ﴿إذا هم يقنطون﴾ ييأسوا من رحمة الله، وهذا خلاف وصف المؤمنين فإنهم يشركونه عند النعمة، ويرجونه عند الشدة.

قوله: ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشآء ويقدر﴾ ألم يعلموا أن الكل من الله فالمحق ينبغي أن لا يكون نظره إلى ما يوجد بل إلى من يوجد وهو الله، فلا يكون له تبدل حال وإنما يكون **عنده الفرح الدائم** ولذلك قال: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ .." (٢)

"على المحل الخفي ووجه آخر وهو أن قوله» فريقا تقتلون «فعل ومفعول والأصل في الجمل الفعلية تقديم الفعل على المفعول والفاعل أما أنها جملة فعلية فلأنها لوكانت اسمية لكان الواجب في» فريق «الرفع، كأنه يقول فريق منهم تقتلونهم (فلما نصب كان ذلك بفعل مضمير يفسره الظاهر تقديره:» تقتلون فريقا تقتلون «) والحامل على مثل هذا الكلام شدة الاهتمام ببيان المفعول، وههنا كذلك لأنه تعالى لما ذكر حال الذين ظاهروهم وأنه قد قذف في قلوبهم الرعب فلو قال: تقتلون أوهم أن يسمع السامع مفعول» تقتلون «" يكون زمان وقد يمنعه مانع فيفوته ولا يعلم أيهم هم المقتولون فأما إذا قال: " فريقا " سبق في قلوبهم الرعب إلى سمعهم فيستمع إلى تمام الكلام، وإذا كان الأول فعلا ومفعولا قدم المفعول لفائدة عطف الجملة الثانية عليها على الأصل (فعدم) تقديم الفعل لزوال موجب التقديم إذ عرف حالهم وما يجيء بعده

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٣٨٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٤١٤

يكون مصروفا إليهم فلو قال بعد ذلك:» وفريقا تأسرون «فمن سمع» فريقا «ربما يظن أنه يقال فيهم يطلقون أو لا يقدرون عليهم فكان تقديم الفعل ههنا أولى وكذا الكلام في قوله: ﴿وأنزل الذين (ظاهروهم) ﴾ (ظاهروهم) وقوله:» قذف «، فإن قذف الرعب قبل الإنزال لأن الرعب صار سبيل الإنزال ولكن لما **كان الفرح في** إنزالهم أكثر قدم الإنزال على قذف الرعب والله أعلم.

فصل

فريقا تقتلون هم الرجال قيل: كانوا ستمائة، و «تأسرون فريقا» وهم النساء والذراري، قيل: كانوا سبعمائة وخمسين، وقيل تسعمائة ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها﴾ بعد؛ قال ابن زيد ومقاتل يعني خيبر وقال قتادة. كنا نحدث أنها مكية، وقال الحسن: فارس والروم وقيل: القلاع وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة.

قوله: «لم تطئوها» الجملة صفة «لأرضا» والعامة على همزة مضمومة ثم واو ساكنة، وزيد بن علي «تطوها» بواو بعد طاء مفتوحة ووجهه أنها كبدل الهمزة ألفاعلى الإسناد كقوله:." (١)

"دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نساءه أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال: نعم إن شئت فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وإذا جآءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء: ٨٣] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله آية التخيير وكانت تحت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكرن وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أمية، وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية، فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعائشة وكانت أحبهن إليه فخيرها فقرأ عليها (القرآن) فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة. **ورؤي الفرح في** وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتابعنها على ذلك، قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال: ﴿لا تحل لك النساء من بعد﴾ . وعن جابر بن عبد الله قال: «دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لواحد منهم قال: فأذن لأبي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي – صلى

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٣٢/١٥

الله عليه وسلم - جالسا حوله نساؤه واجما ساكنا قال: فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول: تسألن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ حتى بلغ ﴿للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أعرض عليك أمرا لا أحب أن تعجلي حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا»

، وری

الزهري «." (١)

"وحركة السجود عند كونه للجمع حركة معتبرة من حيث إن الجمع مشتق من الواحد وينبغي أن يلحق الشمتق تغيير في حرف أو حركة أو في مجموعهما، فساجد لما أردنا أن يشتق منه لفظ جمع غيرناه وجئنا بلفظ السجود فإذن السجود للمصدر والجمع ليس من قبيل الألفاظ المشتركة التي وضعت بحركة واحدة لمعنيين. وإذا عرف هذا فنقول «الفلك» عند كونه واحدا مثل: «قفل وبرد» وعند كونها جمعا مثل خشب أو برد أو غيرهما.

فإن قيل: فإذا جعلته جمعا ما يكون واحدها؟ .

فالجواب: نقول جاز أن يكون واحدها فلكة أو غيرها مما لم يستعمل كواحد النساء لم يستعمل وكذا القول في: «إمام مبين» إمام كزمام وكتاب عند قوله تعالى: ﴿كل أناس بإمامهم﴾ [الإسراء: ٧١] أي بأئمتهم إمام كسهام وحفان، وهذا من دقيق التصريف. وأما من جهة المعنى ففيه سؤالات:

السؤال الأول: قال ههنا: «حملنا ذريتهم» من عليهم بحمل ذرياتهم وقال تعالى:

﴿إنا لما طغا الـمآء حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة: ١١] من عليهم هناك بحمل أنفسهم.

فالجواب: أن من ينفع المتعلق بالغير يكون قد نفع ذلك الغير ومن يدفع الضر عن المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه كمن أحسن إلى ولد إنسان **وفرحة فرح بفرحه** أبوه وإذا دفع

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٥٣٥

الألم عن ولد إنسان يكون قد فرح أباه ولا يكون في الحقيقة أزال الألم عن أبيه فعند طغيان الماء كان الضرر يلحقهم فقال: دفعت وههنا عنكم الضرر ولو قلا: دفعت عن أولادكم الضرر لما حصل بين دفع الضرر عنهم وههنا أراد بيان المنافع فقال: «حملنا ذرياتهم» لأن النفع حاصل بنفع الذرية، ويدل على هذا قوله: «في الفلك المشحون» فإن امتلأ الفلك من الأموال يحصل (بذكره)." (١)

"الدافعة القاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كان له ألف دينار في سبيل الله ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف يقين وألف رأفة ونزع منه كل داء وغل، وعن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من قرأ يس يريد بها وجه – عز وجل – غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة، وأيما مريض قرئ عنءده سورة ي نزل عليه بقدر كل حرف عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفا فيصلون عليه ويستغفرون عليه ويشهدون قبضه وغسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيموت وهو ريان ويبعث وهو ريان، ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء، حتة يدخل الجنة وهو ريان«

وعن أبي هريرة قال: «قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وعن يحيى بن أبي كثير قال: بلغنا» من قرآ يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح «.." (٢)

"قوله: ﴿عندهم من العلم﴾ فيه أوجه:

أحدهما: أنه تهكم بهم، والمعنى ليس عندهم علم.

الثاني: أن ذلك جاء على زعمهم أن عندهم علما ينتفعون به.

الثالث: أن «من» بمعنى بدل أي بما عندهم من الدنيا بدل العلم.

الرابع: أن يكون الضمير للرسل، أي فرح الرسل بما عندهم من العلم.

الخامس: أن الأول للكفار، وأما الثاني للرسل، ومعناه فرح الكفار فرح ضحك واستهزاء بماعند الرسل من العلم؛ إذ لم يأخذوه بقبول ويمتثلوا أوامر الوحي ونواهيه. وقال الزمخشري: ومنها أي من والوجوه أن يوضع

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢٨/١٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦٩/١٦

قوله: ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط خلوهم من العلم وجهلهم.

قال أبو حيان: ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية إلا في قليل من الكلام، نحو: «شر أهر ذا ناب» على خلاف فيه، ولما آل أمره إلى الإثبات المحصور جاز. وأما في الآية فينبغي أن لا يحمل على القليل لأن في ذلك تخليطا لمعاني الجمل المتباينة.

فصل

قال المفسرون: الضمير في قوله: «فرحوا» يحتمل أن يكون عائدا على الكفار وأن يكون عائدا إلى الرسل فإن عاد إلى الكفار، فذلك العلم الذي فرحوا به قيل: هو الأشياء التي كانوا يسمونها علما، وهي الشبهات المحكية عنهم في القرآن، كقولهم: ﴿وما يهلكنآ إلا الدهر﴾ [الجاثية: ٢٤] وقولهم: ﴿لو شآء الله مآ أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام: ١٨٤] وقولهم: ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ [يس: ٧٨] ﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾

[الكهف: ٣٦] وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الأنبياء، كما قال ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] و [الروم: ٣٢] وقيل: المراد علوم الفلاسفة فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علوم الأنبياء عن علومهم كما روي عن سقراط أن سمع بمجيء أحد الأنبياء علهيم الصلاة والسلام فقيل له: لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا. وقيل: المراد علمهم." (١)

"بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كقوله تعالى: ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧] ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ [النجم: ٣٠] فلما جاءت الرسل بعلوم الديانات ومعرفة الله تعالى، ومعرفة المعاد وتطهير النفس من الرذائل لم يلتفتوا إليها واستهزأوا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفائدة من علمهم ففرحوا به.

وإن عاد الضمير إلى الأنبياء ففيه وجهان:

الأول: أن يفرح الرسل إذا رأوا من قومهم جهلا كاملا وإعراضا عن الحق وعلموا سوء غفلتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم وإعراضهم يفرحوا بما أوتوا من العلم، ويشركوا الله عليه «وحاق» بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم.

الثاني: أن المراد أن الرسل فرحوا بما عندهم من العلم فرح ضحك واستهزاء.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٣/١٧

قوله: ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ أي عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي تبرأنا مما كنا نعدل بالله، البأس: شدة العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿بعذاب بئيس﴾ [الأعراف: ١٦٥] . قوله: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾ يجوز رفع «إيمانهم» اسما لكان، و «وينفعهم» جملة خبرا مقدما، ويجوز أن يرتفع بأنهن فاعل ينفعهم، وفي كان ضمير الشأن.

وقد تقدم هذا محققا في قوله: ﴿ما كان يصنع فرعون﴾ [الأعراف: ١٣٧] وأنه ليس من باب التنازع. ودخل حرف النفي على الكون لا على النفي؛ لأنه بمعنى لا يصح ولا ينبغي، كقوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ [مريم: ٣٥] .

واعلم أن المراد بالوقت الذي لا ينفع الإيمان فيه هو وقت معاينة نزول ملائكة الرحمة وملائكة العذاب لأن في ذلك الوقت يصير المرء ملجأ إلى الإيمان فذلك الإيمان لا ينفع.

قوله: ﴿سنة الله﴾ يجوز انتصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة يعني إن الذي فعل الله بهم سنة سابقة من الله، ويجوز انتصابها على التحذير، أي احذروا سنة الله في المكذبين ﴿التي قد خلت في عباده﴾ ، وتلك السنة أنهم إذا عاينوا العذاب آمنوا." (١)

"فأما الكسر فهو صفة على «فعل» وفعله: «فعل» بكسر العين أيضا كفعله؛ يقال: نحس فهو نحس، كفرح، فهو فرح، وأشر فهو أشر، ومعناه نكدات مشئومات ذات نحوس.

وأمال الليث من الكسائي ألفه لأجل الكسرة، ولكنه غير مشهور عنه حتى نسبه الداني للوهم وأما قراءة الإسكان فتحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون مخفف من «فعل» في القراءة المتقدمة وفيه توافق القراءتين.

الثاني: أنه مصدر وصف به كرجل عدل، إلا أن هذا يضعفه الجمع، فإن الفصيح في المصدر الموصوف (به) أن يوحد وكأن المسوغ للجمع اختلاف أنواعه في الأصل.

الثالث: أنه صفة مستقلة على «فعل» بسكون العين ولكن أهل التصريف لم يذكروا في الصفة الجائية من «فعل» بكسر العين إلا أوزانا محصورة ليس فيه «فعل» بالسكون فذكروا: فرح فهو فرح وحوز فهو أحور، وشبع فهو شبعان، وسلم فهو سالم، وبلي فهو بال. وفي معنى «نحسات» قولان:

أحدهما: أنها من الشؤم، قال السدي أي مشائيم من النحس المعروف.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٤/١٧

والثاني: أنها من شدة البرد وأنشدوا على الأول قول الشاعر:

٤٣٦٠ - يومين غيمين ويوما نحسا ... نجمين سعدين ونجما نحسا." (١)

"بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليهضا طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته فبينضا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك» أخطأ من شدة الفرح.

قوله: ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ قرأ الأخوان وحفص يفعلون بالياء من تحت؛ نظرا إلى قوله: «من عباده» وقال بعده: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ والباقون بالخطاب إقبالا على اناس عامة، وهو خطاب للمشركين.

قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾ يجوز أن يكون الموصول فاعلا أي يجيبون ربهم إذا دعاهم كقوله تعالى: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤] واستجاب كأجاب، ومنه قوله الشاعر:

٤٣٨١ - وداع دعا يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذلك مجيب

ويجوز أن تكون السين للطلب على بابها بمعنى ويستدعي المؤمنون الإجابة من ربهم بالأعمال الصالحة. ويجوز أن يكون الموصول مفعولا به والفاعل مضمر يعود على الله بمعنى: ويجيب الذين آمنوا اي دعاءهم. وقيل: ثم لام مقدرة أي ويستجيب الله للذين آمنوا، (فحذفها، للعلم بها، كقوله: ﴿وإذا كالوهم﴾ [المطففين: ٣] قال عطاء عن ابن عباس معناه: ويثيب الذين آمنوا) وعلموا الصالحات ﴿ويزيدهم من فضله﴾ سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه، وروى أبو صالح عه: يشفعهم ويزيدهم من فضله. (ثم) قال في أخونان إخوانهم: ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ .

قوله تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ ، قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع وتمنيناها فأنزل الله عز وجل ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا﴾ ، لطغوا في الأرض، قال ابن عباس (."(٢)

"قوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ أي املطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ من بعد ما يئس الناس منه. وإنزال الغيب بعد القنوط أدعى إلى الشكر؛ **لأن الفرح بحصول** النعمة بعد البلية أتم.

قال الزمخشري: قريء قنطوا، بفتح النون وكسرها. (فأما فتح النون فهي قراءة العامة، وأما كسرها فهي قراءة يحيى بن وثاب، والأعمش وهي لغة وعليها قراءة: ﴿يقنط﴾ [الحجر: ٥٦] ﴿لا تقنطوا﴾ [الزمر: ٥٣]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢١/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٥/١٧

بفتح النون في المتواتر. ولم يقرأ في الكسر في الماضي إلا شاذا و «ما» مصدرية أي من بعد قنوطهم) .
قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حين قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نعمه.
قوله: ﴿وينشر رحمته﴾ يبسط مطره، كما قال: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧] وهو الولي الحميد. «الولي» : الذي يتولى عباده بإحاسنه «الحميد» المحمود على ما يوصل إلى الخلق من الرحمة وقيل: «الولي» لأهل طاعته، «الحميد» عند خلقه.." (١)

"الإنسان منا رحمة﴾ قال ابن عباس (رضي الله عنهما) يعني الغنى والصحة «فرح بها» .

واعلم أن نعم الله وإن كانت في الدنيا عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى سعادات الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلذلك سميت ذوقا. فبين (الله) تعالى أن الإنسان إذا حصل له هذا القدر الحقير في **الدنيا فرح به** وعظم غروره، ووقع في العجب والكبر، ويظن أنه فاز بكل المنى، ووصل إلى أقصى السعادات، وهذه طريقة من ضعف اعتقاده في سعادات الآخرة.

ثم إنه تعالى بين أنه متى أصابهم سيئة أي شيء يسوءهم في الحال كالمرض والفقر والقحط وغيرها فإنه يظهر الكفر وهو (معنى) قوله: ﴿فإن الإنسان كفور﴾ ، والكفور: هو المبالغ في الكفران والمراد بقوله: كفور أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد باول شدة جميع ما سلف من النعم.

وقوله: فإن الإنسان من وقوع الظاهر موقع المضمر أي فإنه كفور. وقدر أبو البقاء: ضميرا محذوفا فقال فإن الإنسان (منهم) ولما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بعدها اتبع ذلك بقوله: ﴿لله ملك السماوات والأرض﴾ له التصرف فيهما بما يريد والمقصود منه أن لا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه بل إذا علم أن الكل ملك لله وملكه وإنما حصل له القدر إنعاما من الله عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد من الطاعة.

ثم ذكر من أقسام تصرف الله تعالى في العالم أنه يخص البعض بالأولاد والإناث والبعض بالذكور والبعض بهما، والبعض بأن يجعله محروما من الكل وهو المراد بقوله: ﴿ويجعل من يشآء عقيما﴾ .

قوله: ﴿ذكرانا وإناثا﴾ حال وهي حال لازمة؟ وسوغ مجيئها كذلك أنها بعد ما يجوز أن يكون الأمر على خلافه، لأن معنى يزوجهم يقرنهم.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قدم الإناث على الذكور مع تقديمهم عليهن ثم رجع فقدمهم؟ ﴿ولم عرف الذكور بعدما نكر الإناث؟﴾ . قلت: لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى، وكفران الإنسان بنسيانه الرحمة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧/١٩٨

السابقة عنه، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقد الإناث؛ لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤ." (١)

"الإنسان، فكان ذكر الإنثا اللاتي من جملة ما يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس التي كانت العرب تعده بلاء (ذكر) البلاء، وآخر الذكور، فلما أخرهم تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم وبالتعريف، لأن تعريفهم فيه تنويه وتشهير، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم.

ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال: «ذكرانا وإناثا» (كما قال: إنا) ﴿خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ [الحجرات: ١٣] فجعل فيه ﴿الزوجين الذكر والأنثى﴾ .

فصل

قال ابن الخطيب: وفي الآية سؤالات:

الأول: أنه قدم الإناث في الذكر على الذكور أولا، ثم قدم الذكر على الإناث ثانيا فما السبب في هذا التقديم والتأخير؟

الثاني: أنه ينكر الإناث وعرف الذكور وقال في الصنفين معا ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾ .

الثالث: لما كان حصول الولد هبة من الله تعالى فيكفي في عدم حصوله أن لا يهب فأي حاجة في عدم حصوله إلى قوله: ﴿ويجعل من يشآء عقيما﴾ .

الرابع: هل المراد بهذا الحكم جمع معينون أو الحكم على الإنسان المطلق؟

والجواب على الأول: أن الكريم يسعى في أن يقع الحتم على الخير والراحة فإذا وهب الأنثى أولا ثم أعطي الذكر بعده فكأنه نقله من الغم إلى الفرح، وهذا غاية الكرم، أما إذا أعطي الذكر أولا ثم أعطي الأنثى ثانيا فكأنه نقله من الفرح إلى الغم، فذكر الله تعالى هبة الأنثى أولا، ثم ثنى بهبة الذكر حتى يكون قد نقله من الغم إلى الفرح فيكون أليق بالكرم.

قيل: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر؛ لأن الله بدأ بالإناث وأما تقديم ذكر الذكور على الإناث ثانيا؛ لأن الذكر أكمل وأفضل من الأنثى، والأفضل مقدم على المفضول.

وأما الجواب عن تنكير الإناث وتعريف الذكور فهو أن المقصود منه التبيه على أن الذكور أفضل من الأنثى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢١٨/١٧

وأما قوله: ﴿أو يزوجهم ذكرانا وإناثا﴾ وهو أن كل شيئين يقرن أحدهما بالآخر، فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له: زوج والكناية في «يزوجهم»." (١)

"وخامسها: هذه الآية: وليس في لفظها ما يدل على أن ذلك المثللا أي شيء كان والمفسرون ذكروا فيه وجوها:

أشهرها: قال ابن عباس وأكثر المفسرين: نزلت الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام لما نزل قول الله عز وجل: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء: ٩٨] كما تقدم في سورة الأنبياء.

والمعنى: ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا، وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه «إذا قومك» من قريش «منه» أي من هذا المثل «يصدون» أي يرتفع لهم ضجيج فرحا بسبب مارأوا من سكوت النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قد جرت العادة بأن أحد الخصمين إذا انقطع، أظهر الخصم **الثاني الفرح والضجيج**.

وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح وجعلوه إلها لأنفسهم قالت كفار قريش: إن محمدا يريد أن يجعل نفسه لنا إلها كما جعل النصارى المسيح إلها لأنفسهم فعند هذا قالوا: ﴿أآلهتنا خير أم هو﴾ فعند ذلك قالوا: إن محمدا يدعونا لعبادة نفسه وآباؤنا زعموا أنه يجب عبادة هذه الأصنام وإذا كان لا بد من عبادة أحد هذين فعبادة الأصنام أولى؛ لأن آبائنا وآسلافنا أجمعوا على ذلك، وأما محمد فإنه متهم في أمرنا بعبادته. ثم إنه تعالى لم يقل: إن عبادة المسيح طريق حسن، بل هو كلام باطل، وأن عيسى ليس إلا عبدا أنعمنا علي فزالت شبهتهم في قولهم: إن محمدا يريد أن يأمرنا بعبادة نفسه.

وقيل: إن الكفار لما رأوا النصارى يعبدون عيسى قالوا إذا عبد النصارى عيسى فآلهتنا خير من عيسى فعبدوال الملائكة.

قوله: «يصدون» قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويصدون بضم الصاد والباقون بكسرها، فقيل: هما بمعنى واحد. وهو الصحيح واللفظ، يقال: صد يصدذ ويصد كعكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) يضجرون. وقال سعيد بن المسيب:." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢١٩/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨٢/١٧

"قوله: يا عبادي «قرأ أبو بكر عن عاصم:» يا عبادي لا خوف «بفتح الياء. والأخوان وابن كثير وحفص بحذفها وصلا ووقفا. والباقون بإثباتها ساكنة. وقرأ العامة: لا خوف بالرفع والتنوين إما مبتدأ وإما اسما لها وهو قليل. وابن محيصن دون تنوين على حذف مضاف وانتظاره أي لا خوفل شيء. والحسن وابن أبي إسحاق بالفتح على لا التبرئة، وهي عندهم أبلغ.

فصل

قد تقدم أن عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقن. وفيه أنواع كثيرة توجب الفرح:

أولها: أن الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة.

وثانيها: أنه تعالى وصفهم بالعبودية من غير واسطة، وهذا تشريف عظيم، بدليل أنه تعالى لما أراد تشريف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج قال: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا﴾ [الإسراء: ١] .

وثالثها: قوله: ﴿لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية.

قوله: «الذين آمنوا» يجوز أن يكون نعتا لعبادي، أو بدلا منه، أو عطف بيان الله، أو مقطوعا منصوبا بفعل أي أعني الذين آمنوا.

أو مرفوعا بالابتداء وخبره مضمر، تقديره يقال لهم: ادخلوا.

فصل

قال مقاتل: إذا وقع الخوف يوم القيامة نداى مناد: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم. فإذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤوسم فيقال: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ فينكس أهل الأديان الباطلة رؤوسهم فيمر حسابهم على أحسن الوجوه ثم يقال لهم:." (١)

"الأول: معناه لا أدري ما يصير إليه أمري وأمركم، ومن الغالب منا ومن المغلوب؟ .

الثاني: قال ابن عباس في رواية الكلبي: لما اشتد البلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر إلأرض ذات نخل وشجر وماء فقصها على الصحابة فاستبشروا بذلك ورأوا أن ذلك فرج مما هم فيه من أذى المشركين. ثم إنهم مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا: يا رسول الله: ما رأينا الذي قلت، متى نهاجر إلى الأرض التي رأيتها في المنام؟ فكست النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل ومآ أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ وهو شيء رأيته في المنام وأنا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨٩/١٧

لا أتبع إلا ما يوحيه الله إلي.

الثالث: قال الضحاك: لا أدري ما تؤمرون به، ولا ما أومر به من التكاليف، والشرائع، ولا من الابتلاء والامتحان وإنما أنذركم بما أعلمني الله به من أحوال الآخرة من الثواب والعقاب، ثم أخبر أنه تعالى يظهر دينه على الأديان فقال: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ [الفتح: ٢٨] وقال في أمته: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] فأخبره الله ما يصنع به وبأمته قال السدي.

الرابع: كأنه يقول: ما أدري ما يفعل بي في الدنيا، أموت أو أقتل، كما تقل الأنبياء قبلي ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أو يخسف بكم أو يفعل بكم ما يفعل بسائر الأمم، وأما من حمل الآية على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه **الآية فرح المشركون** والمنافقون واليهود وقالوا: كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ربه فأنزل الله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ إلى قوله: ﴿وكان ذلك عند الله فوزا عظيما﴾ [الفتح: ١٥] فقالت الصحابة: هنيئا لك يا نبي الله، قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [الفتح: ٥] الآية وأنزل: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ [الأحزاب: ٤٧] فبين الله ما يفعل به وبهم، وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة. وقالوا: إنما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك قال ابن الخطيب: وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول لوجهين:

الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وأن يعلم من نفسه كونه نبيا، ومتى علم كونه نبيا، علم أنه لا يصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له، وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكا في أنه هل هو مغفور له أم لا؟ .." (١)

"هذا كلام **منكر الفرح برزية** الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الإنكار. وذكر ذلك كله الزمخشري. وقرأ علي بن أبي طالب: مثال الجنة. وعنه أيضا وعن ابن عباس وابن مسعود: أمثال بالجمع.

قوله: ﴿غير آسن﴾ قرأ ابن كثير: أسن بزنة حذر، وهو اسم فاعل من أسن بالكسر يأسن، فهو أسن كحذر يحذر فهو حذر. الباقون آسن بزنة ضارب من: أسن بالفتح يأسن، يقال: أسن الماء بالفتح يأسن ويأسن بالكسر والضم أسونا. وكذا ذكره ثعلب في فصيحة. فهما لغتان يقال: أسن الماء يأسن أسنا وأجن يأجن، وأسن يأسن ويأسن، وأجن يأجن أسونا وأجونا. وقال اليزيدي يقال: أسن بالكسر يأسن بالفتح أسنا أي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧/٣٨٤

تغير طعمه، وأما أسن الرجل إذا دخل بئرا فأصابه من ريحها ما جعل في رأسه دوارا فأسن بالكسر فقط قال الشاعر:

٤٤٦٩ – قد أترك القرن مصفرا أنامله ... يميد في الرمح ميد المائح الأسن

وقرىء يسن بالباء بدل من الهمزة. قال أبو علي: هو تخفيف أسن وهو تخفيف غريب.." (١)

"قوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين ... ﴾ الآية لما بين حال المخلفين بعد قوله: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ [الفتح: ١٠] عاد إلى بيان حال المبايعين.

قوله: ﴿إذ يبايعونك﴾ منصوب ب «رضي» و «تحت الشجرة» يجوز أن يكون متعلقا ب «يبايعونك» وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من المفعول.

(«فصل»

المعنى: يبايعونك بالحديبية على أن يناجزوا قريشا، ولا يفروا. وقوله: «تحت الشجرة» وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها. وروي أن عمر بن الخطاب مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال: أين؟ فجعل بعضهم يقول: ههنا، وبعضهم ههنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا قد ذهبت الشجرة. وروى جابر بن عبد الله قال: «قال لنا رسول الله صلى الله عليه سولم يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة. وروى سالم عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل النار أحج ممن بايع تحت الشجرة) » .

قوله: ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق والوفاء ﴿فأنزل السكينة﴾ الطمأنينة والرضا «عليهم»

فإن قيل: الفاء للتعقيب وعلم الله قبل الرضا؛ لأن علم ما في قلوبهم من الصدق فرضي عنهم فكيف يفهم التعقيب في العلم؟

فالجواب: قال ابن الخطيب: إن قوله تعالى: ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ متعلق بقوله: ﴿إذ يبايعونك﴾ كما تقول: «فرحت أمس إذ كلمت زيدا فقام لي، وإذ دخلت عليه فأكرمني» **فيكون الفرح بعد** الإكرام مرتبا كذلك ههنا قال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك ... فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق إشارة ألى أن الرضا لا يكون." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤٢/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٩٥/١٧

"وقيل: المراد من هذه الآية التوحيد.

وفي المخاطب وجهان:

أحدهما: أنه عام تقديره إلى ربك أيها السامع أو العاقل.

والثاني: أنه خطاب مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فعلى الأولى يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم -.

فعلى الأولى أيضا تكون اللام في «المنتهى» للعهد الموعود في القرآن.

وعلى الثاني تكون للعموم أي إلى ربك كل منتهى.

فإن قيل: فعلى هذا الوجه يكون منتهى، وعلى الأول يكون «مبتدى» .

فالجواب: منتهى الإدراكات والمدركات فإن الإنسان أولا يدرك الأشياء الظاهرة ثم يمعن النظر فينتهي إلى الله فيقف عنده.

قوله: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ (أضحك وأبكى) ما بعده هذا يسميه البيانيون الطباق والتضاد وهو نوع من البديع، وهو أن يذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه.

و «أضحك وأبكى» (أضحك وأبكى) ما بعده هذا يسميه البيانيون الطباق والتضاد وهو نوع من البديع ، وهو أن يذكر ضدان أو نقيضان أو متنافيان بوجه من الوجوه. و" أضحك وأبكى " لا مفعول لهما في هذا الموضع؛ لأنها مسوقة لقدرة الله تعالى لا لبيان المقدور، فلا حاجة إلى المفعول كقول القائل: فلان بيده الأخذ والعطاء يعطي ويمنع ولا يريد ممنوعا ومعطى.

فصل

اختار هذين الوصفين المذكورين لأنهما أمران لا يعللان، فلا يقدر أحد من الطبيعيين أن يبدي في اختصاص الإنسان بالضحك والبكاء وجها وسببا وإذا لم يعلل بأمر، فلا بد له من موجد فهو الله بخلاف الصحة والسقم، فإنهم يقولون: سببهما اعتلال المزاج وخروجه عن الاعتدال.

ومما يدل على ما ذكرنا أنهم عللوا الضحك قالوا: لقوة التعجب وهو باطل، لأن الإنسان ربما يبهت عند رؤية الأمور العجيبة ولا يضحك. وقيل: لقوة الفرح؛ وليس كذلك؛ لأن الإنسان قد يبكي **لقوة الفرح كما** قال بعضهم (شعرا)

٤٥٦٩ - هجم السرور علي حتى إنني ... من عظم ما قد سرني أبكاني." (١)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢١٠/١٨

"وأيضا فالذي يحزن غاية الحزن قد يضحك وقد يخرج الدمع من العين عند أمور مخصوصة لا يقدرون على تعليلها بتعليل صحيح.

وأيضا عند الخواص كالتي في المغناطيس وغيره ينقطع الطبيعي كما ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض أمره إلى قدرة الله وإرادته عند أوضاع الكواكب.

فصل

إذا قيل: بأن المراد بقوله تعالى: ﴿إلى ربك المنتهى﴾ إثبات الوحدانية فهذه الآيات مبينات لمسائل يتوقف عليها الإسلام من جملتها قدرة الله تعالى، فإن من الفلاسفة من يقول: بأن الله المنتهى وأنه واحد لكن يقول: بأنه موجب لا قادر فقال تعالى: هو أوجد ضدين الضحك والبكاء في محل واحد على التعاقب والتراخي، والموت والحياة، والذكورة والأنوثة في مادة واحدة، وذلك لا يكون إلا من قادر يعترف به كل عاقل.

وإن قيل: بأن المراد بالمنتهى بيان المعاد فهو إشارة إلى أن الإنسان كما كان في الدنيا في بعض الأمور ضاحكا وفي بعضها باكيا محزونا كذلك في الآخرة.

فصل

هذه الآية تدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضاء الله وخلقه حتى الضحك والبكاء قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار، وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر، وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن؛ **لأن الفرح يجلب** الضحك والحزن يجلب البكاء.

فصل

«روى مسلم عن عائشة – (رضي الله عنها) – قالت: والله ما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن الميت ليعذب ببكاء أهله، ولكنه قال: إن الكافر يزيده الله ببكاء أهله عذابا، وإن الله لهو أضحك وبكى، وما تزر وازرة وزر أخرى» .

وعنها قالت: «مر النبي – صلى الله عليه وسلم – على قوم من أصحابه وهم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، فنزل جبريل – عليه الصلاة والسلام – فقال يا محمد: إن الله يقول لك: إنه هو أضحك وأبكى فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال: إيت

هؤلاء فقل لهم إن الله يقول: هو أضحك وأبكى»
أي قضى أسباب الضحك والبكاء.." (١)

"(قيل: لما نزلت هذه الآية شق على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) فنزلت ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، بل نصف أهل الجنة، وتقاسمونهم في النصف الثاني» رواه أبو هريرة ذكره الماوردي وغيره، ومعناه ثابت في «صحيح مسلم» ، من حديث عبد الله بن مسعود، وكأنه أراد أنها منسوخة.

قال ابن الخطيب: وهذا في غاية الضعف من وجوه:

أحدها: أن عدد أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك الزمان، بل إلى آخر الزمان بالنسبة إلى ما مضى في غاية القلة، فالمراد بالأولين: الأنبياء وكبار أصحابهم، وهم إذا جمعوا أكثر من السابقين من هذه الأمة.

الثاني: أن هذا خبر، والخبر لا ينسخ.

الثالث: أن هذه الآية في السابقين، والتي بعدها في أصحاب اليمين.

الرابع: أنه إذا جعل قليل منهم مع الأنبياء والرسل المتقدمين كانوا في درجة واحدة، وذلك يوجب الفرح؛ لأنه إنعام عظيم، ولعل الإشارة إليه بقوله عليه الصلاة والسلام : «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» .

قال القرطبي: «والأشبه أنها محكمة؛ لأنها خبر، والخبر لا ينسخ؛ لأن ذلك في جماعتين مختلفتين» .

قال الحسن: سابقو من مضى أكثر من سابقينا، فلذلك قال: ﴿وقليل من الآخرين﴾ ، وقال في أصحاب اليمين، وهم سوى السابقين: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ .

ولذلك [قال عليه الصلاة والسلام : «إني لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة» ، ثم تلا: ﴿ثلة من الأولين، وثلة من الآخرين﴾] .." (٢)

"و «الشهداء» هم الذين يلون الصديقين و «الصالحون» يلون الشهداء، فيجوز أن تكون هذه الآية في جملة من صدق بالرسل.

والمعنى: والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء، ويكون المعني بالشهداء من شهد لله بالوحدانية، أنهم شهداء عند ربهم على العباد في أعمالهم، والمراد أنهم عدول في الآخرة الذين تقبل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢١١/١٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٨٢/١٨

شهاداتهم.

وقال الحسن: كل مؤمن فإنه شهيد كرامة.

وقال الفراء والزجاج: هم الأنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [النساء: ٤١] .

وقال ابن جرير: «الشهداء» هم الذين استشهدوا في سبيل الله.

«وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:» ما تعدون الشهداء فيكم «؟ قالوا: المقتول، فقال:» إن شهداء أمتي إذا لقليل «» .

وعلى هذا يكون منقطعا عما قبله، وتكون «الواو» في «والشهداء» واو الاستئناف، وهذا مروي عن ابن عباس ومسروق.

وقوله: ﴿لهم أجرهم﴾ مما عملوا من العمل الصالح. و «نورهم» على الصراط.

ثم لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بذكر حال الكافرين، فقال: ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا، أولئك أصحاب الجحيم﴾ . ولما ذكر أحوال المؤمنين والكافرين ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا، وكمال حال الآخرة، فقال:

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ .

«ما» صلة، أي: حياة هذه الدار لعب باطل لا حاصل له، وهو فرح ثم ينقضي، وزينة ومنظر تتزينون به.

قوله: ﴿وتفاخر بينكم﴾ .

العامة على تنوين «تفاخر» موصوف بالظرف، أو عامل فيه.

والسلمي أضافه إليه، أي: يفخر به بعضكم على بعض.." (١)

"قال المفسرون: «اللعب» : الباطل، «واللهو» : الفرح.

وقال قتادة: «لعب ولهو» : أكل وشرب.

وقال مجاهد: كل لعب لهو.

وقيل: «اللعب» : ما رغب في الدنيا، «واللهو» : ما ألهى على الآخرة.

قوله: ﴿وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ .

قال ابن عباس: يجمع المال في سخط الله، ويباهي به على أولياء الله، ويصرفه في مساخط الله، فهي

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٤٨٦

ظلمات بعضها فوق بعض، وكان من عادة الجاهلية أن يتكاثروا بالأموال والأولاد.

قال بعض المتأخرين: «لعب» كلعب الصبيان، «ولهو» كلهو الفتيان «وزينة» كزينة النسوان «وتفاخر» كتفاخر الأقران «وتكاثر» كتكاثر الدهقان.

وقال علي – رضي الله عنه ل «عمار» : لا تحزن على الدنيا، فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب، ومنكوح، فأحسن طعامها العسل، وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء، ويستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة، وأفضل مركوبها الفرس، وعليها يقتل الرجال، وأما المنكوح فهو النساء وهو مبال في مبال، والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها.

ثم ذكر تعالى لهذه الحياة مثلا، فقال: «كمثل غيث» أي: مطر ﴿أعجب الكفار نباته﴾ .

قال ابن مسعود: المراد ب «الكفار» هنا: الزراع.

وقال الأزهري: والعرب تقول للزارع: كافر؛ لأنه يكفر البذر [المبذور في الأرض] بتراب الأرض، أي: يغطيه.

والمعنى: أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار، ثم لا يلبث أن يصير هشيما كأن لم يكن.

وقيل: المراد بالكفار هنا هم الكفار بالله، وهم أشد إعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين.." (١)

"وقوله: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ أي: متكبر بما أوتي من الدنيا.

«فخور» به على الناس، قيل: الفخور الذي ينظر الناس بعين الاحتقار.

فصل فيمن قالوا بالإرادة والجبر

قال ابن الخطيب: المعتزلة وإن نازعوا في القدرة والإرادة، فهم مسلمون في العلم والجبر، فيلزمهم الجبر باعتبارهما.

والفلاسفة مذهبهم الجبر؛ لأن سبب الحوادث عندهم الاتصالات الفلكية.

والقدرية قالوا: بأن الحوادث اتفاقية، فجميع فرق العقلاء يلزمهم الجبر، سواء أقروا به أو أنكروه.

فصل في إرادة العبد الحزن والفرح

قالت المعتزلة: قوله: ﴿لكيلا تأسوا﴾ يدل على أنه إنما أخبرهم بكتبها ليحترزوا عن الحزن والفرح، ولولا قدرتهم عليه لم يكن لذلك فائدة، ويدل على أنه لا يريد أن يقع منهم الفرح والحزن، وهو خلاف قول

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٤٨٧

المجبرة؛ لأنه قال: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ والمحبة هي الإرادة.
وأجيبوا بأن المحبة هي إرادة خاصة وهي إرادة الثو اب، ولا يلزم من نفيها نفي الإرادة.
قوله: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ . تقدم نظيره في سورة «النساء» .
قال القرطبي: «الذين» في موضع خفض نعتا للمختال.
وقال ابن الخطيب: بدل من قوله: «كل مختال» .
وقيل: رفع بالابتداء، فهو كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله.
والمعنى: الذين يبخلون فالله غني عنهم.
قيل: أراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يؤمن به الناس، فتذهب مأكلتهم.
قاله السدي والكلبي.
فيكون «الذين» مبتدأ، وخبره محذوف يدل عليه قوله تعالى: ﴿ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ .." (١)

"الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت يا سارة؟ قالت: لا، قال: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأهل والموالي والأصل والعشيرة، وقد ذهبت الموالي - تعني قتلوا يوم بدر - وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني، فقال عليه الصلاة والسلام : فأين أنت عن شباب أهل مكة؟ - وكانت مغنية نائحة قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على إعطائها، فكسوها وحملوها وأعطوها، فخرجت إلى مكة، وأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى، وقال: أعطيك عشرة دنانير، وبردا على أن تبلغي هذا الكتاب إلى أهل» مكة «، وكتب في الكتاب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم، فخذوا حذركم، فخرجت سارة، ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فبعث عليا والزبير والمقداد وأبا مرثد الغنوي، وفي رواية: عليا وعمار بن ياسر، وفي رواية: عليا وعمارا وعمرا والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد، وكانوا كلهم فرسانا، وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة» خاخ «، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها وخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها، فأدركوها في ذلك المكان، فقالوا: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب، ففتشوا أمتعتها فلم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٤٩٦

يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه، وقال أخرجي الكتاب وإلا والله لأجردنك ولأضربن عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها قد خبأته في شعرها - وفي رواية في حجزتها - فخلوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى حاطب، فقال: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، وذكر الحديث»

فصل في النهي عن موالاة الكفار

هذه السورة أصل في النهي عن موالاة الكفار، وقد تقدم نظيره، كقوله: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أوليآء﴾ [آل عمران: ٢٨] . وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآء﴾ [المائدة: ٥١] .

روي أن حاطبا لما سمع ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ غشي **من الفرح بخطاب** الإيمان.

قوله: «تلقون» . فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه تفسير لموالاتهم إياها.

الثاني: أنه استئناف إخبار بذلك، فلا يكون للجملة على هذين الوجهين محل من الإعراب.." (١)

"وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: لا يخفى المؤمن من الكافر، ولا البر من الفاجر.

وقيل: لا يتسر منكم عورة، لقوله عليه الصلاة والسلام : «يحشر الناس حفاة عراة» .

قوله: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ ، وهذا دليل على النجاة.

قال ابن عباس: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس، وقيل له: فأين أبو بكر، فقال: هيهات، زفته الملائكة إلى الجنة.

قال القرطبي: وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه، ومعناه في كتاب «التذكرة» .

قوله: «هاؤم» ، أي: خذوا ﴿اقرؤا كتابيه﴾ يقول ذلك ثقة بالإسلام وسرورا بنجاته؛ لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح.

قال الشاعر: [الوافر]

٤٨٤٨ - إذا ما راية رفعت لمجد ... لقاها عرابة باليمين

وقال: [الطويل]

٤٨٤٩ - أبيني أفي يمنى يديك جعلتني ... فأفرح أم صيدتني بشمالك

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/٥

وقال ابن زيد: معنى: «هاؤم» : تعالوا، فتتعدى ب «إلى» .

وقال مقاتل: «هلم» .

وقيل: خذوا، ومنه الحديث في الربا: «إلا هاء وهاء» ، أي: يقول كل واحد لصاحبه: خذ، وهذا هو المشهور.." (١)

"وقيل: هي كلمة وضعت لأجابة الداعي عند الفرح، والنشاط.

وفي الحديث: «أنه ناداه أعرابي بصوت عال، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم » هاؤم «يطول صوته.» .

وقيل: معناها «اقصدوا» .

وزعم هؤلاء أنها مركبة من هاء التنبيه، وأموا، من الأم، وهو القصد، فصيره التخفيف والاستعمال إلى «هاؤم» .

وقيل: «الميم» ضمير جماعة الذكور.

وزعم القتيبي: أن «الهمزة» بدل من «الكاف» .

فإن عنى أنها تحل محلها فصحيح، وإن عنى البدل الصناعي فليس بصحيح.

فقوله: «هاؤم» يطلب مفعولا يتعدى إليه بنفسه إن كان بمعنى: «خذ» أو «اقصد إلي» إن كان بمعنى: «تعالوا» ، و «اقرأوا» يطلبه أيضا، فقد تنازعا في: «كتابيه» وأعمل الثاني للحذف من الأول.

وقد تقدم تحقيق هذا في سورة «الكهف» .

وفيها لغات: وذلك أنها تكون فعلا صريحا، وتكون اسم فعل، ومعناها في الحالين: «خذ» فإن كانت اسم فعل، وهي المذكورة في الآية الكريمة، ففيها لغتان: المد والقصر تقول: «ها درهما يا زيد، وهاء درهما» ، ويكونان كذلك في الأحوال كلها من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، ويتصل بهما كاف الخطاب، اتصالها بإسم الإشارة، فتطابق مخاطبك بحسب الواقع مطابقتها وهي ضميره، نحو: «هاك، هاك، هاءك» إلى آخره.

وتخلف كاف الخطاب همزة «هاء» مصرفة تصرف كاف الخطاب، فتقول: «هاء يا زيد، هاء يا هند، هاؤم، هاؤن» وهي لغة القرآن.

وإذا كانت فعلا صريحا؛ لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها كان فيها ثلاثة لغات:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٣١/١٩

إحداها: أن يكون مثل «عاطى يعاطي» ، فيقال: «هاء يا زيد، هائي يا هند، هائيا يا زيدان أو يا هندات، هاءوا يا زيدون، هائين يا هندات» .

الثانية: أن تكون مثل: «هب» فيقال: «هأ، هيء، هاءا، هئوا، هئن» ، مثل: «هب، هبي، هبا، هبوا، هبن» .

الثالثة: أن تكون مثل: «خف» أمرا من الخوف، فيقال: «هأ، هائي، هاءا، هاءوا، هأن» ، مثل: «خف، خافي، خافا، خافوا، خفن» .

قوله: «كتابيه» . منصوب ب «هاؤم» عند الكوفيين، وعند البصريين ب «اقرأوا» ؛ لأنه أقرب العاملين، والأصل «كتابي» فأدخل «الهاء» لتبين فتحة «الياء» و «الهاء» في «كتابيه»." (١)

"قوله تعالى: ﴿ثم عبس﴾ ، يقال: عبس يعبس عبسا، وعبوسا: أي: قطب وجهه.

وقال الليث: عبس يعبس فهو عبس إذا قطب ما بين عينيه، فإذا أبدى عن أسنانه في عبوسه قيل: كلح، فإن اهتم لذلك، وفكر فيه قيل: بسر، فإن غضب مع ذلك قيل بسل. واعلم أنه ذكر صفات جسمه بعد صفات قلبه، وهذا يدل على عناده، لأن من فكر في أمر حسن يظهر **عليه الفرح لا** العبوس، والعبس أيضا: ما يبس في أذناب الإبل من البعر، والبول؛ قال أبو النجم: [الرجز]

٤٩٦١ - كأن في أذنابهن الشول ... من عبس الصيف قرون الأيل

فصل في معنى الآية

معنى الآية: قطب وجهه في وجوه المؤمنين، وذلك أنه لما قال لقريش محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين، فدعوه إلى الإسلام، فعبس في وجوههم.

وقيل: عبس على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه، والعبس: مصدر «عبس» مخففا «، كما تقدم.

قوله:» وبسر «، يقال: بسر يبسر بسرا وبسورا» إذا قبض ما بين عينيه كراهة لـلشيء واسود وجهه منه، يقال: وجه باسر، أي منقبض مسود كالح متغير اللون، قاله قتادة والسدي؛ ومنه قول بشير بن الحارث: [المتقارب]

٤٩٦٢ - صبحنا تميما غداة الجفار ... بشهباء ملمومة باسره

وأهل اليمن يقولون: بسر المركب بسرا، أي: وقف لا يتقدم، ولا يتأخر، وقد أبسرنا: أي صرنا إلى البسور. وقال الراغب: البسر استعجال الشيء قبل أوانه، نحو: بسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها، وماء بسر

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٣٢/١٩

متناول من غديره قبل سكونه، ومنه قيل للذي لم يدرك من التمر: بسر، وقوله تعالى: ﴿عبس وبسر﴾ ، أي: أظهر العبوس قبل أوانه، وقبل وقته.

قال: فإن قيل: فقوله تعالى: ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ [القيامة: ٢٤] ، ليس يفعلون ذلك قبل الموت، وقد قلت: إن ذلك يكون فيما يقع قبل وقته.

قيل: أشير بذلك إلى حالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار، فخص لفظ البسر تنبيها على أن ذلك مع ما ينالهم من بعد، يجري مجرى التكلف، ومجرى ما يفعل قبل وقته، ويدل على ذلك ﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ [القيامة: ٢٥] .." (١)

"قال مكي: «لو جاء هذا لجاز: نظرت إلى زيد، بمعنى: نظرت إلى عطاء زيد، وفي هذا نقض لكلام العرب وتخليط في المعاني» .

ونضره الله ونضره، مخففا ومثقلا، أي: حسنه ونعمه.

قال صلى الله عليه وسلم : «نضر الله أمرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها» يروى بالوجهين.

ويقال للذهب: نضار من ذلك، ويقال له: النضر أيضا.

ويقال: أخضر ناضر كأسود حالك، وقدح نضار: يروى بالإتباع والإضافة.

والعامة: «ناضرة» بألف، وقرأ زيد بن علي: «نضرة» بدونها، ك «فرح» فهو فرح.

فصل في الرؤية.

روى مسلم في قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ [يونس: ٢٦] كان ابن عمر يقول: أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم تلى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ .

وقال عكرمة: تنظر إلى ربها نظرا، وحكى الماوردي عن ابن عمر وعكرمة ومجاهد: تنظر أمر ربها، وليس معروفا إلا عن مجاهد وحده.

وجمهور أهل السنة تمسك بهذه الآية لإثبات أن المؤمنين يرون الله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة وأما المعتزلة فاحتجوا بقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣] ، ويقولون: النظر المقرون ب «إلى» ليس اسما للرؤية، بل لمقدمة الرؤية، وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته، ونظر العين بالنسبة إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة، وكالإصغاء بالنسبة إلى السمع ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/٥١٣

[الأعراف: ١٩٨] فأثبت النظر حال عدم الرؤية، ويقال: نظر إليه شزرا، ونظر إليه غضبان ونظر راضيا، ولا يقال ذلك في الرؤية،." (١)

"حيلة يقال: سفل يسفل فهو سافل، وهم سافلون كما تقول: علا يعلو فهو عال وهم عالون] .

وعن مجاهد وأبي العالية: «أسفل سافلين» إلى النار، يعني الكافر.

قال علي رضي الله عنه: أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، فيبدأ بالأسفل فيملأ وهو أسفل السافلين.

وعلى هذا التقدير: ثم رددناه إلى أسفل، وفي أسفل السافلين.

قوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: متصل على أن المعنى: رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا، يعني أقبح من قبح خلقه، وأشوههم صورة، وهم أهل النار، فالاتصال على هذا واضح.

والثاني: أنه منقطع على أن المعنى: ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في الحسن والصورة والشكل، حيث نكسناه في خلقه، فقوس ظهره، وضعف بصره وسمعه والمعنى: ولكن والذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم على طاعتهم، وصبرهم على الابتداء بالشيخوخة، ومشاق العبادة، قاله الزمخشري ملخصا، وقال: أسفل سافلين على الجمع؛ لأن الإنسان في معنى الجمع.

قال الفراء: ولو قال: أسفل سافل جاز، لأن لفظ الإنسان واحد كما تقول: هذا أفضل، ولا تقول: أفضل قائمين، لأنك تضمر الواحد، فإن كان الواحد غير مضمور له، رجع اسمه بالتوحيد، والجمع، كقوله تعالى: ﴿والذي جآء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ [الزمر: ٣٣] ، وقوله تعالى: ﴿إذآ أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها﴾ [الشورى: ٤٨] .

قوله تعالى: ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ .

قال الضحاك: أجر بغير عمل.

وقيل: غير مقطوع أي: لا يمن به عليهم.

قوله تعالى: ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ . «ما» استفهامية في محل فع بالابتداء والخبر الفعل بعدها والمخاطب: الإنسان على طريق الالتفات، توبيخا، وإلزاما للحجة، والمعنى:." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/٥٦٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠/٤١٠

"ولا يجيء، ولا يذهب إلا قال:» سبحان الله وبحمده، أستغفر الله، وأتوب إليه «قال:» فإني أمرت بها «، ثم قرأ: ﴿إذا جآء نصر الله والفتح﴾ »

إلى أخرها.

وقال عكرمة: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه قط أشد اجتهادا في أمور الآخرة ما كان عند نزولها.

وقال مقاتل: «لما نزلت، فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه، ومنهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص، ففرحوا، واستبشروا، وبكى العباس، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :» ما يبكيك يا عم «. قال: نعيت إليك نفسك، قال:» إنه لكما تقول «، فعاش بعدها ستين يوما، ما رئي فيها إلا ضاحكا مستبشرا» .

وقيل: «نزلت في» منى «بعد أيام التشريق، في حجة الوداع، فبكى عمر والعباس فقيل لهما: إن هذا يوم فرح، فقال: لا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم :» صدقتما، نعيت إلي نفسي «» .

وروى البخاري، وغيره عن ابن عباس، قال: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لي معهم، قال: فوجد بعضهم من ذلك، فقالوا: يأذن لهذا الفتى معنا، ومن أبنائنا من هو مثله، فقال لهم عمر: إنه من قد علمتم، قال: فأذن لهم ذات يوم، وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة: ﴿إذا جآء نصر الله والفتح﴾ ، فقالوا: أمر الله - جل وعز - نبيه صلى الله عليه وسلم إذا فتح عليه أن يستغفره وأن يتوب إليه فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ .

قلت: ليس كذلك ولكن أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بحضور أجله فقال: ﴿إذا جآء نصر الله والفتح﴾ فذلك علامة موتك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ فقال عمر - رضي الله عنه -: تلومونني عليه؟ وفي رواية: قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تقول» .

فصل

فإن قيل: فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار؟ .

فالجواب: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: «رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطيئتي، وعمدي، وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي اللهم

اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أعلنت، وما أسررت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، إنك على كل شيء قدير» .." (١)

"ولدا من امرأة أخرى، فقوله: ﴿رب أنى يكون لي غلام﴾ معناه: كيف تعطيني الولد؟ فسأل عن الكيفية على القسم الأول، أما على القسم الثاني فقال مستفهما لا شاكا. قاله الحسن والأصم.

وثانيهما: أن من كان آيسا من الشيء مستبعدا لحصوله ووقوعه، إذا اتفق أن حصل له ذلك المقصود، فربما صار كالمدهوش من شدة الفرح، ويقول: كيف حصل هذا؟ ومن أين وقع؟ كمن يرى إنسانا وهب أموالا عظيمة، يقول: كيف وهب هذه الأموال؟ ومن أين سمحت نفسك بهبتها. كذا هنا.

الثالث: أن الملائكة لما بشروه بيحيى، لم يعلم أنه يرزق الولد من جهة أنثى، أو من صلبه، فذكر هذا الكلام ليزول ذلك الاحتمال.

الرابع: أن العبد إذا كان في غاية الاشتياق إلى شيء يطلب من السيد، ثم إن السيد يعده بأنه سيعطيه، فعند ذلك يلتذ السائل بسماع ذلك، فربما أعاد السؤال؛ ليعيد ذلك الجواب، فحينئذ يلتذ بسماع تلك الإجابة مرة أخرى، فيحتمل أن يكون هذا هو السبب في إعادة هذا الكلام.

الخامس: نقل عن سفيان بن عيينة قال: كان دعاؤه قبل البشارة بستين سنة حتى كان نسي ذلك السؤال وقت البشارة، فلما سمع البشارة – زمان الشيخوخة – استبعد ذلك – على مجرى العادة لا شكا في قدرة الله – تعالى –.

السادس: قال عكرمة والسدي: إن زكريا – عليه السلام – جاءه الشيطان عند سماع البشارة، فقال يا زكريا إن هذا لصوت من الشيطان – وقد سخر منك – ولو كان من الله لأوحاه إليك كما يوحي إليك في سائر الأمور، فقال زكريا ذلك؛ دفعا للوسوسة، ومقصوده من هذا الكلام أن يريه الله آية تدل على ن ذلك الكلام من الوحي والملائكة لا من إلقاء الشيطان.

قال القرطبي: لا يجوز أن يشتبه كلام الملائكة بكلام الشياطين عند الأنبياء عليهم السلام؛ إذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق عن كل الشرائع.

ويمكن أن يجاب بأنه لما قامت المعجزات على صدق الوحي في كل ما يتعلق بالدين لا جرم حصل الوثوق هناك بأن الوحي من الله بواسطة الملائكة، ولا مدخل للشيطان فيه، أما ما يتعلق بمصالح الدنيا أو الولد،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٤٣/٢٠

فربما لا يتأكد ذلك بالمعجزات. فلا جرم [بقي احتمال كون ذلك الكلام من الشيطان] ، فرجع إلى الله – تعالى – في أن يزيل عن خاطره ذلك الاحتمال.." (١)

"في حضور الجمع العظيم الذي يحصل القطع واليقين بقولهم؛ لأن تخصيص مثل هذا المعجز بالواحد والاثنين لا يجوز، ولو حدثت هذه الواقعة لتوفرت الدواعي على نقلها، فيصير ذلك بالغا حد التواتر، يمتنع إخفاؤه. وأيضا فإن النصارى بالغوا في المسيح، حتى ادعوا ألوهيته، ومن هذا شأنه في التعصب يمتنع أن تخفى مناقبه، فلما أنكروه – وهم أحق الناس بإظهاره – علمنا أنه ما كان موجودا.

وأجاب المتكلمون بأن كلامه – حينئذ – إظهار لبراءة أمه، والحاضرون قليلون يجوز تواطؤهم على الإخفاء، فنسبهم الناس إلى الكذب، أو خافوا من ذلك الأمر إلى أن أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم وذلك يدل على معجزته، وصدقه.

قوله: ﴿قالت رب أنى يكون لي ولد﴾ » يكون «يحتمل التمام والنقصان، وتقدم إعراب هذه الجمل في قصة زكريا إلا أنه قال هناك: ﴿يفعل ما يشآء﴾ وقال هنا ﴿يخلق ما يشآء﴾ قيل: لأن قصتها أغرب من قضته؛ ذلك أنه لم يعهد ولد من عذراء لم يمسسها بشر ألبتة، بخلاف الولد بين الشيخ والعجوز، فإنه يستبعد، وقد يعهد بمثله – وإن كان قليلا – فلذلك أتى ب» يخلق «المقتضي للإيجاد والاختراع من غير إحالة على سبب ظاهر، وإن كانت الأشياء كلها بخلقه وإيجاده – وإن كان لها أسباب ظاهرة.

قوله: ﴿ولم يمسسني بشر﴾ هذه الجملة حال، والبشر – في الأصل – مصدر كالخلق، ولذلك يسوى فيه بين المذكر ولمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع، تقول: هذه بشر، وهذا بشر، وهؤلاء بشر. كقولك: هؤلاء خلق.

قيل: واشتقاقه من البشرة، وهي ظاهر الجلد؛ لأنه الذي شأنه أن **يظهر الفرح والغم** في بشرته، وتقدم اختلاف القراء في ﴿فيكون﴾ وما ذكر في توجيهه.

فصل

قال المفسرون: إنما قالت ذلك؛ لأن البشرية تقتضي التعجب مما وقع على خلاف العادة؛ إذ لم تجر عادة بأن يولد ولد بلا أب.

فصل

قال القرطبي: «معنى قوله: ﴿قالت رب﴾ أي: يا سيدي، تخاطب جبريل – عليه السلام – لأنه لما تمثل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٢٠٥

لها، قال لها: ﴿قال إنمآ أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا﴾ [مريم: ١٩] فلما سمعت ذلك من قوله استفهمت عن طريق الولد، فقالت: ﴿أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ ؟ أي: بنكاح، وذلك: لأن العادة التي أجراها الله في خلقه أن الولد لا يكون إلا من نكاح، [أو سفاح] .." (١)

"لما بين – تعالى – أنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم، بين – هنا – أنهم يستبشرون لأنفسهم بما رزقوا من النعيم ولذلك أعاد لفظ لاستبشار.

فإن قيل: أليس الذي ذكر فرحهم بأحوال أنفسهم والفرح عين الاستبشار – فلزم التكرار؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الاستبشار هو الفرح التام، فلا يلزم التكرار.." (٢)

"الثاني: لعل المراد حصول الفرح بما حصل في الحال، وحصول الاستبشار بما عرفوا أن النعمة العظيمة تحصيل لهم في الآخرة.

فإن قيل: ما الفرق بين النعمة والفضل، فإن العطف يقتضي المغايرة؟

فالجواب: أن النعمة هي الثواب، والفضل: هو التفضل الزائد.

وقيل: النعمة: المغفرة، والفضل: الثواب الزائد.

وقيل: للتأكيد.

روى الترمذي عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه» ، قال: هذا حديث حسن، صحيح، غريب، وهذا تفسير النعمة والفضل، وهذا في الترمذي وابن ماجه ست، وهي في العدد سبعة.

فصل

وهذه الآية تدل على أن الإنسان يكون فرحه واستبشاره – بصلاح حال إخوانه – أتم من استبشاره بسعادة نفسه، لأنه – تعالى – مدحهم على ذلك بكونهم أول ما استبشروا فرحا بإخوانهم، ثم ذكر – بعده – استبشارهم بأنفسهم، فقال: ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل﴾ .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣٢/٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢/٦

قوله: ﴿وأن الله لا يضيع﴾ قرأ الكسائي بكسر «أن» على الاستئناف.
وقال الزمخشري: إن قراءة الكسر اعتراض.
واستشكل كونها اعتراضا؛ لأنها لم تقع بين شيئن متلازمين.
ويمكن أن يجاب عنه بأن «الذين استجابوا» يجوز أن يكون تابعا ل «الذين لم يلحقوا» – نعتا، أو بدلا، على ما سيأتي – فعلى هذا لا يتصور الاعتراض.." (١)

"قال شهاب الدين: وهذا من الزجاج كأنه تفسير معنى لا إعراب، على ما يأتي ذكره عنه في تفسير الإعراب.

الوجه الثاني: أنها معترضة بين القول ومفعوله، والأصل: ليقولن يا ليتني كنت معهم كأن لم يكن، وعلى هذا أكثر الناس، وقد اختلفت عباراتهم في ذلك، ولا يظهر المعنى إلا بنقل نصوصهم فلننقلها.

فقال الزمخشري: اعتراض بين الفعل الذي هو «ليقولن» وبين مفعوله وهو «يا ليتني» والمعنى: كأنه لم يتقدم له معكم مودة؛ لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر أنه تهكم؛ لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين، وأشدهم حسدا لهم، فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس والتهكم.

وقال الزجاج: هذه الجملة اعتراض، أخبر – تعالى – بذلك؛ لأنهم كانوا يوادون المؤمنين.

وقال ابن عطية: المنافق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على التزام حلف الإسلام، ثم يتحلف نفاقا وشكا وكفرا بالله ورسوله، ثم يتمنى عندما ينكشف الغيب الظفر للمؤمنين فعلى هذا يجيء قوله: «كأن لم يكن» التفاتة بليغة، واعتراضا بين القول والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم.

وقال الرازي: هو اعتراض في غاية الحسن؛ لأن من أحب **إنسانا فرح لفرحه**، وحزن لحزنه، فإذا قلب القضية فذلك إظهار للعداوة، فحكى – تعالى – سرور المنافق عند نكبة المسلمين، ثم أراد أن يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب فواته الغنيمة فقبل أن يذكر الكلام بتمامه، ألقى قوله: ﴿كأن لم تكن﴾ والمراد التعجب؛ كأنه يقول: انظروا إلى ما يقوله هذا المنافق كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ولا مخالطة أصلا، والذي حسن الاعتراض بهذه الجملة وإن كان محلها التأخير، كون ما بعدها فاصلة وهي ليست بفاصلة.

وقال الفارسي: وهذه الجملة من قول المنافقين الذين أقعدوهم عن الجهاد؛ وخرجوا هم لم تكن بينكم وبينه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٥٣

أي: وبين الرسول - عليه الصلاة والسلام - مودة، فيخرجكم معه لتأخذوا من الغنيمة ليبغضوا بذلك الرسول إليهم، فأعاد الضمير في «بينه» على النبي - عليه الصلاة والسلام -.." (١)

"وطمعا﴾ [السجدة: ١٦] وطماعة وطماعية كالكراهية؛ قال: [الطويل]

٢٠٤٦ - ... ... طماعية أن يغفر الذنب غافره

فالتشديد فيها خطأ، واسم الفاعل منه طمع ك «فرح» و «أشر» ، ولم يحك أبو حيان غيره، وحكى الراغب: طمع وطامع، وينبغي أن يكون ذلك باعتبارين؛ كقولهم «فرح» لمن شأنه ذلك، و «فارح» لمن تجدد له فرح.

قوله: «أن يدخلنا» ، أي: «في أن» فمحلها نصب أو جر؛ على ما تقدم غير مرة. و «مع» على بابها من المصاحبة، وقيل: هي بمعنى «في» ولا حاجة إليه؛ لاستقلال المعنى مع بقاء الكلمة على موضوعها.

فصل

قال المفسرون -[رحمهم الله]- إن اليهود عيروهم، وقالوا لهم: لم آمنتم؟ فأجابوهم بهذا.

والمراد: يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين جنته، ودار رضوانه قال - تعالى -: ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ [الحج: ٥٩] ، إلا أنه حسن الحذف لكونه معلوما.

قوله تعالى: ﴿فأثابهم الله بما قالوا﴾ [المائدة: ٨٥] .

وقرأ الحسن: «فآتاهم الله» : من آتاه كذا، أي: أعطاه، والقراءة الشهيرة أولى؛ لأن الإثابة فيها منبهة على أن ذلك لأجل عمل؛ بخلاف الإيتاء؛ فإنه يكون على عمل وعلى غيره، وقوله تعالى: «جنات» مفعول ثان ل «أثابهم» ، أو ل «آتاهم» على حسب القراءتين. و ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ في محل نصب صفة ل «جنات» . و «خالدين» حال مقدرة.

فإن قيل: ظاهر الآية يدل على أنهم إنما استحقوا ذلك الثواب بمجرد القول؛ لأنه - تعالى - قال: ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات﴾ ، وذلك غير ممكن؛ لأن مجرد القول لا يفيد الثواب.

فالجواب من وجهين:

الأول: أنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة، وذلك قوله - تعالى -: ﴿مما عرفوا من الحق﴾ ، وكلما حصلت المعرفة والإخلاص وكمال." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٩١/٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٧/٧

"للعود من الترح إلى الفرح، وهو اسم لما اعتدته يعود إليك، وقد تقدم.

وقال السدي: معناه يتخذ اليوم الذي أنزلت فيه عيدا لأولنا لأهل زماننا، وآخرنا لمن يجيء بعدنا.

وقال ابن عباس: يأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

قوله: «وآية منك» دلالة وحجة.

قيل: نزلت يوم الأحد، فاتخذه النصارى عيدا. وقوله «وارزقنا» أي: طعاما نأكله ﴿وأنت خير الرازقين﴾ .." (١)

"وأبلست الناقة وهي مبلاس إذا لم ترع من شدة الضبعة يقال: ضبعت الناقة تضبع ضبعة وضبعا إذا أرادت الفحل.

فصل في معنى الآية

المعنى: فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير، أي: لما قست قلوبهم ولم يتفطنوا ونسوا ما ذكروا به من الوعظ فتحنا عليهم أبواب الخير مكان البلاء والشدة حتى إذا فرحوا بما أوتوا، **وهذا فرح بطر مثل فرح قارون** بما أصاب من الدنيا.

قال الحسن: في هذه الآية مكر بالقوم ورب الكعبة.

وقال صلى الله عليه وسلم : «إذا رأيت الله يعطي العاصي، فإن ذلك استدراج من الله»

ثم قرأ هذه الآية. ثم قال «أخذناهم بغتة» : فجاءة أين ما كانوا.

قال أهل المعاني: وإنما أخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون أشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية، «فإذا هم مبلسون» آيسون من كل خير.

قال الفراء: المبلس الذي انقطع رجاؤهن ولذلك قيل للذي سكت عند انقطاع حجته: قد أبلس.

وقال الزجاج: المبلس الشديد الحسرة الحزين.

قوله: «فقطع دابر» الجمهور على «فقطع» مبنيا للمفعول «دابر» مرفوع به.

وقرأ عكرمة: «قطع» مبنيا للفاعل، وهو الله تعالى، «دابر» مفعول به، وفيه التفات، إذ هو خورج من تكلم في قوله: «أخذناهم» إلى غيبة.

و «الدابر» التابع من خلف، يقال: دبر الولد والده، ودبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا.

وقيل: الدابر الأصل، يقال: قطع الله دابره، أي: أصله قاله الأصمعي، وقال أبو عبيد «» دابر القوم آخرهم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٦١٣

«، وأنشدوا لأمية بن أبي الصلت: [البسيط]

٢١٧٦ - فاستؤصلوا بعذاب حص دابرهم ... فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا." (١)

"موسى» ، وهو أولى من إسناده إلى ضمير الله تعالى، وأما تنظيره بقوله ﴿الله يستهزىء بهم﴾ فإنما جاز ذلك للمقابلة في قوله: ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ [البقرة: ١٤] ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران: ٥٤] ولا يجوز ذلك في غير المقابلة.

وقرأ حميد بن قيس «فلا تشمت» كقراءة ابن محيصن، ومجاهد كقراءته فيه أولا، إلا أنهما رفعا «الأعداء» على الفاعلية، جعلا «شمت لازما فرفعا به» الأعداء «على الفاعلية، فالنهي في اللفظ للمخاطب والمراد به غيره كقولهم: لا أرينك ههنا، أي: لا يكن منك ما يقتضي أن تشمت بي الأعداء.

والإشمات **والشماته: الفرح ببلية** تنال عدوك؛ قال: [الكامل]

٢٥٨٥ - ... ... والموت دون شماتة الأعداء

فصل

قيل: واشتقاقها من شوامت الدابة، وهي قوائمها؛ لأن الشماتة تقلب قلب الحاسد في **حالتي الفرح والترح** كتقلب شوامت الدابة. وتشميت العاطس وتسميته، بالشين والسين الدعاء له بالخير.

قال أبو عبيد: الشين أعلى اللغتين.

وقال ثعلب: الأصل فيها السين من السمت، وهو القصد والهدي.

وقيل: معنى تشميت العاطس [بالمعجمة] أن يثبته الله كما يثبت قوائم الدابة.

وقيل: بل التفعيل للسلب، أي: أزال الله الشماتة به وبالسين المهملة، أي: رده الله إلى سمته الأولى، أي: هيئته، لأنه يحصل له انزعاج.

وقال أبو بكر: «يقال: شمته وشمت عليه» وفي الحديث: وشمت عليهما.

فصل

ولما تبين لموسى عذر أخيه قال: ﴿رب اغفر لي ما صنعت﴾ أي: ما أقدمت عليه من الغضب، «ولأخي» إن كان منه في الإنكار على عبدة العجل ﴿وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ .." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥١/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٧/٩

"حيان، وما نقلته من الأحاديث الصحاح والحسان عن غير البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي في باب الأذكار والدعوات- فأكثره من «النووي» «١» و «سلاح المؤمن» ، وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة فمعظمه من «التذكرة» للقرطبي «٢» ، و «العاقبة» لعبد الحق، وربما زدت زيادات كثيرة من «مصابيح البغوي» «٣» وغيره كما ستقف عليه- إن شاء الله تعالى- كل ذلك معزو لمحاله، وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم، وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قال أبو عمر بن عبد البر «٤» في كتاب «التقصي» «٥» : وأولى الأمور بمن نصح نفسه، وألهم رشده- معرفة

---

(١) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام، شيخ الإسلام محيي الدين، أبو زكريا الحزامي النووي، ولد سنة ٦٣١، قرأ القرآن ببلده، وختم وقد ناهز الاحتلام، وكان محققا في علمه وفنونه، مدققا في علمه وشؤونه، حافظا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عارفا بأنواعه من صحيحه وسقيمه وغريب ألفاظه، واستنباط فقهه.. في كثير من المناقب يطول ذكرها صنف «المنهاج في شرح مسلم» ، و «المجموع» و «الأذكار» وغيرها. مات سنة ٦٧٧.
انظر: «طبقات ابن قاضي شهبة» (٢/ ١٥٣) ، «طبقات السبكي» (٥/ ١٦٥) ، «النجوم الزاهرة» (٧/ ٢٧٨) .

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري، الخزرجي، الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل «قرطبة» . رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه «الجامع لأحكام القرآن» يعرف بتفسير القرطبي، و «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» . وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية.
ينظر: «الأعلام» (٥/ ٣٢٢) ، «الديباج» (٣١٧) .

(٣) الحسين بن مسعود بن محمد، العلامة محيي السنة، أبو محمد البغوي، يعرف بالفراء أحد الأئمة، تفقه على القاضي الحسين، وكان دينا، عالما، عاملا على طريقة السلف، قال الذهبي: كان إماما في التفسير، إماما في الحديث، إماما في الفقه. بورك له في تصانيفه ورزق القبول لحسن قصده وصدق نيته. ومن تصانيفه: «التهذيب» ، و «شرح المختصر» ، وتفسيره «معالم التنزيل» . وغيرها. مات سنة ٥١٦.
انظر: «طبقات ابن قاضي شهبة» (١/ ٢٨١) ، «وفيات الأعيان» (١/ ٤٠٢) ، «تذكرة الحفاظ» (٤/

١٢٥٨) ، و «الأعلام» (٢/ ٢٨٤) ، «شذرات الذهب» (٤/ ٤٨) ، «النجوم الزاهرة» (٥/ ٢٢٤) .

(٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، القرطبي، المالكي، أبو عمر: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب، بحاثة، يقال له: حافظ المغرب، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ، وتوفي بشاطبة سنة ٤٦٣ هـ، من تصانيفه: «الدرر في اختصار المغازي والسير» و «الاستيعاب» و «جامع بيان العلم وفضله» و «المدخل» من القراءات، و «بهجة المجالس وأنس المجالس» و «الاستذكار من شرح مذاهب علماء الأمصار» و «الإنباه على قبائل الرواة» و «الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف» .

ينظر: «الأعلام» (٨/ ٢٤٠) ، «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٤٨) ، «بغية الملتمس» (٤٧٤) .

(٥) «تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» ، أو «التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك» ، ص ٩.." [١]

"المحاجة روايتان.

إحداهما: ذكر زيد بن أسلم أن النمروذ هذا قعد يأمر للناس بالميرة «١» ، فكلما جاء قوم، قال: من ربكم وإلهكم، فيقولون: أنت، فيقول: ميروهم، وجاء إبراهيم- عليه السلام-، يمتار، فقال له: من ربك وإلهك؟ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، فلما سمعها نمروذ، قال: أنا أحيي وأميت، فعارضه إبراهيم بأمر الشمس فبهت الذي كفر، وقال: لا تميروه، فرجع إبراهيم إلى أهله دون شيء، فمر على كثيب رمل كالدقيق، فقال: لو ملأت غرارتي من هذا، فإذا دخلت **به، فرح الصبيان** حتى أنظر لهما، فذهب بذلك، فلما بلغ **منزله، فرح الصبيان**، وجعلا يلعبان فوق الغرارتين، ونام هو من الإعياء، فقالت امرأته: لو صنعت له طعاما يجده حاضرا، إذا انتبه، ففتحت إحدى الغرارتين، فوجدت أحسن ما يكون من الحواري، فخبزته، فلما قام: وضعته بين يديه، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الدقيق الذي سقت، فعلم إبراهيم أن الله يسر لهم ذلك.

وقال «٢» الربيع وغيره في هذا القصص: إن النمروذ لما قال: أنا أحيي وأميت، أحضر رجلين، فقتل أحدهما، وأرسل الآخر، وقال: قد أحييت هذا، وأمت هذا، فرد عليه إبراهيم بأمر الشمس «٣» .

والرواية الأخرى: ذكر السدي أنه لما خرج إبراهيم من النار، وأدخل على الملك، قال له: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت «٤» .

يقال: بهت الرجل، إذا انقطع، وقامت عليه الحجة.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١١٩/١

- وخرب «بيت المقدس» ، وعاد إلى «بابل» ، وأقام في سلطانه إلى ما شاء الله. ينظر: «الكامل» لابن الأثير (١/ ٢٦١، ٢٦٦) .

وانظر أقوال المفسرين: في «تفسير الثوري» (ص ٧١) ، و «الدر» (١/ ٣٣١- ٣٣٣) عن علي، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، وسليمان بن بريدة، والضحاك، والسدي، وعبد الله بن سلام، وكعب، والحسن، ووهب. والطبري (٥/ ٤٣٩) عنهم، و «كنز العمال» (٢/ ٢٦٤) ، وابن كثير (١/ ٣١٤) عن علي وغيره، و «فتح القدير» (١/ ٢٧٩) .

(١) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان، قال ابن سيده: الميرة جلب الطعام، وفي التهذيب: جلب الطعام للبيع. ينظر: «لسان العرب» (٤٣٠٦) .

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٧) برقم (٥٨٧٦) وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٤٥) .

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨) برقم (٥٨٧٨) ، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٤٦) . [.....]

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨) برقم (٥٨٧٩) وذكره ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٣) .." (١)

"عبد الله، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا، فأذن وأقام، فصلى ثم خطب، فقال: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ... إلى آخر الآية: إن الله كان عليكم رقيبا [النساء: ١] والآية التي في سورة الحشر: واتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٠٧/١

أوزارهم شيء» «١» . انتهى.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٨٠ الى ٨١]

استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين (٨٠) فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١)

وقوله سبحانه: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم: المعنى: أن الله خير نبيه في هذا، فكأنه قال له: إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت لا تستغفر، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم، وإن استغفر سبعين مرة، وهذا هو الصحيح في تأويل الآية، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: «إن الله قد خيرني فاخترت، ولو علمت أني إذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت ... » «٢»

الحديث، وظاهر لفظ الحديث رفض إلزام دليل الخطاب، وظاهر صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن أبي أن كفره لم يكن يقينا عنده، ومحال أن يصلي على كافر، ولكنه راعى ظواهره من الإقرار

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤- ٧٠٥) كتاب «الزكاة» باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، حديث (٦٩/ ١٠١٧) ، والنسائي (٥/ ٧٥) كتاب «الزكاة» باب: التحريض على الصدقة، حديث (٢٥٥٤) من حديث جرير.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٥) برقم: (١٧٠٤٥) عن ابن عباس.

وأخرجه عن مجاهد أيضا (٦/ ٤٣٤) برقم: (١٧٠٤٠، ١٧٠٤٣) بنحو حديث ابن عباس.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٧٢) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر.." [١]

"ووكل سريرته إلى الله عز وجل، وعلى هذا كان ستر المنافقين، وإذا ترتب كما قلنا التخيير في هذه الآية، صح أن ذلك التخيير هو الذي نسخ بقوله تعالى في «سورة المنافقين: [٦] » :

سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم.

ت: والظاهر أن الآيتين بمعنى، فلا نسخ، فتأمله، ولولا الإطالة لأوضحت ذلك.

قال ع «١» : وأما تمثيله بالسبعين دون غيرها من الأعداد، فلأنه عدد كثيرا ما يجيء غاية ومقنعا في

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٠١/٣

الكثرة.

وقوله: ذلك إشارة إلى امتناع الغفران.

وقوله عز **وجل: فرح المخلفون** بمقعدهم خلاف رسول الله ... الآية: هذه آية تتضمن وصف حالهم، على جهة التوبيخ، وفي ضمنها وعيد، وقوله: المخلفون: لفظ يقتضي تحقيرهم، وأنهم الذين أبعدهم الله من رضاه/ و «مقعد» : بمعنى القعود، و «خلاف» : معناه: «بعد» ومنه قول الشاعر: [الطويل]

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تأهب لأخرى مثلها فكأن قد

يريد: بعد الذي مضى.

وقال الطبري «٢» : هو مصدر: خالف يخالف، وقولهم: لا تنفروا في الحر: كان هذا القول منهم لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر وطيب الثمار.

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٨٢ الى ٨٤]

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤)

وقوله سبحانه: فليضحكوا قليلا إشارة إلى مدة العمر في الدنيا.

وقوله: وليبكوا كثيرا إشارة إلى تأبيد الخلود في النار، فجاء بلفظ الأمر، ومعناه الخبر عن حالهم، وتقدير الكلام: ليبكوا كثيرا إذ هم معذبون، جزاء بما كانوا يكسبون،

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٦٤) .

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٤٣٥) .." [(١)]

"قال ع «١» : ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند شيء منه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما الذي يقتضيه اللفظ، ويلزم منه أن الفضل: هو هداية الله تعالى إلى دينه، والتوفيق إلى اتباع شرعه، والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرع بالإسلام والإيمان به، ومعنى/

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٢٠٢

الآية: قل، يا محمد، لجميع الناس: بفضل الله ورحمته **فليقع الفرح منكم**، لا بأمور الدنيا وما يجمع من حطامها، فإن قيل: كيف أمر الله بالفرح في هذه الآية، وقد ورد ذمه في قوله: لفرح فخور [هود: ١٠] وفي قوله: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين [القصص: ٧٦] .

قيل: **إن الفرح إذا** ورد مقيدا في خير، فليس بمذموم، وكذلك هو في هذه الآية، وإذا ورد مقيدا في شر، أو مطلقا لحقه ذم، إذ ليس من أفعال الآخرة، بل ينبغي أن يغلب على الإنسان حزنه على دينه، وخوفه لربه.

وقوله: مما يجمعون: يريد: مال الدنيا وحطامها الفاني المردي في الآخرة.

وقوله سبحانه: قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ... الآية.

قال ص: أرأيتم: مضمن معنى: أخبروني، و «ما» موصولة.

قال ع «٢» : هذه المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا البحائر والسوائب وغير ذلك، وقوله: أنزل: لفظة فيها تجوز.

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٦٠ الى ٦١]

وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون (٦٠) وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (٦١)

وقوله: وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة آية وعيد- لما تحقق عليهم بتقسيم الآية التي قبلها أنهم مفترون على الله- عظم في هذه الآية جرم الافتراء، أي: ظنهم في غاية الرداءة بحسب سوء أفعالهم، ثم ثنى بذكر الفضل على الناس في الإمهال لهم مع الافتراء والعصيان إذ الإمهال لهم داعية إلى التوبة والإنابة، ثم الآية تعم

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٢٦) .

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٢٧) .." (١)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٢٥٢

"ولئن أخرنا عنهم العذاب، أي: المتوعد به إلى أمة معدودة، أي مدة معدودة ليقولن ما يحبسه، أي: ما هذا الحابس لهذا العذاب على جهة التكذيب، وحاق:
معناه: حل وأحاط. البخاري: حاق: نزل.

[سورة هود (١١) : الآيات ٩ الى ١٣]
ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور (٩) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠) إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١١) فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (١٢) أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (١٣)
ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ... الآية: «الرحمة» هنا: تعم جميع ما ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك، والإنسان هنا اسم جنس، والمعنى: إن هذا الخلق في سجية الإنسان، ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والإيمان/ إلى الصبر والعمل الصالح، وكفور هنا: من كفر النعمة، وال نعماء: تشمل الصحة والمال، وال ضراء: من الضر، وهو أيضا شامل ولفظة ذهب السيئات عني: يقتضي بطرا وجهلا أن ذلك بإنعام من الله تعالى، والسيئات هنا: كل ما يسوء في الدنيا، والفرح هنا: مطلق فلذلك ذم، **إذ الفرح انهمال** النفس، ولا **يأتي الفرح في** القرآن ممدوحا إلا إذا قيد بأنه في خير.
وقوله: إلا الذين صبروا: استثناء متصل على ما قدمنا من أن الإنسان عام يراد به الجنس وهو الصواب، ومن قال: إنه مخصوص بالكافر قال: هاهنا الاستثناء منقطع، وهو قول ضعيف من جهة المعنى، لا من جهة اللفظ لأن صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضي لفظة الإنسان واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية الإنسان هؤلاء الذين حملتهم الأديان على الصبر على المكاره، والمثابرة على عبادة الله، وليس شيء من ذلك في سجية البشر، وإنما حمل على ذلك خوف الله وحب الدار الآخرة، والصبر على العمل الصالح لا ينفع إلا مع هداية وإيمان، ثم وعد تعالى أهل هذه الصفة بالمغفرة للذنوب والتفضل بالأجر والنعيم.
وقوله سبحانه: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز: سبب هذه

الآية: أن كفار قريش قالوا: يا محمد، لو تركت سب آلهتنا، وتسفيه آبائنا، لجالسناك واتبعناك، وقالوا له: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحو هذا من." (١)

"والباء في قوله: بجذع: زائدة مؤكدة، وجنيا: معناه: قد طابت/ وصلحت ٣ أللاجتناء، وهو من جنيت الثمرة.

وقال عمرو بن ميمون «١» : ليس شيء للنفساء خيرا من التمر، والرطب.

وقرة العين مأخوذة من القر وذلك، أنه يحكى: أن **دمع الفرح بارد** المس، ودمع الحزن سخن المس «٢» ، وقيل: غير هذا.

قال ص: وقري عينا أي: طيبي نفسا. أبو البقاء: «عينا» تمييز. اهـ.

وقوله سبحانه: فإما ترين من البشر أحدا ... الآية، المعنى: أن الله عز وجل أمرها على لسان جبريل عليه السلام أو ابنها على الخلاف المتقدم: بأن تمسك عن مخاطبة البشر، وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها، وتبين الآية فيقوم عذرها.

وظاهر الآية: أنها أبيح لها أن تقول مضمن هذه الألفاظ التي في الآية وهو قول الجمهور.

وقالت فرقة: معنى فقولي بالإشارة، لا بالكلام.

قال ص: وقوله: فقولي جواب الشرط، وبينهما جملة محذوفة يدل عليها المعنى أي فإما ترين من البشر أحدا، وسألك أو حاورك الكلام، فقولي. انتهى.

وصوما معناه عن الكلام إذ أصل الصوم الإمساك.

وقرأت فرقة: «إني نذرت للرحمن صمتا» ولا يجوز في شرعنا نذر الصمت فروي:

أن مريم عليها السلام لما اطمأنت بما رأت من الآيات، وعلمت أن الله تعالى سيبين عذرها، أتت به تحمله مدلة من المكان القصي الذي كانت منتبذة به، والفري: العظيم الشنيع قاله مجاهد «٣» ، والسدي، وأكثر استعماله في السوء.

---

(١) ذكره ابن عطية (٤/ ١٢) .

(٢) في ج: الملمس.

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٣٣٥) عن مجاهد برقم (٢٣٦٨٢) ، وعن السدي برقم (٢٣٦٨٥) ، وذكره ابن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٢٧٤

عطية (٤/ ١٣) ، والبغوي (٢/ ١٩٣) ، وابن كثير (٣/ ١١٨) ، والسيوطي (٤/ ٤٨٦) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد. [.....]."[1]

"لبينت وجه ذلك، والمفاتح ظاهرها: أنها التي يفتح بها، ويحتمل أن يريد بها: الخزائن والأوعية الكبار قاله الضحاك «١» لأن المفتح في كلام العرب الخزانة، وأما قوله:

لتنوأ فمعناه: تنهض بتحامل واشتداد، قال كثير من المفسرين: إن المراد: أن العصبة تنوء بالمفاتح المثقلة لها فقلب.

قلت: وقال عريب الأندلسي في كتاب «الأنواء» : له نوء كذا معناه: مثله منه:

لتنوأ بالعصبة، انتهى، وهو حسن إن ساعده النقل. وقال الداوودي عن ابن عباس:

لتنوأ بالعصبة أولي القوة يقول تثقل وكذا قال الواحدي، انتهى. واختلف في العصبة:

كم هم؟ فقال ابن عباس- رضي الله عنه-: ثلاثة «٢» ، وقال قتادة: هم من العشرة إلى الأربعين «٣» ، قال البخاري «٤» : يقال: الفرحين المرحين.

قال الغزالي في «الإحياء» : **الفرح بالدنيا** والتنعم بها سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال القيامة وهذا هو موت القلب والعياذ بالله، فأولوا الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في **حال الفرح بمواتاة** الدنيا، وعلموا أن النجاة في الحزن الدائم، والتباعد من أسباب الفرح، والبطر فقطعوا النفس عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها، وعلموا أن حلالها حساب وهو نوع عذاب، ومن نوقش الحساب عذب، فخلصوا أنفسهم من عذابها، وتوصلوا إلى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها، والأنس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته، انتهى.

قال ابن الحاج في «المدخل» : قال يمن بن رزق- رحمه الله تعالى-: وأنا أوصيك بأن تطيل النظر في مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات، حتى يريك شين المعصية وقبحها، فيدعوك ذلك النظر إلى تركها، ثم قال يمن بن رزق: ولا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الحزن، واغتنم قليل العمل مع الحزن، فإن قليل حزن الآخرة الدائم في القلب ينفي كل سرور ألفته من سرور الدنيا، وقليل سرور الدنيا في القلب ينفي عنك «٥» جميع حزن

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠١) رقم (٢٧٥٨١) ، وذكره ابن عطية (٤/ ٢٩٨) .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٥/٤

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠٢) رقم (٢٧٥٨٩) ، وذكره البغوي (٣/ ٤٥٤) .

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ١٠٢) رقم (٢٧٥٨٥) ، وذكره البغوي (٣/ ٤٥٤) ، وابن عطية (٤/ ٢٩٩) ، والسيوطي (٥/ ٢٦٠) ، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٤) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٣٦٥) كتاب التفسير: باب إنك لا تهدي من أحببت.

(٥) في ج: عنها.." [١]

"الأدعياء لآبائهم، أي: إلى آبائهم للصلب، فمن جهل ذلك فيه كان مولى وأخا في الدين، فقال الناس: زيد بن حارثة وسالم مولى أبي حذيفة، إلى غير ذلك وأقسط: معناه: أعدل.

وقوله عز وجل: وليس عليكم جناح ... الآية: رفع الحرج عمن وهم ونسي وأخطأ، فجرى على العادة من نسبة زيد إلى محمد، وغير ذلك: مما يشبهه، وأبقى الجناح في المتعمد، والخطأ مرفوع عن هذه الأمة عقابه قال صلى الله عليه وسلم: «وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه» «١» . وقال- عليه السلام-: «ما أخشى عليكم الخطأ وإنما أخشى العمد» «٢» .

قال السهيلي: ولما نزلت الآية وامتثلها زيد فقال: أنا زيد بن حارثة جبر الله وحشته وشرفه بأن سماه باسمه في القرآن فقال: فلما قضى زيد منها وطرا [الأحزاب: ٣٧] ومن ذكره سبحانه باسمه في الذكر الحكيم، حتى صار اسمه قرآنا يتلى في المحاريب، فقد نوه به غاية التنويه، فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم له ألا ترى إلى قول أبي بن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا، فبكى أبي وقال: أو ذكرت هنالك» «٣» ، وكان بكاؤه من الفرح حين أخبر أن الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلدا لا يبيد، يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن، وأهل الجنة كذلك في الجنان، ثم زاده في الآية غاية الإحسان أن قال: وإذ تقول للذي أنعم الله عليه [الأحزاب: ٣٧] يعني بالإيمان فدل على أنه عند الله من أهل الجنان، وهذه فضيلة أخرى هي غاية منتهى أمنية الإنسان، انتهى.

٧١ أ

---

(١) تقدم تخريجه.

---

[١] تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٨٢

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٨) ، والحاكم (٢/ ٥٣٤) ، وابن حبان (٢٤٧٩- موارد) من طريق جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة مرفوعا.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان.

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ١٢٤) ، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٥٨) كتاب مناقب الأنصار: باب مناقب أبي بن كعب، حديث (٣٨٠٩) ، وفي (٨/ ٥٩٧) كتاب التفسير: باب سورة (لم يكن) ، حديث (٤٩٥٩، ٤٩٦٠، ٤٩٦١) ، ومسلم (٤/ ١٩١٤) ، كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بن كعب، حديث (١٢٢/ ٧٩٩) من حديث أنس.." (١)

"فطهرت أجوافهم، وغسلت كل قذر فيها، وتتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، ثم تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم، يجيء من الغيبة يقولون: أبشر، أعد الله لك كذا وكذا، وأعد الله لك كذا، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعي به في الدنيا، فتقول له: أنت رأيته؟ **فيستخفها الفرح حتى** تقوم على أسكفة بابها، ثم ترجع، فيجيء، فينظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ثم يجلس فينظر فإذا زرابي مبثوثة، وأكواب موضوعة، ثم يرفع رأسه- فلولا أن الله قدر ذلك، لأذهب بصره- إنما هو مثل البرق ثم يقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، انتهى.

وقوله تعالى: يسبحون بحمد ربهم قالت فرقة معناه: أن تسبيحهم يتأتى بحمد الله وفضله، وقالت فرقة: تسبيحهم هو بترديد حمد الله، وتكراره، قال الثعلبي: متلذذين لا متعبدين مكلفين «١» .

وقوله تعالى: وقيل الحمد لله رب العالمين ختم للأمر، وقول جزم عند فصل القضاء، أي: أن هذا الملك/ الحاكم العادل ينبغي أن يحمد عند نفوذ حكمه وإكمال قضائه بين عباده، ومن هذه الآية جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم، قال قتادة: فتح الله أول الخلق بالحمد، فقال: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض [الأنعام: ١] وختم القيامة بالحمد في هذه الآية «٢» .

قال ع «٣» : وجعل سبحانه الحمد لله رب العالمين فاتحة كتابه فبه يبدأ كل أمر وبه يختم، وحمد الله تعالى وتقديسه ينبغي أن يكون من المؤمن كما قيل: [الطويل]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٣٣٥

وآخر شيء أنت في كل ضجعة ... وأول شيء أنت عند هبوبي «٤»

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٤) .

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٦) برقم: (٣٠٢٦٤) ، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٤) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦٩) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٢) ، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٤) .

(٤) ينظر: المصدر السابق (٤/ ٥٤٤) .." [١]

"لنبيه حالهم في القيامة عند رؤيتهم العذاب، وقولهم: هل إلى مرد من سبيل ومرادهم:

الرد إلى الدنيا، والرؤية هنا رؤية عين، والضمير في قوله: عليها عائد على النار، وإن لم يتقدم لها ذكر من حيث دل عليها قوله: رأوا العذاب.

وقوله: من الذل يتعلق ب خاشعين.

وقوله تعالى: ينظرون من طرف خفي قال قتادة والسدي «١» : المعنى: يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهم وسوء الحال لا يستطيعون النظر بجميع العين وإنما ينظرون ببعضها قال الثعلبي: قال يونس: من بمعنى الباء، ينظرون بطرف خفي، أي:

ضعيف من أجل الذل والخوف، ونحوه عن الأخفش، انتهى، وفي البخاري من طرف خفي، أي: ذليل.

وقوله تعالى: وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ... الآية، وقول الذين آمنوا هو في يوم القيامة عند ما عاينوا حال الكفار وسوء منقلبهم.

وقوله تعالى: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم يحتمل أن يكون من قول المؤمنين/ يومئذ، حكاه الله عنهم، ويحتمل أن يكون استئنافا من قول الله عز وجل وأخباره لنبيه محمد ع.

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٦ الى ٤٨]

وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٠٢/٥

عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

وقوله تعالى: وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ... الآية، إنحاء على الأصنام والأوثان التي أظهر الكفار ولايتها، واعتقدت ذلك دينا، ثم أمر تعالى نبيه أن يأمرهم بالاستجابة لدعوة الله وشريعته من قبل إتيان يوم القيامة الذي لا يرد أحد بعده إلى عمل، قال ع «٢» : في الآية الأخرى في سورة «آلم غلبت الروم» : ويحتمل أن يريد:

لا يرده راد حتى لا يقع، وهذا ظاهر بحسب اللفظ، و «النكير» : مصدر بمعنى الإنكار

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٩) برقم: (٣٠٧٣٨- ٣٠٧٣٩) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١) .

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢) .." [1]

"وقوله سبحانه: ما أصاب من مصيبة في الأرض ... الآية: قال ابن زيد وغيره «١» : المعنى: ما حدث من حادث، خير وشر، فهذا على معنى لفظ أصاب، لا على عرف المصيبة فإن عرفها في الشر، وقال ابن عباس «٢» ما معناه: أنه أراد عرف المصيبة، فقوله: في الأرض يعني: بالقحوط، والزلازل، وغير ذلك وفي أنفسكم: بالموت، والأمراض، وغير ذلك.

وقوله: إلا في كتاب معناه: إلا والمصيبة في كتاب ونبرأها معناه: نخلقها يقال: برأ الله الخلق، أي: خلقهم، والضمير عائد على المصيبة، وقيل: على الأرض، وقيل: على الأنفس قاله ابن عباس وجماعة «٣» ، وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر، وهي كلها معان صحاح.

إن ذلك على الله يسير: يريد تحصيل الأشياء كلها في كتاب، وقال الثعلبي:

وقيل المعنى: إن خلق ذلك وحفظ جميعه، على الله يسير، انتهى.

وقوله: لكيلا تأسوا معناه: فعل الله هذا كله، وأعلمكم به ليكون سبب تسليتكم وقلة اكتراثكم بأمور الدنيا، فلا تحزنوا على فائت، ولا تفرحوا الفرح المبطر بما آتاكم/ منها، قال ابن عباس «٤» : ليس أحد إلا يحزن أو يفرح، ولكن من أصابته مصيبة فليجعلها صبرا، ومن أصابه خير فليجعله شكرا وفي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد وأبي هريرة، أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب، ولا سقم ولا حزن، حتى الهم يهمه- إلا كفر به من سيئاته» «٥» ، وفي «صحيح

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٦٧/٥

مسلم» عن

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٦) ، برقم: (٣٣٦٦٢) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٨) . [.....]
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٨) .
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٥) ، برقم: (٣٣٦٥٧) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٨) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٧) ، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٧) ، برقم: (٣٣٦٦٦) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٨) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٧) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» .
(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٧) ، كتاب «المرضى» باب: ما جاء في كفارة المريض وقوله تعالى: من يعمل سوءا يجز به (٥٦٤١- ٥٦٤٢) ، ومسلم (٤/ ١٩٩٢، ١٩٩٣) ، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (٥٢/ ٢٥٧٣) ، وأحمد (٢/ ٣٠٣، ٣٣٥) ، (٣/ ١٨- ١٩، ٤٨) عن أبي هريرة، (٢/ ٣٠٣، ٣٣٥) ، (٣/ ١٨- ١٩، ٤٨) عن أبي سعيد، والبيهقي (٣/ ٣٧٣) ، كتاب «الجنائز» باب: ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من." (١)

"عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة» «١» ، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال:
لما نزلت: من يعمل سوءا يجز به [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغا شديدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سددوا وقاربوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها» «٢» ، انتهى، وقد تقدم كثير في هذا المختصر من هذا المعنى، فالله المسئول أن ينفع به كل من حصله أو نظر فيه.

وقوله تعالى: والله لا يحب كل مختال فخور: يدل على **أن الفرح المنهي** عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال والفخر، **وأما الفرح بنعم** الله المقترن بالشكر والتواضع، فإنه لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه، ولا حرج فيه، والله أعلم.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٩٢/٥

[سورة الحديد (٥٧) : الآيات ٢٤ الى ٢٧]
الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤) لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥) ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (٢٦) ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون (٢٧)
وقوله: الذين يبخلون قال بعضهم: هو خبر مبتدإ محذوف تقديره: هم الذين يبخلون، وقال بعضهم: هو في موضع نصب صفة ل كل، وإن كان نكرة فهو يخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة، وهذا مذهب الأخفش، والكتاب هنا: اسم جنس لجميع الكتب المنزلة، والميزان: العدل/ في تأويل الأكثرين.

- الصبر على الأمراض والأوجاع والأحزان، لما فيها من الكفارات والدرجات، عنهما جميعا، وابن الشجري في «أماليه» (٢/ ٢٧٩) عن أبي سعيد، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٤٥) (٤٨٨) .
(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٧) كتاب «المرضى» باب: ما جاء في كفارة المريض، وقوله تعالى: من يعمل سوءا يجز به (٥٦٤٠) ، ومسلم (٤/ ١٩٩٢/ ١٩٩٣) ، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (٤٦، ٥١/ ٢٥٧٢) . والبيهقي (٣/ ٣٧٣) ، كتاب «الجنائز» باب: ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه من الأمراض والأوجاع، والأحزان لما فيها من الكفارات، والدرجات، وأحمد (٦/ ٢٤٧، ٢٤٨) ، وابن الشجري في «الأمالي» (٢/ ٢٧٩) .
(٢) ينظر: السابق.." [١]

"وقوله: إنما نطعمكم ... الآية، قال مجاهد، وابن جبير: ما تكلموا به، ولكنه علمه الله من قلوبهم، فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب «١» ، ووصف اليوم بعبوس تجوز، والقمطرير: هو في معنى العبوس والإربداد تقول: اقمطر الرجل: إذا جمع ما بين عينيه. غضبا، وقال ابن عباس: يعبس الكافر يومئذ حتى

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٩٣/٥

يسيل ما بين عينيه كالقطران «٢» ، وعبر ابن عباس عن القمطرير بالطويل «٣» ، وعبر عنه غيره بالشديد وذلك كله قريب في المعنى، والنضرة: جمال البشرة وذلك لا يكون إلا **مع فرح النفس** وقرة العين.

وقوله: بما صبروا عام في الصبر عن الشهوات وعلى الطاعات والشدائد، وفي هذا يدخل كل ما خصص المفسرون من صوم، وفقر، ونحوه.

وقوله سبحانه: لا يرون فيها شمسا ... الآية، عبارة عن اعتدال هوائها وذهاب ضرري الحر والقر، والزمهرير: أشد البرد، والقطوف: جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ونحوه، والقوارير: الزجاج.

وقوله تعالى: من فضة يقتضي أنها من زجاج ومن فضة، وذلك متمكن لكونه من زجاج في شفوفه ومن فضة في جوهره، وكذلك فضة الجنة شفافة، [قال القرطبي في «تذكرته» : وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير، وأن تراب الجنة فضة، فهي قوارير من فضة قاله ابن عباس «٤» ، انتهى] «٥» .

وقوله تعالى: قدروها تقديرا أي: على قدر ريهم قاله مجاهد «٦» ، أو على قدر الأكف قاله الربيع «٧» ، وضمير قدروها يعود إما على الملائكة، أو على الطائفين، أو على المنعمين.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦١) ، رقم: (٣٥٧٨٧، ٣٥٧٨٨) ، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٨) ، وابن كثير (٤/ ٤٥٥) بنحوه

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦١) ، رقم: (٣٥٧٨٩) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١١) .

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٢) ، رقم: (٣٥٨٠٠) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١١) .

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٥) ، رقم: (٣٥٨١٧) ، وذكره ابن كثير (٤/ ٤٥٦) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٧4) ، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» من طريق عكرمة، عن ابن عباس بنحوه.

(٥) سقط في: د.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٦) ، رقم: (٣٥٨٣١) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١٢) ، وابن كثير (٤/ ٤٥٦) .

(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٢) ، وابن كثير (٤/ ٤٥٦) .." [١]

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٥٣١

"حذف، (ولهم عذاب أليم) بكفرهم، وكتمانهم آيات الكتاب، وقد صح أن مروان أرسل أحدا إلى ابن عباس رضى الله عنهما وقال: لئن كان كل امرئ **منا فرح بما** أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: ما لكم وهذه إنما نزلت في أهل الكتاب، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء وأخبروه بغير الواقع، فظنوا أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه، وفرحوا بكتمانهم أو نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو، ثم اعتذروا وحلفوا واستحمدوا وقيل في المنافقين يفرحون بنفاقهم، ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان، (ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير): فلا يعجز عن الانتقام.

* * *

(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (١٩١) ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار (١٩٢) ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (١٩٣) ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (١٩٤) فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى." (١)

"حرصا على مغفرتهم فأنزل الله تعالى: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم). وهو من باب حمل اللفظ على ما يحتمل مع العلم بأنه غير مراده، كقول بعضهم: مثل الأمير يحمل على الأدهم. والأشهب في جواب قول الحجاج: لأحملنك على الأدهم. أي: السلسلة إلى (ذلك)، أي: عدم قبول استغفارك، (بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين)، المتمردين في الكفر، فإن من طبع على الكفر لا ينقطع أبدا ولا يهتدي، فعدم قبول دعائك لا لبخل منا ولا لقصور فيك؛ بل لعدم قابليتهم.

* * *

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٢٣/١

تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل." (١)

"لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥) وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٨٦) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٨٧) لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون (٨٨) أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩)

* * *

(فرح المخلفون بمقعدهم)، بقعودهم عن الغزو، (خلاف رسول الله)، أي: خلفه كما في: أقام خلاف الحي. أي: بعده أو من المخالفة، أي: لمخالفته أو مخالفين له، (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا)، بعضهم لبعض أو للمؤمنين، (لا تنفروا)، لغزوة تبوك، (في الحر قل نار جهنم أشد حرا)، وقد اخترتموها بهذه المخالفة، (لو كانوا يفقهون)، أنها كيف هي، أو أن مصيرهم إليها، أو لو أنهم يفهمون ويفقهون لنفروا ليتقوا به من حر جهنم، (فليضحكوا قليلا)، عن ابن عباس رضى الله عنهما - وغيره: الدنيا قليل،." (٢)

"كما هو ثابت في القرآن، قال بعضهم: الأمر بالجهاد في جميع الشرائع، وقال بعض: كتب فيهما أنه اشترى من أمة محمد أنفسهم وأموالهم بالجنة كما بين في القرآن، (ومن أوفى بعهده من الله)، يعني لا أحد أوفى بما وعد " ومن أصدق من الله قيلا " [النساء: ١٢٢]، (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) **غاية الفرح فإنه** موجب للفرح الأبدي، (وذلك هو الفوز العظيم) نزلت حين قال عبد الله بن رواحة وأصحابه ليلة العقبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: " لربي أن تصدقوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم "، قالوا: فما لنا؟ قال: " الجنة "، قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، (التائبون) أي: هم التائبون مدحهم الله تعالى به، (العابدون) بالإخلاص،

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٨٧/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٨٨/٢

(الحامدون) لله تعالي على كل حال، (السائحون) الصائمون كما ورد " سياحة أمتي الصوم " يعني في رمضان، وقيل: من يديم الصوم، أو المجاهدون أو طلبة العلم، (الراكعون الساجدون) المصلون، (الآمرون بالمعروف) بالإيمان والطاعة، (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصي وجاء بحرف العطف إشارة إلى أن ما عطف عليه في حكم خصلة واحدة، (والحافظون لحدود الله) القائمون بطاعته وهذا مجمل الفضائل، وما قبله مفصل، قال بعض العلماء: هذه الثلاثة في حكم خصلة واحدة، يعني: يرشدون الخلائق إلى الطاعة بأمرهم بالمعروف." (١)

"للسببية أو البدلية، (فنعم عقبى الدار): جنة العدن، (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه): بعد ما أوثقوه وأقروا وقبلوا وهذا قسيم الأولين، (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض): بالكفر والمعاصي، (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) أي: سوء عاقبة الدنيا وهو جهنم، (الله يبسط): يوسع، (الرزق لمن يشاء ويقدر): يضيقه، (وفرحوا) أي: مشركو مكة، (بالحياة **الدنيا): فرح بطر** وأشر، (وما الحياة الدنيا في): جنب، (الآخرة إلا متاع): نزر قليل مثل ما يستمتع به الراكب كتميرات.

* * *

(ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب (٢٧) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨) الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (٢٩) كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب (٣٠) ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد (٣١)

* * *." (٢)

"(ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) كما قالوا: (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) [الأنبياء: ٥]، حتى نعلم حقيقتها فنؤمن بها، (قل إن الله يضل من يشاء) كما أضلكم بأن طلبتم الآية بعد تلك الآيات البينات، (ويهدي إليه): يرشد إلى دينه (من أناب): من أقبل إليه ورجع عن العناد وحاصل الجواب

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٠٥/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٧٢/٢

أن الله أنزل آيات بينات دالة على صدقه بأوضح وجه لكن الله تعالى هو المضل والهادي وقد أضلكم الله تعالى فلا تهتدون إلى تلك الآيات، بل وإن أنزلت كل آية ما اهتديتم بها، (الذين آمنوا)، بدل من " من "، (وتطمئن قلوبهم بذكر الله): بالقرآن فلا يشكون فيه أو تطيب وتسكن قلوبهم عند ذكره أنسا به، (ألا بذكر الله تطمئن القلوب): تسكن إليه ويزول عنها القلق، وعن ابن عباس هذا في الحلف إذا حلف المسلم في شيء يشك أخوه المسلم فيه اطمئن قلبه، (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ، (طوبى لهم) خبره وهو مصدر لطاب كبشرى قلبت ياؤه واوا [لضمة ما قبلها] (١)، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - **أي: فرح وقرة** عين، أو اسم الجنة بلغة الحبشة، أو شجرة في الجنة، وذكروا في وصفها ما يطول الكتاب بذكره، (وحسن مآب) أي: حسن النقلب، (كذلك): مثل ذلك الإرسال العظيم الشأن، (أرسلناك في أمة قد خلت): مضت، (من قبلها أمم لتتلو عليهم

---

(١) في الأصل [والضمة ما قبلها] والتصويب من تفسير البيضاوي. اهـ (مصحح النسخة الإلكترونية).."

(١)

"(تفرحون) أو بل أنتم بهذه الهدية التي أهديتموها **تفرحون فرح افتخار** على الملوك، بأنكم قدرتم على إهداء مثلها، وأما أنا فغني عنها، وقيل معناه: بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم، وتفرحوا بها، فيكون عبارة عن الرد، والهدية الذهب والجواهر مع الجواري والغلمان (ارجع) أيها الرسول، (إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل): لا طاقة، (لهم بها ولنخرجنهم منها) من بلدتهم، (أذلة)، ذليلين بذهاب أسباب عزهم، (وهم صاغرون): أسراء، (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) لما وصف الهدهد عرشها أعجبه فأراد أن يأخذه قبل إسلامها، لأنه يحرم عليه أموالهم بعد الإسلام (١)، أو طلب عرشها ليريها معجزة أخرى، أو أراد اختبار عقلها بأن تعرف عرشها، (قال عفريت): خبيث قوي، (من الجن) بيان له، (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك): من مجلسك للحكومة، وكان يجلس إلى نصف النهار، (وإني عليه): على حمله، (لقوي

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢/٢٧٣

(١) قول ساقط يكفي في رده ودفعه عدم قبول هديتهم، والراجح – والله أعلم – ما ذكره المصنف بعد ذلك. اهـ (مصحح النسخة الإلكترونية).." (١)

"أن ينفعنا) فإن آثار اليمن تظهر منه (أو نتخذه ولدا) نتبناه فليس لها ولد منه (وهم لا يشعرون) من كلام الله أي: التقطوا، وقيل: كذا وكذا أو الحال أنهم لا يشعرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه وقيل: من كلام امرأة فرعون والضمير للناس، أي: نتخذه ولدا والناس لا يشعرون أنه ولد غيرنا (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) خاليا من كل شيء كالمجنون في غم ولدها (إن كادت) إنها كادت (لتبدي به) أي: من شدة الحزن كادت تظهر أن لها ولدا ذهب به الماء (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصبر جوابه ما يدل عليه ما قبله (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله حين ألهمها بأنا رادوه إليك وهو علة الربط قيل: معناه أصبح فؤادها خاليا من الغم لسماعها أن فرعون تبناه وكادت **من الفرح تظهر** حاله (وقالت لأخته) أخت موسى مريم (قصيه) اتبعي أثره وتتبعي خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد (وهم لا يشعرون) أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) تحريما قدريا، يعني منعناه من أن يرتضع من المرضعات (من قبل) من قبل تتبعها." (٢)

"هي أن واسمها وخبرها ثاني مفعولي " آتينا " (إذ قال) ظرف لتنوء (له قومه لا تفرح) بدنياك، **فإن الفرح بها** مدة قصيرة وهو يورث غما سرمدا (إن الله لا يحب الفرحين) الأشرين البطرين بالدنيا (وابتغ فيما آتاك الله) من المال (الدار الآخرة) بأن تصرفه في مرضاة الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) فإن نصيب كل أحد ليس إلا ما يأكل ويلبس، أو النصيب ما ينفعك مالا وما هو إلا أعمال الخير، قيل النصيب الكفن (وأحسن) إلى الناس (كما أحسن الله إليك) قيل: أحسن بالشكر كما أحسن الله بالإنعام إليك (ولا تبغ الفساد) الظلم والكبر والمعاصي (في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندي) أي: أعطاني على علم وفضل عندي أستحقه لذلك، ولولا معرفته بفضلي ورضاه ما أعطاني وهو كان أقرأ بني إسرائيل وأحفظهم بالتوراة، قيل (عندى) خبر محذوف أي." (٣)

"جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة، (ذلك)، إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة المفسرة بالدين، (الدين القيم): المستوي الذي لا عوج فيه، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون): استقامته، (منيبين إليه): راجعين إليه بالتوبة حال من فاعل الزموا أو أقم وخطاب الرسول خطاب لأمته، (واتقوه وأقيموا

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢١٧/٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨/٣

(٣) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٦٤/٣

الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين) بدل من المشركين، (فرقوا دينهم): جعلوه أديانا مختلفة، (وكانوا شيعا): فرقا، (كل حزب): منهم، (بما لديهم فرحون): مسرورون بمذهبهم يحسبون أنهم على شيء، (وإذا مس الناس ضر): شدة، (دعوا ربهم منيبين إليه): بالدعاء، (ثم إذا أذاقهم منه رحمة): خلاصا من تلك الشدة، (إذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ بعضهم بالإشراك بالله، (ليكفروا)، اللام لام العاقبة، (بما آتيناهم أو لام الأمر للتهديد فيناسب قوله (فتمتعوا)، لكن فيه التفات للمبالغة، (فسوف تعلمون): عاقبة تمتعكم، (أم أنزلنا): بل أنزلنا، (عليهم سلطانا): حجة، (فهو يتكلم): ينطق، (بما كانوا به يشركون) أي: الحجة، ناطقة بالأمر الذي بسببه يشركون أو بإشراكهم بالله، (وإذا أذقنا الناس رحمة): نعمة، (فرحوا **بها): فرح البطر**، (وإن تصبهم سيئة): شدة، (بما قدمت أيديهم)، من المعاصي، (إذا هم يقنطون) فاجأوا القنوط من رحمة الله، (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن." (١)

"عليه السلام والمؤمنين، (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا): تخرجه من أماكنه، (فيبسطه في السماء): في سمتها، (كيف يشاء): سائرا وواقفا مطبقا وغيره إلى غير ذلك، (ويجعله كسفا) أي: تارة يبسطه وتارة يجعله قطعا، (فترى الودق): المطر، (يخرج): في التارتين، (من خلاله): وسطه، (فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) فاجأوا بالاستبشار، (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم): المطر، (من قبله) تكرير للتأكيد ومعنى التأكيد الدلالة على بعد عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم، (لمبلسين) آيسين، عن بعض الفضلاء إن الظرف الأول لـ مبلسين، والثاني لـ ينزل، أي: ينزل من قبل وقت نزوله كما إذا كنت معتادا لعطاء من أحد في وقت معين فتأخر عن ذلك الوقت، ثم أتاك به فتقول: قد كنت آيسا من قبل أن تجيئني بهذا من قبل هذا الوقت، (فانظر إلى آثار رحمت الله): الغيث، (كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك) أي: من ه و محيي الأرض، (لمحيي الموتى): بعد إماتتهم، (وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا): مضرة، (فرأوه) الضمير لأثرها أي: النبات والزرع، (مصفرا): من الجائحة، (لظلوا من بعده) من بعد اصفرار الزرع، (يكفرون) وأما المؤمنون فيفرحون بنزول الرحمة **لا فرح بطر** ويشكرون ويرون الجائحة من شؤم أنفسهم ويستغفرون، واللام موطئة للقسم، وقوله " لظلوا " جواب له ساد جزاء الشرط، (فإنك لا تسمع الموتى): والكفار في عدم جدوى السماع مثلهم، (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) الأصم." (٢)

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٠٠/٣

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣٠٥/٣

"من سائر الكتب، أو المراد من الكتاب جنس الكتب ومن ما أرسلنا رسلنا الشرائع (فسوف يعلمون): وباله، (إذ الأغلال في أعناقهم)، جعل المتوقع في حكم الموجود لتيقنه، ولهذا جمع بين سوف وإذ فإنه ظرف ليعلمون (والسلاسل)، عطف على الأغلال (يسحبون)، حال من ضمير أعناقهم أي: يجرون (في الحميم)، وقيل: تقديره يسحبون بها، فيكون السلاسل مبتدأ، والجملة خبره، (ثم في النار يسجرون): يحرقون، ويصيرون وقود النار (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون) أي: الذي تشركون به، (من دون الله) أي: الأصنام (قالوا ضلوا عنا)، فقدناهم وذلك قبل أن يقرن آلهتهم بهم أو معناه ضاعوا عنا أي: ما كنا نتوقع منهم، (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا): جحدوا شركهم كما قالوا: (والله ربنا ما كنا مشركين) [الأنعام: ٢٣]، أو ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئا أي العمل كلا عمل، (كذلك): مثل ذلك الإضلال (يضل الله الكافرين) حتى لا يهتدوا إلى ما ينفعهم في الآخرة بوجه (ذلكم): الإضلال، أو العذاب، (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) الشرك والضلال (وبما كنتم تمرحون): تتوسعون في الفرح أو تفسدون (ادخلوا أبواب جهنم): السبعة المقسومة لكم (خالدين): [مقدرين] الخلود (فيها فبئس مثوى المتكبرين): منزل." (١)

"عليهم من سبيل) بعقوبة ومؤاخذة (إنما السبيل) أي: ما السبيل بالمعاقبة إلا (على الذين يظلمون الناس) لا على من ينتصر (ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر) على الأذى (وغفر) ولم ينتصر (إن ذلك) إشارة إلى صبره، لا إلى مطلق الصبر، فلا يحتاج إلى تقدير ضمير (لمن عزم الأمور): لمن الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة.

* * *

(ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (٤٣) ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل (٤٤) وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٨/٤

وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨) لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (٥٠) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم (٥١) وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من." (١)

"(ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير): إنكار لأعمالكم، وجاز أن يراد إنكار لوعد الله تعالى ووعيده (فإن أعرضوا) عن الإجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا): رقيبا تحفظ أعمالهم (إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان) أي: جنسه (منا رحمة) كصحة وغني (فرح بها) فأشر وبطر (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) بسبب قبائحهم (فإن الإنسان كفور): بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويقنط، علق الحكم بصريح اسم الجنس دون الضمير العائد إلى مثله، تسجيلا على أن هذا الجنس موسوم بالكفران (لله ملك السماوات والأرض) فيقسم." (٢)

"لم يقدر لم يكن ليصيبه ليس من شأنه الفزع والفرح، بل النظر إلى تقليبه الله تعالى ظهرا وبطنا إن رضي فله الرضاء، وإن سخط فله السخط، والمراد من الحزن الجزع، **ومن الفرح ما** يلهي عن الشكر ويفضي إلى البطر والأشر، ولذلك قال: (والله لا يحب كل مختال) أي: متكبر، (فخور): على الناس بمتاع الدنيا عن جعفر الصادق - رضي الله عنه - يا ابن آدم ما لك تتأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت، (الذين يبخلون)، بدل من كل مختال فإن أكثرهم بخلاء، (ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول): يعرض عن الإنفاق والطاعة (فإن الله هو الغني الحميد): فإنه غني عنه، وعن إنفاقه وطاعته محمود في ذاته لا يضره كفر ولا ينفعه شكر، (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات): المعجزات، (وأنزلنا معهم الكتاب)، جنس الكتاب، (والميزان) أي: العدل أو الميزان المعروف قيل:." (٣)

"الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام وأحبوا أن يحمدوا بأنهم متبعون ملة إبراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين أو عن مشاهيرهم وضع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤/٧٠

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤/٧٢

(٣) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤/٢٦٨

أعمالهم المحكية من العقاب الأخروي إثر بيان قباحتها وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو إصرارهم على ماهم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب إيذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم أو المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الأنسب بظاهر قوله تعالى

﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ لشهرة أنهم كانوا يفرحون بما فعلوا من إظهار الإيمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان وهم عن فعله بألف معزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فإن أكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الأولى إجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح **به فرح إعجاب** ويود أن يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما أوليا وأيا ما كان فهو مفعول أول لتحسبن وقوله تعالى

﴿فلا تحسبنهم﴾ تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى

﴿بمفازة من العذاب﴾ أي ملتبسين بنجاة منه على أن المفازة مصدر ميمي ولا يضر تأنيثها بالتاء لما أنها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله ... فلولا رجاء النصر منك ورهبة ... عقابك قد كانوا لنا بالموارد ...

ولا سبيل إلى جعلها اسم مكان على أن الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها أي بمفازة كائنة من العذاب لأنها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص ليصح به المعنى أي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الأصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على أن الخطاب شامل للمؤمنين أيضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على أن الفعل له عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ممن يتأتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على أن الفعل للموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة أي لا يحسبن الذين يفرحون أنفسهم فائزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيد للأول والفاء زائدة كما مر ويجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله ... بأي كتاب أو بأية سنة ... ترى حبهم عارا علي وتحسب ...

حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الأول عليهما أو على أن الفعل الأول للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل حاسب ومفعوله الأول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل

الثاني مسند إلى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع أطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبني فرحهم وأما نهيه عليه السلام فللتعريض بحسبانهم المذكور لالاحتمال وقوع الحسبان من جهته عليه السلام

﴿ولهم عذاب أليم﴾ بعد ما أشير." (١)

"﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا﴾ متحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم إلى ما لا يحسن أن يصرف إليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ بزخارفها العاجلة ﴿فاليوم ننساهم﴾ نفعل بهم ما يفعل الناس بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي ننساهم مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يعتدوا له وقوله تعالى ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ عطف على ما نسوا أي وكما كانوا منكرين بأنها من عند الله تعالى إنكارا مستمرا." (٢)

"الأعراف آية ١٨٧

النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للإيذان بأن توفيقه صلى الله عليه وسلم للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والإرشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة أنه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به أحدا من ملك مقرب أو نبي مرسل وقوله تعالى ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ بيان لاستمرار تلك الحالة إلى حين قيامها وإقناط كلي عن إظهار أمرها بطريق الإخبار من جهته تعالى أو من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية إياه فإنه أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس أمرها الذي تسألونني عنه إلا هو بالذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين فيتوسط في إظهاره لهم لكن لا بأن لا يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هوئول بل بأن يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للإبهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها أي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٢٦/٢

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٣١/٣

عليها لا قبله كأنه قيل لا يجليها إلا هو في وقتها إلا أنه قدم على الاثتناء للتنبيه من أول الأمر على أن تجليتها ليست بطريق الإخبار بوقتها بل بإظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى ﴿ثقلت في السماوات والارض﴾ استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله أي كبرت وشقت على أهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم أهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها وأهوالها وقيل ثقلت فيهما إذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء أصلا والأول هو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ فإنه استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء أي لا تأتيكم إلا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم أنه صلى الله عليه وسلم عالم بالمسئول عنه أو أن العلم بذلك من مواجب الرسالة إثر بيان خطئهم في أصل السؤال بإعلام شأن المسئول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على أنها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم إلى السؤال على زعمهم وإشعارا بخطئهم في ذلك أي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها أي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فإن ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما أن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه إحفاء الشارب واحتفاء البقل أي استئصاله والإحفاء في المسألة أي الإلحاف فيها وقيل عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفى معترض وصلة حفي محذوفة أي حفي بها وقد قرىء كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فإن قريشا قالوا له صلى الله عليه وسلم إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي أمرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء **بمعن فرح به** والمعنى **كأنك فرح بالسؤال** عنها تحبه مع أنك كاره له لما أنه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ أمر صلى الله عليه وسلم بإعادة الجواب الأول تأكيدا للحكم وتقريرا له وإشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بإيراد اسم الذات المنبىء عن." (١)

"أي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعدواتهم لك

﴿وإن تصبك﴾ في بعضها

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٠١/٣

﴿مصيبة﴾ من نوع شدة

﴿يقولوا﴾ متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم

﴿قد أخذنا أمرنا﴾ أي تلافينا ما يهمنا من الأمر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولا وفعلا

﴿من قبل﴾ أي من قبل إصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك إلى أن المعاملة المذكورة إنما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الإسلام لا بعد إصابة المصيبة

﴿ويتولوا﴾ عن مجلس الاجتماع والتحدث إلى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم

﴿وهم فرحون﴾ بما صنعوا من أخذ الأمر وبما أصابه صلى الله عليه وسلم والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الأخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور وإسناد المساءة إلى الحسنة والمسرة إلى أنفسهم دون المصيبة بأن يقال وإن تصبك مصيبة تسررهم للإيذان باختلاف حاليهم حالتي عروض المساءة والمسرة بأنهم في الأولى مضطرون وفي الثانية مختارون سورة براءة آية (٥١ ٥٢)." (١)

"﴿فرح المخلفون﴾ أي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالإذن لهم في القعود عند استئذانهم أو خلفهم الله بتثبيطه إياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية أو خلفهم كسلهم أو نفاقهم

﴿بمقعدهم﴾ متعلق بفرح أي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو

﴿خلاف رسول الله﴾ أي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال أقام خلاف الحي أي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على أنه ظرف لمقعدهم إذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على أنه مفعول له والعامل إما فرح أي فرحوا لأجل مخالفته صلى الله عليه وسلم بالقعود وإما مقعدهم أي فرحوا بقعودهم لأجل مخالفته صلى الله عليه وسلم أو على أنه حال والعامل أحد المذكورين أي فرحوا مخالفين له صلى الله عليه وسلم أو فرحوا بالقعود مخالفين له صلى الله عليه وسلم

﴿وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ لا إيثار للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فإن إيثار أحد الأمرين قد يتحقق بأدنى رجحان منه من غير أن يبلغ الآخر مرتبة الكراهية وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم على أن يقال وكرهوا أن يخرجوا إلى الغزو إيذانا بأن

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/٧٣

الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجل الرغائب وأشرف المطالب التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بأقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿وقالوا﴾ أي لإخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد أو للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف وإظهارا لبعض العلل الداعية لهم إلى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر **والضلال الفرح بالقعود** وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك

﴿لا تنفروا فى الحر﴾ فإنه لا يستطاع شدته

﴿قل﴾ ردا عليهم وتجهيلا لهم

﴿نار جهنم﴾ التي ستدخلونها بما فعلتم

﴿أشد حرا﴾ مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون أنفسكم لها بإيثار القعود على النفير

﴿لو كانوا يفقهون﴾ اعتراض تذييلى من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو إما مقدر أي لو كانوا يفقهون أنها كذلك أو كيف هي أو أن مآلهم إليها لما فعلوا ما فعلوا أو لتأثروا بهذا الإلزام وإما غير منوي على أن لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها أي لو كانوا من أهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون." (١)

"﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ إخبار عن عاجل أمرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي إليه أعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر **من الفرح والفاء** لسببية ما سبق للإخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما إذ لا يتصور السببية في الأول أصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية." (٢)

"أو الظرفية أي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا أو زمانا قليلا زمانا كثيرا وإخراجه في صورة الأمر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فإن أمر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا أن المقصود إفادته في الأول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرفأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز أن يكون الضحك كناية **عن الفرح والبكاء** عن الغم

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/٨٨

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/٨٨

وأن تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام

﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني أي ليبكوا جزاء أو مصدر حذف ناصبه أي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة

سورة براءة آية (٨٣ ٨٤)." (١)

"فإن إخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وإن كان على إنكار أن يكون أحد أوفى بالعهد منه تعالى من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا إنكار المساواة ونفيها قطعا فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل

﴿فاستبشروا﴾ التفات إلى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار إظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد وأوقد والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله أي فإذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا **غاية الفرح بما** فزتم به من الجنة وإنما قيل

﴿ببيعكم﴾ مع أن الابتهاج به باعتبار أدائه إلى الجنة لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وإنما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لأن ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب إنما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى

﴿الذى بايعتم به﴾ لزيادة تقرير بيعهم وللإشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فإنه بيع للفاني بالباقي ولأن كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها روي أن الأنصار لما بايعوه صلى الله عليه وسلم على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال صلى الله عليه وسلم أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قال فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيله ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها قال كلام من قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد

﴿وذلك﴾ أي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من أنفسهم وأموالهم

﴿هو الفوز العظيم﴾ الذي لا فوز أعظم منه وما في ذلك من معنى البعد إشارة إلى بعد منزلة المشار إليه

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/٨٩

وسمو رتبته في الكمال ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البيع الذي أمروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كأنه نفس الفوز العظيم أو يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الأول تذييل للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه

سورة براءة آية (١١٢)." (١)

"﴿قل﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بأن يغتنموا ما في القرآن العظيم من الفضل والرحمة

﴿بفضل الله وبرحمته﴾ المراد بهما إما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة وإما الجنس وهما داخلان فيه دخولا أوليا والباء متعلقة بمحذوف وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للإيذان باستقلالها في **استيجاب الفرح ثم** قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل عليه الفاد لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل

﴿فبذلك فليفرحوا﴾ للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني عليه والفاء الأولى جزائية والثانية لدلالة على السببية والأصل إن فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا بشيء آخر ثم أدخل الفاء لدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الإشارة لدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز أن يرا د بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يتعلق الباء بجاءتكم أي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي فبمجيئها فليفرحوا وقرىء فلتفرحوا وقرأ أبي فافرحوا وعن ابن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه

﴿هو﴾ أي ما ذكر من فضل الله ورحمته

﴿خير مما يجمعون﴾ من حطام الدنيا وقرىء تجمعون أي فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون أيها المخاطبون." (٢)

"يوسف الآية (٨٥ ٨٧) على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فإن الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/١٠٦

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/١٥٦

وسلم على ولده آبراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون وإنما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتهم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صورتين أحمقين صوت **عند الفرح وصوت** عند الترح

﴿فهو كظيم﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو م كظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ إذا اجترعه وأصله كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه." (١)

"﴿الله يبسط الرزق﴾ أي يوسعه ﴿لمن يشاء﴾ من عباده ﴿ويقدر﴾ أي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لأحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسطه للكافر إملاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لأجره فلا يغتر ببسط الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن ﴿وفرحوا﴾ أي أهل **مكة فرح أشر** وبطر **لا فرح سرور** بفضل الله تعالى ﴿بالحياة الدنيا﴾ وما بسط لهم فيها من نعيمها ﴿وما الحياة الدنيا﴾ وما يتبعها من النعيم ﴿فى الاخرة﴾ أي في جنب نعيم الآخرة ﴿إلا متاع﴾ إلا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال أن ما أشروا به في جنب ما أعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد." (٢)

"﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ أي يوم يتحسر الناس قاطبة أما المسيء فعلى إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه ﴿إذ قضى الأمر﴾ أي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا **إلى فرح وأهل** النار غما إلى غم وإذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فإن المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف ﴿وهم فى غفلة﴾ أي عما يفعل بهم في الآخرة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى فى ضلال مبين أي مستقرون في ذلك

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٠٢/٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٩/٥

وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض أو من مفعول أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حال متضمنة لمعنى التعليل." (١)

"﴿فلما جاء سليمان﴾ أي الرسول ﴿قال﴾ أي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده أنه قرئ فلما جاءوا والأول أولى لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها ويؤيده الإفراد في قوله تعالى ارجع إليهم ﴿أتمدونن بمال﴾ وهو إنكار لإمدادهم إياه عليه الصلاة والسلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى ﴿فما آتاني الله﴾ أي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه ﴿خير مما آتاكم﴾ أي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للإنكار ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قال لهم هذه المقالة إلى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه الصلاة والسلام خاطبهم بها أول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ أتمدوني بالإدغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه عليه الصلاة والسلام **فرح افتخار** وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الإضراب التنبيه على أن إمداده عليه الصلاة والسلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع أنه لا قدر له عنده عليه الصلاة والسلام مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف إليه المهدى إليه والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا." (٢)

"﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله تعالى وأفئدتهم هواء أي خلاء لا عقول فيها ويعضده أنه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى بالهمز إجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها فهمزت كما في وجوه ﴿إن كادت لتبدى به﴾ أي إنها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة **أو الفرح بتبنيه** ﴿لولا

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥/٢٦٦

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٢٨٥

أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر والثبات ﴿لتكون من المؤمنين﴾ أي المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه." (١)

"القصص ٧٧ ٧٨ قريب من المحسنين ﴿إذ قال له قومه﴾ منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بأن البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآنيناه ورد بأن الإيتاء أيضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو **أظهر الفرح ويجوز** أن يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال إنما أوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه ﴿لا تفرح﴾ أي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا فقيل ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ أي بزخارف الدنيا." (٢)

"﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات أو بالآيات الواضحة ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ أي **أظهروا الفرح بذلك** وهو مالهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذي أظهره رسلهم على أن معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ **وقيل الفرح أيضا** للرسل فإنهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدي إلى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم." (٣)

"﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدوعهم إليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ وقد فعلت ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ أي نعمة من الصحة والغنى والأمن ﴿فرح بها﴾ أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي بلاء من مرض وفقر وخوف ﴿بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾ بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥/٧

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٥/٧

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٨٧/٧

بإن وإسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام في سلك الإرداة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم." (١)

"﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتربه السفهاء أي ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم **من الفرح ورفع** الأصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فإن ذلك مع إيهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الإفحان من أول الأمر خلاف الواقع كيف لا وقد روي أن قول ابن الزبعري خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجهلك بغلة قومك أما فهمت أن حالم لا يعقل وإنما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن المخصوص والعموم عملا من اختصاص كله ما بغير العقلاء لأن إخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدو الشياطين التي أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون لجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الآية بل إنما كان ما أظهروه من الأحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا﴾ أي ماضربوا لك وذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك ﴿بل هم قوم خصمون﴾ أي لد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيلا لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم أآلهتنا خير أم هو حينئذ." (٢)

"﴿لكي لا تأسوا﴾ أي أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ من نعم الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أي أعطاكم الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرىء بما أتاكم من الإتيان وفي القراءة الأولى

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٦/٨

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥١/٨

إشعار بأن فوات النعم يلحقها إذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرىء بما أوتيتم والمراد به نفي الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر ولاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فإن **من فرح بالحظوظ** الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي **عن الفرح المذكور** إيذان بأنه أقبح من الأسى." (١)

"ثم وبخهم على عدم تأثير هذه المعجزة فى قلوبهم، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ٧٤]

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (٧٤)

قلت: القسوة والقساوة: هي الصلابة واليبوسة، كالشقوة والشقاوة، يقال حجر قاس، أي: يابس. قال الشاعر:

ولا أرى أثرا للذكر في جسدي ... والحبل في الجبل القاسي له أثر

و (أو) للإضراب، أو بمعنى الواو، أو للتنويع، فبعضها كالحجارة وبعضها أشد.

يقول الحق جل جلاله: ثم قست قلوبكم يا معشر اليهود، ويبست فلم تلن ولم تخشع، مع ما رأت من الآيات كانفجار الحجر بالماء في التيه، وإنزال المن والسلوى، وتظليل الغمام، وإحياء الميت وغير ذلك.

قال الكلبي: (أنكروا بعد ما رأوا ذلك، وقالوا: ما قتلنا، فما كانوا قط أعمى قلبا، ولا أشد تكذيبا منهم لنبيهم عند ذلك) فقلوبهم كالحجارة، بل أشد، أو إن شبهتم قلوبهم بالحجارة أصبتم، وبما هو أشد أصبتم، بل في الحجارة فضل عليها في اللين، فإن منها ما تتفجر منه الأنهار الكبار، ومنها ما تشقق فيخرج منه العيون الجارية، ومنها ما تهبط من رأس الجبل من خشية الله. وفي بعض الأخبار: «كل حجر تردى من رأس جبل فهو من خشية الله» ، وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع ولا تأتي بخير. نسأل الله السلامة بمنه وكرمه.

الإشارة: كل من أساء الأدب مع أستاذه، أو خرج عن دائرته إلى غيره، قسا قلبه، وذهب حاله ولبه، فإن رجع قريبا واستدرك ما فات، لان قلبه ونهض حاله، وإلا وقع في مهاوي القطيعة، ولم يأت منه شيء. وللقلب القاسي علامات: منها جمود العين، وطول الأمل، وعدم الحزن على ما فاته من الطاعات وما صدر

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/٢١١

منه من السيئات، **وعدم الفرح بما** يصدر منه من الطاعات، فإن المؤمن تسره حسناته وتسيئه سيئاته، ودواؤه: صحبة الفقراء الذاكرين الخاشعين، والجلوس بين يدي العارفين الكاملين، وتعاهد الصيام، والصلاة بالليل والناس نيام، والتضرع إلى الحي القيوم الذي لا ينام، وللشافعي رضي الله عنه:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما." (١)

"مجيب، فنادته الملائكة، وهو جبريل، لأنه رئيس الملائكة، والعرب تنادي الرئيس بلفظ الجمع إذ لا يخلو من أصحاب، وهو قائم يصلي في المحراب روي: أنه كان قائما يصلي في محرابه، فدخل عليه شاب، عليه ثياب بيض، ففزع منه، فناداه، وقال له: أن الله يبشرك بيحيى، سمي به لأن الله تعالى أحيا به عقم أمه، أو لأن الله تعالى أحيا قلبه بمعرفته، فلم يهم بمعصية قط، أو لأنه استشهد، والشهداء أحياء.

مصدقا بكلمة من الله وهو عيسى، لأنه كان بكلمة: كن، من غير سبب عادى، وسيدا أي: يسود قومه ويفوقهم، وحصورا، أي: مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي. روي أنه مر في صباه على صبيان، فدعوه إلى اللعب، فقال: ما للعب خلقت. أو عنينا، روي: «أنه كان له ذكر كالقذاة» رواه ابن عباس. وقال في الأساس: (رجل حصور: لا يرغب في النساء) . قيل: كان ذلك فضيلة في تلك الشريعة، بخلاف شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي الورتجبي: الحصور: الذي يملك ولا يملك. وقال القشيري: حصورا: أي: معتقا من الشهوات، مكفيا أحكام البشرية، مع كونه من جملة البشر، ونبيا من الصالحين الذين صلحوا للنبوة وتأهلوا للحضرة.

ولما سمع البشارة **هزه الفرح فقال**: يا رب أنى يكون لي غلام أي: من أين يكون لي غلام؟! قاله استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه. هل مع كبر السن والعقم، أو مع زوالهما. وقد بلغني الكبر، وكان له تسع وتسعون سنة، وقيل: مائة وعشرون، وامرأتي عاقر لا تلد، ولم يقل: عاقرة، لأنه وصف خاص بالنساء. قال له جبريل: كذلك الله يفعل ما يشاء من العجائب والخوارق، فيخلق الولد من العاقر والشيخ الفاني، أو الأمر كذلك، أي: كما أخبرتك، ثم استأنف: الله يفعل ما يشاء.

ولما تحقق بالبشارة طلب العلامة، فقال: رب اجعل لي آية أعرف بها حمل المرأة، لاستقبله بالبشاشة والشكر، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أي: لا تقدر على كلام الناس ثلاثا، فحبس لسانه عن الكلام دون الذكر والشكر، ليخلص المدة للذكر والشكر، إلا رمزا بيد أو رأس أو حاجب أو عين. واذكر ربك كثيرا

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/١٢١

في هذه المدة التي حبست فيها عن الكلام، وهو يبين الغرض من الحبس عن الكلام. وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار. وسبح بالعشي أي: من الزوال إلى الغروب، أو من العصر إلى جزء الليل، والإبكار من الفجر إلى الضحى، وقيل: كانت صلاتهم ركعتين في الفجر وركعتين في المغرب، ويؤيد هذا قوله تعالى في الآية الأخرى: فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا. والله تعالى أعلم.

الإشارة: الأصلاب الروحانية كالأصلاب الجسمانية، منها ما تكون عقيمة مع كمالها، ومنها ما تكون لها ولد أو ولدان، ومنها ما تكون لها أولاد كثيرة، ويؤخذ من قضية السيد زكريا عليه السلام: طلب الولد إذا خاف الولي اندراس." (١)

"ابن حجر: ولا مانع من أن تتناول الآية كل من أتى بحسنة وفرح **بها فرح إعجاب**، وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه. والله تعالى أعلم.

الإشارة: لا يظن أهل الفرق الذين يسندون الأفعال إلى أنفسهم، غائبين عن فعل ربهم، ويحبون أن يحمدهم الناس ويمدحهم بفعل غيرهم، أنهم فائزون عن عذاب الفرق، وحجاب العجب، إذ لا فاعل سوى الحق، فمن تمام نعمته عليك أن خلق فيك ونسب إليك، **فإن فرح العبد** بالطاعة من حيث ظهورها عليه، وهي عنوان العناية- ورأى نفسه فيها كالآلة، معزولا عن فعلها، محمولا بالقدرة الأزلية فيها، فلا بأس عليه، ويزيد بذلك تواضعا وشكرا، **وإن فرح بها** من حيث صدورها منه، ويتبجح بها على عباد الله، فهو عين العجب، وفي الحكم: «لا تفرحك الطاعة من حيث إنها صدرت منك، وافرح بها من حيث إنها هدية من الله عليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا» .

ثم استدل على قدرته المفهومة من (القدير) ، فقال:

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٩٠]

إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (١٩٠)

يقول الحق جل جلاله: إن في خلق السماوات والأرض وأظهارهما للعيان، لدلائل واضحة على وجود الصانع، وكمال قدرته، وعلمه، لذوي العقول الكاملة الصافية، الخالصة من شوائب الحس والوهم.

قال البيضاوي: ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لأن مناط الاستدلال هو التغير، وهذه متعرضة لجملة أنواعه، فإنه- أي التغير- إما أن يكون في ذات الشيء، كتغير الليل والنهار، أو جزئه، كتغير الناميات

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/ ٣٥٠

بتبدل صورها، أو لخارج عنها، كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» .

الإشارة: الخلق هو الاختراع والإظهار، فإظهار هذه التجليات الأربعة يدل على أن الحق- تعالى- تجلى لعباده بين الضدين، بين النور والظلمة، بين القدرة والحكمة، بين الحس والمعنى، وهكذا خلق من كل زوجين اثنين، ليقع الفرار من إثنينية حسهما إلى فردية معناهما، ففروا إلى الله، فالسموات والنهار نورانيان، والأرض والليل ظلمانيان، ففي ذلك دلالة على وحدة المعاني، فلا تقف مع الأواني، وخض بحر المعاني، لعلك تراني. وبالله التوفيق.

ثم وصف أولى الألباب الذين يدركون صفاء هذه المعاني، فقال:." (١)

"قلت: (هدى ورحمة) : حال من مفعول (فصلناه) ، (فيشفعوا) : جواب الاستفهام، (أو نرد) بالنصب: عطف عليه، وبالرفع: استئناف، فعلى الأول: المسئول أحد الأمرين إما الشفاعة أو الرد، وعلى الثاني: المسئول الشفاعة فقط.

يقول الحق جل جلاله: ونادى، يوم القيامة، أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا أي: صبوا علينا من الماء، وفيه دليل على أن الجنة فوق النار، أو: صبوا علينا مما رزقكم الله من سائر الأشربة، ليلائم قوله أفيضوا، أو: من الطعام على حذف الفعل، أي: أو أعطونا مما رزقكم الله، قالوا إن الله حرمهما على الكافرين، أي: منعهما عنهم، الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحائر والسوائب، والتصدية حول البيت، والطواف به عريانا، وغير ذلك مما أحدثوه، واللهو: صرف القلب إلى ما لا يحصل به نفع أخروي. واللعب: طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به لخلوه عن منفعة دينية، وغرتهم الحياة الدنيا بأن أنستهم القيامة، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا، والكاف: للتعليل، أي: ننساهم لأجل نسيانهم لقاء يومهم هذا، فلم يخطروه ببالهم، ولم يستعدوا له، وما كانوا بآياتنا يجحدون أي: نهملهم لأجل إهمالهم الاستعداد للقاء، وإهمالهم آياتنا حتى جحدوا أنها من عند الله.

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم أي: بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ، مفصلة على علم، أي: عالمين بوجه تفصيله حتى جاء في غاية الإتقان، هدى ورحمة لقوم يؤمنون فإنهم المنتفعون بهدايته ورحمته دون غيرهم.

هل ينظرون أي: ما ينتظر الكفار به إلا تأويله، أي: ما يئول إليه أمره من تبين صدقه، بظهور ما نطق به من

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٤٩/١

الوعد والوعيد، بقيام الساعة وما بعدها، يوم يأتي تأويله بظهور ما نطق به، يقول الذين نسوه من قبل، ولم يؤمنوا به: قد جاءت رسل ربنا بالحق أي: قد تبين أنهم جاءوا بالحق، وحصل لهم اليقين حيث لم ينفع، ثم طلبوا من يشفع فيهم فقالوا: فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم، أو نرد أي:

وهل نرد إلى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فنستبدل الكفر بالإيمان، والعصيان بالطاعة والإذعان، أو: فيشفعوا لنا في أحد الأمرين: إما السلامة من العذاب، أو الرد إلى الدنيا فنستبدل الكفر بالإيمان. قال تعالى:

قد خسروا أنفسهم أي: بخسوها بسوء أعمالهم وكفرهم، وضل عنهم ما كانوا يفترون أي: غاب عنهم افتراؤهم فلم ينفعهم.." (١)

"فى الذنوب، والإصرار على المعاصي، **وعلامته: الفرح بتيسير** العصيان، وعدم التأسف على ما فاته من الطاعة والإحسان، ومسخ الأرواح: الانهماك في الشهوات، والوقوف مع ظواهر الحسيات، أو تكثيف الحجاب، والوقوف مع العوائد والأسباب، دون مشاهدة رب الأرباب. والله تعالى أعلم.

ثم ذكر عقوبة بنى إسرائيل فى الدنيا، فقال:

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٦٧]

وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٧)

قلت: تأذن: أعلم، وهي تفعل، وهي من الإيذان بمعنى الإعلام، كتوعد وأوعد، أو: عزم، لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله، وأجرى مجرى القسم كعلم الله وشهد الله، ولذلك أجيب باللام القسمية.

يقول الحق جل جلاله: واذكروا إذ تأذن ربك أي: أعلم وأظهر ذلك في عالم الشهادة، ليبعثن على بنى إسرائيل، أي: ليسلطن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب كالإذلال وضرب الجزية، وقد بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر، فخرب ديارهم، وقتل مقاتلتهم، وسبى نساءهم وذراريهم، وضرب الجزية على من بقي منهم، وكانوا يؤدونها إلى المجوس، حتى بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل بهم ما فعل، في بني قريظة والنضير وخيبر، ثم ضرب الله عليهم الجزية إلى آخر الدهر، إن ربك لسريع العقاب فعاقبهم في الدنيا، وإنه لغفور رحيم لمن تاب وآمن، وإنما أكد هنا الخبر باللام دون ما في

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٢١

آخر الأنعام «١» ، لأن ما هنا في اليهود، وما في آخر الأنعام في المؤمنين، فأكد ما هنا باللام، فقال: لسريع العقاب زيادة في توبيخهم ونكالهم.
الإشارة: مواطن الذل والهوان هو الانهماك في المخالفة والعدوان، وقد ينسحب ذلك في الذرية إلى آخر الزمان، فإن الله تعالى يقول: أنا الملك الودود، أعاقب الأحفاد بمعاصي الجدود، ومواطن العز والحرمة والأمان: هو الطاعة والتعظيم والإحسان، ينسحب ذلك على الأحفاد، إلى منتهى الزمان، فإن الله تعالى يحفظ الأولاد ببركة الأجداد. وقد تذاكر بعض التابعين ما يكون في آخر الزمان من الفتن والفساد، فقال بعضهم: يا ليتني كنت عقيما أو لم أتزوج، فقال له من هو أكبر منه: ألا أدلك على ما يحفظ الله به عقبك؟ قال: نعم، دلني، قال: قوله تعالى:
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ... الآية «٢» . وبالله التوفيق.

---

(١) في قوله تعالى: إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم الآية الأخيرة من سورة الأنعام.
(٢) الآية ٩ من سورة النساء.." [١]

"يقول الحق جل جلاله: ومنهم من يقول ائذن لي في القعود، ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة، أي: في العصيان والمخالفة، بأن تأذن لي، وفيه إشعار بأنه لا محالة متخلف، أذن أو لم يأذن، أو في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال إذ لا كافل لهم بعدي، أو في الفتنة بنساء الروم، كما قال الجد بن قيس: قد علمت الأنصار أني مولع بالنساء، فلا تفتني ببنات بني الأصفر، ولكني أعينك بمال، واتركني.
قال تعالى: ألا في الفتنة سقطوا أي: إن الفتنة هى التي سقطوا فيها، وهي فتنة الكفر والنفاق، لا ما احترزوا عنه، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، أي: دائرة بهم يوم القيامة، أو الآن لأن إحاطة أسبابها بهم كوجودها، ومن أعظم أسبابها: بغضك وانتظارهم الدوائر بك.
إن تصبك حسنة كنصر أو غنيمة فى بعض غزواتك، تسؤهم لفرط حسدهم وبغضهم، وإن تصبك في بعضها مصيبة ككسر أو شدة كيوم أحد، يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل أي: يتبجحوا بتخلفهم أو انصرافهم، واستحمدوا رأيهم في ذلك، ويتولوا عن متحدثهم ومجمعهم، أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم فرحون مسرورون بما صنعوا من التخلف عن الجهاد.
الإشارة: ومن ضعفاء اليقين من يستأذن المشايخ في البقاء مع الأسباب وفتنة الأموال، ويقول: لا تفتني

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٧٥/٢

بالأمر بالتجريد، فإني لا أقدر عليه، ويرضى بالسقوط في فتنة الأسباب والشواغل، فإن ضم إلى ذلك الإنكار على أهل التجريد، بحيث إذا رأى منهم نكبة أو كسرة من أجل التجريد، والخروج عن عوائد الناس وما هم عليه، فرح، وإذا رأى منهم نصرا وعزا انقبض، ففيه خصلة من النفاق، والعياذ بالله.

ثم رد عليهم، بقوله:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٥١ الى ٥٣]

قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥١) قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (٥٢) قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين (٥٣)." (١)

"وقال الهروي: الفقر صفة مهجورة، وهو ألد ما يناله العارف، لكونها تدخله على الله، وتجلسه بين يدي الله، وهو أعلم المقامات حكما لقطع العوائق، والتجرد من العلائق، واشتغال القلب بالله. قيل: الفقير الصادق لا يملك ولا يملك. وقال الشبلي: الفقير لا يستغني بشيء دون الله. وقال الشيخ ابن سبعين رضى الله عنه: الفقير هو الذي لا يحصره الكون. هـ. يعني: لخروج فكرته عن دائرة الأكوان. وقال القشيري: الفقير الصادق عندهم: من لا سماء تظله، ولا أرض تقله، ولا سهم يتناوله، ولا معلوم يشغله، فهو عبد الله بالله. هـ.

وقال السهروردي في عوارفه: الفقر أساس التصوف، وبه قوامه، ويلزم من وجود التصوف وجود الفقر لأن التصوف اسم جامع لمعاني الفقر والزهد، مع زيادة أحوال لا بد منها للصوفي، وإن كان فقيرا زاهدا.

وقال بعضهم: نهاية الفقر بداية التصوف لأن التصوف اسم جامع لكل خلق سني، والخروج من كل خلق دني، لكنهم اتفقوا ألا دخول على الله إلا من باب الفقر، ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بشيء مما أشار إليه القوم.

وقال أبو إسحاق الهروي أيضا: من أراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا على سبع، فإن الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير. اختاروا الفقر على الغنى، والجوع على الشبع والدون على المرتفع، والذل على العز، والتواضع على الكبر، والحزن على الفرح، والموت على الحياة. هـ. وقال بعضهم:

إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا أن يدخله فيفسد عليه فقره، كما يحترز الغنى من الفقر حذرا أن

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٨٩/٢

يفسد عليه غناه.
قال بعض الصالحين: كان لي مال، فرأيت فقيرا في الحرم جالسا منذ أيام، ولا يأكل ولا يشرب وعليه أطمار رثة، فقلت: أعينه بهذا المال فألقيته في حجره، وقلت: استعن بهذا على دنياك، فنفض بها في الحصباء، وقال لي:
اشتريت هذه الجلسة مع ربي بما ملكت، وأنت تفسدها علي؟ ثم انصرف وتركنى ألقطها. فو الله ما رأيت أعز منه لما بددها، ولا أذل مني لما كنت ألقطها. هـ.
وكان بعضهم إذا أصبح عنده شيىء اصبح حزينا، وإذا لم يصبح عنده شيىء أصبح فرحا مسرورا، فقيل له: إنما الناس بعكس هذا، فقال: إني إذا لم يصبح عندي شيء فلى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، وإذا أصبح لي شيء لم يكن لي برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة. هـ. وجمهور الصوفية: يفضلون الفقير الصابر على الغني الشاكر، ويفضلون الفقر في الجملة على الغنى لأنه- عليه الصلاة والسلام- اختاره، وما كان ليختار المفضول. وشذ منهم يحيى بن معاذ الواعظ وأحمد بن عطاء.." (١)
"بعض الأخبار: «من تتبع عورة أخيه المؤمن تتبع الله عورته حتى يفضحه، ولو في جوف بيته» . ومن اشتغل بإذاية الأولياء، ولم يتب، مات على سوء الخاتمة، وذلك جزاء من حارب الله- والعياذ بالله- .
ثم ذكر تخلف المنافقين عن الجهاد، فقال:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٨١ الى ٨٣]
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣)
قلت: (خلاف رسول الله) : منصوب على الظرفية، أي: بعده، يقال: أقام خلاف الحي، أي: بعدهم، وقيل:
مصدر خالف، فيكون مفعولا لأجله، أو حال.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٣٩٦

يقول الحق جل **جلاله: فرح المخلفون** أي: الذين خلفهم الله عن الغزو، وأقعدهم عنه، ولذلك عبر بالمخلفين دون المتخلفين، فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله أي: بعده في غزوة تبوك، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إيثارا للراحة والدعة على طاعة الله ورسوله. وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الأموال والمهج، وأما المنافقون فآثروا الراحة وقعدوا، وقالوا لا تنفروا في الحر، قاله بعضهم لبعض، أو قالوه للمؤمنين تثبيطا لهم. قال ابن جزي: قائل هذه المقالة رجل من بني سليم، ممن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحر. هـ. قل نار جهنم أشد حرا، وقد آثرتموها بهذه المخالفة، لو كانوا يفقهون أن مآلهم إليها، أو كيف هي؟ ... ما اختاروها بإيثار الدعة على الطاعة.

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون، وهو إخبار عما يئول إليه حالهم في الدنيا والآخرة، أي: سيضحكون قليلا، ويبكون كثيرا لما يرون من سوء العاقبة، وأتى به على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب وقوعه. قال ابن جزي: أمر بمعنى الخبر، فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها،." (١)

"وبكاؤهم الكثير في الآخرة، أي: سيضحكون قليلا في الدنيا، ويبكون كثيرا في الآخرة، وقيل: هو بمعنى الأمر، أي: يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويبكون كثيرا في الدنيا، لما وقعوا فيه. هـ.

فإن رجعك الله إلى طائفة منهم أي: فإن ردك الله من الغزو إلى المدينة، وفيها طائفة من المتخلفين- يعني منافقيهم- وكانوا اثني عشر رجلا ممن تخلف من المنافقين، وإنما لم يقل: إليهم لأن منهم من تاب من النفاق، وندم على التخلف، فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد تبوك، فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا عقوبة لهم، وفيها خزي وتوبيخ لهم، إنكم رضيتم بالقعود أول مرة، يعني: عن تبوك، وهو تعليل لعدم خروجهم معه في المستقبل، فاقعدوا مع الخالفين أي: المتخلفين، أي: لعدم تأهلهم للجهاد كالنساء والصبيان.

الإشارة: من قل إيقانه، وضعف نور **إيمانه، فرح ببقائه**، مع متابعة هواه وتيسير أمور دنياه، وكره ارتكاب مشاق المجاهدة، واقتحام حر المخالفة والمكابدة، وثبط من رآه يروم تلك الوجهة، ويريد أن يتأهب لدخول ميدان تلك الحضرة فسيندم قريبا، حين يفوز الشجعان بحضرة الوصال، ويتأهلون لمشاهدة الكبير المتعال، ولا ينفع الندم وقد زلت القدم، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى. والسابقون السابقون، أولئك المقربون، في جنات النعيم «١» . وبالله التوفيق.

ثم نهى نبيه عن الصلاة على المنافقين، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤١١/٢

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٨٤ الى ٨٥]

ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥)

قلت: (أبدا) : ظرف لمات، أي: مات في مدة لا حياة بعدها فإن حياة الكافر للتعذيب، وهي كلا حياة. يقول الحق جل جلاله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولا تصل على أحد من المنافقين إذا مات على كفره، بحيث (مات أبدا) أي: موتة لا حياة بعدها. نزلت في عبد الله بن أبي رأس المنافقين، فإنه لما مرض، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يستغفر له ويكفنه في ثوبه الذي يلي جسده، ويصلي عليه، فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه، وذهب ليصلي عليه، فنزلت. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تقدم للصلاة عليه جذبه جبريل بثوبه، وتلى عليه الآية

---

(١) الآيات ١١- ١٣ من سورة الواقعة. [.....]."[١]

"كما بينه في القرآن، أو كل أمة أمرت بالجهاد ووعدهم هذا الوعد. ومن أوفى بعهده من الله؟ هو مبالغة في الإنجاز، أي: لا أحد أوفى منه بالعهد، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به أي: فافرحوا به غاية الفرح، فإنه أوجب لكم أعظم المطالب، كما قال: وذلك هو الفوز العظيم. قال بعضهم: ناهيك من بيع، البائع فيه رب العلا، والثمن جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

الإشارة: قد اشترى الحق جل جلاله منا أنفسنا وأموالنا بالجنة، فمن باع نفسه لله بأن خالف هواها وخرق عوائدها، وسعى في طلب مولاها، عوضه جنة المعارف، معجلة، وزاده جنة الزخاف، مؤجلة. ومن باع ماله بأن أنفقه في مرضاة الله، وبخل بنفسه، عوضه جنة الزخارف، مؤجلة.

قال في الإحياء- في باب الذكر وفضيلته-: وأنه يوجب الأنس والحب، فإذا حصل الأنس بذكر الله انقطع عن غير الله، وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت، فلا يبقى م<ه في القبر أهل، ولا مال، ولا ولد، ولا ولاية، ولا يبقى معه إلا ذكر الله، فإن كان في أنس به تمتع به، وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه، إذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله، ولا يبقى بعد الموت عائق، فكأنه خلى بينه وبين محبوبه، فعظمت غبطته، وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه، عما به أنسه.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤١٢/٢

ثم قال: ولأجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب هو الخاتمة، ومعنى الخاتمة: وداع الدنيا كلها، والقدوم على الله، والقلب مستغرق بالله، منقطع العلائق عن غيره، والحاضر صف القتال قد تجرد قلبه لله، وقطع طمعه من حياته، حبا لله وطمعا في مرضاته، وحالة الشهيد توافق معنى قولك: (لا إله إلا الله) ، فإنه لا مقصود له سوى الله. هـ. فما يجده أهل التملق من لذيذ الحلاوة في مناجاتهم، وأهل الشهود في حال غيبتهم في محبوبهم، ليس هو من نعيم الدنيا، بل من نعيم الجنة، قدمه الله لأوليائه، وهو معنى جنة المعارف المعجلة عوضا لمن باع نفسه لله.

قال بعض العارفين: النفوس ثلاثة: نفس معيبة، لا يقع عليها بيع ولا شراء، وهي نفس الكافر، ونفس تحررت لا يصح بيعها، وهي نفس الأنبياء والمرسلين، لأنها خلقت مطهرة من البقايا، ونفس يصح بيعها وشراؤها، وهي نفس المؤمن، فإذا باعها لله، واشتراها الحق تعالى منه، وقع عليها التحرير، وذلك حين تتحرر من رق الأكوان، وتتخلص من بقايا الأثر.

وقال بعض أهل التحقيق: اشترى الله تعالى أعز الأشياء بأجل الأشياء، وإنما اشترى الأنفس دون القلوب لأن القلب حر لا يقع عليه البيع لأنه لله فلا يباع ولا يشتري، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القلب بيت الرب» .." (١)

"التوحيد، وجولان الروح في فضاء أسرار التفريد. وظل روحها وريحانها دائم، وهو: سكون القلب إلى الله، وفرح الروح بشهود الله. وإليه أشار ابن الفارض بقوله، رحمه الله، فى وصف خمرتها:

وإن خطرت يوما على خاطر امرئ ... أقامت به الأفراح وارتحل الهم

تلك عقبى الذين أتقوا السوى، وعقبى المنكرين لوجود أهل هذه الجنة نار القطيعة والبعد. أعاذنا الله من ذلك.

ثم ذكر حال الفريقين: **أهل الفرح بالله**، وأهل الإنكار على أحباء الله، فقال:

[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب (٣٦) وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق (٣٧)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٣١/٢

قلت: حكما: حال من ضمير أنزلناه.

يقول الحق جل جلاله، في حق من سبقت له السعادة: والذين آتيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام ومخيريق وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى، وهم: ثمانون رجلا: أربعون بنجران، وثمانية باليمن، واثنان وثلاثون من الحبشة. أو: كل من آمن من أهل الكتاب، فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم. ثم ذكر ضدهم فقال: ومن الأحزاب من ينكر بعضه أي: ومن كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة والشحناء ككعب بن الأشرف وأصحابه من اليهود، والعاقب والسيد وأشياعهما من النصارى، من ينكر بعضه، وهو ما يخالف شرائعهم التي نسخت به، أو ما يوافق ما حرفوا منها.

قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به، وهو جواب للمنكرين، أي: قل لهم: إنما أمرت فيما أنزل إلي أن أعبد الله وأوحده، وهو العمدة في الأديان كلها، فلا سبيل لكم إلى إنكاره. وأما إنكاركم ما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية في جزئيات الأحكام لأنها تابعة للمصالح والعوائد، وتتجدد بتجددها. إليه أدعوا لا إلى غيره، وإليه مآب أي: وإليه مرجعي بالبعث لا إلى غيره. وهذا هو القدر المتفق عليه من الشرائع، وهو الأمر بعبادة الله وحده، والدعاء إليه، واعتقاد المآب إليه، وهو الرجوع بالبعث يوم القيامة فلا يخالف ما قبله من الشرائع، فلا معنى للإنكار حينئذ.." (١)

"وكذلك أنزلناه أي: ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الدين المجمع عليها، أنزلناه حكما عربيا أي: يحكم في القضايا والوقائع، بما تقتضيه الحكمة، مترجما بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه وحفظه. ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم، والصلاة إلى قبلتهم بعد ما حولت عنها، بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك، ما لك من الله من ولي ينصرك، ولا واق يقيك عتابه. وهو حسم لأطماعهم، وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم. وبالله التوفيق.

الإشارة: الفرح بما أنزل من عند الله هو **مقدمات الفرح بالله**، فإذا رفعت أكنة الغفلة عن القلب تلذذ بسماع الخطاب من وراء الباب، وذلك أمارة القرب. وهذا مقام أهل المراقبة من المحبين. فإذا جد في السير رفعت عنه الحجب والأستار، وواجهته الأنوار والأسرار، فيكاشف بأسرار الذات وأنوار الصفات، فيتلذذ بشهود المتكلم، فيسمع حينئذ الكلام من المتكلم به بلا واسطة. وهذا مقام أهل الشهود من المحبين المقربين. (ومن الأحزاب) ، وهم أهل الرئاسة والجاه، من ينكر وجود بعض هذه المقامات تعصبا وحمية. أو ينسبها لنفسه غلطا وجهلا، فيقول له من تحقق بهذا المقام: إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به، إليه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٣/٣

أدعو وإليه مآب. ويغيب عنه بالاشتغال بالله، وبالدعاء إليه. فإن غفل واشتغل به، أو ركن إلى قوله، قيل له: ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق.
ولما قالت اليهود- لعنهم الله- لو كان محمد رسولا لما أولع بالنساء، رد الله عليهم بقوله:

[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب (٣٨) يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٩)
يقول الحق جل جلاله: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد، وجعلنا لهم أزواجا كثيرة:
كداود عليه السلام كان له مائة امرأة، وابنه كان له ألف، على ما قيل، وغيرهما من الأنبياء والرسل. وجعلنا لهم منهن ذرية، وأنت يا محمد منهم فليس ببدع أن يكون الرسول بشرا، يتزوج النساء، ويحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، إلا أنه لا يشغله ذلك عن أداء الرسالة، ونصيحة الأمة، وإظهار شريعة الدين، والقيام بحقوق رب العالمين. ولما أجابهم بشبهتهم قالوا: أظهر لنا معجزة كما كانت لهم، كالعصا وفلق البحر، وإحياء الموتى؟ فإنزل الله وما كان لرسول ما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية تقترح عليه، ويظهرها إلا بإذن الله وإرادته فإنه القادر على ذلك. لكل أجل من آجال بني آدم وغيرهم، كتاب يكتب فيه وقت موته، وانتقاله من الدنيا.." (١)

"قلت: «عتيا» : مصدر، من عتا يعتو، وأصله: عتوو، فاستثقل توالي الضمتين والواوين، فكسرت التاء، فقلبت الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم قلبت الثانية أيضا لاجتماع الواو والياء، وسبق إحداهما بالسكون. (قال كذلك) : خبر، أي: الأمر كذلك، فيوقف عليه، ثم يقول: (قال ربك) ، أو مصدر لقال الثانية، أي: مثل ذاك القول قال ربك. و (سويا) : حال من فاعل (تكلم) .
يقول الحق جل جلاله: يا زكريا، كلمه بواسطة الملك: إنا نبشرك ونجيب دعوتك بغلام اسمه يحيى لأنه حيي به عقم أمه. أجاب نداءه في الجملة، لا من كل وجه، بل على حسب المشيئة، فإنه طلب ولدا يرثه، فأجيب في الولد دون الإرث فإن الجمهور على أن يحيى مات قبل موت أبيه- عليهما السلام- وقيل: بقي بعده برهة، فلا إشكال حينئذ. وفي تعيين اسمه تأكيد للوعد وتشريف له، وفي تخصيصه به- كما قال تعالى: لم نجعل له من قبل سميا أي: شريكا في الاسم، حيث لم يتسم به أحد قبله- مزيد تشريف وتفخيم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤/٣

له عليه السلام فإن التسمية بالأسماء البديعة الممتازة عن أسماء الناس تنويه بالمسمى لا محالة»

. وقيل: (سميا) : شبيها في الفضل والكمال، كما قال تعالى: هل تعلم له سميا «٢» فإنه عليه السلام لم يكن قبله أحد مثله في بعض أوصافه، لأنه لم يهم بمعصية قط، وأنه ولد لشيخ فان، وعجوز عاقر، وأنه كان حصورا، ولم تكن هذه الخصال لغيره.

قال رب أنى يكون لي غلام أي: من أين وكيف يحدث لي غلام، وكانت امرأتي عاقرا: عقيمة، وقد بلغت من الكبر عتيا: يبسا في الأعضاء والمفاصل، ونحولا في البدن، لكبره، وكان سنه إذ ذاك مائة وعشرين، وامرأته ثمان وتسعين. وتقدم الخلاف فيه. وإنما قاله عليه السلام مع سبق دعائه وقوة يقينه، لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى، وتعجيبا منها، واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك، بإظهار أنه من محض فضل الله وكرمه، مع كونه في نفسه من الأمور المستحيلة عادة. وقيل: كان دهشا من ثمرة الفرح، وقيل: كان ذلك منه استفهاما عن كيفية حدوثه. وقيل: بل كان ذلك بطريق الاستبعاد، حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة، وكان قد نسي دعاءه، وهو بعيد.

قال كذلك أي: الأمر كما ذكر من كبر السن وعقم المرأة، لكن هو على قدرتنا هين، ولذلك قال:

قال ربك هو علي هين، أو مثل ذلك القول البديع قال ربك، ثم فسره بقوله: هو علي هين، أو «مثل» مقحمة، أي: ذلك قال ربك. والإشارة إلى مصدره، الذي هو عبارة عن إيجاد الولد السابق، أو كذلك قضى ربك.

---

(١) وجه الفضيلة: أن الله تعالى تولى تسميته، ولم يكل ذلك إلى أبويه، فسماه باسم لم يسبق إليه ... راجع: زاد المسير (٥/ ٢١٠) .

(٢) من الآية ٦٥ من سورة مريم.." (١)

"واشربي من ذلك السري، وقري عينا وطيبي نفسا وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك، فإنه تعالى قد نزه ساحتك عن التهم، بما يفصح به لسان ولدك من التبرئة. أو: وقري عينا بحفظ الله ورعايته في أمورك كلها.

وقرة العين: برودتها، مأخوذ من القر، وهو البرد لأن **دمع الفرح بارد**، ودمع الحزن سخن، ولذلك يقال: قرة العين للمحبوب، وسخنة العين للمكروه.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٢١

فإما ترين من البشر أحدا آدميا كائنا من كان فقولي له إن استنطقك أو لامك: إني نذرت للرحمن صوما أي: صمتا، وقرىء كذلك، وكان صيامهم السكوت، فكانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الطعام. وذكر ابن العربي في الأحوذى: أن نبينا- عليه الصلاة والسلام- اختص بإباحة الكلام لأمته في الصوم، وكان محرما على من قبلنا، عكس الصلاة. هـ. قالت: فلن أكلم اليوم إنسيا أي: بعد أن أخبرتكم بنذري، وإنما أكلم الملائكة أو أناجي ربي. وقيل: أمرت بأن تخبر عن نذرها بالإشارة. قال الفراء: العرب تسمى كل ما وصل إلى الإنسان كلاما، ما لم يؤكد بالمصدر، فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام. هـ. وإنما أمرت بذلك ونذرته لكراهة مجادلة السفهاء ومقاولتهم، وللاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فإنه نص قاطع في قطع الطعن.

فأتت به قومها عند ما طهرت من نفاسها، تحمله أي: حاملة له. قال الكلبي: احتمل يوسف النجار- وكان ابن عمها- مريم وابنها عيسى، فأدخلهما غارا أربعين يوما، حتى تعلت من نفاسها، ثم جاءت به تحمله بعد أربعين يوما، وكلمها عيسى في الطريق، فقال: يا أمه، أبشري، فإني عبد الله ومسيحه. فلما رآها أهلها، بكوا وحزنوا، وكانوا قوما صالحين. قالوا يا مريم لقد جئت أي: فعلت شيئا فريا: عظيما بديعا منكرا، من فرى الجلد: قطعه. قال أبو عبيدة: (كل فائق من عجب أو عمل فهو فري) . قال النبي صلى الله عليه وسلم: فى حق عمر رضي الله عنه: «فلم أر عبقريا من الناس يفري فرية» «١» أي: يعمل عمله.

يا أخت هارون، عنوا هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله، أي: كانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة، وكان بينها وبينه ألف سنة. أو يا أخت هارون في الصلاح والنسك، وكان رجلا صالحا في زمانهم اسمه هارون، فشبهوها به. ذكر لما مات تبع جنازته أربعون ألفا، كلهم يسمي هارون من بني إسرائيل. وقيل: إن هارون الذي شبهوها به كان أفسق بني إسرائيل، فشتموها بتشبيهها به. ما كان أبوك عمران امرأ سوء

---

(١) أخرجه البخاري فى مواضع، منها: (فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه) عن عبد الله بن عمر، وأخرجه مسلم فى (فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه) عن أبى هريرة، ولفظ الحديث كاملا كما فى البخاري: قال صلى الله عليه وسلم:

«أريت فى المنام أنى أنزع بدلو على بكرة على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا، والله

يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب، فاستحالت غربا، فلم أر عبقريا يفرى فريه، حتى روى الناس وضربوا بعطن» .." (١)

"إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا، هذا استئناف لبيان خشيتهم من الله تعالى وإخباتهم له، مع مالهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب، وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل، أي: إذا تتلى عليهم، آيات الرحمن، إما عند نزولها عليهم، أو بسماعها من غيرهم، لحديث: «أحب أن أسمعه من غيري» . ثم بكى صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا «١» فكان الأنبياء عليهم السلام مثله، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا ساجدين وباكين. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا» «٢» . وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ سورة مريم، فسجد فيها، فقال: (هذا السجود، فأين البكاء) ؟

قال بعضهم: ينبغي أن يدعو الساجد في سجوده بما يليق بآيتها، فهاهنا يقول: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، المهديين الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك. وفي الإسراء يقول: اللهم اجعلني من الخاضعين لوجهك، المسبحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك، وهكذا. والذي ورد في الخبر: يقول:

«سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، بحوله وقوته، اللهم اكتب لي بها أجرا، وضع عني بها وزرا، واجعلها لي عندك ذخرا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام» . والله تعالى أعلم.

الإشارة: قد أثنى الله تعالى على هؤلاء السادات المنعم عليهم بكونهم إذا سمعوا كلام الحبيب خضعوا ورقت قلوبهم، وهو أول درجة المحبة، وفوقه الفرح بكلام الحبيب من مكان قريب، وفوقه الفرح بشهود المتكلم، وهنا ينقطع البكاء لدخول صاحب هذا المقام جنة المعارف، وليس في الجنة بكاء.

وأيضا: من شأن القلب في أول أمره الرطوبة، يتأثر بالواردات والأحوال، فإذا استمر عليها اشتد وصلب بحيث لا يؤثر فيه شيء من الواردات الإلهية. وفي هذا المعنى قال أبو بكر رضي الله عنه، حين رأى قوما يبكون عند سماع القرآن: (كذلك كنا ثم قست القلوب) «٣» ، فعبر عن تمكنه بالقسوة، تواضعا واستتارا، وإنما أثنى على هؤلاء السادات بهذه الخصلة لأنها سلم لما فوقها. والله تعالى أعلم.

---

(١) الآية ٤١ من سورة النساء، والحديث: أخرجه البخاري فى (التفسير- سورة النساء) ، ومسلم فى

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٢٩

(الصلاة، باب: فضل استماع القرآن) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه بنحوه ابن ماجة فى (إقامة الصلاة، باب فى حسن الصوت بالقرآن) من حديث سعد بن أبي وقاص. [.....]

(٣) قال الحافظ أبو نعيم: «.. عن أبى صالح: لما قدم أهل اليمن- زمان أبى بكر- وسمعوا القرآن، جعلوا يبكون، قال: فقال أبو بكر:

[هكذا كنا، ثم قست القلوب] . قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله: «ومعنى قوله: قست القلوب: قويت، واطمأنت بمعرفة الله تعالى.

أ. هـ. الحلية، ج ١، ص ٣٣- ٣٤ ويحتمل أن يكون المعنى: أنهم كانوا أرقاء القلوب بمشاهدتهم لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم.. ثم طال الأمد.. فقست القلوب.. وهذا منه تواضع، رضي الله عنه.." (١)

"الإشارة: ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين، غير متمكن فيه، فإنه أصابه خير، وهو ما تسر به النفس من أنواع الجمال، اطمأن به، وإن أصابته فتنة، وهو ما يؤلم النفس وينغص عليها مرادها وشهوتها من أنواع الجلال، انقلب على وجهه. أو: ومن الناس من يعبد الله على طمع في الجزاء الدنيوي أو الأخروي، فإن أصابه **خير فرح واطمأن** به، وإن أصابته فتنة سخط وقنط وانقلب على وجهه. أو: ومن الناس من يعبد الله ويسير إليه على حرف، أي: حالة واحدة، فإن أصابه خير كقوة ونشاط وورود حال اطمأن به وفرح، وإن أصابته فتنة كضعف وكسل وذهاب حال، انقلب على وجهه، ورجع إلى العمومية، أو وقف عن السير، خسر الدنيا والآخرة. خسران الدنيا: ما يفوته من عز الله ونصره لأوليائه، وحلاوة برد الرضا والتسليم، ولذيذ مشاهدته. وخسران الآخرة: ما يفوته من درجة المقربين، ودوام شهود رب العالمين. فالواجب على العبد أن يكون عبدا لله في جميع الحالات، لا يختار لنفسه حالا على حال، ولا يقف مع مقام ولا حال، بل يتبع رياح القضاء، ويدور معها حيث دارت، ويسير إلى الله في الضعف والقوة. قال بعضهم: سيروا إلى الله عرجى ومكاسير. وفي الحكم: «إلهي قد علمت، باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار، أن مرادك مني أن تتعرف إلي في كل شيء، حتى لا أجهلك في شيء» . وقال أيضا: «لا تطلبن بقاء الواردات، بعد أن بسطت أنوارها، وأودعت أسرارها، فلك في الله غنى عن كل شيء، وليس يغنيك عنه شيء» .

فكن عبد المحول، ولا تكن عبد الحال، فالحال تحول وتتغير، والله تعالى لا يحول ولا يزول، فكن عبدا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٤٦

لله، ولا تكن عبدا لغيره.

لكل شيء، إن فارقته، عوض ... وليس لله، إن فارقت من عوض

ثم شفع الحق تعالى بضد ما ذكره قبل، فقال:

[سورة الحج (٢٢) : آية ١٤]

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤)

يقول الحق جل جلاله: إن الله يدخل الذين آمنوا، وتمكنوا من الإيمان، وعبدوا الله وحده في جميع الحالات، ولم يعبدوه على حرف، وعملوا الأعمال الصالحات، جنات تجري من تحتها أي: من تحت قصورها الأنهار الأربعة. وهذا بيان حال المؤمنين العابدين له تعالى في جميع الحالات، وأن الله تفضل عليهم، بما لا غاية وراءه، إثر بيان سوء حال الكفرة، من المجاهرين والمذبذبين، وأن معبودهم لا ينفعهم." (١)

"يقول الحق جل جلاله: ولا يزال الذين كفروا في مرية: شك منه من القرآن، أو الصراط المستقيم، حتى تأتيهم الساعة بغتة: فجأة، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، وهو عذاب يوم القيامة، كأنه قيل: حتى تأتيهم الساعة أو عذابها، فزاد «اليوم العقيم» لمزيد التهويل. واليوم العقيم: الذي لا يوم بعده، كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام، فما لا يوم بعده يكون عقيما. وقيل: اليوم العقيم: يوم بدر، فهو عقيم عن أن يكون للكافرين فيه فرح أو راحة، كالريح العقيم لا تأتي بخير، أو لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه، ولكن لا يساعده ما بعده، من قوله: الملك يومئذ لله أي: السلطان القاهر، والتصرف التام، يومئذ لله وحده، ولا منازع له فيه، ولا تصرف لأحد معه، لا حقيقة ولا مجازا، ولا صورة ولا معنى، كما في الدنيا، فإن للبعض فيه تصرفا مجازيا صوريا. يحكم بينهم أي: بين فريق أهل المرية وأهل الإيمان.

ثم بين حكمه فيهم، فقال: فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه، وعملوا الصالحات امتثالا لما أمر به في تضاعيفه في جنات النعيم، والذين كفروا بالقرآن وشكوا فيه، أو بالبعث والجزاء، وكذبوا بآياتنا الدالة على كمال قدرتنا أو القرآن، فأولئك لهم عذاب مهين، يهينهم ويخزيهم.

ثم خص قوما من الفريق الأول بفضيلة، فقال: والذين هاجروا في سبيل الله: خرجوا من أوطانهم مجاهدين، ثم قتلوا في الجهاد، أو ماتوا حتف أنفهم، ليرزقنهم الله رزقا حسنا، وهو ما لا ينقطع من نعيم الجنان.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥١٨/٣

ومراتب الحسن متفاوتة، فيجوز تفاوت حال المرزوقين، حسب تفاوت أرزاق الجنة.
روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا معك؟ فنزلت: (والذين هاجروا ...) الآيتين. وقيل: نزلت في طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة، فتبعهم المشركون فقتلوهم.
ثم قال تعالى: وإن الله لهو خير الرازقين، فإنه يرزق بغير حساب، مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه غيره، ليدخلنهم مدخلا يرضونه، وهو الجنة لأن فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، قيل: لما ذكر الرزق ذكر المسكن، وإن الله لعليم حليم، عليم بأحوال من قضى نحبه مجاهدا، وآمال من مات وهو ينتظره معاهدا، حليم بإمهال من قاتلهم معاندا.
الإشارة: من لم يصحب العارفين أهل الرسوخ واليقين، لا يمكن أن تنقطع عنه خواطر الشكوك والأوهام، حتى يلقى الله بقلب سقيم، فيفضي إلى الهوان المقيم. والذين هاجروا في طلب محبوبهم لتكميل يقينهم، ثم قتلوا قبل الوصول، أو ماتوا بعد الوصول، ليرزقنهم الله جميعا رزقا حسنا، وهو لذة الشهود والعيان، في مقعد صدق مع." (١)

"الأجلين: العشر أو الثماني، فلا عدوان علي أي: لا يتعدى علي في طلب الزيادة عليه، قال المبرد: قد علم أنه لا عدوان عليه في إتمامهما، ولكن جمعهما ليجعل الأقل كالأتم في الوفاء، وكما أن طلب الزيادة على الأتم عدوان فكذلك طلب الزيادة على الأقل. والله على ما نقول وكيل أي: رقيب وشهيد.
واختلف العلماء في وجوب الإشهاد في النكاح على قولين، أحدهما: أنه لا ينعقد إلا بشاهدين، وبه قال أبو حنيفة والشافعي، وقال مالك: ينعقد بدون شهود لأنه عقد معاوضة، فلا يشترط فيه الإشهاد، وإنما يشترط فيه الإعلان، والإظهار بالدف والدخان ليتميز من السفاح، ويجب عند الدخول.
روي أن شعيبا كانت عنده عصي الأنبياء- عليهم السلام-، فقال لموسى بالليل: ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي، فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة، ولم يزل الأنبياء- عليهم السلام- يتوارثونها، حتى وقعت إلى شعيب، فلما أخذها، قال له شعيب: ردها وخذ غيرها، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات. - وفي رواية السدي: أمر ابنته أن تأتيه بعصا فجاءته بها، فلما رآها الشيخ قال: آتيه بغيرها، فألقتها لتأخذ غيرها، فلا تصير في يدها إلا هي، مرارا، فرفعتها إليه، فعلم أن له شأنا. ولما أصبح قال له شعيب: إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك، فإن الكلأ، وإن كان بها أكثر، إلا أن فيها تنينا، أخشاه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٤٧/٣

عليك وعلى الغنم، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها، فمشى على أثرها، فإذا عشب وريف لم ير مثله، فنام، فإذا التنين قد أقبل، فحاربته العصا حتى قتلته، وعادت إلى جنب موسى دامي، فلما أبصرها دامية، والتنين مقتولا ارتاح لذلك. ولما رجع إلى شعيب بالغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن، وأخبره موسى، فرح، وعلم أن لموسى شأنا، وقال له: إني وهبت لك من نتاج غنمي، هذا العام، كل أدرع ودرعاء- أي: كل جدي أبلق، وأنثى بلقاء- فأوحى الله تعالى إلى موسى في المنام: أن اضرب بعصاك الماء الذي تسقى منه الغنم، فضرب، ثم سقى الأغنام، فوضعت كلها بلقاء، فسلمها شعيب إليه.

وذكر الإمام اللجائي في كتابه (قطب العارفين) : أن موسى عليه السلام انتهى، ذات يوم، بأغنامه إلى واد كثير الذئاب، وكان قد بلغ به التعب، فبقي متحيرا، إن اشتغل بحفظ الغنم عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه والتعب، وإن هو طلب الراحة، وثبت الذئاب على الغنم، فرمى السماء بطرفه، وقال: إلهي إنه أحاط علمك، ونفذت إرادتك، وسبق تقديرك، ثم وضع رأسه ونام. فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عاتقه، وهو يرعى الغنم، فتعجب موسى من ذلك، فأوحى الله إليه: يا موسى كن لي كما أريد، أكن لك كما تريد. قال: فهذه إشارة تدل على أن:

من هرب من الله إلى الله كفاه الله، عز وجل، من دونه. هـ. والله تعالى أعلم.." (١)

"والأحزان والمتاعب. وقد كتب علي بن أبي طالب إلى سلمان- رضي الله عنهما-: «إنما مثل الدنيا كمثل الحية، لين مسها، قاتل سمها، فأعرض عنها، وعما يعجبك منها، لقلة ما يصحبك منها، ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها، وكن أسر ما تكون منها، احذر ما تكون منها، فإن صاحبها، كلما اطمأن فيها إلى سرور، أشخص منها إلى مكروه» .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن هذه الدار دار الثوى، لا دار استواء، ومنزل ترح، لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخائها، ولم يحزن لشقائها- أي: لأنهما لا يدومان- ألا وإن الله خلق الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي، وأنها سريعة الثوى- أي: الهلاك- وشيكة الانقلاب، فاحذروا حلاوة رضاعها، لمرارة فطامها، واهجروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها، ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها، فتكونوا لسخطه متعرضين، ولعقوبته مستحقين. هـ. ذكره ابن وداعة الموصلي.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٤٦/٤

وذكر أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما سكن حب الدنيا قلب عبد إلا إلتاط منها بثلاث: شغل لا ينفد عناؤه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا ينال منتهاه، إن الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا، حتى يستكمل رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه، ألا وإن السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها، على فانية لا ينفك عذابها، وقدم لما يقدم عليه مما هو الآن في يده، قبل أن يخلفه لمن يسعد بإنفاقه، وقد شقي هو بجمعه واحتكاره» .

ثم ذكر مآل من اغتر فيها، قال:

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٦٣ الى ٦٧]

قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون (٦٣) وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون (٦٤) ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (٦٥) فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون (٦٦) فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين (٦٧)." [١]

"ولما قال تعالى: وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا ذكر من متعه بها وغرته، فقال:

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٧٦ الى ٧٧]

إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين (٧٦) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين (٧٧)

قلت: «قارون» : غير مصروف للعجمة والتعريف، ولو كان «فاعولا» من قرنت الشيء، لا نصرف لخروجه عن العجمة. إذ قال: ظرف لبغى، أي: طغى حين وعظ، ولم يقبل ما وعظ به، أو: يتعلق بمقدر، أي: أظهر التفاخر بالمال حين قال له قومه: لا تفرح. و «ما» : موصولة، و «إن مفاتحه» : صلته، ولذلك كسرت.

يقول الحق جل جلاله: إن قارون كان من قوم موسى كان إسرائيليا، ابن عم لموسى وابن خالته، فهو قارون

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٦٧/٤

بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قاهث. وكان يسمى «المنور» لحسن صورته «١» ، وكان آمن بموسى، وكان أحفظ الناس للتوراة، ولكنه نافق كما نافق السامري. فبغى عليهم، من البغي، أي: الظلم: قيل: ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم. أو: من البغي، أي: الكبر، أي: تكبر عليهم بكثرة ماله وولده، وزاد عليهم في الثياب شبرا، فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده.

وآتيناه من الكنوز ما الذي إن مفاتحه جمع مفتح، بمعنى المقلد، أي: إن مقاليده لتنوأ أي: تثقل بالعصبة، الباء للتعدية، يقال: ناء به الحمل: أثقله حتى أماله. والعصبة: الجماعة الكثيرة، وكانت مفاتح خزائنه وقر ستين بغلا، لكل خزانة مفتاح، ولا يزيد المفتاح على إصبع. وكانت من جلود، أي: مغاليقها.

وقيل: معنى تنوء: تنهض بتكلف، ويكون حينئذ في الكلام قلب إذ العصبة هي التي تنوء بالمفاتح، لا العكس، قيل: وسميت أمواله كنوزا ل أ نه كان لا يؤدى زكاتها، وبسبب ذلك عادى موسى أول عداوته.

إذ قال له قومه لا تفرح لا تبطر بكثرة **المال فرح إعجاب** لأنه يقود إلى الطغيان. أو: لا تفرح بالدنيا إذ لا يفرح بها إلا من لا عقل له، إن الله لا يحب الفرحين: البطرين المفتخرين بالمال، أو: الفرحين بزخارف الدنيا، من حيث حصول حظوظهم وشهواتهم فيها. قال **البيضاوي: الفرح بالدنيا** مذموم مطلقا لأنه نتيجة حبها

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٨- ٣٩٩) .." [1]

"والرضا بها، والذهول عن ذهابها، فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارق لا محالة، يوجب التوخي «١» لا محالة، كما قيل:

أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

وابتغ فيما آتاك الله من المال والثروة الدار الآخرة بأن تتصدق على الفقراء وتصل الرحم، وتصرفه في أنواع الخير، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وهو أن تأخذ ما يكفيك ويصلحك. وقيل: معناه:

واطلب بدنياك آخرتك فإن ذلك حظ المؤمن منها لأنها مزرعة الآخرة، فيها تكتسب الحسنات وترفع الدرجات، أي: لا تنس نصيبك منها أن تقدمه للآخرة، وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك فيما أنعم به عليك، أو: أحسن بشكرك وطاعتك لخالق الأنام، كما أحسن إليك بسوابغ الإنعام. ولا تبغ الفساد في الأرض بالظلم والبغي وإنفاق المال في المعاصي إن الله لا يحب المفسدين لا يرضى فعلهم. والله تعالى

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٧٤/٤

أعلم.

الإشارة: في الآية زجر **عن الفرح بالدنيا** والافتخار به١، **بل الفرح بكل** ما يفني: كله مذموم. قال في **الإحياء: الفرح بالدنيا** والتنعم بها سم قاتل، يسري في العروق، فيخرج من القلب الخوف والحزن، وذكر الموت وأهوال يوم القيامة، وهذا هو موت القلب، والعياذ بالله، فأولو العزم من أرباب القلوب حزنوا لمواتاة الدنيا، وعلموا أن النجاة في الحزن الدائم، والتباعد من **أسباب الفرح والبطر**، فقطعوا النفس عن ملاذها، وعودوا الصبر عن شهواتها، حلالها وحرامها، وعلموا أن حلالها حساب، وهو نوع عذاب، ومن نوقش الحساب عذب، فخلصوا أنفسهم من عذابها، وتوصلوا إلى الحرية والملك في الدنيا والآخرة، بالخلاص من أسر الشهوات ورقها، والأنس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته. هـ.

وقال يمن بن رزق: اعلم أني لم أجد شيئا أبلغ في الزهد في الدنيا من ثبات حزن الآخرة في القلب، وعلامة ثبات حزن الآخرة في القلب: أنس القلب بالوحدة. هـ. قلت: وهذا مذهب العباد والزهاد، وأما العارفون فقد دخلوا جنة المعارف، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، جعلنا الله من خواصهم، بمنه وكرمه.

ثم ذكر جواب قارون، فقال:

[سورة القصص (٢٨) : آية ٧٨]

قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨)

---

(١) في البيضاوي: [الترح] وهو أنسب بالسياق،. ولعل ما فى أعلى تصحيفا عن: التوقي، أي: الحذر والتحوط.." (١)

"أم أنزلنا عليهم سلطانا حجة على عبادة أصنامهم، فهو يتكلم، وتكلمه مجاز، كما تقول: كتابه ناطق بكذا، وهذا مما نطق به القرآن، ومعناه: الشهادة، كأنه قال: يشهد بصحة ما كانوا به يشركون، فما: مصدرية، أي: بصحة كونهم بالله يشركون، أو: موصولة، أي: بالأمر الذي بسببه يشركون.

وإذا أذقنا الناس رحمة أي: نعمة من مطر، أو: سعة رزق، أو: صحة، فرحوا **بها فرح بطر** وافتخار وغفلة. وإن تصبهم سيئة بلاء من جدب، أو ضيق، أو مرض، بما بسبب ما قدمت أيديهم من المعاصي، أي:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٧٥/٤

بشؤمها، إذا هم يقنطون ييأسون من رحمة الله، وفرجه بعد عسره. يقال:
قنط يقنط، كفرح يفرح، وكعلم.
الإشارة: الواجب على المؤمنين أن يتخلقوا بضد ما تخلق به الكافرون فإذا مسهم ضر أو شدة، توجهوا إلى الله، إما بالتضرع والابتهال عبودية، منتظرين ما يفعل الله، وإما بالصبر، والرضا، والسكون تحت مجاري الأقدار.
فإذا جاء الفرج والنعمة شكروا الله وحمدوه، ونسبوا الفرج إليه وحده، فإن كان وقع منهم سبب شرعي لم يلتفتوا إليه قط إذ لا تأثير له أصلا، وإنما الفرج عنده لا به، فلا يقولوا: فلان ولا فلانة، وإنما الفاعل هو الله الواحد القهار.
وهذا الشرك الخفي مما ابتلى به كثير من الناس، علماء وصالحين، وخصوصا منهم من يتعاطى كتب الفلسفة، كالأطباء وغيرهم، إذا أصابهم شيء فزعوا، فإذا فرج عنهم قالوا: فلان داوانا، وفلان فرج عنا، والدواء الفلاني هو شفاني، فتعالى الله عما يشركون. فليشد العبد يده على التوحيد، ولا يرى في الوجود إلا الفرد الصمد، الفعال لما يريد.
ومن أوصاف أهل الغفلة: أنهم، إذا أصابتهم نعمة، فرحوا وافتخروا بها، وإذا أصابتهم شدة قنطوا وأيسوا من روح الله، والواجب: ألا يفرح بما هو عارض فان، ولا ييأس من روح الله عند الشدة، بل ينتظر من الله الفرج، فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا. قال تعالى: مآ أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم.. «١» الآية.
وبالله التوفيق.
ثم برهن على توالى النعم والمحن على العبد، مادام فى دار الدنيا، فقال:

---

(١) الآيتان: ٢٢- ٢٣ من سورة الحديد.." (١)

"قلت: اجتمع القسم والشرط، فذكر جواب القسم وأغنى عن جواب الشرط. والضمير في (رأوه) : يعود على النبات المفهوم مما تقدم من أحياء الأرض، أو: على السحاب.
يقول الحق جل جلاله: والله لئن أرسلنا ريحا عاصفة على ما نبت في الأرض من الزروع وسائر الأشجار،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٤٢/٤

الذي هو أثر رحمة الله، فرأوه أي: ما نبت في الأرض، مصفرا يابسا لظلوا أي:

ليظلون من بعده أي: من بعد اصفراره يكفرون، ويقولون: ما رأينا خيرا قط، فينسون النعم السابقة بالنقم اللاحقة. وهذه صفة أهل الغفلة، وأما أهل اليقظة فيشكرون في أوقات النعم، ويصبرون ويرضون في أوقات النقم، **وينتظرون الفرج بعد** الشدة، واليسر بعد العسر، غير [قانطين] «١» ولا ضجرين. أو: ولئن أرسلنا ريحا لتعذيبهم، فرأوا سحابة صفراء، لأن اصفراره علامة على أنه لا مطر فيه، لظلوا، أي: للجوا من بعد ذلك على كفرهم وطغيانهم لانهماكم.

قال البيضاوي: وهذه الآية ناعية على الكفار، لقلة تثبتهم، وعدم تدبرهم، وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم، وسوء رأيهم، فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله، ويلتجئوا إليه بالاستغفار، إذا احتبس القطر عنهم، ولا ييأسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى الشكر واستدامة الطاعة، إذا أصابهم برحمته، ولم يبطروا بالاستبشار، وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار، ولم يكفروا نعمه. هـ.

قال النسفي: ذمهم الله تعالى بأنهم، إذا حبس عنهم المطر، قنطوا من رحمته، وضربوا أذقانهم على صدورهم، مبلسين، فإذا أصابهم برحمته، ورزقهم المطر، استبشروا، فإذا أرسل الله ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا، وكفروا بنعمه، وهم في جميع هذه الأحوال على صفة مذمومة، وكان عليهم أن يتوكلوا على الله، فقنطوا، وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها، ففرحوا وبطروا، وأن يصبروا على بلائه، فكفروا. هـ.

وهذه حال من مات قلبه، قال تعالى: فإنك لا تسمع الموتى أي: موتى القلوب، وهؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك، ولا تسمع الصم الدعاء أي: لا تقدر أن تسمع من كان كالأصم دعاءك إلى الله، او: لا يقدرون أن يسمعوا منك، إذا ولوا مدبرين، فإن قلت: الأصم لا يسمع مقبلا أو مدبرا، فما فائدة التخصيص؟ قلت: هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والإشارة، فإذا ولى فلا يفهم، ولا يسمع، فيتعذر إسماعه بالكلية. قاله النسفي.

---

(١) فى الأصول المخطوطة [قانتين] والمناسب ما أثبته.." (١)

"الإشارة: قال القشيري: الحكمة: الإصابة في [الفعل] «١» والعقد والنطق. ويقال: الحكمة: متابعة الطريق، من حيث توفيق الحق، لا من حيث همة النفس. ويقال: الحكمة: ألا يكون تحت سلطان الهوى. ويقال: هي معرفة قدر نفسك حتى لا تمد رجليك خارجا عن كسائك. ويقال: ألا تستعصي على من تعلم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٥٣/٤

أنك لا تقاومه. وحقيقة الشكر:

انفتاح عين القلب لشهود ملاطفات الحق. ويقال: الشكر: تحققك بعجزك عن شكره. ويقال: ما به يحصل كمال استلذاذ النعمة. ويقال: هو فضلة تظهر على اللسان من امتلاء القلب من السرور، فينطق بمدح المشكور. ويقال:

الشكر: نعت كل غني، كما أن الكفران وصف كل لئيم. ويقال: الشكر: قرع باب الزيادة. هـ. قلت: والأحسن: **أنه فرح القلب** بإقبال المنعم، فيسري ذلك في الجوارح.

ثم قال في قوله: لا تشرك بالله: الشرك على ضربين: جلي وخفي، فالجلي عبادة الأصنام، والخفي:

حسبان شيء من الحدثان من الأنام- أي: أن تظن شيئا مما يحدث في الوجود أنه من الأنام- ويقال: الشرك:

إثبات غين مع شهود العين، ويقال: الشرك ظلم على القلب، والمعاصي ظلم على النفس، فظلم النفس معرض للغفران، وظلم القلب لا سبيل للغفران إليه. هـ.

ثم أمر ببر الوالدين، الذي تقدم السؤال عنه في سبب نزول السورة، فقال:

[سورة لقمان (٣١) : الآيات ١٤ الى ١٥]

ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير (١٤) وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥)

قلت: الجملتان معترضتان بين أجزاء توصية لقمان لابنه. و (وهنا) : حال من (أمه) ، أي: حملته حال كونها ذات وهن، أو من الضمير المنصوب، أي: حملته نطفة، ثم علقة.. إلخ، أو مصدر، أي: تهن وهنا.

يقول الحق جل جلاله: ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما ويطيعهما، ثم ذكر الحامل على البر فقال: حملته أمه وهنا على وهن أي: تضعف ضعفا فوق ضعف، أي: يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل، كلما ازداد وعظم، ازدادت ثقلا. وفصاله في عامين أي: فطامه لتمام عامين. وهذا أيضا مما يهيج

---

(١) في القشيري [العقل] .." (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٦٨/٤

"ولما نصر الله رسوله، وفرق عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظة والنضير، ظن أزواجه أنه اختص بنفائس أموال اليهود وذخائرهم، فقعدن حوله: وقلن: يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والإماء والخول «١» ونحن على ما تراه من الفاقه والضيق، وآلمن قلبه- عليه الصلاة والسلام- لمطالبتهن له بتوسعة الحال، وأن يعاملهن به بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم، فأنزل الله تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٢٨ الى ٢٩]

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (٢٩)

يقول الحق جل جلاله: يا أيها النبي قل لأزواجك، وكن تسعا خمسا من قريش: عائشة بنت الصديق، وحفصة بنت الفاروق، وأم حبيبة بنت سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي الخيبرية، من بني إسرائيل، من ذرية هارون عليه السلام، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية. أي: فقل لهن إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها أي: التوسعة في الدنيا وكثرة الأموال والحلل، فتعالين أي: أقبلن بإرادتكن واختياركن. وأصل «تعال» أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان الأدنى، ثم كثر استعماله في كل أمر مطلوب. أمتعكن أي: أعطكن متعة الطلاق. وتستحب المتعة لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء مع أخواتها، كما في كتب الفقه. وأسرحكن أطلقكن سراحا جميلا لا ضرر فيه.

وقيل: سبب نزولها: أنهن سألنه زيادة النفقة، وقيل: آذينه بغيرة بعضهن من بعض، فاغتم- عليه الصلاة والسلام- لذلك. وقيل: هجرهن شهرا، فنزلت. وهي آية التخيير. فبدأ بعائشة- رضى الله عنها- وكانت أحبهن إليه، فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤي الفرح في وجهه صلى الله عليه وسلم، ثم اختارت جميعهن اختيارها. وروي أنه قال لعائشة: «إني ذاكر لك أمرا، ولا عليك ألا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك» ، ثم قرأ عليها الآية، فقالت: أفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة «٢» .

---

(١) خول الرجل: حشمه وأتباعه، واحدهم: خائل، وقد يكون واحدا. وهو مأخوذ من التخويل، أي: التمليك، وقيل: من الرعاية. انظر النهاية (٢/ ٨٨) واللسان (خول ٢/ ١٢٩٣) .

(٢) أخرجه البخاري فى (التفسير، سورة الأحزاب، ح ٤٧٨٥) ومسلم فى (الطلاق، باب بيان أن تخيير

امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية ٢/ ١١٠٣، ح ١٤٧٥) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.." (١)

"الحجاب لم يعترضوا على أحد، وهم المرجفون بأهل النسبة، إذا سمعوا شيئا يسوؤهم أفشوه، وأظهروا الفرح. لئن لم ينتهوا عن ذلك ليسلطن الله عليهم من يخرجهم من النسبة بالكلية، ثم لا يبقون فيها إلا قليلا، ممقوتين عند أهل التحقيق، أينما وجدوا، أخذوا بالفعل أو بالقول فيهم. وقد ألف بعض الفقهاء تأليفا في الرد على الفقراء، فسلط الله عليه من أهانه، ووسمه بالبلادة والجمود، ولا زال مهانا أينما ذكر، والعياذ بالله. ولما ذكر حال المنافقين، ذكر حال المشركين، لاشتراكهم فى الكفر، فقال:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٣ الى ٦٨]

يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤) خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧)

ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨)

يقول الحق جل جلاله: يسئلك الناس عن الساعة، كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة، استعجالا واستهزاء، واليهود يسألون امتحانا لأن الله تعالى أخفى وقتها في التوراة وفي كل كتاب، فأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به، ثم بين لرسوله عليه الصلاة والسلام- أنها قريبة الوقوع، تهديدا للمستعجلين، وإسكاتا للممتحنين فقال: قل إنما علمها عند الله، لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا.

وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا أي: شيئا قريبا، أو: في زمان قريب، فتنصب على الظرفية، ويجوز أن يكون التذكير لأن الساعة في معنى اليوم أو الزمان.

إن الله لعن الكافرين أبعدهم عن رحمته، وأعد لهم سعيرا نارا شديدة التسعير، أي: الإيقاد، خالدين فيها أبدا، وهذا يرد مذهب الجهمية في زعمهم أن النار تفنى، و (خالدين) : حال مقدرة من ضمير «لهم» . لا يجدون وليا يحفظهم، ولا نصيرا يمنعهم ويدفع العذاب عنهم، وذلك يوم تقلب أو: واذكر يوم تقلب

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٤٢٥

وجوههم في النار تطوف من جهة إلى جهة، كما ترى البضعة «١» من اللحم تدور

---

(١) البضعة: القطعة. انظر اللسان (بضع، ١/ ٢٩٦) .." (١)

"ثم قالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا بأن نفى الألوهية التي كانت لآلهتهم وقصرها على واحد، إن هذا لشيء عجاب بليغ في العجب، وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم، الذين أطبقوا على عبادة آلهتهم، كابرا عن كابر، فإن مدار كل ما يأتون ويذرون، من أمور دينهم، هو التقليد والاعتياد، فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجبا من العجاب، بل محالا، وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد، وقدرته بالأشياء الكثيرة، فلا وجه له لأنهم لا يدعون أن لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوق شيء من الأشياء، حتى يلزم من ألوهيتهم بقاء الأثر بلا مؤثر، قاله أبو السعود منتقدا على البيضاوي.

قال القشيري: لم تباشر خلاصة التوحيد قلوبهم، وبعدوا عن ذلك تجويزا، فضلا عن أن يكون إثباتا وحكما، فلا عرفوا أولا معنى الإلهية فإن الإلهية هي القدرة على الاختراع. وتقدير قادرين على ذلك غير صحيح لما يجب من وجود التمانع بينهما وجوازه، وذلك يمنع من كمالها، ولو لم يكونا كاملي الوصف لم يكونا إلهين، وكل من جر ثبوته لسقوطه فهو مطرح باطل. هـ.

روي أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون، وشق على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم، ومشوا إلى أبي طالب، وقالوا: أنت كبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء- أي: الذين دخلوا في الإسلام- وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء، فلا تمل كل الميل على قومك، فقال- عليه الصلاة والسلام- «ماذا يسألونني» ؟ فقالوا:

ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال- عليه الصلاة والسلام: «أعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم» ، قالوا: نعم، وعشرا «١» . قال: «قولوا: لا إله إلا الله» فقاموا، وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا، إن هذا لشيء عجاب «٢» . قيل: العجب: ما له مثل، والعجاب: لا مثل له.

وانطلق الملأ منهم أي: وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبي طالب، بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب، وشاهدوا تصلبه- عليه الصلاة والسلام- في الدين، وعزيمته على إظهاره، ويئسوا مما كانوا يرجونه، بتوسط أبي طالب، من المصالحة على الوجه المذكور، قائلين أن امشوا و «أن» تفسيرية

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٤٦٤

لأن المنطلقين عن

---

(١) أي: نعطيكها وعشر كلمات معها.
(٢) أخرجه بنحوه أحمد فى المسند (١/ ٢٢٧، ٣٦٢) والترمذي وحسنه فى (التفسير- سورة ص، ح ٣٢٣٢) والنسائى فى الكبرى (التفسير ٤/ ٤٥٦) وابن حبان (الموارد ح ١٧٥٧) والطبري فى التفسير (٢٣/ ١٢٥) والبيهقي فى السنن (٩/ ١٨٨) . والواحدي فى الأسباب (ص ٣٨٠) وصححه الحاكم (٢/ ٤٣٢) ووافقه الذهبي. عن ابن عباس رضي الله عنه.." (١)

"وقال الورتجبي: صورة الآية وقعت على الجاحدين والمتكبرين، الذين ليس في محبتهم إلا متابعة الأشكال والأمثال، من حيث التشبيه والخيال لأن قلوبهم خلقت على مشاكلة الأضداد والأنداد، ولم يكن في قلوبهم سجية أهل المعرفة بالله، فإذا سمعوا ذكر من لا يدخل في الخيال والمثال انقبضت قلوبهم وصدورهم، ونفرت، وإذا سمعوا ذكر غير الله من الصور والأشباح، سكنت نفوسهم إليها من غاية غباوتهم، وكمال جهالتهم، فهم مثل الصبيان، إذ هم يفرحون بالأفراس الطينية والأسد الخشبية، ولا يطيقون أن ينظروا إلى عدو العاديات، وإلى الضراغم الباديات.. هـ. مختصرا.
ولقد بالغ في بيان حالتيهم المتقابلتين حيث ذكر الغاية فيهما، فإن الاستبشار: هو أن يمتلىء القلب سرورا، حتى تنبسط له بشرة الوجه وتتهلل، والاشمئزاز: أن يمتلىء القلب غيظا وغما، حتى ينقبض منه أديم الوجه، فتظهر عليه الكآبة والحزن. والعامل في إذا الأولى: «اشمأزت» ، وفي الثانية: ما هو العامل في «إذا» الفجائية، والتقدير: وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار.
ثم أمر نبيه بالالتجاء إليه حين إدبارهم، فقال: قل اللهم فاطر السماوات والأرض أي: يا فاطر، وليس بوصف، خلافا للفراء والمبرد، أي: اللهم يا مظهر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أي: ما غاب من أسرار ذاتك وما ظهر، أو: السر والعلانية، أي: التجئ إليه تعالى إذا اغتممت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فإنه القادر على الأشياء بجملتها، والعالم بالأحوال برمتها. أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون أي: حكما يسلمه كل مكابر ومعاند، ويخضع له كل عات ومارد، فاحكم بيني وبين معاندي، بالنصر عليهم في الدنيا والآخرة.
وعن ابن المسيب «١» : «ما أعرف آية قرئت فدعى عندها إلا أجيب سوى هذه» . يعنى أنه صلى الله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٥

عليه وسلم دعا الله أن يحكم بينه وبين عدوه بالاستئصال، فأمهل لأنه رحمة. وعن الربيع بن خثيم- وكان قليل الكلام-: أنه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه، وقالوا: الآن يتكلم، فما زاد على أن قال: أو قد فعلوا؟، وقرأ: اللهم فاطر السماوات والأرض ...

الآية، ثم قال على إثرها: قتل من كان رسول صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره، ويقبل فاه «٢» . هـ.

الإشارة: ينبغي للمؤمن أن يكون متعاكسا مع المشرك، إذا سمع كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ، **فرح وانبسط**، وإذا ذكر اللغو واللعب اشمأز وانقبض، والعابد أو الزاهد إذا سمع ما يدل على الطاعة والاستعداد **للآخرة فرح ونشط**،

---

(١) فى النسفي: الربيع بن المسيب.

(٢) انظر: تفسير النسفي (٢/ ١٨٥) .." [1]

"وإذا سمع ما يدل على الدنيا والبطالة اشمأز وانقبض، والمريد السائر، إذا سمع ما يقرب إلى **الله فرح وانبسط**، وإذا سمع ما يبعد عنه من ذكره السوى اشمأز وانقبض، وأما الواصل الكامل فلا ينقبض من شيء لزيادته إلى الله بكل شيء لأنه عرف الله في كل شيء، وسمع منه في كل شيء، فلا يحجبه عن الله شيء، قد فنيت دائرة حسه، واتسعت دائرة معرفته، يأخذ النصيب من كل شيء، ولا يأخذ النصيب منه شيء.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: في بعض كتب الله المنزلة على أنبيائه، يقول الله تعالى: من أطاعني في كل شيء، بهجرانه لكل شيء، أطعته في كل شيء، بأن أتجلى له دون كل شيء، حتى يراني أقرب إليه من كل شيء. هذه طريق أولي، وهي طريق السالكين. وطريق أخرى كبرى: من أطاعني في كل شيء، بإقباله علي كل شيء، لحسن إرادة مولاه في كل شيء، أطعته في كل شيء، بأن أتجلى له في كل شيء، حتى يراني كأني كل شىء. هـ.

ثم ذكر وبال الشرك، فقال:

[سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٤٧ الى ٤٨]

ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٨٦

ما لم يكونوا يحتسبون (٤٧) وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٤٨)
يقول الحق جل جلاله: ولو أن للذين ظلموا بالشرك، ما في الأرض جميعا: من الأموال والذخائر، ومثله معه زائد عليه، لافتدوا به من سوء العذاب أي: شدته، يوم القيامة أي: لو أن لهم جميع ما في الدنيا لجعلوا ذلك فدية لأنفسهم من العذاب الشديد، وهيهات هيهات، ولات حين مناص. وهذا كما ترى وعيد شديد لأهل الشرك، وإقناط كلي لهم. وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي: ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في ظنهم وحسبانهم، ولم يحدثوا به نفوسهم. وهذا غاية من الوعيد، لا غاية وراءها، ونظيره في الوعد: قوله تعالى: فلا تعلم نفس مآ أخفي لهم من قرة أعين «١» .

---

(١) من الآية ١٧ من سورة السجدة.." (١)

"وعند الصوفية: ثلاث طبقات: العامة ينتصرون، والخاصة لا ينتصرون، لكن يرفعون أمرهم إلى الله في أخذ حقهم من ظالمهم، وخاصة الخاصة يحسنون لمن أساء إليهم، كما تقدم. وقال القشيري: والذين إذا أصابهم البغي وهو الظلم، ينتصرون لعلمهم أن الظلم أصابهم من قبل أنفسهم، فينتصرون من الظالم، وهو النفس، ويكبحون عنانها من الركض في ميدان المخالفة. ثم قال: قوله: ولمن انتصر.. الآية، علم الله أن من عباده من لا يجد الحرية من أحكام النفس، ولا يستمكن من محاسن الخلق، فرخص لهم في المكافأة على سبيل العدل والقسط، وإن كان الأولى بهم الصفح والعفو. هـ.
ثم ذكر وبال الظلم وعقوبته، فقال:

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٤٤ الى ٤٨]
ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل (٤٤) وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٨٧

يقول الحق جل جلاله: ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده أي: فما له من أحد يلي هدايته من بعد إضلال الله إياه، ويمنعه من عذابه. وترى الظالمين يوم القيامة، وهم الذين أضلهم الله، لما رأوا العذاب حين يرون العذاب، وأتى بصيغة الماضي للدلالة على تحقيق الوقوع، يقولون هل إلى مرد رجعة إلى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا.." (١)

"وتراهم يعرضون عليها على النار، يدل عليها ذكر العذاب. والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم، فالخشوع: خفض البصر وإظهار الذل، ينظرون إلى النار من طرف خفي ضعيف بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف عند إرادة قتله. وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعرض للعذاب الخالد يوم القيامة، و «يوم» : متعلق بخسروا. وقول المؤمنين واقع في الدنيا. ويقال، أي: يقولونه يوم القيامة، إذا رأوهم على تلك الصفة: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم دائم، وما كان لهم من أولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا، ومن يضلل الله فما له من سبيل إلى النجاة.

استجيبوا لربكم إلى ما دعاكم إليه على لسان نبيه، من قبل أن يأتي يوم أي: يوم القيامة لا مرد له من الله أي: لا يرده الله بعد ما حكم بمجيئه، ف «من» متعلق ب «لا مرد» ، أو: ب «يأتي» أي: من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده، ما لكم من ملجإ يومئذ أي: مفر تلتجئون إليه، وما لكم من نكير أي: وليس لكم إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون في صحائف أعمالكم، وتشهد عليكم جوارحكم.

فإن أعرضوا عن الإيمان فما أرسلناك عليهم حفيظا رقيبا، تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم، إن عليك إلا البلاغ ما عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد بلغت، وليس المانع لهم من الإيمان عدم التبليغ، وإنما المانع:

الطغيان وبطر النعمة، كما قال تعالى: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة أي: نعمة من الصحة، والغنى، والأمن، فرح بها وقابلها بالبطر، وتوصل بها إلى المخالفة والعصيان. وأريد بالإنسان الجنس، لقوله تعالى: وإن تصبهم سيئة، بلاء، من مرض، وفقر، وخوف، بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفر، ينسى النعمة رأسا، ويذكر البلية، ويستعظمها، بل يزعم أنها أصابته من غير استحقاق.

وأفرد الضمير في (فرح) مراعاة للفظ، وجمعه في «تصبهم» مراعاة للمعنى. وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص الجنس، لغلبتها فيهم. وتصدير الشرطية الأولى بإذا، مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال الرحمة محقق الوجود، كثير الوقوع، وأنه مراد بالذات، كما أن تصدير الثانية بأن،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٢٢٢

وإسناد الإصابة إلى السيئة، وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها، وأنها غير مرادة بالذات، «أن رحمتي سبقت غضبي» . ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم. قاله أبو السعود.

الإشارة: من تنكبته العناية السابقة، وأدركته الغواية اللاحقة، لم ينفع فيه وعظ ولا تذكير، وليس له من عذاب الله ولي ولا نصير، فإذا تحققت الحقائق، وطلب الرجوع، لم يجد له سبيلا، وبقي في الهوان خاشعا ذليلا، فيعيرهم." (١)

"وفي رواية: «إن في الجنة غرفا يرى ظواهرها من بواطنها، وبواطنها من ظواهرها، أعدها الله للمتحابين في الله، والمتزاورين فيه، والمتباذلين فيه» «١» وفي لفظ آخر: «إن في الجنة لعمدا من ياقوت، عليها غرف من زبرجد، لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري، قلنا: يا رسول الله، من يسكنها؟ قال: المتحابون في الله والمتباذلون في الله، والمتلاقون في الله، مكتوب على وجوههم: هؤلاء المتحابون في الله» «٢» وفي الأثر أيضا: إذا كان يوم القيامة، نادى مناد: أين المتحابون في الله؟ فيقوم ناس- وهم يسير- فينطلقون إلى الجنة سراعا، فتتلقاهم الملائكة: فيقولون: رأيناكم سراعا إلى الجنة، فمن أنتم؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله فيقولون: وما كان تحابكم؟ فيقولون: كنا نتحاب في الله ونتزاور في الله، ونتعاطف في الله، ونتباذل في الله، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين. هـ. من البدور السافرة. والتباذل: المواساة بالبذل.

وذكر في الإحياء شروط المتحابين في الله، فقال رضي الله عنه: اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين، كعقد النكاح بين الزوجين، ثم قال: فلأخيك عليك حق في المال، وفي النفس، وفي اللسان، وفي القلب. وبالعفو، وبالدعاء، وذلك تجمعه ثمانية حقوق:

الحق الأول: في المال بالمواساة، وذلك على ثلاثة مراتب أدناها: أن تنزله منزلة عبدك وخادمك، فتقوم بحاجاته بفضله مالك، فإذا سنحت له حاجة، وعندك فضلة أعطيته ابتداء، فإذا أحوجته إلى سؤال فهو غاية التقصير. الثانية: أن تنزله منزلة نفسك، وترضى بمشاركته إياك في مالك، فتسمح له في مشاركته. الثالثة- وهي العليا-: أن تؤثره على نفسك، وتقدم حاجته على حاجتك، وهي رتبة الصديقين، ومنتهى درجات المتحابين.

الحق الثاني: الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات، والقيام بها قبل السؤال، وهذا أيضا لها درجات كالمواساة،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٢٨/٥

فأدناها: القيام ب ا لحاجة عند السؤال، ولكن مع البشاشة والاستبشار، وإظهار الفرح. وأوسطها: أن تجعل حاجته كحاجتك، فتكون متفقدا لحاجته، غير غافل عن أحواله، كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال.

وأعلاها: أن تؤثره على نفسك، وتقدم حاجته على حاجتك، وتؤثره على نفسك، وأقاربك، وأولادك. كان الحسن يقول: إخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا لأن أهلينا يذكروننا الدنيا، وإخواننا يذكروننا الآخرة.

---

(١) رواه الطبراني فى الأوسط (ح ٢٩٠٣) ، عن بريدة. قال الهيثمي فى المجمع (١٠/ ٢٧٨) : «وفيه إسماعيل بن سيف، وهو ضعيف» .

(٢) رواه البزار (كشف الأستار، ح ٣٥٩٢) عن أبى هريرة رضي الله عنه.." (١)

"وشرائعه، ورحمة من الله- تعالى- لمن آمن به. وهذا القرآن، الذي يقولون في حقه ما يقولون، هو كتاب عظيم الشأن مصدق لكتاب موسى، الذي هو أماما ورحمة، أو: لما بين يديه من جميع الكتب الإلهية. قال ابن عرفة: وجه مناسبتها لما قبلها: أنه لما تضمن قوله: فسيقولون هذا إفك قديم تقبيحهم إياه بأنه إما كذب في نفسه، أو شبيه بما قبله من الأكاذيب والافتراءات، عقبه ببيان أنه إما صدق في نفسه، أو شبيه بما قبله من الكتب الصادقة. هـ.

حال كون الكتاب لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا: متعلق بمصدق، أو بأنزل، محذوفا، وفيه ضمير الكتاب، أو: الله- تعالى، أو: الرسول صلى الله عليه وسلم، ويؤيده: قراءة الخطاب «١» ، وبشرى للمحسنين في حيز النصب، عطف على محل «لينذر» لأنه مفعول له، أي: للإنذار والبشرى، أو: وهو بشرى للمحسنين، للمؤمنين المطيعين.

الإشارة: قال في الحكم: «أصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضا عن ا لنفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة: عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه، خير من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟» «٢» ، وعلامة الرضا عن النفس: تغطية مساوئها، وإظهار محاسنها، كما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

وإذا نقصها له أحد انتقم منه وغضب، وإذا مدحها **له فرح واستبشر**، ويرى أنه أهل لكل خير، وأولى من

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٢٦٦

غيره، فيقول إذا رأى من حاز خيرا أو رئاسة، كما قال الكفار: لو كان خيرا ما سبقونآ إليه، وعلامة عدم الرضا عنها: إظهار مساوئها، واتهامها في كل حال.

وقال أبو حفص الحداد: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه، كان مغرورا، ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها، وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه؟! والكريم ابن الكريم ابن الكريم يقول: وما أبرئ نفسي «٣» هـ.

---

(١) قرأ «لتنذر» بالخطاب، نافع، وابن عامر، وأبو جعفر بخلفه، ويعقوب، وقرأ الباقون بالغيب. انظر الإتحاف (٢/ ٤٦٩- ٤٧٠) .

(٢) حكمة رقم/ ٣٥، انظر تبويب الحكم ص/ ١٧.

(٣) من الآية ٣٥ من سورة يوسف.." (١)

"يقول الحق جل جلاله في بقية ذكر ما في الصحف الأولى: وأن إلى ربك المنتهى أي: الانتهاء، أي: ينتهي إليه الخلق ويرجعون، إليه كقوله: وإلي المصير «١» أو: ينتهي علم العلماء إليه ثم يقفون، لقوله صلى الله عليه وسلم:

«لا فكرة في الرب» «٢» أي: كنه الذات، وسيأتي في الإشارة. وأنه هو أضحك وأبكى أي: خلق الضحك والبكاء، أو: خلق الفرح والحزن، أو: أضحك المؤمنين في الأخرة، وأبكى الكافرين، أو: أضحك المؤمنين في العقبى بالمواهب وأبكاهم في الدنيا بالنوائب، وأنه هو أمات وأحيا أي: أمات الآباء وأحيا الأبناء، أو: أمات بالكفر وأحيا بالإيمان.

وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى: إذ تدفق وتدفع في الرحم. يقال: منى وأمنى، وأن عليه النشأة الأخرى الإحياء بعد الموت، وأنه هو أغنى أي: صير الفقير غنيا وأقنى أي:

أعطى القنية، وهو المال الذي تأثلته «٣» ، وعزمت ألا تخرجه من يدك. وأنه هو رب الشعرى، وهو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر، وكانت خزاعة تعبدها. سن لهم ذلك «ابن أبي كبشة» رجل من أشرافهم، قال:

لأن النجوم تقطع السماء عرضا، والشعرى طولا، ويقال لها: شعرى العبور. انظر الثعلبي. وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة، تشبيها له صلى الله عليه وسلم به، لمخالفته إياهم في

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٣١/٥

دينهم، فأخبر تعالى أنه رب معبودهم، فهو أحق بالعبادة وحده.

---

(١) من الآية ٤٨ من سورة الحج.

(٢) أخرجه البغوي فى التفسير (٧/ ٤١٧) وزاده السيوطي عزوه فى الدر (٦/ ١٧٠) للدارقطنى فى الأفراد، عن أبى بن كعب.

وهذا مثل ما روي عن ابن عباس مرفوعا: «تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق، فإنكم لن تقدروا» عزاه السيوطي فى الدر (٦/ ١٧٠) لأبى الشيخ فى العظمة. وانظر: كشف الخفاء ٨/ ٣٧١، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ٤/ ٣٩٧.

(٣) المتأثل: الجامع. والتأثل اتخاذ أصل مال، وكل شىء له أصل قديم، أو جمع حتى يصير له أصل، فهو مؤثل.

انظر اللسان (أثل ١/ ٢٨) .." [١]

"هذا "؟ فقال: يا رسول الله! ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششت منذ نصحت، ولكني كنت امرءا ملصقا في قريش، ليس لي فيهم من يحمي أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يدا، وعملت أن كتابي لا يغني شيئا، فصدقه صلى الله عليه وسلم، وقبل عذره، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم: " وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " ففاضت عينا عمر رضي الله عنه، أي: من بكاء الفرح. والعدو: فعول، من: عدا، ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع إيقاعه على الواحد. وفي الآية دليل على أن الكبيرة لا تسلب الإيمان.

وقوله: ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ : حال، أي: لا تتخذوهم أولياء ملقين إليهم، أو: استئناف، أو: صفة لأولياء، أي: توصلون إليهم المودة، على أن الباء زائدة، كقوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] ، أو: تلقون إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم، فتكون أصلية. ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ : حال من فاعل " تتخذوا " أو " تلقون "، أي: لا تتولوهم، أو: لا تودوهم وهذه حالتهم يكفرون ﴿بما جاءكم من الحق﴾ ؛ الإسلام، أو: القرآن، جعلوا ما هو سبب الإيمان سبب الكفر. ﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾ من مكة، وهواستئناف مبين لكفرهم وعتوهم، أو حال من "كفروا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٥١٦

". وصيغة المضارع لاستحضار الصورة. وقوله: ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ تعليل للإخراج، أي: يخرجونكم لإيمانكم، ﴿إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ ، هو متعلق بـ " لاتتخذوا "كأنه قيل: لا تودوا أعدائي إن كنتم أوليائي.

﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ أي: تفضون إليهم بمودتكم سرا، أو تسرون إليهم أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة، وهو استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ. ﴿وأنا أعلم﴾ أي: والحال أني أعلم منكم ﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ ومطلع رسولي على ما تسرون، فإني طائل لكم في الإسرار، وقيل: الباء زائدة، و " أعلم " مضارع و " ما " موصولة، أو مصدرية. ﴿ومن يفعله منكم﴾ أي: الاتخاذ ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ ؛ فقد أخطأ طريق الحق والصواب.

﴿إن يثقفوكم﴾ أي: يظفروا بكم ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ أي: يظهروا ما في قلوبهم من العداوة، ويرتبوا عليها أحكامها، ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ ؛ بما يسوؤكم من القتل والأسر. ﴿وودوا لو تكفرون﴾ أي: تمنوا ارتدادكم. وصيغة الماضي لتحقق ودادهم قبل أن يثقفوكم.

﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ ؛ قراباتكم ﴿ولا أولادكم﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم، وتتقربون إليهم محاماة عليهم، ﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ وبين أقاربكم." (١)

"بالكفر بقوله: ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ... ﴾ الخ، وجاز أن الذي يعاقب من المؤمنين إنما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه. هـ.

قال ابن عطية: والذين يعطون كتابهم بأيمانهم هم المخلدون في الجنة من أهل الإيمان، واختلف العلماء في الفرقة التي ينفذ فيها الوعيد من أهل المعاصي، متى تأخذ كتبها؟ فقال بعضهم: الأظهر أنها تأخذها مع الناس، وذلك يؤنسها مدة العذاب، قال الحسن: فإذا أعطي كتابه بيمينه لم يقرأه حتى يأذن الله له، فإذا أذن له قال: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ ، وقال آخرون: الأظهر أنها إذا خرجوا من النار، والإيمان يؤنسهم وقت العذاب، قال: وهذا هو ظاهر الآية؛ لأن من يسير إلى النار كيف يقول: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ . ثم قال: والمخلدون في النار من أهل الكفر هم الذين يؤتون كتابهم بشمالهم، وقال في آية الانشقاق: من ينفذ فيه الوعيد من العصاة، يعطى كتابه عند خروجه من النار، وقد جوز قوم أن يعطاه أولا قبل دخوله النار، وهذه الآية ترد عليه. هـ. يعني قوله: ﴿وينقلب إلى أهله مسرورا﴾ [الانشقاق: ٩] .

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢١/٧

قلت: والذي يظهر من الأحاديث التي في أخبار البعث: أن الصحف تنشر دفعة واحدة للطائع والعاصي، والمؤمن والكافر، فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه، فيسر، فإن كان كاملا فسروره ظاهر، وإن كان **عاصيا فرح أن** مآله للجنة، ويجوز أن يبهم الأمر عليه حينئذ، فيفرح لظنه النجاة، فإن مر على الصراط زلت قدمه لمكان معاصيه، فينفذ فيه الوعيد، ثم يخرج، وأما بعد خروجه من النار وحسابه حينئذ فبعيد جدا، لم يرد به نص.

قال الشيخ ابن أبي جمرة رضي الله عنه: عادته تعالى في التنزيل أن يذكر الكامل في الطاعة، والكامل في العصيان ـ أي: الكفر. ويسكت عن المخلط، فدل على أنه يرى من هذا ويرى من هذا. هـ. بالمعنى. فالذي يقول: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ هو الكامل، أو الذي حوسب وعفي عنه، وأما العاصي الذي ينفذ فيه الوعيد، فلعله يسكت. والله تعالى أعلم، وسترد وتعلم.

ثم قال تعالى: ﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾ أي: قريب يحميه ويدفع عنه؛ لأن أولياءه الذين يتحامونه يفرون منه، ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ وهو غسالة أهل النار وصديدهم، فعلين، من الغسل، والنون زائدة، والمراد: ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم. وقال ابن عزيز: غسلين: غسالة أجواف أهل النار، وكل جرح أو دبر غسلته، فخرج منه شيء، فهو غسلين. هـ. ﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ ؛ الكافرون، أصحاب الخطايا العظام. من خطيء الرجل: إذا تعمد الذنب. أو من الخطأ، المقابل للصواب، وهو هنا: من أخطأ طريق التوحيد، وعن ابن عباس: هم المشركون. الإشارة: أهل اليمين من سبق لهم اليمن في الأزل، وأهل الشمال من سبق لهم الشؤم كذلك. وفي الحديث: " إن الله قبض قبضة فقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، ثم." (١)

"وهو مبتدأ، و " اليوم " خبره، أي: ذلك اليوم العظيم الذي يقوم الروح والملائكة مصطفين، غير قادرين على التكلم عنهم ولا عن غيرهم من الهيبة والجلال، هو اليوم الحق، ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا﴾ ؛ مرجعا بالعمل الصالح. والفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف، أي: إذا كان الأمر كذلك من تحقق اليوم المذكور لا محالة، فمن شاء أن يتخذ إلى ربه مرجعا، أي: إلى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم، فليفعل ذلك بالإيمان والطاعة، و " إلى ربه " يتعلق بـ " مآب " قدم اهتماما وللفواصل.

﴿إنا أنذرناكم﴾ بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وما بعده من الدواعي، أو بسائر القوارع الواردة في القرآن، أي: خوفناكم ﴿عذابا قريبا﴾ هو عذاب الآخرة، وقربه لتحقق وقوعه، وكل آت قريب، ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات: ٤٦] ، وعن قتادة هو قتل قريش يوم بدر

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٢٩/٧

ويأباه قوله تعالى: ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ فإنه بدل من " عذاب " أو ظرف لمضمر هو صفة له، أي: عذابا كائنا يوم ينظر المرء، أي: يشاهد ما قدمه من خير وشر. و " ما " موصولة، والعائد محذوف، أو استفهامية، أي: ينظر الذي قدمته يداه، أو: أي شيء قدمت يداه وقيل: المراد بالمرء: الكافر.

وقوله: ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾ ، وضع الظاهر موضع الضمير، لزيادة الذم، أي: يا ليتني كنت ترابا لم أخلق ولم أكلف، أو: ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث. وقيل: يحشر الله تعالى الحيوان حتى يقتص للجماء من القرناء، ثم يرده ترابا، فيود الكافر أن يكون ترابا مثله، وقيل: الكافر: إبليس يرى آدم وولده وثوابهم، فيتمنى أن يكون من الشيء الذي احتقره حين قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف: ١٢ وصا: ٧٦] . قال الطيبي: والعموم في المرء هو الذي يساعده النظم. ثم قال عن الإمام: فإن قلت: لم خص بعد العموم قول الكافر دون المؤمن؟ قلت: دل قول الكافر على غاية التحسر، ودل حذف قول المؤمن على غاية التبجح **ونهاية الفرح بما** لا يحصره الوصف. هـ. قال المحشي: والظاهر أنه اقتصر على قول الكافر بعد العموم في المرء، لأنه المناسب للنذارة التي اقتضاها المقام. هـ. قلت: ولو ذكر قول المؤمن لقال: ويقول المؤمن هاؤم اقرؤوا كتابيه، تبجحا وفرحا. والله تعالى أعلم.
الإشارة: إن للمتقين الله حق تقاته مفازا، وهو التخلص من رؤية الأكوان، والإفضاء إلى رؤية الشهود والعيان، وهو دخول حدائق العرفان، واقتطاف ثمار الوجدان، ونكاح أبكار الحقائق، وهن أتراب، لاستوائها غالبا في لذة الشهود لمن تمكن منها. ويشربون كأس الخمرة الأزلية، لا يسمعون في حضرة القدس لغوا ولا كذابا، لغاية أدبهم، جزاء من ربك على مكابدتهم في أيام سيرهم، عطاء كافيا مغنيا من الرحمن، لا يملكون منه خطابا، لغاية هيبتهم، وهذا لقوم أقامهم مقام الهيبة، وثم آخرون أقامهم مقام البسط والإدلال." (١)

"أضاء، قيل: ذلك من قيام الليل، وقيل: من إشراق أنوار الإيمان في قلوبهم، ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة. ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ أي: غبار وكدور، ﴿ترهقها﴾ أي: تعلوها وتغشاها ﴿قترة﴾ أي: سواد وظلمة ﴿أولئك هم الكفرة﴾ ، الإشارة إلى أصحاب تلك الوجوه. وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتهم في السوء، أي: أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغبرتها هم الكفرة ﴿الفجرة﴾ أي: الجامعون بين الكفر والفجور، ولذلك جمع الله لهم بين السواد والغبرة. نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٢٢٣

الإشارة: فإذا جاءت الصاخة، أي: النفحة الإلهية التي تجذب القلوب إلى الحضرة القدسية، فتأنست القلوب بالله، وفرت مما سواه فترى الرجل حين تهب عليه هذه النفحة، بواسطة أو بغير واسطة، يفر من الخلق، الأقارب والأجانب، أنسا بالله وشغلا بذكره، لا يزال هكذا حتى يصل إلى مولاه، ويتمكن من شهوده أي تمكن، فحينئذ يخالط الناس بجسمه، ويفارقهم بقلبه، كما قالت رابعة العدوية رضي الله عنها:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي

وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

قال القشيري: قالوا: الاستقامة أن تشهد الوقت قيامة، فما من ولي وعارف إلا وهو اليوم يفر بقلبه من الجميع؛ لأن لكل شأنا يغنيه، فالعارف مع الخلق لا بقلبه، ثم ذكر شعر رابعة. وقال الورتجبي: أكد الله أمر نصيحته لعباده ألا يعتمدوا إلى من سواه في الدنيا والآخرة، وأن ما سواه لا ينقذه من قبض الله حتى يفر مما دون الله إلى الله. هـ. وقال في قوله تعالى: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ : لكل واحد منهم شأن يشغله، وللعارف شأن مع الله في مشاهدته، يغنيه عما سوى الله. هـ.

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾ كل من أسفر عن ليل وجوده ضياء نهار معرفته، فوجهه يوم القيامة مسفر بنور الحبيب، ضاحك لشهوده، مستبشر بدوام إقباله ورضوانه. وقال أبو طاهر: كشف عنها ستور الغفلة، فضحكت بالدنو من الحق، واستبشرت بمشاهدته. وقال ابن عطاء: أسفر تلك الوجوه نظرها إلى مولاها، وأضحكها رضاه عنها. هـ. قال القشيري: ضاحكة مستبشرة بأسباب مختلفة، فمنهم من استبشر بوصوله إلى حبيبه، ومنهم بوصوله إلى الحور، ومنهم، ومنهم، وبعضهم لأنه نظر إلى ربه فرأه، ووجوه عليها غبرة الفراق، يرهقها ذل الحجاب والبعاد. هـ.

قال الورتجبي: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ ، وجوه العارفين مسفرة بطلوع إسفار صبح تجلي جمال الحق فيها، ضاحكة من الفرح بوصولها إلى مشاهدة حبيبها، مستبشرة بخطابه." (١)

"الاغترار بمعرفته، وهي لم تحصل. والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٢٤٤

قلت: ﴿في الأرض﴾ : نعت لمصيبة، أي: كائنة في الأرض، و (في كتاب) : حال.

يقول الحق جل جلاله: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ من الجدب وآفات الزروع والفواكه، ﴿ولا في أنفسكم﴾ من الأمراض والأوصاب وموت الأولاد ﴿إلا﴾ مكتوب ﴿في كتاب﴾ اللوح ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي: من قبل أن تخلق الأنفس أو المصائب، ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ أي: إن إثباتها في اللوح سهل على قدرته كلحظة، وكما كتبت المصائب، كتبت المسرات والمواهب، وقد يدل عليها قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا﴾ أي: أخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ من الدنيا حزنا يقنطكم، ﴿ولا **تفرحوا**﴾ **فرح المختال** الفخور ﴿بما آتاكم﴾ من الدنيا وسعتها، ومن العافية وصحتها، فإن من علم أن الكل مقدر، يفوت ما قدر فواته، ويأتي ما قدر إتيانه، لا محالة، لا يعظم جزعه على ما فات، ولا فرحه بما هو آت، ومع هذا كل م ا ينزل بالنفس من المصائب زيادة في درجاته، وتطهير من سيئاته، ففي صحيح مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما يصيب المسلم من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن، حتى الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته " وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: " عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن: إن قضى له بالسراء رضي وكان خيرا، وإن قضى له بالضراء ورضي كان خيرا له "، وقال أيضا: " ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها، إلا كتبت له درجة، ومحيت عنه بها خطيئة ". وليس أحد إلا وهو يفرح بمنفعة تصيبه، ويحزن عند مضرة تنزل به، لأنه طبع بشري، ولذلك كان عمر رضي الله عنه إذا أوتي بغنيمة أو خير يقول: (اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما آتيتنا) ، ولكن ينبغي أن **يكون الفرح شكرا**، والحزن صبرا، وإنما يذم من الحزن الجزع المنافي للصبر، **ومن الفرح الأشر** المطغي الملهي عن الشكر، والمؤدي إلى الفخر، ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فإن **من فرح بحظوظ** الدنيا." (١)

"وعظمت في نفسه، اختال وافتخر بها، لا محالة. وفي تخصيص التنزيل الذم بالفرح المذكور إيذان بأنه أقبح من الأسى.

ثم أبدل من "كل مختال " تفسيرا له فقال: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ أي: لا يحب الذين **يفرحون الفرح المطغي** إذا رزقوا مالا أو حظا من الدنيا، فلأجل فرحهم به عز في نفوسهم، فبخلوا به، وأمروا غيرهم بإمساكه، ويحضونهم على البخل والادخار، ﴿ومن يتول﴾ يعرض عن الإنفاق، أو عن أوامر الله تعالى ونواهيه، ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت، والفرح بالآتي، ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٣٢٥

أي: غني عنه وعن أنفاقه، محمود في ذاته، لا يضره إعراض من أعرض عن شكره، بالتقرب إليه بشيء من نعمه. وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق إنما هلو لمصحلة المنفق فقط. وقرأ المدنيان وابن عامر بغير " هو " الذي يفيد الحصر، اكتفاء عنها بتعريف الجزأين، مع تأكيد " إن "، وقرأ الباقون بزيادتها؛ للتنصيص على الحصر والتأكيد، وهو ضمير فصل عن البصريين، أي: الفرق؛ لأنه يفرق بين الخبر والصفة، وعماد عند الكوفيين، ورابطة عند المنطقيين.

الإشارة: ما أصاب من مصيبة في أرض البشرية، من غلبة الطبع، والميل إلى الحظوظ النفسانية، ولا في أنفسكم؛ ولا في باطن أنفسكم، مما يصيب القلب من الأمراض، كالعجب والرياء والكبر والحسد، وغيرها، وما يصيب الروح من الوقوف مع المقامات، أو الكرامات، أو الكشوفات، إلا في كتاب سابق، وهو العلم القديم، والقضاء المحتوم، فمن وافقته رياح القضاء نهض رغما عن أنفه، ومن انتكبته نكس على عقبيه، أو وقف عن سيره، فالرجوع إلى الله واجب في الحالتين، عبودية وأدبا، فعلنا ذلك لكيلا تأسوا على ما فاتكم. فمن تحقق بالعبودية لا يفوته شيء، ولا تفرحوا بما آتاكم مما شأنه يزول. قال القشيري: هذه صفة المتحررين من رق النفس، وقيمة الرجال إنما تتبين بتغيرهم، فمن لم يتغير بما يرد عليه مما لا يريده من جفاء أو مكروه أو محبة فهو كامل، ومن لم يتغير بالمضار، ولا يسره الوجد، كما لا يحزنه العدم، فهو سيد وقته. هـ. قلت: وهذه كانت سيرة الصحابة رضي الله عنهم كما قال كعب بن زهير في وصفهم:

لا يفرحون إذا نالت رماحهم

قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

ثم قال: ويقال: إذا أردت أن تعرف الرجل فاطلبه عند الموارد، والتغيرات من علامات بقاء النفس بأي وجه كان. هـ. وقال الورتجبي عن الواسطي: العارف مستهلك في كنه المعروف، فإذا حصل بمقام المعرفة لا يبقى عليه قصد فرح ولا أسى، قال الله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا ... ﴾ الآية. هـ. قلت: وإليه أشار في الحكم بقوله: " ما تجده." (١)

"القلوب من الأحزان فلما منعت من الشهود والعيان "، وقال ابن الفارض، في شان الخمرة إذا دخلت القلب:

وإن خطرت يوما على خاطر امرىء

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧/٣٢٦

أقامت به الأفراح وارتحل الهم

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: " يا داود، قل للصديقين: بي فليفرحوا، وبذكري فليتنعموا " واحتج الغزالي بهذه الآية على أن الرزق لا يزيد بالطلب، ولا ينقص بتركه، ولو كان يزيد بالطلب وينقص بالترك لكان للأسى والفرح موضع، إذ هو قصر وتوانى حتى فاته، وشمر وجد حتى حصله، وقد قال صلى الله عليه وسلم للسائل: " ما لك، لو لم تأتها لأتتك "، ثم أورد كون الثواب والعقاب مكتوبين، ويزيد بالطلب وينقص بتركه، ثم فرق بأن المكتوب قسمان: قسم مكتوب مطلقا، من غير شرط وتعليق بفعل العبد، وهو الأرزاق والآجال، وقسم معلق بفعل العبد، وهو الثواب والعقاب. هـ.

قلت: في تفريقه نظر، والحق: التفصيل في النظر، فمن نظر لعالم الحكمة، وهو عالم التشريع، وجدهما معا مقيدين بفعل العبد، أما الرزق الحسي فيأتي بسبب الفعل، إن توجه للأسباب ونقص من التقوى، وبغير سبب إن تجرد من الأسباب، وحصل مقام التقوى؛ لقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ... ﴾ [الطلاق: ٢] الآية، فالمتقي المنقطع إلى الله ناب الله عنه في الفعل، ومن نظر لعالم القدرة، وهو عالم الحقيقة، وجد الفعل كله من الله بلا واسطة ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ وكذلك أمر الرزق المعنوي، وهو الطاعة واليقين، التي يترتب عليهما الثواب والعقاب، فمن نظر لعالم الحكمة وجده مقيدا بسبب العبد واجتهاده، وبها جاءت الشريعة، ومن نظر لعالم القدرة امتحى العبد ووجوده، فضلا عن فعله وتسببه، فتأمله.

قوله تعالى: ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ قال القشيري: لأن الاختيال من بقاء النفس، والفخر رؤية خطر ما به يفتخر. هـ. ﴿الذين يبخلون﴾ بما عندهم من الأرزاق الحسية والمعنوية، والبخل بها علامة الفرح بها، والوقوف معها، وأما من وصل إلى شهود معطيهما ومجريها فلا يبخل بشيء؛ لغناه بالله عن كل شيء، ومن يتول عن هذا كله، فإن الله الغني عنه وعن جميع الخلق، المحمود قبل وجود الخلق. والله تعالى أعلم.

يقول الحق جل جلاله: ﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ من البشر ﴿بالبينات﴾ الحجج والمعجزات، أو: لقد أرسلنا الملائكة إلى الإنبياء، والأنبياء إلى الأمم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ أي: جنس الكتاب الشامل للكل؛ لأن الكتاب من شأنه أن ينزل مع الملائكة، ويجاب: بأن التقدير: وأنزلنا عليه الكتاب مصحوبا معهم لا تفارقهم أحكامه، ﴿و﴾ أنزلنا ﴿الميزان﴾ أي: الشرع؛ لأنه عيار الأحكام الصحيحة والفاسدة، ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ أي: العدل، وقيل المراد: الميزان الحسي. روي أن جبريل عليه السلام

نزل بالميزان، فدفعه إلى نوح عليه السلام، وقال: " مر قومك يزنوا به ". ﴿وأنزلنا الحديد﴾ قال ابن عباس: " نزل آدم من الجنة ومعه آلة الحدادين، خمسة أشياء: السندان، والكلبتان، والميقعة، والمطرقة، والإبرة ". أو: ﴿أنزلنا الحديد﴾ أخرجناه من المعادن، والمعادن تتكون من الماء النازل في الأرض، فينعقد في عروق المعادن، وقيل: المراد به السلاح.

وحاصل مضمن الآية: أرسلنا الرسل وأنزلنا الكتاب، فمن تبع طوعا نجا، ومن أعرض فقد أنزلنا الحديد يحارب به حتى يستقيم كرها. ﴿فيه بأس شديد﴾ أي: قوة وشدة يتمنع بها ويحارب، ﴿ومنافع للناس﴾ يستعملونه في أدواتهم، فلا تجد صنعة تستغني عن الحديد، ﴿وليعلم الله﴾ علم ظهور ﴿من ينصره ورسله﴾ باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء الدين، ﴿بالغيب﴾ غائبا عنهم في مقام الإيمان بالغيب، ﴿إن الله قوي عزيز﴾ فيدفع بقوته من يعرض عن ملته، وينصر بعزته من ينصر دينه، فيقوى جأشه على الثبوت في مداحض الحرب.

قال النسفي: والمناسبة بين هذه الأشياء الثلاثة: أن الكتاب قانون الشريعة، ودستور الأحكام الدينية، يبين سبيل المراشد والعهود، ويتضمن جوامع الأحكام والحدود، ويأمر بالعدل والإحسان، وينهى عن البغي والطغيان، والاجتناب عن الظلم إنما يقع بآلة بها يقع التعامل، ويحصل بها التساوي والتعادل، وهي الميزان. ومن المعلوم: أن الكتاب الجامع للأوامر الإلهية، والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية، إنما يحافظ العوام على اتباعها." (١)

"[١٦ \ ٧٨] ، ونحوها من الآيات. والإشارة في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة بقوله: أولئك راجعة إلى السمع والبصر والفؤاد، وهو دليل على الإشارة «أولئك» لغير العقلاء وهو الصحيح، ومن شواهده في العربية قول الشاعر وهو العرجي:

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا ... من هاؤليائكن الضال والسمر

وقول جرير:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

خلافا لمن زعم أن بيت جرير لا شاهد فيه، وأن الرواية فيه «بعد أولئك الأقوام» والعلم عند الله تعالى.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٢٨/٧

قوله تعالى: ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا

نهى الله جل وعلا الناس في هذه الآية الكريمة عن التجبر والتبختر في المشية. وقوله: مرحا [١٧ \ ٣٧] مصدر منكر، وهو حال على حد قول ابن مالك في الخلاصة:

ومصدر منكر حالا يقع ... بكثرة كبغتة زيد طلع

وقرئ: «مرحا» بكسر الراء على أنه الوصف من مرح (بالكسر) يمرح (بالفتح) أي: لا تمش في الأرض في حال كونك متبخترا متمايلا مشي الجبارين.

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع أخر ؛ كقوله عن لقمان مقررا له: ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك الآية [٣١ \ ١٨، ١٩] ، وقوله: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا الآية [٢٥ \ ٦٣] ، إلى غير ذلك من الآيات.

وأصل المرح في اللغة: **شدة الفرح والنشاط**، وإطلاقه على مشي الإنسان متبخترا مشي المتكبرين ؛ لأن ذلك من لوازم **شدة الفرح والنشاط** عادة.

وأظهر القولين عندي في قوله تعالى: إنك لن تخرق الأرض [١٧ \ ٣٧] أن معناه لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك عليها، ويدل لهذا المعنى قوله بعده: ولن تبلغ الجبال طولا [١٧ \ ٣٧] أي: أنت أيها المتكبر المختال ضعيف حقير عاجز محصور بين جمادين، أنت عاجز عن التأثير فيهما، فالأرض التي تحتك لا تقدر أن." (١)

"فما أنا من رزء وإن جل جازع ... ولا بسرور بعد موتك فارح

فلما نفى أن يحدث له في **المستقبل فرح ولا** جزع قال جازع وفارح، والأصل: جزع وفرح.

ومثاله في فعيل قول لبيد:

حسبت التقى والجود خير تجارة ... رباحا إذا ما المرء أصبح ثاقلا

فلما أراد حدوث الثقل قال: ثاقلا والأصل ثقيل، وقول السمهري العكلي:

بمنزلة أما اللئيم فسامن ... بها وكرام الناس باد شحوبها

فلما أراد حدوث السمن قال: فسامن والأصل سمين.

واعلم أن قراءة ابن كثير «ضيقا» بسكون الياء في الموضعين راجعة في المعنى إلى قراءة الجمهور بتشديد الياء لأن إسكان الياء تخفيف كهين ولين، في هين ولين. والعلم عند الله تعالى.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٥٦/٣

قوله تعالى: أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعدا مسئولا. التحقيق أن الإشارة في قوله: أذلك راجعة إلى النار، وما يلقاه الكفار فيها من أنواع العذاب كما ذكره جل وعلا بقوله: وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا [٢٥ \ ١١] إلى قوله تعالى: وادعوا ثبورا كثيرا [٢٥ \ ١٤] وغير هذا من الأقوال لا يعول عليه، كقول من قال: إن الإشارة راجعة إلى الكنز والجنة في قوله تعالى: أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة الآية [٢٥ \ ٨] وكقول من قال: إنها راجعة إلى الجنات والقصور المعلقة على المشيئة في قوله تعالى: تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا [٢٥ \ ١٠] والتحقيق إن شاء الله أنه لما ذكر شدة عذاب النار وفظاعته قال: «أذلك العذاب خير أم جنة الخلد الآية» .

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة، جاء أيضا في غير هذا الموضع." (١)

"التحقيق – إن شاء الله – أن معنى الآية الكريمة: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في دار الدنيا، فما أدري أأخرج من مسقط رأسي، أو أقتل كما فعل ببعض الأنبياء.

وما أدري ما ينالني من الحوادث والأمور في تحمل أعباء الرسالة.

وما أدري ما يفعل بكم: أيخسف بكم، أو تنزل عليكم حجارة من السماء، ونحو ذلك.

وهذا هو اختيار ابن جرير وغير واحد من المحققين.

وهذا المعنى في هذه الآية دلت عليه آيات من كتاب الله، كقوله – تعالى –: ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء الآية [٧ \ ١٨٨] . وقوله – تعالى – آمرا له – صلى الله عليه وسلم –: قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب الآية [٦ \ ٥٠] .

وبهذا تعلم أن ما يروى عن ابن عباس وأنس وغيرهما من أن المراد: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أي في الآخرة – فهو خلاف التحقيق، كما سترى إيضاحه – إن شاء الله –.

فقد روي عن ابن عباس وأنس وقتادة والضحاك وعكرمة والحسن – في أحد قوليه – أنه لما نزل قوله – تعالى –: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم **– فرح المشركون** واليهود والمنافقون، وقالوا: كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا، وأنه لا فضل له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من عند نفسه، لأخبره الذي بعثه بما يفعل به.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/٢٩

فنزلت ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر [٤٨ \ ٢] فنسخت هذه الآية.

وقالت الصحابة: هنيئا لك يا رسول الله، لقد بين لك الله ما يفعل بك، فليت شعرنا ما هو ما فاعل بنا.

فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار الآية [٤٨ \ ٥] . ونزلت: وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا [٣٣ \ ٤٧] .

فالظاهر أن هذا كله خلاف التحقيق، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يجهل مصيره يوم القيامة لعصمته - صلوات الله وسلامه عليه - وقد قال له الله - تعالى -: وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى [٩٣ \ ٤ - ٥] وأن قوله: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم." [١]

"يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر والسمع والتزين بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب - أمر مباح لا ينكر على أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح.

والحكم بكون هذه الأشياء بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم الشهود وانقشع فيه ظلام الكفر والجحود، وادعاء أن هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان، ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان - أمر مستثقل تشمئز منه القلوب السليمة وتدفعه الآراء المستقيمة.

ولقد كنت فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد إلى ساحل البحر، فاتفق أن وجدت هناك سيدي الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه وقد أخرج بعضهم طعاما مختلفا ليأكلوه هنالك.

فلما قدموه لذلك أرادوا مني مشاركتهم في الأكل، وكنت إذ ذاك صائما فقلت لهم: إني صائم، فنظر إلي سيدي الحاج نظرة منكرة، وقال لي ما معناه: إن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام بمنزلة العيد، فتأملت كلامه فوجدته حقا، وكأنني كنت نائما فأيقظني. انتهى بلفظه.

فهذا الكلام الذي يقتضي قبح صوم يوم المولد وجعله كيوم العيد من غير استناد إلى كتاب الله ولا سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا قول أحد من أصحابه ولا من تابعيه.

ولم يقل به أحد من الأئمة الأربعة ولا من فقهاء الأمصار المعروفين الذي أدخله بعض المتأخرين في مذهب مالك، ومالك بريء منه براءة الشمس من اللمس، ولم يجر على أصول مذهبه، لأن علة تحريم صوم يوم العيد والفطر عنده أن الله تعالى يكلف عباده في كل سنة عبادتين عظيمتين والأمر بهما عام لكل من يستطيعهما، وإحداهما تجب في العمر مرة واحدة وهي الحج. والثانية تجب كل سنة في شهر رمضان منها، وهي الصوم، فإذا انتهت عبادة الحج أو عبادة الصوم ألزم الله الناس كلهم أن يكونوا في ضيافته يوم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٧/٢١٧

النحر ويوم عيد الفطر.

فمن صام في أحد اليومين أعرض عن ضيافة الله، والإعراض عن ضيافته تعالى لا يجوز.." (١)

"[٢٢ \ ٤٦] ، فهذا كفيف البصر، ولكن وقاد البصيرة أبصر الحق وآمن، وجاء مع عماه يسعى طلبا للمزيد، وأنتم تغلقت قلوبكم وعميت بصائركم فلم تدركوا الحقيقة ولم تبصروا نور الإيمان، كما في الآية الكريمة: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

والعلم عند الله تعالى.

تنبيه.

مما اتفق عليه المحدثون: جواز ذكر مثل هذه الأوصاف إذا كانت للتعريف لا للتنقيص، فقالوا: الأعمى والأعور والأعرج. وفي الحرف قالوا: الخراز، والخرقي، ونحو ذلك، وهذا ما فيه مصلحة لترجمة الرجال في السند.

ومثله ليس تنابزا بالألقاب في هذا الفن. والله تعالى أعلم.

ومثله إذا كان للتعريف في غرض سليم دون تنقص كما قدمنا.

وقوله تعالى: عبس وتولى، فإن فيه مثل ما في قوله تعالى: أن جاءه الأعمى ؛ لأن العبوسة أمر لا يتفق في الظاهر مع قوله تعالى في حقه - صلى الله عليه وسلم -: وإنك لعلى خلق عظيم [٦٨ \ ٤] ، وقوله: واخفض جناحك للمؤمنين [١٥ \ ٨٨] . ولم أقف على جواب لذلك، ولم يتعرض له الشيخ - رحمة الله تعالى علينا وعليه - في دفع إيهام الاضطراب.

والذي يظهر - والله تعالى أعلم - أنه لا يتأتى معه ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - لم يتكلم بما يسيء إلى هذا الصحابي في نفسه بشيء يسمعه فيزعجه، كل ما كان منه - صلى الله عليه وسلم - إنما هو تقطيب الجبين، وهذه حركة مرئية لا مسموعة.

والحال: أن هذا أعمى لا يرى تلك الحركة، فكأنه لم يلق إساءة منه - صلى الله عليه وسلم -.

ثم إنه - صلى الله عليه وسلم - مطمئن له لما هو عليه من خير في دينه. كما قال في حنين: " وأكل أقواما إلى ما في قلوبهم "، أي: لما أعطى المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار ما هو معروف في القصة، فلم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٧٤/٧

يعاتبه الله على ذلك. ورضي الأنصار، وبكوا فرحا ورضا.

ثم إن تقطيب الجبين وانبساط أسارير الوجه لحزن أو فرح، يكاد يكون جبليا مما." (١)

"(١٩٨٧٦) – عن عطاء الخراساني – من طريق ابنه عثمان – في قوله: (وسعة)، قال: ورخاء أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (١٠٥٠) – .

(١٩٨٧٧) – عن قتادة بن دعامة – من طريق سعيد – (وسعة)، قال: ومن العيلة إلى الغنى أخرجه ابن جرير (٧) / (٤٠٢)، وابن أبي حاتم (٣) / (١٠٤٩) – وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد – .

(١٩٨٧٨) – عن الربيع بن أنس – من طريق أبي جعفر – في قوله: (وسعة)، قال: السعة في الرزق أخرجه ابن جرير (٧) / (٤٠٢) – وعلقه ابن أبي حاتم (٣) / (١٠٥٠) – .

(١٩٨٧٩) – عن مقاتل بن حيان، نحو ذلك علقه ابن أبي حاتم (٣) / (١٠٥٠) – .

(١٩٨٨٠) – قال مقاتل بن سليمان: (وسعة) في الرزق تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٤٠٢) – .

(١٩٨٨١) – عن سفيان الثوري – من طريق ابن مهدي – في قول الله: (وسعة)، قال: سعة من الرزق أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع (١) / (٨٨) ((١٩٨)) – .

(١٩٨٨٢) – عن ابن القاسم، قال: سئل مالك بن أنس عن قول الله: (وسعة)، قال: سعة البلاد أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (١٠٥٠) – اختلف في معنى السعة؛ فقال قوم: هي السعة في الرزق – وقال آخرون: المعنى: سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن العيلة إلى الغنى – وقال غيرهم: سعة في البلاد – ورجح ابن جرير ((٧) / (٤٠٢) – (٤٠٣)) العموم مستندا إلى عموم اللفظ، وعدم التخصيص، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أن من هاجر في سبيله يجد في الأرض مضطربا ومتسعا – وقد يدخل في السعة: السعة في الرزق، والغنى من الفقر، ويدخل فيه السعة من ضيق الهم والكرب الذي كان فيه أهل الإيمان بالله من المشركين بمكة، وغير ذلك من معاني السعة التي هي بمعنى الروح والفرج من مكروه ما كره الله للمؤمنين لمقامهم بين ظهراني المشركين وفي سلطانهم – ولم يضع الله دلالة على أنه عنى بقوله: (وسعة) بعض معاني السعة التي وصفنا؛ فكل معاني السعة هي التي بمعنى الروح والفرج مما كانوا فيه من ضيق العيش، وغم جوار أهل الشرك، وضيق الصدر بتعذر إظهار الإيمان بالله وإخلاص توحيده وفراق الأنداد والآلهة داخل في ذلك» – ورجح ابن عطية ((٢) / (٦٤٤) بتصرف) مستندا إلى لغة العرب القول الأخير الذي قاله مالك بن أنس، فقال: «والمشبه لفصاحة العرب أن يريد: سعة الأرض، وكثرة

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٣١/٨

المعاقل، وبذلك تكون السعة في الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره، وغير ذلك من وجوه الفرح، وهذا المعنى ظاهر من قوله تعالى: (ألم تكن أرض الله واسعة)» - .

(ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما (١٠٠))

نزول الآية

." (١)

"الشجرة تدمين في كل هلال، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك، فتمشين جرا على وجهك، وسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر، (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) أخرجه ابن جرير (١) / (٥٦٧) - نقل ابن عطية ((٣) / (٥٣٢)) روايتين - غير ما ذكر - في صورة الوسوسة: الأولى: «روي أن آدم وحواء كانا يخرجان خارج الجنة، فيتمكن إبليس منهما» - والثانية: «أن الله تعالى أقدره على الإلقاء في نفسيهما، فأغواهما، وهو في الأرض» - ثم انتقدها مستندا إلى لفظ القرآن قائلا: «وهذا قول ضعيف، يرده لفظ القرآن» - .

(٢٧٢٢٣) - قال مقاتل بن سليمان: (فوسوس لهما الشيطان) يعني: إبليس وحده، (ليبدي لهما ما ووري عنهما) يعني: ما غطي عنهما (من سوآتهما) يعني: ليظهر لهما عورتهما، وقال إبليس لهما: إني خلقت قبلكما، وإني أعلم منكما، فأطيعاني ترشدا تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٣١) - (٣٢) - نقل ابن عطية ((٣) / (٥٣٣)) في قوله تعالى: (ليبدي ﻟﻬﻤا ما ووري عنهما من سوآتهما) عن طائفة أن «هذه العبارة إنما قصد بها أنها كشفت لهما معانيهما، وما يسوءهما، ولم يقصد بها العورة» - ثم انتقد قولهم مستندا إلى لفظ الآية قائلا: «وهذا قول كان اللفظ يحتمله، إلا أن ذكر خصف الورق يرده» - غير أنه ذكر لقولهم وجها يمكن أن يحمل عليه، فقال: «إلا أن يقدر الضمير في (عليهما) عائد على بدنيهما إذ تمزقت عنهما ثياب الجنة، فيصح القول المذكور» - .

(٢٧٢٢٤) - عن أبي غنيم سعيد بن حدير الحضرمي، قال: لما أسكن الله آدم وحواء الجنة خرج آدم يطوف في الجنة، فاغتنم إبليس غيبته، فأقبل حتى بلغ المكان الذي فيه حواء، فصفر بقصبة معه صفيرا سمعته حواء، وبينها وبينه سبعون قبة، بعضها في جوف بعض، فأشرفت حواء عليه، فجعل يصفر صفيرا لم يسمع السامعون بمثله من اللذة والشهوة والسماع، حتى ما بقي من حواء عضو مع آخر إلا تخلج، فقالت: أنشدك بالله العظيم لما أقصرت عني؛ فإنك قد أهلكتني - فنزع القصبة، ثم قلبها، فصفر صفيرا آخر،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٥/١١

فجاش البكاء والنوح والحزن بشيء لم يسمع السامعون بمثله، حتى قطع فؤادها بالحزن والبكاء، فقالت: أنشدك بالله العظيم لما أقصرت عني - ففعل، فقالت له: ما هذا الذي جئت به، أخذتني بأمر الفرح، وأخذتني بأمر

". (١)

"النار دون النار حتى يقتضى لبعضهم من بعض، فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه أخرجه ابن جرير (١٠) / (١٩٩) - .

(وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

(٢٧٧٠٠) - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كل أهل النار يرى منزله من الجنة، يقول: لو أن الله هدانا! فيكون حسرة عليهم - وكل أهل الجنة يرى منزله من النار، فيقول: لولا أن هدانا الله! فهذا شكرهم» أخرجه أحمد (١٦) / (٣٨١) - (٣٨٢) ((١٠٦٥٢))، والحاكم (٢) / (٤٧٣) ((٣٦٢٩)) - قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» - وقال الهيثمي في المجمع (١٠) / (٣٩٩) ((١٨٦٦٠)) - (١٨٦٦١)): «رواه كله أحمد، ورجاله رجال الصحيح» - وأورده الألباني في الصحيحة (٥) / (٥٤) ((٢٠٣٤)) - لم يذكر ابن جرير ((١٠) / (٢٠٠)) غير هذا القول - .

(٢٧٧٠١) - عن علي بن أبي طالب - من طريق عاصم بن ضمرة - أنه ذكر الجنة، فقال: يدخلون، فإذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان، قال: فيغتسلون من إحداهما، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلا تشعث أشعارهم، ولا تغبر أبشارهم - ويشربون من الأخرى، فيخرج كل قذى وقذر - أو: شيء في بطونهم - - قال: ثم يفتح لهم باب الجنة، فيقال لهم: (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) [الزمر: (٧٣)] - قال: فتستقبلهم الولدان، فيحفون بهم كما تحف الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته، ثم يأتون فيبشرون أزواجهم، فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، فيقلن: أنت رأيته؟ قال: **فيستخففهن الفرح -** قال: فيجئن، حتى يقفن على أسكفة الأسكفة والأسكوفة: عتبة الباب التي يوطأ عليها - لسان العرب (سكف) - الباب - قال: فيجيئون، فيدخلون، فإذا أس الأس والأساس: أصل البناء - لسان العرب (أسس) - بيوتهم بجندل الجندل: الحجارة - لسان العرب (جندل) - اللؤلؤ، وإذا صروح صفر وخضر وحمر ومن كل لون، وسرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، فلولا أن الله قدرها لهم لالتمعت أبصارهم مما يرون

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٥/١٥

فيها، فيعانقون الأزواج، ويقعدون على السرر، ويقولون: (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي ." (١)

"الصلاة على المنافقين – قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول المنافق قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : «لو أعلم أني إن استغفرت له إحدى وسبعين مرة غفر له لفعلت» – فصلى عليه، فنسخ الله الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم، فأنزل: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) – ونزلت العزمة يقال: عزمت عليك أي: أمرتك أمرا جدا، وهي العزمة – لسان العرب (عزم) – في سورة المنافقين [(٦)]: (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) الآية عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ – .

(٣٣١٥٩) – قال مقاتل بن سليمان: (استغفر لهم) يعني: المنافقين (أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) قال عمر بن الخطاب: لا تستغفر لهم بعد ما نهاك الله عنه – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : «يا عمر، أفلا أستغفر لهم إحدى وسبعين مرة!» – فأنزل الله : (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) من شدة غضبه عليهم، فصارت الآية التي في براءة منسوخة، نسختها التي في المنافقين [(٦)]: (أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (١٨٦) – (١٨٧) – .

(٣٣١٦٠) – عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – من طريق ابن وهب – في قول الله: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) قال: أقل، أو أكثر أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٨٥٤) – ذكر ابن عطية ((٤) / (٣٧٢) – (٣٧٣)) أن قوله تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون لفظ أمر ومعناه الشرط، بمعنى: إن استغفرت أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، فيكون مثل قوله تعالى: (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) [التوبة: (٥٣)] – والآخر: أن يكون تخييرا، كأنه قال له: إن شئت فاستغفر، وإن شئت لا تستغفر – ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم وإن استغفر سبعين مرة – ثم رجح الاحتمال الثاني مستندا إلى السنة، فقال: «وهذا هو الصحيح؛ لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتبيينه ذلك» – وساق أثر ابن عباس السابق عن عمر بن الخطاب – .

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١٧/١٥

تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)

نزول الآية

." (١)

"(٣٣١٦١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق العوفي - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر الناس أن ينبعثوا معه، وذلك في الصيف، فقال رجال: يا رسول الله، الحر شديد، ولا نستطيع الخروج، فلا تنفر في الحر - فقال الله: (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)، فأمره بالخروج أخرجه ابن جرير (١١) / (٦٠٤)، وابن أبي حاتم (٦) / (١٨٥٥) ((١٠٥٠٤))، من طريق محمد بن سعد العوفي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه عطية العوفي، عن ابن عباس به - إسناده ضعيف، لكنها صحيفة صالحة ما لم تأت بمنكر أو مخالفة - وينظر: مقدمة الموسوعة - .

(٣٣١٦٢) - عن جابر بن عبد الله، قال: استدار برسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجال من المنافقين حين أذن للجد بن قيس، يستأذنونه، ويقولون: يا رسول الله، ائذن لنا؛ فإنا لا نستطيع أن ننفر في الحر - فأذن لهم، وأعرض عنهم؛ فأنزل الله في ذلك: ﴿قل نار جهنم أشد حرا) الآية عزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

(٣٣١٦٣) - عن محمد بن كعب القرظي وغيره - من طريق أبي معشر - قالوا: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حر شديد إلى تبوك، فقال رجل من بني سلمة: لا تنفروا في الحر - فأنزل الله: (قل نار جهنم أشد حرا) الآية أخرجه ابن جرير (١١) / (٦٠٤) - .

(٣٣١٦٤) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - قال: ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجهاد، وأجمع السير إلى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد، يقول الله - جل ثناؤه - : (وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا) أخرجه ابن جرير (١١) / (٦٠٤) - .

تفسير الآية

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله)

." (٢)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٨/٣٥

(٢) موسوعة التفسير المأثور ١٨/٣٦

"(٣٣١٦٥) - عن الضحاك بن مزاحم، في الآية، قال: يعني: المتخلفون؛ بأن قعدوا خلاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .
(٣٣١٦٦) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - في قوله: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله)، قال: عن غزوة تبوك أخرجه عبد الرزاق (٢) / (٢٨٤)، وابن جرير (١١) / (٦٠٤)، وابن أبي حاتم (٦) / (١٨٥٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة بلفظ: أظنها في غزوة تبوك - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - رجح ابن جرير ((١١) / (٦٠٢)) مستندا إلى القراءات أن قوله: (خلاف) مصدر خالف يخالف، فقال: «قوله: (خلاف) مصدر من قول القائل: خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا، فلذلك جاء مصدره على تقدير: فعال، كما يقال: قاتله فهو يقاتله قتالا، ولو كان مصدرا من خلفه، لكانت القراءة: بمقعدهم خلف رسول الله - لأن مصدر خلفه: خلف، لا خلاف، ولكنه على ما بينت من أنه مصدر: خالف، فقرئ: (خلاف رسول الله)، وهي القراءة التي عليها قراءة الأمصار، وهي الصواب عندنا» - ثم ساق قول من قال بمعنى: بعد رسول الله - وبين ((١١) / (٦٠٣)) أنه قريب مما ذكر، فقال: «وذلك قريب لمعنى ما قلنا؛ لأنهم قعدوا بعده، على الخلاف له» - وذكر ابن عطية ((٤) / (٣٧٥)) أن قوله: (خلاف) على ما رجح ابن جرير هي مفعول له، **والمعنى: فرح المخلفون** بمقعدهم لخلاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أو مصدر - وبين أن نصبه على القول بمعنى: بعد رسول الله، كأنه على الظرف - ثم قال ((٤) / (٣٧٦) بتصرف): «ويقوي قول الطبري ما تظاهرت به الروايات من أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرهم بالنفر، فعصوا وخالفوا، وقعدوا مستأذنين» - .
(٣٣١٦٧) - قال مقاتل بن سليمان: (فرح المخلفون بمقعدهم) عن غزاة تبوك (خلاف رسول الله) وهم بضع وثمانون رجلا، منهم من اعتل بالعسرة وبغير ذلك تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (١٨٧) - .
(وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر)
(١) ".

"(٣٤٦١١) - روى سفيان بن عيينة: (قل بفضل الله وبرحمته)، فضل الله: التوفيق، ورحمته: العصمة تفسير الثعلبي (٥) / (١٣٥) - أفادت الآثار الاختلاف في المراد بفضل الله ورحمته في الآية على عدة أقوال: أولها: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن - وثانيها: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام - وثالثها: أن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد - صلى الله عليه وسلم - - وعلق ابن القيم ((٢) / (٣٨)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٧/١٨

بتصرف) على القولين الأول والثاني بقوله: «التحقيق: أن كلا منهما فيه الوصفان الفضل والرحمة، وهما الأمران اللذان امتن الله بهما على رسوله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) [الشورى: (٥٢)]، والله إنما رفع من رفع بالكتاب والإيمان، ووضع من وضع بعدمها، ففضله: الإسلام والإيمان، ورحمته: العلم والقرآن، وهو يحب من عبده أن يفرح بذلك ويسر به، بل يحب من عبده أن يفرح بالحسنة إذا عملها وأن يسر بها، وهو في **الحقيقة فرح بفضل** الله حيث وفقه الله لها، وأعانه عليها، ويسرها له، ففي الحقيقة إنما يفرح العبد بفضل الله وبرحمته» - وذهب ابن جرير ((١٢) / (١٩٤)) إلى القول الأول مستندا إلى أقوال السلف - وذهب ابن عطية ((٤) / (٤٩٣) - (٤٩٤)) إلى الجمع مستندا لعدم المخصص، فقال: «لا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص، إلا أن يستند منه شيء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أن الفضل هو هداية الله تعالى إلى دينه والتوفيق إلى اتباع شريعته، والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرع بالإسلام والإيمان به - ومعنى الآية: قل - يا محمد - لجميع الناس: بفضل الله وبرحمته **فليقع الفرح منكم**، لا بأمور الدنيا وما جمع من حطامها - فالمؤمنون يقال لهم: فلتفرحوا وهم متلبسون **بعلة الفرح وسببه**، ومحصلون لفضل الله، منتظرون الرحمة - والكافرون يقال لهم: بفضل الله وبرحمته فلتفرحوا، على معنى: أن لو اتفق لكم، أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك» - .

(هو خير مما يجمعون (٥٨))

(٣٤٦١٢) - عن أنس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من هداه الله للإسلام، وعلمه القرآن، ثم شكا الفاقة؛ كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه» - ثم تلا النبي - صلى الله عليه وسلم - : «(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) من عرض الدنيا من (١) ".

"الأموال» أخرجه ابن بشران في أماليه (١) / (٢١٢) ((٤٩٣))، من طريق إسماعيل بن أبي زياد، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس به - إسناده ضعيف جدا؛ فيه أبان بن أبي عياش، قال عنه ابن حجر في التقريب ((١٤٢)): «متروك» - والراوي عنه إسماعيل بن أبي زياد، إن كان هو ابن مسلم الشامي فهو «متروك الحديث» أيضا كما في اللسان لابن حجر (٢) / (١٢٦) - .

(٣٤٦١٣) - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن جريج - (خير مما يجمعون)، قال: من الأموال،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٩١/١٩

والحرث، والأنعام أخرجه ابن جرير (٢) / (١٩٦) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٣٤٦١٤) - عن هلال بن يساف - من طريق منصور - : (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) من الذهب، والفضة أخرجه ابن جرير (١٢) / (١٩٥) - .
(٣٤٦١٥) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق جويبر - قوله: (هو خير مما يجمعون)، قال: خير مما تجمع الكفار من الأموال أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٩٦٠) - .
(٣٤٦١٦) - عن الحسن البصري، مثله علقه ابن أبي حاتم (٦) / (١٩٦٠) - .
(٣٤٦١٧) - عن محمد بن كعب القرظي - من طريق أبي معشر - في الآية، قال: إذا عملت خيرا حمدت الله عليه، فافرح فهو خير مما تجمعون من الدنيا أخرجه ابن أبي حاتم (٦) / (١٩٥٩) - .
(٣٤٦١٨) - عن أبي التياح - من طريق هارون - (فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)، يعني: الكفار أخرجه ابن جرير (١٢) / (١٩٨) - ذكر ابن عطية ((٤) / (٤٩٥)) فائدة لطيفة، فقال: «إن قيل: كيف أمر الله بالفرح في هذه الآية وقد ورد ذمه في قوله: (لفرح فخور) [هود: (١٠)]، وفي قوله: (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) [القصص: (٧٦)]؟ قيل: إن الفرح إذا ورد مقيدا في خير فليس بمذموم، وكذلك هو في هذه الآية، وإذا ورد مقيدا في شر أو مطلقا لحقه ذم؛ إذ ليس من أفعال الآخرة، بل ينبغي أن يغلب على الإنسان حزنه على ذنبه وخوفه لربه» - وبنحوه قال ابن القيم ((٢) / (٣٨)) - .
(٣٤٦١٩) - قال مقاتل بن سليمان: (فبذلك فليفرحوا) معشر المسلمين، (هو خير مما يجمعون) من الأموال - فلما نزلت هذه الآية قرأها النبي - صلى الله عليه وسلم - مرات تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٢٤٢) - .
". (١)

"(٣٦٨٢٤) - عن الأعرج أنه قرأ: (نرتعي) بالنون والياء، (ويلعب) بالياء عزاه السيوطي إلى ابن الأنباري في المصاحف - قراءة (نرتعي ويلعب) شاذة - .
(٣٦٨٢٥) - عن مقاتل بن حيان أنه كان يقرؤها: (أرسله معنا غدا نلهو ونلعب) عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - وهي قراءة شاذة - انظر: روح المعاني (١٢) / (١٩٤) - .
(٣٦٨٢٦) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - أنه قرأ: " يرتع " ، يعني: بالياء، وكسر العين - قال: يرعى غنمه، وينظر، ويعقل، فيعرف ما يعرف الرجل أخرجه ابن جرير (١٣) / (٢٨)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٩٢/١٩

- وجه ابن جرير ((١٣) / (٢٤) - (٢٥)) هذه القراءة، فقال: «قرأته عامة قراء أهل المدينة: " يرتع ويلعب " بكسر العين من " يرتع " ، وبالياء في " يرتع ويلعب " ، على معنى: يفتعل، من الرعي: ارتعيت فأنا أرتعي - كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: أرسله معنا غدا يرتع الإبل، ويلعب - وكأن الذين يقرءون ذلك: " يرتع ويلعب " بكسر العين من " يرتع " يتأولونه على الوجه الذي حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: " أرسله معنا غدا يرتع ويلعب " ، قال: يرعى غنمه، وينظر ويعقل، فيعرف ما يعرف الرجل» - ووجه قراءة من قرأ ذلك بالياء في الحرفين جميعا وتسكين العين، فقال: «وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) بالياء في الحرفين جميعا وتسكين العين، من قولهم: رتع فلان في ماله: إذا لهى فيه ونعم وأنفقه في شهواته، ومن ذلك قولهم في مثل من الأمثال: القيد والرتعة» - ثم رجح مستندا إلى الدلالة العقلية، وأقوال السلف قراءة من قرأ ذلك بالياء في كليهما، وبسكون العين من (يرتع)، فقال: «وأولى القراءة في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه في الحرفين كليهما بالياء، وبجزم العين في (يرتع)؛ لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك عم ليوسف في إرساله معهم **من الفرح والسرور** والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك، لا بالخبر عن أنفسهم - وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل» - .

تفسير الآية

". (١)

"أعطتهن أترنجا، وأعطت كل واحدة منهن سكينا، فلما رأين يوسف أكبرنه، وجعلن يقطعن أيديهن، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترنج أخرجه ابن جرير (١٣) / (١٢٥)، (١٣٤) بلفظ: الأترج - وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

(٣٧٢٤٠) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (وآتت كل واحدة منهن سكينا)، قال: أعطت كل واحدة منهن سكينا تفسير مجاهد ص (٣٩٥) - .

(٣٧٢٤١) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - قال: (وآتت كل واحدة منهن سكينا)، وأترجا يأكلنه أخرجه ابن جرير (١٣) / (١٢٩)، وابن أبي حاتم (٧) / (٢١٣٤) - .

(٣٧٢٤٢) - قال مقاتل بن سليمان: (وآتت) يعني: وأعطت (كل واحدة منهن سكينا)، وأمرت يوسف فتزين، وترجل تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٣٣١) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤/٢٠

(٣٧٢٤٣) – عن محمد بن إسحاق – من طريق سلمة – : (وآتت كل واحدة منهن سكينا) ليحتززن به من طعامهن أخرجه ابن جرير (١٣) / (١٢٩) – .

(٣٧٢٤٤) – عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – من طريق ابن وهب – قال: أعطتهن ترنجا وعسلا، فكن يحززن الترنج بالسكين، ويأكلن بالعسل – أخرجه ابن جرير (١٣) / (١٢٩)، وابن أبي حاتم (٧) / (٢١٣٤) من طريق أصبغ – وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ – .

(وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه)

(٣٧٢٤٥) – عن عبد الله بن عباس – من طريق علي – في قوله: (فلما رأينه) قال: فلما خرج عليهن يوسف (أكبرنه) قال: أعظمنه، ونظرن إليه، وأقبلن يحززن أيديهن بالسكاكين وهن يحسبن أنهن يقطعن الطعام أخرجه ابن جرير (١٣) / (١٣٢)، (١٣٤)، وابن أبي حاتم (٧) / (٢١٣٢)، (٢١٣٤) – (٢١٣٦) – وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ – .

(٣٧٢٤٦) – عن عبد الله بن عباس – من طريق عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده – في قوله: (فلما رأينه أكبرنه)، قال: لما خرج عليهن يوسف حضن من الفرح، وقال الشاعر: ." (١)

"أعجبته أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٢٣) – .

(٣٩٠٩٨) – عن عبد الله بن عباس – من طريق علي بن أبي طلحة – في قوله: (طوبى لهم)، قال: فرح، وقرة عين أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٢١)، وابن أبي حاتم – كما في الإتقان (٢) / (٢٢) – – وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ – .

(٣٩٠٩٩) – عن عبد الله بن عباس – من طريق سعيد بن جبير – قال: طوبى: اسم الجنة، بالحبشية أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٢٢) – وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم – .

(٣٩١٠٠) – عن عبد الله بن عباس – من طريق موسى بن سالم – قال: طوبى: اسم شجرة في الجنة أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٢٣) – (٥٢٤) – وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ – .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧٤/٢٠

(٣٩١٠١) - عن أبي أمامة الباهلي - من طريق شهر بن حوشب - قال: (طوبى): شجرة في الجنة، ليس فيها دار إلا فيها غصن منها، ولا طير حسن إلا وهو فيها، ولا ثمرة إلا وهي فيها أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع (١) / (١٤١) ((٣٢٨)) - .

(٣٩١٠٢) - عن سعيد بن جبير، قال: طوبى: اسم الجنة، بالهندية عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٣٩١٠٣) - عن سعيد بن جبير، قال: طوبى: اسم الجنة، بالحبشية تفسير البغوي (٤) / (٣١٦) - .

(٣٩١٠٤) - عن سعيد بن جبير، في قوله: (طوبى لهم)، قال: غبطة عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٣٩١٠٥) - عن إبراهيم النخعي - من طريق منصور - في قوله: (طوبى لهم)، قال: الخير والكرامة الذي أعطاهم الله أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٢١) - (٥٢٢) - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٣٩١٠٦) - عن إبراهيم النخعي - من طريق منصور - في قوله: (طوبى لهم)، قال: الجنة تفسير الثوري ص (١٥٣) - .

(٣٩١٠٧) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق جويبر - في قوله: (طوبى لهم)،
." (١)

"(٣٩١٢٣) - قال الربيع: هو البستان، بلغة الهند تفسير البغوي (٤) / (٣١٦) - .

(٣٩١٢٤) - عن شمر بن عطية - من طريق العلاء - في قوله: (طوبى لهم)، قال: هي شجرة في الجنة يقال لها: طوبى أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٢٤) - .

(٣٩١٢٥) - قال مقاتل بن سليمان: قوله: ثم أخبر بثوابهم، فقال: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم)، يعني: حسنى لهم، وهي بلغة العرب - وطوبى: شجرة في الجنة، لو أن رجلا ركب فرسا أو نجيبة، وطاف على ساقها؛ لم يبلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله الهرم، ولو أن طائرا طار من ساقها لم يبلغ

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١١/٢١

فرعها حتى يقتله الهرم، كل ورقة منها تظل أمة من الأمم، على كل ورقة منها ملك يذكر الله تعالى، ولو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت الأرض نورا كما تضيء الشمس، تحمل هذه الشجرة لهم ما يشاءون من ألوان الحلي والثمار غير الشراب تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٣٧٧) - .

(٣٩١٢٦) - عن سعيد بن مسجوح - من طريق جعفر بن أبي المغيرة - قال: طوبى: اسم الجنة، بالهندية أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٢٢) - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - .

(٣٩١٢٧) - عن حماد - من طريق علي بن جرير - قال: شجرة في الجنة، في دار كل مؤمن غصن منها أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٢٧) - وحماد هنا لعله حماد بن سلمة، قال ابن حبان في كتابه الثقات (٨) / (٤٦٤) ((١٤٤٤٧)): علي بن جرير من أهل أبيورد، يروي عن حماد بن سلمة وابن المبارك - علق ابن عطية ((٥) / (٢٠٣)) على القول بأن طوبى اسم شجرة في الجنة بقوله: «وبهذا تواترت الأحاديث، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «طوبى: شجرة في الجنة، يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: (وظل ممدود) [الواقعة: (٣٠)]»» - وذكر ابن كثير ((٨) / (١٤٢)) قول ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة: فرح وقرة عين - وقول عكرمة: نعم ما لهم - وقول الضحاك: غبطة لهم - وقول إبراهيم النخعي: خير لهم - وقول قتادة: هي كلمة عربية، يقول الرجل: طوبى لك، أي: أصبت خيرا - وقال في رواية: (طوبى لهم): حسنى لهم، ثم علق عليها بقوله: «وهذه الأقوال شيء واحد، لا منافاة بينها» - .

(وحسن مآب (٢٩))

". (١)

"(٣٩٢٤٣) - عن مالك بن أنس، قال: ما من شيء من ثمار الدنيا أشبه بثمار الجنة من الموز؛ لأنك لا تطلبه في صيف ولا شتاء إلا وجدته؛ قال الله تعالى: (أكلها دائم) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ - .

(تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٥))

(٣٩٢٤٤) - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال: (تلك) الجنة (عقبى الذين اتقوا) عاقبة حسناهم الجنة،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١/١١٦

(وعقبى الكافرين النار) يعني: وعاقبة الذين كفروا بتوحيد الله النار تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٣٨٢) - .

(والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك)

(٣٩٢٤٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك)، قال: أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، فرحوا بكتاب الله، وبرسوله - صلى الله عليه وسلم -، وصدقوا به أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٥٦) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ - .

(٣٩٢٤٦) - قال مقاتل بن سليمان، في قوله: (والذين آتيناهم الكتاب) يقول: أعطيناهم التوراة، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه مؤمنو أهل التوراة (يفرحون بما أنزل إليك) من القرآن تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٣٨٢) - .

(٣٩٢٤٧) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك)، قال: هذا من آمن برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أهل الكتاب، يفرحون بذلك - وقرأ: (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به) [يونس: (٤٠)] أخرجه ابن جرير (١٣) / (٥٥٧) - وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ - علق ابن عطية ((٣) / (٣١٩) ط: دار الكتب العلمية) على قول ابن زيد بقوله: «والمعنى: مدحهم بأنهم لشدة إيمانهم يسرون بجميع ما يرد على النبي - صلى الله عليه وسلم - من زيادات الشرع» - وذكر ابن عطية ((٥) / (٢١٠)) أن فرقة قالت: المراد بلذين آتين اهم الكتاب: اليهود والنصارى، وعلق عليه بقوله: «وذلك أنهم لهم فرح بما ينزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - من تصديق شرائعهم، وذكر أوائلهم» - ثم انتقده مستندا إلى الدلالة العقلية، فقال: «ويضعف هذا التأويل بأن همهم به أكثر من فرحهم، فلا يعتد بفرحهم، ويضعف أيضا بأن اليهود والنصارى ينكرون بعضه، وقد فرق الله في هذه الآية بين الذين ينكرون بعضه وبين الذين آتيناهم الكتاب» - .

(ومن الأحزاب من ينكر بعضه)

(١) ".

"(٤٥٥٤٥) عن جعفر بن محمد، عن أبيه [محمد الباقر]، قال: أبدلهما الله جارية ولدت سبعين نبيا تفسير الثعلبي (٦) / (١٨٧)، وتفسير البغوي (٥) / (١٩٥) - ذكر ابن عطية ((٥) / (٦٤٩)) نحو

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٣٧/٢١

هذا القول عن ابن عباس، ثم انتقده مستندا إلى الدلالة التاريخية، فقال: «وهذا بعيد، ولا تعرف كثرة الأنبياء إلا في بني إسرائيل، وهذه المرأة لم تكن فيهم» - .

(٤٥٥٤٦) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضر، فقال: **قد فرح به** أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما؛ فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب أخرجه ابن جرير (١٥) / (٣٥٩) - .

(٤٥٥٤٧) - عن عمرو بن قيس [الملائي]- من طريق المبارك بن سعيد - في قوله: (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما)، قال: بلغني: أنها جارية أخرجه ابن جرير (١٥) / (٣٥٩) - .

(٤٥٥٤٨) - قال مح‍مد بن السائب الكلبي: أبدلهما الله جارية، فتزوجها نبي من الأنبياء، فولدت له نبيا، فهدى الله على يديه أمة من الأمم تفسير الثعلبي (٦) / (١٨٧)، وتفسير البغوي (٥) / (١٩٥) - .

(٤٥٥٤٩) - عن عبد الملك ابن جريج - من طريق حجاج - (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما)، قال: كانت أمه حبلى يومئذ بغلام مسلم أخرجه ابن جرير (١٥) / (٣٥٩) - .

(٤٥٥٥٠) - عن يوسف بن عمر - من طريق بسطام بن جميل - في الآية، قال: أبدلهما مكان الغلام جارية ولدت نبيين أخرجه ابن المنذر -كما في فتح الباري (٨) / (٤٢١) - من قول بسطام بن جميل -
.

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة)

(٤٥٥٥١) - قال مقاتل بن سليمان: (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة)، يعني: في قرية تسمى: باجروان، ويقال: هي أنطاكية تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٩٩) - .
". (١)

"بالموت في صورة كبش أملح، حتى يوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا - فلا يبقى أحد في عليين، ولا في أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه، ثم ينادي: يا أهل النار، هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا - فلا يبقى أحد في ضحضاح من نار، ولا أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة والنار، ثم ينادي: يا أهل الجنة، هو الخلود أبد الآبدين، ويا أهل النار، هو الخلود أبد الآبدين - فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتا **من فرح ماتوا**، ويشهق أهل النار شهقة لو كان [أحد] ميتا من شهقة ماتوا، فذلك قوله: (وأنذرهم يوم الحسرة

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١١/٢٤

إذ قضي الأمر) – يقول: إذا ذبح الموت أخرجه ابن أبي حاتم –كما في تفسير ابن كثير (٥) / (٢٢٨) – – وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه – .

(٤٦٦٦٠) – عن عبد الله بن مسعود – من طريق أبي الزعراء – في قصة ذكرها، قال: ما من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، وبيت في النار، وهو يوم الحسرة، فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة، فيقال لهم: لو عملتم – فتأخذهم الحسرة، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار، فيقال: لولا أن من الله عليكم أخرجه يحيى بن سلام (١) / (٢٢٥)، وابن جرير (١٥) / (٥٤٥) – .

(٤٦٦٦١) – عن أبي سعيد الخدري – من طريق أبي سفيان – قال: يجاء بالموت في صورة كبش أملح، حتى يجعل على السور بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، ويا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ هذا الموت – فيقولون: نعم – فيذبح على السور وهم ينظرون، ثم ينادي مناد هكذا: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت – وهو قوله: (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر) أخرجه يحيى بن سلام (١) / (٢٢٥) – .

(٤٦٦٦٢) – عن عبد الله بن عباس – من طريق ابن جريج – في قوله: (وأنذرهم يوم الحسرة)، قال: يصور الله الموت في صورة كبش أملح، فيذبح، فييأس أهل النار من الموت فيما يرجونه، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار أخرجه ابن جرير (١٥) / (٥٤٦) – .

(٤٦٦٦٣) – عن عبد الله بن عباس – من طريق علي – (يوم الحسرة): هو من أسماء يوم القيامة – وقرأ: (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) [الزمر: (٥٦)] كذا أورده السيوطي، وعزاه إلى ابن جرير، والذي في مطبوعة ابن جرير (١٥) / (٥٤٧) عن ابن عباس من طريق علي في تفسير هذه الآية: من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذره عباده، دون ذكر الآية – وإنما ذكرت في أثر عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي أورده ابن جرير قبله، وسيأتي بعد ثلاثة آثار – .

" (١).

"قالت امرأته لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك» – فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرا الظئر: المرضعة غير ولدها – النهاية (ظئر).، فكلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فأحزنها ذلك، فأمرت به، فأخرج إلى السوق ومجمع الناس، ترجو أن تجد له ظئرا يأخذ منها، فلم يفعل – وأصبحت أم موسى والها،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٠٩/٢٥

فقالت لأخته: قصي أثره، واطلبيه، هل تسمعين له ذكرا؟ أحي أم قد أكلته الدواب؟ ونسيت الذي كان وعد الله – فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون – والجنب: أن يسمو بصر الإنسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه، وهو لا يشعر به – ، فقالت **من الفرح حين** أعياهم الظئورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون – فأخذوها، فقالوا: وما يدريك ما نصحهم له؟ هل يعرفونه؟! حتى شكوا في ذلك – وذلك من الفتون، يا ابن جبير – ، فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في صهر الملك رجاء منفعته – فتركوها، فانطلقت إلى أمه، فأخبرتها الخبر، فجاءت، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها، فمصه حتى امتلأ جنباه ريا، وانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها: إنا قد وجدنا لابنك ظئرا – فأرسلت إليها، فأتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت لها: امكثي عندي، أرضعي ابني هذا؛ فإني لم أحب حبه شيئا قط – قالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي – فذكرت أم موسى ما كان الله وعدها، فتعاسرت على امرأة فرعون لذلك، وأيقنت أن الله منجز وعده، فرجعت بابنها من يومها، فأنبته الله نباتا حسنا، وحفظه لما قد قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم يجتمعون في ناحية القرية يمتنعون به من الظلم والسخرة السخرة: التكليف والحمل على الفعل بغير أجرة – النهاية (سخر) – منذ كان فيهم – فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أزيريني ابني – فوعدتها يوما تزورها فيه به، فقالت لخزانها وظئورها وقهارمتها قهارمتها: جمع القهرمان –بفتح القاف وضمها – وهو من أمناء الملك وخاصته، والقهرمان أيضا: الوكيل والحافظ والقائم بالأمور – النهاية (قهرم).: لا يبقى منكم اليوم واحد إلا استقبل ابني بهدية وكرامة أرى ذلك فيه، وأنا باعثة أمينا يحصي ما صنع كل إنسان منكم – فلم

(١) ".

"(٥٥٣٥٠) – عن عبد الله بن عباس – من طريق يوسف بن مهران – قال: قرأناها على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – سنين: (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما) – ثم نزلت: (إلا من تاب وآمن)، فما رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم **– فرح بشيء** قط فرحه بها، وفرحه بـ (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢) / (٤٧٠) ((٩٧٢))، والطبراني في الكبير (١٢) / (٢١٧) ((١٢٩٣٥))، والثعلبي (٧) / (١٤٩) – قال ابن عدي في الكامل (٦) / (٣٤٣): «وهذا لا يرويه فيما أعلم عن علي بن زيد غير عبيد الله بن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٩٧/٢٥

عمر، ولا عن عبيد الله بن عمر غير عبد الله بن رجاء» - وقال الهيثمي في المجمع (٧) / (٨٤) ((١١٢٤٠)): «رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهران، وقد وثقا، وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات» - .

(٥٥٣٥١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق سعيد بن جبير - : أن ناسا من أهل الشرك قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدا - صلى الله عليه وسلم - ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة! فنزلت: (والذين لا يدعون مع الله الها آخر) الآية - ونزلت: (قل يا عبادي الذين أسرفوا) الآية [الزمر: (٥٣)] أخرجه البخاري ((٤٨١٠))، ومسلم ((١٢٢))، وأبو داود ((٤٢٧٤))، والنسائي ((٤٠١٥))، وابن جرير (١٧) / (٥٠٦)، وابن أبي حاتم (٨) / (٢٧٢٨)، والحاكم (٢) / (٤٠٣) - (٤٠٤)، والبيهقي ((٧١٣٩)) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه - .

(٥٥٣٥٢) - قال ابن جريج: وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء أخرجه ابن جرير (١٧) / (٥٠٦) - .

(٥٥٣٥٣) - عن عبد الله بن عباس - من طريق ابن جريج، عن عطاء - قال: أتى وحشي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: يا محمد، أتيتك مستجيرا، فأجرني حتى أسمع كلام الله - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذ أتيتني مستجيرا فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله» - قال: فإني أشركت بالله، وقتلت النفس التي حرم الله تعالى، وزنيت، هل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى نزل: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) إلى آخر الآية، فتلاها عليه، فقال: أرى شرطا، فلعلي لا أعمل صالحا، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله - فنزلت: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء: (٤٨)، (١١٦)]، فدعا به، فتلاها عليه، فقال: ولعلي ممن لا يشاء، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله - فنزلت:
." (١)

"(٥٩٢٣٥) - قال يحيى بن سلام: (بالعصبة) الجماعة تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٦٠٨) - .
(أولي القوة)

(٥٩٢٣٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - قال: وأولو القوة: خمسة عشر أخرجه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٦٣/٢٩

ابن جرير (١٨) / (٣١٦)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٠٩) - وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٥٩٢٣٧) - قال إسماعيل السدي: (أولي القوة)، يعني: أولي الشدة - وهم هاهنا أربعون رجلا علقه يحيى بن سلام (٢) / (٦٠٨) - .

(٥٩٢٣٨) - قال مقاتل بن سليمان: فإذا كانوا أربعين فهم أولو قوة تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٥٥) - .

(٥٩٢٣٩) - قال يحيى بن سلام: (أولي القوة) من الرجال تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٦٠٨) - .

(إذ قال له قومه لا تفرح)

(٥٩٢٤٠) - عن مجاهد بن جبر - من طريق العوام - في قوله: (إن الله لا يحب الفرحين)، **قال: الفرح هنا**: البغي أخرجه ابن جرير (١٨) / (٣٢٠) - (١٢٣)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٠٩) - .

(٥٩٢٤١) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - قوله: (إذ قال له قومه لا تفرح): أي: لا تمرح أخرجه ابن جرير (١٨) / (٣٢١)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٠٩) - .

(٥٩٢٤٢) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في قوله: (إذ قال له قومه لا تفرح)، قال: هؤلاء المؤمنون منهم، قالوا: يا قارون، لا تفرح بما أوليت فتبطر أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٠٩) - وعلقه يحيى بن سلام (٢) / (٦٠٩) مختصرا بلفظ: يعني: لا تبطر - .

(٥٩٢٤٣) - قال مقاتل بن سليمان: (اذ قال له قومه) بنو إسرائيل: (لا تفرح) يقول: ". (١)

"لا تمرح، ولا تبطر، ولا تفخر بما أوتيت من الأموال تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٥٥) - .

(٥٩٢٤٤) - قال يحيى بن سلام: (إذ قال له قومه) قال له موسى والمؤمنون بنو إسرائيل: (لا تفرح) لا تبطر تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٦٠٨) - .

إن الله لا يحب الفرحين (٧٦))

(٥٩٢٤٥) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - في قوله: (إن الله لا يحب الفرحين)، قال: المرحين أخرجه ابن جرير (١٨) / (٣٢٠)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠١٠) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٩٨/٣١

(٥٩٢٤٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (إن الله لا يحب الفرحين)، قال: المتبذخين، الأشرين، البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم أخرجه ابن جرير (١٨) / (٣٢٠) من طرق، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٠٩)، وأخرجه يحيى بن سلام (٢) / (٦٠٩) من طريق ابن مجاهد، وابن أبي الدنيا في كتاب الهم والحزن - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا (٣) / (٢٩١) ((١٥٨)) من طريق جابر مختصرا بلفظ: الأشرين، وإسحاق البستي في تفسيره ص (٥٧) من طريق ابن جريج، وفيه: «الممتدحين» بدلا من «المتبذخين» - وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٥٩٢٤٧) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (إن الله لا يحب الفرحين): أي: إن الله لا يحب المرحين أخرجه ابن جرير (١٨) / (٣٢١) - وعلقه ابن أبي حاتم (٩) / (٣٠١٠) - .

(٥٩٢٤٨) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في قوله: (إن الله لا يحب الفرحين)، قال: إن الله لا **يحب الفرح بطرا** أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٣٠١٠) - .

(٥٩٢٤٩) - قال إسماعيل السدي: و(لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) المرحين البطرين المشركين علقه يحيى بن سلام (٢) / (٦٠٩) - وقال عنه وعن قول مجاهد: وهو واحد - .

(٥٩٢٥٠) - قال مقاتل بن سليمان: (ان الله لا يحب الفرحين)، يعني: المرحين البطرين تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٥٥) - .

(٥٩٢٥١) - قال يحيى بن سلام: (إن الله لا يحب الفرحين)، أي: الذين يفرحون (١) ".

"(٦٠٣٨٠) - قال مقاتل: لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة، وأتاهم الخبر أن الروم قد غلبوا فارس؛ ففرح المؤمنون بذلك تفسير الثعلبي (٧) / (٢٩٣) - .

(٦٠٣٨١) - قال يحيى بن سلام: قال أبو بكر للمشركين: لم تشمتون؟ فوالله، لتظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين - فقال أبي بن خلف: أنا أبايعك ألا تظهر الروم على فارس إلى ثلاث سنين - فتبايعا على خطار سبع من الإبل، ثم رجع أبو بكر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأخبره، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «اذهب فبايعهم إلى سبع سنين، مد في الأجل، وزد في الخطار» - ولم يكن حرم ذلك يومئذ، وإنما حرم القمار - وهو الميسر - والخمر بعد غزوة الأحزاب، فرجع أبو بكر إليهم،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٩٩/٣١

فقال: اجعلوا الوقت إلى سبع سنين، وأزيدكم في الخطار - ففعلوا، فزادوا في الخطار ثلاثا، فصارت عشرا من الإبل، وفي السنين أربعا، فكانت السنون سبعا، ووضع الخطار على يدي أبي بكر، فلما مضت ثلاث سنين قال المشركون: قد مضى الوقت - فقال المسلمون: هذا قول ربنا، وتبليغ رسولنا، والبضع ما بين الثلاث إلى التسع ما لم يبلغ العشر، والموعود كائن - فلما كان تمام سبع سنين ظهرت الروم على فارس، وكان الله - تبارك وتعالى - وعد المؤمنين أن إذا غلبت الروم فارس أظهرهم على المشركين، فظهرت الروم على فارس، والمؤمنون على المشركين في يوم واحد؛ يوم بدر، وفرح المسلمون بذلك، وبأن صدق الله قولهم، وصدق رسولهم علقه يحيى بن سلام (٢) / (٦٤٤) - اختلف في السنة التي غلبت فيها الروم أهل فارس على أقوال: الأول: يوم وقعة بدر - الثاني: عام الحديبية - ونقل ابن كثير ((١١) / (١٣) - (١٤)) عن بعض قائلي القول الثاني أنهم وجهوا ذلك: «بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرى ليمشين من حمص إلى إيليا - وهو بيت المقدس - شكرا لله ، ففعل، فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منها حتى وافاه كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي بعثه مع دحية بن خليفة، فأعطاه دحية لعظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر - فلما وصل إليه سأل: من بالشام من عرب الحجاز؟ فأحضر له أبو سفيان صخر بن حرب الأموي في جماعة من كفار قريش كانوا في غزة، فجيء بهم إليه، فجلسوا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا - فقال لأصحابه - وأجلسهم خلفه - : إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذب فكذبوه - فقال أبو سفيان: فوالله، لولا أن يأثروا علي الكذب لكذبت - فسأله هرقل عن نسبه وصفته، فكان فيما سأله أن قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها - يعني بذلك: الهدنة التي كانت قد وقعت بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكفار قريش يوم الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين، فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية؛ لأن قيصر إنما وفى بنذره بعد الحديبية» - ثم ذكر أن «لأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعثت، فما تمكن من وفاء نذره حتى أصلح ما ينبغي إصلاحه وتفقد بلاده، ثم بعد أربع سنين من نصرته وفى بنذره» - ثم علق على ما سبق بقوله: «والأمر في هذا سهل قريب» - ورجح ابن تيمية ((٥) / (١١٨)) أن الخبر بظهور الروم على فارس جاء يوم الحديبية قائلا: «وهذا هو الصحيح» - ولم يذكر مستندا - وذكر ابن عطية ((٧) / (٨) - (٩)) في قوله تعالى: (يفرح المؤمنون) ثلاثة احتمالات: الأول: «أن يشار فيه إلى نصر الروم على فارس» - وعلق عليه بقوله: «وهي نصرة للإسلام بحكم السنين التي قد ذكرناها» - الثاني: «أن يشار فيه إلى نصر يخص

المسلمين على عدوهم» – وعلق عليه بقوله: «وهذا أيضا غيب أخبر به وأخرجه إما بيوم بدر، وإما ببيعة الرضوان» – الثالث: «أن يشار فيه إلى فرح المسلمين بنصر الله تعالى إياهم في أن صدق ما قال نبيهم عليه الصلاة والسلام في أن الروم ستغلب فارس، فإن هذا ضرب من النصر عظيم» – .

(ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥))

". (١)

"من محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ولقد أعطانا وإياكم الذي تريدون، فأقبلوا على اسم اللات والعزى؛ لعلنا نزيله إلى ما نهواه – ففرحوا بذلك، ثم ركب كل رجل منهم راحلة حتى أتوا المدينة، فلما دخلوا على عبد الله بن أبي أنزلهم، وأكرمهم ورحب بهم، وقال: أنا عند الذي يسركم، محمد أذن، ولو قد سمع كلامنا وكلامكم لعله لا يعصينا فيما نأمره، فأبشروا واستعينوا بآلهتكم عليه، فإنها نعم العون لنا ولكم – فلما رأوا ذلك منه قالوا: أرسل إلى إخواننا – فأرسل عبد الله بن أبي إلى طعمة وسعد: أن إخواننا من أهل مكة قدموا علينا، فلما أتاهم الرسول جاءوا، فرحبوا بهم، ولزم بعضهم بعضا من الفرح وهم قيام، ثم جلسوا يرون أن يستنزلوا محمدا – صلى الله عليه وسلم – عن دينه – فقال عبد الله بن أبي: أما أنا فأقول له ما تسمعون، لا أعدو ذلك ولا أزيد، أقول: إنا – معشر الأنصار – لم نزل وإلهنا محمود بخير، ونحن اليوم أفضل منذ أرسل إلينا محمد، ونحن كل يوم منه في مزيد، ونحن نرجو بعد اليوم من إله محمد كل خير، ولكن لو شاء محمد قبل كذا أثبتها محقق المصدر ليستقيم المعنى، وذكر أنها ساقطة من إحدى النسخ المخطوطة، وفي نسختين أخريين: «ولب» – ومن معاني «ولب» دخل، كما في القاموس وشرحه – أمرا كان – يكون ما عاش – لنا وله ذكر في الأولين الذين مضوا، ويذهب ذكره في الآخرين – على أن يقول: إن اللات والعزى لهما شفاعة يوم القيامة، ولهما ذكر ومنفعة على طاعتهما – هذا قولي له – قال أبو سفيان: نخشى علينا وعليكم الغدر والقتل، فإن محمدا – زعموا – أنه لن يبقي بها أحدا منا من شدة بغضه إيانا، وإنا نخشى أن يكون يضمر لنا في نفسه ما كان لقي أصحابه يوم أحد – قال عبد الله بن أبي: إنه إذا أعطى الأمان فإنه لن يغدر، هو أكرم من ذلك، وأوفى بالعهد منا – فلما أصبحوا أتوه، فسلموا عليه، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : مرحبا بأبي سفيان، اللهم، اهد قلبه – فقال أبو سفيان: اللهم، يسر الذي هو خير – فجلسوا، فتكلموا وعبد الله بن أبي، فقالوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – : ارفض ذكر اللات والعزة ومناة – حجر يعبد بأرض هذيل – ، وقل: إن لهما شفاعة ومنفعة في الآخرة لمن عبدهما – فنظر

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٩٥/٣١

إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وشق عليه قولهم، فقال عمر بن الخطاب: ائذن لي - يا رسول الله - في قتلهم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إني قد أعطيتهم العهد والميثاق» - وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «لو شعرت أنكم تأتون لهذا من الحديث لما أعطيتهم الأمان» - فقال أبو سفيان: ما بأس بهذا أن قوما استأنسوا إليك، يا محمد، ورجوا منك أمرا، فأما إذا قطعت رجاءهم فإنه لا ينبغي لك أن تؤذيهم، وعليك باللين والتؤدة لإخوانك

(١) ".

"قومها، فكانت بعد تقول: أنا الشقية - وكانت تلقط البعر وتبيعه، وتستأذن على أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وتسألهن، وتقول: أنا الشقية أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨) / (١١٢)، (١٥٤) مختصرا - قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤) / (١٨٩٩): «وهذا عندنا غير صحيح» - .

(٦٢٠٧٦) - عن عبد الله بن عباس، قال: إنما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أزواجه بين الدنيا والآخرة عزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

(٦٢٠٧٧) - عن سعيد بن جبير، في قوله: (يا أيها النبي قل لأزواجك) الآية، قال: أمر الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يخير نساءه في هذه الآية، فلم تختر واحدة منهن نفسها غير الحميرية عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٦٢٠٧٨) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها)، قال: اعتزلهن رسول الله، ثم خيرهن، وذلك في زينب بنت جحش وكراهيتها لنكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تفسير مجاهد ((٥٥٠)) - .

(٦٢٠٧٩) - قال عكرمة مولى ابن عباس (يا أيها النبي قل لأزواجك) الآية، في غيرة كانت غارتها عائشة، وكان تحته يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وبدأ بعائشة، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رئي الفرح في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فتتابعن كلهن على ذلك، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة أخرجه ابن جرير (١٩) / (٨٦) - .

(٦٢٠٨٠) - عن عامر الشعبي - من طريق ابن أبي هند - قال: خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٠٩/٣٢

- نساءه، فلم يك ذلك طلاقا.=

(٦٢٠٨١) - فذكرت ذلك لقتادة، فقال: إنما خيرهن بين الدنيا والآخرة، ولم يخيرهن الطلاق أخرجه يحيى بن سلام (٢) / (٧١٣) - .

(٦٢٠٨٢) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - =

(٦٢٠٨٣) - والحسن البصري - من طريق قتادة - قالا: أمره الله أن يخيرهن بين الدنيا (١) ".

"والآخرة، والجنة والنار - قال الحسن: في شيء كن أردنه من الدنيا - وقال قتادة: في غيرة كانت غارتها عائشة - وكان تحته يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته صفية بنت حي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وبدأ بعائشة، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رئي الفرح في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتتابعن كلهن على ذلك، فلما خيرهن واخترن الله ورسوله والدار الآخرة شكرهن الله على ذلك أن قال: (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) - فقصره الله عليهن، وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله أخرجه ابن جرير (١٩) / (٨٦) - (٧٨) بنحوه - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم - أفاد قول الحسن وقتادة: أن النبي خير زوجاته بين الدنيا والآخرة، ولم يخيرهن الطلاق - وقد بين ابن عطية ((٧) / (١١١)) أن ذلك: «لأن التخيير يتضمن ثلاث تطليقات، وهو قد قال: (وأسرحكن سراحا جميلا)، وليس مع بت الطلاق سراح جميل» - وذكر ابن كثير ((١١) / (١٤٩)) ما جاء في قول الحسن وقتادة، وانتقد ذلك مستندا إلى ظاهر الآية بقوله: «وهو خلاف الظاهر من الآية؛ فإنه قال: (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا) أي: أعطيكن حقوقكن، وأطلق سراحكن» - وذكر ابن كثير هذا المعنى عن علي بن أبي طالب من طريق عبد الله بن أحمد بسنده عن علي ، وعلق عليه بقوله: «وهذا منقطع» - .

(٦٢٠٨٤) - عن أبي جعفر - من طريق زياد بن أبي زياد - قال: قال نساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما نساء أغلى مهورا منا - فغار الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ، فأمره أن يعتزلهن، فاعتزلهن تسعة وعشرين يوما، ثم أمره أن يخيرهن فخيرهن أخرجه ابن سعد (٨) / (١٩١) - (١٩٢) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١١/٣٢

(٦٢٠٨٥) - قال مقاتل بن سليمان: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن) يقول: كما يمتع الرجل امرأته إذا طلقها سوى المهر، (وأسرحكن سراحا جميلا) يقول: حسنا في غير ضرار، (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة) يعني: الجنة (فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما)
". (١)

"الخزنة: (أين ما كنتم تشركون) يعني: تعبدون (من دون الله) فهل يمنعونكم من النار؟! يعني: الآلهة، (قالوا ضلوا عنا) ضلت عنا الآلهة، (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) يعني: لم نكن نعبد من قبل في الدنيا شيئا، إن الذي كنا نعبد كان باطلا، لم يكن شيئا، (كذلك) يعني: هكذا (يضل الله الكافرين) تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٢٠) - (٧٢١) - .
(٦٨٢٤٢) - عن يحيى بن سلام - من طريق أحمد - في قوله: (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) أي: ينفعنا ولا يضرنا، قال الله : (كذلك يضل الله الكافرين) - ثم رجع إلى قصتهم، فقال: (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق) الآية أخرجه أبو عمرو الداني في المكتفى ص (١٨٥) ((٢٩)) - .
(ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥))
(٦٨٢٤٣) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - في قوله: (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) إلى (فبئس مثوى المتكبرين)، **قال: الفرح والمرح**: الفخر والخيلاء، والعمل في الأرض بالخطيئة، وكان ذلك في الشرك، وهو مثل قوله لقارون: (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) [القصص: (٧٦)]، وذلك في الشرك أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٣٦٦) - .
(٦٨٢٤٤) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون)، قال: تبطرون، وتأشرون تفسير مجاهد ص (٥٨٤)، وأخرجه الفريابي - كما في تغليق التعليق (٤) / (٣٠٠) - ، وابن جرير (٢٠) / (٣٦٦) - .
(٦٨٢٤٥) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - في قوله: (تمرحون)، قال: تبطرون أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٣٦٦) - .
(٦٨٢٤٦) - قال مقاتل بن سليمان: (ذلكم) السلاسل والأغلال والسحب (بما كنتم تفرحون في الأرض) يعني: تبطرون من الخيلاء والكبرياء (بغير الحق وبما كنتم تمرحون) يعني: تعصون في الأرض تفسير مقاتل

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١٢/٣٢

بن سليمان (٣) / (٧٢١) - .
(ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (٧٦))
". [1]

"يقول: وما كان لهم من أقرباء يمنعونهم من الله، (ومن يضلل الله) عن الهدى (فما له من سبيل) إلى الهدى تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٧٤) - .
(استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله)
(٦٩١٧٣) - قال مقاتل بن سليمان: قوله: (استجيبوا لربكم) بالإيمان، يعني: التوحيد، (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له) يعني: لا رجعة لهم، إذا جاء يوم القيامة لا يقدر أحد على دفعه (من الله) تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٧٤) - .
آثار متعلقة بالآية
(٦٩١٧٤) - عن خلف بن حوشب، قال: قرأ زيد بن صوحان: (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله)، فقال: لبيك من زيد لبيك أخرجه إسحاق البستي ص (٣٠٩) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .
(ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧))
(٦٩١٧٥) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (ما لكم من ملجإ يومئذ) قال: محرز، (وما لكم من نكير) قال: ناصر ينصركم تفسير مجاهد ص (٥٩١)، وأخرجه ابن جرير (٢٠) / (٥٣٥) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .
(٦٩١٧٦) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (ما لكم من ملجإ يومئذ) تلجأون إليه، (وما لكم من نكير) يقول: من غير تغيرون أخرجه ابن جرير (٢٠) / (٥٣٥) - .
(٦٩١٧٧) - قال مقاتل بن سليمان: ثم أخبر عنهم يومئذ، فقال: (ما لكم من ملجإ يومئذ) يعني: حرزا يحرزكم من العذاب، (وما لكم من نكير) من العذاب تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٧٤) - .
(فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها** وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (٤٨))

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٩٢/٣٥

قراءات

(٦٩١٧٨) - ." [(١)]

"قال مقاتل بن سليمان: في قراءة ابن مسعود: (وإنآ إذآ أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها) تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٧٤) - وقراءة ابن مسعود شاذة - .

تفسير الآية

(٦٩١٧٩) - قال عبد الله بن عباس: (وإنا إذا أذقنا الإنسان منا **رحمة فرح بها**)، يعني: الغنى، والصحة تفسير البغوي (٧) / (٢٠٠) - .

(٦٩١٨٠) - قال مقاتل بن سليمان: (فإن أعرضوا) عن الهدى (فما أرسلناك عليهم حفيظا) يعني: رقيبا، (إن عليك إلا البلاغ) يا محمد، (وإنا إذا أذقنا الإنسان) يقول: إذا مسسنا - وفي قراءة ابن مسعود: (وإنآ إذآ أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها) يعني: المطر، (وإن تصبهم سيئة) يعني: كفار مكة، يعني: قحط في المطر (بما قدمت أيديهم) من الكفر (فإن الإنسان كفور) فيها تقديم، لنعم ربه في كشف الضر عنه، يعني: الجوع وقحط المطر - نظيرها في الروم تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٧٤) - يشير إلى قوله تعالى: (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) [الروم: (٣٦)] - وقراءة ابن مسعود شاذة - .

(لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩))

(٦٩١٨١) - عن عائشة، قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن أولادكم هبة الله لكم (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور)، فهم وأموالهم لكم إذا احتجتم إليها» أخرجه الحاكم (٢) / (٣١٢) ((٣١٢٣))، والثعلبي (٨) / (٣٢٥)، من طريق علي بن الحسن بن شقيق، عن أبي حمزة، عن إبراهيم الصائغ، عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن الأسود، عن عائشة به - قال الحاكم: «حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» - ووافقه الذهبي في التلخيص - وأورده الألباني في الصحيحة (٦) / (١٣٧) ((٢٥٦٤)) - .

." [(٢)]

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٧٥/٣٦

(٢) موسوعة التفسير المأثور ٧٦/٣٦

"(٧٠٩٠٢) - قال عكرمة مولى ابن عباس: (متقلبكم) من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، (ومثواكم) مقامكم في الأرض تفسير الثعلبي (٩) / (٣٤)، وتفسير البغوي (٧) / (٢٨٥) - .
(٧٠٩٠٣) - قال مقاتل بن سليمان: (والله يعلم متقلبكم) يعني: منتشركم بالنهار، (ومثواكم) يعني: مأواكم بالليل تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٤٨) - .
(٧٠٩٠٤) - عن عبد الملك ابن جريج، (والله يعلم متقلبكم ومثواكم)، قال: متقلب كل دابة بالليل والنهار عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - في قوله: (متقلبكم ومثواكم) قولان: الأول: أن معناه: يعلم تصرفكم في نهاركم، ومستقركم في ليلكم - الثاني: أن معناه: متقلبكم في الدنيا، ومثواكم في قبوركم - وقد رجح ابن كثير ((١٣) / (٧٤)) الأول بقوله: «والأول أولى وأظهر» - ولم يذكر مستندا - .
(ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت)
(٧٠٩٠٥) - قال مقاتل بن سليمان: (ويقول الذين آمنوا) يعني: صدقوا بالقرآن: (لولا نزلت سورة) وذلك أن المؤمنين اشتاقوا إلى الوحي، فقالوا: هلا نزلت سورة! (فإذا أنزلت سورة محكمة) يعني بالمحكمة: ما فيها من الحلال والحرام، (وذكر فيها القتال) وطاعة الله، والنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقول معروف حسن؛ فرح بها المؤمنون، فيها تقديم، ثم ذكر المنافقين، فذلك قوله: (رأيت الذين في قلوبهم مرض) يعني: الشك في القرآن، منهم عبد الله بن أبي، ورفاعة بن زيد، والحارث بن عمرو (ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) غما وكراهية لنزول القرآن تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٤٨) - .
(٧٠٩٠٦) - عن عبد الملك ابن جريج، في قوله: (ويقول الذين آمنوا) الآية، قال: كان المؤمنون يشتاقون إلى كتاب الله تعالى، وإلى بيان ما ينزل عليهم فيه، فإذا أنزلت السورة يذكر فيها القتال رأيت - يا محمد - المنافقين (ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
". (١)

"المؤمنين من الحزن، وعلم فرح المشركين من أهل مكة، وفرح المنافقين من أهل المدينة، فأنزل الله تعالى بالمدينة بعد ما رجع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية: (إنا فتحنا لك يوم الحديبية فتحا مبينا ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا)، فنسخت هذه الآية قوله: (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) [الأحقاف: (٩)]، فأخبر الله تعالى

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١٤/٣٧

نبيه – صلى الله عليه وسلم – بما يفعل به، فنزلت هذه الآية على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فلما سمع عبد الله بن أبي رأس المنافقين بنزول هذه الآية على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وأن الله قد غفر له ذنبه، وأنه يفتح له على عدوه، ويهديه صراطا مستقيما، وينصره نصرا عزيزا، قال لأصحابه: يزعم محمد أن الله غفر له ذنبه، وينصره على عدوه! هيهات هيهات، لقد بقي له من العدو أكثر وأكثر، فأين فارس و الروم وهم أكثر عدوا وأشد بأسا وأعز عزيزا؟! ولن يظهر عليهم محمد، أيظن محمد أنهم مثل هذه العصابة التي قد نزل بين أظهرهم وقد غلبهم بكذبه وأباطيله، وقد جعل لنفسه مخرجا، ولا علم له بما يفعل به ولا بمن اتبعه، إن هذا لهو الخلاف المبين – فخرج النبي – صلى الله عليه وسلم – على أصحابه، فقال: «لقد نزلت علي آية لهي أحب إلي مما بين السماء والأرض» – فقرأ عليهم: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله) إلى آخر الآية، فقال أصحابه: هنيئا مريئا، يا رسول الله، قد علمنا الآن مالك عند الله، وما يفعل بك، فما لنا عند الله وما يفعل بنا؟ فنزلت سورة الأحزاب [(٤٧)]: (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) يعني: عظيما، وهي الجنة – وأنزل: (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) [الفتح: (٥)] تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٦٥) – (٦٦)، وفي تفسير الثعلبي (٩) / (٤٢) نحوه مختصرا - .

- تفسير الآية

(٧١٠٩١) – عن عبد الله بن عباس – من طريق عكرمة – قال: إن الله فضل محمدا – صلى الله عليه وسلم – على الأنبياء ، وعلى أهل السماء – فقالوا: يا عبد الله بن عباس، بم فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله قال لأهل السماء: (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) [الأنبياء: (٢٩)]، وقال الله تعالى لمحمد – صلى الله عليه وسلم – : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) – قالوا: فما فضله على الأنبياء ؟ قال: قال الله : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) [إبراهيم: (٤)]، وقال الله لمحمد – صلى الله عليه وسلم – : (وما أرسلناك إلا كافة

." (١)

"بالمطر تفسير الثعلبي (٩) / (١٥٥)، وتفسير البغوي (٧) / (٤١٨) – ذكر ابن القيم ((٣) / (٨٥)) في معنى: (وأنه هو أضحك وأبكى): أن «الضحك والبكاء فعلان اختياريان، فهو – سبحانه –

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٥٤/٣٧

المضحك المبكي حقيقة، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة - وتأويل الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام عن ظاهره بغير موجب» - ثم علق بقوله: «ولا منافاة بين ما يذكر من تلك التأويلات وبين ظاهره، فإن إضحاك الأرض بالنبات، وإبكاء السماء بالمطر، وإضحاك العبد وإبكاءه بخلق آلات الضحك والبكاء له؛ لا ينافي حقيقة اللفظ وموضوعه ومعناه، من أنه جاعل الضحك والبكاء فيه، بل الجميع حق» - .

(٧٣٥٧٠) - قال الحسن [البصري]: هو خلق الضحك والبكاء تفسير الثعلبي (ط: دار التفسير) (٢٤) / (١٦٨) - .

(٧٣٥٧١) - قال عطاء الخراساني: (وأنه هو أضحك وأبكى)، يعني: أفرح وأحزن تفسير الثعلبي (٩) / (١٥٤)، وتفسير البغوي (٧) / (٤١٨)، وعقبه: **لأن الفرح يجلب** الضحك، والحزن يجلب البكاء - .

(٧٣٥٧٢) - قال مقاتل بن سليمان: (وأنه هو أضحك وأبكى) أخبره عن صنعه: يقول: أضحك واحدا وأبكى آخر، وأيضا أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (١٦٦) - .

* * *

- آثار متعلقة بالآية

(٧٣٥٧٣) - عن قتادة، قال: سئل عبد الله بن عمر: هل كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل أخرجه البغوي (٧) / (٤١٨) - .

(٧٣٥٧٤) - عن سماك بن حرب، قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: نعم، وكان أصحابه يجلسون، ويتناشدون الشعر، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية، فيضحكون، ويتبسم معهم إذا ضحكوا - يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم - أخرجه البغوي (٧) / (٤١٨) - .

(٧٣٥٧٥) - عن جبار الطائي، قال: شهدت جنازة أم مصعب بن الزبير، وفيها عبد الله بن عباس، فسمعنا أصوات نوائح، فقلت: يا أبا عباس، يصنع هذا وأنت هاهنا؟! فقال: دعنا منك، يا جبار، فإن الله أضحك وأبكى أخرجه ابن أبي شيبة (٣) / (٢٨٥) - .

(وأنه هو أمات وأحيا (٤٤))

". (١)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٨/٢٢٩

"فروح وريحان وجنت نعيم)، قال: روح من جهد الموت، وريحان يتلقى به عند خروج نفسه، وجنة نعيم أمامه – » سيأتي مطولا مع تخريجه في الآثار المتعلقة بالآيات – .

(٧٥٤٤٣) – عن عبد الله بن عباس – من طريق علي – في قوله: (فروح) قال: راحة، (وريحان) قال: استراحة أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٦) – (٣٧٧)، وبنحوه من طريق عطية، وابن أبي حاتم –كما في الإتقان (٢) / (٤٧) – – علق ابن كثير ((١٣) / (٣٩٦)) على قول ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقول سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة بقوله: «وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة، والراحة والاستراحة، والفرح والسرور، والرزق الحسن، (وجنة نعيم)» – .

(٧٥٤٤٤) – عن عبد الله بن عباس، في قوله: (فروح وريحان)، قال: الريحان: الرزق عزاه السيوطي إلى ابن المنذر – .

(٧٥٤٤٥) – عن عبد الله بن عباس – من طريق السدي، عن أبي مالك وأبي صالح – : (فروح) الفرح، مثل قوله: (ولا تيأسوا من روح الله) [يوسف: (٨٧)]، (وريحان) الرزق، لا تخرج روح المؤمن من بدنه حتى يأكل من ثمار الجنة قبل موته عزاه السيوطي إلى ابن مردويه – .

(٧٥٤٤٦) – عن الربيع بن خثيم – من طريق منذر الثوري – (فروح وريحان)، قال: يجاء له من الجنة أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٩) – .

(٧٥٤٤٧) – عن أبي العالية الرياحي – من طريق الربيع – قال: لم يكن أحد من المقربين يفارق الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيشمه، ثم يقبض أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٨) – وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم – .

(٧٥٤٤٨) – عن سعيد بن جبير – من طريق أبي إسحاق – في قوله: (فروح وريحان)، قال: الروح: الفرح، والريحان: الرزق أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٧) – .

(٧٥٤٤٩) – عن إبراهيم النخعي، قال: بلغنا: أن المؤمن يستقبل عند موته بطيب من طيب الجنة، وريحان

من ريحان الجنة، فتقبض روحه، فتجعل في حرير من حرير
." (١)

"الجنة، ثم ينضح بذلك الطيب، ويلف في الريحان، ثم ترتقي به ملائكة الرحمة، حتى يجعل في عليين عزاه السيوطي إلى أبن أبي الدنيا في ذكر الموت - .

(٧٥٤٥٠) - عن مجاهد بن جبر، في قوله: (فروح وريحان)، قال: الروح: الفرح، والريحان: الرزق عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن جرير - وهذا اللفظ عند ابن جرير عن سعيد كما تقدم، أما لفظ مجاهد عنده فهو التالي، وقد فرق بينهما ابن جرير - - ((١٤) / (٢٤١)).
(٧٥٤٥١) - عن مجاهد بن جبر - من طريق آدم، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح - في قوله: (فروح وريحان)، قال: راحة - وقوله: (وريحان) قال: الرزق تفسير مجاهد ص (٦٤٦)، وأخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٧)، من طريق أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح به، والحسن عن ورقاء به - .

(٧٥٤٥٢) - عن مجاهد بن جبر - من طريق الفريابي، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح - في قوله: (فروح) قال: جنة، (وريحان) قال: رزق أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق (٤) / (١٧١) - ، والبيهقي في الشعب -كما في الفتح (٦) / (٣٢٢) - بزيادة: (فروح) قال: جنة ورخاء - .

(٧٥٤٥٣) - عن الضحاك بن مزاحم، قال: الروح: الاستراحة، والريحان: الرزق عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن جرير - .

(٧٥٤٥٤) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق عبيد - قال: الروح: المغفرة والرحمة، والريحان: الاستراحة أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٨) - (٣٧٩) - .

(٧٥٤٥٥) - عن بكر بن عبد الله المزني، قال: إذا أمر ملك الموت بقبض المؤمن أتي بريحان من الجنة، فقيل له: اقبض روحه فيه - وإذا أمر بقبض الكافر أتي ببجاد البجاد: كساء مخطط - لسان العرب (بجد) - من النار، فقيل له: اقبضه فيه عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في ذكر الموت - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٨٩/٣٩

(٧٥٤٥٦) - عن الحسن البصري - من طريق قرة - في قوله: (فروح وريحان)، قال: ذاك في الآخرة - فاستفهمه بعض القوم فقال: أما - والله - إنهم ليسرون بذلك عند الموت أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٩) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وأبي القاسم بن منده في كتاب السؤال - .

(٧٥٤٥٧) ." [1]

"- عن الحسن البصري، قال: الروح: الرحمة، والريحان هو هذا الريحان عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٧٥٤٥٨) - عن الحسن البصري - من طريق المعتمر، عن أبيه - قال: تخرج روح المؤمن من جسده في ريحانة - ثم قرأ: (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان) أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٨) - وعزاه السيوطي إلى المروزي في الجنائز - .

(٧٥٤٥٩) - عن محمد بن كعب القرظي، في قوله: (فروح وريحان)، قال: فرج من الغم الذي كانوا فيه، واستراحة من العمل؛ لا يصلون، ولا يصومون عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .
(٧٥٤٦٠) - عن قتادة بن دعامة أنه كان يقرأ: (فروح) قال: رحمة.=

(٧٥٤٦١) - قال: وكان الحسن البصري يقرأ: (فروح) يقول: راحة عزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن المنذر - .

(٧٥٤٦٢) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (فروح وريحان)، قال: الروح: الرحمة، والريحان يتلقى به عند الموت أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٨) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم - .

(٧٥٤٦٣) - عن أبي عمران الجوني، في قوله: فأمآ إن كان من المقربين فروح وريحان، قال: بلغني: أن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٩/٢٩٠

المؤمن إذا نزل به الموت تلقي بضبائر الريحان من الجنة، فيجعل روحه فيها عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وعبد بن حميد - .

(٧٥٤٦٤) - قال مقاتل بن سليمان: (فروح) يعني: فراحة (وريحان) يعني: الرزق في الجنة، بلسان حمير، (وجنت نعيم) تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٢٢٥) - اختلف في معنى: (فروح وريحان) في هذه الآية على أقوال بناء على اختلاف القرأة في قراءتها، فمن قرأها: (فروح) بفتح الراء: اختلفوا في معناها على أقوال: الأول: المعنى: فراحة ومستراح - الثاني: الروح: الراحة، والريحان: الرزق - الثالث: الروح: الفرح، والريحان: الرزق - الرابع: الروح: الرحمة، والريحان: الريحان المعروف - الخامس: الروح: الرحمة، والريحان: الاستراحة - ومن قرأها: فروح بضم الراء، قالوا: الروح: روح الإنسان، والريحان: هو الريحان المعروف - ورجح ابن جرير ((٢٢) / (٣٧٩)) مستندا إلى اللغة - «قول من قال: عني **بالروح: الفرح والرحمة** والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت روحا: إذا وجد نسيما روحا يستريح إليه من كرب الحر، وأما الريحان: فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت -كما قال أبو العالية، والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما؛ لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه» - .

(وجنت نعيم (٨٩))

(٧٥٤٦٥) - عن تميم الداري، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: « - وجنة نعيم أمامه - » تقدم في الآية السابقة، وسيأتي مطولا مع تخريجه في الآثار المتعلقة بالآيات - .

(٧٥٤٦٦) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية - قال: (وجنت نعيم)، يقول: مغفرة ورحمة أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٧) - .

(٧٥٤٦٧) - عن عبد الله بن عباس - من طريق السدي، عن أبي مالك وأبي صالح - في قوله: (وجنت نعيم)، يقول: حققت له الجنة والآخرة عزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

(٧٥٤٦٨) - عن الربيع بن خثيم - من طريق منذر - في قوله: (وجنت نعيم)، قال: تخبأ له الجنة إلى يوم يبعث أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (٤٠١) - وعزاه السيوطي إلى أحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٧٥٤٦٩) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - (وجنت نعيم)، قال: قد عرضت عليه أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٣٧٩) - .

(وأما إن كان من أصحاب اليمين (٩٠) فسلام لك من أصحاب اليمين (٩١))

(٧٥٤٧٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق السدي، عن أبي مالك وأبي صالح - في قوله: (إما إن كان من أصحاب اليمين)، يقول: جمهور أهل الجنة عزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

". [1]

" - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - في قوله: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) من الدنيا، (ولا تفرحوا بما آتاكم) منها أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٤٢٠) - (٤٢١)، وابن أبي حاتم - كما في الإتقان (٢) / (٤٨) - - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٧٥٧٣٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - في قوله: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) الآية، قال: ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة جعلها صبرا، ومن أصابه خير جعله شكرا أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٤٢١)، وابن أبي شيبة (١٣) / (٣٧٣) - (٣٧٤)، والحاكم (٢) / (٤٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان ((٩٧٧١)) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٧٥٧٤٠) - قال عكرمة مولى ابن عباس: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن **اجعلوا الفرح شكرا**، والحزن صبرا تفسير البغوي (٨) / (٤٠)، وتفسير الثعلبي (٩) / (٢٤٥) - .

(١٧٥٧٤) - قال مقاتل بن سليمان: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) من الخير والغنيمة، (ولا تفرحوا بما آتاكم) من الخير فتختالوا وتفخروا، (والله لا يحب كل مختال) يعني: متكبر عن عبادة الله (فخور) في نعم الله تعالى لا يشكر تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٢٤٤) - .

(٧٥٧٤٢) - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - قال: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم)، يعني: لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم منها أخرجه ابن جرير (٢٢) / (٤٢١) - .

آثار متعلقة بالآية

(٧٥٧٤٣) - عن أسلم، قال: سمعت عبد الله بن الأرقم صاحب بيت مال المسلمين يقول لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، عندنا حلية من حلية جلولاء جلولاء: بلدة بالعراق، بها كانت الوقعة المشهورة للمسلمين على الفرس سنة (١٦) هـ، فاستباحهم المسلمون، فسميت جلولاء لما جللها من قتلاهم - ينظر: معجم البلدان (٢) / (١٥٦).، وآنية ذهب وفضة، فر فيها رأيك - فقال: إذا رأيتني فارغا فآذني -

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٩١/٣٩

فجاء يوما، فقال: إني

". (١)

"أراك اليوم فارغا، يا أمير المؤمنين - قال: ابسط لي نطعا في الجسر - فبسط له نطعا، ثم أتى بذلك المال، فصب عليه، فجاء، فوقف

عليه، ثم قال: اللهم إنك ذكرت هذا المال، فقلت: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) [آل عمران: (١٤)]، وقلت: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) - اللهم، إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم، أنفقه في حق، وأعوذ بك من شره أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٨) / (٢٨٢) ((٣٤٤٧٤)) (ت: محمد عوامة) - .

(٧٥٧٤٤) - عن قزعة، قال: رأيت على عبد الله بن عمر ثيابا خشنة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيني أن أراه عليك، فإن عليك ثيابا خشنة - قال: إني أخاف أن ألبسه فأكون مختالا فخورا، والله لا يحب كل مختال فخور أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ((١٩٢) - (١٩٣)) - .

(٧٥٧٤٥) - قال جعفر بن محمد الصادق: يا ابن آدم، ما لك تأسى وتأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت؟! وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت؟! تفسير الثعلبي (٩) / (٢٤٥)، وتفسير البغوي (٨) / (٤٠) - .

(٧٥٧٤٦) - عن إبراهيم بن أدهم: على القلب ثلاثة **أغطية؛ الفرح والحزن** والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل، ودليل ذلك كله قوله تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨) / (٣٤) - .

(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤))

(٧٥٧٤٧) - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال: (الذين يبخلون) يعني: رؤوس اليهود، بخلوا بأمر محمد - صلى الله عليه وسلم - وكتموه؛ ليصيبوا الفضل من اليهود من سفلتهم، (ويأمرون الناس بالبخل) يقول: ويأمرون الناس بالكتمان، والناس في هذه الآية: اليهود، أمروهم بكتمان أمر محمد - صلى الله عليه وسلم

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٩/٣٥٥

-، (ومن يتول) يعني: ومن أعرض عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
". (١)

" - عن عبد الله بن عباس، (ولقاهم نضرة وسرورا)، قال: نضرة في وجوههم، وسرورا في صدورهم عزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٨٠٤٥٤) - عن الحسن البصري - من طريق أبي رجاء - (ولقاهم نضرة) قال: في الوجوه، (وسرورا) قال: في الصدور والقلوب أخرجه آدم بن أبي إياس - كما في تفسير مجاهد ص (٦٨٨) - من طريق المبارك بنحوه، وابن جرير (٢٣) / (٥٥٠)، وعبد بن حميد - كما في التغليق (٣) / (٤٩٩) - (٥٠٠)، وفتح الباري (٦) / (٣٢١) - - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر - .

(٨٠٤٥٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (ولقاهم نضرة وسرورا) قال: نضرة في وجوههم، وسرورا في قلوبهم أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٥٥٠) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٨٠٤٥٦) - عن عطاء الخراساني - من طريق يونس بن يزيد - في قول الله : (نضرة وسرورا)، قال: الزهرة في الوجه، والسرور في الصدر أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص (١١٤) - .

(٨٠٤٥٧) - قال مقاتل بن سليمان: فشكر الله أمرهم، فقال: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) يعني: يوم القيامة شر جهنم، (ولقاهم نضرة وسرورا) نضرة في الوجوه، وسرورا في القلوب، وذلك أن المسلم إذا خرج من قبره يوم القيامة نظر أمامه، فإذا هو بإنسان وجهه مثل الشمس يضحك، طيب النفس، وعليه ثياب بيض، وعلى رأسه تاج، فينظر إليه حتى يدنو منه، فيقول: سلام عليك، يا ولي الله - فيقول: وعليك السلام، من أنت يا عبد الله؟ أنت ملك من الملائكة؟ فيقول: لا، والله - فيقول: أنت نبي من الأنبياء؟ فيقول: لا، والله - فيقول: أنت من المقربين؟ فيقول: لا، والله - فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، أبشرك بالجنة، والنجاة من النار - فيقول له: يا عبد الله، أبعلم تبشرني؟ فيقول: نعم - فيقول: ما تريد مني؟ فيقول له: اركبني - فيقول: يا سبحان الله، ما ينبغي لمثلك أن يركب عليه - فيقول: بلى، فإني طالما ركبتك في دار الدنيا، فإني أسألك بوجه الله إلا ما
ركبتني - فيركبه، فيقول: لا تخف، أنا دليلك إلى الجنة - فيعم **ذلك الفرح في** وجهه حتى يتلألأ،
". (٢)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٥٦/٣٩

(٢) موسوعة التفسير المأثور ٨/٤٢

"ومعه التسليم والرضا، فيجيء الملك حتى يقوم على

بابه، فيقول لحاجبه: ائذن لي على ولي الله، فإني رسول رب العالمين إليه - فيقول الحاجب: والله، ما أملك منه المناجاة، ولكن سأذكرك إلى من يليني من الحجبة - فلا يزالون يذكرون بعضهم إلى بعض حتى يأتيه الخبر بعد سبعين بابا، يقول: يا ولي الله، إن رسول رب العزة على الباب، فيأذن له بالدخول عليه - فيقول: السلام عليك، يا ولي الله، إن الله يقرئك السلام، وهو عنك راض - فلولا أن الله تعالى لم يقض عليه الموت لمات من الفرح، فذلك قوله: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا)» أخرجه مقاتل بن سليمان (٤) / (٥٣٠) - .

(٨٠٥٥٧) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عكرمة - أنه ذكر مراكب أهل الجنة، ثم تلا: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا) أخرجه الحاكم (٢) / (٥١١)، والبيهقي ((٤٤٥))، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة - موسوعة ابن أبي الدنيا (٦) / (٣163) ((٢٠١)) - .

(٨٠٥٥٨) - عن كعب الأحبار - من طريق مرداس بن عبد الرحمن - في قوله: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا)، قال: يرسل إليهم ربهم الملائكة، فتأتي فتستأذن عليهم أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة - موسوعة ابن أبي الدنيا (٦) / (٣٦١) ((٢٠٢)) - .

(٨٠٥٥٩) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا)، قال: هو استئذان الملائكة عليهم: لا تدخل عليهم إلا بإذن أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٥٦٧)، والبيهقي ((٤٤٦))، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة - موسوعة ابن أبي الدنيا (٦) / (٣٦٠) ((١٩٨)) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٨٠٥٦٠) - عن مجاهد بن جبر - من طريق سفيان، عمن سمع مجاهدا - يقول: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا)، قال: تسليم الملائكة أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٥٦٧) - .

(٨٠٥٦١) - قال محمد بن السائب الكلبي: (رأيت نعيما وملكا كبيرا) هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه تفسير البغوي (٨) / (٢٩٧) - .

(٨٠٥٦٢) - قال مقاتل بن سليمان: (وإذا رأيت) يا محمد (ثم) يعني: هناك (رأيت

". (١)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٥/٤٢

"(٨٢١٠٧) - قال الحسن البصري: (نضرة النعيم) النضرة في الوجه، والسرور في القلب تفسير البغوي (٨) / (٣٦٧) - .

(٨٢١٠٨) - قال مقاتل بن سليمان: (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) لأنه يعلق في وجهه النور **من الفرح والنعيم**، فلا يخفى عليك إذا نظرت إليهم فرحون تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٦٢٤) - .

(يسقون من رحيق مختوم (٢٥))

(٨٢١٠٩) - عن عبد الله بن مسعود - من طريق مسروق - في قوله: (يسقون من رحيق مختوم)، قال: الرحيق: الخمر - والمختوم: يجدون عاقبتها طعم المسك أخرجه سعيد بن منصور (٨) / (٢٨٣) ((٢٤٢٢))، وابن أبي شيبة (١٣) / (١٤٢)، وهناد ((٦٤)، (٦٦))، والبيهقي في البعث ((٣٦١))، وعند ابن أبي شيبة والبيهقي عن مسروق - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٨٢١١٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - : (من رحيق) خمر، (مختوم) قال: ختم بالمسك أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٢١٧)، والبيهقي في البعث ((٣٥٧)) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٨٢١١١) - عن سعيد بن جبير، (يسقون من رحيق مختوم)، قال: الخمر أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (١٤٣) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٨٢١١٢) - عن عبد الله بن مرة - من طريق الأعمش - قال: الرحيق: هي الخمر - والمختوم: يجدون عاقبة ريح المسك أخرجه الإمام ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة (٦) / (٣٤٧) ((١٣٤)) - .

(٨٢١١٣) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (يسقون من رحيق مختوم)، قال: الخمر تفسير مجاهد ص (٧١٢)، وأخرجه ابن جرير (٢٤) / (٢١٤)، والبيهقي في البعث ((٣٦٤)) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٨٢١١٤) - عن الحسن البصري، (يسقون من رحيق مختوم)، قال: هي الخمر أخرجه ابن أبي شيبة (١٣) / (١٤٢) - (١٤٣)، وابن جرير (٢٤) / (٢١٥) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٨٢١١٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (يسقون من رحيق

". [(١)]

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٣/٤٣

"وجوههم بوجوه قوم فرحين؛ إذا أصابوا الشراب طابت أنفسهم، فاجتمع الدم في وجوههم، **فاجتمع فرح القلوب** وفرح الشراب، فهو ضاحك الوجه، مبتسم طيب النفس تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٦٧٨) - .

(لسعيها راضية (٩))

(٨٢٨٣٤) - قال مقاتل بن سليمان: (لسعيها راضية)، يعني: قد رضي الله عمله، فأثابه الله ذلك بعمله تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٦٧٨) - .

(٨٢٨٣٥) - عن سفيان، في قوله: (لسعيها راضية)، قال: رضيت عملها عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(في جنة عالية (١٠))

(٨٢٨٣٦) - قال مقاتل بن سليمان: (في جنة عالية) وإنما سماها عالية لأن جهنم أسفل منها، وهي دركات، والجنة درجات تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٦٧٨) - .

(لا تسمع فيها لاغية (١١))

قراءات

(٨٢٨٣٧) - عن عاصم أنه قرأ: (لا تسمع فيها) بالتاء ونصب التاء، (لاغية) منصوبة منونة عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - وهي قراءة متواترة، قرأ بها العشرة، ما عدا ابن كثير، وأبا عمرو، ورويسا؛ فإنهم قرؤوا: " لا يسمع فيها لاغية " بالياء، ورفع (لاغية)، وما عدا نافعا فإنه قرأ: " لا تسمع فيها لاغية " بالتاء ورفع (لاغية) - انظر: النشر (٢) / (٤٠٠)، والإتحاف ص (٥٨١) - اختلفت القرأة في قراءة قوله تعالى: (لا تسمع فيها لاغية) على ثلاث قراءات: الأولى: (لا تسمع) بفتح التاء، بمعنى: لا تسمع الوجوه - الثانية: " لا تسمع " بضم التاء، بمعنى: ما لم يسم فاعله - الثالثة: " لا يسمع " بالضم أيضا غير أنها بالياء - ورجح ابن جرير ((٢٤) / (٣٣٦)) «أن كل ذلك قراءات معروفات صحيحات المعاني، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب» - .

تفسير الآية

(١) ".

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٦٤/٤٣

"كوفي تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٧٤٩) - ذكر ابن عطية ((٨) / (٦٤٧)) أن السورة مكية، ثم قال: «لا أعرف في ذلك خلافا بين المفسرين» - .

تفسير السورة

(والتين والزيتون (١))

(٨٣٨٩٨) - عن أنس بن مالك - من طريق الزهري - قال: لما نزلت سورة (والتين) على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرح بها فرحا شديدا، حتى تبين لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس عن تفسيرها، فقال: (والتين) بلاد الشام، (والزيتون) بلاد فلسطين، (وطور سينين) الذي كلم الله موسى عليه، (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) محمد - صلى الله عليه وسلم - ، (ثم رددناه أسفل سافلين) عبدة اللات والعزى، (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، (فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين) إذ بعثك فيهم نبيا، وجمعك على التقوى، يا محمد أخرجه الخطيب (٢) / (٩٧)، وابن عساكر (١) / (٢١٤) بسند فيه مجهول - قال الخطيب: «هذا الحديث بهذا الإسناد باطل لا أصل له يصح فيما نعلم، والرجال المذكورون في إسناده كلهم أئمة مشهورون غير محمد بن بيان، ونرى العلة من جهته» - .

(٨٣٨٩٩) - عن عبد الله بن عباس - من طريق عطية العوفي - في قوله: (والتين) قال: مسجد نوح الذي بني بأعلى الجودي، (والزيتون) قال: بيت المقدس - ويقال: التين والزيتون وطور سنين ثلاثة مساجد بالشام أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٥٠٤) - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه - .

(٨٣٩٠٠) - عن عبد الله بن عباس، في قوله: (والتين والزيتون)، قال: هما المسجدان؛ مسجد الحرام، ومسجد الأقصى حيث أسري بالنبي - صلى الله عليه وسلم - عزاه السيوطي إلى ابن مردويه - .

(٨٣٩٠١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق مجاهد - (والتين والزيتون)، قال: الفاكهة التي يأكلها الناس أخرجه ابن أبي حاتم - كما في فتح الباري (٨) / (٧١٣) - ، والحاكم (٢) / (٥٢٨) - .

(٨٣٩٠٢) - عن كعب الأحبار - من طريق يزيد أبي عبد الله - في قوله: (والتين) الآيات، قال: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٥٠٣) - (٥٠٤) بلفظ: التين: دمشق، وابن عساكر (١) / (٢١٥) - وعزاه السيوطي إلى ابن الضريس، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٨٣٩٠٣) - عن إبراهيم النخعي - من طريق حماد - في قوله: (والتين والزيتون)، قال: التين الذي يؤكل، والزيتون: الذي يعصر أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٥٠٢) - .

(٨٣٩٠٤) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - (والتين والزيتون)، قال: الفاكهة التي يأكل الناس تفسير مجاهد ص (٧٣٧) بنحوه، وأخرجه الفريابي - كما في تغليق التعليق (٤) / (٤)، (٣٧٣) - ، وابن جرير (٢٤) / (٥٠٢) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٨٣٩٠٥) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (والتين والزيتون)، قال: التين الذي يؤكل، والزيتون: الذي يعصر أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٥٠٢) - .

(٨٣٩٠٦) - عن مجاهد بن جبر - من طريق خصيف - (والتين والزيتون)، قال: هو تينكم وزيتونكم أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٥٠٢) - .

(٨٣٩٠٧) - عن خالد بن معدان، في قوله: (والتين والزيتون)، وقوله: (لم يخلق مثلها في البلاد) [الفجر: (٨)]، قال: يعني: دمشق أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١) / (٢١٦) - .

(٨٣٩٠٨) - عن الضحاك بن مزاحم، (والتين والزيتون)، قال: مسجدان بالشام عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٨٣٩٠٩) - عن عكرمة مولى ابن عباس - من طريق أبي رجاء - (والتين) قال: هو هذا التين، (والزيتون) قال: هو هذا الزيتون أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٥٠١)، وبنحوه من طريق الحكم ويزيد - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .

(٨٣٩١٠) - عن عكرمة مولى ابن عباس - من طريق أبي بكر - (والتين والزيتون)، قال: هما جبلان أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٥٠٤) - .

(٨٣٩١١) - عن الحسن البصري - من طريق عوف - (والتين والزيتون)، قال: تينكم هذا الذي تأكلون، وزيتونكم هذا الذي تعصرون أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٥٠١)، (٥٠٣)، وبنحوه من طريق قتادة - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

." (١)

": الذي يوسوس مرة ويخنس مرة، من الجن والإنس، وكان يقال: شيطان الإنس أشد على الناس من شيطان الجن؛ شيطان الجن يوسوس ولا تراه، وهذا يعاينك معاينة أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٧٥٥) - .

(٨٥٧١٦) - عن ابن ثور، عن أبيه، ذكر لي: أن الشيطان - أو قال: الوسواس - ينفث في قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح، وإذا ذكر الله خنس أخرجه ابن جرير (٢٤) / (٧٥٥) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٤٢/٤٣

* * *

- آثار متعلقة بالآية

(٨٥٧١٧) - عن الحكم بن عمير الثمالي، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «الحذر، أيها الناس، وإياكم والوسواس الخناس، فإنما يبلوكم أيكم أحسن عملا» أخرجه ابن جرير (١٩) / (١٩٩) - (٢٠٠) مطولا - وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه - قال ابن كثير في تفسيره (٦) / (٤٩١): «هذا حديث غريب جدا» - وقال السيوطي في الدر (١٢) / (١٦١) - (١٦٢) عن رواية ابن جرير: «سند ضعيف» - .

(٨٥٧١٨) - عن معاوية بن أبي طلحة، قال: كان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم، اعمر قلبي من وساوس ذكرك، واطرد عني وساوس الشيطان» عزاه السيوطي إلى أبي بكر بن أبي داود في كتاب ذم الوسوسة - .

(٨٥٧١٩) - عن عبد الله بن مغفل - من طريق عقبة - قال: البول في المغتسل يأخذ منه الوسواس أخرجه ابن أبي شيبة (١) / (١١٢) - .

(٨٥٧٢٠) - عن إبراهيم التيمي - من طريق العوام - قال: أول ما يبدأ الوسواس من الوضوء أخرجه ابن أبي شيبة (١) / (٦٦) - (٦٧) - .

(٨٥٧٢١) - عن عمرو بن مرة - من طريق مسعر - قال: ما وساوسه بأولع ممن يراها تعمل فيه أخرجه ابن أبي شيبة (١) / (١٩٦) - .

- (الذي يوسوس في صدور الناس (٥))

(٨٥٧٢٢) - عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: الوسواس محله على فؤاد الإنسان، وفي عينه، وفي ذكره، ومحله من المرأة في عينها، وفي فرجها إذا أقبلت، وفي
." (١)

"هما حين رأيتهم أحسن ثيابا، وأطيب ريحا وأحسن مركبا مني، فجالست الفقراء فاسترحت - وقال: (ولا تنسوا الفضل بينكم) إذا أتى أحدكم السائل وليس عنده شيء فليدع له أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٤٤٧) (عقب (٢٣٦٩)) - .

أحكام متعلقة بالآية

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٨٥/٤٤

(٩٤١٩) - عن علقمة، أن قوما أتوا ابن مسعود، فقالوا: إن رجلا منا تزوج امرأة، ولم يفرض لها صداقا، ولم يجمعها إليه حتى مات - فقال: ما سئلت عن شيء منذ فارقت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشد من هذه، فأتوا غيري - فاختلفوا إليه فيها شهرا، ثم قالوا في آخر ذلك: من نسأل إذا لم نسألك وأنت أخية أراد بالأخية هنا: البقية - النهاية (أخا) - أصحاب محمد في هذا البلد، ولا نجد غيرك؟ فقال: سأقول فيها بجهد رأيي، فإن كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان خطأ فمني، والله ورسوله منه بريء، أرى أن أجعل لها صداقا كصداق نسائها، لا وكس الوكس - كالوعد - : النقص - النهاية (وكس) - ولا شطط الشطط: هو الجور، والظلم والبعد عن الحق - النهاية (شطط).، ولها الميراث، وعليها العدة أربعة أشهر وعشرا - قال: وذلك بسمع ناس من أشجع، فقاموا - منهم معقل بن سنان - فقالوا: نشهد أنك قضيت بمثل الذي قضى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في امرأة منا يقال لها: بروع بنت واشق - قال: فما رؤي عبد الله فرح بشيء ما فرح يومئذ، إلا بإسلامه - ثم قال: اللهم، إن كان صوابا فمنك وحدك لا شريك لك أخرجه أحمد (٣٠) / (٤٠٧) - (٤٠٨) ((١٨٤٦١))، (١٨٤٦٢))، وأبو داود ((٢١١٦))، والترمذي (٢) / (٦١٤) ((١١٧٧))، والنسائي (٦) / (١٢١) ((٣٣٥٤))، (٣٣٥٥))، (٦) / (١٢٢) ((٣٣٥٨))، (٦) / (١٩٨) ((٣٥٢٤))، والحاكم (٢) / (١٩٦) ((٢٧٣٧))، وابن حبان (٩) / (٤٠٩) ((٤١٠٠)) - قال الترمذي: «حديث حسن صحيح» - وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه» - وقال الذهبي في التلخيص: «على شرط مسلم» - وقال البيهقي في الكبرى (٧) / (٤٠١) ((١٤٤١٧)): «جميع هذه الروايات أسانيدها صحاح» - وقال ابن حجر في بلوغ المرام (٢) / (٨٥) ((١٠٣١)): «صححه الترمذي والجماعة» - وقال الألباني في الإرواء (٦) / (٣٥٧) - (٣٥٨) ((١٩٣٩)): «صحيح» - .

(٩٤٢٠) - عن علي بن أبي طالب، أنه قال في المتوفى عنها ولم يفرض لها صداق: لها الميراث، وعليها العدة، ولا صداق لها - وقال: لا يقبل قول الأعرابي من أشجع على كتاب الله أخرجه سعيد بن منصور (١) / (٢٦٦)، وابن أبي شيبة (٤) / (٣٠٢)، والبيهقي (٧) / (٢٤٧) - .

(٩٤٢١) - ." (١)

"(١٥٧١١) - عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل له: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا؛ لنعذبن أجمعون

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٠٣/٥

- فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟! إنما أنزلت هذه في أهل الكتاب - ثم تلا ابن عباس: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) الآية - وتلا: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية - قال ابن عباس: سألهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه أخرجه البخاري ((٤٥٦٨))، ومسلم ((٢٧٧٨))، وأحمد (٤) / (٤٤٤)، (٤٤٥)، والترمذي ((٣٠١٤))، والنسائي ((١١٠٨٦))، وابن جرير (٦) / (٣٠٥)، (٣٠٦)، وابن المنذر (٢) / (٥٢٨)، (٥٢٩)، وابن أبي حاتم (٣) / (٨٣٩)، والطبراني ((٣٠٧١٠))، والحاكم (٢) / (٢٩٩)، والبيهقي في الشعب ((٧٠١٩))، وعبد الرزاق في تفسيره (١) / (١٤١)، (١٤٢) بعضه - .

(١٥٧١٢) - عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن أصحاب عبد الله يقرؤون: (وإذ أخذ ربك من الذين أوتوا الكتاب ميثاقهم) - قال: من النبيين على قومهم أخرجه ابن جرير (٦) / (٢٩٧) - .

(١٥٧١٣) - عن سعيد بن جبير - من طريق مسلم البطين - (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب)، قال: اليهود أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١) / (١٤١)، وابن جرير (٦) / (٢٩٥)، وابن المنذر (٢) / (٥٢٧)، وابن أبي حاتم (٣) / (٨٣٥) - .

(١٥٧١٤) - عن عباد بن منصور: أنه سأل الحسن البصري عن قوله: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) - قال: هم اليهود والنصارى أخرجه ابن أبي حاتم (٣) / (٨٣٦) - .

(١٥٧١٥) - عن الحسن البصري - من طريق قتادة - قال: لولا الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم ما حدثتكم بكثير مما تسألون عنه أخرجه ابن سعد (٧) / (١٥٨) - .

(١٥٧١٦) - عن رواد قال: دخل الحسن بن عمارة على الزهري، وقد امتنع من الحديث، فقال: ما له لا يحدث؟ قالوا: امتنع - قال له الحسن: حدث؛ فإن في القوم من لو يشاء أن يحدث حدث - قال: فليحدث - فقال الحسن: ثنا الحكم بن عتيبة في قوله: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس)، فقال: ما أتى الله عالما

." (١)

"(١٥٧٤٩) - عن زيد بن أسلم: أن رافع بن خديج وزيد بن ثابت كانا عند مروان وهو أمير بالمدينة، فقال مروان: يا رافع، في أي شيء نزلت هذه الآية: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا)؟ قال رافع: أنزلت

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١١/٨

في ناس من المنافقين، كانوا إذا خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – اعتذروا، وقالوا: ما حبسنا عنكم إلا الشغل، فلوددنا أنا كنا معكم – فأنزل الله فيهم هذه الآية – فكأن مروان أنكر ذلك، فجزع رافع من ذلك، فقال لزيد بن ثابت: أنشدك بالله، هل تعلم ما أقول؟ قال: نعم – فلما خرجا من عند مروان قال له زيد: ألا تحمدني شهدت لك! – قال: أحمدك أن تشهد بالحق؟ قال: نعم، قد حمد الله على الحق أهله أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥) / (٨٤) – (٨٥) ((١٨٢٧))، وعبد بن حميد – كما في قطعة من تفسيره – ص (٦٤) ((١٦٧)) – قال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (٢) / (٨١٢): «عبدالعزيز بن يحيى ضعيف جدا» – .

(٠5١٥٧) – عن أبي سعيد الخدري – من طريق عطاء بن يسار –: أن رجالا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فإذا قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الغزو اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية أخرجه البخاري (٦) / (٤٠) ((٤٥٦٧))، ومسلم (٤) / (٢١٤٢) ((٢٧٧٧))، وابن المنذر (٢) / (٥٣٠) ((١٢٥٧))، وابن جرير (٦) / (٣٠٠)، وابن أبي حاتم (٣) / (٨٣٩) ((٤٦٤٦)) – وأورده الثعلبي (٣) / (٢٢٩) – .

(١٥٧٥١) – عن عبد الله بن عباس – من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف –: أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل له: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا؛ لنعذبن أجمعون – فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية، إنما أنزلت هذه في أهل الكتاب – ثم تلا ابن عباس: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) الآية، وتلا: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية – قال ابن عباس: سألهم النبي – صلى الله عليه وسلم – عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه أخرجه البخاري (٦) / (٤٠) ((٤٥٦٨))، ومسلم (٤) / (٢١٤٣) ((٢٧٧٨))، ومقاتل بن سليمان (٥) / (١٤٩)، وعبد الرزاق في تفسيره (١) / (٤٢٧) ((٤٩٣))، وابن جرير (٦) / (٣٠٥)، وابن المنذر (٢) / (٥٢٨) ((١٢٥٣))، (٢) / (٥٢٩) ((١٢٥٤))، وابن أبي حاتم (٣) / (٥٣٩) – (٥٤٠) ((٤٦٤٧)) – – علق ابن كثير ((٣) / (٢٩٣)) مستندا للعموم بعد إيراده الآثار عن ابن عباس، وأبي سعيد، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج بقوله: «ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء؛ لأن

الآية عامة في جميع ما ذكر».

." (١)

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢١٨/٨